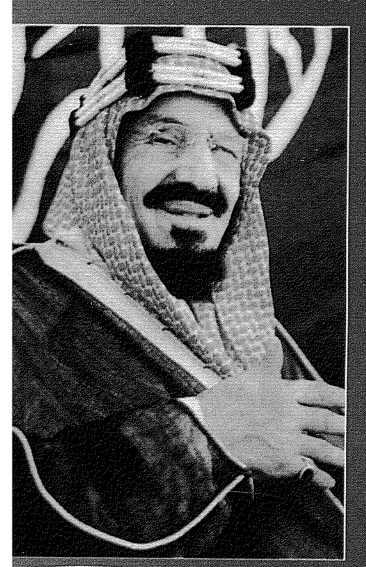
المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٤٤) المجلد (٥٩) العام [٦٣] جمادى الآخره ورجب ١٤١٨ هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٧ م

رائد ..
ي ذكراه

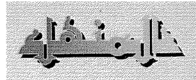


لانترنيت
.. صديق
ام عدو

تنوير .. الضجة المفتعلة

فى الانتماء الثقافي

ليوم الوطني .. فكرة وعبر



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض. ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

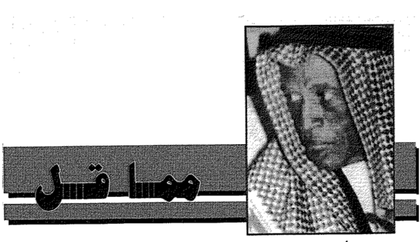
سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



جَرِّبِ الطريق الآخر!

في هذه الحياة جملة شبكات من خطوط مختلفة الاتجاه والاهداف، وثلاثة منها هي الخطوط الرئيسية.

فهذا خط سهل واضح لا يتكلف راكبه شططاً ولا يتحمل رهقا..

وهذا خط آخر وعر مملوء بالاشواك يعترض سالكيه ضروب من الاعاصير الهوجاء.

وذاك خط ثالث هو بين بين .. فليس بالشائك الوعر جداً، وليس بالسهل الهين جداً، هو وسط بين حالتي السهولة والامتناع.

يعتاد سلوك الطريق الاول، أولئك الواهنون الضعفاء الذين هانت نفوسهم، فهانت مطالبها من الحياة، فهم يحتسسون فضلاتها من أقرب الوجوه التماسا للسلامة من أحط الوجوه.. وهؤلاء القوم هم (حثالة) الامم.

ويمتطي ثاني الطرق، أولئك الابطال المغامرون الذين لا يبالون بنصب جسومهم في سبيل الترفيه عن ضمائرهم وشعوبهم.

هؤلاء القوم هم (الرواد) وهم (القادة) في الأمم.

ويسلك ثالث الخطوط فريق ثالث يزمعون أن يمثلوا دورهم على مسرح الحياة ولكن ليس بين مقاعد النظارة، وهؤلاء هم (العاملون) في الأمم.

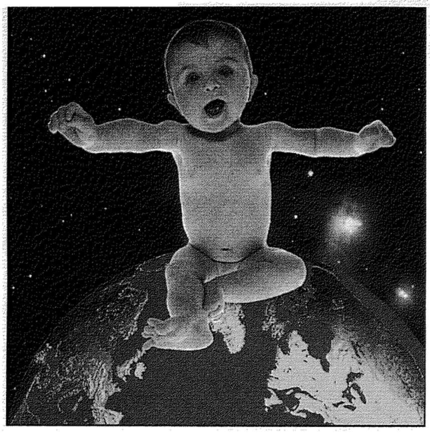
يحسن بك - يا صديقي القارئ - ان كنت ممن يهفو الى معالى الأمور أن تحدد مركزك حيال «خطوط الحياة» الثلاثة.. فإذا قدر لك النجاح فحذار من أن تركب سفينة الغرور والاطمئنان.. فإن من ركب هذه السفينة اغرقته الحياة وإذا لم تصل الى هدفك المنشود في طريق من طرق الحياة، فحذار من أن تركبك هواجس الهم واليأس.

.. جَرِّبِ الطريق الآخر!

«عبدالقدوس الأنصاري»

ربيع الثاني ١٣٦٦هـ/ مارس ١٩٤٧م

لقطة الشهر



الأرض تحترق ..
تحترق .. تحترق ..
إنها صرخة البريء ..
ترى .. هل يسمع الكبار؟! ..
هل يرعوي الكبار؟!..
هل يستحي الكبار؟!

اشـــــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر – جدة
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ – فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦



صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

المنهل
Almanhal
مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٤٤)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)





منهليات

اليوم الوطني فكرة .. وعبرة

...رن من الزمان في
ذاكرة الأجيال، لا يمرّ
... تمر عاديات الحياة، لا
سيما أن هذا القرن ظلت
...امه حبلى بأحداث
...سام..
جهاد وكفاح بالنفس
...نفيس من أجل صنع
...أمة.
...ة، تبني للمجد صرحاً
...امخا
...أمة تحرس ما ابتنته
...ما
محافظة ، وعناية وتطورا
قرن من الزمان في عمر
هذا البلد الحبيب.
إنه يقول الكثير والكثير..
جاء الملك عبد العزيز ليواصل
جهاد وكفاح أجداده
جاء فوجد الناس فوضى،
قبائل متفرقة .. متناحرة
قتل وسلب ونهب ..
الكل خائف وجلٌ .. على نفسه
وماله وعرضه
تعاليم الدين غائبة عن ذاكرة
تلك القبائل المتناحرة.
فكان منه العزم والجد
والصبر..
وكان التوفيق حليفه..
فما طلعت شمس ذلك اليوم
الأغر إلا والجزيرة مملكة..
مملكة مُوَحِّدة.
مملكة مُوَحَّدة الأنحاء ..
مؤتلفة الأرجاء
وجاء من بعده بَنُوه الأبرار.
شهدوا المشاهد كلها من قبل
وشاركوا فيها.
فجاء كل انجازهم بدراية وكفاية
والآن ..
فلتهنأ المملكة ..
بمليكها .. وبنيها ..
ومجدها.

رئيس التحرير

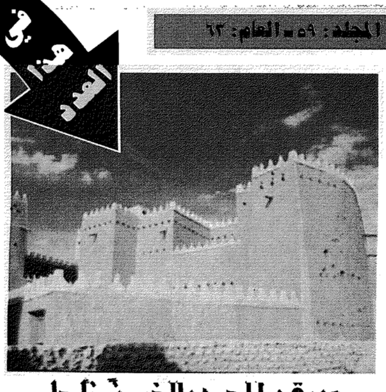
وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

فهرس العدد - ٥٤٣ - المجلد : ٥٩ - العام : ٦٣

في هذا العدد

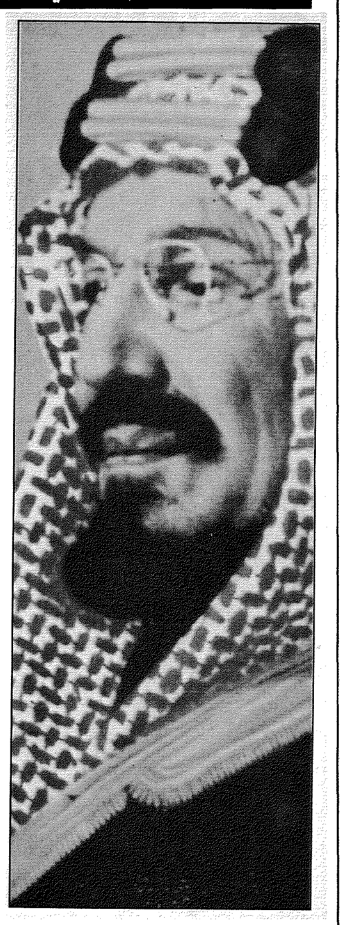
الفهرس



ويبقي المجد بالخير نضاحا

أقلام:

د. أمين ساعاتي
د. محمد رجب البيومي.
الأستاذ عبد الله بن خميس.
د. عبد الرحمن الانصاري.
الاستاذ محمد صلاح الدين.
د. رضا عبد الحكيم.
د. عبد الحميد التمسماني.
د. شذى الدركزلي.



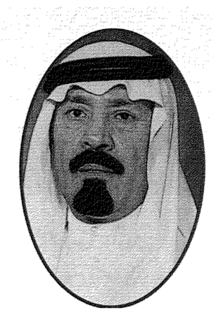
يوم مشرق

تحتفل بلادنا اليوم بذكرى تأسيسها، ففي مثل هذا اليوم من برج الميزان ١٧ جمادى الاولى ١٣٥١هـ المصادف ٢٣ سبتمبر ١٩٣٢م أعلن عن تأسيس المملكة العربية السعودية وهو التاريخ الذي حمل هذه التسمية للمملكة بموجب الأمر الملكي الكريم رقم ٢٧١٦ في ١٣٥١/٥/١٧هـ.

فاليوم الوطني لبلادنا يوم مشرق الصفحات وضاء المعالم، وهكذا تتجدد هذه الذكرى التاريخية الغالية ونحن نسير على نهج المؤسس الاول الملك عبد العزيز، الذى جمع الأمة ووحدها فهي ذكرى تتجدد كل عام وذكرى لانجاز كبير وتاريخ عظيم ومسيرة حافلة بملاحم البطولة.. فاليوم الوطني تربية وطنية وخلقية ودينية وترابط وتعاون واخلاص ووفاء وايمان وعطاء، فهو رمز لمسيرة كفاح طويل، وسجل مشرق الصفحات لتاريخ حافل بالمواقف والبطولات، لقائد هذه الامة، ومؤسس كيانها جلالة الملك عبد

عبدالله بن حمد الحقيل
- الرياض -

صفحات وضّاء المعالم



سمو ولي العهد
الأمير عبدالله بن عبدالعزيز



خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبدالعزيز

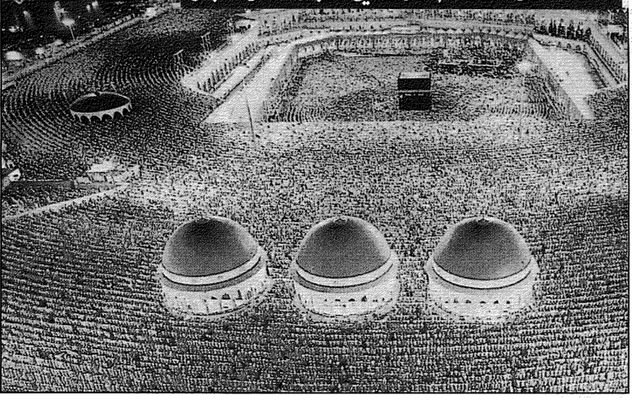


سمو النائب الثاني
الأمير سلطان بن عبدالعزيز

العزيز يرحمه الله، حيث قادها من نصر الى نصر متغلبا على كل المتاعب، ومتخطيا كل المصاعب، في كفاح متواصل ومصارعة للظروف القاسية، امتد حوالي أربعين عاما، منذ استرد الرياض عام ١٣١٩هـ، وبتوفيق من الله عز وجل، ثم بعزيمة كأنها الفولاذ، استطاع ان يوحد الصفوف بعد أن توحدت القلوب على نصرة عقيدة التوحيد، واستطاع أن يجمع الكلمة بعد أن كان الخلاف والشتات وهو السمة البارزة، ووفر الامن والطمأنينة في ربوع البلاد بعد أن كان بعيد المنال، واندثرت على يديه اسباب النزاعات، وحل محلها الائتلاف والوئام والوفاق، وتلاقت الغايات جميعها لخدمة هذا البلد الأمين.. لقد كان رحمه الله قائدا بارعا حقق انتصارات مجيدة غيرت كثيرا من مجريات التاريخ فقد كان علما شامخا من اعلام زعماء الاصلاح في العالم العربي والاسلامي في هذا القرن..

ولقد وطن البادية، وهي التي عاشت





الحرم المكي الشريف

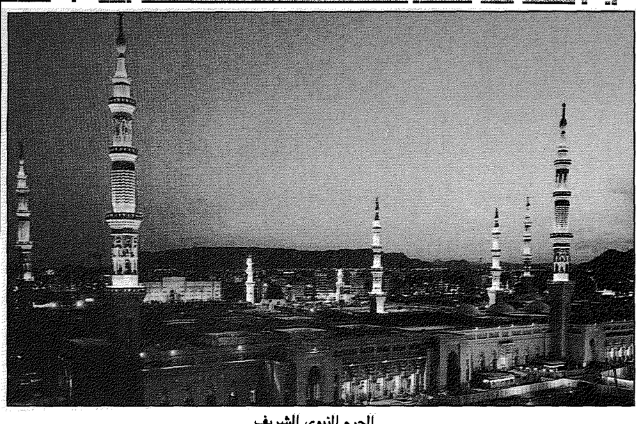
التـاريخ كله تضـرب الفـيـافي وتجـوب الصـحـارى والقـفـار، لا تعـرف الراحـة والاستقرار حتى تجد الماء والمرعى، فتستقر الى حين، ثم تعود الى الترحال، فإذا بها على يديه تقر وتسـتـقـر، من عناء الدهر الطويل الذى عـاشتـه في رحـيل وترحـال، وفزع دون استـقرار، وإذا التـاريخ يسـجل صفحات مشرقة لهذا العمل المجيد.

لقد كان للملك عبد العزيز مـآثر خـالدة وذكر حـافل مجيد واعمال تاريخية ناصعة، ولقد قال الشاعر احمد بن ابراهيم الغزاوي فى ١٣٥١/٤/٢٣هـ يصف نواحي عظمـة الملك عبد العزيز:

عبد العزيز وطئت هامات العلا
وبك استطالت يعرب ونزار
ومضيت من شرق الجزيرة هازئا
بالأقوياء ولم يهلك خمار
فاذا الشمال مع الجنوب وغربها
دعم لعرشك والحدود بحار

ولقـد عـدد خـيـر الدين الزركلي المزايا الشخصية التي يتحلى بها الملك عبد العزيز فيقول:

تتطاحن الفرسان وهو كأنه
ما بينها علم يموج وحيد
لا تبلغ الاسياف من جثمانه
الا كما خدش الحديد حديد
عرش بناه على النضال عماده
ودعامه الايمان والتسديد
ضم القلوب موحداً أشتاتها
لله ثم لشعبه التوحيد



الحرم النبوي الشريف

فقد أخذت البلاد في النمو بعد أن عرفت الأمن والرخاء، وعرفت كل بلدة وقرية طريقها الى ذلك النمو، فكانت بداية ذلك الاهتمام بالتعليم الذي ينمي العقل ويثري الفكر، ثم الرعاية بصحة الفرد لان العقل السليم في الجسم السليم، فانشئت المدارس، والمستشفيات، وكافة الخدمات الاخرى وسجلت في هذا المجال صفحات مشرقة لهذا العمل المجيد لتغلبه رحمه الله على ما واجه فيه من مصاعب.

كما نهضت التجارة والصناعة بسبب استقرار الأمن في ربوع البلاد، واخذ التجار يزاولون نشاطهم في أمن وأمان وأخذوا يجوبون طول البلاد وعرضها، ويجلبون الى البلاد ما تحتاجه من سلع، ويصدرون بعض المنتجات الى الخارج، وهم آمنون على أموالهم وارواحهم، وصارت قوافل الحجيج تفد من كل فج وصوب، وهى آمنة في بيت الله الآمن، وفى ارض الامان، وسجل التاريخ في هذا المجال صفحات مشرقة حتى استقر الأمن في ربوع البلاد.

إن تاريخ الملك عبد العزيز ثري ومتنوع يعطي قارئه روافد مستمرة وتفاصيل كثيرة، هذا قليل من كثير نذكره في يومنا الوطني، الذى نعتز به لأنه ثمار جهد كبير، وكفاح متواصل، وعمل فاق كل تصور، وأعظم تلك الثمار هو ما نعيشه اليوم، ونجنيه في عصرنا الميمون، تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله وسمو ولي عهده الأمين .. ووفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه.

في ذكرى اليوم الوطني

بقلم :
د. أمين ساعاتي
خبير العلاقات الدولية بجامعة الدول العربية

لم يعد اليوم الوطني مجرد مناسبة دبلوماسية تحتفى بها سفارات خادم الحرمين الشريفين فحسب، بل أصبح الاحتفال باليوم الوطني جزءاً هاما من تقاليد الإنسان السعودي التي يستعد لها ويحتفى بها ويجدد على الطريق ولاءه لمليكه ووطنه وأمته.

اليوم الوطني بهذا المعنى هو علامة مضيئة في تاريخ الأمة السعودية، وهو محطة تتجدد في كل عام لمراجعة منجزات البناء والتنمية.

ومن الأشياء التى نلاحظها في كل عام ونحن نعيش ذكرى اليوم الوطني، هو أننا كلما كتبنا عن الملك عبد العزيز طيب الله ثراه، نشعر بأننا في أمس الحاجة إلى مزيد من الكتابة عنه، بل أكثر من هذا، فكلما اخضعنا منجزات الملك عبد العزيز للدراسة العلمية المحايدة، كلما احتجنا الى فيض زاخر لا ينتهى من الدراسة والتحليل.. إنها باختصار معجزة القيادة التى منحها الله سبحانه وتعالى للملك عبد العزيز القائد المؤسس.

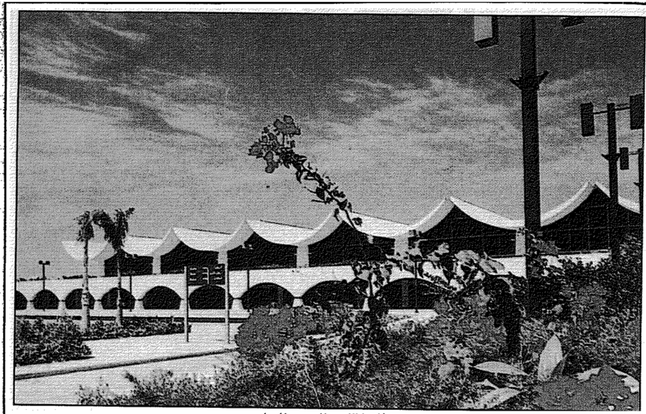
لقد أقام الملك عبد العزيز نموذج المملكة العربية السعودية على مبادىء التوحيد وعلى كتاب الله وسنة رسوله {صلى الله عليه وسلم}، ثم شرع في بناء مؤسسات الدولة الوليدة في زمن قصير وبنجاح منقطع النظير.

لقد كانت شبه الجزيرة العربية قبل عهد الملك عبد العزيز تعج بالخلافات بين شيوخ القبائل وتتسع الانقسامات والحروب بين الدويلات المتطاحنة، ولعب الاستعمار الأوروبي دوراً كبيراً في تأجيج الخلافات بين هذه الدويلات المتنازعة.

ولكن الملك عبد العزيز الذي توافرت له صفات المؤمن القوى والشجاعة النادرة والوعي السياسي الغالب، استطاع أن يتجاوز كل المعوقات وينشيء دولته العربية الإسلامية الخالصة.

وكانت الخطوة الأولى نشر دعائم التعاليم الإسلامية وإقامة القضاء الإسلامي والمؤسسات الدينية في المدن والقرى كي تؤدي دورها في بناء الأمة وتربية النشء، ثم كانت خطواته التالية المتمثلة في تثبيت وتوطيد دعائم الأمن والأمان والاستقرار في كل مكان من أنحاء المملكة الشاسعة وقطع دابر المفسدين وقطاع الطرق والمرجفين.

ثم شمل برنامج حكم الملك عبد العزيز كل الأوجه التى تمس حياة المواطن والمواطنة، فأمر بمجانية التعليم ونشر المدارس والمعاهد في كل مكان وأرسل البعثات في مختلف ميادين المعرفة والعلوم، وفتح المستشفيات وبنى القوة العسكرية حتى جعل هذه القوة هي أقوى قوة عسكرية في بلاد العرب يومذاك. أما



مطار الملك خالد في الرياض

الحرمان الشريفان فلقد وضعهما في قمة اهتماماته وكان يقول أنه شرف لي أن أنادى باسم خادم الحرمين الشريفين على أن أنادى بلقب ملك، ولقد أمر جلالته يرحمه الله بإنشاء هيئة من كبار العلماء لخدمة ورعاية البيت الحرام ومسجد المصطفى {صلى الله عليه وسلم}، كما أمر جلالته بالبدء في توسعة المسجدين الشريفين.

أما بالنسبة لسياسته الخارجية فلقد كانت سياسية عربية إسلامية خالصة وكان يشدد القول: أنا عربي ولست متطفلا على الرئاسة والملك وإن آبائى وأجدادي معروفون بالرئاسة والملك.. أنا عربي وأحب قومي والتآلف بينهم وتوحيد كلمتهم وأبذل في ذلك مجهوداتي ولا أتأخر عن القيام بكل ما فيه مصلحة العرب وما يوحد أشتاتهم ويجمع كلمتهم. ثم قال ما كنا عرباً إلا بعد ما كنا مسلمين كنا عبيداً للعجم ولكن الإسلام جعلنا سادة ليس لنا فضيلة إلا بالله وطاعته واتباع سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} ويجب أن نعرف حقيقة ديننا وعربيتنا ولا ننساهما. كل حرية باطلة إلا حرية الإسلام والإنسان لا ينفع إلا بدين الإسلام. وفي عهد الملك عبد العزيز كانت المملكة إحدى الدول الست التي وقعت في عام ١٩٤٥م على ميثاق إنشاء جامعة الدول العربية دعما للعرب وتحقيقاً لتضامنهم ووحدتهم.

أما خطوة تكريس اسم المملكة العربية السعودية بدلا من اسم مملكة الحجاز وسلطنة نجد، فقد اتخذها الملك عبد العزيز في عام ١٣٥٢هـ - ١٩٣٢م حينما أصدر أمراً ملكياً أشار فيه إلى أنه بناء على طلب الأهالي فإنه يأمر بتغيير اسم المملكة من مملكة الحجاز وسلطنة نجد وتوابعها إلى اسم المملكة العربيه السعودية وذلك تعبيراً عن الوحدة الوطنية بين

كافة مدن وقرى وهجر مملكته الحديثة اليانعة.
كما نص الأمر الملكى بأن يكون اليوم الأول من فصل الميزان هو اليوم الوطني للمملكة.

إن النواة التي تشكلت منها المملكة العربية السعودية وجعلت ولادتها ولادة طبيعية وقوية.. هو أن المملكة ولدت في قلب الجزيرة العربية، طرفها الشرقي يمثل الجزء الأكبر من الخليج العربي وطرفها الغربي يحتضن أطهر بقعة على الأرض مكة المكرمة والمدينة المنورة التي جعلها الله مثاباً وأمناً للناس أجمعين. لذلك فإن الهوية الوطنية للمملكة تمثل التوازن الأمثل بين المركز وطرفي الرحى. فالدولة التى تولد في قلب بلاد العرب لابد أن تكون ذات هوية عربية، والدولة التى يقع أحد طرفيها في الخليج لابد أن تكون ذات هوية خليجية. وهي قبل ذلك وبعده تحتوى العروبة والخليجية في بوتقة الدين الإسلامي الأقوم.

أي أن مركز الدائرة للهوية السياسية في المملكة.. يتجسد في الدين الإسلامى، وحول خاصرة هذه الدائرة تقع العروبة، وحول خاصرة العروبة تلتف الوحدة الخليجية لتمثل حلقة من حلقات الوحدة العربية.

إن اليوم الوطني هو فرصة مهمة للتعامل مع الحقائق.

حقائق التأسيس الذي وضع لبناته الأولى الملك عبد العزيز.

وحقائق التنمية التى اضطلع بها أبناؤه البررة من بعده.

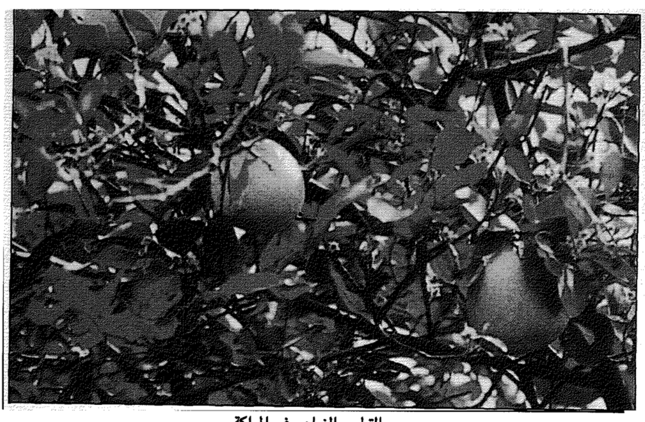
والتعامل مع الحقائق هو السبيل الأنسب للاستجابة الناجحة للتحديات والارتفاع إلى اعلى من مستواها، ومن ثم تجاوز ذلك المستوى إلى إرساء الكيان، ثم تسخير التنمية للبناء والشموخ.

إن التحديات التى واجهها الملك عبد العزيز والتى واجهها من بعده أبناؤه البررة وآخرها حربا الخليج الأولى والثانية.. هي التي أظهرت مواهب القيادة الصالحة فيهم جميعاً، وهى التى مكنت الأمة من صنع تاريخها الماجد الرشيد.

وها نحن اليوم نجنى ثمار الغرسة التي غرسها الملك البانى عبد العزيز يرحمه الله، ونسعد بأريج حدائقها التى حرص على إنمائها وتنميتها أبناؤه الملوك سعود وفيصل وخالد - رحمهم الله - وخادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - .

إن الملك عبد العزيز كان نتاج مرحلة من أخطر المراحل، ومع ذلك كانت مواهبه الفطرية زاخرة تواجه المخاطرة برباطة جأش، وتحولها إلى انتصارات تجسدت في سلسلة من التوحيد وسلسلة من البناء والعمار.. واليوم الوطني الذي نعيشه في أول الميزان من كل عام.. هو رمز هذه الانتصارات وتلك الإنجازات التى لا يفخر بها سكان المملكة فحسب، بل يفخر بها كل دعاة الوحدة العربية والإسلامية، كما يفخر بها كل الذين يفرحون بإخلاص للتقدم والإنجاز في كل مكان.

وإذا كان لكل قائد من قواد التاريخ مفتاح شخصية مميز فإن مفتاح شخصية الملك عبد العزيز الذى استخدمه ليفتح به سبل إنشاء مملكته الفتية.. هو الإخلاص، ثم العمل على



التطوير الزراعي في المملكة

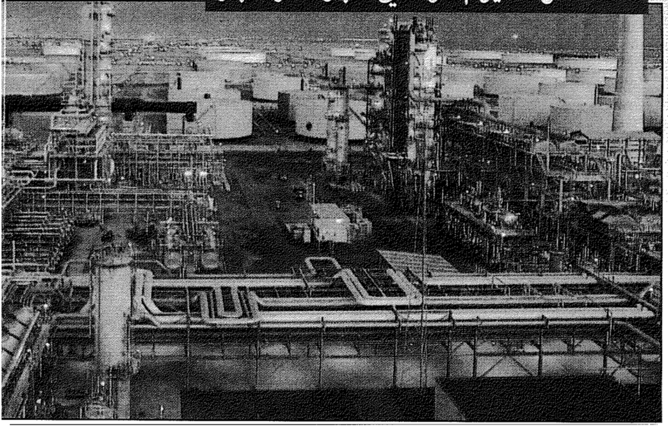
إنقاذ شعوب الجزيرة العربية وتحقيق الوحدة أو التوحيد بين دويلاتها وقبائلها. أى أن الملك عبد العزيز يرحمه الله وضع منهاج بناء المملكة على هذا المصطلح «الوحدة»، وسعى إليها هدفاً ومقصداً حتى تمكن بالفعل من تحقيق الوحدة بين أطراف شبه الجزيرة العربية، وهكذا أصبحت الوحدة بين الدويلات المتفرقة في شبه الجزيرة مثلا راقيا ومستهدفا لكل الذين يطالبون بالوحدة العربية.

ولكن الذى يميز الملك عبد العزيز عن غيره في سعيه إلى تحقيق وحدة كياننا الكبير، هو انه سعى إلى تحقيق وحدة شبه الجزيرة عبر هويتها الإسلامية الخالدة، فنادى بالإسلام دينا وهوية ومبدأ، وأكد بأن لا يسن قانون في هذه البلاد إلا بما يتمشى مع مباديء ديننا الإسلامى الأقوم.

ثم نادى بالوحدة بين العرب على أساس مبادىء الدين الإسلامي الحنيف، وقال يرحمه الله مقولته المشهورة: كل ما ندعو إليه هو جمع كلمة المسلمين واتفاقهم ليقوموا بواجبهم أمام ربهم وأمام بلادهم، والذى نشهد الله عليه ونحن أوسطكم في الإسلام وأوسطكم في العربية.. أننا لا ننام ليلة إلا وأمور جميع المسلمين همنا.

ورغم أننى أقرأ بعض ما تفرزه بعض الصحف المغرضة ومراكز البحوث الإقليمية المتشيعة من موضوعات تغمز المملكة إزاء بعض مواقفها العربية والدولية، فإننى أقرأ باهتمام اكبر الكثير مما تصدره بعض المراكز التى تحترم نفسها وتحرص على إنتاج الدراسات الموضوعية الملتزمة البعيدة عن النزق السياسي والهوى الشخصي.

ولقد تأكدت بعد قراءاتى هنا وهناك، أن الحقائق هى سيدة الموقف دائماً، وإن



الانشاءات الصناعية الكبري بالمملكة

الضلالات تتلاشى حينما تقارعها الحجة والمنطق والحيدة، والذين يدرسون - بموضوعية وصدقية - السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية لا يجدون صعوبة في الوقوف على الدور العربى والإسلامى كثابتة من ثوابت المنهج السعودي في السياسة الخارجية.

وبداءة، لقد اكتسب اسم المملكة العربية السعودية.. صفة «العربية» في صدر اسمها الداوي البراق، وفي لغتنا العربية نحن نعرف - والجميع يعرف - أن الصفة تتبع الموصوف، وتعتبر المملكة العربية السعودية - من وجهة نظر علم السياسة - نموذجا سياسياً يتضمن كل عناصر النضج والنجاح، فهي دولة أقامها مؤسسها جلالة الملك عبد العزيز يرحمه الله على رصيد ضخم من الحضارة الإسلامية العريقة، ومتعها بقيادة حكيمة متواصلة تستوعب المستجدات والمتغيرات الدولية المتواكبة دون أن تحيد عن خطها الإسلامي الخالد.

ولذلك فإن المملكة العربية السعودية أكثر الدول التي استطاعت أن تعب من مظاهر التنمية والتحديث ولكن مع عدم التفريط في تقاليدها وعاداتها وتراثها الخالد، وفي هذا المنحى استطاعت المملكة أن تحتل مكانة سامقة في سلم الدول التى تجاوزت مراحل الدول النامية، وأصبحت - في أكثر مظاهر حياتها - دولة متقدمة بكل ما تحمله هذه العبارة من تحضّر وتمدّن.

ومنذ أن أرسى الملك عبد العزيز يرحمه الله دعائم المملكة، والسلطة فيها تستند إلى مبدأ العدل والشورى والمساواة، كما أن الخصوصية في السعودية جعلت «العائلة» نواة للمجتمع



السعودى حيث تتم تربية أفرادها تربية إسلامية خالصة كما تتم تربية الأفراد على أساس حب الوطن والافتخار بالانتماء إليه ولتاريخه المجيد.

وتعمل الدولة على تدعيم أركان المجتمع والحفاظ على قيمه العربية والإسلامية وضمان رفاهية المواطن والحفاظ على حياته الكريمة وتوفير الأسباب الكفيلة بتنمية مداركه وقدراته وطاقاته.. ولقد نص النظام الأساسي للحكم على أن بيت الملك وسمو ولى عهده مفتوحان أمام أي مواطن، أي أن الأواصر بين الحكام والشعب تمتد إلى البيت الكبير.. بيت الملك الأب أولا والراعي ثانيا.

إن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز متعه الله بالصحة وأمد في عمره الذى واكب مسيرة البناء والتنمية في المملكة، كان وما زال أشد المتحمسين إلى استكمال المشاريع التي بدأها والده الملك عبد العزيز فلقد استبدل لقبه رسمياً بخادم الحرمين الشريفين، ووضع كل إمكانات المملكة من أجل عمار وبناء وتوسعة المقدسات الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وفي عهد الملك فهد شهدت المملكة العربية السعودية الكثير من وسائل التحديث والتطوير سواء على مستوى النظام السياسي حيث أصدر خادم الحرمين الشريفين النظام الأساسي للحكم ونظام مجلس الشورى الجديد ونظام المناطق، أو على مستوى التنمية حيث تزدهر المدن وينمو الاقتصاد صناعياً وزراعيا إلى أعلى مستوى.

والشورى في المملكة العربية السعودية كما قال خادم الحرمين الشريفين لم تنقطع منذ أن تأسست المملكة في عهد الملك عبد العزيز، بل ظلت قنواتها المستمرة تخضع للتطوير حتى صدرت في عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م الأنظمة الجديدة.

والواقع أن حرص خادم الحرمين الشريفين على المشاركة السياسية من القاعدة إلى القمة.. هي رؤية سياسية ليست جديدة عليه، وكثيراً ما تحدث عنها ومارسها في العديد من المناسبات.

وهكذا جمع هذا المنهاج ثوابت الحكم في مملكتنا الفتية؛ وظلت هى الثوابت التى كتبت استمرارية الحكم واستمرارية الكيان والدولة عبر أبناء الملك عبد العزيز الذين لم يحيدوا ولا قيد أنملة عن هذه الثوابت حتى كتب الله على أيديهم تنمية هذا الوطن وسعادة هذا الشعب.

ولذلك يشعر المواطن السعودى بالفخر والاعزاز وهو يحتفل - في كل عام - بالعيد الوطني، إذ أن العيد الوطني أصبح إضاءة نرى من خلالها في كل عام منجزات تدفع بنا إلى مزيد من الأمل والثقة في قادتنا وبلادنا .

فاللهم أدم علينا نعمة هذا الحكم وظلله بمزيد من الاستقرار والأمن والأمان.. والله دائما في عوننا .. ما دمنا نفتدى ديننا الإسلامي بالنفس والنفيس.

الوحدة .. والتوحيد

قال الله تعالى: {الذين إن مَكَّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور} (سورة الحج/ ٤٢).

هذا اليوم الوطني الذي تحتفل به أمتنا السعودية كل عام يعد يوما بارزا في تاريخ أمتنا وشاهدا على بناء قاعدتها العريضة وانطلاقا لاصلاح واستصلاح أمة طالما تلمست الطريق السوي لهدايتها.

فمنذ أن توحدت هذه المملكة في ٢١ جمادى الثانية ١٣٥١هـ، الموافق ١٩٣٢م، بعد زمن طويل من الجهاد النفسي والميداني بالمال والنفس وترقبت الأمم خارجا وداخلا الى توحيد عقيدتها وفكرها وصفها ونظمها. أقام جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود مجتمعا من قبائل متنافرة كانت تحارب بعضها البعض وتأتمر بمبادىء الجاهلية، فأقام رحمه الله - بهذا المجتمع أمة متعطشة الى الامن والاستقرار فبنى دولتها على أسلم القواعد وأمتن الأسس، فصدقت نية المجاهد الكبير جلالة الملك عبد العزيز آل سعود - طيب الله ثراه - وتضافرت جهود المستنين بسنته من بنيه وحفدته وبنى شعبه فكان العطاء.. المبارك وفيرا وأضحت مملكتنا مركز عطاء وامن واستقرار وعلم وتعلم وتعليم وصناعة وزراعة وتكنولوجيا وتقنية يرنو اليها العالم على اختلاف جنسياته وينظر الى شعبها وحكامها بعين الأكبار والتقدير

حقا - إن لهذه الذكريات قائدا موهوبا ولهذه الانجازات مهندسا عظيما وأن استحضار الرجل ومنجزاته في يوم من كل عام انما هو لتجديد العطاء والاصلاح في الساحة السعودية على ايدى هذه الاسرة المباركة بأرقى اساليب العلم في شتى المجالات ومناحى الحضارة ذات الطابع الاسلامى والمشاركة الواعية في اصلاح حال الامة العربية والاسلامية اذ أن امتنا الاسلامية مطالبة بهذا الاصلاح والاستصلاح. «ما منكم من أحد الا وهو على ثغر من ثغور الاسلام فالله الله أن يُؤْتَى الاسلامُ من قبله»، كما جاء فى الأثر.

واننا اذ نحتفل بهذه الذكرى فإننا نحتفل بعطاء وإصلاح وقيم وشيم وشمم، يتوارثها الخلف بعد السلف من أبناء واحفاد هذا الرجل العظيم الذى طالما يتحدث عن واجبه تجاه خدمة أمته فيقول وأقواله كثيرة - لخدمة شعبه السعودي والشعب العربي والمسلم: (ان خدمة

سعد بن عبدالله المليص
أمين عام / جمعية البر الخيرية بالباحة

الشعب واجبه علينا لهذا فنحن نخدمه بعيوننا وقلوبنا، ونرى أن من لا يخدم شعبه ويخلص له فهو ناقص، شعبنا العرب فنحن من العرب واليهم وخدمة الاسلام والعرب واجبة علينا بصفة عامة).

ويقول: (متى اتفق العلماء والامراء على أن يستر كل منهم الآخر فيمنح الأمير الرواتب والعلماء يدلسون ويتملقون ضاعت امورنا وفقدنا ـ والعياذ بالله ـ الآخرة والاولى).



تنوع مجالات التعليم في المملكة

وهكذا يقول الملك الراحل في حياته وأقواله بعد مماته دستور يحتذى به كهول وشباب أمتنا السعودية، ومما لامراء فيه أن صلاح هذا الملك السلفى أصلح الله به بنيه وشعبه وأمته ووطنه الى يومنا هذا (.. رحمه الله وجمعنا الله به في دار كرامته..)، فقد رسم جلالته رحمه الله واصحاب الجلالة من ابنائه لهذه الامة منهج القيم الفطرى الذى درأ عن أمتنا الفساد والشرور وحل به مشاكلها العقائدية حتى عادت الى سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام وعبدت الله وحده وحملت راية التقدم التى نصبت على قاعدة فريدة في تكوين هذه الدولة أرضا وتهذيب انسانها فردا وجماعة على أسس متينة تتلخص بنيتها كما جاء في نهج دولتنا من:

* تجديد الايمان بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد {صلى الله عليه وسلم} نبيا ورسولا.

* تصور الفرد للكون والانسان والحياة تصورا كاملا لترسخ عقيدة أهل السنة والجماعة في خلد الفرد والجماعة.

* وجوب طلب العلم للفرد ووجوب توفيره على الجماعة (أي الدولة) جماعة المسلمين.

* اعطاء المرأة فرصتها مع شقيقها الرجل للتعلم بما يتفق مع فطرتها التي فطرها الله عليها.

* اعطاء التعليم الاولوية في الخطة العامة للدولة (.. يرفع الله الذين آمنوا منكم

والذين أوتوا العلم درجات..)

* توعية الأمة لتسير مع التطورات الحضارية العالمية والاخذ بكل جديد لا يتعارض مع ديننا الحنيف.

* العودة بالناشئة الى اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم لتكون لغة التعليم في كل مراحله.

فتزاحمنا تحت لواء العزة والكرامة الذى استلمه بامانة الخلف الصالح من أبناء الوطن السعودي الملك السلفي جلالة الملك سعود بن عبد العزيز والملك المناضل المجاهد الغيور فيصل بن عبد العزيز والملك الصالح خالد بن عبد العزيز - رحمهم الله - وخادم الحرمين الشريفين الملك البانى فهد بن عبد العزيز الذى حمل هذه الراية بقوة وعزم وأمانة على حملها هذا الشعب الوفي الأبي ويؤازره ولي عهده الامين واصحاب السمو الامراء، فاتسع مهرجان الرضى بين طبقات شعبنا الوفي حتى برز هرم النمو والتطور لهذه المملكة علما وتعلما واقتصادا.. وزراعة وصناعة وتكنولوجيا وتقنية وحضارة وخلقا واخلاقا وفقا لغايات واهداف تتحد في:

* تنمية الولاء فى الفرد والجماعة من بنى قومنا لشريعة المصطفى عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

* الانسجام الوطني التام بين العلم الحديث والدين على ضوء شريعة السماء.

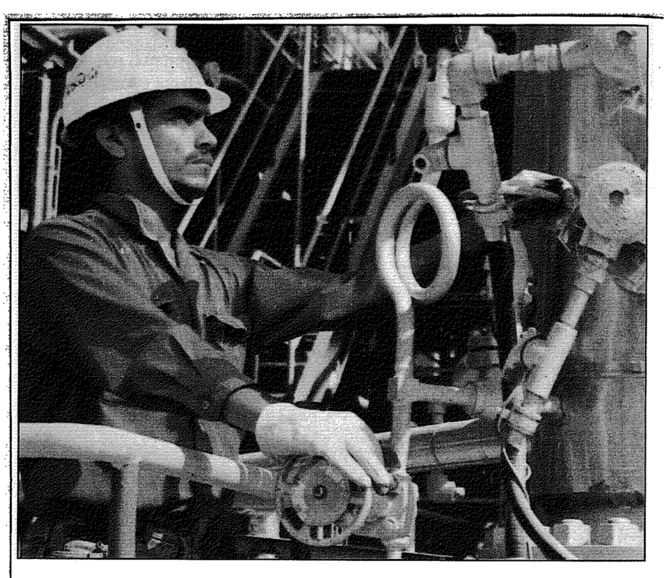
** تشجيع الدولة وتنمية روح البحث والتفكير العلميين مما ينتج عنه عند شباب أمتنا تقوية القدرة على المشاهدة والتأمل فغدى تبصير شبابنا بآيات الله الكونية تمكينا من الاضطلاع بدوره الفعال في بناء الحياة الاجتماعية وتوجيهها توجيها سليما.

* تطوير مرافق بيئتنا السعودية وتوسيع آفاق الشباب حتى اصبح تعرُّفُه على مختلف اقطار العالم مشكاة يطل منها بعلمه وتعلمه على مختلف الحضارات المعاصرة.

ولا شك أن جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - وابناءه ذوى القدوة الحسنة والفكر الصافي الذي ينهل من الشريعة الاسلامية دستورا كانوا وابناء هذا الشعب مهيَّئين لكتابة تاريخ جديد على ارض هذا الوطن، وكان ابرز ما في عدة وعتاد هذه النخبة المباركة من العائلة السعودية المجيدة وشعبها الوفي من مقدمات النصر - تقوى الله والتمسك بسنة نبيه {صلى الله عليه وسلم} فكان لصقر الجزيرة وأبنائه واحفاده والخلص من شعبه ذلك النصر المؤزر والتقدم المضطرد في معترك الحياة حتى يومنا هذا.

إن ترسيخ مسار الزعامة السعودية على طريق الايمان وعقيدة التوحيد والسير في اطار ذلك المنهج القويم، كان لباس العزة والكرامة والتفسير المفضى لدواعى الاستقرار الذى تنعم به هذه المملكة ويفتقر اليه كثير من أمم الأرض.

فهذا يومنا الوطني لحبه المتواصل بيننا نشترك جميعا - حكومة وشعبا - في ذكراه



الأيدي السعودية في مجال الصناعة

ونعيش معطيات انجازات ذلك الراحل العظيم عبد العزيز آل سعود وابنائه ذوى العزم والاباء والعطاء ويقود مسيرتنا اليوم رجل المواقف الوطنية والدولية والاهداف الطموحة والقيادة الفذة - خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وولي عهده الامين وأبناء الاسرة السعودية الكبيرة الذين وضعوا همهم في خدمة هذا الوطن والرقي به فجمعوا بين الكيف والكم وانكروا ذاتهم في جانب الله وأعطوا حق الدين والوطن - فكان العطاء الوفير بتسهيل من الله وعون منه.

أسأل الله أن يديم على هذه الامة أمنها واستقرارها ونعيمها ويقيمها على دين الحق ويحفظ لها قائدها ورائد مسيرتها واخوانه الاشاوس وأبناء أمتنا السعودية وأن يعم بالرخاء هذا الوطن ومواطنيه وان يحفظ علينا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأن يرزقنا جميعا الاخلاص والمتابعة في الاقوال والاعمال {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين} (سورة القصص/ ٥).

اليوم الوطني مزيد من التقدم والرقي

في الأول من الميزان العام ١٣٧٦ الموافق للثاني والعشرين من جمادى الأولى ١٤١٨هـ وللثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٩٧م مناسبة عزيزة على قلوبنا جميعا وهي الذكرى السابعة والستون لليوم الوطني للمملكة العربية السعودية.

ففي مثل هذا اليوم منذ سبعة وستين عاما صدر مرسوم ملكي باسم المملكة العربية السعودية حيث توحدت بلادنا تحت هذا الاسم، وأصبح المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود ملكا للبلاد.

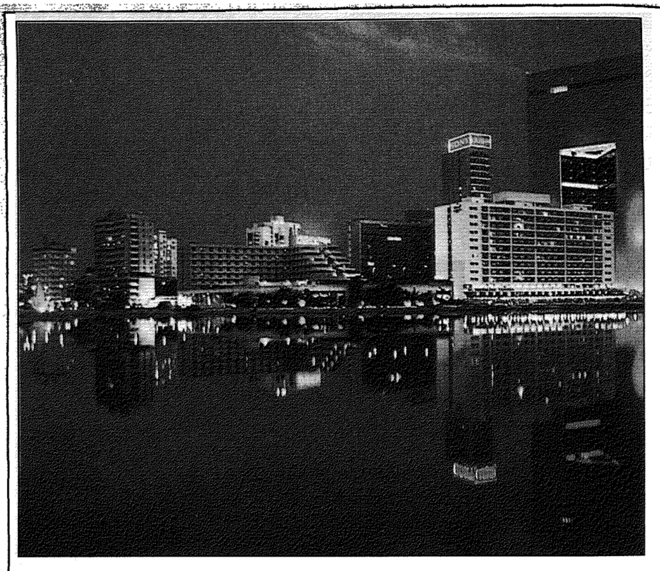
واحد وثلاثون عاما أمضاها الملك عبد العزيز - يرحمه الله - في تحرير وتوحيد الجزيرة العربية منذ دخل الرياض في عام ١٩٠١م حتى تم التوحيد في عام ١٩٣٢م ولعل من العوامل الأساسية التي ضاعفت من نجاحات وحدة المملكة العربية السعودية تلك المرتكزات التي انطلقت منها وهي كتاب الله سبحانه وسنة نبيه المصطفى {صلى الله عليه وسلم} وعدم التدخل في الشئون الداخلية للغير ورفض أى تدخل في شئوننا الداخلية وقيام علاقات أخوة وصداقة مع الدول المجاورة وجميع الدول العربية والاسلامية والدول الصديقة.

وكان ولا يزال هذا الخطاب السياسي للمملكة كمنهج للحكم من أهم الثوابت التي أوصلت بلادنا الى مرحلة متقدمة من التطور والنمو في فترة زمنية وجيزة حيث توارث أبناء الملك عبد العزيزر هذه الثوابت وعملوا على تطويرها بما يخدم الأمة على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ولعل أهم ما يمكن أن نتوقف عنده اليوم بكثير في التأمل والاعتزاز هو صانع المعجزة التاريخية الملك عبد العزيز الذي كرس هذا الشموخ وصنع المجد في زمن تتلاطم فيه الأحداث وتعصف فيه متناقضات كثيرة بشعوب هى أحوج الى الحياة الكريمة. ومع ذلك فقد شق طريقه نحو هذه النتائج الرائعة في عالم اليوم.

أي بطولة وأي صلابة وأي اصرار وأي ايمان هذا الذي كان يملأ قلب هذا الرجل العظيم، الذي ظل يعمل ويبنى ويتابع بنفسه كل صغيرة وكبيرة حتى انتقل الى جوار ربه عام ١٩٥٣م وترك بلاده قائمة على أسس ثابتة من الايمان والتوحيد والوحدة. وهذه ثوابت وقواعد أساسية وتوجهات ظلت مرعية منذ كان الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - حتى اليوم.

وتلك هي الميزة التي تقوم عليها هذه البلاد والتى ساعدتها على أن تنمو وتتقدم وترتفع على أرضها قلاع النهضة في كل مدينة وفي كل قرية وعلى امتداد صحاريها ومزارعها.



مدينة جدة .. عروس البحر

واستمر أبناء الملك عبد العزيز رحمه الله (سعود ـ فيصل ـ خالد) رحمهم الله جميعا حاملين راية الاصلاح، مواكبين مسيرة الخير والعطاء لتصبح الصورة هي ما نراه اليوم.

ويجيء خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ يحفظه الله ـ واخوانه الاكارم الابرار ليستمروا على النهج الذي اختطه المغفور له الملك عبد العزيز ويقوم على أسس التمسك بالعقيدة الاسلامية الصحيحة وتثبيت العدل بين الناس وتوفير الأمن وتحقيق التطور للبلاد.

فالمملكة العربية السعودية في عيدها السابع والستين تنعم بالازدهار الذي نتج عن برامج تنموية هدفت الى رفع كفاءة الانسان السعودي، ورفع مستواه المعيشي وبناء شبكة من الخدمات المختلفة تعززها بنية تحتية كبيرة.

وهنا يجب أن نتذكر أن قدرة القيادة السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين تنفرد في تحقيق هدفين أساسيين بقدر كبير من الحكمة:

الأول: الاستمرار في حركة التطور والتنمية

على المستوى الداخلي في المجالات العامة، من صحة وتعليم وزراعة ومشاريع اسكان وطرق وشبكة اتصالات..

واذا كانت هذه الأرض الطاهرة تضم في أحضانها الحرمين الشريفين فإن الملك فهد بن عبد العزيز الذى تشرف بحمل لقب خدمتهما قد عقد العزم على بناء أكبر توسعة في تاريخ الحرمين الشريفين إذ بدأت التوسعة بخطة طموحة وفق مواصفات عالية ومتميزة . ويعتبر هذا الانجاز مفخرة كبيرة لهذه القيادة ولهذا الشعب بل ولأمة الاسلام قاطبة.

يقول خادم الحرمين الشرفين «إن المشروعات والخدمات المقامة والمقدمة في أعظم مدينتين في العالم، وهما مكة المكرمة والمدينة المنورة، تأخذ حيزاً واهتماما من تفكيري، واننا سوف نؤدي - ان شاء الله - جميع الخدمات لهاتين المدينتين العظيمتين ، لأن هذا شرف لنا وواجب علينا خصنا الله بهما، وخدمة الحرمين فيها الخير والبركة، ونحمد الله أننا نؤديها بنية صادقة فالمقصود بهذه الخدمة هو التقرب الى الله بالأعمال الصالحة».

فتوسعة الحرمين الشريفين وخدمة ضيوف الرحمن فخر السعودية الأكبر.

والهدف الثاني: على المستوى الخارجي حيث نجح الملك فهد في خلق دور رائد للمملكة العربية السعودية في العالمين العربي والاسلامي.

فلقد تزعمت المملكة العربية السعودية منذ جلالة الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - حركات التقريب بين البلاد العربية، ونشّطت وساطتها لنزع فتيل الخلاف بين عدد من الدول العربية. ولا تزال المملكة تعد أكبر بلد يقدم دعما للنضال الفلسطيني ضد الاحتلال الاسرائيلي الصهيوني.

كما كانت ولا تزال تمد المملكة يد العون والمساعدة للشعوب المستضعفة وبخاصة في محنتها فلقد قدمت الكثير والكثير لشعب البوسنة والهرسك وغيره من الشعوب الاسلامية قاطبة في العالم الاسلامي.

فاليوم الوطنى للمملكة العربية السعودية ليس مجرد ذكرى نحتفل به كلما حان وقته بل هو شريان الحياة الذي ينبض في قلب كل سعودي يعيش على تراب هذا البلد يستمد منه القوة والحياة ليواصل ما أرساه المؤسس الاول المغفور له الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - ووصولا إلى الانجازات العظام التي تحققت على يد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - حيث الرفاهية والازدهار والرقي والوصول بالمملكة الى أعلى مكان؛ وهذا يتطلب السير قدما بجد واخلاص وتفان خلف هذه القيادة الرشيدة ليعيش المجتمع السعودي كما هو الآن في ظل الأمن والأمان والرخاء والاستقرار.

■ المنهل ■



شعر

احمد عبد السلام البقالي

- الرباط -

يارسول الله مازلنا نرى

لك رغم البعد شتى المعجزات

فصمود الدين في وجه العدا

بعد ما كالوا له من طعنات

وانتصاراتُ هُدى آياته

ومباديه الشُّموس النيِّراتْ

ودخولُ الناس فيه أمماً

باقتناع ورسوخ وثبات

من ذوي الإيمان والحكمة لا

من غثاء السيل في المنحدرات

هي آيات شهيدات على

أن نصراً رائعاً لابدَّ آت!

مُعجزاتٌ لك يا خير الورى

من وراء الغيب تتلُو معجزاتْ

كتابة الحديث وتدوين السنة

(١ _ ٢)

لقد كان لي بموضوع كتابة الحديث وتدوين السنة صلة أبعد من أن تولد في ظرف قصير. لقد عادت بي الذاكرة إلى أكثر من سنوات كنت خلالها بدأت أتلمس الطريق الحق وسط ركام من الأباطيل، وقبل عشرات السنين قرأت مؤلفا لموريس بوكاي بنصه الفرنسي - وكان ساعتها نادرا - وخرجت منه بنتيجتين:

أولاهما: أن الرجل أثبت أن القرآن حق..

وثانيهما أنه أشار إلى أن السنة لا يستطيع أن يتكلم عنها لأنها لم تدون، بل لم تكتب إلا في القرن الثاني الهجري.. وقد كتبت كما قال وسط ظروف المحنة، محنة الانقسامات ونشوء الفرق والمذاهب والطوائف وهو أمر لا شك سيدفع الأيدي إلى الافتراء والتزوير والكذب على رسول الله - ولن أناقش هذا القول لأن ما ذكره ليس سببا وحده في الوضع والدس ولكن ستتبين في هذا العرض - على ضعف الأسباب العلمية - رأيا قد يبدي بعض الحقائق وقد يعفو عن كثير مما تعارف عليه الناس في هذا الباب.

وثانية النتائج هو قيام البعض بالادعاء أو بالدعوة إلى عدم الأخذ بالسنة للأسباب التى ذكرت في الكتب ودعا إلى الاقتصار على القرآن.. ومتى كان القرآن وحده يغني عن السنة؟ ومتى كانت السنة تغني عن القرآن؟ وقد ألف المؤلفون قدماؤهم ومحدثوهم تآليف فى هذا الباب وبينوا أن أصل الشريعة هما القرآن والحديث وإجماع المسلمين.

ذلك ما أثار انتباهي إلى إحياء مقروءاتي من السنة والحديث حتى نفهم الموضوع، وحتى لا نكون ببغاء تردد ما يردده الناس، أو تقول ما قالته الببغاوات الأخرى.. فقد أرشدنا القرآن الكريم إلى استعمال الفكر وتنمية المدارك من أجل الاكتشاف، اكتشاف الحق، وتمييزه عن الباطل وما أكثر الباطل في دنيا الناس والأهواء.

كان موضوع كتابة الحديث وتدوين السنة يبدو أكبر من تلميذ قاصر لم يتيسر له الإتصال بالحديث.

إن علماءنا قد عملوا فأخذوا وأعطوا، وكان أخذهم لأحوال الحقبة التي عاشوا فيها، وكان عطاؤهم أيضا من جنس الأخذ، ولذلك نجد ابن عاشر رحمه الله يقول في وَجَل وتخوف: وَجَل مَنْ لا يدَّعي لنفسه العلم، وقد كان بحرا من العلوم، وتَخَوُّف من الانتقاد والانتقاص ووعيد {ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا} .

على خلاف أحوال الناس، وادعاء الناس، نجده رحمه الله يقول:

بقلم:
د. **عبد الحميد التمساني شبكودة**
- المغرب -

«وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»

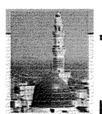
الكاتب في سطور:

- دكتوراة في علم الاجتماع الديني ، جامعة ليل ، فرنسا ١٩٨١.
- أستاذ بكلية الأديان المقارنة بأنفرس بلجيكا ١٩٨١.
- محاضر بكلية المنطق والآداب بجانط بلجيكا ١٩٨٢.
- أستاذ بالمعهد الإسلامي بالمركز الاسلامي ، ببروكسيل ببلجيكا.
- ممثل رابطة العالم الاسلامي بإسبانيا.
- رئيس تحرير مجلة «الإيمان» باللغة الفرنسية.
- مدير جريدة الفريضة.

* من مؤلفاته: «الإسلام كعامل تغيير» - «الثقافة والتبعية» - «المرأة في الاسلام» - «الزواج المختلط» - «البعث الاسلامي باسبانيا».

وبعدُ فالعون من الله المجيد
في نظم أبيات للأمي تفيد
في عقد الأشعري وفقه مالك
وفي طريقة الجُنيد السالك

نعم، يقدم زبدة العلم والعقيدة والمذهب في زمن كان ذلك هو الراجح وهو المرجوح وهو كل شيء في حياة الخاصة والعامة، ولعمري أنه لأفضل من هذه الفتن التي قامت في المساجد، تكفر الناس، وتلعن المؤمنين، ويدعي أصحابها الإجتهاد، وهو باب لم يغلق ما دام القرآن والحديث بيننا، وما دام العقل في تطوره داخل رحلته إلى الله، غير أن صفات المجتهد التي أجمع عليها العلماء أو كان عليها الأئمة ، قد لا تتجمع في رجل واحد كما تجمعت في أولئك



الأئمة الأفذاذ، رحم الله الجميع.

أقـــول: إني لم أكن أملك هذه القـــدرة التي تمكن الدارس من العرض والاستنباط والحكم والتقصي، وحسبي من الأمر أن أكتب، وحسبي من الأمر الايمان بسعة صدور أساتذتنا الأجلاء فإني داخل جديد، ولكل داخل جديد دهشة.. ولطول الدراسة فقد قسمتها الى قسمين:

القسم الاول: (مفهوم الكتابة - الامة العربية بين الامية والكتابة - مفهوم الأمية عند المحققين - مفهوم الحديث - مفهوم السنة - كتابة الحديث وتدوين السنة - معنى الكتابة ومعنى التدوين - آثار تدل على اهتمام الصحابة بالسنة).

والقسم الثاني: (توافر الكتابة والصحف دليل على كتابة الحديث قبل موعده المعلوم - اسباب النهي عن الكتابة في نظر العلماء - النصوص التى اعتمدوها في النهي عن كتابة الحديث - آراء المفكرين في كتابة الحديث في عهده {صلى الله عليه وسلم} - احاديث الاباحة اكثر وأقوى - ابو هريرة شخصية حقيقية - محمد بَشَرٌ لا كل البشر - اسماء الصحف واسماء اصحابها.

مفهوم الكتابة

قال شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى (٦٧٧ - ٧٣٣هـ) «اصل الكتابة مشتق من الكتب وهو الجمع، ومنه سمي الكتاب كتابا، لأنه يجمع الحروف، وسميت الكتبية كتبية لانها تجمع الجيش».

الأمة العربية بين الأمية والكتابة

قال ابن قتيبة في حديثه عن قلة الكتابة قبل ظهور الاسلام وقلة العالمين بها، وهو يشير الى عبد الله بن عمرو احد المشهورين بالكتابة بينهم قال: لانه - أي عبد الله بن عمرو - كان قارئا للكتب المتقدمة، ويكتب بالسريانية والعربية وكان غيره من الصحابة أميين لا يكتب منهم الا الواحد والاثنان، واذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجي) وعلّق الدكتور ناصر الدين الاسد على هذا القول بقوله: (ولا ريب أن هذا القول من ابن قتيبة افتئات على الحقيقة التاريخية وتعميم لا اساس له من الحق).

لن اطيل في هذا الباب فان النقاد والمؤرخين والدارسين اختلفوا في الامر اختلاف مشاربهم وواقعهم ومعتقداتهم: فطائفة القوميين العرب او الذين تدفعهم الغيرة على عروبتهم حين يتعرض لها الناس بسوء عن قصد وغير قصد، وهي غيرة قد تنسيهم - في نظري حقائق، وتغفلهم عن وجوه، وهو الامر نفسه بالنسبة لمن يحاكم الامة العربية بمقياس الاسلام، ويحاكم الرجل الجاهلي بمقياس ما أمر به الاسلام وما جاء به نبي الله {صلى الله عليه وسلم} فكلاهما مُغال، والأمر وسط في نظرى.. ذلك ان الامة العربية كانت أمية، والأمية لا تعني في ذلك العصر عدم معرفة القراءة والكتابة وحدها، ولكنها تتجاوز هذا المفهوم الى معنى أوسع وأشمل مما نريد أن نجده به أو نجعله حجة للغمز وذريعة للَّمز، سواء كنا من الطائفة الاولى أو من الطائفة الثانية.. وقد وردت الامية بمعنى عدم معرفة القراءة والكتابة.

مفهوم الأمية عند المحققين

هي بمعنى عدم معرفة الله الواحد أو ما اسموه الأمية الدينية فمن المفهوم الأول: ما ورد عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كما جاء في الصحاح عن ابن عمر رضي الله عنهما «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب؛ الشهر هكذا أو هكذا».

وان كان بعضهم يرى أن هذا الحديث يعني التدوين المنظم والتوقيت المقوم ولا يعني الامية في القراءة والكتابة وبذلك يجعل الحديث الشريف

دليلا يضاف الى طائفة الحجج الدالة على أن مفهوم الامية إنما كان هو الامية الدينية، ومما استدلوا به على معرفة العرب القراءة والكتابة، أسواق الشعر التي أقاموها، ووجود طبقة من الشعراء كانت تهذب قصائدها وتشذب أراجيزها، والتهذيب والتشذيب يحتاج إلى قيد من الكتاب، والكتاب يحتاج الى علم بالكتابة، وقد ساقوا حججاً من القرآن الكريم تدل على أن الأمة العربية كانت أمة كاتبة وان مفهوم الامية الملصقة بهم كانت تعني نسيانهم الدين، وجثوم العرف الذي تعارفوا عليه وكانوا أميين أي غير عالمين بقواعد الدين الذي نسوه في غمرة تلك الفترة. فلقد استدل انصار هذا بما جاء في القرآن الكريم {ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون}.

قال ابن جرير الطبري يسنده الى ابن عباس عنه قال: «ومنهم أميون، قال الاميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال: هذا من عند الله وقال قد أخبر انهم يكتبون بأيديهم ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله».

غير ان لي رأيا آخر في هذا الباب قد يكون هو الصواب وقد يبعد عن الصواب وحسبي من الامر اني قارئ جديد، وحسبي من الامر أن من اجتهد وأصاب فله اجران وان من اجتهد واخطأ فله أجر واحد.

اقول إن الأمر لا يحتاج الى هذه الاطنان من الورق والمداد والخلافات والنزاعات ولكنه يحتاج الى امعان النظر لنجد أن الأمة العربية كانت ككل الأمم فيها من الكتاب وفيها من غير الكاتبين، وعلى قدر الفكر واللحظة التاريخية كانت هذه الأمة، فلا يمكننا أن نقدمها عن عصرها ولا يمكننا أن نؤخرها عنه.

لقد كانت الكتابة معلومة معروفة، وكانت متداولة مما يبدو في أحلافهم ومعاهداتهم ولا أدل على ذلك من حلف الفضول والفجار وصلح الحديبية وغيرها، وقد تكون الكتابة قليلة بعض الشيء وهو أمر ما نزال نعيشه حتى يومنا هذا فلم ننكره عن الأمة العربية في عصرها الجاهلي، ونحن اذ نصدر هذا الحكم في موضوع أمية العرب قبل الاسلام نشير الى أن الأمة العربية قد تكون أميتها تلك دعوى لفّقها أعداؤها من خارج الجزيرة فانها تقع بين قوتين عظيمتين في عصرها الذي نتحدث عنه: قوة ملحدة مجوسية شرقية هي قوة الفُرس وقوة ضالة تائهة غربية هي قوة الروم، وبين اتباعهما المتبوعين كالحبشة وغيرها.. ووجود هذه الأمة المتماسكة في عاداتها على غير اتصال، المتآلفة في طباعها على غير لقاء، القوية في هجمتها انتقاما واقتصاصا، المحافظة على حريتها في جفاوة، خوفا من ليونة الاستعباد.. وجود هذه الأمة بهذه الطباع يجعل القوتين اللتين اشرفتا على الانهيار في قمة تفاهة الحضارة المادية، ومادية التفاهة الحاضرة.. اقول كان ذلك عاملا من العوامل التي تدفع بهاتين القوتين الى محاولة استعباد هذه الأمة وتسخير امكانياتها المادية والبشرية من اجل بعث جديد وتدفق دم جديد يحمل في طياته الشباب والفتوة لهما، فلما لم يدركا ما ارادا اتهما أمة العرب بالامية، كما اتهم الرومان وهم قوة الغرب الضالة - المغاربة بالهمجية والبربرية، فكانوا يدعون من عداهم من الشعوب «بربار» وكما فعلت اليهود حينما ظنوا أنهم شعب الله المختار وأن من عداهم همج، وكما ادعت المانيا الهتليرية أن الجنس الآري



أقدس الاجناس وأعقلها وأذكاها.

والنتيجة أن الكتابة كانت معلومة

ونستنتج مما تقدم أن الكتابة كانت متداولة وأنها كانت في متناول من يريدها، وهذه الارادة قد لا توجد عند الكثيرين من الجاهليين وإن كانت خامدة ففجرها الاسلام الذى كان اول وحي الله فيه على رسوله {صلى الله عليه وسلم} : {اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علّم الانسان ما لم يعلم}. وكان ان جعل رسول الله فدية أسرى بدر الذين ليس لهم مال ان يُعلِّم الواحد منهم العشرة من الصحابة المتخلفين في الكتابة والقراءة.

مفهوم الحديث

إن الناظر الى كتب الحديث يرى علماءه يُعرفُونه بأنه هو ما قاله رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أو فعله أو أقره وكل صفة خلقية أو خُلُقية لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولعل بعض العلماء يحرصون على التمييز بين الحديث وبين السنة وهو أمر ملحوظ عندهم. قال محمد عجاج الخطيب:

وإن كان بعضهم يفرق بينهما، فيرى الحديث ما ينقل عن النبي عليه الصلاة والسلام والسنة ما كان عليه العمل المأثور في الصدر الاول ولذلك قد ترد أحاديث تخالف السنة المعمول بها، فيلجأ العلماء حينئذ الى التوفيق والترجيح، وكلام عجاج يناسبه تماما ما قاله عبد الرحمن بن مهدي: «لم أرٍ قط اعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السٍّنة من حماد بن زيد». ويبدو الفرق واضحا بين الحديث والسنة في جواب عبد الرحمن بن مهدي حين سُئل عن الثورى والاوزاعي ومالك قال: (سفيان الثورى إمام في الحديث وليس بامام في السنة والاوزاعي إمام في السنة وليس بامام في الحديث ومالك امام فيهما». ولعلني لا اكون مجانبا الصواب اذا استنتجت هذه النتيجة وهي أن الحديث هو قول النبي {صلى الله عليه وسلم} قبل ذلك حتى ليمكن القول كما قال الفقهاء: السنة ما كان عليه النبي وصحابته والبدعة ما احدث بعد ذلك..

مفهوم السنّة

والسنة في اللغة معناها السيرة، حسنة كانت أم قبيحة قال خالد بن عتبة: فلا تجزعن من سيرة انت سرتها فأول راض سنة من يسيرها (وسنته) وسننتها سنا واستننتها.. سرتها وسنت لكم سنة فاتبعوها وفي حديث في صحيح مسلم بسنده عن المنذر بن جرير عن ابيه «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة «حديث».

قال محمد عجاج الخطيب (والسنة اذا اطلقت في الشرع فانما يراد بها ما امر به الله النبيَّ {صلى الله عليه وسلم} ونهي عنه وندب اليه قولا وفعلا) (وهي عند المتحدثين ما اثر عن النبي {صلى الله عليه وسلم} من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلقية أو سيرة سواء اكان قبل البعثة ـ كتحنثه أو بعدها).

وهي في اصطلاح علماء اصول الفقه: كل ما صدر عن النبي {صلى الله عليه وسلم} غير القرآن الكريم من قول أو فعل أو تقرير بما يصلح أن يكون دليلا شرعيا لحكم شرعي. وهي عند الفقهاء ما ثبت عن النبي {صلى الله عليه وسلم} ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب وقد تطلق عند الفقهاء في مقابلة البدعة كما أسلفت.. ومهما يكن من امر فان الحديث

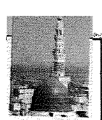
في مـعناه الاهم يلتـقي بالسنة، وأن السنة في خصوصيتـها تلتقي بالحديث واذا فرق بينهما فمن اجل التدريس والافهام والا فان الحديث هو السنة والسنة هـي الحـديث ومـا هـذا التـفـريق بينهما الا لوجود خطوط الطول وخطوط العرض في الارض وهـو تقسـيم وهمـي اصطلاحي نجم عن التقنيين.

كتابة الحديث وتدوين السنة:

(لما كان الاسلام قد امر الصحابة للتفقه في الدين وتعلم الكتابة يبدو ذلك في تمجيد العلماء في قـول الله تعـالى) {قل هـل يسـتـوي الذين يعلمـون والذين لا يعلمـون إنما يتـذكـر أولو الالباب}.

فـان العلم لا يؤخـذ ولا يحـفظ الا بـالكتـابة والتقييد ولا يتأتى هذا الا بمعرفة هذه الكتابة وهي ممارسة حيوية لاختزان العلوم وحفظها اذ قلما تسلم الذاكرة من آفة النسيان.. ولقد كان رعيل الصحـابة ـ رضوان الله عليهم ـ يحفظون القـرآن عن ظهـر قلب كـمـا حـفظوا السنة في الصدور ولم يقتصروا على ذلك فنظرا لحصرهم على هذا الدين الذى انـقـذهـم الله به، وحـفظهم على رسول الله، ومحبتهم اياه فقد اندفعوا في ممارسـة هـذا الحـديث ومـعـايشـة هـذه السنة فتخلقوا باخلاق القرآن وحفظوا كلا من القرآن والحديث في القلوب والعقول والصحف والجلود وتنافسوا في ذلك حتى عاش الواحد منهم يتلقف الحديث ويحرص على مصاحبة النبي والسمـاع منه، وكلهم كـان كذلك الا أن تدعـوه ضـرورة أو يدفعه دافع، فهذا ابو هريرة لما سئل عن سبب كـثـرة الاحـاديث التي رواها وقـد احس بانـهم ينكرون عليـه ذلك قـال مـعـتـذرا.. ان الناس يقولون اكثر ابو هريرة ولولا آية في كتاب الله ما حدثت حديثا ثم يتلو {ان الذين يكتمون ما انزلنا من البـينات والهدى من بعد مـا بيناه للناس في الكتـاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون} ان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الاسـواق، واخـواننا من الانصـار كـان يشـغلهم العمل في اموالهم وان أبا هريرة كان يلزم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويشبع بطنه ويحضر مالا تحضرون ويحفظ مالا تحفظون.

نعم لم يكونوا مقتصرين على الحفظ بل كانوا يكتبـون وهو مـا سنبينه إن شـاء الله.. وكـانت كتابة الحديث قائمـة حتى في عـهد رسـول الله {صلى الله عليه وسلم} وخـاصة احـاديث الاحكام فقد كان الصحـابة يبحـثون وينقبون ويستفتون ويتلقون الفتوى فينقلونها الى اهليهم والى قومهم بل ينقلونها الى الناس، ومـا كانت امانة التبليغ والامـر بالمعـروف والنهي عن المنكر مـبنيـة على الحفظ الذي قد يعفو عنه الزمان، ولكنها كانت كتابة وتعبيرا وحفظا بل واستعملوا وسيلة تخلد هـذا الحـديث حـتى يصل الى الآخـرين لانهم ادركوا قبل غيرهم قيمة الهداية، فـالتمسـوها وطلبوا اسـبابها، وهذا الحديث يبين لنا لهفتهم على الفقه والتفقه اذ أن النبي فيما صح عنه قال «خيـاركم في الجاهليـة خياركم في الاسلام اذا فقهوا» ومـا كان السمو في مجتمع لا إله إلا الله مـحـمد رسـول الله بغيـر التقوى ومـا كـان العلو والمجد في هذا المجتمع بـغير التقوى ومـا كـانت التـقـوى بغيـر علم وبغيـر فقـه والقرآن يخـبرنا بلهـفتـهم وتسـاؤلهم بقـول الله تعـالى: {يسـألونك ماذا ينفقون قل العفو}، {يسـألونك مـاذا أحلّ لهم قل أحلّ لكم الطيبـات}، {يسـألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج} فكيف بهؤلاء المتلهفين السـائلين أن يعـتـمدوا على ذاكـرة قـد تخـونهم ويعتمدوا على قلم وكتابة قد تبعدهم عن نور العلم فالعلم عندهم وسيلة للعمل وهم مطالبون بتبليغه،



وشعورهم هذا جعلهم يتفرقون في الامصار ينشرون الهداية ويبلغون الرسالة وتلك قبورهم في انحاء العالم شاهدة عليهم فهذا خالد بحمص وهذا أبو أيوب الانصاري يلبي داعي الجهاد والدعوة وهو في فراش الموت فيتجاهل على نفسه امتثالا لقوله تعالى: {خفافا وثقالا} كما في بعض التفاسير ويقضي نحبه في اسطنبول أو القسطنطينية ولذلك سيبين لنا ان كتابة الحديث كانت في عهده {صلى الله عليه وسلم} بل ويوم وفاته وقد تزلزلت قلوب وعقول ووجد من بينهم من يجدها فرصة لكتابة احاديث جديدة والتفقه فيها، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يحدثنا عن شغفه بالعلم وما كان العلم الحق غير العلم بالحال التي تكون طاعة الله اما علوم المعاش خارج حدود الله فهي علوم الدنيا وظاهر من الحياة الدنيا وكل شيء في الدنيا يجوز قال الله تعالى: {يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون}.

اخرج الامام الحافظ ابو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني الدارمي (ت ٢٨٠هـ) والحارث بن محمد بن ابي اسامة التميمي البغدادي الحافظ (ت ٢٨٢هـ) في مسنديهما عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قلت لرجل من الانصار: هلم فلنسأل اصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فانهم اليوم كثر قال: واعجبا لك اترى الناس يفتقرون اليك قال فترك ذلك واقبلت اسأل، فان كان ليبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه، وهو قائل، فاتوسد ردائي على بابه يسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك، هلا ارسلت إليَّ فأتيتك، فاقول: لا أنا احق ان آتيك، فسأله عن الحديث، فعاش الرجل الانصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألونني فقال: هذا الفتى كان اعقل مني، ولقد كان الصحابة اعقل الناس في الحفاظ على الحديث.. غير انه تلبس على الناس - من القدماء وسار معهم من المحدثين - امر الكتابة كما يبدو في الوهلة الاولى للناظر في بعض الاحاديث وكانها متعارضة وليست كذلك وانما هي متكاملة لانها انما هي تتميم لبعضها البعض أو توقيف لبعضها بعد رفع السبب، أو توسعة للمسلمين في الاحكام.. فبدت عند الذين لا يدركون ذلك وغيره تتعارض وتتناقض فحاولوا التوفيق فلم يوفقوا ففتحوا ثغرات لم تغلق، وابوابا لم تسد، وسار من جاء بعدهم سيرتهم فاذا بنا نرث هذه المقولات محنطة كالمومياء نقبلها دون نقاش، وما كان الاسلام في يوم تحجيرا على الافكار أو تجهيدا لحركة البحث والتدبر بل هو الذى فجر قوة البحث، وفتق ينبوع النظر، وقيد ذلك بحدود الاسلام والشعور بمسؤولية الكلمة لانها حكم، والحكم امانة و{إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها} وقبل أن نشرع في القاء الاضواء على كتابة الحديث في عهد رسول الله وعن اوائل تدوين السنة لابد من الاشارة الى امر هام اذا اتفقنا عليه من الآن سرنا بسلام والا فان هذا سيضاف الى باقي الكلام الكثير الذى قيل وما قيل قليل اذا قيس بما يقال وسيقال في دنيا الناس والمشارب والمذاهب، والتنظيرات.

معنى الكتابة ومعنى التدوين

إن الكتابة المقصودة في نظري - كتابة الحديث - هي كتابة شخصية قام بها الأفراد من تلقاء أنفسهم ولأنفسهم ولم يلزموا بها أحدا وإن التدوين هو قيام الدولة أو المجامع العلمية أو من له صلة بهذا أو ذاك لكتابة الحديث أو حفظه بحيث يكون ذلك بينا واضحا وملزما احيانا.

ولا غرو ان كلمة التدوين نفسها جاءت من اصطلاح فارسي معناه اخضاع المقولات والاعمال للادارة ومنه قولهم.. اول من دون الدواوين عمر بن الخطاب.. وكلمة ديوان معناها في الفارسية ادارة .اضيف اليها صفة اخرى وهي «الرسمية».

وسنرى ان عمل الكتابة الفردية وعمل التدوين الرسمي كانا منذ كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وامتداداً ما يزالان الى قيام الساعة مادام في الارض اسلام وايمان.

فالفرد يدفعه الى الكتابة الايمان بالله وحب الجزاء الاوفى وطلب الدار الآخرة والدولة يدفعها الى التدوين تقصي الفتاوى واستشفاف الاحكام اذا كانت تُحكم شريعة الله والا فمن باب المحافظة على التراث باعتباره يحمل معالم الشخصية التي قد تمسخها اقنعة وقد تشوه وجهها مخالب للكفر نحاسية تبدو للناظر الغير انها قفاز ناعم، والتراث الاسلامي غير القرآن والحديث لان معناه تفاعل المسلم مع هذا القرآن ومع هذا الحديث.

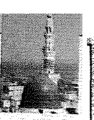
آثار تدل على اهتمام الصحابة بالسنة

ان الحديث في اهتمام الصحابة بالحديث أو السنة لهو حديث عن هذا القلب الذي اناره الايمان بعد أن شمله الظلام، ظلام دامس ترتع فيه خفافيش الشرك وتنعب فيه غربان الجاهلية.. حديث عن عقل سرحه الاسلام من أصفاد الوثنية وقيود العبودية.. حديث عن قوة ربانية توجه القلب والعقل الى الحي الذى لا يموت الله رب العاملين. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كنت انا وجار لي من الانصار في بني امية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ينزل يوما وانزل يوما فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره واذا نزل فعل مثل ذلك.

لقد كانت اجسامهم في اماكن العمل ولكن ارواحهم كانت الى جانب رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وكيف لمثل هذا العمل ان يضيع؟ وعمر ليس وحده بل هم الصحب اجمعون فلنستمع الى البراء بن عازب الاوسي وهو يقول.. «ما كل الحديث سمعناه من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان يحدثنا اصحابنا، وكنا مشتغلين في رعاية الابل واصحاب الرسول {صلى الله عليه وسلم} كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، فيسمعونه من اقرانهم، وممن هو احفظ منهم وكانوا يشددون على من يسمعون منه.

وقد كانوا يتلقون منه أقواله وأفعاله وتقريراته ويتذاكرون ذلك فيما بينهم حتى يحفظوه .. قال أنس بن مالك: «كنا نكون عند النبي {صلى الله عليه وسلم} فنسمع منه الحديث، فاذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه وكانت اقوال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حكم ما يقع له من حوادث ويفتيهم فيما يقع لهم ويقتدون بوقائعه في العبادات.

ولا شك أن من كانت هذه سيرته لا يستطيع أن يكتفي بحفظ الصدر أو بحفظ الكتابة وان قالوا ما قالوا فهما متلازمان يتمم احدهما الآخر.. من اغرب الامور عندى أن يقال أن النبي نهى عن كتابة الحديث خيفة ان يختلط بالقرآن مع انه اذا كان ولابد من الاختلاط فلم لا يختلط في الصدور.. ما كان الصحابة ليرووا الحديث فلا تخوف من وعيد الرواية.. وكما ثبت عندنا اهتمامهم بالحديث وبالقرآن ثبت ايضا خوفهم من الوقوع في الكذب والانتحال على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخوفهم هذا دليل صادق على ايمانهم بالله ورسوله فهم يسدون الذرائع حتى لا يقعوا غفلة منهم



ونسيانا، فكيف بالعمل الذى حدث ان تفشي فيمن جاءوا بعدهم باجيال جاءوا يحملون هول الفضيحة ويعيشون محنة الابتلاء واستحواذ الشيطان على الاحفاد انتقاما لعجزه امام الاجداد الصامدين العارفين.

من ذلك ما رواه عمرو بن ميمون قال: ما اخطأني ابن مسعود عشية خميس الا أتيته فيه، قال فما سمعته يقول بشيء قط «قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما كان ذات عشية قال: (قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال فنكس، قال فنظرت اليه فهو قائم محللة ازرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت اوداجه، قال أو دون ذلك أو فوق ذلك، أو قريبا من ذلك، او شبيها بذلك، وهذا انس بن مالك يقول: لولا أني اخشى أن أخطيء لحدثتكم باشياء سمعتها من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

وهذا ليس غريبا عمن تأخذه الرعدة، ويقشعر بدنه ويتغير لونه ورعا واحتراما لحديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

وأخرج الامام مسلم في صحيحه الجزء الرابع - بسنده الى مجاهد قال: صحبت ابن عمر من مكة الى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الا هذا الحديث: مثل المؤمن مثل النخلة».

وآثار الصحابة في هذا الباب كثيرة وما تخوفهم ذلك الا نتيجة ورعهم وتقواهم اذ ان حديثه صلى الله عليه وسلم حجة كبرى لا يتجاوزه والقرآن احد امتثالا لقوله سبحانه وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحَكِمُوك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما).

ومن الغريب أن يحدثوا بهذه الالاف من الاحاديث دون أن يكونوا قد كتبوها في عهده {صلى الله عليه وسلم} بانه لم يكن للاحكام في عهده {صلى الله عليه وسلم} مصدر سوى الكتاب والسنة، ففي كتاب الله تعالى الاصول العامة للاحكام دون التعرض الى تفصيلها جميعا والتفريع عليها الا ما كان منها متفق مع الاصول ثابتا بثبوتها، لا يتغير بمرور الزمن ولا يتطور باختلاف الناس في بيئاتهم وأعرافهم.

وما كان الصحابة ليقبلوا الحديث من راو دون أن يتثبتوا

«من سمع حديثا فرواه كما سمع فقد سلم» لم يكن قائل هذا غير عمر الفاروق رضي الله عنه فقد شرع للناس امر التثبت في قبول الحديث لان قبوله حينئذ ملزم والالزام معناه العمل به ومطالبة الناس ان يعملوا به كذلك، بل امرهم بالعمل به ومن قبل عمر تثبت ابو بكر رضي الله عنه بطريقته اللينة في غير ضعف فقد رُوي عن النبي {صلى الله عليه وسلم} اثر جاء فيه، ارحم امتي ابو بكر وروى ابن شهاب الزهرى عن قبيصه بن ذؤيب ان الجدة جاءت الى ابي بكر تلتمس ان تورث فقال: ما اجد لك في كتاب الله شيئا، وما علمت أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذكر لك شيئا ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعطيها السدس، فقال له هل معك احد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فانفذه لها ابو بكر رضي الله عنه. ومن قبل ذلك كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوصي اصحابه بالتثبت في رواية الحديث وقبوله، وسر المسألة يكمن في السماع أو الاخذ الحق والحفاظ عليه طريا وتبليغه طريا كما اخذه عن رسول الله ولذلك رغب رسول الله في الاداء الجيد والتحمل الحسن، أخرج الامام مسلم في صحيحه بسنده الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال قال

رسـول الله {صلى الله عليـه وسلم} «نضـر الله امرءاً سمع منا شيئا فبلّغه كما سمعه فرب مبلّغ أوعى من سامع»·

كما تشدد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في قبول الرواية حتى يتثبت من صحتها فقد ثبت عنه انه كان يجلد من تبين له ان في روايته شيئا فـقد قـال ابو هريرة «لقد حـدثتكم احـاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربني عمر بالدره»·

ولماذا يضربه عمر؟ ألأنه قد يخطيء في الاداء وهو الصـحـابي الجليل الذى انقطع للرواية؟ ام لانه ذلك الذى وقف حـيـاته على القـرآن والسنة ينهل من معـينهـمـا وكـان حـريصـا كـغيـره على صـحـبـة الصـادق المصـدوق {صلى الله عليـه وسلم}؟ والجواب ان عمر كان يأمر بالاقلال في الرواية مـخافة الفتنة·· فتنة الاداء وفتنة التحمل قبلها وفتنة التلقى وفتنة التطبيق، فهو لا يضرب ابا هـريرة في شـخـصـه بل يضـرب فـيـه عـدم الاكثار حتى يبقى العمل بالاقلال قائما فاذا دعت الضرورة كان البحث عن الرواية وكان الاشهاد على صـحـتـهـا، وهو لا يـأمر بـالاقـلال وهو الذى روى ازيد من خمسمائة حديث في مدة وجيزة ـ ولكنه كـان يخـوف الناس في الله تـعـالى» ولقـد «فـعل ذلك عـمـر احـتـيـاطا للدين وحـسن نظر للمـسـلمين لانه خـــاف ان يتكلوا على ظاهـر الاخـبـار، وليس حكم جـمـيع الاحـاديث على ظاهرها ولا كل من سمعها عرف فقهها، فقد يرد الحديث مـجـمـلا ويسـتنبط مـعناه وتفسـيـره من غيره، فـخشى عـمر ان يحمل حـديث على غـير وجـهــه أو يؤخـذ بظاهر لفظه والحكم بخـلاف مـأخذه ، ونحو من هذا» وانما حق لفتنة ان تلقى الاحـاديث دون قـيـد يبين مـعناهـا ويسـتنبط احكامها كما هي حال العوام في مساجدنا اليوم اذ فـتنهم الفـتـانون وادخلوهم دروبا ملتـوية لا يدرون لها منفذا·

أسباب تثبت الصحابة وقبول الحديث في نظري

لعل الناظر الى تشـدد الصـحـابة في رواية الحديث وفي قبوله يدرك أن لذلك اسباباً اهمها:

١ ـ خـوف الصـحـابة من الوقـوع في الخطأ عن غير عمد كالنسيان أو الوهم·

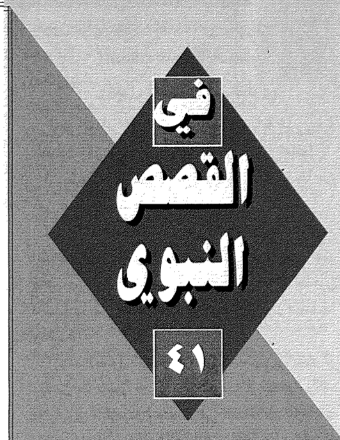
٢ ـ اتقاء فتنة الاختلاف الناجم عن عدم الفهم الثـاقب لنصـوص الاحـاديث التي قـد تبـدو عند قاصري النظر متضاربة متناقضة وهم لا يعلمون ناسـخـهـا من منسوخـهـا ولا يميـزون بين مطلقـهـا ومقيدها·

٣ ـ قد تسول النفس لمن يأخذ عنهم أن يزيد أو ينقص ما يظهر له انه يؤيد موقفه أو يدعم مركزه أو يقـوى مـذهبـه فـيـجـد في اخـتـلاف الروايات وتنوعـهـا وكثـرة الرواة سندا يتـوكأ عليه ليلصق بالحديث الشريف رغباته واطماعه وقد ثبت أن النبي {صلى الله عليه وسلم} امر بالتثبت·

٤ ـ ايمان الصـحـابة بـأن العلم يقـتـضي العـمل وأن من بلغه الحديث صحيحا صريحا وجب عليه العـمل به امـتـثـالا لقـول الله تعـالى {ومـا آتاكم الرسـول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}، لكل هذه الاسـبـاب وغيـرها دعـا الامـر الصـحـابة الى أن يحافظوا على الحديث النبوي حفاظهم على القرآن لأن الحـديث ثاني اصـول التـشـريع الاسـلامي، ولقـد ثارت في زمـاننا هذا دعـوى الأخـذ بالقـرآن وحـده ونبـذ السنة المطهـرة وهي دعـوى ليـست جديدة فـقد كانت قديمة وقد حذرنا منهـا رسـول الله {صلى الله عليـه وسلم} حين قـال: «ليـوشك رجل منكم مـتكئا على اريكته يحدث بحديث عني فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه» الا وانما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله ـ زاد ابو داوود الا اني اوتيت القرآن ومثله معه»·

ـ للبحث صله ـ

الجنـ



يتحدث القصص النبوي عن أشجار الجنة وظلالها الممدودة وفننها وعظم ثمارها، وكيف يرتع أهل الجنة تحتها ويستعيدون لهو الدنيا، وإن من الشجر ما يشبه شجر الدنيا، وفي الجنة أشجار عنب عظم العنقود مسيرة شهر، والحبة منه مثل ذنوب الماء تشبع عامة العشيرة، وفي الجنة نخل أصوله من الذهب وأعلاه تمر، ولكن قطوفها دانية يأكل منه أهل الجنة قياما وقعودا ومضطجعين، وفي الجنة أشجار جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ تهب عليها ريح فتحدث أصواتا ما سمع بها السامعون ولا طرق آذانهم ألذ منها وغير ذلك كثير وكثير مما سنعرض له فيما يأتي:

ففي قصة عن عتبة بن عبد[١] - رضي الله عنه - قال: (جاء أعرابي إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: ما حوضك الذى تحدث عنه - فذكر الحديث - إلى أن قال: فقال الأعرابى: يارسول الله، فيها فاكهة ؟ قال نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى، هى تطابق الفردوس[٢]، فقال: أي شجر أرضنا تشبه؟ قال: ليس تشبه شيئا من شجر أرضك ولكن أتيت الشام؟ قال: لا يارسول الله، قال: فإنها تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة، تنبت على ساق واحد، ثم ينتشر أعلاها، قال: فما عظم أصلها؟ قال: لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك لما قطعتها حتى تنكسر ترقوتها هرما، قال: فيها عنب؟ قال: نعم، قال: فما عظم العنقود منها؟ قال: مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يقع ولا ينثني ولا يفتر، قال: فما عظم الحبة منه؟ قال: هل ذبح أبوك تيسا من غنمه عظيما فسلخ إهابه، فأعطاه أمك فقال ادبغى هذا، ثم افرى لنا منه ذنوبا يروي ماشيتنا؟ قال: نعم، قال: فإن تلك الحبة تشبعنى وأهل بيتى، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} وعامة عشيرتك).

وتضيف قصة عن عبد الله بن أبى الهديل قال: كنا مع عبد الله - يعنى ابن مسعود - بالشام أو بعمّان، فتذاكروا الجنة، فقال: إن العنقود من عناقيدها من ههنا إلى صنعاء.

وروي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (عرضت علي الجنة، فذهبت أتناول قطفا أريكُموه، فحيل بينى وبينه، فقال رجل:

ـة ونعيمها (٥)

يارسول الله، ما ماء الحبة من العنب؟ قال: كأعظم دلو فرت أمك قط).

ويتحدث القصص النبوى عن عظم شجر الجنة الذى يحمل هذه الثمار العظيمة والتى لا مجال لعرضها على عقولنا القاصرة، بل كل ما استعظمنا ذلك وهالنا وصفها، كان ذلك مصداق ما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (يقول الله: أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر، اقرءوا إن شئتم: (وظل ممدود) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقرءوا إن شئتم: (فمن زُحْزِحَ عن النار وأدخل الجنة فقد فاز).

فها هو القصص يصف لنا ضخامة وعظمة أشجار الجنة، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، إن شئتم فاقرءوا: (وظل ممدود، وماء مسكوب).

وعن أبى سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمَّر[٣] السريع مائة عام لا يقطعها).

وجاء في قصة عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وذكر سدرة المنتهى فقال: (يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة أو يستظل بها مائة راكب - شك يحيى - فيها فراش الذهب، كأن ثمارها القلال).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: الظل الممدود، شجرة في الجنة على ساق، قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها، فيخرج أهل الجنة: أهل الغرف وغيرهم، فيتحدثون في ظلها مائة عام في كل نواحيها، قال: فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحا من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا.

بقلم:
أ.د. عبد الباسط
احمد على حمودة
- مصر -

وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن فى الجنة شجرة جذوعها من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ريح فتصطفق[٤]، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه).

وعنه أيضا عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب).

وعن جرير بن عبد الله - رضى الله عنه - قال: نزلنا الصفاح[٥]، فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس تبلغه، قال: فقلت

للغلام: انطلق بهذا النطع فأظله، قال: فانطلق فأظله، فلما استيقظ، فإذا هو سلمان - رضي الله عنه - فأتيته أسلم عليه، فقال: يا جرير تواضع لله، فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة، يا جرير هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدرى، قال: ظلم الناس بينهم، ثم أخذ عُويدا لا أكاد أراه بين أصبعيه فقال: يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت: يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاه التمر.

وفي قصة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نخل الجنة، جذوعها من زمرد خضر، وكربُها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم[٦].

وعن البراء بن عازب - رضى الله عنه - فى قوله تعالى: {وذُلِّلَت قُطوفها تذليلا} قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين}.

ومن عجائب ما فى الجنة - وليس ذلك على الله بعزيز - ما حكاه ابن المبارك قال: أخبر معمر عن الأشعث بن عبد الله، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال[٧] (في الجنة شجرة يقال لها طوبى، يقول الله - تعالى: {تفتقى لعبدى ما شاء، فتنفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيأته كما يشاء، وتنفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيأتها كما يشاء، وعن النجائب والثياب}.

وعن ابن وهب قال: وحدثنا ابن زيد قال: قال رجل: يارسول الله، هل في الجنة من نخل فإنى أحب النخل؟ قال: (أى والذى نفسي بيده لها جذوع من ذهب، وكرانيف من ذهب، وجريد من ذهب، وسعف كأحسن حلل يراها امرؤ من العالمين، وعراجين من ذهب، وشماريخ وكرانيف من ذهب، وأقماع من ذهب، وثمارها كالقلال، وألين من الزبد، وأحلى حلاوة من العسل).

وفى الجنة يزرع أهلها، نقل القرطبي عن البخاري عن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان يوما يحدث، وعنده رجل من أهل البادية، أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: أولست فيما شئت، قال: بلى، ولكنى أحب أن أزرع فأسرع وبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء فقال الأعرابي: يارسول الله: لا تجد هذا إلا قرشيا أو أنصاريا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (لقيت إبراهيم - عليه السلام - ليلة أسرى بى فقال: يا محمد اقرأ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

وعن أبى هريرة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مر به وهو يغرس غرسا

فقال: (يا أبا هريرة ما الذى تغرس؟ قال: غرسا، قال: ألا أدلك على غراس خير من هذا؟ سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة).

وعن جابر بن عبد الله، عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة).

ويكثر في الجنة زرع الريحان كما جاء في القصص النبوي[٨] عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: (الحناء سيد ريحان الجنة، وإن فيها من عتاق الخيل وكرام النجائب يركبها أهلها)

وعنه أيضا قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لما خلق الله الجنة حففها بالريحان وحفف الريحان بالحناء، وما خلق الله شجرة أحب إليه من الحناء، وأن المختضب بالحناء لتصلي عليه ملائكة السماء إذا غدا وتقدس الأرض) قال السكرى: (وتقدس عليه ملائكة الأرض اذا راح).

وعن أبى عثمان النهدي قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إذا أعْطِي أحدكم الريحان فلا يرده، فإنه خرج من الجنة).

قال ابن قيم الجوزية[٩] قال ابن أبى الدنيا حدثنى أزهر بن مروان، حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيبانى عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه ، عن صفى اليمانى، قال: سأله عبد العزيز بن مروان عن وفد أهل الجنة قال: (إنهم يفدون إلى الله - سبحانه وتعالى - كل يوم خميس، فتوضع لهم أسرة، كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذى أنت عليه، فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال الله تعالى: {اطعموا عبادي وخلقى وجيراني ووفدى، فيطعموا، ثم يقول: اسقوهم فيأتون بآنية من ألوان شتى مختمة، فيشربون منها، ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا فكهوهم، فتجيء ثمرات شجر تدلى فيأكلون منها ما شاءوا ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا اكسوهم، فتجيء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر، وكل لون لم ينبت إلا الحلل فتنشر عليهم حللا وقمصا ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا طيبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر، ثم يقول: عبادى وجيراني وخلقى ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا لأتجلين لهم حتى ينظروا إلي، فإذا تجلى لهم فنظروا إليه نضرت وجوههم، ثم يقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم، فتقول لهم أزواجهم: خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها، فيقولون: ذلك أن الله - جل ثناؤه - تجلى لنا، فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا).

وقد عرض ابن قيم الجوزية[١٠] أقوال العلماء في قوله تعالى: (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل، وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة) ونلخص هذه الأقوال في أن أهل الجنة عندما أتوا بالثمرة نظروا إليها وقالوا: هذا الذى رزقنا من قبل في الدنيا. وأتوا به متشابها

يعرفونه، وإن ثمار الدنيا فيها مشابهة في اللون والطعم مع ثمار الجنة: لما روي عن أبى موسى قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أهبط الله آدم من الجنة - عليه السلام - وعلمه صنعة كل شيء، وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أنها تغير وتلك لا تغير).

وقالت طائفة منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} متشابها في اللون والمرأى، وليس يشبه الطعم. وقال يحيى بن أبى كثير (عشب الجنة الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها، فيقولون: هذا الذى جئتمونا به آنفا، فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف، فهو قوله - عز وجل: {وأتوا به متشابها}.

وتتميز ثمرة الجنة عن ثمرة الدنيا: (كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى) وأن ثمر الجنة خيار كله لا رذل فيه، أى منتقى وطيب لا رديء فيه. وإنها لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) وكذا ثمر الجنة دان قريب ممن يتناوله (قياما وقعودا ومضطجعين على أي حال شاءوا). وثمر الجنة يختلف في الحجم وغير ذلك لحديث ابن عباس[١١] ، (وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم).

مطايا وخدم وغلمان أهل الجنة:

يقص النبي {صلى الله عليه وسلم} على أمته ما في الجنة من ألوان النعيم الذى لا ينقطع وما أعده الله لهم منذ خروجهم من قبورهم إلى الحشر، فيستقبلون بأنيق عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ، فيسيرون عليها حتى ينتهوا إلى باب الجنة، حيث يتحفهم بما سيأتى ذكره، وحينما يستقرون في الجنة ويريدون التزاور فيؤتون بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله - عز وجل - وعندما يشتاق أهل الجنة إلى إخوانهم يسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعا، وأحيانا يتزاورون على الجمال الملونة.

ويتحدث القصص النبوي عن الولدان والغلمان في الجنة، وعن كثرة عددهم، وجَمال خَلقهم وخُلُقهم، كما قال الله تعالى: (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لُؤلؤ مكنون) وهم يحملون الأكواب والأباريق ويسقونهم من الرحيق المختوم.

جاء في (منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال)[١٢] عن أبى فروة يزيد بن محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي حدثنا أبي حدثنا إسماعيل بن زياد عن جرير بن سعيد عن الضحاك بن مزاحم عن النزال بن سبرة عن علي قال: قلت يارسول الله (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قلت كلهم ركبانا، قال: يا على، والذى نفسى بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم، استقبلوا بأنيق[١٣] عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ، فيسيرون عليها حتى ينتهوا إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوت على صفائح الذهب،

وإذا عند باب الجنة شجرة ينبع من أصلها عينان، فيشربون من أحد العينين، فإذا بلغ الشراب الصدر أخرج الله ما في صدورهم من غل أو حسد أو بغي، وذلك قول الله تعلى: (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) فلما انتهى الشراب إلى البطن طهرهم من دنس الدنيا وقذرها، وذلك قوله تعالى: (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) ثم اغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلا تشعث أبدانهم، ولا تغير ألوانهم أبدا، فيضربون بالحلقة على الصفائح، فيسمع لذلك طنين، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قدم، فتبعث بقيمها، فلولا أنه عرفه نفسه لخر له ساجدا من النور والبهاء والحسن، فيقول: يا ولي الله إنما أنا قيمك الذي وكلت بمنزلك، فينطلق وهو بالأثر حتى ينتهي به إلى قصر من فضة، شرفه الذهب، يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره، فيقول: لمن هذا؟ فيقول الملك: هو لك ، قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لو مات أحد من الفرح لمات، فيريد أن يدخله فيقول له أمامك، فلا يزال يمر به على قصوره، وعلى خيامه، وعلى أنهاره، حتى يمر به على غرفة من ياقوته من أسفلها إلى أعلاها مائة ألف ذراع، قد بنيت على جبال الدر والياقوت، بين أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها، في الغرفة سرير عرضه فرسخ في طول ميل، عليه من الفرش على قدر سبعين غرفة، بعضها فوق بعض، فرشه لون، وسريره لون، وعلى رأس ولي الله تاج، لذلك التاج سبعون ركنا في كل ركن منها ياقوتة تضيء مسيرة ثلاث للمتعب، ووجهه مثل القمر ليلة البدر، وعليه طوق ووشاحان، له نور يتلألأ، وفي يده ثلاثة أسورة، سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وذلك قوله: (يُحَلَّوْنَ فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا) وعليه سبعون حلة من حرير مختلفة الألوان على رقة شقائق النعمان، وذلك قوله تعالى: {ولباسهم فيها حرير} يهز السرير فرحا وشوقا إلى ولي الله فاتضح له حتى استوى، وينظر إلى أساس بنيانه، يسترقه مخافة أن يلتمع ذلك النور بصره، فبينما هو كذلك إذ أقبلت حوراء عيناء، معها سبعون جارية وسبعون غلاما، وعليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الحلل والجلد والعظم، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، وكما يرى السلك في الدرة الصافية فلما عاينها نسي كل شيء عاينه قبلها، فتستوي على السرير معه، فيضرب بيده إلى نحرها، فيقرأ ما في كبدها، فإذا هو مكتوب: أنا حبك وأنت حبي، إليك انتهت نفسي، وذلك قوله: {كأنهن الياقوت والمرجان} يشبه في بياض اللؤلؤ، فيتنعم معها سبعين سنة، لا تنقطع شهوتها ولا شهوته، فبينما هم كذلك، إذ أقبل الملائكة وللغرفتين سبعون بابا أو سبعون ألف باب، على كل باب حاجب، فتقول الملائكة: استأذنوا على ولي الله، فتقول الحجبة: إنه ليتعاظمنا أن نستأذن لكم إنه مع أزواجه، فيقولون: الملائكة بالباب يستأذنون عليك، فيقول: إئذنوا لهم، ثم تلا النبي {صلى الله عليه وسلم}: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وتلا

النبي {صلى الله عليه وسلم} (وإذا رأيتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نعيما ومُلكا كبيرا) فلا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن والأنهار تطرد من تحت مساكنه، والثمار متدلية عليه، إن شاء تناولها بفيه، وإن شاء تناولها متكئا، وإن شاء تناولها قاعدا، وإن شاء تناولها قائما، وأنهار من ماء غير آس ليس فيه كدر، والآس الذى يتغير ماء الدنيا، وأنهار من لبن، لم يخرج من بين الفَرْس والدم، ولا من ضروع الماشية، وأنهار من خمر لم يطأها الرجال بأرجلها لذة للشاربين، لا تصدع رءوسهم، ولا تغلبهم على عقولهم، وأنهار من عسل مصفى من موم العسل، لم يخرج من بطون النحل، فبينما هو كذلك مرة يتنعم مع أزواجه، ومرة يؤتى بغذائه، ومرة بشرابه، ومرة تستأذن عليه الملائكة، ومرة يزور ربه فيكلمه - عز وجل - ومرة يزور الاخوان في الله فبينما هو كذلك إذ نور قد غشيه، فقال بعضهم ما هذا النور؟ والذى غشى أهل الجنة؟ فيقول الملائكة: هذه حوراء أشرفت من خيمتها فرحا وشوقا إليك، فما غشيك من نور فهو من نور ثغرها).

وعن أبي أيوب[١٤] (إن أهل الجنة ليتزاورون على النجائب بيض كأنهن الياقوت وليس في الجنة شيء من البهائم إلا الابل والطير).

وعن أنس رضي الله عنه[١٥] قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إذا دخل أهل الجنة الجنة، فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض، فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعا فيتكىء هذا ويتكىء هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: أتعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم، يوم كنا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا).

وعن شفى بن مانع أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب[١٦]، وانهم يؤتون فى الجنة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله - عز وجل - فيأتيهم مثل السحابة، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيقولون: امطرى علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية، فتنسف كثبانا من مسك عن أيمانهم، وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك في نواصى خيولهم وفى معارفها وفى رءوسهم، ولكل رجل منهم جُمّة على ما اشتهت نفسه، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام، وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك: يا عبد الله أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجك وحبُك، فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أو ما تعلم أن الله - تعالى - قال: {فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون} فيقول: بلى وربى، فلعله يشغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا، لا يلتفت ولا يعود، وما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة).

وجاء في قصة عن أبى هريرة - رضى

الله عنه ـ قال: (إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس والجون، عليها رحال الميس، ويثير مناسمها غبار المسك، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها).

وفي قصة أخرى عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يقول: (إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحة خطوها مد البصر فيركبها أهل الجنة، فتطير بهم حيث شاءوا، فيقول الذين أسفل منهم درجة: يارب بما بلغ عبادك هذه الكرامة كلها؟ قال: فيقال لهم: كانوا يصلون بالليل، وكنتم تنامون، وكانوا يصومون، وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون، وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون).

وعن عبد الرحمن بن ساعدة ـ رضي الله عنه ـ قال: (كنت أحب الخيل فقلت: يارسول الله هل في الجنة خيل؟ فقال: إن أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرس من ياقوت له جناحان، تطير بك حيث شئت).

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا سأل النبي [صلى الله عليه وسلم] فقال: يارسول الله هل في الجنة من خيل؟ فقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت إلا كان) قال: وسأله رجل فقال: يارسول الله هل في الجنة من إبل؟ فلم يقل له ما قال لصاحبه، قال: (إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك).

وروى أبو أيوب ـ رضي الله عنه ـ قال: أتى النبي [صلى الله عليه وسلم] أعرابي، فقال: يارسول الله إني أحب الخيل، أفي الجنة خيل؟ قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (إن دخلت الجنة أوتيت بفرس من ياقوته، له جناحان فحملت عليه، ثم طار بك حيث شئت).

ونقل ابن قيم الجوزية[١٧] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وذكر الجنة فقال: (والفردوس أعلاها سموا، وأوسعها منه محلا، ومنها تفجر أنهار الجنة، وعليها يوضع العرش يوم القيامة، فقام إليه رجل فقال: يارسول الله، إني رجل حبب إلي الخيل فهل في الجنة خيل؟ قال: أي والذي نفسي بيده، إن في الجنة لخيلا وإبلا هفافة تزف بين خلال ورق الجنة، يتزاورون عليها حيث شاءوا، فقام إليه رجل فقال: يارسول الله إني حبب إلي الإبل) وذكر الحديث.

وعن الحسن البصري عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ عن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، جاءتهم خيول من ياقوت أحمر، لها أجنحة، لا تبول ولا تروث، فقعدوا عليها، ثم طارت بهم في الجنة، فيتجلى لهم الجبار، فإذا رأوه خروا سجدا، فيقول لهم الجبار ـ تعالى ـ [ارفعوا رءوسكم، فإن هذا ليس يوم عمل، إنما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون رءوسهم فيمطر الله عليهم طيبا، فيمرون بكثبان

المسك، فيبعث الله على تلك الكثبان ريحا فتهيجها عليهم، حتى إنهم ليرجعون إلى أهليهم وإنهم لشعث غبر).

وجاء في التذكرة[١٨] خرّج مسلم عن أبى مسعود الأنصارى قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة) وذكر ابن وهب قال: حدثنا ابن زيد قال: كان الحسن البصرى يذكر عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يركب فى ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر، لها أجنحة من ذهب اقرأوا إن شئتم: (وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيما ومُلْكا كبيرا).

وحكي عن عبد الله بن المبارك: خرج إلى غزو فرأى رجلا حزينا قد مات فرسه فبقي محزونا، فقال له: بعني إياه بأربعمائة درهم، ففعل الرجل ذلك، أي باعه له، فرأى من ليلته في المنام كأن القيامة قد قامت، وفرسه في الجنة وخلفه سبعمائة فرس فأراد أن يأخذه، فنودي أن دعه، فإنه لابن المبارك وقد كان لك بالأمس، فلما أصبح جاء إليه وطلب الإقالة، فقال له: ولم؟ قال: فقص عليه القصة، فقال له اذهب فما رأيته في المنام رأيناه في اليقظة).

ومن مطايا الجنة الاتكاء على رفرف خضر: والرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى كالمرجاح يمينا وشمالا، ورفعا وخفضا، يتلذذ به مع أنيسته.

وروى في حديث المعراج[١٩] أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف، فتناوله من جبريل وطار به إلى سند العرش، فذكر أنه طار بى يخفضنى ويرفعني، حتى وقف بى على ربى، ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوى به حتى أدله إلى جبريل - صلوات الله عليهما - وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد، والرفرف خادم من الخدم بين يدي الله - تعالى - له خواص الأمور في محل الدنو والقربة، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء - صلوات الله عليهم - مخصوصة بذلك في أرضه، فهذا الرفرف الذى سخره الله لأجل الجنتين الدانتين، هو متكأهما وفرشهما، يرفرف بالولى على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان.

ومن القصص النبوى الذى يتحدث عن الخدم والولدان والغلمان ما روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال[٢١] قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن أدنى أهل الجنة منزلة، لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا، ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة).

وعن أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من

لؤلؤ وزبرجد وياقوت، كما بين الجابية إلى صنعاء)·

وجاء في قصة عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم، بيد كل واحد صحفتان من ذهب، والأخرى من فضة، في كل واحد لون ليس في الأخرى مثله يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها، يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذي يجد لأولها ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، إخوانا على سرر متقابلين)·

وروى عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة، وليس فيهم دني، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه)·

وعن عبد الله بن عمرو قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه، قال: وتلا هذه الآية: (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا)·

ونقل القرطبي[٢١] ما ذكره ابن المبارك عمن نقل عن علي - رضي الله عنه - وجاء فيه: وتتلقاهم على كل باب من أبواب الجنة ملائكة (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم، كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يجيء من الغيبة، يقولون: أبشر أعد الله لك كذا وكذا، ثم يذهب الغلام منهم إلى الزوجة من أزواجه، فيقول: قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى في الدنيا، فتقول له: أنت رأيته؟ فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة الباب، ثم ترجع فتجيء فتنظر إلى تأسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ، أخضر وأصفر وأحمر من كل لون، ثم يجلس فينظر فإذا زرابى مبثوثة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، ثم يرفع رأسه إلى سقف بنيانه، فلولا أن الله قدر ذلك لأذهب بصره، إنما هو مثل البرق، ثم يقول كما أخبرنا تعالى: (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله}·

- للبحث صله -

الهوامش:

(١) الترغيب والترهيب جـ٤ ص ٥٢١·
(٢) تملأ أعلى الجنة ظلا·
(٣) الصحيح النحيف·
(٤) تحدث صوتا جميلا·
(٥) مكان قرب حنين·
(٦) نوى أو شيء صلب·
(٧) التذكرة ص ٥٣١·
(٨) التذكرة ص ٥٦٦·
(٩) حادي الأرواح ص ٣١٢·
(١٠) المرجع السابق ص ٢٠٩ وما بعدها·
(١١) خرجه صاحب كتاب (صحيح حادى الأرواح) الدخاخنى ص ١٥٣·
(١٢) هامش مسند الإمام أحد جـ ٦ ص ١١٥ وانظر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٣٧·
(١٣) تختلف قليلا عما في الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٤٩٤ وفي كنز العمال الشيخ على المتقى جـ ١٨ ص ٢٥٧·
(١٤) المرجع السابق ص ١٠٨·
(١٥) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٥٤٣·
(١٦) المطايا كل ما يوطيء ومنها المراكب، والنجيب الفاضل من كل حيوان·
(١٧) حادي الأرواح ص ٢٩٨·
(١٨) ص ٥٦٤·
(١٩) التذكرة ص ٥٢٠·
(٢٠) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٥٠٧·
(٢١) التذكرة ص ٥٧٨·

انتهينا في الحلقة السابقة إلى أن سيد قطب ـ رحمه الله ـ كان يرى أن التصوير هو القاعدة المفضلة للتعبير في القرآن الكريم، حيث تُصَوِّر المعاني والأغراض والمقاصد في صورة شاخصة محسة، وأن التصوير هو القاعدة الأولى للبيان فيه، حيث تناول بها جميع الأغراض ناقلا إياها من صورتها الذهنية التجريدية الى هيئة شاخصة حية نابضة.

وذكرنا أمثلة لتناول القرآن للمعاني المجردة الذهنية، والحالات النفسية المعنوية والقصص التي تناول بها الأقوام السابقة، حيث تناولها بالتصوير والتجسيم في أداء معجز لا يَخْلَقُ على كثرة الرد. ونتابع في هذه الحلقة إكمال توضيح جوانب الصورة في الأداء القرآني لمختلف المعاني التي تناولها القرآن الكريم.

الإعجاز الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب (٢ ـ ٣)

بقلم: د. أحمد أحمد غريب
ـ الرياض ـ

قواعد التصوير الفني في القرآن الكريم

يرى سيد قطب أن آفاق التصوير في القرآن أوسع من أن تدرك بقيود العمل الأدبي، لأن التصوير باللغة بحكم سعة آفاقه يجتمع فيه تصوير باللون، وتصوير بالحركة وتصوير بالإيقاع، وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان، وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء لا ألوان مجردة، وخطوط جامدة، تصوير تقاس فيه الأبعاد والمسافات بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة[١].

وهو يرى كذلك أن التصوير الفني في القرآن لا يأتي حيثما اتفق، بل يقوم على أسس وقواعد فنية منها: التخييل أو التشخيص، والذي يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية.

ففي قوله تعالى: **«والصبح إذا تنفس»** (سورة التكوير/١٨) يخيل إليك هذه الإجابة الوديعة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياه وهو يتنفس فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء، وها هو ذا الليل يسرع في طلب النهار فلا يستطيع له دركا **«يغشي الليل النهار يطلبُهُ حثيثا»** (سورة الأعراف/٥٤) ويدور الخيال مع هذه الدورة

الدائبة التي لا نهاية لها ولا ابتداء[٢].

ومن هذه القواعد أيضاً التجسيم، بمعناه الفني لا بمعناه الديني، وهو لا يعني به التشبيه بمحسوس وإنما يعني به تجسيم المعنويات لا على وجه التشبيه والتمثيل، بل على وجه التعبير والتصوير، ومن ذلك قوله تعالى: **«وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما»** (سورة البقرة/٢٢٥) فالتعبير في هذه الصورة الحسية قد جاء في موضع التجريد المطلق على طريقة القرآن في التعبير التصويري، لأن الصورة هنا تمنح الحقيقة المراد تمثيلها للقلب قوة وعمقاً وثباتاً وسعهما سلطانه، وهذه هي الحقيقة من الناحية الذهنية، ولكن الصورة التي ترتسم في الحس من التعبير بالمحسوس أثبت وأمكن، وكذلك التعبير بقوله: {ولا يؤوده حفظهما} فهو كناية عن القدرة الكاملة، ولكن يجيء في هذه الصورة المحسوسة صورة لانعدام الجهد والكلال، لأن التعبير القرآني يتجه إلى رسم صورة للمعاني تجسمها للحس فتكون فيه أوقع وأعمق وأحس[٣].

أو تجسيم الذنوب كأنها أحمال تحمل على الظهور زيادة في التجسيم: **«وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم»** (سورة الأنعام/٣١)، **«ولا تزر وازرة وزر أخرى»** (سورة الأنعام/١٦٤)، ومن تجسيم المعنويات مثل قوله تعالى: **«وتزودوا فإن خير الزاد التقوى»** (سورة البقرة/ ١٩٧م) فالتقوى زاد، أو **«صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة»** (سورة البقرة/ ١٣٨) فدين الله صبغة معلمة، وكثيراً ما يجتمع التخييل والتجسيم معاً لرسم الصورة المطلوبة، التي تعرض في القرآن في إطار من التناسق الفني الذي يبلغ الذروة في التصوير.

التناسق الفني في القرآن

ويرى سيد قطب أن التناسق الفني الذي تعرض الصورة الفنية من خلاله ألوان ودرجات، ومن هذه الألوان ما تناوله القدماء، كالتنسيق في تأليف العبارات ونظمها في نسق خاص يبلغ الذروة في الفصاحة، ومنها ما أهملوه وتركوه كالإيقاع الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص لتتناسق مع جو السياق الذي تساق فيه الآيات لتؤدي وظيفتها المرادة منها.

من ذلك الإيقاع الذي يلحظ ولا يشرح، فهو كامن في اللفظة المفردة وتركيب الجملة الواحدة، ويدرك بحاسة خفية كما في قوله تعالى: **«قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً»** (سورة مريم/٤).

فلو حاولت مثلا أن تغير فقط كلمة «مني» فتجعلها سابقة لكلمة «العظم» لأحسست بما يشبه الكسر في وزن الشعر، وذلك لأنها تتوازن مع «إني» في صدر الفقرة هكذا **«قال رب إني .. وهن العظم مني»**[٤].

كما تحدث سيد قطب عن نظام الفواصل في الآيات وتعدد ألوان الإيقاع فيها، ومحاولته إخضاع ذلك التعدد إلى اعتبارات فنية يقتضيها السياق، ففي سورة النازعات أسلوبان للإيقاع، ينسجمان مع جوين فيهما تمام الانسجام، أولهما يظهر في هذه المقطوعة السريعة الحركة، القصيرة الموجة، القوية المبنى، تنسجم مع جو مكهرب سريع النبض، شديد الارتجاف على النحو التالي:

« والنازعات غرقاً، والناشطات نشطا، والسابحات سبحا، فالسابقات سبقا، فالمدبرات أمرا، يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، قلوب يومئذ واجفة، أبصارها خاشعة، يقولون أئنا لمردودون في الحافرة، أئذا كنا عظاماً نخرة، قالوا تلك إذن كرّة خاسرة، فإنما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالساهرة» (سورة النازعات الآيات/ ١ ـ ١٤) والثاني يظهر في هذه المقطوعة الوانية الحركة، الرخية الموجة المتوسطة الطول، تنسجم مع الجو القصصي الذي يلي مباشرة في السورة، حيث الكرة الخاسرة، والزجرة الواحدة، وحديث الساهرة على النحو التالي: **«هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى، اذهب إلى فرعون إنه طغى، فقل هل لك إلى أن تزكى، وأهديك إلى ربك فتخشى»** (سورة النازعات الآيات/ ١٥ ـ ١٩) ويعقب على ذلك بقوله: «لسنا في حاجة إلى قواعد إيقاعية أو اصطلاحات فنية لندرك الفرق بين الأسلوبين والإيقاعين، فهو واضح لا يخفى، وهو كذلك منسجم في كل حالة مع الجو الذي يطلق فيه الإيقاع، ولهذا الإيقاع وظيفة أساسية في مصاحبة المشهد المعروض في المرتين الأولى والأخري»[٥].

ومن الإعجاز أن نرى القرآن الكريم يستخدم إيقاعاً واحداً، وفاصلة على وزن واحد، ليعبر بهما عن مشهدين متباينين للنعيم والعذاب في الآخرة. حيث يقول الله جل شأنه في سورة الحاقة: **«فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه، إني ظننت أني**

ملاق حسابيه، فهو في عيشة راضية، في جنة عالية، قطوفها دانية، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية» (سورة الحاقة/ ١٩ ـ ٢٤) فالفواصل هنا تحمل في إيقاع رخي طمأنينة هذا العبد الفائز برضوان الله، يظهر ذلك في تلك التوكيدات التي تحمل إضافة ياء المتكلم وها التخصيص «كتابيه» «حسابيه» ويظهر أيضاً في رضى الله على عبده حيث ضمن له «عيشة راضية» في «جنة عالية»، «قطوفها دانية» لما قدمه في «الأيام الخالية»، ثم تجيء الفواصل في الآيات بعدها على نفس الوزن والإيقاع لتصور سخط الساخط وحسرة المتحسر لوقوعه في دائرة عذاب الله وانتقامه حيث يقول تعالى: «وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه، يا ليتها كانت القاضيه، ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه» (سورة الحاقة/ ٢٥ ـ ٢٩) ولا يخفى ما تحمله الفواصل هنا من توقيعات الحسرة والندامة، وإن كانت هذه الحسرة لا تنبعث من الإيقاع فقط، ولكن يشارك فيها كل أوضاع السياق من لفظ ومعنى وتصوير.

وقد يكون التنوع في الإيقاع مصدراً من مصادر إثراء الصورة في الفاصلة القرآنية، فمع تنوع الفاصلة تزداد الأبعاد التصويرية التي تقوي المعنى، ومثال ذلك ما عرضت في المثال السابق من سورة الحاقة، فبعد أن يعرض القرآن صورة المتحسر لوقوعه في دائرة العذاب، وينتهي عند قوله: {هلك عني سلطانيه} تتنوع الفاصلة هكذا: «خذوه فغلُّوه ثم الجحيم صلُّوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه» (سورة الحاقة/ ٣٠ ـ ٣٢) هكذا بصيغة الأمر المنتهية (بالواو والهاء): «خذوه ـ غُلُّوه ـ صلُّوه ـ اسلكُوه» وتتزامل هذه الفاصلة المنتهية بالواو والهاء مع السابقة المنتهية بالياء والهاء لتنوع مشهد العذاب الذي تنخلع لهوله القلوب، وتلجم معه الألسنة، ثم تتواكب هذه (السينات) في «سلسلة» و«سبعون» و«اسلكوه» مع حرف الذال في «ذرعها» و«ذراعا» حتى لتكاد تسمعنا صلصلة السلاسل في أعناق وأرجل المجرمين، يساقون إلى جهنم سوقاً، وهي بذلك تضيف إلى جانب إيقاع الكلمات إيقاعا بالحروف يشارك في رسم الصورة ويمنحها الحياة.

وقد ذهب سيد قطب إلى أن تناسق الصورة الفنية في القرآن الكريم قد يكون (بوحدة الرسم) في اللوحة المعروضة، بمعنى أن تكون هناك وحدة بين أجزاء الصورة المعروضة في اللوحة فلا تتنافر جزيئاتها كما في قوله تعالى: «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نُصبت، وإلى الأرض كيف سُطحت» (سورة الغاشية/ ١٨ ـ ٢٠) يقول سيد قطب: فهذه ريشة تجمع بين السماء والأرض والجبال والجمال في مشهد واحد، حدوده تلك الآفاق الوسيعة من الحياة والطبيعة، والملحوظ هنا هو الضخامة وما تلقيه في الحس من استهوال، والأجزاء موزعة بين الاتجاه الأفقي في السماء المرفوعة والأرض المبسوطة، والاتجاه الرأسي بينهما في الجبال المنصوبة، والإبل الصاعدة السنام، وهذه دقة تأخذها عين المصور المبدع في الأشكال والأحجام، ومما يلاحظ هنا بعين المصور كذلك أن لوحة طبيعية قاعدتاها السماء والأرض لا يبرز فيها من الجماد إلا الجبال، ولا يبرز فيها من الأحياء إلا الجمال أو ما هو في حجم الجمال، والجمل هو الحيوان المناسب لأنه أليف الصحراء الفسيحة التي تحدها السماء والجبال[٦].

كما نبه سيد قطب على دور الكلمة أو اللفظة، ودقة اختيارها في إحداث التناسق للمعنى المراد، أو في إحداث الإيقاع المتوازن مع السياق، مثل ذلك قوله تعالى: «قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، من يُصرف عنه يومئذ فقد رحمهُ وذلك هو الفوز المبين» (سورة الأنعام/ ١٥ ـ ١٦) فهو يرى أن لفظة «يصرف» قد جسمت المعنى ورسمته في صورة شاخصة، فهو تصوير لحقيقة مشاعر العذاب الذي يعتبر مجرد صرفه عن العبد رحمة من الله وفوزاً مبيناً، ولكنه في الوقت ذاته جملة مزلزلة، تصور العذاب في ذلك اليوم العظيم يطلب الفريسة ويُحلق عليها، ويهجم ليأخذها، فلا تصرفه عنها إلا القدرة القادرة التي تأخذ بخطامها فتلويه عنها، وإن أنفاس القارئ لهذا التصوير لتحتبس وهو يتمثل المشهد في انتظار هذه اللقطة الأخيرة[٧].

ـ ومثل ذلك ما ترسمه لفظة (كيدهُ) في قوله تعالى: «فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى» (سورة طه/ ٦٠) فهذا التعبير يُجمل كل ما قاله فرعون وما أشار به الملأ من قومه، وما دار بينه وبين السحرة من تشجيع وتحميس ووعد بالمكافأة، وما فكر فيه ودبر هو ومستشاروه، يجمله في جملة.. (فتولى فرعون، فجمع كيده، ثم أتى) وتصور تلك الآية الواحدة القصيرة ثلاث حركات متواليات .. ذهاب فرعون، وجمع كيده، والإتيان به[٨].

ـ أو ما تصوره لفظة (مُحْصنين) و(مسافحين) في قوله تعالى: «وأُحلّ لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين» (سورة النساء/ ٢٤).. (فهو إحصان للرجل، وإحصان للمرأة ففي

هذه القراءة «محصنين» بصفة اسم الفاعل، وفي قراءة أخرى «مُحصنين» بصيغة اسم المفعول، وكلا المعنيين يتحقق في هذه الصورة النظيفة القويمة العفيفة، وهو إحصان للبيت والأسرة والأطفال.. والآخر سفاح، مفاعلة من السفح، وهو إراقة الماء في المنحدر الواطيء.. مسافحة يشترك فيها الرجل والمرأة، فيريقان ماء الحياء - الذي جعله الله لامتداد النوع ورقيه - يريقانه للذة العابرة، والنزوة العارضة.. يريقانه في السفح الواطيء فلا يحصنها من الدنس، ولا يحصن الذرية من التلف، ولا يحصن البيوت من البوار، وهكذا يرسم التعبير القرآني صورتين كاملتين لنوعين من الحياة في كلمتين اثنتين[٩].

- وفي قوله تعالى في سورة النحل: **«والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، إن في ذلك لآية لقوم يسمعون، وإن لكم في الأنعام لعبرة، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً، إن في ذلك لآية لقوم يعقلون، وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون»** (سورة النحل/ ٦٥ - ٦٩) في هذه الآيات يكشف سيد قطب عن ظاهرة التناسق الفني في القرآن، حيث عرض لهذه النعم.. إنزال الماء من السماء.. وإخراج اللبن من بين فرث ودم.. واستخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، والعسل من بطون النحل.. إنها كلها أشربة تخرج من أجسام مختلفة لها في شكلها، ولما كان الجو جو أشربة، فقد عرض من الأنعام لبنها وحده في هذا المجال تنسيقاً لمفردات المشهد كله. يقول: وسنرى في الدرس التالي أنه عرض من الأنعام جلودها، وأصوافها، وأوبارها لأن الجو هناك - يقصد قوله تعالى في نفس السورة: {والله جعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين. والله جعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم) (سورة النحل/ ٨٠ - ٨١) فالجو هنا جو أكنان وسرابيل، مناسب أنه يعرض من الأنعام جانبها الذي يتناسق مع مفردات المشهد، وذلك أفق من آفاق التناسق الفني في القرآن[١٠].

وقريب من هذا التناسق لفظ الكيد في الآية الكريمة: **«فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف»** (سورة يوسف/١٧)

يقول سيد قطب: فهذا هو تدبير الله الذي ألهم يوسف أسبابه، وهو كيد الله له، والكيد يطلق على التدبير في الخفاء للخير والشر سواء، وإن كان الشر قد غلب عليه، وظاهر الأمر هنا أنه شرٌ يحل بأخيه، وهو شر يحل بإخوته لإحراجهم أمام أبيه، وهو سوء - ولو مؤقتاً - لأبيه، فلهذا اختار تسميته (كيداً) على إجمال اللفظ، بالإلماع إلى ظاهره، وهو من دقائق التعبير[١١].

وأرى أن لفظ (كدْنا) لا يتبوأ جماله مما ذكره المفسر فحسب، ولكن يتبوأ جماله من تلك النكتة البليغة التي تعبر عنها الحكمة القائلة: بأن الجزاء من جنس العمل، فإخوته قد كادوا له طفلا، وها قد جاء الدور عليهم ليكيد لهم رجالا، وإن كان الكيد هنا ليس من جنس كيدهم، لأنه كيد الله، وكيد الله التدبير، وهو لا يكون إلا في الخير، وهو لون من ألوان التناسق الذي أشار إليه المفسر.

وينتهي سيد قطب إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل إلى لفظ مُعبر إلى تعبير مُصور، إلى تصوير مشخص، إلى تخييل مجسم، إلى إيقاع منغم، إلى اتساق في الأجزاء، إلى تناسق في الإطار، إلى تناسق في الإيقاع، إلى افتنان في الإخراج وبهذا كله يتم الإبداع ويتحقق الإعجاز[١٢].

- للبحث صلة -

الهوامش:

(١) التصوير الفني في القرآن ط٦ (القاهرة - دار الشروق ١٩٨٠م) ص ٤٨ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ص ٦٢.

(٣) في ظلال القرآن/ الطبعة الأولى (دار الشروق ١٩٨١م) المجلد الأول ص ٢٩.

(٤) التصوير الفني في القرآن - مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق ص ٩١ وما بعدها.

(٦) المرجع السابق ص ١٠١.

(٧) في ظلال القرآن، المجلد الثاني ص ١٠٥٥.

(٨) المرجع السابق، المجلد الرابع ص ٢٣٤١.

(٩) المرجع السابق، المجلد الثاني، ص ٦٢٥.

(١٠) المرجع السابق، المجلد الرابع، ص ٢١٨٢.

(١١) المرجع السابق، المجلد الرابع، ص ٢٠٢٠.

(١٢) التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص ١١٦ وما بعدها.

الرأى .. والرأى الآخر

طه حسين

عميدا للتنوير العربي.. مرة أخرى

منذ بدايات هذا القرن ظهرت في بلدان الشرق الإسلامي حركات تمرد ظاهرة الانحاء على الدين والخلق والسلوك، والعادات الاجتماعية، وعلى الأدب واللغة.. وهذه الحركات قادها عدد من أبناء الشرق الاسلامي وأسموا حركاتهم تلك بحركة (التنوير والتحضر والتقدم).

وكلها كانت بتأثر مباشر، أو بايعاز مباشر أو غير مباشر، بما وجدوه عند أهل الغرب، وظهرت حينئذ كتابات، تشكك في الدين، وأخرى تدعو للسفور، وثالثة تدعو للانتماء الكامل للغرب، اهل الحضارة، كما يسمونهم.. وتلك الحركات كانت لها خطورتها البالغة على المجتمع، وحينئذ تصدى لها العلماء وأبانوا زيفها ومكرها.. والآن.. يأتي تلامذة تلك العقود الأولى ليذيعوا تلك الافتراءات والأباطيل.. وتعود القضية ثانية للرد عليها ومواجهتها.. حتى لا يسري شرها بين العباد.

ويبقى احترامنا وتقديرنا موصولا لكل رائد بما افاد قومه من علم وفكر ناضجين، يخدمان الدين وينشران الفضيلة..

ـ المنهل ـ

بقلم :
المفكر الإسلامي
أنور الجندي
ـ مصر ـ



إن هناك محاولة فاشلة ترمي الى أن يعود التاريخ القهقري: تلك هي محاولة دعاة التغريب والغزو الثقافي الذين لا يجدون ما يقدمونه الا اعادة طبع الكتب التي صدرت في الثلاثينيات والتي قاومها الاصلاء من رجال الفكر الاسلامي وكشفوا زيفها.

وقد تصدروا محاولة فرض مفاهيم التغريب وسموم الكلمة المضللة والكلمة الاباحية والكلمة الملحدة مغلفة بغلاف خادع بغرض كسب عقل المسلم وقلب المؤمن ولكن هيهات.

اولئك الذين يحملون لواء «التنوير» المضلل والذين يلتمسون طريقهم في ظل ظلاميات طه حسين وسلامة موسى ولويس عوض انهم يصدرون الان من منطلق تنصيب طه حسين عميداً للأدب من جديد غافلين تمام الغفلة عن أن كل ما قدمته حركة الغزو الفكرى والتغريب قد تَهَدَّمَ ودُمر وكشفت الاقلام الشريفة عن أخطائه وسمومه.

وهم ينسون ويتجاهلون موجة المدّ الاسلامي التي نشرت ألويتها في العالم كله واستمدت طريقها من القرآن الكريم والسنة المشرفة وأقامت أعمدتها في كل مكان.

ولم يعد أحد يستطيع أن يتصدر ليحمل لواء الدعوى للشك الفلسفى

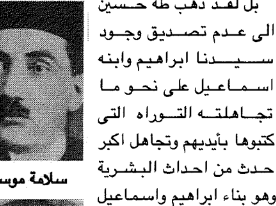
والتشكيك في نصوص كتب التاريخ والادب على النحو الذى فعله طه حسين وجماعته قبل سبعين عاما.

ولا يُشَرِّف الدكتور طه أو اعوانه بعد سبعين سنة صدور كتاب بديل للشعر الجاهلى (وبعد مصادرة الكتاب الاول) ذلك لان القضية الكبرى التى حاول طه حسين ان يحمل لواءها هى قضية التشكيك في مصدر أصيل من مصادر فهم القرآن الكريم وتفسيره وهى قضية الشعر الذى حمل كلمات جاءت في القرآن من بعد وفسرت مفاهيمه.

ولم تكن القضية اساساً الا محاولة من الاستشراق والتغريب الى هدم هذا النص الذى يخدم منهج القرآن الكريم بعد ما قال العرب ان الشعر القديم يناصر بيان القرآن ويخدمه فاذا جاء مرجيلوث ليشكك فى هذا الاتجاه ويعتمد على بعض الكتب القديمة فان طه حسين استعان بالشعر في سبيل التشكيك في الحق.

واذا جاء اليوم من يقول ان طه حسين لم يعتمد على مرجليوث وإنما اعتمد على رينان فان الامر بالنسبة لنا نحن المسلمين واحد.

لقد بلغ بطه حسين الأمر أن دعا طلبته في كلية الاداب الى نقد النص القرآنى والقول بأن هذا ضعيف وهذا غامض، وكان قد سبق ذلك بالدعوة الى دراسة الكتب القديمة وقال إن الاوربيين ينقدون التوراة وعلى العرب ان ينقدوا القرآن، فهل غفل طه حسين عن أن القرآن من عند الله وان التوراة المعاصرة من عند البشر، الذين كتبوها من الاحبار، ولقد عمل طه حسين على نصرة مفاهيم الأحبار والرهبان ومحاولة تطبيقها على الاسلام والقرآن.


د. طه حسين

سلامة موسى

بل لقد ذهب طه حسين الى عدم تصديق وجود سيدنا ابراهيم وابنه اسماعيل على نحو ما تجاهلته التوراه التى كتبوها بأيديهم وتجاهل اكبر حدث من احداث البشرية وهو بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الكعبة المشرفة.


لويس عوض

ولقد ذهب العلمانيون والتنويريون - كما يسمون أنفسهم - الى أبعد حد أن أعادوا طبع كتاب (الشعر الجاهلي) الذى صادرته الجامعة وذلك ليذيعوا تلك السموم التى نزعها طه حسين اخيرا من كتابه (الادب الجاهلي) **وقد قطع الادباء في عصره أن طه حسين لم يوفق في المآخذ ولم يبرأ من السقاط (كما قال المازنى).**

** ديكارت اتخذ الشك موصلا لليقين.. وطه حسين اتخذ الشك للشك ذاته

** التنوير حمل رايته من دعوا لهدم الدين والخلق


مصطفي صادق الرافعي

اما مصطفى صادق الرافعي فقد حمل لواء الكشف عن زيف طه حسين، وفي مجلس النواب كانت كلمات النواب كلها تكشف عن جرأة طه حسين الشديدة على الدين، **وقال السيد مصطفى القاياتي:**


أبراهيم المازني

أريد أن أقول لأقوام لا يرون رأينا ويدعون ان البحث امر واجب حر، انه لا يجوز لنا ان نقيد حرية الناس في ارائهم، نقول لهم اننا لا نقيد حريتهم في عقائدهم ولكنا نقيد اراء تلقن لاولادنا وتشاع على افراد الامة ما بين متعلم وغير متعلم.

ولما اتسعت دائرة الكشف عن هدف طه حسين قال **سعد زغلول** رئيس مجلس النواب اذ ذاك: **إن مسألة كهذه لا يمكن أن تؤثر فى هذه الأمة المتمسكة بدينها اي أثر، هبوا أن رجلا مجنونا يهذى في الطريق فهل يُغَيّر في العقلاء شيئاً من ذلك، ان هذا الدين متين وليس الذى شك فيه زعيما او إماما حتى نخشى من شكه على العامة** (الاهرام ١٩٢٦/١١/٧).

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل لقد الفت كتب كثيرة في الرد على طه حسين منها:

- **نقد كتاب الشعر الجاهلى** ١٩٢٦ - محمد فريد وجدي.
- **نقض كتاب الشعر الجاهلي** ١٩٢٦ - محمد الخضر حسين.
- **تحت راية القرآن** - لمصطفى صادق الرافعى.
- **الشهاب الراصد** - محمد لطفي جمعة ١٩٢٦.
- **محاضرات في بيان الاخطاء العلمية والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب الشعر الجاهلي - محمد الخضري.**
- **النقد التحليلى لكتاب الادب الجاهلي** - محمد احمد الغمراوي.

وقد كشفت هذه الدراسات عن كثير من أخطاء طه حسين:

قال الاستاذ لطفى جمعه «**إن منهج ديكارت خاص بالرياضيات والطبيعيات والميكانيكا، ولذلك فهو بعيد كل البعد عن الغيبيات**، وقال **ان ديكارت اتخذ الشك وسيلة الى اليقين أما عند طه حسين فهو لذة ورضا الى ان الشك للشك**، ثم اصبح يقول طه عن المجددين: - خلق الله لهم عقولا تجد في الشك لذة وفي القلق والاضطراب رضا - كما ان **الشك عند طه حسين ليست غايته الاطمئنان وانما هدفه الانكار».**

وقال لطفى جمعة ان الشك ليس حكما فلا يرتاح اليه عقل الحكيم وبين لطفى جمعة ان ما يتعلق بالعقيدة لم يطبق عليه ديكارت منهجه.

وقال الخضر حسين انه يأخذ على طه حسين ثقته في القدماء واطمئنانه الى روايات ابى الفرج الاصفهاني والنقل عنه ومعنى هذا **ان طه حسين ليس جاداً في استخدام منهج ديكارت او غيره وانما كان يلتقط من الكتب والروايات التى تعزز رأيه وتخدم قضيته بصرف النظر عن الشك أو المنهج.**

**** بداية هذا القرن شهدت هجوماً شديداً على المسلمين وأهل الشرق بعامة**

ومن هنا قال الرافعى ان طه حسين لا يبحث كما يدعى وكما هو الاصل في ديكارت وانما يقرر تقريرا وشتان بين بحث يراد منه

ما ينتجه من غير تعيين لنتيجة محتومة ومن تقرير النتيجة التى يساق لها البحث وتجمع لها الادلة.

ويرى محمد فريد وجدى أن طه حسين كان يرتب المقدمات ويتسامح في درس علل الحوادث على الاسلوب العلمى ويخالف العرف وطبيعة الاشياء لخدمة غرضه الادبى. واتهمه ناقدوه بأنه يبتر النصوص القديمة ويلوى مسارها ويعكس مفاهيمها وقد ضرب له الخضر حسين والرافعى أمثلة تؤكد نقدهم لطه حسين.

وأخذ عليه الغمراوي كثرة الافتراضات والبناء عليها وهذا يجافى الطريقة العلمية.

وهل يمكن أن يكون الظن من مقومات الطريقة العلمية قال طه حسين: عن ابي عمرو الشيباني: «اكبر الظن انه كان يؤجر نفسه للقبائل يجمع لكل واحدة منها شعرا يضيفه الى شعرائها واتهم طه حسين الرجل وليس في يده سند او وثيقة واتخذ له وظيفة مع انهم كانوا يثقون به على حد قول الخضر حسين، لقد تحول الظن الى يقين علمى عند طه حسين.

لقد انهال النقاد على (المنهج) حتى تمزق وتهرأ وصار كالغربال به من الثقوب اكثر مما به من الخيوط، ومن أدلة طه حسين على نحل الشعر الجاهلى ما ذهب اليه من ان اللغة الجنوبية القحطانية كانت غير اللغة الشمالية العدنانية وان الشعر الجاهلى الذى وصل الينا كله مكتوب باللغة الفصحى اي الشمالية فكيف كتب شعراء اليمن شعرهم وهم من الجنوب، ولو صح هذا التعليل لحقق طه حسين فوزاً ولكن خاب سعيه فقد أعد له لطفى جمعة عبر عشرات الصفحات بيانا علميا معززاً بالوثائق وباراء المتخصصين في الفيولوجيا والاثريين واثبت أن اللغة العربية (اى العدنانية) ظهرت على أثر اندثار القحطانية قبل ظهور الاسلام اي ان العرب كانوا يتكلمون لغة واحدة قبل البعثة النبوية. ولو كان طه يعرف هذا ما قال ان الرواه نظموا بلغه عدنان شعراً ونسبوه الى شعراء من قحطان.

عباس محمود العقاد



شوقى ضيف

وهذه النتيجة التي وصل اليها لطفى جمعة عام ١٩٢٦ قال بها العقاد عام ١٩٦٠ في (اللغة الشاعرة) حيث قال: وكانت وحدة اللغة من مقدمات الدعوة الاسلامية التى خاطبت الغرب جميعا بلسان يعرفونه من قبل عصر الاسلام كما قال ذلك شوقي ضيف تلميذ طه حسين وهكذا ضاع جهد طه حسين في هذه القضية.

وتدل كل المراجعات التي قام بها الاساتذة الكرام عن أن طه حسين لم يراجع الكتب التي انتقدته.

يقول الاستاذ احمد حسين الطحاوى .الذى نقلنا عنه هذه الشذرات) **كان على الذين احتفلوا بمرور سبعين سنة على صدور كتاب (في الشعر الجاهلي) أن يحتفلوا أيضا بالنقاد النين تصدوا له وقوموا مادته وصححوا أخطاءه.**

فإذا رجعنا الى مناقشة النيابة لطه حسين وجدنا: ان الاستاذ

**** المستشرقون خَرَّجوا على أيديهم من أبناء الشرق من حمل رايتهم**

محمد نور وكيل النيابة ركز على أربع مسائل أساسية:

الاولى: ان طه حسين عمد الى تكذيب القرآن الكريم في إخباره عن ابراهيم واسماعيل.

الثانية: زعم المؤلف أن القراءات السبع لم تنزل من عند الله وانما هي نتيجة لاختلاف اللهجات حيث قرأتها العرب بحسب ما استطاعت.

الثالثة: طعن المؤلف في حقيقة نسب الرسول الكريم.

الرابعة: ان الاستاذ المؤلف انكر ان للاسلام اولية في بلاد العرب وانه دين ابراهيم.

وقد ناقش محمد نور ما كتب طه حسين وعارضه ، وطالب طه حسن ان يقدم المراجع التى نقل منها هذه المفاهيم المغلوطة فكان رد طه حسين: أنا لا أقدم شيئا.

وقد عمل محمد نور على تقديم الحجج العلمية في تحقيق النيابة واثبت من وجهة نظره خطأ ما كتبه طه حسين.

ويقول في النهاية: وجدت انه مما تقدم يتضح ان غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتصدي للدين بل ان العبارات الماسة بالدين التى اوردها في بعض المواضع من كتابه قد أوردها في سبيل البحث العلمي وحيث انه من ذلك يكون القصد الجنائي غير متوافر فلذلك تحفظ الاوراق اداريا.

هل يمكن ان تقدموا المصادر أو الأدلة على كل ما ذكرتم .

قال طه حسين: أنا لا أقدم شيئا!!

ولقد كان اخطر ما في كتاب الشعر الجاهلي مقولة طه حسين الخطيرة **«للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللانجيل ان يحدثنا عنهما وللقرآن ان يفعل ذلك ولكن هذا لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخي ولا ينهض عليه دليل».**

وكان هذا اخطر ما قاله طه حسين بجوار مقولاته الاخرى.

ولقد كانت محاولة العودة الى احياء (الشعر الجاهلي) مرة أخرى بعد سبعين عاما ـ كانت وبالا على التقدميين فانهم لن يستطيعوا أن يدافعوا عن الاتهامات التى نشرت مرة أخرى اليوم حيث نجد أن اصحاب الاصالة اصبحوا قادرين على دحض هذا الفكر المسموم.

يقول الدكتور احمد درويش: ينبغى أن نؤكد أن طه حسين نفسه قد تراجع عما جاء فى هذا الكتاب في الحواريات التى دارت بينه وبين علماء عصره.

وتبقى فكرة الجرأة في البحث الادبي امام التراث. وكانت فكرة طه حسين في الاجتراء على الجانب الديني هي التي جعلت الامور اكثر وضوحا .

وقد اشار عبد الرحمن بدوي في كتابه عن اعمال المستشرقين **ان كل ما اورده طه حسين عن الشعر الجاهلي كان من عمل هؤلاء المستشرقين.**

والواقع ان كتاب (في الشعر الجاهلي) والادب الجاهلي الذي ظهر بعد مصادرة الاول يكشفان عن هدف أبعد كثيرا من مسألة الشعر العربي والحميرى، وانما كانا يهدفان إلى تقديم مجموعة

** (في الشعر الجاهلي) مغالطات وافتراء على القرآن واللغة

** قبل سبعين سنة أصدر علماء المسلمين حكمهم على كتابات طه حسين، فلماذا تعاد طباعتها الآن..؟!!

من السموم من داخل البحث المسمى بالعلمى ومنها الادعاء بان العرب افادوا من اليهود ومنها مقولة ضد الرسول {صلى الله عليه وسلم} ونسبه الشريف، واخطر من ذلك كله فتح الباب امام طلاب الجامعة في نقد القرآن الكريم على النحو الذى قدمه طه حسين (راجع كتابنا محاكمة فكر طه حسين).

ومن ناحية اخرى اكد الشيخ احمد حسن مسلم عضو مجمع البحوث الاسلامية ولجنة الفتوى في الازهر **ان كتاب (الاسلام واصول الحكم) ليس من تأليف الشيخ على عبد الرازق كما زعم العلمانيون والشيوعيون وانصار حركة التنوير المزعومة ولكن من تأليف طه حسين** وان هذه الشهادة جاءت على لسان الشيخ على عبد الرازق نفسه، وقد أصدر الشيخ مسلم بيانا مسماه (بيان للناس) جاء فيه تفصيل كامل لهذه الشهادة مفاده انه بعد صلاة الشيخ مسلم والشيخ عبد الرازق معا وبعد الخشوع في الصلاة قال الشيخ مسلم أن الشيخ على عبد الرازق قال له بالحرف الواحد:

إننى لم اقم بتأليف هذا الكتاب وانما الذى ألفه صديقنا الدكتور طه حسين واوضح الشيخ مسلم ان الشهادة أودعها مجمع البحوث الاسلامية لتكون وثيقة للتاريخ حول كتاب الاسلام واصول الحكم.

وهذا الخبر هو في الحقيقة اضافة جديدة اريد بها اضافة حلقة جديدة من حلقات الربط بين على عبد الرازق وطه حسين وفي نفس الوقت الربط بين الشعر الجاهلى والاسلام واصول الحكم.

أما الدعوى بأن المحقق محمد نور قد برأ طه حسين من التهمة فهو ليس صحيحا، انما الصحيح ان محمد نور أريد منه ان يقفل الملف فقدم الاتهامات وحولها من عقوبة الاتهام الى ما يسمى (القصد الجنائي غير متوفر)، اما الاتهام فهو واضح وقد كشف محمد نور في بيانه عن كل اكاذيب طه حسن في كتاب الشعر الجاهلي، ونص العبارة التى ختم بها وكيل النيابة التحقيق: (ان الباحث حذا في بحثه حذو العلماء من الغربيين (يقصد المبشرين والملاحدة) ولشدة تأثر نفسه بما اخذ عنهم قد تورط في بحثه حتى تخيل حقا ما ليس بحق او مازال فى حاجة الى اثبات انه حق فكان يجب عليه ان يسير على مهله وان يحتاط في سيره حتى لا يضل ولكنه اقدم بغير احتياط فكانت النتيجة غير محمودة).

ومعنى هذا ان الجناية والتورط والضلال والمساس بالدين متوافر ولكن القصد الجنائى غير متوافر ويذكرنى الدكتور محمد عمارة بأن طه حسين في عام ١٩٤٧ أعلن انه شكك في عقائد اسلامية جاءت في القرآن الكريم وذلك حين قال:

«لقد انتهيت الى رفض قدر كبير من الشعر الجاهلى وفي اطار هذا المسعى شككت في بعض المعتقدات التى ذكرت في القرآن او في الاحاديث النبوية وكانت الصدمة قاسية والاستنكار واسع النطاق».

التقدم والانتماء ف

في دراسة سابقة تناول الأستاذ الدكتور محمد عمارة بالتحليل والنقد مجموعة من افتراءات ومغالطات الدكتور نصر أبو زيد في كثير من معطيات التشريع الإسلامي، وأوضح أن الدكتور (أبو زيد) نتاج توجه خاطيء ـ وهذا التوجه على قلة أفراده ـ يملأ الساحة ضجيجا.

وهذه الدراسة (في الانتماء الثقافي) يتتبع فيها الدكتور عمارة معالم ومرتكزات (الانتماء الثقافي) للأستاذ عبد الله النديم من خلال مجلته (الأستاذ) إذ كان للنديم دوره الواضح في تثبيت ركائز الحضارة الإسلامية في مواجهة الغزو الاستشراقي ومعاونيه من أبناء البلاد الإسلامية.

والمنهل يكرر الشكر موصولا للاستاذ الدكتور عمارة على تواصله الفكري والعلمي الدائم مع منهله وقرائه.

ـ المنهل ـ

في الانتماء الثقافي

(١ ـ ٦)

بقلم المفكر الاسلامي:

أ.د. محمد عمارة

منذ مائة عام سنة ١٨٩٦م ـ توفي عبد الله النديم (١٢٦١ ـ ١٣١٣هـ/ ١٨٤٥ ـ ١٨٩٦م) توفي ـ منفيا ـ في الآستانة، بسبب عدائه للاحتلال الانجليزي لمصر، ودوره في الثورة العرابية.. وعندما توفي واراه الثرى أستاذه جمال الدين الأفغاني ـ الذي لحق به بعد عام.

وفي فكر عبد الله النديم، وما كتب عنه من دراسات، نجد «السياسى» قد ظلم «الثقافي» ظلما شديدا.. فالرجل كان واحدا من أبرز مفكرى ومثقفي تيار الجامعة الاسلامية ـ الذى قاده الأفغانى ـ لكن دوره المتفرد في الثورة والسياسة قد لفت الأنظار عن اسهامه الفكرى والثقافي.. حتى إن الكثيرين لا يعرفون أنه واحد من طلائع مثقفينا الذين كتبوا عن «التقدم» وعن «الانتماء».

وعندما يكون موضوع هذه الصفحات عن «الانتماء الثقافي للنديم».. فإن أول ما يجب هو تحرير مضامين المصطلحات.

* **فالانتماء**: هو الانتساب، الذى يجسد خيوط الولاء التى تشد الإنسان المنتسب إلى ما ينتسب إليه، فيرتبط به، وينجذب إليه، ويخلص له الولاء والانتماء.

* **والثقافي**: نسبة إلى الثقافة ـ التى هى جماع المهارات التى تثمر عمران النفس

الإنسانية وتسهم في تهذيبها ـ تثقيفها ـ وارتقائها على درب المثل والمقاصد والنماذج التى صاغتها وتصوغها العقائد والفلسفات التى يؤمن بها هذا الإنسان.. فهي ـ الثقافة ـ مع «المدنية» التى تمثل عمران «الواقع» جماع الحضارة والعمران.

* والحديث عن الانتماء والانتساب والولاء الثقافي لعبد الله النديم، لابد وأن يحدد موقع انتمائه الثقافي إزاء:

أ ـ الوافد الثقافي الغربي ـ الذى فتحت أمامه الأبواب، في عصر النديم، أكثر من ذى قبل.

ب ـ وإزاء موروثنا الفكرى والثقافي، وتيارات هذا الموروث.

جـ ـ وموقع النديم ـ ولاء وانتماء ـ من دوائر الانتماء الثقافي:

١ ـ الوطنية: التى كانت تمثلها مصر.

٢ ـ الدائرة الشرقية: والتى كانت تستخدم فى أدبيات ذلك العصر، للدلالة على الدائرة الاسلامية، وما في أوطانها الشرقية من أجناس وأقوام، ومن ملك وأديان.

٣ ـ الدائرة الجنسية: التى تحدد حدودها الأعراق.

٤ ـ الدائرة العثمانية: الجامعة لأقوام وملل شرقية متعددة.

أين كانت ثقافة النديم من هذه الدوائر والمؤثرات والمرجعيات؟؟.

* ولقد اعتمدت هذه الدراسة واحدا فقط من الآثار الفكرية للنديم كي يكون الديوان الذى نكتشف فيه ومنه انتماءه الثقافي.. وهو مجلة (الأستاذ).

ولم يكن سبب الوقوف عند (الأستاذ)، دون غيرها من صحف النديم وكتبه، بسبب حجم الدراسة ـ الذى قد يقتضى الاقتصاد ـ غير المخل ـ في المصادر.. وإنما كان الاكتفاء بهذا المصدر ـ مجلة (الأستاذ) ـ مؤسسا على العديد من الأسباب.

١ ـ فمجلة (الأستاذ) هى آخر الأعمال الفكرية لعبد الله النديم، وفيها تجسد الموقف الأخير الذى انتهت إليه وختمت به رحلته الثقافية، التى حفلت بالمراحل والأطوار والمواقف والآراء.

٢ ـ وفيها تمثلت مرحلة نضجه الفكري، حتى إنه يسمي أعداد ـ أجزاء ـ هذه المجلة ـ فى آخر مقالاته بآخر أعدادها ـ يسميها «أجزاء كتاب العبر، وباب المبتدأ والخبر»[١]؟!

٣ ـ وعلى صفحات هذه المجلة تناثرت خلاصات تأملاته فى سنوات اختفائه العشرة.. بل لقد كان نشر هذه المجلة لخلاصات موضوعات المؤلفات العشرين التى كتبها النديم في فترة اختفائه واحدا من مقاصد إصدار هذه المجلة.. يعلن عن ذلك شقيقه «عبد الفتاح النديم الإدريسى» في العدد الأول من (الأستاذ) فيقول: «والحامل لي على فتح هذه الجريدة[٢]، أني رأيت شقيقي الفاضل السيد عبد الله أفندي النديم، المنشيء الشهير، قد مضى مدة اختفائه مشتغلا بوضع كتب لا تخلو من الفوائد.. فاستأذنته في نشرها.. ومع كوني اتخذت هذه المؤلفات مادة للجريدة، فإنى وكلت تحرير مطالبها وترتيب رسائلها لقلمه[٣]».

ففي مجلة (الأستاذ) خلاصة مؤلفات

النديم، والآراء التى ختم بها مرحلة جهاده الفكرى، بعد حقبة الاختفاء.

٤ - ويزكى هذا الاختيار لهذا المصدر، أيضا، ما تميزت به حقبة صدور (الأستاذ) من بعد عن ملابسات الهياج الفكرى وثقافة الشعارات وصياغات التعبئة الوطنية الحادة التى تميزت بها وكان لابد أن تتميز بها مرحلة الثورة العرابية، ومقالات النديم أثناءها.

٥ - كذلك، كانت المواجهة - إبان صدور (الأستاذ) مع «الآخر الثقافي»، والوافد الفكرى الأوربي، حقيقة قائمة على أرض الواقع الثقافي - وليست مجرد احتمال - فكانت (الأستاذ) ميدانا من ميادين هذه المواجهة مع المنابر الثقافية والفكرية والسياسية التى مثلت «الآخر الثقافي» في ذلك التاريخ، وخاصة منبري (المقتطف) و(المقطم) اللذين تمثلت فيهما حملة التبشير بمذاهب الغرب وبالسياسة الاستعمارية.

٦ - ثم إن حجم هذا المصدر (الأستاذ) كبير، فصفحاتها تربو على الألف ١٠٣٢ صفحة.. الأمر الذى يجعلها - بمادتها الثقافية - وافية كل الوفاء بتحديد معالم الانتماء الثقافي لعبد الله النديم.

٨ - ويزيد من أهمية هذا المصدر، مكانته في ساحة الفكر والثقافة الشرقية - وليس فقط المصرية - في ذلك التاريخ.. فهذه المجلة الأسبوعية، التى لم يزد عمر صدورها عن عشرة أشهر[٤]، قد فاق انتشارها كل الصحافة المصرية في عصرها - جرائد كانت تلك الصحافة أو مجلات - يومية كانت أو أسبوعية أو شهرية تلك النشريات؟!.. فعلى حين كان توزيع (الهلال) الشهرى ٧٤٠ نسخة.. و(المقتطف) الشهري ١٣٠٠ نسخة و(المقطم) اليومى ١٤٥٥ نسخة و(الأهرام) اليومى ٢٧٧٥ نسخة، فإن توزيع مجلة (الأستاذ) قد بلغ ٢٨٤٠ نسخة، متفوقا على سائر الصحافة المصرية فى ذلك التاريخ!! فهي «ديوان» الانتماء الثقافي للنديم.. وهى أوسع دواوين الانتماء الثقافي - لمجتمعنا - انتشارا في تلك الحقبة المتميزة من حقب المواجهة بين ثقافتنا وبين الوافد الثقافي الأوربي.. الأمر الذى يرشحها مصدرا وافيا لدراسة موضوع هذه الصفحات.

الانتماء الثقافي.. والتقدم

كانت حياة النديم معركة في سبيل الاستقلال الوطني والتقدم الحضاري، تعددت فيها الآليات، وتمايزت «نبرات الصوت»، دون أن يغيب المقصد عن هذا المفكر السياسى المناضل في لحظة من اللحظات.

وفي الحقبة التى صدرت فيها (الأستاذ) في ظل حكم الاحتلال الانجليزى.. وتحكم اللورد كرومر (١٨٤١ - ١٩١٧م) كان النديم يتحايل، كي يواصل جهاده، بالإعلان عن أنه لن يخوض فى «السياسة» بمعنى «الإدارة»، «.. وأما فن السياسة، من حيث هو، فإنه يدخل في موضوعها العلمي، فإن علم التاريخ والأخلاق والعادات وتدبير الممالك ووحدة الاجتماع العالمى من الفروع السياسية» التى تدخل في صميم رسالة (الأستاذ)[٥] ومن هذا الباب لم تدع هذه المجلة ميدانا من ميادين المواجهة مع الاستعمار الانجليزي، ومع الوافد الثقافي الأوربي - الذى قامت له منابر ثقافية وإعلامية رعاها الاحتلال الانجليزى في مصر يومئذ - لم تدع (الأستاذ) ميدانا من هذه الميادين إلا وخاضت فيه.. ففي التصدى لسلطة الاحتلال المباشرة، استخدم النديم أسلوب «الرفق» لتحقيق الجلاء، وكتب يقول: «وبالرفق يستخرج الإنسان الحية من وكرها.. وفى الإشارة ما يغنى عن الخبر، فاعتبروا يا أولى الألباب!»[٦]، أما في الفكر والثقافة، فلقد كانت أعداد المجلة صراعا بين الانتماء الثقافي للنديم وأمته وبين الوافد الغربى الذى يبشر به «الأجراء» و«العملاء»!

ولهذه الملابسات، فإن حديث النديم عن الانتماء الثقافي للأمة، لم يكن لونا من ألوان «الترف الفكري»، وإنما كان سلاحا لمقاومة الاحتواء الاستعماري للأمة، وتحقيقا لشرط من شروط التقدم الحقيقي، الذي يخرج الأمة من مأزق «التخلف الموروث» و«الهيمنة الوافدة».

والنديم، الذي كتب دراسة ضافية عن أسباب تأخرنا وأسباب تقدم الغربيين، رغم أن «الخلق واحد» وجعل عنوانها: «بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد»؟![٧] .. ولعلها أقدم الدراسات في هذا الموضوع.. كان مهموما بقضية «التقدم»، باحثا عن عوامل التراجع الحضاري، وعن شروط النهضة .. ولقد امتدت بصيرته إلى الجذور التاريخية لتراجعنا الحضاري، ورصد من عوامله الداخلية:

أ - حكم التغلب وسلطان الاستبداد.

ب - وتجزئة السلطة وتشرذم الأقاليم في ديار الإسلام.

جـ - وتراجع سلطان العلماء وتأثير المؤسسات العلمية والتعليمية.

د - وضيق السلاطين بالحرية الفكرية، وتضييقهم على أرباب الأفكار الحرة وأهل الاجتهاد والتجديد.

وهي أمراض التخلف الداخلي، التى طرأت على حياتنا بعد حقبة ازدهار الحضارة الاسلامية، عندما «جاءت الدولة العربية وأطلقت حرية الأفكار، وجمعت العلماء من جميع الجهات، وترجمت كتب الأوائل الحكمية وغيرها، وفتحت بابا أغلقه الجهل قرونا طويلة. ثم انقضى دور الضخامة وتوحيد الكلمة، وجاء وقت المتغلبين، فتجزأت المملكة، وتصدى الثائرون لقتل العلماء وإحراق الكتب وهدم المدارس، فانطفأت أنوار العلوم الشرقية، وضيق ملوك الشرق على أرباب الأقلام»[٨]

وأبصر النديم دور التحديات الخارجية، التى جابهت المسيرة الحضارية لأمتنا، دورها في تنمية الأمراض الداخلية للتراجع الحضاري، وفي إطالة عمرها، والحيلولة دون الخلاص منها.. وعلى هذه الجبهة رصد تحديات الغزوة التترية، والحروب الصليبية.. ودورهما في استدعاء ودعم سلطات التغلب والاستبداد، وفي تراجع دور العلم وسلطان العلماء.. فبعد أن «انبثت روح العلم في المسلمين، وظهر منهم علماء الشريعة الغراء، والآليات، والرياضيات، والطبيعيات، وزينوا الدنيا بعلومهم، وملأوها بآدابهم، ومزقوا ثوب الجهالة والضلالة بسيف الدين والعلم. جاءت فتنة التتار، فقهرت سير المسلمين، وأوقفت التقدم العلمى. وأعظم منها فتنة الحروب الصليبية، التى غرست العداوة بين الملتين الإسلامية والمسيحية، ولاشت القوة العلمية بالقوة العدوانية، فأخذ العلم فى الانزواء ثم فى التلاشى بموت أهله وإقفال مدارسه وإحراق كتبه ونهبها»[٩]

عبدالله النديم



جمال الدين الأفغاني



الامام محمد عبده

وبعد الرصد لأسباب التخلف التاريخى، الداخلى منها والخارجي، نبه النديم على أن التقدم إنما يمثل حركة شاملة للنهوض، لابد فيها من تضافر «الملوك - والدول» و«العلماء وأرباب الأقلام والأفكار» و«الأغنياء وجمعيات وشركات التجارة والصناعة والزراعة».

فإذا كان «التأخر إنما جاء من تعميم الجهالة، بإغضاء الملوك عن وسائل التعليم،

والتضييق على أرباب الأقلام والأفكار، وبعد الأغنياء عن الجمعيات، وتقاعدهم عن ضروب التجارة والصناعة والزراعة، ورضاهم بالبقاء تحت أسر الشهوات».. فإن التقدم مشروط «بإطلاق الملوك حرية الأفكار والمطبوعات، تحت المراقبة، وبذل الأغنياء الذهب في حياة الصنعة، وتعميم المعارف في المدن والقرى، ومساعدة العلماء على الرحلة خلف حياة العلم، واجتماع كلمة الملوك والوزراء والأمم على السعى خلف التقدم، وبذلك يمكنهم أن يوقفوا تيار أوربا شيئا فشيئا حتى يضارعوها قوة وعلما»[١٠]

فلم يكن النديم داعية لمطلق «التقدم» ولا لأي «تقدم» وإنما هو هنا داعية «للتقدم الذى يوقف تيار أوربا شيئا فشيئا، وذلك بمضارعتها قوة وعلما».. ولهذه الحقيقة، التى ميزت التقدم الذى دعا إليه النديم، والتى ميزت وتميز الانتماء الثقافي الذى أفاض في الحديث عنه، جاء حديثه عن ضرورة تحديد «المرجعية .. والمبدأ» الذى تبني عليه الأمة أعمالها على درب التقدم، إخراجا لها وخروجا بها من الحيرة التى تعانيها إزاء التعددية في مرجعيات ومبادىء التقدم والنهوض.. «فرجال الشرق، أخذوا يحاكون أوربا.. وسعوا في جمع كلمتهم، وعقد الجمعيات لفتح مدارس العلوم والصنائع وتهذيب النفوس وتعميم الآداب، ولكنهم مع بقائهم على التفرق، وعدم اتخاذ مبدأ يبنون عليه أعمالهم، لا تزال الأيام تقيمهم وتقعدهم، وهم حيارى بين المقعد والمقيم»[١١]

ولم يترك النديم قارئه فى حيرة إزاء الانتماء الثقافى «للمرجعية.. والمبدأ» الذى زكّاه منطلقا للتقدم الذى دعا إليه.. فهو انتماء «للجامعة الشرقية» وثقافتها.. تلك التى رآها إطارا جامعا يضم تحت جامعه الأكبر العديد من دوائر الانتماء الفرعي، التى تتكامل في بناء نموذج ثقافى شرقى - متميز عن النموذج الثقافي الغربي - الذى صارعه النديم على صفحات مجلة (الأستاذ).

وقضية «التعددية» في دوائر الانتماء الثقافي، تبرز في كتابات النديم عندما يعرفنا بنفسه، فهو «عبد الله النديم، الإدريسي، الحسني، الأشعرى، الشافعى، الخلوتى، الاسكندري»[١٢].. ففيه تتعدد وتتكامل دوائر الانتساب والانتماء إلى الأسرة.. وإلى آل البيت من أبناء الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما.. وإلى الأشعرى - فى علم الكلام وأصول الدين.. وإلى الشافعى - في فقه الفروع - وإلى الخلوتية - في طرق التصوف - والى الاسكندرية - في الميلاد والنشأة.

وفي عناوين مؤلفات النديم تطالعنا هذه الحقيقة .. ففيها كتاب عن (وطنية الشرق) وكتاب (نحن وأنتم) عن تميز الشرق عن الغرب الأوربي .. وكتب عن التاريخ العربي والتراث الاسلامي.. ومن بين كتبه العشرين عشرة خالصة للإسلاميات[١٣].

أما مجلة (الأستاذ)، التى وصف أعدادها بأنها «أجزاء كتاب العبر، وباب المبتدأ والخبر»[١٤]، والتى كانت منبرا للرابطة الشرقية، فإنه يصفها بأنها «جريدة إسلامية»، تجاور «جرائد دينية مسيحية للبروتستانت»، وتصارع «جرائد الأجراء» المبشرين بالانتماء الثقافي للغرب - من مثل (المقتطف) و(المقطم)[١٥]!!

وإذا كان النديم قد بدأ حياته الفكرية والثقافية في صحافة تيار الجامعة الاسلامية، الذى بلوره وقاده جمال الدين الأفغانى .. وختم حياته بصحبة الأفغاني في الآستانة - حيث شيعه الأفغاني إلى مثواه الأخير - فإنه قد أعلن - فى مجلة (الأستاذ) - عن انتمائه لهذا التيار التجديدي، الذى سعى إلى تجديد دنيا المسلمين بتجديد دين الإسلام.. ففضلا عن إعادته نشر بعض مقالات (العروة الوثقى) لسان حال ذلك التيار[١٦] فإن حديثه عن

الأفغاني وعن الإمام محمد عبده شاهد على هذا الانتماء.. فهو يتحدث عن «السيد جمال الدين الأفغاني، الشهير، الغنى عن التعريف، الرجل الذى جرب الأمور، وساح الأقطار، وخالط الأمم، وداخل السياسيين، ودرس التاريخ الحاضر والماضى، وامتد باعه في العقليات، فأصبح أمة وحده بين ذوى الفضل - الأمر الذى دعا مولانا الخليفة الأعظم لاستدعائه وإدخاله فى لفيف العلماء الخاص بمجلسه العالى، فقد أهلته المعارف والتجارب والمخالطة العامة لسامرة الملوك والنظر في السياسات العالية، وهذا كله من فضل السيد الأعظم، حفظه الله تعالى[١٧].

فإذا كان السلطان وأمير المؤمنين - عند النديم - هو «الخليفة الأعظم» فإن «السيد الأعظم» هو جمال الدين الأفغاني؟!.. وهو يكتب ذلك في ظل الاحتلال الانجليزى، يوم كان الانتساب للأفغاني من كبائر المحرمات!.

أما تقدير النديم للإمام محمد عبده - وهو أبرز تلاميذ الأفغاني.. وأعظم مهندسي صرح التجديد الاسلامي في مدرسة الجامعة الاسلامية وللكتاب والمفكرين الذين تكونت منهم مدرسة النهوض بالعربية والتجديد لأساليب التحرير بها - فإنه يتجلى من وصف النديم الذى يقول فيه: «أفضل الفضلاء، وإمام محراب الانشاء، الأستاذ الشيخ محمد عبده، والجهابذة المتفننين، والكتبة المقتدرين: حسن بك حسنى، وابراهيم أفندى على اللقانى، وإبراهيم أفندى الهلباوي، وحسن أفندى الشمسى، وأحمد أفندى سمير، ووفا أفندى محمد، وسعد أفندى زغلول، والطيب الذكر أديب أفندى اسحق، وغيرهم من الفضلاء الذين عرفتهم الأقلام بما أودعوها من أسرار الإنشاء وضروب التحرير[١٨].

وهى أوصاف شاهدة على موقع فكر أعلام هذه المدرسة من مدارس الإحياء والتجديد الاسلامى في الانتماء الثقافى لعبد الله النديم.

ففي إطار «الجامعة الاسلامية» والتى كثيرا ما سميت «الجامعة الشرقية» و«الرابطة الشرقية»، كان الانتماء الثقافى للنديم.

وفي إطار هذا «الجامع الأكبر.. والأول.. والأشمل» رأى النديم تعدد وتكامل دوائر الانتماء الثقافي، إن على مستوى الفرد.. أو الوطن.. أو الجنس.. أو الأمة.. أو دولة الخلافة، التى كانت تجمع، يومئذ، العديد من دوائر الانتماء.

- للدراسة صلة -

الهوامش:

(١) الأستاذ. العدد الثاني والأربعون ص ١٠٣١

(٢) كان عبد الله النديم «محرر الجريدة» وكان شقيقه «مدير الجريدة».

(٣) الأستاذ - العدد الأول ص٣.

(٤) صدر العدد الأول: الثلاثاء أول صفر سنة ١٣١٠هـ - ٢٤ أغسطس ١٨٩٢م - وصدر عددها الأخير - الثاني والأربعون يوم الثلاثاء ٢٨ ذى القعدة ١٣١٠هـ - ١٣ يونيو ١٨٩٣م.

(٥) الأستاذ - العدد الاول ص ٢، ٣.

(٦) المصدر السابق - العدد الثاني والعشرون ص ٥٢٨، ٥٢٩.

(٧) المصدر السابق - العدد الخامس عشر ص ٣٣٧ - ٣٥٢.

(٨) المصدر السابق - العدد الخامس عشر ص ٣٤٨.

(٩) المصدر السابق - العدد الحادى والثلاثون ص ٧٣٠.

(١٠) المصدر السابق - العدد الخامس عشر ص ٣٥٢.

(١١) المصدر السابق - العدد العشرون ص ٤٦١، ٤٦٢.

(١٢) المصدر السابق - العدد الحادى والأربعون ص ٩٩٩.

(١٣) المصدر السابق - العدد الثاني والأربعون ص ١٠٢٥، ١٠٢٦.

(١٤) المصدر السابق - العدد الثاني والأربعون ص ١٠٣١.

(١٥) المصدر السابق - العدد الرابع والثلاثون ص ٧٩١، ٧٩٢.

(١٦) المصدر السابق - العدد الثامن والثلاثون ص ٨٩٧ - ٩٠٥.

(١٧) المصدر السابق - العدد السادس والثلاثون ص ٨٦٨، ٨٦٩.

(١٨) المصدر السابق - العدد التاسع والثلاثون ص ٩٣٨.

إعلام

مفهوم الإعلام

إن المهتم بالإعلام الإسلامي من خلال الخطاب القرآني يجد أن هذا الأخير قد وضع المباديء والأصول والقيم، وهي لا تغني عن البرامج والخطط التي تبصر المتغيرات، وتدرك أبعاد الخطاب ومقاماته في كل زمان ومكان.

وقد نكون اليوم أكثر من أي وقت مضى في حاجة إلى القيام بالمراجعة للخطاب الإسلامي في الدعوة والإعلام، وخاصة في هذه المرحلة بالذات حيث السقوط الحضاري والثقافي والسياسي والاقتصادي للمقولات العالمية التي كانت تشكل أمل الفقراء، والتي تولدت نتيجة الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي فجاءت لتعالج أزمة الإنسان فعالجت الإنحراف بانحراف أشد.

فالاعلام - كما هو معلوم - هو إيصال المعلومة، وعملية التوصيل هذه تتركب من مجموعة من العناصر: عنصر يتعلق بالمعلومة نفسها من حيث صحتها وخطئها، وعنصر يتعلق بالناقل المُعْلِم: خصائصه وصفاته وقدرته على الإبانة، واستشعاره المسؤولية تجاه ذلك. وعنصر يتعلق بالمتلقي: تاريخه، وثقافته وواقعه وعمره الثقافي ومدى ملاءمة المعلومة لعمره العقلي إلى جانب السياسة المرسومة وعملية التحكم التي تخضع لها العملية الإعلامية[1].

بقلم:
د. عبدالسلام بنهروال
شعبة الدراسات الإسلامية
- الجزائر -

لا يوجد إعلام بدون رسالة يحملها إلى العالم، بل الإعلام هو الرسالة في الحقيقة التي تؤمن بها الامة، وتجتهد في إبلاغها، فالاعلام هو السفير، وهو المعبّر عن الصورة الحقيقية للرسالة الإسلامية، وهو الذي يحمل القيم والاخلاق الاسلامية، ويحمل النظرية والنموذج، والمثل الأعلى إلى العالم، يدلل على صدقها، ويثير الاقتداء بها بمختلف الوسائل ويحاول أن يفيد من كل التقنيات الإعلامية الحديثة، ويضبط مضامينها بالقيم الاسلامية، ويحسن توظيفها لخير البشرية والحاق الرحمة بالناس استجابة لقوله تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

فالإعلام الإسلامي قضية أشمل من صفحات دينية معزولة ومحكومة في جرائد ودوريات أو أحاديث وخطب رتيبة في إذاعة وتلفزيون. وتكتسب المطالبة بايجاد البديل الاسلامي في ميدان الاعلام بجانبيه النظري والتطبيقي أهمية بالغة لما تتمتع به وسائل الاتصال اليوم من مكانة خطيرة في توجيه عقليات الناس، وتشكيل سلوكهم في الحياة، في عالم تَحَوَّل الى قرية كونية قصرت وسائل الاتصال الاليكترونية المسافات بين أجزائه، وربطت شبكة معقدة من الاتصالات بين دوله وشعوبه بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الانسان كله.

من هذه المقدمة نخلص إلى بعض التساؤلات الحيوية حول الاعلام الاسلامي ومفهومه ودوره ومسؤوليته في وقت نحن في أمس الحاجة إلى جلاء صورته وتحديد معالمه، والكشف عن كنوزه وذخائره، والتخطيط من أجل تحويله الى واقع حي يتعاذى

ى المنظومة الاسلامية

فيه القول مع الفعل، وتتلاحم فيه النظرية بالتطبيق وهي كالتالي:

لماذا نحتاج إلى الاعلام الاسلامي؟ وما هو الاعلام الاسلامي الذي نريد؟ وكيف نصل اليه؟

تستند المطالبة بأسلمة الاعلام وصياغته صياغة إسلامية إلى المبررات الاتية:

١ - مبرر منطقي:

وهو أن الاسلام جاء ليكون منهجا شاملا للحياة كلها بجميع جوانبها ومجالاتها وقد رسم الاسلام للانسان معالم لنظمه الاجتماعية المختلفة لتتوافق هذه النظم مع الغاية الرئيسية لوجوده، وهي خلافته عن الله في الارض لعمارتها. وارتباط المسلم باسلامه ليس ارتباطا عاطفيا روحيا وحسب، بل هو ارتباط واقعي عملي من خلال تطبيق شرائع الاسلام وهديه وتعاليمه السامية، وتوجيهاته الربانية في مجموعة من النظم الاسلامية التي حكمت حياة المسلمين في شؤونهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمدنية والعسكرية.

٢ - مبرر واقعي:

ويتجلى في كون المسلمين يواجهون في مختلف الاقطار غزوا فكريا وثقافيا، وحضاريا رهيبا، ولم يعد هذا الغزو الحضاري الشامل مقصورا على الوسائل التقليدية للغزو من كتب استشراقية، أو مذاهب هدامة، أو مؤامرات استعمارية مكشوفة، وانما أصبح يستخدم وسائل جديدة أو أساليب جديدة تعبر إلى الاجيال الصاعدة بل الى العقول المثقفة عن طريق الخبر الذي تبثه وكالة الأنباء، والتحليل السياسي أو الاقتصادي الذى تكتبه الصحيفة، والصورة التي ترسلها الوكالات المصورة، وعن طريق الافلام المدهشة، وتعبر كذلك عبر النظريات المدسوسة في مناهج التربية والتعليم معللة بدعاوى العلم والتقدم، والاكتشافات الحديثة[٢].

> **الارسال الفضائي أصبح متاحاً في كل بيت بكل ايجابه وسالبه منهجية الإسلام في السلوك والخلق ينبغي ان تتبعها منهجية مماثلة في الإعلام**

إن هذا الغزو الحضاري الرهيب - بمختلف صوره - يعمل على زعزعة مبادىء الاسلام وقيمه، وهدم اخلاقياته ومثله في نفوس أبناء المسلمين لينشأوا في غربة عن دينهم وحضارتهم وتراثهم ويصبحوا فريسة سائغة للأفكار الغربية، ولنمط الحياة الغربية بكل ما فيها من انحرافات عبر مجموعة من الصور، ولا مفر من مواجهة هذا الغزو مواجهة صحيحة، وذلك بتطوير استراتيجية محكمة تعتمد على هدفين اثنين:

الأول: توجيه الإعلام في الدول الاسلامية نحو الأصالة والذاتية النابعة من قيم الاسلام ومبادئه، وتوفير الجو الملائم، والدعم المناسب لصنع

البدائل الاسلامية التي تقف في مواجهة ما يقدمه الغرب.

الثاني: تنقية الاعلام - الى جانب التعليم - من المؤثرات العلمانية والالحادية وتفنيد ما تقدمه وسائل الاعلام الغربية من انحرافات. وهذه المواجهة الواقعية للغزو الفكري والثقافي في صورتها الشاملة المتكافئة لن تتحقق إلا عندما تتبلور في أذهان المسلمين الصورة الحقيقية للاعلام الاسلامي.

ما هو الإعلام الاسلامي الذي نريد؟

تختلف نظرات الناس حول الاعلام الاسلامي ما بين النظرة الجغرافية، والنظرة التاريخية، والنظرة الواقعية التجزيئية.

فالنظرة الجغرافية تفهم الاعلام الاسلامي على اعتبار أنه صادر عن دول العالم الاسلامي، أو الجهات التي تنتسب إلى الاسلام، وتكاد تكون هذه النظرة هي السائدة في الدراسات الأجنبية عن الاعلام الاسلامي، ولذلك تصنفه في إطار العالم الاسلامي بمفهومه الجغرافي الرسمي دون تمييز في المنهج أو الغاية أو الممارسة.

والنظرة التاريخية للإعلام الاسلامي تكاد تحصره في إطار زمني ضيق، وترى أنه مفهوم تراثي وممارسة محدودة في فترة زمنية معينة مثل تلك الدراسات التي تتناول الاعلام ووسائلة في عهد النبوة، أو الخلفاء الراشدين.

أما النظرة الواقعية التجزيئية للاعلام فتستند الى صور الممارسة الواقعية لبعض جوانب الاعلام الاسلامي في حدود الصفحات الدينية، وركن المفتي، والخطب المنبرية في الصفحات اليومية والاسبوعية، ورغم أن هناك بعض جوانب الصحة في هذه النظرات المختلفة للاعلام الاسلامي، فإنها لا تعبر عن حقيقته وشموله وتكامله، ولا تمثل جوهره الاصيل.

والحق ان الاعلام الاسلامي ليس مرتبطا بفترة زمنية معينة وليس محدودا ببقعة مكانية محدودة، بل هو منهج يتجاوز حدود الزمان والمكان ويحمل في طياته بذور الملاءمة لكل زمان ومكان[٣].

ومما يشكل خطرا على الاعلام الاسلامي الازدواجية والتناقض في الوسيلة الواحدة فضلا عن وجودهما في الوسائل المتعددة، حيث تستمع مثلا إلى برنامج ديني يحث على الفضيلة، فيعقبه مباشرة برنامج آخر يغري بالرذيلة، أو أغنية ماجنة تزين السقوط بصورة جذابة مشوقة، وتشاهد في التلفاز مثلا برنامجا دينيا يبنى في نفوس المشاهدين معاني الرجولة والصلاح والخير، ثم لا تلبث أن تصطدم في الوسيلة نفسها بشريط مثير ينقض كل ما بناه البرنامج الديني ويهدمه[٤].

> **التطابق بين الإعلام ومنهجية الاسلام ضرورة لازمة قوة التأثير الإعلامي في عالمنا اليوم لا تدانيها قوة أخرى**

ولو نظرنا الى واقع النشاط الاعلامي والنظم الاعلامية في المجتمعات التي لا تدين بالاسلام لوجدنا أن النشاط الاعلامي فيها ينبع أصلا من التصورات العقدية والايديولوجية للمجتمع، وينطبع بالقيم والتقاليد والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة فيه، ولوجدنا أيضا أنه يخدم - عبر قنواته وصوره - الغايات والاهداف البعيدة والقريبة التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها. وللإسلام فلسفته الاعلاميةالخاصة به، وفي ضوء هذه الفلسفة المستقاة من المصادر الاصلية للمنهج الاسلامي نجده قد وضع أصولا

إعلام الدول الإسلامية يحمل من المتناقضات ما يدعو للدهشة

عامة وقواعد كلية لكافة جوانب العملية الاعلامية، وهي مبثوثة فى المصادر الاسلامية المتمثلة في القرآن الكريم والحديث الشريف وفي اجتهادات فقهاء المسلمين وعلمائهم عبر العصور المتعاقبة وذلك من خلال:

١ ـ **فلسفته الاساسية** واطاره الفكري العام المبني على التصور الاسلامي للكون والحياة والانسان، وغاية الوجود الانساني.

٢ ـ **غايته الكبرى** ومنهجه الاصيل في تحقيق تلك الغاية.

٣ ـ **وظائفه العامة والخاصة**، ومدى ارتباط هذه الوظائف بالحاجات الواقعية لأفراد المجتمع، ومقدار استجابته للظروف المحيطة بهم.

٤ ـ **أساليبه وطرقه** في تقديم المضمون إلى الناس، ومدى مراعاة هذه الأساليب لخصائص الجمهور المتلقي للرسالة الاعلامية وكيفية تعامله معه.

٥ ـ **وسائله وقنواته المتنوعة: تقليدية وعصرية.**

وهذا العمل الذى يستهدف صياغة منظومة اعلامية اسلامية للمجتمع الاسلامي لن يتحقق إلا من خلال اجتهاد عصري يقوم به متخصصون يمتلكون زادا متينا من العلم الإعلامي في جانبيه النظري والتطبيقي، ولابد أن يعتمد هذا الاجتهاد على تلاحم عنصرين هامين:

أولا: دراسة المصادر الاساسية للاسلام دراسة اعلامية علمية لاستنباط الأسس والقواعد التي تنظم العملية الاعلامية أو ترشد إليها.

ثانيا: دراسة نتائج البحوث والدراسات والممارسات الاعلامية المعاصرة، وتحقيق ثمرة هذا التصور النظري للاعلام الاسلامي بشموله وتكامله لن يكون ولن يتم إلا بالعمل الدؤوب والإعداد للكفاءات المتخصصة وتأهيلها فكريا، وخلقيا، وعلميا، ومهنيا، وذلك من خلال:

أ ـ **الاعداد الاصولي والفكري:** حيث يتعرف الطالب على الاصول العقدية والفكرية والتشريعية للاسلام من خلال مجموعة مختارة من المقررات الشرعية والفكرية في القرآن والحديث والتوحيد والفقه والثقافة الاسلامية.

ب ـ **الاعداد اللغوي**، لأن اللغة هي وسيلة الاعلام؛ بل هي وعاء الفكر والثقافة، وأن يسعى إلى التمكن في فنون القول والبيان، والاسلوب، والتعبير، والتذوق الادبي.

ج ـ **الالمام الشامل بقضايا المجتمع** الذي يعيش فيه، من حيث قضاياه، ومشاكله واحداثه، وتياراته.

هذه باختصار شديد نظرة حول الاعلام الاسلامي ومتطلباته ومكانته بين الاعلام الدولي والمهمة المنوطة به، والدور المنتظر منه القيام به في إبراز قضايا الدعوة الاسلامية وأسسها وبيانها وتوضيحها بالعقل والمنطق الذي يتطلبه العصر حتى يؤدي رسالته على أحسن وجه كما تنتظرها منه منظومته الاسلامية.

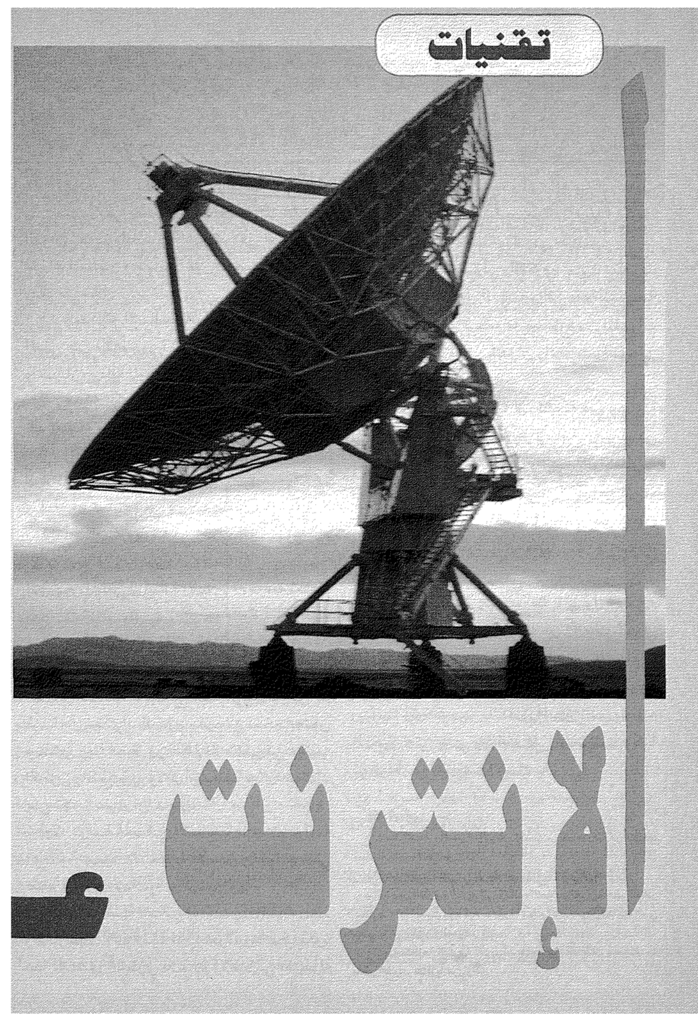
هوامش:

(١) مقالات في الدعوة والاعلام الاسلامي لمجموعة من المؤلفين (سلسلة كتاب الامة) ص ٢٢.

(٢) عبد القادر طاش في المرجع السابق ص ٣٠ بتصرف.

(٣) نحيل القارىء الكريم الى كتاب «الاعلام والقرآن» لعبد القادر حاتم ط ١٩٨٥ حيث يجد فيه مسيرة الاعلام الاسلامي والاهتمام الذي حظي به في القرآن والحديث.

(٤) وباستطاعة القارىء الكريم أن يلاحظ هذا التناقض فيما تقدمه بعض القنوات التلفزية من برامج.


تقنيات
الإنترنت
ع

عدو أم صديق

بقلم: أ٠د٠
شذى الدركزلي
- المملكة المتحدة -

لقد خلق البارىء عز وجل الإنسان ووهبه ما يمكنه من العيش على هذه الأرض واستغلالها لينعم هو وأبناؤه بخيراتها٠ إن اعتراف الإنسان بفضل القدرة الإلهية عليه يجعله يحاسب نفسه ويفكر بنتائج أعماله قبل أن يقدم عليها باندفاع وبلا ترو، مقدراً بذلك نعمة الله سبحانه وتعالى عليه وعلى أجياله، فكثير من الوسائل والتقانات الحديثة التي يستمتع بها الإنسان في الوقت الحاضر تمتلك وجهين، الأول مفيد لتطور الإنسان مادياً ومعنوياً والثاني وجه شرير مدمر للقيم الروحية والاجتماعية٠ ولا يختلف الإنترنت وهو أحدث وأوسع وسائل الاتصالات في العصر الحالي، عن بقية الوسائل والمخترعات التي عمت الأرض خلال هذا القرن الذي أوشك على الانصراف، لذلك يجب توخي الحذر الشديد عند استغلال هذه الوسيلة، فكما تحمل معها بذرة المعرفة والخير فإنها يمكن أن تستغل لشتى أنواع الشر والفساد والرذيلة، خصوصاً وأنها أصبحت وسيلة يستخدمها العالم والمدَرس والطالب والمحامي والطبيب والصناعي والمؤرخ والتاجر والكاتب والاداري الحكومي والعاملون في شتى المهن والحرف والصناعات، فلم تعد هناك حاجة لأي من هؤلاء أن يكون متخصصاً بالحاسوب ليستطيع استغلاله، وكل ما يحتاجه هو تدريب بسيط لتعلم كيفية استخدامه واستكشاف الإنترنت للحصول على ما يحتاجه من المعلومات٠

والسؤال الملحّ هو هل الإنترنت عدو أم صديق؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد من التعرف على الإنترنت وأصله أولا٠

في البدء كانت الأصابع

عندما بدأ بحث الإنسان عن وسائل تساعده على الحساب كانت أصابع يديه ورجليه أول معداد أو حاسوب استخدمه الإنسان للعد، ثم تلا ذلك استخدامه للحصى والنوى٠ واستخدم الإنسان الكتابة بوضع رموز الأعداد؛ فكان الخط المستقيم رمزاً للواحد، ولا يزال كذلك في معظم لغات العالم، والخطان للاثنين وهكذا٠ ولم تكن الارقام الرومانية تعرف الصفر، وعندما أضاف العرب الصفر الى الأرقام سهل تعداد الأرقام الكبيرة وكتابتها، بعكس الأرقام الرومانية المزعجة٠

العربية	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	٢٠	٣٠
الرومانية	I	II	III	IV	V	VI	VII	VIII	IX	X	XI	XII	XX	XXX

العربية	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨
الرومانية	XXXI	XXXII	XXXIII	XXXIV	XXXV	XXXVI	XXXVII	XXXVIII

العربية	١	٥	١٠	٥٠	١٠٠	٥٠٠	١٠٠٠
الرومانية	I	V	X	L	C	D	M

يبين الجدول التالي بعض الأرقام الرومانية ومقابلها من الأرقام العربية

ويزداد تعقيد الأرقام وطولها بزيادتها الى المئات والآلاف.

وتطورت الأدوات التي تساعد على حساب الأرقام الكبيرة: مثل أداة الحساب (المعداد) التي تستخدم لتعليم الأطفال الى المسطرة الحاسبة slide rule في النصف الأول من القرن العشرين، الى الحاسبة الألكترونية cal-culator في النصف الثاني من القرن العشرين.

في أربعينيات هذا القرن ظهرت لأول مرة أجهزة الحاسوب الضخمة Main Frame Computer التي يمكن استخدامها آنياً من قبل المئات من العاملين، إلا أن استخدام الترانزستور في دوائرها الألكترونية، وبسبب سهولة عطب بعض هذه الترانزستورات، أدى الى عدم الثقة المطلقة في نتائجها. فقامت ثورة التطور في الحاسوب على يد شرائح السيليكون silicon chips لتأخذ مكان الترانزستورات في السبعينيات. فشريحة سيليكون محفور عليها دوائر الكترونية مجهرية تحل محل آلاف الترانزستورات. أدى هذا التطور الى اختراع ما يسمى بالمعالج المجهري microprocessor في عام ١٩٧١ الذي هو أساس عمل الحاسوب الشخصي Personal Computer (P C).

وتطورت في السبعينيات صناعة شرائح السليكون لانتاج المعالج المجهري في شركتين أمريكيتين شهيرتين هما إنتيل وموتورولا. وكان انتاج الحاسوب الشخصي من نوع آي بي إم من معالجات إنتل وحاسوب ماكنتوش Apple Macintosh من معالجات موتورولا، (والأول أكثر شيوعاً الآن في الاستعمال من الثاني).

في ١٩٨١ صنع الحاسوب الشخصي من نوع آي بي إم من شريحة إنتيل المرقمة ٨٠٨٨ ثم تطور باستخدام شريحة رقم ٨٠٨٦ ثم رقم ٨٠٢٨٦ التي أصبح الحاسوب يسمى باختصار ارقامها أي ٢٨٦ وتلاه ٣٨٦ و٤٨٦ وتوقف عند ٥٨٦ الذي لم يكتسب انتشاراً بسبب ظهور البنتيوم عام ١٩٩٦. كما أن حاسبات آي بي إم الشخصية الحديثة أصبحت تسمى Windows Machines (الشبابيك) بسبب إمكانية الحصول على أكثر من «نافذة» في آن واحد ولأن شركة آي بي إم لم تعد تصنع الآن سوى جزء قليل من أجزاء الحاسوب الصلبة hardware وكان هدف اختراع الآلات الحاسبة وأجهزة الحاسوب الأول هو إجراء الحسابات الطويلة والمعقدة

توفيراً للجهد والوقت ولتفادي الخطأ في الحسابات، وتطورت الآن الى أهداف أكثر تعقيداً وفائدة.



الحاسوب الشخصي:

يتكون الحاسوب الشخصي من جزأين رئيسين هما:

١ ـ الجزء الصلب hardware ويضم الأجزاء الكهربائية والألكترونية والميكانيكية للحاسوب.

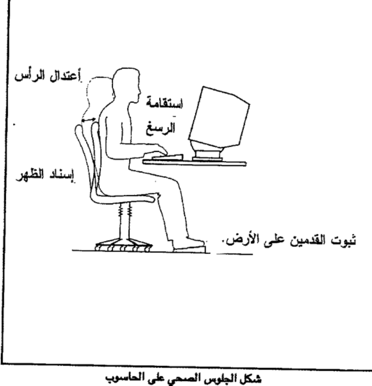
٢ ـ البرمجيات softwares ويشمل على البرمجيات التي تُشغله.

وباستخدام برمجيات خاصة بالاتصالات الخارجية يمكن للحاسوب الشخصي الارتباط بشبكة أجهزة حاسوب محلية Local Area Network (LAN) ترتبط بها مجموعة أجهزة حاسوب شخصي بجهاز مركزي. فيمكن بذلك تبادل الاتصال بين أعضاء هذه الشبكة المحلية واستغلال كفاءة الذاكرة في الحاسوب المركزي والاشتراك باستخدام برمجياته أو أجهزته الفرعية مثل الطابعة Printer والراسم scan-ner كما يمكن لهذه الشبكة المحلية الإتصال مع شبكات خارجية أخرى، وهو ما يسمى بالإنترنت internet وهو مختصر Inter-network أي شبكة لشبكات أجهزة حاسوب.

الأنترنيت

صُمم الإنترنت لأول مرة في عام ١٩٦٩ لغرض استغلال المعلومات المتوفرة في حاسوب وزارة الدفاع الأمريكية من قبل أقسام الوزارة المتعددة والمتخصصة بالأمور الأمنية للبلاد، وتطورت هذه المنظومة من الإنترنت خلال السبعينيات والثمانينيات قبل توقفها عن العمل في عام ١٩٩٠. وفي عام ١٩٨٦ أنشأت مؤسسة العلم القومية الأمريكية National Science Foundation شبكتها ليستفيد منها الباحثون في شتى التخصصات العلمية. ثم تطور ذلك الى تنوع شامل لتوزيع المعلومات التي تستخدمها المؤسسات العلمية والمكتبية لغرض تعميم فائدتها على أكبر عدد ممكن من الباحثين وعموم الناس.

وأصبحت الإنترنت الآن مكتب بريد وسوقاً تجارياً ومكتبة ومخزن برمجيات ووسيلة تعليم وثقافة وقراءة صحف ومجلات ومراكز حوار فكري وعلمي بين الفئات المختلفة في عدة أماكن من العالم، كل ذلك باستخدام النص الكتابي والصوري والصوتي (أو ما يسمى بالاوساط المتعددة multimedia) من على



شكل الجلوس الصحي على الحاسوب

شاشة مرئية تشبه شاشة التلفاز.

أهم وسائل الإنترنت الحالية هي

١ ـ البريد الألكتروني Electronic Mail (E-Mail):

ويعد هذا من أكثر وسائل الأنترنيت استخداماً ، ففيه يتم تبادل الرسائل بين مستخدمي الإنترنت وفي كافة أنحاء العالم المرتبطة بشبكة الإنترنت، ويتميز عن البريد المألوف بأنه لا يستغرق أكثر من بضع دقائق ليصل الى أقصى بقاع العالم، إن لم تكن هناك مشكلة فنية في أحد الأطراف. كما تطور مؤخراً إرسال الفاكس بواسطة البريد الألكتروني أيضاً.

ويدأ نوع من النسق الخاص لهذه المراسلات يميزها عن المراسلات الاعتيادية، فليس هناك ما يبدأ به المراسلة من الجمل التقليدية مثل: «عزيزي فلان» أو «أشكركم على رسالتكم» وغير ذلك؛ بل أصبحت الجمل مختصرة وأقرب الى كتابة البرقيات منها الى الرسائل الاعتيادية كما ابتدعت بعض الرموز الخاصة والتي يمكن تبيانها عندما ينظر إليها بزاوية ٩٠ درجة. فالرموز (-: تعني الابتسام والرموز) -: ترمز الى وجه حزين والرموز ٨-(لعينين متسعتين من الدهشة والرموز (-B لمن يلبس نظارات وغير ذلك. ويتكون العنوان في رسائل الإنترنت من اسم الشخص في شبكته (رمزاً أو كاملا) ويليه رمز الارتباط @ ويعني (at)يفصله عن عنوان الشبكة التي يرتبط بها والذي يتكون من عدة أسماء يربط بينها نقطة، مثل: sar-ab@dur.ac.uk حيث يمثل الرمز الأخير اسم البلد مختصراً فالرمز uk يعني المملكة المتحدة Ib لبنان bh البحرين.

٢ ـ بروتوكول نقل الملفات أو الوثائق File Transfer Protocol (ftp) ويتم خلال هذه الوسيلة نقل الملفات من حاسوب الى آخر، وتبادل التقارير والبحوث وقواعد البيانات بين الباحثين بالاضافة الى البرمجيات. وتصنف البرمجيات الى ثلاثة أنواع: المجانية free-ware والمشتركة shareware (وهي التي يمكن نقلها وتجريبها لمدة قصيرة قبل دفع ثمنها) والتجارية commercial (وهي التي يمكن نقلها بعد دفع ثمنها).

وتصنف الملفات الى نوعين

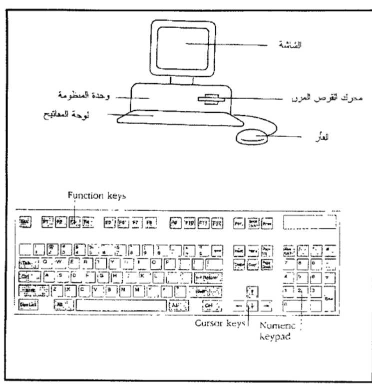
الأول هو American Standard Code for Information Interchange (ASCII) (أسكي) وهو القياسي الأمريكي الخاص بنقل الملفات الاعتيادية غير المرتبة بنسق محدد.

والثاني: هو الثنائي Binary وهو خاص بنقل ملفات خاصة مثل الملفات المكبوسة أو

البرامج التنفيذية. ومن الضروري الاهتمام بتدقيق سلامة الملف المنقول من الفيروسات قبل استخدامه.

٣ ـ شبكة أو نسيج العالم بكامله World Wide Web(WWW) وتعد هذه الشبكة من أهم ما يصدر في الإنترنت فهي تشمل حقلا واسعا من المعلومات التي تستحصل مما يسمى hypertext transfer protocol (http) أي بروتوكول نقل النص متعدد الطبقات. يتم الربط بين صفحات الانسجة المختلفة بما يسمى Uniform Resource Locator (ULR) أي محدد المصدر المتناسق، ويتكون هذا من قسمين هما طريقة الإتصال وعنوان خزن المعلومات فمثلا عنوان خزن المعلومات للصفحة التعريفية لجامعة درم Dur-ham في المملكة المتحدة UK هو: ULR: http:// www. dur,ac,uk حيث يمثل الرمز AC مختصر كلمة أكاديمي academic التي تشير الى الجامعات. فقد تكونت رموز خاصة للعناوين مثل com للمراكز التجارية وgov للمراكز الحكومية وهكذا. وللوصول الى هذه الشبكات لابد من استخدام منقب أو متصفح browser معين وهو برنامج خاص للتنقل بين الشبكات للبحث عن المعلومات.

وهناك نوعان من هذه البرامج: إما لمتابعة النصوص فقط، مثل برنامج لينكس Lynx، أو لمتابعة الأوساط كافة أي نصوص وصور وصوت، مثل برنامج نيتسكيب Netscape أو برنامج موازييك Mosaic. وأصبحت تسمية سيبرسبيس cyberspace تطلق على نشاطات الإنترنت واتصالاتها بالاضافة الى الاحداث



مخطط لأجزاء الحاسوب الرئيسية

الثقافية وشبكات الاتصال. وتتنوع الملفات، والنصوص أو جداول البيانات، وتبدأ معظمها بملف خاص يشرح محتوياتها يسمى عادة «إقرأني» readme أو «الأسئلة كثيرة التكرار» Frequently Asked Questions (FAQ) يساعد الباحث في استحصال المعلومات من الملفات المنقولة بكفاءة.

وترتبط العديد من المؤسسات العلمية والصناعية والحكومية والجامعات بعضها مع بعض، فتوفر كل مؤسسة لباحثيها أجهزة الحاسوب للحصول على النصوص والصور. أما الافراد فيمكنهم الحصول على الارتباط بالإنترنت في بيوتهم من خلال استخدام جهاز ارتباط خاص يربط عادة مع خط الهاتف يسمى الموديم modulator - demodulator (or modem)، وتكون لاتصاله بالإنترنت كلفة تقدرها الشركة المجهزة أو شركة الهاتف، إما شهرياً أو حسب عدد ساعات الاستخدام.

وتوجد أنواع عديدة من الموديم بسرعات مختلفة، مثل السريع والبطيء وعندما يتم تبادل الاتصال بين موديمين أحدهما سريع والآخر بطيء فإن سرعة انتقال الاتصالات تعتمد سرعة البطيء.

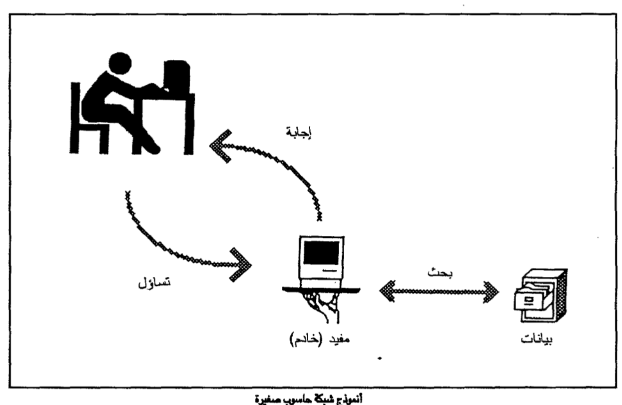
وبسبب استخدام الموديم كثر العمل من البيت بدلا من مكتب العمل في الجامعة أو مركز البحوث، موفراً بذلك الكثير كمصاريف التنقل من المكتب واليه، وتخصيص أماكن عمل وكلفة الكهرباء وغيرها في مواقع العمل.

ثروة البحث العلمي في الإنترنت

إن أول ما يحتاجه الباحث، من كافة التخصصات العلمية والإنسانية، في بدء عمله هو المراجع المتوفرة عن موضوع بحثه؛ فينطلق نحو مكتبة ليبحث في فهارسها الموجودة في الإنترنت. ولقد أصبحت قواعد معلومات المراجع في مكتبة معينة أو في المكتبات العالمية أمراً شائعاً، كما طورت برمجيات للبحث عن موضوع تخصصي محدد، وما نشر عنه في الدوريات وخلال سنين عديدة. فمثلا تحتوي قاعدة المعلومات بيدز Bath Information and Data Services (bids) التي أنتجتها جامعة باث البريطانية على البحوث المنشورة في الفروع العلمية والإنسانية والاجتماعية والفنية ومنذ عام ١٩٨١. وتشمل المعلومات التي يزودها البرنامج على اسم البحث والباحثين وعناوينهم وتفاصيل الدورية التي نشر فيها البحث. ومنذ عام ١٩٩١ شملت المعلومات ملخص البحث والمراجع المذكورة فيه، وفي النصف الثاني من عام ١٩٩٦ تم إضافة النص الكامل للبحث أيضاً.

كما تساهم مجموعات النقاش في الإنترنت في مساعدة الباحث للاتصال بالمتخصصين والمهتمين بموضوع بحثه وطرح ما يشغله أو يحيره من أمور غامضة في بحثه وتبادل الآراء حولها.

وأصبحت بعض المؤسسات توفر الملفات التقليدية في الفن والأدب، مثل صور متاحف



أنموذج شبكة حاسوب صغيرة

العالم وكتب مشاهير المؤلفين مثل شكسبير وتشارلز ديكنز وقواميس اللغات. كما تتوافر ملفات كتب الأديان المختلفة، وما يميز هذه الملفات عن الشكل التقليدي المطبوع هو إمكانية البحث الدقيق فيها من خلال استخدام برنامج «بحث» ملائم يساعد الباحث ويوفر عليه وقتاً كثيراً وحيزاً مكانياً، فالموسوعة البريطانية بأجزائها الضخمة التي يزيد عددها على الثلاثين جزءاً جمعت في عام ١٩٩٣ في اثنين من Compact Disk - Read Only Memory (CD-ROM) أي قرص مكثف بذاكرة قراءة فقط، لا يحتلان إلا حيزاً صغيراً جداً. ولقد فاقت مبيعات القرصين مبيعات الموسوعة المطبوعة على الورق.

كما تتوافر على الإنترنت ومن خلال مراكز البحوث الشهيرة مثل وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) وغيرها ملفات البيانات الخاصة بالعديد من نتائج تجارب الفضاء التي تُطلق للباحثين لكي يستفيدوا منها. فالكثير من بحوث الفضاء والفلك المنشورة لا تتطلب من الباحث سوى معرفة المبادىء العلمية وكيفية استحصال البيانات من الإنترنت واسلوب تحليلها. أي أن الكثير من الباحثين لم يعد بحاجة إلى استخدام المراصد للحصول على البيانات.

وبالاضافة الى البحوث العلمية فهناك الوسائل الثقافية لمستويات التعليم كافة والتي يستخدمها أيضاً العديد من الأخصائيين، مثل رجال الأعمال والتجار والمحامين والأطباء والصحفيين والكتاب والطيارين وحتى المزارعين، لمعرفة ما يحتاجونه من معلومات

أنموذج شبكات حاسوب متعددة الخدمات

آنية تساعدهم في تحسين وتطوير عملهم. كما أن هناك فرعاً ترفيهياً من خلال اللعب العديدة التي يشترك بها أكثر من لاعب مثل الشطرنج والطاولة وغيرها من الألعاب الفردية أو الجماعية.

وأصبح مصطلح النص متعدد الطبقات hypertext والأوساط المتعددة multimedia يطلق على الطرق التي يستخدمها الباحث في التنقل بين الملفات المختلفة الموجودة في الإنترنت ومن خلال النصوص بأشكالها المتعددة، أي نص كتابي وصوري وصوتي وفيديوي وصور متحركة على شاشة الحاسوب.

السلامة الصحية

توجد، كما في أي مجال من مجالات العمل في العالم، قواعد صحية محددة لاستخدام الحاسوب تساهم في المحافظة على صحة الفرد الجسمية والنفسية. فجهاز الحاسوب يمكن أن يجعل الفرد مرتبطاً به ارتباطاً تاماً

لا يتركه طوال اليوم، ليلا أو نهاراً، لذلك يجب الاهتمام بطريقة الجلوس الصحيحة للفرد أمام الجهاز وتركه بين الحين والحين لراحة الجسم والعينين من الارهاق. وقواعد الجلوس الصحيحة على الكرسي هي:

(١) أن يكون أسفل الظهر مستنداً.

(٢) أن تكون الركبة بمستوى الورك.

(٣) أن تستقر القدمين على الأرض.

(٤) أن يكون مستوى العينين مع أعلى الشاشة ويمكن إمالة الشاشة لذلك.

(٥) أن تكون الشاشة مواجهة للجالس وليست على زاوية منه.

(٦) أن يكون مستوى الرسغ والزند على خط مستقيم وفوق مستوى لوحة المفاتيح.

ويجب الانتباه الى أن شاشة الحاسوب مثل أي شاشة أخرى تنطلق منها أشعة كهرومغناطيسة تؤثر في المدى البعيد على صحة الفرد من خلال الجرع الاشعاعية الواطئة والمتراكمة في الجسم. وتوفر بعض الشركات المصنعة غطاءاً شفافاً واقياً فوق الشاشة، يمتص جزءاً كبيراً من هذه الأشعة، ينبغي على مستخدي الحاسوب لفترات طويلة استعماله.

كما يجب ترك الحاسوب لمدة عشر دقائق لكل ساعة عمل متواصلة. خلال فترة الراحة هذه يمكن إجراء تمارين للعينين بالتحديق على مناظر بعيدة وفتح العينين وإغماضهما بسرعة عدة مرات مع بعض التمارين الرياضية للجسم.

ويجب مراعاة الحذر المعروف من كافة الأجهزة الكهربائية المصاحبة للحاسوب مثل الطابعة، فلا يجوز الانحناء عليها عندما يكون المشغل مرتدياً رباط عنق أو تكون المشغلة مرتدية ربطة شعر (إيشارب) أو عقداً طويلا أو ذات شعر طويل غير مربوط.

ولا تقل السلامة النفسية أهمية عن السلامة الجسمية وعلى الفرد مراعاة ذلك وتقبل نصائح الخبراء في هذه الأمور وعدم التعنت في الرأي، لكي لا يصبح المرء مهووسا بشكل مرضي بالحاسوب ويقع تحت تأثيره فيسيطر عليه الحاسوب بدلا من أن يسيطر هو عليه. وعلى الوالدين متابعة الصغار والأحداث ونصحهم عندما يلاحظون انهماكهم غير الطبيعي مع الحاسوب.

لقد كان الهاتف (التلفون) أهم وسيلة اتصالات انتشرت في بداية القرن العشرين وتلاه التلفاز (التلفزيون) في منتصفه والإنترنت في أواخره. ولم يكن مخترع الهاتف يتصور أن جهازه سيكون واسطة المحادثة بين أنحاء العالم كافة وفي أي مكان بهاتف جوال mobile يمكن ربطه بالحاسوب. وتشبه حالة الإنترنت اليوم حال التلفاز في بدايته، فقد كان جهازاً عالي الكلفة وبرامجه بدائية وبسيطة، فاستخدام الإنترنت اليوم مازال قاصراً علي أمور تعد بسيطة نسبياً مقارنة بما يؤمل له من التطور في المستقبل ليشمل مختلف الخدمات. وأهم ما يؤمل للإنترنت، وهو ما وجدت في البدء لأجله، هو نشر العلم والثقافة والتعليم. ويستخدم التلفاز، الذي وجد للتسلية والترفيه، في التعليم والثقافة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، إلا أن ذلك يبقى محدوداً بسبب سعة انتشار برامجه الترفيهية التي تستقطب اهتمام الناس عامة.

يمكن تصنيف مستقبل الإنترنت الى نوعين الأول إيجاد الحلول للمشكلات الآنية قبل تفاقمها والثاني ابتداع أمور وتطورات جديدة متنوعة.

أولا: حلول المشاكل الآنية

من أهم مشاكل الإنترنت، التي تتطلب حلا عاجلا في المستقبل القريب، هو نشر الكتب دون تصنيف موحد فالتصنيف يساعد الباحث في العثور على الكاتب بيسر ودون الاضطرار للبحث المضني بين آلاف المواقع، إذا كان للإنترنت أن تستوعب نصوص كل ما ينشر حالياً. فمعدل النشر السنوي للكتب المطبوعة في الولايات المتحدة الأمريكية يصل الى حوالي ٤٥ ألف كتاب وفي اليابان الى حوالي ٤٠ ألف، بالإضافة الى آلاف الدوريات والصحف والنشرات. ويتميز نشر الكتب المطبوعة بالتوثيق العالمي الموحد International Standard Book Number (ISBN) وهو الرقم القياسي العالمي للكتب. أما ما ينشر الآن من كتب على الإنترنت، من قبل شركات عديدة ومتنوعة، فيفتقد الى التصنيف الموحد مما يجعل الباحث يعاني من مشكلتين: الأولى صعوبة تقصي المواقع العديدة على الإنترنت للعثور على ما يبغي، فالكتب على الإنترنت تتزايد بنسبة ٢٩٠٪ سنوياً، والثانية الاطمئنان الى موثوقية النص المعروض. ومستقبل المكتبات العامة ليس أمامه سوى الاستعانة بالنصوص المتعددة hypertext عاجلا أو آجلا ولابد لهذه أيضاً من اسلوب تصنيف خاص مثلما تصنف الكتب بالنظام العشري أو نظام ديوي.

ويمكن الحصول على قائمة الكتب الحديثة عن الإنترنت من العنوان التالي:

ftp://rtfm.mit.edu/pub/usenet/news.answers/internet-services/book-List

أما قضية حقوق النشر فتحمل الكثير من المشاكل مثل السرقات العلمية أو الأدبية أو التجارية، بسبب عدم وجود قوانين حقوق موحدة، وصعوبة تطبيق قوانين هذه الحقوق بصورة فاعلة. فسرقة البرمجيات على المستوى الفردي أو الدولي منتشرة بكثرة، وكانت إحدى مشكلات الولايات المتحدة الأمريكية مع الصين مؤخراً هو استخدام الصين للكثير من البرمجيات الأمريكية وإعادة إصدارها دون دفع ثمن شراء حق إعادة الاصدار من أصحابها الأصليين. وتعاني من هذه المشكلة أوساط اخرى أيضاً، مثل التسجيلات الصوتية وأشرطة الفيديو وطبع الكتب وغير ذلك، حيث يتم إعادة إصدارها من دون الحصول على موافقة أصحابها الأصليين. وبدأت مؤخراً فرنسا وبريطانيا في منح صلاحيات خاصة للشرطة في التداخل على خطوط الشبكات التجارية الخاصة كرادع للغش والخداع الذي يمكن أن يتفشى في المستقبل كأسلوب «الوقاية خير من العلاج».

وبسبب تنوع وسائل العنف والجريمة والإرهاب الداخلي في الدول الصناعية فقد دعا أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي الى تشديد المراقبة وحماية مراكز المعلومات في البلاد من الإرهاب الداخلي الذي قد يقوم به أحد خبراء الحاسوب مشكلا بذلك تهديداً خطيراً قد يؤدي الى توقف شبكات الحاسوب وخطوط التلفونات ومحطات إنتاج القدرة. وتشكلت لجنة من وكالة المخابرات المركزية ووزارة الدفاع ومكتب التحقيقات الفدرالي

ووكالة الأمن القومي للاستعداد واتخاذ الاجراءات اللازمة. فقد حكم على أحد البريطانيين في بداية شهر نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٩٦ بعد اكتشافه محاولا التداخل على أنظمة شبكات البنوك الحاسوبية، بغية سرقة الأموال من حسابات المودعين، وكان يمكن أن يؤدي عمله إن نجح في انهيار المنظومة المصرفية في بريطانيا. فأي خلل في منظومات الحاسوب سيكون تأثيره أسوأ من أي تفجير لقنبلة في مكان ما.

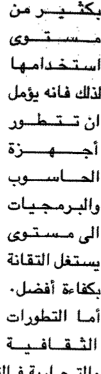
ومن المشكلات الأخرى المتوقعة لزيادة انتاج النصوص المتعددة الطبقات هو ان انتشار المعلومات المفيدة يصاحبه انتاج النصوص المنحرفة وصعوبة السيطرة عليها وتحديدها أو منعها ، فما هو منحرف للبعض يعتبر اعتيادياً لآخرين في المجتمعات الصناعية التي لا اعتبار عندها للمبادىء القويمة من الأدب والأخلاق السوية. ولن يكون الفساد والرذيلة هو ما تخشى منه المجتمعات على صغارها وشبابها، وانما تفشي وسائل الارهاب مثل كيفية صنع قنبلة من مواد المطبخ أو كيفية سرقة مصرف وفتح الأقفال والدخول على خطوط وشبكات المؤسسات المغلقة. لقد أعلنت سنغابورة في صيف عام ١٩٩٦ عن تطبيقها لاستخدام شبكة حاسوب حكومية وسطية لغرض منع الدخول الى شبكات حكومية واخرى خاصة بالشبكات التي تتخصص بنشر الفساد والرذيلة وأصبحت بذلك أول دولة تصدر منعاً على الإنترنت.

ومن الانتشار الكبير والسريع للنصوص المتعددة الطبقات ستكون مهمة اختيار الموقع والنص من المشكلات التي سيواجهها المستخدم للإنترنت. في الوقت الحاضر تكسب الشركات التجارية الضخمة، بسبب قدرتها الواسعة في الدعاية والاعلان ، الكثير من الزبائن. لذلك يتوقع أن تستمر الشركات الاحتكارية الكبرى في السيطرة على ميدان بيع البرمجيات والأجهزة، فقد ارتفع استخدام برنامج نيتسكيب Netscape من ١ر٠٪ الى ٦٤٪ خلال أربعة أشهر من ظهوره وهبط مقابل ذلك البرنامج الذى سبقه، موازييك Mosaic، من ٧٣٪ إلى ٢١٪ خلال الفترة نفسها، بين آب/ أغسطس الى كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٤. وهناك من يعتقد أن الشركات الصغيرة ستستمر في ضخ البرمجيات الى «السوق» مسببة نوعاً من الفوضى في الميدان يصعب السيطرة عليه.

ثانيا: التطورات المستقبلية:

من الصعوبة بمكان التنبؤ بما يمكن أن يصل اليه اكتشاف أو اختراع ما في المستقبل، فكثير من الامور التي بُنيت الآمال الكثيرة عليها انتهت نهاية غير متوقعة بسبب ظهور أمور جانبية أزالت أهميتها أو أوضحت مساوئها أو كلفتها العالية. ففي الستينيات ومع ابتداء عصر الفضاء انتشرت التنبؤات بأن قاعدة أمريكية على القمر ستكون جاهزة لاستقبال الزوار من عموم الناس قبل عام ٢٠٠١، وتكونت شركات تستحصل من الناس اجور حجز للسفر مقدماً ! ولا تختلف الأنترنت عن غيرها في مجال التنبؤ. ويعتقد المتفائلون بأن ثروة المعلومات التي انطلقت لا يمكن أن يوقفها شيء بعد اليوم، وأن العلم والمعرفة والثقافة أصبحت كلها على الأبواب ولا حاجة للخروج للبحث عنها، وليس علينا سوى فتح الباب لإدخالها من خلال شاشة الحاسوب.

وما سيأتي به المستقبل من تطورات جديدة للإنترنت يمكن تصنيفه الى ثلاثة اتجاهات: تقانية وثقافية وتجارية. إن تقانة الإنترنت



الحالية أعلى بكثير من مستوى استخدامها لذلك فانه يؤمل ان تتطور أجهزة الحاسوب والبرمجيات الى مستوى يستغل التقانة بكفاءة أفضل.

أما التطورات الثقافية والتجارية فالتنبؤ بما سيأتي منهما في المستقبل القريب أسهل من غيره.

أ ـ التطورات الثقافية:

أن أهم استخدامات الإنترنت التي يخمن لها الانتشار الواسع بما يجلب فوائد كبيرة للبشرية هو استغلالها في التعليم والثقافة وهو استخدام موجود الآن ولكن بحدود ضيقة. ويعد ارتباط الإنترنت مع التعليم أهم ارتباط تقاني مع الثقافة خلال القرن العشرين. فقد استخدم التلفاز للتعليم ونشر الثقافة بصورة محدودة بسبب انتشار استخدامه في برامج الترفيه والتسلية، وهو ما وجد له في البدء. ويتطلب استخدام الإنترنت للتعليم المتفاعل In- teractive learning بناء قاعدة أساسية in- frastructure له توفر للطالب إمكانية التعلم المثمر الحقيقي. فكل وسيلة تعليمية جديدة تمر في مرحلة اختبارية مبدئية تستنتج بعدها المشكلات الناتجة منها، ويتم إيجاد الحلول لتفاديها في المستقبل. فتعلم الطلبة استخدام الحاسبات الالكترونية calculator حرمهم من قدرة إجراء الحسابات الرياضية البسيطة بدونها. كذلك يخشى من أن يؤدي استخدام الإنترنت الى حرمان الطلبة من محفزات الطرق التعليمية التقليدية، لذلك يجب إقناع اختصاصي التعليم التقليدي بفوائد التعليم بالإنترنت ولن يكون ذلك سهلا أو بمدى زمني قصير. فثقافة الإنترنت وتعلم معالجة النصوص wordprocessing أو معالجة البيانات spreadsheet وطرق الرسم graph- icsوالمحاكاة simulation قد تبهر الطالب عن استيعاب المعارف الاساسية من اشتقاق أو استنتاج أو تأليف. وسيكون من الصعب التحكم بمن سيتعلم وماذا سيتعلم من الإنترنت دون قواعد محكمة لترتيب الشبكة التعليمية.

ومن فوائد استغلال الحاسوب في التعليم تميزه على الإنسان بالصبر وعدم الملل والتعب من الإعادة عندما يطلب منه المتعلم ذلك. ولكن في الوقت نفسه ليس للحاسوب قدرة إقناع المتعلم على تكرار ما لم يتعلمه، فالعامل

الإنساني له تأثير مختلف على المتعلم ويتوجب مصاحبته، في البداية على الأقل، لضمان تصحيح أسلوب التعلم عند المبتدئين.

كذلك يمكن لعديد من الطلبة الاشتراك ليس فقط بنفس المدرس والدروس ولكن أيضاً بالكتب والمراجع التي يؤمل توفرها على الإنترنت، وبذلك ينتشر «التعليم عن بعد» وخصوصاً التعليم المتفاعل حيث يمكن للطالب أن يسأل ليحصل على إجابة المدرس على سؤاله كما يستطيع إجابة أسئلة المدرس مباشرة من شاشة الحاسوب.

ومما يؤمل أيضاً أن استجابة الطلبة، وبكافة الأعمار، الى استخدام الحاسوب هو تعودهم على متابعة «الشاشة» من خلال برامج التلفاز أو السينما. فلن يجدوا صعوبة في متابعة دروس من على «شاشة» الحاسوب، بل ستكون أكثر إمتاعاً بسبب التفاعل الايجابي، من إدخال الأسئلة أو الاجابة، بعكس التلفاز الذي يعتمد على التفاعل السلبي أي المشاهدة فقط، وإن كان هناك من يشير بقلق الى أن توافر أجهزة الحاسوب سيكون للمدارس أو المعاهد التي تتمكن مادياً من توفير الأجهزة لطلابها، مما سيزيد الهوة بينها وبين تلك التي لا تمتلك القدرة المالية على ذلك.

ومن خلال برامج التعليم يمكن للجميع التعلم في البيت بعد معرفة طرق استخدام الإنترنت، كما يمكن زيادة اتصال أساتذة الجامعات مع طلابهم من خلال الإنترنت بالحوار وتصحيح الاجابات دون الحاجة الى تحديد مكان وموعد للقاء، ويضع بعض الأساتذة حالياً مواد محاضراتهم في الإنترنت ليستفيد منها الطلبة، فمشكلة الطلبة الاولى هي تسجيل الملاحظات قبل الانتباه لاستيعاب المادة، ويوفر وجود مادة المحاضرة في الإنترنت تركيز الطالب على فهم المادة واستيعابها أثناء إلقاء الأستاذ لها.

فهناك من يعتقد أن انتشار النصوص المتعددة الذي بدأ عام ١٩٨٦ لأول مرة ارتفع بنسبة ٢٥٪ عام ١٩٩٠ ويتوقع وصوله الى ١٠٠٪ عام ٢٠٠٢. ولكن هناك من يأخذ عوامل جانبية يمكن أن تؤثر في انتشارها، فيعتقد أنها ستصل الى ٥٠٪ عام ٢٠٠١ والى ٨٠٪ عام ٢٠٠٥.

إن معظم مستخدمي الإنترنت الحاليين من الباحثين هم من متخصصي العلوم البحتة والفروع الهندسية بصورة عامة، مع ان باحثي العلوم الاجتماعية والإنسانية والفنية لهم الكثير من طرق الاستفادة، فوسائل المحاكاة simulation العديدة تمكن المؤرخ مثلا من دراسة الكثير من الأحداث التاريخية من خلال إعادة «إحيائها» على الحاسوب، كما يمكن لعلماء الآثار اكتشاف أسرار الحضارات القديمة. فقد تمكن مؤخراً فريق من علماء الآثار والحاسوب في جامعة بريستول البريطانية من إعادة تشكيل الهندسة المعمارية والداخلية لمواقع آثارية قديمة يعود تاريخها الى خمسة آلاف عام. فربما سيمكن أخيراً حل رموز اللغات المندثرة والتي لا تزال تطالب بحلها. فلكافة فروع المعرفة مواقع عديدة من الفائدة والتطور على صفحات الإنترنت والتردد في استخدامها الآن له أثر سيء على مستقبل الباحث وخلال فترة قليلة.

وستستمر وسائل التسلية الذهنية المتعددة، والتي تأخذ شكل الألعاب الفردية والجماعية مثل الشطرنج والطاولة وغيرها، في الانتشار

لما توفره من راحة ومتعة ذهنية لمستخدمي الحاسوب.

ب - التطورات التجارية

أما الجانب الثاني الذي يتوقع له انتشار واسع، يفوق التطورات الثقافية بمراحل عديدة، فهو الأعمال التجارية من بيع وشراء للمؤسسات والافراد من خلال الحاسوب والإنترنت، وهو ما يحدث فعلا الآن في الدول الصناعية على نطاق محدود. ويعزي نجاح البيع من خلال الإنترنت الى تطوير إمكانية استخدام طرق المصارف الحديثة في تحويل الاموال من خلال البطاقات المصرفية Bank Card المتنوعة لحساب المشارك.

تستخدم البنوك العالمية حالياً بطاقات عديدة محوسبة computerized يستخدمها الفرد في العديد من التعاملات المالية مثل الشراء وتسديد الضرائب أو قوائم متنوعة، للكهرباء أو الهاتف أو الطبيب وغير ذلك. وتحمل هذه البطاقات الرقم الشخصي للفرد ويتم نقل الأموال مباشرة من حساب الفرد الى الجهة المعنية، حيث يمكن للمشتري دفع ثمن مشترياته من خلال إدخال رقم البطاقة في طلب الشراء. وبذلك فإن عرض البضائع وكل ما تحتاجه عمليات البيع والشراء من تحويل أموال يمكن الآن أن يتم بالإنترنت ليستلم المشتري بالبريد ما تم شراؤه.

ويمكن التوجه، من شاشة الحاسوب وباستخدام الإنترنت، نحو أحد المحلات التجارية والدخول الى أحد أقسامه المختلفة وأختيار البضائع المطلوبة ودفع الثمن من خلال شاشة الحاسوب فقط. كذلك يمكن تنظيم شراء بطاقة السفر والتنقل وحجز مقاعد في الحفلات الموسيقية أو السينمائية. حتى زيارات الناس لبعضهم يمكن أن تكون من خلال زيارة «صفحة البيت» home page لمعرفة أحوال أعضاء البيت وتطوراتهم.

المخاطر الخفية

لا تختلف الإنترنت، كوسيلة اتصالات حديثة، عن غيرها في اكتساب حماس مستخدميها ومحاولتهم تهوين مخاطرها المرئية والخفية. فالهاتف الجوال مثلا اكتسب الشهرة والانتشار التجاري الكبير بسبب فوائده الجمة، وبالرغم من تكرر التحذير من مساوىء الاستخدام الكثيف لهذا الهاتف. فقرب الجهاز المستلم لموجات كهرومغناطيسية، من مدى معين للطول الموجي، من الأذن والدماغ قد يسبب على المدى البعيد تلفاً لخلايا الدماغ. وكما يحصل بسبب تراكم الجرع الواطئة للاشعة الكهرومغناطيسية، بأمداء اخرى مثل الأشعة السينية وأشعة غاما أو الأمواج فوق الصوتية المستخدمة للفحوص الطبية.

فجهاز الحاسوب يتكون من شاشة لا يبعد المشغل عنها إلا بمسافة تقرب من ثلاثين سنتمتراً، بعكس شاشة التلفاز التى يجلس المشاهد بمسافة لا تقل عن مترين أو ثلاثة بعيداً عنها. والقرب من شاشة الحاسوب يعرض الفرد الى جرع من الأشعة لمدة طويلة مقارنة مع تلك الناتجة عن مشاهدة التلفاز. كما أن جلوس المشغل يتضمن استخدامه ليديه، وجلوسه ولمدة طويلة أمام الجهاز يسبب على المدى البعيد الكثير من المشكلات الصحية التي قد يغفل أو يتغافل عنها المستخدم.

كنا أن لتوحيد «الشاشة» لكل من الحاسوب والتلفاز، فتصبح شاشة واحدة يربط اليها التلفاز مرة والحاسوب مرة حسب الحاجة، خطورة تكمن في أن الكثير سيرتبط مع «الشاشة» لمدة طويلة لأنها ستوفر لهم التعليم والتسلية والتسوق وتبادل الرسائل



والحوار ومشاهدة الأفلام وقراءة الكتب. وما سيتبقى من يوم الفرد سيقتصر على النوم والأكل، الذي سيتحول الى النوع السريع أو الذي يتم شراؤه من الإنترنت ليصل الى الباب فيأكله المشغل وعيناه على الشاشة. أي سيتحول الإنسان الى منفذ لما تقوله له الشاشة بعد أن يبرمج حاسوبه حسب حاجياته: مثل توقيت النوم والأكل وغيره وكل ذلك سيكون له ثمن من خلال قوائم سيدفع ثمنها.

بالإضافة الى المخاطر الصحية التي يمكن تجنبها وتقليل آثارها، هناك مخاطر اجتماعية تشمل استغلال الإنترنت في نشر الرذيلة والفساد الاخلاقي بين الصغار والشباب والتي يصعب تحديدها والسيطرة عليها.

كما ان قضاء المرء جل وقته أمام «الشاشة» سيغير من العلاقات الإنسانية التي تربط البشر فيما بينهم. وبالرغم من أن العمل المشترك مع الآخرين من خلال الإنترنت يختلف عن العمل في موقع واحد، إلا أن الأمل في أن يكون التعاون خلال الإنترنت أقوى انسانيا وأقل تعصباً وعدوانية مما سبق من تاريخ البشرية.

إن كلفة جهاز الحاسوب وملحقاته وبرمجياته بالاضافة الى أجرة استخدام الإنترنت عائق لذوي الدخل المحدود من الاستفادة منه وبذلك ستتكون طبقة جديدة في المجتمع تميز مستخدمي الإنترنت من غيرهم. وسيكونون شريحة مفيدة لعلماء الاجتماع والنفس البشرية ليجروا عليهم بحوثهم ودراساتهم في المستقبل.

الأنترنت في العالم العربي

لا يزال عدد الدول العربية التي تستخدم الإنترنت قليلا ومحدوداً، وارتباط الدول العربية بهذه الوسيلة النافعة محتوم إن لم يكن اليوم فسيكون في الغد القريب إن شاء الله تعالى. ولا خوف من تأخر الاستخدام ففي ذلك فائدة تفادي المشاكل الأولية التي تصاحب عادة كل اختراع أو اكتشاف جديد. ولكن السعي الحثيث للاستخدام واجب تمليه ضرورة مواكبة التطورات العلمية في كل حين.

ويتوجب الإعداد الجدي لإيجاد الترجمة

الدقيقة للمصطلحات والاتفاق عليها بين المختصين بعد المناقشة المستفيضة وكما يحصل لترجمة المصطلحات العلمية كافة. ويتوجب تهيئة الكوادر التعليمية لتوفر للناشئة ومن عمر مبكر تعلم استخدام الحاسوب ليسهل عليهم الاستفادة من الثورة المعلوماتية القادمة. كما يتحتم الاستفادة من تجارب الدول التي قطعت شوطاً في استخدام الإنترنت من ناحية تفادي مشكلات انتشار وسائل الفساد والجريمة. فقد تكونت للإنترنت، مثل أي تقانة اخرى جمعيات ومؤسسات عديدة ولأهداف مختلفة، واحدة للتأكيد على حرية الاستخدام والثانية للتأكيد على «نظافة» الإنترنت من الفساد والرذيلة وغير ذلك. كذلك تتوافر العديد من المجلات العامة والتخصصية التي تبحث مع عامة الناس والمتخصصين في موضوع الإنترنت.

ويمكن الحصول على قائمة الكتب الحديثة عن الإنترنت من العنوان التالي:

ftp://rtfm.mit.edu/pub/usenet/news.answers/intenet-services/book-List

كذلك يوجد دليل تعريفي للإنترنت من العنوان التالي:

ftp://ftp.eff.org/pub/ Net info/Big Dummy/Other versions/big-dummys-guide, sea; hqx

ولإجابة سؤال «عدو أم صديق؟» لابد من التذكر أن الإنترنيت وسيلة لا تختلف عن باقي الوسائل والمخترعات الحديثة، فالكل صديق ما دام استخدامه محدوداً بالإستغلال الصحيح ويتحول الى عدو عكس ذلك. وقد يشير البعض الى الصعوبة الفعلية للسيطرة على هذه القناة، إلا أن الفوائد الثقافية والعلمية والعميمة للإنترنت لا يجوز ان يحرم منها الانسان القويم، الذي تربى على المبادىء السمحاء، بسبب من فساد بعض من بني جنسه.

References:

Nielsen, J. (1995). Multimedia and Hypertext: The Internet and Beyond, Boston: AP Professional

Rzepa, H.S. (1996). Science and the Internet: The World- Wide Web. Science Progress, 79(2), 97-117.

Snell, N. (1995). Curious About The Internet?, Indiana: SAMS Publishing.

Zielinski, T. J and Shubata, M, (1996) The Education Internet Connection: What shall it be?, TrAC/ Internet Column, Elsevier Science bv. (http:// www, elsevier.nl/freeinfo/trac/ intntcol.htm)

ملحق جمعيات ومجلات وعناوين مفيدة:

تتوافر العديد من المجلات العامة والتخصصية التي تبحث مع عامة الناس والمتخصصين في موضوع الإنترنت ويمكن الحصول على قائمة الكتب الحديثة عن الإنترنت من العنوان التالي:

ftp:// rtfm.mit.edu/pub/usenet/news.answers/internet-services/book-List

كذلك يوجد دليل تعريفي للإنترنت من العنوان التالي:

ftp://ftp.eff.org/pub/Net info/Big Dummy/Other versions/big-dummys-guide.sea.hqx

وفي أنْفُسكُم أفلا تبصرَون

النفس الانسانية في المنظور الاسلامي

بقلم:
د. رضا عبدالحكيم
اسماعيل رضوان
- مصر -

يقول تبارك وتعالى في محكم آياته «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دسّاها} (الشمس/ ٧:١٠). ويقول عز وجل {إنا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا، انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا} (الانسان/ ٢ و٣). ويقول سبحانه وتعالى {ألم نجعل له عينين، ولسانا وشفتين، وهديناه النَّجدين} (البلد/ ٨:١٠).

الآيات السابقة رسمت - على نحو خاص - حقيقة التكوين النفسي للإنسان، وهي مرتبطة ومكملة للعديد من آيات الرحمن، كما في قوله جل وعلا {إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين} (ص/٧١ و٧٢)، وقوله {ان النفس لأمارة بالسوء} (يوسف/٥٣)، وقوله تبارك {النفس المطمئنة} (الفجر/٢٧).

والحبيب المصطفى {صلى الله عليه وسلم} هو اول من تحدث في طبيعة التكوين النفسي للإنسان وذلك في ضوء الآيات سالفة الذكر.. يشير ابن كثير - بصدد تفسيره سورة الشمس إلى أن: قوله {ونفس وما سواها} أى خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، يقول تعالى {فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله}، وقال النبي {صلى الله عليه وسلم} «كل مولود يولد على الفطرة» وفي الحديث القدسي في صحيح مسلم يقول المتعال «إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم} وقوله سبحانه {فألهمها فجورها وتقواها} أي أرشدها إلى فجورها وتقواها؛ أي بيَّن ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها. وفي الحديث: أن رجلا من مزينة او جهينة أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون، أشيء قضي عليهم من قدر قد سبق، ام شيء مما يستقبلون مما آتاهم به نبيهم {صلى الله عليه وسلم} واكدت به عليهم الحجة؟ قال: «بل شيء قد

قضى عليهم» قال: ففيم نعمل؟ قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لها؟ وتصديق ذلك «ونفس وما سوَّاها، فألهمها فجورها وتقواها» (رواه أحمد ومسلم).. وقوله تعالى {قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها} المعنى قد افلح من زكى نفسه بطاعة الله، وطهرها من الاخلاق الدنيئة والرذائل، كقوله: «قد افلح من تزكى. وذكر اسم ربه فَصلَّى» «وقد خاب من دسَّاها» أي دسسها أي أخملها حتى ركب المعاصى وترك طاعة الله عز وجل. سمع ابو هريرة رضي الله عنه النبي {صلى الله عليه وسلم} يقرأ: «فألهمها فجورها وتقواها» قال: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها انت خير من زكاها أنت وليها ومولاها» (اخرجه ابن ابى حاتم).

روى الامام أحمد: كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: «اللهم انى اعوذ بك من العجز والكسل، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر، اللهم آت نفسى تقواها، وزكها انت خير من زكاها، انت وليها ومولاها، اللهم انى اعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها» (اخرجه أحمد ومسلم).

والرحمن القائل وقوله الحق {إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نَبْتَليه فجعلناه سميعاً بصيرا. إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا} .. قوله «نَبْتَليه» أي نختبره كقوله جل جلاله {ليبلوكم أيكم أحسن عملا} {فجعلناه سميعا بصيرا} أي جعلنا له سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية، وقوله جل وعلا: {وهديناه السبيل} أي بيَّناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله تعالى: {وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى}، وكقوله تبارك {وهديناه النجدين} أي بيَّنا له طريق الخير وطريق الشر، وفي قوله «إنا هديناه السبيل» تقديره: فهو فى ذلك إما شقى وإما سعيد. كما جاء بالحديث الصحيح «كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها او معتقها» (اخرجه مسلم في صحيحه)، وقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عن لسانه إما شاكرا وإما كفورا».

الكاتب في سطور:

- دكتوراة في العلوم الجنائية من اكاديمية الشرطة.
- رئيس قسم الشئون القانونية والبحوث.

* له عدة مؤلفات منها:

- البث المباشر وتأثيره في تكوين السلوك الاجرامي.
- جرائم التقدم التكنولوجي في السياسة التشريعية المعاصرة.
- التهرب الضريبي بين الاسلام والفكر المعاصر.
- المسئولية الجنائية عن جرائم الافراد بالبيئة.
- الجريمة الارهابية وحق اللجوء السياسي.

يقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «ما من خارج يخرج الا ببابه رايتان: راية بيد ملك ، وراية بيد الشيطان، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وان خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته» (اخرجه الامام أحمد) ·· ورب العزة حين يقول: «ألم نجعل له عينين» أى يبصر بهما و«لسانا» أى ينطق به فيعبر عما فى ضميره «وشفتين» يستعين بهما على الكلام، واكل الطعام وجمالا لوجهه وفمه· يقول {صلى الله عليه وسلم}: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم ، قد انعمت عليك نعماً عظاما ، لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها ، وإن مما أنعمت عليك ان جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاء ، فانظر بعينيك إلى ما احللت لك، وان رأيت ما حرمت عليك، فأطبق عليهما غطاءهما ، وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا ، فانطق بما أمرتك، واحللت لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك، وجعلت لك فرجاً وجعلت لك ستراً ، فأصب بفرجك ما احللت لك ، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، يا ابن آدم انك لا تحمل سخطي، ولا تطيق انتقامى» «وهديناه النجدين»: الطريقين، قال ابن مسعود: الخير والشر، سمع ابو رجاء الحسن يقول: «وهديناه النجدين» قال: ذكر لنا أن نبى الله {صلى الله عليه وسلم} كان يقول «يا أيها الناس انهما النجدان: نجد الخير، ونجد الشر، فجعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير» (اخرجه ابن جرير)·

ذاتية التكوين الانساني

النفس تضم داخل كيانها - طبقا لآيات الذكر الحكيم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} شيئين متقابلين، هما: الفجور والتقوى ·· والنفس الانسانية على اطلاقها مستعدة استعداداً طبيعياً للهدى والضلال، قابلة للخير والشر·· هكذا صاغها الخالق تعالى، من نفحات السماء ومن تراب الارض ·· والسعيد من الناس من زكى نفسه وطهرها فخلصها من تراب الارض· واطلق روحه من أسر المادة، فحلقت به في عالم الحق والنور· اما الشقي فهو من دس نفسه، اى اخفاها، وغطى عليها بكثافة المادة وظلامها·

فالكيان البشرى كيان مزدوج الطبيعة· لذلك يتفرد الانسان عن سائر مخلوقات هذا الكون·· فالحيوان من جانب والملك من جانب - هما المخلوقان اللذان تجمعهما بالانسان صلات - كلاهما ذو طبيعة واحدة ووجهة واحدة·

فالحيوان: حتى في اعلى درجاته التى تشابه الانسان في تركيبه الجسماني مخلوق ذو طبيعة واحدة، تتحدد بحدود جسده وتصرفاته الغريزية·· جسمه هو مصدر طاقته، توجهه غرائزه· وسلوكياته الغريزية هى عالمه بأكمله· يأكل ويشرب ويؤدى الجنس بدافع جسدى بحت، لا

ادراك فيه لهدف، ولا تصرف فيه في وسيله، يأكل حين يدفعه الجوع. ويمسك حين تقرر له الغريزة حد الاكتفاء. وينشط جنسيا في موسم معين محدد، ولا يختار وقته، ولا يحدد هدفه ولا يدركه ، ولا يختار فيه سلوكا معينا غير ما توحيه له غريزته. ثم يكف عن هذا النشاط جملة في موعد كذلك محدد، لا يختاره هو ولا يدرك سره، ولا يملك كذلك مخالفته. فتصرف الحيوان نابع من غريزته لا يملك مقاومتها، ولا يفكر في مقاومتها كذلك .. فهو بحكم تكوينه مستسلم لما تمليه عليه غريزته. انه مخلوق ذو طبيعة واحدة وتعمل في اتجاه الجسم وغرائزه المخصوصة.

والملك: من وصفه الذى نعرفه به وان كنا لا نراه، مخلوق ذو طبيعة واحدة كذلك، وذو اتجاه واحد. مخلوق يعيش في نطاق روحه ويطيع توجيهاتها بلا ارادة ذاتية ولا تصرف ذاتى. فالملائكة مخلوقات مفطورة على الطاعة المطلقة، يقول العليم الحكيم «لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون» (التحريم/٦).. والملك ذو غرائز روحية تعمل بوحيها في كل امر دون تفكير أو اختيار.. أي أنه مخلوق ذو طبيعة واحدة ويعمل في اتجاه الروح.

اما الانسان ، فهو وحده ـ فيما نعلم من الكائنات ـ الكائن المزدوج الطبيعه القادر على اكثر من اتجاه .. وهذا الازدواج هو طابع كيانه كله. وهو متغلغل في كل اعماقه، فلا يوجد عمل ولا تصرف ولا شعور ولا فكر لا تبدو فيه هذه الظاهرة الفذة المميزة.. هذا عن حقيقة تكوين الانسان.

تحليل الميل الذاتي للنفس الانسانية

يتحكم في السلوك البشرى مجموعة من الغرائز، كغريزة القتال والدفاع، وغريزة الاقتناء، والغريزة الجنسية. غريزة القتال والدفاع: هى الميل الفطري إلى الاقدام تارة والاحجام تارة أخرى، سواء اكان الاقدام في شكل قول أو فعل.. وغريزة الاقتناء: وهى ميل فطرى إلى الاحراز والتملك.. والغريزة الجنسية: هل ميل فطرى للرجل إلى المتعة بالمرأة أو للمرأة إلى المتعة بالرجل.

عموماً الغريزة فطرة في الانسان تولد لديه الشعور بحاجة مادية او معنوية، ويكون هذا الشعور مصحوباً بألم تحس به النفس طيلة بقاء تلك الحاجة معلقه دون اشباع، ويقطع الألم لدى الانسان اتزانه الشعوري، فيصاب بالانفعال، ويصبح حرص الانسان على رفع هذا الالم عن نفسه هو المحرك إلى السلوك اللازم للخلاص من الالم.

والنفس الانسانية مكونه من ثلاثة عناصر هي: الفكر والشعور والارادة .. وأي عيب قد يصيب اي عنصر من العناصر سالفة الذكر، يؤدي مردوده فى السلوك الناشيء عن اى غريزة من الغرائز السابقة .. والعيب يأخذ احدى صورتين، اما خلل كمى أو شذوذ كيفي.. يقصد بالاول: أن يكون مقدار الشعور المتولد من

الغريزة متجاوزاً القدر الواجب توافره لدى الانسان السوي العادي، كالطمع في غريزة الاقتناء، والتهور في غريزة القتال والدفاع، والشراهة في تشهي الجنس في الغريزة الجنسية. وقد يتخذ الخلل الكمي صورة النقصان لا الافراط، يعنى ان يكون مقدار الشعور المتولد من الغريزة اقل من القدر الواجب توافره لدى الشخص السوي، كالتبذير في غريزة الاقتناء، والجبن في غريزة القتال والدفاع، وضعف القدرة الجنسية في الغريزة الجنسية، والزهد في الحياة مما قد يؤدى إلى الانتقاص في غريزة الكيان والبقاء .. في حين يقصد بالثاني وهو الشذوذ الكيفي: ان يتبع صاحب الغريزة في سبيل اشباعها اسلوبا يغاير ذلك الذى يستخدمه الشخص السوى العادي، كالتظاهر بأكثر من الحقيقة في غريزة الكيان والبقاء، واستحلال مال الغير في غريزة الاقتناء ، والقتال من اجل الباطل افتراء وتجنياً وهذا في غريزة القتال والدفاع، والساديزم اي استشعار اللذة في تعذيب الآخر.

والحبيب المصطفى {صلى الله عليه وسلم} هو الانسان الوحيد الذى سواه رب العزه ولا يكمن في تكوينه البشرى - عليه الصلاة والسلام - اي عيب او نقيصة .. تصديقاً لقوله تبارك وتعالى {الذى خلقك فسواك فعدلك في اى صورة ما شاء ركبك} (الانفطار/ ٧ و٨).. اما سائر البشر فإنهم مهيؤون لإرتكاب الشر والعصيان متى سنحت الفرصة.. وهنا .. هنا فقط تبرز قيمة تقوى الله ليحظى الانسان بالفلاح بتزكيتها، فلا يسقط في الهاوية، يقول جل شأنه {كل نفس بما كسبت رهينة} (المدثر/٣٨).

فالنفس الانسانية مخصوصه - بحكم خلقتها - بالشر الداخلى الكامن المتوارى، يقول رب العرش الكريم {ان النفس لأمارة بالسوء} (يوسف/٥٣).. هذا الشر يتحرك في شكل معصية من المعاصى المردية الناشئة عن الخلل الكمي او الشذوذ الكيفى في غريزة من الغرائز.. فنجد هناك القتل والسرقه والزنا وغير ذلك من أشكال ومظاهر الاثم والذنوب والافتئات على حقوق الآخرين.

يرى اصحاب المذاهب المادية التى استصغرت حقيقة الروح وحقيقة ارتباط الروح بالجسد في اي نشاط يقوم به الانسان - ان هناك غرائز ثانوية سامية.. تلك الغرائز هى التى تحول دون جنوح الانسان إلى الشر والاجرام .. تفرز هذه الغرائز في نفسية صاحبها الفضيلة ، فيحرص على كيان الآخرين ويسلك سلوكاً مستقيماً - بفعل هذه الغرائز - فيكون ذا لطف مع غيره في غمرة اشباع غريزة الكيان والبقاء متزناً في ممارسته غريزة القتال والدفاع، ميالا إلى البذل بالاضافة إلى النيل، وإلى العطاء إلى جانب الاخذ في استخدام غريزة الاقتناء، ومعتدلا غير متبذل في ارضاء غريزة الجنس.

ويقرر الفكر المثالي أو الواقعى - كما ترى الفلسفة الاوروبية الناقصة - ان تلك

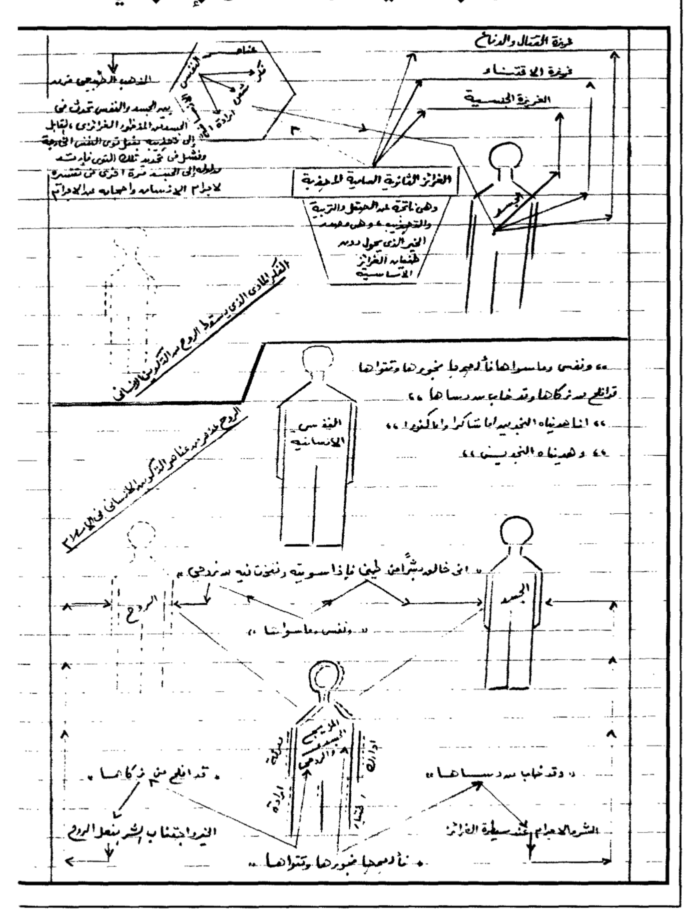
الغرائز الثانوية المهذبة انما هى ناتجة عن العقل والتربية والتهذيب.. الا ان هذه الفلسفة لم توضح مصدر الخير الحقيقى ومنبعه في الشخصية الانسانية.. والذى يلعب دوره الاكيد في منع طغيان الغرائز الاساسية.. فالفلسفة الوجودية قد قامت على خطأ منهجى وحيث فشلت فشلا ذريعاً في بيان اساس النزعة الخيرية في النفس الانسانية.. ذلك انها اخفقت في تحديد قوى النفس الخارجية، فارتد مدلولها إلى الجسد مرة أخرى.

يقول الحق جل وعلا {إذ قال ربّك للملائكة إني خالق بشراً من طين، فإذا سَوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين} (ص ٧١، ٧٢). فالانسان قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، قبضة من طين الارض تتمثل في الجسد بتفصيلاته العضوية، ونفخة من روح الله تتمثل في الجانب الروحى للإنسان.. وهي منبع الخير والبر والرحمه والتعاون والاخاء والمودة والحب والصدق والعدل والايمان بالله وبالمثل العليا والعمل على تحقيقها في واقع الحياة.. كل هذا نشاط روحي، او نشاط قائم على قاعدة روحية.. فالنشاط الجسمانى والنشاط الروحى يؤديهما الانسان بكيانه المزدوج الموحد، لا بأى عنصر من عنصريه منفصلا عن الآخر ومستقلا عنه. فالانسان يستجيب لنفس الدافع القهرى الذى يدفع الحيوان لتناول الطعام، ولكنه - فيما بين الدافع والاستجابه - يعبر طريقا طويلا مملوءا بالاختيارات.. نشأ عن وجود الروح وامتزاجها بالطين وتلبسها به «فالارادة» و«الاختيار» صفتان من صفات الروح، تتمثلان فى صورتهما المحددة المقيده في الانسان، بمقدار ما تطيق قبضة الطين ان تقتبس من روح الله.

ان قيمة الانسان نشأت حين تلبست نفخة الروح بقبضة الطين فغيرت طبيعتها فَشَفَّتْ بالمعرفة والادراك والارادة والاختيار.. هذا المزاج المجتمع المترابط من الطين والروح اذا كانت الغلبة فيه لحكم الجسد طغت الغرائز وظهر الشر وتجسمت الجريمة، ذلك ان من دسَّ نفسه انما قد طمس على روحه بعتامة الطين فخنقها وكبت اشعاعها وهي التي تمنح اساساً الطين خفة وشفافيه وانطلاقاً .. وهذا هو مصدر الشر في النفس الأمارة بالسوء كما وصفها الحق جل وعلا.. اما حين تحكم الروح هذا الكيان المجتمع المترابط - بفعل تقوى الله - مؤدى ذلك ضبط النشاط الانساني.. فسيطرة الروح هي التى تدفع إلى البذل والايثار، لأنها هى المنوطة بالخير .. فروح الله لها تكون الا خيراً.. تسوى ميزان الانسان الذى يحمل الامانة .. وخير ختام قول الله المتعال:

{قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى اكثر الناس إلا كفورا} (الاسراء/ ٨٨ و٨٩).

النفس الإنسانية فى المنظور الإسلامي





١٠١

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقرىء الملامح ويرسم اللوحة

لقطات على الموضة

الديار اللحيانية

مشاهدات من فيتنام



السائح

في هذا العدد من



على الموضة

هذا العالم المشحون بالغرابة .. فيه من السلوكيات ما يدعو للعجب .. رغم ما يلف العالم اليوم من دمار وكوارث ومصائب، تجد أناساً هناك لهم هموم لا تخطر على بال أحد .. كأنك بهم من عالم آخر غير عالمنا هذا.

(بيتسي) و(توبي) كلبان مدللان جداً لرجل وامرأة من فرنسا .. لقد أعياهما الهم والغم، وركبهما البؤس والشقاء من عدم وجود ملابس تليق بكلبيهما المدللين في السوق.

وأخيراً توصلا إلى تصميم موضة خاصة بكلبيهما .. وابتهجا بالتصميم الرائع، وقررا حلَّ مشكلة الأزياء لكل الكلاب المماثلة.

وكانت النتيجة أن أسَّسا مصنعاً خاصاً لأزياء الكلاب و(مافيش حد أحسن من حد).

WIE ET ES



في المدة الممتدة من نهاية شهر فبراير وإلى بداية مارس من كل عام، تمتد احتفالات ومهرجانات الفرح والزهور والمرح في مدينة كولون القديمة الشهيرة بـ (الكولونيا) المهرجان تنظمه (١٢٠) جمعية، على أنغام ثمانية آلاف عازف، و٣٥٠ ألف باقة ورد.. الكل يرتدى الأقنعة ذات الأشكال الجذابة والمدهشة المثيرة.

يطوف الموكب أنحاء المدينة ناثراً في ارجائها كل معاني البهجة والسرور والحبور.. والمهرجان يغلب عليه الشكل الاجتماعي.

ولعل أطرف ما في هذا المهرجان أن النساء قد خصص لهن يوم يدخلن فيه قصر الرئاسة حيث يصبح الأمر والنهي بيدهن في هذا اليوم.

أولا: نبذة عن قبيلة لحيان:

١ ـ النسب:

يقول ابن حزم: لحيان من هذيل، فولد لهذيل بن مدركة سعد ولحيان[١]، ويقول عمر رضا كحالة: ولحيان بن هذيل بطن من هذيل، من العدنانية، وهم بنو لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ومن بلادهم: رخمة، الهزوم، والبان، وقد قامت لهم دولة شمال الحجاز قبل الاسلام[٢].

ويقول ابن عبد البر: مضر جذمان: خندف وقيس والمقدم منهما خندف لأنها جذم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واصل قريش[٣]، ويقول الشيخ/ حمد الجاسر: أنهم من هذيل وهم فرعان محرز ومرير[٤].

٢ ـ الحدود:

يقول البلادي: تقع ديار لحيان اليوم بين مكة ومر الظهران، وتسمى اللحيانية، وتمتد حدودهم شرقاً الى سبوحة وغرباً الى فج الرحا، ويجاورهم الاشراف النواصرة من الغرب[٥].

ويذكر الشيخ مصلح بن صليح الغريفي اللحياني شيخ الموسة من لحيان أن حدود قبيلة لحيان على النحو التالي:

- من الشمال: المناعمة ووادي فاطمة.
- من الجنوب: وسط مكة وضواحيها.
- من الغرب: وادي فاطمة.
- من الشرق: السواهرة والعمران ومخطط الشرائع.

ثانيا: المعالم التاريخية والأثرية في الديار اللحيانية:

١ ـ اضاءة بني غفار:

الاضاءة: الماء المستنقع من السيل أو غيره، ويقال: هو غدير صغير، قال يا قوت: موضع قريب من مكة فوق سرف قرب التناضب له ذكر في حديث المغازي، وروي أن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان عند اضاءة بني غفار فأتاه جبريل فقال له: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. قلت (البلادي): هذه الاضاءة هي بلاد اليوم كثيرة الطين يشطرها الطريق (طريق المدينة ـ مكة السريع) الى نصفين اذا خرج من سرف شمالا[٦].

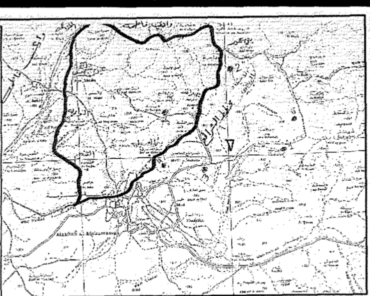
قلت: (الباحث) الموقع اليوم يشغله موقف حجز سيارات خط الحرمين شمال غرب قبر أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها.

٢ ـ بئر طوى:

بضم الطاء المهملة، وواو، وياء مقصورة. وهو واد من أودية مكة، كله معمور اليوم، وانحصر الاسم في بئر في جرول تسمى بئر طوى، هي موضع مبيته {صلى الله عليه وسلم} بجيش الفتح هناك[٧]، قلت (الباحث) موقع البئر اليوم أمام مستشفى الولادة والاطفال بحي جرول.



إعداد عقيد:
مساعد بن منشط الفريفي اللحياني
ـ الرياض ـ



- خريطة لمكة المكرمة توضح حدود قبيلة لحيان.

٣ - توزيع غنائم غزوة حُنين:

في قرية تعرف اليوم (بجعرانة) تبعد عن مكة المكرمة بحوالي ٢٥كم، وبها قسَّم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الغنائم بعد غزوة حُنين والطائف[٨].

٤ - غوطة الصحابي عبد الله بن الزبير:

بستان كان به ثمر وزرع للصحابي عبد الله بن الزبير يقع الآن شمال شرق النوارية ويعرف باسم (الروضة) بجوار بلاد السنوسي ويبعد عن الجعرانة من ٤ - ٥ كم تقريباً. كانت تعرف باسم (ثُرير)[٩].

٥ - قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها:

يوجد هذا ا لقبر بحي النوارية يسار الذاهب الى المدينة المنورة محاط من كافة جوانبه بسور يبلغ ارتفاعه ما يقارب ٥ر١م. ويبعد عن المسجد الحرام بستة عشر كيلا وأحد عشر كيلا من عمرة التنعيم[١٠]، ومن المصادف أنها تُوفيت في المكان الذي بنى بها رسول الله فيه.

٦ - قبر الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

يقع بحي الشهداء بالزاهر يبعد عن طريق مكة المدينة السريع بحوالي ٥٠٠م تقريباً، وهو عبارة عن قبر عليه سور بعض اجزائه متهدمة ويزعم المجاورون له بأنه قبر الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وهناك قول بأن قبره بالخرمانية مما تلي ريع الحجون[١١].

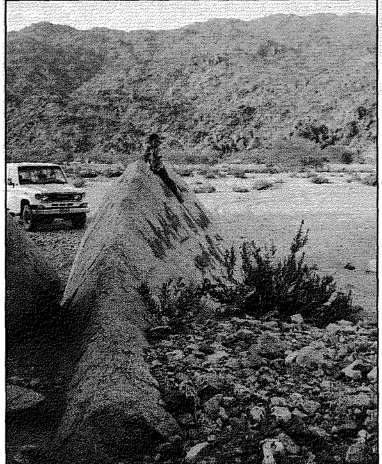
٧ - مبرك الناقة العاصية:

يقع بمنطقة الرشيدي في مكان يعرف باسم (القُنّبة) يسار الذاهب الى السيل وتبعد عن مكة المكرمة بحوالي ٢٥ كيلا وسط واد يتسع عندها ويضيق كلما انحدرنا غرباً، ويروي سكان تلك الناحية أن صخرة تشبه الناقة وهي جالسة ورقبتها على الأرض قيل أنها ناقة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بركت هناك عندما كان عليه السلام عائداً من غزوة حُنين وهو في طريقه الى الجعرانة لتوزيع الغنائم فرفضت القيام فدعا عليها[١٢].

٨ - محبس أبي سفيان:

يقول صاحب (المناسك) وبعد الجنابذ بميل، خشونة وصعوبة، وطريق ضيق بين الجبلين، يقال إنه الموضع الذي أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} العباس أن يحبس ابا سفيان حتى تمر به الجيوش[١٣]، وعن ابن عباس قال: فلما نزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمر الظهران، وكان من قصة أبي سفيان ما كان تلك الليلة قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للعباس حين اسلم أبو سفيان: انصرف يا عباس، واحبسه عند خطم الجبل، بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله[١٤].

قلت هذا المكان يقع بين جبلين صغيرين تجدهما بعد مدخل قرية عين شمس الرئيسي على طريق مكة المدينة السريع عندما تتعداه تُشاهد



- مبرك الناقة العاصية.

محافظة الجموم ويبعد عن مكة المكرمة بحوالي اثنين وعشرين كيلا ويعرف في تلك الناحية بوادي الضيق.

٩ - مسجد الجعرانة:

يقع بقرية الجعرانة التي تبعد عن مكة المكرمة بحوالي ٢٤ كيلا، وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد اعتمر منها بعد غزوة الطائف (حُنين) وخرج منها ليلا وعاد من ليلته[١٥].

ويروي الازرقي أن رجلا من قريش بنى مسجداً هناك، ولا زال معموراً يعتمر منه أهل مكة، وهو مبني من الاسمنت[١٦]، قلت: المسجد لازال موجوداً وقد جدد بناؤه في عهد الدولة السعودية الحديثة.

١٠ - مسجد عائشة رضي الله عنها:

يقع بالتنعيم وهو المكان الذي اعتمرت منه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عن صفية بنت شيبة قالت: حدثتنا عائشة أن النبي {صلى الله عليه وسلم} أمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يُعمرها من التنعيم. وهو دون مكة بأربعة أميال[١٧]. قلت منه الآن يعتمر أهل مكة ومن أتى من خارجها ماراً بالتنعيم، وقد جدّد خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها فاصبح مسجداً رائعاً فريداً من نوعه.

١١ - منزل قيس بن ذريح الكناني صاحب لُبْنَى:

يقول صاحب المناسك: وبسرف منزل قيس بن ذريح الكناني صاحب لبنى وفيه يقول قيس بن ذريح، ونقلت لُبْنى حين تزوجت[١٨]:

الحمد لله قد أمست مجاورة
أهل العقيق، وأمسينا على سرف
حيٌ يمانون، والبطحاء منزلها
هذا - لعمري - شكل غير مؤتلف
قد كنت آليت جُهداً لا أفارقها
أف لأكثر ذاك القول، والحلف
حتى تكفنني الواشون فافتلتت
لا تأمننَّ بدار لات مكتنف

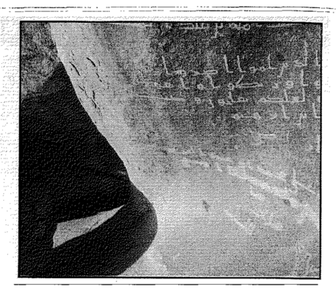
١٢ - نقوش إسلامية:

تقع هذه النقوش في وادي العسيلة الذي يبعد عن مكة المكرمة بحوالي اثنى عشر كيلا تقريباً. ويبلغ عدد هذه النقوش ما يزيد عن ستين نقشاً ترجع الى الفترة الواقعة ما بين بداية العصر الأموي والفترة العباسية المبكرة، وجميع هذه النصوص كتبت لطلب المغفرة والعفو والرحمة والجنة والقبول للشخصيات المسجلة اسماؤها في النقوش.

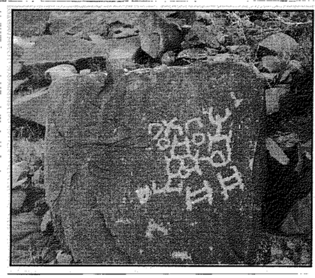
ومن أهم تلك الشخصيات، صفية بنت شيبة بن عثمان، ومحمد بن عبد الرحمن بن هشام[١٩].

١٣ - نقوش قديمة:

تقع في مكان يُعرف باسم الدَّودية أو الدُوَيَّدة



- نقوش اسلامية عثر عليها بالعسيلة.



- نقوش قديمة عثر عليها بالدويدة.

على الطريق المؤدي الى الجعرانة، وتبعد عن الخط السريع بحوالي كيلين على يمين الداخل الى شعيب ضيق، ويحتوي هذا الجبل على نقوش قديمة لحيوانات وكتابات بخط يشبه خط المسند الشمالي ونقوش اسلامية بالخط الكوفي.

قمت بزيارة لهذا المكان لأول مرة بتاريخ ٤/١٠/١٤١٥هـ مع مجموعة من أبناء القبيلة.

١٤ - النورة تبني الكعبة:

النورة عبارة عن حجارة بيضاء تستخرج من مناجم جبلية تشرف على وادي سرف (النوارية) ثم تطحن حتى تصبح ناعمة، وتستخدم في اعمال البناء مثل الإسمنت، ويقال أنه بنيت بها الكعبة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ويمكن مشاهدة ذلك في الخطوط البيضاء التي بين حجارة الكعبة، في حين أن أغلب بيوت مكة القديمة بنيت منها.

الهوامش:

(١) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج/٣، ص ١٠١٠.

(٣) الانباه على قبائل الرواه، ابن عبد البر القرطبي ص ٧٣.

(٤) معجم قبائل المملكة العربية السعودية، حمد الجاسر، ق/٢، ص ٦١٠ - ٦١١.

(٥) معجم قبائل الحجاز، البلادي، ج/٣، ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

(٦) معجم معالم الحجاز، البلادي ج/١، ص ١١٠ - ١١٢.

(٧) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، البلادي، ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٨) راجع الرحيق المختوم، المباركفوري، ٤١٩.

(٩) راجع معجم معالم الحجاز، البلادي، ج/٢، ص٨١.

(١٠) راجع على طريق الهجرة، البلادي، ص ٩ - ١٠.

(١١) أخبار مكة، الازرقي، ٢/٢٨٩.

(١٣) روى لي هذه القصة الشيخ/ حماد بن محمد الضبيبي اللحياني.

(١٣) أي جيوش فتح مكة.

(١٤) المناسك، تحقيق الشيخ/ حمد الجاسر، ص ٤٦٤.

(١٥) راجع الرحيق المختوم، المبار كفوري، ص ٤٢٢.

(١٦) معالم مكة التاريخية والأثرية، البلادي، ص ٢٧٠.

(١٧) المناسك، تحقيق الشيخ/ حمد الجاسر، ص ٤٦٧.

(١٨) المناسك، تحقيق الشيخ/ حمد الجاسر، ص ٤٦٦.

(١٩) كتابات اسلامية من مكة المكرمة، الراشد، ص ١٥٧ - ١٥٨.

إضاءة

عقيد/ مساعد بن منشط اللحياني
١ - عضو الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية بالرياض.
٢ - عضو متعاون مع هيئة التدريس باكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض.
٣ - عضو الاتحاد الدولي لرجال الاطفاء المتطوعين باليابان.
٤ - عضو الجمعية الوطنية للحماية من الحريق بالولايات المتحدة الامريكية.

* المؤلفات:
١ - التطوع في الدفاع المدني ١٤١٤هـ.

عدنا إلى الفندق بعد الخامسة بقليل، وقد غربت الشمس أو كادت فانطفأت الكهرباء منه، وتعطلت الحركة فيه لأنهم لم يعملوا كما تعمل الفنادق في البلدان الحرة حيث يكون فيها مولدات كهربائية خاصة أو حتى شموع أو مصابيح كهربائية يدوية يكتفي بها عن التيار العام حتى يعود.

الخروج بدون نقود:

ولبثنا في حبس مظلم مدة ساعتين لم نستطع الحركة ولا الكتابة ولا الاستفادة من الوقت، ثم عادت الكهرباء بعد ذلك فسألنا فتى في مكتب الاستقبال من الفندق عما إذا كان الخروج آمناً في الليل إذ نحب أن نتمشى فقال: إنه لا بأس بذلك بشرط أن تتخلوا عن ساعاتكم اليدوية وأن لا تأخذوا معكم نقوداً ذات بال.

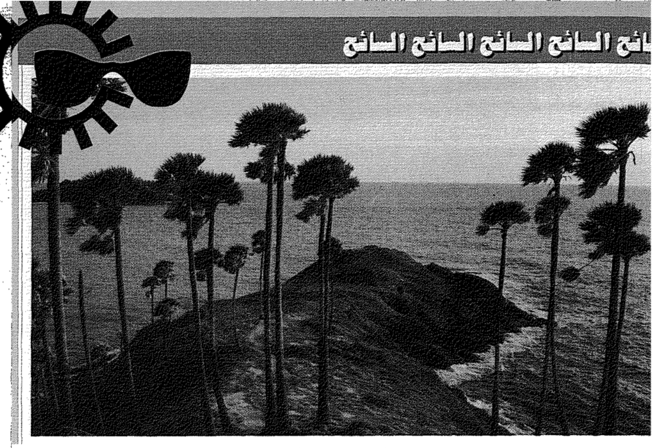


وخرجنا بالفعل ولكننا وجدنا ما حول الفندق مظلماً، وكأننا في منتصف الليل مع أن الساعة تقارب الثامنة. وذكرنا فندق (ركس) في سايقون وكيف أن الميدان الذي يقع عليه الفندق ويسمى (ميدان ركس) أيضاً يظل الناس فيه إلى قرابة نصف الليل وهم في ليل كالنهار إذ يجدون مقاعد حجرية يستريحون عليها والأنوار كافية.

ولما لم نجد ما يحسن الإطلاع عليه عدنا إلى الفندق وقصدنا المطعم الذي كان قليل الرواد، رغم ضخامة الفندق وكثرة نزلائه ولكن ربما كان أكثرهم يتعشون مبكرين. فطلبنا الأرز بالإربيان وهو صغار السمك الذي تسميه العامة عندنا (الروبيان) وهو في مصر (جمبري) فجاؤا بالإربيان كبير الحجم، لذيذ الطعم.

ولما جاء العامل بالقائمة كان قد كتب فيها ٣٠ ألف دونغ فظننته كتب ثلاثين دولاراً وهو يساوي هذا الثمن وأكثر منه في أوروبا، ولكن تبين أن الثمن هو ٣٠ ألف دونغ ويساوي ذلك دولارين اثنين فقط على وجه التقريب.

وهذا رخص متناه، والواقع أن فيتنام تعتبر جنة للسائح غير المترف الذي يريد أن يمتع بصره وفكره بالمعلومات وبطنه بما يوجد فيها من طعام حلال له، كالسمك والإربيان إلا إذا وجد مطعماً



الخضرة وجمال الطبيعة

إسلامياً كما وجدناه في (سايقون)، فإنه سوف يأكل طعاماً لذيذاً ذا نكهة خاصة بما يشبه المجان.

أما في (هانوي) هذه فإنه لا يوجد فيها مطعم للمسلمين وذلك لقلة المسلمين فيها من أهلها وقلة من يترددون عليها من المسلمين من غيرهم، أما العاملون المسلمون في سفارات الدول الإسلامية فإن لهم في طعامهم حديثاً قد يأتي بعد ذلك.

أفطرنا في مطعم الفندق هذا الصباح، وقال لنا الموظف: إن الطعام مجاني داخل ضمن أجرة الغرفة التي هي ٣٥ دولاراً أمريكياً.

وجاء به خبزاً وبيضاً صليقاً أي مسلوقاً وزبداً وشاياً. واعتذر بأنه لا يوجد لديهم الإفطار الأوروبي الذي أهم ما فيه (الهام) وهو لحم الخنزير الصغير. فقلنا: ما رأينا إحساناً يُعتذر منه كهذا.

في السفارة المصرية:

ذهبنا إلى السفارة المصرية في هانوي وقابلنا السفير الأخ/ مصطفى شنيف، ويعرف عنه اهتمامه بالشؤون الإسلامية هنا وبخاصة العناية بجامع هانوي فهو رئيس لجنة المسجد المؤلفة من سفراء الدول الإسلامية. وقد وجدنا أنه بالفعل مهتم بأمور المسلمين قائم بما يستطيعه من ذلك.

جمعية المسجد:

لا يوجد تجمع للمسلمين من أهل فيتنام في هانوي كما تقدم، لذلك لا توجد لهم جمعية إسلامية رسمية ولا جهة منهم تتولى شؤون جامع هانوي الذي هو المسجد الوحيد المفتوح في هذه المدينة الكبيرة.

وقد ألف العاملون في سفارات الدول المسلمة جمعية فيما بينهم هدفها القيام على شئون الجامع والعناية به. فعينوا أحد الإخوة المسلمين الفيتناميين لحراسة المسجد، وأعطوه مسكناً من غرف ملحقة به مبنية مع بنائه القديم إلا أنها هيؤها، وصاروا يتناوبون فيما بينهم إمامة المصلين يوم الجمعة الذين يتراوح عددهم ما بين ٣٥ إلى ٣٠ مصلياً في المتوسط.

قالوا: وفي يوم الجمعة يفتحون باب التبرع ويتبرع الشخص منهم في المتوسط بدولار واحد، وقد يتبرع باثنين فيتألف من ذلك مبلغ جيد في هذه البلاد يكفي راتباً لحارس المسجد وللكهرباء والماء وللمصاريف القليلة الأخرى، وذلك لغلاء العملة الأجنبية أو إن شئت قلت لانحطاط قيمة عملتهم الفيتنامية.

وقد أخبرونا أن أرضية المسجد تحتاج إلى إصلاح فقررنا أن ندفع لهم ألفي دولار أمريكية لهذا الغرض، إلا أننا لم نجد منهم من يحب أن يتسلمها، على اعتبار أنهم (دبلوماسيون) يجب أن يقتصر عملهم الرسمي على ما يتعلق بوظائفهم ولأنه لا توجد جمعية رسمية مسجلة للعناية بالمسجد.

الأديان في فيتنام:

لمناسبة الحديث عن قلة عدد المسلمين هنا يمكن تلخيص الوضع الديني في فيتنام بأن عدد السكان يبلغ ٦٨ مليوناً من النفوس ٤٨ مليونا منهم في شمال فيتنام الذي فيه العاصمة (هانوي) و٢٠ مليوناً منهم في الجنوب الذي عاصمته الآن (هوشي منه)، التي كان اسمها (سايقون) عندما كان الجنوب دولة مستقلة تحت رعاية الولايات المتحدة وحمايتها التي لم تغن عنها شيئاً.

ومن السكان ٤٪ فقط من المسيحيين رغم السيطرة الطويلة من فرنسا على فيتنام، وكان المنصرون يجتهدون في نشر النصرانية وكذلك عندما صارت جنوب فيتنام تحت ظل الولايات المتحدة وتحارب الشيوعيين وتنفر من ثقافتهم كان المنصرون نشطين فيها، ولكن جهودهم لم تثمر الثمرة التي كانوا يرجونها. و٧٠٪ من السكان هم من البوذيين و١٪ مسلمون وأديان أخرى و٢٥٪ دين يسمى (كاو داي) وهو دين فيتنامي قديم.

جامع هانوي:

ذهبنا لرؤية (جامع هانوي) مع السفير المصري على سيارة استاجرناها من مكتب حكومي للسياحة وهي حافلة صغيرة قديمة أجرتها ٢٠ دولاراً حتى الساعة السادسة من مساء اليوم.

وهذه أجرة كثيرة بالنسبة إلى أجور السيارات التي كنا ندفعها في (هوشي منه)، وجدنا جامع (هانوي) عظيماً حقاً بمظهره الضخم الرائع ذي المآذن الأربع الشامخة وبنائه الحجري القوي.

وهندسته غريبة ليست مثل هندسة المساجد في جنوب فيتنام، حيث يغلب هناك المساجد على الطريقة الملايوية. ولا هو بطراز المساجد على الطريقة الهندية المتأثرة بالطراز المغولي الهندي للبناء.

وقيل لي: إنه بني على طراز محلي وطني عريق في البناء قد بنيت عليه المعابد القديمة وإن كان بانوه أبرزوا ما يظهر أنه مسجد مخالف لتلك المعابد.

ويصح أن يقال: إن المسجد يتألف من عدة أبنية أهمها المصلى وهو المسجد الرئيسي وهو متوسط السعة ذو أعمدة ضخمة قد كتبوا على محرابه الشهادتين بالعربية (لا إله إلا الله، محمد

رسـول الله)، وتاريخ بنائه، بأرقام عربية ١٣٢٣هـ. وحوله أروقة عديدة وبجانبه مبان ملحقة به يسكن في أحدها الحارس مع أسرته، وبعضها كان يستعمل مدرسة إسلامية قبل أن يغادر المسلمون فيتنام،



مجموعة من الاطفال مع معلماتهم

والآن بقيت معطلة، وقد عرفت بعد ذلك أن الذي قام على بنائه وانفق عليه النفقة العظيمة هم الأخوة من مسلمي الهند الذين كانوا يعملون تجاراً في فيتنام وغادروها بعد أن استولى الشيوعيون على الحكم.

وهم بذلك جديرون لما رأيت من عظم المسجد الذي بنوه وهو جامع سايقون أي هوشي منه الذي تقدم ذكره.

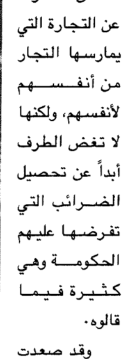
ولم نجد حارس المسجد، وإنما وجدنا أخاً له مسلماً اسمه إبراهيم التقطنا معه صورة عند مدخل المسجد.

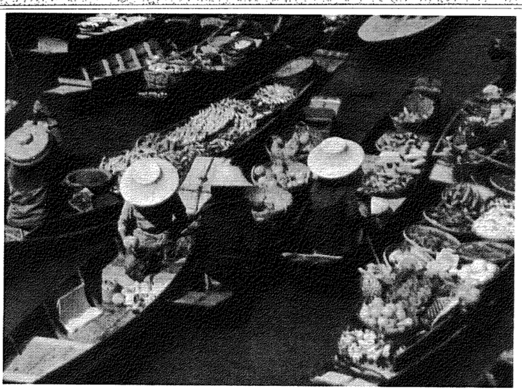
ويقع المسجد على شارع مزدحم اسمه (تانغ هانغ لوك) من محلة اسمها (هانغ ماه). وله أربع منارات شامخة اثنتان منها أكثر ارتفاعاً من اثنتين.

وقد كتبوا على مدخله الخارجي الذي يفضي إلى فناء مكشوف غير واسع جملة (الله أكبر)، وزينوه بوضع شعار المسلمين عليه وهو الهلال الذي تتوسطه نجمة وكل ذلك من الحديد فوق بوابة حديدية.

وانطلقنا مع شارع المسجد الذي أفضى بنا إلى ميدان تتفرع منه عدة شوارع وسط المدينة المزدحم وكله ذو منازل متلاصقة وحوانيت بعضها بجانب بعض. مما يعطي الانطباع بأنها كانت قلب مدينة هانوي التجاري القديم، ولا تزال مزدحمة حتى الآن ولا تزال الحوانيت فيه عامرة بالسلع إلا أنها غير فاخرة ولا غالية.

وقيل لي: إن حكومة فيتنام الشيوعية أبقت على كثير من التجار الذين كانوا يعملون في حوانيتهم، وجعلتهم بمثابة الوكلاء الذين يبيعون لها ما تريد بيعه، بدلا من أن تبيعه بوساطة محلات حكومية فيها موظفون حكوميون كما هو عليه الحال في الدول الشيوعية الأخرى. كما صارت


تغض الطرف عن التجارة التي يمارسها التجار من أنفسهم لأنفسهم، ولكنها لا تغض الطرف أبداً عن تحصيل الضرائب التي تفرضها عليهم الحكومة وهي كثيرة فيما قالوه.


السوق العائم بعيداً عن زحام المدينة

وقد صعدت إلى محل تجاري قديم يصعد إليه في طابق فوق الأرضي مع درج مكشوف واستمتعت برؤية المنطقة من مكان عال، والتقطت لها صوراً من ذلك المكان.

غداء السفير:

دعانا السفير المصري الأخ مصطفى شنيف إلى طعام الغداء في بيته ومثل هذه الدعوة لها معنى خاص، لأن أهل البلاد لا يحل طعامهم لكونهم ليسوا من أهل الكتاب الذين تحل ذبائحهم، ولا سيما أنهم من المشهورين بأنهم من أكلة لحم الكلاب لا يستخفون بذلك ولا يكتمونه، بل يظهرونه للناس.

ولهذا السبب لا يستطيع المرء منا أن يأكل في المطعم إلا إذا كان ذلك سمكاً مشوياً أو مقلياً قد تحقق من الزيت الذي قلي به، لئلا يكون من شحم الخنزير.

وقد تغدينا في بيت السفير وهو جيد واسع، ومؤثث تأثيثاً مناسباً. وكان الغداء منوعاً من الشواء إلى شيء من اللحم الصليق وهو المسلوق، والأرز والخضروات، ثم الحلوى، وأدينا صلاة الظهر مع السفير في بيته ثم جمعنا العصر معها.

جولة في مدينة هانوي:

كانت الجولة على سيارة السياحة التي استأجرناها غير أن سائقها لا يعرف غير لغته ولم يكن في مكتب السياحة من يعرف الإنكليزية لذا أعطتنا السفارة المصرية كاتبة فيها من أهل البلاد تعرف الإنكليزية، وهي فيتنامية أصيلة ضئيلة الجسم، قصيرة القامة، إلا أنها ذكية بل تتوقد ذكاء، وأما مظهرها فإنها كما كان يقال فيمن يكون مظهرها ليس على ما يراد من الجمال، إنها (مستورة) والستر الذي يعني ستر الوجه والكفين بعيد عنها، وما عدا ذلك من جسمها فإنه مستور ما عدا رأسها.

واسمها (فان) وهذا اسمها الأول أي الخاص واسمها الكامل هو (انغوين نغوك فان)، وميزتها

أنها تعرف الإنكليزية ومثقفة ثقافة عامة جيدة.

بدأت الجولة في السوق الذي كنا رأينا بعضه، ولكننا وقفنا عند بائعات خضروات وبيض من أجل رؤية القبعات الفيتنامية الأصيلة وتصويرها فكلمتهن مستأذنة بالتصوير فلم يمانعن.

ثم مررنا بقصر الملك الذي هو ملك فيتنام قبل الشيوعية وقد بني عام ١٨٨٥م، ولم ندخله لأننا نريد الإطلاع على أشياء كثيرة أهم فيما بقي من نهار هذا ا ليوم.

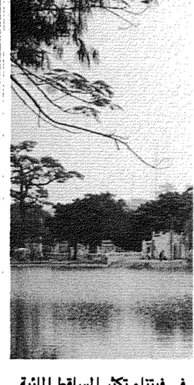
متحف هوشي منه:

هو متحف ذو مبنى ضخم مداخله وأبهاؤه أكبر من حقيقته ومن مستوى معروضاته، بناه الشعب الروسي هدية للشعب الفيتنامي كما كتبوا ذلك عليه وتم بناؤه في عام ١٩٨٠م حيث سلمه الروس إلى الفيتناميين.

واسمه (متحف هوشي منه) اسم على مسمى فقد أسس ليضم بالدرجة الأولى كل ما يتعلق بحياة زعيم فيتنام الذي قادها إلى النصر على الفرنسيين ثم على الأمريكيين وذلك منذ ولادته في عام ١٨٩٠م حتى وفاته في عام ١٩٦٩م.

وكان أول ما نوه به المتحف أن الزعيم (هوشي منه) لم يتزوج، وإنما كان زوجه الشعب الفيتنامي كله بمعنى أنه قد حمل همومه وقاده في الحروب المتواصلة التي خاضها حتى النصر. فشغله ذلك عن الزواج.

كان أول ما فعلوه بإسراف ظاهر وبتفاصيل لا داعي لها هو أن عرضوا بالصور مختلف مراحل حياته منذ أن كان طفلا حتى أصبح شاباً ثم شيخاً وتوفي، ما كان من ذلك مصوراً تصويراً شمسياً (فوتوغرافيا)، وما كان منه مرسوماً رسماً مستوحى من الأحداث التي رويت عنه أو حدثت له في حياته.



في فيتنام تكثر المساقط المائية

ولم يكن ذلك يستهويني كله، إنما كنت توقعت أن أجد في المتحف ما يلقي ضوءاً على تاريخ هذه البلاد الفيتنامية وماضيها البعيد والقريب.

عاشق الأمة:

من الطريف الذي أوضحوه هنا أن اسم (هوشي منه) ليس هو اسم الزعيم الذي سماه به أبواه، وإنما هو اسم خلعه عليه أصحابه ورفاقه في الكفاح ضد المستعمرين عندما اكتشفوا مواهبه في ذلك وسموه به عام ١٩١٧م عندما كان أمثاله يحبون النساء أو غير النساء من الأشياء التي يحبها الشباب في العادة وانصرف حبه كله إلى الكفاح من أجل الأمة الفيتنامية فسموه محب الأمة، أو عاشق الأمة (هوشي منه).

مخلفات بسيطة:

عرضوا في هذا المتحف جميع ما كان يستعمله الزعيم في حياته من أشياء حتى مالا أهمية له. مثل كرسي رث كان يجلس عليه، وعصا غير معتنى بها.

وإن كان في ذلك أشياء مهمة توضح أدواته وأمثاله في الكفاح ضد سيطرة الأجانب على البلاد عندما بدأ ذلك، فقد عرضوا الأسلحة التي كان يستعملها وهي أسلحة بسيطة في باديء الأمر تألفت من بنادق قديمة وأسلحة يدوية.

والطريف في الأمر أنهم عرضوا المكتب الذي كان يجلس إليه بعد أن أصبح زعيماً فوجدناه من الخشب الخشن يتألف من مائدة خشبية وكراس خشبية خشنة مما يدل على الخشونة والتقشف التي كان عليها هو ورفقاؤه وبعدهم عن التنعم والترف، وما شبهت الكراسي التي في مكتبه إلا بالمقاعد في المقاهي الخشبية الفقيرة في بعض البلدان العربية قبل ربع قرن مثلا.

المعبد البوذي القديم:

جعلوا كل ما حول هذا المتحف حرماً له إلى مسافات واسعة، فنسقوا أشجاره ورصفوا ممراته ومماشيه حتى وصلوا إلى معبد بوذي صغير قديم ذكروا أن تاريخ بنائه لأول مرة يرقى إلى تسعمائة سنة إذ أسس في القرن الحادي عشر الميلادي.

وهو مرفوع عن الأرض بخشب، ولذلك يصعد إليه من درج، ورفع المعابد البوذية أمر متبع حتى إنهم كانوا يبنونها في العادة على قمة تلة أو جبل أو في أحضان جبل إذا لم يستطيعوا أن يصلوا إلى رأس الجبل. ويتكلفون لذلك صعوداً مرهقاً. وقد رأيت ذلك في أماكن عديدة من العالم الذي فيه اتباع لتلك الديانة البوذية أو كانت الديانة البوذية شائعة فيها من القديم مثل نيبال وتايلند وبورما.

مع أن هذا المعبد الذي نذكره هو صغير بل ويكاد يكون رمزياً خلاف المعروف من المعابد البوذية التي تتسم بالكبر والسعة. ما عدا القاعة الرئيسية التي يكون فيها تمثال كبير لبوذا يسجدون عنده ويتضرعون إليه، فتكون متوسطة أو صغيرة.

وكان عند المعبد في حديقة المتحف جمع من الأطفال يلعبون فالتفوا علينا يريدون التصوير عندما رأوني أصور المعبد فصورتهم.

الأطفال الأبطال:

قالت الدليلة وهي تتقد حماساً وتكاد تنفجر غيظاً على الأمريكيين الذين حاولوا إذلال الشعب الفيتنامي وقذفوه بأقوى أسلحة الدمار - كما قالت: إنها كانت صغيرة إبان الحرب مع الأمريكيين ولكنها تحفظ أنشودة تمجد أطفال فيتنام، وتذكر مقاومتهم العنيفة للأمريكيين.

وقالت: لقد حاربت النساء كما حارب الرجال وحارب الأطفال حرب الأبطال. وقالت: إن أطفالنا يختلفون عن أطفال الأمريكيين المدللين.

وأنشدت أغنية حماسية باللغة الفيتنامية، قلت لها بالعربية عندما سمعتها تنشدها ما قلته في أمثالها ولم تفهمه وهو أن (تكذب ولا تخاف) لأنني لا أستطيع أن أعرف كذبها أو غلطها ولكنها ترجمت المهم من تلك الأنشودة التي تقول:

أطفالنا أبطال، ونساؤنا جنود وفواكهنا بنادق، ونحلنا سيوف، وفسرت ذلك بأن الأطفال قد ربوا على أن يرصدوا حركات الأمريكيين وتصرفاتهم ويخبروا بها القيادة، والنساء جنود، لأنهن يقاتلن ويترصدن للأمريكيين فيوقعن بهم من حيث لا يحتسبون، وأما الفواكه فإنها بنادق لأن الجنود يعيشون عليها إذا لم يجدوا طعاماً فتكفيهم غذاء، والنحل قنابل لأنه يلسع الجنود الأمريكيين ويمنعهم من الولوج في بعض الأماكن.

المتحف الحربي:

ذهبنا إليه مخترقين شوارع هانوي الواسعة

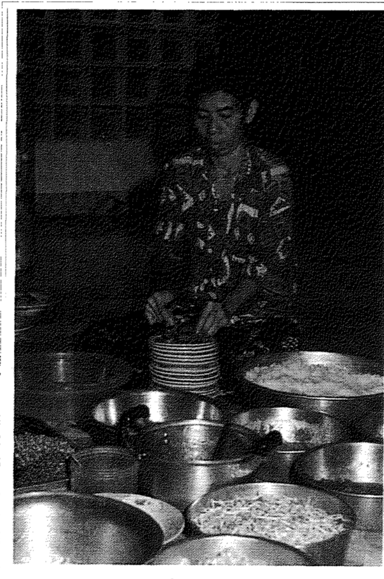
التي ترصع أرصفتها بائعات البضائع البسيطة من الأطعمة القليلة، والفواكه المحلية الرخيصة والبضائع الأرخص والأقل جودة. وإن كان ذلك أقل مما عليه الحال في البلدان غير الشيوعية مثل تايلند حتى بورما.

فوصلنا المتحف الحربي، وكان أهم منظر في ساحته منظر حطام طائرة أمريكية من قاذفات القنابل الضخمة طراز ٥٢ ب قد أسقطها الفيتناميون فوق هانوي لأنها كانت محملة بالقنابل التي اعتادت هذه الطائرات القاءها على فيتنام.

من الطريف في الأمر أن حطام الطائرة الأمريكية الضخمة قد جمعوه وكوموه حتى غدا كحطام بيت كبير، ثم وضعوا فوقه طائرة صغيرة من صنع روسي. هي التي أسقطتها عندما هاجمت هذه الطائرات الضخمة مدينة هانوي في المدة ما بين ١٨ إلى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٧٢م.

وتم إسقاط هذه الطائرة التي نرى حطامها الآن بصاروخ محمول على طائرة روسية حربية لا يتعدى حجمها بالمقارنة الى حجم هذه الطائرة الأمريكية الكبيرة العشر منه أي ١٠٪.

وما شَبَّهْت تربع الطائرة الروسية النفاثة الصغيرة وهي سليمة فوق حطام هذه الطائرة الأمريكية العملاقة ٥٢ب، إلا بالمنزلة الرفيعة التي صارت في نفوس العالم لهؤلاء الفيتناميين الصغار الأجسام، الكبار القلوب عندما قهروا الأمريكيين ذوي الأجسام الكبيرة والصناعات الضخمةالتي



جانب من ماكولاتهم

من أهمها أكبر القنابل الموجودة في العالم كله في ذلك التاريخ.

وقد عرضوا غير بعيد من المكان مدفعاً فرنسياً ضخماً كانوا قد غنموه من قلعة (ديان بيان فو) بعد أن انتصر الفيتناميون على الفرنسيين في المعركة البطولية التى دارت حول القلعة الضخمة المذكورة عندما تحصن بها الفرنسيون ومعهم الأسلحة الفتاكة التي لم تغن عنهم شيئاً إزاء عزيمة الشعب الفيتنامي، وتصميمه على النصر وتقبله للتضحيات الجسام التي لاتبد من القبول بها لمبتغى النصر في

الحروب. وكان استسلام الفرنسيين لهم في عام ١٩٥٤م.

وكان يسير معنا في المتحف ضابطان فيتناميان من الشبان عليهما لباس نظيف جميل، عندما عرفا أننا من العرب سلما وأحفيا السلام ثم تطوعا بتعريفنا على هذه المعروضات المهمة التي تدل على أمجادهم البطولية.

وقد طرأ على ذهني وأنا أرى هذه الشواهد على بطولة هذا الشعب بيت عربي قديم كان العرب القدماء ينشدونه في مثل هذه الحالة وهو:

هذي المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا ـ بعد ـ أبوالا

والقعبان: تثنية قعب وهو الإناء الذي يشرب به اللبن ونحوه من السائلات، وشيبا بماء: خلطا بالماء كما عرضوا بجانب ذلك قنابل أمريكية ضخمة بعضها طوله أكثر من مترين من التي لم تنفجر.

وفي النهاية التقطنا صوراً تذكارية مع الضابطين الفيتناميين اللذين كان أحدهما يحمل ٤ نجوم والثاني نجمتين.

وبجانب المتحف برج قديم يسمونه برج العلم يلفت النظر بطراز بنائه القديم ذكروا أنه مبني منذ القرن التاسع الميلادي، ولم يكن برجاً للعلم عندما بني وإنما كان لغرض المراقبة ولكنهم حولوه إلى برج رفع عليه العلم الوطني بعد ذلك.

وعليه مكتوب جملة كانت شائعة عندهم وهي: (إذا لم تر برج العلم لم تزر هانوي)، أي كأنما أنت لم تر شيئاً في هانوي فأنت كمن لم يزرها. وقد قلل من أهميته في نفوسنا أنه كان قد تهدم بفعل القنابل الأمريكية، ثم أعادوا بناءه الحالي على طراز بنائه القديم.

المدينة الخضراء:

واصلنا الجولة في هانوي فذهبنا إلى مناطق بقلب المدينة التجاري فكان أكثر ما فيها الحدائق ذات الأشجار الباسقة وفيها بحيرات متعددة تكون عليها الميادين وترفرف على حواشيها أشجار من أشجار الظل المغروسة في نظام بديع، وقد سلكنا شارعاً جيداً يفصل بين بحيرتين اثنتين من هذه البحيرات الواقعة في المدينة، وعلى ذكر البحيرات والمياه يحسن أن ننوه بأن في هانوي أربعة أنهار.

البحيرة الغربية:

وهذه البحيرة واسعة قد جملوا حواشيها التي تلي المدينة أو على الأدق تلي القسم الذي وقفنا به من جهة المدينة عندها معبد بوذي معتنى به، ومطعم يوصل إليه بطريق مدفون في الماء التقطنا له عدة صور.

عود الى وسط المدينة:

من غرب هانوي حيث البحيرة الغربية عدنا إلى وسط هانوي القديم حيث المنازل المتلاصقة والحوانيت المتراصة، ومن طريف ما رأيتهم صنعوا في الحوانيت أن جعلوا باعة كل صنف من البضائع مجتمعين أي في حوانيت بعضهم قريب من بعض.

فمثلا: هناك حوانيت تبيع القدور وأواني طبخ الطعام وإعداده، ومجموعة أخرى من الحوانيت وهي (الدكاكين) لا تبيع إلا الآثاث الخشبي وهي مجتمعة في سوق واحد.

وهكذا أكثر السلع وحتى النظارات رأيناهم جمعوا كل باعة النظارات في المدينة في حوانيت متجاورة، وقد أخبرتنا موظفة السفارة (فان) أن الحوانيت هذه خاصة لأهلها أي ليست مملوكة للدولة ومع ذلك لم نعدم في أي مكان حللناه هنا أن نرى ما سميته قديماً بحوانيت الأكتاف وهي أن يكون مع البائع بضاعة في وعائين معلقين بخشبة

يضعها على كتفيه ويسير يبتغي من يشتري منه.

وهؤلاء كلهم من الباعة المتجولين وغالباً ما تكون بضائعهم هنا من الفاكهة التي تنتجها هذه البلاد، أو من الأطعمة البسيطة أو من البضائع الرخيصة.



الشيخ محمد يوسف ومعه أحد المسلمين

وأكثر ما ترى حوانيت الأكتاف هذه مع النساء، فعمل النساء في فيتنام شائع مثلها في ذلك مثل تايلند وسائر البلاد الصفراء أو التي تسمى بذلك نسبة إلى ما زعم بأنه اللون الأصفر الذي يميز أهلها.

ومظاهر الفقر والعوز كثيرة ظاهرة، وان كانت مظاهر العزة والترفع واضحة مثل قلة التسول، أو متابعة الغريب طمعاً فيما قد ينال منه، وحتى الباعة الصغار لم أرهم يحاولون أن يأخذوا من الغريب ثمناً أكثر من المعتاد لبضائعهم.

وأكثر وسائل المواصلات هنا هي الدراجات الهوائية المعتادة وهناك الدراجات النارية ولكن بقلة. وإنما الكثرة الكاثرة منها في جنوب البلاد وبخاصة في مدينة (هوشي منه) عاصمة الجنوب كما تقدم.

مزيد من البحيرات:

مررنا ببحيرة أخرى في المدينة عليها البيوت كما تكون على شاطئ النهر وقد رصفوا الشارع الذي يليها وزينوه بالأشجار الخضر. ثم ذهبنا إلى بحيرة أخرى اسمها (هو كوف كين) وقفنا عندها والتقطنا صورا جميلة على شاطئها.

ميدان المصارعة ضد الأعداء:

لم نتوقف عند هذه البحيرات الجميلة التي تزين المدينة، وإنما أسرعنا بالذهاب إلى ميدان مهم في المدينة اسمه (قوان تونغ هوان كيا) يعني ميدان المصارعة ضد الأعداء، ولا شك بأن الشخص الذي في ذهنه صبر هؤلاء الفيتناميين على الحروب ومصابرتهم لقراع الخطوب حتى لبثوا في حروب متصلة مدة تزيد على أربعين عاماً لم يتوقفوا فيها إلا عندما انتصروا لا يعجب إذا رأى ميداناً مهماً في عاصمتهم اسمه (ميدان المصارعة) وإن كانت ضآلة أجسامهم وضعفها لا تمكنهم من ادعاء البطولات في حلبات رياضة

المصارعة في العالم فقد اكتسبوا البطولات الجمة في ميادين المصارعات الحقيقية.

وقالت المرافقة (فان): إن هذا الميدان وما حوله يعتبر (كبد) هانوي بمعنى قلبها المهم فيها وهو مزدحم جداً بالمشاة وراكبي الدراجات، وأما السيارات فإنها موجودة ولكن على قلة.

حديقة الحيوان:

تركنا (كبد) هانوي متوجهين إلى حديقة الحيوان وقد كتب عليها ذلك فوجدناها كانت حديقة للحيوان ولكنهم أنشأوا حديقة حيوان كبيرة في مكان بعيد من المدينة نقلوا إليها الحيوان وأبقوا فيها عدداً قليلا من الحيوان المعروف ولكنهم جعلوها بمثابة المنتزه لمن يريد أن يخلو مع أسرته وبنيه فغرسوا أشجاراً متعددة جديدة فيها إضافة إلى الأشجار الباسقة الموجودة منذ عهد قديم.

دفعنا رسم دخول الحديقة (٢٠٠) دونغ للشخص الواحد ويساوي ذلك قرشاً سعوديا لأن الدولار بخمسة عشر ألف دونغ كما سبق، ولم نطل اللبث في هذه الحديقة وهي تصلح للجلوس الطويل، وإنما وقفنا على شاطئ بحيرة مقابلة لمدخل الحديقة من جهة الشمال الشرقي اسمها (هالي) وهذا اسم لها فرنسي، أما اسمها عند الفيتناميين فهو (ثوتون قوانغ).

إلى النهر الكبير:

طلبت أن أرى النهر الكبير الذي رأيته عندما دخلنا المدينة وهو على مدخل مدينة هانوي لمن يقدم من جهة المطار.

وأوقفنا السيارة جانباً فوق الجسر الكبير الذي أقاموه عليه من أجل التقاط صورة له من فوق الجسر. فأسرع شرطي مرور لمتابعة السائق على ذلك يريد معاقبته، ولكن المرافقة أفهمته أننا سياح من العرب نريد أن نلتقط صورة نادرة، فتركه.

واسم هذا النهر الكبير (سونغ هونغ) بمعنى النهر العكر، وكنت سميته النهر الكبير وهو واسع المجرى، جم المياه، ولكن مياهه حمراء مما يعطيه بالفعل لقب النهر العكر. وهو يأتي من الصين إلى هذه البلاد.

أما الجسر الكبير الذي أقيم عليه وهو حديدي ضخم واسع فإنه حديث لم يكتمل بناؤه إلا في عام ١٩٧٨م، وهناك على النهر جسر قديم بناه الفرنسيون إبان استعمارهم للبلاد ويقع جهة الشمال من هذا الجسر الكبير، وعلى ذكر النهر أقول: إن البحر يقع على بعد ١٥٠ كيلومترا من هانوي.

وعدنا إلى الفندق مع غروب الشمس في حوالي الخامسة والنصف فأعطيت السائق والكاتبة من الحلوان (البقشيش) ما أرضاهما حتى انحنيا بالتحية وبالغا في الانحناء.

يفضلون لحوم الكلاب:

سمعنا من السفير المصري وغيره من الإخوة المسلمين أنهم يلاقون مشقة في الحصول على اللحم الحلال وأنه من الصعب على المسلم أن يأكل في المطاعم الفيتنامية الوطنية وذلك لكونهم لا تحل ذبيحتهم للمسلم ولكونهم يأكلون لحم الكلاب بكثرة.

والليلة زارنا الأخ (ماهر فؤاد مكي) من السفارة المصرية من أجل البحث في كيفية تقديم المساعدة للمسجد ووسائل تشجيع الدعوة الإسلامية من دون أن يكون للسفارات دور ظاهر، لئلا تتهمها حكومة فيتنام بالتدخل في الشئون

الداخلية، والاتصال بطائفة من المواطنين من غير طريق الحكومة.

وقال الأخ ماهر: إننا قد اعتدنا على أن نشتري عجلا صغيراً نتقاسم لحمه فيما بيننا أو يذبح الواحد لنفسه عنزاً ويضع لحمها في الثلاجة.

وذلك لكون الماعز هو الوحيد من الغنم الموجود للبيع في هذه البلاد وأما الضأن فإنهم لا يبيعونها ولم يكونوا يعرفونها ولا يأكلون لحومها، وإن كانت موجودة على قلة ويشتريها الأجانب أمثالنا. وإنما الشائع عندهم أكل الخنزير وأكل السمك، وهناك نوع من اللحم يفضلونه وهو أغلى اللحوم عندهم وهو لحم الكلاب. ولكنه ليس لحم أي كلب وإنما هنالك كلاب قصيرة الأرجل تسمن بسرعة يربونها للحم، أي من أجل ذبحها وأكل لحمها، وتباع علناً في السوق بثمن غال، أما البقر فإنه موجود ولكنه قليل، وتبيعه الحكومة، ولكنه ليس متوفراً في كل آن، كما أنه لم يذبح ذبحاً شرعياً مع أن ذبح الوثني ولو كان ظاهره شرعياً فإنه لا يجوز أكله، لأنه ليس من أهل الكتاب. وذكر أنهم يشترون الخروف بسعر ٩ آلاف دونغ للكيلو وهو حي لأنهم هكذا يبيعونها وزناً وهي حية و٩ آلاف هي أقل قليلا من ثلثي دولار أمريكي فيساوي الخروف في المتوسط حياً ١٥٠ ألف دونغ وذلك حوالي عشرة دولارات.

وأما لحم البقر فإنهم يشترون الكيلو منه بخمسة آلاف دونغ من الأشخاص الذين يبيعونه لأنفسهم وذلك يساوي أقل من نصف دولار أما اللحم الذي تبيعه الحكومة من لحم البقر فإن سعره أقل من ذلك بمقدار الثلث.

ومع هذا الرخص المتناهي للحوم بالنسبة إلى الأجنبي الذي يقدم معه بعملة صعبة فإنه غال جداً بالنسبة إلى المواطنين لقلة أجورهم وضعف دخولهم وأغلبهم لا يستطيع الحصول على شيء من اللحم، وإنما الوجبة الرئيسية المعتادة لهم هي الأرز المأدوم بشحم الخنزير.. والأرز رخيص جداً عندهم كما سبق. ويكفي الشخص الواحد من هذه الوجبة الرخيصة حوالي (١٠٠٠) دونغ ويساوي ذلك ربع ريال سعودي.

والسمك متوافر ورخيص وذلك لكثرة البرك والأنهار والبحيرات، إضافة إلى ما يصطادونه من البحار التي تقع عليها بلادهم وهي شواطئ طويلة واسعة غنية بالأسماك.

وإذا تجاوزنا اللحم والحديث عن الطعام عندهم نجد أنهم شعب غير متدين، وليست له مثل مرعية متوارثة، وما كان من تأثير الدين لديهم قد قضت عليه أو على أكثره الدعاية الإلحادية الشيوعية.

ولذلك يعجب المرء من صبرهم على متاعب الحياة التي من أكثرها ظهوراً ضيق المنازل وقلة الدخول، وقد يساعد على ذلك انغلاق فرضته عليهم الحكومة الشيوعية فلا يصل إليهم تلفاز أجنبي ولا صحف أجنبية. ولا يسمح لأحد أن يسافر إلى خارج البلاد إلا إذا كان في مهمة حكومية.

مغادرة هانوي:

دفعنا لفندق (هاوينه) أجرته بالدولار ونقص ذلك فرضوا بأن ندفع التكملة بالدونغ الذي هو عملتهم المحلية. وقد دفع كل واحد منا ٦٩ دولاراً أجرة غرفة منفردة لليلتين مع فطور ليومين ووجبة عشاء واحدة من السمك والإربيان، وهذا منتهى

الرخص، والأهم من ذلك لدينا حسن معاملة القائمين على الفندق وسهولة الدخول والخروج عندهم.

وغادرنا فندقنا (فندق هاو بنه) الساعة السابعة على سيارة أجرة كانت إدارة الفندق قد أعدتها لنا البارحة وهي سيارة صغيرة لا بأس بها.، فكان الزحام الشديد في الشوارع في هذه الساعة المبكرة من الصباح، وذلك لكون العمل يبدأ عندهم مبكراً مثلما أنهم ينامون في العادة مبكرين.

ومن أكثر الناس ظهوراً في هذه الساعة الفلاحون الذين معهم ما جلبوه من خضار وفاكهة محلية محدودة النوع والمقدار وإنما الخضار كثير كالقرع الذي هو الدباء والفاصوليا والكرنب والخيار والطماطم. وأغلب الناس هنا من الفلاحين والقرويين عليهم القبعات الفيتنامية العريضة المتميزة عن غيرها من القبعات، ولكن مظاهر الجميع تدل على الفقر والعوز يظهر ذلك في ثيابهم وما يحملونه كما تظهره علامات نقص التغذية أو سوؤها على وجوههم.

الجوازات في الرصيف:

وصلنا المطار فوجدنا مكتباً للجوازات على رصيف مبنى المطار يمر به الراكب المسافر للخارج قبل أن يدخل مبنى المطار ويملأ استمارات موجودة باللغة الفيتنامية والإنكليزية وفعلنا ذلك، ولكن الضابط نظر إلى جوازاتنا وسألنا لماذا لم تسجلوا جوازاتكم في الشرطة، إنه مكتوب عليها أنه يجب عليكم أن تفعلوا ذلك خلال ثلاثة أيام، فأجبناه صادقين بأننا لم نفطن للكتابة، وأنه لم يقل لنا أحد ذلك صراحة، فأدخلنا إلى ضابط أعلى رتبة منه في داخل المكتب، ثم حضر ضابط كبير، وقال: إننا سنأخذ ما ذكرتموه من عدم معرفتكم بوجوب تسجيل جوازيكم بعين الاعتبار، ونرجو ألا يتكرر منكم ذلك إن قدر لكم أن تعودوا إلى فيتنام فشكرنا له قوله وفعله.

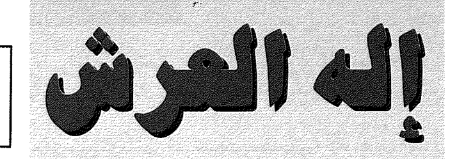
قال: وجوازك السياسي ليس عليه غرامة، وأما جواز رفيقك وهو (علي عيسى) الذي يحمل جواز سفر تايلندي معتاد فإنه يجب أن يدفع خمسة عشر دولاراً أمريكية غرامة عدم التسجيل.

دفعنا الغرامة وتجاوزنا مكتب الجوازات هذا العجيب، ثم دخلنا مع مدخل عليه موظف يأخذ رسماً على كل حقيبة تدخل إلى المطار من حقائب الركاب وهو رسم قليل إلا أنه عافاني منه قائلا إن الجواز (الدبلوماسي) ليس عليه رسم.

وتجاوزناه داخلين إلى داخل مبنى المطار فوجدنا أنفسنا في مكتب في قاعة الترحيل عليه امرأة دققت في الجوازات والحقائب وأخذت خمسة دولارات على كل جواز وذلك رسم مغادرة المطار الموجودة في أكثر المطارات للرحلات العالمية.

ثم أخذنا حقائبنا إلى موظف أدخلها فاحصاً آلياً وأحالها إلى موظف الترحيل المعتاد الذي قطع التذكرة فدخلنا إلى قاعة المغادرة مارين بموظف الجوازات الذي يختم عليها.

وكانت هذه إجراءات صعبة لم نر مثلها عندما دخلنا فيتنام عن طريق مطار مدينة هوشي منه (سايقون) قديماً في جنوب فيتنام، ثم غادرنا هانوي قاصدين مدينة (فينتيان) عاصمة لاوس والحديث عن لاوس ومن بعدها كمبوديا في سلسلة أخرى عنوانها (المسلمون في لاوس وكمبوديا).. والله المستعان.



شـــعر:
أحمد صدوق صافي
– الكويت –

إله العرش يا قصدي وسؤلي!
ويا نجواي في قول وفعل!
هرعتُ إليك كي يصفو جناني
وحار الخلق في هم وشغل
تداعوا للصغائر واستبدت
بهم أهواؤهم في كل حقل
وجئتُ إليك لا أرجو سؤالا
سوى قربي من النور الأجل
ملأت خزائن الأكوان خيراً
يراه كل ذي قلب وعقل
هناك .. هناك: آيات عجاب
لتبهرُ في التأمُّل والتجلي
هناك .. هناك يأخذني انعتاقي
لآفاق من الألق المُطل
ولي في العالم الأسمى شعاع
به أسمو إلى نسبي وأصلي
وقفتُ ببابه طمعاً وشوقاً
لعلي أرتقي حباً .. لعلي
وما أنا بالمُضيع فضل قُرب
فأقنع من وصالي بالأقل
أبوحُ لخالقي والبوح سترٌ
فيا غيمات رحمته أظلّي
وما ذُقْتُ الهناءة في انشغال
لهذا القلب عن قُرب ووصل
وما أجني سوى عمر جديب
إذا خفت اليقينُ ، وسوء فأل
إذا ما شدَّت الدنيا زمامي
جنحت إلى فراغ دون حل
سراب ما نُنادي إنْ بقينا
كيان الخلق دون الحق نُعلي
إلهي قد قصدت رضاك فارحمْ
ضعيفاً ناء في الدنيا بحمْل
ولا تكل العباد إلى عباد
فأنت اليمن .. أنت الخير تُملي

الجدل العلمي القائم على قواعد التقصي والتحقيق والدراسة بعيداً عن هوى النفس، والراغب في اظهار الحقيقة جدل مرغوب فيه، لأنه يضيف علماً، ويؤسس فضلا.

لكل هذا يجد القاريء ان مجلته المنهل قد فتحت صفحاتها لأصحاب الجدل العالم، الذكي، اللماح..

والمنهل يشكر الجميع على تواصله العلمي.

فضلا عن .. ودليل التصحيح أولا

قال أبو عبد الرحمن: اطلعت على مجلة المنهل العدد ٥٤٢ المجلد ٥٩ العام ٦٣ الربيعان عام ١٤١٨هـ، فوجدت في ص ٤ ـ ٥ تعليقاً لأخ كريم رمز لاسمه بأبي عبد الرحمن السالمي، وقال إنه من مصر يتعقب بحثي في تخطئة قولهم: «لا يملك درهماً فضلا عن دينار».. وقبل المناقشة للأخ الكريم أحب أن أسوق تحقيقي لهذه المسألة بكتابي «مباديء في نظرية الشعر والجمال» المطبوع بنادي حائل الأدبي هذا العام.. قلت: «وفي كتابي هذا عن النظرية الشعرية والجمالية أوردت قول أحمد عبد المعطي حجازي: «كما تمدنا الحضرة الصوفية».. فعلقت بقولي: **«هذا التعبير دليل على تغلغل قدسية التصوف في نفوس المثقفين فضلا عن العامة».**

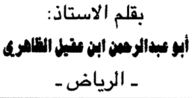
ولم أتنبه إلى أعجمية هذا الأسلوب، فكتب أخي الهدلق يقول: **«قال العدناني:** «ويقولون: فلان لا يملك ديناراً فضلا عن فلس.. والصواب: فلان لا يملك فلساً فضلا عن دينار؛ لأن كلمة (فضلا) تستعمل في موضع يستبعد فيه الأدنى الذي يجب أن يأتي قبلها؛ لذا تقع (فضلا) بين كلامين متغايري المعنى، وأكثر استعمالها بعد نفي كما يقول القطب الشيرازي.

وعندما نقول: فلان لا يملك كوخاً فضلا عن قصر: نعني أنه لا يملك كوخاً ولا قصراً، وعدم ملكه للقصر أولى بالانتفاء، فكأننا قلنا: لا يملك كوخاً فكيف يملك قصراً؟

قال أبو حيان التوحيدي: «لم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب». ولست أرى بأساً باستعمال هذا التركيب، وإن كنت أرى أن قولنا: «لا يملك فلساً بَلْه ديناراً» أبلغ»[١].

فصحة العبارة إذن: «هذا التعبير دليل على تغلغل قدسية التصوف في نفوس العامة فضلا عن المثقفين»اهـ.

قال أبو عبد الرحمن: وحرصت أن أتمحل لتعبيري بوجه يخرجه



بقلم الاستاذ:
أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري
ـ الرياض ـ

من اللكنة حفظاً لسمعتي العلمية، ولكنني وجدت العبارة فاسدة على كل تقدير، وليس العيب أن الأدنى لم يرد قبلها لننفي الأعلى الذي يأتي بعدها، فنقول كما **قال العدناني**: «لست أرى بأساً باستعمال هذا التركيب».

وليس الخلل في كون هذا التركيب لم يسمع من العرب، فقد برهنت في مباحثي أن التركيب عمل عقلي لا نقلي يشترط سماعه، وإنما المشترط صحة المفردة لغة، وصحة التركيب نحواً وبلاغة.. ولو كان وجه الخلل ذلك؛ لأخذنا استقراء أبي حيان على البال.

وإنما الخلل في كون كلمة «فضلا» لا تنتج لغة هذا المعنى الذي فهموه من هذا التركيب الأعجمي.. أي لا تنتج نفي الأعلى الذي بعدها، فقد استقرأت معانيها في المعجم، فلم أجد من بينها هذا النفي.. لهذا أعتبر هذا التركيب عامياً لا يليق بالفصحاء، ولهذا أيضاً ألغيت عبارتي في التعليق على حجازي، ووضعت بديلا خيراً منها.

ولقد بيّن ابن فارس أن الأصل في مادة الفاء والضاد واللام زيادة في شيء[٢].

وقال الراغب: «الفضل الزيادة عن الاقتصار، وذلك ضربان: محمود كفضل العلم والحلم، ومذموم كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه.. والفضل في المحمود أكثر استعمالا، والفضول في المذموم.

والفضل إذا استعمل لزيادة أحد الشيئين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب: فضل من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات.

وفضل من حيث النوع كفضل الإنسان على غيره من الحيوان.. وعلى هذا النحو قوله سبحانه وتعالى: {ولقد كرمنا بني آدم} (سورة الإسراء/ ٧٠) إلى قوله: «تفضيلا».

وفضل من حيث الذات كفضل رجل على آخر.. فالأولان جوهريان لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه، وأن يستفيد الفضل كالفرس والحمار.. لا يمكنهما أن يكتسبا الفضيلة التي خص بها الإنسان.. والفضل الثالث قد يكون عرضياً فيوجد السبيل على اكتسابه، ومن هذا النوع التفضيل المذكور في قوله سبحانه وتعالى: {والله فَضَّل بعضكم على بعض في الرزق} (سورة النحل/٧١)، وقوله سبحانه: {لتبتغوا فضلا من ربكم} (سورة الإسراء/١٢).. يعني: المال وما يكتسب»[٣].

قال أبو عبد الرحمن: الأصل في المادة الزيادة المحمودة، ولهذا أخذ من المادة الوصف للمدح كفاضل، والتسمية للتيمن كالفضل، ثم توسع بها لكل زيادة وإن كانت غير محمودة. والبقية تسمى فضلة وهي الأقل، وإنما روعي في تسميتها أنها بقيت زيادة عن الحاجة.

ونقل الزبيدي عن التوقيف للمناوي أن الفضل ابتداء إحسان بلا علة[٤].

قال أبو عبد الرحمن هذا الاصطلاح مبني على الحقيقة اللغوية، إذ الأصل الزيادة المحمودة.. وما زاد عن حاجة الكريم يتصدق به، فسمي فضلا؛ لأنه زيادة، ولأنه زيادة ممدوحة.

وقال الزبيدي: «والفضولي بالضم المشتغل بما لا يعنيه.. وقال الراغب: الفضول جمع الفضل.. وقد استعمل الجمع استعمال المفرد فيما لا خير فيه؛ ولهذا نسب إليه على لفظه، فقيل: فضولي لمن يشتغل بما لا يعنيه؛ لأنه جعل علماً على نوع من الكلام فنزل منزلة المفرد.. والفضولي في عرف الفقهاء من ليس بمالك ولا وكيل ولا ولي؟.. **زاد الصاغاني**: وفتح الفاء منه خطأ»[٥].

قال أبو عبد الرحمن: نلخص من معاني فضل دورانها على الزيادة، والبقية.. وقولهم: «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار»: لا ينطبق على معنى فضل لغة؛ لأنك إن جعلت فضلا بمعنى الزيادة كان المعنى: فلان لا يملك درهماً زيادة عن

دينار.. وليس معنى الجملة نفي ملكه للدرهم والدينار معاً، بل المراد نفي ملكه للدرهم تنصيصاً، ونفي ملكه للدينار بالأولوية.

وإن جعلت فضلا بمعنى البقية كان المعنى: فلان لا يملك درهماً بقية عن دينار.. وليس معنى الجملة نفي ملكه للدرهم.. وبعد هذا فلا معنى لكون الدرهم بقية من دينار؛ لأن الدرهم جزء من الدينار، ولا يوصف بالبقية إلا في سياق خاص، كأن يكون في جراب دينار مصروفاً دراهم، فتجد في الجراب درهماً، فيقال لك: هذا بقية الدينار.

قال أبو عبد الرحمن: وبعد هذا التحرير - خلال رحلتي لتونس في الأسبوع الأخير من شهر شعبان عام ١٤١٧هـ - وجدت رسالة خطية **لابن هشام** بدار الكتب الوطنية التونسية برقم ٢٦٣٦ أجاب فيها على أسئلة نحوية أولها إعراب «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار»[٦] وقال في هذه الرسالة: «وهذا التركيب زعم بعضهم أنه مسموع، وأنشد عليه:

فلا يبقى على هذا الغلق

صخرة صماء فضلا عن رمق».

ثم قال: «وانتصاب فضلا على وجهين محكيين عن الفارسي:

أحدهما: أن يكون مصدراً لفعل محذوف، وذلك الفعل نعت للنكرة.

والثاني: أن يكون حالا من معمول الفعل المذكور».

ثم قال: «يقال: فضل عنه، وعليه.. بمعنى زاد.

فإن قدرته مصدراً فالتقدير: لا يملك درهماً يفضل فضلا عن دينار.. وذلك الفعل المحذوف صفة، بل يجوز أن يكون حالا».

ثم ذكر أن وجه الصفة أقوى؛ لأن نعت النكرة يكون أقيس.

وإن قدرته حالا فصاحبها يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ضمير المصدر محذوفاً[٧].. أي لا يملكه الملك.

الثاني: أن يكون درهماً حالا.. وسوغ مجيء الحال من النكرة أنها في سياق النفي، فخرجت النكرة من حيز الإبهام إلى حيز العموم، وسوغه أيضاً ضعف مجئ الوصف هاهنا».

ثم قال: «فإن قلت: «هلا أجاز الفارسي في «فضلا» كونه صفة لدرهم: قلت: زعم أبو حيان أن ذلك لا يجوز؛ لأنه لا يوصف بالمصدر إلا إذا أريدت المبالغة».

ثم رد على **أبي حيان** وناقشه، ثم حكم أن تنزيل وجوه الإعراب تلك على المعنى المراد عسر، ثم قال: «والذي يظهر لي في توجيه هذا الكلام أن يقال: إنه في الأصل جملتان مستقلتان، ولكن الجملة الثانية دخلها حذف كثير وتغيُّر حصل الإشكال بسببه.. وتوجيه ذلك أن يكون هذا الكلام في اللفظ أو في التقدير جواباً لمستخبر[٨] قال: أيملك فلان درهماً؟.. أو رداً على مخبر قال: فلان يملك ديناراً.

فقيل في الجواب: فلان لا يملك درهماً

ثم استؤنف كلام آخر .. ولك في تقديره[٩] وجهان:

أحدهما: أن يقدر: أخبرتك بهذا زيادة عن الإخبار عن دينار استفهمت عنه - أو زيادة عن دينار أخبرت بملكك له - ثم حذفت جملة «أخبرتك بهذا» وبقي معموله وهو «فضلا».

والثاني: أن يقدر فضل انتفاء الدرهم عن فلان على انتفاء الدينار عنه.. ومعنى ذلك أن يكون حالة هذا المذكور في الفقر معروفة عند الناس.. والفقير إنما يُنفى عنه في العادة ملك الأشياء الحقيرة لا ملك الأموال الكثيرة[١٠]، فوقوع نفي ملك الدرهم عنه في الوجود فاضل عن وقوع نفي الدينار عنه. أي أكثر منه».

قال أبو عبد الرحمن: الشاهد أورده ابن هشام

بصيغة «زعم» ولم يُعز إلى قائل، ولم يُحقق ثبوته عن العرب، ولعله - إن صح - عن راجز بعد فساد السليقة، وهو لا يوافق معاني «فضل» في لغة العرب، وهذا يكفي في رده؛ لأن المعجم المنقول أثبتُ وأوجب مما ينافيه من دعوى شاهد لم يحقق.

وأما إعراب فضلا مصدراً فتقديره: لا يملك درهماً يفضل فضلا عن دينار. وهذا الوجه الإعرابي الصحيح لا يطابق معنى الجملة المراد، وهو أنه لا يملك درهماً فكيف يملك ديناراً.

والإعراب يوهم أحد معنيين هما:

١ - أنه لا يملك درهماً يفضل عن دينار .. أي لا يملك درهماً يفضل عن ملكه ديناراً .. ومعنى الجملة: لا يملك ديناراً من باب أولى.

٢ - أنه لا يملك درهماً يفضل عن دينار .. أي يفضل عن جملة الدينار المكوَّن من دراهم .. فهو لا يملك جزءاً من دينار.

وهذا يحقق بعض معنى الجملة وهو انتفاء ملكه لجزء من دينار وهو الدرهم، ولا يحقق بقية معنى الجملة وهو أنه لا يملك كل الدينار من باب أولى.

وهكذا إعرابه حالا تقديره: لا يملك درهماً حالة كونه فاضلا عن دينار.. وهو يحتمل الاحتمالين المذكورين آنفاً عن الإعراب بالمصدر، ويخالف المعنى المستعمل لجملة «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار».

ووجه المخالفة في كل ذلك أن فضلا لغة لا تدل على معنى أولوية المنفي في الجملة المذكورة.

وأما تقدير ابن هشام على الوجه الأول فيصح لغة ونحواً ما بقي المقدر ظاهراً، أو ما بقيت الجملة في سياق يشعر بأن المقدر زيادة الخبر أو الإخبار.

أما جملة «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار» فالمعنى الذي تستعمل له لا يقتضي تقدير زيادة الخبر أو الاستخبار، وإنما يقتضي نفي الملك للدرهم، ونفي الملك للدينار على سبيل الأولوية.

ودعوى التقدير بهذا الطول - على فرض صحتها - تفسر استعمال هذه الجملة بهذا المعنى غير المطابق لمعاني فضل اللغوية، ولا تسوغ مشروعية استعمالها؛ لتغيُّر فضلا من معنى الزيادة إلى الأولوية.

ولو فتح باب دعوى التقدير بمثل هذا - دون برهان - لما ساغ وجود خطأ أو عامية.

وأما تقدير ابن هشام الثاني فينحو إلى استعمال فضلا بمعنى البقية، وهذا صحيح في لغة العرب، والمعنى حينئذ: فلان لا يملك درهماً، وهذا المنفي فاضل عن نفي الأكثر وهو الدينار.. وهذا المعنى الصحيح لغة لا يكاد يظهر وجهه نحواً، وعلى توجهه فالمنفي إنما هو الأقل الفاضل عن نفي الأكثر.. وإنما جاء هذا بدلالة خارجية هو أن الفقير يُنفى عنه الحقير من الأشياء.. وهذه الدلالة غير مسلَّمة؛ لأن الفقير ما كان فقيراً إلا بنفي ما يسد خلته من الضروري لا من الحقير.

وعلى التسليم بهذه الدلالة فلا يكون معناها كما قال ابن هشام «وقوع نفي ملك الدرهم عنه في الوجود فاضل عن وقوع نفي الدينار عنه»، وذلك لسببين:

أولهما: أن الناس - في دعوى ابن هشام - نفوا الحقير ولم ينفوا الكثير .. فصار نفي الكثير من باب أولى.. لا أن الحقير الذي نفوه عقيدة فاضل عن الكثير الذي لم ينفوه إلا بدلالة العقل بدلالة الأولوية.

وثانيهما: ليس نفي ملك الدرهم فاضلا عن نفي ملك الدينار؛ لأن من لا يملك الدينار قد يملك الدرهم.. وإنما نفْيُ ملك الدينار حاصل من نفي ملكية الدرهم.. وقد عبَّر عن هذا المعنى بكلمة لا تدل عليه وهي «فضلا» ومعناها الزيادة أو البقية،

وقد استعملت بمعنى الأولوية، وليس ذلك من معانيها»[١١].

قال أبو عبد الرحمن: هذا نص تحقيقي للمسألة ثم أعود إلى كلام الأستاذ السالمي بالتفصيل على هذا النحو:

١ ـ ذكر الأستاذ السالمي صعوبة البحث اللغوي لمشكلات قال: إنها تحتاج إلى بحث مفرد.. وإنما ذكر اتساع مجال البحث، ثم فسر اتساع مجال البحث بتشعب المصادر، وتعذر استقصائها، وإحجام دور النشر عن طبع الموسوعات مثل تهذيب الأزهري، وعباب الصاغاني، وجاسوس الشدياق.. ويا ليته ذكر ولو مجرد عناوين عن المشاكل التي انتجت صعوبة البحث اللغوي.

قال أبو عبد الرحمن: ها هنا وقفات:

الوقفة الأولى: أن اتساع مجال البحث غير مشكلة اتساع المصادر وتشعبها.. فالمشكلة الأولى حرية إرادية يجددها الباحث حسب قدرته وإمكاناته، والثانية قسرية مفروضة عليه.

والوقفة الثانية: أن الإحاطة بالمسألة اللغوية، ومعرفة القطع والرجحان والاحتمال الذي يستوي طرفاه: غير متعسر ولا متعذر وإن تعذرت الإحاطة بكل مصدر مفقود ومخطوط ومطبوع؛ لأن جمع المادة، واستنباط الأصول والقواعد ليس جهد فرد؛ ولكنه جهد علماء خلال أربعة عشر قرناً.. فالمادة بهذا الزمن وبتلك الجهود مما يقبل الحصر، وقد ظل العلماء يروون وَيُقَعِّدُون منذ عصر السليقة إلى عهد الزبيدي وشيخه آخر القرن الثاني عشر الهجري.

والوقفة الثالثة: أن من اللغة معاني كثيرة ومفردات قليله لم تدون وبقيت بالتوارث مشافهة كما بينت في مقدمتي لكتاب الفصام عن أشعار الدواسر، وفي مباحث نشرت لي بهذا الصدد.. إلا أن هذا القدر الموجود واقعاً المعطل تدويناً لا يعطل العلم بما علم من جمهرة اللغة مادة وتدويناً.

والوقفة الرابعة: أن الجاسوس طبع وصور مرات، ولا يترتب على فقده ضياع شيء من اللغة وأصولها.. وتهذيب اللغة طبع مرتين، ومادته في تاج العروس وغيره.. والعباب لا يوجد كاملا، ولا يوجد غير قليل منه.. مع أن كل مادته مدونة في التاج وغيره.

٢ ـ يرى الأستاذ السالمي أنني لم أستوعب النظر في المعجمات المشهورة، وأنه فاتني ما ذكره الفيومي عن القطب الشيرازي.

قال أبو عبد الرحمن: لا والله ما فاتني ما ذكره من كلام القطب، ولا مالم يذكره ككلام أبي علي الفارسي وغيره.. كما مر من تحقيقي للمسألة، وما نشرته بالمنهل لم يكن نقلا مقتصداً، ولم يكن نقلا ينحو إلى الاستيعاب، وإنما كان نشراً للجانب الفكري في المسألة.. أما الجانب النقلي فماثل أمام المهتمين وأهل الاختصاص، وقد أسلفت الاستيعاب النقلي في مناسبة سابقة.

٣ ـ قال الأستاذ السالمي: «ولكننا نلمح في أثناء كلامه ما يدل على أنه يذهب إلى لحن هذا الاستعمال في العربية؛ لإصراره على رد كل الوجوه الإعرابية في كلام ابن هشام: إما لأنها بعيدة وإما لأنها لا تطابق مراد المتكلم، وهذا صواب، ولكنه ينسحب على مراد المتكلم، وهو «الأولوية» أيضاً، فكل تقدير تقدره ـ على أن معنى (فضلا) هو الأولية ـ سيكون بعيداً مثل بعد التقديرات المذكورة».

قال أبو عبد الرحمن: هذا كلام يُعوز فهمه، ولكنني ألخص ما سبق لي من رأي وأزيده إيضاحاً وفق هذه الوقفات، ثم أعود إلى هذه الجملة من كلام السالمي.

الوقفة الأولى: أن هناك مراد المتكلم، وهناك مدلول اللغة، وهناك دلالات التركيب نحواً

وبلاغة.. كل هذا موجود في جملة «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار».

فأما مراد المتكلم فواضح، وهو نفي ملك الأقل لنفي الأكثر.. ولكن ليس كل كلام متكلم عرف مراده يكون موافقاً للغة العرب، بل يعرف مراد المتكلم بكلمة ملحونة، وبتركيب عامي.

وأما مدلول اللغة فليس لكلمة «فضلا» مدلول لغوي عربي صحيح غير الزيادة حسياً أو معنوياً، وغير البقية مجازاً.. والأصل فيها الزيادة عن الحاجة.. وكل هذه المعاني غير متحققة لكلمة فضلا في قولهم: «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار» كما أسلفت بيان ذلك.. إذن هذا الاستعمال غير صحيح عربياً؛ لأنه يقتضي معنى لكلمة «فضلا» غير معناها اللغوي الفصيح.

وأما دلالة التركيب نحواً أو بلاغة فلها تقديرات كل منها يصح لغة وبلاغة .. ولكن ليس كل جملة يصح تركيبها نحواً أو بلاغة تكون صحيحة المفردات لغة، فقد أقول: «كنهم قطاوة تنفص عيونها» فأعرب قطاوة بالرفع خبراً لكأنهم، وأعرب عيونها مفعولا لتنفص، وتكون الجملة صحيحة نحواً.. ولكن اللغة لا تمدني بصحة كن بمعنى كأن، ولا بالقطاوة جمعاً للقط، ولا بالتنفيص بمعنى بروز العيون.. وإن كان للمعنى الأخير وجه من المجاز.

والوقفة الثانية: رددت كل التقديرات الإعرابية لا من ناحية صحتها نحواً؛ بل لأنها لا تطابق معنى «فضلا» لغة .. وكل باحث في المسائل العويصة لابد له من حدة الملاحظة، ودقة التمييز بين الفروق الخفية المؤثرة.

والوقفة الثالثة: قوله «فكل تقدير تقدره على أن معنى «فضلا» هو الأولوية سيكون بعيداً مثل بعد التقديرات المذكورة».

قال أبو عبد الرحمن: هذه غفلة صلعاء، فليست الأولوية معنى لفضلا لغة، وليست الأولوية معنى للجملة مقدراً نحواً .. إنما الأولوية هي مراد المتكلم بقوله: «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار» .. المعنى ما دام لا يملك درهماً فمن باب أولى أنه لا يملك ديناراً؛ لأن نفي ملك الأقل يقتضي حساً وعقلا بحتمية ضرورية نفي الأكثر .. وهذا المعنى للجملة عند مستعمليها محل إجماع لم يختلف فيه مجيزو الجملة لغة، ولا المانعون منها لغة.. وهذا المعنى معقول الكلام وضرورته وليس تقديره.. وهذا المعنى المفهوم من مراد المتكلم ضرورة هو محل هاهنا: هل يجوز التعبير عنه لغة بكلمة «فضلا عن» أو لا يجوز؟.

٤ ـ **قال الأستاذ السالمي:** «وكذلك فهناك تقديراً آخر فات ابن هشام، وهو الذي أفهمه من قول القائل «فضلا عن»، وهو لا يملك درهماً فضلا عن ذكر الدينار.. أي «لا يملك درهما» ثم يقول: أكتفي بقولي «درهماً» عن ذكر الدينار وليس هذا التقدير بمتكلف، ولا هو بمناف لمهيع كلام العرب، بل كلامها مليء بمثل هذا التوسع في القول».

قال أبو عبد الرحمن: هذا التقدير لم يفت ابن هشام ، بل بسطه غاية البسط، فقال: «أن يقدر: أخبرتك بهذا زيادة عن الإخبار عن دينار استفهمت عنه ـ أو زيادة عن دينار أخبرت بملكك له .. ثم حذفت جملة «أخبرتك بهذا» وبقي معموله وهو «فضلا» فكلمة ابن هشام «أخبرتك بهذا» هي نفسها ـ على سبيل المرادفة ـ كلمة «ذكر».

قال أبو عبد الرحمن: وها هنا أمور:

أولها: أن المنفي حقيقة الملك لا مجرد ذكر الدينار.

وثانيها: أنه على فرض صحة هذا التقدير فالجملة تقتضي تقديراً آخر هو: فضلا عن ذكري ملكه لدينار.

وثالثها: على فرض صحة التقدير فإنما يعني صحته نحواً، ولا يعني أن فضلا تناسب هذا

السياق لغة؛ لأنك؛ أذا رجعت إلى معنى لـ (فضلاً) لغة فستقول: فلان لا يملك درهماً زيادة عن ذكري ملكه ديناراً، أو بقية عن ذكري ملكه ديناراً.. ولا معنى لـ (فضلاً) لغة غير هذين المعنيين.. وهذان المعنيان غير معنى نفي ملكه الأكثر من باب أولى .. وهذه الأولوية هي المجمع على أنها معنى الجملة عند من استخدمها ورضيها.. إذن التقدير النحوي الصحيح لم ينتج معنى لغوياً صحيحاً لمفردة «فضلا».

٥ ـ قال الأستاذ السالمي: «ولم يبين الشيخ ـ ربما لضيق المقام ـ تاريخ استعمال هذا ا لتركيب.. مع أن البحث عنه في كلام الأدباء قد يلقي الضوء على بعض وجوه صحة المعنى والمبنى، فربما وجد له شاهد يحتج به أو يستأنس به على أقل تقدير.. لا سيما إذا لم يعرف عن علماء اللغة أن أحدهم أنكر مثل هذا التركيب.

وقد اجتهدت في البحث عن هذا التركيب في كتب الأدب فوجدت ما يشهد له، فقد قال ابن المقفع: «وألا تكون دبّاغاً ولا حجاماً لعامي فضلا عن خاص خدمة الملك».

وابن المقفع متوفى سنة ١٤٥هـ أي في عصر الاحتجاج اللغوي!!.. بل إن ابن خالويه قال في كتاب ليس: «حدثنا ابن دريد: عن أبي حاتم: عن الأصمعي قال: قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحناً إلا قوله: العلم أكثر من أن يحاط بالكل منه، فاحفظوا البعض».. وهذا سند صحيح عن الأصمعي، ويؤخذ من ذلك شيئان:

الأول: أن كلام ابن المقفع صحيح لغة.. أو على الأقل يستأنس به في اللغة؛ لأن الاستثناء يخرج الكلام عن كونه مجاز تغليب.

الثاني: أن الأصمعي متشدد في اللغة؛ لأن هذه المسألة الوحيدة التي أنكرها على ابن المقفع أجاز استعمالها كثير من العلماء».. قال الأزهري: النحويون أجازوا الألف واللام في بعض وكل، وإن أباه الأصمعي».. ثم ذكر شواهد لصحة الكل إلى أن قال: «وهناك شاهد شعري من العصر العباسي، وهو قول صريع الغواني مسلم بن الوليد:

أطرق لما أتيت ممتدحاً

فلم يقل لا فضلا على نعم

وليس مرادي من ذكر هذه الشواهد إثبات صحة هذا التركيب بالقطع، ولكني إنما أعرض ما بلغه جهدي من البحث».

قال أبو عبد الرحمن: هذا شغب على المنقول والأصول، وإبطاله من وجوه:

أولها: لا خلاف بين اللغويين في تبيان معاني مادة فضل، ولم يدَّع أحد من نقلة المعجم أن فضلا بمعنى «من باب أولى».. إذن لا حاجة للاستقراء عن أهل السليقة؛ لأن التعب في تحصيل الحاصل سفه.

وثانيها: أن الخلاف في معنى جملة، وليس في معنى مفردة.. والجملة المركبة عمل عقلي لا نقلي إلا من جهة النحو والبلاغة.. وليس الخلاف في التقدير الإعرابي، ولا في الإيحاء البلاغي، وإنما الخلاف في معنى نفي الأكثر من باب أولى الذي هو معنى الجملة عند مستعمليها.. ووجه الخلاف أن هذا المعنى لا تدل عليه كلمة «فضلا» بمعناها اللغوي.

وتركيب الكلام قُررت ـ بصيغة الفعل المبني للمجهول ـ قواعده بالاستقراء من كلام الفصحاء وقت السليقة، فلا يحتاج إلى استقراء بعد فساد السليقة؛ لأن الاستقراء بعد فساد السليقة: إما أن ينتج صحة القاعدة، وهذا تحصيل حاصل لا فائدة له إلا البرهنة على حفاظ المكتسبين للغة تعلماً على ما ورثوه من عرب السليقة.. وليست هذه البرهنة محلا للنزاع هاهنا.. وإما أن ينتج الاستقراء فساد المثال، وهذا عناء لا فائدة، له إذ المتَّبع لسان العرب لا ما دخل عليه.. ولا فائدة

لهذا الاستقراء إلا البرهنة على أن غير أهل السليقة يخطئون.. وليست هذه البرهنة محلا للنزاع هاهنا.

وثالثها: كون ابن المقفع في وقت الاحتجاج باللغة لا يعني أن كل أهل الوقت حجة.. بل الحجة في البادية أهل السليقة.. وابن المقفع المستعرب من أهل الاكتساب وليس من أهل السليقة.

ورابعها: لو صح أن كلام الأصمعي استقراء لكل كلام ابن المقفع، وحكم بصحته حرفاً حرفاً، وحكم بصحته مفردة لغوية لا مجرد حكم بخلوه من اللحن النحوي.. لو صح كل ذلك: لكان غفلة منه عن الخلل في «فضلا عنه»؛ لأن المضنون فيه أن يحتكم إلى نقل أهل اللغة وهو واحد منهم.. وها هي كتب اللغة المدونة منذ أبي مسحل والخليل والأصمعي والكسائي إلى الزبيدي وشيخه لم تذكر الأولوية معنى للفضل.. والاستقراء الاشتقاقي المعنوي لمادة «فضل» لا يحقق ذلك.

وخامسها: بيت صريع الغواني كمنثور ابن المقفع، وكلهم من غير أهل السليقة.

وسادسها: أن علماء كباراً استخدموا هذا المعنى العامي؛ لأنه شاع استعماله، وسياقهم ليس في مجال التحقيق اللغوي لمادة «فضل».. من أولئك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإنه قال: «فلابد له من مرجح فضلا عن تقرير هاتين المقدمتين»[١٢].. ولكن المرجع إلى اللغة وقت السليقة.

وسابعها: عجيب قول الأخ الكريم السالمي عن الجملة محل البحث: «لم يعرف عن علماء اللغة أن أحدهم أنكر مثل هذا التركيب».

قال أبو عبد الرحمن: إذن ما معنى قول أبي حيان التوحيدي: «لم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب»؟.. كما أن ابن هشام في رسالته المطولة حرص أن يجد لها مخرجاً ولم يستطع إلا بتقديرات مضاعفة تحيل بنية الجملة، ولوح إلى هذه النتيجة في صدر رسالته.

٦ ـ قال الأستاذ السالمي: «وختاماً أقول إنه كان ينبغي للشيخ أن يذكر بديلا عن التركيب الذي أنكره، وقد فكرت طويلا في هذا البديل حتى وجدته، وهو كلمة «بله» بمعنى «دع»».

قال أبو عبد الرحمن: على المحقق أن يبين ما وجده خطأ.. أما البديل الصحيح فقضية أخرى لا لوم عليه إن تركه، وإن تناوله فهو متطوع.

على أن هذا البديل ذكرته بعينه في بحثي المذكور آنفاً.. وليس من بنات أفكاري، وليس نتيجة التفكير الطويل الذي ذكره الأستاذ السالمي عن نفسه، فقد اختار العدناني في الأخطاء الشائعة كلمة «بله» كما اخترت في بحثي المذكور كلمة «فكيف يملك فلساً».

... والله المستعان ..

الهوامش:

(١) الأخطاء الشائعة ص ١٩٥.. قال أبو عبد الرحمن: وعبارة القطب الشيرازي نقلها عنه الزبيدي من كتابه شرح المفتاح، وذلك بتاج العروس ١٥/٥٨٢.

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٣٨.

(٣) المفردات ص ٦٣٩.

(٤) تاج العروس ١٥/٥٧٨.

(٥) تاج العروس ١٥/٥٨١.

(٦) تقع في مجموع، ومقدارها خمس عشرة صفحة، وهي كثيرة التصحيف والتحريف، وقد أوردها السيوطي بكتابه الأشباه والنظائر ٦/١٣٠ ـ ١٦٩، ولم يعلق عليها بشيء، وكذلك محقق الكتاب الدكتور عبد العال سالم مكرم لم يعلق بشيء على مسألة «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار».

(٧) في الأصل: محذوف.

(٨) في الأصل: لمستخير.

(٩) في الأصل: تقريره.. والسياق يقتضي ما أثبته، وهو المثبت في أشباه النظائر.

(١٠) في الأصل الكثير.

(١١) مبادىء في نظرية الشعر والجمال ص ١٧ ـ ٢٤.

(١٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١١/٢.

أعلام .. وأعمال:

محمد الصالح رمضان: ورحلته (سوانح وارتسامات)



بقلم: د. عمر بن قينة
معهد اللغة العربية وآدابها
- الجزائر -

عرفت من بُعد الأستاذ (محمد الصالح رمضان) كاتبا وشاعرا، ولم أكد أشرع في الاقتراب منه حتى اكتشفت فيه الإنسان الأديب المتواضع الذي يغمرك بمعارفه وودّه البريء من الرياء، كما لا يبخل عليك إن كنت باحثا بما يتوفر عليه من معلومات ومصادر ومراجع، قد تضيع منه لدى بعض أحيانا.

عرفت هذا وغيره في الرجل ولم أعرفه كاتب رحلة شغوفا بالسفر إلا منذ نشر رحلته «سوانح وارتسامات عابر سبيل» في حلقات بجريدة (الشعب)[١] الجزائرية سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م وبقيت الصورة في حاجة الى صقل شرع يتم حين بدأت تتواتر جلساتي الأدبية معه في بيته بحي (ابن عمر) في (القبة) بمدينة (الجزائر) ابتداء من سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

من هنا انطلقت أعيد قراءة الرجل من أكثر من جانب، وكان أول ما حاز اهتمامي أدبيا في هذه الفترة رحلته هذه التي يدرك فيها القراء كثيرا مما لم تبح به سائر آثاره الأخرى: كاتبا وشاعرا، وقد اتحد الكاتب والشاعر في هذه الرحلة أيما اتحاد، شعورا وإبداعا، فتناغمت اللوحة النثرية مع الصورة الشعرية تناغما عذبا لذيذا.

وإن كان الأستاذ (محمد الصالح رمضان) في غنى عن التعريف بالنسبة للحركة الأدبية الجزائرية فإن ذلك ضروري عربيا وإسلاميا وأجنبيا، فهو من رجال الحركة الفكرية والتعليمية والإصلاحية الحديثة.

ولد سنة (١٩١٤م) في (القنطرة) من ولاية (باتنة) بالشرق الجزائري، درس في مسقط رأسه، وعلى يد (عبد الحميد بن باديس) وقد عينه هذا معلما في (مدرسة التربية والتعليم) سنة (١٩٣٧م) ومرشدا لفوج (الرجاء) في (الكشافة الإسلامية الجزائرية) ثم معلما في مدرسة (جمعية العلماء) بمدينة (غليزان) ومديرا لمدرسة (دار الحديث) في (تلمسان).

وبعد الاستقلال (١٩٦٢) عين مديرا للتعليم الديني في (وزارة الأوقاف) ثم التحق في (١٩٦٤م) بوزارة التربية الوطنية أستاذا في اللغة العربية، حتى أحيل على المعاش سنة (١٩٨٠م) وهي السنة التي صار فيها عضو (المجلس الإسلامي الأعلى) بعد تأسيسه.

له عدة أعمال، مطبوعة ومخطوطة، من المطبوع (جغرافية الجزائر والعالم العربي) ١٩٦٤م، (ألحان الفتوة) ـ شعر ـ ١٩٥٣، (الخنساء) ـ مسرحية ـ ١٩٨٦ (ط٢) فضلا عن عشرات البحوث والمقالات.

أما رحلته (سوانح وارتسامات عابر سبيل) فقد نُشر قسماها: الأول والثاني في حلقات بجريدة (الشعب) سنة (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ولم ينشر القسم الثالث لاعتبارات عديدة صحفية وسواها فيما يبدو، لكنها في مجموعها تخاطب عقل القارىء ووجدانه، تفيده وتمتعه.

وهي رحلة الى (بولونيا) سنة (١٩٥٥م) أعتبرها في مقدمة نماذجه النثرية، وقد تألق الأديب فكرا وأسلوبا في فقرات عديدة، في صلته بالناس والطبيعة، ورد الفعل تجاه موقف أو حركة أو منظر من صور الطبيعة: في حلة رومانسية زاهية على الأرض الفرنسية.. والسويسرية وسواها، أو صورة الحياة الزاخرة المشعة بشرا وأملا تنهض من خراب ودمار تركته مدافع النازية وقنابلها في (فرصوفيا) مرورا في كل ذلك بالتوق الوطني الحالم باستقلال (الجزائر) المأمول؛ لتكون حرّة كسائر الدول ذات التاريخ العريق.

كانت الرحلة في وفد رسمي، تعدد أفراده، واختلفت مشاربهم وغاياتهم عنوانها «سوانح وارتسامات عابر سبيل» متلواً بعنوان فرعي «رحلة الى مهرجان الشباب في فرصوفيا ١٩٥٥م» وعلى هامش ذلك عنوان دالّ يقول نصّا: «نبضات قلب في كلمات، وخطرات فكر في صفحات، وتأملات شاعر في وقفات».

وقد (أعدّ) الكاتب ـ منهجيا ـ رحلته هذه في ثلاثة أقسام؛ هي: (الرحلة الى بولونيا) (فرصوفيا مدينة المهرجان الخامس) (من وحي الرحلة).

ففي القسم الأول شرع الكاتب يصف السفر بحرا فبرا من (الجزائر) الى (بولونيا) ابتداء من يوم (٢٥ يوليه ١٩٥٥م) وقد لاح له (البحر الأبيض) حاجزا طبيعيا، تاريخيا وجغرافيا بين (الجزائر) المجاهدة يومئذ و(فرنسا) المستعمرة.

لكن الأرض الأوروبية: تاريخا وألوانا طبيعية وأنماط حياة سرعان ما تشرع تمارس هيمنتها وسحرها في فكر الكاتب وعلى عاطفته، ابتداء من الساحل اللازوردي (La Cote d'Azure) على الأرض الفرنسية، مرورا بالريفيرا الايطالية، وطبيعة الحياة في (فيينا) بالنمسا و(تشيكوسلوفاكيا) حتى (بولونيا) وحط الرحال في (فرصوفيا) خمسة عشر يوما ليعيش أجواء مهرجان دولي يحضره واحد وثلاثون ألف مشارك، من وفود عالمية مختلفة.

وقد آثر الكاتب في نهاية هذا القسم الأول أن يحدثنا عن العودة ومسارها، في الرابع عشر من شهر أغسطس مؤجلا تفاصيل انطباعاته الى القسم الثاني، حيث ذكر خط الرحلة من (بولونيا) الى (تشيكوسلوفاكيا) فالنمسا و(سويسرا) التي خصها بحديث تاريخي وجغرافي لينتهي منها الى الحديث عن الطريق الى (ليون) الفرنسية ثم (مارسيليا) للعودة منها جواً هذه المرة الى (الجزائر).

أما القسم الثاني (فرصوفيا مدينة المهرجان الخامس) فقد افتتحه الكاتب بنبذة تاريخية عن فكرة المهرجان الوليدة (سنة ١٩٤٥م) المجسدة لأول مرة في المهرجان الأول (١٩٤٧م) في (براغ) والثاني في (بودابست ١٩٤٩م) والثالث في (برلين الشرقية ١٩٥١م) والرابع في (بوخارست ١٩٥٣م).

ثم ينصرف الى وصف أجواء (المهرجان الخامس) الذي ملأ الحياة في (فرصوفيا) بشرا وحبورا، وحول المدينة الى (عاصمة) عالمية للشباب، تعج بالمرح والحياة والتوادد، وهي الفرصة التي استدرجت وضع الشاب الجزائري في وطنه تحت نير الاحتلال الفرنسي، فتقتحم الذاكرة صور المجازر الاستعمارية الفرنسية، خصوصا تلك التي جرت في (١٩٤٥م) ولم تكن مفصولة في جوهرها عن مجازر (ستالين) خلال (٣٦ ـ ١٩٣٧) ومجازر (هتلر) في (١٩٤٣م) وقبلها وبعدها.

في هذا الجو الزاخر: ألقا وبشرا وحبورا: كان الكاتب وصديقه المرافق في الرحلة (حفناوي هالي) يعبان من جمال الطبيعة والبشر وصور الأمل والتوق العنيد، وقد توفرت عناصر بهجة تزيل كدرا وتمنح دفئا وسلاما «الماء والخضرة والوجه الحسن» فقادتهما أقدامهما الى (حديقة الحيوانات) على ضفاف (الفستول) فأمتعا النظر والقلب بمشاهد الطبيعة الزاخرة: أشجارا وطيورا، وماء وحيتانا، وما كادا يتوقفان أمام بركة يتأملانها حتى اقتحمت عليهما عالمهما (شقراوان)

«كأنهما توأمتان» رافقتاهما، وتبادلتا معهما الحديث (بلغة فرنسية) فكان لسحر جمال وعذوبة لفظ، وحركة وشعور فعل عاصف، تصوره صاحب الرحلة يجتاح كيان رفيقه (هالي) فأنجب خيال الكاتب الشاعر (رمضان) قصيدة عذبة عن صاحبه بعنوان: «شيخ من صحراء الجزائر في مهرجان الشباب بوارسو سنة ١٩٥٥م» بعد تلك الأمسية، وقد خيل للشاعر في تلك الليلة أن صاحبه يعاني في نومه.. ما اجتاح نفسه من أشواق روح وجسد، حتى هرع الى الله ملاذا، أملا في عفوه ومغفرته.

تحدث الكاتب في هذا القسم عن الأرض والإنسان في واقع جديد بعد حرب مدمرة، حيث ينشط الإنسان العامل المستبشر، فقدم انطباعات غزيرة مختلفة، انطباعات رحالة فعلا، لا رجل تاريخ وجغرافية ولا باحثا في علم اجتماع، ومن ذلك حديثه عن (قصر الثقافة) العملاق، من دون إقصاء للصور السلبية وهي تقتحم الذاكرة في (حمامات الدماء) التي ارتكبتها (الدكتاتوريات) في كل العصور، ومنها (دكتاتورية) الحكم الفرنسي في (الجزائر) حيث القيمة للأوروبي ولو كان منبوذاً في (غابة) ولا قيمة لشعب كامل كالشعب الجزائري - بمنطق الاستعمار - ولو كان شعبا عظيما بتاريخه، وهو منطق الحقد والعنصرية:

«قتل امرىء في غابة جريمة لا تغتفر»

«وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر»

لذا سرعان ما تتراجع الصور المبهجة في فقرات من هذا القسم حين تغمرها الذكرى بصور الجرائم الاستعمارية في المعمورة كلها، وفي مقدمتها جرائم الاحتلال الفرنسي في (الجزائر).

ويتوج الكاتب رحلته بقسم ثالث عنوانه: (من وحي الرحلة) وقد جاء في شكل تعقيب وتعليق، عن تواريخ، وقضايا، ومواقف، وفيه أدرج الكاتب قصيدتين مطولتين له، أولاهما في (١٠٠ بيت) بعنوان: «فرصوفيا المحطة» صوّر فيها أحاسيسه ومشاعره عن ألوان الدمار الشامل الذي أصاب المدينة (في الحرب العالمية الثانية) ثم صورة المدينة الجديدة الناهضة من الحطام والخراب.

أما القصيدة الثانية فقد صور ما تخيله من مشاعر وهموم وأشواق باتت رابضة على قلب رفيقه (الحفناوي هالي) بعد اللقاء بالفتاتين، فيختلق خيال الشاعر حجة للغوص في عالم صاحبه الخفي بالنفس بعدما أخلد هذا للنوم، على اثر تلك الأمسية؛ فيزعم (الكاتب) أنه اخترع (جهازا) يجس به ما كان يدور في نفس صاحبه، بعدما «استسلم للنوم» و«بدأ يحلم ويستعرض ما مر عليه في تلك العشية، ركبت له الجهاز ليسجل ما يدور بخلده، يهفو له قلبه، وتتطلع اليه نفسه من أمان عذاب» وكانت القصيدة بعنوان: «شيخ من صحراء الجزائر في مهرجان الشباب بوارسو سنة ١٩٥٥م) كما سبق:

أمسية ما إن رأيت كمثلها
فيما مضى من سالف الأزمان
وشربت من ماء الحياة فأينعت
أوراق حبي الذابل الأغصان
فالماء يحيي الأرض بعد مماتها
والحب يحيي الروح في الانسان[٢]

وهي قصيدة عذبة، بلغة موحية، وبمضمون إنساني رفيع، تقع في (١٠٢ بيتا) يختمها النائم الحالم تحت «جهاز المراقبة» لصاحب الرحلة بقوله:

خمسون عاما من حياتي تنقضي
بتعلم وتفهم القرآن
واليوم تعصف بي عواصف فتنة
هوجاء من نفسي على إيمان
رحماك ربي لا تؤاخذ من صبا
رحماك، كم للحبّ من سلطان
رحماك إني إن صبأت فلم أرد
غير الصبابة للصبا الريّان
أنت الجميل وكلّ ما أبدعته
حقا جميل فاتن أغراني[٣]

وقد أدرج صاحب الرحلة في هذا القسم تعريفا ببولونيا، ذا طابع تاريخي، جغرافي، اجتماعي، سياسي، اقتصادي، سياحي أيضا. كتب بعضه إبان الفترة التي كتب فيها الرحلة، وكتب أهمه متأخرا بعد السبعينيات لقرينة مرجع استعمله، فبدا هذا الموضوع مكملا من الزاوية العلمية، وليس من الناحية الأدبية الفنية الخالصة في الرحلة.

من هنا تنبغي الإشارة السريعة الى منهج الأستاذ (محمد الصالح رمضان) الرحالة في

كتابته هذا الفن الأدبي؛ فقد بدا ساعيا بين القدامى في حرصهم على الجانب التعليمي: تاريخا وجغرافية واقتصادا وسواها وبين أسلوب الرحالة الحديث خصوصا الأديب في حرصه على تسجيل مشاعره وانطباعاته المختلفة: سلبا وإيجابا، من دون تقيد بما يمكن أن يثبت أو ينفي صورة سلبية أو إيجابية، لأن ذلك موقوف على تجربة الكاتب وعلاقته بالمحيط، وطبيعة الاحتكاك بالناس، وظروف الصلة التي غالبا ما تكون عرضة للخطأ والصواب.. فتترتب عنها أحكام وانطباعات قد تكون صائبة في موضع وزمان، وخاطئة في زمان آخر، وربما في نفس الموضع.

لقد بقي (محمد الصالح رمضان): المعلم - أكثر من أربعين سنة - والمؤلف الجغرافي حاضرا في هذا التقسيم فالنزعة التعليمية والتاريخية الجغرافية وراء ذلك، وهي التي جعلته يقول عند الحديث عن العودة «لم أعرف بفرنسا كما فعلت بالدول التي مررنا بها لأنها معروفة لقرائنا أكثر من تلك الدول»[٤] وهذا مما يجنح به الى المدرسة *القديمة في أدب الرحلات التي لا تقنع* بالانطباع العام أو المحدود في الاحتكاك المباشر بوجوه الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، بل تنحو نحوا يجعل من الرحلة عملا تاريخيا، لا مجرد وثيقة، كنوع أدبي مساعد، مثل الأنواع الأدبية الأخرى، كما بقي أيضا (محمد الصالح رمضان) الأديب الفنّان متواجدا عبر ذلك كله في الأسلوب الأدبي، في نقل الصور الفنية الدقيقة، وإعلان الانطباعات الموحية التي لا يخطها إلا قلم أديب .. مبدع، دق إحساسه، واتسع خياله وامتلك أداة تعبيره.

لقد عبرت هذه الرحلة عن تجربة انسانية ذات عمق مختلف الأبعاد: شخصية وعامة، ورغم حرص الكاتب في رحلته إفادة قارئه بمعلومات علمية: تاريخية وجغرافية وسياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية فان ذلك لم يجعل منها نصا تاريخيا جافا، كما لم يحل بينها وبين الظلال الإنسانية التي حفلت بها كرحلة معاصرة مثلما لم يحل بينها وبين الطلاوة المرغوبة في كل رحلة أدبية معاصرة، في الجزئيات الصغيرة نفسها، والكاتب يلوذ بالتأمل في منظر طبيعي، أو في حركة إنسانية، أو في عناق حميمي بين زرقة البحر، واخضرار الطبيعة على الساحل، وما يتخلل ذلك من مغان جميلة ساحرة، أو من علاقات إنسانية ودودة في سمو رفيع، أو من انسياب القطار في السهول والجبال في الظلمة الحالكة كخيط ضوء دقيق يشق العتمة في صمت مطبق.. يعطي اللحظة نكهتها، وجلالها وجمالها.

والرحلة بذلك وبسواه، مما قيل ومما لم يقل: معلم من معالم الرحلة الجزائرية الحديثة في القرن العشرين التي اتجه أصحابها الى أوروبا؛ فلم يعلن صاحبها انبهارا تاما بحضارة، ولا دعوة الى مذهب وإن أشاد بقيم الجد والعمل، بل صور واقعا وبلدانا حرة أو متحررة حديثا وفي نفسه آمال وأشواق الى تحرر وطنه من الاحتلال الفرنسي؛ فعكست الرحلة في جميع الحالات شخصية صاحبها كأديب أو كاتب - عموما - مهموم بقضايا أمته العربية الجزائرية، كما تأخذ بلبه المواقف الإنسانية الإيجابية والصور الجميلة، مثلما يترع قلبه الشوق الى الخير والحب يملأ عالم الناس، وقد اغتسلوا من أدران الحقد وإرادة الإبادة والدمار.

خلال ذلك وهذا وغيره في هذه الرحلة يكتشف القارىء في (محمد الصالح رمضان) شغف الرحالة، وعقل المؤلف ونزوع الجغرافي، وتفكير المعلم وأسلوبه، وروح الأديب وأداته، معظم ذلك بلغة الأديب وأسلوبه يطربه المنظر، وتهز وجدانه الصورة الموحية، واللفتة الدالة؛ فيصور ذلك بلغة أنيقة حتى وهو يقدم حقيقة علمية أو صورة طبيعية مألوفة، وهو مما يجعل هذه الرحلة إضافة نوعية في مسار أدب الرحلة الجزائرية خلال هذا القرن الذي ينتظر مزيدا من جهد الباحثين واجتهادهم.

الهوامش:

(١) نُشرَ من الرحلة قسمان في الجريدة، من دون القسم الثالث، ابتداء من العدد ٧٣٩٦، في ٥ ذي الحجة ١٤٠٧هـ (١ أوت ١٩٨٧م) وانتهاء بالعدد: ٧٤٢٣، في ١٣ من المحرم ١٤٠٨هـ/ ٧ سبتمبر ١٩٨٧م).

وقد تكرّم الأستاذ (محمد الصالح رمضان) علي بنسخة مخطوطة، مرقونة في ثمان وتسعين صفحة، ضمت الأقسام الثلاثة فاعتمدتها أول مرة في كتابي (اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بداية ١٩٩٥م إضافة الى اعتمادي ما نشر في الجريدة.

(٢) سوانح وارتسامات، محمد الصالح رمضان، مخطوط، ص ٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٣.

في ميدان الكلمة

التجربة الإبداعية عند البريكي

في لقائنا هذا نستضيف أحد الشعراء السعوديين الذين ساهموا في إثراء المشهد الشعري بهذا الوطن المعطاء وهو الأستاذ محمد سعيد البريكي.

ولد في مدينة القطيف عام ١٣٦٣هـ (١٩٤٣م) بالمنطقة الشرقية، درس علوم اللغة العربية والفقه على يد والده المرحوم الشيخ ميرزا حسين البريكي، أتم تعليمه الإبتدائي والثانوي بالمملكة، أجيز في الكيمياء والأحياء الطبية والإدارة التربوية من عدد من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية.

ينظم الشعر باللغتين العربية والإنجليزية وقد عمل عضواً في هيئة التدريس بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن وفي معهد بحوثها قبل انتقاله للعمل في مجال الصناعة، وقد صدر له ترجمة كتاب «أدوية ضغط الدم» عام ١٤١١هـ وترجمة كتاب «سلوك المنشقات: البلهارسيا» عام ١٤١٥هـ وقد قدم له بمقدمة علمية وافية عن المرض ومسبباته وتشخيصه وطرق مكافحته وعلاجه، وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية المتخصصة. هذا في الجانب العلمي، اما في الجانب الأدبي فقد نشر له الكثير من القصائد والمقالات في كثير من الصحف والمجلات العربية وشارك في العديد من الندوات الأدبية والثقافية في النوادي الادبية والإذاعة والتلفزيون وشارك في العديد من المؤتمرات الثقافية.

له ديوان شعر معد للنشر وله ديوان شعر آخر تحت الإعداد وصدر له ديوان شعر للأطفال «ربيع الأمل» عام ١٤١٦هـ وقد لاقى استحسان الكثير من الأدباء وله ديوان شعر آخر للأطفال معد للنشر. وله عدد من المؤلفات العلمية والأدبية في مراحل مختلفة من الإعداد.

ونحن من خلال هذا اللقاء نحاول أن نسلط الضوء على تجربة الشاعر الإبداعية في عالم الأدب مع التطرق لمراحل حياته العلمية والأدبية ومشواره الإبداعي.

حوار: **عقيل بن ناجي المسكين**
– الرياض –

المنهل:

«الأكاديمي» و«الوجداني» يبدوان شخصيتين منفصلتين لكل منهما مكوناته الخاصة به.. ترى إلى أي حد استطعت الجمع بينهما؟

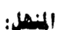
** يعود الفضل في اهتمامي باللغة العربية والأدب والشعر والثقافة بوجه عام إلى البيئة التي نشأت بها. فقد كان والدي - رحمه الله - عالما دينيا ومعلّما وكانت له مكتبة تحتوي على كتب متنوعة الموضوعات. وكان يهتم كثيرا بتدريسي اللغة العربية وعلومها، وعلى يديه درست الفقه والنحو والصرف والبلاغة وغيرها من أساسيات اللغة

العربية وكان منزلنا يضم الأدباء والعلماء بشكل مستمر، وكنت أقع تحت طائلة الإمتحان في هذه العلوم ممن يضمهم مجلس والدي ومنه أيضا، وكان يشجعني على الكتابة والخطابة لذلك فقد كتبت الشعر وأنا في بداية دراستي المتوسطة. ولابد من الإشارة إلى أن البيئة المحلية التي نشأت بها كانت نشطة من الناحية الأدبية كما أنها تتمتع بمظاهر طبيعية تحفز على الإبداع فهناك البحر والنخيل والحدائق والينابيع الطبيعية من جهة والصحراء من جهة أخرى.

وعلى الرغم من هذا الجوّ الأدبي البحت فقد نمت ميولي للعلوم الطبيعية في مرحلة مبكرة من مراحل تحصيلي الدراسي، قرأت شيئا من العلوم الطبيعية في بعض الكتب التي ضمتها مكتبة والدي، وعشقت متابعة الكائنات الحية في بيئتها الطبيعية ومارست تشريح الحيوانات ونقلها مشرحة إلى المدرسة. وعندما تخصصت في العلوم الطبيعية كان الشعر والأدب هو جهة التنفيس في جو العلوم حيث الدقة في التعبير وحياد الكلمات هو النمط المقبول وقد واصلت دراستي الأدبية أثناء دراستي العلمية فدرست الأدب الإنجليزي والشعر وكتبت الشعر باللغة الإنجليزية، كما درست اللغة الفرنسية وقرأت لبعض أدبائها بالفرنسية وشاركت في نشاطات أدبية عربية أثناء دراستي العلمية الجامعية.

وإذا تعمقنا في الموضوع فإن العلوم الطبيعية والشعر والفن تلتقي في كونها مدعاة للتحليق إلى أجواء بعيدة عن المألوف والإنعتاق من عالم الرتابة وبدون هذا العنصر لا يوجد الإبداع في العلوم أو الآداب، وقد يفسر وجود هذا العامل المشترك بين العلوم الطبيعية والآداب والفنون قدرة المرء على التوفيق بينها.

محمد سعيد البريكي



الابداع: ماذا يعني عند الأستاذ البريكي؟ وما هي طقوسه الخاصة بك؟..

** مفهوم الإبداع يعني لي ذلك النتاج الذهني المبتكر، الذي يوجه الأنظار إليه تميزه - في بابه - عما هو ظاهر ومألوف ومبتذل، ويندرج تحت هذا التعميم نشاط الإنسان في العلوم الطبيعية، والعلوم الإنسانية والفنون التشكيلية والغنائية، وكذلك الحرف، بالنسبة للطقوس الخاصة بالإبداع الخاصة بي ككاتب وشاعر (أي أين ومتى أكتب وما هي الظروف المناسبة) فإن أهم العناصر الضرورية لي لإنتاج أي عمل ذهني ذي قيمة هو التوجه النفسي لإنتاج مثل هذا العمل وصفاء الذهن. أما أين ومتى أكتب فذلك يختلف باختلاف نوع العمل الإبداعي.

**** العلوم الطبيعية والشعر والفن، مدعاة للتحليق بعيداً عن المألوف والانعتاق من عالم الرتابه**

**** التوجه النفسي والصفاء الذهني فيهما مساحة واسعة للإبداع**

ففي حالة الشعر مثلا لا يوجد مكان أو زمان لا يصلح للكتابة ما دام عنصرا التوجه النفسي والصفاء الذهني متوفرين، أما في حالة النتاج الفكري الذي يحتاج الى بحث وتمحيص فإن خير مكان لإنتاجه هو المكان الذي تتوفر فيه وسائل البحث العلمي ويتوفر فيه الهدوء المناسب.

المنهل:

تجربتك الشعرية نمت في بيئة علمية وأجواء ثقافية منذ أيام والدك المرحوم الشيخ ميرزا حسين البريكي (رحمه الله) وهو أحد علماء الدين، كيف كانت افادتك من علوم والدك ودروسه؟ وكيف كانت طريقته في تنشئة أولاده وتربيتهم لتصبح كما أنت عليه الآن من مستوى مرموق في الساحة الثقافية محلياً وعربياً؟

** كانت طريقة الوالد - رحمه الله - في تربية أولاده مزيجا من الحزم والحرّية. فكان يحب مجالسة الأطفال والحديث معهم ومرافقتهم في مجالسه ومصاحبتهم في رحلاته واستثارة فضولهم الذهني بالأسئلة العلمية في المجالات التي له علم بها كالفقه واللغة والأدب والمنطق والتاريخ، ولم يقتصر تأثيره على التوجيه فقط وإنما على التعليم المنتظم بما لا يتعارض مع التعليم المدرسي ولا يرهق الطفل ولا يحدّ من حريته في اللعب، وكان على صلة وثيقة بالمدرسة التي يتعلم بها أي من أبنائه وكان الأساتذة يزورون منزله ويحضرون مجلسه ويثير معهم كثيرا من مسائل اللغة ويناقشهم في التاريخ. وكان يشدد على عملية الإستمرار في عمل ما حتى درجة الإتقان ويكثر من متابعة تحصيل المتلقي بالإختبار، وهو الذي علمني الخطابة.

المنهل:

منذ طفولتك يقال إن والدك بنظرته الثاقبة وحبه للعلوم والتطور بعثك إلى مدرس لغة انجليزية لتتلقى على يديه قواعدها تحدثاً ونطقاً وكتابة، وهذه النظرة خارجة على المألوف في ذلك الزمان حيث كانت طرق التدريس تقليدية وبأساليب قديمة، فكيف تكونت هذه النظرة المستقبلية عند والدك؟

** تكونت النظرة المستقبلية عند والدي عن طريق الثقافة فقد كانت مكتبته تضم كتبا في علم النفس والتربية قديمة وحديثة وكذلك كتب العلوم الطبيعية، وكان قد درس الفلسفة القديمة والمنطق، كانت له نظرة تعتبر متحررة بالنسبة لموقعه الإجتماعي وبالنسبة للبيئة التي عاش بها.. أما فيما يتعلق بالأطفال فكان يسمح لي بالمشاركة في الكشافة بلباسها الغريب في حينه وكذلك في التمثيل المسرحي والرحلات، وكان يفصل لي ملابس تتمثل في القميص والسروال القصير وكان يرى أن هذا اللباس اسهل للجري واللعب من الثوب الفضفاض. وكان دائم التأكيد على أننا لا نربي الأطفال ليكونوا نسخة أخرى منا لأنهم

> **** في مجلة الخليج العربي كانت بداياتي (يتيم في يوم العيد)**
> **** الانفعال في الآخر ميزان القصيد.**
> **** أحببت الطفل فأهديته قصيدي.**

** الإبداع عندي، هو النتاج الذهني المبتكر

** والدي .. كثرة قراءاته واتساع مداركه جعلته أبعد رؤية

** لا تكن نسخة من أحد .. هكذا علمنا الوالد

** مفردات الموروث الشعبي إلى جانب أسلوب الطرح تضيف إبداعاً إلى ابداع

سيؤدون دورا مختلفا عن دورنا وفي حقبة زمنية يؤمل أن تكون أكثر تقدما وهذا ما حدا به إلى الإهتمام باللغة الإنجليزية ووجهني لدراستها.

المنهل:

نشأت في بيئة عريقة في التاريخ غنية بمظاهر الطبيعة الخلابة كالبحر والنخيل، الى أي حد وظفت هذا الموروث في أدبك؟.

** تأثري بالبيئة التي بدأت بها حياتي وعدت اليها بعد طول غياب واضح في شعري على ما اعتقد، وأود أن أشير إلى أن البيئة التي عشت فيها طرفا كبيرا من أيام شبابي أيام الدراسة خارج المملكة كانت امتداداً للبيئة التي بدأت فيها فهي غنية بالأنهار والغابات والزهور والتنوع الإجتماعي.

هذا بالإضافة إلى تأثير الآداب الأخرى، والتأثير المقصود هنا ليس فقط اكتساب المفردات الخاصة بالموروث الشعبي والمواضيع التي يطرحها الكاتب وإنما في مجمل تفكيره وطريقة معالجته للمواضيع المطروحة.

المنهل:

الصحافة .. ومدى علاقتك بها..؟ كيف كانت علاقتك بالصحافة والنشر؟ ومتى نشرت أول عمل أدبي؟

** نشرت وألقيت كثيرا مما كتبت منذ البداية، فقد شاركت في تحرير عدد من صحف المدرسة التي كانت في حينه أكثر احتشادا بالمعلومات والكتابة الأصلية (غير المنقولة) ونشرت أول قصة في مجلة الخليج العربي التي كانت تصدر في عام ١٩٥٧ وكان يصدرها الأستاذ عبد الله شباط وكانت القصة بعنوان «يتيم في يوم العيد» وكنت حينئذ في مراحل التعليم الأولى كما نشرت قصائد في جريدة «أخبار الظهران» التي كانت تصدر في أوائل الستينيات وكنت حينئذ في مرحلة الدراسة الثانوية وكنت ألقي الشعر بشكل منتظم (اسبوعي) في لقاءات المدرسة المتوسطة والثانوية وكانت لقاءات جادة وكنت أشارك بشعري وكتاباتي في المناسبات العامة ومنها حفلات الاحتفاء بذوي المكانة الأدبية والاجتماعية. ونُشر شيء من شعري في كتاب المرحوم المسلم «ساحل الذهب الأسود» قبل تخرجي من المدرسة الثانوية ثم في كتاب الشيخ على المرهون «شعراء القطيف» في عام ١٩٦٤م.

انقطعت عن النشر سنين طويلة مدة الدراسة خارج المملكة متوجها حينئذ إلى الكتابة العلمية والتحصيل. ثم عدت للنشر بعد ذلك، نشرت في

العديد من المجلات والصحف، ولي ثلاثة أعمال مطبوعة ومنشورة.

المنهل:

القصيدة، أصبحت مثار جدل بين قديم وحديث .. على أي مدرسة تراها..؟

** القصيدة الشعرية التي تحافظ على أصالتها العربية مع التزامها بالتجديد والتطوير سواء في القوالب والمضامين حرية بالقراءة والاستقبال. وأودّ أن أقول هنا أن مثل هذه القصيدة ينبغي أن تكون مفهومة، أي أن تحدث أثرا لدى المتلقي ولا يشترط إحداث الأثر لدى جميع المتلقين. ويقصد بالأثر إحداث الإنفعال الذي هو ناتج عن إحداث تغيير في نسق أحاسيسه المألوفة، ذلك لأن الشعر الجيد هو شكل من أشكال الإبداع ولا ينطبق لفظ الإبداع على عمل ما لم يحدث هذا التأثير.

المنهل:

صدر لك عام ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ديوان «ربيع الأمل» وهو ديوان شعر للأطفال، وقد لاقى هذا الديوان استحسان الكثير من الأدباء والمتخصصين محلياً وعربياً وقد كتب عنه الكثير وآخرها ما كتبه الدكتور غازي القصيبي في مجلة «المجلة العربية» بأحد أعدادها الأخيرة، ما هي قصتك مع أدب الطفل؟ وما الذي دعاك لخوض مثل هذا التخصص الذي أبدعت فيه؟ وما هي نظرتك عن مستوى أدب الطفل في الوطن العربي عموماً والمملكة بشكل خاص؟

** قصتي مع أدب الطفل تبدأ من طفولتي، فقد عشت حياة طفولة مليئة بالمرح والنشاط واحترام عقليتي كطفل والاهتمام بها من قبل والدي - رحمه الله - والمتعة التي كنت أجدها في القراءة من قصص الأطفال الموجودة حينئذ، كنت أحب الأطفال عندما كنتُ مثلهم طفلا، ثم أحببتهم عندما كبرت، وقد أردت أن أعطيهم شيئا جميلا ومفيدا ومتمشيا مع الفترة الزمنية التي نعيشها يتوازن فيه الخلق القويم والطموح والنظرة العلمية، وهي محاولة أرجو أن تكون موفقة وحافزة للآخرين.

**** الطفل عالم من الذكاء والابداع.. وهكذا ينبغي ان تكون الكتابة له**

**** دخلت عالم الترجمة لدافعين، علمي وقومي**

أما فيما يخص مستوى أدب الطفل في الوطن العربي عموما فهو لا يزال قاصرا عن مواكبة الزمن مثقلا بتركة التقليد، ومع ذلك فإنه لا ينبغي إغفال الخطوات الجادة والمهمة التي خطاها أدب الطفل العربي بوجه عام والمحاولات المبذولة لتطويره، أعتقد أن المشكلة الأساسية في قصور أدب الطفل هو القصور في الاهتمام بالطفل وتقدير مدى إدراكه، إذا لم نفهم الطفل ونحبه ونقدر مدى إدراكه فإننا لن ننتج ثقافة للطفل ذات قيمة، والأدباء العرب لا تنقصهم القدرة على الكتابة كما أن تقنية إنتاج المواد المقروءة والمصورة والمرئية متوفرة ولكن معظم الإنتاج الأدبي مهتم بالعاطفة والتنظير الفكري والعقدي والسياسي،

وقليل منه موجه للتطبيق العملي أو البناء الأساسي للشخصية الذي يندرج تحته أدب الطفل.

المنهل:

ماذا عن ممارستك للترجمة العلمية؟ وما مساحتها في إبداعك وإنتاجك الأكاديمي في مجال تخصصك العلمي؟ وهل هناك مشاريع علمية أخرى بعد صدور ترجمتك لكتاب «أدوية ضغط الدم» وكتاب «البلهارسيا»؟.

** ولجتُ عالم الترجمة العلمية بدافعين، دافع علمي ودافع قومي. مصدر الدافع العلمي هو محاولة نشر المعرفة العلمية بلغة يحسنها الناس في الوطن العربي الكبير. سيما المعرفة التي تضمها الرسائل العلمية المختلفة التي كتبها العديد من أبناء الوطن والتي كتبت بلغات أجنبية تقف عائقا دون اطلاع من لا يحسنون تلك اللغات عليها. وأما مصدر الدافع القومي فهو الرغبة في توجيه الأنظار بطريقة عملية إلى أن اللغة العربية يمكن أن تكون أداة فعالة كأهم اللغات المعروفة لنا في نقل النتاج العلمي الحديث.

وقد ترجمت رسالتين علميتين: «أدوية ضغط الدم» و«سلوك المنشقات: البلهارسيا» وكتبت للأولى مقدمة عن المرض وكتبت للأخرى مقدمة عن بيولوجيا المرض وتشخيصه وعلاجه وطرق مكافحته. وهناك مشاريع أخرى للترجمة.

المنهل:

يعرف عنك في الأوساط الثقافية بالمنطقة بأنك أحد المشجعين للأدباء الشباب ومن الذين يأخذون بأيديهم الى الجادة، ما هو انطباعك العام عن «أدب الشباب» في بلادنا وفي المنطقة بشكل خاص؟ وكيف ترى اهتمام المؤسسات الثقافية في بلادنا بهذا الجانب؟

** يوجد عند الشباب توجُّه نحو الإنتاج الثقافي سيما الشعر والقصة والتراجم والتوثيق والفنون التشكيلية مع إهمال تام للعلوم التطبيقية والإجرائية وما أقرؤه يظهر بوضوح حاجتهم إلى الأسلوب العلمي في الكتابة وأقصد «بالعلمي» توفر عناصر الحياد في التعبير والتعريف الدقيق للمفاهيم التي تطرح وتسلسل التفكير والمنهجية في البحث. وقد حان الوقت لأن يتعلم الكتاب هذه المتطلبات ولا ينتظروا تعلمها في الدراسات العليا.

اهتمام المؤسسات الثقافية في بلادنا بهذا الجانب «أدب الشباب» يختلف باختلاف المؤسسات. ولكن الكثير من المؤسسات سيما الصحافة تهتم به وتفسح له المجال، القصور في البحث عن أدب الشباب هو جزء من القصور العام لدى المؤسسات الثقافية في البحث عن المواهب والإتصال بها وتشجيعها على الظهور فمعظم المؤسسات الثقافية تنتظر من يأتي اليها.

المنهل:

كلمة أخيرة تحب أن توجهها الى قراء مجلتنا الأم «المنهل» الغرَّاء؟

** الكلمة التي أحب أن أوجهها لقراء «المنهل» الغراء أن يستفيدوا من منهل المعرفة الذي تصب أنهاره من أنحاء المعمورة وأن يحتملوا شيئا من الأذى في الوصول إلى المعرفة وأن لا يقنعوا بالسهل الضحل وأن يُسْمِعوا ويَسْمَعوا. والله ولي التوفيق.

الامام محمد زاهد الكوثري

بقلم :
أ. د. محمد رجب البيومى
ـ المنصورة ـ

في شارع الصنادقية بميــــدان الأزهر ـ وهو يشبه الحارة الضيقة، تقوم على جانبيه حوانيت صغيره، أكثرها تمتلىء بالكتب الأزهرية القديمة من متون وشروح وحواش، في هذا الشارع شاهدت شيخاً ربعة أشرب وجهه بالحمرة، وله شيبة ذات وقار، يرتدي كاكولة متواضعة، عمامة ذات طبقات أكثر مما نعهد، وأمامه مجموعة من الكتب يقرأ بعضها في صمت، فوقفت أرصده عن كثب، ولكنى وجدت رجلا من العامة يدنو منه، ويحدثه، فخطوت لأسمع سؤالا عن الطلاق المعلق يلقيه السائل في وجل، منتظراً الإجابة من الشيخ، ثم أدهشنى أن يحكم الرجل في إصرار بوقوع الطلاق، مع أنى أعلم أن قانون المحاكم الشرعية الذي صدر في مصر سنة ١٩٢٩ يمنع وقوع هذا الطلاق استناداً إلى أئمة من غير أصحاب المذاهب الأربعة، وهم فقهاء أجلاء نوو شأن في التشريع، وقد أراد القانون بذلك أن ييسر على من يحلون روابط الأسرة ذات الأولاد في ساعة غضب ليتمكن الزوج من التئام الشمل رحمة بأفلاذ الأكباد، فرأيت أن ألحق بالسائل لأقول له إن الأمر في مصر يجري على غير ما قال هذا الشيخ، وأظنه محدود الاطلاع فلا تركن له، وقد استبشر الرجل بما قلت، وأخذ يدعو الله أن يجزيني بالخير!

مضت أيام، وذهبت لزيارة أستاذي الجليل الشيخ محمد الطنطاوى أستاذ النحو بكلية اللغة العربية فوجدت منزله عامرا ببعض الزوار من العلماء، وهم يتحدثون عن شيخ جليل انتقل إلى رحمة ربه، هو الشيخ خليل الخالدي مفتي القدس، وأحد الوجهاء الكبار ممن تولوا المناصب الدينية الكبيرة في عهد الخلافة العثمانية، وقد أجمعوا على تضلّعه المتين في معرفة المخطوطات العربية في شتى فروع الثقافة الاسلامية، إذ زار أكثر العواصم الإسلامية ـ والأوربية أيضا ـ ليقرأ ما تضمه المكتبات الشهيرة من المخطوطات، وله خبرة بخطوط العلماء، ومعرفة دقيقة بأحوالهم المعيشية، ومذاهبهم الفقهية، وآرائهم المختلفة في شتى فروع الثقافة، حتى صار المرجع الأول في بابه! هكذا قال القوم، ولكن الأستاذ الطنطاوي صاحب المنزل عقب على هؤلاء قائلا، إن الأستاذ الكبير الشيخ محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة الاسلامية في تركيا من قبل، ونزيل القاهرة الآن يفوق



الشـيخ خليل الخـالدي في إلمامـه بالتـراث الإسـلامي، لأن الشـيخ الخـالدي قـد اقـتـصـر على المؤلفات العربية وحدها أما الشـيخ الكوثرى فـيـقـرأ التـركـيـة والفـارسـيـة والجركسية والعربية. وقد هضم كل ما قرأ وأصبح المـرجـع الأول فـي هـذا المجال، وعليه يعتمد ناشرو المخطوطات، ومـصـحـحـوا الموسوعات شرقاً وغربا، وله با ع طويل في المناقشات العلمية وقد وقف على نشر كثير من أمهات الكتب معلقا ناقدا مصحّحا والشيخ الخـالدي - على فضله المشكور، - لم يخل مكانه بعد، إذا أطال الله في عمر الكوثري.

سـمـعت مـا دار من الحـديث عن الخـالدى والكوثرى، فاشتقت إلى رؤية الكوثرى، وانتظرت حتى انقطع الحديث عن الرجلين، فسألت الشيخ الطنطاوى كـيف أحظى بمجـالسـة الكوثرى، فابتسم، وقال في دعابة، لا يفوتك شيء يارجب، إن الشيخ الكوثرى رجل مـتـواضع على جـلالة فضله، وهو دائما يصلي الجمعة في مسجد محـمـد أبى الذهب الذى يقـابل الأزهر، فـإذا صليت الجمعة به، فستجد جوار المحراب شيخاً وقورا يتحلق حوله الكثيرون، وكل يسأل عن معضلة، فهذا باحث فقهي، وذاك عالم أصولي، وذلك رجل منطق وجـدال، وكلهم يسـأل عن المراجع، أو يطلب الفـتـوى، والشـيخ يجـيب كل سائل بما يشـفى غلته، ويظل في مـجلسـه حتى تحين صلاة العصر، فيؤديها وينصرف سعيدا وقد قام بمجهود عدة أساتذة ذوى اختصاص، إنه بحر لا ساحل له، فاذهب إليه إذا أردت.

دفـعنى حـديث الأسـتـاذ إلي رؤية العـلامـة الكوثرى، وكـانت دهشـتى عظيـمـة حين وجـدت الكوثرى هو بعـينه صـاحب فـتـوى الطلاق في شـارع الصنادقيـة، فتذكرت أنى قلت عنه من قبل: إنه مـحـدود الاطلاع جـهـلا منى بمنزلتـه وقلت في نفسي، أيبلغ بي الغرور أن أحكم على إمام كبير بما يخـالف الواقع، مع أنى لا أبلغ مبلغ تلميذ صغير من تلاميذه! إن للرجل الكبير رأيه الخـاص، ولا يتقيد في فتواه بقانون لا يراه صائبا من وجـهـة نظره، ثم تذكـرت أنه صاحب كتـاب الإشـفـاق في أحكام الطلاق وقد كتبـه ردا على الأستاذ الفـقـيـه الشـيخ أحـمـد شـاكـر حين

محمد زاهد الكوثري

انتحى غير منتحـاه! فإذا كان قد أفتى بوقوع الطلاق المعلق فهذا ما قامت لديه البراهين على صحته، فهو إذن إمام غير مأموم!!

حرصت على أن أصلى الجمعة كثيرا بمسجد أبي الذهب، حبًّا في رؤية الشيخ ومن حوله من السائلين، وقد لحظ اهتمامي بما يقول، وإكبابي على تسـجـيل بعض آرائه فـي كُنّاشـة أعـددتهـا لمجلسه، فبادرنى متفضلا بالسؤال عن اسمى، وماذا أعمل، فعرّفته بأنى طالب في كلية اللغة العربية بالسنة الثانية فقال في ملاطفة، وفقك الله، ثم سأل: لماذا تحضر دون أن تسأل! وكنت حينئذ مشغولا ببحث أعده عن الشاعر المغني العبـاسي جـحظة البرمكى، فـتـجـرأت على أن أسأله عن مراجع جحظة، فسكت هنيهة، ثم نظر إليّ ليقول في قوة، بُنَيَّ ماذا يعجبك في أمثال جحظة! إنه مطرب شارب خمر، وواصف مجون؛ له ترجمة كبيرةً في معجم الأدباء، وأولى بك أن تبحث عن أصحـاب الاتجاه الخلقي الرفيع من الأدباء أو العلماء! يا بني إن الشـعـراء - وجلّهم غير ملتزم - قد أخذوا نصيبا كبيرا من اهتمام

الباحثين في مصر، وأنا لا أمنع أن نبحث عن شاعر قوي الأسلوب، متعدد الأنحاء، ولكن أمنع أن نبحث عن الصغار ممن لا يزيدون الناس إحساساً أو فكرا، بل يدعون إلى منكرات يشمئز منها المؤمن الملتزم! إن كتاب الأغاني قد سيطر على الأدباء أكثر مما يلزم، مع أن طالب الأزهر لو قرأ كتاباً مثل طبقات الشافعية لابن السبكي لوجد من الأعلام من يفوق مائة شخص من أمثال جحظه البرمكي، لا تغضب عليّ يا بني فأنا أقول ما اعتقد!

سكتّ قليلا، فقال الشيخ هل تُسمعني شيئا مما أعجبك من شعر جحظة ، فقلت، يعجبني مثل قوله:

وَرَقّ الجوُّ حتى قيل هذا

عتابٌ بين جحظة والزمان

فابتسم الشيخ وقال بيت حسن ، ولو ترك الشاعر مجونه ، وأتى بهذا الطراز لكان موفقا، لقد قلت لك رأيي يا بني!

واتفق أن قابلت الأستاذ محمد الطنطاوي بعد محاورتى مع الشيخ، فذكرت له كل ما دار بيني وبينه، فسأل الشيخ الطنطاوي كالمتعجب؛ أقال الكوثرى لك ما يدل على ارتياحه لطبقات الشافعية؟! قلت نعم.. فقال: كم يمتلىء السجن بالمظلومين، إنهم يأخذون على الكوثرى تعصبه الشديد لفقهاء الأحناف، وها هو ذا يمدح طبقات الشافعية أولو كان متعصبا أما اختار كتاب (طبقات الحنفية)؟! قلت يا سيدي: لا شبهة هنا في التعصب، أنا مثلا شافعي المذهب، أفئن أفتيت بما أعرفه من فقه الشافعية أكون متعصبا لهم، أم أكون مجيباً بما أعلم! قال الشيخ: هذا حق، كلام الناس كثير ولا معنى له.

وكان النبهاء من رجال الأزهر في الأربعينيات يلتفون حول جماعة المفتى الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم وهم من صفوة المفكرين من العلماء وفي طليعتهم الشيخ محمود شلتوت والدكتور محمد البهي والأستاذ محمد محمد المدنى ولهم باع طويل في البحث التجديدي، ومناقشة القديم الذي تبدو به مظاهر الضعف، ولكن الأستاذ محمد زاهر الكوثري قد وقف من هذه الجماعة موقفا معارضا، ينقد في شدة، ويهاجم في ضراوة، ويرجع باللائمة على الإمام محمد عبده والإمام المراغي إذ هما في رأيه مصدر الفتاوى الجريئة، وأذكر أن المفتي الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم قد استُفْتيَ في لباس (القبعة) فأجازها معتمدا على نصوص استمدها من كتب السابقين، وموافقا ما سبق أن قرره الإمام محمد عبده من قبل، فثارت ثائرة الشيخ الكوثرى وكتب مقالات حارة لسنا ننقده من أجلها، ولكن حدتها البالغة وجنوحها إلى التهجم الواضح جعلها تحيد عن المجادلة بالحسنى، بل إن الأستاذ الكوثرى قد تورط في استدلاله بالآية الكريمة {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} مستنبطاً أن لبس القبعة من بعض مظاهر هذه التولية المنهي عنها، ولم يحصر الهجوم على مقال المفتي الأكبر فحسب، بل تناول الشيخ شلتوت والشيخ المدني، مع أنهما لا صلة لهما بهذه الفتوى! كما تناول الإمام محمد عبده بالتخطئة الصريحة، وتوالت مقالات الكوثرى فى مجلة الإسلام لترمي شواظها المحرق، وكأنه يهاجم أعداء لا زملاء في جهة واحدة، فساءني كل الإساءة أن يبعد الكوثرى في غلوّه هذا البعد، وهو مَنْ هو، رجاحة عقل، وبعد نظر، فصممت على أن أسأله العدول عن الهجوم الجارح، وجئت إلى مسجد أبى الذهب متحمسا، وبدأت القول قبل أن يسأله أحد من تلاميذ الحلقة المعهودة، فذكرت فضل المفتي وشيعته، ونظر الاستاذ اليّ في غضب مكتوم، ثم واجهني بقوله: أنت يا بنى طالب صغير في كلية تدرس علوم اللغة لا علوم الدين، ويجب أن تصبر طويلا حتى تفهم ما أعنيه، إن مجلة الرسالة التى تنشر للمفتى ولشلتوت لا تنوي الخير للمسلمين، فتسرعت قائلا: سيدي إن الرسالة هي المجلة الرفيعة المستوى التى تفوح بعبير الإسلام، ولها

صوتها المسموع، وأنت حين تحاربها متكلما وكاتبا إنما تحاول أن تهدم قلعة من قلاع الإسلام! فحول الأستاذ وجهه عنى، والتفت إلى القوم يغير مجرى الحديث.

وقد انقطعت عن المسجد بعد ذلك محاذرا أن أثير غضب الرجل الكبير، ثم عرض لى أن أشترى بعض الكتب من مكتبة الأستاذ حسام الدين القدسي، بجوار دار الكتب المصرية، فما كاد الأستاذ حسام يرانى حتى صاح بي، لماذا انقطعت عن مجلس الإمام الكوثري، إنه سأل عنك كثيرا، وكان الأستاذ حسام الدين ممن يحرصون على حضور مجلس الجمعة، وقد سمع محاورته لى من قبل بشأن (جحظة البرمكى) ومن التوافق أنى نشرت بالرسالة بحثا عن جحظة وقرأه الاستاذ حسام قبل أن أزوره، فقال متضاحكا، لعلك نشرت مقال جحظه لتجهر بمخالفة الأستاذ؟ فقلت كلا ، والله، المقال قد شغل تفكيرى وسهلت عليّ صياغته فبادرت بنشره، دون أن أتذكر كلام الأستاذ!

كان في الأستاذ حسام الدين القدسي أنس وملاطفة، فأشار عليّ أن أجلس معه بعض الوقت ليحدثني عما أجهل من أمر الكوثرى، ولازلت أذكر من حديثه الجيد أن الرجل زاهد كاسمه، وأن الأستاذ محمد أبو زهرة قد لمس ما يعانيه من ضيق في الرزق فسعى اليه كى يكون أستاذاً للشريعة الاسلامية بقسم الدراسات العليا لطلبة كلية الحقوق بالقاهرة كى يتسع له المورد على نحو كريم! والأستاذ الكوثرى جدير بأن يفيد الطلاب، وأن ينشيء جيلا من الباحثين، ولكن الشيخ قد اعتذر لأنه يعانى آلام الشيخوخة، ولا يستطيع أن ينهض بالتدريس كما يحب، وطال رجاء أبى زهره وطال امتناع الشيخ، لأنه لا يريد أن يقصر في الشرح! هكذا تخيل الرجل مع أن مظنة التقصير متوهمة لا حقيقه لها، ولكن تقدير المسئولية العلمية حال دون التنفيذ.

ثم قال الأستاذ حسام، وشيء آخر أذكره عن الكوثري، لقد قام بتصحيح مجلدين كبيرين من كتب التراث وكتب لهما مقدمة حافلة، مع تعليقات كثيرة تأخذ نصف الصفحة في كل أوراق الكتاب، فرأى الناشر الأستاذ عزت العطار أن يعطى هذا المحقق ما يعادل ثمن خمسين نسخة من الكتاب كبعض ما يستحق من الأجر، ولكن الأستاذ الكوثري - رغم حاجته الشديدة - قد رفض في تصميم، وقال: إذا أخذت الأجر الدنيوي فسيضيع الثواب الأخروي، وكيف استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير؟ وواضح أن الأجر الدنيوي لا يمنع ثواب الله، إذ أن الأعمال بالنيات، ولكنه الاحتراز.

وثالثة قالها القدسي، وهي ذات مرارة موجعة - فقد ذكر أن الكوثرى منذ عامين أخذ يبيع مطبوعات مكتبته ومخطوطاتها بثمن بخس، ليجد ثمن الدواء له ولزوجته المريضة، وقد عرض عليه الأستاذ أحمد خيرى وهو من أعيان البحيرة أن يقوم بشراء ما يلزم من الدواء، فرفض مصرًا مستنكرا، وقال أن ذلك سيرهقه نفسيا فيزيد المرض!

سمعت هذه النوادر من الأستاذ حسام، فكنت بين الإعجاب بترفع الشيخ، والأسف الحار لضياع إمام كبير، هاجر من بلده فارا بدينه من طغيان مصطفى كمال، ثم لا يجد الراحة في شيخوخته الواهنة وتذكرت أن ما عند الله أوفى وأجل ولن يضيع أجر المحسنين، فكان هذا عزائى..

تصحيح

في العدد رقم (٥٣٥) وصلت الحلقات المنشورة من (رحلة في الذاكرة) الى الرقم (٣٩).. والتسلسل الطبيعي للترقيم أن تكون الحلقة التالية في العدد رقم (٥٣٦) برقم (٤٠) بدلا عن (٣٠).. وعليه يكون رقم حلقة هذا العدد (٤٢).

رسالة من ابن عباد .. الى السيدة الجميلة

الأسرة العربية والفتاة الحديثة

استمرارية الحياة

تربية الأبناء مسئولية الآباء

نهايتان (قصة قصيرة)

مجلة شهرية ذات
أداء متخصص تخاطب
عقل المرأة ووجدانها



استمرارية الحياة

هل من المُسَلَّم به ان يكون العطاء بلا حدود وبلا مقابل؟ هل من الواجب أن يقبل كل منا أن يعطي بسخاء ويتجاوز عن ما يمكن أن يكون أحقيته في الأخذ؟ هل من الممكن أن نخضع مفاهيمنا لهذا الافتراض أو هذا التساؤل؟.

الى أي مدى يمكن أن يكون عطاؤنا مستمراً في الوقت الذي نحتاج فيه للأخذ، لردة الفعل، لانعكاس هذا العطاء..؟ كيف نغدق مشاعرنا ونبذل اخلاصنا وتحترق أفئدتنا ونحن نقبل سلبيات باردة تطفىء حرارة هذه المشاعر وتطعن عمق الإخلاص وتتجاهل أحاسيسنا.. كيف؟ لن تقوم الحياة على السلبيات وإن استمرت لفترة فهو خطأ لا يبرره استمرار الخطأ.

كيف يمكنني ان أعطى مشاعري ووقتي وجهدي وكياني لمن حولي أيا كانوا لفترة طويلة بفدائية وتفان ثم نكتشف اننا مطالبون بمزيد من العطاء ومزيد من العناء؟.

عندها تتململ ذواتنا وتبدأ في إزاحة عبء ثقيل ينتج عنه تساؤل حائر مرهق لِمَ نحن فقط من يعطي ويبذل ويتفانى؟ لِمَ لا يكون هناك احتواء ايجابي «ومقابل» متكافيء تجاه ما نقدمه ونبذله! هل من الواجب المحتم ان تظل نفوسنا تعطي الآخرين وتتجاوز عن المطالبة بالأخذ أيا كانت مواقعنا ومسؤولياتنا ومراكزنا من هذا المجتمع.

لابد أن يكون هناك استثمار لهذه المشاعر وردود فعل إيجابية لكل هبة، لكل عطاء يمكن ان يبذله كل واحد منا لأسرته لعمله لوطنه لكل مجال يتحقق فيه تفاعله كإنسان كبشر، كفرد فعال دون تحديد حتى يمكنه الإستمرار، حتى يمكنه البناء حتى يمكنه إثراء هذه الحياة بكل المعاني الجميلة وتأكيد كل المباديء التى لا تقبل المساومة ولا التجاهل لكي تستمر الحياة بشكل طبيعي وهاديء وكي تزدهر العلاقات الإنسانية وترقى الأواصر بين كل افراد المجتمع أيا كانت مواقعهم وعلى اختلاف نشاطهم.

إنه لمن المؤسف ان يعطي الفرد منا ويقابل باللامبالاة أو التجاهل أو على أدنى التوقعات أن يشعره الآخرون بأن هذا هو المطلوب وأن هذا هو واجبه فلا داعي لشكره أو تقدير مجهوداته!

لن نكون متحضرين بمعنى كلمة حضارة

هند أحمد هرساني
– جدة –

وتفهم لمدلولاتها طالما كنا نجهل قيمة مهمة ومبدأ أساسيا في الحياة هو التجاوب وتبادل المشاعر والعطاء بكل اشكاله وانجاح علاقة كل طرف بالآخر وتحقيق التكامل بين العنصرين العطاء والأخذ، الفعل ورد الفعل.. انعكاس هذه الإيجابيات يوصلنا بالتالي إلى ايجابيات جديدة وتفاعلات ناجحة تغمرنا جميعاً بالرضى والامتنان وتشد من بنائنا النفسي ليقرب بعضنا من بعض.

من حق هذه المشاعر أن تربت عليها أيادي الشكر والتقدير وتدفئها كلمات الحب والمودة، انها لن تكلفنا الكثير ولكنها تتحدانا فيمن يبدأها منا أولا؟ ومن يبادر الى اتخاذها مظهراً سلوكياً وواقعاً محسوساً في محيطنا مع من تربطنا بهم علاقتنا البشرية السامية.

ليس هناك اي نقص لقدر وهيبة المديرين في احتواء موظفيهم ومن يلونهم رتبة في العمل والحياة من أن يقدم لهم الشكر والتقدير مقرونا بالمودة الفعلية بكل اشكالها المحسوسة والمعروفة طالما أن هناك جهداً قد بُذل وتفانيا قد أدى .. ما المانع في أن نستحث في هذا الموظف البسيط ما بداخله من عطاء ونشعره اننا ننتظر بكل امتنان المزيد من هذا الجهد وهذا الإخلاص والوسائل الى ذلك كثيرة ومناسبة لكل منا.

هذا هو المبدأ البديهي البسيط الذي يمكن ان نطبقه في مجال العمل والتقائنا بالآخرين سواء كان هذا المجال المصنع أو المدرسة أو دائرة رسمية أو أي شكل من اشكال التواجد البشري المرتبط بقوانين تنظيم علاقتنا بالآخرين.

ولنبدأ من أقرب مجال اجتماعي ينظم التقاءنا بعضنا البعض من الأسرة:

من الزوج لزوجته من الأبناء للوالدين.. بين الأفرادككل يجب أن يكون هناك ود .. استرخاء للعواطف احتواء عطوف للقلوب المعطاءة كي لا تكل من العطاء المفتقر الى الود والرد بالمثل.

من حق الأم المثقلة بمسؤولياتها وواجباتها .. فترة راحة إجازة بعد عن مجال عملها .. وعطائها .. كي تسترخي نفسياً وجسدياً ولو لبعض الوقت وليتولى الآخرون من زوج وابناء وآباء بعض مسؤولياتها دون أن تظهر في الأفق كل علامات الاستفهام ودلائل التعجب إن لم تكن هناك مظاهر الاستنكار والاعتراض.

إن قيامهم بمسؤولياتها لبعض الوقت لا يعنى انه فرض عليهم ولكنه تقدير منهم لها بما قد انجزته لهم ودوحة وارفة تأوي اليها ولو لفترة قصيرة، تقديراً لها وتحقيق عطاء جديد مصدره هم تقديراً منهم وشكراً عملياً كي تستعيد نشاطها النفسي أولا والجسدي ثانيا لمواصلة عطاء وافر. ليس من الغضاضة في شيء أن يبادر كل منا لإراحة رفيق حياته ودربه بكلمة طيبة وسلوك متميز ورقيق كي يعاود عطاؤه بكل حب من جديد .. على اختلاف الأحوال.

طالما ان هناك من يسهر على راحتنا ويقدر مجهودنا ويدعونا بلطف ومودة الى المزيد لن نندم عندئذ على العطاء.

الأسرة العربية والفتاة الحديثة

لا ريب في أن البيت العربي الحديث، أو الأسرة المتطورة، قد تركت آثرها عميقا بعيدا في فتاة اليوم، وحين اقول كلمة «الأسرة» أجمع حروفها من وجود الوطن وروحه في غابره وحاضره ومصيره، وكم في كلامنا المتداول من الفاظ تنثال على ألستنا واقلامنا دون ان نعطيها القيمة الاجتماعية والانسانية التي تغرس معناها وحقيقتها في النفوس.

فاذا كانت الأسرة قمة السلطة القديمة في عصور الرومان وهي قوام القبيلة والعشيرة في الجاهلية والاسلام، فما أراها على ترادف العصور قد فقدت شيئا من حصانتها وان تزاحمت عليها الخطوب والأخطار التي ولدتها الحضارة.

لقد أصبحت الأسرة الحديثة خاضعة لمقومات جديدة ومؤثرات اقتضاها العصر والمجتمع، ولأن المفاهيم المعاصرة للتربية والنشأة والبيئة قد تبدلت وتطورت وكل اسرة وان توزعت بحسب الدواعي والأسباب فلابد أن تبقى راسخة الفكرة والروح في كل فرد من أعضائها،

بقلم :
وداد سكاكيني
– سوريا –

ولكن لو سألنا الحياة الاجتماعية التي دخل عليها كثير من التغير والتطور ما هو مقدار علاقة الفرد بالأسرة لجاءتنا أجوبة مختلفة متضاربة، فمن كان عهده بالانفصال عن اسرته الأولى فهو على الغالب ما يزال مرتبطا بها، فان الزوجين وان استقرا في بيت يضمهما دون الأهل، فان الصلات والزورات تبقى قائمة متصلة وقد تكون ضمانا لامتداد الأسرة في علاقاتها وتقاليدها.

على ان الفتاة مهما تتطور في نشأتها وثقافتها ومهما يطرأ على حياتها من التجديد كالزواج والوظيفة والاغتراب، فان طبيعتها كأنثى وحنانها الفياض يربطانها دوما بأهلها ووالديها، بينما نرى الفتى اذا تزوج أو اغترب كانت صلاته بأسرته أخف واضعف.

فاذا توضح هذا المرمى رأيت العلاقة بين الفتاة والأسرة متشابكة وثيقة فاذن كان لابد لبناء المجتمع الحديث وحمايته من فقدان مزايا الأسرة القديمة وتراحم افرادها وتعاونهم من ان توجه العناية لإعداد الفتاة الحديثة لتكون محققة للأمل المعقود عليها في بقاء الأسرة والحفاظ على تراثها الاجتماعي بشخصيتها الجديدة وثقافتها التي تقتضيها، ان ترفع مستواها وتزيد في اسباب الترابط والتضامن بين افراد أسرتها، وان لم تجمعهم روح العصر كما كانت تجمع الأسرة الواحدة قبل ان يدركها زماننا بأسباب المعيشة والحضارة.

وقد آن لنا في مفهوم التربية الحديثة والقومية السليمة أن ندرك منزلة الفتاة في الاسرة وتأثيرها في دعمها مهما تجيء بأولاد الأباعد، ولو سألنا الحقيقة لوجدنا الفتاة هي تاريخ الأسرة بعاداتها وحياتها ومدلولاتها للثقافة والتطور، فهي عنوان الأسرة التي تحمل اكثر صفاتها وطوابعها التي لا تزول وان خيل الى الناس أن الأسرة توزعت أو ضاعت.

ان الأسرة العربية الحديثة في مجال تطور كبير وبناء جديد لم تغفل عن رعاية الفتاة بأسباب المعرفة والتوجيه القويم لتضمن في مجتمعنا الجديد روح البقاء للقيم الاخلاقية والروحية في ترابط الفرد بالاسرة والاسرة بالجماعة والجماعة بالشعب، وفي هذا الترابط الوثيق يتحقق التعاون والتراحم في المجتمع المنشود.

تربيـــة الأبنـاء مـ

قال تعالى في كتابه الكريم: {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسَكُم وأهليكم ناراً وقودُها الناسُ والحجارة} أي اعملوا بطاعة الله ومروا أبناءكم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فذاك وقاية من النار. والإنسان في أول أمره ينشأ على نفس صافية تتأثر بالخير كما تتأثر بالشر، فإن وُجد من يُحسن تربيته كان حسن الأخلاق، وإن لم ينل حظه من التهذيب نشأ فاقد الهمة. قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته».

والعدل بين الأولاد شرع حكيم، أما تفضيل ولد على آخر فمقت وحرام..

وتربية الأبناء على مبادىء الإسلام من أهم الواجبات، قال تعالى: {يوصيكم الله في أولادكم} وقال عليه الصلاة والسلام: «علّموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم».

ومما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا جاءه يشكو عقوق ولده، قال الولد يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على الوالد؟ قال بلى، أن ينتقي أمه، ويُحسن اسمه، ويعلمه القرآن. قال الولد أما أمي فمجوسية، وقد سماني جُعلا، ولم يعلمني القرآن، فقال عمر للوالد: لقد عققت ولدك قبل أن يعقّك.

إن الوالد الذي لا يهتم بأبنائه، والأم التي تنسى مالها وما عليها، كلاهما مسؤولان.. فالأبناء أمانة وهم جيل الغد، بهم نبلغ الحضارة في أروع صورها، فلنتق الله في أولادنا، ولنهذب سلوكهم، ولنثقف عقولهم بالرفق والحكمة، فالرفق لا يكون في شيء إلا زانه، والحكمة مفتاح النجاح. قال عليه الصلاة والسلام: «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»

وما أروع البيت الذي تزينه المروءة والرحمة، فالمروءة من دواعي المحبة

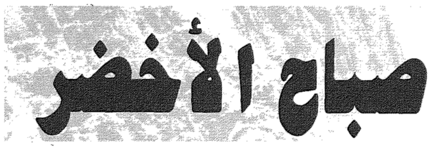
شيرين محمد شاكر علي
- سوريا -

ـسؤولـــية الآبـــاء



والإيمان، وكـذلك الرحمة.

فلنتجـه إلى أبنائنا بكل حب وعطـف وعنـاية حـتى يفـيـد الأمـجاد ونحـمل راية الحق.



صباح الأخضر

أية لغة تحملها الحقائب حين تثب فجأة لتملأ فضاء الأيدي.. إذ تنداح الأسئلة ويتوقف كل حوار، غير حوار العيون وسط ازدحام المقاعد وتقافز الأرقام على الشاشات المقابلة وبريق الواجهات في القاعة الواسعة.

أركز عيني في الكلمات القليلة والأرقام التي تتساقط أمامي على لوحة إعلانات الطائرات المغادرة .. وأتجنب النظر حولي.. أخال علامة استفهام كبيرة ترتسم على كل وجه .. تمتد ما بين عمان وجدّة وتعلن عن رهبة مجهول ينتظره هؤلاء الضجرون على المقاعد.

أمس .. ودعتني الزميلات بدمعات تجاهلتها ومضيت أحمل بين جنبي رجفة أمي ووصاياها.. واليوم لا ألتفت حولي لكي لا أرى ما يخفف حدّة اندفاعي.

أنهض مسرعة صوب المحلات المتناثرة في جوانب القاعة.. أتشاغل ببريقها.. التقط مجموعة الصديقات اللاتي رافقتني عمراً غير قليل .. «المجلة العربية»، «المنهل»، «الفيصل».. أحس بشيء من الاطمئنان حين أتذكر أني الآن في البلد الذي ينثر ورقه في الأرجاء ليقيم منارات علم وثقافة بلا حدود.

أغرق في الصفحات وقتا غير قليل.. ثم أنهض على صوت نداء المغادرين الى «نجران».

نجران .. ! شيء ما يهبط في داخلي .. أحس بقسوة حروف هذا الاسم .. قسوة تشبه تلك التي تنبعث من حروف «عجلون» مدينتي الجبلية الرابضة في حضن الأخضر طوال العام.. أشتاق للأخضر يزهو صيفاً ويتحدى بياض الجبال شتاء .. لو كان للدمع لون!!

صباح الأخضر يا أمي..

هأنذا أحتسي فنجان القهوة «العجلوني» بعد أن نفضت عني غبار السفر.. وأستعد لجديد التجربة، لكن كل ما في هذه المدينة يجدد حنيني.. بدءاً من اسمها وانتهاء ببرد ليلها.

من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب .. ألوّن دربي بأخضر عينيك وأمضي يحملني دفء صوتك صباحاً الى قاعة الدرس.. ألملم ابتسامات الوجوه الناظرة الى إشراق جديد .. وأستمد قدرة أكبر على العطاء.. ينسج لي الوقت رداء يخلعه على صدري فأسميه وطناً..

أسميه حنيناً .. أسميه ألما ..

وأسميك أعزّ ناسي.

مريم جبر

– نجران –



نهايتان

صُفَيْحة من ورق أغلقت كل ما بينهما .. كل ما بينهما من حب، وشقاوة، وجدال لا تكاد تنتهي جولة منه حتى تبدأ أخرى.

استجمع كل عناده الذي طغى على ذكريات الأيام السعيدة، وأطلقها صيحة، أعقبها بإجراء قانوني هو تلك «الصُفَيْحة»!

انتابتها عاصفة من الخوف والقلق والاستسلام، طرحتها أرضاً لساعات، أفاقت منها فرأت نفسها وحيدة، مبعدة.

تذكرت طلبها منه أن يتركها، لتسلك طريقاً ويسلك هو آخر، وتساءلت:

- «أي طريق لي بعده؟!» .

صبر يومين كاملين، بكل ساعاتهما ودقائقهما وثوانيهما.

جمع ما يملك من شجاعة، أمسك سماعة هاتف الشارع، ضرب الرقم، انتظر.

ردّت ببقايا صوتها المنثور:

- منْ؟ .. مَنْ تطلب؟

- حبيبتي هند !

جاءتها عبارته من أعماق الذكرى .. من أيام الخطوبة.

- حبيبي عمار! أين أنت ؟ عُدْ إليّ.

ترك السماعة تتأرجح في غرفة الهاتف، انطلق مستخدماً كل ما يساعده على سرعة الوصول إليها.

قرع الباب، لم تستجب.. زاد من حدة القرع.. لم ترد .. دفع الباب بكل قواه، رآها طريحة الأرض.

حملها .. أسرع بها إلى أقرب مستشفى.

أنعشوها، بعد ساعات عاد وعيها إليها.

قال لها:

- ها قد عدت إليك يا هند .. ها قد عدت!

خرج جوابها من رئتيها:

- نعم، عدت يا حبيبي .. ولكن يبدو أنني أعيش اللحظات الأخيرة من عمري.

رفض أن يتقبل العزاء فيها، وفضل أن ينزوي وحيداً يقلّب صفحات (الألبوم)، الذي سقطت منه صورة هي أصل كل الصور.

هالة جمالي
– سوريا –

رسالة إلى السيدة الجميلة من ابن عباد

محمد عبد الواحد حجازى
مصر

* من شعراء الأندلس في القرن الرابع الهجري.
* تولى حكم أشبيلية وقرطبة بعد والده عباد الملقب بالمعتضد سنة ٤٦١هـ.
* تسمى باسم محمد الثانى المعتمد بن عباد .. توفي سنة ٤٨٤هـ.
* يرتفع نسبه إلى النعمان بن المنذر اللخمي، آخر ملوك الحيرة.
* تميز شعره بالجزالة والرقة والجمال المعبر عن أحوال النفس والشعور.

حبيبتي زوجتي اعتماد:

الآن يا حبيبة العمر، يا رفيقة الحياة، يا زهرة الدنيا.. قد أفلت شمس عزنا ومجدنا.. وها أنت بعيدة عني في أرض غريبة وكانت بالأمس قريبة حبيبة.. وها أنا في قرية أغمات حيث سامنى أعدائي الخسف وجرعوني غصص الهوان، وكأنهم قد عقدوا حلفاً مقدساً مع شيطان الطغيان فكبلونى بالحديد.. وفي حجرة مظلمة عفنة الرائحة ألقونى في غيابتها وأقاموا علي زبانية أشداء يتراطنون بالبربرية فلا أعرف مما يقولون شيئا.. إلا واحداً منهم أحسست في نظراته تراحماً خفيا وكان هو وحده الذى يقدم إلي الطعام وقد شجعنى محياه الحنون على أن أفاتحه في أمر رسالتي إليك فقبل المهمة في فرح مكظوم.

نعم أكتب إليك هذه الرسالة لتكون خير عزاء لك بعدي .. ها هي ذي ذكرياتي تتسلل إلى خيالي متثاقلة من خشية السجان.. جاءتني الذكريات لتعزيني لما دهاني وكرثني، بل دهى أمتي ومجدي وبيتي.. ومن عجب أنها افترّت أول ما افترت عن بسمتك الأولى وأنا في أبهة الملك يرافقني ابن عمار شاعر البلاط فبينما أنا وهو نسير على شاطيء نهر مفراح خطر على بالي شطر بيت من الشعر وهو: (صنع الريح من الماء زرد).. ثم لم أستطع إكماله فقلت لابن عمار: «أجز»، فارتج عليه أيضا فسمعت صوتا مليحا من خلف سياج من الياسمين يقول: «أي درع لقتال لو جمد».. فالتفت ورائي فإذا أنت فراعني جمالك وحسن بديهتك. ولما استفسرت عنك عرفت أن اسمك: «اعتماد» فسبجان من آلف بين ابن عباد واعتماد!!

واشتريتك من صاحبك «رميك بن الحجاج» وصرت من يومها الزوجة الوفية فكانت حياتى معك: أجمل حياة.. أسعد

حياة.. أجل أحلى حياة.

فكنت بحق صفوة النساء.. أتذكرين ما قلته لك يا اعتماد ونحن نرفل في أفواف من صفو الشجى الطروب؟ قلت لك في يوم من أيام عبق الجنان التي لن تعود إلى آخر الزمان:

يا غصنة إذا مشت
يا رشا إذا نظر
يا نفس الروضة قد
هبت لها ريح سحر
يا ربة اللحظ الذى
شد وثقاقا إذا فتر
متى أداوي بندا
ي السمع منى والبصر
ما بفؤادى من جوى
بما يفيك من خصر

حبيبتي زوجتي اعتماد:

هل أقول ليتني؟ وماذا تفلح «ليتني» وقد نزل بنا المقدور الذى لم يكن لنا حيلة في رده ولا حيلة في دفعه.. هل أقول في لحظات بأسائى التى اكتوى بسعيرها ليتني أطعت زوجتي اعتماد، فعملت بنصيحتها واستقمت على مشورتها فلم استقدم ابن تاشفين ليدافع عن مملكتنا ضد الخوارج الأفاقين من أمراء الطوائف؟ أولئك الذين لم يكن لهم عمل سوى الإغارة والسلب والنهب والتخريب.. كنت تقولين لي: لا تتقوى بابن تاشفين، إنه حسود حقود يضمر السوء والبغضاء لكل ملوك الأندلس.. إنه لن يلبث أن يطلع على عوراتنا وإنه إذا انتصر على ملوك الطوائف وأمنك فلن يلبث أن ينقلب عليك ويتخلص منك حتى تخلص له الأندلس بأسرها؟

آه يا اعتماد ما أعنف الندم الذي يلفح نفسي: لقد أسكرني النصر المبين الذي حققناه أنا وهو على الملك الأوربي الأذوفنش سنة ٤٧٩هـ.. أسكرني النصر حقا. كانت موقعة «الزلاقة» نصراً مشهوداً حقا.. أسكرني النصر حقا حتى أنني لم أتنبه إلى ما يضمره ابن تاشفين في صدره الحقود، إذ سرعان ما كرَّ علينا بقواته التى انتقاها من البرابرة الأجلاف فانقض علينا في أشبيلية.. وَيْلي عليك يا أشبيلية فيما أصابك ودهاك!! لقد خرج أهلها من منازلهم هلعين مذعورين يلتمسون النجاة من بطش البرابرة السفاكين حتى أن بعضهم كان يلقي بنفسه في البحر كأنه ملاذ النجاة لا دوامة الهلاك.

ولا أنكر يا حبيبتي أن بعض رجالي وحكمائي نصحوني بأن أصانع ابن تاشفين وأعلن الخضوع له.. فهل كنت تظنين أنني ممن يخضعون لمتجبر أو يستسلم لطاغية لا يعرف عهداً ولا يخفر ذمة؟

زوجتي حبيبتي اعتماد:

لما تماسكت الدموع
وتنهنه القلب الصديعْ
قالوا الخضوع سياسة
فليبدُ منك لهم خضوع
وألذ من طعم الخضو
ع على فمى السم النقيع

قـــــد رمتُ يوم نـزالهـم
ألا تحـــــصننى الدروع
وبذلت نفـــــسي كي تسـ
ـيل إذا يسيل بها النجيع
أجلى تـأخـــــر لم يكن
بهـواى ذُلى والخـشـــوع

زوجتي، يا شريكة عمري . .

يا أم الفتح . . يا أم يزيد:

برغمي يا حبيبتي ‥ برغمي أنهي إليك فجيعتي ‥ نعم، فجيعتك في ولديك فقد قتلهما ابن تاشفين غدراً وغيلة بعد أن خدعني رسله بأنهما إن استسلما ونزلا من قلعتهما فلسوف يضمنان حياتهما ‥ ولكنها كانت خدعة إجرامية.

مسكين أنت ياولدي الفتح‥ مسكين أنت يا ولدي يزيد

يقولون صبر لا سبيل إلي الصبر
سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري
هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه
يزيد فهل بعد الكواكب من صبر
أفتح: لقد فتحت لي باب رحمة
كما بيزيد اللهُ قد زاد في أجرى
هوى بكما المقدار عنى ولم أمت
وأدعي وفيا! قد نكصتُ إلى الغدر
توليتما والسن بعد صغيرة
ولم تلبث الأيام أن صغرت قدري
فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى
إذا أنتما أبصرتماني في الأسر

زوجتي، عزائي وسلواي في محنتي:

إن زبانية ابن تاشفين لا يجدون هناءهم وسرورهم إلا في تعذيبي والتنكيل بي ‥ لم يكف سيدهم أنني اختفيت من وجهه ولم أعد خطراً يهدده أو وسواساً يؤرقه‥ يا عجبا لهذه الدنيا، لمن اشكو؟ ومم أشكو؟ الحق أننى لم أعد آنس بشيء إلا بحديث الأسى إلى قيدى، أحادثه عله يرحمني فيخفف من قسوته على ساقي اللتين لم تسعيا إلا في الخير‥ صدقيني يا حبيبتي ولا تظني أنني فقدت عقلي أو أن أعصابي أفلتت مني عندما أقول لك إننى استرحمت قيدي‥ قلتُ له راثيا لحال أولادي نائحا من جور الزمان وغلظته:

قيدي: أما تعلمنى مسلما
أبيْت أن تشفق أو ترحما
دمي شراب لك واللحمُ قد
أكلتهُ: لا تهشم الأعظما
ارحم طفيلا طائشا لُبُّهُ
لم يخش أن يأتيك مسترحما
وارحم أخيات له مثله
جرعتهن السمَّ والعلقما
منهن من يفهم شيئا فقد
خفنا عليه للبكاء العمى
والغير لا يفهم شيئا فما
يفتح إلا لرضاع فما

زوجتي حبيبتي:

لا أظنك إلا مُلتاعة الفؤاد مشعوفة بحسرات القلق الأسيان‥ وأحسب أن ذلك لضياع ابنتنا بثينة أثناء المعارك‥ لكن اطمئني فها هو ذا خبر يثلج صدرك ويطمئن بالك على مصيرها‥ فقد وصلتني منها رسالة حكت لي فيها ما وقع لها‥ لقد

اختطفها أحد البرابرة وأخذها إلى أحد تجار أشبيلية وقال له: أتشتري هذه الصبية يا سيدي؟ إنها من جواري المعتمد، وما أدراك ما جواري المعتمد، جمال روح، وجمال عقل. فقال التاجر: أتزعم أنها إحدى جواري المعتمد؟ فقال: إي والله، إنها إحداهن أسرتها في هجمتنا عليه. فقال التاجر: إذن أدفع لك فيها ألف دينار. ففرح وقال: خذها بارك الله لك فيها. لكن ماذا يصنع بها رجل ذرّف على الثمانين وأصبحت حياته زهادة وتبتلا؟ لقد وهبها لابنه لكنها رفضت أن تتزوجه قائلة: إنني على هذا لا أحل لك إلا بعقد نكاح إن رضي أبي بذلك، ألا تعرفه؟ إنه المعتمد بن عباد. فقال: وكيف نعرض الأمر على أبيك وأنت تدركين ما أصبح فيه؟ فقالت: أنت تعرف أنه سجين بأغمات وما عليك إلا أن تعمل على أن يصله كتابى هذا إليه.

وكان كتابها قصيدة جاء فيها:

اسمع كلامى واستمع لمقالتي
فهي السلوك بدت من الأجياد
لا تنكروا أنى سبيت وأنني
بنت لملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولى عصره
وكذا الزمان يؤول للإفساد
لما أراد الله فرقة شملنا
وأذاقنا طعم الأسى من زاد
قام النفاق على أبي في ملكه
فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ
لم يأت في إعجاله بسناد
إذ باعني بيع العبيد فضمني
من صانني إلا من الأنكاد
وأرادني لنكاح نجل طاهر
حسن الخلائق من بني الأنجاد
ومضى إليك يروم رأيك في الرضا
ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتي تعرفني به
إن كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها
تدعو لنا باليمن والإسعاد

فكتبت إليها بيتا واحداً أقول فيه:

بنيتي كوني به برة
فقد قضى الدهر بإسعافه

حبيبتي زوجتي اعتماد:

الآن وقد أصبح المصير مما لا مهرب منه.. فماذا أقول لدهري؟ وماذا أقول لنفسي؟ وماذا أقول لك أنت يا صنو روحي؟

أقول لنفسي:

لنفسي إلى لُقْيا الحمام تَشَوُّقٌ
سوَائي بحب العيش في ساقه حجلُ

وأقول لك يا حبيبة العمر:

كتبت وعندى من فراقك ما عندي
وفي كبدي ما فيه من لوعة الوجد
وما خطت الأقلام إلا وأدمعي
تخط سطور الشوق في صفحة الخد

معذرة:

لاحتجاب أوراق زوجية لهذا الشهر، لعدم وصولها.



٢٢٢ خلق نادر:

الانتصار على النفس خلق نادر، ويزداد ندرة حين يكون هذا الانتصار استجابة لعاطفة شريفة تقابل السيئة بالحسنة ويتناسى صاحبها ما قدم إليه من قوارص دامية تترك أثرها البدنى في الجسم المعتل، وهذه المنزلة الرفيعة لا يلقاها إلا الذين صبروا، ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم من المروءة والهمة، ومن هؤلاء إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فقد تمزق جسده تحت سياط المعتصم في محنة (خلق القرآن الكريم)، ثم كان منه ما نرويه الآن:

روى ابن حبان في كتابه «روضة العقلاء»: قال سمعت اسحق بن أحمد القطان بتستر يقول: كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب الفقراء، وكان يتفقد الصالحين ويتعهدهم فقال لي: دخلت يوما على أحمد بن حنبل، فإذا هو مغموم مكروب فقلت: مالك يا أبا عبد الله؟ قال: خير، قلت ومع الخير ماذا؟ فقال: امتحنت بتلك المحنة حتى ضربت ثم عالجوني وبرئت إلا أنه بقي في صُلبي موضع يوجعني، هو أشد عليّ من هذا الضرب، فقلت: اكشف لي عن صُلبك، قال: فكشف لي فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط، فقلت: ليس لي به معرفة، ولكن سأستخير لك، فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس، وكانت لي به معرفة، فقلت له أدخل الحبس في حاجة، قال: ادخل، فدخلت وجمعت فتيانهم وكان معي دريهمات فرقتها عليهم، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي، ثم قلت: من منكم ضرب أكثر؟ قال: فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه الأكثر ضربا، فقلت له: أسألك عن شيء، قال: هات: قلت شيخ ضعيف ليس له صناعة كصناعتكم، ضُرب على الجوع ليُقْتَل سياطاً يسيرة،، إلا أنه لم يمت وعالجوه وبرأ، إلا أن موضعاً في صلبه يوجعه ليس له عليه صبر، قال: فضحك، قلت: ما الحيلة قال: يُبَطُّ صلبه، وتؤخذ منه هذه القطعة

د. أبو حسام ـ المنصورة ـ

المريضة وترمى، لأنها إذا تركت وصلت إلى فؤاده، فقتلته، قال فخرجت من الحبس، فدخلت على أحمد بن حنبل، فوجدته على حالته، فقصصت عليه القصة، فسأل: ومن يُبطُّني، قلت: أنا؛ فقام ودخل ثم خرج وبيده مخدتان، وعلى كتفه فوطة، فوضع إحداهما لي، والأخرى له، ثم قعد عليها وقال: استخر الله، فكشفت عن صلبه، وقلت: أرني موضع الوجع، قال: ضع إصبعك عليه فإني أخبرك به، فوضعت إصبعي، وقلت أها هنا؟ فقال: نعم وأسأل الله العافية، فوضعت المبضع عليه فلما أحس بحرارة الحز وضع يده على رأسه، وجعل يردد قوله: اللهم اغفر للمعتصم! حتى انتهيت من أمرى وأخذت اللحمة المصابة ورميتها، وشددت العصابة عليه، وهو لا يزيد عن قوله: اللهم اغفر للمعتصم، ثم هدأ وسكن، ومضت فترة، فقلت يا أبا عبد الله إن الناس إذا امتحنوا دعوا على من ظلمهم، وأنت الآن تدعو لظالمك بالمغفرة، فقال: إني فكرت فوجدت المعتصم ابن عم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فكرهت أن آتي يوم القيامة وبيني وبين أحد من قرابته خصومه، فهو مني في حل.

٢٢٣ ـ نادرة أخرى:

لما سقطت الدولة الأموية وتتبع العباسيون فُلولها من الأمراء والولاة والجنود، خاف ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك على نفسه، إذ توقع الموت المحتوم، وجعل ينتقل بالليل من مكان الى مكان، ويختبيء بالنهار في منعزل لا يراه به أحد، حتى بلغ الكوفة، ونظر فوجد طائفة من الجند يسيرون بها، فخاف أن يعرفوه، ولم يدر إلى أين يتجه فصادف داراً رحبة فسيحة، فدخلها مذعورا، ورآه صاحبها على حال من الخوف والارتباك، فلم يسأله عن أمره، وفهم أنه مطلوب بثأر، وأدركته الحمية فهيأ له مكانا حسنا، وجعل يتعهده بنعمه، ويجلس معه في أوقات كثيرة، دون أن يسأله عن أمره، وقد لاحظ ابراهيم بن سليمان أن صاحبه يخرج من المنزل مسافرا عدة أيام في رحلات متواصلة ثم يرجع آسفا وكأنه لم يحقق ربحا؟ على أنه يوصي به أهل المنزل ليقوموا باكرامه في غيابه كعادتهم في حضوره، وحين تكرر السفر والمجيء، وأنس كل من الضيف وصاحب المنزل بصاحبه، تقدم ابراهيم إليه سائلا: علام تتركنا هذه الأيام، كأنك ترحل في تجارة، وتعود حزينا ولم أرك مرة مسرورا بعد عودتك؟ فقال: إن لي ثأراً مع بعض الهاربين من رجال بني أمية، حيث أقدم الفاجر ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك على قتل أبي دون ذنب، وكان والدى صاحب مروءة يشفع للناس، وينصر الضعيف ويساعد المظلوم، وقد شهد على ابراهيم مناصراً رجلا ضعيفا سلب حقه، فتوعده ابراهيم، وهدده كي يكتم الشهادة،

فلم يعبأ والدى بغير الحق، ولم يدر أن الفاجر ابراهيم قد رصد له كميناً في عودته، حيث خرج أعوانه فقتلوه بليل، وجاءنا من يخبرنا بأمره الفاجع، فلم أملك صبرا، وصممت على الثأر لأبي من هذا الفاجر متى أتيح لي أن أفعل، ثم أذن الله وسقطت الدولة الأموية، وتفرق أمراؤها في الكهوف والمغارات مختبئين، فعزمت على أن أنهض فأبحث عن غريمي ليلقى جزاءه المحتوم قصاصاً مفروضا على يد وليّ الدم، وما كاد الضيف يسمع الحديث حتى بهت، وعلته صفرة أدركه بعدها ارتجاف شديد فتعجب صاحب المنزل وسأله: مالك؟ هل تعرف شيئا عن مكان ابراهيم؟ وهل يعزّ عليك إلى هذا الحد، وهو قاتل آثم؟ فقال الضيف. بعد أن أكرمتني وحفظتني في غيبتك وحضورك، فلا أنكر عليك أنى ابراهيم بن سليمان! ولك أن تقتص مني الآن، فأنت على حق، وقد كنت سفيها طائشا لا أدرى عاقبة ما أصنع، ولكل نفس أجل.

فبهت الرجل، وجعل يقوم ويقعد متحيرا، ثم رجع إلى هدوئه، وتوجه لضيفه قائلا: أما أبي فسيلقاك غداً أمام ربه وسيحاكمك إليه، وهو أعدل حاكم، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأما أنا فلست أخفر ذمتي معك، وقد عاهدتك على الصون، ولكني لا آمن نفسي فى لحظة من لحظات الغيظ، أن أنهال عليك طعناً برمحى هذا، فاخرج لسبيلك، وأراد أن يصله ببعض الزاد فأبى ابراهيم!.

٢٢٤ - من الغَرْب:

كانت (مس أديت) سيدة من عنصر كريم، ولها ثراء موفور يجعلها تعيش عيشة السعداء، وقد فقدت زوجها في غرق باخرة هوت معه في قاع المحيط، فصممتْ على أن تعيش على ذكراه، قانعة بثروتها المالية عن الزواج مرّة أخرى، وكان عطفها على الخدم موضع الحديث الدائم لكل من يتصل بها، إذ كانت تغمر كل من يلوذ بها من هؤلاء بما تحتاجه أسرتها الفقيرة دون نظر إلى الأجر الشهري المعلوم، وقد التحقت بخدمتها شابة شريرة تتظاهر بالبراءه، وتبذل من الإخلاص الظاهري ما يعمي حقيقة مشاعرها الإجرامية، تلك هي الخادم (إديل) ذات الذكاء الذي يستر الملامح المعبّرة عن أحاسيس الشر في أعماقها الدفينة، وصادفت من كرم سيدتها ما كان خليقاً أن ينزع من نفسها بذور الشر إذ كفتها وكفت أهلها المزعومين شر الحاجة، وانتقلت بها من وضع سداه ولحمته الإملاق والعوز الى وضع كريم يجد ما ينفق دون ضيق بل ببذخ وإسراف ولكن الخادم قد وقعت في هوى لص شرير تعوّد أن يتخذها وسيلة للسطو على أموال الأثرياء، إذ يتقدم بها للخدمة عند من يعتقد فيهن الثراء حتى إذا عرفت كل شيء عن منزل المخدومة اتفقت معه على الحضور في ساعة تغيب فيها سيدتها عن

المنزل، كي يحضر فيسرق الجواهر، وكل ما غلا ثمنه، وخف حمله؛ وعلى هذا النمط دأبت (إديل) مع أربع أسر كريمة.. وكانت تتنقل من بلد الى بلد، مع عاشقها الفاجر، كيلا تقع في أيدى الشرطة بعد فرارها مع عاشقها مستولياً على ما يود من النفائس الثمينة.. وسار كل شيء في طريقه الطبيعى اذ عرفت (إديل) مكان الجواهر، واستطاعت أن تصنع مفتاحاً للخزينة تحتفظ به معها، ليسهل الاستيلاء على الثروة دون جهد.. وصادف أن (مس اديت) في اليوم الذي حددته (إديل) لارتكاب الجريمة، دعتها، وأعطتها هدية لأسرتها، وطلبت منها أن تأخذ اجازة هذه الليلة لتسعد بلقاء أحبائها، ولم تكن لأديل أسرة في الواقع ولكنها لفقت لها حديثا مكذوبا عن عائلتها، كى تطمئن على أنها ليست ساقطة تعيش في كنف لص شرير، وحارت الخادم فيما تصنع، فالسيدة لن تخرج من المنزل بعد أن ألغت رحلتها، ثم هي الآن تغمرها بهداياها الزائدة عن الحد المعقول، وذلك ما هزّ نفسها من الأعماق، وصاحبها الفاجر سيحضر الليلة في الميعاد، وقد يجد السيدة وحيدة فيقتلها كما فعل من قبل بثلاث ضحايا!! لقد عاشت الخادم لحظات قاسية لا تدرى ماذا تفعل، ثم همَّت على أن تفضح أمرها للسيدة، حين استدعت البوليس ساعة حضور العاشق بدعوى أنها تلقت مكالمة مريبة توحي بمؤامرة تتعلق بالسيدة، وأسرع البوليس في الحضور، وكان اللص ذكيا إذ رأى من رجال الشرطة ما أفهمه خطورة الموقف، ففر على أعقابه منهزما، ودهشت السيدة، فاستدعت خادمتها لتسألها عن سبب حضور البوليس، فصرحت لها بكل شيء، وذكرت أنها اشتركت من قبل في ثلاث وقائع للسرقة ممن ائتمنوها على ذخائرهم، وكان فى ذلك ما يؤدى بالسيدة الى إبلاغ الشرطة عنها، فإن لم تفعل ذلك، فإلى طردها العاجل من المنزل لأن جراثيم الجريمة تنتشر في أعماقها، ومن الجائز أن تكون وسيلة طبيعية لمؤامرة أخرى، لقد فكرت السيدة النبيلة في كل احتمال، ثم دعت الخادم لتقول لها سأعطيك عشرة آلاف دولار لتعيشى عيشة كريمة بعيدة عنى، وأنصحك ألا تقتربى من اللص مرة أخرى، لأن عائد المبلغ من البنك سيقوم بحاجتك، إذا لم توفقي الى عمل مساعد، وقامت إلى خزينتها فأعطتها الدولارات عن سماح! وهى تعلم أنها اشتركت في جريمة كادت تُؤدي إلى مصرعها! فماذا نقول في هذا؟

٢٢٥ (من شعر الحيص بيص):

ملكنا فكان العفو منا سجية
فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتمو قتل الأسارى وطالما
غدونا إلى الأسرى فنعفو ونصفح
وحسبكمو هذا التفاوت بيننا
فكل إناء بالذى فيه ينضح

الرائد لا يكذب أهله :

الأستاذ الرائد عبد القدوس الأنصاري، منذ نشأته لحظ فيه معلموه دلائل النبوغ ورجاحة العقل، إذ كان متقد الذهن، لمَّاحاً ذكيا.. لا يغادر كلمة إلا بعد استقصاء مدلولاتها ومعانيها.

لم يتجاوز العقد الثاني من عمره وقد أقلقه ما عليه لغة الكتابة والدواوين، إذ شطرت التركية العربية، وكادت اللغة التركية الاعجمية أن تتغلب على العربية، وهاله الأمر، فتحمل عبء تصحيح ما يقع عليه، وكان آنئذ موضع تندر من جمهرة الموظفين والعاملين ولكنه لم يبال بشيء من ذلك.

ومن هذه التصحيحات والتصويبات خرج بكتابه (تصحيحات في لغة الكتابة).

وهذا بطبيعة الحال يأتي من منطلق ملاحظته الدقيقة، وسعة أفقه ، وحرصه الشديد على لغة القرآن الكريم حتى لا تضيع بين الركام.

وعلى منهج الجد والصبر أخذ الأنصاري نفسه، وجاءت مجلته المنهل نتاج رصيد وافر من العلم، ورصيد وافر من خدمة دينه وأهله ووطنه ولغته العربية.

وتوالت عطاءات الأنصاري وتوالت رحلاته واكتشافاته ومؤلفاته التي تربو عن العشرين مؤلفا من مخطوط ومطبوع.. كل هذا، نتاج علم غزير، وصبر متواصل وجلد عظيم.


نبيه الأنصاري

ولسنا بسبيل تعداد عطاءاته ومآثره، في هذه الصفحات، ولكنَّا نكتفي بإضاءات يسيرة من أساتذة أكارم عاصروه، وخبروا فيه الشخصية التي تمثل الأنموذج الفريد في ميادين عطائها.

ألا رحم الله والدي عبد القدوس الأنصاري وأحسن إليه وأسكنه جنة المأوى نزلا من عنده سبحانه.

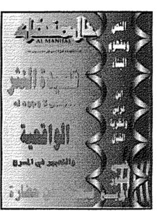
«نبيه الأنصاري»

عبد القدوس الأنصاري
١٣٢٤ - ١٤٠٣ هـ

الموسوعية في الاستيعاب والطرح والعطاء


عبدالقدوس الأنصاري


العدد الأول من المنهل ١٣٥٥



عدد جمادى الأولى ١٤١٨ هـ

** الريادة قيمة والأنصاري يظل قيمة ناضرة

** المنهل قمة في الالتزام والموضوعية

** الأنصاري، بحث ونقب وكتب والناس في جهل لمَّا تتفتح مداركهم بعد

** هادىء الطبع، موضوعي المحاورة، لا يسيء لأحد

** الريادة في الأدب والتاريخ والآثار

** من حق الرواد علينا أن يظلوا دائماً في دائرة الضوء

الأنصاري .. المواهب المتعددة

مجلة المنهل موسوعة شهيرة خدمت جزيرة العرب

الأنصاري له المكانة المثلى والقدر الرفيع

«الأستاذ الاخ عبد القدوس الانصاري علم من اعلام هذه البلاد، لم يقف علمه عند موهبة واحدة ولم يكن يقف عند سبيل واحد من سبل العلم والتحقيق فهو صحافي مبدع صاحب الموسوعة الشهيرة (مجلة المنهل) التي عاشت فوق خمسين عاماً خدمت جزيرة العرب وتحدثت عن معالمها واعلامها وكان لها الفضل الكبير والعلم الغزير والعطاء الوافر.

وهو عالم في اللغة، مُلمّ بسبلها، عارف بأحوالها، له فيها اليد الطولى والمكانة المثلى، وهو مؤرخ عارف بالتاريخ وله فيه التآليف والبحوث الأصيلة والمكانة المعروفة، وهو ناقد له في النقد المكانة العليا والسبيل الامثل، وبالجملة فهو علم من اعلام هذه البلاد، ورمز من رموزها التى تعتد بها وتشمخ، وشاعر مبدع وكاتب أصيل، أخذ من كل فن بالقدر الرفيع، والمكانة السامية فله المكان الأعلى والقدر الاسمى، واذا ذكر المبدعون من حملة الاقلام وذوى القدر الاسمى جاء عبد القدوس الانصاري مبدعاً له مكانته وسمو قدره، واذا ذكر النوابغ والمبرزون فهو في الطليعة والمثل الأعلى رحمه الله وغفر له واسكنه فسيح جناته، وبالجملة فأديبنا وشاعرنا ومؤرخنا له المكانة المثلى والقدر الرفيع والمكان البديع عفا الله عنه واسكنه فسيح جناته».

(الأستاذ/ عبد الله بن خميس)

عبدالله بن خميس

ملف خاص في ذكراه الخامسة عشرة

الأنصاري .. الأثري المؤرخ

ان الحديث عن الشيخ عبد القدوس الانصاري حديث ذو شجون، في اعتقادي انه يعد رائد الآثار في المملكة العربية السعودية فهو أول من ألف كتاباً عن الآثار سنة ١٣٥٤هـ. وهو كتاب يتحدث عن آثار المدينة المنورة، ويحكي في هذا الكتاب عن اسباب اتجاهه إلى الآثار إذ رأى (فيلبي) وهو يحاول التعرف على آثار المملكة أو آثار الجزيرة العربية فقال نحن أولى بآثارنا من هذا الانجليزي.

والانصاري ذو أحلام عريضة، عندما نقرأ ما يكتبه في المنهل نشعر انه يحاول ان نتصور ما تكون عليه المملكة العربية السعودية بعد خمسين عاما أو مئة عام.

فتصور كيف تكون الجامعات منتشرة وكيف ستكون المدارس منتشرة وكيف سينهض التعليم في هذه البلاد وكيف يكون فيها الاطباء والمهندسون، وقد تحققت احلامه ولله الحمد.. والانصاري يحرض الباحثين والكتاب على ان يحرروا ويكتبوا ثقافة اصيلة دائمة ولذلك فقد كانت المنهل مصدراً علمياً لهؤلاء الباحثين ونبعاً ينهلون منه.

وقد خصص الانصاري مكاناً او باباً في المنهل أسماه منهل الناشئين وفي هذا المكان كان يكتب الشباب من أرباب القلم.

الانصاري كان يعقد الندوات ويدعو لها الباحثين، وكان يفكر في كيفية تصدير الأدب السعودي، وهي فكرة قديمة ورائدة، لم يفكر فيها أحد قبله ولذلك طرح سؤالا كيف نستطيع أن نصدر الأدب السعودي؟ ورغم ان الأدب السعودي آنئذ كان يحبو إلا أن الانصاري كان يفكر كيف يمكن لهذا الصغير الذي يحبو ان يطير ويحلق في السماء.

الانصاري ايضاً اهتم بالادب المترجم، فنشر كثيرا من الآداب العالمية، في القصة وفي الثقافة بشكل عام.

والى جانب ذلك فقد اهتم بالبحوث، فقد نشر عدداً من الملاحق الادبية في المنهل يقدمها مجاناً للمشتركين وقبل ذلك فان الانصاري هو رائد الرواية السعودية، ولذلك فهو يعتبر بحق الرائد الاول في كتابة الرواية، والدليل على ذلك قصته أو روايته التوأمان، وهي عبارة عن فكرة يحاول فيها ان يقارن بين العلم والجهل، وكيف ان العلم مصدر التقدم في المجتمعات الراقية.

والانصاري قبل ذلك وبعده مؤرخ، وقد عني بالتاريخ عناية فائقة وحاول ان يستفيد قدر الامكان من الآثار ولذلك فهو مؤرخ المدينة، وله سفر كبير عن جدة فتاريخ جُدة يقترن بالأنصاري والانصاري يقترن بتاريخ جدة وكل من يبحث في تاريخ جدة يلزمه الرجوع الى كتابه القيم (تاريخ مدينة جدة) الذي يزيد عن ١٥٠٠ صفحة.

لكل ذلك والانصاري في كفاحه الطويل يعتبر مرجعاً هاماً في كل جوانب الثقافة في المملكة العربية السعودية وقد أفنى حياته خادماً لهذه الدولة، وخادماً للآداب وخادماً للفكر وخادماً للكلمة الحرة النظيفة التى تعبر عن وجدان حي أصيل».

(أ.د. عبد الرحمن الأنصاري)

** عبد القدوس الأنصاري رائد الآثار في المملكة العربية السعودية



د. عبدالرحمن الأنصاري

الأنصاري .. قمة في الريادة

** إذا تحدثنا عن الريادة في بلادنا فإن الأنصاري بلا ريب قمة

** مما يؤسف له أننا نتناسى روادنا بمجرد مغادرتهم الحياة الدنيا

إذا تحدثنا عن الرواد في بلادنا فإن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري رحمه الله .. هو بلا ريب قمة، فلقد جاهد بفكره وقلمه، وماله، يوم لم يكن هناك من يعرف للحرف معنى.. ولا للمعنى أي قيمة!!

كتب البحوث .. ونشر الفكر .. والف التوأمان .. والناس في جهل لمَّا تتفتح مداركهم العقلية بعد! وعندما وجد الحاجة تدعو لاضاءة مشعل فكري يهدي للتي هي أقوم سارع وأصدر «المنهل» الذي استطاع من خلاله أن يثري الساحة الأدبية بعطاء أدبي تمثل فيه نتاج معظم رواد الأدب والفكر وعمالقة الشعر في بلادنا .. وكما أن «الريادة» قيمة.. فإن «المنهل» كان ولايزال «قمة» في الالتزام والموضوعية والفكر الوضاء.

وإن مما يؤسف له أننا نتناسى سريعاً روادنا بمجرد مغادرتهم الحياة الدنيا الى رحمة الله.

ولعل ما يؤسف له أكثر .. أننا لم نوف الرواد حقهم من التقدير .. ولا التكريم الذي يستحقونه لقاء بعض ما قاموا به من حفر في الصخر وسهر بالليل لاضاءة طريق الرشاد لأمتهم وتابعيهم من الأدباء والكتاب.

إن من حق الرواد علينا أن ننشر نتاجهم، وأن نقيم الندوات لاستعراض عطائهم .. ووضع البحوث والدراسات التي تبرز قيمة فكرهم ومقدار نبوغهم المبكر في عصر كان الجهل فيه سائداً.

تحية احترام للرواد .. وتحية تقدير للمنهل.. ودعاء صادقاً إلى الله العلي القدير بأن يرحم أستاذنا العلامة الشيخ عبد القدوس الأنصاري ويجزيه بما هو أهله، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عمل».

عبدالله عمر خياط

(الأستاذ/ عبد الله عمر خياط)



الأنصاري .. الموسوعي

«أستاذنا الكبير الشيخ عبد القدوس الأنصاري كان واحداً من جيل العمالقة الرواد الذين عاصرتهم والذين لا أزال احفظ لهم في ذاكرتي كل الود والتقدير.

وأرى في استاذنا الكبير مثلا كبيراً وقدوة ممتازة لاجيال الشباب من الباحثين. لقد كان يرحمه الله ذا ثقافة موسوعية وإلمام دقيق لكل موضوع يتعرض له، ودأب على البحث والتحري والتقصي وكان يرحمه الله على خلق عظيم من التواضع واحترام الرأي الآخر، وحرص على الاستفادة ممن هو أصغر منه مقاماً وسناً. ونظرا الى ما خلفه الرجل الكبير من انتاج ضخم سواء في اللغة أو التاريخ وبخاصة مجلته الرائدة المنهل التى اسسها منذ اكثر من ستين عاماً تعطي شبابنا مثلا كريماً في العمل المبارك الذي يخلف كل هذا الانتاج الكبير مما يدل على دأب شديد وتركيز غير عادي وكيف ان هذا الجيل من الرواد قد وهب حياته للمعرفة والدراسة والبحث والانتاج.

يرحمه الله رحمة واسعة، ونسأله تعالى لنا العون والتوفيق حتى تقتدي بهم في علمهم وبحثهم، وفضلهم وخلقهم وانتاجهم والفائدة التي خلفوها للأمة.

(الأستاذ/محمد صلاح الدين)

** الأنصاري كان واحداً من جيل العمالقة

** المنهل تُعَدّ مثلاً كريماً في العمل المبارك



محمد صلاح الدين

رجال في الذاكرة

الأستاذ عبد القدوس بن القاسم بن محمد الأنصاري يرحمه الله علامة كبير، وأديب مبدع، وإعلامي متميز، وبحاثة في علم الآثار.

لقد استطاع الأنصاري - يرحمه الله - وضع بصمة واضحة المعالم على الحركة الأدبية والفكرية، ويشهد له الكثير من رجالات الادب والفكر في بلادنا العزيزة.. وإذا تجاوزنا مرحلة الوظائف الادارية والفنية التى شغلها في مشوار حياته، فإنَّا نجد أديبنا الكبير العلامة عبد القدوس الأنصاري، قد وقف حياته العلمية والفكرية والتاريخية من أجل خدمة أمته في كل ميادين العلم والمعرفة وقرن القول بالعمل، والعمل الدؤوب المثمر وكانت هذه ميزة من ميزاته الكثيرة فضلا عن كونه عالماً وباحثا واديبا ومفكراً. فهو لا يقبل القسمة على اثنين لانه المعادلة الصعبة السهلة في كل العلوم والثقافة التي تخصص فيها بالاضافة الى دماثة اخلاقه وسمو ادبه الرفيع فكان لا يعادي أحداً بل كان متسامحاً مع كل من كان يسيء إليه فترك وراءه السيرة العطرة.

شارك في مؤتمر الأدباء السعوديين الأول المنعقد في ١٣٩٤ للهجرة والذى دعت إليه جامعة الملك عبد العزيز بجدة وانتخب فيه واحداً من رواد الادب السعودي، قدم في مؤتمر الادباء السعوديين بحثا ضافيا عن الملك عبد العزيز يرحمه الله في مرآة الشعر، وهو البحث الذي اقترحته الجامعة على الأدباء، وحاز في ذلك المؤتمر الميدالية الذهبية، من جامعة الملك عبد العزيز في الريادة الأدبية في هذه البلاد مع براعتها الرسمية.

أنشأ مجلة المنهل عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م. ولم تتوقف منذ صدورها الا في بضع سنوات الحرب العالمية الثانية تحت وطأة فقدان الورق. ولازالت تصدر حتى الآن ويرأس تحريرها الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصاري.

الأستاذ عبد القدوس الأنصاري - يرحمه الله - أسهم كثيراً في القاء المحاضرات في رابطة العالم الاسلامي وفي الاندية الأدبية في كل من مكة المكرمة والطائف وجازان كما قام بالقاء محاضرات في جامعة الرياض سابقاً جامعة الملك سعود حالياً والملك عبد العزيز بجدة، ورشح رسميا لالقاء مثلها في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

انشأ أول ناد أدبي للشباب العربي السعودي المتعلم بالمدينة المنورة، اسهم في الندوتين العالمتين، بجامعة الرياض سابقا/ جامعة الملك سعود حاليا، الاولى لدراسة مصادر تاريخ الجزيرة العربية، والثانية لدراسة تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام. نشر بحوثا وقصائد ومقالات عديدة متنوعة في الصحافة المحلية والخارجية، لقد ابحر العلامة الكبير الأديب العملاق الاستاذ عبد القدوس الانصاري يرحمه الله في بحور تراثنا المعرفي والثقافي والادبي والتاريخي، وكشف لنا من خلال طوافه السياحي الاستقرائي المتعمق في جذور دائرة هذه المعارف الواسعة في شموليتها التخصصية كنزاً من كنوز المعرفة، فأثرى معرفتنا بحضارة امتنا في واقعها الماضي والحاضر والمستقبل ولقد كان بارعاً فيما صوره من حقائق ووقائع تاريخية عن تراث أمجادنا من أعلام الفكر العربي والاسلامي وبما حققه من مخطوطات ودراسات متعمقة في التاريخ والادب والفكر حيث كان من نتائجها حصيلة من المؤلفات والكتب والدراسات التى خلقها للمكتبة العربية واستفاد منها المثقفون والباحثون في اطروحاتهم العلمية والبحثية

وغيرها فكانت بالنسبة لهم من المراجع العلمية الهامة.

أما عن مؤلفاته فان الأنصاري قد ألف عدة كتب منها:

١ - رواية التوأمان وقد ألفها عام ١٣٤٩هـ. وهي أول رواية مطولة ظهرت في المملكة.

٢ - آثار المدينة المنورة الذي طبع ثلاث مرات اولها في دمشق وفي القاهرة المرتين الاخريين.

٣ - تاريخ مدينة جدة.

٤ - تاريخ العين العزيزية بجده، ولمحات عن مصادر المياه في المملكة العربية السعودية، ١٣٨٩ - ١٩٦٩م.

٥ - بناة العلم في الحجاز الحديث.

٦ - بين التاريخ والآثار.

٧ - ديوان الانصاريات.

٨ - التحقيقات المعدة لحتمية ضم جيم جدة، واسهم فيه معه الاستاذان ابو تراب الظاهري وعبد الفتاح ابو مدين.

٩ - مع ابن جبير في رحلته.

قام بعدة رحلات أثرية في الداخل والخارج ونشر ثمار تلك الرحلات في مجلة المنهل في اجزاء خاصة، له عدة مؤلفات لم تطبع بعد وهى معدة للطبع، وربما كان ابنه الوحيد الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصاري قد طبع منها كتاباً أو اكثر من كتاب فلم يصل إلينا حتى الآن أي كتاب منها، والكتب المعدة للطبع هي:

«مختارات المنهل - اعلام المنهل - النخيل والتمور في بلاد العرب - مستقبل أبحر - الجزء الثاني من كتاب تاريخ المدينة المنورة - العلم والادب في جزيرة العرب».

«د. غازي زين عوض الله»

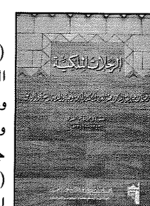
** الأنصاري المعادلة الصعبة السهلة في كل العلوم والمعارف

** الأنصاري وقف حياته العلمية والفكرية والتاريخية من أجل خدمة أمته



د. غازي زين عوض الله

كتب واصدارات



** الرحـــلات الملكيـــة (رحــلات جـلالة الملك عبـد العـزيز الى مكة المكرمـة وجــدة والمدينـة المنورة والرياض) - المنشــورة في جـــريدة ام القـــرى (١٣٤٣هـــ/ ١٣٤٦هـــ) - اصـدار دارة الملك عـبـد العـزيز ٠٠ وطبع الكتـاب على نفقة صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز آل سعود.

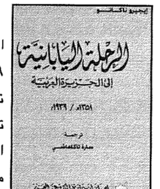
صـفـحـات تاريخ المملكة العربيـة السـعـودية لا تزال بحـاجـة الى المزيد من البحـث والدراسـة، لأنها تمثل محور تاريخ ناصع غَيَّر معالم هذه الجزيرة، ونقلها نقلة حضارية ذكية قوامها الاسلام والشريعة الاسلامية في كل توجهاتها.

ومن هذه الصـفـحـات المهـمـة مـا يـتـعلق بالتطور التاريخي العظيم الذي شهدته ارض الجزيرة العربية في عـهـد جـلالة الملك عبـد العـزيز بن عبـد الرحـمن آل سـعـود - يرحـمـه الله - الذي ارسى دعـائم الدولة السعودية واعاد توحيد كيانها السياسي والجغرافي.

ورحـلات الملك عبـد العـزيز الى مكة المكرمة والمدينة المنورة كـانت مـحط انظار العلمـاء والمثـقـفين والكتـاب آنذاك ٠٠ فاجـتـهدوا في تسجيلها وتدوين مراحلها ٠٠ ومـا كـانوا يلاقـونه من وعـورة في الطريق، مع قلة الامكانات المتاحة آنذاك.

ولقد سجلوا بدقة وأمانة بطولات الملك عبد العزيز، ورجـاحـة عـقله، واتسـا ع فكره، وحـسن ادارته ٠٠ وهـذه الرحلات نشرت في جريدة ام القرى.

ونشـر هذه الرحـلات في هذا الكتـاب يعطي الدارسين والمثقفين والباحثين عن التاريخ الفرصة السانحة للاطلاع على حقائق ظلت حبيسة في صفحات جريدة ام القرى.



** الرحلة اليـابانيـة إلى الجزيرة العربية (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) - تأليف ايجـيـرو ناكـانو، ترجـمـة سـارة تاكـاهاشي - اصـدار دارة الملك عبـد العزيز، والكتاب مطبـوع على نفـقـة صـاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض.

كتب الرحلات - إلى حد كبير - تُعدّ وثائق تاريخية واجتماعية وسياسية إذا صدق التوجه في الكتابة بعيدا عن الأغراض والهوى.

وعن الجـزيرة العـربيـة كـتب كـثـيـر من الرحـالة الأوروبيين، وبقيت كتابات الرحالة من دول آسيا قليلة ونادرة بالمقـارنة بالرحـلات الاوروبيـة ٠٠ ويبـقى البـحث عن دراسـات الرحـالة من الآسـيـويين الى الجـزيرة العربيـة ضـرورة ملحـة لاظهـار الرأي الآخر وهو امـر غاية في الأهمية من الجانب التوثيقي والتاريخي.

وتأتي اهمية هذه الرحلة اليابانية من كونها تتناول فـتـرة تاريخـيـة مـهـمـة، وتسـجل وقـائع زيارة البـعـثـة اليابانية الرسمية الى المملكة العربية السعودية ومقابلة جـلالة الملك عـبـد العـزيز - يرحـمـه الله - في عـام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

وبرغم ان هذه الرحلة سياسـية بحتة الا أن مؤلفها كـان صـاحب تجـربة في البـلاد العـربيـة، ومطلعـا على الثـقـافـة العـربيـة مما جـعله يدون يوميـات هذه الرحلة باسلوب أدبي جذاب ورائع ٠٠ والاهـمـيـة الاخرى لهـذه الرحلة تكمن في كونها تقدم وجهة نظر أخرى تخـتلف عن وجـهـات النظر السـائدة - خـصـوصـا الأوروبيـة - عن المنطقـة - مما يسـهم في اثراء المصـادر التـاريخـيـة من حيث تنوعها وتعددها.

هذا الكتاب جاء في حوالي مئة وخمسين صفحة محلّى بمجموعة من الصور الفوتوغرافية التقطها الكاتب بنفسه ·· وهي تضيف للكتاب قيمة توثيقية تاريخية إضافية.

** (الحياة العلمية في نجد، منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولي) تأليف الدكتورة مي بنت عبد العزيز العيسى - اصدار دارة الملك عبد العزيز، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود.

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحدثت تحولا كبيراً في أوضاع نجد السياسية والاقتصادية والعلمية، فقد تمكنت الدولة السعودية الأولى التى قامت على أساس تلك الدعوة من لمِّ شتات البلدان والقبائل النجدية المتفرقة في كيان سياسي موحد مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري·· وكانت الحياة العلمية في نجد قد شهدت نمواً تدريجياً ايجابياً بدأ تتابعه منذ القرن العاشر حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري·· وهذا الكتاب يرصد حركة الحياة العلمية في نجد في تلك الحقبة من الزمن.

** بحوث ومقالات في فقه العربية - تأليف الدكتور محمد السيد علي بلاسي - مدرس اصول اللغة في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالزقازيق·· الطبعة الثانية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

وهذا الكتاب يقدم نموذجاً لفهم اللغة العربية ووضعها في المكانة اللائقة بها بين اللغات العالمية·· حيث يوضح بأسلوب سهل مشوق ميزات اللغة العربية وخصائصها، كما يعالج بعض قضاياها الشائكة مبرزاً اشهر أعلامها الأفذاذ الذين كشفوا عن أسرارها.

والكتاب مجموعة من الأبحاث والدراسات والمقالات اللغوية التى نشرت للمؤلف على مدى عشر سنوات في المجلات العربية المشهورة.

** (عبد القدوس الانصارى من رواد الأدب والفكر العربي والإسلامي) تأليف الأستاذ اكرم جميل قنبس، صادر عن دار الفرائد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

يقول مؤلف الكتاب في تعريفه الأستاذ الرائد عبد القدوس الانصارى (علم بارز من اعلام فكرنا العربي المعاصر، وظف حياته من اجل خدمة أبناء أمته في ميادين العلم والمعرفة وقرن القول بالعلم والعمل الدؤوب المثمر، تدفعه إلى ذلك همّة المؤمن، وعزيمة الشاعر، وآمال الطموح المغامر، كان واسع الاطلاع والثقافة، دقيقا في منهجه العلمي، حريصاً على الأمانة العلمية في البحث.

كان من رجالات التنوير العربي ويكفيه فخراً أنه صاحب أول مجلة تصدر في المملكة العربية السعودية حيث أسسها في عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م·· ولا تزال مستمرة بفضل الله تعالى في صدورها.

وهو أديب وشاعر وأثري وعالم مفكر··

جاء الكتاب فى بابين اساسيين وعدد من الفصول، تناول فيها حياة الاستاذ عبد القدوس الانصاري وبيئته العلمية والفكرية والاجتماعية، كما تناول شعره وأدبه، ومؤلفاته، ومجلته المنهل.

** (مكارم الأخلاق في القرآن الكريم) تأليف الأستاذ الفريق يحي بن عبد الله المعلمي/ عضو مجمع اللغة العربية .. من مطبوعات النادي الأدبي بمنطقة حائل، في طبعته الرابعة ١٤١٧هـ.



«الدين حسن خلق»

والدين الاسلامي قائم على حسن الخلق وطيب المعاملة، وحسن السجية، والسماحة في كل شيء.

وهذا الكتاب القيم في طبعته الرابعة يرصد قدراً وافراً من مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ويسوق لها ادلتها وبراهينها ووجوب التمسك بمكارم الأخلاق لانها الحصن الحصين لصاحبها، بل هي التي ترفعه درجات عليَّة في حياته ومماته.

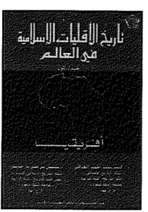
والأستاذ الكبير يحي المعلمي له سبقه في هذه الدراسات، وهذه مساهمة كريمة منه في التأكيد على التزام المكارم في الأخلاق والسلوك.

** تخطيط وعمارة المدن الاسلامية، تأليف الأستاذ خالد محمد مصطفى عزب .. صادر عن (كتاب الأمة) لشهر ربيع الأول ١٤١٨هـ.. العمارة الاسلامية نمط من انماط العطاء الحضاري المدروس، وفق منهجية واضحة المعالم تحدد طبيعة المعمار بناء على طبيعة الافادة منه مع مراعاة ضوابط الشرع الحنيف في المعمار، هذا فضلا عن الجانب الفني في المعمار الذى يعكس رؤية هذه الأمة التى اختارها الله سبحانه وتعالى لاعمار الارض.



وهذا الكتاب يمكن ان يعتبر محاولة على الطريق الثقافي الطويل لفتح بعض النوافذ وتوجيه الانظار صوب قضية العمارة الاسلامية، خصائصها العمرانية ووظيفتها الاجتماعية، واهدافها التربوية، ودورها في البناء الخلقى، والتماسك الاجتماعي، ومنح الراحة والاطمئنان، وتحقيق الأنس النفسي، واحتضان قيم الخير والفضيلة، وممارسة الضبط الاجتماعي بما تؤصله من تقاليد واعراف خيرة.

** تاريخ الأقليات الاسلامية في العالم - الجزء الأول/ أفريقيا.

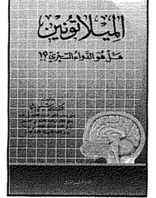


الكتاب من تأليف الدكتور سيد احمد العراقي والدكتور غيثان علي جريس.. الكتاب في طبعته الاولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ومن منشورات نادي أبها الأدبي.

الهجرات العربية والإسلامية الى أفريقيا أدت دوراً هاماً وفعالا في تشكيل تاريخ تلك المنطقة اجتماعيا وسياسيا واقتصادياً ودينياً والامارات والدول التي انشأها المسلمون في تلك البلدان ساهمت اسهاماً ايجابياً في نقل الحضارة والفكر الاسلامي والعربي الى داخل افريقيا.

وموضوع هذا الكتاب هو علاج تاريخى لانتشار الإسلام بين الشعوب الافريقية المختلفة .. وما آل إليه أمرها بعد انتشار البعثات التنصيرية وازدياد قبضة المستعمر على مقدرات تلك البلدان، مما كان له دوره السالب في انحسار الحركة الاسلامية في كثير من تلك البلدان ، وعلى هذا فان هذا الكتاب يتناول بالدراسة والبحث ملامح من تاريخ انتشار الاسلام في افريقيا.. الاقليات المسلمة في افريقيا (يوغنده - كينيا - تنزانيا - جنوب افريقيا - بورندي - موزمبيق - سيراليون).

** (الميلاتونين - هل هو الدواء السحري)؟ - تأليف الدكتور حسان شمسي باشا، أخصائي امراض القلب، صادر عن دار المنارة للنشر والتوزيع مكة المكرمة.



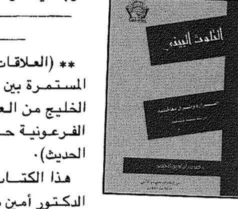
يعد هذا الكتاب أول كتاب باللغة العربية

يستعرض الابحاث العلمية الحديثة التى نشرت في المجلات الامريكية والاوروبية، التى اجريت على (الميلاتونين).

ما هو الميلاتونين؟

هل يفيد الميلاتونين في علاج الارق والاعراض التي تصحب السفر الطويل بالطائرة؟ هل يقاوم الميلاتونين الجراثيم والفيروسات، ويزيد من مناعة الجسم؟ هل للميلاتونين دور في علاج السرطان، وتأخير الشيخوخة؟.

هذا الكتاب يجيب عن كل هذه الأسئلة وغيرها.



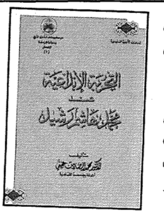
** التلوث البيئي .. اضراره وطرق معالجته/ دراسة علمية تطبيقية) - تأليف أحمد بن ابراهيم المحيميد من اصدار نادي ابها الأدبي ١٤١٨هـ.

هذا الكتاب يتعلق بجانب حيوي وهام من حياة الإنسان، حيث اصبح الانسان في الحياة المعاصرة يدفع ضريبة ما يسمى بالحضارة المعاصرة والتمدن الحديث بما يخلفانه أو ينفثانه من مواد وعناصر تعكر الاجواء وتسمم الهواء والماء والثمار.. والتلوث البيئي أصبح مشكلة قائمة وخطيرة ينبغي تضافر الجهود من أجل مكافحتها والحد من شرورها ومخاطرها.

هذا الكتاب شرح انواع التلوث البيئي وخطورته على الانسان والحيوان والبيئة المحيطة..

وخرج هذا البحث بمجموعة من التوصيات منها: (ضرورة التوعية البيئية، الترشيد في استهلاك ثروات البيئة، المحافظة على الحياة الفطرية وإنمائها، القضاء على ملوثات الحياة البشرية مثل الاشعاعات النووية والحروب) والمجاعة .. ثم تقنين نظام حماية البيئة.

** (التجربة الابداعية عند محمد هاشم رشيد) - تأليف الدكتور محمد الصادق عفيفي، من مطبوعات النادي الأدبي بمنطقة الباحة.



التجربة الابداعية عن الشاعر الكبير محمد هاشم رشيد تشكل وجوداً شعرياً فريداً في نوعه، لان هذا الوجود الشعري يضم الى جانب المعاناة والمعالجة كثيرا من السمات الابداعية الفنية التى حفل بها شعره.

هذا الكتاب جاء في ثمانية فصول تناولت: مفهوم التجربة الابداعية، ثم تحدثت عن التجربة الجمالية، الاجتماعية، القومية، الوجدانية، الوطنية، ثم التجربة الانسانية.

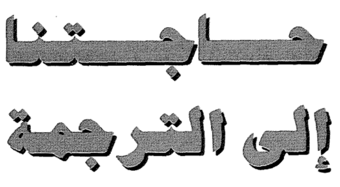


** (العلاقات التاريخية المستمرة بين مصر ودول الخليج من العصور الفرعونية حتى العصر الحديث).

هذا الكتاب من تأليف الدكتور أمين ساعاتي.. الكتاب يبحث في قضية التواصل والتلاقي القائم بين مصر ودول الخليج العربي، في محاولة للارتقاء بهذه العلاقة بين هذه الدول الشقيقة إلى مستوى الوحدة، كما هي الآن بين الدول الاوروبية.. ويقول في ذلك «.. واذا كان مجلس التعاون الخليجي خطوة ناجحة على طريق الوحدة العربية، فان العلاقات التاريخية والتقارب المعهود بين المجتمع المصري والمجتمع الخليجي يجب ان يكون الخطوة الطبيعية التالية التي يجب ان تعقب الوحدة الخليجية».

جاء الكتاب في تقسيمه الموضوعي في ثلاثة ابواب، مقسمة الى مجموعة من الفصول.. ومن اهم عناوينها:

«الاصول العربية الاولى بين الجزيرة العربية ومصر قبل الاسلام، والاتصالات الاولي بينهما، والحضارة بين الصراع واللقاء.. وطبيعة العلاقات الاسلامية التي تربط بين هذه الشعوب.. ثم طبيعة العلاقات الاجتماعية والسياسية المتينة القائمة بين مصر ودول





حاجتنا إلى الترجمة

بقلم:
د. طاهر تونسي
– جدة –

تتفاعل الحضارات مع بعضها البعض وتتأثر الشعوب بالثقافات المتقدمة حولها. وقد كانت الحضارة الإسلامية سباقة لمعرفة أهمية الاطلاع على ثقافات وافكار الشعوب الأخرى، فقامت حركة للترجمة ايام الخلفاء العباسيين بدأت مع الرشيد والمأمون، فنبغ كثير من المترجمين الذين ترجموا لنا المنطق والفلسفة والعلوم التجريبية، كالطب والهندسة والجبر وغير ذلك. ونتج عن هذه الترجمات حركة علمية وأدبية كبيرة كان من أهم نتائجها أن نبغ كثير من علماء الإسلام. فلم يكتفوا بما قرأوه واطلعوا عليه، بل أضافوا إليه الكثير.. سواء في مجال الطب أو الهندسة أو الفلك والنجوم.

وليس حديثي اليوم عن ضرورة وأهمية ترجمة العلوم والتكنولوجيا، فذلك أمر مفروغ منه ولكنني أضيف إلى ذلك أهمية ترجمة الآداب العالمية وكتب التاريخ والاجتماع وغيرها. وقد قام الغرب بمشروع شبيه بذلك فترجم كثيرا من تراثنا العربي الاسلامي إلى لغاته الأوروبية المختلفة. بل لقد بالغ أدباء اسبانيا ومستشرقوها في الترجمة فلم يبق كتاب ولا ديوان من التراث الأندلسي إلا وترجموه إلى الإسبانية.

ومع بداية القرن العشرين بدأت حركة الترجمة في العالم العربي لأمهات كتب الآداب والفنون فبدأت بنقل روائع الأدب الانجليزي مثل مسرحيات شكسبير وقصص شارلزديكنز وروائع الأدب الفرنسي مثل مسرحيات كورنى وقصص موباسان وبلزاك.

بعد أن قامت الثورة البلشفية تحول الأدباء العرب نحو الدولة الروسية الجديدة فدرسوا آدابها القديمة فوجدوا كنوزا في الأدب الروسي الذي انتعش أيام القياصرة. فترجموا لنا روائع تولستوي ودستويفسكي وتورجنيف وتشيكوف واستمرت حركة الترجمه بزخم قوي حتى منتصف الستينيات من هذا القرن ومنذ ذلك الحين وحركة الترجمة تشهد تراجعا مستمرا ملحوظا.

وقد بقى الكثير من التراث الأدبي العالمي لم يترجم بعد، فلم يترجم لنا أدب الأديب الألماني هردر ولم تترجم لنا روائع الأديب الألماني لسنج. ومن أهم روائع الشعر التي لم تترجم: الديوان الكامل للشاعر الانجليزي الذي عمى قبل وفاته وهو جون ميلتون الذي اشتهر في تاريخ انجلترا بتأييده الطاغية الانجليزي أوليفر كرومويل. كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشير إلى مرجع هام من المراجع التاريخية التي يرجع إليها الباحث عندما يقرأ تاريخ الملك الفرنسي لويس الرابع عشر ألا وهو مذكرات الدوق سان سيمون، وقد رأيت هذه المذكرات في المتحف البريطاني وقد ترجمت إلى الانجليزية في خمسة وعشرين مجلدا وقد اطلعت على الصفحات التي يصف فيها المؤلف الدوق سان سيمون الأديب الفرنسي فولتير وهي مذكرات عظيمة باهرة وكم أتمنى لو أراها مترجمة كاملة إلى العربية.

ولعل الزمان يجود بأمثال أولئك المترجمين النوابغ من أمثال محمد السباعي في ترجمته لتوماس كارليل وطه حسين في ترجمته لفولتير والمازني في ترجمته لجالزورثي وسامي الدروبي في ترجمته لروائع دستويفسكي وعبد الوهاب عزام في ترجمته لروائع إقبال.

ولا يفوتني أيضا أن أدعو إلى اعادة طباعة كثير من المترجمات الأدبية التي لم يطلع عليها ابناء الجيل الحاضر حتى تعم الفائدة.

وهي دعوة لجامعاتنا الحبيبة كي تنشئ كل جامعة مركزا للترجمة ولا يضير جامعة من الجامعات أن بدأ المركز محدود الامكانيات فإن التشجيع المعنوي لا شك سيوصل هذه المراكز في يوم من الأيام إلي ما نبتغيه. وهي دعوة للمجالس العلمية في الجامعات بان تطلب من كل عضو هيئة تدريس عند التقدم للترقية ان يترجم مقالا في تخصصه ترجمة دقيقة متميزة حتى تكون هذه المقالات المترجمة نواة لمجموعة علمية نافعة كما ستساهم هذه الفكرة في تقوية ملكة الترجمة عند هؤلاء الأساتذة الكرام.



اليوم الوطني

بمناسبة ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربيّة السّعوديّة

تتقدّم

أرامكو السعودية

بأسمى آيات التهاني وأجمل الأماني إلى

خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود**

وصاحب السمو الملكي الأمير **عبد الله بن عبد العزيز آل سعود**

وليّ العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

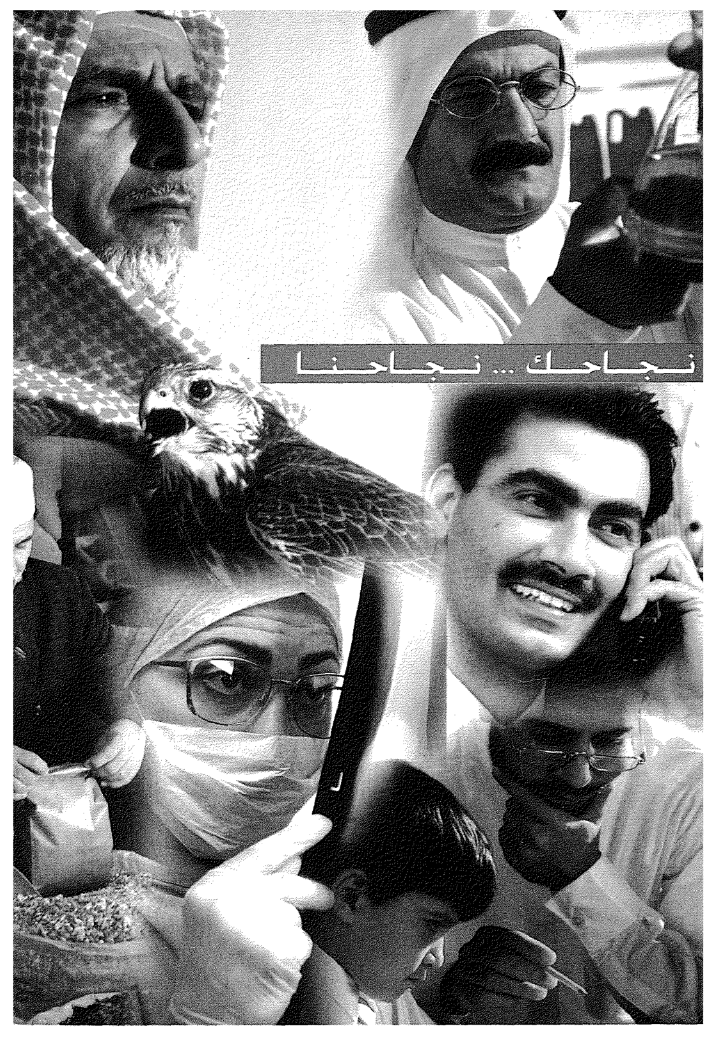
وصاحب السمو الملكي الأمير **سلطان بن عبد العزيز آل سعود**

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

والى حكومة المملكة العربيّة السعوديّة وإلى الشعب السّعودي الكريم

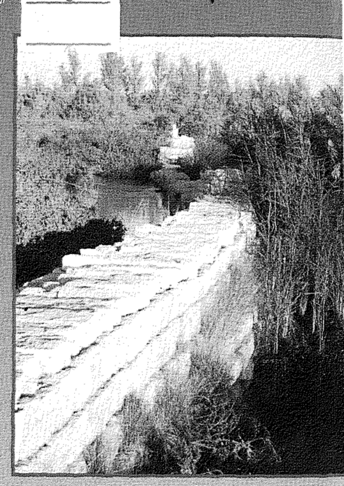





نجاحك ... نجاحنا

المنهل
AL MANHAL
العدد (٥٤٠) المجلد (٥٩) العام [٦٣] شعبان ١٤١٨ هـ / ديسمبر ١٩٩٧ م

راكب الشراعية
ناعة الأجداد



فضاء الكتابة .. وسؤال النقد
...
جراحة المناظير
...
أدب التوقيعات

البنك الأهلي التجاري ٤٥ عاماً من الريادة

الحدود التاريخية :
سد وادى حنيفة



لغة .. والحضارة



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس ٦٤٢٨٨٥٣ ت ٦٤٢١٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

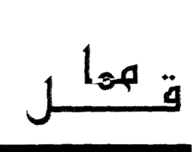
السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت. ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال





عامنا الثامن والعشرون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فبهذا العدد يدخل «المنهل» عامه الثامن والعشرين، وهو يسير في طريقه المرسوم قدما الى الامام، لا يطفر ولا يتوانى.. جريانه دائم، ولكنه بنظام مسنون وفي دروب معبدة، ومسالك مخططة.

وكان وما زال مبدؤه، هو السعي وراء نشر الأدب العربي السوى الرفيع، وتغذية ابناء الجيل الحاضر بينبوع دفاق من ثقافتهم التليدة، وضم طاقات جديدة، اليها من ثقافة حديثة.. جمعا للحسنيين، وتقوية وتقويما.

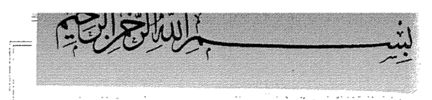
وتعريف الادب هو الاخذ من كل شيء بطرف.. ولهذا ادخل «المنهل» في نطاقه مناصرة القضايا الاسلامية والعربية وكان من مبادئه المثلى الدعوة العادلة الجادة الى الاستمساك بحبل الاسلام ونظام الاسلام، وتعاليم الاسلام، وأهداف الاسلام.

وما كان «المنهل» في حياته متزمتا ولا متطرفا. انه التزم جانب «الاعتدال» في كل ما نشره وما ينشره، ينظر الى الحقيقة من زاوية الحق.. والى الحق، من زاوية الحقيقة.. والمثالية هي هدفه الاسمى، والغاية القصوى له .. ونسأل الله له الامتداد والسداد على توالي السنين.

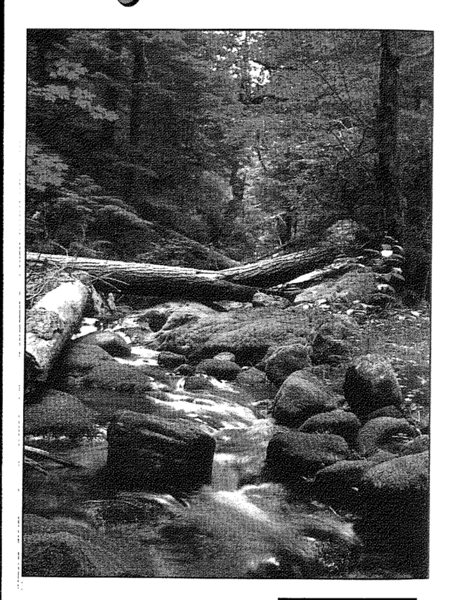
وأملنا أن يظل «المنهل» موردا للجميع، يقصده الظمآن الى المعرفة الحقة والادب الممتع النافع، والقول المصلح البليغ، فيجد فيه ضالته المنشودة.

هذا وأما عن تطور «المنهل» في المظهر والمخبر، فنعتقد أن قراءنا الافاضل يشعرون بخطواتنا التقدمية المستمرة في هذا الميدان، وهي الخطوات التي بنيت على «مخطط» يسير به قدما الى الأمام على الدوام، في اعتدال وفي اتزان.

المحرم ١٣٨٢هـ/ يونيو ١٩٦٢م



لقطة الشهر



صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس
الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

اشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر – جدة
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ – فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦



منهل الكلمات

تأبى الرمـــاح إذا
اجتمعن تكسرا
وإذا افـترقن تكسـرت
آحادا

إنها حكمة الأجداد، وليدة الخبرة.. وعراك الحياة.

أكابر القوم ساقوا مجتمعاتهم سوقاً في اتجاه التوحد وجمع الكلمة .. وكانت تلك غايتهم.

علّموا قومهم أن التوحد فضيلة، والتفرق رذيلة..

علموهم أن التوحد قوة، والتفرق ضعف.

بل علموهم: أن الظلم، أشدّ الظلم، هو ظلم ذوي القربى..

وظلم ذوي القربى أشد مرارة على النفس من وقع الحسام المهند.

واليوم، فإن حال العرب غير خاف على ذي بصيرة.. اقتتال واحتراب.. تفرق وشتات حتى حسبنا كل واحد يتربص بأخيه الدوائر..

ولقد خسر العرب كثيراً.. وهذا حالهم

ولقد كسب الآخرون كثيرا من تفرقنا.

وتعالت الأصوات هنا وهناك، داعية الى ضرورة التوحد ونبذ الفرقة.. ضرورة الجلوس لبعضنا بنية غسل النفوس وتزكيتها مما علق بها.

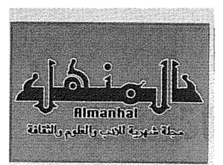
وحسناً فعلت جامعة الدول العربية، إذ تبنت هذه الفكرة الحكيمة، وعقدت لها مؤتمراً نسأل الله جلّت قدرته أن يكلل بالنجاح والتوفيق هذه الجهود الطيبة الخيرة.

ولا نحسب الأمر سهلا هيناً.

إنه العزم والجد، وصدق النوايا.

وكم نحن في حاجة لمثل هذه الجهود الكريمة.

رئيس التحرير



العدد: (٥٤٥)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)





وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

فهرس العدد ٥٤٥ ـ المجلد: ٥٩ ـ العام: ٦٣

في هذا العدد



الفهرس

أقلام

د. مسلم الزيبق
د. محمد عمارة
الأستاذ/ محمود زعرور
د. طاهر تونسي
د. محمد محمد محسن

د. أحمد أحمد غريب
الأستاذ/ سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن
د. البدراوي زهران
د. عبد العزيز شرف
د. عبد الحميد التمسماني

المؤتمر الأول للخدمات التطوعية



سمو الأمير
نايف بن عبد العزيز

في مكة المكرمة، وبرعاية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز، بدأت أعمال (المؤتمر الأول للخدمات التطوعية) الذي احتضنته جامعة ام القرى في مكة المكرمة.

المؤتمر يهدف الى:

- تعزيز دور الجامعة في القيام بدور ايجابي في ميدان البحث العلمي عن طريق أجراء البحوث وتشجيعها للعمل على ايجاد الحلول السليمة لمتطلبات الحياة المتطورة واتجاهاتها.

وإلقاء الضوء على الخدمات التطوعية ومشروعيتها ومفاهيمها ومجالاتها والمؤسسات القائمة حالياً على تقديم الخدمات التطوعية في المملكة العربية السعودية.

والمساهمة في فتح افاق جديدة من مجالات الخدمات التطوعية وزيادة الوعي الى اهمية هذه الخدمات وفق الأطر الاخلاقية للدين الاسلامي الحنيف ودورها في دعم مؤسسات الدولة وخدماتها للمجتمع.

هذا المؤتمر وصلت عدد الدراسات والبحوث التي قدمت فيه الى ثلاثين بحثاً ودراسة واستطلاعاً.. تصب كلها في دائرة الخدمة التطوعية، لتقديم الخدمات الخيرية الإنسانية..

ومن دراسات هذا المؤتمر:

- مشروعية الخدمة الطوعية في الكتاب والسنة.
- الخدمات الطوعية مفاهيمها ومضمونها ومشروعيتها.
- التطوع نجاحاته ومقوماته.
- المؤسسات الطوعية، رؤية نقدية.
- دور الاندية الرياضية في الخدمة الطوعية.
- المؤسسات الاسلامية ورعاية التطوع.
- العمل التطوعي في جمعية الهلال الاحمر.
- دراسة وسائل استقطاب المتطوعين والانتفاع الامثل بجهودهم.
- دراسة دور المؤسسات في الخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية.

الجامعة العربية المفتوحة

«الجامعة العربية المفتوحة» حلم يراود الكثير من أبناء الأمة العربية.. الدراسات الإحصائية للطاقة الاستيعابية للجامعات على مستوى العالم العربي، تقول بأن الجامعات الموجودة الآن لا تستطيع استيعاب كل الطلاب الناجحين المستحقين للاستيعاب في الجامعات.. وهم طاقات ذهنية وعلمية تستحق العناية بأمرها والإفادة منها.

من هنا جاءت الفكرة بضرورة انشاء (الجامعة العربية المفتوحة) وتبنى الفكرة وقام عليها صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز رئيس برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الامم المتحدة الإنمائية.

ويقول في ذلك (انشاء جامعة عربية مفتوحة يمثل خطوة مهمة في مشروع قومي تتعلق به آمال كبيرة مستمدة من تطلعات الجميع وتوقهم إلى نظام عربي للتعليم العالي يواكب العصر ومتطلباته ومقتضياته).

وهذه المبادرة وضعت في الحسبان أن تستحوذ الأمة العربية على الأدوات التي تمكنها من فتح مغالق العصر الذي نعيش فيه، واستكناه مضامينه، وأن نسلك السبل المجربة كي نساهم بوعي في صنع التاريخ وتوجيه حركته ويكون لنا نصيب ودور في صوغ القرن الجديد عملا ومضمونا.. وهذا لا يتحقق إلا بتوسيع قاعدة التعليم العالي ليصبح هذا النوع من التعليم حقاً وليس امتيازاً حتى لا نغتال رغبات الآلاف من الطلبة والطالبات بسبب عجز الجامعات والمعاهد العليا عن استيعابهم.

وتتمثل الخطة العامة لمشروع الجامعة المفتوحة في الآتي:

أولا: اتاحة فرصة التعليم لاعداد كبيرة من مواطني الدول العربية الراغبين في استكمال تعليمهم ويتأتى ذلك من خلال تقديم برامج تعليمية متنوعة تضم برامج تهيء لدراسيها فرصة الحصول على درجة البكالوريوس أو استكمال الدراسات العليا «درجة الماجستير ـ الدكتوراه»

الموسم الثقافي لـ (دارة الملك عبد العزيز)

- ضمن نشاطها الثقافي والتاريخي والفكري لهذا العام، شهدت الدارة مجموعة من المحاضرات والندوات غطت مجموعة من الموضوعات ذات الأهمية التاريخية والاجتماعية وغيرها .. ومنها:
- الأماكن الجغرافية في حياة الملك عبد العزيز
- أدب الرحلات في الجزيرة العربية.
- مصادر تاريخ الدولة السعودية الاولى.
- علم الانساب ومصادره التاريخية.
- المصادر المحلية لتاريخ المملكة العربية السعودية.
- المملكة العربية السعودية والبحر الاحمر.
- الجوانب الدبلوماسية في سياسة الملك عبد العزيز.
- الملك عبد العزيز والخليج العربي.

وبرامج تعليمية للتأهيل أو لاعادة التأهيل لفترات قصيرة نسبيا لا تزيد عن سنتين وتنتهي بشهادة جامعية متوسطة، وبرامج للتعليم المستمر لراغبي متابعة تخصص معين في أحد المجالات التقنية أو المهنية أو الحرفية، وعادة ما تكون لفترة سنة أو ستة شهور، وأحيانا اقل.

- تنويع مجالات الخدمة التعليمية بما يتوافق وميول متلقي الخدمة وقدراته.
- توفير المرونة في الخدمة التعليمية من حيث نظم القبول والالتحاق بالبرامج ومن حيث حرية الطالب في اختيار «مكان الدراسة» ومدتها وموعدها واسلوب التعليم ونوعية المقررات الدراسية.
- توفير الخدمة التعليمية بتكلفة منخفضة مقارنة بالتكلفة المناظرة بمؤسسات التعليم التقليدية.
- دعم القدرة على التعلم الذاتي وتنمية الوعي التعليمي.
- اقامة عدد من المراكز التعليمية في بعض البلدان العربية بما يحقق الانتشار الجغرافي للخدمة التعليمية «المكاتب الاقليمية - المراكز الدراسية المحلية».

ثانيا : الارتقاء بجودة الخدمة التعليمية المقدمة وتحسين فعاليتها ويتأتى ذلك من خلال: الاستعانة بأكفأ العناصر التربوية من أساتذة ومدرسين مساعدين وموجهين ومرشدين واداريين.

- الاعداد الجيد للمادة العلمية بواسطة فرق متخصصة تضم استشاريين في التخصصات المختلفة.
- التعاقد مع الجامعات ومؤسسات التعليم العالي الأجنبية المشهود لها بالكفاءة والخبرة في نظم التعليم عن بعد.
- تخير المناهج والمقررات الدراسية بما يتوافق ومتطلبات التنمية ونشاطات قطاع الاعمال الخاص، أي من منظور عملي يتماشى واحتياجات سوق العمل بالمنطقة العربية.
- تنويع الوسائط والوسائل التعليمية والتوسع الانتقائي أو التدريجي في استخدام الوسائط الحديثة التي تعتمد على نظم الاقمار الصناعية مع المرونة في تطبيق هذه التقنيات وتطويعها لظروف متلقي الخدمة لضمان الفعالية المنشودة.
- فتح المجال للتخصصات المستحدثة التي لا تسمح نظم التعليم التقليدية بتوفيرها بالقدر أو بالشكل الملائم، مثل تكنولوجيا ادارة الاعمال والتكنولوجيا الصناعية وغيرها من تطبيقات التقنيات الحديثة.

سمو الأمير
طلال بن عبد العزيز

ثالثا : المساهمة في تطوير نظم التعليم المفتوح بالمنطقة العربية ويتأتى ذلك من خلال: القيام بالبحوث والدراسات والاشتراك في الندوات والمؤتمرات الدولية والاقليمية المتعلقة بنظم التعليم عن بعد، وتقويم تجارب الدول المتقدمة في هذا المضمار وسبل الاستفادة منها، سواء من حيث منهجية التعليم Methodology أو المحتوى الدراسي (Con-tent) أو التطبيق العلمي (Application).

- توثيق التعاون مع مؤسسات التعليم عن بعد في المنطقة العربية وعقد المؤتمرات والندوات المشتركة لبحث سبل النهوض بخدمات التعليم المفتوح وتعزيز فعاليتها.
- تقديم الاستشارات وبعض الخدمات المساندة لمراكز التعليم المفتوح التابعة للجامعات التقليدية لتحسين مستويات الاداء وتحقيق وفورات تكامل الخدمة التعليمية.

الجوائز الثقافية وأثرها في الابداع الأدبي

هذا العنوان، كان محور موضوع جائزة (ملتقى أبها) برعاية صاحب السمو الملكي الامير خالد الفيصل أمير منطقة عسير وصاحب جائزة أبها..

لا شك أن هذه الجائزة وامثالها تمثل أنموذجاً رائعا في رعاية الابداع وتكريم المبدعين والمبدعات، والمبرزين في ميادين عطاءاتهم الفنية والابداعية والفكرية والعلمية..

والجائزة في حد ذاتها أسلوب حضاري متقدم في تنشيط حركة الابداع واكرام أهله والعناية بهم.



سمو الأمير خالد الفيصل

وجائزة سمو الأمير خالد الفيصل تضم أربعة أفرع أساسية هي: الخدمة الوطنية، الثقافة، التعليم الجامعي، والتعليم العام وقد فاز بجائزة هذا العام (١٣٦) من الرجال والنساء.

جائزة أبها

مليون ريال سنوياً لأربعة فروع

(الخدمة الوطنية - الثقافة - التعليم الجامعي - التعليم العام)

مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير

خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير

فرع / جائزة أبها للثقافة ١٤١٩هـ

يسر أمانة الجائزة أن تعلن عن هذا الفرع على النحو الآتي:

مجالات الجائزة ومقدارها:

أولا: الشعر العربي الفصيح:

أفضل ديوان صدر عام ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ (٣٧٠٠٠) ريال.

ثانيا: القصة القصيرة:

أفضل مجموعة قصصية قصيرة صدرت عام ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ (٣٧٠٠٠) ريال.

ثالثا: الرواية أو المسرحية:

أفضل عمل روائي أو مسرحي صدر عام ١٤١٧هـ ١٤١٨هـ (٣٧٠٠٠) ريال.

«المطلوب لهذا العام العمل الروائي فقط».

رابعا: الدراسات الإنسانية والأدبية والعلمية:

أفضل إصدار نقدي أو دراسة في مجال العلوم الإنسانية والأدبية والعلمية: عام ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ «المطلوب لهذا العام المجال الأدبي» (٣٧٠٠٠) ريال

خامسا: الرسم التشكيلي:

يقدم كل رسام ثلاث لوحات لم يسبق أن فازت بأي جائزة أخرى من قبل، للاختيار منها.

(٢٦٠٠٠) ريال.

سادسا: التصوير الضوئي:

يقدم كل مصور ثلاث صور متميزة، لم يسبق أن فازت بأي جائزة من قبل، للاختيار منها.

(٢٦٠٠٠) ريال.

شروط وايضاحات عامة:

١ - الجائزة مفتوحة للسعوديين وأبناء دول مجلس التعاون الخليجي.

٢ - تقبل الترشيحات من الجامعات والأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون وفروعها بالملكة ومن المراكز الثقافية المعترف بها ومن الشخصيات الاعتبارية، ويجوز أن يتقدم الفرد بنفسه للترشيح.

٣ - لا تجوز مشاركة أعضاء لجنة جائزة أبها للثقافة.

٤ - تقدم سيرة ذاتية مفصلة عن المشارك مع صور المستندات والوثائق المثبتة لها.

٥ - ترفق ثلاث نسخ كاملة من الأعمال المقدمة، ما عدا اللوحات والصور الضوئية فيكتفى بنسخة واحدة من الأعمال المقدمة.

٦ - تسلّم الأعمال المقدمة لصاحبها أو من ينيبه، بعد المسابقة ما عدا الفائزة منها.

٧ - الترشيحات والأعمال المقدمة مع عنوان المتسابق كاملا بما في ذلك الهاتف والفاكس.

ترسل أو تسلّم إلى النادي الأدبي (أبها - ص.ب ٤٧٨) هاتف: (٠٧٢٢٦٤٢٣٠) - فاكس (٠٧٢٢٦٢١٦٥) أما الصور واللوحات تُقدم لفرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (أبها - ص.ب ٨٤٨) هاتف وفاكس (٠٧٢٢٥١٩٧٢) في موعد أقصاه نهاية شهر شوال ١٤١٨هـ ولا يُقبل شيء بعد هذا التاريخ.. والله الموفق.

** مركز الدراسات الإسلامية في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، استضاف أعمال وفعاليات المؤتمر الدولي عن (اجراءات النظام القضائي في الشريعة الإسلامية) وقد قدم البروفيسور محمد عبد الحليم أستاذ كرسي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز للدراسات الاسلامية ومدير المركز كلمة تعريفية بطبيعة هذا المؤتمر.

شارك في تقديم بحوث ودراسات هذا المؤتمر جمهرة من علماء القانون والتشريع والدارسين من الدول الاسلامية ومن اوروبا وأمريكا.

افتتح اعمال هذا المؤتمر اللورد هاو نائب رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، وجاء في كلمته: «ان القانون لأي بلد يعكس ثقافة ذلك البلد وثقافة تلك الأمة، وعليه يجب مراعاة ذلك واحترام هذه الخصوصية.. ودعا إلى ضرورة فهم الغرب للثقافات والقوانين

«النظام القضائي في الشريعة الاسلامية»

الاسلامية فهماً صحيحاً، كما على الشعوب الاخرى فهم الثقافة الغربية والحضارة الغربية فهماً صحيحا حتى يسود التفاهم بين هذه الثقافات المختلفة والبعد بها عن بؤر الصراعات».

ومن الدراسات التي قدمت في المؤتمر:

- الاجراءات الجنائية في الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية في العالم العربي قدمها الاستاذ القاضي/ عادل عمر شريف المستشار في مجلس الدولة بمصر.
- امكانية نظام الاثبات في القانون الاسلامي - للبروفيسور فرانك فوجل الاستاذ بكلية القانون بجامعة هارفارد الاميريكية.
- الشريعة الاسلامية في جمهورية الشيشان - للبروفيسور ليونيد سيكيانين الأستاذ في اكاديمية العلوم الروسية.
- نظام الاثبات في الجرائم الجنائية في الشريعة الاسلامية - للدكتور رياض بن عبد اللطيف المهيدب رئيس محكمة مدينة الجبيل الصناعية بالسعودية.
- الاعتراف في الشريعة الإسلامية - للبروفيسور محمد سعيد العوا الأستاذ في جامعة القاهرة.
- الظروف المخففة في الشريعة الاسلامية - للبروفيسور محمد سراج الاستاذ في الجامعة الامريكية في القاهرة.
- الميثاق الاخلاقي والاجراءات المتبعة في محاكم صدر الاسلام - للدكتور ام.أي. سورتي الاستاذ في جامعة برمنغهام.
- نظم الاجراءات في الشريعة الاسلامية لتوفير الحماية ضد الجريمة - للبروفيسور منير البياتي الاستاذ في الجامعة الاسلامية العالمية في ماليزيا.
- القسم في القانون الاسلامي - للبروفيسور رودوف بيترز الاستاذ في جامعة امستردام.
- الملازمة في الشريعة الاسلامية - للبروفيسور فرحات زياده الاستاذ في جامعة واشنطن بامريكا.
- حق الأمان ومبادىء القانون في الشريعة الاسلامية - للبروفيسور هاشم كمالى الاستاذ في الجامعة العالمية الاسلامية بماليزيا.

وفي نهاية اعمال المؤتمر أوصى المؤتمرون بضرورة هذه اللقاءات العلمية، لتفهم وجهة النظر الأخرى بصورة علمية تسندها القناعات العقلية، وبهذا يُزال ما علق من لبس في الذهن الغربي عن الاسلام والمسلمين.

المؤتمر السادس لوزراء الشئون الاسلامية


د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

في نهاية الشهر الفائت اجتمع في جاكرتا عاصمة اندونيسيا وزراء الاوقاف والشئون الإسلامية في اعمال مؤتمرهم السادس. ويأتي هذا المؤتمر ليعزز التضامن الاسلامي، والتنسيق بين وزاراتهم بغرض الدعوة للاسلام، وتنشيط جهود الهيئات والمنظمات والمؤسسات والمراكز الاسلامية العاملة في دول الاقليات المسلمة، ودعمها مادياً ومعنوياً لاداء رسالتها نحو المسلمين في تلك الدول، والحفاظ على هويتهم الاسلامية سليمة معافاة من تداخلات ثقافات تلك الدول.

وقدم في المؤتمر مجموعة من اوراق العمل منها: اتفاقية التعاون بين وزارات الشئون الدينية والاوقاف ودراسة أخرى حول الدعوة الاسلامية وخطة اعداد الدعاة، وورقة ثالثة تطرح موضوع التعريف بالاسلام في مجموعة من اللغات العالمية.. ثم النهوض بالدور التنموي للاوقاف.

دار الجـوف للعلـوم

تحت هذا العنوان نشـرت (المنهل) اسـتطلاعـاً مصوراً عن (مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية)، في عـدد (الربيـعـان) لهـذا العـام ١٤١٨هـ٠٠ وهذه المؤسسة تعد من المؤسسات الخيرية الانسانية الفاعلة في بلادنا، ولها دورها النشط في تنمية ورعاية الحركة الفكرية والثقافية والتعليمية في منطقة الجوف.

والمنهل دائماً يسعد بالتعريف بهذه المؤسسات الخيرية العاملة النشطة في ربوع بلاد الخير، هذا الكيان الكبير.

وإضافة لما سبق التعريف به عن هذه المؤسسة - في العدد السالف ذكره - فإننا نسجل في هذه الأسطر بعض النقاط الهامة في مسيرة وتسيير هذه المؤسسة.

* هذا العمل الخيري الكبير للمؤسسة تُغطَّى مصروفاته من المبلغ الذي وهبه لها المؤسس ومن الرسوم الدراسية للطلاب والطالبات ومن إيرادات اصداراتها ومن التبرعات التي ترد من اهل الخير، والمؤسسة تتقدم بخالص الشكر والتقدير لرجال الأعمال لدعمهم الدائم للأعمال الخيرية، وقد كان لدعمهم أثر واضح في تحقيق أهداف وانجازات المؤسسة.

* أما استثمارات المؤسسة فانها تتمثل في فندق النزل الذي مازال في مراحل تشغيله الأولى بعد أن قامت قبل عامين بتصفية استثمارها بأسواق المها، اضافة الى مساهمتها في رأسمال مصنع مياه الجوف الصحية، وتتجه المؤسسة قدر الامكان الى الاستثمار المباشر في المنطقة، قناعة من مؤسسها ومجلس ادارتها بجدوى هذه المشاريع على المدى الطويل من الناحيتين الاجتماعية والمالية.

* عضوية المجلس الثقافي في المؤسسة مفتوحة، وهي عضوية طوعية، لا يترتب عليها التزامات مادية.

أما عضوية جماعة أصدقاء دار الجوف للعلوم فانه يتم تزويد العضو باصدارات المؤسسة، وتسجيلات فيديو لاهم الندوات التي تقام بالدار مقابل رسم عضوية مقداره (ألف ريال) في السنة.

المهرجان الشعري الثالث لدول الخليج العربي

«القصيدة الحديثة في الخليج ٠٠ المكونات والتحولات» هذا العنوان يمثل المحور الأساسي لهذا المهرجان الذي عقد في الشهر الفائت في مدينة المنامة عاصمة البحرين٠٠ هذا المهرجان شمل مجموعة من الفعاليات الأدبية والنقدية جاء في مقدمتها أربع أطروحات تشرح وتحدد معالم المحور الأساسي، وعنوانات هذه الاوراق أو الاطروحات:

- مكونات ايقاع القصيدة في الخليج العربي.
- مكونات الصورة في القصيدة الحديثة في الخليج العربي.
- مكونات اللغة في القصيدة الحديثة في الخليج العربي.
- المكونات الميثولوجية في القصيدة الحديثة.

الى جانب هذه الموضوعات المحددة لاطر القصيدة في مجالات تناولها وعطائها يشمل المهرجان مجموعة من اللقاءات الشعرية والحوارات، وندوتين شعريتين.

مسابقة نادي مك

تشجيعاً للناشئة في البحث والكتابة وتحفيزاً للمواهب الواعدة في العطاء يخصص نادي مكة الثقافي الأدبي مسابقته الثقافية السابعة لطلاب المدارس في المرحلتين المتوسطة والثانوية٠٠ وتتضمن المسابقة حقول (الشعر) و(القصة القصيرة) والدراسة الأدبية.

أولا: الشعر:

على الراغبين في المشاركة من الطلاب بالمشاركة من أصحاب المواهب الشعرية إرسال قصيدتين على الأقل من الشعر العربي الفصيح.

ثانيا: القصة القصيرة:

على الراغبين بالمشاركة في فن القصة القصيرة أن يبعثوا بثلاث قصص على الأقل على أن تكون غير

تونس .. الثقافة

منظمة (اليونسكو) اختارت تونس العاصمة الثقافية لهذا العام.. وهذا حدث يحق الاحتفاء به، والتوقف عنده.

وفي تونس عقد (المؤتمر الأول للشعر العربي) وإلى جانبه مجموعة من الندوات واللقاءات ومنها:

ندوة «اضواء على التراث الاندلسي» و«ملتقى الشعراء العرب» و«الورشة العربية للابداع في الفنون التشكيلية» و«لقاء فكري مغاربي دولي» و«ندوة اسس المعجم النظرية» وملتقى عربي حول طرق المحافظة على المياه وملتقى دولي للاحتفال بالذكرى المئوية الثامنة لوفاة ابن رشد وندوة اسهام تونس في تسجيل الفكر الديني.




د. عبدالله الغذامي

وفي ملتقى الشعر ناقش المختصون مجموعة من الموضوعات ذات الأهمية منها: الشعر العربي الحديث ومسألة الايقاع، مستويات النص الشعري، الشعر وتحرير الكائن: قراءة في المتخيل، الشعر العربي الحديث ومشكلة التلقيي.. ومداخلات الدكتور عبد الله الغذامي، والدكتور سعيد السريحي أثارت كثيراً من الجدل والحوار الساخن.

المؤتمر الدولي الأول للنقد



د. عز الدين اسماعيل

«النقد الأدبي في منعطف القرن» هذا هو المحور الاساسي لاعمال وفعاليات هذا المؤتمر الذي يعد الأول في موضوعه.

انعقد هذا المؤتمر الدولي في جامعة عين شمس بالقاهرة/ مركز الدراسات الانسانية والمستقبليات بالتعاون مع الجمعية المصرية للنقد الأدبي.. واشرف على الاعداد لهذا المؤتمر الكبير الاستاذ الدكتور عز الدين اسماعيل.

وشارك في هذا المؤتمر نخبة من المشتغلين بالادب والنقد، ونخبة من العلماء والمفكرين والادباء.

ـة الثقافي الأدبي الثقافية السابعة لعام ١٤١٨هـ

مترجمة أو مقتبسة.

ثالثا: الدراسة الأدبية:

تكون الدراسة في أحد الموضوعين التاليين:

١ ـ دراسة عن أديب سعودي معروف.

٢ ـ بحث عن مدينة من مدن المملكة.

ويجب ألا تقل صفحات الدراسة عن عشر صفحات مع ذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الطالب في كتابته.

إيضاحات وشروط عامة:

١ ـ المسابقة مفتوحة لطلاب المدارس المتوسطة والثانوية من الجنسين.

٢ ـ يتم تعميم هذه المسابقة على إدارات تعليم البنين والبنات في مناطق المملكة ليقوموا بدورهم بتعميمها على المدارس المتوسطة والثانوية مع مطلع العام الدراسي الجديد.

٣ ـ يتم الاعلان عن المسابقة في وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

٤ ـ يجب أن تكون المشاركات بخط واضح على وجه واحد من الورق ويفضل أن تكون مطبوعة.. من أصل وصورتين.

٥ ـ يجب أن تكون المشاركات جديدة ولم يسبق نشرها أو الفوز بها في مسابقات أخرى.

٦ ـ الأعمال الفائزة تعتبر ملكاً للنادى والمساهمات غير الفائزة لا ترد الى اصحابها.

٧ ـ سيتم نشر الأعمال الفائزة من خلال دورية النادى (البلد الأمين).

٨ ـ يتم إرسال المشاركات الى عنوان النادى (مكة المكرمة ـ ص ب ٦٥٨٦) في موعد أقصاه نهاية شهر شعبان ١٤١٨هـ.

جوائز المسابقة:

لكل فرع من فروع المسابقة خمس جوائز كالتالي:

الأولى: ألفا ريال (٢٠٠٠ ريال).

الثانية: ألف وخمسمائة ريال (١٥٠٠ ريال).

الثالثة: ألف ريال (١٠٠٠ ريال).

الرابعة: خمسمائة ريال (٥٠٠ ريال).

الخامسة: مجموعة من اصدارات النادي.

إعلان الفائزين بجائزة علي وعثمان حافظ الصحافية

اختارت هيئة أمناء جائزة «علي وعثمان حافظ الصحافية» الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، لجائزة مفكر العام، لعام ١٩٩٦م.

وفاز بجائزة الرسائل الأكاديمية في الدراسات الصحافية الدكتور بخيت محمد درويش (مصري) على رسالة الدكتوراه التي قدمها عام ١٩٩٦ في جامعة القاهرة (كلية الاعلام - قسم الصحافة) بعنوان (قيم الاخبار في الصحافة المصرية - للفترة من ٨٦ - ١٩٩٥م).

كما فاز بجائزة المقال تركي الحمد (سعودي) على مقالاته التي تنشرها جريدة «الشرق الأوسط».

وتقاسم جائزة الكاريكاتير كل من:

- سامي الملك (سوداني) على رسومه التي نشرتها جريدة (الاتحادي).
- وياسين الخليل (سوري) على رسومه التي نشرت في (المستقلة) الصادرة من لندن و(العرب) الصادرة من قطر و(الوطن)، العمانية الصادرة من سلطنة عمان.

وتقاسم جائزة العمود الصحافي كل من:

- عبد الله الحكيم (سعودي) ووفاء كريديه (سعودية) على عموديهما اللذين يكتبانهما في (الاقتصادية) يذكر أن الكاتبة وفاء كريديه من الاقلام النسائية التي تمارس العمل الصحافي منذ فترة طويلة.

وتقاسم جائزة التحقيقات:

- فاطمة علي محمد عطية (مصرية) على تحقيقاتها عن البوسنة والهرسك بعد اتفاق دايتون والتي نشرت في آخر ساعة.
- أمجاد رضا (سعودية) عن تحقيقاتها عن (سكان الأربطة في جدة) في جريدة (عكاظ) السعودية.

يذكر أن جوائز علي وعثمان حافظ الصحافية تتوزع بين مفكر العام بقيمة ١٠ آلاف دولار وميدالية ذهبية، ولكل فرع من فروع الجائزة خمسة آلاف دولار وميدالية فضية.

وفي تطور جديد بالنسبة للجائزة هذا العام، اعلن الأمير احمد بن سلمان بن عبد العزيز رئيس مجلس إدارة المجموعة السعودية للابحاث والتسويق، عن قرار مضاعفة قيمة الجوائز من جيبه الخاص، دعما لهذه الجائزة واهدافها وغايتها، لتكون بواقع ٢٠ الف دولار جائزة مفكر العام مع ميدالية ذهبية، وعشرة آلاف دولار وميدالية فضية لكل فرع من فروع الجائزة الأخرى.

العدد الخامس عشر م

ظهر العدد الخامس عشر من مجلة الأدب الإسلامي بألق رائع بما تحويه من ثمرات متنوعة طيبة فكرية ونقدية وإبداعية، وحوارات وردود تحمل الطابع العلمي المنهجي العميق.

وقد تضمنت المجلة مقالات وبحوثا عميقة، فيطالعك بحث للأستاذ عبد التواب يوسف بعنوان« حي بن يقظان» يبرز فيه أنه نموذج رائع وذروة من ذرى الأدب الإسلامي، يقف شامخا عملاقا تصغر دونه أعمال عديدة ارتقت إلى مستوى العالمية، ويؤكد أنه إسلامي في لحمته وسداه، كما يجذبك في نقد النقد مقال يرد فيه نائب رئيس التحرير على مقال نشر في العدد الحادي عشر، وعنوان المقال: مأزق الوسطية العربية لا مأزق الأدب الإسلامي، وناهيك عن هذا الحوار الطيب الثري مع الدكتور محمد بن عزوز حول بعض قضايا الأدب الإسلامي وغيرها، وصراع الشرق والغرب في رواية السنيورة للدكتور عصام خوقير، يقدمه الدكتور حلمي القاعود، وفي باب «من ثمرات المطابع» أثبت الدكتور «شكري فيصل» ما قام به الأب لويس شيخو من تحريف مقصود لجوانب من شعر أبي العتاهية، هذا فضلا عن عرض الجديد من دواوين الشعر، وبعض كتب الأدب الإسلامي.

مؤتمر الاخلاق

«الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية» اكثر من ثلاثين عاماً في خدمة الدعوة الإسلامية والتوجيه الاسلامي في أمريكا، ولقد اكتسب مكانة دينية واجتماعية رفيعة بين المسلمين لاعتداله في توجهه وخطابه، حتى لقد بلغت فروعه حوالى (٥٠٠) فرع في امريكا.

واستطاع هذا الاتحاد أن يكون له دعاته ومصلحوه في الجيش الامريكي وفي السجون، يدعو الى الله على بصيرة، ويتبنى حلَّ كثير من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والأسرية لكثير من الافراد والجماعات.

اعتاد الاتحاد ان يعقد كل عام مؤتمراً محضوراً من كافة وجوه الدعوة الاسلامية من مختلف بقاع العالم، وكان مؤتمره لهذا العام من اكبر المؤتمرات إذ شارك في فعالياته اكثر من عشرين ألف شخصية عالمية.. من علماء المسلمين ومفكريهم، ومن المسئولين على مستوى القيادات الاسلامية، والهيئات والمنظمات الاسلامية.

إذ حضر أعمال هذا المؤتمر وشارك فيه الدكتور عبد الله نصيف نائب رئيس مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية،

.. مجلة الأدب الإسلامي



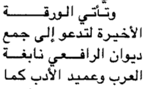
غلاف المجلة

وفي المجال الإبداعي تقرأ في القصص: «في حضرة ابن طولون» للدكتور محمد رجب البيومي، «ورجع الصدى» لمحمد جبريل وغيرها، وفي الشعر: «من أغاني الحب» للدكتور نصر عبد القادر، «وأزهار النبوة» للدكتور أبو فراس النطافي، وغيرها.

وتأتي الورقة الأخيرة لتدعو إلى جمع ديوان الرافعي نابغة العرب وعميد الأدب كما يقول الدكتور محمد أبو بكر حميد.

هذا بالإضافة إلى الأبواب الثابتة الثرية «كالأقلام الواعدة» و«من أخبار الأدب الإسلامي» و«بريد الأدب الإسلامي» وغيرها.

والدكتور عبد الله بن عبيد/ الامين العام لرابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة، والدكتور/ مانع حماد الجهني الامين العام للندوة العالمية للشباب الاسلامي.


د. عبدالله نصيف   د. مانع الجهني

وحضر جلسات المؤتمر عدد من مجلس الشيوخ الامريكي وعدد من رؤساء الصحف الامريكية الكبرى.. والصحف والاذاعات العالمية.

وكان الموضوع المحوري المقدم في مؤتمر هذا العام (الأخلاق في الاسلام)، ولقد استطاع المتحدثون ابراز جوانب الحق والعدل والخير في بناء الشخصية المسلمة القائمة أساساً على حسن الخلق.

وبكل المقاييس فقد كان هذا المؤتمر ناجحاً في توضيح غاية الاخلاق في الاسلام التى يقوم عليها بناء الشخصية المسلمة على مستوى الفرد والجماعة والامة.

رسالة

الأستاذ/ نبيه عبد القدوس بن القاسم الانصاري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

اخي العزيز انني بكتابة هذه الرسالة اليك اعود بذاكرتي الى ايام سعيدة عزيزة غالية وذلك عندما كنت مغتربا باديس ابابا ، اثيوبيا عام ٥٦ - ١٩٦٠ وكان حسن حظي جعلني احصل عبر السفارة السعوية يوما على عدد من صحف المملكة وكان بينها مجلة المنهل الرائدة لوالدكم عبد القدوس بن القاسم بن محمد الانصاري الخزرجي رحمه الله صاحب البيت المشهور في الحياه:

من دأبها خدع المشوق بها ... وشوقها التنكيل بالحر

ويشهد الله ان هذا الاسم جذبني اليه مبكرا إذ اسرتنا ترجع بنسبها الى بنى ساعده من الخزرج انتقلت قديما الى حضرموت.

وانني اعتبر مجلة المنهل واحدة من المنابع التي نهلت منها في مرحلة تكويني تلك ولا يزال لها صدى في نفسي. وبعودتي الى حضرموت لم اعرف شيئا عن المنهل وها انا الآن وقد وقع في يدى احد اعداد المنهل في ثوبها الجديد اعود الى ذكرياتي واسارع بالكتابة اليكم مع الأخ/ عبد الكبير بن سالم باجسير (مقيم بجدة) وكلى امل ودعاء ان تكون افادة منكم الى عنوانها - وعما اذا كان في الامكان ارسال المنهل لي مجانا.

اخوكم

باحميد - حضرموت

المنهل:

محبة وتقديرا لهذا الوفاء، نرسل لكريم اخوتكم مجموعة من اعداد المنهل المتوفرة لدينا الآن.. ونكرر خالص شكرنا على هذه الرسالة الكريمة.

السدود في وادي حنيفة

اعداد : محمد بن سعود الحمود
- الرياض -

لقد أدت بنو حنيفة دورا هاما في بلاد اليمامة لا سيما أنها تملك الرئاسة والمنعة. وقد راسل المصطفى {صلى الله عليه وسلم} إلى شخصيتين بارزتين في قيادة بلاد اليمامة أسماهم ملكي اليمامة وهما ثمامة بن أثال وهوذة بن علي من بني حنيفة[١].

وكانت بنو حنيفة تسيطر على بطن العرض الذي يعرف بوادي حنيفة نسبة إلى قبيلة بني حنيفة التي تنتشر العديد من قراها على ضفاف هذا الوادي، وقد تميز الوادي بالخصوبة ووفرة المياه مما جعل قبيلة بني حنيفه تمتهن الزراعة وتتميز في إنتاجها. وقد أشار شاعر منفوحة الأعشى إلى كثافة الزراعة في هذا الوادي قائلا:

ألم تر أن العرض أصبح بطنه

نخيلا وزرع نابت وفصافصا[٢]

ويشير ابن الفقيه إلى جودة الإنتاج الزراعي في اليمامه ومكانته بين البلدان قائلا «وأما حنطتهم فتسمى بيضاء اليمامة وهي عذي لاسقي يحمل منه إلى الخلفاء وأما ثمره فلو لم يعلم فضله إلا أن التمر ينادى عليه بين المسجدين يمامي اليمامه، يمامي اليمامه، فيباع كل تمر ليس من جنسه بسعر اليمامي»[٣].

وأصبح الإنتاج الزراعي في اليمامه يكتسب أهمية قصوى بالتحكم في تصديره الى بعض أنحاء الجزيرة العربية. وهذا مما جعل ثمامة بن أثال من بني حنيفة بعد إسلامه في عهد الرسول {صلى الله عليه وسلم} يقطع الميرة (الطعام) عن أهل مكة وهم مشركون فكتب إليه الرسول {صلى الله عليه وسلم} أن أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة. وكذلك في العهد الأموي حينما منع نجدة الحنفي الميرة عن الحرمين فكتب إليه ابن عباس يقنعه بعدم منع الميرة[٤].

مما سبق يتبين أن الإنتاج الزراعي وجودته في بلاد اليمامة وخاصة على ضفاف وادي حنيفة لم يتم إلا بالوسائل الزراعية الحكيمة التي تنم عن الخبرة الطويلة في هذا المجال ومن أهمها عمارة السدود.

السد في اللغة:

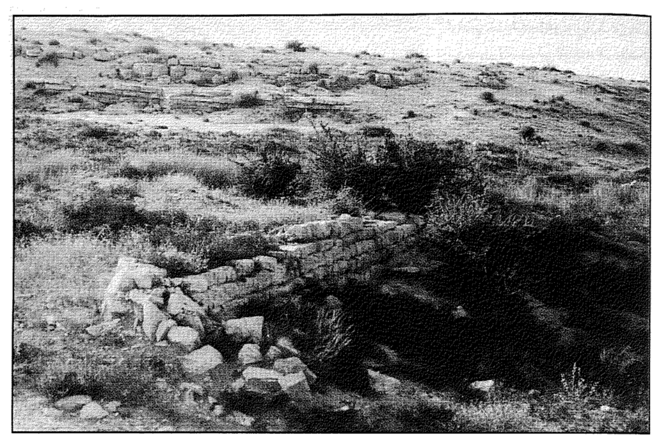
قال صاحب اللسان «السَّدُّ: إغلاق الخَلَل وردمُ الثُّلَم، سدّه يسُدُّه سَدا، فانسد واستد وسدّده: أصلحه وأوثقه، والاسم السُّدُّ. وحكى الزجاج: ما كان مسدودا خلقة، فهو سُدٌّ، وما كان من عمل الناس، فهو سَدٌّ.. والسد الردم لأنه يسد به والسد والسد كل بناء سد به موضع»[٥].

ويقول صاحب تاج العروس: «قال ابن السكيت يقال لكل جبل سَدّ وسُدّ وصد وصد (أو بالضم ما كان مخلوقا لله عز وجل وبالفتح من عملنا).. وكل بناء سد به فهو سد»[٦].

أنواع السدود في اللغة:

١ - **الحكر:** «الماء القليل المجتمع»[٧].

٢ - **الحبس:** «شيء يحبس به نحو الحباس في المزرفه يحبس به فضول الماء»[٨] والحبس مثل المصنعه وجمعه أحباس وهو الماء المستنقع.. حجارة تبنى على مجرى الماء ليحتبس الماء فيشرب منه القوم»[٩].



ـ أحد سدود المستوطنة الاسلامية.

٣ ـ **الصنع**: «الموضع الذي يتخذ ويحتفر فيه بركة يحتبس فيها ماء السماء»[١٠].

٤ ـ **المزالف**: «المزالف والزلف المصانع واحدتها زلفة .. والحبس مثل المصنعة»[١١].

٥ ـ **السد**: «إغلاق الخلل وردم الثلم»[١٢].

لذا ليس من السهل أن تختفي بالكلية آثار السدود في وادي حنيفة وهي التي كانت لها الصولة والجولة في تاريخ بني حنيفة. وان اختفى بعضها فإن البعض الآخر لا يزال حيا يلوح بأعلامه.

ومن هذا المنطلق وقبل أن تكتسح الإنشاءات الزراعية والعمرانية على ما تبقى منها واصلت تجوالي في الوادي لعلي أجد بغيتي وقد تمكنت بفضل الله من الوقوف على عدد منها في مدينة الرياض وما حولها وهي:

أولا: سدود مستوطنة سكنية:

تقع في إحدى الشعاب التي ينحدر سيلها إلى وادي حنيفة في الطرف الجنوبي لمدينة الرياض وهي تقع ضمن مستوطنة كبيرة تعود الى القرن الثالث الهجري تقريبا حيث لم يبق من هذه المستوطنة إلا مخلفاتها الأثرية وهي أكبر موقع استيطاني عثر عليه في مدينة الرياض حتى الآن وهذه السدود يبلغ عددها الأربعة لم يبق منها إلا أجزاء بسيطة قد أزالها الزمن والنسيان وقد بنيت بطريقة هندسية تنم عن الخبرة من حيث صفت الأحجار وأنسيابها بطريقة منتظمة ويصل طول بعض أجزاء تلك السدود إلى ١٥ متر وبسماكة تصل إلى ٤ أمتار.

ثانيا: سدود الوصيل:

يقع أحدها في الشمال الغربي لمدينة الرياض بين الوصيل والجبيلة على ضفة وادي حنيفة الغربي في إحدى الشعاب وهو عبارة عن سد طول المتبقي منه ٢٠م وعرض ٣م وارتفاع ٣٠ر١م أنشيء بقرب مستوطنة تعود إلى العصر العباسي تقريبا حيث يشاهد بعض الوحدات السكنية وكسر الفخار. بينما

توجد عدة سدود أخرى في إحدى الشعاب الشرقية في الوصيل.

ثالثا: سد اللوذة:

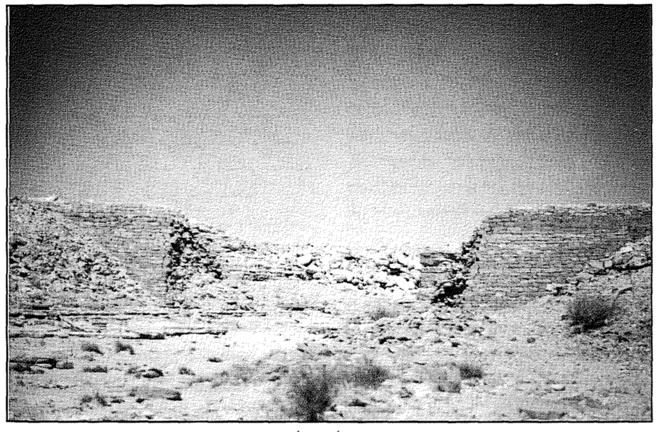
يقع في الطرف الجنوبي لمدينة الرياض وهو سد طويل يغلق إحدى الشعاب الصغيرة التي ينحدر سيلها إلى وادي حنيفة ويقع هذا السد ضمن مستوطنة قديمه لم يبق منها إلا بعض الأسس الجدارية وكسر الفخار والتي من المحتمل أنها تعود إلى العصر العباسي لا سيما أنه عثر في الموقع على دينار عباسي، ويبلغ طول السد٦٠م تقريبا وقد دفنه أحد أصحاب المزارع القريبة منه بالأتربه ليستفيد منه لحجز وتخزين مياه السيول ويشاهد الأن بعض آثاره التي لم تدفن ملاصقة بجانب التل الجبلي.

رابعا: سد شرق حي الشفا:

يقع في الطرف الجنوبي لمدينة الرياض على الضفة الغربية لوادي حنيفة. وهو عبارة عن آثار لسد ضخم يبلغ طول المتبقي منه ٥٥م وتصل سماكته ١١م وقد احتوت سماكته على ثلاثة مصاد للمياه متجاورة بعضها لبعض فالأول تبلغ سماكته من أعلى ١م بارتفاع ١م والمصد الثاني يبعد عن الأول شرقا بمسافة ٤م ويعتبر من أفضل المصاد وأكبرها ويرى بشكل أوضح من سابقيه تبلغ سماكته من أعلى ٢م وارتفاع المتبقي منه ٢٠ر١م ويمتاز بناؤه بالحجارة الضخمة المهذبة والتي يصل حجمها إلى ٦٠ × ٥٠ × ٢٥سم وهذه المصاد الثلاثة جميعها بنيت لتكون سدا واحدا ويبدو أنها قد ملئت ما بينها في الماضي بالأتربة والحجارة مكونة بذلك سدا ضخما وقويا يتحمل تدفق مياه السيول.

خامسا: سد في وادي البعيجاء:

يقع في إحدى الشعاب التي تغذي وادي حنيفة جنوب بلدة الحائر وهو عبارة عن بقايا سد يبلغ طول المتبقي منه ٥٥م وتبلغ سماكته ٤٠ر١م بارتفاع ٧٠



- سد وادي نمار.

سم وقد بني من الحجارة المصقولة والمنتظمة بطريقة جيدة ويوجد بجوار السد غرف متساقطة لا يرى إلا أساساتها ويشاهد على سطحها كسر من الفخار والفخار المزجج الذي من المحتمل أنه يعود إلى القرن الرابع الهجري[١٣].

سادسا: سد نمار:

يقع في الطرف الغربي لمدينة الرياض في وادي نمار إحدى الروافد لوادي حنيفة ويعرف عند بعض العامة بـ (الحكر) أي «الماء القليل المجتمع»[١٤].

والموقع عبارة عن سد يبلغ طوله ٤٠ر٣٤م وسمك حائطه من أسفل بحدود ٢٠ر٦م أما ارتفاعه فيبلغ ٥٨ر٥م مع وجود دعامة مقوسة كانت تقوم بتخفيف تدفق مياه السيول من أعلى وقد بني هذا السد من الحجارة المهذبة إلا أن السد قد انهار أوسطه لعدم صيانته. مع ملاحظة أنه توجد منشئات معمارية مجاورة للسد وهي عبارة عن غرف مختلفة الأحجام مبنية من الحجارة إلا أنها قد تساقطت ولعل هذه الغرف كانت في الماضي استراحة لواردي هذا السد أو مكانا أمنيا يقوم بعملية تنظيم وحراسة السد. علما بأن هذا السد يقع في أعلى إحدى الشعاب قريبا من سطح الهضاب الجبلية والذي من المحتمل أن الغرض من إنشائه كان يخدم إحدى الطرق القديمة التي تمر عليه وهو مشابه للبرك التي وضعتها زبيده على طرق الحجاج[١٥].



ـ كسر فخارية وزجاجية في المستوطنة الإسلامية المجاورة لإحدى السدود.

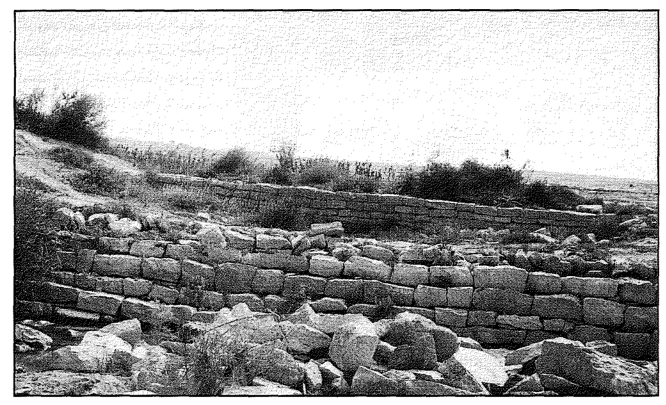
سابعا: سد وادي حنيفة القديم:

يقع في وادي حنيفة جنوب حي المصانع من مدينة الرياض والمصانع كانت في الماضي بلدة قديمة أشار إليها صاحب معجم البلدان بأنها من قرى اليمامة التي لم تدخل في صلح خالد بن الوليد - رضي الله عنه - أيام قتل مسيلمة الكذاب وهو نخل لبني ضور بن رزاح[١٦].

وهذا السد يصل طوله إلى ١٨٠م وسماكته من أعلى ٥٠ر٢م ويحتوي على ١٢ دعامة ضخمة يبلغ قطر إحداها من أعلى ٣م أما ارتفاع السد يصل إلى ٥ر٤م وقد بني من الحجارة الضخمة حيث تشاهد في أعلى البناء صفائح الحجارة التي يصل طولها ٣٠ر١م وذلك لحماية أعلى السد من جرفان السيول ويوجد في الجهة الشرقية من السد معبر ذو فتحتين يسمح بمرور مياه الوادي إلى بلدة المصانع القريبة منها.

ومن يرى هذا السد ويتأمل في البناء يدرك اللمسات الفنية والهندسية في التصميم.

وبهذه الأرقام والقياسات لعل القارىء الكريم يدرك مدى ضخامة هذا السد وما قام به الأجداد من فن العمارة وهندسة الإنشاء وهذا السد يعتبر بحق



ـ ثلاثة سدود قديمة متجاوره.

حتى الآن من أضخم السدود في وادي حنيفة حيث لازال باقيا يتعاهده الأجداد جيلا بعد جيل.

ومما سبق يتبين بأن بني حنيفة قوم عرفوا بالزراعة وفنون عمارتها والتي اكتسبوها من أرضهم الخصبة ذات النخيل والأشجار والثمار اليانعة التي جعلتهم في فترة من الزمن يسيطرون في تصدير محاصيلهم الزراعية على بعض أجزاء الجزيرة العربية.

وبطبيعة الحال لم يتم امتهان تلك الزراعة إلا بواسطة ما حباها الله من وجود الوادي الذي سمي باسمها (وادي حنيفة) الذي يعتبر شريان الحياة الاقتصادية لبلاد اليمامة ويبلغ طوله ١٦٠ كم.

وقد انتشرت على ضفافه العديد من القرى في الماضي وهو ما أكده الهمداني بقوله «والعرض (وادي حنيفة) وهو واد باليمامة من أعلاها إلى أسفلها وفيه قرى ينزلها بنو حنيفة»[١٧].

وأخيرا لعلنا نطرح بعض السمات المعمارية لسدود وادي حنيفة والتي من المحتمل أنها تعود إلى العصر العباسي وهي كالآتي:

ـ تمتاز واجهات السدود من الجهة الخارجية بوجود عدة بروز تخرج عن سمت السد تتراوح من ٥ ـ ١٠ سم والتي تساعد على تخفيف سقوط جرفان السيول من خلف السد حتى لا يحفره.

ـ تتشابه احجام السدود وأشكالها.

ـ جميع السدود إلا واحدا بنيت على روافد وادي حنيفة.

ـ أنشئت السدود حول الاستيطان السكني القديم.

ـ صقل وتهذيب أحجار تلك السدود.

ـ زيادة السماكة في أسفل السد ويضيق كلما اتجه إلى الأعلى.

ـ بنيت السدود على شكل جدارين بينهما الأتربة والحجارة.

ـ أحيانا تتعدد السدود في إحدى الأودية.

ـ قوة البناء وتحمله جعل بقاياه إلى عصرنا الحاضر.

ـ تعود أغلب السدود إلى ما قبل القرن الرابع الهجري.

الهوامش:

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، تعليق عمر عبد السلام تدمري، ط٤، بيروت ج٤، ص ٢٥٤.

(٢) البكري: معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت ط٣، ج٣، ص ٩٣٢.

(٣) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، دار صادر بيروت ص ٣٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، دار صادر، بيروت ج٤، ص ٢٠٤.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت ط١ ، ج٣، ص ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٦) الزبيدي: تاج العروس، دار الفكر، ج٢، ص ٣٧٣.

(٧) ابن منظور: المصدر السابق ج٤، ص ٢٠٨.



ـ سد في وادي البعيجاء.

(٨) الخليل بن احمد: كتاب العين، تحقيق المخزومي والسامرائي مؤسسة الأعلمي، بيروت ط١، ج٣، ص١٥٠.

(٩) ابن سيده: المخصص، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث، بيروت ج٣، ص ٥٣.

(١٠) ابن دريد: جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، ط١،ج٢، ص٨٨٨.

(١١) ابن سيده: المصدر السابق، ج٣، ص ٥٣.

(١٢) ابن منظور: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٠٧.

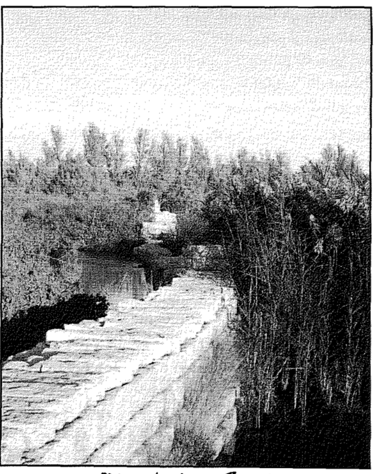
(١٣) محمد الحمود: تقرير وصفي للمسح الأثري والتاريخي لمدينة الرياض وما حولها، وكالة الآثار والمتاحف، تقرير لم ينشر.

(١٤) ابن منظور: المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٨.

(١٥) محمد الحمود: المرجع السابق.

(١٦) الحموي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٥، ص ١٣٦.

(١٧) الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد لاكوع، ص ٣٠٧.



ـ جزء من أكبر سد في وادي حنيفة.

المراكب الشراعية في منطقة

بقلم : د. مسلم الزيبق
- الامارات -

اعتمد سكان الخليج في بدايات إبحارهم على القوارب المصنوعة من المواد المتوفرة في سواحل المنطقة، فاستخدموا جذوع وفروع وسعف (النخيل) و(السدر) و(القرظ) في بناء هيكل القارب، ولجئوا في شد وتثبيت ألواح الخشب إلى طريقة (الخرازة بخيوط من الليف).

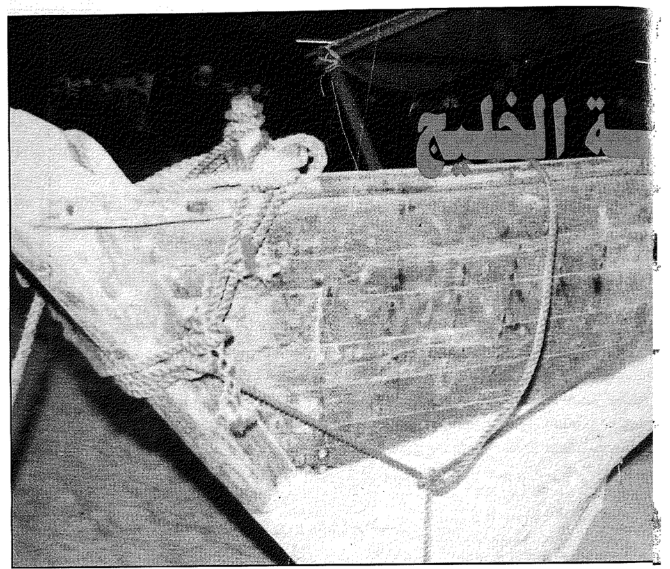
وبقي عرب الخليج متمسكين بالمراكب (القنبارية) أي المخرزة بخيوط من القنبار إلى ما بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح. ويعود تمسكهم بالسفن القنبارية إلى أن البحار التي كانوا يسافرون فيها كثيرة الصخور والشعاب المرجانية، وتنتشر فيها المضاحل والمياه الرقيقة التي يبلغ عمقها باعاً واحداً في بعض الأماكن[١]. فإذا كان المركب مخيطاً وجنح أو صدم الشعاب لا ينكسر بسهولة بسبب مرونة الخياطة ولينها، بخلاف المركب المسمّر الذي تتحطم ألواحه حال اصطدامه بالشعاب بسبب صلابة المسامير وقساوتها[٢].

وقد لاحظ بعض الرحالة العرب والأجانب ميزة المراكب المخيطة أثناء سفرهم فيها. فابن جبير يروي أن السفن في مرسى (عيذاب) تخرز بخيوط من القنبار، وهو قشر جوز الهند ثم تخلل بدسر من عيدان النخيل، ثم تسقى بالسمن أو دهن الخروع، أو بالدهن المستخرج من القرش، حتى يلين عودها ويرطب لكثرة الشعاب المعترضة في هذا البحر، ولذلك لا يصرفون فيه المركب المسماري[٣].

كما قال عنه ابن بطوطة: «القَنْبَر بفتح القاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة والراء، وهو ليف جوز النارجيل، وهم يدبغونه في حفر على الساحل ثم يضربونه بالمرازب، ثم تغزله النساء وتصنع منه الحبال، وبهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن، لأن ذلك البحر كثير الحجارة، فإن كان المركب مسمراً بمسامير الحديد، صدم الحجارة فانكسر، وإذا كان مخيطاً بالحبال أعطى الرطوبة فلم ينكسر[٤].

لكن على الرغم مما قيل عن ضعف بنية المراكب القنبارية وصغرها وبساطة عدتها، فإنها ظلت زمناً طويلا تساهم في نقل تجارة الشرق والغرب، فيما بين منطقة الخليج والهند وشرق أفريقيا، عبر خطوط ملاحية بعيدة المدى. ومن الشواهد على اتساع نشاط العرب التجارى البحري، انتشار الاسلام في سواحل الهند وسيلان وجزر الهند الشرقية على يد التجار العرب في القرن الأول للهجرة[٥].

وبات نشاط المراكب العربية - في العصر العباسي - يغطي النصف الشمالي من المحيط الهندي، ويمتد شرقاً إلى ساحل الصين الجنوبي. وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) لم يقل نشاط العرب البحري عن نشاطهم في العصر العباسي. ففي أرجوزة الملاح الخليجي ابن ماجد (الحاوية) نجد الأطراف الشرقية للخطوط البحرية التي كانت تسلكها المراكب العربية، تصل إلى جزيرة (بورينو) وجزر



صناعة القوارب في الخليج

(تيمور) وبلاد الصنف (فيتنام) وكمبوش (كمبوديا) وجنوب الصين. وتصل أطرافها الغربية إلى سواحل شرق أفريقيا: من (القصير) شمالا إلى (سفالة) جنوباً. وفي وسط المحيط تصل إلى جزر ذيبة المهل (ماليف) وجزر الفال (لكاديف) وجزر القمر.

وبعد سيطرة الدول الأوربية على التجارة في المحيط الهندي، انتشرت السفن العربية المسمارية، وراح بناة السفن الخليجيون يدخلون في تصاميم مراكبهم أشكالا مختلفة من المراكب الأوربية، واستمر هذا الحال في منطقة الخليج إلى أن طفت المراكب المسمارية على أنواع المراكب العاملة[٦].

وفيما يلي عرض لأنواع المراكب التي عرفت في منطقة الخليج:

أولا: القنباريات:

ينقل الأستاذ حسن صالح شهاب[٧] عن الجاحظ أن الحجاج كان أول من أجرى في البحر السفن المسمّرة غير المخرزة والمدهونة والمسطحة غير ذوات الجؤجؤ[٨]، ويرى الباحث أن هذا الخبر هو أقدم إشارة في المصادر العربية الى شكل هيكل السفينة وطريقة بنائها في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، فهي مخيطة مطلية بالدهن، قاعدتها حادة على شكل الجؤجؤ، وليست مسطحة كالمراكب المسمارية في البحر المتوسط.

ولعل كثرة حوادث عطب وغرق السفن ذوات الجؤجؤ في رأس الخليج العربي بسبب سهولة انغراز قاعدتها الحادة، وجنوحها في المضاحل هناك، كان السبب الذي جعل الحجاج يحاول فرض استخدام السفن المسمّرة ذوات الغاطس المسطح العريض الذي يمكن أن يطفو على المياه الرقيقة وعبور المضاحل الخطرة.

وليس هناك وصف مفصل أو صورة يمكن الاعتماد عليها لتبين شكل هيكل السفينة المخرزة العربية سوى مخطوط (مقامات الحريرى) الذي نسخه الواسطي سنة (٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م)، حيث نجد رسماً لسفينة ركاب مخرزة تعطي فكرة تقريبية عن الشكل العام للمراكب في ذلك العصر بمنطقة الخليج[٩].

ومن أهم أنواع المراكب القنبارية:

١ ـ السنبوك (السنبوق):

من المراكب القنبارية القديمة التي ورد ذكرها في رحلات ابن بطوطة[١٠]. ويستخدم هذا المركب في الصيد والغوص على اللؤلؤ، كما أنه استخدم في العهد الطولوني لنقل الحجاج والعمليات الحربية بالبحر الأحمر، إضافة إلى الاستفادة منه في الرحلات التجارية البعيدة المدى[١١]، ويذكر السنبوك المخيط في المصادر اليمنية كواحد من أصناف المراكب العربية التي كانت تتعرض لهجمات الأساطيل البرتغالية، وورد ذكره أيضاً ضمن الأسطول الذي كان قد جهزه السلطان بدر بوطويرق في (المهرة)[١٢].

وتختلف مقدمة السنبوك عن مقدمة (الجالبوت). فالعمود الأمامي للسنبوك عبارة عن قطعتين من الخشب الساج، متصلتين ومكونتين مقدمة ترتكز على القاعدة بزاوية معينة (حوالي ٤٥ْ)، وبها قليل من الاستدارة إلى الخارج، تنتهي بطرف علوي ذي شكل مميز يدعى (الساطور).

أما مؤخرة السنبوك فهي تنتهي برقعة مزينة بالنقوش المحفورة الجميلة، ويظهر عمود المؤخرة مثبتاً بها وبالقاعدة، حيث يعلق (السكان) على طول امتداده بواسطة مفاصل من النحاس، وينتهي طرفه العلوي بشق يدخل فيه عمود (الكانة) لتوجيه الدفة[١٣].

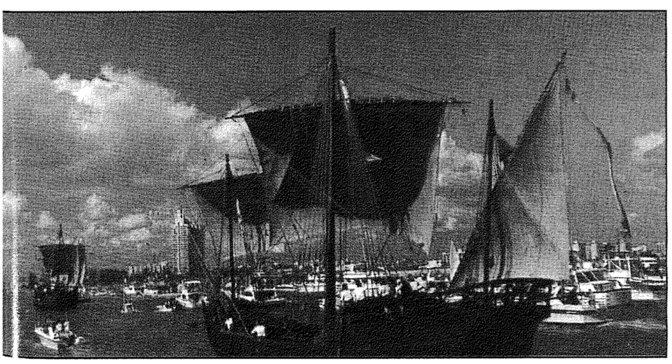
والسنبوك مزود بصار كبير وآخر صغير، بالإضافة إلى عدد من المجاذيف، ويبلغ طوله الإجمالي حوالي ١٢٠ قدماً، كما تتراوح حمولته ما بين ١٥ ـ ٦٠ طناً[١٤] وهو نوعان[١٥]:

أ ـ السنبوك العماني: أكبر حجماً من الكويتي، ويستخدم لأغراض السفر وليس للغوص على اللؤلؤ. أما دفته فهي ليست على طول عمود المؤخرة، وإنما في الجزء السفلي من الرقعة (يشبه بذلك سكان البغلة).

ب ـ السنبوك اليمني: طول قاعدته النسبي يجعله أكثر ثباتاً في الماء. وتختلف الرقعة قليلا في شكلها عن رقعة السنبوك الكويتي، وكذلك المقدمة. كما أن اليمني يستخدم في النقل البحري وليس للغوص[١٦].

٢ ـ البدن:

أكثر المراكب العمانية شهرة، وما يزال يستخدم



ـ رسم لاحدى السفن.

حتى اليوم. يستفاد منه في صيد الأسماك والنقل البحري، ويمكن تمييزه بالصدر البارز الذي يشبه مقدمة الشونة الأوربية، وبمؤخرته العالية التي تثبت عليها الدفة بالحبال[١٧].

يبلغ معدل طوله حوالي ٤٥ قدماً وحمولته ١٥ ـ ٤٠ طناً. رأس المقدمة بارز مدبب يمتد أفقياً فوق خشبة المقدمة العمودية ويتكون من أطراف الألواح العليا المثبتة أفقياً تقريباً على الجانبين، وتستخدم هذه الألواح كممشى للبحارة في طرفي المركب.

ليس للبدن سطح، لكنه يبطن بحصير من سعف النخيل. أما سكانه فهو يشبه سكان كل من البتيل والبقارة ، إذ انه عبارة عن لوح دقيق الطرف يزيد طوله على عود المؤخرة، ثبتت عند منتصفه تقريباً قطعة معقوفة من الخشب الصلب يُرْبَطُ بها حبلا السكان. فعند شد صاحب السكان لأحد الحبلين تحرك القطعة المعقوفة خشبة السكان، وهي تمثل ذنب الحصان في مؤخرة (البتيل).

ويتم نزع (الدفة) عادة بشكل جزئي لتثبت على أحد جانبي المؤخرة في حال عدم استخدام المركب، وكذلك عندما يكون راسياً في الميناء. وهذا ضروري لأن البدن قليل العمق، ولكنه عند الدفة أكثر عمقاً في الماء من قاعدة المركب وذلك لحفظ توازن المركب عند السير، إذ تؤدي الدفة نفس الدور الذي تؤديه القاعدة.

ويزود عادة بصار عمودي فريد في طريقة تثبيته، ولكن هناك نوع آخر من البدن يستخدم في التجارة عبر البحار، له صاريان، ويسمى (العويسة). ولذا فإن الطراز الذي يجمع بين مركب البدن والعويسة يمكن أن يتراوح بين ٢٠ و١٠٠ طن[١٨].

٣ ـ العيكار أو العكيري:

وهو من المراكب الخفيفة التي يمكنها مغالبة الأمواج والسفر في الظروف التي لا تلائم المراكب الكبيرة الثقيلة. ولذلك فقد



ـ سفينة في نهر دجلة ـ مخطوطة مقامات الحريري القرن (٧هـ/ ١٣م).

استخدم في النقل التجاري الخفيف، وفي القتال كالطراد والطليعة[١٩].

٤ ـ الغراب:

نوع من السفن الخفيفة التي كانت تستخدم في القتال، ولا يوجد ما يدل على أنها كانت تستخدم في النقل التجاري. للصغير منه شراع ومجاذيف[٢٠].

٥ ـ الجلبة:

هذا النوع من المراكب العربية المخيطة اشتهرت ببنائه شواطىء البحر الأحمر وخليج عدن. وقد وصف ابن جبير طريقة بنائها. وذكر أن الخشب الذي تصنع منه كان يأتي من الهند واليمن. وأن شراعها من الحصير.

وتبنى (الجلبة) بأحجام مختلفة وذلك طبقاً لاستخداماتها المتعددة. كما أن (السكان) فيها يتم تحريكه بالحبال كبقية أو أغلب المراكب القديمة، وقد

أشار إلى ذلك المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)[٢١].

٦- الطراد:

أطلقت على أنماط مختلفة تميزت جميعها بالخفة والسرعة. والطراد الذي كان يصنع في ساحل المهرة يختلف عن الذي وصفه ابن بطوطة والمقريزي، كما يختلف عن طراد ابن ماجد فالمركب الذي وصفه ابن بطوطة والمقريزي استخدم في نقل الخيل والفرسان، أما الطراد المهري فقد استخدم في النقل الساحلي الخفيف والقتال ومطاردة السفن الهاربة في حين أن طراد ابن ماجد هو على الأغلب نوع مختلف عنهما، إذ أنه أشار إلى أن هذا النوع لا يصلح لمغالبة الأمواج كالعيكار والمراكب الخفيفة الأخرى[٢٢].

٧- الزاروق:

من السفن الصغيرة السريعة، والتي استخدمت للأسفار المتوسطة وصيد الأسماك والغوص على اللؤلؤ[٢٣] ومشابهة مؤخرة الزاروق لمؤخرة الزعيمة كان سبباً في الخلط بينهما، فالاختلاف الذي يميز أحدهما عن الآخر هو في المقدمة حيث إن صدر (الزعيمة) يشبه صدر سنبوك البحر الأحمر حتى في شعاره، أما مقدمة الزاروق فتشبه مقدمة نوع آخر انقرض من سواحل الخليج.

وللزاروق قاعدة طويلة مستقيمة، ومؤخرة منحنية مثل مؤخرة الزعيمة، أما المقدمة فهي على شكل زاوية



- سفينة السندباد.

مستقيمة، وهي أكثر انخفاضاً في ميلها إلى أسفل من مقدمة الزعيمة والسنبوك. وجانباها، من أعلى، مفتوحان على شكل جناحين، وكذلك في المؤخرة.

وسكان الزاروق مكون من جزئين، أو عودين من خشب صلب، نصفه الأسفل غليظ مثبت بعود المؤخرة، أو (ميل تفر) ونصفه الأعلى رفيع معوج، منفصل عن المؤخرة، وبرأسه ثبت باحكام طرف (الكانة)، وهي العود الذي يحرك السكان[٢٤].

٨ـ الدوانيج :

من أنواع السفن التي تستخدم في القتال، وليست من مراكب النقل البحري ويذكر سليمان المهري (الدنجوي) كنوع من الزوارق الصغيرة في المرسى، وهي التي تستقبل المركب وتدخل به إلى الميناء. كما ذكر (الدوينج) كاسم لزورق السفينة[٢٥].

٩ـ الورجية :

مركب صغير يستخدم في مناطق الصيد القريبة من الساحل. وهو مدبب الطرفين، ومصنوع من جريد سعف النخيل، ومحشو داخله أطراف السعف (الكرب) لكي يطفو على الماء. وللورجية شراع صغير ومجذافان، ويعرف في بعض مناطق الخليج باسم (شاشة)، وهو يتسع لشخص واحد أو شخصين على الأكثر.

ثانيا: المسماريات :

هي المراكب التي يتم تثبيت أجزائها بالمسامير.

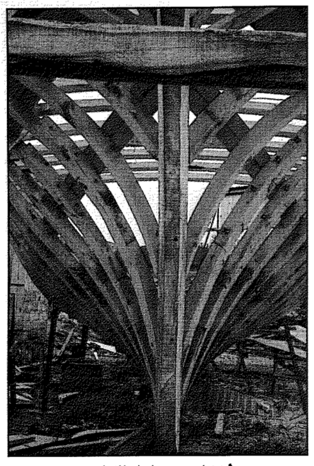
ويمكن تقسيم جميع ما عرف من أنواع المسماريات في منطقة الخليج إلى مجموعتين:

أ ـ مجموعة ذوات الأعجاز المربعة: وتعرف عند البحارة باسم (الشندة).

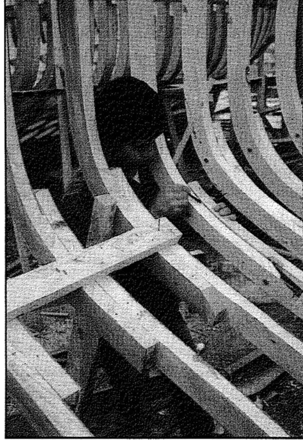
ب ـ مجموعة ذوات الأطراف الحادة: وتعرف باسم (العنافة).

(أ) ـ ذوات الشندة :

١ ـ البغلة: أميرة البحار، وسيدة النقل البحرى والسفن المسمارية. جاء اسمها تشبيهاً للبغل الذي يحمل الأثقال ويتحمل الصعاب[٢٦]، حيث كانت خلال



ـ أخشاب معدة لبناء القوارب.



ـ ضبط الاضلاع قبل استكمال العمل.

القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) من أكثر أنواع مراكب النقل الخليجية استعمالا إلى أن حل مكانها (البوم) الذي يضاهيها حجماً ويفوقها سرعة[٢٧].

يبلغ طول الحجم الأكبر منها حوالي ١٥٠ قدماً، وشحنتها ٤٠٠ طناً. وقد صنعت لنقل التمور والأخشاب والبضائع عبر بحار عميقة ومفتوحة للرياح[٢٨].

سطح البغلة عادة ما يكون واسعاً ليتسع أكبر قدر من الأحمال، مع ثمانية مزاغل وعدد من المجاذيف، إضافة إلى وجود سطح آخر علوي يسمى (النيم). كما أن لها صارياً كبيراً في مقدمتها وآخر في مؤخرتها، وقد تستخدم أيضاً صارياً ثالثاً صغيراً في المؤخرة يسمى (الشمندي)[٢٩].

وشعار البغلة في رأس مقدمتها الرباعي الشكل، الذي يتوسط قمته نتوء بارز منحوت بيضاوي الشكل، تحيط به زخارف متنوعة[٣٠] وتتصف المقدمة بأنها مدببة الطرف، طويلة، مائلة للأمام، وهي عبارة عن عمود منحن للخارج قليلا ينتهي بطرف علوي يسمى (قبيت) به زائدة مستديرة تسمى (رمانة). ولعل القبيت هو ما يميز البغال عن غيرها من سفن الخليج.

أما مؤخرتها فهي غير مدببة، بل تنتهي برقعة مربعة الشكل تزينها النقوش المحفورة، كما توجد في الرقعة خمسة شبابيك صغيرة تطل على غرفة تسمى (الدبوسة) ينام فيها عدد من الأشخاص أو تستخدم لخزن الطعام.

في أسفل الرقعة توجد (الدفة) أو سكان البغلة وهو عبارة عن قطعة مستطيلة من الخشب مثبتة بواسطة عمود يتصل بها، ويدخل في ثقب أسفل الرقعة حتى سطحها، وهو بذلك يختلف تماماً عن سكان (البوم)[٣١].

ومن أسماء البغلة: (السلامتي، البدري، المنصوري، السالمي، الناصري)[٣٢].

٢ ـ الجالبوت:

أحد سفن الغوص الأساسية التي بنيت واستخدمت في العديد من موانيء الخليج مثل: المنامة، دارين، الدوحة، وغيرها. يبلغ طولها ١٥ ـ ٤٠ ذراعاً ولا تتجاوز حمولتها ٧٥ طناً[٣٣].

تتميز بعمود في مقدمتها مرتكز بشكل قائم، وبمؤخرتها التي تنتهي بمقطع مستطيل الشكل ذي استدارة في زواياه، مما يجعلها أكثر مقدرة على التصدي للأمواج العالية.

تزود (الجالبوت) عادة بصار كبير (دقل عود) وآخر صغير (دقل قلمي)، كما تحتوي على العديد من المجاذيف التي تستخدم للتنقل في الأماكن القريبة. وأما دفة (الجالبوت) فتمتد على طول عمود المؤخرة (ميل تفرو) والذي عادة ما يكون مخفياً خلف الرقعة وله قطعة من الخشب تدخل في طرفه العلوي يمسك بها (السكوني) أو صاحب الدفة وتسمى الكانة. ويلاحظ أن سكان الجالبوت ليس له عود يثبت به بالمؤخرة، وإنما توجد له حلق من الحديد مثبتة بالشندة مباشرة تسمى (النخائس)، وتدخل فيها حدائد معقوفة مثبتة بالسكان تسمى (الذكور) ويمكن فصل السكان عنها بسهولة[٣٤].

يعتقد أن اسم (الجالبوت) مشتق من Gallevat أو Gellywatte وهو الاسم الذي كان يطلق على قارب المياه الضحلة الحربي الذي بقي يستخدم حتى النصف الأخير من القرن الثامن عشر[٣٥].

٣ ـ الفنجة:

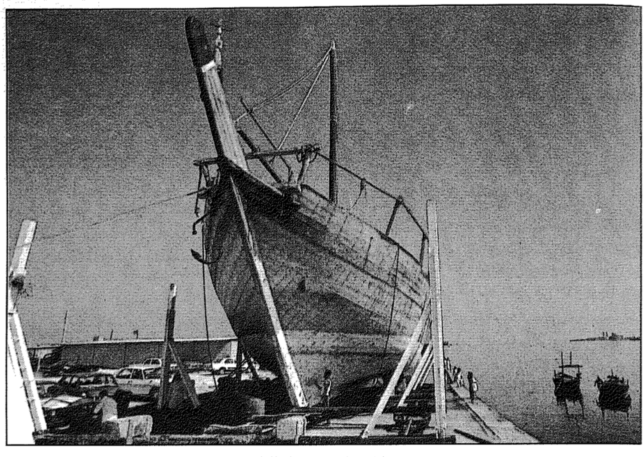
تتميز الفنجة بالنقوش والزخارف في المقدمة. فالزخرفة في مقدمتها عبارة عن نتوء مستدير حفرت به دوائر متحدة المركز يعلوها عرف ثلاثي الأوراق. وبهذا النتوء حلقة من حديد تحل محل منقار الببغاء في الكوتية.

ويعد العرف الثلاثي العلامة المميزة للفنجة، ولهذا كان من الميسور جداً تحويل مركب الكوتية إلى غنجة، وذلك بتعديل شكل رأس المقدمة وإضافة خلية منقوشة إلى المؤخرة. وتشترك الفنجة مع البغلة في أن لها مؤخرة مربعة على غرار مؤخرة الغليون، فيها فتحات خلفية وممرات وإن كانت أقل زخرفة ونقوشاً، كما أن عرضها أقل بالقياس إلى طولها[٣٦].

٤ ـ الشوعي:

من السفن القديمة التي كانت تعرف عند أهل الخليج باسم (الشلندي)، وهو يستخدم للغوص على اللؤلؤ وصيد الأسماك.

وعلى الرغم من وجود تشابه بينه وبين البغلة إلا أنه أقرب إلى السنبوك بخلاف المقدمة التي تنتهي عادة



ـ نشاط جماعي في بناء القارب.

بطرف علوي يشبه طرف السيف وعلى درجة كبيرة من الجمال كما أن مؤخرته (الرقعة) تخلو من النقوش التي توجد في السنبوك، وهي عموماً منخفضة بالنسبة لمقدمته. وأطراف جانبيه الخلفية بارزة بجانبي مؤخرته المربعة وتشكل ما يشبه الجناحين.

ويلاحظ أن عمود المقدمة هو عبارة عن قطعتين دائريتين، فيما يشبه السكان سكان السنبوك المعلق على طوال خشبة العمود الخلفي والبارز أما م الرقعة (فالسنبوك والشوعي يختلفان عن الجالبوت في هذا المجال، حيث أن الرقعة في حالة الجالبوت تخفي داخلها عمود المؤخرة فلا يرى في الخلف).

وللشوعي صاريان يحمل الكبير منهما أربعة أشرعة أحدهما كبير (العود)، والثاني متوسط (سفديرة) والثالث صغير (التركيت) فضلا عن وجود شراع رابع مثلث يعرف باسم (الجيب). أما الصاري الصغير فله شراعان أحدهما كبير والآخر صغير[٣٧].

٥ ـ أبو بوز:

يشبه (البدن) إلى حد كبير في شكله، ويختلف عن بقية المراكب بمؤخرته شبه المستديرة، ويعد من مراكب الشحن الصغيرة[٣٨].

٦ ـ الشاشة:

مركب صغير بدائي يصنع من سعف النخيل وتُرْبَطُ أجزاؤه بالحبال، يصلح للاتصال مع المراكب الراسية في الميناء ولصيد الأسماك قرب الشواطىء يبلغ طوله عادة حوالي عشرة أقدام.

ب ـ ذوات العنافة:

١ ـ البتيل:

كان هذا المركب حتى أوائل هذا القرن شائع الاستعمال في النقل الساحلي، وهو نوع صغير الغاطس، وعليه نقوش دقيقة، ومعروف بسرعته. ولهذا كان يستخدم في الأغراض الحربية عند بعض سكان الخليج ولم يكن من المراكب التي تصلح لنقل السلع والبضائع، رغم أن هذا كان الغرض الأساسي منه[٣٩].

يتميز (البتيل) عن جميع أنواع المراكب برأس

مقدمته العجيب المنحوت بشكل كمان، وخشبة مؤخرته العالية التي نحت من رأسها شعار على شكل حصان، أما مؤخرته فهي عالية مستقيمة عموديا، مزخرفة بالنقوش الجميلة، ومزودة بسكان يتم تحريكه بواسطة الحبال.

وقاعدة (البتيل) مكونة من جزئين، أي عودين، أحدهما وهو الأطول مستقيم في وضع أفقي ثبت أسفل المقدمة بطرفه الأمامي، والآخر الأقصر مثبت في وضع مائل ما بين الطرف الخلفي من العود الأمامي المستقيم وأسفل عود المؤخرة.

من أسماء البتيل: (سعيد، مصارع، مساعد، مزيعل)[٤٠].

٢ ـ البوم:

أشهر أنواع المراكب المسمارية في الخليج من حيث كبر الحجم وسعة الحمل وسرعة الإبحار وبعد السفر.

أهم ما يتميز به البوم مقدمته المستقيمة التي تنتهي بطرف حاد مدبب وعلى شكل نصف دائرة. أما مؤخرته فهي مدببة وأسلك وأكثر قدرة على الصمود في وجه الأمواج، قاعدته طويلة مستقيمة، كما أن له سطحاً علوياً في الثلث الخلفي يسمى (النيم) وفيه يجلس النوخذة وصاحب الدفة (السكوني). وتحت (النيم) تقع غرفة اسمها (الدبوسة) تستخدم لخزن الطعام والحاجيات المختلفة.

باستطاعة النوخذة أن يرفع سبعة أشرعة في نفس الوقت على البوم:

- شراع الدقل العود.
- شراع الدقل القلمي.
- شراع مثلث الشكل يرفع في مقدمة البوم يسمى (البومية).
- شراع آخر مثلث الشكل يرفع في المقدمة يسمى: بومية ثانية.
- شراع يرفع فوق الشراع الكبير يسمى: قابية عود.
- شراع يرفع فوق الشراع الصغير يسمى: قابية قلمي.
- شراع يرفع في مؤخرة السفينة يسمى: شمندي.

وغالباً ما يحمل البوم ثلاث سفن صغيرة على ظهره لاستخدامها في الموانيء. وهي: الكيت والكتر والماشورة. كما أن هناك أنواعاً خاصة من البوم لنقل المياه العذبة بواسطة خزانات خشبية تسمى (الفنطاس)[٤١].

٣ ـ الزعيمة:

يطلق هذا الاسم عند اليمنيين على كل سفينة شراعية، وهي في الأصل اسم خاص لطراز من مراكب الخليج.

لهذا النوع من المراكب مقدمة منحنية مثل مقدمة السنبوك، ومؤخرة مائلة للخلف تشبه مؤخرة الزاروق. وله سطح صغير في المقدمة وآخر في المؤخرة، وللكبير منه دقلان، وتوضع على جانبيه الأماميين متاريس من الحصير تشد حول رأس المقدمة.

طول قاعدة الزعيمة الكبيرة ذات الدقلين هو ٣٣ قدماً، وهو تقريباً نصف طول الهيكل من طرف المؤخرة إلى الصدر. في بعض الأنواع تحرك كافة السكان باليد، وفي بعضها الآخر يحرك السكان بالحبال مباشرة بدون كافة مثل سكان البدن.

٤ ـ العبري:

اشتهرت المكلا ببناء هذا النمط من المراكب الصغيرة الذي بقي حتى وقت قريب مستخدماً في النقل الساحلي الخفيف على شواطىء الخليج، ويتصف هذا المركب بقاعدة مستقيمة ومقدمة طويلة منخفضة لا رأس لها بارز وتشبه في ذلك مقدمة الزاروق. أما مؤخرته فعالية تميل قليلا إلى الخلف، ويعلى جانباه بمتاريس من الحصير.

للعبري سطح عال في المؤخرة، وسطح آخر صغير في المقدمة. كما أن للكبير منه عادة دقلان وللصغير دقل واحد مائل قليلا إلى الأمام[٤٢].

٥ ـ البلم:

من المراكب التي تستخدم في صيد الأسماك والنقل المحلي. قاعه مسطح وجوانبه منخفضة، أما المقدمة فهي مدببة ويثبت في وسطه لوح متين يكون بمثابة السطح، من أنواعه: البلم النصاري، والعشاري، والبتيري، وبلم البصرة[٤٣].

٦ـ الهوري:

قارب صغير منحوت من جذع الشجر (العنبة)، يحمل شخصين وله مجذافان يستخدم في نقل الاسماك من مصائدها (الحظرة) إلى الساحل، ويحمل عادة على جانب البوم.

٧ـ الماشوة:

قارب النجاة على ظهر البوم. ويستخدم لنقل البحارة والبضائع على السواحل القريبة. له مؤخرة عريضة ومقدمة مستقيمة أو محنية، وليس له سطح أو دفة يتحرك عادة بالمجاذيف، وقد يزود بشراع وصار[٤٤].

٨ـ الكتر:

قارب مسماري صغير، يحمل عادة على ظهر البوم ويستخدمه النوخذة في تنقله ضمن الميناء.

٩ـ التشالة:

من سفن النقل الساحلي، تشبه البوم من الأمام والخلف، ولها صار واحد ومجاذيف. كما أن لها (فنتين) من الأمام والخلف وليس لها سطحة، وإنما يكون (الخن) أو جوف السفينة مكشوفاً لسهولة التحميل والتفريغ منه[٤٥].

الهوامش:

(١) المراكب العربية (تاريخها وأنواعها) ـ حسن صالح شهاب ـ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ١٩٨٧ ـ ص ١٩.
(٢) رحلة ابن جبير ـ بيروت ١٩٦٤ ص ٥٦.
(٣) المرجع السابق ص ٥٦.
(٤) رحلة ابن بطوطة ـ القاهرة ١٩٦٧ ـ ج ٢/ ص ١٢٤.
(٥) المراكب العربية ص ٢١.
(٦) المراكب العربية ص ٢٣.
(٧) المراكب العربية ص ٤١.
(٨) كتاب الحيوان ـ الجاحظ ـ القاهرة ١٩٦٣ ـ ج١/ ص١٢.
(٩) المراكب العربية ص ٤١.
(١٠) ربابنة الخليج العربي ومصنفاتهم البحرية ـ خالد سالم محمد ـ الكويت ١٩٨٢ ـ ص ١٧١.
(١١) عمان وتاريخها البحري ـ وزارة الاعلام والثقافة (سلطنة عمان) ١٩٧٩ ـ ص ١٣١.
(١٢) المراكب العربية ص ٤٩.
(١٣) تاريخ صناعة السفن في الكويت ـ نجاة عبد القادر الجاسم القناعي ـ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ١٩٨٢ ـ ص ١٣١.
(١٤) الملاحة في الخليج العربي ـ عيسى أحمد النشمي ـ الكويت ١٩٦٩ ـ ص ١١٨.
(١٥) المرجع السابق ص ١١٨.
(١٦) المرجع السابق ص ١١٩.
(١٧) تاريخ صناعة السفن ص ١٣١.
(١٨) عمان وتاريخها الملاحي ص ١٣٥.
(١٩) المرجع السابق ص ٣٥.
(٢٠) المراكب العربية ص ٥٣.
(٢١) المراكب العربية ص ٤٥.
(٢٢) ربابنة الخليج العربي ص ١٧٤.
(٢٣) المراكب العربية ص ٥٢.
(٢٤) المرجع السابق ص ١١٨.
(٢٥) عمان وتاريخها البحرى ص ١٥٢.
(٢٦) المرجع السابق ص ١٥٢.
(٢٧) انظر (العرب والملاحة) ـ جورج فاضلو حوراني ـ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨ ـ ص ٢٤٢.
(٢٨) المراكب العربية ص ٧٣.
(٢٩) عمان وتاريخها البحري ص ١١٨.
(٣٠) المراكب العربية ص ٧٣.
(٣١) عمان وتاريخها البحري ص ١١٨.
(٣٢) السفن العربية ـ أحمد خليل ـ دار العطاء ١٩٨٤ ـ ص٤٤.
(٣٣) الملاحة في الخليج العربي ص ١١٩.
(٣٤) السفن العربية ص ٥٢.
(٣٥) المراكب العربية ص ٧٩.
(٣٦) المرجع السابق ص ٨٠.
(٣٧) تاريخ صناعة السفن ص ١٣٣.
(٣٨) عمان وتاريخها البحري ص ١٣٤.
(٣٩) صناعة المراكب الشراعية في الكويت ص ٧٢.
(٤٠) السفن العربية ص ٤٣.
(٤١) عمان وتاريخها البحري ص ١٢٧.
(٤٢) السفن العربية ص ٥٨.
(٤٣) تاريخ صناعة السفن ص ١٣٩.
(٤٤) عمان وتاريخها البحري ص ١٥٣.
(٤٥) ربابنة الخليج العربي ص ١٧٥.

كتابة الحديث وتدوين السـ

(٢ ـ ٢)

بقلم : د. عبدالحميد التمسماني شبكودة
ـ المغرب ـ

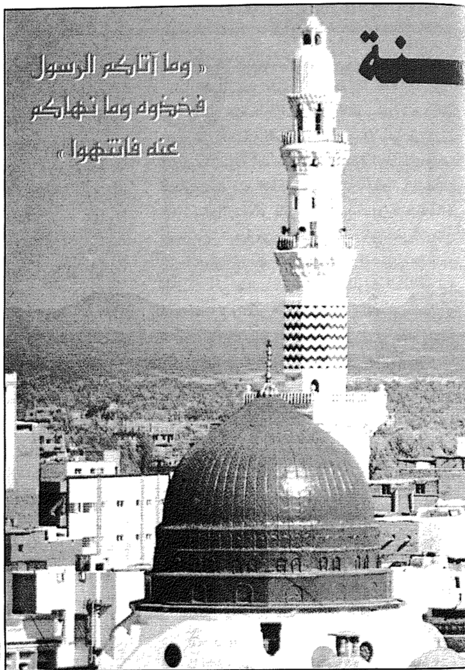
توافر الكتابة والصحف دليل على كتابة الحديث قبل موعده المعلوم:

قال الجاحظ «وليس في الأرض أمة لهم قبض وبسط الا ولهم خط»..

ومالنا وللجاحظ وغيره أفلا يكفينا ما جاء في الحديث وما جاء في القرآن يذكر الكتابة وأدواتها وذكرها دليل على انتشارها ومعرفة العرب لها وخاصة المسلمين، قال الله تعالى {ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون}. وقال تعالى: {اقرأ وربك الاكرم الذى علّم بالقلم} وقال {ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله}. وقال تعالى {وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون}.

تلك أدوات الكتابة أما فضائل العلم فقد ذكر القرآن الكثير منها كما دعت السنة المطهرة الى الاعتراف والمزيد من العلم الذي يقرب العبد الى الله ويعلمه مراقبة الله وينير قلبه وعقله بنور الحق المبين قال الله تعالى: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات}. وقال تعالى {انما يخشى الله من عباده العلماء} ولكن أي علم هذا الذى يرفع الله صاحبه درجات وأي علم هذا الذى يحجز الانسان عن محارم الله ويجعله اكثر خشية؟ يجيبنا الحبيب {صلى الله عليه وسلم} فيقول (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) وأي دين هو؟ قال الله تعالى: {ان الدين عند الله الاسلام} ذلك هو العلم وذلك هو الدين

(ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقاً الى الجنة) واذا كان هذا هو موقف الاسلام من العلم والعلماء وكان العلم الحق هو ما يقرب إلى الله وينظم مسار الانسان وهو في طريقه الى الله، فإنه لزاما ان يكون أصحاب رسول الله حريصين على تعلمه باذلين كل غال ونفيس في سبيله سالكين كل وسيلة للحفاظ عليه سواء في صدورهم أو في صحفهم وكتبهم ودفاترهم وكراريسهم.. والقول بأن الحديث لم يكتب الا في اوائل القرن الثاني الهجرى لا يستند في نظرى على دليل نقلي وعقلي بل هو من آفة النسيان أو خطأ النظر حتى وان قال به المحدثون اللهم الا اذا قصدوا بذلك التدوين الرسمي فان في ذلك اتفاق ولكن لا يسلم هو الآخر من الانتقاد. ذلك ان الكتابة لم تكن نادرة ولا قليلة ولكنها كانت متداولة معلومة في الجاهلية وعند ظهور الاسلام فكيف بها والوحي يتنزل ورسول الله بين الصحابة يدعوهم للاغتراف من العلم، والشرب من معين المعرفة، ولقد امتلأ القرآن الكريم كما اسلفت بالآيات الدالة على انتشار الكتابة وأدواتها فها هو القرآن يتكلم الله فيه ذاكرا أحوال العصاة وهم يعرفون انه قرآن ويعلمون انه من الله ولكنهم لا يؤمنون به لقسوة قلوبهم وحبهم الدنيا قال تعالى: {وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا.. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا



بالعلم، ولم نتهمهم بالقصور في الكتابة، ولكننا نقول: انهم كانوا يميلون الى الحفظ اكثر من ميلهم الى الكتابة وأكبر من هذا أنهم نهوا عن كتابة الحديث في بداية أمر الدعوة، ولو سرنا معهم في هذا الافتراض وسألناهم، لماذا نهاهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقالوا نهاهم للاسباب الآتية:

أسباب النهي عن الكتابة في نظر العلماء:

١ - إن النهي انما كان عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآيات فربما كتبوه معه فنهوا عن ذلك خوف الاشتباه.

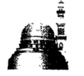
٢ - النهي عن كتابة الحديث على الصحف أول الاسلام حتى لا يشتغل المسلمون بالحديث عن القرآن حفظا لها في الصدور والالواح والصحف والعظام.

٣ - وقد يكون سمح لمن لا يختلط عليه القرآن بالسنة ان يدون السنة كعبد الله بن عمرو واباح لمن يصعب عليه الحفظ أن يستعين بيده.

وحتى اذا حفظ المسلمون قرآنهم وميزوه عن الحديث جاء نسخ النهي بالاباحة العامة ولو نظرنا الى هذه الاسباب التي ذكروها لوجدنا انها استنباط وظنون لان النصوص الواردة في جواز كتابة حديثه {صلى الله عليه وسلم} اكثر من النصوص التي ساقها هؤلاء الذين جعلوا موعد التدوين الرسمي في

نقرؤه، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا} وقال تعالى: {ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحرٌ مبين}.

هذا هو المجتمع الذي يعيش فيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مجتمع يحب الكلمة ويقدرها وهي عنده ميلاد وحركة وتاريخ ومزاج وشخصية. أفلا يكون من قبيل الوهم ان تنزع هذه الشخصية وهذه الحركية التي ارتبطت بالحرف العربي الذي اقسم الله به لما يعلم من احترامهم اياه.. سيقول المعارضون اننا لم ننزع عن الصحابة اهتمامهم



أول القرن الثاني الهجري حتى لقد جعلوا هذا القرن بداية العلم والازدهار وقد فاتهم أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» باعتبار القرن مائة سنة على بعض التأويل.

النصوص التي اعتمدوها في النهي عن كتابة الحديث:

١ - روى ابو سعيد الخدري أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه».

٢ - وقال أبو سعيد الخدري: (جهدنا بالنبي {صلى الله عليه وسلم} أن يأذن لنا في الكتابة فأبى) وفي رواية عنه قال (استأذنا النبي {صلى الله عليه وسلم} في الكتابة فلم يأذن لنا).

٣ - روي عن أبي هريرة انه قال: خرج علينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ونحن نكتب الاحاديث فقال ما هذا الذي تكتبون؟ قلنا أحاديث نسمعها منك قال: كتاب غير كتاب الله؟ أتدرون؟ ما ضَلَّ الامم قبلكم الا بما كتبوا من الكتب مع كتاب الله).

هذه بعض الاحاديث المشهورة في باب كراهة كتابة غير القرآن ونحن عندما نتبين أمرها يظهر لنا جليا أنها كانت مرتبطة بزمان، ومكان حتى أن القائلين بالنهي عن الكتابة قالوا بنسخها بأحاديث أخرى أباحت الكتابة سنذكرها كذلك بتفصيل، وقد حاول العلماء التوفيق بين أحاديث النهي وأحاديث الإباحة واستنتجوا الأسباب التي ذكرت ولكنها كما قلت استنتاجات وتفاعلات مع النص فقد يخطيء المتفاعل مع النص في مده وجزره وقد يصيب، فحديث ابي سعيد في النهي عن كتابة الحديث والأمر بمحوا ما كتب منه حديث قال عنه عجاج الخطيب «وهذا الحديث أصح ما ورد عن رسول الله في هذا الباب».

وروي عن البخاري وغيره أن حديث أبي سعيد الخدري موقوف عليه فلا يصلح للاحتجاج به وان كان ثبته الامام مسلم وله ما يؤيده في الحديث الثاني لابي سعيد الخدري ايضا.

ونحن عندما نراجع هذه النصوص نجد انها تنهي عن كتابة الحديث أو على الاصح عن تدوين الحديث تدوينا رسميا يكون قدوة للعاملين وبغية للطالبين ولو قال العلماء بذلك لكان الخطاب أيسر، لو قالوا مثلا إن الأمر كان عاماً في صدوره خاصا في جعله على ناحية من نواحيه، مطلقا في عمومه ومقيدا في خصوصه، فهو أمر من حيث انه نهى عن تدوين الحديث الى جانب القرآن للاعتبارات السالفة لكان ذلك مقبولا ونذكر هنا بعضاً من أسباب النهي عن تدوين الحديث:

أسباب النهي عن تدوين الحديث في نظري:

١ - حتى يعلم الصحابة ان كلام الله فوق كلام الرسول {صلى الله عليه وسلم} في جانبه الاجْتهادي.

٢ - أن الاهتمام بتدوين الحديث تدوينا رسميا - تقوم به الدولة - قد يصرف الناس عن القرآن وقد اتخذت له دولة الرسول {صلى الله عليه وسلم} كافة الاحتياطات - لكتابة القرآن الكريم - حتى كان له كتاب عشرة.

٣ - أن دعوة رسول الله مبنية على التوحيد، توحيد الله ووحدة المسلمين حول هذا التوحيد، وبهذا التوحيد، وقد يتبادر الى الاذهان التي كانت ما يزال الشرك عالقا بها وما تزال صوره قائمة في واقع مجتمع أصحابها - يتبادر اليها أن تعظيم الرسول يجعلها تنصبه نداً لله يقضي حاجاتها ويغيثها في ملماتها وحينئذ تهتم بكلامه لانه واقع بهم وحال بينهم بينما الايمان بالله غيب لا تدخله الا القلوب التي صفت والنفوس التي تطهرت.. ولذلك كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يبعد المرض عن هذه النفوس (فلا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد الله فقولوا عبده ورسوله).

٤ ـ حتي يصرفهم الى التطبيق إذ انه مُبلِّغٌ عن الله جـاء ليُفَصِّل المجـمل من كـلام الله ويوضح الغامض ويكون ذلك بالتطبيق اكثر مما يكون بالكلام ويكون ذلك بالممارسة اكثر مما يكون بالنظر فقد ثبت عنه انه في الصلاة قال لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وقال لهم في الحج (خذوا عني مناسككم) واذا لم يفهموا عملا ضرب لهم الامثال من واقع حياتهم وبلسانهم متدرجا معهم على مهل، روى أبو هريرة قال: جاء رجل من بني فزارة الى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: أن امرأتي ولدت غلاما اسود واني انكرته فقال له النبي {صلى الله عليه وسلم}: «هل لك من إبل» قال نعم قال «فما الوانها» قال: حمر قال «هل فيها من أورق» قال ان فيها أورق قال «فأنى أتاها ذلك» قال عسى أن يكون نزعه عرق، قال «وهذا عسى أن يكون نزعه عرق»٠

٥ ـ وهناك وقائع اثبتت أن أجوبة الرسول {صلى الله عليه وسلم} يكمل بعضها بعضا لتكون الاطار الحق للفهم الحق لهذه الشريعة وكانت أجوبته {صلى الله عليه وسلم} على قدر حال السائل في نقصه وضعفه فكان الجواب مكملا لهذا النقص ومنتشلا لصاحبه من هذا الضعف والى جانب هذا قد يتجاوزه الى غيره في العموم بقرينة خاصة، ورسول الله فوق هذا وذاك أطلعه الله على الجنة والنار فلم لا يطلعه على مصير من سأله أو رآه ؟ ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا امر الصحابة بعدم اطرائه، وبيَّن لهم انما هو ابن امرأة تأكل القديد بمكة فانه كذلك لا يسمح لهم أن يزكوا انفسهم او يزكو أحدا على الله امتثالا لقوله سبحانه وتعالى «فلا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى»٠

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر اقبل نفر من أصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم} فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} كلا إنى رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة واعتقد أن أسباب النهي كانت من هذا القبيل اذا نظرنا الى ظروفها وملابساتها٠

٦ ـ التدرج الذى أشار به القرآن في الأحكام قد يكون له دوره في قضية النهي عن تدوين الحديث واباحته٠

ولقد قال الباحثون ان احاديث الاباحة كانت قد اعقبت احاديث النهي فنسختها وسواء اكان النسخ حقيقة أم مجازا أم انه تدرج بالصحابة حتى يميزوا بين اساليب القرآن واساليب الحديث فإنهما مصدرهما واحد هو الله رب العالمين وما رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الا مُبَلِّغ عن الله وهو كما قال الله عنه في القرآن الكريم «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علّمه شديد القوى ذو مرَّة فاستوى» ودليلي على ذلك إذا صح عن أبي موسى الاشعرى انهم أتوا يقرؤون سورة الرعد على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في طول سورة براءة وانها نسبت الى آية منها: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب، ويتوب الله على من تاب» وفي الحديث عن ابن عباس وانس بن مالك رضي الله عنهم ان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان ولن يملأ عيناه إلا التراب ويتوب الله على من تاب»٠

وقد ذكر العلماء عوامل الاختلاف بين أسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، اذ استثنينا الاشارة الى أن القرآن تصحبه عند النزول حالة يعرفها الصحابة ويعرفها رسول الله قبلهم وهو الذي يأمرهم بكتابة القرآن النازل كما انه يخبرهم بالحديث الوارد، فلا يمكن إذاً أن يختلط القرآن بالسنة وعلى أى حال فالقول بفكرة النسخ في موضوع الامر بتدوين الحديث قد يقبله العقل، ولكنه غير مقبول في المبادرات الشخصية التي قام بها جل الصحابة٠٠ ولعل استعراضنا آثار الكتابة الشخصية يزيد الباحث اقتناعا في موضوع وجوب التمييز بين كتابة الحديث الفردية وتدوينه تدوينا رسميا ٠٠ وهي آثار كثيرة وحافلة لانها دليل عليّ النشاط العلمي كما وصفها بذلك محمد حجاج

الخطيب في كتابة الفصل الرابع قبل التدوين حيث آراء المفكرين في كتابة الحديث في عهده [صلى الله عليه وسلم] :

«ليس هناك ما يمنع من افتراض كون الصحابة والتابعين قد أرادوا المحافظة على أقوال الرسول {صلى الله عليه وسلم} وما روي عنه ، فقاموا بتدوينها -يقصد كتابتها -خوفا عليها من الضياع ، وهل كان يجوز أن تترك أقوال الرسول [صلى الله عليه وسلم] لمصادفات الحفظ في الصدور في مجتمع كانت الاقوال المأثورة للبشر العاديين تحفظ بالتدوين - يقصد الكتابة الفردية.

او كما قال الدكتور ناصر الدين الاسد: «ولكننا سنورد من الاخبار ما يدحض الزعم الشائع ان الحديث ظل اكثر من مائة سنة يتناقله العلماء حفظا دون أن يكتب، وسنُبين ان الحديث قد دُون - يقصد كُتب - على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وواصل الصحابة والتابعون تدوينه بعد ذلك وان الحفظ والرواية الشفهية قد سارتا جنبا الى جنب مع الكتابة والتدوين لا يفصل بينهما فاصل من الزمن ولا ينبغي من وجود احداهما وجود الاخرى».

وان الناظر الى المجموعة من الادلة الآتية والتي تدل على كتابة الحديث في عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفي عهد الصحابة قبل الموعد الرسمي للتدوين في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وقبيله او بعده - لعله يتبين من الكراسات والدفاتر والاجزاء والصحف ان الحديث كان قد كتب وحفظ في انتظار أن يبدأ عصر الجمع والتدوين والتقييد كما هي الحال في الشعر العربي وقواعد اللغة العربية وغيرهما .. واكون قد صادفت الجواب إذا فرقت بين الكتابة الفردية والتدوين الرسمي فهذا فؤاد سيزكاين ايضا يشاركني في هذا التمييز ويؤيد حجتي في هذا المذهب، فقد قسم الموضوع الى ثلاث مراحل: مرحلة كتابة الحديث ومرحلة التدوين ومرحلة التصنيف.

قال عن المرحلة الأولى: «وقد سجلت الاحاديث في هذه المرحلة في كراريس صغيرة، اطلق على الواحد منها اسم «الصحيفة» أو الجزء وتمت هذه المرحلة في عصر الصحابة واوائل التابعين».

وقال عن مرحلة التدوين الرسمي للحديث «وفي هذه المرحلة ضمت التسجيلات المتفرقة، وتم هذا في الربع الاخير من القرن الاول والربع الاول من القرن الثاني».

وقال عن مرحلة التصنيف: «وقد رتبت الاحاديث في هذه المرحلة وفق مضمونها في فصول أو ابواب وبدأ هذا مع الربع الثاني من القرن الثاني».

وقال الدكتور ناصر الدين الاسد: في معرض كلامه عن كتابة الحديث والتفسير والسير والمغازي: «وقد دلت - بما لا يقبل الشك ان التدوين يقصد الكتابة لموضوعات في كتب مهما يكن حجمها - قد بدأ في عهد مبكر جدا منذ عهد رسول الله والصحابة وأن هذه الموضوعات لم تنقل بالرواية الشفهية قرنا أو يزيد حتى دونت كما ذهب اليه الكثيرون».

ويتبين لنا من الامثلة التالية أن الكتابة كانت على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وليس ذلك غريبا في مجتمع يكتب القصائد الشعرية الناجحة بماء الذهب ويعلقها على استار الكعبة، فكيف به لا يحفظ حديث رسول الله كتابة ليقتصر على الحفظ، والنهي من طرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد يكون خاصا بصاحبه أو محدودا بفترة قصيرة وهذا النهي اذا ثبت عمومه فيعني التدوين الرسمي كما اسلفت ولا يعني الكتابة الخاصة حتى وإن بلغت احمال الإبل كما ثبت عن ابن عباس الذى ذكر عنه موسى بن عقبة ذلك فقال: «وضع عندنا كريب حمل بعير من كتب ابن عباس فكان اذا اراد الكتاب، كتب اليه ان ابعث إليَّ بصحيفة كذا كذا، فينسخها ويبعث بها».

وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: «كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اريد حفظه فنهتني

قريش، وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} بشر يتكلم في الغضب والرضا، فامسك عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ باصبعه الي فيه وقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق». كما روى ذلك الامام احمد وابو داود من طريق يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وهذه شهادة اخرى يشهد ابو هريرة فيها لعبد الله بن عمرو انه كان يكتب الحديث قال: أبو هريرة: ما من اصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم} أحد اكثر حديثا عنه مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا اكتب» قال ابن حجر تابعه معمر عن همام عن ابي هريرة ولعل ابا هريرة كان يعتمد على الحفظ أو الوعي كما سماه وكما روى هذا مجاهد والمغيرة، ابن حكيم من طريق عمرو بن شعيب قالا: سمعنا ابا هريرة يقول: «ما كان احد اعلم بحديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب بيده ويعي بقلبه، وكنت اعي ولا اكتب، استأذن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الكتابة عنه فاذن له». قال ابن حجر في الفتح اسناده حسن وله طرق أخرى وذكر الرواية التي سبقت.

أبو هريرة شخصية حقيقية:

ولنقف قليلا في هذا الحديث عند قول ابي هريرة، وكنت اعي ولا اكتب فهل معناه ان كتب الحديث وصحائفه لم تكن عنده وهو من الرجال المكثرين كثرة جعلت بعض المتأخرين عنه بل وعلى مدار الزمن يتساءل عما اذا كان ابو هريرة شخصية حقيقية ام انها اسم مستعار لجماعة، وقد وضع السؤال أبو رياء ولكن النقاد لاحقوه واثبتوا ان ابا هريرة شخصية حقيقية فتم بهذا التحقيق وارد ميلاد جديد وبعث آخر لهذا الصحابي الجليل الذي وقف حياته على الحديث وصحبة رسول الله لا تلهيه تجارة ولا بيع عن العلم. ولنا أن نتساءل عما اذا كان أبو هريرة اميا لا يكتب وهل يستطيع أن يستوعب الآلاف من الاحاديث التي رواها تلامذته ورواها عنه تلاميذه؟ وإلا فمن كتب له مكتوباته التي اخبرنا بها احد ابناء عمرو بن أمية الضميرى حين قال: «تحدثت عند ابي هريرة بحديث فقلت: اني قد سمعته منك، فقال إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي فأخذ بيدي الى بيته فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فوجد ذلك الحديث، وكتب عبد العزيز بن مروان الى اكثر بن مرة الحضرمي - وكان من اصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} - ان يكتب بما سمع من اصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من احاديثهم الا حديث أبي هريرة فقد ذكر انه عنده.

وإذا كان ابو هريرة أميا لا يعرف الكتابة افلا يمكن أن يحظى بمكتوبات للاحاديث يكتبها له تلاميذه ورواته أو يكتب له النساخ الذين كانوا طبقة في ذلك المجتمع لا يستهان بها فقد استعيض بهم عن آلات الطبع التي لم تكن بعد موجودة.. ولعل الصواب في الاحتمال الأول ذلك أن تلاميذه لا يبعد أن يكتبوا له ما يريد فهذا بشير بن نهيك يقول «أتيت أبا هريرة بكتابي الذي كتبته فقرأته عليه، فقلت هذا سمعته منك؟ قال نعم» وما لنا وقد وقفنا عند ابي هريرة كأن الكتابة مقصورة عليه وهي الواسعة الانتشار في عهد التلقي الحق فلنتجاوزه إلى صحابي آخر كانت له صحيفة كتب فيها احاديث سمعها من ابي هريرة وسماها الصحيفة الصحيحة، وكان قد كتبها على الراجح في حياة ابي هريرة قبل سنة ٣٨ هجرية. هذا الصحابي هو همام بن منبه، وقد نقل احمد بن حنبل هذه الصحيفة كاملة مسندة كما نقل البخاري عددا كبيرا من أحاديثها في ابواب شتى.

ومالنا وقد سافرنا الى بيوتات الصحابة نتصفح مكتوباتهم ونلتمس مقروآتهم ونتوسل بتلاميذهم عساهم يكشفون لنا النقاب عما كتبه المعلمون



الصحابة وما جمعته صحف هؤلاء الصحابة المعلمين؟ ليس من قبيل الحق والصواب أن نتساءل عن الامر في اوله؟ ومن يكون رأس هذا الامر غير رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

أحاديث الاباحة أكثر وأقوى:

روى أبو هريرة انه لما فتح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكة قام الرسول {صلى الله عليه وسلم} وخطب في الناس، فقام رجل من اهل اليمن يقال له ابو شاه فقال يارسول الله اكتبوا لي فقال [اكتبوا له] قال ابو عبد الرحمن ليس يروى في كتابة الحديث شيء اصح من هذا الحديث لان النبي {صلى الله عليه وسلم} امرهم قال «اكتبوا لابي شاه» وقد يقول قائل وهذا والامر بالاباحة، قد جاء متأخرا حتى علم النبي {صلى الله عليه وسلم} ان اسلوب القرآن تميز عن اسلوب الحديث عند الصحابة ورأيي في هذا الامر انه لم يكن متأخرا ولا كُلّ الاوامر قبله لان احاديث الاحكام والعقوبات واحكام الديات والعقل وفكاك الاسير وغير ذلك كانت مكتوبة واسوق لهذا دليلا من ادلة تترى .. يروي البخاري عن ابي الشعبي عن ابي جحيفة قال (قلت لعلي هل عندكم كتاب؟ قال: لا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة قال قلت فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الاسير، ولا يقتل مسلم بكافر».

وعلى هذا يكون التدوين الرسمي لم يتم في سائر الاحكام كما انه لم يتناول جميع وجوه التنظيم ويبقى ان الحق ما قلته فمثل هذه الصحف كانت بادرة شخصية وهي كما تكون لصحابي من عامة الصحابة كذلك قد تكون من صحابي خليفة مسؤول كما هو الحال في الامام علي رضي الله عنه، ولعلي لا أذيع سرا اذا ما قلت اننا في حاجة الى العودة من جديد الى الحديث ليس من اجل البحث عن مشاكل الإسناد وقضايا المتون وقد فرغ منها الاقدمون السابقون ولكن لتكن هذه العودة من اجل دراسة هذه الاحاديث في تدريجها ونمائها في عهد نبي الله وصحابة العصور التي جاءت بعد ذلك فنعرف بالضبط اسباب قول الحديث مثلا وما لمتقدم وما لمتأخر مع تبويب جديد لها يضيف الى اعمال السابقين اضافات جديدة تمكن الحديث من التلاؤم مع عصر السرعة وسرعة العصر، بل تمكننا من معرفة ان اصول شريعتنا تملك افاقا رحبة تستطيع أن تحتوى كل التدوين والتصنيف بعيدا عن توجيه الكبار، اولئك الذين وجهوا التدوين وقننوا التبويب ليخدم مصالح خاصة لاناس خصوصيين وطبقة خصوصية وهي سمة تكاد تطبع الفقه ايضا من حيث التبويب والمنهجية واختيار الموضوع «ان المراجعة العلمية البناءة لابد وان تكون لنحاكم شجاعة اسلافنا وبخلنا امام كرم اولئك:

محمد بشر لا كالبشر:

وحتى لا اطيل لابد وأن نتأكد من أن كتابة الحديث كانت في عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولكن الدولة بقيادة الرسول {صلى الله عليه وسلم} تبنتها لما تبنّت كتاب الله تعالى لان النبي {صلى الله عليه وسلم} كان حريصا على أن يميز الصحابة بينه باعتباره عبدا رسولا أو بشرا اصطفاه الله برسالة الاسلام وقد وجه القرآن الصحابة هذا التوجيه الذى يجعلهم يرتبطون بالله وحده في كثير من الآيات منها {قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}. وقوله تعالى: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين}.

وهذا لا يعني اعتبار الرسول {صلى الله عليه وسلم} رجلا مبلغا وكفى ولكنه فوق هذا وذاك نبي الرحمن اصطفاه الله من اصلاب طاهرة وارحام طاهرة واسرى به وعرج به الى السموات العلى واطلع على الغيب كالجنة والنار ومصير العصاة الضالين والمنحرفين والجاحدين فهو اذن بشر ولكنه

بشر لا كالبشر انه بوحي الله يطوي مراحل الازمان والاماكن ليصل حقبة تبدو فيها اختلافات امته وامراض قلوبها فعرف بالداء ووصف الدواء ولعل من الاحاديث التي لا تخص زمانه {صلى الله عليه وسلم} قوله: لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار) ولقد وصلت اللحظة التي انطبق عليها الحديث لحظة الفتنة والانقسامات وكان أن وجدت فرق تبحث في الحديث عما يؤيد موقفها كما راحت الى القرآن فوجدته مضبوط السور والرسم والقراءة بالسند المتواتر.. فلم تستطع شيئا غير وضع تأويل إن لم يكن بها شطط أو غلو ففيها الضلال والزندقة المارقة وكان من وراء ذلك اعداء الله الذين حاولوا زمن الرسول {صلى الله عليه وسلم} فلم يفلحوا لان الوحي كان يفضح ألاعيبهم وحيلهم فتسلم الامة من الوقوع فيها، وقد كان رسول الله عليما بذلك اذ جنب الصحابة ركوب المزالق ولعل من ذلك ان يوضع كتاب رسمي الى جانب كتاب الله مدونا تتبناه دولة الرسول {صلى الله عليه وسلم} كما تبنت القرآن فتحا لباب البحث وتتميما لسنة الاقتداء به وبالصحابة الذين جعلهم قدوة للناس بعده اذ قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضُّوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وزاد الترمذي في روايته: وكل ضلالة في النار). وما كان الصحابة يأتون بشيء لا يقره شرع الله أو ليس في سنة الرسول {صلى الله عليه وسلم}.

وعلينا أن نفهم من الصحابة ما تلقوه من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في مدرسة الوحي ونغترف من معين اجتهاداتهم في الاحكام لانهم الفقهاء العلماء الاتقياء. ولا يفوتني وانا أتحدث عن النشاط العلمي الكتابي والشفهي أن اشير إلى دور المرأة في هذا الباب فهذه عائشة رضي الله عنها روي عنها أنها كانت واعية حافظة حتى قالت عن نفسها: «حفظت للبيد الف بيت من الشعر وهذا اقل ما احفظه لغيره» ولقد كانت تسأل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن كل شاردة وواردة، وكانت النساء يتلقين عنها فتاوى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الاحكام التي لم يستطعن فيها مسألة رسول الله استحياء منه {صلى الله عليه وسلم} حتى قال بعضهم مؤكدا ما ذهبت اليه.. خذوا نصف دينكم عن هذه الحُمَيْراء - يقصد عائشة - ولعل مما تجدر الاشارة اليه في هذا الباب حديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الذي رواه البخاري بسنده الى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال (لما اشتد بالنبي {صلى الله عليه وسلم} وجعه - (يعني مرض وفاته {صلى الله عليه وسلم}) قال: اتاتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، قال عمر أن النبي {صلى الله عليه وسلم} غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا، وكثر اللغط. قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: «ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله {صلى الله عليه وسلم}».

ولا يهمني هنا اكان قول الناس هذا ساعة الواقعة ام بعدها كما ذكر وجوه الاختلاف صاحب الفتح ولكن الذي يهمني ان فكرة التدوين الرسمي للحديث كانت على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعاشت مع الخلفاء الراشدين قبل زمنها المعهود.

اما الكتابة الخاصة فلم تنقطع ابدا منذ بدء التلقي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام الى أن يرث الله الارض ومن عليها.. وقد يعترض معترض في الكتاب الذي امر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صحابته ان يأتوه به ليكتب لهم فيه امرا لن يضلوا به بعده، ألم يكن تلخيصا لسنة او تتميما لها، اما القرآن فقد دلت أواخر آياته انه قد اتم وقد يكون كتابة وصيته {صلى الله عليه وسلم} للخليفة الذي بعده فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما بسندهما الى عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في مرضه (أدع لي اباك واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف أن



يتمنى متمن ويقول قائل انا اولى ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر»، وقد يكون كذلك ولكنه على كل حال كتابة وتدوين لحديثه {صلى الله عليه وسلم} سواء أكان حكما أم وصية.. وانا اتكلم عن كتابة السنة المطهرة وتدوينها لابد وأن اشير الى انها خارج بشرية الرسول {صلى الله عليه وسلم} اعني الاحكام والعبادات والمعاملات.. ليست كما يزعم بعض المغرضين من ان صدورها عن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان باعتباره اماما للمسلمين، وبقدر ما تمليه مصلحتهم فهو اجتهاد منه يتغير تبعا للمصلحة ولو كانت كذلك، ما قال الله سبحانه وتعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبْيَاناً لكل شيء وهدى ورحمة)

ولقد اورد ابن القيم في بيان وجوب السنة فوائد ثلاثا:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الادلة وتضافرها.

والثاني: ان تكون بيانا لما اريد بالقرآن وتفسيرا له.

والثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن ايجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه.

واذا كان الامر كما بينت والحال كما سلفت فمن عجب الا يكتب الصحابة لانفسهم أو يكتبوه للناس، ومن عجب كذلك الا تدون السنة تدوينا رسميا قبل عصر التصنيف بل قبل أمر عمر بن عبد العزيز رحمه الله فمن عجب الا يكون لكل خليفة صحيفة يرجع اليها في الاحكام كما يرجع الى الصحابة يستشيرهم في فتوى النازلة ويضيف حينئذ هذه الفتوى بناء على قول رسول الله أو فعله أو تقريره بعد أن يتأكد من ذلك وقد يستحلف صاحبها بالله.. وقد ذكرت آنفا أن ابا بكر انفذ السدس في الارث للجدة برواية المغيرة، وشهادة محمد بن مسلمة بمثل ذلك.

روى مسلم عن المسور بن مخرمة قال: استشار عمر بن الخطاب الناس في المرأة - أى جنين المرأة - فقال المغيرة بن شعبة: شهدت النبي {صلى الله عليه وسلم} قضى فيه بغرة (اي جسم والاصل فيها بياض في جبهة الفرس) عبدا وأمة قال: فقال عمر ائتني بمن يشهد معك، قال فشهد له محمد بن مسلمة وهذا علي بن ابي طالب يروي عنه الامام احمد صاحب السنن أو جامع السنن عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب قال: كنت اذا سمعت من رسول الله حديثا نفعني الله بما شاء ان ينفعني منه واذا حدثني عنه احد (استحلفته فإذا حلف لي صدقته، وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: ما من مسلم يذنب ذنبا فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا وغفر له).

وهذا عثمان رضي الله عنه قبل علي في الخلافة قال بشر بن سعيد: «اتى عثمان المقاعد فدعا بوضوء فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه ثلاثا، ثم مسح برأسه ورجليه ثلاثا ثم قال: رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هكذا يتوضأ، يا هؤلاء اكذلك قالوا: نعم لنفر من اصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عنده).

وهكذا سار الاهتمام بالسنة في جانب الكتابة الشخصية والتدوين الرسمي ولكنه تدوين لا يلزم الناس، بل يفتح لهم آفاقاً من العدل والمحبة والسلام فان الصحابة كما كان التابعون لهم باحسان من العلماء يخشون ان يكون مصنفاتهم في السنة ملزمة للدولة ولو فعلوا لضاق امر التشريع ولكنها هداية من الله أن بقيت السنة محفوظة في الكتب وبالعمل ولعل الخوف من الالزام هو الذي رفع هؤلاء الربانيين الى عدم التأليف، ولو فعلوا كذلك لجنبونا هذا الارتباك الحاصل من تعدد الفتاوى واختلاف وجهات النظر وقد احسنت الامة صنعا حين اختاروا من المذاهب اربعة بالاضافة الى المذهب الجعفرى عند الشيعة ولو لم يفعلوا لبقينا عرضة للانقسامات الخطيرة التي يكون شدها أقبح، ولعل خير المذاهب يكمن في توحيد المسلمين ولعل القول بعدم المذهبية الذي بدأنا

نسمع به ممن يدعون الاجتهاد بغير صفاته الحقيقية سيوقع الامة في جحيم الانقسام والغلو والتمزق.

أسماء الصحف وأسماء أصحابها:

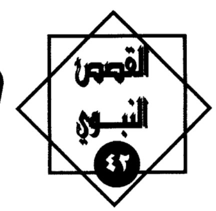
هذا ولا يفوتني أن اذكر اسماء الصحف مع اسماء اصحابها من الصحابة، ذكرها الاستاذ فؤاد سزكين منها الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص الذى وصف نفسه بانه مؤلف اشهر صحيفة دونت في الحديث. وصحيفة سمرة بن جندب وكانت ما تزال موجودة حتى القرن الثالث الهجري وما رواه سليمان بن قيس الشكري لصحيفة مشهورة ايضا تنسب الى جار بن عبد الله بن عمرو الخزرجي الانصارى، وكذا ما رواه ابو سلمة نبيط بن شريط الاشجعي الكوفي عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورواه عنه ولده سلمة الذي قيل عنه، وهو احد الرواة الثقات».

وما رواه الاشج حامل راية علي بن أبي طالب في صحيفته وصحيفة خراش عن أنس بن مالك وصحيفة همام بن منبه وأحاديث ابي الزبير جمعها ابو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر الأصفهاني، وحديث ابي عدي الهمداني الكوني، وحديث ابي العشراء الدرامي اسامة بن مالك بن قهطم، وحديث زيد بن ابي انيسة واحاديث ايوب بن ابي تميمة كيسان السختياني وما رواه ابو عبيد الله يونس بن عبيد بن دينار العبدى.. وقد جمع احاديثه في زمن متأخر ابو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد الاصفهاني) وهشام بن عروة بن الزبير وحميد بن ابي حميد الطويل البصرى، وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ذلك هم اشهر الرواة واشهر الصحف في عصرى الخلافة الراشدة وبني امية قبيل التدوين ونظرا لكثرة هذه الصحف اكتفيت بما ذكرناه راجين من الله التوفيق والسداد.

هذا ولما انتشر الاسلام، واتسعت البلاد وتفرقت الصحابة في الاقطار ومات كثير منهم وشاع الابتداع دعت الحاجة الى جمع هذه الصحف وتدوينها في مؤلفات ولما افضت الخلافة الى الامام العادل عمر بن عبد العزيز كتب الى ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عامله وقاضيه على المدينة ان (انظر ما كان من حديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء «واوصاه ان يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الانصارية الفقيهة المحدثة والقاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق وكتب الى عماله في المدن الهامة والى ابن شهاب الزهرى الذي كان كتابه أول كتاب في هذا الباب ثم توالى التدوين في الطبقة التي تلت طبقة الزهري فكان ما جمعه ابن جريج وابن اسحاق ومالك والاوزاعي والثوري وحماد بن سلمة بن دينار ثم تأليف الربيع بن صبيح وسعيد بن ابى عروبة وهشيم بن بشير وقد قال اهل الحديث ان الربيع بن صبيح وسعيد بن ابي عروبة هما اول من جمع الحديث، ثم جرير بن عبد الحميد وابن المبارك وهؤلاء كانوا بالقرن الثاني.

الخاتمة:

طالت رحلتنا، فان الالتزامات والاعباء لم تسمح لنا بالمزيد من التجوال بين حنايا التدوين وعقول اولئك الافذاذ، ولعلي سأعود الى هذا البحث مرة اخرى فانظر حين ذاك الماضي بعين الحاضر دون ان ينسى الحاضر اصالة الماضي التي هي الشخصية الحق قبل أن يصيبها مسخ الاعراض عن ذكر الله وعن الصلاة الذى اصاب الشخصيات التي تدعي لنفسها الثقافة.. وأن الحديث ما يزال يحتاج الى بحوث ودراسات يقوم بها المختصون والى المجامع العلمية فتساهم في تدبيرها الدول «الاسلامية» حفظا لهذا التراث العظيم وعملا على تنميته وأن مؤسسة دار الحديث لهي احدى المؤسسات الرائدة في المغرب والتي تتحمل النصيب الاكبر في هذه الرسالة.



صفة أزواج أهل الجن



يحدثنا القصص النبوي عن أزواج أهل الجنة من نساء الدنيا ومن الحور العين، وعن المادة التي خلق الله منها الحور العين، وعن زوجات أهل الجنة وعن صفتهن وجمالهن وأنهن جميعا من الأبكار، وأنهن يتحببن إلى أزواجهن، وهن طيبات الريح، لو اطلعت امرأة من نساء الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا، ولأضاءت ما بينهـمـا، وأن مخ سـاقـهـا يرى من وراء اللحم والدم والعظم، ويرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة وهن كما وصفهن الله تعالى: {كأنهن الياقوت والمرجان} وقوله {ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون} وغير ذلك على ما سيأتى بيانه وتفصيله:

والزوج يطلق على الرجل والمرأة، فـالرجل زوج والمرأة زوج ، ومن العرب من يطلق على المرأة زوجة، وهذا الزواج يكون بين الرجال والنساء والحور العين، ويحدث في الجنة النكاح والجمـاع وغيـر ذلك مما يتناسب مع مقام الجنة والخلود فيها. يقول ابن القيم عن أزواج أهل الجنة[١]: (والمطهـرة من طهـرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نسـاء الدنيـا، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ. قال عبد الله بن المبارك حدثنا شعبة عن قتادة عن أبى نظرة عن أبي سعيد عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (لهم فيـهـا أزواج مطهـرة) قال من الحيض والغائط والنخامة والبصاق). وقال عبد الرحمن بن زيد المطهرة التى لا تحيض، وأزواج الدنيا لسن بمطهـرات، ألا تراهن يدمين ويتـركن الصـلاة والصيام؟ قال وكذلك خلقت حواء حتى عصت، فلما عصت قال الله: إنى خلقتك وسأدميك كما دميت هذه الشجرة).

وسميت الحوراء بذلك، لأنها امرأة شابة حسناء جميلة بيضاء شديدة سواد العين. قال مجاهد: الحوراء التى يحار فيها الطرف، من رقة الجلد، وصفاء اللون. وقال الحسن الحوراء شديدة بياض العين، شديدة سواد العين.

ومعنى العين: جمع عيناء، وهى العظيمة العين من النسـاء، ورجل أعين إذا كـان ضـخـم العين، وامـرأة عـيناء، والجمع عين. قـال مقـاتل:[٢] العين حسـان الأعين، ومن محـاسن المرأة اتسـاع عـينهـا فـي طول، وضيق العين من العيوب، وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع: فمها، وخرق أذنها وأنفها، وما هنالك، ويستحب السعة منها في أربعة مواضع: وجـهـهـا، وصدرها، وكاهلها - وهو ما بين كتفيها - وجبهتها. ويستحسن البياض منها في أربعة مواضع: لونها، وفرقها، وثغرها وبياض عينها، ويستحب السواد منها في أربعة مواضع: عينها، وحاجبها، وهدبها، وشعرها. ويستحب القصر منها في أربعة مواضع، وهى معنوية: لسانها، ويدها، ورجلها، وعينها، فتكون قاصرة الطرف، قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بذله، وتستحب الرقة منها في أربعة: خصرها، وفرقها، وحاجبها، وأنفها.

وجـاء في وصف نسـاء الجنة قـوله تعـالى: {لم يطمـثـهن إنس قبلهم ولا جان} لم يطأهن ولم يغشـهن ولم يجـامـعـهن، وقـال بعض المفـسـرين: هن اللواتى

ة من النساء والحــور العين

انشئن في الجنة من حورها. وقال بعضهم يعنى نساء الدنيا انشئن خلقا آخر أبكارا كما وصفهن. وقال الشعبي: نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقا. وقال مقاتل: لأنهن خلقن في الجنة. وقال عطاء عن ابن عباس: هن الآدميات اللاتى متن أبكارا. وقال الكلبي: لم يجامعهن في هذا الخلق الذى انشئن فيه إنس ولا جان.

قال ابن القيم: ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا، وإنما هن من الحور العين وأما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنس، ونساء الجن فقد طمثهن الجنّة، والآية تدل على ذلك.

وقال الإمام أحمد - فيما نقله ابن القيم: والحور العين لا يمتن عند النفخة للصور، لأنهن خلقن للبقاء.

أما نساء الدنيا فيرى بعض المفسرين أنهن المعنيات بقوله تعالى: {إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عُرُباً أترابا لأصحاب اليمين} لعودة الضمير إلى النساء، وفي قوله تعالى: {وفرش مرفوعة} كناية عن النساء، قال ابن عباس: يريد نساء الآدميات، وقال الكلبي ومقاتل: يعنى نساء أهل الدنيا، العجز الشمط، يقول - تعالى - خلقناهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول في الدنيا، ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع: (هن عجائزكم العمش الرمص).

وعن عائشة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أتته عجوز من الأنصار فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله {صلى الله عليه وسلم}: إن الجنة لا يدخلها عجوز فذهب نبي الله {صلى الله عليه وسلم} فصلى، ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدّة، فقال {صلى الله عليه وسلم} إن ذلك كذلك إن الله - تعالى - إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا) وعن الحسن قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (لا يدخل الجنة العجز، فبكت عجوز، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز، إنها يومئذ شابة، إن الله - عز وجل - يقول: {إنا أنشأناهن إنشاء}.

وفي رواية عن أم سلمة[٣] - رضي الله عنها - قالت: قلت يارسول الله أخبرني عن قوله، عز وجل، (عربا أترابا) قال: هن اللواتى قبضن في دار الدنيا عجائز رمصا شمطا، خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا، متعشقات متحببات أترابا على ميلاد واحد قلت يارسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: بل نساء الدنيا أفضل من الحور كفضل الظهارة على البطانة، قلت يارسول الله وبم ذلك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله - تعالى - ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلى، مجامرهن الدر، وأمشاطهن الذهب، يقلن نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا، طوبى لمن كن له وكان لنا).

ويتحدث القصص النبوي عن أصل المادة التي خلق منها الحور العين وعن صفاتهن، فعن أنس بن مالك عن النبي[٤] {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (الحور العين خلقن من الزعفران) وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: (إن لوليّ الله في الجنة عروسا لم يلدها آدم ولا حواء، ولكن خلقت من زعفران) قال ابن القيم هذا الحديث مروي عن صحابيين وهما ابن عباس وأنس، وعن تابعين وهما أبو سلمة ومجاهد وبكل حال فهي من المنشآت في الجنة، ليست مولودات بين الآباء والأمهات والله أعلم.

وحدث أبو منصور الآبار عن أنس يرفعه: (لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها، وخلق الحور العين من الزعفران) وفي رواية (الحور العين خلقن من تسبيح الملائكة).

وفى قصة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (يسطع نور في الجنة فرفعوا رءوسهم، فإذا هو ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها)، وعن الوليد بن عبدة قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لجبريل قف بى على الحور العين، فأوقفه عليهن، فقال: من أنتن؟ فقلن نحن حوارى

قوم كرام حلوا فلم يظعنوا، وشبوا فلم يهرموا، ونقوا فلم يدرنوا) وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - (كنا جلوسا مع كعب يوما فقال: لو أن يدا من الحور دليت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، ثم قال: إنما قلت يدها، فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه - قاتلك الله - فإنما هو عندك (خيل يوشك أن يفارقك إلينا) وفي مراسيل عكرمة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن الحور العين لأكثر عددا منكن، يدعون لأزواجهن يقلن: اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين)، وعن ابن مسعود قال: (إن في الجنة حوراء يقال لها: اللعبة، كل حور الجنان يعجبن بها، يضربن بأيديهن على كتفها، ويقلن طوبى لك يا لعبة، ولو يعلم الطالبون لك لوجدوا، بين عينيها مكتوب[٥] من كان يبتغي أن يكون له مثلي فليعمل برضاء ربي) وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار: (يا أبا يحيى شوقنا، قال: يا عطاء إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله - تعالى - كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها، فلم يزل عطاء كمدا من قول مالك).

وجاء في التذكرة[٦] في أصل المادة التى خلق منها الحور ما رواه الترمذي أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سئل عن الحور العين من أى شيء خُلقن؟ فقال: (من ثلاثة أشياء: أسفلهن من المسك، وأوسطهن من العنبر، وأعلاهن من الكافور، وشعورهن وحواجبهن سواد خط من نور) وروي عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: (سألت جبريل عليه السلام فقلت: أخبرني كيف يخلق الله الحور العين؟ فقال لي: يا محمد، يخلقهن الله من قضبان العنبر والزعفران، مضروبات عليهن الخيام، أول ما يخلق الله منهن نهدا من مسك أذفر أبيض، عليه يلتام البدن).

وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: (خلق الله الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران، ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأزفر، ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض، عليها سبعون ألف حلة مثل شقائق النعمان، إذا أقبلت يتلألأ وجهها نورا ساطعا كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا، وإذا أقبلت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها، وفي رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر، ولكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهى تنادى: هذا ثواب الأولياء، جزاء بما كانوا يعملون). قال ابن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول: (ينشأ خلق الحور العين إنشاء، فإذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام).

وجاء في القصص النبوي عن عدد زوجات الرجل في الجنة من الحور العين، عن عبد الله بن أبى أوفى[٧] - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «إن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء، وأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف ثيب، يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا» وعن جمال الحور العين ومعاملتهن وتحببهن وتسابقهن إلى مرضاته، يروي أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: حدثنى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (حدثني جبريل - عليه السلام - قال: يدخل الرجل على الحوراء، فتستقبله بالمعانقة والمصافحة، قال رسول الله : فبأى بنان تعاطيه، لو أن بعض بنانها بدا لغلب ضوؤه ضوء الشمس والقمر، ولو أن طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها.

ومن قصة طويلة عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة قال: حدثنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو في طائفة من أصحابه - فذكر حديث الصور بطوله إلى أن قال: (فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (والذى بعثنى بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل رجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة، على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ، عليه سبعون زوجا من سندس واستبرق.

وفي قصة عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن أدنى أهل الجنة منزلة إن له لسبع درجات، وهو على السادسة وفوقه السابعة - وإن له لثلاثمائة خادم ويغدى عليه كل يوم ويراح بثلاثمائة صحفة - ولا أعلمه إلا قال: من ذهب - في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، ومن الأشربة ثلاثمائة إناء، في كل إناء لون ليس في الآخر، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره. وإنه ليقول: يارب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندى شيء، وإن له من الحور

ـعين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، إن الواحدة منهن لتأخذ مقعدتها قدر ميل من لأرض).

وروى ابن عباس[٨] - رضي الله عنهما - عن لنبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (ألا أنبئكم برجالكم من أهل الدنيا في الجنة: النبي في الجنة، والصديق في لجنة، والشهيد في الجنة، والمولود مولود الإسلام في الجنة والرجل يكون في جانب المصر يزور أخاه لا يزوره إلا لله في الجنة، ألا أنبئكم بنسائكم من أهل الجنة: الولود الودود، التى إذا غضبت قالت: يدى في يدك لا أكتحل بغمض).

ونقل القرطبي[٩] عن ابن وهب عن مالك أن أسماء بنت أبى بكر الصديق - رضي الله عنهما - امرأة الزبير بن العوام، كانت تخرج عليه حتى عوتب في ذلك، قال: وغضب عليها وعلى ضرتها، فعقد شعر واحدة بالأخرى، ثم ضربهما ضربا شديدا، وكانت الضرة أحسن اتقاء، وكانت أسماء لا تتقى، فكان الضرب بها أكثر فشكت إلى أبيها أبى بكر، فقال لها: أى بنية اصبرى فإن الزبير رجل صالح، ولعله أن يكون زوجك في الجنة، ولقد بلغنى أن الرجل إذا ابتكر بالمرأة تزوجها في الجنة.

وجاء في القصص النبوى إن المناظرات تحدث في الجنة بين الحور العين ونساء الدنيا، ففى الترمذي عن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - {صلى الله عليه وسلم}[١٠]: (إن فى الجنة لمجتمعا للحور العين، يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، قال: يقلن نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له) قالت عائشة - رضي الله عنها - إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة، أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عائشة فغلبنهن.

وعن حبان ابن أبى جبلة قال: إن نساء الدنيا من دخل منهن الجنّة فضلن على العين بما عملن في الدنيا) وروى مرفوعا: (إن الآدميات أفضل من الحور لعين بسبعين ألف ضعف).

مهور الحور العين:

وجاء في القصص النبوى أن الأعمال الصالحة لتقرب إلى الله بها تكون وسيلة للزواج من الحور العين فإذا كان المسلم يدفع مهرا وصداقا عندما يتزوج في الدنيا، فإن الزوجات المطهرات في الآخرة يكن في نظير أعمال قدمها حال حياته مثل أن يدفع بنفسه للشهادة فى سبيل الله، واطعام الطعام، وطول التهجد وقيام الليل، وقراءة القرآن وختمه، وكنس المساجد وإزالة الأذى والقمامة منها وغير ذلك من الأعمال الصالحة. قال الله تعالى: (وبَشِّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رُزقْنا من قبل وأتُوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) وقال تعالى: (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) وقال سبحانه: (كذلك وزوجناهم بحور عين) وغير ذلك من النصوص.

ونقل القرطبي[١١] عن الترمذى الحكيم أبى عبد الله في نوادر الأصول، قال: حدثنا الخطاب قال حدثنا سهل بن حماد أبو عتاب، قال: حدثنا جرير بن أيوب البجلى قال: حدثنا الشعبى عن نافع بن بردة، عن أبى مسعود الغفارى: من الحور العين في خيمة من درة مجوفة مما نعت الله: (حور مقصورات في الخيام) على كل امرأة منهن سبعون حلة، ليس منها حلة على لون الأخرى، ويعطى سبعين لونا من الطيب، ليس منهن لون على ريح الآخر لكل امرأة منهن سبعون سريرا من ياقوته حمراء، موشحة بالدر والياقوت، على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش أريكة، لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها، وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب، فيها لون من الطعام تجد لآخر لقمة لذة لا تجد لأوله، ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر، عليه سواران من ذهب، موشح بياقوت أحمر، هذا بكل يوم صامه من شهر رمضان ، سوى ما عمل من الحسنات).

وجاء في القصص النبوي عن المقدام بن معدى كرب قال[١٢] قال رسول الله (للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه).

قال القرطبي: قلت وهذا ما يؤيد ما ذكرناه في حديث أبي هريرة، لكل واحد منهم زوجتان، أن ذلك من

نساء الدنيا. وقال يحيى بن معاذ: ترك الدنيا شديد، وفوت الجنة أشد، وترك الدنيا مهر الآخرة، ويقال: مهر الحور العين كنس المساجد، رفعه الثعلبي من حديث أنس، أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (كنس المساجد مهور الحور العين). وعن أبى قرصافة أيضا سمعت النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول: (اخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين). وعن أبى هريرة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز) وقال أبو هريرة: (يتزوج أحدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسوة).

وقال مالك بن دينار[١٣] كان لى أحزاب أقرؤها كل ليلة، فنمت ذات ليلة، فإذا أنا في المنام بجارية ذات حسن وجمال، وبيدها رقعة، فقالت: أتحسن أن تقرأ؟ فقلت: نعم، فدفعت إلى الرقعة، فإذا فيها مكتوب هذه الأبيات:

لهـاك النَّوْمُ عَنْ طلب الأمـاني
وعن تلك الأوانس في الجنـان
تعيشُ مُخلَّداً لا موت فيـهـا
وتلْهُو في الخيـام مع الحسـان
تنبـه من منامك إنَّ خيـرا
من النَّوم التَّهـجـدُ بالقُرآن

وقال مضر القاريء: غلبني النوم ليلة فنمت عن حزبي، فرأيت في منامي - فيما يرى النائم - جارية كأن وجهها القمر المستتم، ومعها رق فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قلت: نعم، فقالت اقرأ هذا الكتاب، ففتحته فإذا فيه مكتوب، فوالله ما ذكرته قط إلا ذهب عني النوم:

ألهتْكَ اللذائذ والأمـاني
عن الفـردوس والظلل الدواني
ولذة نومـة عن خيـر عيش
مع الخيـرات في غرف الجنان
تيـقظ من منامك إن خيـرا
من النوم التهـجـد بالقـرآن

ويروى عن ثابت أنه قال: كان أبى من القوامين لله في سواد الليل، قال: رأيت ذات ليلة في منامي امرأة لا تشبه النساء، فقلت لها: من أنت؟ فقالت: حوراء أمة الله، فقلت لها: زوجيني نفسك، فقالت اخطبني من عند ربي وأمهرني، فقلت: وما مهرك؟ فقالت: طول التهجد. وأنشدوا:

يا خـاطب الحـور في خدْرها
وطالبـا ذاك على قـدرها
انهض بجـد لا تكن وانيـا
وجـاهد النفس على صبـرها
وجـانب الناس وارفـضـهـم
وحـالف الوحـدة في ذكـرها
وقم إذا الليل بدا وجـهـه
وصم نهـارا فـهـو من مـهـرها

وروي عن يحى بن عيسى بن ضرار السعدى - وكان قد بكى شوقا إلى الله ستين عاما - قال: رأيت كأن ضفة نهر يجري بالمسك الأذفر، حافتاه شجر اللؤلؤ، ونبت من قضبان الذهب، فإذا بحوار مزينات يقلن بصوت واحد: سبحان المسبَّح بكل لسان، سبحان الموجود بكل مكان، سبحـان الدائم في كل زمـان، سبحانه سبحانه، قال: فقلت: من أنتن؟ قلن: خلق من خلق الله سبحانه، قلت: وما تصنعن هاهنا؟ فقلن:

يناجـون رب العـالمين لحـقـهـم
وتسري همـوم القـوم والناس نوَّمُ
ذرانا إله الناس رب محـمـد
لقـوم على الأقـدام بالليل قـوَّم

فقلت: بخ بخ، لهو من هؤلاء، لقد أقر الله أعينهم، فقلن: أما تعرفهم؟ فقلت: والله ما أعرفهم، قلن: هؤلاء المتهجدون بالليل أصحاب السهر.

المرأة المتزوجة بأكثر من واحد في الدنيا لمن تكون؟:

تكلم العلماء في المرأة التى تتزوج في الدنيا بأكثر من زوج، فإذا اجتمعوا في الجنة فلمن تكون المرأة، فبعض العلماء يقول تكون للرجل الأول الذى ابتكرها، وبعضهم يقول تكون لآخر رجل، وبعضهم يقول تكون لأحسنهم خلقا.

وقد جاء في القصص النبوي ما يشير إلى هذه الأقوال، وربما يكون القول بأن تكون لأحسنهم خلقا هو الأقوى لأن ذلك ورد في رواية عن أم سلمة وفي رواية أخرى عن أم حبيبة، ورواية أم سلمه رواها الحافظ أبو محمد المنذري في الترغيب والترهيب كما أن ابن القيم عرضها في كتابه حادى الأرواح. ورواية أم حبيبة ذكرها القرطبي في التذكرة. وسنذكر كل ما جاء في القصص النبوى مما تحدث به العلماء.

وقد سبق أن عرضنا رواية أن الزوجة إذا صبرت على زوجها وتحملت منه ما يجعل العشرة متصلة فإنها تكون لزوجها في الجنة. نقل ابن وهب عن مالك أن

أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضى الله عنهما - امرأة الزبير بن العوام، كانت تخرج عليه حتى عوتب في ذلك قال: وغضب عليها وعلى ضرتها، فعقد شعر واحدة بالأخرى، ثم ضربهما ضربا شديدا، وكانت الضرة أحسن اتقاء، وكانت أسماء لا تتقى، فكان الضرب بها أكثر، فشكت إلى أبيها أبي بكر فقال لها: أي بنية اصبري، فإن الزبير رجل صالح. ولعله أن يكون زوجك في الجنة.

قال: ولقد بلغني أن الرجل إذا ابتكر بالمرأة تزوجها في الجنة. قال أبو بكر بن العربي: هذا حديث غريب ذكره في أحكام القرآن له. قال حذيفة لامرأته، إن سرك أن تكونى زوجتي في الجنة، إن جمعنا الله فيها، لا تتزوجى من بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها في الدنيا.

وخطب معاوية بن أبي سفيان أم الدرداء فأبت وقالت: سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (المرأة لآخر أزواجها في الجنة وقال لي: إن أردت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي من بعدي).

ونقل المنذري في الترغيب والترهيب ما رواه الطبراني في الكبير والأوسط. ونقله أيضا ابن قيم الجوزية عن الطبراني عن أم سلمة زوج النبي {صلى الله عليه وسلم} ورضي الله عنها. قالت: قلت يارسول الله أخبرني عن قول الله - عز وجل - (حور عين)؟ قال: حور بيض عين، ضخام شُفْر، الحوراء بمنزلة جناح النّسر. قلت: يارسول الله فأخبرني عن قول الله - عز وجل -: (كأنهن الياقوت والمرجان)؟ قال: صفاؤهن كصفاء الدر الذى في الأصداف الذى لا تمسه الأيدي، قلت: يارسول الله فأخبرنى عن قول الله - عز وجل - (فيهن خيرات حسان)؟ قال: خيرات الأخلاق حسان الوجوه، قلت: يارسول الله فأخبرني عن قول الله - عز وجل: (كأنهن بَيْضٌ مكنون)؟ قال: رقتهن كرقة الجلد الذى في داخل البيضة مما يلى القشر، قلت: يارسول الله فأخبرني عن قول الله - عز وجل: (عُرُباً أترابا)؟ قال: هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصا[١٤] شمطا[١٥] خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات متحببات، أترابا على ميلاد واحد. قلت: يارسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة. قلت: يارسول الله وبم ذاك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله - عز وجل - ألبس الله - عز وجل - وجوههن النور، وأجسادهن الحرير بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن[١٦] الدر، وأمشاطهن الذهب يقلن: ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدا، ألا نحن الناعمات فلا نبأس أبدا، ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا، طوبى لمن كُنَّا له، وكان لنا، قلت: يارسول الله المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة في الدنيا، ثم تموت فتدخل الجنة، ويدخلون معها، من يكون زوجا منهم؟ قال: يا أم سلمة إنها تخير، فتختار أحسنهم خلقا، فتقول: أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقا في دار الدنيا فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة.

ونقل القرطبي عن أنس أن أم حبيبة، زوج النبي {صلى الله عليه وسلم} قالت: يارسول الله المرأة يكون لها زوجان في الدنيا ثم يموتون، ويجتمعون في الجنة، لأيهما تكون للأول أو للآخر؟ قال: لأحسنهما خُلقا كان معها، يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة. وقيل إنها تخير إذا كانت ذات أزواج.

الهوامش:

(١) حادي الأرواح ص٢٥٨.
(٢) المرجع السابق ص ٢٥٩.
(٣) الحديث بتمامه في حادي الأرواح ص ٢٦٨ والترغيب والترهيب جـ٤ ص ٥٣٦.
(٤) حادي الأرواح ص ٢٧٤ وما بعدها.
(٥) القرطبي ص ٥٥٩.
(٦) وفي رواية عن ابن عباس (مكتوب على نحرها).
(٧) الترغيب والترهيب جـ٤ ص ٥٣٢.
(٨) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١١٣.
(٩) التذكرة ص ٥٦٠.
(١٠) المرجع السابق ص ٥٥٥.
(١١) التذكرة ص ٥٥٦.
(١٢) المرجع السابق ص ١٦٩.
(١٣) الذكرة ص ٥٥٨.
(١٤) في عيونهن قذارة.
(١٥) شعورهن بيضاء لكبرهن.
(١٦) ما يوضع فيه النار للبخور.

الإعجاز الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب

(الحلقة الأخيرة)

يُعَدّ كتاب سيد قطب: في ظلال القرآن الكريم - الذي أفرده للتفيوء في ظلال القرآن وتروح عبير آياته وتنوق طيوبها - يعد تجسيداً لكتابيه: التصوير الفني في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن، اللذين يرى فيهما ضرورة عرض القرآن الكريم على قاعدة كلية هي قاعدة «التصوير الفني»، التي يراها القاعدة الأولى للبيان فيه، والتي سبق عرضها في الحلقتين السابقتين.

ولعل سيد قطب - كما سبق القول - قد استوحى هذه الرؤية عن التصوير الفني من قراءته لعبد القاهر الجرجاني في كتابيه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، يدلنا على ذلك قوله عن كتاب أسرار البلاغة: إن الفكرة الرئيسية التي تبرز في كتاب (أسرار البلاغة) والتي يصح أن نعتبرها نظريته في الأدب هي أن مقياس الجودة الأدبية تعني تأثير الصور البيانية في نفس متنوقها[١].

بقلم: د. أحمد أحمد غريب
- الرياض -

فسيد قطب يعتبر عبد القاهر الجرجاني صاحب فكرة «التأثير الأدبي»، وهو يعني بالتأثير النفاذ والتوصل إلى عقول وقلوب القارئين والسامعين، وهو يرى أيضاً أن الشيخ عبد القاهر قد عرض فكرة التأثير الأدبي في نظريته المسماة بالنظم، ثم رسم الخطة لتحقيقها، فناقشها في الجناس والحشو والطباق، ثم فصّل القول فيها تفصيلا بارعاً في أبواب التشبيه أو التمثيل والاستعارة، وكلما قطع مرحلة وقف ليحقق مثلا، أو يزيل شبهة، أو يجيب على اعتراض، وهو لا يكتفي بشرح الظاهرة وتطبيقها، ولكنه يحاول أن يتلمس لها العلل والأسباب، كما فعل عند الحديث عن أسرار جودة التمثيل.. وهو يرى أن فكرة التأثير الأدبي عند عبد القاهر تقوم على مفهوم نفسي، ومفهوم ذوقي صاحبا خطواته في نقد النصوص، وألح على ضرورتها لنقد صحيح[٢].

ومن ثم رأينا سيد قطب يتمثل هذه الفكرة، فكرة التأثير الأدبي في تفسيره (الظلال) حيث راح يعرض التصوير الفني الذي يراه القاعدة البيانية الجامعة لبيان القرآن على الألوان البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل وتورية.. وكيف استحالت هذه الألوان إلى أبعاد ومشاهد ومجسمات محسوسة مرئية لما يعرضه القرآن من معان وأسرار.

- فالتشبيه في قوله تعالى:

مثل الفريقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا} (سورة هود/٢٤) هو كما يقول سيد قطب: صورة حية تتجسم فيها حالة الفريقين.. الفريق الأول (كالأعمى) لا يرى، وكالأصم لا يسمع.. والفريق الثاني كالبصير وكالسميع يسمع فيهديه بصره وسمعه، (هل يستويان مثلا)؟ سؤال بعد هذه الصورة المجسمة لا يحتاج إلى إجابة، فلا إجابة مقررة (أفلا تذكرون؟) فالقضية في وضعها لا تحتاج إلى أكثر من التذكر، فهي بديهية لا تقتضي التفكير، وتلك وظيفة التصوير الذي يغلب في الأسلوب القرآني في التعبير[٣].

- والتشبيه البليغ في قوله تعالى: {ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت} (سورة محمد/٢٠) «لا يمكن محاكاته ولا ترجمته إلى أي عبارة أخرى.. وهو يرسم الخوف إلى حد الهلع، والضعف إلى حد الرعشة، والتخاذل إلى حد الغشية، ويبقى بعد ذلك متفرداً حافلا بالظلال والحركة التي تشغف الخيال.. وهي صورة خالدة لكل نفس خوارة لا تعتصم بإيمان ولا بفطرة صادقة، ولا بحياء تتجمل به أمام الخطر وهي طبيعة المرض والنفاق»[٤].

- والتعبير في قوله تعالى: {إنما المشركون نجس} (سورة التوبة/٢٨) «يجسم نجاسة أرواح المشركين، فيجعلها ماهيتهم وكيانهم، فهم بكليتهم وبحقيقتهم نجس يستقذره الحس ، ويتطهر منه المتطهرون، وهو النجس المعنوي لا الحسي في الحقيقة، فأجسامهم ليست نجسة بذاتها، إنما هي طريقة التعبير القرآني بالتجسيم»[٥].

- والاستعارة في قوله تعالى: {واخفض جناحك للمؤمنين} (سورة الحجر/٨٨) يراها سيد قطب «تعبيرا عن اللين والمودة والعطف بخفض الجناح، وهو تعبير تصويري، يمثل لطف الرعاية، وحسن المعاملة، ورقة الجانب في صورة محسوسة على طريقة القرآن الفنية في التعبير»[٦].

- وكذا في قوله تعالى: {والصبح إذا تنفَّس} (سورة التكوير/١٨) فهو يرى أن هذا التعبير القرآني شديد الإيحاء، إذ الصبح حي يتنفس، أنفاسه النور والحياة، والحركة التي تدب في كل حي، ثم يقول: وأكاد أجزم أن اللغة العربية بكل مأثوراتها التعبيرية لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح، ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المتفتح أنه بالفعل حي يتنفس.. ثم يجيء هذا التعبير فيصور هذه الحقيقة التي يشعر بها القلب المتفتح[٧].

- والكناية في قوله تعالى: {وأُشربوا في قلوبهمُ العجْلَ بكُفرهم} (سورة البقرة/٩٣) صورة فريدة .. لقد أشربوا بفعل فاعل سواهم .. أشربوا ماذا؟ أشربوا العجل، وأين أشربوا؟ أشربوه في قلوبهم.. ويظل الخيال يتمثل تلك المحاولة العنيفة الغليظة، وتلك الصورة الساخرة الهازئة، صورة العجل يُدْخلُ في القلوب إدخالا، ويُحشرُ فيها حشراً، حتى ليكاد يُنسي المعنى الذهني الذي جاءت هذه الصورة المجسمة لتؤديه، وهو حبهم الشديد لعبادة العجل، حتى لكأنهم أشربوه إشراباً في القلوب، وهنا تبدو قيمة التعبير القرآني بالقياس إلى التعبير الذهني المفسر .. إنه التصوير .. السمة البارزة في التعبير القرآني الجميل»[٨].

- وفي قوله تعالى: {وَقَدِمْنَا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا} (سورة الفرقان/٢٣) يتابع الخيال حركة القدوم المجسمة المتخيلة - على طريقة القرآن في التجسيم - وعملية الإثارة للأعمال، والتذرية في الهواء، فإذا كل ما عملوا في الدنيا من عمل صالح هباء، ذلك أنه لم يقم على الإيمان الذي يصل الإنسان بربه فيجعل لعمله قيمة ووزناً.. وهكذا تعدم أعمال أولئك المشركين.. تعدم إعداماً يصوره التعبير القرآني في تلك الصورة الحسية المتخيلة[٩].

- ويعلق على قوله تعالى: {يا بُنيَّ إنها إن تَكُ مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله، إن الله لطيف خبير} (سورة لقمان/١٦) يعلق فيقول: «ما يبلغ تصوير» مجرد «عن دقة علم الله وشموله، وعن قدرة الله سبحانه، وعن دقة الحساب وعدالة الميزان ما يبلغه هذا التعبير.. وهذه طريقة القرآن المعجزة الجميلة الأداء .. العميقة الإيقاع.. حبة من خردل.. صغيرة ضائعة، لا وزن لها أو قيمة.. فتكن في صخرة.. صلبة محشورة فيها لا تظهر ولا يتوصل إليها.. (أو في السماوات) ذلك الكيان الهائل الشاسع الذي يبدو فيه النجم الكبير ذو الجرم العظيم نقطة سابحة أو ذرة تائهة، (أو في الأرض) ضائعة في ثراها وحصاها لا تبين، (يأت بها الله) فعلمه يلاحقها، وقدرته لا تفلتها، (إن الله لطيف

خبير)٠٠ تعقيب يناسب المشهد الخفي اللطيف٠٠ ويظل الخيال يلاحق تلك الحبة من الخردل في مكامنها تلك العميقة الواسعة، ويتملى علم الله الذي يتابعها حتى يخشع القلب وينيب إلى اللطيف الخبير بخفايا الغيوب، وتستقر من وراء ذلك تلك الحقيقة التي يريد القرآن إقرارها في القلب بهذا الأسلوب المعجز»[١٠]٠

- وكذا في الكناية القرآنية: {عليهم دائرة السوء} (سورة التوبة/٩٨) التي يراها سيد قطب تتمثل في صورة حية، كأن للسوء دائرة تطبق عليهم فلا تفلتهم، وتدور عليهم فلا تدعهم، وذلك من باب تجسيم المعنوي، وتخييله الذي يعمق وقع المعنى ويحييه[١١]٠

- وفي قوله تعالى: {إذ هَمَّ قومٌ أن يبسطوا إليكم أيْدِيَهُم، فكفَّ أيْدِيَهُم عنكم} (سورة المائدة/١١) يشرح صاحب الظلال هذه الكناية القرآنية في إطارها المصور فيقول: إنها في مقام: إذ همَّ قوم أن يبطشوا بكم ويعتدوا عليكم فحماكم الله منهم٠٠ إن صورة وحركة بسط الأيدى وكفها أكثر حيوية من ذلك التعبير المعنوي الآخر٠٠ والتعبير القرآني يتبع طريقة الصورة والحركة، لأن هذه الطريقة تطلق الشحنة الكامنة في التعبير، كما لو كان هذا التعبير يطلق للمرة الأولى مصاحباً للواقعة الحسية التي يعبر عنها مبرزاً لها في صورتها الحية المتحركة، وتلك طريقة القرآن[١٢]٠

- وفيما يعتبره البلاغيون إيجازاً بالحذف، يتعرض سيد قطب لقوله تعالى: {ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس} (سورة الأنعام/١٢٨) فيرى أن المشهد يبدأ معروضاً في المستقبل «يوم يحشرهم جميعا» ولكنه يستحيل واقعاً للسامع، يتراءى له مواجهة، وذلك بحذف لفظة واحدة في العبارة، فتقدير الكلام: يوم يحشرهم جميعا فيقول يا معشر الجن٠٠ لكن حذف كلمة «يقول» ينتقل بالتعبير المصور نقلة بعيدة، ويحيل السياق من مستقبل يُنْتَظر، إلى واقع يُنْظَر، وذلك من خصائص التصوير القرآني[١٣]٠

- وفيما يسميه البلاغيون إطناباً يتعرض صاحب الظلال لقوله تعالى: {ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا} (سورة التوبة/٣٠) وذلك حكاية عن اليهود والنصارى الذين قالوا بأن العُزَيْر والمسيح ابنا الله، فيقول: فهو يثبت أن هذا القول صادر منهم وليس مقولا عنهم، ومن ثم يذكر أفواههم لاستحضار الصورة الحسية الواقعية - على طريقة القرآن في التصوير - إذ المفهوم أن قولهم يكون بأفواههم، فهذه الزيادة ليست لغواً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وليست إطناباً زائداً، وإنما هي طريقة التعبير القرآنية التصويرية، فهي تستحضر صورة القول، وتحيلها واقعية كأنها مسموعة مرئية، وذلك فضلا على ما تؤديه من معنى بياني آخر، إلى جانب استيحاء الصورة وإثباتها، وهو أن هذا القول لا حقيقة له في عالم الواقع، إنما هو مجرد قول بالأفواه، وليس وراءه موضوع ولا حقيقة[١٤]٠

- وينبه صاحب الظلال في تفسيره لدور الحروف في رسم الصورة المطلوبة للمعنى المراد، فعند تعرضه لقوله تعالى: {فأما الذين آمنوا واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً} (سورة النساء/١٧٥)٠٠ يلاحظ أن كلمة «إليه» تخلع على التعبير حركة مصورة، إذ ترسم المؤمنين ويد الله تنقل خطاهم في الطريق إلى الله على استقامة، وتقربهم إليه خطوة خطوة، وهي عبارة يجد مدلولها في نفسه من يؤمن بالله على بصيرة ويعتصم به على ثقة، حيث يحس في كل لحظة أنه يهتدي، وتتضح أمامه الطريق، ويقترب فعلا من الله، كأنما هو يخطو إليه في طريق مستقيم[١٥]٠

- ومن ذلك أيضاً ما تصوره لفظة (ما) في قوله تعالى: {جُنْدٌ ما هنالك مهزوم من الأحزاب} (سورة ص الآيتان/ ١٠، ١١) «إنهم ما يزيدون على أن يكونوا جنداً ملقى هنالك بعيداً، لا يقرب من تصريف هذا الملك وتدبير تلك الخزائن، ولا شأن له فيما يجري في ملك الله، ولا قدرة له على تغيير إرادة الله، ولا قوة له على اعتراض مشيئة الله، جند «ما» جند مجهول منكر، هين الشأن مهزوم٠٠ كأن الهزيمة صورة لازمة له، لاصقة به، مركبة في كيانه٠٠ «من الأحزاب» المختلفة الاتجاهات والأهواء[١٦]٠

- ويؤكد سيد قطب على إعجاز اختيار الألفاظ القرآنية وملاءمتها لأماكنها بحيث لا يسد مسدها غيرها، وتوظيفها في خدمة التصوير للمعنى المراد ففي قوله تعالى: {وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين} (سورة الأنبياء/١١) يصور سيد

بب دقة اختيار الفعل (قصم) في تصوير المعنى المطلوب بجرسه القوي، إذ القصم أشد حركات القطع، جرسه اللفظي يصور معناه، ويلقي ظل الشدة والعنف بالتحطيم والقضاء الحاسم على القرى التي كانت ظالمة، فإذا هي مُدمَّرة محطمة، وأنشأنا بعدها قوماً آخرين، وهو عند القصم يوقع الفعل على القرى ليشمل ما فيها ومن فيها، وعند الإنشاء يوقع الفعل على الذين ينشأون ويعيدون إنشاء القرى، وتلك حقيقة في ذاتها، فالدمار يحل بالديَار والديَّار، والإنشاء يبدأ بالدَيَّارين فيعيدون إنشاء الدُور)[١٧].

- وفي قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض} سورة التوبة/٣٨) يعرض سيد قطب ما يصوره لفظ (اثاقلتم) بجرسه ومعناه من صور هؤلاء المعرضين عن الجهاد، فهي ثقلة الأرض ومطامع الأرض، وتصورات الأرض.. ثقلة الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على اللذائذ والمصالح والمتاع.. ثقلة الدعة والراحة والاستقرار.. ثقلة الذات الفانية والأجل المحدود، والهدف القريب.. ثقلة اللحم والدم والتراب.. والتعبير يُلقي كل هذه الظلال بجرس لفظة (اثاقلتم) وهي بجرسها تمثل الجسد المسترخي الثقيل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل، ويلقيها بمعنى لفظة (اثاقلتم) وما لها من جاذبية تشد إلى أسفل، وتقاوم رفرفة الأرواح وانطلاق الأشواق[١٨].

- ولفظ (الغيث) في قوله تعالى: {وهو الذي يُنَزِّلُ الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته} (سورة الشورى آية/٢٨) واختياره علامة على المطر، يجيء متناسقاً مع المعنى، «فاللفظ القرآني المختار للمطر في هذه المناسبة «الغيث» يلقي ظل الغوث والنجدة، وتلبية المضطر في الضيق والكربة، من بعد ما قنطوا، كما أن تعبيره عن آثار الغيث بقوله تعالى: (وينشر رحمته) يلقي ظلال النَّداوة والخضرة والرجاء والفرح التي تنشأ فعلا عن تفتح النبات في الأرض، وارتقاب الثمار، وما من مشهد يريح الحس والأعصاب، ويندي القلب والمشاعر كمشهد الغيث بعد الجفاف، وما من مشهد ينفض هموم القلب وتعب النفس كمشهد الأرض تتفتح بالنبت بعد الغيث، وتنتشي بالخضرة بعد الموات[١٩].

وهكذا ينتهي سيد قطب إلى أن هذا القرآن شاهد بذاته، بتعبيره، ثم بمحتوى تعبيره على أنه من عند الله، وأن العرب الذين نزل فيهم كانوا يحسون ذلك ويعرفونه، كانوا يحسون ذلك بحسهم اللغوي الأدبي الفني، ويعرفون أن هذا القرآن فوق مدى الطاقة البشرية، وهذا الإحساس يعرفه من يمارس «فن القول» ويتذوقه أكثر مما يعرفه من ليست له هذه الممارسة»[٢٠].

الهوامش:

(١) النقد الأدبي - أصوله ومناهجه - سيد قطب طه (القاهرة - دار الشروق ١٩٨٣م) ص ٢٠١.
(٢) المرجع السابق ص ٢٠١ - ٢٠٢.
(٣) في ظلال القرآن - المجلد الرابع ص ١٨٦٨.
(٤) في ظلال القرآن - المجلد السادس ص ٣٢٩٦.
(٥) في ظلال القرآن - المجلد الأول ص ١٦١٨.
(٦) في ظلال القرآن - المجلد الرابع ص ٢١٥٤.
(٧) في ظلال القرآن - المجلد السادس ص ٣٨٤٢.
(٨) في ظلال القرآن - المجلد الأول ص ٩١ - ٩٢.
(٩) في ظلال القرآن - المجلد الخامس ص ٢٥٥٨ وما بعدها.
(١٠) في ظلال القرآن - المجلد الخامس ص ٢٧٨٩.
(١١) في ظلال القرآن - المجلد الثالث ص ١٧١٠.
(١٢) في ظلال القرآن - المجلد الثاني ص ٨٥٥.
(١٣) في ظلال القرآن - المجلد الثالث ص ١٧١٠.
(١٤) في ظلال القرآن - المجلد الثالث ص ١٦٤٠.
(١٥) في ظلال القرآن - المجلد الأول ص ٨٢٣.
(١٦) في ظلال القرآن - المجلد الخامس ص ٣٠١٣.
(١٧) في ظلال القرآن - المجلد الرابع ص ٢٣٧٠.
(١٨) في ظلال القرآن - المجلد الثالث ص ١٦٤٨.
(١٩) في ظلال القرآن - المجلد الخامس ص ٣١٥٧.
(٢٠) في ظلال القرآن - المجلد الثاني ص ١٠٤٠.

في الانتماء الثقافي (٢ـ٦)

الجامعة الشرقية والمواجهة الحضارية مع الغرب

بقلم المفكر الاسلامي : أ .د. محمد عمارة
- مصر -

تحدد الثقافة، التى تصوغ الوعى، للإنسان - فردا أو شعبا أو أمة - حدود دائرة المحيط الذي يمنحها الولاء ويخصها بالانتماء.. فهناك ثقافات تقف بانتماء صاحبها عند حدود القبيلة، وأخرى لا تجعل صاحبها يتجاوز جغرافية الوطن، وثالثة تقصر الانتماء والولاء على الجنس - بالمعنى العرقي والسلالي .. ومن الثقافات ما تجعل الدائرة الحضارية هي محيط الانتماء.. ومنها ثقافات أممية طمحت إلى حصر الانتماء في طبقة من الطبقات الاجتماعية على امتداد الانسانية.. أو إلغاء ما عدا الدائرة الإنسانية من دوائر الولاء والانتماء.

وفي كتابات عبد الله النديم (١٢٦١ - ١٣١٣هـ/ ١٨٤٥ - ١٨٩٦م) تركيز واضح على أن دائرة انتمائه الثقافي هي الدائرة الشرقية - بالمعنى الحضاري، الذى يجعل تميزها نابعا من مقابلتها للحضارة الغربية، التى كانت تقتحم أبواب الشرق وحياة أهله في ذلك التاريخ.. وفي هذه الكتابات أيضا ما يؤكد على اشتمال هذه الدائرة الشرقية - كجامع حضارى أكبر - على العديد من دوائر الانتماء الفرعية، التى لا تناقض بينها وبين هذا الانتماء إلى الدائرة الحضارية الشرقية.. والأمر الذي يؤكد أن «الشرق» في هذه الثقافة لم يكن معنى جغرافيا فحسب، وإنما كان دائرة حضارية، هو استخدام هذا المصطلح «الشرق» في أدبيات التيار الفكرى الذى انتمى إليه النديم كمرادف لمصطلح «الاسلام» فالحضارة الشرقية والجامعة الشرقية والرابطة الشرقية، والنهضة الشرقية، والشعوب الشرقية.. الخ .. الخ.. كان المعنى بها حضارة الإسلام وجامعته ورابطته ونهضة شعوبه، التى تضم مللا وأقواما هي جزء أصيل وعضوى من حضارة الإسلام - وإن ميزتها لغات أو معتقدات روحية لا تمثل بدائل لهذه الطوائف عن السمات الجامعة لحضارة الإسلام.

ولقد أشارت مجلة (العروة الوثقى) لسان حال تيار «الجامعة الاسلامية» - وهى تتحدث عن منهج هذا التيار وأهدافه - إلى هذه الحقيقة - حقيقة استخدام مصطلح «الجامعة الشرقية» بمعنى «الجامعة الاسلامية» عندما قالت: إنها «ستأتى في خدمة الشرقيين على ما في الإمكان .. وتأتى في فصولها على أهم ما له أثر فى أحوال الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا».. ثم أردفت قائلة: «ولا يظن أحد من الناس أن جريدتنا هذه بتخصيصها المسلمين بالذكر احيانا، ومدافعتها عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم فى أوطانهم.. فليس هذا من شأننا، ولا مما نميل إليه، ولا يبيحه ديننا، ولا تسمح به شريعتنا.. وقد نخص المسلمين بالخطاب لأنهم العنصر الغالب في الأقطار التي غَدَر بها الأجنبيون»[١].

الجامعة الشرقية هي جامعة الأغلبية المسلمة، التى تتعرض لغزو الحضارة الغربية.. ووصفها بالإسلامية - الجامعة الإسلامية - لا يغاير وصفها بالشرقية بحال من الأحوال.

و«الجامعة الشرقية»، في ثقافة عبد الله النديم، تضم أوطانا عدة، وأجناسا متعددة.. لكن متاخمة أوطانها بعضها لبعض جعلتها «فى حكم الوطن الواحد»، وغلبة التدين بالإسلام على شعوبها قد أصبح رباطا جامعا كاد أن يذيب فواصل الأجناس وحواجزها، ومكانة العربية - التى هى لسان الدين والتراث - قد جعلتها رباطا جامعا تعلو مكانته على غيرها من اللغات الشرقية.. وكانت الدولة العثمانية - الجامعة لأغلب أقاليم الشرق يومئذ - هى الأخرى عامل توحيد في هذه الجامعة الشرقية.. وذلك فضلا عن التناقض الحضارى والخطر السياسى اللذين مثلتهما الغزوة الغربية، مما جعل الجامعة الشرقية - في ثقافة النديم - «السد المحكم بين الشرق وبين المتهيئين للوثبة على الشرقيين»!

«فالجامعة الشرقية»، إذا، هى دائرة انتماء ثقافي وحضارى، أوسع من الدائرة العربية - القومية - وأعم من الرابطة العثمانية - الإدارية والسياسية .. فهى دائرة حضارية، تقف في مواجهة الحضارة الغربية الواثبة - بالاستعمار - على الشرق والشرقية والشرقيين.

ولقد كان لاستخدام النديم مصطلح «الشرقية» أكثر من مصطلح «الاسلامية» سببا موضوعيا في الظرف السياسى الذى عاش فيه.. فتهمة «التعصب الدينى» كانت - كما سيأتى - في مقدمة الاتهامات الموجهة إلى الحركة الوطنية المصرية، وإلى النديم على وجه الخصوص.. الأمر الذي جعل استخدام مصطلح «الجامعة الشرقية» أكثر شيوعا في الأدبيات التي أبدعها..

فهو عندما يتحدث عن الروابط التى تربط المصريين بأهل المشرق - الشام - وبالعرب عموما، يخلص - بعد تعداد هذه الروابط - إلى أنهم جميعا جزء من الجامعة الشرقية، فيقول: إن «بين المصريين والشاميين والعرب رابطة: اللغة والسلطة في الكل (أى السلطة العثمانية الجامعة)، والدين في معظمهم، والجنس في أغلبهم، والمتاخمة التى تصيّر المجموع في حكم الوطن الواحد.. وهم محتاجون إلى الجامعة الشرقية.. سدا محكما بين الشرق وبين المتهيئين للوثبة عليهم»[٢].

وهذه الجامعة الشرقية هى جامعة للأجناس والقوميات الإسلامية من المغرب الأقصى إلى الشرق الأقصى، «ولا برء لأهلها من الخبل والهلاس إلا بمعرفة التركى حق العربى وفضله، واعتراف العربى بمجد التركى وسيادته، واتفاق السورى مع المصرى، وائتلاف الهندى باليمنى، واتحاد العراقى بالفارسي،

عبد الله النديم في سطور:

- ولد بالاسكندرية سنة ١٨٤٥م.
- اشتغل عامل تلغراف بالحكومة، ثم استقال وصار تاجرا.
- أنشأ أول جمعية إسلامية بالاسكندرية لتعليم الأيتام بمدرستها، وقام بالتدريس فيها.
- اتجه الى الصحافة فنشر المقالات، ثم أنشأ مجلة التنكيت والتبكيت فكاهية سياسية.
- قامت الثورة العرابية، فانضم الى زعمائها، وصار أكبر خطبائها.
- هرب بعد إخفاق الثورة واختفى عشر سنوات يحميه كرام المصريين ممن عرفوا فضله.
- قبض عليه، فنفي من مصر، وذهب الى فلسطين، ثم صدر عفو عنه، فحضر لينشىء مجلة الأستاذ.
- أغلقت الحكومة المجلة لشدتها القاسية، وذهب النديم الى تركيا وواصل دعوته الى الحرية ومات بها سنة ١٨٩٦م.

وارتباط التونسى بالمراكشي، وتوجيه نظر المجموع وهمته إلى ما يسمى شرقا لا ما يسمى جنسا، فإن حاجتنا إلى توحيد الكلمة حاجة الأعمى إلى من يقطع به الصحراء»[٣].

والنديم يتحدث عن دور الاسلام في تكوين «جنس مستعرب» غدا أوسع دائرة من «الجنس العربي» الذى كان قبل التدين بالاسلام، فالتدين بالاسلام قد أقام جوامع «وحدة الدين» و«الوطن» و«الجامعة السياسية والإدارية» - الدولة - فامتزجت أجناس متعددة، بفعل هذه «الجوامع الاسلامية»، لتلد الأمة العربية على امتداد هذا الأفق الجديد والمديد.. «فعند مجيء الدين الإسلامي وانتشاره في إفريقيا وآسيا وبعض أوربا، امتزج العرب بالفرس والشاميين والمصريين والترك والغوط وبعض الطليانيين والافرنج والسودان والحبشة والهنديين والويغور وغيرهم، وألف بين قلوبهم، فتوحدت كلمتهم، وصاهر بعضهم بعضا بجامعة الدين، فنتج جنس يجنح إلى الأصول بعرق التوليد، ميال للجامعة بوحدة الدين والوطن والتابعية، وبكرور الزمان استقل هذا الجنس وصار مستعربا يخالف أصوله، وقد غلبت عليه المخالطة الوطنية[٤].

وكانت مدارس التبشير الكنسية الغربية، ومعها سلطات الاحتلال الاستعمارية، قد أخذت في الدعوة إلى «جامعة عربية» منبتة الصلة بالجامعة الإسلامية، وذلك لاستبعاد دائرة الانتماء الجامعة لشعوب الشرق - وهى دائرة الاسلام.. وعندما يرسل أحد قراء مجلة (الأستاذ) وهو مسيحى سورى يقيم في مدينة «بطرسبورج» إلى النديم رسالة يمتدح سير المجلة على «الخطة الوطنية العربية»، يعلق النديم على هذه الرسالة رافضا ومصححا، فيؤكد أن سياسة (الأستاذ) هي «حفظ الوحدة الشرقية .. لا الجامعة العربية وحدها» فيقول: «ولو قال هذا الفاضل إننا ننادي بحفظ الوحدة الشرقية، من عرب وعجم وترك وجركس وكرد وأرمن وغيرهم، على اختلاف الدين، لأصاب الغرض، فإننا ننادي بها، لا بالجامعة العربية وحدها[٥]» .. فالجامعة العربية ليست نهاية دائرة الانتماء، وإنما هى واحدة من دوائر الانتماء التى تضمها الجامعة الشرقية.

بل لقد وضع النديم دعاة فصل أجناس الجامعة الشرقية في معسكر «الأجراء للأجنبي» حتى وإن ربطتهم بنا الأنساب والقرابات.. «فإذا رأيت مصريا أو سوريا أو تركيا أو هنديا أو فارسيا أو مغربيا يوقع النفرة بينك وبين جنس شرقي، كأن تكون مصريا وترى شرقيا ينفرك من السورى أو التركى، فاعلم انه أجير يشتغل لغيره.. وأنه أجنبي وإن اتصل بك نسبا وقرابة[٦].

وكانت الدولة العثمانية أعظم دول الشرق، والجامع الأكبر فى إطار الجامعة الشرقية، والسياج الذى يتعلق به الشرقيون اتقاء للخطر الاستعمارى الزاحف على ديار الاسلام.. ومن هنا كان تأييد تيار الجامعة الشرقية للدولة العثمانية، مع المناداة بإصلاح خللها، والسعى إلى تجديد طاقاتها.. كان ذلك موقفا ثابتا لهذا التيار.. والنديم يفصح عن سياسة مجلته، فيقول: «لقد نادى الأستاذ بالجامعة العثمانية والعصبية الشرقية[٧].. وتخليد مجد الدولة العلية، التى هى مرجع الكلمة الاسلامية، وإن توزع المسلمون في أقطار متباعدة ووجد بعضهم تحت سلطة دولة أخرى، فإنهم جميعا يحترمون مقام الخلافة العظمى، ويعترفون أن السلطة الأجنبية عارض لا يحل رابطة عقدها توحيد الدين فيهم[٨]».

فدولة الخلافة العثمانية، قد ظلت حتى في لحظات الضعف التى مكنت الاستعمار من اقتطاع العديد من الأقاليم الاسلامية، ظلت «الحجة القانونية» ضد شرعية الاستعمار لهذه الأقاليم الاسلامية، والأمل الذى يتعلق به تيار الجامعة الاسلامية لجمع كلمة الشرق في مواجهة الاستعمار.

ولذلك اقترن تأييد تيار الجامعة الاسلامية للرابطة العثمانية وخلافتها، دائما وأبدا، بالدعوة إلى إصلاح هذه الدولة وتجديد شبابها.. وعلى درب الأفغانى ومحمد عبده - وكل أعلام هذا التيار - يسير النديم، الذى صاغ الدعوة إلى إصلاح الدولة

الشرق عند النديم دائرة حضارية لا جغرافية أدبيات التيار الفكري الذى انتمى إليه النديم استخدم مصطلح (الشرق) كمرادف لمصطلح الاسلام الجامعة الشرقية دائرة انتماء ثقافي وحضاري

العثمانية شعرا، توجه به إلى السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٥٨ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٨٤٢ ـ ١٩١٨م) قال فيه:

«نبرىء منك الذات عن ظلم أمة
ولكن حواليك القليل به عثر
فَسُنَّ التساوى واحتكم واعف واصطبر
تر الجثث الموتى يحركها النشر
فعندك من أهل السياسة سادة
طبيعتهم حزم وحليتهم حذر
وقد تفعل الأقلام ما لم تصل له
مدافع في الهيجاء يصحبها النصر
فَرَبِّ الأهالى يا إمام بحكمة
وعلمهم علما يطيب به الشكر
وعمر بلادا بانتشار معارف
وإصلاح أرض لا يرى أهلها الضر
ولا تعط شبرا للأجانب واحتفظ
فما بعد ذا إلا التنازع والكر
وأوقف مسير الإلتزام لفتية
تراهم رعايا والجميع لهم مكر
وبث رجال العلم في كل قرية
لتعليم دين عنده يقف الظفر
ووحد ضروب الحكم بين رعية
يؤلفها التوحيد ما بقي الدهر
وأبعد جميع الأدعياء فإنهم
يسيرون في طرق يُسرّ بها الغير»[٩]

فالرابطة العثمانية ـ التى دعا النديم إلى إصلاحها، وتجديد شبابها ـ هى دائرة من دوائر الانتماء السياسى والإدارى، فى إطار الجامعة الحضارية الشرقية، التى ضمت وتضم أجناسا وأوطانا ربطت بينها حضارة الاسلام.

وكذلك الجامع الوطني، ورابطة الوحدة الوطنية.. هي واحدة من دوائر الانتماء الفرعية التى تضمها الجامعة الشرقية.. ففى الوطن، تتوطن الجماعة الوطنية، التى قد تمايز بينها الأصول العرقية والجنسية، والملل الدينية، لكن تجمعها الرابطة الوطنية.. ولقد دعا النديم إلى وطنية تجمع بين التعددية الدينية في الشعائر العبادية والشرائع الدينية، وبين وحدة الدولة والقضاء والقانون الإسلامى، الذى مثل ويمثل جامعا وطنيا وحضاريا لسائر الملل في ديار الاسلام على مر التاريخ.. «فحفظ الوحدة الوطنية في الأجناس القاطنة فيما يسمى وطنا إنما يكون بتوحيد القضاء والمعاملة، وتمكين الطوائف من إجراء عاداتهم في مجامعهم ومعابدهم وأعيادهم، كل بما هو حق في معتقده، جميل في عادته، بلا حجر ولا تضييق[١٠]» فالقانون الشرعى الاسلامى هو بالنسبة الى كل الذين استظلوا بالدولة الاسلامية «من المسيحيين والموسويين والمجوس» جامع وطنى.. «فعلى اختلاف مذاهبهم وأجناسهم، شملهم القانون الاسلامى العادل، وحكم بأنهم مثلنا في الحقوق الوطنية، لهم مالنا وعليهم ما علينا.. فتوحدت الجامعة الوطنية بالقانون الشرعى، الذى يعد ناقضه عاصيا لله تعالى ورسوله {صلى الله عليه وسلم}. ومع اتصال الحروب مع الدولة الإسلامية والدول المسيحية لم يجن أحد على مستوطن أو وطنى، ولو كان من الأمة المحاربة،

حفظا للجامعة الوطنية التى قررت حرمتها النصوص الشرعية.. فالقواعد الإسلامية تقضى على الآخذين بها بوجوب المحافظة على الوطني والمستوطن ومعاملته معاملة المثيل[١١]».

ولقد أفاض النديم في الحديث عن الوطنية المصرية.. وهو قد برأ «الوطنية المصرية» من النزعات العرقية والجنسية، فالمصريون هم الذين استوطنوا مصر، بصرف النظر عن أصولهم العرقية «فنحن معاشر المصريين نفتخر بين الأمم بهذه الجامعة التى لا تنحل عقدتها ولا يبدد نظامها. ونعنى بالمصريين كل وطني من العرب والترك والجركس. أما العرب، فإنهم ساكنوا الأقباط من مبدأ الفتح الاسلامي إلى الآن فتوغلوا في الوطنية إلى أمد بعيد. وأما الترك، فإنهم وإن تأخروا عن العرب في الاستيطان ولكنهم هجروا بلادهم، وتعاقبوا الاقامة والداً عن والد حتى نسوا بلادهم، فلو عاد أحدهم إليها لكان أجنبيا فيها، لطول العهد. وأما الجركس، فإن من ولد منهم في مصر فحكمه حكم العرب والترك، ومن ولد في غيرها فقد جاءها صغيرا دون سن التمييز في الغالب، وربما لا يعرف اسم بلده.. فهم مصريون حقيقيون.. والأقسام الثلاثة تجمعهم الرابطة الدينية قبل الجامعة الوطنية فاعتبارنا الأجناس الثلاثة مع الأقباط مصريين اعتبار صحيح حجته المشاهدة والعيان[١٢]».

وكما جمعت الوطنية المصرية كل الذين استوطنوا مصر، بصرف النظر عن أصولهم الجنسية، كذلك جمعت هذه الوطنية بين مسيحييها والأغلبية المسلمة فيها.. «فمصر التى نحن فيها: بلاد إسلامية، مختلطة بقليل من الأقباط الذين تجذبهم الجنسية الى كثير ممن تولدوا ممن أسلم من سابقيهم، وتدفعهم الوطنية إلى التلاصق بالمجموع بجاذبية الوطنية والألفة وأصول المعاشرة التى قامت مقام اتحاد الجنسين.. فهم إخوان الوطنية.. فمصر مخصوصة بجامعة وطنية لم يسمع بمثلها في الأقطار، والأمة الاسلامية مع الطائفة القبطية كأهل بيت يتعاونون على المعاش، ويتعاورون الأعمال، ويتقاسمون النظر في شئون البلاد، ويتعاضدون على حفظ الوطن من طوارىء العدوان[١٣]».

فالوحدة الجنسية جامعة للأكثرية المسلمة ـ التى تولدت من أصلاب المصريين الذين اعتنقوا الاسلام ـ مع القليل من الأقباط ـ الذين بقوا على مسيحيتهم ـ وهؤلاء المسيحيون الأقباط تجمعهم بكل الجماعة المسلمة في مصر ـ فضلا عن الجنسية ـ رابطة الوطنية ـ النابعة من اتخاذ مصر وطنا للجميع ـ ورابطة الألفة وأصول المعاشرة، التى «قامت مقام الوحدة في الأصول الجنسية والعرقية».

ولأن العبث بالوحدة الوطنية لمصر والمصريين، كان هدفا من أهداف الاستعمار الانجليزي وصحافة «الأجراء والعملاء» التى نازلتها مجلة (الأستاذ) وتصدى لها النديم.. فلقد سعى الرجل إلى تحصين هذه الوحدة الوطنية المصرية من هذا العبث، لتظل متفردة «لم يسمع بمثلها في البلاد» ولتحقيق هذا المقصد الوطني النبيل دعا عبد الله النديم إلى إقامة «جمعية مصرية» متميزة عن الجمعيات الخيرية ـ الاسلامية والقبطية ـ تكون مهمتها الحفاظ على الوحدة الوطنية، وتنمية أواصرها وذلك «بالبحث في الوطن وخصائصه وواجباته وضروريات حياته».. فكتب يقول: «ولكننا نحب أن تزداد علاقات الوطنية بعقد جميعة مصرية، موضوعها: البحث في الوطن وخصائصه وواجباته وضروريات حياته، ولا تخرج في هذا كله عن الأدبيات، والمحافظة على ما بين المصريين وغيرهم من روابط المحبة. فقد رأينا كل جنس له جمعيات وطنية، ونحن لا جمعية لنا تبحث في الوطنية، فإن الجمعية الخيرية الاسلامية والجمعية القبطية لا تعلق لكل منهما بما نحن في صدده، فإنهما جمعيتا إعانة وتربية أيتام. ولا يشك عاقل فى أن تكوين جمعية من الفريقين يفيدهما فوائد جمة، ويحول بينهما وبين النزعات الأجنبية.. نريد جمعية تحفظ النظام الوطنى بمساعيها الأدبية وما يترتب عليها من تطهير البواطن وتوحيد الكلمة[١٤]».

كتب النديم ذلك قبل نحو عقدين من النجاح

الظرف السياسى الذى عاشه النديم كان يحتم عليه استخدام (الشرقية) بدلا عن (الاسلامية) المستعمرون ومن ورائهم الكنيسة عملوا على تفتيت الجامعة الاسلامية الجامعة الشرقية تصهر في بوتقتها الاجناس واللغات والمعتقدات

الجزئى الذى أحرزه الاستعمار وعملاؤه في العبث بوحدة الوطنية المصرية.. وهو العبث الذى تصدى له وطوق مخططاته عقلاء المسلمين والمسيحيين.. أولئك الذين دعا النديم إلى إقامة «جمعية مصرية» تضمهم للبحث في الوطن وخصائصه وواجباته وضروريات حياته.. والحفاظ على النظام الوطنى والحيلولة بين النزعات الأجنبية وبين فرقاء الجامعة الوطنية المصرية!.. وهى دعوة لازالت تنتظر التحقيق والتطبيق؟!.

هكذا تبدت دوائر الانتماء في ثقافة النديم: جامعة شرقية، تميزها الحضارة الاسلامية، تقوم، بالنسبة لأجناس الشرق وملله وأوطانه، «سدا محكما بين الشرق وبين المتهيئين للوثبة عليهم» بعبارة النديم.. وهي جامع أكبر يحتضن الجوامع الفرعية، التى تتآزر وتتساند في إطار هذا الجامع الكبير.

ـ للبحث صلة ـ

الهوامش:

(١) جمال الدين الأفغانى (الأعمال الكاملة) جـ ٢ ص ٣٤٤، ٣٤٩. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت ١٩٨١م.

(٢) الأستاذ العدد الثامن عشر ص ٤٢٠.

(٣) المصدر السابق، العدد الثامن عشر، ص ٤١٣.

(٤) المصدر السابق، العدد الثلاثون ص ٧٠٦، ٧٠٧.

(٥) المصدر السابق، العدد الحادى والأربعون ص ١٠٠٤، ١٠٠٥.

(٦) المصدر السابق، العدد السادس عشر ص ٣٦١، ٣٦٢.

(٧) المصدر السابق، العدد التاسع والثلاثون، ص ٩٣٢.

(٨) المصدر السابق، العدد الرابع والثلاثون، ص ٧٧٨، ٧٧٩.

(٩) المصدر السابق، العدد الرابع والعشرون، ص ٥٦٦.

(١٠) المصدر السابق، العدد الثاني ص ٢٥.

(١١) المصدر السابق، العدد الرابع ص ٧٣، ٧٤، ٧٧.

(١٢) المصدر السابق، العدد الرابع ص ٧٨، ٧٩.

(١٣) المصدر السابق، العدد الثلاثون ص ٧١١، والعدد الحادى والثلاثون، ص ٧٤٩، والعدد الرابع ص ٧٥.

(١٤) المصدر السابق، العدد الثامن عشر ص ٤١٩، ٤٢٠.



ملامح النظرية النقدية عند ابن سلام وأثرها في النقد العربي

بقلم: سالم عبدالجبار آل عبدالرحمن
- الاردن -

يحتل ابن سلام الجمحي مكانة خاصة في تاريخ النقد العربي القديم، لسعيه في أن يكون لهذا النوع من الأدب ميدانه الخاص به واستقلاليته المميزة، على أسس موضوعية.

وهو من أعلام البصرة المشهورين. اما كنيته فأبو عبد الله، واما اسمه فمحمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي البصرى. ولد بالبصرة سنة ١٣٩هـ وتوفي فيها (أو ببغداد) سنة ٢٣١هـ (أو ٢٣٢هـ) على اختلاف الروايات[١]

«كان ابن سلام من أهل بيت لهم في العلم باع، فأبوه سَلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي، روى عنه في مواضيع كثيرة من كتابه. واخوه عبد الرحمن بن سلام الجمحي احد رواة الحديث»[٢]. اما هو فروى عنه احمد بن يحيى بن ثعلب، وابو حاتم، والرياشي والمازني، والزيادى، واحمد بن حنبل. كما روى عن شيوخ كثيرين.

اشارت المصادر التي ترجمت له الى بعض ما ألف من الكتب وعدّ له ابن النديم في الفهرست خمسة، من بينها: كتاب طبقات الشعراء الجاهليين، وكتاب طبقات الشعراء الاسلاميين[٣]. اما المطبوع الذى بين ايدينا اليوم باسم (طبقات فحول الشعراء)، وقد رجح هذه التسمية محققة العالم الثبت محمود محمد شاكر. لأسباب فصلها في مقدمة التحقيق في (باب تسمية الكتاب).

مفهوم الطبقات:

الموازنة بين الاشياء والآراء اصل من اصول البحث العلمي ذى الآثار الهامة في العلوم والفنون. وقد دخلت الموازنة باب الدراسة الادبية نقدا وتاريخا للفرق والمقابلة بين عناصر الادب، وفنونه، وعصوره، ورجاله، قصد الايضاح أو الترجيح[٤].

ولعل من أقدم الموازنات التي روتها لنا كتب التاريخ، تلك التي أجرتها (أم جندب) بين امريء القيس وعلقمة في وصف الفرس[٥]. ولكن امثال هذه الموازنات كانت قائمة على التذوق الشخصي البحت. أما الموازنة الادبية الموضوعة على اسس موضوعية علمية، فهي التي بدأها محمد بن سلام الجمحي، في كتابه (طبقات فحول الشعراء).

فابن سلام كان «من أول من نص على استقلال النقد الادبي، فأفرد الناقد بدور خاص، حين جعل الشعر - اي لنقده والحكم عليه - صناعة يتقنها اهل العلم بها»[٦].

وهكذا نشأ في تاريخ الادب العربي فن عرف باسم (طبقات الشعراء)، ثم اصبحت كلمة (طبقات) عنوانا لكتب متعددة في تاريخ الادب، وفي غير تاريخ الادب»[٧].

النقاد والمؤلفون الذين كتبوا فيها:

وبعد ابن سلام جاء ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري) - المتوفى سنة ٢٧١هـ - فألف كتابه (الشعر والشعراء).

وبعد ابن قتيبة، ألف عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد - المتوفي سنة ٢٩٦هـ كتابه (الورقة)، وقبلهما الف هارون بن علي المنجم كتابه (البارع) الذى لم يصل الينا، بل ذكره ابن المعتز فيما ذكر من الكتب التي اعتمدها.

غير أن كتاب ابن المعتز - ومثله الورقة والبارع - وان كان يحمل اسم (طبقات الشعراء)، الا انه لا يحمل من مفهوم الطبقات سوى التسمية، الا اذا اعتبرنا الشعراء الذين مدحوا الخلفاء والوزراء والامراء من بني العباس يمثلون طبقة أو طبقات، يقول ابن المعتز: «فتأملت فخطر عليّ الخاطر في بعض الافكار، ان اذكر في نسخة ما وضعته الشعراء من الاشعار، في مدح الخلفاء والوزراء والامراء من بني العباس، ليكون مذكورا عند الناس متابعا لما ألفه ابن نجيم قبلي بكتابه المسمى (بطبقات الشعر الثقات)[٨].

والحقيقة ان هذه الكتب الثلاثة الاخيرة هي أسفار لاخبار الشعراء اقرب ما تكون الى المفضليات والاصمعيات من قبلها، والاغاني ويتيمة الدهر من بعدها.

اما اذا اردنا تتبع المسألة النقدية، فينبغي الرجوع الى كتب البلاغة التي ألفت بعد ذلك، ككتاب (البديع) لابن المعتز نفسه، و(نقد الشعر) لقدامة بن جعفر، و(الصناعتين) لابي هلال العسكري، (العمدة في صناعة الشعر) لابن رشيق القيرواني، و(المثل السائر) لابن الاثير وغيرها. والى هذه الموازنات الثنائية التي صارت تعقد بين شاعرين ككتاب (الموازنة بين ابي تمام والبحتري) للآمدي، و(الوساطة بين المتنبي وخصومه) وغيرهما.

ومن بين من ألفوا في الطبقات، ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي، الذي لا نعرف عنه شيئا غير ذلك، في كتابه المشهور (جمهرة اشعار العرب). واذا كان ما ذكره جرجي زيدان في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) من أن وفاته كانت سنة ١٧٠هـ [٩] صحيحا، فانه يكون قد سبق ابن سلام الى التقسيم المعروف بـ (الطبقات). غير أن الدكتور شوقي ضيف يرجح انه كان يعيش في القرن الرابع الهجري[١٠] فعلى هذا يكون من المتأخرين وهو ما نميل اليه ايضا.

مناهج النقاد في الطبقات:

يعد تقسيم الشعراء الى طبقات لاغراض الموازنة والترجيح من اصعب الامور، لما يقتضيه ذلك من موقف نقدي واضح، واحاطة بالنتاج الشعرى موضوع البحث، ولهذا تعددت المناهج بتعدد المواقف ووجهات النظر، فاتخذ بعضهم (الزمان) وسيلة الى المفاضلة والتقسيم، فجعلوا الشعراء: جاهليين واسلاميين ومحدثين، واتخذ بعضهم (المكان) هو الاساس كشعراء الحجاز أو العراق أو المدينة أو الطائف أو البحرين، واتخذ بعضهم (الفن الادبي) اساسا، فهؤلاء اصحاب المعلقات واولئك اصحاب المراثي الخ.. واتخذ بعضهم (القبائل) اساسا للمفاضلة، فهؤلاء شعراء اسد وهؤلاء

شعراء تميم وغير ذلك. وبعضهم استند الى (اسس فنية)، كما فعل ابن سلام في جانب من جوانب تقسيمه الشعراء الى طبقات .. وهذه الاسس هي:

١ ـ كثرة شعر الشاعر.

٢ ـ تعدد أغراضه.

٣ ـ جودته[١١].

ومنهم من جعل (الفحولة) اساس المفاضلة، كما فعل الاصمعي قبل ابن سلام وبناء على ذلك قالوا: الشعراء أربع طبقات:

١ ـ شاعر خنذيذ: وهو الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره.

٢ ـ شاعر مفلق: وهو الذي لا رواية له، ولكنه مجيد كالخنذيذ.

٣ ـ شاعر (فقط): وهو فوق الرديء بدرجة.

٤ ـ شعرور: وهو لا شيء.

وقسَّمهُم آخرون: الى شاعر مفلق، وشاعر مطبق، وشويعر، وشعرور[١٢].

منهج ابن سلام في الطبقات:

قسم ابن سلام أولا الشعراء الى قسمين بحسب زمنهم: الى جاهليين واسلاميين. ثم تعرض للشعراء الجاهليين فجعلهم طبقات حسب تفوقهم، وعدد كل طبقة، وعلل ما فعل. ثم تعرض للشعراء الاسلاميين وفعل بهم ما فعل في الجاهليين[١٣].

لقد ذكر ابن سلام من شعراء الجاهلية عشر طبقات، في كل طبقة اربعة شعراء، ثم اتبعهم بذكر ثلاث طبقات اخرى هي: طبقة اصحاب المراثي، وطبقة شعراء القرى العربية، وطبقة شعراء اليهود. ثم جعل شعراء الاسلام في عشر طبقات اخرى، منتهيا بذلك الى اواخر العصر الاموى، ولم يلق بالا الى من نشأ بعدهم من شعراء حتى عصره[١٤].

وخلاصة ذلك أن ابن سلام قد صدر في تاريخه للادب العربي عن مباديء وانه قد اضاف الى فكرتي الزمان والمكان مقاييس فنية كان يؤمن بها هو أو البيئة التي تحوطه واتخذها اساسا لتوزيع الشعراء في طبقات والمفاضلة بين شعراء كل طبقة[١٥].

منهج ابن قتيبة:

اما ابن قتيبة فالامر عنده مختلف تماما. والذي يرجع الى كتابه (الشعر والشعراء) يجد انه لم يأخذ بتقسيمات ابن سلام لانه لم يؤمن بمقاييسه، وبخاصة فيما يتعلق بالزمان وبالكم، بل يصدر عن مقاييس فنية خالصة دون التفات لقدم الشاعر وحداثته، أو لكثرة شعره وقلته.

يقول: «ولم اسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له، سبيل من قلَّد، أو استحسن باستحسان غيره. ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره. بل نظرت بعين العدل على الفريقين، واعطيت كلا حظه، ووفرت عليه حَقَّه».

اما الاسس التي اعتمدها ابن قتيبة في موازنته بين الشعراء فيمكن تلخيصها فيما يلي:

١ ـ اللفظ والمعنى: فجعل الشعر اربعة اضرب، لا تسمح العلاقة المنطقية ـ في نظره ـ باكثر منها:

(أ) لفظ جيد ومعنى جيد.

(ب) لفظ جيد ومعنى رديء.

(ج) لفظ رديء ومعنى جيد.

(د) لفظ رديء ومعنى رديء.

٢ ـ الطبع والتكلف: وإلى جانب معادلة اللفظ والمعنى وقف ابن قتيبة عند قسمة ثنائية في النظرية الشعرية، هي الطبع والتكلف. «فالمتكلف من الشعراء هو الذى قوّم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش واعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة»[١٧].

«والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وادرك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة، واذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر»[١٨].

٣ ـ الحالات النفسية وعلاقتها بالشعر: وعنده ان الحالات النفسية المختلفة ذات أثر في التفاوت بين شعر الشاعر الواحد. وقد تناول المسألة من ثلاثة جوانب:

(أ) من جانب الحوافز النفسية الدافعة لقول الشعر، كالطمع والشوق والطرب والغضب، وما يثير بعض هذه الحوافز، كالشراب والمناظر الطبيعية الجميلة.

(ب) من جانب العلاقة بين الشاعر وزمن القول أو الكتابة، لان بعض الاوقات ذو تأثير خاص في المزاج

شعري، كأول الليل قبل تفشي الكرى، وصدر النهار قبل الغداء.

(ج) مراعاة الحالة النفسية في السامعين (أي الجمهور)[١٩].

منهج القرشي في جمهرة أشعار العرب:

أما بعض النقاد فاعتمد في تقسيم شعراء الجاهلية الى طبقات، ما اشتهر من قصائدهم المنتقاة، وانتخبوا سبع طبقات عدد كل منهم سبعة شعراء (تقريبا) وفيهم نفر من شعراء صدر الاسلام. أولهم أصحاب المعلقات، يليهم أصحاب المجمهرات، فالمنتقيات، فالمذهبات، فالمراثي، فالمشوبات، فالملحمات. وذلك كما فعل ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي في كتابه جمهرة اشعار العرب. وجملة هذه القصائد (٤٩) قصيدة هي نخبة قصائد العرب في الجاهلية والاسلام.

وقفة أخيرة:

والآن، ما المكانة التي يحتلها ابن سلام في هذا الوقت المبكر من تاريخ النقد العربي؟ الذي يخلص اليه الدكتور احسان عباس هو أن ما أداه ابن سلام في تاريخ النظرية النقدية يتجلى في انه عاد الى المبادئ القديمة فمنحها شكلا جديدا ووسع منها أو غير بعض التغيير في مدلولها، وحاول أن يخلق نظاما جديدا لدراسة الشعراء[٢٠]. ولعل اغلب الباحثين المعاصرين لا يتجاوزون هذا الرأي، غير انهم لا يجحدون ابن سلام فضله في الريادة واثره فيمن بعده من نقاد العرب كما فعل طه احمد ابراهيم حين قال: «ولقد كانت الافكار في النقد مبعثرة لا يربطها رابط، حتى جاء ابن سلام فضم اشتاتها، وألف بين المتشابه منها بروح علمي قوي. ثم أن الاصول التي عرفت قبله في النقد لم توطد ولم تؤكد ولم تستقر وترسخ الا في كتاب طبقات الشعراء. هذا الى أن الكتاب اقدم وثائق النقد المدّونة، فيه كثير من آراء الادباء واللغويين التي انتفع بها فيما بعد من كتبوا في نقد الادب، أو في سير الشعراء كالآمدي صاحب الموازنة بين الطائيين، وابي الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني. وحسب كتاب ابن سلام أن يكون جماع القول في الشعر العربي في الجاهلية والاسلام[٢١].

الهوامش:

(١) راجع مثلا: انباه الرواة للقفطي ج٣ ص ١٤٥ - نزهة الألباء لابن الانباري، ص ١٥٨ - بغية الوعاة للسيوطي ج١ ص ١١٥ - معجم الادباء لياقوت الحموي ج١٨ ص ٢٠٥.

(٢) طبقات فحول الشعراء. مقدمة المحقق ص ٣٧.

(٣) الفهرست لابن النديم ص ١٧١.

(٤) اصول النقد الادبي، لاحمد الشايب ص ٢٨٠.

(٥) انظر في هذه القصة مثلا ديوان امرىء القيس بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ص ٤٠.

(٦) تاريخ النقد الادبي عند العرب. للدكتور احسان عباس ص٧٨.

(٧) تاريخ الادب العربي لعمر فروخ ج١ ص٤٥.

(٨) طبقات الشعراء لابن المعتز ص١٨.

(٩) جمهرة اشعار العرب ص٥، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج٢ ص١٢٥.

(١٠) تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص١٢٥. (الهامش).

(١١) النقد المنهجي عند العرب لمحمد مندور ص١٠.

(١٢) المزهر للسيوطي ج٢ ص ٤٨٩، وتاريخ اداب اللغة العربية لزيدان ج١ ص٧٩.

(١٣) النقد الادبي لاحمد امين ص ٤٣٩.

(١٤) تاريخ النقد الادبي عند العرب للدكتور احسان عباس ص٧٩.

(١٥) النقد المنهجي عند العرب لمحمد مندور ص١٢.

(١٦) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص١٠.

(١٧) المصدر السابق ص٢٢.

(١٨) المصدر السابق ص٣٤.

(١٩) تاريخ النقد الادبي عند العرب، الدكتور احسان عباس ص١١١ - ١١٢.

(٢٠) المصدر السابق ص٨٢.

(٢١) تاريخ النقد الادبي عند العرب، طه احمد ابراهيم ص٨٨.

لذة النص بين فضاء الك

اشتمل النقد الأدبي في الوطن العربي، على مناهج متعددة، ومختلفة، قام بالعمل فيها والتأليف عليها كتّاب ونقاد متعددو التكوين الفكري والثقافي والأدبي في مراحل متغيرة.

ولقد كان للعديد من العوامل إسهامها في صدور تلك المناهج ، وبسط تلك النظريات التي أصبحت بعد حين من صلب المشهد الأدبي والنقدي في البلاد العربية.

وليس جديداً على القارىء القول بأن تعدد المناهج النقدية، والتيارات الأدبية يعكس، كذلك، تعدداً مماثلا في المنظورات الفلسفية والعقلية.

إنّ الحديث عن المنظورات الفلسفية والعقلية يقودنا إلى ذكر أنواع الخطاب العربي المعاصر، وتأثيرات هذا الخطاب في الإنتاج النقدي والأدبي. كما أن علينا ذكر مصادر ومرجعيات هذا الخطاب وأسباب ذيوعه، ومدى انسجام مكوِّناته في كلّ متكامل.

لقد تأسس الخطاب السلفي على قاعدة الإحياء التاريخي ، وأملته ظروف المواجهة مع الخارج، يحدِّده «العروي» بظاهرة «الاستعمار الغربى المسيحي»، وسعى بأهدافه وغاياته أن يقدم صورة حضاريه، وثقافة موحَّدة وموحِّدة.

وامتاز الخطاب الحداثي، أو خطاب الحداثة بمرجعيته الليبرالية ، وبنزوعه العلماني، كما اتَّسم الخطاب التوفيقي أو الانتقائي بلون مرجعياته الذهنية والعقلية، ومحاولاته على تأكيد «حريته» بالبقاء تابعاً. وباختصار، نقول، إن تلك الخطابات أكدت دوماً أنه ليس هناك بقاء لذات «صافية» و«مغلقة» كما أنه ليس هناك «آخر» له سمة واحدة ووحيدة.

إن ضرورة الفكر النقدي والنظرة النقدية تؤسس لمركب «ذات - آخر» مترابط ومرئي بحرية.

وما نشهده، عندنا على صعيد ترجمة النتاج الفكري والنقدي والأدبي يؤكد أهمية النظر النقدي الحر.

ويأتي كتاب «لذة النص» لـ «رولان بارت» الصادرة ترجمته في «حلب» عن «مركز الإنماء الحضاري» مثالا من أمثلة الجهود المتواصلة والمستمرة في نقل صور التجديد النظري والنقدي، في فرنسا كجزء هام من عالم يشهد كل يوم انعطافات وتغييرات مؤثرة في الصُعُد كافة وليس خافياً على أحد دور «رولان بارت» على الصعيد النقدي، هذا الدور الذي يأتي من «حساسيته الفنية مع قدرته العلمية الهائلة على اختراق ميادين معرفية وعلمية عديدة وتجاوزها، ثم التركيب بينها والإفادة منها في إطار ما يسمى اليوم «تداخل العلوم» أورده الناشر على الغلاف الداخلي - وتابع الناشر يقول:

«وإنه لمن المفيد أيضاً أن نعرف أنه قضى فترات من حياته مدرساً في «تركيا» و«رومانيا» و«مصر» وهذا يعني أنه احتك مباشرة بثقافات أمم عديدة أضافت إلى ثقافته ومعارفه خبرة بعقائد المجتمعات التي عاش فيها، وأنماطها الحضارية وأفكارها، وثقافاتها».

إن هذا ما نراه موضحاً في إجابة المترجم د. منذر عياش وهو يجيب نادر السباعي حول «لذة النص بين الترجمة والإبداع»، إذ يقول: «لقد أردت لهذه الترجمة أن تكون صادقة، أي، أن تكون مطابقة للأصل، ولعلي لا أكذب

محمود زعرور
- سوريا -

ـتابــة وســؤال النقـــد

الظن إذا قلت إن «رولان بارت» نفســـه لا يملك الأصل»، ص٨٠

إن رد المترجم بأن «بارت» لا يملك الأصل يشير إلى أن مروحة النظر النقدي تتسم بالاتساع، وبأن مجال الفكر النقدي شامل، وليس هناك من مرجعية، أو عقلية لا يطالها النقد، وبالتالي فإن ثمار هذه النظرة ممتدة مثل امتداد مجال النظر النقدي نفسه.

إن د. منذر عياش الذي نقل من «ببير جيدو» و«تزيفيتان تودوروف» و«رولان بارت»، يرسم مشروعاً طموحاً، من أهدافه إغناء الفكر العربي والثقافة العربية.

يدور كتاب «لذة النص» حول لذة النص، لأن الكتابة تعدو القراءة والقراءة بدايات لا تنتهي للمكتوب الذي بها يدور، فاللذة هي كما يقول المترجم: «الزمان الذي يمضي به - أي النص - نحو المستقبل من غير شرط أو غاية.. وإذا كان ثمة مقولة تقول «لا جديد تحت الشمس» فإن مقولة اللذة تقول «لا عتيق تحت الشمس حتى الشمس نفسها»، ولذا كانت نصوص اللذة نصوصاً مستقبلية على الدوام: إنها نصوص عشق الآتي» ص١٤.

لكن «رولان بارت» ماذا يقول، إنه يعرِّف اللذة بقوله: «إنها القيمة المتنقلة إلى قيمة الدال الفاخر»، أورده المترجم في أجوبته لـ «نادر السباعي» ص١٥.

إنها قيمة، ودال، وإذا أردنا أن لا نتوقف على الإضافة الوصفية لكلمة «الفاخر» واكتفينا بـ «قيمة» و«دالّ» استطعنا أن نقول بأنَّ «بارت» في تحديده يؤكد على الجوهر المتغير وجوباً في عملية الانتقال ببعض النقاد يقول: الإزاحة.

وقول «بارت»: (ليس الجديد دُرْجة، إنه قيمة) ص٧٥، يؤكد على الضرورة التاريخية في مركب التمثل والإضافة، ويظن ما من عمل إبداعي له دوره، وقيمته، إذا لم يشتمل على هذا المركب الدينامي الأساسي.

وهذا يحدد صورة ووظيفة اللسان أصلا، يقول «رولان بارت» في الكتاب: «لم تعد أمام المرء سوى طريقة واحدة لكي ينجو من استلاب المجتمع الحاضر: إنها الهروب إلى الأمام، فكل لسان قديم معرض للخطر، وكل لسان ما أن يتكرر حتى يصبح قديماً» ص٧٥.

وفي ص ٤٧ يقول «بارت» أيضا: «فاليوم يخرج من البارحة، وروب غرييه موجود في فلوبير، وسولير في رابليه.. إن التاريخ، تاريخنا، ليس ساكنا».

إن «بارت» في كتابه هذا، يعيد النظر في النقد أيضا، يقول في ص٣٨: «وإذا كنت أقبل أن أحكم على نص بما تقتضيه اللذه، فأنا لا أستطيع أن اسمح لنفسي بالقول: إنَّ هذا لجيد، وإن هذا لسيء، إذ ليس ثمة قائمة للجوائز، كما أنه ليس ثمة نقد».

هل هذا يتقاطع مع ما قاله «جاك دريدا» ذات مرة بأنه يطمح لتأسيس كتابة نقدية جديدة ومختلفة، ولن تكون بالضرورة نقداً أدبياً؟

إن ما يصدر عن «تداخل العلوم» يترك المدى كله مُشْرَعاً أمام ولادات جديدة وكبرى في الفكر الإنساني، وما نشهده، وشهدناه، من النظرية التواصلية لـ «هابرماز» والتفكيكية، وما بعد البنيوية، يدل على وعود غنية وغير قابلة للنفاد.

إن «بارت» في «لذة النص» يُعيد صورة، بل صور الكتابة، ويعرض في فضائها عناصرها التاريخية والثقافية والنفسية، ويطرح، كذلك، سؤال النقد على الكتابة وعلى النقد معاً.

ابن جامع صوت الطرب الذكي

بقلم: د. طاهر تونسي
- جدة -

نتحدث اليوم عن فن قريب من فن الشعر، ملازم له، درج الشعر على ان يصحبه منذ فجر التاريخ الأدبي، وهذا الذي صاحب الشعر ردحا طويلا من الزمن يعتمد على جوهر مثل جوهر الشعر ألا وهو الموسيقى. أما الفن الذي سأتحدث عنه أو عن علم من أعلامه فهو فن الغناء، الذى رافق فن الشعر. فالغناء لا يكون إلا بشعر، وكتب أدبنا حافلة بهذه المزاوجة بين هذين الفنّيْن الرائعين، وحسبك كتاباً من أعظم كتب الأدب العربي وهو كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الذى تناول فيه اعلام المغنين وأعلام الشعراء الذين غنى لهم، وها نحن اليوم نتحدث عن رجل له مقام كبير في هذا الفن وله مقام في النقد الأدبي لما يتميز به حسه الفني الأدبي من ذوق رائع فريد.

نتحدث اليوم عن ابن جامع صاحب الذوق الرفيع في انتقاء الشعر وحسبك من بعض القصائد التي اختارها وغناها قول الشاعر:

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا
فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لأن النوم يغشى عيونهم
سراعا وما يغشى لنا النوم أعينا
إذا ما دنا الليل المضر بذي الهوى
جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلما
نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

*** ومنها قول الشاعر السموأل بن عادياء:**

تعيرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها إن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل
وإنا لقوم ما نرى القتل سبة
إذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا
وتكرهه آجالهم فتطول

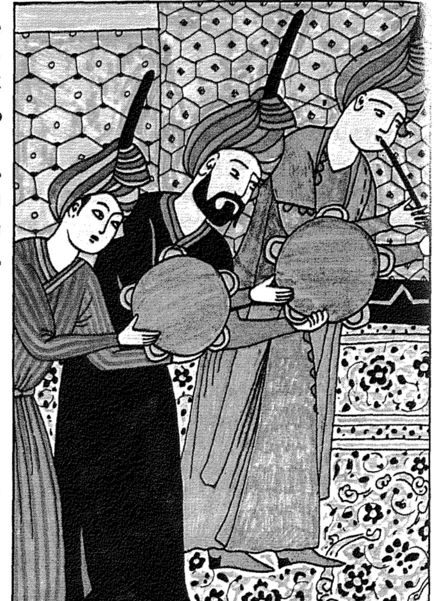
*** ويغني مرة أخرى قول الشاعر عمرو الوراق:**

فلو كان لي قلبان عشت بواحد
وخلفت قلبا في هواك يعذب

ينتمي من ناحية نسبه إلى بني سهم وقبيلة سهم فرع مشهور في كتب السيرة منهم العاص بن وائل وعمرو بن العاص. ونعلم بعد ذلك أن أحد أجداد ابن جامع واسمه ضبيرة السهمى قد مات وله من العمر مائة سنة وليس في رأسه أو لحيته شيبه واحدة ولما مات رثاه شاعر فقال:

حجاج بيت الله إن
ضبيرة السهمي ماتا
سبقت منيته المشيب
وكان ميتته افتلاتا
فتزودوا لا تهلكوا
من دون أهلكم خفاتا

وتخبرنا الأخبار أن من أجداده أبا وداعة وكان معاصرا لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد أسر يوم بدر مع الكفار ففداه ابنه المطلب وكان ابنه المطلب رجل صدق وحق وقد روى عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعض الأحاديث.



وقد كان ابن جامع يكنّى بأبي القاسم وكانت أمه من بنى سهم أيضا وقد تزوجت بعد أبيه رجلا من أهل اليمن ونراه بعد ذلك وهو صغير وأمه يدخلان على ديوان معن بن زائدة الشيباني. ويدخل ابن جامع الطفل الصغير وأمه وهو يطأ ذيل ثوبها وكان ذلك أيام ولاية معن بن زائدة على اليمن، قالت والدة ابن جامع لمعن بن زائدة: أصلح الله الأمير، إن عمِّي زوجني زوجا ليس بكفء ففرق بيني وبينه.

قال معن: من هو؟

ولكنَّما أحيا بقلب مُرَوَّع
فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرب
تعلمت أسباب الرضا خوف هجرها
وعلمها حبي لها كيف تغضب
ولي ألف وجه قد عرفت مكانه
ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

ونعلم ونحن نقلب الصفحات في كتب الأدب أنه كان كثير الإطلاع على الشعر راويا له لا يترك شاعرا من كبار الشعراء ولا صغارهم إلا وقد شدا شيء من شعره فتهفوا النفوس إلى سماع صوته رائع الجميل وعذوبة أدائه، ثم نعلم بعد ذلك أنه

قالت: ابن ذي مناجب

قال معن: عليَّ به، فدخل رجل قبيح المنظر مشوه الخلقة قال معن: مَنْ هذه منك؟

قال: امرأتي.

قال معن بن زائدة: خل سبيلها.. ففعل وأطرق معن ساعة ثم رفع رأسه وقال:

لعمرى لقد أصبحت غير محبب
ولا حسن في عينها ذا مناجب
فما لمتها لما تبينت وجهه
وعينا له حوصاء من تحت حاجب
وأنفا كأنف البكر يقطر دائبا
على لحية عصلاء شابت وشارب
أتيت بها مثل المهاة تسوقها
فيا حسن مجلوب ويا قبح جالب

فأمر معن لها بمائتي دينار وقال لها تجهزى بها إلى بلادك. فتجهزت مع ابنها ابن جامع وذهبت إلى الإقامه في مكة .. وهنا تنتهى أخبار هذه الأم في كتب الأدب فلا نعلم عنها بعد ذلك شيئا ولا نعلم تاريخا لوفاتها.

وشب ابن جامع واسمه اسماعيل بن جامع بن اسماعيل ويحفظ كتاب الله كاملا وأمور السيرة ويواظب على الصلوات حتى يقول فيه أحد معاصريه: «كان ابن جامع من احفظ خلق الله لكتاب الله واعلمه بما يحتاج اليه. كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلى الصبح ولا يصلى الناس الجمعة حتى يقرأ ابن جامع جزءا كبيرا من القرآن ثم ينصرف إلى منزله. وكان حسن السمت كثير الصلاة، قد أخذ السجود جبهته، يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لبس الفقهاء. وتروى الروايات أنه كان ذات يوم بمكة وكان الرشيد قد قدم بقصد الحج وقد صحب الرشيد معه اعيان ووجهاء دولته من أمثال القاضى الشهير ابي يوسف ويحى بن خالد والفضل بن يحى وجعفر بن يحى البرمكى وجمع من أهل العلم. وها هو القاضى ابو يوسف يتجول في جنبات مكة فينظر إليه ابن جامع ويتمنى محاورته في أحكام الغناء.

والقاضي أبو يوسف معروف رأيه في الغناء. وابن جامع يريد أن يستميله وأن يثبت لأبي يوسف أنه لا يأتى من الأعمال أسوأها فيذهب الى أبى يوسف ويفاتحه بالحديث وابو يوسف لا يعلم أن محدثه ابن جامع فيبدأ ابن جامع المناقشة في أمور فقهية وهذا ابو يوسف يبدى اعجابه بعلم هذا الشاب وورعه فما كان من بعض الناس إلا وقد أخبروه بأن هذا الشاب هو ابن جامع، ويتألم ابو يوسف عندما يعلم أن من ناقشه لم يكن من أهل العلم بل هو من أهل اللهو.

وتشاء الظروف ان يجتمعا ثانية. فبدأ ابن جامع بالسلام ولكنه وجد رجلا غير رجل الأمس، قد تغير وجهه وانحرف عنه ومالت عنه نفسه، قال ابن جامع: مالك يا أبا يوسف تنحرف عني؟ أي شيء أنكرت؟ أقالوا لك إنى ابن جامع المغني فكرهت مواقفتي لك؟ دعنى أسألك عن مسألة ثم اصنع ما شئت، يا أبا يوسف لو أن أعرابيا جلفا وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة وقال:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأبد

أكنت ترى بأساً؟ قال ابو يوسف: لا وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في الشعر قول، وروي في الحديث، قال ابن جامع: فان قلت لك أنها هكذا: ثم اندفع ابن جامع بصوته العذب الرائع يتغنى ويطرب ويشنف الآذان بنفس البيت حتى لم يبق في القوم رجل إلا وهو معمود ثم قال:

يا أبا يوسف رأيتني زدت فيه أو نقصت منه

قال ابو يوسف: يا ابن جامع، إعفني من الجواب عافاك الله.

قال ابن جامع: يا أبا يوسف أنت صاحب فتيا، ما زدت على أن حَسَّنْتُه بألفاظي فحسن في السماع ووصل إلى القلب، ثم تنحى عنه ابن جامع وافترق الاثنان كل على رأيه.

ولا تفيدنا كثيرا كتب الأدب عن حياة ابن جامع، ان هي إلا أخبار متفرقة نحاول قدر الإمكان ان نلم شعثها. ونعلم انه عاش جزءا من شبابه في مكة المكرمة بل إني أميل إلى الظن أنه ولد بها وقضى ردحا من طفولته فيها.

وفي عهد الخليفة المهدى أعجب ابنه موسى الهادي بغناء ابن جامع فكان لا يزور مكة إلا ويطلب من ابن جامع أن يغنيه شيئا من شعر العرب.

أما المهدي فلا يستطيب الغناء ويعتبره من المكروهات فأمر ذات يوم بابن جامع وصديق له اسمه ابراهيم الحراني فضربهما وأوجعهما لصلتهما بابنه موسى الهادي، ثم يشاء ان يموت المهدى وتصل الخلافة إلى موسى الهادى وها هو يعطى الفضل بن يحي البرمكي الدنانير ويقول له: الحق بمكة فاتني بابن جامع واحمله فى قبة ولا تعلمن بذا أحدا وفعل الفضل ذلك وأنزله في بيته واشترى له جارية. وفي ليلة ليلاء أمر الهادي الفضل أن يأتيه بابن جامع فأتاه فكان أول ما غناه:

فلو سألت سراة الحي سلمى
على ان قد تلون به زماني
لخبرها نوو الأحساب عنى
وأعدائي فكل قد بلاني
بذبي النمّ عن حسبي ومالي
وزبونات أشوس تيحان
وأني لا أزال أخا حروب
إذا لم أجن كنت مجن جاني

فطرب الهادي واستمر اتصال ابن جامع به ولم يمكث موسى الهادي في الحكم كثيرا فمات في ظروف غامضة وولي أمور المسلمين أخوه هارون الرشيد وقد كان الرشيد كارها لكثير من أمور أخيه الهادي ولكنه كان محبا لابن جامع يستمع اليه ويستعذب صوته الشجي وكان أول لقاء بينهما ان غنى ابن جامع له:

من كان يبكي لما بي
من طول سُقْم رسيس
فالآن من قبل موتى
لا عطر بعد عروس
بنيتم في فؤادى
أوكار طير النموس
قلبي فريس المنايا
يا ويحه من فريس

ويعلم هارون الرشيد بذكائه ان ابن جامع يجيد الغناء عندما يكون حزينا فيدس له أخاه الصغير ابراهيم بن المهدى - وكان مشهورا بحبه للغناء ثم كان بعد ذلك من أعلام المغنين، ان يدس لابن جامع ان والدته يزعمون انها ماتت، وابلغ ابراهيم ابن جامع بالخبر المكذوب وجعل الناس يواسونه ويعزونه ثم سألوه بعد ذلك شيئا يسمعونه فى الموضوع فاندفع يغني قول يزيد بن مفرغ الحميري:

كم بالدروب وأرض السند من قدم
ومن جماجم صرعى ما بها قبروا
بقندهار ومن تكتب منيته
بقندهار يرجم دونه الخبر

والرشيد يستمع وهو معجب غاية الاعجاب من سرعة الخاطر وجمال الصوت، وتكثر الروايات عن صلة ابن جامع بالأمين وكذلك المأمون والمعتصم. ونستنتج أن الرجل قد يكون قد توفي في أواخر عهد الرشيد ولكننا لا نجد تاريخا يؤكد ذلك.

غناء على الأط

غدوتُ أسأل والأطلالُ مُصغية
عن طيف رغدة هل شاهدت يا طللُ؟
أما لمحت بتلك البيد خطوتها
أضناني الدرب إذ حارت بي السُّبل
يا دمنة الحزن ذاب الصبرُ واضطرمتْ
في روحي النارُ والأضلاع تقتتل
عاهدتك العمر للأحباب تضحية
نذراً عليَّ، ونذري دربه الأجلُ
بلغ سلامي لمن فيك المقام لهم
مذ خافت الدهر والأزمانُ ترتحل
وانشد لرغدة مغنى كنتُ أنشده
حين الرقاد إذا ما باتت المقل
إن رمت صمتك فالآثار تخبرني
إذ مرّ فيك خيالٌ طبعهُ الأمل
يا «رغدُ» رسمك عينُ القفر تشهده
ما زاغت العين لولا أن بها خجل
أقوى الزمان رسوم الدار فاتخذت
من بذرة الحب ريا منه تغتسل
أفردت سمعي لصوت لافت غرد
كأنه الراكع الباكي .. ويبتهل
كأنه الليل إذ يهمس لغيهبه
قد هدني العتم إني بالدجى ثمل
كأن غيمك خلى من مدامعه
في الدار قطراً عزيزاً .. كاد يشتعل
لما تلوت على الأطلال أسئلتي
عن ظل رغدة عن آثار من رحلوا
تكفل الدمعُ بالإخبار في وله
بالقول ... روح بجسم الخيم تندمل

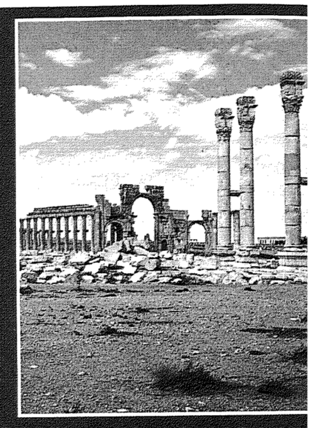


شعر : عماد أبو سالم
- الاردن -

قد هاجني الذكر والنجمات عابسة
يا مالك الذكر جفني بالهوى نحل
إن كان وحيا يسيل الشعر من فمه
عذب المذاق لنيذاً .. قوله عسل
فالله ألهمني وحيا أسرُّ له
في وجه «رغدة» حتى جاءني النُّزُل
أشرقت فوق ضريح الروح فانبعثت
من لحدها ويرغد العيش تأتمل
فجِّرت بطن يراع الشوق زلزلة
حتى تبين في أرحامه الحبل
لك الشعارات في الأكباد خافقة
والأغنيات بروض القلب تحتفل
لك اللحون.. لك الأنغام تعزفها
أعشاب روحي كزهر هَزَّه الهطل
نام النعاسُ ونومي بات أحجية
يا دمعة نزفت من ذرفها المقل
مات الشباب ودق الشيبُ أغنيتي
فالورد ينبل .. والأغصان تكتهل
عمَّ النواح غناء الطير فاكتئبت
في شدوه الروح حتى جاءها الأجل
أين المدام؟ وأين الكأسُ ألثمها
من خمرك العذب إني المثقلُ الخبل
زرعت الفل والريحان في تربي
حتى تودَّع من كثبانها الكسل
أنت القصيدة في الأسحار مطلعها
وفي الغداة .. إذا ما عشتُ تكتمل
رحلت عنكمُ، والأشواقُ تعصرني
كيف اللقاء؟.. وهل في العمر مقتبل؟

مجلة السائح العدد (١٠٢)

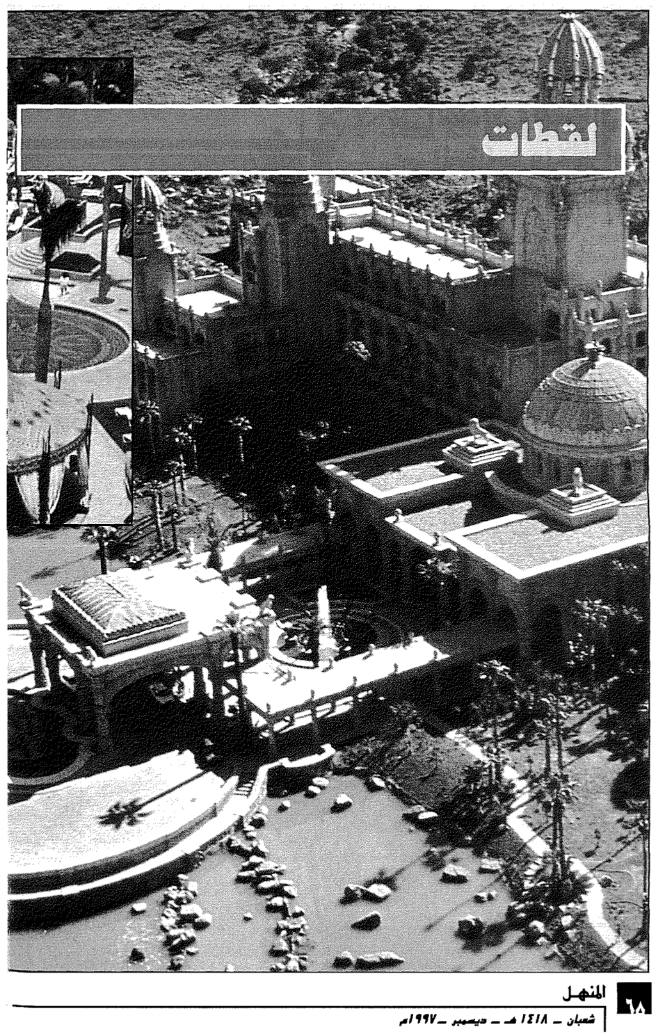
في البلدان والعمران
.. في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقريء
الملامح ويرسم اللوحة

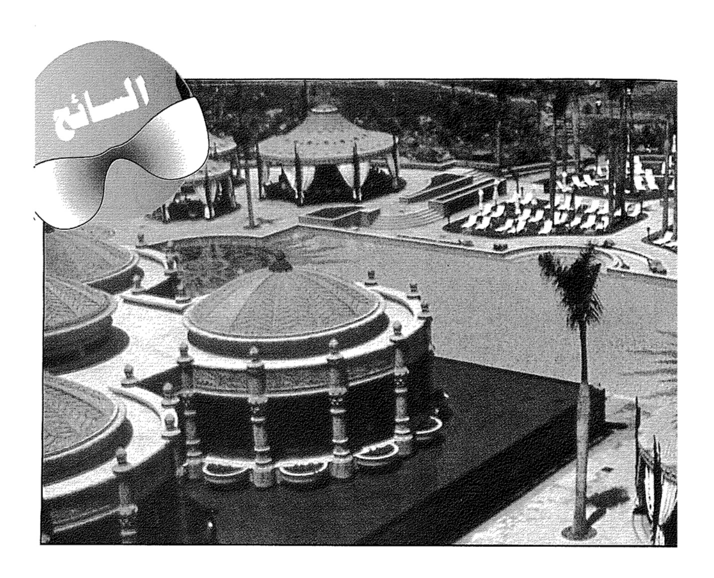


تدمر .. تاريخ حافل
بالمعالم الأثرية

غرناطة .. اخر معاقل
العرب فى الاندلس

السائح


لقطات



بوفوتسوانا

«بوفوتسوانا» هذا الموقع الجميل في جنوب افريقيا، شهد منذ مئات القرون اندثار مدينة جميلة، لقد ثارت فوهة البركان لتبتلع تلك المدينة الهادئة.. واصبحت تلك المدينة الغارقة واحدة من أساطير الزمن يتناقلها الأجيال.

والمدينة المفقودة هذه تقع في منطقة بيلانسيرج الجبلية الوعرة بجمهورية بوفوتسوانا..

ويجيء في زماننا هذا واحد من المغامرين من اثرياء جنوب افريقيا ليعيد تلك المدينة للوجود ثانية، ولكن في مشروع سياحي تكتنفه حكاوي الأساطير.

على مساحة (٢٨٠) ألف متر مربع، وبتكلفة قدرها (١٧٠) مليون دولار.. أقيم البناء الجديد على النمط الافريقي، بأسلوب هندسة معمارية رائعة تحتفظ بالقديم مع الجديد، بحيث تصبح المدينة في مجموعها الهندسي واحدة من أساطير هذا القرن.

تدمر .. تاريخ حافل بالمعالم الأثرية

سماء صافية كالفيروز، وأشعة ذهبية تغمر الروابي والسهول تهبها النور والدفء والعطاء ، صحار واسعة بلا حدود وأماسي جميلة تشهد كل يوم وليالي تستحم بضوء القمر، لا يعكر سكونها غير صوت الحادي وراء إبله .. وتنهدات مزمار راع يرتل لحسن العودة. صورة مليئة بالألوان والظلال تجمع سحر الشرق وتقاليده. تلك هي تدمر تطالعك في عزلتها بأطلالها الشامخة، وبتاريخها المجيد الذي يروي للأجيال ملحمة عربية خالدة.

وقبل أي شيء آخر لابد من الاعتراف بأن زيارة تدمر بلدة وآثاراً تترك في النفس انطباعات إيجابية عديدة، وذكريات محببة تكاد لا تنسى وبهذا الصدد يقول «جان لاكوتير»: زيارة تدمر اليوم لم تعد فقط للاكتفاء بالاستغراق في ماض مضيء ذلك أن الانطلاقة التي تعيشها هذه الجزيرة الغارقة في بحر من الرمل، لا تنفك تنتزع منا الدهشة والإعجاب. أما «فولني» فقد قال: لم تترك العصور القديمة شيئاً، لا في اليونان ولا في إيطاليا يمكن مقارنته بعظمة تدمر.

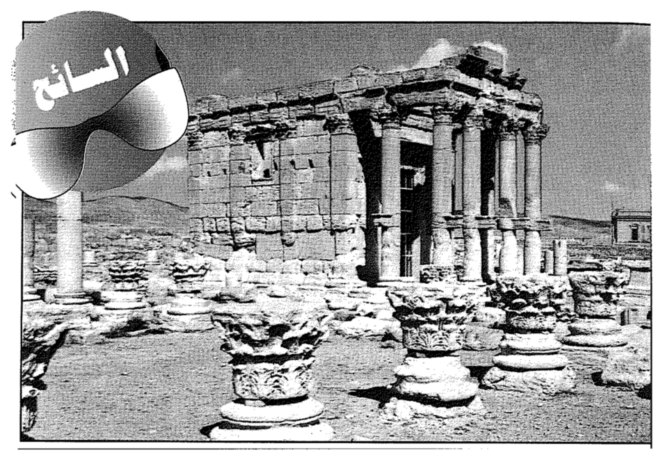
الموقع والطبيعة:

إن الأساس الجغرافي لتدمر عبارة عن نبع قائم عند خانق جبلي، على مسافة متساوية تقريباً بين المدن السورية من جهة، وبين سورية وبلاد ما بين النهرين من جهة ثانية. خلق هذا النبع واحة خضراء في منتصف بادية الشام فصارت بصورة طبيعية مكان استراحة ومحطة للقوافل، وقد توفرت في هذا الموقع الهام مياه غزيرة صالحة للشرب، ومياه كبريتية ممتازة تنبع من مغارة «أفقا» وتصلح بها أشجار النخيل والزيتون والرّمان وبعض الفواكه وأكثر أنواع الزراعة.

أول ذكر لتدمر:

لقد ورد أول ذكر لتدمر في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، ثم في إحدى الرقم الآشورية المكتشفة في كبادوكيا «الأناضول» كما ذكرت في رقم مدينة ماري «تل الحريري على الفرات» التي تعود لعصر حمورابي القرن ١٨ ق.م.

علاء الدين حسن
- سوريا -



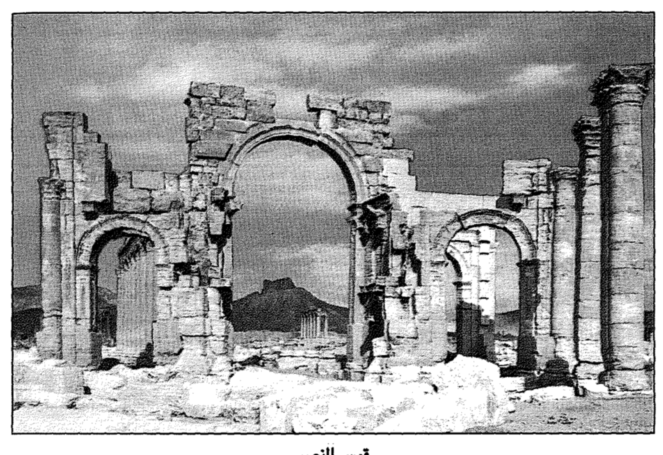
معبد بعل شامين

وأيضاً في حوليات الملك الآشوري تفلات فلاصر القرن ١٧ ق.م، التي تذكر وصوله إليها لمقاتلة سكانها الآراميين. أما تسمية تدمر فهي معروفة لدى الساميين جميعاً ويطلقها العرب عليها اليوم واتخذ اسماً لاتينيا هو «بالميرا» من بالما ومعناه النخل والتمر.

الآثار المختلفة:

كانت تدمر حتى القرن الأول ق.م قرية صغيرة ثم أخذت تبدو أهميتها بتشكل طبقة حاكمة عربية واعية عرفت كيف تستفيد من الطرق التجارية وعرفت دورها بين الدولتين المتنازعتين الفرس والرّومان» فأخذت المدينة تزدهر بسرعة، تنتظم وتتسع، فامتدَّ الشارع العرضاني وازدان بالأروقة، ووصل عن طريق الشارع الطويل إلى مركز «التيترابيل» وفي المصلبة التي يتقاطع عندها شارعا تدمر الرئيسيان. وعلى الشارع الطويل توجد البوابة المعروفة بقوس النصر التي شيّدت حوالي منتصف القرن الثاني بمخطط مثلث بحيث تنحرف بالشارع المذكور ٣٠ درجة وتحوله بلطف جنوبياً نحو معبد «بل» وهو أكبر آبدة دينية في الشرق القديم الأمر الذي يشكل حلا عمرانياً في غاية الذوق.

ومن هذا الشارع الرئيسي تتفرع طرقات مستقيمة تؤدّي إلى بيوت المدينة ومعابدها ومنها معبد «بعل» وإذا ما سرنا قليلا نجد في الجهة الأخرى من الشارع مسرح تدمر الذي بني في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي على



قوس النصر

الطراز الروماني، وهو بحد ذاته آبدة من أجمل الأوابد تبهج النفس بأدراجها المتوازية ومداخلها المحكمة وبمنصة التمثيل الرحبة «٤٨ × ١٠م» المزينة بالأعمدة الرشيقة، والمدينة كلها محاطة بسور من عهد زنوبيا.

أزياء تدمر:

قدمت لنا مكتشفات تدمر الأثرية الكثير من الشواهد النحتية التي أظهرت معلومات وافرة عن الزي الذي كان يلبسه التدمري.

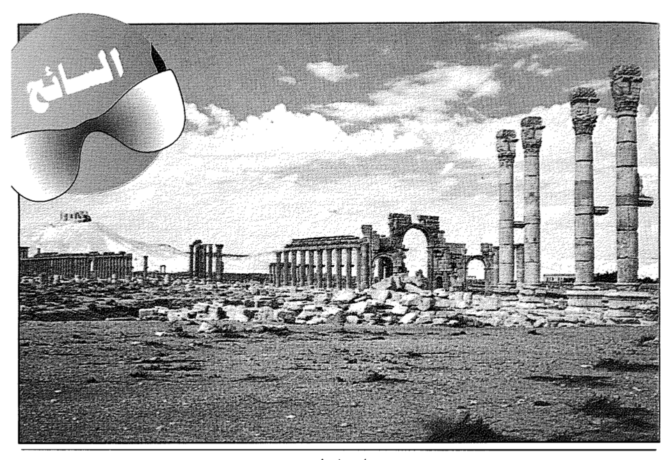
وما يلفت النظر في هذا الفن، ذلك النموذج الواضح بين ثقافات الشرق والغرب.. وأكثر الرجال يرتدون المعطف اليوناني الذي كان شائعاً حينذاك في شرقي الامبراطورية الرومانية، في حين أن النساء يرتدين الزّي الشرقي التقليدي.

كما أعطتنا المنحوتات معلومات عن أزياء الكهنة، هذه الطبقة الاجتماعية التي تعرف من خلال الشكل المميز للقلنسوة التي يرتدونها، وعلى القلنسوات شعارات قد ترمز إلى رتبة الكهنة.

ويشكل الجمالة والخيالة عماد الجيش التدمري، ومن خلال ملاحظة المنحوتات نرى أن زي الجمالة كان يتألف من تنورة ذات اكمام طويلة وهناك منحوتات تعطينا فكرة عن نوعية السلاح.

زنوبيا والأسطورة:

إن الحديث عن تدمر لا يمكن أن يبدأ أو أن ينتهي إلا بالحديث عن زنوبيا، هذه المرأة التي



منظر عام لتدمر

حملت طابع الأسطورة بل أن أخبارها عند العرب قد اختلطت بأخبار التاريخ العربي القديم وتناقلها الناس كقصة بطولية عربية خالدة.

لقد كانت زنوبيا نموذج الحاكم القادر الطموح، وصفها المؤرخ الروماني «تريبلوس» بأنها أجمل بكثير من «كيلوباترا» على أن التاريخ لم يخلد زنوبيا لجمالها الفريد بل من أجل حكمتها ومقدرتها اللتين تفوّقت بهما على الرِّجال.

كما تحدّث عن زنوبيا كثير من المؤرخين. ولكن قد يكون مثيراً أن نسمع خصمها العنيد أوليان وهو يصفها قائلا: «لو يعلم الآخرون من هي هذه المرأة لو كانوا يعلمون رصانتها في المجالس، وإرادتها في وضع القرارات الحاسمة، وحزمها العسكري وتسامحها القادر لعرفوا ماذا يعني الإنتصار عليها!!!

الجديد في تدمر:

إن تدمر تلك المدينة المتفردة التي تضم حضارة هي في رأي الأب «ستاركي» واحدة من أكثر حضارات الشرق الأدنى أصالة وأخذاً بمجامع القلب لم تنقطع منذ حوالي قرنين عن الجود علينا بالكشوف الأثرية، الكتابية والمعمارية، بل إنها في بحر السنوات العشرين الأخيرة زادت عطاءاً إثر أعمال التنقيب الوطنية.. ولا شك أن ثروات جديدة مجهولة ستتحف علماء الغد.. فموقع تدمر الأثري لا يزال يحمل الكثير من الكنوز والأطلال تحت الرِّمال.

غرناطة

آخر معاقل العرب في الأندلس

بقلم : د . غازي حاتم
- سوريا -

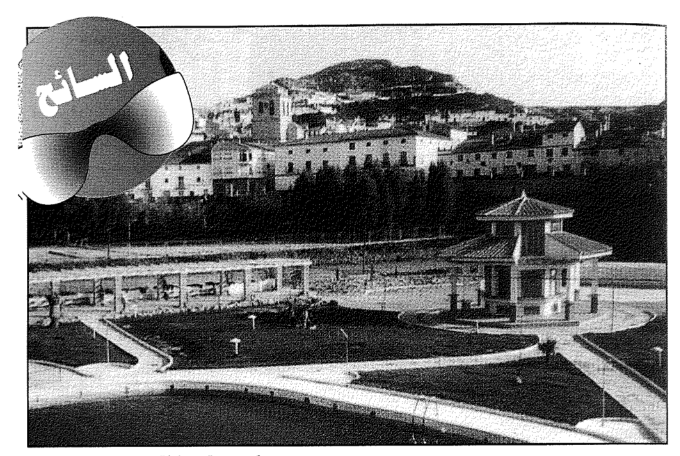
منذ أن درست التاريخ الاسلامي، كانت نفسي تتوق الى زيارة اسبانيا والتعرف على الحضارة الاسلامية والعربية التي تركها أجدادنا العرب في تلك البقاع الشاسعة. وقد تحقق لي ذلك بعد أن أنهيت دراستي الجامعية (البكالوريوس) وحصولي على موافقة من جامعة مدريد المركزية لمتابعة الماجستير والدكتوراه فيها وقمت بزيارة الأندلس بعد أن تمكنت من اللغة الاسبانية بشكل جيد، حيث كانت محطتي الأولى في آخر ممالك العرب، في مدينة غرناطة الحبيبة التي تقع في جنوب اسبانيا وتحيط بها عدة مدن اسبانية. من الشرق تحدها الميرية ومورسية، وتحدها من الشمال كل من خاين (جيّان) وقرطبة، ومن الغرب مالقة، بينما تمتد أراضيها في الجنوب على شاطىء البحر الأبيض المتوسط بطول ٧٠كم. تبلغ مساحة غرناطة ١٢٥٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها حوالي نصف مليون نسمة، يبلغ ارتفاع النقطة الأكثر انخفاضاً ٦٦٢ متراً والنقطة الأكثر علواً ٧٨٠ متراً. تبعد عن مركز العاصمة الأندلسية (اشبيلية) ٢٥٦كم وعن مركز العاصمة الاسبانية ٤٣٢كم.

غرناطة .. من أجمل مدن اسبانيا وأكثرها غنى بإرثها التاريخي العائد لحضارات الشعوب التي مرت عليها، في مقدمتها الحضارة العربية التي تركت فيها بصمات رائعة كقصر الحمراء. تمتلك لأهم المقومات السياحية من معالم أثرية ومنتجعات سياحية وشاطىء جميل وطبيعة خلابة وجبال شاهقة وطقس معتدل، هذا بالاضافة الى كونها مركزاً ثقافياً وفلكلورياً هاماً ومكاناً لإلهام كثير من كتاب العالم.

تاريخ مدينة غرناطة:

وقبل الغوص في أهم معالم غرناطة التاريخية والسياحية، لابد من اعطاء لمحة عن تاريخها العريق الذي تؤكده الآثار الباقية في كثير من مناطق المدينة السياحية والأثرية التي لها تاريخ عريق كما تثبت الآثار الباقية حتى الآن على أراضيها. حيث توجد فيها بقايا عائدة للإيبيريين والفينيقيين والرومان الذين تركوا حضوراً متميزاً في كثير من المناطق وبقيت غرناطة خاضعة لهم حتى سطا عليها القُوط في القرن الخامس للميلاد وسيطروا عليها لفترة تزيد عن قرنين.

وبعد ذلك دخل العرب الى شبه الجزيرة الايبيرية سنة ٩٢هـ/ ٧١١م بعد أن ساءت حالتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية نتيجة ضعف حكم القوط ونظامهم الذي كان سائداً ولم يكن المسلمون متفوقين عسكرياً أو مادياً أو تقنياً أو عدديا بل كانوا متسلحين



قرية غاليرا الواقعة في الشمال الشرقي من مركز مدينة غرناطة

بالعقيدة والايمان الراسخ بالدعوة التي كانوا ينادون بها وتميزت العهود التي مرت على الاندلس ما بين القوة والضعف وما بين الانتصار والانكسار.

وبانتقال مركز القيادة الاسلامية من قرطبة الى اشبيلية وأخيراً الى غرناطة.

وابتداء من عهد الفتح الذي دام حوالي أربع سنوات حيث سيطر العرب على غالبية شبه الجزيرة الايبيرية باستثناء بعض المناطق الشمالية. ثم تلاه عهد الولاية الذي دام حوالي ٤٢ سنة حكم فيه عشرون والياً وانتهى بمجيء عبد الرحمن الداخل الى قرطبة سنة ٧٥٥م واستقلاله عن الخلافة العباسية وتعيينه أميراً للبلاد. ومن عهد الامارة الذي دام حتى سنة ٩٢٩م، انتقلت الأندلس الى عهد الخلافة (٩٢٩ - ١٠٠٩)م والى عهد الطوائف (١٠٠٩ - ١٠٩١م) الذي سبقه أعوام من الفوضى والى عهد المرابطين والموحدين في اشبيلية وأخيراً الى عهد مملكة غرناطة (١٢٢٣ - ١٤٩٢م) حيث قامت دولة بني الأحمر التي استمرت ما يزيد على قرنين ونصف القرن. وبهذا الشكل تكون فترة بقاء العرب في غرناطة ٧٨١ عاماً وهي أقصى مدة بلغتها عروبة مكان في شبه الجزيرة الايبيرية وكان آخر ملوكها أبو عبد الله الصغير.

وقد سميت غرناطة - التى تعني بالاسبانية رمانة - بهذا الاسم بعد ذهاب العرب الى تلك البقاع وأحضروا معهم شجر الرمان وزرعوه فيها، علماً بأنه يوجد فريق آخر يقول بأن اسم غرناطة يعود لفترات قديمة جداً، حيث كان لأحد حكامها (هرقل) بنتاً اسمها غراناتا وكانت مكلفة ببناء المدينة وسميت باسمها.

مواقع تاريخية وسياحية هامة:

تقسم محافظة غرناطة الى ست مقاطعات رئيسية غنية بآثارها ومواقعها السياحية التي تجذب السياح اليها من جميع أنحاء العالم وذلك لما تملكه من كافة مقومات السياحة سواء في فصلي الربيع والصيف حيث توجد الطبيعة الخلابة التي تقدم شواطىء طويلة وجبالا مرتفعة وشاهقة وغابات شاسعة وطقساً معتدلا ومنتجعات ومصايف منظمة وحفلات للفرح والانبساط، أم في فصلي الخريف والشتاء حيث تحتفظ غرناطة بآثار عائدة لحضارات هامة وبارزة كحضارات الرومان والعرب، في مقدمتها قصر الحمراء الخالد وحديقة العريف التابعة له، وعلى مدار السنة، تمتاز غرناطة بفلكلورها الغني جداً وبمتاحفها الهامة ومسارحها

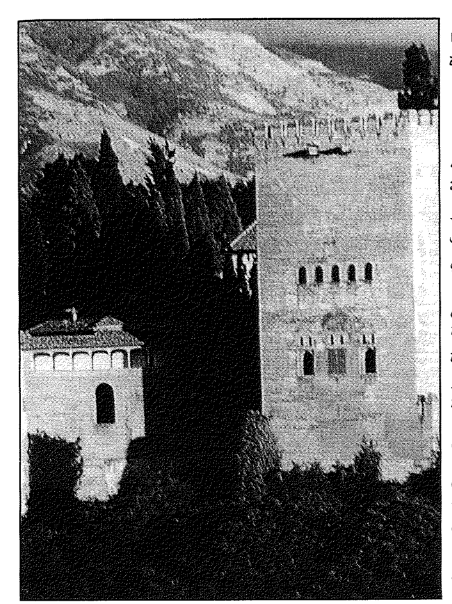
المشهورة وهذا ما يجعل الزائرين اليها فرحين، نشطين ومتفائلين بالحياة والمستقبل.

غاليرا:

في الشمال الشرقي من المدينة، توجد عدة مناطق وقرى سكنية أثرية وسياحية أهمها: غواديس التي تُعتبر من أقدم المناطق وأكبرها في كل غرناطة وقد حولها الامبراطور الروماني [أوغوستو] الى مستعمرة عسكرية، كما ساهم المسلمون في بناء المدينة وفي اعطائها ملامح حضارية ومعمارية رائعة ولا تزال قصبة غواديس في حالة جيدة وتعود أسوارها الخارجية لعصر الخلافة. وتأتي بازا في المرتبة الثانية في هذه المقاطعة، حيث توجد فيها بقايا ايبيرية ولها ماض روماني ويحفظ كثيراً من الابنية لرجال مهمين بالاضافة الى الآثار القوطية كما تحفظ في المدينة بعض المعالم العائدة للقرنين الثالث والرابع قبل الميلاد. أما قرية غاليرا الصغيرة والجميلة فلها شخصية مميزة وجديرة بالملاحظة نتيجة لموقعها الهام ولاحتوائها على بقايا (مقبرة أثرية) عائدة لفترة ما قبل التاريخ.

طابع معماري شرقي:

في مركز غرناطة، تغطي المدينة قسماً كبيراً من مساحة المحافظة. وهي من مدن اسبانيا الجميلة وتعتبر قصورها وأبنيتها التي تعود الى عصر النهضة من أجمل الأبنية الأثرية في العالم. وتتميز أحياؤها بطابعها الشرقي الواضح وأهم هذه الأحياء هو حي البيّارين الذي يعتبر مركزاً عمرانياً وأثرياً ممتازاً ومن أفضل نماذج العمارة الاسبانية المسلمة حيث تدل وتشير أشجار السرو والنخيل التي تعلو أسطح البيوت الموريسكية على الماضي العربي، وبين هذا الحي وأبراج قصر الحمراء يجري نهر الدارو وهو من أشهر الأنهار الغرناطية حيث تقع على ضفتيه واجهات الحي السكني.



صورة جانبية من الحمراء

قصر الحمراء:

أما قصر الحمراء الذي صعدنا إليه من مدينة غرناطة عبر طلعة غوميز فهو روعة في الجمال والابداع. تم بناؤه في عهد ابن الأحمر عام ١٢٩٤م، أول ملوك بني نصر في غرناطة وأقيم فوق تلة السبيكة التي تم تحويلها الى مدينة فخمة غنية بقصورها وقصباتها وأبهائها وصالاتها وحدائقها وأصبحت في عام ١٢٣٨م (٦٣٥هـ) معقل الاسلام والعروبة في شبه الجزيرة الايبيرية. وليس من السهل اعطاء قصر الحمراء حقه في الوصف، تلك المباني التي بناها أجدادنا العرب والمسلمون في فترات خاطفة بين ويلات الحروب في شبه الجزيرة الايبيرية التي دخلوها لنشر رسالة الاسلام والحضارة فيها. وتشكل تلك المباني في مجموعها، حصناً كبيراً شمل سطح الهضبة كله، ويضم في داخله ثلاثة أقسام: القصبة والقصور والحدائق.

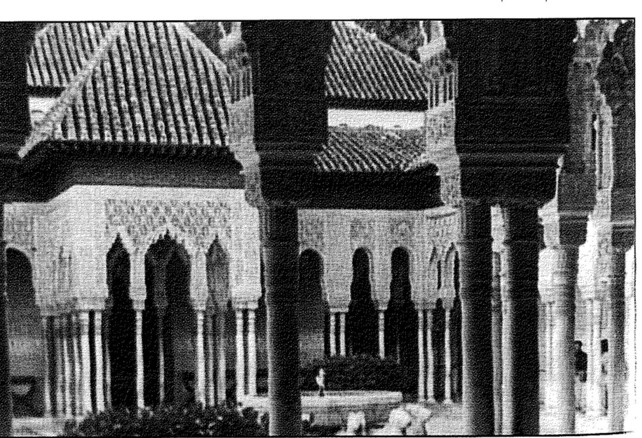
ـيدت القصبة في الجانب الغربي من القصور بأسوارها ـتي تم تدعيمها بالأبراج. ومن أهم هذه الأبراج، برج لقنديل وبرج الداماس وبرج أبي الحشاش.. الى ما هنالك من الأبراج التي كانت تُحصن بها الحمراء وتمنع لمعتدين من الاقتراب منها.

أما قصور الحمراء فهي في الواقع عدة مجموعات من الأبنية، يتوسط كل مجموعة منها بهو مكشوف يتضمن بركة أو نافورة. وأهم الابهاء هو بهو الأسود الذي تتوسطه نافورة يحيط بها ١٢ أسداً حيث تخرج المياه من أفواههم. ويحيط بها صالة العرب وصالة المقرنصات وقاعة ابن سراج وقاعة الأختين. ويعتبر هذا البهو من أروع الآثار المعمارية الباقية في الحمراء حتى الآن وأجمل قطعة خلفها العرب في الأندلس حيث نقشت على حافة البركة بعض الأبيات من شعر الشاعر الأندلسي ابن زمرك. واضافة الى الأبنية المعمارية والحدائق التي تؤكد براعة العرب والمسلمين وحسن ذوقهم، فقد تم اشادة قصر هام عام ١٥٢٦م بعد خروج العرب من الحمراء بفكرة الملك كارلوس الخامس وسمي باسمه، علماً بأن هذا الملك هو حفيد الملكين الكاثوليكيين اللذين استلما مفاتيح غرناطة من الملك العربي أبي عبد الله الصغير عام ١٤٩٢م.

جنة العريف :

أما القسم الثالث من الحمراء فهو جنة العريف - تسمى الآن بالجنيراليف - الرائعة في الجمال والتي تعتبر من المصايف والمنتجعات العربية والاسلامية المشهورة في العالم التي تم انشاؤها بالقرب من الحمراء. أهم مراكزها هو بهو الساقية البديع (Patio de Acequia) حيث يحيط بها رواقان ومرصد للحراسة ويوجد في مركز البهو بركة تحيط بها أزهار جميلة بألوان مختلفة ويعطي رشاش المياه الذي تخرج من نافوراتها منظراً يمتع العين وينعش القلب. وقد كانت جنة العريف مركزاً للراحة والاسترخاء يقصدها الامراء العرب والسلاطين في أيام حكمهم للتآخي مع الطبيعة وللتمتع بمناظرها الرائعة ولاستنشاق عبير أزهارها ورياحينها.

واضافة الى الحمراء التي يقترن اسمها باسم غرناطة، توجد معالم أثرية أخرى في المدينة عائدة لفترة حكم العرب ومَنْ بعدهم من أهمها فناء الكربون الذي



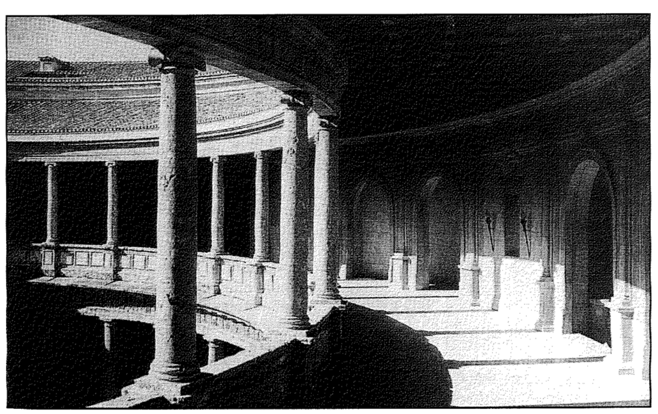
بهو الاسود في الحمراء

يعود الى القرن الرابع عشر والذي يشابه في بنائه الفناءات الموجودة في مدن واقعة على البحر الأبيض المتوسط، والقصر الرائع المسمى بـ كاسادي كاستريل حيث تم بناؤه في القرن الرابع عشر ويمثل حالياً المتحف الأثري في غرناطة والمدرسة التي هي في مركز المدينة والتي بنيت في عهد بني الأحمر وتم ادارتها من قبل عدة مؤسسات حكومية ودينية حتى سيطرت عليها أخيراً الحكومة في عام ١٣٤٩م.

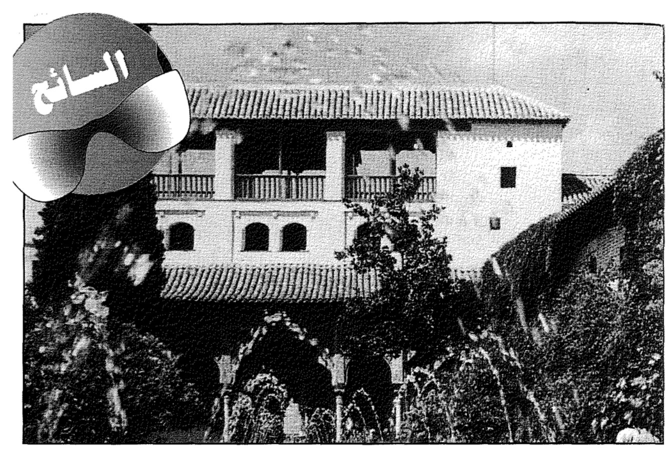
ومن يجول في مدينة غرناطة بين ساحاتها وشوارعها وأزقتها يلاحظ الطابع الشرقي على أبنيتها وأفضل الطرق للتعرف عليها حسب ما أرشدنا العاملون في القطاع السياحي هو البداية من الحمراء والنزول عبر طلعة غوميز حيث يشاهد على جانبي الطريق حوانيت ومحلات لبيع حاجيات للزينة وآلات موسيقية وبعض المصنوعات اليدوية. وبمتابعة الطريق يصل الزائر الى شارع الملوك الكاثوليكيين الذي يقع في وسط المدينة ويحتوي على أحد التماثيل الذي تم بناؤه بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة لتوقيع الاتفاق بين كولون والملكة الكاثوليكية، والى شارع كران بيّا الذي كان من أهم المراكز التجارية في عهد الحكم الاسلامي لغرناطة وما يزال حتى الآن مهماً من حيث الأبنية المعمارية وعدد المحلات التي يحويها. ومن شوارعها المهمة هي شوارع الكايسريا الضيقة التي كانت مركزاً لبيع الحرير في أيام الحكم الاساسي والتي ذكرتنا بالسوق حيث كانت تُباع الحاجيات الأكثر غلاءً وندرة. كما يوجد في مركز المدينة كثير من البوابات والشوارع التي تحيط بها أبنية عائدة لفترات مختلفة من أهمها ساحة الجامعة وبوابة البيرا وشارع سان خيرونمو.

سيرا نفيفادا:

في الجنوب الشرقي من مدينة غرناطة، نجد سيرا نيفادا (جبال الثلج) كما توجد قمة فيلسيتا على ارتفاع ٣٣٩٨م وهي أعلى قمة في شبه الجزيرة الايبيرية وتوجد محطة التزحلق على الجليد والاستراحات السياحية وتقع على ارتفاع ٢١٠٠م وقد جرت على منشآتها وتجهيزاتها بطولة العالم لهذه الرياضة في ١١ شباط عام ١٩٩٦ تحت رعاية ملك اسبانيا خوان كارلوس، حيث تطوع آلاف الأشخاص من المحبين لهذه الرياضة - بالاضافة الى المكلفين بالتجهيزات - على جعل كل شيء جاهزاً قبل بدء البطولة وقد لقيت البطولة اهتماماً كبيراً وحظي القائمون عليها على احترام وشكر كافة المهتمين بالتزحلق على الجليد.



قصر كارلوس الخامس (الحمراء)



جنة العريف من أجمل حدائق العالم

البوخارا:

وبين جبال الثلج وساحل غرناطة توجد منطقة مشهورة في غرناطة بشكل خاص وفي اسبانيا بشكل عام، ألا وهي مقاطعة البوخارا التي تُعتبر بلدة عربية سياحية هامة لما تحويها من قرى جميلة وتقع في منتصف الطريق بين غرناطة والميرية ومن أهم قراها قرية لانخارون الواقعة على سفح هضبة بوردايلا وقرية كانيار ذات الطابع العربي الخالص والمنازل ذات الألوان البيضاء والمغطاة بسطوح غير قابلة لتسرب المياه وقرية كابيليرا بها متحف له نمط كلاسيكي في بنائه ويحمل اسم الكاتب بيدو أنتونيودي ألاركون. أما في قرية تريفيليث التي تعتبر من القرى الأكثر ارتفاعاً في اسبانيا فيتمتع الناظر اليها بمناظر طبيعية خلابة جداً.

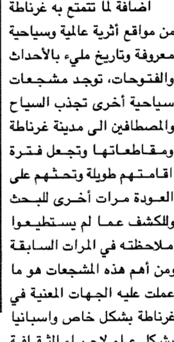
ساحل الشمس:

أما ساحل غرناطة، فهو جزء من كوستاديل السول (ساحل الشمس) المشهور والذي يضم بالاضافة الى الشاطىء في مدينة الميرية وماربيّا وتوريمولينوس في مالقة، شاطئاً تابعاً لعدة قرى غرناطية جميلة جداً مثل المونيكار التي تبعد عن مالقة ٧٥كم والتي تعدُّ من المراكز السياحية المحلية والدولية الهامة وموريتيل التي تُمثل المركز الصناعي للمنطقة وخاصة في قصب السكر ولها منظر رائع جداً وخاصة عند المغيب وسالوبرينيا التي تقع على سفح جبل يوجد فوق قمته قصر عربي وتم المحافظة على حيها القديم جيداً ويعتبر من القرى النموذجية العربية في غرناطة.

مونتي فريو:

في غرب مدينة غرناطة، يوجد إرث غني بالتاريخ يعود الى عصر ما قبل التاريخ، حيث سيطر على هذه المنطقة الايبيريون والرومان والقُوط وكذلك العرب الذين تركوا قلاعاً عائدة لأسرة بني نصر تمتد على الجهة الغربية من غرناطة ومن أهم مناطق هذا القطاع هي الهاما المميزة بشوارعها العربية ولوخا المعروفة ببصماتها العربية حيث تحوي قصبة وقلاعاً وأسواراً تم المحافظة عليها جيداً. ومونتي فريو التي تقدم مناظر طبيعية خلابة يمكن التمتع بها من القصر الموجود في أعلاها.

ثقافة وفلكلور:



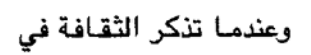
اضافة لما تتمتع به غرناطة من مواقع أثرية عالمية وسياحية معروفة وتاريخ مليء بالأحداث والفتوحات، توجد مشجعات سياحية أخرى تجذب السياح والمصطافين الى مدينة غرناطة ومقاطعاتها وتجعل فترة اقامتهم طويلة وتحثهم على العودة مرات أخرى للبحث وللكشف عما لم يستطيعوا ملاحظته في المرات السابقة ومن أهم هذه المشجعات هو ما عملت عليه الجهات المعنية في غرناطة بشكل خاص واسبانيا بشكل عام لاحياء الثقافة الاسلامية الاسبانية من آخر امارة عربية في الأندلس وذلك بالتذكير بالطرق التي يجب اتباعها لمعرفة غرناطة والأندلس بشكل عام والتي تؤدي في مجموعها لدعم الثقافة الأندلسية وتحريك السياحة والتجارة في الأندلس.



شارع الكايسريا ومحلات التحف

كما عملت الحكومة الغرناطية على تكريم الكاتب والشاعر الغرناطي الكبير فيديريكو غارسيا لوركا الذي كان محباً للعرب (١٨٩٨ ـ ١٩٣٦م) حيث حول البيت الذي كان يسكنه في قرية فوينتي باكيرو الى متحف يضم بعض ذكريات أيام الطفولة وبعض اللوحات التي رسمها له صديقه الحميم سالفادور دالي كما تم تحويل البيت الذي كان يسكنه الموسيقي الكبير ما نويل دي فايا الى متحف يحمل اسمه، علما بأن فايا سافر أثناء الحرب الأهلية الاسبانية التي حدثت بين العامين ١٩٣٦ و١٩٣٩ الى الارجنتين ولم يعد وكان صديقاً حميماً للوركا.

واضافة الى متحفي لوركا وفايا، توجد في غرناطة عدة متاحف منها متحف الحمراء الموجود في قصر كارلوس الخامس في الحمراء ومتحف علم الآثار الموجود في شارع كارا ديل دارو ومتحف الفنون الجميلة.. حيث يعرض فيها بعض الكنوز الأثرية العائدة لحضارات شعوب مرت على غرناطة وبعض اللوحات الفنية التي أبدعها رسامون مشهورون في اسبانيا.



وعندما تذكر الثقافة في



النموذج العربي لأبنية غرناطة

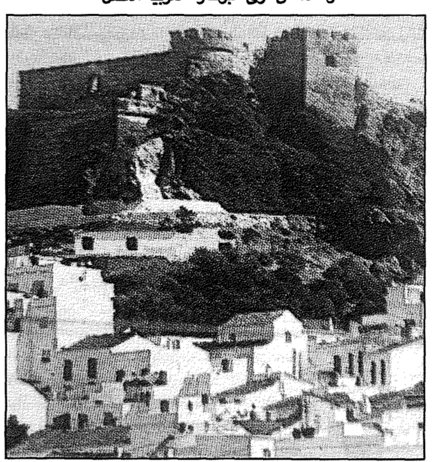
السائح

رناطة، يتبادر الى الذهن اسماء كثير ن شعراء وكتاب غرناطيين أمثال ابن ىرك ولوركا وفايا وغيرهم ولم يقتصر أمر عليهم فقد جاء اليها كتاب عالميون ن عدة جنسيات وكتبوا عنها وعن حمراء الكثير والجميل ومن أهمهم لدبلوماسي الامريكي واشنطن ارفينيغ ومن أعماله «حكايات الحمراء» الصادر ي غرناطة عن دار نشر ميغيل سانتش والفرنسي فرانسواس أوغوست تشارتي أوبرياند ومن أعماله «ابن السراج الأخير».

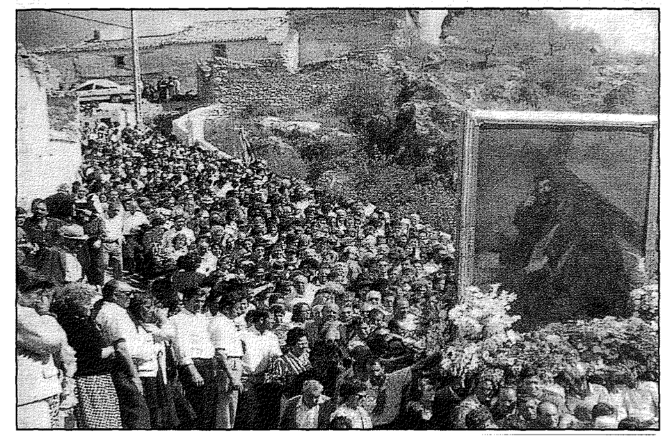
فلكلور:

أما فلكلور غرناطة فهو رائع، حيث تقام احتفالاتها على مدار السنة في المدينة والمناطق والقرى وهذا عائد لكونها المركز التاريخي في الأندلس واسبانيا واضافة الى الغناء والرقص الأندلسي المعروف في كل مناطق الأندلس وخاصة الفلامنكو توجد رقصة مميزة في غرناطة ألا وهي رقصة الزامبرا المشهورة. كما تُخترع كثير من الاحتفالات الثقافية التي يحتفل بها ومن أهمها المهرجان العالمي للجاز والمهرجان العالمي للمسرح والمهرجان العالمي للموسيقا والرقص .. هذا بالاضافة الى كثير من المهرجانات والاحتفالات الشعبية التي تقام في منطقة معينة أو على مستوى غرناطة، منها الروثيو واحتفالات العطلة المقدسة ومهرجانات البائيسن وكابالغاتا دي لوس ريس ماغوس والكاسكاموراس دي غواريس واحتفال العرب والمسلمين احتفال الكريستو ديل بانيو الذي يقام ن الرابع والثامن من تشرين الاول وقد حت مهرجانات هذا الاحتفال على يريكو غارسيا لوركا لوضع مشاهد ها في مسرحيته المعروفة يرما.

واحدة من قرى البوخارا العربية الاصل



قرية سالو برينيا الواقعة على ساحل مدينة غرناطة



مهرجان كريستوبيل بانيو

مصارعة الثيران:

أما حكاية مصارعة الثيران في غرناطة فقديمة، حيث يعود تاريخها الى عام ١٧٦٨م عندما تم بناء ساحة لمصارعة الثيران بين المشفى الملكي وقوس الفيرا وفوينتي نويفا، حسب ما روى لنا خوان رودريغو باسهاب وهو أحد الغرناطيين المتقدمين في السن والمهتمين بهذه الرياضة أو هذا الفن إن صح التعبير. وقد راحت به الذاكرة الى كل من مصارعي الثيران أدريس هيرنانديس وميغيل مور يأس الغرناطيين والى حفلات السمر والمناقشة حول فن مصارعة الثيران التي كانت تقام في عام ١٩٩٤ وكان يترأسها الدون رافاييل راموس مونتيا.

أعمال تقليدية:

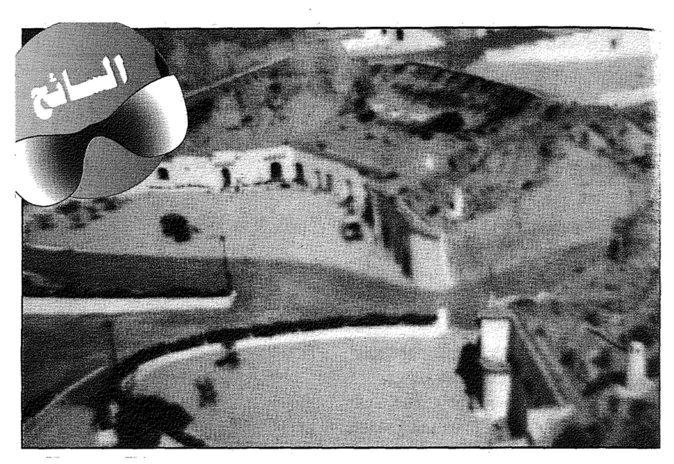
ومازال بعض الغرناطيين يحافظون على بعض الأعمال اليدوية التي كانت ممارسة منذ القديم كانتاج أدوات من السيراميك والفخار، إضافة الى السلال التي تصنع من بعض الأعشاب والمحافظ النسائية التي تصنع من جلود الحيوانات، كما يصنع في غرناطة بعض التشكيلات اليدوية التي يشتريها السياح والمصطافون لأنها تحمل بعض الذكريات الطيبة عن المدينة العريقة التي مازالت تحتفظ بالكثير من الكنوز التي يندر وجودها في بلد آخر.

أطباق غرناطية:

أما الأكلات الغرناطية فهي اضافة الى الأكلات الأندلسية كالغازباتشو وبابس ألو بوبر والتورتيادي ساكرو مونتي، الخ فتوجد أطباق خاصة في غرناطة مميزة لمناطق محددة في غرناطة. ففي البوخارا، ينصح بـ سويلنليوس دي الميندرا وفي مورتيل الأكلة المشهورة موراغا وفي غواديس يحضر كثير من الأكلات من أهمها، غاتشاس دي مايس ديل ماركيسادو. أما في مركز المدينة فتوجد كثير من المطاعم منها ا لغرناطي أو الاسباني ومنها العربي والألماني والايطالي والصيني.. حيث يمكن للزائرين أن يختاروا كل الأصناف التي تخطر على بالهم.

فنادق غرناطية:

تقدم غرناطة لزوارها عرضاً واسعاً من الاقامات



مغارات بيدرو انتونيو

التي تتنوع من البنسيونات حتى الفنادق الراقية والضخمة ذات النجوم الخمسة وذلك حسب الزائر وامكانياته المادية ومن أهم هذه الفنادق فندق ميليا غرناطة الواقع في شارع انخيل غانيفيت الذي يأخذ مكاناً هاما في مركز المدينة، حيث يسهل تنقل الزائر بين المناطق الأثرية وبين المراكز التجارية للمدينة. يبعد هذا الفندق عن مطار غرناطة ١٣٠كم عن ساحل الشمس و٣٠كم عن محطة سيرا نيفادا للتزحلق على الجليد. واضافة الى الفنادق الكثيرة في مدينة غرناطة، توجد فنادق واقامات في المناطق التاريخية والسياحية لمن يريد من الزائرين أن يتعايش مع هذه المناطق وخاصة بين قصور الحمراء حيث يتمتع الزائر بالهواء الطلق وبرائحة أزهار ورياحين حدائق الحمراء وبزقزقة العصافير التي تغرد بين أشجارها.

انطباع:

وقبل مغادرتنا غرناطة باتجاه جارتها الأندلسية «مدينة مالقة» شعرنا بفرح لا يوصف وسعادة لا حدود ونشوة لا تصدق لحضارتنا ومعالمنا الأثرية الباقية في آخر مدينة من فردوسنا المفقود بالرغم من تعاقب الحكام ومرور الزمن وتمنينا لو كان جدول الزيارة الى هذه المدينة العريقة أطول بكثير. كما أحسسنا بأن شيئاً يحزُّ بأنفسنا لما رأيناه من بقايا تراثنا المندثر في تلك البقاع. وأستذكر هنا ما قاله الشاعر الأندلسي الرندي:

لكل شيء اذا ما تم نقصانُ
فلا يغرُّ بطيب العيش انسان
هي الأمور كما شاهدتها دولُ
من سره زمن، ساءته أزمان

وهذا كله يدفعنا جميعاً، عرباً ومسلمين على السواء، أن نأخذ العبر من الماضي ونستفيد من الأخطاء السابقة التي وقعنا فيها وأن نربط ماضينا العريق بحاضرنا وأن نسعى لتحقيق مستقبل زاهر لأجيالنا القادمة وهذا يستوجب علينا الاهتمام بأجيالنا وتنشئتها على أسس علمية وأخلاقية متينة ليكونوا بالمستوى الجيد الذي يمكنهم من رفع راية الأمة العربية والاسلامية وصنع أمجاد وحضارات تضاهي أمجادها في زمن عزتها وازدهارها.

(من آثار ابن جني في اللغة)

الآثار المخطوطة [١]

بقلم:
د. غنيم غانم الينبعاوي
كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى

في مقال سابق تحدث الدكتور غنيم عن الكتب المطبوعة لابن جني .. وفي هذا المقال يتناول الآثار المخطوطة لابن جني.

وهذه الدراسات في المكتبة التراثية لها أهميتها العلمية، لأنها توضح للقارئين بعامة والباحثين بخاصة الجهد العلمي والفكري الذي بذله علماؤنا الافاضل فى القرون السالفة في تدوين العلم وتسجيله.

ـ المنهل ـ

١ ـ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة:

وهو من آثار ابن جني التى وصلت إلينا، أشار إليه ابن جني في اجازته العلمية بقوله: «كتابي في شرح مستغلق أبيات الحماسة»[٢]، وذكره أيضا في كتابه (المحتسب) فقال: «كتابنا الموسوم بالتنبيه، وهو تفسير مشكل أبيات الحماسة»[٣].

وفي هذا الكتاب شرح ابن جني ما أشكل من أبيات الحماسة لأبي تمام، قال في أوله: «أجبتك ـ أيدك الله ـ الى ملتمسك، من عمل ما في الحماسة من اعراب وما يلحق به من اشتقاق، أو تصريف، أو عروض، أو قواف»[٤].

لقي هذا الكتاب اهتماما من الدارسين قديما فقد رجع اليه بدر الدين الزركشي، ونقل منه في كتابه: (البرهان في علوم القرآن)[٥]، كذلك نقل منه عبد القادر البغدادى في كتابه (خزانة الأدب)[٦].

كذلك جمع أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ملكون الحضرمي (المتوفى سنة ٥٨٤هـ)[٧] بين هذا الكتاب (التنبيه) وبين كتاب آخر لابن جني، وهو (المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة) في كتاب له سماه: (ايضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج) ما يزال مخطوطا ـ فيما أعلم ـ ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة الأسكوريال باسبانيا برقم (٣١٢)، ومنه نسخة مصورة في معهد[٨] احياء المخطوطات العربية بالقاهرة برقم (٢٤ لغة) في ١٢٥ ورقة قال ابن ملكون في أول الكتاب: «هذا كتاب جمعت فيه بين كتابي أبي الفتح اللّذين كان وضعهما على حماسة أبي تمام حبيب بن أوس.. سمى أبو الفتح أحد هذين الكتابين (المبهج) وسمى الكتاب الثاني (التنبيه)[٩].

وقد حقق في بعض الجامعات العربية في رسائل جامعية ما تزال مخطوطة، فقد حققه الأستاذ يسرى

قاسم القواسمي[١٠] قال في مقدمة تحقيقه في كلامه عن موضوعات الكتاب الصرفية: «وأما موضوعات الصرف فقد طرق ابن جني معظمها في هذا الكتاب، ففي المصادر مسائل عدة كالمصدر محذوف الزيادة، ومجيء المصدر على «فاعل» وعلى وزن «مفعول» وعلى وزن «فعيل» واسم المرة[١١].

وأشار الأستاذ القواسمي الى بعض موضوعات صرفية أخرى ذكرها ابن جني في كتابه (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة) فقال: «والاعلال: مسائله كثيرة في الكتاب كقلب الياء همزة، وقلب عين الكلمة ألفا، وقلب الواو ياء، وقلب الياء ألفا اذا كانت لام الكلمة.

وكذلك (الابدال) كابدال عين الكلمة تخفيفا، وقلب الهمزة بعد ضم واو .. وأما الادغام ففيه بعض المسائل كادغام الواو في الياء[١٢].

كما حقق الأستاذ عبد المحسن الناصرى هذا الكتاب في رسالة جامعية[١٣] تعرض في مقدمة تحقيقه لحياة ابن جني ولكتابه (التنبيه) وقيمته العلمية ونسخه المخطوطة.

٢ ـ تعليقات لغوية على كتاب ايضاح الشعر:

ألف أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) كتابه (ايضاح الشعر) بعد كتابه (الايضاح العضدى) لأنه يشير الى ذلك فى هذا الكتاب[١٤].

(وتعليقات ابن جني اللغوية) على هذا الكتاب لم يشر اليها ابن جنى ولم تذكره كتب التراجم القديمة التي وقفنا عليها.

ويذكر بروكلمان في (تاريخه)[١٠] أن ابن جني روى كتاب الشعر يقول ـ وهو يعدد مؤلفات أبي علي: «كتاب الشعر: رواه تلميذه ابن جني .. وهو تفسيرات لمواضع من الشعر، ومنه نسخة بمكتبة برلين برقم ٦٤٦٥».

أما الدكتور محمد طلس فيذكر أن ابن جني روى كتاب الشعر وعلق عليه تعليقات لغوية[١٦] وأشار الى نسخة برلين السابقة، كذلك أشار نجيب العقيقي الى أن المستشرق (جوهانسين) نشر قطعة من كتاب الشعر للشيرازى برواية ابن جني، ومنه نسخة بمدينة (هاله) بألمانيا برقم ٨٦٩[١٧] ولعله يعنى بالشيرازى أبا علي الفارسي.

وقد وقف البغدادى (ت ١٠٩٣هـ) على نسخة منه بخط صاحبنا ابن جني فهو يقول وهو يشرح قول الشاعر:[١٨]

اذا ابن أبي موسى بلالا بلغته
فقام بفأس بين وصليك جازر

«... وبلالا ينبغي أن يكون بالرفع، لأنه بدل من (ابن) أو عطف بيان له، وقد رأيته مرفوعا في نسختين صحيحتين من ايضاح الشعر لأبي علي الفارسي احداهما بخط أبي الفتح عثمان بن جني»[١٩].

فهذا النص يؤكد أن ابن جني نسخ الكتاب.

وقد وصلتني صورة من مخطوطة (كتاب الايضاح الشعرى) نسخة برلين هذه وقبل أن أنظر فيها قمت بتجليدها، ولكن عمال المطبعة هذبوا أطرافها فذهبت كثير من حواشيها التى عليها التعليقات ولو سلمت لربما وجدنا فيها شيئا. وقد بقيت بعض هذه التعليقات والتصحيحات، ورأيت بعضها كتب قبلها رمز حرف «ع» ومن ذلك ما أورده أبو علي في (باب الاسم المفرد الدال على التثنية)[٢٠]، قال جرير:[٢١]

كلا يومي أمامة يوم صدّ
وان لم تأتها إلا لماما

قال أبو علي: «فكلا: يرتفع بالابتداء ويوم خبره، وهو مفرد فيدل على المبتدأ أيضا كذلك، ومن ذهب الى أنه تثنية لم يستقم قوله»[٢٢].

وقد أورد المعلق في الحاشية قوله: «ع: هذه التثنية من لبيك وسعديك أعني قوله: (لكلا يومي)».

وقال أبو علي في قول الشماخ:

وماء قد وردتُ لوصل (أروى)
عليه الطيرُ كالورق اللُّجين

وأما قوله ـ يعني الشماخ ـ كالورق اللجين فانه يحتمل ضربين: أحدهما أن تكون حالا من الطير، والآخر أن يكون وصفا للماء، تقديره: وماء كالورق اللجين وردته لوصل أروى عليه الطير(٢٣).

جاء في الهامش: «ع» هذا اذا كانت عليه صفة.. ويستمر هذا التعليق ولكن يتعذر بعد ذلك قراءته لرداءة الخط. وهناك تعليقات وتصحيحات جاءت في هامش الكتاب رمز لبعضها بحرف «ع» وبعضها خلا من هذا

الرمز ولكن يتعذر قراءتها[٢٤] لرداءة الخط أو للقطع الذى أصاب أطراف الكتاب. وفي هذه النسخة اشارة الى أنها نسخت من نسخة كتبت بخط ابن جني فقد جاء في نهاية (باب في الصلات والأسماء الموصلة) في الحاشية ما نصه: «في الأصل هذا آخر الجزء العاشر من أجزاء هذا الكتاب لأبي علي رحمه الله نقلته من خط أبي الفتح ابن جني»[٢٥]. ويرى الدكتور/ محمود محمد الطناحي[٢٦] - الذي حقق هذا الكتاب أن رمز حرف «ع» يعني عثمان ابن جني وعلى هذا يمكن القول، أن هذه التعليقات لابن جني أما التعليقات التي خلت من هذا الرمز فلغيره. كذلك يرى الدكتور الطناحي أن ما نقله البغدادي[٢٧] عن كتاب (الايضاح الشعرى) يتفق وهذه النسخة مما يؤكد أنها نقلت من نسخة بخط أبي الفتح ابن جنى وتكون هذه احدى النسخ التي وقف عليها البغدادى كما أشرت اليه من قبل.

٣ـ شرح المعلقات:

ذكر الأستاذ أحمد خطاب[٢٨] نقلا عما كتبه على الخاقاني في مجلة (الأقلام) العراقية أن لابن جني كتابا باسم «شرح المعلقات» منه نسخة مخطوطة في مكتبة (كاشف الغطاء) بالنجف في العراق برقم (٦٣)، ولكنا لم نعثر على اسم هذا الكتاب في مؤلفات ابن جنى التي وصلت الينا، ولم يذكره ابن جني نفسه في اجازته العلمية لأحد الآخذين عنه، ولم يشر اليه أحد من القدماء ممن وقفنا على كتبهم. وقد حاولنا الحصول على نسخة مصورة من هذا المخطوط أو معلومات دقيقة عنه فلم نستطع، ونرجو الله أن يوفقنا مستقبلا لمعرفة شيء عن هذا الكتاب.

٤ـ شرح مقصورة ابن دُرَيْد:

من شعر أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد(٢٩) المتوفى سنة ٣٢١هـ قصيدته المشهورة بالمقصورة، وتبدأ هذه المقصورة بقول ابن دريد:

يا ظبية أشبه شيء بالمها
ترعى الخزامى بين أشجار النَّقا

وقد شرحها كثير من العلماء، قال ابن خلكان: «اعتنى بهذه المقصورة خلق من المتقدمين والمتأخرين وشرحوها وتكلموا على ألفاظها[٣٠].

أما شرح ابن جني فلم يشر اليه هو في اجازته، ولم تذكر كتبه التي وقفنا عليها ولا ذكرته كتب التراجم التي بين أيدينا.. وهذا الشرح أورده مفهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي باستانبول حين يقول: «رسالة في شرح قصيدة الدريدية لابن جني، مع مجموعة برقم ١٣٢٤»[٣١].

كما ذكره الأستاذ الدجيلي[٣٢]، فقال: وهو يعدد شروح المقصورة «شرح أبي الفتح» عثمان بن جني، منه نسخة باستانبول. ولم يشر الى المصدر الذى نقل عنه، وقد تبعه بعض[٣٣] الباحثين، وقد حاولت أن أحصل على نسخة من هذه المخطوطة أو على معلومات دقيقة عنها، فلم أوفق.

ونقل ابن هشام اللَّخمي (ت٥٧٧هـ) في شرحه لهذه المقصورة عن ابن جني، ولكنه لم يحدد كتابا بعينه لابن جني يقول في شرحه لفظة (طالما) من قول ابن دريد:

رفَّهْ عليَّ طالما أنضيتني
واستبق بعض ماء غُصْنِ ملْتحي

قال أبو الفتح ابن جني: ينبغي أن تكتب: طالما وقلّما موصولة بما، غير مفصولة ما منها، وذلك أنها قد خلطت بهما، وجعلت جزءا واحدا منهما، وهيأت طال وقل - لوقوع الفعل بعدهما البتة، فلما اتصلت بهما معنى وجب أن تتصل بهما نصا[٣٤].

ومن النصوص التي نقلها ابن هشام اللخمي عن ابن جني - وهو يشرح قول ابن دريد:

وعدُ[٣٥] لو كانت له الدُّنيا بما
فيها فزالت عنه دنياه سوا

قوله: وروى ابن الاعرابي[٣٦]: دنياً بالصرف، قال أبو الفتح ابن جنى: وهذا نادر غريب، ولا نعلم شيئا مما جاء في آخره ألف التأنيث مفردا مصروفا غير هذا الحرف. ولو قال قائل ان دنياً هذه المصروفة تكون ملحقة في قول أبي الحسن[٣٧] بجُخدب لم أر به بأسا[٣٨].

٥ـ مسألة في اعراب اذا:

من هذه المسألة[٣٩] توجد نسخة مخطوطة في مكتبة داماد ابراهيم بتركيا برقم (٧٧٥) ومنها نسخة مصورة على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية

بالقاهرة برقم ٢٣٢ مع كتاب مجالس العلماء للزجاجي.

أولها: مسألة من كلام أبي الفتح عثمان بن جني.

قال أبو الفتح في قول الشاعر:

ألا علاني قبل نوح النوائح
وقبل ارتقاء النفس بين الجوانح
وقبل غد يا لهف نفسي على غد
اذا راح أصحابي ولست برائح

حديث «اذا» في هذا البيت طريف، وذلك أنها وقعت هنا موقعا غريبا لأنها عندنا في موقع جر على البدل من غد فكأنه قال: يا لهف نفسي عَلَيَّ اذا راح أصحابي. الا أن هذا بغير توسط المبدل يقبح، لأن اذا قلما تباشر الجار على أن أبا الحسن قد ذهب في نحو قولنا حتى اذا كان كذا جرى كذا الى أن كذا مجرورة الموضع بحتى.

وهذه المسألة في كتاب (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة)[٤٠] لابن جني الذى أشرنا إليه قبل قليل.

٦ ـ مسألة من كلام ابن جني:

من هذه المسألة نسختان مخطوطتان، الأولى توجد في مكتبة داماد ابراهيم بتركيا[٤١] برقم ٧٧٥ مع مجالس العلماء للزجاجي ومنها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٢٣٢ لغة وأولها: «مسألة من كلام أبي الفتح عثمان بن جني على مسألة مشكلة من كلام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة في كتاب الأيمان». وتبدأ المسألة هكذا: «قال محمد بن الحسن: ان قال أى عبيدى ضربك فهو حر، فضربه، جميعهم عتقوا كلهم، ولو قال: أى عبيدى ضربته فهو حر، فضرب واحدا من عبيده، عتق ذلك العبد، فان ضرب غيره من بعده منهم، لم يعتق غير الأول وحده، قال أبو الفتح: الجواب اعلم ان هذه المسألة فتوى الفقيه، فيها مسوق على كلام النحوى عليها، وكذلك معظم مسائل الايمان.

وهذه المسألة تقع ضمن هذا المجموع[٤٢] وتبدأ من صفحة ١٤٣ الى صفحة ١٤٩.

وفي هذه المسألة يحيل ابن جني الى بعض كتبه مثل سر صناعة الاعراب، والمعرب في تفسير قوافي أبي الحسن الأخفش ولعل هذه المسألة استلها أحد العلماء من كتب ابن جني وأقرب هذه الكتب في نظرى ما يلي: المسائل الدمشقية والمسائل الواسطية، والمسائل الخاطريات.

أما النسخة الثانية المخطوطة لتلك المسألة فهي مخطوطة في مكتبة الفاتيكان[٤٣] بايطاليا ورقمها (فاتيكان ثالث ملحق ٣٢) وعندى مصورة[٤٤] لها.

وتبدأ كالتالي:

«مسألتان من كتاب الأيمان لمحمد بن الحسن، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني، وفيه ذكاة الجنين ذكاة أمه أيضا له». وبعد البسملة «قال أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني في كتاب الأيمان: لو قال: أى عبيدى ضربك فهو حر فضربوا جميعهم عتقوا كلهم. قال: ولو قال: أى عبيدى ضربته فهو حر، فضرب واحدا من عبيده عتق ذلك العبد، فان ضرب غيره من بعده منهم لم يعتق غير الأول وحده. قال أبو الفتح عثمان بن جني: اعلم أن هذه المسألة فتوى الفقيه مسوق على كلام النحوى وكلام معظم مسائل الأيمان. ومما نلحظه على مخطوطة الفاتيكان أنها مختصرة خلت من أسماء كتب ابن جني التي أوردتها مخطوطة تركيا، كذلك يلحظ الدارس أن مخطوطة الفاتيكان تبدأ كالتالي: «مسألتان من كتاب الايمان» بينما الذى بين يدينا مسألة واحدة فلعل سقطا نتج من التصوير أو من أصل المخطوطة.

٧ ـ منتخبات شعرية:

جاء في كتاب «الآثار الخطية في المكتبة القادرية» للدكتور عماد عبد السلام ما نصه: «مجموعة منتخبات شعرية: تضم أشعارا لابي اسحاق ابراهيم الكلبي الغزى وعثمان بن جني الموصلي، والبحترى وغيرهم[٤٥].

نسخة مخطوطة ترقى الى القرن الثاني عشر في ٥٢ ورقة برقم ١١٥٩ أدب.

وقد حاولت الوقوف على هذه المنتخبات الشعرية لمعرفة شيء عن أشعار ابن جني فلم أوفق ونرجو من الله التوفيق في الكشف عن هذه المجاميع ومعرفة ما تحتويه في المستقبل القريب.

٨ ـ الفَسْر:

شرح ديوان المتنبي (الشرح الكبير) منه قطعة ما تزال مخطوطة في مكتبة (قونية) في تركيا، وهناك نسخة أخرى في المتحف البريطاني أشار إليها بروكلمان في تاريخ الأدب جـ٢/٨٨ والدكتور عبد الله الجبوري في كتابه (أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين) ص٣٦٤ وتعني لفظة (الفسر) التي وردت في اسم شرح ابن جني: الإبانة والوضوح.

٩ ـ المسائل الخاطريات:

وهي مسائل متنوعة في أوجه العربية أملاها ابن جني على تلاميذه من خاطره، الجزء الثاني: ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة سليم آغا[٤٦] باستانبول برقم ١٠٧٧/٤ بين مجموع من أربعة كتب، رابعها الكتاب الذي نحن بصدد الكلام عنه.

وهذا الجزء في ثلاثين ورقة، وخطه نسخ دقيق يبدأ بالعبارة التالية: «هذا الجزء الثاني من الخاطريات للشيخ أبي الفتح عثمان بن جني النحوي اللغوي».

وتنتهي الصفحة الأخيرة من المخطوطة بقول الناسخ: ما وجد من الخاطريات بفضل الله ومنه، وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، ثم يلي ذلك مسائل لغوية وأبيات شعرية نقلت من الخفاجي. ومن هذا الجزء نسخة مصورة على ميكروفيلم في مركز البحث[٤٧] العلمي بجامعة أم القرى بمكة ويحقق هذا الجزء الأستاذ سعيد القرني المعيد بجامعة أم القرى بمكة في رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير من كلية اللغة العربية من الجامعة نفسها.

لقد اهتم العلماء بالمسائل الخاطريات فنقل جماعة[٤٨] منهم نصوصا كثيرة، وقد صرح جميعهم بذلك.

وفيما يلى ذكر أسماء بعض العلماء الذين نقلوا من الخاطريات وأسماء كتبهم التى وردت فيها تلك النصوص:

لقد اهتم العلماء بالمسائل الخاطريات فنقل جماعة[٤٨] منهم نصوصا كثيرة وقد صرح جميعهم بذلك.

وفيما يلي ذكْر أسماء بعض العلماء الذين نقلوا من الخاطريات وأسماء كتبهم التى وردت فيها تلك النصوص:

١ ـ خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥هـ) قال في كتابه: (شرح التصريح على التوضيح): قال أبو النجم الشاعر:

والله أنجاكَ بكفي مسلمتْ
من بَعْدما وبَعْدما وبَعْدمَتْ
كانت نفوسُ القوم عند الغلصمتْ
وكادت الحرة أن تدعى أمَتْ

والمراد بقول الشاعر: (بعدمت): بعدما فأبدل، وقد نقل الأزهري عن ابن جني تعليله لهذا الابدال فقال: ذكر ابن جني في الخاطريات أنه أبدل الألف هاء ثم الهاء تاء تشبيها لها بهاء التأنيث فوقف عليها بالتاء، وذكر أنه عرض ذلك على شيخه «أبي عليّ فقبله»[٤٩].

وقال خالد الأزهري أيضا: «وفي الخاطريات لابن جني قال سيبويه: لو سميت رجلا بضربت ثم حقرته، لقلت: ضُرَيْبَه فوقفت عليه بالهاء لأنه قد انتقل من الفعل الى الاسم[٥٠].

٢ ـ وقال السيوطي (ت ٩١١هـ) في (الأشياء والنظائر في النحو): قال ابن جني في (الخاطريات): الادغام يقوي المعتلّ وهو أيضا بعينه يضعف الصحيح[٥١].

٣ ـ وفي خزانة الأدب للبغدادي (ت ١٠٩٣هـ): هؤلاء: (بفتح الهاء وسكون الواو، فخفف هؤلاء بحذف ألف (ها) وقلبت همزة أولاء واوا. وقال ابن جني في (الخاطريات): الأصل هؤلاء فحذفت الألف، ثم شبه هؤُل بعضُد فسكّن، ثم أبدل الهمزة واواً وإن كانت ساكنة بعد فتحة تنبيها على حركتها الأصلية[٥٢].

الهوامش والتعليقات:

(١) لقد حصرنا كتب ابن جني المطبوعة في مقالة سابقة في (٢٤) أربعة وعشرين كتاباً. انظر: مجلة المنهل العدد (٥٣١) المجلد (٥٧) العام (٦١) ذو الحجة ١٤١٦هـ ـ من ص ١٢٤ ـ ١٢٧ وهنا نتحدث عن مؤلفاته المخطوطة.
(٢) انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي جـ١٢/١٠٩.
(٣) المحتسب لابن جني جـ ١٩٣/١.
(٤) مخطوطة دار الكتب المصرية برقم (٤٤ أدب) وعندي منها مصورة.

(٥) البرهان جـ٢/ ٣٤٧ وجـ٤/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧.
(٦) خزانة الأدب تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون جـ ١/ ٣٨٦، ٤٥٢.
(٧) راجع في ترجمة ابن ملكون: بغية الوعاة للسيوطي جـ ١/ ٤٣١.
(٨) فهرس المخطوطات المصورة بمعهد احياء المخطوطات العربية تصنيف فؤاد سيد جـ ٣٤٢/١.
(٩) لمعرفة نسخ هذا الكتاب المخطوطة أنظر فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة جـ٤٢٤/١، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الطبعة العربية) جـ٧٩/١.
(١٠) رسالة ماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٧٠م ـ ١٩٧١م، نسخة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٨٩٢.
(١١) مقدمة تحقيق كتاب (التنبيه) لابن جني للأستاذ يسرى القواسمي ص ٣٣.
(١٢) المرجع نفسه ص ٣٤.
(١٣) رسالة ماجستير من كلية الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٧٥م، أنظر: فهرس الرسائل الجامعية، كلية الآداب بجامعة بغداد، إعداد جلال محمود الدباغ، مطبعة جامعة بغداد سنة ١٩٧٦م صفحة ١٦٢.
(١٤) ايضاح الشعر (مخطوطة برلين بألمانيا) ورقة ١٢٨ (هذا باب من الفاعل).
(١٥) تاريخ الأدب العربي (الطبعة العربية) جـ ١٩٢/٢.
(١٦) أبو الفتح ابن جني للدكتور/ محمد أسعد طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٣٢ صفحة ٣٥٢.
(١٧) أنظر: المستشرقون للأستاذ نجيب العقيقي (طبعة دار المعارف بمصر) ط٣/ ١٩٦٥م جـ٢/ ٧٠٢ ـ ٧٠٣.
(١٨) وهو ذو الرمة، والبيت المذكور في كتاب سيبويه (تحقيق عبد السلام هارون) جـ١/ ٨٢ وفي كتاب الخصائص لابن جني جـ٢/ ٣٨٠ برفع (بلال).
(١٩) خزانة الأدب للبغدادي تحقيق عبد السلام هارون جـ٣/ ٣٢ ـ ٣٣.
(٢٠) كتاب الايضاح الشعري (مخطوطة برلين بألمانيا) ورقة ٣١.
(٢١) ديوانه (بشرح محمد بن حبيب) تحقيق د. نعمان طه جـ٢/ ٧٧٨.
(٢٢) كتاب الايضاح الشعري ورقة ٣١ وانظر: كتاب الايضاح الشعري نفسه، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة جـ١/ ١٢٦.
(٢٣) الايضاح الشعري (مخطوط) ورقة ٦٤ وانظر الطبعة المحققة منه جـ١/ ٢٦٠.
(٢٤) المرجع نفسه ورقة ٤٤، ٤٩، ٥٦، ٦٤، ٦٨، ٧٤.
(٢٥) المرجع نفسه ورقة ١٢٨.
(٢٦) تكرم الدكتور محمود الطناحي بتزويدي بهذه المعلومات قبل طبع الكتاب فله الشكر.
(٢٧) أنظر: خزانة الأدب للبغدادي جـ٣/ ٣٣، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي أيضا جـ١/ ١٥٧ وما بعدها، ومقدمة تحقيق كتاب الشعر جـ١/ ١٠٢.
(٢٨) في مقدمة تحقيقه لكتاب (شرح القصائد التسع المشهورات) لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) طبع دار الحرية للطباعة ببغداد ـ العراق سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، القسم الأول ص ٥٣ نقلا عن مجلة الأقلام العراقية، السنة الرابعة، العدد العاشر ص١٠٤، وقد حاولت الوقوف على هذا العدد من هذه المجلة فلم أوفق.
(٢٩) أنظر في ترجمة ابن دريد: معجم الأدباء لياقوت الحموي جـ ١٨/ ١٢٧.
(٣٠) وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق د. احسان عباس جـ٤/ ٣٢٤.
(٣١) فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي زاده باستانبول بتركيا ص ١٠٩.
(٣٢) مقدمة تحقيق تخميس مقصورة ابن دريد لموفق الدين عبد الله بن عمر الأنصاري للأستاذ عبد الصاحب الدجيلي ص ١٢.
(٣٣) مقدمة تحقيق مختصر شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية للصاغاني ـ للدكتور سامي العاني والأستاذ هلال ناجي ص١٣، ومقدمة تحقيق الفوائد المقصورة في شرح المقصورة لابن هشام اللخمي، للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ص٤٩.
(٣٤) الفوائد المحصورة في شرح المقصورة ص ١٥٥.
(٣٥) عدّ: بمعنى حسب.
(٣٦) هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي من أكابر أئمة اللغة، توفي سنة ٢٣١هـ أنظر: نزهة الألباء للأنباري ص ١٥٠.
(٣٧) يعني الأخفش الأوسط، والجحدب: الجراد الأخضر الطويل الرجلين.
(٣٨) الفوائد المحصورة في شرح المقصورة ص ١٥٨.
(٣٩) انظر في هذه المسألة: أبو علي الفارسي للدكتور عبد الفتاح شلبي ص ٥٦٢.
(٤٠) مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم (٤٤ أدب).
(٤١) انظر: فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي، اعداد د. رمضان ششن ورفاقه، المجلد الثاني طبعة استانبول سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ص ٩٥.
(٤٢) أبو علي الفارسي للدكتور عبد الفتاح شلبي ص ٥٦٢.
(٤٣) أنظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الطبعة العربية) جـ٢/ ٢٤٩ في (ترجمة ابن جني).
(٤٤) تكرمت مكتبة الفاتيكان بايطاليا بتزويدي بنسخة مصورة منها على ورق فلها الشكر.
(٤٥) الآثار الخطية في المكتبة القادرية جـ٤/ ٨٥ ـ ٨٦ وهذه المكتبة تقع في جامع عبد القادر الكيلاني بالعراق.
(٤٦) أشار الى الجزء الثاني من الخاطريات بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (الطبعة العربية) جـ٢/ ٢٤٨ باسم (المختارات) وهو تحريف.
(٤٧) راجع فهرس النحو: المصورات الميكروفيلمية بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ص ١٨٩.
(٤٨) لمعرفة النصوص الأخرى المنقولة من الخاطريات أنظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي جـ٣. ٣٥٣ ـ ٣٥٤، وهمع الهوامع للسيوطي جـ١/ ٤٣ والأشباه والنظائر في النحو للسيوطي أيضا جـ٣/ ٣١١ ومعترك الأقران في اعجاز القرآن للسيوطي أيضا جـ١/ ١٠.
(٤٩) شرح التصريح على التوضيح جـ٢/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ وانظر الخاطريات (الجزء المخطوط) ورقة ٢٩٢.
(٥٠) شرح التصريح على التوضيح جـ٢/ ٣٤٣.
(٥١) الأشباه والنظائر في النحو جـ٣/ ٣١١.
(٥٢) خزانة الأدب جـ ٤٣٨/٥.

محمد ضياء الدين الريس يفضح زيف أعداء الخلافة الإسلامية

لا شيء يقضُّ مضاجع دول الغرب على الرغم مما تملكه من ترسانات ومخازن أسلحة متطوره إلا الخلافة الإسلامية حتى بعد أن غابت عن الساحة السياسية.

جاء في تقرير وزير المستعمرات البريطاني لرئيس حكومته بتاريخ ٩ يناير ١٩٣٨م: أن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذى ينبغي على الامبراطورية أن تحذره وتحاربه.

وبالفرحتنا فقد ذهبت الخلافة (يقصد الخلافة العثمانية) وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة. إن سياستنا الموالية للعرب في الحرب العظمى كانت مخططة لفصل السيطرة على المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة عن الخلافة العثمانية التي كانت قائمة آنذاك.

وبالسعادتنا فإن أتاتورك لم يضع تركيا في مسار علمانى فقط بل أدخل اصلاحات بعيدة الأثر بالفعل أدت إلى نقص معالم تركيا الإسلامية.

فقد تمكن الحلفاء وانجلترا بنوع خاص بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى من القضاء على السلطة العثمانية التي قامت بأمر الخلافة الاسلامية قرونا عدة قضاء مبرما، وأعلن أتاتورك الجمهورية التركية، وصرح بأن تركيا لم يبق لها بالخلافة حاجة.

ولكنه قد بقى أن يحمل لواء الدعوة للقضاء المعنوى على الخلافة أصحاب القلم ولا شيء أقوى من أن يكونوا من أبناء المسلمين وما عليهم إلا أن ينشروا أبحاثا معدة ودراسات جاهزة يمهرونها بأسمائهم ولهم على ذلك الأجر الباهظ ماديا وسلطوياً وأدبيا.

وقد كان، ففى سنة ١٩٢٥ نشر على عبد الرازق كتابه الاسلام وأصول الحكم - دعا فيه إلى هدم نظام الخلافة الاسلامية - وذهب إلى أن الخلافة ليس بنا من حاجة اليها لأمور ديننا ولأمور دنيانا.. وإنما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الاسلام وعلى المسلمين[١].

ثم يتحدث بعد ذلك عن مثالب حكام المسلمين عبر العصور ويقول: «ولولا أن نرتكب شططا في القول لعرضنا على القارىء سلسلة الخلافة إلى وقتنا هذا ليرى على كل حلقة من حلقاتها طابع القهر والغلبة»[٢]

وقد قام بعرض السلسلة المستشار محمد سعيد عشماوى في كتابه الخلافة الاسلامية، ومعنى ذلك أن السلسلة معدة فلا هذا ولا ذاك جاء بشيء من عنده وانما أذعن وصدع بما أُمِرَ به، ولو تتبعنا ما جاء في الكتابين لوجدنا تطابقا ، فيرى على عبد الرازق أنه لم تكن هناك ضرورة لزعيم يخلف النبي {صلى الله عليه وسلم} فلم يدع لنفسه زعامة سياسية يخلفه الناس فيها - وإنما كان محمد {صلى الله عليه وسلم} نبيا فقط[٣].

وليس من باب المصادفة أن يجيء كتاب طه حسين «في الشعر الجاهلى» في تلك الآونة التى ظهر فيها كتاب الاسلام وأصول الحكم - لينكر طه حسين في سياق حديثه عن الشعر الجاهلى ما ذهب إليه القرآن الكريم من أن ابراهيم واسماعيل هما اللذان بنيا الكعبة - (وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل)، ويرد على سؤال النيابة بأنه : «كعالم مضطر إلى أن يذعن لمناهج البحث العلمي - فلا يسلم بالوجود التاريخى لابراهيم واسماعيل إلا اذا ثبت له وجودهما بالدليل الذى يقبله العلم[٤].

وينكر أن الاسلام دين ابراهيم عليه السلام - كما ينكر أنه وجد في بلاد العرب قبل سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم}.

فالصهيونية العالمية تخاصم الاسلام وتناصبه العداء وكذلك الصليبية الغربية التى تقعد له في كل مرصد ممثلا في الخلافة الاسلامية. فهى تتلقف المبعوثين والدارسين من أبناء المسلمين نبتا غضا تلقنه دعاواها وتمنحه على ذلك خير العطاء.

بقلم : أ . د . البدراوى عبدالوهاب زهران
عميد كلية الآداب - بقنا - مصر

وتخرج محمد ضياء الدين الريس في دار العلوم سنة ١٩٣٥م ـ واختير ضمن بعثتها لدراسة التاريخ بانجلترا سنة ١٩٣٨م ـ ونجح في امتحان دخول جامعة لندن الخاص سنة ١٩٣٩م ـ كما نجح في امتحان شهادة الآداب المتوسطة في التاريخ والأدب الانجليزي والترجمة والفلسفة الأدبية سنة ١٩٤١م وتخصص في التاريخ ودرس أقصى مدة ممكنة على أيدي أساتذة هذه الجامعة حتى سنة ١٩٤٣م ونال شهادة البكالوريوس مع مرتبة الشرف من جامعة لندن في التاريخ والعلوم السياسية.

وأذنت له الجامعة بناء على شهادة الكلية بالتقدم للدكتوراة مباشرة وأتم رسالته عام ١٩٤٥م وكان موضوعها فكرة الدولة كما تصورها النظريات السياسية الاسلامية.

وهنا جاء الدور الذى يملى عليه بشأن الخلافة الاسلامية لينال على ذلك درجة الدكتوراة ولكنه وجد أن هذا الذى يملى عليه يخالف نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ـ وإجماع المسلمين ـ وأنه طعنة في ظهر الاسلام فرفض الإذعان له ـ وتحدى المستشرقين في عقر دارهم أن ما يذهبون إليه باطل وأن الاسلام خلاف ذلك وأن الخلافة غير ما يريدون لها أن يكتب عنها ـ فغضبوا عليه وتوعدوه وعاد إلى أرض وطنه دون أن يحصل منهم على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٤٥م.

وأراد الله له أن ينتصر عليهم فعُين مدرسا للتاريخ الاسلامى بكلية دار العلوم وتسامع الناس بخبره وأقبل المفكرون وأصحاب القلم على كتابه: «النظريات السياسية الإسلامية»، فكتب عنه الشيخ محمد أبو زهرة[٥] اتجه مؤلف «النظريات السياسية الاسلامية إلى فلسفة السياسة الاسلامية والمناحى التى نحت نحوها الطوائف الاسلامية والمذاهب المختلفة مبينا ما تجتمع فيه من أصول وما تفترق فيه من فروع وقد جمع في دراسته بين الأصول الدينية للنظريات المختلفة والأدوار التاريخية التى مرت بها وهو في كل ذلك قد استولى على موضوعه تفكيرا وتعبيرا ودقة وعمقاً واحكام عرض وحسن تأت لدقائق المسائل ومختلف الأقوال.

كما كتبت عنه الدكتورة بنت الشاطىء[٦].

«والحق أنى لا أعرف فيما قرأت حديثا من المؤلفات للمشتغلين بهذه المادة بحثا كهذا امتزج فيه النظر الفلسفي بالتحقيق التاريخي وإذا كانت الدراسات الجامعية تقاس بسلامة منهجها ومدى جدواها على العلم وإفادتها إياه فائدة محققة فإن كتاب النظريات السياسية الإسلامية جدير بأن يأخذ مكانه بين هذه الدراسات دون أن يجحدنا ناقد منصف ما فيه من نضوج وأصالة».

ثم قالت أيضا: وإنما الذى يعنينى هنا هو ما يحمل البحث من أثر الجهد الباذل الذي لا يقف عند جمع ما تناثر من أقوال الأقدمين وانما تبدأ بعد هذا الجمع مرحلة أشق هي إنضاج الفكرة وصياغة المادة في طمأنينة توحى بالثقة وتبعث على الاحترام وكذلك أقدر في البحث أمانة الدارس.

وكتب الدكتور على ماهر[٧]:

«إننى إذ أعبر لحضرتكم عن جزيل شكرى على هذه العناية الكريمة أنوه بما طالعته في كتابكم من أسلوب علمي ممتاز وتعمق في البحث وجهد مشكور في التمحيص والدرس.

كما نشر أحد رجال التاريخ بالسودان[٨]:

«النظريات السياسية الاسلامية من أجدر الكتب الحديثة بالاحتفاء والتقدير لا لأنه يعالج جانبا هاما من جوانب الفكر والتاريخ الاسلامي فحسب، وإنما لأنه ظهر في وقت كان المسلمون فيه يستسلمون للدعاية التى تريد أن تفصل بين الدين والدولة في العالم الاسلامى متأثرين في ذلك بما يكتبه أعداء الاسلام، ثم جاء في نهاية بحثه قوله الآتي:

فهو قيم في ميزان البحث العلمي لأنه يقوم على دراسة منهجية صحيحة وقواعد علمية بينة وهو قيم في ميزان السياسة لأنه يضيف الى ثروة الفكر السياسي العالمي ـ وهو قيم في ميزان الدين لأنه يرد للإسلام مكانته في عالم السياسة والحرب بعد أن كاد الاسلام يفقد هذه المكانة بفضل مجهود أعدائه وجهل أبنائه ـ والكتاب بعد ذلك قيم في ميزان المساجلة والمناظرة لأنه يرد أقوال المدعين بالحجة الدامغة والمرجع الأصيل والمنطق الحديث.

وكتب الأستاذ محمد زكي عبد القادر أحد رؤساء تحرير جريدة الأخبار في يومياته مقالا مما جاء فيه عن النظريات السياسية الاسلامية.

«نهج المؤلف فيه نهجا علميا ومزج الفقه الاسلامي بالنظريات الحديثة مزجا موفقا» كما جاء أيضا: «وأهم ما استرعى انتباهي في هذا الكتاب أنه عرض النظريات الاسلامية وأقوال الفقهاء في الحكم وسياسة الدولة على صورة بسطت وفتحت أمامى الكثير من النظريات الحديثة وانه لشيء لافت للنظر أن يتمكن فقهاء المسلمين من دراسة هذه الذخيرة الوافرة من الأحكام والتوجيهات التى يمكن ان تعتمد عليها أية دولة حديثة وتحقق حكما يقر إرادة الشعب ويرعى مصالحه».

والواقع أن هذا الكتاب خير ما يرد على ما كتبه على عبد الرازق وما كتبه محمد سعيد عشماوي، والذى يعنينا أن هذا في ذاته يعد انتصارا لباحث مبتدىء آنذاك وقف ضد عمالقة المستشرقين في عقر دارهم وقد استأسدوا وهددوا وتوعدوا فبقى هذا البحث داحضا لأقوالهم وافتراءاتهم هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نصر الله ذلك الباحث في مجال العلم فقدم للمكتبة الإسلامية بالإضافة لما سبق:

* عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية.
* في التاريخ الاسلامي الحديث.
* تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية أثناء الدور الأخير للخلافة.
* الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ... الخ ما كتب من علم يخدم نظم الإسلام في الحكم مما تفخر به المكتبة العربية.

وفوق كل ما سبق بقى شيء آخر كتب الله له فيه النصر ، فقد رقي الى درجة أستاذ مساعد سنة ١٩٥٠، ثم رُقى بعد ذلك الى درجة أستاذ بأبحاثه وأعماله العلمية ثم شغل وظيفة رئيس قسم التاريخ الاسلامى بكلية دار العلوم إلى أن توفاه الله.

فهو عندما وقف في وجه أعداء الله وتحداهم نصره الله عليهم وبقى ما كتبه ضياء ينير طريق السالكين للحق ـ ويفضح ما سطره المذعنون الطائعون لأمر أعدائهم.

رحلة في المكتبة (٥)

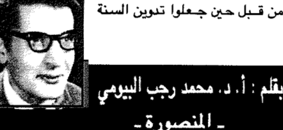
أضواء على السنة المحمدية

تأليف: الشيخ محمود أبو رية

من محن العلم في هذا العصر الكريه أن كل كتاب يلحد في كتاب الله تعالى أو سنة الرسول [صلى الله عليه وسلم]، يجد من الذيوع والانتشار ما لايجده الكتاب الملتزم الأمين، لأن فريقا من الكتّاب يجدون هوى في الانفلات من ضوابط الإسلام وقيوده، فإذا صاح صائح بما يوافق رغباتهم أطنبوا في الثناء عليه وتواصوا بالتشجيع والتقريظ، ومن حديث هذا الكتاب في مبتدئه أن صاحبه كتب مقالة أولى كانت بذرة مبدئية لأخطائه فتلقفها أناس يهمهم أن تثور الريب حول السنة المطهرة، وأخذوا يباركونه ويعدونه بالمقال الواحد مجتهداً، والرجل المسكين لا يمت للعلم بنسب أصيل، فهو يقرأ كلمة من هنا وكلمة من هناك، ويبحث عما يخدم وجهة نظره من الآراء المدخولة ليقيم عليها بناء يرضي رغبات مشجعيه. وهو لم يتلق دراسة علمية تساعده على البحث ، ولست أعني أنه لم يدرس في الأزهر الشريف، فالباحثون الإسلاميون الكبار من أمثال مصطفى صادق الرافعي ومحبّ الدين الخطيب وعباس محمود العقاد ومحمد فريد وجدي ومحمد أحمد الغمراوي لم يدرسوا في الأزهر، ولكنّ كتاباتهم الإسلامية تشرح الصدور، بل إنّ السيد الإمام محمد رشيد رضا مفسر المنار لم يدرس بالأزهر إلا مستمعاً للأستاذ الإمام محمد عبده فحسب،ولكن بلغ في التشريع والتفسير والاجتهاد مرتبة الأئمة الكبار،أماالشيخ أبو ريه فقد طار تيها بمقالته الخاطئة، ودفعه إلى ذلك تأليف كتاب سمّاه [أضواء على السنة المحمدية] فرح به قوم ليسوا من رجال الحديث، وتناولوا تقريظه في الصحف معجبين، واعتقد المؤلف أنهم أصحاب الرأي والنظر فباهى بهم وكاثر، وأخذ يعرض مقالاتهم على الناس في طوافه بالمحافل والمنتديات، وقد قدَّم لي مرة كلمة للأستاذ اسماعيل مظهر في تقريظ الكتاب نشرها (في الأخبار)[١] تحت عنوان «يوميات» التي كان يطالع بها القراء أسبوعيا، وفيها ثناء حافل على الكتاب واعتباره فتحا جديدا في التأليف الديني، والأستاذ اسماعيل مظهر أديب لا شك في أفكاره التي تنحو المنحى الفلسفي، وصاحب قلم مشهور وله كتابات ومؤلفات عن داروين وفيتسيكو وغيرهما من فلاسفة الغرب فلا تنكر عليه ثقافته المعاصرة، ولكنه لا يعرف شيئا عن الحديث النبوي وتدوينه وروايته فليس بأهل للحكم على كتاب الشيخ أبي رية إلا إذا حكم المهندس على كتاب طبي، والاقتصادي على كتاب هندسي، وهذا مستحيل لا يفعله أحد! الا في الحديث عن الكتب الدينية حيث يتصدر للحكم عليها من لا يعلم من أمرها شيئا، ويكون كلامه مصدر فخر للمؤلف الموهوم، ومصدر رواج للكتاب المنقود.

وقد كتب المؤلف كتابا عن جمال الدين الأفغاني، وجمال الدين مدروس معروف ظهرت عنه كتب كثيرة كتبها محمد المخزومي باشا وعبد القادر المغربي ومحمد سلام مدكور وعبد الرحمن الرافعي غير فصول اضافية كتبها أحمد أمين ومصطفى عبد الرازق وعثمان أمين وغيرهم، ولكن الشيخ الباقوري باهى بالكتاب وعدَّه أول كتاب يحدد مكانة جمال الدين!! ورجا صديقه وزير الأوقاف أن ينشره في سلسلة من سلاسل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، فكان ثناء الباقوري على المؤلف في موضوع جمال الدين ممتدا في رأيه إلى ما كتبه في أضواء على السنة المحمدية إذ عد المؤلف باحثا ممتازا غيورا، وهكذا تتجمع التزكيات من كل صوب لا لتحق الحق ولكن لتهدي إلى الضلال.

هذه مقدمة تضيء ما أعنيه من اخفاق الكاتب فيما تصدَّى له من بحوث السنة المطهرة، حيث خاض مخاضا أغرقه فلم يستطع السبح، إذ جعل كل همه أن يصطاد من المؤلفات الكثيرة ما يدعم وجهة نظر فاشلة قال بها المستشرقون من قبل حين جعلوا تدوين السنة


بقلم : أ. د. محمد رجب البيومي
- المنصورة -

وروايتها عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] مصدر شك وتوهين، ونحن نعرف أن كتب التراث تحمل بعض الروايات الواهية إلى جانب الروايات القوية، وسبيل الباحث المنصف أن يطالع كل ما قيل، ويرجح ما يختاره بالدليل وينفي ما لم تثبت لديه صحته بالدليل أيضا، حتى يقف القارئ على صخرة مطمئنة من اليقين بعد أن شاهد تناطح الأدلة وتقابلها، وتبين الخطأ من الصواب! ولكن الشيخ محمود أبو ريه لم يسلك هذا المسلك المنتظر، بل جعل يتصيد الروايات الموهومة وحدها ليبني عليها بحثه، ويغفل عن كل ما يعارضها وإن ثبتت صحته، وأعجب ما كان من أمره أنه رمى الأحاديث الصحيحة بالاختلاق والوضع، ثم ذهب الى تأييد رأيه بأحاديث ضعيفة لم ترجح لدى المحدثين، فإذا كان يدير ظهره للصحاح ويسم الأحاديث المعتمدة بالوضع، فلماذا يستشهد بالضعاف ويعدها دليلا لا يتطرق اليه الشك، حتى وافق مضمونها هوى في نفسه! أما يقضي منطقه الجائر أن يرفض الاستشهاد بالأحاديث جميعها! ليطَّرد منطقه في اتجاهه الرافض المستنكر دون يقين!

ومن المفارقات المدهشة أن يعد منهج المحدثين باطلا في الرواية وأن يحكم على أكثر الأحاديث بالوضع، ثم نجد الأستاذ الكبير الدكتور أسد رستم وهو من أفاضل الباحثين المسيحيين، يكتب كتابه القيم (مصطلح التاريخ) ليكرر بالحجج الدامغة أن المؤرخين جميعهم عليهم أن يلتزموا طريقة المحدثين في التثبت والتحري لأنها الطريقة الوحيدة في الإثبات والنفي والجرح والتعديل، فعليهم أن يستفيدوا من قواعدهم المطمئنة التي وضعوها في التمحيص والبحث، كما يفاخر الدكتور أسد رستم بسبق المحدثين في الإسلام إلى منهج يفوق مناهج المؤرخين فى أوربا وأمريكا ويضرب الأمثلة على ذلك، وقد ترجم كتاب الدكتور رستم إلى الانجليزية ودُرس فى جامعات أمريكا حين انتدب مؤلفه أستاذا زائراً لمرات عدة، حتى لفت الأنظار الى منهج المحدثين في جمع السنة المطهرة وقد ترجم المصطلح الخاص بدرجات الأحاديث من متواترة ومرفوعة وصحيحة ومرسلة ومنقطعة وغريبة ومعضلة، فاتخذها المؤرخون قياساً لما يزاولون من قضايا التاريخ تمحيصا وتدقيقا! كل ذلك يشهده الدارسون في الشرق والغرب في كتاب الأستاذ رستم إذ أنصف قوما بذلوا

محمود أبو ريه



دراسة محررة، تناولت حياة الحديث المحمدي وتاريخه، وكل مايتصل به من أمور الدين والدنيا - وهذه الدراسة الجامعة التى قامت على قواعد التحقيق العلمى - هى الأولى فى موضوعها، لم ينسج أحد من قبل على منوالها . . . .

ملتزم الطبع والنشر

مطبعة دار التأليف

غلاف الكتاب

أقصى ما يستطيعون في إثبات السنة المطهرة، ثم يجيء مؤلف «أضواء على السنة المحمدية» فينقل أقوالا يبترها بترا، ويدع منها مالا يعضده، ويثبت ما قد يؤيده، والنص واحد أمامه، ولكنه ممزّق مخرّق، كما بيّن ذلك من تصدوا لنقد الكتاب من أفاضل الباحثين، ومنهم الأساتذة مصطفى السباعي، وعبد الرحمن العلمي، ومحمد عبد الرازق حمزه، ومحمد محمد أبو شهبة، ومن لم أحظ بقراءة آثارهم بعد، ومع هذه الردود المفحمه الملجمة فإن خصوم السنة يشيدون بكتاب أبى رية، وهم يعرفون ما وجه إليه من نقد، إذ لا يبحثون عن الحقيقة في شيء، ولكنهم يلحدون في قول الرسول الأمين [صلى الله عليه وسلم] كان المستشرق المجرى جولدزيهر قد قرر في بعض ما كتبه أن المحدثين عنوا بالسند ولم يعنوا بالمتن، حين رأى عشرات الكتب تتحدث عن الرواة ومنزلتهم من العدالة ولو قرأ مشروع الحديث في الموسوعات الشهيرة كفتح الباريء وما سار على ضربه لعرف أن هذه الموسوعات قد حلت من الحديث النبوي بما لا مزيد عليه

وعارضت ما قد يكون مخالفا لاتجاهه بأحاديث أخرى، ودفعت التعارض بما بَانَ للشّراح الكبار من وجوه النظر السديدة، ولكن الشيخ أبو ريه تلقف كلمة جولدزيهر وكأنها مفتاح لقضية مستعصية فجعل يحمل على المحدثين إذ أهملوا دراسة المتن النبوي؟ ويا له من باحث يرى شروح البخارى ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم تتجاوز المائة من المؤلفات وكلها تحليل للمتن وتدقيق في كل حرف من حروف الحديث لا في الكلمة أو الجملة وحدها، ثم يقول بعد ذلك إن المحدثين قد أهملوا دراسة المتن! تبعا لرأى مستشرق لم يقم على أساس، ثم يبالغ مبالغة منكرة حين يقول: «إنه وجد أنه[٢] لا يكاد يوجد في كتب الحديث كلها مما سموه صحيحا أو حسنا حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه، ومثل قوله[٣] ولما كان هذا البحث لم يُعْن به أحد من قبل فقد رأيت أن أسوى منه كتابا جامعا أذيعه على الناس حتى يكونوا على بينة من الحديث المحمدي»·

وقول المؤلف «لا يكاد يوجد في كتب الحديث كلها مما سموه حديثا قد جاء على حقيقة لفظة، ومحكم ترتيبه»، يدل على ادعاء كبير حين يزعم أنه قرأ كتب الحديث كلها، وعلى غفلة ظاهرة عما ذكره المحدثون من سبب اختلاف الألفاظ في رواية الحديث الواحد، واتفاقها في المعنى، فقد أرجعوا الكثير مما ورد من ذلك، لا لأن الرواية كانت بالمعنى· فذكر كلّ راو عن المعنى ما اختار من الألفاظ، بل إلى أن الرسول كداعية بصير، كان يكرر أقواله في عدة اجتماعات، فيكون ابن مسعود مثلا في اجتماع أول فيروي ما يسمع بلفظه ومعناه، ويكون ابن عباس في اجتماع ثان فيروي ما سمع بلفظه ومعناه، واختلاف الألفاظ من عند الرسول {صلى الله عليه وسلم} لا من عند الرواة، وقد أوضحت ذلك بجلاء في كتابي عن البيان النبوي[٤]، والغريب أن مبحث الرواية بالمعنى مع اختصار نطاق مفهومه قد كرره المؤلف في صفحات متوالية حتى أمل وأسأم لحاجة في نفسه، أما موضوع العدالة والضبط وهو أول ما يتجه اليه الباحث عن الحديث النبوي فلم يأخذ إلا بضعة أسطر، أفيدري القارىء لماذا كان هذا الإيجاز المخل؟! لأن المؤلف لو بسط قول المحدثين في التدقيق التام حول عدالة الرواة وصحة ضبطهم لسقطت قضيته سقوطا ذريعا: وهذا يدل على أنه لم يكن باحثا عن الحقيقة، بل كان يحاول أن يُرضي قوما يسوؤهم أن تثبت الأحاديث النبوية لتكون المدد الثاني لشريعة الله، إن أول دارس لعلم مصطلح الحديث يقرأ أول ما يقرأ (مقدمة ابن الصلاح) وهي في بابها كمقدمة ابن خلدون في التاريخ، حيث جمعت ما يَسَّر فهم المصطلح الحديثي لكل قارىء مع الضبط والتدقيق، وقد رجع إليها الأستاذ أسد رستم في كتابه عن مصطلح الحديث، لأنها أول ما يرجع إليه الباحث في موضوعه، ولكن الكاتب المسلم أبو ريه يتجاهل شروط الرواية التي يجب أن تتحقق في الراوى تجاهلا مغرضا كيلا ينتقض الأساس على رأسه فيهوى كل ما كتب·

يقول ابن الصلاح في كتابه الذى عنونه بقوله (كتاب معرفة أنواع علوم الحديث) وقد سماه الدارسون من بعده «مقدمة في علوم الحديث»[٥]·

أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه وأن يكون مسلما بالغا سالما من أسباب الفسق وخوارق المروءة، متيقظا غير مغفل، حافظا إن حدّث من حفظه، ضابطا لكتابه إن حدّث من كتابة وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالما بما يحيل المعاني·

هذه مقدمة للموضوع أتبعها ابن الصلاح بتفصيل شاف لمعنى العدالة الخاص بالراوي، وكيف يحتاج الى شاهد إذا لم تُعرف هذه العدالة، ولمعنى الضبط ومتى يكون الضابط راسخاً أو غير راسخ، ومعنى التعديل ومعنى الجرح، وكيف يثبت الجرح أو شهادة واحد؟ أم اثنين؟ وما الحكم إذا اجتمع في راو واحد جرح وتعدي، وما إذا روى العدل عن رجل سمّاه ولم يعرف منزلته؟ وما الحكم في رواية المجهول بقسميه؟ مجهول الظاهر، ومجهول الباطن، وما الحكم في قبول رواية المبتدع والتائب من الكذب، وما الحكم فيما إذا روى ثقة عن ثقة حديثا ورجع المرويّ عنه فنفاه، وما الرأى فيمن أخذ على التحديث أجراً، ومن عرف بالتساهل وما مراتب ألفاظ التعديل، وما درجات التجريح·· هذه البحوث المستفيضة لم يُشر إليها المؤلف لا لأنه يجهل ما كرره علماء المصطلح بشأنها، ولكن لأنها تدعم صحة الأحاديث، وتحارب أعداء السنة بسيف لا يُفل! ونحن نعلم أن الباحث في صميم أمره قاض عادل يذكر جميع الوجهات المختلفة في القضية التي يفصل فيها، فإذا أنكر سماع شاهد ولم يلتفت الى قوله عمدا دون دليل، فقد أخل بالقضاء! وها هو ذا مؤلف (أضواء على السنة المحمدية) يأخذ من النصوص في سطرين متجاورين ما يشاء ويدع ما يشاء! ويتعمد إغفال أهم بحث في رواية الحديث لتستقيم له دعوى التهجم على سنة الرسول؟ لقد انتقل الأمر من البحث العلمى إلى السلوك الخلقى النزيه!

وقد انتقل التهجم من الرواة إلى الصحابة فنقل قول

الجمهور في عدالتهم وحاول غمز هذا الرأى بما يدل على معارضته للجمهور، والحديث عن الصحابة في هذا الكتاب مقتحم اقتحاما، لأن روايتهم عن رسول الله واقع تاريخى لا شك فيه وترك الصحابة الى الفقهاء فادعى أن أبا حنيفة لم يرو غير سبعة عشر حديثا، وهو قول سبق به ابن خلدون مخطئا، وتتابعت الردود عليه حتى أظهرت خطأه، وقد طبع في زمن أبى ريَّه كتاب (مسند أبى حنيفه) وهو سلسلة متصلة من الأحاديث المروية بإسنادها عن رسول الله! ولكن المؤلف يَسُرّه أن ينقل رأى ابن خلدون لحاجة في نفسه، كما يسره أن يتجاهل ما وُجّه إليه من نقد وقد أغفل الحديث عن مسند أبى حنيفة، لأنه يسقط دعواه، فهو في ذلك غير ملتزم!

أما أبو هريرة فقد نال من سباب أبي ريّه ما نترك جزاءه لله، فقد افترى عليه افتراء يعرف موضع الغلو فيه، وهو فيما كتب تابع لمؤلف عراقي هو السيد (عبد الحسين شرف الدين) حيث أصدر كتابا ملأه بالطعن فى هذا الصحابى الجليل، ونقده علماء مصر نقدا أبانوا خطله، نقده الأستاذ أحمد أمين في الثقافة[٧] والأستاذ عبد المتعال الصعيدى[٨] في الرسالة، ولكن أبو ريه لا يهمه أن يظهر إنصاف أبى هريرة، بل يهمه أن يصمه بألفاظ منحدرة لا يقولها عالم، بل لا يقولها مؤمن متحرز، وقد رَدَّ عليه الدكتور مصطفى السباعى شتائمه المنكرة فشفى صدور قوم مؤمنين، وأعجب العجب أنه أخذ على أبى هريرة كونه فقيراً من أهل الصُّفَّه، ولم يعلم أن جميع رسل الله كانوا فقراء في نشأتهم الأولى باستثناء داود وسليمان إذ كانا ملكين كبيرين، وقد وهب الله لسليمان ما لم يهبه أحداً من بعده!

وكلنا نعرف أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو أكرم الخلق على الله، كان يربط الحجر على بطنه إذا شعر بالجوع كما قال البوصيري:

وشدَّ من سغب أحشاءه وطوى
على الحجارة كشحاً مترف الأدم!

والمضحك حقا، أن الذى يتحدث عن فقر أبى هريرة ويعده عيبا، كان يعانى شدة الشظف ويشكو الحاجة - زمنا طويلا من الدهر - كما نعرف ذلك نحن الذين عاشرناه في بلدة المنصورة، وقد بدا ذلك فى رسائله المتبادلة مع الأستاذ الرافعى، ولم يقل أحد إن فقر أبى ريه وشدة حاجته مدعاة مذمة تلحقه! بل عُرفت له شجاعته وصبره على تثقيف أولاده وتربيتهم مع هذه الفاقه! فكيف يكون الفقر مذمة منكرة لدى أبى هريرة راوية الحديث الشريف!! وقد هاجر الى المدينة بعيداً عن موطنه، ولم يشأ الرجوع حبا لرسول الله!

أما بعد، فحين صدرت الطبعة الأولى من كتاب (أضواء على السنة المحمدية) تقدم به المؤلف الى الدكتور طه حسين، ليكتب كلمة عنه في جريدة الجمهورية، وكان الدكتور يتولى كتابة صفحة أدبية بها في الأسبوع اذ ذاك، فكتب الدكتور طه حسين كلمة بدأها بتعداد مالاحظه هو، وفى اتجاه تفكيره الخاص من محاسن الكتاب، ثم انبرى يعدد مالاحظه من مآخذ! أفيدرى القارىء ما صنع الشيخ بكلمة الدكتور طه حسن! لقد أخذ نصفها الأول وجعله مقدمة للطبعة الثانية، وترك النصف الآخر وكأنه لم يكن، وكانت الأمانة تقتضيه أن يذكر المقال كاملا، فإذا كان له رأى في المآخذ، عقب على المقال بإيضاح وجهة نظره، وترك الحكم للقراء، هكذا يفعل الحريصون على الحقائق من المؤلفين وإذا لم يشأ أن يذكر النقدات فكان عليه أن يهمل المقال جميعه فلا يجعله في صدر الكتاب، لذلك لم أستغرب مطلقا ما حذفه من نصوص القدماء ليمضى في وجهته التى رسمها لنفسه من انتقاص رواة الحديث وما رووه! ونقد الدكتور طه للمؤلف يستغرق عدة أعمدة تجعل من الصعب تلخيصها في عدة سطور فقد أنكر طه حسين ما زعمه المؤلف من مؤامرة كعب الاحبار على عمر بن الخطاب لأسباب شرحها، كما واجه المؤلف بخطئه فيما نسبه الى أبى هريرة من أفعال لم يقترفها، وكان فيما قال: زعم أن أبا هريرة لم يصاحب النبى محبة له ولكن ليملأ بطنه، وهذا خطأ لأن أبا هريرة لم يأت من اليمن ليملأ بطنه بل ليؤمن بالرسول! كما زعم المؤلف أن أبا هريرة كان يأكل مع معاوية ويصلى مع عليّ ويقول إن المضيرة عند معاوية أدسم، والصلاة مع عليّ أفضل، ولا أريد أن أعرف كيف كان يجتمع لأبى هريرة أن يصلى مع على في العراق ويأكل مع معاوية في الشام إلا أن يكون ذلك في حرب صفين، ولو فعل ذلك لاتهمه أحد الفريقين بالنفاق فكشف أمره! ولكن هذه تهمة باطلة، كما أن المؤلف اندفع إلى تسفيه آراء مخالفيه ووصفهم بالجمود وبالخشونه، ولو صبر حتى يخرج كتابه ويقرأه الناس ويسمع رأيهم فيه لكان هذا الصبر خيرا له.

هذا بعض ما قال الدكتور طه حسين! فما ظنك بما يقول الثقات من رجال الحديث، وقد عرفوا من أخطاء الكاتب ما تجاوز الجهل إلى الإسفاف والرعونة، ومن يطالع كتب الحديث ثم يقرأ كتاب «أضواء على السنة المحمدية» يتذكر قول الله عز وجل {أفمن يمشي مُكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم}.

الأمير كمال فرج وأغنيات إلى سيدة الحسن

(عــيناك عــيون عــربيــة
ومــروج رياض صــبــحــيــة
تزدان بتــعــريشــة زهر
وروابــع عــطــر قــــرويــة
ابصــرت بـنـيــاهــا وطـنـي
وشــوارع بلدتنا الحــيــة)

بهذه الأبيات يستهل الشاعر الأمير كمال فرج ديوانه الجديد: اغنيات الي سيدة الحسن، التي يرى في عيونها العربية، وطنه، ومروج الرياض، وهو يدرك مع صاحب (طوق الحمامة) ان العين هي مفتاح الأبواب الي القلب، وابلغ الحواس وأصحها دلالة واوعاها عملا، وهي «رائد النفس الصادق، ودليلها الهادي، ومرآتها المجلوة التي بها تقف علي الحقائق وتميز الصفات، وتفهم المحسوسات»، وإن كان «بشار» قد رأى أن «الأذن تعشق قبل العين احيانا» فإن «ابن حزم» يقول:

(فليس لعــيني عند غــيــرك مــوقف
كــذلك مــا يحكون من حــجــر البُهت
اصــرفــهــا حــيث انصرفت وكــيــفــمــا
تقلبتُ كــالمنعــوت في النحــو والنعت)

والشاعر الأمير كمال فرج يرى في عيون حبيبته «نهراً يرسل اقواساً قزحية، يسري كالضوء يصاحبه، بليالي السهر القمريه»، ويسبح مع تيار النهر، فيقدم لنا تجربة شعرية جديدة، اشبه بالسيرة الذاتية حين تصفو فتغدو شعراً، في لحظات اشراقية يواجهها الشاعر بوعيه النقدي، ليجعل منها هذا العمل الفني المتسق، المتوازن، حتي لنذهب مع «مارلو» الي أن «الفن ليس احلاماً، بل الفن تنظيم للأحلام» وهكذا صنع الشاعر في اغنياته الي «سيدة الحسن».

والشاعر الأمير كمال فرج، يبتكر اسلوبه في سياق الرصيد الفني للقصيدة العربية، الذي يسر له الإبحار في رحلة العيون العربية، علي الصعيدين الذاتي والقومي، الخاص والعام، ولم تكن السيرة الذاتية يوماً مرآة تعكس الحقيقة، أو مجرد محاكاه تقتصر علي ترديد الواقع، بل كانت دائماً وابداً ـ كما يقول جوته ـ «شعراً وحقيقة»، وكما يقول الأمير كمال فرج:

(والشــعــرُ ضــيــاء يغــمــرني
يضــوي في فــرح كــالذهب)

وكما يقول في خماسية اخري:

(والليل ســيــرحل عــسكره
وشــعــاع الحب هــو البــاقي)

وهكذا تتحول «أغنيات إلى سيدة الحسن» إلى سيرة ذاتية لقلب الشاعر، الذي يعود دائماً إلى الإنسان يستلهمه، ويصوره، تصويراً تجسيمياً يطبع صوره الشعرية بطابعه حتى لتغدو القصيدة عالماً من الصور، فيعود الشاعر من خلالها لدرب المحبوبة، وواحة حبه، كالطير يعود الي الشجر، ويراها قمراً ويرحل اليها، ويقاوم ليل الغربة، ونجوم الأفق حوله، ويمشي فوق الطرقات يتبعه ظله، ويرى نفسه «عصفوراً في المنفى صادرت الأحزان لحونه» و«البحر يغني لليل، والقمر العاشق يتوضأ ليلا ويصلي، ويواجه فصول القلب الأربعه، وهو يحط قرابينه، ويغني جسر الليل، ويعلن أن الحب هو التميمة والضياء ونبع الأناشيد والفن والغناء، يسكب الشمس برونقه ويذيع اسراره، فلا يملك الشاعر الا ان يرسل «مواله» مستهلماً تراثه الشعبي، في رحلته الإشراقية الي أن يرى محبوبته ـ هي الأخرى ـ «تشدو موالا للحب على باب الخيمة».

«والموال» في الرصيد الشعبي؛ الذي يستلهمه الشاعر في ملحمته الغنائية؛ يكشف لنا عن سمات فنية يتميز بها شعر الأمير كمال فرج؛ يوظفها للتعبير عن حساسية جمالية؛ لا تنظر الي الواقع الا لتتجاوزه في تشوف إلى الأعلى؛ متوسلا بلغة الأحلام على حد تعبير استاذنا د. خفاجي وكأنه يقول هنا مع «روسو» (لو تحولت احلامي الى حقائق لما اكتفيت بها، بل لظللت اتخيل واحلم، لا تقف رغبتي عند حد؛ لأنني لا أزال اجد في نفسي فراغاً لا يشرح ولا يملؤه شيء؛ انه نوع من انطلاق القلب إلى مصدر متعة لا علم لي بها؛ ولكني أحس بحاجتي إليها؛ بل إني لأجد في ذلك الانطلاق نفسه متعة؛ لأنه يغزو جوانب نفسي بشعور قوي كل القوة؛ وبحزن عميق يجتذبني اليه حتي اني لا اريد أن أحرمه).

وحسبنا أن نقرأ للشاعر الأمير كمال فرج هذه الأبيات التي

بقلم : أ. د. عبدالعزيز شرف
ـ مصر ـ

يقول فيها محدداً منهجه الفني في الإبداع الشعري:

(معـــــــذرة يا قلبي إني
كلفٌ بالحـــــسن وبالفن
كـــالطيـــر اعـــيشُ بلا كلل
اتنقلُ يومـــاً في الغـــصن
اصف الأكـــوان وارســـمهـــا
رســـمـــاً بالريشـــة واللون
بالشـــعر كـــتبت احـاسـيـسي
وعـــزفت لعـــينيـــهـــا لحني
فـــالشـــعر بشـــارتنا الكبـرى
في دنيـــا الفـــرقـــة والغبن)

وكأن الشاعر هنا يتفق مع «نوفاليس» حين قال: (ربما كان من الصواب القول بأن ظهور شاعر في هذا العالم يكون لحكمة يشاؤها القدر. لأن الشاعر يملأ قدس أقداس الوجدان بأفكار جديدة عجيبة محببة؛ انه يعرف كيف يثير فينا تلك القوى الخفية الكامنة فينا كما يشاء؛ ويمنحنا عالماً مجهولا رائعاً نستوعبه من خلال الكلمات؛ ان العصور القديمة والمقبلة وجموع البشر التي لا حصر لها؛ والأماكن والجهات العجيبة؛ والمشاعر والإحساسات الغريبة تتصاعد كلها في نفوسنا، كأنها تخرج من كهوف عميقة؛ وتنتزعنا من براثن الواقع المألوف؛ اننا نسمع كلمات غريبة، ولكننا نعرف من ذلك ما تدل عليه، حكمُ الشاعر تؤثر فينا بقوة سحرية؛ كذلك تخرج الكلمات المألوفة في ثوب من الأنغام الخلابة فتسكر المستمعين المأخوذين بسحره)

ولنسمع صوت الشاعر قائلا في «اغنياته الي سيدة الحسن»:

(هي تحـــفظ يومـــاً اشـــعـــاري
تقـــرأها ليلي ونـهـــاري
تحـــضنهـــا كطيـــور اخـــذت
تحـــتـــضن ربوع الأشـــجـــار
تصنعـــهـــا عـــقـــداً يتـجلى
في الجـــيـــد بهي الأنظار
تحـــفظهـــا تحت وســـادتهـــا
تطلقـــهـــا عـــبـــر الأقـــمـــار
أحـــيـــاناً أنسى أبيـــاتـــاً
فـــتـــذكـــرني يا للعـــار)

«أغنيات الي سيدة الحسن» تؤكد لنا أن الشاعر حين يعانق «قيثاره في الليل؛ ويغني لحن الأقمار»؛ انما يجيب عن التساؤل المطروح حول جدوى الشعر في هذا العصر.. عصر الأقمار الصناعية. وهذا التساؤل - كما يقول الناقد الدكتور سعد دعبيس - انما يرجع الي توهم بعض الباحثين ان هناك تناقضاً بين التطور العلمي الرهيب الذي يخضع لقوانين غير تلك القيم الجمالية والقيم الروحية التي يخضع لها الأدب والفن.



غلاف الكتاب

ويشير الي دراسة لأستاذنا العقاد رحمه الله بعنوان «ثاميروس - أو مستقبل الشعر» يناقش فيها الرأي القائل بأن الشعر «مدبر» في هذا العصر؛ بدعوى ان الشعر كان يغنى في الزمن القديم؛ ثم بطل الغناء؛ فرتلوه أو ترنموا به، ثم بطل الترتيل والترنم؛ فالقوه ثم بطل الإلقاء، فقرأوه في المحافل أو الكتب وذهبت منه طلاوة الموسيقى. وفقد سحره القديم في الأسماع والقلوب؛ وانتهى بأن صار كلاماً يعبر بالنظر وقل أن يطرق الأسماع؛ والسبب الآخر ان الطبائع في العصور الحديثة تنكر الحماسة الشعرية وتسخر منها لاستغراقها في الواقع «الرياليزم» وثورتها الغريبة علي أخيلة القدماء.

ويذهب العقاد الي أن هذا الرأي مبالغ فيه بالنسبة لمستقبل الشعر؛ فيقول:

(وهنا يبدو لنا وجه الغلو في قول القائلين أن الشعر يبطل اليوم ويعد اليوم لبطلان بواعثه ودواعيه، اذ كيف يسعنا أن نقول جادين في القول إن الناس لا يحسون اليوم كما كانوا يحسون بالأمس؛ ولا يحبون ويبغضون ولا يرجون وييأسون ولا يرضون وينقمون، كما كان ذلك دأبهم وكما يكون ذلك دأبهم في كل حين وبين كل قبيل).

التربية والتنمية في البلدان النامية

بقلم : د. أنور طاهر رضا
جامعة التاسع من ايلول - تركيا

تصنف دول العالم في هذه الايام تصنيفات عديدة. الدول الغربية والدول الشرقية، ودول الشمال ودول الجنوب، والدول الغنية والدول الفقيرة، لعل اهم هذه التقسيمات هو في وضعها تحت صنفي الدول الصناعية أو المتطورة والدول المتأخرة أو المتخلفة، أو بتعبير ألطف الدول المتقدمة والدول النامية. واذا امكن الحديث بطريقة عامة بدون اخذ بعض الاستثناءات بنظر الاعتبار فان الدول الغربية هي الدول الصناعية، وهي الدول المتطورة، وهي الدول الغنية، وتقع في الجزء الشمالي من الكرة الارضية. اما الدول الشرقية فهي الدول التي تقع ضمن صنف الدول النامية، وهي الدول المتخلفة، وهي الدول الفقيرة، وتقع في النصف الجنوبي من الكرة الارضية.

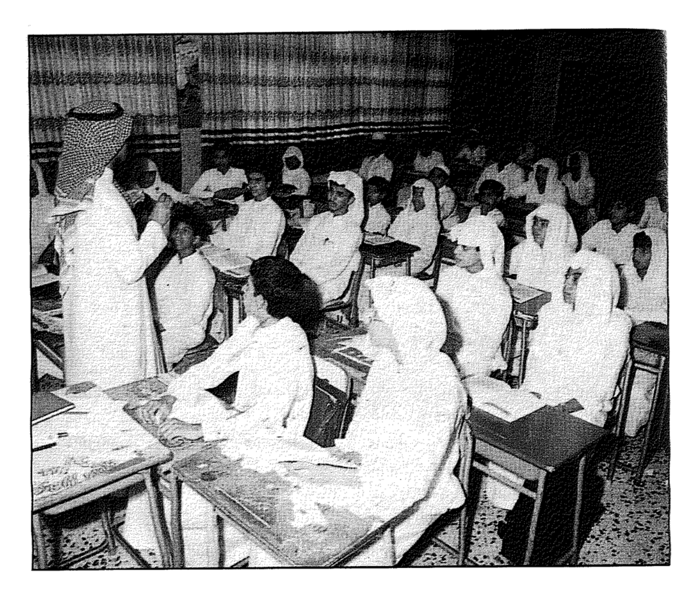
لعل الامر الغريب في ذلك أن الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة تزداد يوما بعد يوم، اي أن الفقير يزداد فقرا، ويزداد الغني غني، ذلك لأن الفقر يورث الفقر والجهل والتخلف والمرض، والغنى يورث الغنى والعلم والتقدم والصحة، وهذا ما دفع بعض المسؤولين الى التفكير بعبث المحاولات التي تصرف من اجل اللحاق بركب الدول المتطورة، لقد خلقت هذه الاوضاع في بعض الاوساط اليأس والتشاؤم في العواقب الوخيمة التي سيؤول اليها مصير هذه البلدان المتخلفة.

لقد قطعت الدول المتقدمة شوطا بعيدا في هذا التقدم بسبب البدء بالثورة الصناعية قبل غيرها والاستمرار فيها، وبقيت الدول النامية متخلفة عن هذا الركب، ولم تستطع اللحاق بصنف المتطورين، وقد مرت فترة طويلة على البلدان النامية وهي تعاني من هذه الاوضاع، تثير هذه الاوضاع أسئلة عديدة تدور في الاذهان، وتحتاج الى اجابة شافية: ترى هل قدر للدول المتخلفة أن تظل متخلفة؟ هل ستستمر الدول النامية في تخلفها الى ابد الدهر؟ هل هناك حاجة الى اليأس والتشاؤم في مصير الدول النامية؟ ما هي العوامل التي تحقق التنمية في هذه البلدان؟ ما هي الاولويات التي يجب أن تعطى من اجل تحقيق هذه التنمية الشاملة؟

قدر الدول المتخلفة:

للاجابة على هذه الاسئلة نقول: في واقع الامر لم يقدر للدول المتخلفة أن تظل متخلفة، بل إن التخلف لن يستمر إلى أبد الدهر ذلك لأن مجموعة معقدة من الاسباب ساهمت في امر هذا التخلف البئيس، ولابد أن تؤخذ هذه الاسباب بنظر الاعتبار في التخطيط للتنمية في هذه البلدان، سوف تأخذ هذه البلدان اماكنها اللائقة بها في المجتمع الدولي، وسوف تتطور ولا محالة إن كان عاجلا أم آجلا، إن الافكار التشاؤمية واليائسة يجب أن تعوض بالتصميم والارادة الجادة والعزيمة القوية للعمل الدؤوب من اجل التقدم والتطور.

لم يكتب على جبين الدول المتخلفة أن تظل متخلفة الى ابد الدهر. ذلك لان مثل هذا التفكير لا يستند على أي اساس علمي منطقي رصين. وهو تفكير يبث في أوساط الدول المتقدمة للحفاظ على استمرارية التخلف في هذه البلدان، لكي تكون وسيلة سهلة



للحصول على موادها الخام بالاسعار الزهيدة، وتأمين استمرارها سوقا رائجة للبضائع الغالية التي تصدرها الى هذه الدول.

اذا كان امر التطور سيتحقق في يوم من الايام في البلدان النامية ايضا، فان المسألة المهمة التي يجب التفكير فيها بشكل جدي هي: كيف يعجل امر هذا التطور؟.

ثلاثية التنمية:

يتم تحقيق التنمية في أي بلد معين بثلاثة عوامل أساسية يجب ان تعالج معا لتحقيق النتائج المثمرة، ندرج هذه العوامل كما يأتي:

١ - الدافعية:

تتخذ قرارات التنمية في كل بلد من قبل القيادات السياسية، ومن أجل أن تكون تلك القرارات سليمة فلابد أن يسود الاستقرار السياسي في البلد المعين، ذلك لان التقلبات السياسية انما تؤدي الى هجرة في الطاقات المختلفة، اضف الى ذلك فان التفكير في التنمية وتحقيق هذه التنمية انما يحتاجان الى عيش الناس كل الناس بما فيهم القادة في أمن وطمأنينة، وهما أمران تفتقر إليهما البلدان النامية.

لقد ظلت الكثير من الدول النامية في النصف الثاني من هذا القرن مرتعا خصبا للتقلبات السياسية، كان سبب ذلك في كثير من الاحيان التدخلات الخارجية من الدول المتطورة، فاذا كان الشرط الاول للتنمية هو ضمان الاستقرار السياسي، فان الشرط الثاني الذي سيلحقه هو ايقاف فسح المجال للتدخلات الخارجية.

يقصد بالدافعية شدة الرغبة الوطنية الى التغيير والتطوير، والاتجاه الذي ترغب فيه القيادة السياسية

توجيه هذا التغيير نحوه، إن القيادة السياسية متى ما ارادت حلا لمشكلات المجتمع، وتخليصه من ويلات التأخر، فانها يجب أن تكون جادة في ارادتها هذه، وتندفع لها ايما اندفاع، مصرة على الاستمرار في مواصلة جهودها في هذا الخصوص، ولا يمكن للقادة السياسيين من تحقيق ذلك بأنفسهم ولوحدهم، لذلك يكون اشراك المختصين في ذلك أمرا لا محالة فيه، إذ يوكل الأمر للمؤهلين في ذلك بدون التأثر بالاهواء الشخصية، إن وضع الشخص المناسب في المكان المناسب ضروري جدا في أمر تحقيق التنمية.

٢ - المال:

ينبغي النظر الى أمر التنمية كأي مشروع آخر، ولابد أن تخصص لها رؤوس الاموال اللازمة، إذ لا يمكن للتنمية أن تتحقق بدون رصد المبالغ اللازمة، أما المصادر التي يستعان بها من أجل التمويل فأمرها متروك إلى القيادات السياسية، على أن المصادر الداخلية خير من المصادر الخارجية، ذلك لأن مصادر التمويل الخارجية تكون مشروطة في العادة لصالح الاطراف الممولة، إن القيادات السياسية متى ما وفرت بيئة مناسبة فإن الكثير من الاموال الداخلية المخفية ستخرج الى الوجود لكي تستثمر في التنمية، وكلما ازدادت رؤوس الاموال المخصصة من أجل مشروع ما واستخدمت هذه الأموال بكفاءة عالية، كلما كان احتمال النجاح أكبر.

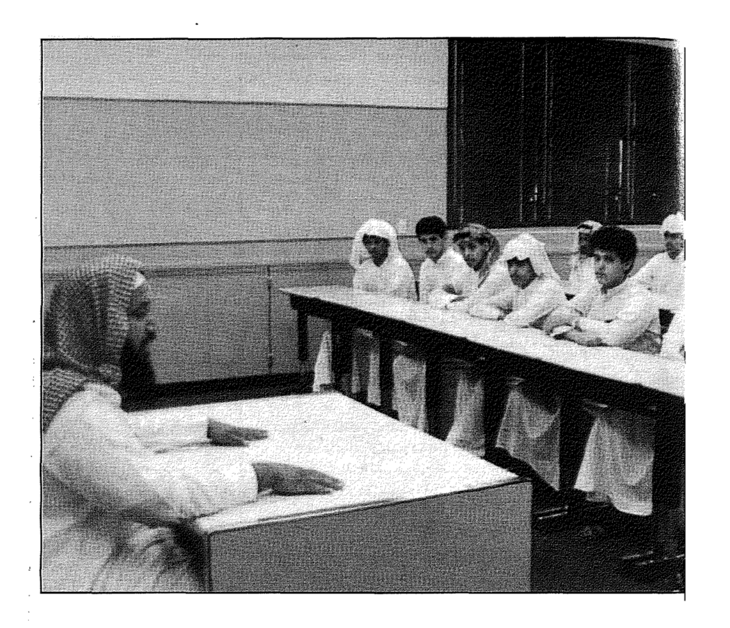
ومن المؤلم حقا أن تكون بين البلدان النامية دول غنية جدا، تملك كل اسباب التقدم والتطوروِلا تحسن استثمار أموالها في الدول الفقيرة التي هي في أمس الحاجة لها... ومن المؤلم ايضا أن تكون بين الدول النامية طاقات كامنة لم تستثمر بعد الاستثمار اللازم ومن المؤلم كل الالم أن يستثمر اصحاب الأموال من الدول النامية أموالهم في الدول المتطورة، تساهم هذه الاموال بذلك في تطوير الدول المتطورة، بدلا من أن تساهم في تطوير البلدان النامية، يكون الاجراء الاول الملح اذن هو توفير الأمن اللازم لأموال الناس، بحيث تستثمر في أمر التنمية. إن توفير الثقة اللازمة بالقيادات السياسية أمر لا مفر منه، يتم ذلك بمحو كل انواع التخوف من السطو على الاموال والتطبيق الفعلي لذلك.



٣ - الطاقة البشرية:

على أن العامل الاهم في هذه الثلاثية هو عامل الطاقة البشرية، ذلك لأن تحقيق التنمية اللازمة لن يتم الا بالطاقة البشرية المتوفرة، توجد هناك معرقلات نفسية تقف حائلا يؤدي الي تأخير التنمية في البلدان النامية، تكون الوظيفة الاولى التي تقع على القادة السياسيين هي العمل جاهدا من اجل مسح كل انواع الدونية والشعور بالنقص الذي يتمتع به السكان في هذه البلدان، هذا ومن ناحية اخرى يتحتم تحويل مشاعر الاعجاب الموجودة نحو الدول المتطورة والقادة الاجانب الى مشاعر اعجاب نحو العمل الجاد من اجل التنمية في هذه البلدان ونحو قادة محليين، فان التاريخ في هذه البلدان زاخر بأمثلة كثيرة تثير الفخر والاعجاب.

تتميز الدول النامية بشكل عام بالانفجار السكاني وبشبيبة السكان، بعكس الدول المتطورة التي تتميز بالركود السكاني وبشيخوخته، وهما أمران يؤديان دورا ايجابيا وسلبيا في أمر التنمية، الأمر الايجابي في هذا الموضوع هو أن المستقبل ينتظر الشباب، وعلى سواعدهم يمكن أن تتحقق التنمية، إن توجيه الشباب اسهل وايسر من توجيه غيرهم، إن التطور الغربي لا يمكن أن يستمر على اكتاف السكان المتشيخين، ذلك لأن ما بعد الشيخوخة هو الموت ولا محالة، إن الحياة الطويلة الزاخرة بالعمل في انتظار الشباب، اما الجانب السلبي في شبيبة السكان هو أن الشباب مستهلكون وغير منتجين في الوقت الحاضر،



وبذلك يحتاج الأمر الى بعض من الصبر والتأني.

على أن المؤسف حقا أن تكون الطاقة البشرية الماهرة في هذه البلدان معرضة الى الهجرة الى الدول المتطورة، إن هجرة الادمغة تضر الدول النامية لصالح الدول المتطورة، لقد اثبتت البحوث والدراسات الكثيرة على أن انسان الدول النامية لا يختلف عن انسان الدول المتطورة في القابليات والكفاءات، وإن كان يختلف عنه في العمل والانتاج في الوقت الحاضر لعدم توفر البيئة اللازمة لذلك، ولا شك أن اصحاب الكفاءات اثمن رأسمال، لذا ينبغي توفير الوسائل الكفيلة التي تضمن عدم هجرة هذه الكفاءات من ناحية، وعودة الموجودين منهم في الخارج الى البلد الأم من ناحية اخرى.

التربية من اجل التنمية :

يتحتم وضع شعار التربية من أجل التنمية، ذلك لأن التربية هي التي توجه الطاقة البشرية في اتجاه التنمية، ومهما كانت الدافعية في حل ادواء المجتمع، ومهما كانت رؤوس الاموال المخصصة، فان فاعلية أي نظام انما تعتمد على التربية.

إن التربية هي الدواء لكل ادواء المجتمع، وبالتربية وحدها تنحل هذه الادواء، ولولاها لما انحل داء. لقد اضحت هذه المسألة بديهية في المجتمعات المتقدمة، حتى استثمرت الاموال الطائلة في هذا المشروع الانساني الحساس، ذلك لأن المشاريع الاخرى مهما كانت، لا يمكن أن تنجح الا جهود التربية، على أن التربية لا تعطي مردودات سريعة، وتحتاج الى فترة قد تستغرق حياة جيل بكامله.

إن التربيـة في البلدان الناميـة يجب أن تنبني على أساس قومي محلي. ذلك لأن الاستقلال التام لن يتم لهذه البلدان إلا بما يؤكد الشخصية المحلية المستقلة النابعة من اصول البلد العريقة، إن مشاعر التبعية للغرب تشكل موانع نفسية لحملات التنمية في هذه البلدان، وتعرقل هذه الحملات عرقلة ملموسة حقا.

يعتقد بعض المثقفين في البلدان النامية أن الدين والعادات والتقاليد المحلية هي السبب في التخلف الذي تعاني منه البلدان النامية، تتضمن هذه الفكرة كثيرا من الخلط والتشويه للحقائق، ذلك لأن الدين والعادات والتقاليد المحلية اضافة الى عدم عرقلتها لحملات التنمية، فانها تساهم مساهمة ايجابية في خلق الوسط اللازم للوحدة الوطنية والتماسك بين افراد الامة الواحدة، وتقف حجر عثرة امام التدخلات الاجنبية التي تبغي تشويه هذه الحملات.

كليات التربية وامر التربية:

إذا كان الميدان التربوي هو الميدان الاهم الذي يجب أن يستثمر الاستثمار اللازم من أجل التنمية، فإن المعلمين هم حجر الزاوية في هذه التربية، ذلك لأن عمليات التربية والتعليم انما تقوم على مساعيهم الحميدة، إن إصلاح حال المعلمين شرط اساسي في تحقيق التنمية في البلدان النامية، ومن المفيد أن يسجل في هذا الصدد أن البلدان التي تطورت اكثر من غيرها هي البلدان التي تصرف الرواتب العالية للمعلمين.

تعتبر كفاءة العملية التربوية العنصر الأساسي في حل ادواء المجتمع وتحقيق التنمية المنشودة. على أن كفاءة العملية التربوية مفقودة الى درجة ما في الوقت الحاضر في البلدان النامية. إن اصلاح حال المعلمين سيساهم ايجابيا في رفع كفاءة العملية التربوية، على أن ذلك لا يكفي، اذ تحتاج المسألة الى مزيد من الاجراءات. إن اولوية الاجراءات يجب أن تعطى لكليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين.

تحتاج كليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين في البلدان النامية الى مزيد من الرعاية والعناية. ذلك لأن فتيلة اعلان البدء بالتنمية يجب أن تشعل من هذه الكليات والمعاهد، إن كفاءة عمليات التربية والتعليم انما تعتمد على الكفاءة في اعمال هذه المراكز العلمية.

إن اعضاء هيئة التدريس في كليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين هم الذين سيقوم على اكتافهم اصلاح حال هذه المراكز. على أن هؤلاء بحاجة الى اصلاح من ناحية اخرى، وامرهم متروك في كثير من الاحيان، من النظرة المتأتية على انهم اكفأ الناس في ميادين اختصاصاتهم.

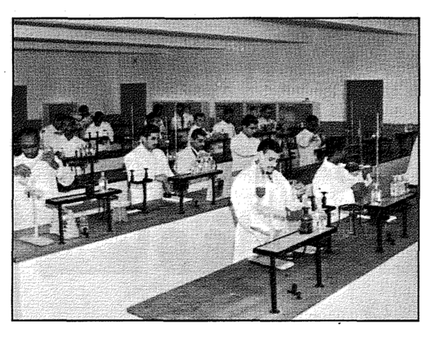
إذا كانت هذه النظرة صحيحة فيما يخص ميادين الاختصاص فانها غير صحيحة في أمر تدريس هذه الاختصاصات. إن أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين يجب أن يكونوا في موقع القدوة الحسنة في عمليات التربية والتعليم، ومن هذا المنطلق فانهم بحاجة الى التدريب اثناء الخدمة قبل كل شيء.

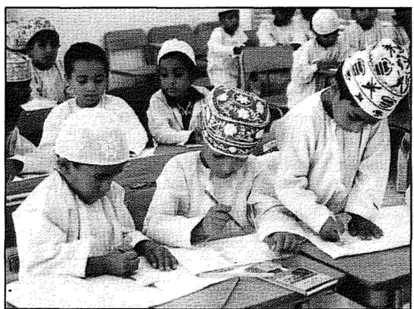
التقنيات التربوية:

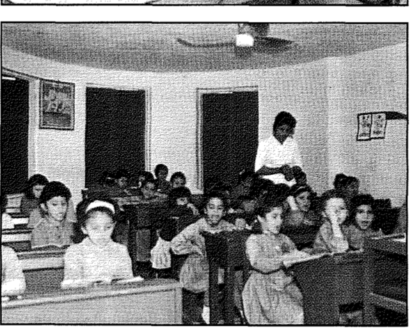
تساهم التقنيات التربوية مساهمة فعالة في اصلاح حال كليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين، ذلك لأن ميدان التقنيات التربوية يتضمن رفع كفاءة العملية التربوية وزيادة انتاجيتها، وحل جميع المشكلات التي تجابه عمليات التربية والتعليم خلال تطبيق البرامج التربوية، لذا فان المبادرات الاصلاحية لن تحقق اهدافها المنشودة بدون التطبيق الفعلي للتقنيات التربوية في التربية والتعليم.

تكون الخطوة الاولى إذن هي تنظيم البرامج التربوية في هذه الكليات والمعاهد تنظيما جديدا مبنيا على اساسيات التقنيات التربوية. تجري مناقشات هذا التنظيم مع اعضاء هيئة التدريس والطلبة لاقناعهم بجدوى هذا التنظيم، وكيفية العمل على وضعه موضع التنفيذ بالتفاصيل اللازمة ما امكن. ذلك لأن فرض أي نظام جديد لا يتماشى مع مبادىء التقنيات التربوية، لا يحقق الاهداف التربوية المطلوبة.

ومن اجل تطبيق هذا التنظيم الجديد تحتاج هذه الكليات والمعاهد الى انشاء مراكز لمصادر التعلم، يتم







تزويدها بالامكانات المادية والبشرية وباعداد كافية تتبنى نشاطات هذه المراكز على انتاج الحقائب التعليمية من قبل اعضاء هيئة التدريس والطلبة لتوفير البدائل التربوية وخاصة المستقلة منها. لا تكتفي هذه المراكز في تنظيم برامج كليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين فحسب، بل تساهم مساهمة فعالة في تطوير المناهج التربوية في البلد، وتقديم خدمات التربية اثناء الخدمة سواء أكان ذلك بتقديمها وجها لوجه أم عن طريق التربية عن بعد بالراديو والتلفزيون.

يكون ضمن اهداف هذه المراكز وضع اسس التربية بالعمل قيد التنفيذ، ومن اجل تطبيق ذلك فان هذه الكليات والمعاهد بحاجة الى مدارس ثانوية وابتدائية ملحقة بها، يتم فيها عمليات المشاهدة والتطبيق العملي والتجاري الجديدة بخصوص تطبيق الطُرق التربوية الحديثة في عمليات التربية والتعليم. يكون التعليم المصغر ضمن نشاطات هذه المراكز، إذ يتم من خلاله اكساب الطلبة مهارات التدريس اللازمة. يتم تنظيم منهجي لكل طالب في ميدان اختصاصه سواء بالمهارات التي اكتسبها، أو التي سيكتسبها في المستقبل.

تنظم التربية في هذه الكليات والمعاهد على اساس التربية المتمركزة على الطالب. يعمل في مثل هذه التربية على اشراك الطلبة في جميع الفعاليات ابتداء من توضيح الاهداف التربوية وتحديد المحتويات الدراسية ومارا باختيار الطرائق التربوية واستخدامات الوسائل التعليمية وانتهاء بعمليات التقييم والقياس.



مضاعفات الجراحة

لا تخلو عملية جراحية من احتمال حدوث مضاعفات حتى في احدث المراكز الطبية المتخصصة. وذلك يرجع الى طبيعة الكائن البشري أو الكائن الحي بوجه عام الذي يختلف في تركيبه وتكوينه وهورموناته وانزيماته وحالته الصحية والنفسية ومدى تفاعل الجسم واستجابته لعوامل الانفعال الخارجية من فرد لآخر حتى اننا لا نبالغ اذا قلنا أن كل فرد منا - بكل تلك العوامل السابقة - يشكل حالة خاصة دون غيره من الافراد. هذا بالقياس الي طبيعة الآلة مثلا التي لا تختلف عن مثيلاتها المنتجة علي نفس خط الانتاج الواحد في قليل أو كثير مهما بلغ عددها.

ويمكن تقسيم المضاعفات التي قد يتعرض لها أي انسان يتم له اجراء عملية جراحية الي:

١ - مضاعفات عامة: وقد تحدث مع أي عملية جراحية بصرف النظر عن مكان التدخل الجراحي.

٢ - مضاعفات موضعية في مكان اجراء العملية الجراحية: وتحدث نتيجة لطريقة اجراء العملية أو لانواع معينة منها وهذه المضاعفات من المشاكل التي يتعرض لها الجراحون المتخصصون.

أولا: المضاعفات العامة:

مضاعفات تؤثر على الجهاز التنفسي:

عندما يكون المريض نائما تحت تأثير مخدر كلي فانه بالطبع سيكون في حالة نوم واسترخاء تامين نتيجة هذا المخدر وبذلك يفقد المريض قدرته على السعال (الكحة) التي هي من ضرورات طرد أي جسم غريب أو أي افرازات تتراكم في الجهاز التنفسي.

كما أن حركة االأهداب المتواجدة في الغشاء المخاطي للجهاز التنفسي - وهي بمثابة «المكانس» التي تطرد البلغم والافرازات للخارج - تتوقف اثناء التخدير، بالاضافة الى المضاعفات التي قد تنجم عن التكنيك المستخدم في ذلك مثل ادخال انبوب خاص إلى القصبة الهوائية وما يتبع ذلك من أضرار.

ونتيجة لما سبق تتراكم الافرازات لتسد الشعيبات الهوائية وبالتالي يمتص الهواء المتواجد بفص الرئة المتصل بتلك الشعيبة المسدودة ليصاب هذا الجزء من الرئة بالالتهاب الرئوي الشعبي.

الوقاية:

لا يجب اجراء أي عملية جراحية في مريض مصاب بأي مرض صدري إلا عندما تكون ظروفه الصحية أفضل ما يمكن اللهم الا اذا كانت عملية جراحية طارئة لا يمكن تأجيلها وفي هذه الحالة تتخذ اجراءات خاصة.

- مساعدة المريض على الحركة من الرقاد بعد اجراء العملية في اقرب فرصة متى سمحت حالته بذلك.
- الطرق على الظهر براحة اليد طرقا خفيفا مع محاولة المريض السعال ليخرج ما تراكم من افرازات في جهازه التنفسي اثناء العملية.
- استخدام المضادات الحيوية المناسبة اثناء اجراء العملية كإجراء وقائي.

ومن أهم المضاعفات

بقلم: د. أحمد عبدالمنعم عربود
- مصر -

ضـغط الدم الواصل الى الرئة وبالتـالي يؤثر ذلك على تضخم الجانب الايمن من القلب نتيجة ارتفاع الضغط أمامه.

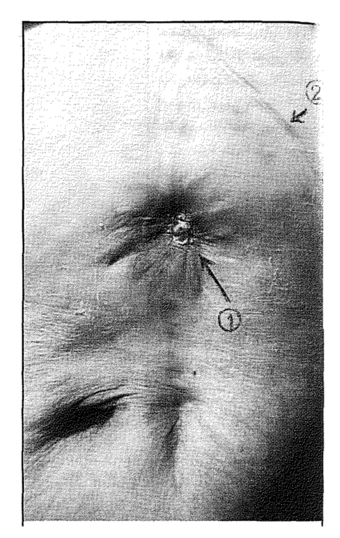
وفي هذه الحالة يشعر المريض بضيق في التنفس وزيادة معدله وزرقة في الوجه والشفتين والاغشية المخاطية (Cyanosis) ثم القلق الشديد والعصبية المفرطة وقد ينتهي الامر بفقدان المريض للوعي. ولابد في مثل هذه الحالة التخلص من اسباب العدوى مع عدم الاكثار من اعطاء المحاليل ومد المريض بالاكسجين عن طريق اجهزة تنفس صناعي مع زيادة الضغط لزيادة ضغط التهوية داخل الرئة بصورة متقطعة لمساعدة المريض على الخروج من تلك الازمة.

دخول بعض محتويات المعدة الى الجهاز التنفسي:

وذلك عن طريق القيء الذي قد يحدث قبل اجراء العملية كما في حالات الانسداد المعوي أو القيء الدموي أو التسمم الكحلي مع فقدان المريض لوعيه.

وقد يحدث أن يتم تخدير المريض وهو ممتلىء المعدة أو اثناء الحمل أو في حالات الانسداد المعوي أو أثناء اخراج أنبوبة التخدير من تجويف القصبة الهوائية بعد انتهاء العملية.

ونتيجة لاستنشاق ودخول المواد المتقيأة الى الجهاز التنفسي قد تحدث وفاة مباشرة للمريض نتيجة انسداد جهازه التنفسي وفي الدرجات الأقل يحدث انسداد في بعض الشعيبات الهوائية لتتراوح المضاعفات بين التهابات رئوية الى خراريج داخل الرئة حسب المكان

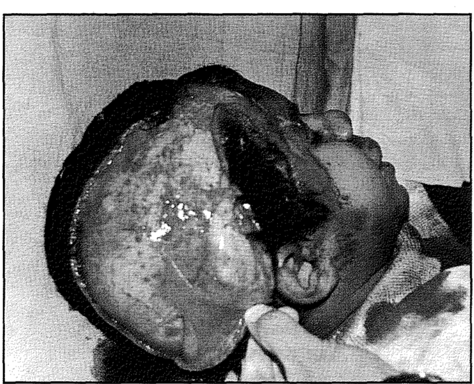


ناسور بجدار البطن (المشار اليه بالسهم رقم١) نتيجة تجمع صديدي أسفل الحجاب الحاجز من الجهة اليسرى. لاحظ وجود ندبة لشق جراحي قديم اسفل الضلوع (المشار اليه بالسهم رقم ٢)

الهامة التي لا يعرف لها سبب حتى الآن وتحدث في العمليات الكبرى هي: صدمة الرئه أو عدم الكفاءة الرئوية بعد الاصابة أو «لازمة الضيق التنفسي في البالغين» Adult respiratory distress syndrome وتحدث غالبا عندما يصاب الانسان بالعدوى الشديدة في الجسم (Systemic sepsis) وفي هذه اللازمة تتجمع كرات الدم البيضاء مع الصفائح الدموية مع خيوط (الفيبرين) Fibrin لتكون جلطات صغيرة جداً وكثيرة في عددها لتسد الشعيرات الدموية داخل الرئة لتتسبب في موت اجزاء كثيرة وصغيره ومتفرقة من الرئة. مما ينتج عنه ارتفاع في



نتيجة للعدوى البكتيرية تنفصل الخيوط الجراحية وينفتح الجرح بصورة تلقائية لعدم وجود التئام



احدى الاصابات التي تحتاج للتدخل الجراحي السريع (حادث سيارة)

استخدام قساطر بولية لاخراج هذا البول المتراكم في المثانة مما يعرض المريض لالتهابات الجهاز البولي نتيجة ادخال مثل هذه القساطر وبخاصة لو تركت لفترة طويلة دون عناية أو تغيير. ومضاعفات المسالك البولية تحدث أكثر ما تحدث في النساء ذوات الاعمار المتقدمة مع بقائهن في السرير مدة طويلة.

وللوقاية من مضاعفات الجهاز البولي لابد من استخدام تكنيك التعقيم التام في كل ما يدخل الجهاز البولي مثل القساطر. وكذلك مساعدة المريض على الحركة بأسرع ما يمكن ومحاولة التبول بطريقة طبيعية ما أمكن دون الحاجة الى استخدام القساطر البولية وكذلك العناية بكمية المحاليل بحيث لا تتعارض مع صحة المريض، وإذا حدثت عدوى بكتيرية يجب استخدام المضادات الحيوية المناسبة.

بعض المضاعفات العامة الأخرى:

قد يتسبب جفاف الفم نتيجة الخطأ في حساب كمية المحاليل اللازمة للمريض في التهاب الغدة النكفية (Par-otitis)، وكذلك اذا لم يعتن المريض بنظافة الفم والاسنان. وللوقاية يجب حساب المحاليل جيدا واذا حدث تَكَوُّن صديدي بالغدة النكفية يجب فتحها فورا حتى لا تتفاقم حالة المريض الصحية.

تقرحات الفراش:

وكثيرا ما تحدث في كبار السن ذوي الأوزان الكبيرة مع البقاء فترة طويلة في الفراش مع اهمال تقليب المريض مع بقائه لفترة طويلة على مكان واحد.

وأكثر الاماكن عرضة لتقرحات الفراش الاماكن البارزة من الجسم مثل الردفين ومنطقة العجز وفوق النتوء الكبير لعظمة الفخذ.

وعندما يستمر الضغط على هذه الاماكن تفقد حيويتها فتتسلخ ويموت الجلد - بالطبع - وتصبح عرضة للالتهابات والعدوى البكتيرية وتَكَوُّن الصديد والخراريج.

وكمية المواد المستنشقة. ولأن هذه المحتويات تحوي مواد مهيجة حمضية يتسبب ذلك فيما يعرف بـ: Mendel-son,s syndrome ويحدث في هذه الحالة ضيقا شديدا في الشعب الهوائية مع صعوبة في التنفس وزرقة الوجة والشفاه والاغشية المخاطية كما يحدث تورم في خلايا الرئة وتجمع المحاليل الجسمية بين خلايا الرئة وهو ما يعرف بـ (Pulmonary Oedema) وللوقاية من مثل تلك المضاعفات: لابد من التأكد قبل اجراء أي عملية من خلو المعدة من الطعام والا يتم تركيب انبوب خاص يفرغ محتويات المعدة وخاصة في العمليات التي تتم في الجهاز الهضمي أو تلك التي تستغرق فترة زمنية طويلة.

أما علاج تلك الازمة فيتم عن طريق التشفيط السريع لمحتويات البلعوم والتجويف الانفي وشفط أي بقايا طعام من داخل القصبة الهوائية والشعب الرئيسية ولو استدعى الامر استخدام المنظار الشعبي bron-choscope.

هذا مع اعطاء المريض المضادات الحيوية المناسبة وكذلك تفيد مركبات الكورتيزون كثيرا في لازمة «مندلسون» وكذلك موسعات الشعب الهوائية.

مضاعفات تؤثر على الجهاز البولي:

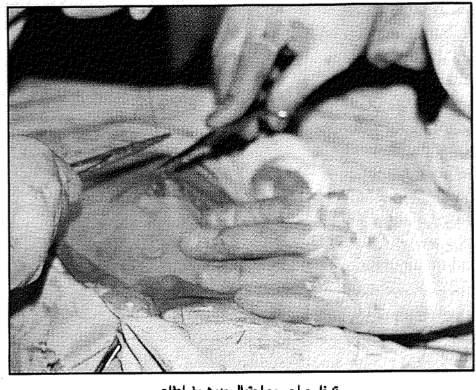
قد يحدث مثلا: احتباس بولي مما يستدعي الامر

وما أيسر الوقاية من تقرحات الفراش وذلك بالعناية بتقليب المريض مـــا أمكن والعناية بنظافة الجلد وتهويته والعناية كذلك بفتحتي البول والشرج.

الإمساك:

وذلك بسبب جفاف المواد البرازية وتبدو هذه المضاعفة في كـبـــار السن والمرضى المزمنين لازمي الفراش وكذلك في أولئك الذين يتهيبون التبرز مثل، عمليات منطقة الشرج مثل البواسير مثلا.

وفي مـــثل هذه الحـــالات يجب العناية باعـداد المريض مسبقا قبل اجراء العملية وذلك باستخدام الحقن الشرجية واذا حدث الامساك فغالبا ما يستلزم الامر اخراج المواد البرازية الجافة من الشرج يدويا.



تدخل جراحي مع احتمال حدوث مضاعفات.

التهاب المعي الرفيعة والغليظة:

وذلك نتيجة الاستخدام الخاطيء للمضادات الحيوية، الذي يتسبب في نشاط بعض البكتريا القوية التي لم تتأثر بالمضادات المستخدمة. ويحدث هنا اسهال شديد مع وجود البراز مختلطا بالدم والمخاط مع انتفاخ في البطن وانخفاض في الضغط، كل ذلك يتسبب في فقد المريض كمية كبيرة من محاليل الجسم.

وللوقاية: يجب الحرص في استخدام المضادات الحيوية وبخاصة تلك التي ستستخدم لفترة طويلة. واما علاج مثل هذه المضاعفات فبتعويض المريض ما فقده من محاليل وشفط محتويات المعدة واستخدام مضاد حيوي مناسب.

ثانيا: المضاعفات الموضعية:

العدوى البكترية: Wound infection تعتبر من أكثر المضاعفات في مجال الجراحة. وهناك عوامل تساعد على ذلك منها:

- قبل اجراء العملية: اجراء عملية في منطقة قريبة من منطقة غنية بالميكروبات مثل الفم والانف أو الحلق أو التلوث الناتج من خروج صديد، مثل انفجار الزائدة الدودية.

ولا يفوتنا أن نذكر أن هناك مجموعة من الافراد ذوي قابلية للعدوى أكثر من غيرهم مثل أولئك المصابون بأمراض سوء التغذية أو انخفاض مستوى البروتين في الدم Hypoproteinaemia أو نقص الفيتامينات وكذلك مرضى البول السكري أو أولئك الذين تستدعي حالاتهم المرضية استخدام مركبات الكوريتزون لفترة طويلة.

أما العدوى البكتيرية أثناء اجراء العملية فمصدرها اما من هواء الحجرة (حجرة العمليات) غير المعقمة جيداً أو من التلامس في منطقة اجراء العملية بأي جسم ملوث أو من احد افراد طاقم الاطباء أو الحكيمات أو منضدة العملية أو الاغطية المستخدمة أو المحاليل أو غيرها.

وقد تنتج العدوى البكتيرية نتيجة عيب في اجراء العملية نفسها مثل ترك تجمعات دموية في الجرح وهذه التجمعات بمثابة وليمة هائلة تدعو البكتريا من كل صوب للعدوى! وكذلك اذا تم غلق الجرح بطريقة خاطئة كأن يترك فراغات بين الانسجة أو خنق جزء من العضلات بالخيوط مما يسبب موتها وبالتالي عدواها بالبكتريا أو فتح جزء من الاحشاء في منطقة اجراء العملية.

وكذلك تحدث العدوى البكتيرية في منطقة شديدة الاحتواء على البكتريا مثل القولون.

أما أسباب العدوى بعد العملية:

فيحدث لاسباب عديدة أهمها استمرار أسباب العدوى قبل اجراء العملية. أو انتقال العدوى من المريض نفسه عن طريق الجلد أو الفم أو الحلق.

انتقال العدوى من احد المرضى المجاورين للمريض.

وتظهر العدوى في الغالب في اليوم السابع من اجراء العملية وتظهر اعراضها في صورة عدم انسجام مزاج المريض (Malaise) وفقدان الشهية للطعام وآلام في مكان الجراحة، وقد ترتفع درجة الحرارة ويزداد معدل النبض. مع ظواهر موضعية في الجرح مثل ظهور احمرار وآلام عند لمسه أو وجود صديد يخرج منه.

وللعلاج يجب اصلاح الحالة الصحية للمريض ككل: ولابد من تجهيز وتنظيف القولون قبل اجراء عمليات فيه، ولابد كذلك من اعطاء المضاد الحيوي المناسب قبل اجراء العملية مباشرة أو اثنائها.

وكذلك يجب العناية الفائقة بالتعقيم سواء في مكان اجراء العملية أو الافراد الذين سيتعاملون مع المريض. أما عن تكنيك غلق الجروح فلابد من تلاشي أي تجاويف واستخدام «الدرانق» Drains لاخراج أي تجمع دموي لخارج الجرح.. واذا حدثت العدوى فعلا فلابد من أخذ عينة من الصديد المتكون ليتم وصف المضاد الحيوي المناسب بعد عمل مزرعة وترفع الغرز اذا كان هناك صديد للمساعدة علي خروجه.

ومن العوامل المساعدة علي تكون الخراريج عدم كفاية سحب الصديد من الجروح (Drainage) أو التهاب بكتيري في أي تجمع دموي أو بقاء جزء ملوث بعد اجراء العملية كأن يترك جزء من الزائدة الدودية دون استئصال أو ترك جزء ميت من العظام (Sequestrum) دون اخراجه. أو نسيان جسم غريب في بطن المريض كفوطه مثلا.

خراريج البطن:

قد تتكون أي تجمعات صديدية في بطن المريض في أي مكان منها وبالذات تحت الحجاب الحاجز أو في منطقة الحوض Pelvic abscess وتمثل خراريج تحت الحجاب الحاجز حوالي نصف في المائة من كل عمليات البطن. وقد يتسبب ذلك الخراج في التهاب بريتوني عام General peritonitis أو قد يصاب الحجاب الحاجز نفسه بالالتهاب وكذلك قد ينفجر الخراج داخل تجويف «البللورا» مما يسبب ارتشاحاً صديدياً علي الرئة المقابلة أو قد يفتح الخراج علي الصدر أو يكون «ناسور» بين الشعاب الهوائية والتجويف البلوري أو التهاب غشاء «التامور» الذي يحيط بالقلب مسببا Pericarditis أو يتكون خراج في وسط الصدر Mediastinal abscess ويصاحب خراج تحت الحجاب الحاجز فقدان الشهية والميل للقيء وارتفاع درجة الحرارة وربما عدوى في الجسم كله.

ويحدث خراج تحت الحجاب الحاجز غالبا إثر عملية بالبطن وبالذات لو تم التعامل مع الانسجة بطريقة رديئة bad manibulation ويعاني المريض في مثل هذه الحالات من ألم ثابت تحت منطقة الحجاب الحاجز المصاب وقد يصاحب ذلك آلام في مفصل الكتف المقابل نتيجة ما يعرف بـ Refered pain وقد يعاني المريض من الزغطة Hiecoughs ويبدو المريض شاحبا، غير معتدل المزاج، معتلا، مع ارتفاع درجة الحرارة في ٥٠٪ من الحالات فقط وربما لا يعاني ١٠٪ من ارتفاع بالحرارة بالمرة. وترتفع عدد دقات القلب.

ولتشخيص خراج تحت الحجاب الحاجز يلجأ الطبيب غالبا الي عد دم أبيض يلاحظ فيه زيادة كبيرة مع ارتفاع في معدل ترسيب الدم Blood sedementation Rate ومع عمل أشعة علي الصدر ربما تظهر ارتشاحاً بللورياً في نفس جهة الجرح وكذلك التهاب رئوياً ويبدو الحجاب الحاجز اكثر سمكا وملتهبا وغير متحرك أو قد يبدو الخراج ككرة تحتوي سائلا في داخلها. وقد يلجأ الطبيب الي استخدام أشعة الموجات فوق صوتية Ultrasonography أو الأشعة المقطعية CATS. وبالطبع لو ثبت وجود خراج فلابد من فتحه بطريقة خاصة واخراج الصديد المتجمع.

تأخر التئام الجروح:

ويحدث ذلك لأسباب عديدة منها كما ذكرنا العدوى البكتيرية والعنف في تناول الانسجة البشرية الحساسة مما يسبب تهتكها وموتها. وكذلك قلة المناعة وعدم الالتئام في بعض الاشخاص كما ذكرنا. ومن أخطر مضاعفات عدم التئام الجروح انفصال الخيوط الجراحية المستخدمة في اغلاق جروح البطن لتنفتح البطن محدثه ما يعرف بـ Burst abdomen وتظهر الاحشاء الداخلية وقد خرجت من الجرح.

ومثل هذه الحالة تحتاج للتدخل السريع لاعادة

الاحشاء كما كانت للبطن مع غلق الجرح بطريقة خاصة.

الناسور المعوي:

ومعناها أن يكون هناك اتصال بين تجويف احد اجزاء الامعاء وجلد البطن من الخارج. بحيث يبدو المريض وعلي جلده فتحة تخرج محتويات هذا الجزء من الامعاء.

ومن أهم اسباب ذلك فشل التئام وصل جزئين من الأمعاء ببعضهما كإجراء طبيعي لاستئصال جزء تالف من الامعاء. أو بسبب مرض «كرونز» Crohn,s أو بسبب ورم سرطاني أو الاصابة بالدرن المعوي.

وإذا كان هناك انسداد في منطقة ما بعد الناسور أو عيوب في التكنيك أثناء فتح البطن عند اجراء عملية استكشاف مثلا وتدل زيادة الافرازات من الناسور على حدوثها في المعي الرفيعة بينما قلتها تدل على اتصالها بالمعي الغليظة.

وتكمن خطورة الناسور المعوي في فقدان الجسم لكمية كبيرة من السوائل والعناصر الاخرى والاملاح المعدنية وسوء الامتصاص. كما تتسبب الافرازات حول فتحة الناسور من الخارج في الالتهابات والعدوى البكتيرية مما يساعد علي زيادة عملية الايض وبالذات عملية الهدم Catabolism مما يسبب فقداناً ملحوظاً في وزن الجسم.

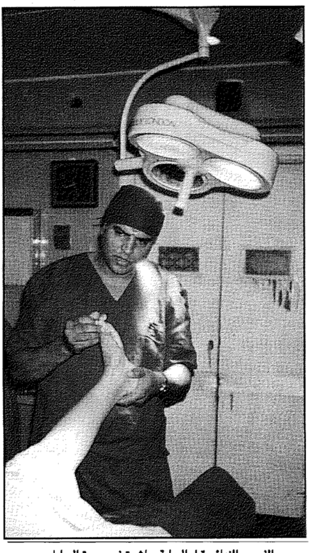
أما التأثيرات الموضعية للناسور: فاننا - كما نعلم - أن وجود عصارات معوية علي سطح الجلد خارجة من الناسور تتسبب في تآكله نتيجة الانزيمات الهاضمة.

وبالتالي العدوى البكتيرية مع التسلخات والتقرحات مما يفاقم من حالة المريض الصحية. ولابد من العناية ما أمكن اثناء اجراء العملية الجراحية من الحرص الشديد للوقاية من حدوث الناسور المعوي. أما علاجه فيتمثل في اعادة بناء الجسم صحيا ثم معرفة أسباب الناسور والوصول الى التشخيص الصحيح وتحديد مساره ثم امكانية استئصاله والتخلص منه جراحيا.

الناسور البسيط:

ويقصد به فتحة على الجلد موصلة بمصدر تجمع صديدي أو التهاب لمدة كبيرة داخل الجسم. وهذه التوصيلة دائماً محاطة بنسيج نام غير سليم وغير صحي Un-healthy granulation tissue.

ومن أهم أسبابه فتح أحد الخراريج ولم يتم تنظيفه واخراج ما فيه بصورة جيدة، أو أن نترك الخراج يفتح



الفحص النهائي قبل العملية مباشرة في حجرة العمليات

تلقائيا على الجلد بدون تدخل جراحي دون توسيع أو تنظيف. وكذلك بقاء جسم غريب داخل التجويف الصديدي كخيوط الحرير المستخدمة في الجراحة. وكذلك الامراض المزمنة التي تتسبب في موت اجزاء داخلية تفتح على السطح مثل الدرن في الانسجة المختلفة أو الاورام السرطانية. والصورة العامة للناسور من هذا النوع هو استمرار خروج افرازات (صديدية في الغالب) من جرح إن دام فتحه في الجلد لمدة أكثر من شهر بعد اجراء العملية الجراحية.

الوقاية والعلاج:

لابد من العناية بتنظيف أي خراج متكون وفتحه بطريقة سليمة تتيح له أن يلتئم من الداخل أولا ثم من الخارج وليس العكس.

كذلك استخراج أي جسم غريب يكون سببا في بقاء الافرازات مثل الخيوط الجراحية المدفونة في الجرح.



طب وعلوم:

الجراحة بالمنظار حقيقة أم خيال

بقلم : د. محمد محمد محسن
- جـدة -

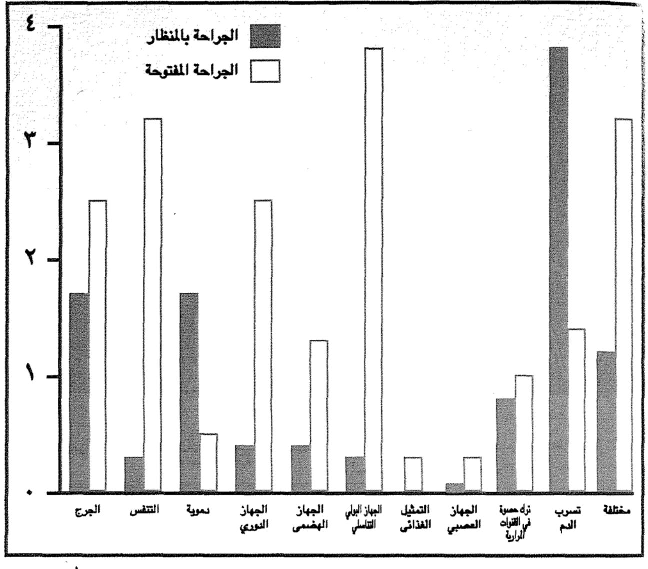
مازلت أحس بالدهشة التي أخذتني يوم أن شاهدت لأول مرة إجراء العمليات بالمنظار الجراحي بدون فتح بطن، وكنت يومها قد أرسلت للتدريب على هذا التكتيك الجراحي الجديد.

ورغم قراءاتي ومعلوماتي الكثيرة - كجراح - ورغم ما شاهدت ومارست من أهوال وعجائب في عالم الجراحة، إلا أنني كنت مذهولا وأنا أشاهد مريضا تحت مخدر عام تستأصل له الحوصلة المرارية بدون فتح بطن كما كان معتادا من قبل وهذا الفيلم المثير الذي يعرض على شاشة الفديو وينقله المنظار - المتصل بكاميرا - عبر فتحة صغيرة (من نصف الى واحد سم) في جدار البطن تصور بدقة وتنقل كل شيء داخل التجويف البريتوني وتكبر صورة الأحشاء إلى حوالى ٢٠ ضعفا.

بالإضافة إلى فتحتين أخريين أو ثلاث: إحداهما لإدخال الجراحة والأخر لجذب الأعضاء بواسطة الطبيب المساعد.

وهذه الفتحات الثلاث أو الأربع الصغيرة تلصق في نهاية العملية أو تخاط بطريقة لا تترك إلا أثرا بسيطا يكاد لا يرى في جدار البطن.

والآلات الجراحية هنا آلات دقيقة طويلة لتخليص العضو المراد استئصاله ومنها مقصات ومباضع كهربائية لتجميد الدم في الأوعية الدموية كي لا يحدث نزيف ومنها آلات ضخ السوائل للغسيل وشفط الدم دون اللجوء إلى إدخال فوط أو شاش أو يد الجراح - ومنها استخدام الليزر بدلا من الكي الكهربائي.



مقارنة المضاعفات في الجراحة العادية وجراحة المنظار

طريقة إجراء العملية باختصار:

استئصال الحوصلة المرارية بالمنظار)

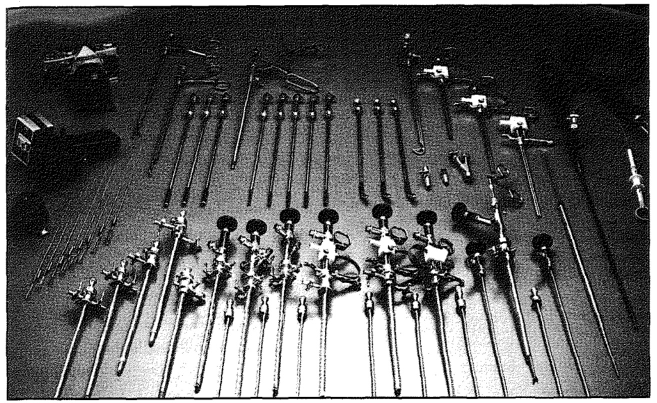
في البداية يدخل الجراح أنبوبة من خلال ثقب عند السرة ليحقن من خلالها غاز ثاني اكسيد الكربون المعقم الذى يملأ تجويف البطن بالتدريج لفصل وإظهار الأحشاء ويكون هذا الغاز معروف الضغط والمعدل والكمية المستخدمة منه على شاشة جهاز الكتروني أمام الجراح.

بعدها يدخل الجراح المسبر الخاص بالمنظار الضوئي المتصل بالفديو والذي يوجهه الجراح الثالث (The Camera Man)، ثم تدخل المسابر الأخرى تحت توجيه الكاميرا والرقابة المستمرة والرؤية على الشاشة حتى لا تؤذى أية أعضاء.

وحينما يظهر الكبد بلونه البني وهو يحتل الناحية اليمنى العلوية من البطن تظهر على الشاشة التلفزيونية الحوصلة المرارية - بلون يميل إلى الأخضر - حيث تجذب من قُبّتها بماسك ذاتي ثم من عنقها عند بداية القناة المرارية (Cystic duct) وتزاح جانبا لكي يظهر مكان اتصالها بالقناة المرارية العمومية C) (B D عندئذ يبدأ الجراح فصل وربط القناة المرارية والشريان الحوصلي بكلبسات (عن طريق آلة تشبه الدباسة) أو بالكي الكهربائي للشريان.

ثم تفصل المرارة تدريجيا من قاعدتها الملتصقة بالكبد بعد تأمين كل نقطة نزف. وحينما تصبح المرارة حرة تسحب وداخلها الحصيات المرارية أو الطمى والعصارة الصفراوية - بواسطة ماسك ذاتي مناسب.

ثم تخرج المسابر الأخرى بعد خروج غاز ثانى



مناظير طبيه للجهاز البولي وملحاقتها

أكسيد الكربون. ثم تقفل الفتحات الصغيرة وقد تمت الجراحة.

التطور مستمر:

لقد تطورت الجراحة كثيرا في هذا القرن ولكنها لم تشهد تقدما مثل استخدام المناظير التي تطورت تطورا مذهلا في الخمسين سنة الأخيرة.

فبعد أن كانت في البداية عبارة عن أنبوب من الصلب مزوّد بمصدر ضوئى بسيط يتم إدخاله إلى العضو المراد فحصه، أخذت فى التطور والتعقيد حتى وصلت إلى حد كبير في الدقة والتخصص بعد استخدام الألياف الضوئية Fibro Optic ومازال التطور مستمرا لتستخدم الصورة ثلاثية الأبعاد بدلا من البعدين على الشاشة، كما تجرى الأبحاث لإدخال اختراع الانسان الآلى (الروبوت) لتحريك الآلات الجراحية المعقدة خلال ثلاثة محاور بحيث يقوم تقريبا بما يقوم به الجراح.

ولقد تطورت المناظير من مناظير تشخيصية (Endoscopes) يستخدمها اخصائيو الأمراض الباطنية لتشخيص بعض حالات الجهاز الهضمى مثل قرحة المعدة والاثنى عشر أو أخذ عينة من القولون أو من ورم بالمعدة أو تشخيص وحقن دوالي المريء المسبب للقيء الدموي.

ثم دخل المجال اخصائيو أمراض النساء والمسالك البولية لتشخيص وأخذ عينات من الرحم والمبايض واستخراج حصيات المثانة والحالب وكذلك استئصال البروستاتا بدون شق جراحى (Tur).

كما استخدمها جراحو العظام في عمليات المفاصل وخاصة مفصل الركبة ودخل المجال أيضا جراحو المخ والأعصاب لإجراء جراحات داخل الجمجمة (فى المخ مثلا) وداخل العمود الفقرى، ولا تقتصر المناظير في الجراحة العامة على استئصال الحوصلة المرارية فقط فهى تستخدم لاستئصال الزائدة الدودية وإصلاح الفتق بأنواعه (الإربي والفخذي والسُري) وفي عمليات علاج قرحة المعدة.. الخ.

ومن الطريف استئصال الأعضاء الضخمة مثل الطحال أو الرحم أو الأورام الكبرى بعد تقطيعها أو تفتيتها وإخراجها من هذا الثقب الصغير.

وتستخدم المناظير أيضا وبكثرة في استخراج حصيات القناة المرارية العمومية أو تشخيص الأورام والأمراض بها وتدخل عن طريق الفم ومن خلال فتحة في الاثنى عشر الموصلة إلى القناة المرارية العمومية

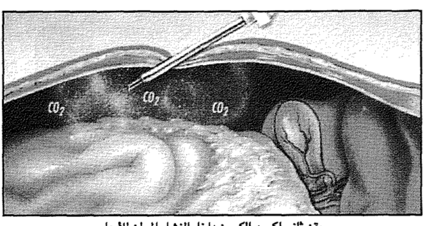
لتوسيع الفتحة وإزالة الحصيات من خلالها بالمنظار وتسمى اختصارا (Ercp) وتجرى قبل عملية استئصال المرارة بالمنظار وفي أحيان قليلة بعدها.

ومن مميزات هذه العملية (استئصال المرارة بالمنظار) أن العملية تستغرق من ساعة إلى ساعتين تقريبا.. إنها ذات جروح صغيرة الحجم يقل فيها الألم بعد العملية إلى حد كبير وهي مناسبة لكل الأعمار ولمرضى السكر والقلب والكبد. كما يمكن من نفس الفتحات استئصال الزائدة أو الفتق أو قرحة المعدة دون فتحات أخرى ويمكن للمريض أن يقف ويتحرك في نفس المساء ويتناول الشراب بعد ١٢ ساعة، ومن الممكن أن يمكث في المستشفى يوماً واحداً فقط ويعود الى ممارسة عمله بعد أيام معدودة.

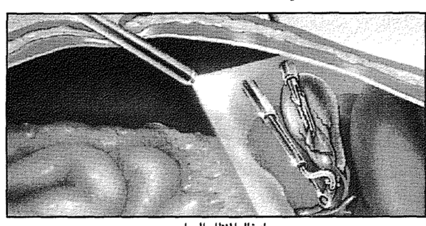
ومن عيوب هذه العمليات (والكمال لله وحده طبعا) أنه يمكن حدوث مضاعفات أهمها حدوث نزيف قد يتطلب فتح البطن واجراء جراحة عاجلة ومنها أيضا ربط أو قطع القناة المرارية العمومية مما قد يؤدي للوفاة كما أن تكاليف هذه العلميات باهظة إذا قورنت بالجراحة العادية.

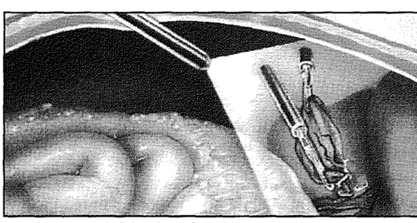
نبذة تاريخية:

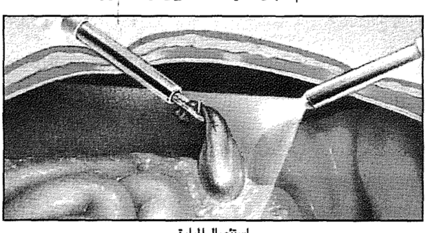
اجريت أول عملية استئصال مرارة بالمنظار في «ليون» بفرنسا سنة ١٩٨٧م أجراها د. موريت وبعد دخولها إلى المملكة المتحدة في يونيو ١٩٩٠م أصبحت العملية الأكثر شيوعا بدلا من الجراحة التقليدية. وتعتبر تحديا تكنولوجيا جديدا وتطورا تقنيا عاليا.



حقن ثاني اكسيد الكربون داخل الغشاء المبطن للأمعاء


ادخال المنظار الجراحي


استخدام مقابض معدنية لاقفال الشريان الواصل للمرارة


استئصال المرارة



صحة الشيخوخة

ليس معنى انتهاء سن الشباب، أن النشاط العقلي والذهني للفرد قد انتهى، فكثيرون ممن تخطوا سن الشباب ظلوا قادة للفكر والقيادة الواعية، حيث الشيخوخة تعتبر عملية تأقلم للجسم حتى يتصدى لتأثير التلف والتغيرات الخارجية، وتظهر علامات الشيخوخة على صورة تغير في الخلايا والانسجة وبالتالى تغير في وظائفها، ومن أول التغيرات التي تحدث في بداية مرحلة الشيخوخة هي تغير لون الشعر إلى اللون الابيض، وفقدان الجلد لمرونته مما يؤدي إلى ظهور التجاعيد.

كذلك يحدث التغير في قوة الابصار نتيجة لتغير في تحدب عدسة العين في حوالي سن الخمسين، كما أن تصلب الشرايين يحدث في سن الستين، أما إذا حدثت هذه التغيرات في السن المتوسطة قبل موعد حدوثها الطبيعي فتعتبر الحالة مرضية، أما عن سبب الوفاة في سن الشيخوخة فغالباً ما تكون نتيجة لتوقف أحد الاجهزة الحيوية الهامة في الجسم عن أداء وظيفته.

**** العوامل الاجتماعية التي تساعد في حدوث المشاكل الصحية والنفسية في كبار السن:**

١ ـ يتعرض كبار السن لمؤثرات عصبية مختلفة نتيجة لفقد أعمالهم أو بعض الاصدقاء.

٢ ـ مشكلة أوقات الفراغ تجعلهم يفكرون في ماضيهم، وظروفهم الحالية والمستقبلية.

٣ ـ في بعض الاحيان يشكل ايجاد مكان ملائم للاقامة بعض الصعوبة بالنسبة للمسنين خصوصا الذين يحتاجون لرعاية خاصة من أحد أفراد العائلة غير الزوجة أو بمساعدتها، حيث أنهم يفضلون البقاء في منازلهم وينتقل إليهم من يخدمهم، كذلك فإن أماكن الايواء مازالت مكلفة بالنسبة لمتوسطى الدخل منهم.

٤ ـ تتغير الحالة الاقتصادية بعد سن المعاش حيث يقل الدخل الشهري وتزداد الاعباء المالية نتيجة لاحتياج كبار السن لتغذية خاصة، وفي حالة المرض لبعض الادوية، مما يرهقهم مادياً.

*** بعض العوامل التي تساعد على حدوث التغيرات المصاحبة لكبار السن في الانسان:**

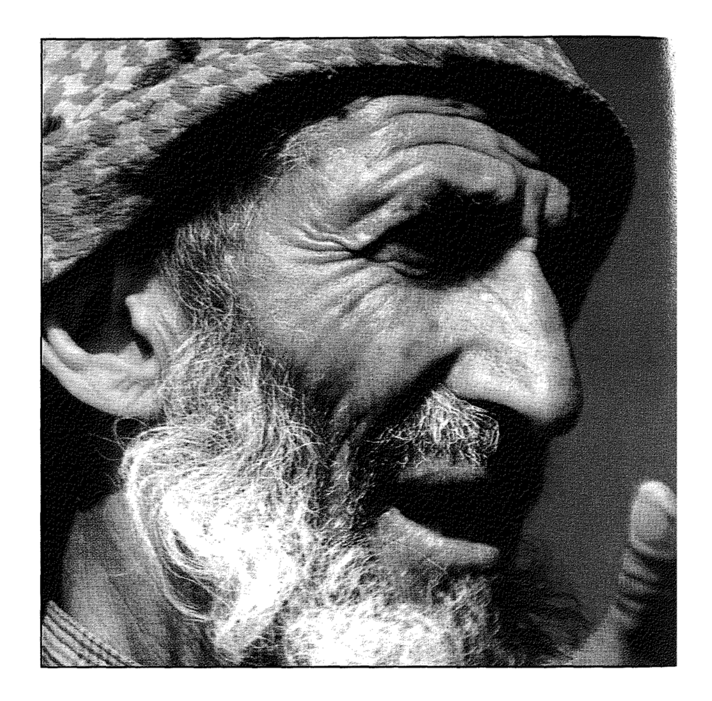
ـ العوامل النفسية.

ـ قلة النوم

ـ سوء التغذية.

ـ الخمول الزائد أو النشاط الزائد.

بقلم : د. عمار ابراهيم الخطيب
ـ جامعة القاهرة ـ



- التغير في درجة حرارة الجو.
- سوء استعمال المنبهات.
- الامراض المزمنة.
- التعرض للاشعاعات المختلفة، وكذلك التعرض لبعض المواد الكيماوية.

وفي السن الكبيرة تزيد الحالات المرضية المزمنة التي تؤدي إلى حدوث عجز أو عاهات، وبالرغم من وجود صعوبة في منع حدوث هذه الامراض إلا أنه من الممكن تلافي مضاعفاتها، ومساعدة عدد كبير من المسنين ليعيشوا بسهولة.

برنامج الرعاية الصحية للمسنين:
أهداف البرنامج:

١ ـ مساعدة المسنين على البقاء في المنزل أطول وقت ممكن، وذلك بتخفيض المدة التي يقضونها في المستشفيات للعلاج، أو في دور رعاية المسنين للنقاهة.

٢ ـ الوقاية من العجز والاعاقه: وذلك بتشجيع كبار السن على الرياضة البدنية، وتشجيع الاشخاص الذين يساعدون كبار السن على تركهم يقضون معظم حاجاتهم بأنفسهم.

توفير الخدمات العلاجية التي تزيد من القدرة على الحركة أو تحافظ عليها (العلاج الطبيعي)، أي الخدمات التي تخفف من آثار التهاب المفاصل وضعف الابصار، وأمراض القلب والرئتين.

٣ - مساعدة الاقارب الذين يعتنون بكبار السن، والعمل على تفادي أي ضرر يمكن أن يلحق بهم، خصوصاً المشاكل الزوجية والعائلية، ثم تشجيعهم على رعاية كبار السن لأطول فترة ممكنة.

خطوات البرنامج:

١ - ايجاد المكان المناسب للاقامة:

وقد يكون هذا المكان هو مسكن المسن نفسه، أحد أماكن الايواء، مؤسسات رعاية المسنين، ومن الواجب أن يكون المسكن قريباً من الأماكن اللازمة للحياة قدر المستطاع كالمحال التجارية والمساجد، والنوادي. كذلك يفضل أن تكون المساكن في الأدوار السفلى وتكون درجات السلم قليلة أو تكون لها مصاعد.

وبالنسبة للمرضى يخصص لهم أماكن في المستشفيات، أو في أماكن التجمع الخاصة أو في المنزل تحت الاشراف الطبي المستمر، مع وجود من يرعاهم سواء من هيئة التمريض أو من أقارب المسن، مع مراعاة الا يمل من يتعامل معهم من طول وكثرة الاسئلة التي يوجهها المسن لهم.

٢ - التثقيف الصحي:

يجب تثقيف المسن أو من يقوم على رعايته بما يلي:

أ - فيما يتعلق بالتغذية الصحية السليمة حيث يحتاج المسن إلى عناية خاصة في التغذية خصوصاً من المواد البروتينية وذلك لتعويض الانسجة المفقودة، ويجب اعطاؤه كمية مناسبة من الكربوهيدرات والدهون كما يجب امداده بكمية مناسبة من الفيتامينات والحديد والأملاح.

كذلك فإن كبر السن يتطلب أوجهاً جديدة للتغذية، فمثلا يندر أن يصل الانسان إلى السن الكبيرة وأسنانه كامله، ويؤدي نقص الأسنان وعدم صلاحية الاطقم الصناعية إلى سوء التغذية لعدم كفاية المضغ ومحاولة تفادي المسن للأطعمة التي تحتاج للمضغ، مما يؤدي إلى عسر الهضم والانتفاخ والامساك، وبالتوعية الصحية السليمة من الممكن تلافي هذه المشاكل.

ب - ويجب أيضاً توجيه التوعية إلى المشاكل التالية: الحوادث، حيث ما ينتج عنها من اعاقة، وضعف الابصار، ونوبات الاغماء، وعلامات الخطر التي تحذر من احتمال حدوث مرض السرطان مثل التقرحات التي لا تلتئم بسهولة، أو ورم في أي جزء من الجسم ونزيف غير طبيعي.

ج - كما توجه التوعية الصحية إلى أهمية الفحص الدوري الشامل في هذا السن وبصورة مستمرة وعلى فترات متقاربة، كل ستة أشهر مثلا وعدم تناول أي أدوية من دون استشارة الطبيب.

٣ - الوقاية من الأمراض والعجز:

وللوقاية من أمراض كبار السن يجب معرفة اتجاهات وأسباب حدوث أمراض ووفيات هذه الفئة، عن طريق اجراء الدراسات الاحصائية، والمسوح الصحية، والفحص الطبي الشامل الذي يبدأ بعد سن الأربعين مباشرة ثم قبل الاحالة على المعاش، وفائدة هذا الفحص هي الاكتشاف المبكر للمرض وتقديم العلاج المناسب ومنع المضاعفات والاصابة بالعجز أو الاعاقة.

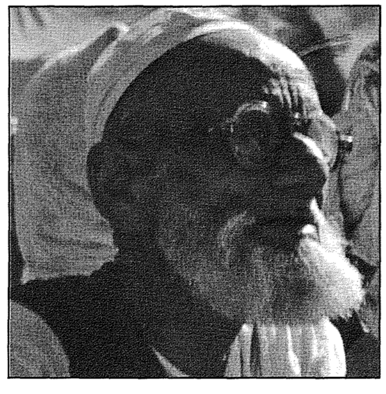
٤ - الرعاية الصحية للمسنين:

وذلك لتشخيص الامراض في مراحلها المبكره وتقديم الخدمات العلاجية المناسبة في المستشفيات أو في دور النقاهة، كذلك تقديم الخدمات التأهيلية، ومتابعة الحالات المرضية المختلفة بعد شفائها أو بعد خروجها من المستشفى.

٥ـ الرعاية الاجتماعية والنفسية:

بحث الحالة الاجتماعية، والمادية وعمل اللازم نحو المحتاجين بوساطة الاخصائيين الاجتماعيين وممرضات الصحة العامة، كذلك تشجيع الهوايات مثل تنسيق الحدائق، الرسم، النحت، القراءة، طهي الطعام وغيره وذلك لشغل أوقات الفراغ، كذلك تشجيع انشاء نواد لكبار السن حيث يلتقي المسنون مع بعضهم ويمارسون هواياتهم الرياضية.

أما من الناحية النفسية فيجب الاهتمام بالمسنين وتتبع أحاديثهم والعمل على اسعادهم روحياً، واستشارتهم في بعض الامور وأخذ رأيهم حتى يشعروا بمكانتهم، وقيادتهم التي فقدوها نتيجة لتغير ظروف الحياة.



أمراض الشيخوخة:

بعض المسنين يعيشون في صحة جيدة حتى نهاية العمر، والبعض الآخر يصاب بأمراض متعددة معظمها يعتبر من الأمراض المزمنة، ولا بأس أن نذكر أهمها:

- تغير ملموس في البصر والسمع، والذاكرة، ونقص حاستي الذوق والشم.
- فقد الاسنان.
- تغير في الوزن بعد سن اليأس في النساء، والراحة من المجهود للمحالين على المعاش من الرجال، قد يزيد الوزن، ثم ينقص بعد ذلك بسبب العوامل النفسية، وقلة الشهية، وقد يزيد الوزن بسبب زيادة كمية الطعام وعدم النشاط والحركة.
- أمراض الاوعية الدموية مثل السكتة الدماغية، الجلطة القلبية، دوالي الساقين وتخثر الاوردة.
- ارتفاع الضغط الدموي، الاصابة بمرض لسكر ومضاعفاتهما خصوصاً إذا كان الاستعداد لعائلي موجوداً.
- أمراض الجهاز العصبي الحركي خاصة التهاب المفاصل، والعمود الفقري.
- الشلل النصفي.
- أمراض الجهاز التنفسي خصوصا الازمات الشعبية المزمنة التي تصيب المدخنين.
- امراض الجهاز البولي والتناسلي.
- الامراض النفسية مثل الارق.
- الامساك.
- سوء التغذية خاصة فقر الدم ولين العظام.
- كثرة الاضطرابات الجلدية، التحسس، الاخماج الجلدية «الانتانات».
- الحوادث وما ينتج عنها.
- السرطانات وخصوصاً سرطان عنق الرحم والثدي عند النساء، وسرطان البروستات والرئة عند الرجال خاصة في المدخنين.

إن العناية الجيدة بالمسنين وتطبيق برنامج الرعاية الصحية، يخفف كثيراً من هذه الأمراض، ويجعلهم يعيشون حياة سعيدة بعيدة عن الشقاء والمآسي، فهل لنا أن نعمل ونعمل لنبعث في نفوسهم روح الامل والسعادة والهناء.

(٣٠) معجم الألفاظ والتراكيب المولدة:

قال الصفدي شاكياً من تصحيفات أهل زمانه وتحريفاتهم في مؤلفاتهم: «إن الأوائل صحفوا ما قل، وحرّفوا ما هو معدود في الرذاذ والطلّ، فأمّا من تأخروا.. فإنهم يصحفون أضعاف ما يصححون، ويحرفون زيادات على ما يحررون، ولقد كان غلط الأوائل قليلا معدوداً.. فأما بعد أولئك الفحول.. فقد أتى الوادي فطمّ على القَرِيّ» (تصحيح التصحيف ٦، ٧).

تذكرت هذا القول وأنا أقرأ في كتاب «شفاء الغليل» للخفاجي الذي أخرجه الدكتور قصي الحسين بإعادة ترتيبه على حروف المعجم وبجعل عنوانه: «معجم الألفاظ والتراكيب المولدة في شفاء الغليل» وقد نشرته دار الشمال في طرابلس سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

وعلى الرغم مما في هذه الطبعة من محاسن الترتيب والطباعة الا أن الاطلاع الفاحص على الكتاب في هذه الطبعة يكشف خلاف ما ادعاه المحقق الفاضل، فجاءت - وبكل أسف - امتداداً للطبعات السابقة، مليئة بالتصحيفات والتحريفات والأخطاء، كما أنها لم تخل من السقط، ولم تكن خدمة الحياة العلمية فيها موفقة، وجاءت فهارسها غير دقيقة.

ففي قسم الدراسة أوهام كثيرة يتصل بعضها بترجمة الخفاجي ويتصل بعضها الآخر بدراسة الكتاب.

وما يعنينا هنا هو قسم التحقيق ففيه جملة أمور أوجزها فيما يلي:

أ - تغيير ترتيب الكتاب:

سمح المحقق الفاضل لنفسه أن يغيّر ترتيب الكتاب بإعادة ترتيب المواد في كتاب «شفاء الغليل» ترتيباً هجائياً، يُراعي تعاقب الحروف بكاملها في المواد باعتبار جميع الحروف الأصلية والزائدة.

وقد أراد المحقق - جزاه الله خيراً - التيسير على القراء، ولكنه اعتدى بذلك على حق من حقوق المؤلف، ليس لأحد أن يتعدّى عليه، فأضاع بذلك القيمة العلمية والتاريخية للكتاب.





بقلم: د. عبدالرزاق فراج الصاعدي
- المدينة المنورة -

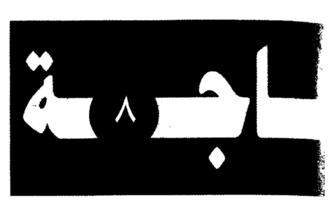
ويبدو أن المحقق قد شعر بذلك فغير عنوان الكتاب ليسلم من اللوم، وكان يكفيه دون ذلك كله أن يذيّل الكتاب بفهرس لغوي دقيق يؤدي الغرض الذي أراده من إعادة ترتيب الكتاب، ويحافظ على سلامة الكتاب من التغيير والتبديل.

ب - اعتماده على طبعة عبد المنعم خفاجي:

من المفارقات الطريفة والغريبة أن المحقق رغم انتقاده طبعة الخفاجي انتقاداً شديداً ووصفها بالسوء - اعتمد عليها اعتماداً كاملا دون سواها من النسخ الخطية الكثيرة للكتاب أو الطبعات الأخرى له. إذ لم يصرّح بأنه اعتمد على شيء من نسخ الكتاب أو نظر فيها، وليس في الكتاب من أوله إلى آخره ما يشير إلى شيء من ذلك.

كما أنه لم يطلع على الطبعتين الأخريين أعني الطبعة الأميرية سنة ١٢٨٢هـ وطبعة النعساني سنة ١٣٢٥هـ، وكان في حديثه عنهما ونقده إياهما ينقل عن الدكتور عبد المنعم خفاجي في طبعته سنة ١٣٧١هـ (ينظر: معجم الألفاظ والتراكيب ٥٧).

ومما يدلّ على اعتماده الكامل على طبعة الخفاجي دون سواها أنه وقع في الأخطاء التي وقع فيها الخفاجي، ونقلها بنصها، وأسقط بعض المواد



التي سقطت سهواً من طبعة الخفاجي ومنها مادة: (إربدوار).

ج ـ ضعف خدمة الحياة العلمية في الكتاب:

شغل المحقق الفاضل عن خدمة المادة العلمية بالترجمة للأعلام المشهورة وتخريج بعض الأبيات الشعرية، وفي هذا جهد يشكر عليه، وهو من صميم عمله، إلا أنه شغل به عن غيره، فقلّت تخريجات المادة العلمية من أصولها المعتمدة فكان في الكثير الغالب لا يولي هذه التخريجات المهمة أي اهتمام، أو يحتال لذلك بأن يعلق عليها بالترجمة لصاحب النص أو الكتاب المذكور دون الإحالة الى النص فيه (ينظر مثلا ص ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٣، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٤، ١١٥).

كما أنه لم يبيّن مواضع الاختلاف في النصوص التي نقلها الخفاجي، أو الاختصار المخل فيها.

فقد نقل نصاً منقولا عن سيبويه بما فيه من حذف أخلّ بالمعنى دون إشارة أو تنبيه (ينظر: ص ٧٩ وشفاء الغليل ٧٩ خفاجي).

ولم يصلح المحقق بعض التحريفات الواقعة في النصوص الشعرية (ص٢٢٠، ٣٠٢).

د ـ أوهام المحقق وتصحيفاته وتحريفاته:

وقع المحقق في جملة من الأوهام والتصحيفات، فمن أبرز أوهامه أنه خطّأ صواباً في الكتاب اعتماداً على رواية مصحفة، وذلك قوله: «أزيب ـ وهي الريح ـ بالزاي خطأ، وصوابه أريب بالراء» (ص ٤٩، ١٠٨).

وقد اعتمد في ذلك على رواية المبرد في طبعة المعارف، وهي مصحفة فيها، وقد أجمع العلماء على أنها بالزاي (ينظر: المجمل ٢/٤٤٥، والصحاح ١/١٤٤ والنهاية ٢/٣٢٤ واللسان ١/٤٥٣).

ومن أخطاء الضبط أنه ضبط البيت التالي كما يلي (ص ٤١٨):

أراكم تُقَلِّبُون الحكم قلباً
إذا ما صُبَّ زيتٌ في القنادل

والخطأ في تضعيف اللام في «تقلّبون» وبذلك ينكسر البيت والصواب تخفيف اللام. ومن التحريفات قوله: «برسام: اسم مريض» (ص ١٥٠) والصواب: مرض، وقوله في بطيخ إن أهل الحجاز يسمونه: «حجب» والصواب: حبحب وقوله: «ولحن أبو فراس في قوله» (ص ١٧٩) والصواب: «ولحّن أبا فراس» بتشديد لحّن ونصب ما بعدها.

هـ ـ أخطاء الترتيب:

وقع المحقق في بعض الأخطاء في ترتيب مواده، فجاءت بعد المواد في غير مواضعها، فمن ذلك مواد: (برنكان) و(برنساء) و(جربز) و(أريب) و(قوصرة).

و ـ عدم دقّة الفهارس:

قام المحقق مشكوراً بعمل بعض الفهارس الفنية كفهرس الآيات القرآنية الكريمة وفهرس الحديث وغير ذلك، إلا أن الملاحظ على هذه الفهارس لم تكن دقيقة فقد شاع فيها إهمال كثير من المواد المفهرسة.

ـ وعلى الرغم من ذلك فإن في هذه الطبعة جهداً واضحاً لا يمكن جحده، ولست أقصد بتصحيح هذه الأوهام ـ هنا ـ الغض من قيمة هذه الطبعة، إنما العلم حلقات متصله يكمل بعضها بعضاً، فرجوت أن يعيد المحقق النظر في تحقيقه ليخرج الكتاب في صورة أفضل تمكن من الاستفادة منه على الوجه الأكمل إن شاء الله.

١٠٥



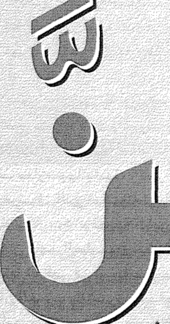
رسالة من ابن نباتة السعدي .. إلى السيدة الجميلة

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

الطير والانسان .. حليف أم ضحية ؟

التوقيعات .. فن أدبي نسيناه !



مجلة شهرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها

الطير والانسان ..
حليف أم ضحية ؟

تحول اهتمام الانسان بالطير من طريدة للأكل الى متعة من الرياضة والتسلية منذ اللحظة التي أصبح فيها هذا الانسان قادرا على تدجين وتربية الطيور.

أدت هواية الصيد بالصقور وقتال الديكة وسباق الحمام الى تصعيد فكرة تربية الطيور التي كانت قائمة منذ قديم الزمان، هكذا كانت وستبقى الطيور ضحية الانسان سواء أكان ذلك في صيده لها أم لَهْوه بها، كل ذلك بالرغم من تدخل القوانين لحمايتها حيث كانت تمارس من قبل الملوك والامراء منذ بداية القرون الوسطى وما تزال سائدة الى يومنا هذا مع بعض الاختلاف القانوني من بلد لآخر.

الصيد بالجوارح:

راقب الانسان البدائي منذ الاف السنين هذه الظاهرة لدى الطيور الجارحة فأعجب بها وقرر الافادة منها أولا ثم لم تلبث أن غدت هواية محببة وفنا اخاذا اجتذبت إليها معظم الملوك والاثرياء في العالم.

دخلت هذه الهواية أوروبا عن طريق آسيا وأول من افتتن بها هم الملوك (الميروفنجيين) (Rois Mir-ovingiens) وكانت آنذاك الشرائع الكنائسية تعاقب ممارسيها بشدة. الأمر الذي حدا بشارلمان ملك فرنسا - الذي استهوته تربية الصقور - أن يسن قانونا سنة ١٨٠٠م لحماية الطيور ومنع صيدها، وما أن كان عهد الصليبيين حتى احتلت هذه الهواية مكانتها العظمى في أوروبا مع احتكاك سكان الغرب بالشرق وخاصة المسلمين منهم حيث أخذ عنهم الأمراء فن ترويض الطيور الجارحة بدءا بوضع قناع على عينيها وانتهاء بتحليقها عاليا وانقضاضها على فريستها الى آخر ما هنالك من أساليب أخرى تجعلها تأنس بالانسان.

بلغ هذا الفن أوجه في فرنسا إبان عهد لويس الثالث عشر الذي استهوته هذه الرياضة ولم تخف وطأة ممارستها إلا في أوائل القرن الثامن عشر حيث أخذت صناعة أسلحة الصيد تنال من شأنها.

تعتمد هذه الهواية أولا على تعويد الطير الجارح على مصاحبة الانسان والتآلف مع الكلاب والخيول وملازمة صاحبه (أو مدربه) وعدم الابتعاد عنه وبالتالي تدريبه على اقتناص فريسته (طير أو سواه) واطعامه من لحمها الى غير ما هنالك مع عادات أخرى.

هناك نوعان من الجوارح المستخدمة في صيد الطيور:

١ - الجوارح التي تطير على ارتفاعات منخفضة نسبيا مثل الباز والباشق.. الخ، وهي التي تدرب على اقتناص الطيور ضمن الغابات الصغيرة والادغال على ارتفاعات قليلة.

٢ - الجوارح التي تحلق عاليا وضمن فسحات واسعة من الجو مثل العقبان بأنواعها وأهمها العقاب الحر سيد الجو الذي يستطيع الانقضاض على فريسته بسرعة ٢٠٠كم/ ساعة.

تتطلب تربية هذه الأنواع من الطير أن يتعايش الطير مع صاحبه الذى لا ينفك عن تدريبه وتأهيله حتى يكتسب آلية الفعل الانعكاسي وردود هذا الفعل كعادات طبيعية تخدم مهمته في قنص فريسته

جهينة علي حسن
- سوريا -

وبتطور هذا الفن أنشئت نواد لتدريب الجوارح في عدة بلدان وفي الولايات المتحدة الامريكية.



مبارزة الديكة:

انتقلت هذه الهواية الى عامة أوروبا من اليونان والرومان حيث حظيت باهتمام كبير بالرغم من منعها في سنة ١٨٤٩م في هذه القارة لكنها بقيت تمارس ويشغف في جنوب الولايات المتحدة الامريكية وأمريكا الشمالية. تقضي هذه المبارزة بأن يوضع الديكان المتبارزان وجها لوجه في وضع قتالي يدخل فيه بعض المتفرجين في رهانات عالية القيمة أحيانا. يعد الديك مسبقا للمبارزة بقطع عرفه وشحذ مخالبه وأحيانا تجهيزها بمخالب إضافية معدنية حادة صالحة لأحداث جروح في جسم الخصم تؤدي الى الموت كما تدبب ريشة القوادم في جناحيه لتصبح كافية لفقء عين الخصم إذا أصابتها.



يسعى أصحاب هذه الديكة للترويج والدعاية لها لجذب المتفرجين والمراهنين فمنهم من يلعق عرف الديك بلسانه امعانا في تشجيعه كما يعتقد، كل ذلك يتم قبل المعركة والتي لا تنتهي غالبا إلا بموت أحد المتخاصمين.

سباق الحمام:

تطورت هذه الهواية في أوروبا ابتداء من مطلع القرن الثامن عشر إذ لعب الحمام الزاجل دورا هاما في الحرب الأخيرة بنقله الرسائل والبرقيات، وتخضع هذه الهواية لترخيص خاص من السلطات المحلية إذ توضع في رجل الطير لوحة مرقمة تجدد سنويا.

يتم انتقاء الطير بعد اختبارات قاسية وتجارب طويلة يدخل ضمنها حساب الزمن الذي يستغرقه الطير للعودة الى عشه بعد إطلاقه وتعتبر سرعة ٩٥كم/ ساعة طبيعية أيضا إذا كانت المسافة لا تتجاوز ٣٠٠ كم. تؤثر شدة واتجاه الريح بشكل طبيعي على هذه المعطيات كما يدخل فيها بعض خواص الطير نفسه، وهنا تجدر الاشارة الى أن أحد مربي الحمام من الانكليز باع طيرا لأحد الهواة من اليابان بمبلغ ١٢٥٠ جنيها استرلينيا.

التوقيعات .. ف

حين اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وتنوعت شئونها، وكثرت مطالب الناس وحاجاتهم، وتطلبت بعض المواقف ضرورة سرعة البت فيها، مع كثرة شواغل الخلفاء، والقادة، وتمكنهم من اللغة العربية الأم، ودقتهم في التفكير، وسرعة بديهتهم كل ذلك أدى إلى ظهور لون جديد من ألوان الكتابة، سُمي بـ «التوقيعات»

وهي: «عبارات موجزة، سليمة التركيب، دقيقة الفكرة، مركزة، تحمل رأى كاتبها في شكوى أو مسألة من المسائل أو تعليقة على موقف ما .»

وقد نشأ هذا اللون من الكتابة أول ما نشأ في العصر الأموى، ثم زاد اهتمام الكتاب، والخلفاء، ورجال الدولة به في العصر العباسى، واشتهر بالمهارة فيه كثير من الخلفاء، والوزراء، والقادة والكتاب.

أمثلة وتحليل:

ومن أمثلة هذا اللون من الكتابة، التوقيعات الآتية والتي جمعناها لك من كتب الأدب والتاريخ:

- رفع صاحب خراسان (الفارسية) إلى المنصور العباسي (المنصور عبد الله ابو جعفر، الخليفة العباسي الثاني، ت: ١٥٨هـ) رسالة، ظهر للخليفة منها أن عامله قد اساء في التصرف، فوقع عليها بقوله: «شكوت فأشكيناك، وعتبت فاعتبناك، ثم خرجت على العامة، فتأهب لفراق السلامة».

أى أننا أنصفناك وقضينا على اسباب شكايتك، وقبلنا عتبك، ورضينا عنك، ورغم ذلك تصرفت اسوأ التصرف، وعاملت الناس اسوأ معاملة، وعليه وجب عزلك.

- وكتب إلى المنصور العباسي (أيضاً) عامله بمصر يشكو نقصان النيل، فوقع على الكتاب بقوله: «طهر عسكرك من الفساد، يعطك النيل القياد».

والقياد: الزمام، والمراد وفرة الخير، فالمنصور يبين لعامله بمصر أن الفساد، وما يرتكبه جنوده من موبقات هو السر فى نقصان ماء النيل، وأن هذا النقصان ما هو إلا عقاب من الله لا يزول الا بصلاح الحال.

- ورفعت إلى المهدي العباسى (المهدى محمد أبو عبد الله، الخليفة العباسى الثالث،ت: ١٦٩هـ) قصة رجل حبس في دم فوقع فيها بقوله: «ولكم في القصاص حياة».

والقصاص هو إقامة الحد على الجانى، فالمهدي يبين في توقيعه أن من قتل فجزاؤه القتل، وبهذا يعم السلام المجتمع، ويسود الأمن والأمان.

- وبعث إلى المهدى عامله بأرمينيه يشكو له سوء طاعة الرعية، فوقع إليه بقوله: «خذ العفو، وامر بالعُرف، وأعرض عن الجاهلين».

والعرف هو المعروف، والجاهلين هم المعتدين، والمراد السفهاء والحمقى، فالمهدي يطلب من عامله بأرمينية أن يأمر بالمعروف والخير، ويعفو عن أصحاب الهفوات، ويتجنب السفهاء والحمقى.

ونلاحظ أن المهدى في توقيعيه السابقين اقتبس من القرآن الكريم، ما يناسب المقام ويخدمه.

- ووقع الرشيد (هارون الرشيد،

أسماء أبو بكر محمد
- مصر -

ن أدبي نسيناه!

الخليفة العباسي الخامس، ت: ١٩٣هـ) إلى صاحب خراسان، وقد بدأ تذمر الناس عليه: «داو جُرْحَك لا يتسع».

فالرشيد ينصح عامله بخراسان بأن يتدارك أمره، ويحسن معاملة الرعية قبل فوات الأوان.

- ويوقع الرشيد في حادثة البرامكة بقوله: «أنبتتهم الطاعة، وحصدتهم المعصية» أي أنهم - في رأيه - حين كانوا مطيعين يوفون بعهدهم للخلفاء، عظم شأنهم، وحين خانوا قضت عليهم خيانتهم.

وهو يشبه البرامكة وقد ظهروا بسبب إخلاصهم بالبذور التي تنمو، وتترعرع، ثم شبههم وقد نكبوا بسبب تمردهم وخيانتهم بالزروع التى تحصد.

وهاتان الصورتان يظهران أثر الطاعة وأثر المعصية في صورة مادية ملموسة هي صورة البذور وهي تنمو، والزروع وهي تحصد.

- ووَقّع المأمون العباسي (المأمون عبد الله أبو العباس، الخليفة العباسي السابع، ت: ٢١٨هـ) في قصة عامل كثرت منه الشكوى: «قد كثر شاكوك، وقل شاكروك، فإما اعتدلت، وإما اعتزلت». فالمأمون يأمر عامله بالاعتدال في الحكم، وإلا عزله عن العمل.

نظرة إلى الاسلوب والاسباب:

قلنا: إن التوقيعات هي عبارات موجزة، تحمل رأى كاتبها، أو تعبر عن وجهة نظره في موضوع ما.

وإذا أعدنا قراءة التوقيعات السابقة التي كتبها: ابو جعفر المنصور، والمهدي، والرشيد، والمأمون يمكننا أن نخرج بالآتي:

إن التوقيعات فن أدبي (دون شك) من فنون النثر الأدبي، يعتمد على التركيز مع الوضوح في الفكرة، وكذلك الإيجاز في العبارة المحلى بجمال التصوير ولطف الإشارة ومما لا شك فيه أن هناك مجموعة من الأسباب أدت إلى ذيوع هذا الفن وانتشاره منها:

تنوع شئون الدولة، وكثرة حاجات الناس ومطالبهم، وكذلك طبيعة المواقف التى تتطلب بتا سريعاً وحاسماً، ولا تتجاهل بالطبع دقة تفكير القادة والخلفاء، وتمكنهم من المنطق، واللغة العربية الأم.

وقد كان لأجدادنا العرب أصالتهم في فن الإيجاز الذي ظهر في حكمهم، وأمثالهم.

وإذا كان قد برع من أصحاب التوقيعات في العصر العباسي: أبو جعفر المنصور، والمهدى، والرشيد، والمأمون وغيرهم فإنه قد برع فيها كذلك العديد من الوزراء، ورجالات الدولة، وقادتها، وكتابها.

نقول: لقد بدأت التوقيعات في عصر الدولة الأموية، وانتشرت وذاعت في العصر العباسي الأول فقط، ثم ضعف شأنها حين مال النثر الفني إلى الصنعة والإطالة، وذلك لأن قوام التوقيعات هو الإيجاز والتركيز.

إننا في حاجة إلى دراسة علمية منهجية لهذا الفن الأصيل، دراسة تحدد معناه، وخصائصه، والأسباب التي أدت إلى ذيوعه وانتشاره، ثم الاسباب التي أدت إلى ضعفه وتدهوره، ثم تلاشيه، ونأمل في إيجازها بإذن الله تعالى.




هند أحمد هرساني
- جـــدة -

المرأة، هـذا المخلوق الذي يراه بعض الرجـال ضـعيفاً ويرى البعض أن هناك حاجة للإسراع بنجدته قبل فوات الأوان وتلقيه بكل رعاية وحنان؛ نعم المرأة ليست كالرجل ولكل من الرجل والمرأة دوره الذي يؤديه بما هيأه الله تعالى له من عوامل لتحـقـيق هذا الدور في كل زمـان ومكان .. مُسَلَّمات لا نخوض فيها وإن كثرت حولها الآراء وتنوعت وجهات النظر.

الرجل رجل بقوته وبتميزه بعدة خصـائص اختصه وميزه الله تعالى بها، والمرأة ضعيفة نسبياً في مظاهر مادية لا تشمل روحها ومعنوياتها؛ وقد شرع الله عز وجل لها من الوسائل ما تتفادى به هذا الضـعف، اذا احتـواها الرجل الكفء ليكمل منها مـا نقص ويتحـقق التكامل معـها في إطار اجتماعي مشروع يثمر عن أجيال صحيحة الإعداد والتوجيه قادرة على اكمال المسيرة، يأتي هذا كله نتيجة حتمية لتطبيق شريعة الله تعالى في كونه لتحقيق الارتقاء الإنساني بين الرجل والمرأة دون تشنج وتطرف والمطالبة بحـقـوق المرأة مـا دامت الحـقـوق مكفولة والواجبـات تؤدى من الجـانبين لانجاح علاقة كل منهما بالآخر معادلة واضحة سهلة ميسرة اذا خضع لبرهانها الرجل والمرأة على حد سواء. وقد نسق الله تعالى جهد عباده وإرشاد كل منهم لطريقه ودوره.

واجبات للمرأة بشكل عام:

إنها على ضعفها يُطلب منها احياناً وبحسن نية أداء مهمات شتى والقيام بمسؤوليات عديدة وتحمل مشاق كثيرة في حياتها من أجل زوجها وابنائها.. مشاق كثيرة لا نحددها لطبقة أو فئة ما من النسـاء فشرائح المجتمع متعددة ونساء البشرية مختلفات اجتماعياً ونفسياً نتيجة اختلاف قوانين كل مجتمع عن الآخر.

ولكنهن في رأي كلهن يلتـقين عند المطالبـة بواجب واحد يطلبه الرجال:

فمع كل هذه المسؤوليات والواجبات يجب ان تحافظ على هدوء شخصيتها وتماسك نفسها ولا يجب أن تنال أية مسؤولية من إشراقتها وحيويتها واكتمال تضحيتها.

فمطلوب يا سيدتي:

أن تكوني جميلة ومحبوبة وباسمة وشخصية اجتماعية سعيدة وشابة ومتفائلة دائماً لا يطالك التغيير في جسدك وروحك وابتسامتك مهما تكن مسؤوليات البيت تشكل لديك تحدياً مرافقاً يواجهك كل يوم!

ازعاج الأطفال ومسؤوليات المنزل مستجدات حياتك اليومية التى قد لا تكون مريحة لك لا يجب أبداً أن يخرجك هذا من الإطار المثالي الذي يجب أن يراك الزوج فيـه عند عودته! مبتسمة وانت تكبتين غيظك من شريط ذكريات يومك المرهق الذي عشته بفدائية واقتدار!!

ويجب أن تكوني أنيقة في ملبسك جزلى كأنما لم تواجهك أية مشكلة ولم يستفزك أي ظرف

طارىء على اختلاف نوعية حياتك وأدائك.

ما هو مطلوب من المرأة الزوجة التي تعيش حياة اجتماعية متوسطة غير مرفهة احياناً مطلوب منها أن تؤدي عدة أدوار بنفسية واحدة وجسد واحد مهما يكن مرهقاً.. «سيناريو» مختلف ولكن الدور واحد أن تكون مثالية دائماً.

إني أشفق فعلا على المرأة أن يُطلب منها المحافظة على مثالية ما قبل الزواج وامتيازات ما بعد الزواج من مسؤوليات إلزامية..!

كيف يُطلب منها المحافظة على مقاييس جسدها الممشوق والرجل يطلب منها كثرة انجاب الأطفال فإن في ذلك «عزوة» تحقق له الاكتفاء الذاتي بهذا الجيش العرمرم من الأطفال جاهلين ما يتبع الإنجاب من عناء في التربية وإستنزاف في الجهد أو أن لا تهيأ لها عوامل مساعدة لتحقيق المعادلة بين ما هو مطلوب وبين ما يمكن عمله ومساعدتها على تحقيق معادلة معقولة.. بحيث ترضى الزوج العزيز وتحقق لنفسها الراحة وتحافظ على معنوياتها من الإحباط نتيجة المسؤوليات المتعددة التي يطالب بها بعض الأزواج زوجاتهم ويختلفون في نوعية بعض مطالبهم.

ربما نحن نمارس خطة متوارثة في تربية بناتنا أن تكون هي من يبادر بالتضحية في الحياة الزوجية مقابل رضا الزوج من أجل تربية الأبناء.

إني لا أنكر أن تضحي المرأة ولكني أرفض أن تستشهد من أجل إرضاء الزوج وتضحي بصحتها ورونقها من أجله دون مقابل.

لابد أن يكون هناك اعتدال في العطاء والأخذ بحيث تسير القافلة دون اختلال ولا تعثر في الخطى، العطاء يقابله عطاء وشكر أيضاً، وأن تعطي المرأة بشكل واقعي وليس اسطورياً، وأن تؤدي الأدوار التي تقدر عليها بشكل مكتمل ولا تتحمل أداء كل الأدوار في وقت واحد.

إننا نغالط انفسنا حينما نحدد التضحية ونكران الذات كمهمة يجب أن تؤديها المرأة دون شكوى.

إنه في رأيي عبء تنوء به.. وينكر عليها أيضاً الشكوى منه لكني اعتقد تماماً أن نجاحنا كنساء عند أدائنا لواجباتنا يكمن في تحديد مهماتنا وتوزيعها بيننا وبين رجالنا. بحيث يؤدي كل منا دوره بشكل صحي يعكس نفسية هادئة ورغبة مخلصة في العطاء.

التقدير والإحترام وتبادل كل المبادىء والمشاعر الجميلة بين الرجل والمرأة كزوج وزوجة أمر يعكس مدى نضجهما العقلي وإثرائهما النفسي؛ الرجل الحق هو من يعين زوجته نفسياً ومادياً ويدفعها بحب لأداء ما هو مطلوب منها ليس لأنه واجب محتم بل لأنه خطوة ستكمل خطوات كثيرة وجهد يتوج مشواراً طويلا من العطاء المتبادل.

نرفض مبدأ ان تعطي المرأة بلا حدود وان تحارب في كل الجبهات.. وتؤدي دور الزوجة والحبيبة ووزيرة المالية وعارضة الأزياء والمدرسة عند مذاكرة الأبناء وجندى دفاع يجابه تحديات الحياة بالإضافة الى سلبيات الرجل ومتاعب المنزل لنقول لها بعد ذلك وبكل إجحاف: لا تنسي أن تقابليه بابتسامة عريضة وترحيب حار يليق بالزوج العزيز العائد الى عرينه .. نعم قد تفعل الكثيرات هذا بتفان مشكور ولكنها ستتهاوى عند أقرب فرصة وتتجمد في شفتيها الملونتين زيفاً كلمات باهتة بعيدة عن الواقع لا تعبر عما كابدته.

قد لا يكون هذا واقع الكثيرات منا ولكنه موجود بشكل أو بآخر لا يجب أن نتجاهله وننكره لأنه مظهر سلبي تنتج عنه عدة سلبيات أخرى محبطة تطال المرأة بقسوة، فهل أنا محقة في ذلك؟.



من منا كان يتصور أن شبكة الإنترنت - التي تأسست سنة ١٩٦٩م كشبكة خاصة للمؤسسة العسكرية الأمريكية ولبعض الجامعات الأمريكية المتخصصة في البحوث المتقدمة المتعلقة بالتصنيع الحربي والتى كان الهدف من وراء تأسيسها ابقاء الاتصال بين المؤسسات الحيوية متاحا في حالة تعرض الولايات المتحدة الأمريكية لهجوم نووي - سيأتي اليوم الذي تكون فيه الموسيقى التى تبثها الإنترنت هي محل لكثير من النقاش والجدل.

مما هو جدير بالذكر أن النقلة الكبيرة في شبكة الإنترنت حدثت مع وجود النصوص والصور وأفلام الفيديو وتوفر برامج التصفح، فأصبح بإمكان أي مؤسسة أن تنشيء خادمة المعلومات الخاصة بها لعرض معلوماتها وبضائعها بدون قيد ليرتفع عدد خادمات المعلومات على شبكة الأنترنت الى ٥ ملايين هذه السنة، وأصبحت كمية المعلومات المعروضة متنوعة وعديدة جدا يعجز أن يلم بها أي شخص على مدى الأربع والعشرين ساعة في اليوم.

والأغاني والمعزوفات الموسيقية التي يقوم بعرضها الإنترنت هي ما نحن بصدد الحديث عنه الآن.. فبفضل الإنترنت يستطيع أي شخص سماع أحدث الأغاني والقطع الموسيقية قبل شراء أية اسطوانة قد يندم عليها فيما بعد على شرائها الأمر الذى جعل كبرى شركات التسجيلات تراهن على أن الويب Web ستوفر الوقت والمال الذي قد يندم فيما بعد على انفاقه في اسطوانة رديئة المستوى وستقضى تماما على حيرته لأنها ببساطة شديدة هي الطريقة المثلى للتسويق. وبقدر حجم مبيعات الأقراص المدمجة CD التي تمت عبر الإنترنت السنة الماضية حوالي ١٨ مليون دولار بغض النظر أن معظم المبيعات تمت بواسطة تجار التجزئة وتعد نسبة الثلث هي أكبر نسبة حققتها مبيعات الأقراص المدمجة على الإنترنت. ومن الجدير بالملاحظة أن شركة سوني تقوم ببيع الأقراص المدمجة عبر الإنترنت بأقل من اسعارها المعروفة، ومثلت سياسة البيع لشركة سوني نوعا من التهديد للشركات الأخرى فعلى سبيل المثال تحول (جيف ليزور) مؤسس صفحة الأمازون عن بيع الأعمال الموسيقية الى الكتب.

ولكن في المقابل لا تزال محلات التجزئة بالرغم من أنها لا تحمل

جيهان محمد الشناوي
- الكويت -

الانترنت

علامة تجارية، ترضي نسبة كبيرة من المستمعين الذين لا تمثل العلامة التجارية أية أهمية لهم، كما أنها تقدم لهم اختيارات جيدة تفوق تلك التي يعرضها الإنترنت هذا بالاضافة الى أن المستمع يحصل على اسطوانته فور دفع النقود، فنظام الإتصال المباشر ON LINE القادر على توصيل المشتري بنظام طلب شرائي هو في حد ذاته أحد إنجازات الويب، ولكن يؤخذ عليه فترة توصيل المنتج للمستهلك هذا بالإضافة إلى أن تحميل الكمبيوتر يحتاج إلى وقت، كما يدفع بعض المعارضين بعدم جودة القرص المدمج وأن الموسيقى على الأقراص المدمجة تبدو باردة جدا، وانهم يستغرقون في ذكريات صوت تسجيلات الفنيل الأكثر دفئا.

على حين أكد مؤيدو موسيقى الإنترنت اهمية وجود خط مباشر - فشركة جوبيتر للإتصالات في نيويورك ترى أن ٤٧ مليون دولار كحجم مبيعات رقمى قد يكون متواضعا، ولكنه في سنة ٢٠٠٢ سيضاعف ليصل الى ١٫٦ بليون دولار وسوف يمثل هذا الرقم حوالى ٥٫٧٪ من التسويق العالمي للموسيقى. وهذا التفاؤل مرده سببين:

أولهما: أن أسعار الاقراص المدمجة متنوعة في العالم بأكمله وبأن الويب تقوم بتقليص الوقت اللازم لتسويق المنتج وبمهمة البيع بتكلفة رخيصة لأن تكلفة الشحن للأقراص المدمجة تعد معتدلة نظرا لوزنها الخفيف والحيز الذي تشغله.

ثانيهما: وهو الأهم أنها تفسح المجال للمشتري لسماع المادة الموسيقية قبل أن يقوم بالشراء، كما يتم تجريب نظام التوصيل الرقمي للموسيقى ليكون هناك نظام السمع قبل الطلب تماما كنظام الجكبكس القديم (عبارة عن خزانة تشمل فوتوجراف آلي يتيح للمرء سماع أي قطعة بمجرد وضع قطعة من النقود) لكنه سوف يكون جكبكس رقميا.

تبقى هناك مشكلتان تواجهها صناعة الأقراص المدمجة الا وهي - أولا أن الأقراص المدمجة لا تستطيع تسجيل الموسيقى الحية ولا تستطيع تشغيلها في كاسيت السيارة مثلا. ثانيا: قيام بعض الراغبين في الربح السريع والوفير باستخدام مؤلفات الآخرين دون ترخيص خاصة مع إمكانية وسهولة نسخها عن طريق CD-R علي الرغم من أن الجمعية الأمريكية تفرض القيود والعقوبات المشددة على قرصنة الأقراص المدمجة وبيع تسجيلات الحفلات بشكل غير مشروع.

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

٩٠٢ـ أبو عواد:

طاعتك لي ليست نيلا من كبريائك.. ولا انتقاصاً من كرامتك.. إن طاعة المرأة لزوجها ترفع درجاتها عند الزوج.. بل وحتى عند رب العباد.. فمن أين جئت بهذه الأفكار العصرية المستورده وكيف بدأت التفرنج يا هند وعهدي بك تلك (البدوية) الأصيلة؟.

٩٠٢ـ أم عمرو:

إذا كان ما يطلبه الزوج من زوجته مقبولا ومطلوباً في عبارات مهذبه فلماذا لا تطيعه زوجته.. ويمكنه ايضاً أن يطيعها اذا حدث العكس دون أن ينتقص ذلك منه شيئاً.

٩٠٣ـ أبو عواد:

نعم يبدأ الزوج في التململ بعد سنين من العشرة مع زوجته التي اختار وأحب وله منها البنين والبنات رغم تحملها معه شظف العيش وقسوة الماضي.. عندما تبدأ تنسى واجباتها نحو ذلك الزوج الذي لا يريد أن يراها إلا كما كان عهده بها عروساً كيوم زفافها.

٩٠٣ـ أم عمرو:

كيف تظل الزوجة بعد مرور السنين وتربية الأولاد والبنات كعروس يوم زفافها؟ وهل يظل الزوج كعريس يوم زفافه. كلنا يعرف أن العطّار لا يصلح ما أفسده الدهر والتمني رأس مال المفلس.

٩٠٤ـ أبو عواد:

سيدتي.. أرجو أن يكون ذكاؤك في أقصى درجاته عندما تبلغ غيرتك مداها..

ويبدأ صبرك ينفد معها ذلك أن الزوجة التي لا توظف رصيداً كبيراً من الفطنه والصبر والاحتمال في اللحظات العصيبه من عنفوان الغيرة وتداعياتها غالباً ما تكون ضحية حماقة ما بسبب تسرعها واستسلامها لنوازع الغيرة وشرورها.

٩٠٤ـ أم عمرو:

الغيرة غريزة مثلها مثل كل الغرائز الأخرى. إذا استثرناها فإننا بالضرورة نقلل من وظائف العقل والحكمه. والعاقل من الأزواج من لا يلجأ إلى استثارة غيرة زوجته بتلك الأعمال الطفولية التى نعرفها جميعاً مثل مقارنتها بأخرى.

٩٠٥ـ أبو عواد:

ما نصحوك مَنْ أعطوك الوصفة ليكون حب الزوج لك وحدك دون أهله وذويه.. ما نصحوك مَنْ أوهموك أنه لك وحدك وأنت وحدك حرّة التصرف فيه.. هذا إذا كان أداة كيفما شئت تنقلينه وتحركينه.

٩٠٥ـ أم عمرو:

الزوجة التي تحاول امتلاك زوجها ويغضبها اهتمامه بأهله غالباً ما تكون زوجة مهملة من جانب زوجها تدفعها غفلته وتجاهله لمشاعرها لمثل هذا المسلك.

٩٠٦ـ أبو عواد:

الحب وحده لا يكفي لكي تستمر الحياة بين زوجين على أفضل ما يكون.. لا شك أن الحب هو الأساس المتين والمكين الذي يمكنهم أن يشيدوا عليه صرح أحلامهم ويجسدوها واقعاً يحيونه بكل معانيه.. لكن الحب إذا لم تعاضده المواقف ويترجم إلى كل اللغات فانه

لن يلبث وأن يتحوّل إلى الوان باهتة لا تستطيع تحريك الاعجاب أو إثارة الأحاسيس.

٩٠٦ـ أم عمرو:

الحب الحقيقي الذي يتجسد في العطاء ونكران الذات لا يكفي فقط لكي تستمر الحياة بين الزوجين انه يكفى لإعمار الكرة الأرضية كلها.

٩٠٧ـ أبو مواد:

أيتها الجميله جمالك نعمة فاحذري أن يتحول بفعل غرورك إلى نقمة.. أيتها الدكتورة.. تذكري أن زوجك يريد امرأة تشع أنوثة فقد سئم حديثك عن مرضاك وأبحاثك.. أيتها الثرية.. احذري أن تذليه بتفريجك كربه.. فلربما خسرت الاثنين معا.. النقود.. والزوج.. أيتها العاشقة إن كلماتك الرقيقة أعمت عينيه عن سواك فهو مبصر لكنه لا يرى غيرك أنثى تستحق تضحياته.

٩٠٧ـ أم عمرو:

الأسر السعيدة يتفاعل أفرادها كل مع الآخر في يسر ومودة وبدون منة أو حساسيه أو توقعات زائده عن الحد، والأسر التعسة يعيش كل فرد من افرادها في واد مهتم فقط بمطالبه ورغباته هو وغير مدرك لما لغيره من مطالب أو رغبات إنها الأسر التي يمكن أن يقال عنها انهم يقيمون هنا ولكنهم لا يعيشون.

٩٠٨ـ أبو مواد:

تعجبني رومانسيتك الحالمه لكنني لا أريدك أن تظلين في حالة تحليق دائم.. لنا جميعا أن نحلم كيفما شئنا لكننا لا نستطيع الانسلاخ من مواقع الأقدام على أرض الواقع ولابد من التعاطي معه وبشيء من الواقعية.

٩٠٨ـ أم عمرو:

الواقع يشد الجميع كالجاذبية تماماً.. من الذي يستطيع أن يفلت من جاذبية الأرض ويظل طائراً لو استطاع أحد ذلك لأي فترة من الوقت فعليه أن يقتنصها لأنها لن تتكرر كثيراً.

٩٠٩ـ أبو مواد:

هل لزاماً عليّ حتى أوجه لك نقداً بسيطاً أن أفرش طريقي إليه بباقات الشكر والعرفان والاشادة بمواطن الحسن والتميّز والجمال لديك وماذا لو تعاطينا مع الأمور وتعاملنا معها بفطرتنا دون رياء أو تكلف هل سيقال علينا أننا متخلفون!؟

٩٠٩ـ أم عمرو:

نعم متخلفون من لا يستطيعون انتقاء كلماتهم فالكلمة نور وبعض الكلمات قبور كما قال الشاعر.

٩١٠ـ أبو مواد:

كما أرفض تماماً أن تكوني مجرّد خادمة في بلاطي فإنني لا أسمح لك أن تكوني الآمرة الناهية التي لا يُحَرِّك ساكن إلا بعلمها وبأمرها.. فأنا مازلت موجوداً ولم أنته بعد.

٩١٠ـ أم عمرو:

أنا أعرف جيداً أن أغلب الزوجات لا يردن أن يكن أميرات ولا خادمات في بيوت أزواجهنّ إنهنّ يردن أن يكن مواطنات فحسب.

٩١١ـ أبو مواد:

إن كان صدرك وحلمك يضيقان بزلة لسان مني قلتها عن غير قصد وما تزالين تصرين على محاكمتي عليها فافعلي ما تشائين لم أعد أحرص على رضاك فقد تساوى مع سخطك.

٩١١ـ أم عمرو:

يسامح الإنسان في الأخطاء عندما يقتنع أن المخطىء قد أحس بذنبه وأقر به وهو مستعد لاصلاحه ولكن عدم المبالاه والتمادي بعد الخطأ يجعل نسيانه صعباً.

رسالة من ابن نباتة السعدي إلى السيدة الجميلة

* هو أبو نصر محمد بن العباس الخوارزمي.
* كاتب، شاعر، ولغوي أديب.
* رحالة.
* توفي ببغداد سنة ٣٨٣هـ.

سُعدى زوجتي، يا من تنتظر عودتي:

من رسالتي هذه تعلمين أني قضيت زمنا ليس بالقصير في خراسان. فقد اصطحبني إليها صديقي وعدتي وموئلي في غربتي، أبو نصر سهل بن المرزبان.. أما كيف أغراني وزين لي السفر فهذا ما لم أرغب في أن أخبرك به وقتها. خشية أن تحزنى وتكدري حياتي وحياة أولادك باعتراضك وإثارة المشكلات والهموم التي تحاولين بها إثنائي عن السفر وإضعاف همتي عن المخاطرة بالترحل بين الممالك والإمارات للتكسب والإثراء.. ولذلك فإنني قد عقدت العزم على السفر معه أجرب كيف تكون حياتي في تلك البلاد القصية.

والحق أن أبا نصر سهل بن المرزبان حين عرض عليّ فكرة السفر إلى خراسان توجست خيفة في أول الأمر. وبقيت متردداً في الذهاب معه فترة طويلة.. وكان مما قلته له: إنني سوف اترك زوجتي وأولادى في بغداد يا أبا نصر وليس لهم عائل سواي. ولذا فإنني أخشى أن تطول إقامتي معك أو أن لا أغنم مالا يفي بحاجتهم ويعينهم في معاشهم ويكونون في بحبوحة من التنعم بأطايب المأكول والمشروب والملبوس.

فقال لي: يا صديقي العزيز، أشعارك رائجة في خراسان من أقصاها إلى أقصاها. أمراؤها ووزراؤها يرددون أقوالك.. والرواة يتحاكون ويتباهون.. والشعراء يتبارون في استظهارها إن كل من في خراسان يحرص على اقتناء شعرك كما يقتنى الدر، وإنه لأرفع شأنا من الدر.

وبعد أن طمأنني على نفسي وعلى ما سوف تكون عليه حياتي في خراسان، فإنه تركني بعد أن قال لي: أعد نفسك فالسفر بعد ثلاثة أيام.. فكتمت الخطة في صدرى ولم أطلعك على شيء، ولم أطلع أحداً عليها حتى أزفت ساعة الرحيل ففاجأتك بالخبر. وعندما عارضت بما عارضت، وبكيت وانتحبت، قلت لك: لا تبتئسي يا حبيبتي، واهدأي.. ألا تعرفين أن الدنيا حرب واحتراب، وصراع لا ينتهى فكأن قد كتب علي الإنسان أن يعيش في مكابدة دائمة لا تنتهي أبداً.. وهذا حظي وقدري:

في كل يوم لنا في الدهر معركة
هام الحوادث في أرجائها فلق
حظى من العيش أكل كله غصص
مر المذاق وشرب كله شرق

وأقمت في خراسان ما شاء الله لي أن أقيم.. واحتفى بي أمراؤها وشعراؤها وأصحاب الوجاهة بها. وخلال إقامتي

محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -

كنت حريصا على أن أبعث إليكم بين الحين والآخر مبلغا من المال مع صديقي تاجر التوابل أبى سعيد المظفر بن علي. وهو رجل ثقة صاحب رأى صائب وحكمة سديدة طالما استشرته في شئوني وأحوالي.. كنت في خراسان دائم القلق عليك.. دائم التفكير في أحوالك وأحوال أولادنا.. وربما عاتبت نفسي وأنبتها على البعد عنكم، بل البعد عنك يا سعدى:

يا من أضر بحسن الشمس والقمر
فلم يدع للناس فيها من وطر
نفسي فداؤك من بدر على غصن
تكاد تأكله عيناي بالنظر
إذا تفكرت فيه عند رؤيته
صدقت قول الحلوليين في الصور

سعدى زوجتى يا من تنتظرين عودتى:

على أن مقامى لم يستمر طويلا في خراسان، فقد سئمتها، وبرمت بناسها والعيش فيها.. أنا أريد أن أحيا حياة هادئة قويمة صحيحة لا تعرف الختل ولا الإيقاع بالوشايات والكذب والغدر. صاحبت الكثيرين من الخراسانيين لأن ظاهرهم كان يشي بالصدق والمودة. فكنت أفرح كثيرا عندما تنعقد أواصر الصداقة بينى وبين بعض آحادهم.. ولكن إن هي إلا أيام حتى تتبدد تلك الأوهام، أوهام الصداقة المحببة والمودة المغرية.

وكم من خليل قد تمنيت قربه
فجربته حتى تمنيت بعده
وما للفتى في حادث الدهر حيلة
إذا نحسه في الأمر قابل سعده
أرى هم المرء اكتئابا وحسرة
عليه إذا لم يسعد الله جده

وأمام الهموم التى اصطلحت عليَّ فى خراسان وتكاشفت فإنني قررت الهجرة الى مملكة بني حمدان. فأميرها سيف الدولة بطل مغوار جسور كريم في أريحية؛ كبير القلب عالي الهمة.

فقلت لصديقى ابى نصر سهل بن المرزبان عن عزمى ونيتى.

فقال: يا أخى العزيز إننى أخشى عليك من الرجال الذين يلتفون حول سيف الدولة. إنهم مكرة فجرة لديهم القدرة الكاملة على إقصائك من حضرة سيف الدولة بل والقضاء عليك إذا اقتضى الأمر.. احذر الدهر يا صديقي.. احذر الدهر..

فقلت له لا تخش عليَّ يا أبا نصر فالدهر يعرف من أنا.. أنا قريعه وداحره وهازمه.

فقال: أخشى ما أخشاه عليك يا ابن نباته أن تتحدى الزمان فالزمان خوان، متقلب بغير توقيت أو حسبان.

قلت:

تضاءل الدهر حتى ضاع في هممي
واستفحل المجد حتى صار من شيمي
فلو يكون سواد الشعر في نعمي
ما كان للشيب سلطان على الهمم
فالعيش من نعمي والموت من نقمي
وحكمة الفلك الدوار من حكمي
والحزم والعزم والاقوام من خلقي
كما الفصاحة في الاقوال من كلمي

فقال ضاحكا في شيء من التسليم والاذعان :والله هذا من شأنك ياابن نباته إن شئت بقيت، وإن شئت سافرت .فإن كانت الأخرى فلك السلامة ولك جميل الإقامة ..فهذا ما أتمناه لك ..

وبعد أيام سافرت إلى حلب والتقيت بسيف

الدولة بن حمدان العظيم الكريم فلما أن مثلت بين يديه خاطبته قائلاً:

سيوفك أمضى في النفوس من الردى
وخوفك أمضى من سيوف في العدى
فـتى يتـحـامى لذة النوم جـفنه
كـأن لنيذ النوم في جـفنه قـذى
أطرفك شـاك أم سـهـادك عـاشق
يغـار على عـينيك من سنة الكرى
ومن سـهـرت في المكرمـات جـفـونه
رعى طرفـه في جـوها أنجم العـلا
فليس ينام القلب والجـفن سـاهر
ولا تغـمـد العـينان والقلب منتـضي

وفي ليلة أخرى قلت له:

يا أيهـا الدهر إن العي كـالخطل
مـا دهرنا غـيـر سـيف الدولة البطل
نواله جـعـل الأرزاق من قـبلي
وعـزه صـيـر الأيام من خـولي
ومـا تمهل يومـا في ندى وردى
إلا قـضـيت للمح البـرق بالكسل

سعدى حبيبتي يا من تنتظر عودتي:

لقد صدق ظن صديقي ابي نصر سهل بن المرزبان إذ كان بين شعراء سيف الدولة من حاول أن يشنع علي ويشوّه صورتي وسمعتي ويزري بي ويفترى علي الأكاذيب. ولما علمت من هو قررت أن أفضحه وهو بين شيعته وأصحابه، أومىء إليه بغير أن أصرح باسمه؛ فقلت: يارفاقي، استمعوا يا أصدقائي، استمعوا إليَّ جيدا:

ومـغـرور يحـاول نيل عـرضي
فـقلت لـه الكواكب لا تنال
يعـاين في المكارم فـيض كـفي
ويـزعـم انـه ذهـب النـوال
ويعـجب أن حـويت الفـضل طفـلا
ألا لـلـه ثـم لـي الكـمـال
أحـمل ضِعْف جـسـمي ثقل نفـسي
ونفـسي ليس تحـملهـا الجـبـال
وأسـمع كل قـول غـيـر قـولي
فـأعلم أنه خطل مـحـال

ثم ساءت حالتي النفسية جداً، وضقت بالناس ذرعا:

برمت من الحـيـاة وأي عـيش
يكون لمن مطاعـمـه الخـبـال
ولـو أنـي أعـد ذنـوب دهـري
لضـاع القطر فـيـهـا والرمـال

سعدى زوجتي حبيبتي:

ثقي يا حبيبتي أنني لك عائد بالشوق.. بالحب.. بالثراء والهناء:

إن كنت تمنع سـعـدى من مطالبـهـا
فلست تمنع سـعـدى من تمنيـهـا
لله نغـمـة أوتار ومـسـمـعـة
باتت تدل على شـوقى أغـانيـهـا
وقـهـوة كـشـعـاع الشـمس طالعـة
أفنيت بالمزج فـيـهـا ريق سـاقـيـهـا
يا لذة بيـمين الدهر أدفـعـهـا
في صـدره وهو من أحـشـاي يدنيـهـا
لو كـان يعلم أني عنك أخـدعـه
ثنى أنامله لي حين أثنيـهـا

ياحبيبتي انتظرى عودتي ولن يكون فراق بعدها أبداً .. بل حب يحنو علينا وأنسام حبور تظللنا..



محمد محمد الكيلاني
ـ الرياض ـ

الشباب:

القوة الفاعلة في الحياة، الناهضة بأعبائها ، القائمة على تطورها والارتقاء بها..

الشباب، نفحة الحاضر الزكية، وأمل الغد المرتقب، ترنيمة الخير الحادية ركب السائرين.

الشباب، في أيّ دولة يمثلون ساعدها القوي، وفكرها الوثاب، وروحها النابضة بالحياة.

رعاية هؤلاء الشباب تمثل رعاية الأمة بكاملها .

رعايتهم فكراً وروحاً وتوجها..

ينبغي أن نُنَشّئ شبابنا على منهجية واضحة المعالم، بينة السبل، سليمة البناء، مترابطة الأنحاء.

كل هذا يتم في أسلوب حازم وهادئ.. من غير افراط ولا تفريط..

نسمع منهم، نتعرف على مشاكلهم وهواجسهم، نقترب منهم في حميمية، نعطيهم رأينا فيما سمعنا، بحميمية أيضاً.

لا نصادر حرياتهم، بل نعدلها .

لا نحطم طموحاتهم، بل نوجهها.

لا شك أن طموحات الشباب هي طموحات الأمة وأحلامها .

إذا ما استطعنا حسن إنباتها في ارض الخير والفضيلة، وأحسنا رعايتها، إذن، تأتي الثمار ناضجة، زاهية، زكية.

نحن الآن نربي أبناءنا لغد مخبوء عنّا، له أبجدياته وأدبياته في الأخذ والعطاء، في السلوك والتوجه.

من هنا تبدو خطورة المهمة.

وهذا ما ينبغي التنبه إليه بادراك ووعي كاملين، حتى لا ينفرط العقد بين أيدينا..

الشباب هم القيمة العليا للأمة.. وعلينا تخير المنهجية التربوية الامثل.. لنُنْشئ جيلا متوازنا، يعرف للحياة قيمتها، ويمنحها زخمها، ويقيم منها صرحاً للمجد..

٢٢٦ ـ تفضيل الكلاب:

وقع في يدى كتاب (تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب) لمحمد بن خلف بن المرزبان، وقد نشره وحققه الأستاذ زهير الشاويش تحقيقاً جيدا، فقرأت طرفا من نوادره العجيبة على أديب فاضل، فثار ثورة عنيفة إذ جعل يتهم مؤلفى هذا الطراز من أدباء العرب بالوضع والادعاء، وقال فيما قاله: إن كُتّاب الغرب وقد عاشر بعضهم في جامعات أوربا يسفهون هذا اللغو، ويرونه عبثاً ضائعا، وطال النقاش في غير جدوى، لأن من الناس من يلجئون إلى الرفض التام رفضاً يصحبه التشنج والصخب، وكأنك معهم في حومة قتال، لا في ساحة جدال، ولا أدرى كيف أسرعت المصادفات الحسنة بتقديم ما يفحم صاحبنا المتسرع، إذ وقعتُ دون بحث متعمد على مقال نادر للأستاذ الكبير محمد فريد وجدي تحت عنوان (ذكاء الحيوانات) ضرب فيه أمثلة كثيرة تدل على وفاء الكلب، شاهدها علماء أوربيون وسجلوها في كتبهم، وليس الكلب حيوانا متوحشا يألف الغابات والمغارات حتى نجهل من أمره ما يدل على سماته، إنما هو حيوان أنيس، يحرس المنازل، والمزارع، وله مع الإنسان ودٌّ لا يكذب، فكيف نستهجن ما ورد في كتاب ابن المرزبان ونعده خيالا لا صلة له بالواقع وليس المرزباني وحده هو صاحب هذا النمط في الحديث عن وفاء الكلاب، فكتب التراث تزدحم بنوادر مشابهة تسجلها الصفحات، وكتاب الحيوان للجاحظ أشهر من أن نشير إليه وقد ذكر قصصا نادرة تنطق بهذا الوفاء الذائع ففيم الإنكار؟ وقد وجدت أن أطرف القارىء ببعض ما جاء في مقال الأستاذ فريد وجدي ففيه عبرة لمن ينشد الاعتبار.

٢٢٧ ـ ينقذ صاحبه:

كان المسيو «هولو» يسير في يوم من أيام إبريل سنة ١٨٦٥م على شاطىء نهر السين بباريس في منتصف الساعة التاسعة مساء، فسمع نباح كلب في لهجة استغاثة صارخة، فلم يتمالك نفسه من الاتجاه إلى ذلك الصوت، وما قارب الكلب، حتى اندفع إليه الحيوان المستغيث وأخذ يجذبه من طرف جلبابه ويقوده نحو الساحل، فتبعه دون تردد، حتى وصل إلى حصان ممدود في ضحضاح من الماء، فتأمل مشهد الحصان، فشاهد تحته رجلا يحاول أن يسحب فخذه من تحته فلا يستطيع لثقل حجم الحيوان، وكان يرفع رأسه فى صعوبة كيلا يختنق، فأسرع المسيو هولو إلى إعانة الحصان، وقد فك القيود المتعلقة بالعربة خلفه كي ينهض خفيفا، وبذلك أنقذ سائس الحصان، وقد كان يسير جواره متجها إلى الماء ليرويه فسقط فجأة عليه لتعب ألم به فلم يستطع الوقوف، ورأى الكلب ما ألمَّ بصاحبه في هذا المساء القاتم، حيث لا يوجد أحد من المارة، فجعل يعدو إلى الطريق العام نابحا مستصرخا، ولولا ما قام به لهلك السائس دون إنقاذ.

فقرن هذه الحادثة بحادثة ذكرها ابن المرزباني في كتابه المشار إليه، واستنكر صاحبنا المتفرنس حدوثها فقد قال ابن المرزبان عن أبي عبيدة ببعض التصرف: خرج رجل من أهل البصرة إلى خارج البلده ينتظر ركابه، فأتبعه كلب له، فجعل يضربه ويطرده، ورماه بحجر فأدماه، ولكن الكلب ظل يتبعه

حتى تجاوز البصرة إلى العراء، ففوجيء بقوم يتحينون مجيئة، وقد عرفوا وقت مروره، وكانت لهم عنده طائلة ، فهجموا عليه، وأثخنوه بالجراح حتى ظُنّ أنه مات، فرموه في بئر وحثُوْا فوقه التراب، والكلب يرى ذلك، ويعوي من بعيد، ويقدم عليهم فيرجمونه بالطوب ليبتعد، فلما انصرفوا أتى الكلب إلى رأس البئر، وجعل يفحص التراب بمخالبه، حتى أظهر رأس صاحبه، وفيه نفس يتردد، وهو مشرف على التلف لا محالة، إذ لم تبق فيه إلا حشاشة نفسه، فبينما كاد الكلب يزيح التراب بمخالبه، مرَّ أناس فأنكروا مكان الكلب، ورأوا كأنه يحفر قبرا فنظروا إلى ما يصنع، وشاهدوا الرجل الجريح في حالة لا يستطيع معها النهوض، فاستخرجوه وحملوه إلى أهله ومازال يعالج حتى برىء!

٢٢٨ ـ طرفة أخرى:

كما نقل الأستاذ فريد وجدي هذه النادرة حين قال:

شوهد في بلجيكا طفل في السادسة من عمره سقط عليه الثلج المتزاحم فجأة، فلم يستطع حراكا، واشتد أهله في البحث عنه فلم يهتدوا إليه، فمكث عدة ساعات مدفونا في هذا الجليد، حتى قيض الله له كلب الأسرة إذ شمَّ ريحه فاندفع الى المكان بسرعة مدهشة، وأخذ يصيح بشدة، ثم جعل ينشب الثلج بمخالبه ليظهر وجه الطفل، وسمع الأهل نباح الكلب، فوفدوا إليه، ورأوا جدّه وكدحه في إزاحة الجليد، فعاونوه على أمل، ثم فوجئوا بالطفل المسكين مستغرقا في غيبوبة فأنقذوه، وهو بين الحياة والموت، وأسرعوا إلى تدفئته، وقد حفظوا الجميل للكلب، فحرصوا على تغذيته والاعتناء به! ولعل أمثال هذا الحادث قد كان دافعاً لبعض الرهبان في جبل (سان برناد) أن يقودوا بعض الكلاب في هذه المنطقة الثلجية، ليشموا رائحة إنسان ما دفنه الثلج فيبادروا بإنقاذه، وقد عثروا ببعض المنكوبين فأنقذوهم مسرورين بهداية الكلب.

٢٢٩ ـ طبيب يتحدث:

كتب الجراح الفرنسي الشهير (بيبراك) يقول في إحدى مذكراته عن نفسه إنه خرج ذات يوم من منزله، فوجد كلباً جميلا جدا، وقد أصيب بكسور في أصابعه جعلته يتلوى ويصيح من الألم فأمر الطبيب بإدخاله مستشفاه في منزله، واهتم بأصابعه فجبر عظامها، ومازال بالكلب حتى شُفي مما أصابه وكان الكلب يظهر من أمارات السرور والارتياح ما يدل على الشكر والعرفان، حتى ظن الجراح أنه لن يبرح منزله عقب البرء، ولكن الكلب كان لسيد آخر، فلم يستطع البقاء لدى الطبيب، فعجّل بالذهاب إليه واستشعر الطبيب أسفاً على فراقه، ومضت خمسة أشهر، ونظر الجراح فوجد الكلب على عتبة داره، وقد جعل يلف حوله، ويظهر من دلائل الابتهاج ما تنطق به عيناه، فظن الطبيب أنه انقطع مضطرا وقد عاد إليه، ولكنه أخذ يجذبه بطرف ثوبه ملحا، وكأنه يريد أن يسير معه ليطلعه على شيء، فانقاد الجراح له، فأوصله إلى كلبة مطروحة على مقربة من الدار، تشكو تكسرا في أصابعها على نحو ما كان صاحبها من قبل، فأدرك الطبيب أن الكلب يدعوه إلى الاهتمام بها كما اهتم به، فدهش دهشا كبيرا بصنيع الكلب، وقام بواجبه نحو المريضة البائسة.

٢٣٠ ـ عود إلى ابن المرزبان:

روى المؤلف عن من يُسَمَّى بنسيم وهو شاب وسيم لطيف، قال: كان لي صديق يظهر الود ولا يكاد يفارقني، فسافرت معه إلى الدينور، ورجعنا ومعي هميان مملوء بالدنانير، فنزلنا إلى موضع فأكلنا وشربنا، فلما عمل فيَّ الشراب عمد اليّ فشد يديّ إلى رجلي، وأوثقني كتافا، ورمى بي في الطريق المهجور وأخذ كل ما أملك ومضى وظل الكلب معي لم يمسه بشيء، فرأيت الكلب يتركني ويمضى ليأتي

برغيف ويطرحه إليّ فآكله، وأحبو بطيئاً إلى نقرة ذات ماء فأشرب منها، وأرجع حبوا، والكلب يعوى طول الليل فلا يسمعه أحد في المكان المهجور، وهو كل يوم يذهب ساعة وبعض ساعة ويرجع لي بالرغيف، فكان زادي في الحياة، وفي اليوم الرابع وجدت ابني يتقدم اليّ ويبكي، فحل وثاقي، وفك قيودي في الوسط واليدين والرجلين فتعجبت وقلت له: من أين علمت بمكاني، ومن دلك عليّ؟ فقال هذا الكلب: يأتينا في كل يوم فنطرح له الرغيف، فيأخذه ويجرى بعيدا ولا يأكله، وقد كان معك حين ذهبت الى الدينور، فأنكرنا منه أن يأخذ الرغف ويمضي دون أن يأكله، وفي اليوم الرابع تتبعته لأرى أين ينتهي؟ فهذا ما أخبرني بموضعك.

فكان نسيم بعد هذا الحادث يجلس الكلب إلى جنبه، ويسهر على طعامه وشرابه، ويصحبه معه، يدخل بدخوله ويخرج بخروجه.

٢٣١ ـ مقدمة هادفة:

اختار الأستاذ محمد فريد وجدي بعض النماذج الدالة على إحساس الكلب وسرعة تفكيره ليرد على قوم أشاعوا بأن الحيوان يسير بالغريزة وحدها، وليس عنده نصيب من الذكاء، وقد بقيت هذه العقيدة إلى عصور متأخرة حيث كان الفيلسوف ديكارت يصف الحيوانات بأنها مجرد صور آلية حية، فلم يعترف للحيوان المسكين بأدنى تفكير نسبي حتى استبحرت العلوم في القرن التاسع عشر، فرأى العلماء أن بجانب الإلهام الذى فطره الله عليه عقلا خاصا تستعمله في أحرج المواقف فيدفعها إلى النجاة، كما يتجلى هذا العقل في تدبير الحيل، وإحكام الخطط، فكان هذا الرجوع إلى إنصاف الحيوان احدى معجزات القرآن الكريم في رأى الأستاذ وجدى، إذ أن القرآن يقول {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء، ثم إلى ربهم يحشرون}

فقد دل هذا النص الكريم على أن جماعات الحيوان أمم يربط آحادها رباط اجتماعى متين العُرا، وأن منها ما يعيش على صورة ممالك ذات نظم ثابتة كالنمل والنحل وغيرها من الحيوانات التي تعيش مجتمعة، وأن لكل جماعة منها، لغة يتفاهم آحادها بها، حتى أن بعض العلماء عاشر القردة عدة سنين في غاباتها، وجعل من لهجتها قاموسا، وما كان أحد يتصور هذه المنزلة للحيوان قبل القرن التاسع عشر، مع أن القرآن الكريم قد سبق العلم إلى هذه الحقيقة، بنحو ألف وثلاثمائة سنة، فقد قال الله تعالى حاكيا عن سليمان عليه السلام قوله {عُلّمنا منطق الطير} ونسب للنمل كلاما حين قال على لسان نملة استشعرت الخطر من بعد، حين علمت أن جيوش سليمان ستتقدم إلى قرى النمل بعد أمد قريب {قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، فتبسم ضاحكا من قولها، وقال ربِّ أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلنى برحمتك في عبادك الصالحين}.

٢٣٢ ـ في عتاب صديق:

تخيرت من الأخلا
ق ما ينفى عن الكلب
فإنّ الكلب مجبول
على النصرة والدبّ
وفيٌ يحفظ العهد
ويحمي عرصة الدُّرب
ويعطيك على اللين
ولا تُعطي مع الضّرب
ويشفيك من الغيظ
وينجيك من الكرب
فلو أشبهته لم تك
كالطود على القلب

الشيخ حماد الانصاري

.. في ذمة الله

توفي الشيخ حماد بن محمد الأنصاري أحد علماء المدينة المنورة، ورئيس قسم السنة والعقيدة سابقا بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ـ يوم الأربعاء ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ الموافق ٢٢ أكتوبر ١٩٩٧م ـ عن عمر يناهز ٧٤ عاما، قضى أكثرها ما بين طلب العلم، والبحث والتحقيق حتى إنه كان يعد حجة في علم الحديث الشريف بالإضافة الى العلوم الشرعية الأخرى كعلم الفرائض، والتوحيد، وأصول الفقه.

ولد الشيخ حماد بن محمد الأنصاري سنة ١٣٤٤هـ ببلدة تسمى بـ «تدامكة» بافريقيا، وكانت دراسته الأولية ببلدة تسمى «مناقع» فبدأ تعليمه بالحروف الهجائية ثم حفظ القرآن الكريم وأتم حفظه وهو ابن عشر سنين. وظهرت عليه أمارات الذكاء والنجابة منذ حداثته، ولما بلغ أشده أكثر من الرحلة والتنقل في طلب العلم حيث انتقل الى بلاد الحرمين الشريفين فتلقى علوم الدين واللغة على كبار المشايخ هناك في ذلك الوقت، كما درس في دار العلوم الشرعية بالمدينة المنورة الفقه الحنفي وصحيح مسلم وديوان المتنبي وكتاب الموطأ للامام مالك والمغنى لابن قدامة.

وفي عام ١٣٧٤هـ انتقل الى الرياض حيث عمل فيها مدرسا في المعهد العلمي.

وفي عام ١٣٧٥هـ انتقل الى معهد إمام الدعوة.

وفي عام ١٣٨٥هـ انتقل الى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة واستمر بالتدريس فيها الى عام ١٤٠٧هـ وقد اشرف خلال تلك المدة على عدد كبير من الرسائل العلمية المقدمة لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه في كل من قسمي العقيدة وعلوم الحديث.

والفقيد كما يصفه طلابه والمقربون اليه ومن عمل معه ولازمه أنه كان حسن السيرة طيب المعشر، يحب طلبة العلم حتى إنه كان يخصص معظم وقته معهم في النقاش والتدارس فيما يعود عليهم بالنفع والفائدة.. لا شك أن فقد العلماء من أمثاله يترك فراغا كبيراً قد لا يتهيأ من يسده، إذ كان ـ عليه رحمة الله ـ مرجعا في علم الحديث ومصطلحه وكان على الفطرة والسجية بعيدا عن التكلف والمصانعة، فبقدر ما وهبه الله تعالى من باع طويل في كثير من علوم الشريعة بقدر ما كان بسيطا سهلا متواضعا، إذا سألته عن مسألة وجدت عنده البغية في أسلوبه المتميز.

وقد أثرى الفقيد مكتبته بعدة كتب قيمة في علم الحديث النبوي ومخطوطات مصورة نادرة ومن أهم ما طبع من تلك المؤلفات:

- بلغة القاصي والداني في تراجم مشايخ الطبراني.
- إتحاف ذوي الرسوخ بمن رمى بالتدليس من الشيوخ.
- فتح الوهاب فيما للمحدثين من الألقاب.
- رفع الأسى عن المضطر في رمي الجمار بالمسا.
- رفع الاشتباه عن حديث من صلى في مسجدي أربعين صلاة.
- كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر.
- الأجوبة الوفية على أسئلة الألفية.
- اتحاف الخلاف فيما ورد في ليلة النصف من شعبان.
- سبيل الرشد في تخريج أحاديث ابن رشد.

رحم الله الفقيد ونسأ في أجل البقية من أعمدة العلم في هذه البلاد المباركة خاصة وغيرها عامة.

وإنا لله وإنا إليه راجعون





هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبداً.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.

في مثل هذا الشهر الكريم «شعبان» صدر العدد الأول من الصحيفة «جريدة الندوة» وبتتبع الندوة الغراء نجد أنها مرت بأربع مراحل تطويرية:

المرحلة الأولى:

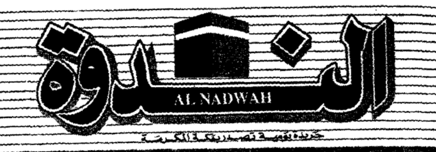
ظهر العدد الأول من جريدة الندوة بتاريخ الأربعاء ٨ شعبان ١٣٧٧هـ الموافق ٢٦ فبراير (شباط) ١٩٥٨م (٧ الحوت ١٣٣٦ش) عن دار الندوة للطباعة والنشر بمكة المكرمة لصاحبها الأستاذ/ أحمد السباعي - عليه رحمه الله - واستمرت تصدر أسبوعيا حتى تاريخ ٢٦ صفر ١٣٧٨هـ حيث اصبحت تصدر أيام الأحد والثلاثاء والخميس من كل اسبوع اعتبارا من العدد (٦٧) تاريخ الأثنين ٢٦ صفر ١٣٧٨هـ الموافق ١٠ سبتمبر ١٩٥٨م.

المرحلة الثانية:

اندمجت جريدة «حراء» معها واصبحتا جريدة واحدة تحمل اسم «الندوة» وصاحباها الأستاذ/ احمد السباعي والأستاذ/ صالح محمد جمال وصدر العدد الأول منها بتاريخ الأربعاء ١٨ رجب ١٣٧٨هـ الموافق ٢٨/ يناير/ ١٩٥٩م (الدلو ١٣٣٦ش) واستمرت تصدر لصاحبيها الأستاذين/ احمد السباعي وصالح محمد جمال حتى العدد ٤٤ بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٧٨هـ الموافق ١٩/ مارس/ ١٩٥٩م.

المرحلة الثالثة:

بدأت المرحلة الثالثة من عمر الندوة ابتداء من العدد ٤٥



بتاريخ السبت ١٢ رمضان ١٣٧٨هـ (٢١ مارس ١٩٥٩) حتى انتقل امتيازها إلى الأستاذ/ صالح محمد جمال واستمرت تصدر على ٤ صفحات ثم تطورت إلى ٨ صفحات يومية حتى نهاية شوال ١٣٧٨هـ حيث انتهت هذه المرحلة بصدور العدد ١٥٥٥ تاريخ يوم الخميس ٢٩/ شوال ١٣٨٣هـ.

المرحلة الرابعة:

واعتباراً من ١٣٨٣/١١/١هـ صدرت الندوة عن مؤسسة مكة للطباعة والاعلام وصدر العدد الأول منها برقم ١٥٥٦ تاريخ ١ ذي القعدة ١٣٨٣هـ الموافق ١٤ مارس ١٩٦٤م (١٣ الحوت ١٣٤٣ش) وكان هذا بداية عهدها الحالي الجديد.

والمنهل إذ تشيد بما حققته الزميلة «الندوة» لتذكر بكل الاعتزاز ريادة «الندوة» في المجالات التالية:

* كانت أول مؤسسة صحفية اقامت داراً لفرعيها الاعلامي والطباعي في أوائل العام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

* أول مؤسسة صحفية اشترت مطابع لصحيفتها (جريدة الندوة) وكان ذلك في شهر رجب ١٣٨٤هـ.

* أول مؤسسة صحفية اشتركت لصحيفتها (جريدة الندوة) في وكالة أنباء عالمية وهي (الأسوشيتد برس) في شهر ذي القعدة ١٣٨٤هـ ثم توالت اشتراكاتها في وكالات الأنباء العالمية كوكالة (رويتر) ، (اليونايتدبرس)، (فرانس برس) ووكالة الأنباء القطرية، و(وكالة الأنباء الكويتية إضافة إلى وكالة الأنباء السعودية.

وأسرة المنهل كافة تزف التهاني للعريقة «الندوة» متمنين لها ولمنسوبيها لتقدم والرقي .. والله ولي التوفيق.


أحمد السباعي


صالح محمد جمال


حامد حسن مطاوع
المدير العام


د. عبدالرحمن سعد العرابي
رئيس التحرير


فوزي عبدالوهاب خياط
نائب رئيس التحرير

خمسة واربعون عاما من ا

الثقافة س
والتفرد للأ
البنك الأهلي التجاري .. معنى لحياة أفضل

البنك الأهلي التجاري

بدأ البنك الأهلي التجاري كشركة تضامن باسم شركة صالح وعبد العزيز كعكي وسالم بن محفوظ بموجب شهادة تسجيل رقم ٤٨ صدق عليها المقام السامي بتاريخ ٢٨ رجب ١٣٦٩هـ وبموجب الصك الصادر عنها من كاتب عدل مكة المكرمة برقم (٧٨٨) بتاريخ ٥ رمضان ١٣٦٩هـ وشهادة من معالي وزير المالية بتاريخ ١٩ رمضان ١٣٧٠هـ (الموافق ٢٤ يونيه ١٩٥١م) والتعديلات التي تمت عليها وسجلت لدى كاتب عدل مكة المكرمة بتاريخ ٨ شعبان ١٣٧٤هـ لمزاولة الأعمال المصرفية في المملكة العربية السعودية والخارج.

وبصدور المرسوم الملكي رقم (٣٧٣٧) وتاريخ ٢٠ ربيع الثاني ١٣٧٣هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩٥٣م تعدل اسم الشركة إلى الإسم الحالي: البنك الأهلي التجاري وكان عدد فروع البنك في ذلك الحين أربعة فروع هي جدة - مكة - الرياض - الدمام واليوم أصبح عدد الفروع في داخل المملكة (٢٥٦) فرعاً منها (١٥) مكتباً وفرعاً للسيدات و(٣٨) فرعاً لا تقدم إلا المنتجات الإسلامية، إضافة إلى فرع البحرين وفرع بيروت و(٥) مكاتب تمثيل في كل من فرانكفورت، لندن، طوكيو، سيئول، وسنغافورة، إضافة إلى أكثر من (٣١١) ماكينة صرف آلي تخص البنك مدعومة بأجهزة البنوك الأخرى التي تعمل ضمن شبكة SPAN إضافة إلى (٤٠٠٠) نقطة بيع، وللبنك أكثر من ٦٠٠ مراسل منتشرين في أنحاء العالم.

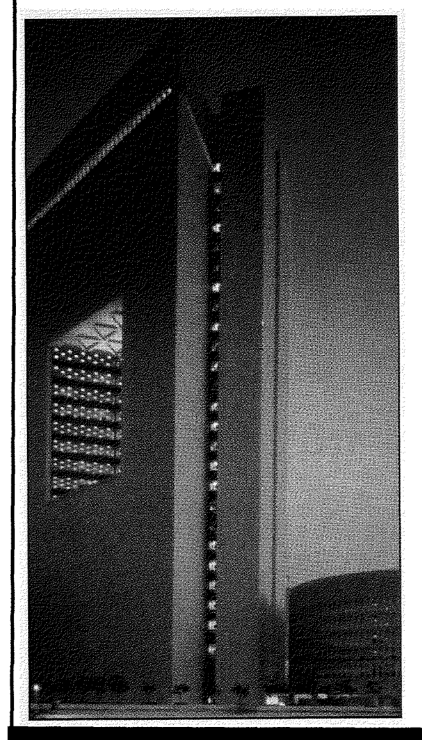
التوسع في عدد الفروع صحبه توسع في الأنشطة ونوعية الخدمات التي يقدمها البنك.

وبصفه عامة فإن حصة البنك تعادل (٢٥٪) من اجمالي العمل المصرفي داخل المملكة العربية السعودية .. والأمل يحدونا إن شاء الله إلى زيادة هذه الحصة وتوفير أفضل الخدمات العصرية للعملاء في المملكة العربية السعودية وخارجها.

اعداد :
العلاقات العامة بالمجلة

ريـادة في جميع المجالات

ـة التميـز
ي التجـاري



الأهلي العريق ذو ثلاث شعب
الشعبة الأولى: مصرفية
الشعبة الثانية: اقتصادية
الشعبة الثالثة: ثقافية

وهذه الشعب الثلاث مترابطة أشد الترابط متماسكة غاية التماسك، لا سيما حين يتصل الحديث بالريادة المصرفية التي تعني (البنك الأهلى التجاري).

فقد أضحى مرآة تعكس صورة المجتمع السعودي وازدهاره في شتى المجالات المصرفية والاقتصادية والثقافية.. وقد حمل (البنك الأهلى التجاري) لواء الأنشطة المصرفية منذ عام ١٩٥٣م على يد مؤسسه الشيخ (سالم احمد بن محفوظ - رحمه الله).

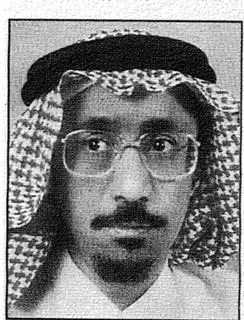
وقد يدهش المرء كثيرا حيال تعدد مجالات أنشطة البنك في الوقت الحالي، وبخاصة انه بدأ أول مصرف سعودي حتى غدا صرحا اقتصاديا له أبلغ الأثر في ابراز الاقتصاد السعودي، بل وله الريادة في شتى القطاعات، ويعتبر البنك الأهلي التجاري اكبر بنوك العالم العربي.

رعاية الثقافة الوجه الآخر للأهلي التجاري

برئاسة خالد بن محفوظ ومساعديه يعتلى الأهلي التجاري القمة المصرفيه



الشيخ سالم بن محفوظ
مؤسس البنك



الشيخ خالد بن سالم بن محفوظ
المدير العام رئيس الادارة

عندما يسمع الواحد منا كلمة (بنك) يتبادر الى ذهنه المال وتوجهاته من اعمال التجارة والمضاربات والاسهم وغيرها.. وقد لا يخطر ببال أحد منا أن البنك الى جانب المال ومشتقاته له اهتمامات أخرى تتعلق بالتنمية البشرية من ثقافية وفكرية واجتماعية.. وهذا جانب نجد (البنك) الاهلى التجاري قد تفرد فيه.

إن الشعور بأهمية الاهداف الثقافية التي يساهم فيها (البنك الأهلى التجاري) هي التي تدفعنا الى هذا التحديد، ولاسيما انه تجاوز حدود المملكة العربية السعودية.. ونأمل أن تحتو البنوك الأخرى حذو (البنك الأهلى التجاري) اهتماما ثقافيا.. فالثقافة وعاء لا تستغنى عنه الشعوب، والثقافة لا تنفصل عن انشطة البنوك، بل هي مكملة لدورها الاساسي في الانشطة المصرفية والاقتصادية، وكما اصبح المال قوة هائله من قوى الأمم والدول اصبحت الثقافة مطلبا حضاريا يحرص عليه أفراد المجتمعات الحديثه، وقوة رائعة في مظهرها ومخبرها وفي سعة انتشارها داخل الأمة.. وهي سياج مكين يحمي الاقتصاد الوطني والمصرفي وينقل اليهما الوان التقدم العالمي في شتى الفروع.

لذلك حرص البنك الأهلى على القيام بمهمة تطوير هذا الجانب وذلك بمشاركته في خدمة الأنشطة الثقافية بمملكتنا الغالية.

جاء ذلك ببعد نظر الشيخ (خالد بن سالم بن محفوظ) وبتوجيه كريم منه، وبتنفيذ أمين وصادق من زملائه ومعاونيه الأكارم، ونخص ادارة العلاقات العامه التى تقوم بالتنفيذ والمتابعة لهذه البرامج الثقافية.

ومن هذا البعد أصبح (للأهلى التجاري) المنظار السحري الذي به يستطيع استكشاف المستقبل ورسم الخطط العصريه.

ويعد (الأهلى التجاري) جامعة وتاريخا حافلا، والحديث عنه حلو وممتع، تعشقه النفس (بعيدا عن لغة الأرقام) ويفتح مجالا أرحب للفكر والعلم والثقافة. فرجل (الإقتصاد) يتناوله من منظور لغة الأرقام (الربح





- جلالة الملك سعود بن عبد العزيز يرحمه الله اثناء افتتاحه لمقر البنك الأهلي التجاري بجدة.

والخسارة) ويقوم بالتخطيط وعمل الموازنات التي تتمشى مع متطلبات المرحلة. ورجل (الفكر) يتناوله من منظور اضافي لما سبق مثل تأثير الإشعاع الثقافي الذي يرعاه ويستطلع به المستقبل.

البنوك الناجحة .. هي تلك التي تحدث أثرا وثراءا مصرفيا واقتصاديا متعددا يواكب العصر ليبني طريقا وينشيء فكرا، والبنوك الناجحة تنهض بالأعباء الثقافيه وتسعى جاهدة لاجتلاء وجوه نشاط الوطن في شتى مرافق الحياة، اقتصادية واجتماعية وعمرانية وأدبية، في ثوب ناصع وترتيب بديع وروح تقدمية متوثبة واقدام حميد متزن ونزاهة مرسومه، كل هذا وذلك كان هو (وعاء البنك الأهلي التجاري).

وكان لابد أن نكتب هذا إظهارا للحق والحقيقه التي يرعاها (الأهلى التجاري) ويوليها جل اهتماماته والأمثله على ذلك كثيرة ومنها:

رعايته للعديد من الانشطة الثقافية والبحثيه والاقتصادية في بعض الجامعات في المملكة، واهتمامه بأنشطتها.

فقد أنشأ قاعة محاضرات مزودة بأحدث التقنيات العصريه بجامعة الملك عبد العزيز بجدة وساهم في توفير معلمين للكمبيوتر خدمة للعلم والمعرفه.

وشارك في معظم الأنشطة التربوية والاجتماعية والصحية والثقافية بجامعات المملكة.

وقد كان لمساهمته في تكريم الأساتذة والطلاب ابلغ الأثر الطيب في النفوس.

الأهلى التجاري راعي الفنون التشكيلية..

فقد احتضن البنك الأهلى التجاري لغة الفنون. لغة اللون والخطوط والظلال.

فقد رعى معرض الفن التشكيلي بأبها.. واستجابة لدعوة كريمة من صاحب السمو الملكى الأمير خالد الفيصل قام الشيخ خالد بن محفوظ ممثلا للبنك الأهلى التجاري بحضور فعاليات المعرض الذي اقيم بقرية المفتاحه التشكيلية بمركز الملك فهد الثقافي بأبها والذي شارك فيه ٢٤ فنانا وفنانة من ابناء منطقة عسير.. وقد دعم الشيخ خالد بن محفوظ الفن التشكيلي بأبها بشراء جميع لوحات المعرض.



ـ فاروق عبد يلقي كلمة البنك الاهلي في حفل افتتاح معرض الفنان التشكيلي البرفسور عبد الحليم رضوي والذي رعاه البنك الاهلي وشرف حفل الافتتاح صاحب السمو الملكي الامير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة باتيليه جده.

كما رعى البنك مجموعة من المعارض منها:

١ ـ معرض البروفيسور «عبد الحليم رضوى» بأتيليه جده للفنون الجميلة. والذي شرفه صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز امير منطقة مكة المكرمة.

٢ ـ معرض الفنانين (الأربعة) باتيليه جده للفنون الجميلة.

٣ ـ معرض خاص بالمركز السعودي للفنون التشكيلية.

٤ ـ معرض الفنانة التشكيلية ناجيه هاشم بالمركز السعودي للفنون التشكيلية

هكذا الريادة.. ان يكون البنك موجوداً في كل ميادين العطاء، التى تنمي القدرات الفردية والجماعية، ان تكون خدمة المجتمع وترقيته والنهوض به هاجسه.. في كل ميادين عطائه الاقتصادي والاجتماعي والفني والعلمي والثقافي.

الأهلى التجاري.. والكاتب والكتاب:

في مجال الكتاب والمطبوعات كان للبنك الاهلي ريادته وسبقه، فقد طبع موسوعة فلسطين (الوعد الحق) الموسوعه التي جاءت في أبهى صورها من حيث المادة والاخراج والطباعة اذ كان همه (المضمون والشكل) لتخرج وتشع وعيا وفكرا جديدا لكل باحث عن الثقافة.

السندباد الصحفي.. كتاب شيق ينقلك بأسلوب رشيق جذاب ممتع ليحلق بك في وجوه البشر لتقرأ وترى وتسمع عن بلاد الله.

وكتاب التنمية الاقتصادية الاجتماعية بالمنطقة الغربية الذي اكد على الانجازات التي تحققت بالمنطقة خلال العقدين الماضيين.

وكتاب صناعة الورد بالطائف الذي تناول اشهر المدن الاسلامية لانتاج ماء الورد ومميزات ماء الورد وطريقة تقطيره.

هذه المشاركات الأدبية الثقافية محسوسه لمن اراد أن يحس بها، ومحسوب حسابها عند من يزن الحقائق بميزان دقيق وعادل.

السياحة الداخلية نصب عينيه:

انطلاقا من مبدئه الذي أنشيء عليه كان للبنك الأهلي التجاري توجه واضح للتعريف بالمعالم السياحية في



شكر وتقدير

باسم المركز السعودي للفنون التشكيلية نشكر جميع الذين ساهموا معنا في انجاح المركز وعلى رأسهم سمو الأمير/ فيصل بن فهد بن عبدالعزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب.

كما نشكر سمو الأمراء وأصحاب السعادة الذين قاموا بافتتاح ودعم معارض المركز.

كما نشكر جميع الشركات والمؤسسات الأهلية التي شاركت معنا لإنجاح هذا المهرجان بمناسبة مرور أكثر من مائة معرض ونخص بالشكر البنك الأهلي التجاري.

من أسرة المركز السعودي
للفنون التشكيلية
علي عبدالله الشمسي

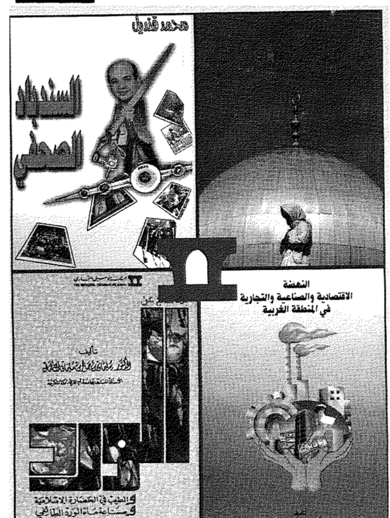
صورة لخطاب شكر من اسرة المركز السعودي للفنون التشكيلية بمناسبة مشاركة البنك لانجاح المهرجان

بلادنا الغالية ولرسم صورة نابضة بالجمال في وجدان مجتمعنا من خلال الواقع السياحي الرائع الذي تهبه لنا طبيعة بلادنا، ولخلق وعي جديد .. وهذا سبق حضاري.

فقد رعى البنك الأهلي التجاري الندوة (السياحية الداخلية .. آفاق ومستقبل) التي اقيمت في مدينة أبها تحت رعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام.. والتي اقامتها الغرفة التجارية الصناعية بأبها بالتعاون مع مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية.

يوم العالمي لتنظيف الشواطىء :/٩/١٩٩٧م

التلوث داء خبيث يظهر بشكل واضح



دور ملموس وهام للبنك الاهلي التجاري في نشر الثقافة على جميع المستويات في جميع انحاء المملكة .




شكر وتقدير

يتقدم مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية والغرفة التجارية الصناعية بأبها بجزيل الشكر والتقدير لسعادة الأستاذ/ خالد بن محفوظ .

على المشاركة الفعالة والإيجابية في فعاليات الندوة الثانية للسياحة الوطنية آفاق ومستقبل والتي أقيمت تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام وذلك بفندق إنتركونتننتال بأبها خلال الفترة من ١٩ - ٢٠/١٢/١٤١٧هـ .

شكر وتقدير من الغرفة التجارية والصناعية بمنطقة أبها

٦٠٠ مراسل للأهلى التجاري لخدمة عملائه على مستوى العالم

٤٠٠٠ نقطة بيع الكتروني منتشرة في انحاء المملكة

أكثر من ٣٠٠ جهاز صراف آلي منتشرة في انحاء المملكة

وملموس في قلب المدن الصناعية الكبرى بامريكا واوربا واليابان وهذا ليس ببعيد عن الدول الأخرى، بل اصبحت تعاني منه وذلك بسبب التطور الصناعي. ومن هذا المنطلق اهتمت الحكومات المختلفة بالمحافظة على الكائنات بحرية أو برية.

وكعادته دائما في السبق والريادة فقد رعى الأهلى التجاري فعاليات اليوم العالمي لتنظيف الشواطىء بجدة، ويهدف من ذلك الى توعية المواطن والمقيم بالمحافظة على البيئات البحرية وسلامتها من التلوث والنفايات والمحافظة على بيئة المصائد البحرية وتكاثر وتفريخ الاسماك واحيائها.. كما تتميز بيئة البحر الأحمر بوجود عدد من الاحياء البحرية النادرة التى يمكن أن تتأثر بالتلوث البيئى .. وتعتبر الأحياء المائية هذه مصدرا اقتصاديا وغذائياً هاما لابد من الحفاظ عليه.

يوم المهنة:

يعكس يوم المهنة تظاهرة وطنية تذكرنا في كل عام بأهمية العنصر البشري، ودوره في تحقيق اهداف التنمية الوطنية الشاملة بصفة عامة، ويأتي هذا اليوم ليؤكد أهمية عملية الاحلال الوظيفي لليد العاملة الوطنية بصفة خاصة ذلك لان الدولة يبنيها أهلها وبنوها.

ومن خلال الاهداف الأساسية لفعاليات يوم المهنة يظهر ويتضح التكامل بين الجانب العملي، المتمثل في اسهام القطاعات الانتاجية المختلفة نحو عملية السعودة والجانب النظرى الذى يشتمل على اسهامات البحث العلمي التى تعالج القضايا ذات العلاقة بإنجازات عملية الاحلال والطرق الكفيلة بتحسينها والمعوقات التي تحد من فاعلية التطبيق.

برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية ورئيس مجلس القوى العاملة.. وحرصا من الأهلى التجارى على رفع الكفاءات العاملة في مختلف التخصصات المصرفية بما يضمن تطوير العمل والانتاج فقد ساهم في فعاليات يوم المهنة الذي نظمته جامعة الملك عبد العزيز بجدة يوم ١٩٩٧/١١/١٦م وذلك في اطار السعودة وتوظيف الشباب السعودي بالبنك في كافة المستويات الوظيفية وتطبيقا لهذا المنهج فقد وصلت نسبة السعودة في الأهلى التجاري الى ٦٣٪ من



دور بارز للبنك في المحافظة على البيئة



٣ر٥٩٠ مليون ريال ارباح البنك الأهلى التجاري خلال النصف الأول من العام ١٩٩٧م

الأهلى التجاري يتخطى بوابة القرن الـ ٢١

٢٥٦ فرعا تقدم خدماتها للعملاء وفق احدث الأنظمة العالمية

اجمالي العاملين.

وقد ابدى صاحب السمو الملكي الأمير نايف اعجابه وتقديره على ما يقوم به الأهلي التجاري في هذا المجال.

البنك الأهلي التجاري:

هذا الصرح الاقتصادي العملاق ليس في حاجة لتأكيد ريادته في المملكة العربية السعودية، وقد أسس لخدمة المجتمع وتقديم الخدمات المبتكرة والعصريه في مجالاته المتعددة من صيرفه وتمويل واستثمار وضمان ويشارك بدور بارز يحسب له في التنمية الاقتصادية والاجتماعية لملكتنا الغالية.. وفيما يلي نستعرض بإيجاز بعض هذه النماذج.

بوابة القرن الواحد والعشرين:

وكأنه يؤكد صدارته الدائمة ليدخل بوابة القرن الـ (٢١) بعالم الشركات المساهمة ليعد الأكبر مصرفيا في عالمنا العربي. بخطى ثابته.. وطموحات فائقة التصور مدروسة بخبرة عالية ليصبح قادرا على مواجهة متطلبات المرحلة القادمة اقتصاديا وعلى كل المستويات محليا واقليميا ودوليا.

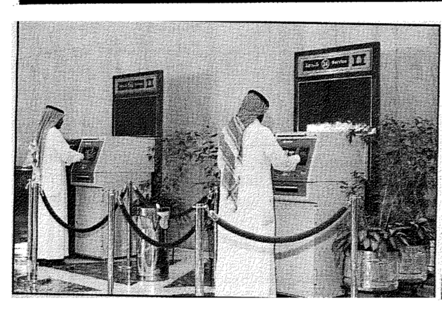
رأس المال:

بلغ رأس مال البنك المدفوع ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٦ ريال سعودي.. موزعة بين (٢٠) مساهما يأتي في طليعتهم الشيخ خالد بن سالم بن محفوظ المالك الرئيسي للبنك وتتجاوز حقوق المساهمين فيه ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٨ ريال وفي ظل النمو المستمر الذي شهده البنك في السنوات الأربع الأخيرة والذي تجاوز الـ ٢٧٪ سنويا وصلت ارباحه المحققه للعام ١٩٩٦م ٠٠٠ر٠٠٠ر٩١٥ ريال أي بزيادة ٣٠٪ عن نتائج العام ١٩٩٥م. لا يستطيع الانسان الخوض في تطورات رائد البنوك العربية وسعة انتشار فروعه داخليا وخارجيا، ونجاح خططه في كل ميدان دون الإشارة الى سر النجاح الأول الا وهو ادارته العامه



وتخطيطها السليم الواعي المدرك لتوجيهات الشيخ خالد بن محفوظ الى الطريق الصحيح وإخراجه من تبعات الديون المعدومه اكثر تماسكا واشد صرامه، فتحمل مسئولياته كأعظم مؤسسه مصرفية سعودية وعربية.

وقد تم اعادة ترتيب البيت الداخلي الذي تعززت قدراته بالسيوله الإضافية المتأتية من إعادة رسملة البنك التي وضعته في المرتبة الأولى من حيث الكفاية الترسملية بين البنوك المحلية والعربية.



خدمات مميزة للصرف الآلي

ومع عودة الشيخ خالد سالم بن محفوظ الى سدة الرئاسة في البنك في العام ١٩٩٦م، كرئيس للجنة الإدارة العامة والمدير العام، وبعد تحويل الشركة التضامنية مؤخرا الى شركة مساهمة، طرأت على هيكلية الإدارة تغييرات تتناسب وهذه التطورات الرئيسية.. بتوجيهات الشيخ خالد بن محفوظ، وبفضل جهود القائمين على ادارة البنك حسب الخطة الموضوعة، وباستمرار ثقة المودعين من الأفراد والمؤسسات السعودية، يستعد البنك لتحقيق أرباح قد تتجاوز المليار ريال في نهاية العام الحالي، وذلك لأول مرة في تاريخ البنك.

دور البنك الأهلي في التنمية الاقتصادية:

كنتيجة حتمية لتنامي ثقة المودعين، فقد تجاوز حجم الودائع في البنك الأهلى التجاري - بأضعاف - حجم الودائع في معظم البنوك السعودية الكبرى . فقد وصلت ودائع العملاء خلال العام ١٩٩٦م الى ٥٨ مليار ريال، وتجاوز خلال النصف الأول من العام الحالي مستوى الـ ٦١ مليار ريال، أي بارتفاع حوالي ٨ في المئة عن الفترة المماثلة في العام الماضي.

إذن، تخول السيولة العالية المتوفرة.. البنك ليؤدي دوراً أساسياً في تمويل التنمية الاقتصادية المستمرة التي تشهدها المملكة العربية السعودية، وذلك في القطاعين الحكومي والخاص. فالبنك يأتي في المقدمة لجهة استيعاب الأوراق المالية الحكومية من سندات تنمية وسندات خاصة، وهذه الأخيرة جرى طرحها ابتداء من العام ١٩٩٥م ويبلغ مجموعها مالا يقل عن ٤ مليارات دولار بحلول منتصف العام الحالي، واستهدفت متأخرات القطاع العام عن مشاريع منفذه لصالح القطاع الخاص، مما عزز من وضع السيولة بشكل كبير في الأسواق السعودية.

وقد وصل مستوى الأوراق المالية المحلية التي يحملها البنك الى ١١ر١٥٢ مليار ريال، اي بزيادة حوالي ٢٠ في المئة من مستواها للعام ١٩٩٥، وتمثل حوالي ٦٠ في المئة من إجمالي محفظة الأوراق المالية.

وفي الوقت الذي تعاني البنوك السعودية من طفرة في السيولة المتأتية من ارتفاع الإيرادات النفطية ومن تراجع فرص الإقراض المحلي بعد اكتمال استيعابها للسندات الخاصة التي سدد بها حاملوها القروض والتسهيلات الممنوحة من البنوك سابقا، مما قلص من محافظها الإقراضية، ينشط البنك الأهلي التجاري في مجال الإقراض معتمدا على علاقاته التاريخية بكل فئات المجتمع السعودي، وقدراته التسويقية، فقد وصلت القروض الممنوحة للأفراد والشركات والمؤسسات الحكومية في المملكة نهاية العام ١٩٩٦ الى اكثر من ٤٣ مليار ريال، وتوزعت المحفظة بشكل لافت في القطاع التجاري (٢٢ في المئة) قطاع الخدمات والمقاولات (١٨ في المئة) التنمية العقارية (٦ في المئة) والقطاع الصناعي (٥ في المئة) والذي ارتفعت قروضه بحوالي الملياري ريال عن مستواها للعام ١٩٩٥، بينما ذهب القسم الأكبر من



حقائق أساسية عن البنك الأهلي التجاري

البيـــــــــان	١٩٩٣	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٦
عدد فروع البنك	٢٣٥	٢٤٠	٢٥٠	٢٥٦
عدد الفروع الإسلامية	١٩	٢٧	٣٤	٣٨
عدد مكائن الصراف الآلي (الأهلي إكسبريس)	٩٨	١٦١	٢٠٨	٢٦٢
شبكة الصراف الآلي بالمملكة			١,٠٣٠	١,٣٤٨
عدد نقاط البيع	١٠٠	١,٨٨٠	٣,٥٠٠	٤٠٤٥
عدد حاملي الفيزا كارد	٠	٢,٠٠٠	٢٢,٥٢٧	٢٥,٩١٠
عدد حاملي الماستر كارد	٩,٠٠٠	١٤,٠٠٠	٢٣,٦١١	٢٦,٤٤٤
عدد الصناديق الإستثمارية (مفتوحة ومغلقة)	١٩	٢٤	٣١	٢٧
عدد الموظفين	٧,٤٠٠	٥,٢٠٠	٤,٩٠٠	٤,٦٠٠

دوليا :

- فرعان في كل من لبنان والبحرين .
- خمس مكاتب تمثيل .
- ٥٧٠ مراسل دولي .

أضواء على الميزانية (بملايين الدولارات)

البنـــــــد	١٩٩٣	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٦
إجمالي الموجودات	١٧,٦٢٤	١٨,٤١٨	٢٠,٤٢٦	٢١,٣٣٠
القروض	٧,٢٩٧	٨,٨٢٣	١٠,٤٨٩	١٠,٣٦
صافي الدخل	١٣٥	١٥٥	١٨٦,٥١٧	٢٤٣,٨١
إجمالي رأس المال	١,٨٥٦	١,٨٩٥	١,٨٩٥	١,٨٩٥
العائد على حقوق الشركاء (٪)	٧,٢	٨,٢	٩,٩	١٢,٣

يبني كوادر وطنية مؤهلة تأهيلا راقيا تتمشى مع متطلبات العصر

الأهلي التجاري.. اكبر البنوك الشرق اوسطيه

٦١٤٠٤،١ مليون ريال ودائع العملاء في يونيو ١٩٩٧م

هذه القروض الى المؤسسات الحكومية وشبه الحكومية (٤٢ في المئة).

وقد ارتفعت حصة البنك من إجمالي قروض المصارف السعودية الى ٣٣،٢ في المئة خلال العام الماضي مما يضعه في المرتبة الأولى في هذا المجال الحيوي. وقد ساهم البنك خلال العامين الماضيين في تمويل كبرى المشاريع الصناعية ومشاريع البنية التحتية، فكان سباقا في تمويل التوسعة في مصانع الشركة السعودية للبتروكيميائيات (صدف) لإنتاج الـ (MTBE) والتي يصل قرضها المرتب دوليا الى حدود الـ ٧٠٠ مليون دولار. كما ساهم البنك بفاعليه في عملية التوسعة الكبيرة في محطة غزلان الكهربائية في المنطقة الشرقية وذلك عبر ترتيب قرض مشترك يصل الى ٥٠٠ مليون دولار. ويتوقع دخوله بقوة في عملية التمويل الضخمة لتوسعة مجمع «ينبت» في مدينة ينبع الصناعية التابع لشركة سابك، ويصل إجمالي القروض المتوقعة لهذا المشروع الى حوالي ٢،٢ مليار دولار.

ولا يقتصر دور البنك الأهلي التجاري على كونه الممول التقليدي الأول للمشاريع الضخمة، بل يتعداه الى الزيادة في ابتكار الأدوات المالية الجديدة التي تتناسب وقدرة البنك التمويلية والحاجة الماسة الى السيولة في الأسواق السعودية. فقد قام خلال العام الماضي بعدد من العمليات الابتكارية مثل «تسنيد» إيرادات مجمعات عقارية تعود لمجموعة الجداول، ونفذ كذلك عملية تسنيد لالتزامات حكومية تعود لشركة «سعودي اوجيه» المتخصصة في المقاولات الكبرى، وسوف يقوم البنك بتمويل مجمع «الفيصلية» التابع لـ مؤسسة الملك فيصل حيث سيمنح البنك المؤسسة تسهيلات لمدة ثماني سنوات بحوالي ٧٠٠ مليون ريال في مقابل الإيرادات المالية الحالية للمؤسسة، والتدفقات المالية المتوقعة مع نهاية المشروع، وهي المرة الأولى التي يجري فيها تمويل مشروع عقاري مقابل إيرادات المشروع المستقبلية.

النشاط المصرفي:

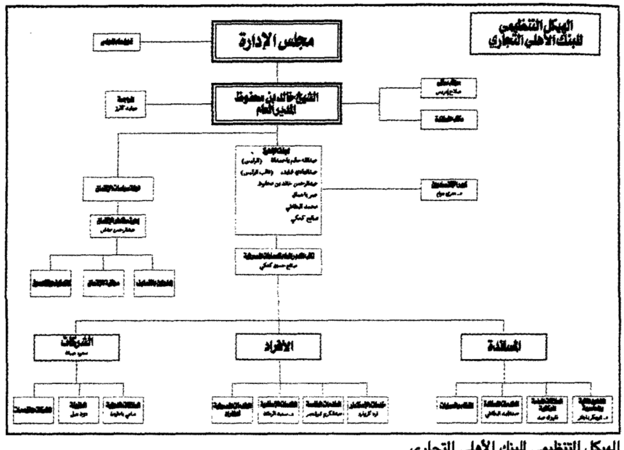
كثف الأهلي نشاطه المصرفي وذلك بتنويع وتطوير المنتجات والخدمات المالية والمصرفية المقدمة للعملاء والتي تشمل تمويل الشركات وإدارة المحافظ والتداول في اسواق العملات والاسواق المالية وإدارة وتوزيع القروض المشتركة وغيرها من الخدمات المصرفية بخلاف القروض المقدمة للافراد وقد انعكس ذلك على زيادة الدخل من هذه الخدمات بما يقارب ١٦٪.

ومن المنتجات المصرفية الجديدة التي طرحت خلال النصف الأول من هذا العام القروض الشخصية للأفراد «وحساب العصرية» الذي يلبي احتياجات المرأة العاملة ويرضي طموحاتها. ولقد أدخل الأهلي صندوقين جديدين مغلقين خلال النصف الأول من هذا العام هما صندوق الإستثمار في مشروع درة العروس وصندوق رأس المال المضمون ليصل عدد الصناديق التابعة للأهلي ٢٨ صندوقا استثماريا.

كما أتم تطوير عمليات توريق المستحقات المستقبلية وحساب الاجيال الذي يستهدف العملاء من سن ١٨ و٢٥» عاما، وبرنامج الاقراض الهاتفي وخدمة الخزينة المباشرة إضافة الى خدمات التمويل التي تشمل المشاركة والمضاربة والمرابحة وفق معايير صارمة لتقييم المخاطر.

واصل الأهلي خلال النصف الأول من هذا العام دعم مسيرته في تطوير تقنيته وبرامجه التي تساعد على تقديم أفضل الخدمات والمنتجات المصرفية الحديثة





الهيكل التنظيمي للبنك الأهلي التجاري

وتطوير القائم منها باستمرار للوفاء بتطلعات قاعدة متنامية من العملاء. ولقد ارتفع عدد أجهزة الصرف الآلي ليصل الى ٣١١ مقارنة مع ٢٦٢ في نهاية ١٩٩٦م، كذلك وصل عدد نقاط البيع الالكتروني إلى اكثر من ٤٠٠٠ نقطه وهي الاكثر انتشارا في المملكة.

التوجه الاستثماري:

نظرا للثبات والاستقرار اللذين يتمتع بهما الأهلى التجاري على الصعيد المصرفي فقد ساعده ذلك ومنذ تأسيسه لأول صندوق استمثاري في المملكة عام ١٩٧٩م على رفع حصص الاستثمار بحيث وصلت حاليا الى (٢٨) صندوقا استثماريا مفتوحا منها أربعة صناديق تعتمد في استثماراتها على النمط المصرفي الإسلامي.

وتهدف كلها الى تقديم الخدمات الاستثمارية للعملاء على اختلاف شرائحهم ومستوياتهم ورغباتهم.

وكعادته دائما، فإنّ (الأهلى التجاري) يبتكر الصناديق الاستثماريه الجديدة تجاوبا مع احتياجات الأسواق العربية المحلية والعربية.

ففي نهاية عام ١٩٩٦م جرى إطلاق صندوق «درة العروس» المغلق والذي يعتبر الصندوق الأول في مجال الاستثمار العقاري في المملكة. وكان البنك سباقا في استشراف نهوض أسواق الأسهم العربية، فأطلق منذ عامين (صندوق الأسهم

٦ر٨٨١٢٩ مليون ريال موجودات البنك في يونيو ١٩٩٧م

قروض الأهلي التجاري بالهاتف

قائمة المركز المالى في ٣٠ سبتمبر ١٩٩٧ م (غير مدققة)

بآلاف الريالات السعودية

	١٩٩٧/٩/٣٠م	١٩٩٦/٩/٣٠م
الموجـــودات:		
نقد وارصدة لدي مؤسسة النقد العربي السعودي	٢,٨٨٠,٣٨٥	٢,٧١٤,٨٣٣
أرصدة لدي البنوك	١١,١١٥,١٠٩	١٣,٨١٧,٢٧٨
المحفظة التجارية	٦٣١,٢٠٨	١,٢٠٦,٦٥٢
قروض وسلف بالصافي	٤٥,٢٦٠,٤٩١	٤٢,٣٩٠,٩٤٩
المحفظة الاستثمارية بالصافي	١٨,٢٠١,٧٤٤	١٩,٧٨٥,٥٧٨
موجدات ثابتة بالصافي	١,٧٠١,٩٩٨	١,٥٩٧,٥٩٩
عقارات اخري	٢,١٥٩,٦٢٠	١,٨٦٤,٨٣٠
موجدات اخري	٢,٩١٠,١٩٠	٢,٢٦٨,١٦٧
مجمـــــوع الموجدات	**٥٤٧,٠٦٨,٤٨**	**٦٨٨,٥٤٦,٥٨**
المطلوبـــات وحقوق المساهمين:		
المطلوبات		
ودائع العملاء	٥٩,٧٧٤,٥٢٣	٦٢,٧١٦,٢٧٢
أرصدة البنوك	١٤,١٤٠,٨٢٩	١٢,١٨٣,٨٠٨
مطلوبات اخري	٢,٥٢٧,٩٦٤	٢,٨١٤,٩٦٦
مجمـــــوع المطلوبات	**٦١٣,٣٤٤,٦٧**	**٦٤٠,٥١٧,٧٧**
حقـــوق المساهمين		
رأس المال	٦,٠٠٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠
احتياطي نظامي	١,٥٠٠,٨٧٢	١,٢٧٢,١٢٠
أرباح مبقاه	٩١٦,٥٥٧	٦٥٨,٧٢٠
مجموع حقوق المساهمين	**٩٢٤,٧١٤,٨**	**٠٤٨,٠٣٩,٧**
مجموع المطلوبات وحقوق المساهمين	**٥٤٧,٠٦٨,٤٨**	**٦٨٨,٥٤٦,٥٨**
حسابات نظامية	**١٨٧,٠٠٠,٢١١**	**٠٢٦,١٢٩,٧٤١**

• أعيد تبويب بعض أرقام المقارنة لتناسب عرض الفترة الحالية .



قائمة الدخل للفترة المنتهية في ٣٠ سبتمبر ١٩٩٧ م (غير مدققة)

بآلاف الريالات السعودية

	١٩٩٧/٩/٣٠م	١٩٩٦/٩/٣٠م
دخل العمليات الرئيسية		
الدخل من العمولات الخاصة	٢,٦٤٢,٥٠٤	٢,٣٨٥,٨٠٢
مكاسب عمليات تحويل عملات	٨٧,٩٩٨	٧٩,١١٢
مكاسب المحفظة التجارية	٨٢,٨٨٥	٤١,٧٠٧
عائدات المحفظة الاستثمارية	١,٠١١,٢٧٤	٩٠٢,٢٥٣
مكاسب عقارات اخري	١٥,٠٨١	١٢,٦٦٨
اتعاب خدمات بنكية	٢٥٦,٨٨٨	٢٠٨,٣٨٩
أخري	٢٤,٦١٧	٣٤,١٠٨
إجمالي دخل العمليات الرئيسية	**٧٤٢،١٢١،٤**	**٩٣٠،٤٦٦،٣**
مصاريف العمليات الرئيسية		
مصاريف العمولات الخاصة	١,٩٠٢,١٨١	١,٦٤٢,٢٤١
مخصص خسائر القروض	١٢٠,٨١٢	١١٢,٥٠٠
رواتب وما في حكمها	٦٣٥,٦٠٩	٥٨٩,٩٧٣
استهلاك موجدات ثابتة وعقارات اخري	١١٧,٩٥٥	١١٣,٤٥٥
مصروفات عمومية وادارية واخري	٥٠٤,٩٩٧	٤٩١,٦١٣
إجمالي مصاريف العمليات الرئيسية	**٤٥٥،١٨٢،٣**	**٢٨٧،٩٤٩،٢**
صافي الدخل من العمليات الرئيسية	**٣٩٦،٩٣٨**	**٧٥٢،٤١٧**
إيرادات (مصاريف) أخرى		
مكاسب المحفظة الاستثمارية	١٤٩,٨١٢	٨٦
مكاسب استبعاد موجدات ثابتة	١,٨٢٦	١٥١
عائدات المحفظة التجارية	٨,٤٩٨	–
ايرادات (مصاريف) اخري	(٦,١٢٤)	٨,٣٩٧
تبرعات ونفقات خيرية	(٥٢,٨٤٥)	(٤٦,٣٨٧)
إجمالي ايرادات (مصاريف) أخري	**٧٦١،١٠١**	**)٣٥٧،٧٣(**
صافي الدخل قبل الزكاة	**٠٦٨،٠٤٩**	**٤٠٥،٦٧٦**
زكاة	**٣٠٣،٤٢**	**٠٠٠،٨١**
صافي الدخل	**٧٥٥،٦١٩**	**٤٠٥،٨٥٦**



العربية) الذي يركز على البورصات الصاعدة في العالم العربي خصوصا في (مصر والمغرب ولبنان والكويت) وحقق حتى الآن أداء ممتازا. وعبر استمرار ريادته في هذا المجال، وتتبعه لرغبات العملاء الراغبين في الاستثمار، يقدم البنك خدماته لأكثر من ٢٥ ألف عميل، وتضم الاستثمارات الكلية للصناديق التي يقوم بإدارتها اكثر من ١٦ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ريال.

الخدمات الإسلامية .. هدف منشود:

مع مبدأ التميز والثبات والاستقرار في معاملاته الاستثماريه تبنى (الأهلي التجاري) استراتيجية مدروسة الأبعاد تستوعب زيادة حركة الاستثمار والتنويع مع التقليل قدر الامكان من درجة المخاطر وانطلاقا من شبكة فروعه الواسعة الانتشار أيقن (الأهلي التجاري) بأهمية شريحة كبيره من العملاء الذين يرغبون بالتعامل المصرفي والاستثماري الاسلامي فأنشأ (٣٨) فرعا داخل المملكة لتقدم خدماتها المتميزه لهذه الشريحه المتنامية من العملاء، والى جانب الخدمات المصرفية، قدم فرصا استثمارية قائمة على النظام الإسلامي، مثل المرابحة والمضاربة والإجارة والإستصناع، كما أطلق أربعة صناديق استثمارية لأغراض المتاجرة والمشاركة، وعلى رأسها «صندوق المتاجرة العالمية» الذي يعتبر الصندوق الأول عالميا في هذا المجال من حيث الأداء، وينشط البنك في عمليات التمويل التجارية حسب الشروط الشرعية، فقام خلال العام ١٩٩٦م بتمويل صفقات تصدير بترولية على هذا الأساس، بلغت قيمتها الإجمالية حوالي الـ ٢٠٠ مليون دولار.

وتتميز الخدمات الإسلامية التي يقدمها البنك بالتزامها الدقيق بالتعاليم الشرعية والإرشادات التي تصوغها اللجنة الشرعية التابعة للبنك والتي تتكون من كبار العلماء في المملكة. كما تعتبر معظم المنتجات الاستثمارية التي يطلقها البنك في هذا الإطار قليلة الى معدومة المخاطر. ولا شك أن هذه العوامل مجتمعة ساهمت في مضاعفة ودائع هذه الشريحة المستهدفة خلال العام الفائت، مما يضع الخدمات الإسلامية في المركز الأول من حيث النمو في لائحة الخدمات التي يقدمها البنك حتى نهاية القرن الحالي.

الكمبيوتر وشبكة المعلومات:

لم يعد هناك شك في صدق المقولة المأثورة للمارشال ماكلوهان بأن العالم أضحى قرية كونيه بفضل شبكات الاتصالات وما تنقله من معلومات بسرعة فائقة.. وعملا بهذه المقولة لم يكن غريبا أن يسعى (الأهلي التجاري) لحيازة واستخدام اكبر قدر ممكن من الوسائل التى تتيح له الدخول في هذه الشبكات

٧٥٠ بنك مراسلة على مستوى العالم تتعامل مع الأهلي التجاري

٤٦٠٠ موظف للأهلي التجاري يمثل السعوديون ٦٣٪ منهم





العالمية.. ويمكن القول بأن أوربا وامريكا هما الأكثر تقدما حتى الآن في هذا المجال بحكم انهما نفس (الوعاء والمنشا) لكن يبدو أن (الأهلى التجاري) مصمم على مجاراة ما يحدث تقنيا في العالم الخارجى لذا تولى ادخال نظم كمبيوتر لها تأثير فائق لا يجارى حتى أضحى العمود الفقري لمعظم قطاعات (الأهلى التجاري) لتقديم أرقى الخدمات بأيسر الطرق.

مركز الكمبيوتر:

أسس بخمسة أقسام رئيسية: (التعزيزية - المساندة الفنية - وحدة التخطيط - وحدة مكننة وتقنية المكاتب - أمن المعلومات).

فلا عجب إذن اذا اهتم الأهلى التجاري ببرامج الكمبيوتر كمختبر لما يمكن أن يستنبط من نموذج جديد للطريقة التي ينبغي أن يعمل بها ويتميز بها عن غيره في هذا المجال.

٢٨٥ الف جهاز صراف آليّ عالمي في خدمة عملاء الأهلى التجاري

التواجد الدولي:

لا يقتصر دور الأهلى التجاري على المجال المصرفي داخليا فحسب بل يتعداه الى النطاق الدولي ليؤكد ريادته في شتى المجالات ليقوم بتلبية احتياجات عملائه على النطاق العالمي، لذا أنشأ فرعي البحرين وبيروت بالإضافة الى مكاتب التمثيل الدولية في كل من لندن، فرانكفورت، سنغافوره ، سيول، وطوكيو.

النهضة النسائية المصرفية:

نظرا للدور الحضاري الذي يتولاه الأهلي التجاري ولبعد فكر الإدارة للبنك فقد أنشأ الأهلي التجاري (١٥) فرعا نسائيا متحسسا النهضة الاقتصادية للشريحة النسائية في المجتمع وتنامي دورها في خدمة الاقتصاد الوطني.

وختاما:

بهذا يؤكد البنك الأهلى التجاري أن المال والثقافة صنوان متلازمان لا ينهض أحدهما الا بنهضة الآخر.. فإن نهضت الثقافة والمعرفة تنهض الحياة.

هذا هو البنك الأهلي التجاري في جانب من الجوانب التي لم ينتبه اليها غيره.. وهو الجانب المتعلق بالحركة الثقافية والفكرية والعلمية والفنية والاجتماعية.

وننتظر أن نرى رأى المثقفين السعوديين فيما يقوم به الأهلي التجاري من دور مشهود في خدمة المجتمع.

الأهلي التجاري خيار لا غنى عنه



اللغة العربية وحضارة العصر

بقلم : عبدالله بن حمد الحقيل

اللغة العربية لسان القرآن الكريم، ونزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وسلم) باللسان العربي، فهي وسيلة الثقافة والتعبير تصلنا بتاريخ أسلافنا وتراث أمتنا.

وتزخر المكتبة العربية بفيض هائل، وآثار لغوية متنوعة، وتراث ثقافي ضخم يحق لنا أن نفاخر به، وأن نضاهي الأمم بوجوده، فقد وهب أسلافنا - رحمهم الله - أنفسهم للغتهم، ووقفوا عليها حياتهم، وبذلوا في جمع اللغة وتدوينها وإقامة بنائها مبلغاً عظيماً، وحينما يلقي المرء نظرة على بعض كتب اللغة ومراجعها يستبد به العجب، وتأخذه الدهشة. وكل كتاب من تلك الكتب له أجزاء كثيرة، يحتوي كل جزء أوفى الصفحات، ولعل من أشهر كتب اللغة - ولست بسبيل حصرها وتعدادها، وإنما على سبيل المثال «تاج العروس، والأغاني، ولسان العرب، والمفصل، والكشاف لسيبويه»، وغير ذلك من أمهات الكتب اللغوية والأدبية والبلاغية والنحوية ومع هذا نرى ونقرأ في بعض الأحيان من يقول: إن اللغة العربية قاصرة ولا تستوعب مسميات وألفاظ الحضارة، ومستحدثات التكنولوجيا، وغير ذلك. وما عرف أولئك أن اللغة العربية تحوي من القواعد والنصوص والأحكام والاشتقاق مالا تحويه لغة أخرى، ومن يستعرض كتاب «تاج العروس» مثلا، وهو عشرة أجزاء في طبعته القديمة يحوي الجزء أكثر من أربعمائة صفحة. فقد تضمن هذا الكتاب من أصول اللغة ومواردها وفروعها ووسائلها مالا يوجد في كثير من اللغات الأخرى. و«كتاب المخصص» لابن سيدة، وهو عالم جليل فاقد لبصره، وقد ألف كتابه في سبعة عشر جزءاً تحوي مسائل اللغة وفروعها وقواعدها وخصائصها ومرونتها وتفاعلها مع التطور والتجديد.

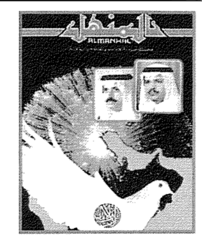
وما أصدق قول القائل:

لغة أودع في أصدافها
من قوانين الهدى أبهى درر
لغة تهصر من أغصانها
زهر آداب وأخلاق غرر
ضاق طوق الحصر عن بسطتها
ولآلىء البحر ليست تنحصر
فاض من نهر مبانيها على
فصحاء العرب سيل منهمر

والمقام لا يسمح لي بالاستطراد في هذا المجال، وما بذله علماؤنا السابقون من وفاء للغتهم وجهاد في ميادينها فقد اشتغلوا بالدراسات اللغوية، وتركوا لنا ثمار جهودهم السخية مناراً على الطريق، وبقيت آثارهم تدل على اخلاصهم للغتهم، ومازالت منارة تستضيء بها الأجيال العربية، وينبغي علينا اليوم أن نحافظ عليها، وأن نقتفي آثارهم في العطاء والصبر والتضحية، بدلا من أن نتراخى ونتهاون في مواجهة الغزو الشرس للغتنا وتقويض بنيانها، بل نعمل على اتخاذ الوسائل لصيانتها، وتعريب الكلمات والألفاظ التي تتسرب إلينا اليوم بشكل هائل، ونسمع من يقول: لا داعي لتعريب ألفاظ الحضارة فإن ذلك يذهب جمال مسمياتها، ورحم الله الإمام الشافعي حيث يقول: «لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً، والعلم باللغة عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه».

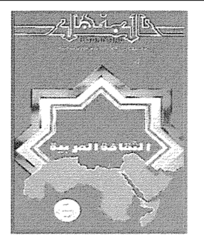
وبعد: فإن التشكيك في تراثنا اللغوي والأدبي وإلى اصطناع العامية من الأمور التي ينبغي أن نتصدى لها بالحزم والقوة والمنطق والبيان الرفيع، فقد نقل أسلافنا من الفارسية والرومية والحبشية والهندية وغيرها كلمات كثيرة، وقاموا بتعريبها، ولقد عرّف الأقدمون التعريب بأنه اللفظ الأعجمي الذي أدخلته العرب في لغتها وصقلته على مناهجها وأوزانها، وتناولته بالاشتقاق، ونحن اليوم نواجه الكثير من الكلمات التي بقيت سنين طويلة دون أن نعربها، وزحمتنا المصطلحات والمسميات الحديثة دون الإسراع في تعريبها.

إننا في حاجة إلى مجموعة من علماء اللغة ممن يمتازون بسداد الرأي والنظرة الثاقبة والإدراك اللغوي للعمل على مواجهة الغزو والتطور المستمرين، وتنمية اللغة العربية وتهيئتها لمواجهة ذلك، وتعريب الألفاظ والمصطلحات المختلفة في شتى ميادين العلوم والحياة إذ لا مناص لنا من ذلك، واختيار الألفاظ العربية الملائمة لذلك مما يواجهنا في وجودنا الحاضر، وإن وضع معاجم باللغة العربية للعلوم والطب والكيمياء والطبيعة والنبات، وعمل تحقيقات لغوية للألفاظ العلمية المتنوعة سوف يساعد على الرقي بلغتنا علمياً وثقافياً. ولقد قيل: «إن إضاعة اللسان تعني إضاعة الذات».



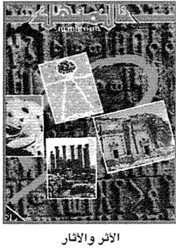
الأمن والأمان

شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م



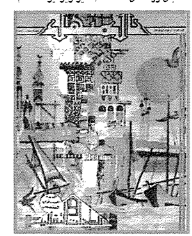
الثقافة العربية

شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م



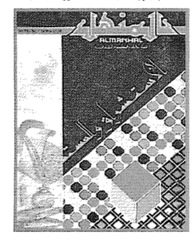
الأثر والآثار

رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م



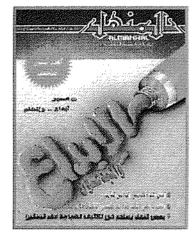
العادات والتقاليد

رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٨ م



الاستشراق والمستشرقون

رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩ م



الابداع والبدعون

شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري

شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ . ابريل ومايو ١٩٩٢ م



اللغة العربية .. أفاق مستقبلية

شوال ودو القعدة ١٤١٣هـ ابريل ومايو ١٩٩٣ م



النقد والنقاد

شوال ودو القعدة ١٤١٦هـ فبراير ومارس ١٩٩٦ م

من اعدادنا السنوية المتخصصة

فرّامة المُلوخيّة الجديدة من مولينكس

لسنواتٍ عديدة ظلّت ربّة المنزل تعاني داخل المطبخ من فرم الملوخيّة بالطريقة التقليديّة من أجل أن تقدّم طبق العائلة المفضّل. وفي كلّ مرّة حاولت فيها فرم الملوخية بآلة جديدة لم تحصل على النتيجة أو المذاق اللذيذ الذي كانت تريده.

أمّا اليوم فقد ابتكرت مولينكس فرامة المُلوخيّة خصّيصًا لذلك. فهذه الفرامة الصّغيرة البارعة تفرم المُلوخيّة بطريقتك المفضّلة محافظة على عناصرها الطبيعيّة، خلال ثوانٍ وبمجرّد لمسة زر فقط.

والنتيجة، طبق ملوخية م.م.م مثالي لا تقدّمه لك آلة أخرى لأن: مولينكس تسعى دائماً لراحتك سيّدتي...

Minipro

Moulinex

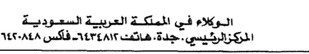
كُل م-م-م وراها...

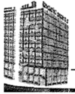
مولينكس®

Moulinex®









الفروع ومراكز الصيانة. الرياض ٤٧٨٨٦٠٥ ـ الدمام ٨٩٩٩٨٤٠ ـ المدينة المنورة ٨٢٢١١٢٥ ـ خميس مشيط ٢٢٣٢٦٤٥ ـ تبوك ٤٢١١١٨٣ ـ الطائف ٧٣٦٦٢٢٩ مكة المكرمة ـ بريدة



مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٤٦) المجلد (٥٩) العام [٦٣] رمضان ـ ١٤١٨ هـ ـ ديسمبر ١٩٩٧م / يناير ١٩٩٨م

التمويه عند الكائنات الحية

الإيقاع الرمضاني .. وإيقاع الميلاتونين

مع القرآن في شهر القرآن

رمضان شهر الله الكريم

الغربة والضياع عند المفكر المعاصر

شخصية البطل في الرواية العربية

سر الزجاجة

الاسلام وحقوق المرأة

التدخين .. الموت البطيء



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا المنهل فاكس. ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض ص.ب ٢٩٠ ت. ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

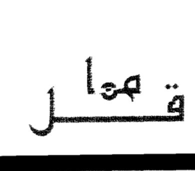
السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت. ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

المنهل





أهلا يا شهر رمضان

ان بركتك - يا شهر رمضان - بركة شاملة كاملة ونامية مستفيضة .. تشمل في اطارها النوراني، الجسوم والأرواح والأفكار..

فيك أنزل القرآن المجيد هدى ورحمة.. ويصومك المسلمون في سائر انحاء المعمورة.. شهرا كاملا، بين اثنى عشر شهرا التى هي كامل السنة.

واذا صاموك، زكت أراوحهم، وقويت عزائمهم، على فعل الخير، فسهل عليهم اسداء المعروف، واغاثة الملهوف.

في ايامك الحلوة المشرقة، ولياليك الزاهرة الباسمة، تتآلف النفوس المتنافرة، وتبعد عن لوثة الحيوانية، بعامل صيامك الذي به تتقرب الى ربها الكريم، بطاعته. في صيامك وقيامك .. والصيام طاعة جليلة وجميلة وخالصة بين العبد وربه: (الصيام لي وأنا أجزى به).

وفيك يا شهر رمضان، تصفد الشياطين، فتنطلق اسراب النفوس المتحررة عن أسر الشهوات الى رياض الاصلاح والاستقامة والسمو والاشراق..

وصيامك القويم هو أن يصوم المؤمن بياض نهارك، متعبدا بتلاوة الذكر الحكيم، وبمذاكرة العلم، وبأداء واجباته الدينية والاجتماعية والانسانية في اخلاص عميق، فاذا أقبل ليلك عليه.. أفطر افطارا خفيفا هينا، لا يجشم جهازه الهضمي عناءا، ولا يثقل جسمه، ولا يعوقه عن النشاط الحميد في عبادة، وفي صلاة، وفي قيام ليل.

وإذا حان وقت سحوره تسحر كذلك سحورا خفيفا لطيفا يقيم أوده، ولا يكرب معدته طيلة النهار.

هذا من الناحية الخاصة لصائمك يا شهر الصيام.. اما من الناحية العامة بالنسبة للصائم.. فإن عليه يا شهر الصيام أن يصوم عن الخنا، وأن يصوم عن المعاصي، ما ظهر منها وما بطن وعليه أن يصوم عن الحقد والبغضاء. فتكون نفسه سمحة لطيفة شفيفة وتنبض بالشفقة والحنان والمحبة والصفاء والوفاء وسائر الاخلاق الكريمة.

وفق الله مسلمي العالم لصيامك وقيامك، وأعادك اليهم، وأعادهم اليك بالخير والبركات في عزة قعساء، ومجد أثيل، وسعادة وارفة الظلال.. وأسبغ عليهم نعمة التوائم والتضام والتآزر في سبيل الله تعالى، قولا وعملا، حتى يستعيدوا بأقرب فرصة «حرمنا الثالث».. و«أولى القبلتين»: (بيت المقدس) من أيدى الصهاينة، ويستعيدوا معه سائر أجزاء فلسطين. مع كل ما احتله هؤلاء البغاة الآثمة من بلاد العرب والمسلمين.. وحتى يستعيد المسلمون أيضا جميع ما تبقى بين براثن الاستعمار من بلادهم العزيزة في شرق وفي غرب. وفي شمال وجنوب.

«عبدالقدوس الأنصار

رمضان ١٣٨٧هـ/ ديسمبر ٦٧.

تهنئة

تتشرف دارة مجلة المنهل للصحافة والنشر المحدودة ومنسوبوها برفع أسمى آيات التهاني ، وأجمل عبارات الأماني، بمناسبة شهر رمضان المبارك إلى مقام :

خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي
الامير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وبهذه المناسبة العزيزة نبتهل إلى الله أن يحفظ لبلادنا الغالية دينها وعزها وأمنها فى ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين ورعاية حكومته الرشيدة.

وأن تعود هذه الذكرى العاطرة عاما بعد عام وبلادنا في تقدم وازدهار.

وكل عام وأنتم بخير

اشارة

• تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.


المطبع طابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر – جدة
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ – فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦

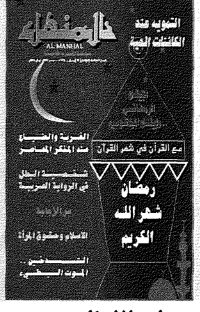
صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د / عبدالرحمن الأنصاري

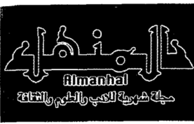
نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد



العدد: (٥٤٦)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)



لقد أظلنا شهر كريم مبارك، شهر الخير والبر والرحمة.. شهر فيه من خصال الخير ما نحن في حاجة ماسة إلى التمسك بأهدابها في زماننا اللاهث اللاهب هذا.. نحن اليوم في زمان قائظ النهار، في قلب صحراء قاحلة.. يبحث الواحد منًا عن شجرة ظليلة يرتمي فى ظلها جزءاً من نهار.

حياة الكثير منًا لا تبعد عن هذا النهار القائظ الحارق.. «في الأخلاق والسلوك، في الأخذ والعطاء، في الود والتراحم».. كل هذا تحكمت في مقاييسه ومعاييره أنماط من الحياة جديدة، هي للأنانية أقرب منها للإيثار، وللتفرق أقرب منها للتوحد.

لعل من حكمة هذا الشهر المبارك الكريم، أن يكون وقفة للرجعى، وقفة للتبصر، وقفة لمراجعة النفس.. وفي النهاية، وقفة للتوجه نحو طريق التزكية.. تزكية النفس.. غسلها من عوالق الباطل وظن السوء.

لقد تشعبت بنا السبل في هذه الحياة.. وإنًا لنخشى على أنفسنا من الضياع في مجاهلها.. وما أضرّ على الانسان، ولا أفتك به من نفسه التي بين جنبيه حين ينفلت قيادها..

ومن رحمة الله بعباده ان يضع لهم محطات توقف في الطريق.. وهذا الشهر الكريم أحد أهم هذه الوقفات.. وسعيد كل السعادة من استظل به.

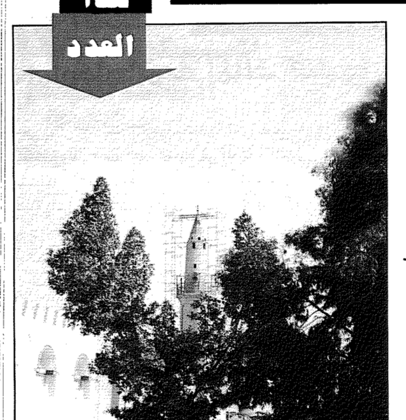
ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم.. وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

رئيس التحرير

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

في هذا العدد



فهرس العدد ٥٤٦ ـ المجلد: ٥٩ ـ العام: ٦٣

الفهرس

أقلام

د. عثمان أوغلي
د. محمد رشاد
د. طاهر تونسي
د. عبد الله المغامري
د.مصطفى رجب

الاستاذ/ حمد التوزاني
د. يوسف عز الدين
د. محمد عبد العزيز الحلواني
د. فوزي الفيشاوي
د. صلاح بهنسي

أول الغيث
في اكاديمية الملك فهد

في إطار الأنشطة الثقافية والفكرية التي تقوم بها أكاديمية الملك فهد الاسلامية في (بون) بألمانيا، استضافت الأكاديمية البروفيسوره، والمستشرقة الألمانية (أني ماري شيمل) في محاضرة عن (نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه مريم البتول في الاسلام).

حيث أوردت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التى تحدثت عن السيد المسيح منذ حمل أمه به وولادته ورسالته.

وأثبتت بالأدلة النقلية والعقلية أنه رسول من عند الله تعالى، وأنه ليس ابن الله كما يزعم النصارى.. بل هو بشر رسول. والمستشرقة (آن ماري شيمل) لها دراساتها وبحوثها ونشاطاتها المتعددة في مجال الدراسات الإسلامية.. وهي من المستشرقين المنصفين في مجال الدراسات الاسلامية.

وحضر هذه المحاضرة جمهرة من الشخصيات السياسية الدبلوماسية والثقافية، وكانت المحاضرة برعاية الأستاذ عباس فايق غزاوي سفير خادم الحرمين الشريفين في المانيا ورئيس مجلس أمناء الاكاديمية.

جائزة خدمة الجاليات العربية في أمريكا للأكاديمية الإسلامية السعودية في واشنطن

حازت الاكاديمية الإسلامية السعودية في واشنطن على جائزة (خدمة الجاليات العربية) في الولايات المتحدة الأمريكية تقديرا لدورها الرائد في المجال التعليمي، وجاء فوز الأكاديمية الإسلامية السعودية بهذه الجائزة نتيجة للاستطلاع الذي اجرته الشبكة السعودية للإذاعة والتلفزيون وأعلنت نتائجه خلال احتفال الشبكة العربية السنوي الأول بمهرجان «أنا العربي» الذي أقيم في واشنطن الماضي وتضمنت فعاليات المهرجان العديد من النشاطات الثقافية والفنية والمعارض التي شاركت فيها سفارات الدول العربية والمنظمات المعنية بشؤون الجالية العربية في الولايات المتحدة.

كما عقدت في إطار المهرجان ثلاث ندوات عامة تم خلالها مناقشة المواضيع الاجتماعية والاقتصادية التي تهم الجالية العربية في سياق السعي نحو تعزيز دورها في المجتمع الأمريكي.

وتسلم الجائزة خلال الاحتفال بهذه المناسبة الدكتور/ سعد العدواني مدير عام الأكاديمية الذي اعرب عن مشاعر العرفان والتقدير لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز للدعم الذي تجده الاكاديمية كما نوه بالمستوى المرموق الذي بلغته الاكاديمية برعاية رئيس مجلس أمنائها صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن سلطان بن عبد العزيز سفير خادم الحرمين الشريفين لدى الولايات المتحدة الأمريكية.

ندوة تحديات القرن الحادي والعشرين

رابطة الجامعات الإسلامية التي تأسست في عام ١٩٦٩م وتضم في عضويتها خمسة عشر جامعة في انحاء العالم، ويرأس مجلسها التنفيذي الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، وزير الشئون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية.

هذه الرابطة تعنى بأمور الجامعات الاسلامية والحركة التعليمية والعلمية فيها، كما تعنى بالكثير من القضايا العلمية والفكرية والاجتماعية للمجتمعات المسلمة وما يقابلها ويواجهها من تحديات.

ومن اعمال هذه الرابطة لهذا العام في اجتماع مجلسها التنفيذي في مدينة العين في الامارات العربية المتحدة، الندوة التي عقدتها بعنوان (التحديات التى تواجه العالم الاسلامي في القرن الحادي والعشرين) وهذه الندوة اتخذت ثلاثة محاور أساسية هي:

١ ـ الواقع التربوي المعاصر في مختلف مراحل التعليم وانواعه في العالم الاسلامي.

٢ ـ التحديات التى يمكن ان يواجهها العالم الاسلامي في القرن القادم.

٣ ـ مهمات الجامعات الاسلامية في مواجهة هذه التحديات.

ولهذا الغرض تشكلت مجموعة من لجان العمل لتغطية دراسات الجوانب الفكرية والتقنية، والاعلامية والاجتماعية، والاقتصادية، والحضارية والتربوية.

الايسيسكو.. والصياغة الجديدة للمجتمع

في مدينة الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية، وفي الشهر الفائت انعقدت اعمال المؤتمر العام للمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الايسيسكو) بكلمة افتتاحية من صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز امير منطقة الرياض، وجاء هذا المؤتمر برئاسة الدكتور خالد بن محمد العنقري وزير التعليم العالي في المملكة العربية السعودية.

وجاء في كلمته (ان اعداد الانسان المسلم المعاصر، تربية وعلماً وثقافة هو عمل طموح يستدعي جهداً كبيراً متواصلا وامكانات معنوية ومادية لصون الرسالة الحضارية للأمة الاسلامية التى تتوارثها الاجيال).

أما الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للايسيسكو فقد ركز في كلمته على (ان الضغوط الدولية السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية تدعو الامة الاسلامية الى التلاؤم مع متغيرات العصر من دون ان تتخلى عن خصائصها الحضارية او تتنازل عن حق من حقوقها، وعلى الامة الاسلامية أن تكون في موقع العمل الجاد والعطاء، لا في موقع الاستجداء، والامة لن تبلغ ذلك إلا إذا أولت اهتماماً كبيراً لتطوير التعليم والنهوض بمستوياته ولتحديث العلوم والتبحر فيها.

دعا المؤتمر الى الاهتمام بالعلوم التقنية والصناعية والأخذ بها.

كما دعا إلى الدعم التعليمي في كل من فلسطين واذربيجان والصومال والبوسنة والهرسك.

الفكر العربي المعاصر.. تقييم واستشراف:

مهرجان وجائزة القرين، من المهرجانات الثقافية والادبية والفكرية الفاعلة على مستوى العالم العربي.. وذلك لاسلوبه المميز في اطروحاته السنوية، وللحضور العربي المكثف - ادبياً وثقافياً وفكرياً - على مستوى كل اقطار عالمنا العربي الكبير.

في الشهر الفائت كانت اعمال وفعاليات القرين الثقافي الرابع، وكانت لياليه مشهودة بحضور فكري جعل من لياليه إضاءات فكرية وأدبية وفنية، وتلازم القرين مع المعرض الثاني والعشرين للكتاب في دولة الكويت.

وبالتزامن مع هذا المعرض أيضاً افتتحت ندوة (الفكر العربي المعاصر، تقييم واستشراف).

لا شك ان مثل هذه المهرجانات الثقافية والأدبية والمعرفية على مستوى عالمنا العربي هي بالمقابل اثبات لهوية ثقافتنا، وعطاءاتنا الفكرية والعلمية والتراثية.

خصائص الثقافة السودانية

ضمن فعاليات المهرجان الأدبي الرابع، التى أقيمت في معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية التابع لجامعة الخرطوم، في السودان، ضمن هذه الفعاليات انعقدت ندوتان تناولتا (قضايا الثقافة في السودان)، وشارك في اعمال وفعاليات الندوتين مجموعة من الاساتذة المهتمين بقضية الثقافة السودانية ومنهم الدكتور/ احمد الطيب زين العابدين، الدكتورة/ انتصار الزين صغيرون، الدكتور/ بركات موسى، الدكتور/ عون الشريف قاسم، والدكتور/ شرف الدين الامين.

السودان بلد واسع الأنحاء، مترامي الاطراف، تقطنه مجموعات سكانية، تختلف وتأتلف في عطاءاتها الثقافية والفكرية والتراثية.. كما تختلف المجموعات السكانية في لهجاتها ولغات التخاطب عندها.. لهذا فإن التكوين الثقافي في السودان يمثل مرتكز دراسات عميقة دائما.

الارشاد الدولي
«الإرشاد النفسي والمجال التربوي»..

هذا المحور كان عنوان المؤتمر الدولي الرابع لمركز الارشاد النفسي، الذي عقد في القاهرة في الشهر الفائت وحضر هذا المؤتمر جمهرة من علماء النفس والاجتماع، وعلماء الدراسات الاستراتيجية من مختلف دول العالم.

وكان الحضور العربي في هذا المؤتمر متميزاً، وركز المؤتمر على أهمية الارشاد التربوي كمجال من اهم مجالات الارشاد النفسي، نظراً لاسهامه في مساعدة التلاميذ والطلاب في رسم الخطط التربوية التى تتلاءم مع قدراتهم وميولهم وأهدافهم، وهذا المنهج ايضا له اهميته في تشخيص وعلاج المشكلات التربوية.

هذا إضافة الى اهمية هذه الدراسات التربوية والاجتماعية - والميدانية منها بخاصة - في ضبط وتوجيه حركة المجتمع والمساعدة على تنميته في مجالاته المتنوعة.

ندوة (الامام البخاري)

في المغرب العربي، وفي مدينة فاس اقامت جمعية الامام البخاري بالتعاون مع مؤسسة ابن سودة الثقافية الندوة السنوية الرابعة، وكان محور الندوة (العطاء الحضاري للإسلام) شارك في اعمال هذه الندوة الكبرى جمهرة من العلماء والدارسين والباحثين، وتناولت الندوة مجموعة من نقاط التوجه الحضاري للتشريع الاسلامي وخلصت الندوة الى مجموعة من التوصيات منها:

١ ـ في مجال نظام الحكم:

ـ دعوة المسؤولين وأولياء أمور المسلمين الى اعتماد الشريعة الاسلامية واستمداد الاصول الاسلامية، في وضع الدساتير وسائر القوانين التي تطبق في المجتمعات الاسلامية، ومراجعة القوانين الحالية على هدي الكتاب والسنة النبوية، حتى تكون متفقة مع روح التشريع الاسلامي، وأهدافه ومقاصده.

ـ حث أولياء الامور على اعتماد نظام الشورى الاسلامي منهجا لحكم الشعوب الاسلامية، باعتباره يعتمد على أهل الحل والعقد، ويحقق الاستقرار والوحدة، والامن للمجتمعات الاسلامية.

ـ الدعوة الى اعتبار شروط الولاية الشرعية، من علم وكفاءة واستقامة، في اختيار المسؤولين وتعيينهم.

٢ ـ في مجال شؤون المرأة:

ـ الدعوة الى الاهتمام بالمرأة ، واحلالها المكانة الاجتماعية اللائقة بها، وتمكينها من كافة حقوقها وفق ما تقتضيه الشريعة الاسلامية وترشيدها الى اداء واجباتها لتستعيد مركزها الى جانب شقيقها الرجل، ولتشارك في بناء المجتمع وتنميته، ورقيه واستقراره.

ـ العمل على تمكين المرأة المسلمة من المشاركة في مؤسسات الدولة، واسهامها في تنمية مرافقها، وبناء المجتمع بجانب شقيقها الرجل.

٣ ـ في مجال الحسبة:

ـ تدعيم نظام الحسبة بما يمكنها من القيام بدورها في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وفق ما خطته الشريعة الاسلامية، وتعديل القوانين التى تنظمها، حتى لا تبقى نظاما صوريا، وتتمكن من تحقيق استقرار المجتمع وتنظيمه وتنقيته من العادات الغربية والشوائب الدخيلة عليه.

ـ توخي توفر شروط الكفاءة والعلوم والاستقامة، في اختيار المحتسب، باعتبار الحسبة ولاية شرعية كبقية الولايات، التي تتطلب توفر الشروط في متوليها.

هذا بالاضافة الى توصيات عامة منها:

ـ دعوة المجتمعات الاسلامية الى تدعيم التضامن الاسلامي بينها، وتوسيع نطاق العلاقات لتحقيق تنمية شاملة، من خلال المشاركة الجماعية، والنهوض بالمستوى العام للمعرفة، والوعي في العالم الاسلامي.

ـ العمل على تقديم صورة حقيقية وأصيلة عن الاسلام بمختلف قيمه ومعالمه، لتصحيح تصور غير المسلمين لحقيقة ديننا الحنيف.

ـ الدعوة الى تأسيس مركز بحوث علوم الحضارة الاسلامية، يقنن عناصرها وقيمها ومعالمها، كما جاءت بها الشريعة الاسلامية، من خلال العطاء الحضاري للأمة الاسلامية، منذ الرسول عليه الصلاة والسلام الى الآن.

إعـــــلام

الارسال الفضائي على قدر أهميته وماله من ايجابيات فإن له من السلبيات ما يؤدي الى تدمير الاخلاق الفاضلة، والسلوك الكريم، وبخاصة في شباب العرب والمسلمين.

وبعض الفضائيات العربية أصبحت تشكل خطراً فكرياً وخلقياً على المشاهدين.

ومحاولة لدراسة هذا الخطر الماثل، وعلاجه حتى لا تزداد رقعته فقد عقد المجلس الاسلامي العالمي في القاهرة مؤتمراً لهذا الغرض. أدان فيه هذا الانفلات غير الاخلاقي لبعض الفضائيات العربية، وارسل للقائمين بالأمر فيها رسائل بهذا الخصوص، بغرض ضبط التوجه.

ولا يخفى على ذي بصيرة هذا الخطر المحدق بأبناء وشباب الامة الاسلامية من هذه الفضائيات غير الملتزمة بقيود الاخلاق الكريمة.. وهذا يحتم على الاسر العربية والاسلامية بخاصة أن تراعي الله سبحانه في ابنائها وشبابها.

جوائز علمية

دعوة ترشيح لجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج في مجال البحوث التربوية للدورة المالية ١٤١٨ - ١٤١٩هـ:

انطلاقاً من مهام مكتب التربية العربي لدول الخليج والمتمثلة في خدمة الأهداف التربوية والعلمية والثقافية في نطاق الدول الأعضاء بالمكتب وتطويرها، وتشجيعا للعمل البحثي والإنتاج العلمي في المجال التربوي، واثراء للحركة الفكرية، ورعاية الإبداع والمبدعين من أبناء المنطقة، وتقديرهم مادياً ومعنوياً، وحفزاً للباحثين على إنتاج أعمال متميزة تخدم التربية.

يسر مكتب التربية العربي لدول الخليج أن يعلن عن جائزة المكتب للإنتاج العلمي في مجال البحوث التربوية، وفقا لما يلي:

أولا: شروط التقدم للجائزة:

١ - أن يكون المرشح من مواطني الدول الأعضاء بالمكتب.

٢ - ألا يكون المرشح قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم، أو حصل به على شهادة علمية (ماجستير/ دكتوراه).

٣ - يمكن قبول العمل المشترك من قبل المؤلفين أنفسهم إذا كانوا من مواطني الدول الأعضاء.

٤ - يقبل تقديم البحث للمكتب مباشرة من قبل المؤلف نفسه، أو بترشيح من إحدى المؤسسات العلمية.

٥ - أن يكون البحث المقدم يمثل نظرية تعليمية تربوية، أو مساهمة مبتكرة في مجال البحث التربوي، أو يكون تحقيقاً علمياً مكتوباً باللغة العربية الفصحى لأحد مصادر التراث التربوي العربي الإسلامي.

٦ - في حالة تقديم بحث منشور بغير اللغة العربية

تعقيب

طه حسين مرة أخرى

السيد الأستاذ/ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل الغراء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أرسل لسيادتكم هذا المقال القصير عن - طه حسين - وتبعيته للمستشرقين. لعله ينال اعجابكم وينشر .. والله ولي التوفيق.

طالعت بشغف ما كتبه المفكر الاسلامي الكبير - أنور الجندى بالمنهل العدد ٥٤٤ عدد جمادى الآخرة ورجب ١٤١٨هـ في باب - الرأى والرأي الآخر تحت عنوان - طه حسين مرة أخرى - ولقد أثار الكاتب الكبير قضية هامة جديرة بالمناقشة.

فالدكتور طه حسين من أوائل تلاميذ المستشرقين في تاريخنا الأدبي المعاصر. لذا أفرط في الثقة بهم والاعتماد عليهم. والثناء المطلق على جهودهم. حيث نراه يقول في مقدمة كتابه «الأدب الجاهلى»: وكيف تتصور أستاذا للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه الفرنج «المستشرقون» من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة: وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس ولابد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا ونطير بأجنحتنا ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا..

ولا ريب في أن هذا يمثل دورا من ادوار التبعية الفكرية التى مررنا بها فى مطلع هذا القرن ومن نتائجها كتاب «الأدب الجاهلى» الذى كان ترديدا مخلصا لأراء غلاة المستشرقين المتعصبين ضد

يجب أن يرفق معه مستخلص باللغة العربية.

٧ - أن يكون البحث المقدم ملتزماً بالمنهج العلمي.

٨ - أن يكون البحث المقدم منشوراً وفق قواعد النشر العلمي وأصوله أو مقبولا للنشر بتأكيد من مؤسسة أو هيئة علمية معترف بها، ويمكن قبول الأعمال غير المنشورة إذا حظيت بتزكية من مؤسسة أو هيئة علمية متخصصة في مجال العمل المقدم.

٩ - يمكن قبول البحوث المترجمة المتميزة التي تخدم الثقافة والتربية والتعليم في منطقة الخليج العربية مع تقديم دراسة تحليلية وتقويمية للعمل ومدى الاستفادة منه في دول المنطقة، ولم تتجاوز طبعته الأولى في لغته الأصلية خمس سنوات من نشر الإعلان.

ثانيا: اجراءات التقديم:

أن تكون طلبات الترشيح مصحوبة بما يلي:

- عشر نسخ من البحث المرشح للجائزة، ولا يعاد البحث سواء أفاز المرشح أم لم يفز، وبالنسبة للمترجم فيرفق نسخة من الأصل المترجم عنه.

- بيان تفصيلي عن حياة المرشح العلمية والشخصية ومؤلفاته المنشورة.

- ثلاث صور فوتوغرافية للمرشح.

- العنوان البريدي للمرشح ورقم هاتفه.

- توجه طلبات الترشيح إلى:

المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج ص.ب (٩٤٦٩٣)، الرياض (١١٦١٤) المملكة العربية السعودية.

على أن تصل طلبات الترشيح إلى المكتب في موعد لا يتجاوز يوم الأربعاء ١٤١٨/١٢/٤هـ. الموافق ١٩٩٨/٤/١م.

وقد أسند المكتب مسؤولية اختيار الفائزين الى لجنة من علماء ومفكري المنطقة، تقوم بدراسة الأعمال المقدمة ودراسة آراء المختصين في موضوعاتها، وتمنح جائزة المكتب وقدرها (١٠٠،٠٠٠) مائة ألف ريال سعودي وشهادة منح الجائزة للعمل الفائز، ويمكن منح الجائزة مناصفة لعملين فائزين.. والله الموفق

العروبة والإسلام أمثال «مرجليوث»..

لقد عشق طه حسين كل ما هو غربي، تأثر به وأحبه وطغى هذا الحب على عروبته ومذاهبه العربية.. هذا ما ظهر جليا في اعتناقه مذهب الشك ومحاولة تطبيق هذا المذهب على تاريخ الأدب العربي خاصة الأدب الجاهلي.

أما كتابه الآخر - مستقبل الثقافة في مصر - الذى أصدره سنة ١٩٣٨م فهو فى رأينا أشد خطراً من الأدب الجاهلى - فبهذا الكتاب حاول طه حسين أن يخلع مصر من إسلاميتها وادعى أن صلة مصر بالإسلام طارئة لا تتعدى مجرد الشعور الدينى - وقال - «إذن يجب على الأزهر أن يبارك النموذج الأوروبي وأن يجعل الدين في خدمة النموذج الأوروبي وليس من الخير أن يكون الأزهر حربا على الحياة الحديثة فإن هذه الحرب لا تجدى ولا تفيد» ص ٤٣٦ كما يذكر في موضع آخر.

أرى أن دعوة الخديوى اسماعيل إلى أن تكون مصر قطعة من أوروبا ليست فنا من التمدح أو لونا من الوان المفاخرة. وإنما كانت مصر دائما جزءا من أوروبا في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها ص٣٥.

وبعد، فقد خرج علينا البعض ممن ناصروا العميد في آرائه، والبعض الآخر أعلنوا أنه تنصل من آرائه التى جاءت في بعض كتبه ولم يسعفه القدر حتى يسجلها في كتاب. لكن بقي طه حسين أول هؤلاء الذين تجرؤا في خفية ظاهرة على الدين تحت ستار البحث وإعمال العقل في مسائل قل أن يعمل فيها هذا المذهب الشكاك.

صلاح عبد الستار محمد الشهاوي

- مصر -

المنهل:

مهما يكن اختلافنا الفكري والعلمي مع الدكتور طه حسين، إلا انه تبقى له ريادته، ويبقى له تفرده وأستاذيته في مجاله الأدبي، وعلى المفكرين شكره فيما أحسن فيه، وتجلية ودحض ما أساء فيه.

كتب واصدارات:

الصحراء العربية

الملاحق

الويس موسيل

** (الصحراء العربية - الملاحق) من تأليف الرحالة النمساوي الويسي موسيل وترجمة مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، وقام بمراجعة الترجمة الكاملة للكتاب وإعداد هوامش بالتعليقات والشروحات الضرورية الدكتور/ عبد العزيز بن سعود الغزي.

والكتاب يقع في (٢٥٠) صفحة من القطع المتوسط ويشتمل على ثمانية ملاحق بالاضافة الى ملحق خاص بتعليقات وشروحات وتوضيحات المراجع.

يبحث في الملحق الأول في قبائل شمال الجزيرة العربية في العهد الآشوري ويتعرض لحملات الأشوريين في الصحراء العربية ومنها حملة سرجون الثاني وحملة سنحريب.

وفي الملحق الثاني يتحدث المؤلف عن (بني قدم) الذين كانوا يشكلون قبائل اسماعيلية مبينا أنهم سكنوا عدة مناطق منها شرقي الأردن.

وفي الملحق الثالث يستعرض المؤلف بعض كتابات الكلاسيكيين حول الصحراء العربية وحدودها من أمثال (ايراتوستينيز) و(ديودوروس).

ويتناول المؤلف في الملحق الخامس كتابات المؤلفين العرب حول حدود الصحراء العربية من أمثال الشعبي والاصطخري. ويتطرق أيضا إلى طرق التجارة والنقل القديمة في الصحراء العربية.

أما في الملحق السادس فتطرق للطرق إبان القرون الوسطى والحديثة مشيرا الى أن الطرق في العصور الوسطى كانت تصل بين دمشق والمدينة والعراق وكانت تمر جميعها بواحة تيماء ووادي بطن السر (وادي السرحان)، أما في السنوات الأخيرة من العصر الأموي فكان العباسيون ينتقلون من الكوفة إلى مستوطنة (الحميمة) مرورا بصحراء السماوة ودومة الجندل.

ويفرد المؤلف ملحقه السابع للحديث عن تاريخ دومة الجندل.. وفي الملحق الثامن والأخير يتطرق المؤلف لمسيرة خالد بن الوليد من العراق الى سورية لنجدة المسلمين الذين كانوا يقاتلون هناك.. والكتاب في طبعته الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.



** «وشوم على جدار الوقت» ديوان شعر للدكتور/ ابراهيم بن محمد العواجي.

احتوى الديوان على مجموعة متنوعة من القصائد المختلفة الأغراض من بينها (مدي شراعك - رب قلب - رديف العشق - دعيني أخط الحروف - من تحت أنقاض القدس - أنا وأنت - بلاغة الصمت)، وغير ذلك من القصائد الأخرى الكثيرة.

والديوان يشتمل على ٩٦ صفحة من الحجم الوسط من اصدارات نادي الطائف الأدبي العام ١٤١٥هـ.



** «للجراح ريش وللرياح وكر» ديوان شعر للأستاذ/ حمد حميد الرشيدي وتقديم الدكتور الشاعر/ ابراهيم بن محمد العواجي.

والديوان يحتوي على ما يقارب الثلاثين قصيدة مختارة ومتنوعة الأغراض والمناسبات تدل على تجربة شعرية وانسانية وثقافية كبيرة لكاتبها في سياق لغوي جميل وصور بيانية عذبة.

والديوان ذو حجم وسط يشتمل على ٧٥ صفحة.

** «الاوراق التي سقطت سهواً» مجموعة قصصية متنوعة للأستاذة هيفاء رزق. اختصت منها مجموعة للأطفال منها (صندوق الدنيا - الابواب الموصدة - ستبتسم الحياة - هذه الحديقة أعادت إليّ الحياة - سؤالها الحائر - ساعة الحائط الذهبية - الحادثة).



والكاتبة عرضت احداث قصصها بأسلوب أقرب إلى الواقع مستمدة الأحداث من مجتمعها المحيط بها ومصورة أبطال قصصها من بيئتها التي تعيش فيها.

ومجموع القصص في كتيب من الحجم الصغير، طباعة دار مجلة الثقافة بدمشق.

** «آخر أحاديث العرافة» مجموعة قصص بقلم الأستاذة/ مريم جبر استوحت أحداثها من الواقع المحيط بها مما أثر تأثيرا كبيرا في البناء القصصي لديها.

(شيء ما - خطأ في العنوان - زيتونة - رؤى خريفية - الذئاب - اللعبة) هذه بعض عناوين القصص التى وردت في المجموعة القصصية.

والكتاب من الحجم الصغير طبعة دار الكندي - إربد - الأردن.

** «عاشق من جبال السروات» ديوان شعر للدكتور/ بهاء بن حسين عزي.

جاء الديوان في ثوبه البهي يحمل في طياته قصائد متنوعة الأغراض منها عن الحب والغزل ومنها أيضا عن الوطنية ومنها عن الخيل ومنها في الرثاء وما الى ذلك.

والديوان يحتوى على ٢٤٢ صفحة من الحجم الوسط ط. دار البلاد للطباعة والنشر بجدة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

عزيز ضياء .. في ذمة الله

ودعت المدينة المنورة يوم السبت ٦ شعبان ١٤١٨هـ الموافق ٦ ديسمبر ١٩٩٧م جثمان الفقيد الأديب الكبير الأستاذ/ عزيز ضياء - رحمه الله رحمة واسعة واحسن إليه في دار الخلود - حيث أدى المصلون الصلاة على الفقيد بعد العصر بالمسجد النبوي الشريف وقد دفن جثمان الفقيد في بقيع الغرقد بالمدينة المنورة.

وكان قد ولد الأديب عزيز ضياء في المدينة المنورة عام ١٣٣٢هـ ودرس في كتاتيب المدينة المنورة ثم في المدرسة الراقية الهاشمية ثم التحق بمدرسة الصحة.

وقد عمل كاتبا في الصحة، ثم عمل في الأمن العام، والدفاع والخطوط الجوية العربية السعودية، كما عمل في الأعمال الحرة، وأنشأ مؤسسة الشرق الأوسط للاعلان والثقافة والنشر بجدة.

وتولى ادارة مطابع مؤسسة الصحافة والطباعة والنشر بجدة، كما تولى رئاسة تحرير جريدة «عكاظ» في الفترة من ١٣٨١/١/١٨هـ حتى ١٣٨١/١٠/٢١هـ كما تولى رئاسة تحرير جريدة (المدينة المنورة).

والفقيد كان يساهم في تقديم برامج في اذاعة جدة وهو عضو في المجلس الاعلى للعلوم والفنون والآداب، وعضو مؤسس للنادي الادبي الثقافي بجدة، وساهم في بناء النهضة الأدبية في المملكة العربية السعودية في مجال القصة والشعر والمقالة، والفقيد كان من الأدباء البارزين الذين يجمعون بين قول الشعر، وكتابة النثر القصصي، والمقالات السياسية والأدبية وأغلب كتبه المطبوعة في مجال الترجمة من اللغة الانجليزية التي يجيدها بالاضافة الى الفرنسية والتركية.

ومن أعماله:

- حمزة شحاته: قمة عرفت ولم تكتشف ١٣٩٧هـ.
- عهد الصبا في البادية لاسحاق الدقس - ترجمة ١٤٠٠هـ.
- قصص من سومرست موم - تعريب قصص لسومرست موم ١٤٠١هـ.
- النجم الفريد - قصص مترجمة ١٤٠١هـ.
- جسور إلى القمة - تراجم ١٤٠٢هـ.
- تورتة الفراولة - تغريب قصص أطفال ١٤٠٣هـ.
- ماما زبيدة - قصص ١٤٠٤هـ.

رحم الله عزيز ضياء هذا الرجل الذي أفنى عمره في الكتابة واسهم من خلال ما يكتب في انارة العقل واضاءة الوجدان.. «وإنا لله وإنا إليه راجعون».

روائع إسلامية فسطاط جامع

قبل دخول العرب مصر كان البيزنطيون قد اتخذوا مركزا يتحكمون منه في شمال القطر وجنوبه وشيدوا فيه قلعة يتحصنون فيها ويتخذون منها مركزاً لتهديد أهل مصر كلها، وهى حصن بابليون أو قصر الشمع.

فتح العرب لمصر:

عندما دخل عمرو بن العاص مصر توجه رأساً إلى هذا الحصن باعتباره حصن مصر بأكملها. وأخذ عمرو يتقدم في طريقه دون مقاومة تذكر حتى وصل إلى قرية أم دنين حيث توقف ريثما يستجمع قواه ويأتيه المداد من المدينة المنورة. وموقع أم دنين الآن في قلب القاهرة عند جامع أولاد عنان بالقرب من محطة مصر.

وبعد وصول الإمدادات تقدم عمرو بن العاص إلى حصن بابليون حيث نصب الجيش فسطاطه أو خيامه علي مقربة منه وظل محاصراً له إلى أن استسلمت حامية الحصن ودخل الحصن في ٩ ابريل ٦٤١م.

وقد بقي حتى اليوم من آثار حصن بابليون بعض معالم في قصر الشمع، منها أجزاء من الأسوار ومن بروج بعض المداخل، وقد شيدت الكنيسة المعلقة فوق برج منها وكل هذه الأجزاء تقع الآن داخل مدينة القاهرة الحالية.

وبعد أن ترك عمرو حاميته في الحصن توجه إلى الأسكندرية وحاصرها وافتتحها عنوة.

تأسيس الفسطاط:

ولم يلبث عمرو بعد أن استقرت الأمور في الإسكندرية أن رجع إلى بابليون حيث اسس في سنة ٢١هـ (٦٤٢م) مدينة لتكون عاصمة لمصر: هي الفسطاط التي تعتبر بحق أصل القاهرة الحالية.

ويقال أن عمرو أراد أن يتخذ الإسكندرية مركزاً لحكمه وقال حين استولى عليها «مساكن قد كفيناها» غير أن الخليفة عمر بن الخطاب منعه من ذلك حتى لا يفصل بينه وبين المسلمين مما اضطر عمرو أن يؤسس مدينة جديدة عند بابليون وهي الفسطاط.

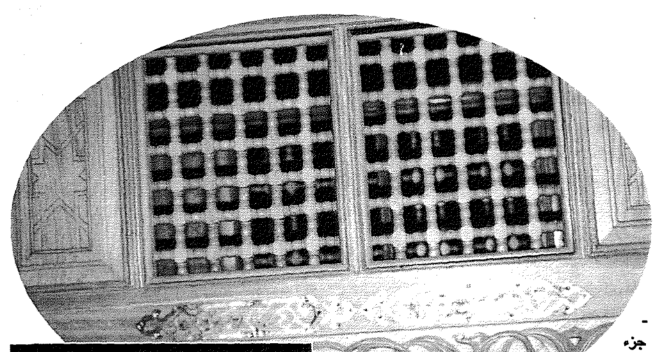
كما يقال ايضاً إن تأسيس مدينة الفسطاط كعاصمة كان أفضل من اتخاذ الإسكندرية وذلك إرضاء للمصريين الذين بَغَضُوه فيها باعتبارها ترمز إلى حكم الرومان واضطهادهم لهم. غير أن من الواضح إن موقع الفسطاط كعاصمة أنسب كثيراً من الإسكندرية من نواح أخرى كثيرة لا تخفى علي فطنة عمرو بن العاص الذى كان قد سبق له أن زار مصر من قبل للتجارة وألَّم بظروفها السياسية والاجتماعية والجغرافية.

إذ إنه بدخول العرب مصر واستقلالها عن الإمبراطورية البيزنطية فقدت الإسكندرية أهميتها كمركز يتصل بحراً بطريق مباشر بالقسطنطينية عاصمة الإمبراطورية بل صارت علي العكس موضع تهديد ومركز خطر لأعداء هذه الإمبراطورية في مصر.

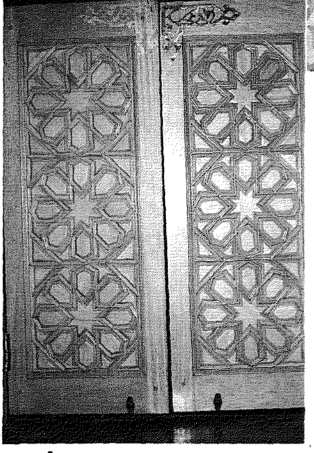
ولذا كان من الأسلم للعرب أن يبتعدوا عن الإسكندرية التي كانت في ذلك الوقت موطن الإمبراطورية والعناصر الأجنبية الحاكمة ومركز الثقافة اليونانية والرومانية وأن يقيموا عند بابليون في قلب مصر حيث العناصر الوطنية المسالمة التى

بقلم : بهاء يوسف خليفة
- مصر -

ـع عمـرو بـن العـاص



جزء من طرق التشكيل الرائعة للمنبر الخشبي.



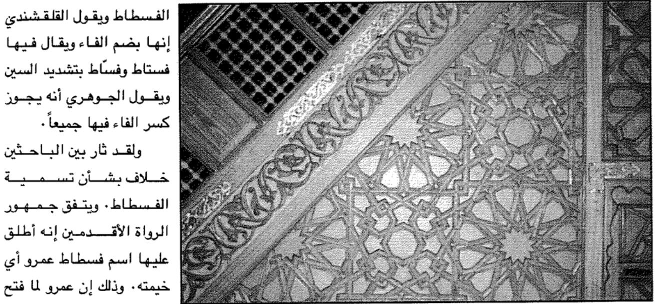
الكامل اسفل المنبر.

كانت تنظر إلى العرب كمنقذين لهم من ظلم الرومان واضطهادهم المذهبي.

موقع الفسطاط:

بالإضافة إلى ذلك كان موقع الفسطاط يجمع بين مزايا عديدة، فمن جهة يمكن الإتصال منه مباشرة بمركز الخلافة الإسلامية في الحجاز عن طريق الصحراء التى اعتاد العرب سلوكها. وفي موقع بابليون استطاع العرب أن يؤسسوا مدينة جديدة حسب تقاليدهم الإسلامية على نمط ما سارت عليه جيوشهم قبل ذلك في العراق حين اسسوا مدينة البصرة سنة ١٤هـ (٦٣٥م) ومدينة الكوفة سنة ١٦ - ١٧هـ (٦٣٧ - ٦٣٨)م.

ومن جهة أخرى كان الموقع يمتاز بحصانة طبيعية إذ تحميه التلال من الشرق والشمال ويحميه من الغرب



- تفصيل لزخارف المنبر.

خندق مائي طبيعي هو: نهر النيل الذي كان في الوقت نفسه يصل بين الشمال والجنوب.

ومن المحتمل أن عمرو بن العاص حين سمح لبني وهدان ومن والاهم أن يقيموا علي الضفة الغربية من النيل حيث بني لهم حصناً في الجيزة يعتصمون به عند الخطر كان يهدف من وراء ذلك إلى زيادة تأمين هذا الجانب الغربي لمدينة الفسطاط.

ولذا لم يبق للفسطاط غير جانب واحد مفتوح هو الجانب الشمالي ولم يهتم عمرو بن العاص بتحصين ذلك الجانب وربما كان السبب في ذلك أن عمرواً لم يخش تعرضه للأخطار من هذا الجانب نظراً إلى أن الطريق إليه يمر من أقطار يحكمها العرب أي أنها كانت على العكس مصدر الأمان للفسطاط وطريق الامدادات لديها كما ان هذا الجانب كان المجال الطبيعي لامتداد المدينة ونموها فيما بعد.

أياً كانت الظروف التى حدت بعمرو بن العاص أن يؤسس عند بابليون عاصمة مصر العربية فإن هذا الموقع الذي اختاره عمرو اثبت ببقائه موقع العاصمة المصرية توفيق عمرو بن العاص في اختياره.

ما معنى الفسطاط:

لقد صار يطلق علي هذه المدينة الجديدة اسم الفسطاط ويقول القلقشندي إنها بضم الفاء ويقال فيها فستاط وفسّاط بتشديد السين ويقول الجوهري أنه يجوز كسر الفاء فيها جميعاً.

ولقد ثار بين الباحثين خلاف بشأن تسمية الفسطاط. ويتفق جمهور الرواة الأقدمين إنه أطلق عليها اسم فسطاط عمرو أي خيمته. وذلك إن عمرو لما فتح الحصن المعروف بقصر الشمع في سنة ٢١هـ واستوى عليه ضرب فسطاطه على القرب منه، فلما قصد التوجه إلي الاسكندرية لفتحها أمر بنزع فسطاطه للرحيل فإذا بحمام قد أفرخ فيه فقال: «لقد تحرم منا بحرم». وأمر بإقرار الفسطاط مكانه، وأوصي على الحمام وسار إلى الإسكندرية ففتحها ثم عاد إلى فسطاطه، ونزل به ونزل الناس حوله.. وبنى داره بجوار الجامع العتيق مكان فسطاطه، وبنى الناس حوله. ومن هنا سميت المدينة التى أنشئت بالفسطاط.

غير أن بعض العلماء المحدثين يعتبرون هذه القصة اسطورة من نسج الخيال ومن نمط الأساطير التي تحاك عادة «حول تأسيس بعض المدن أو تشييد بعض المؤسسات.

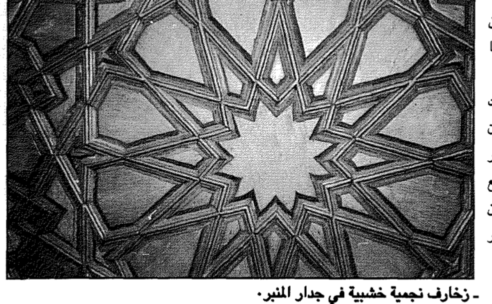
ويعتقد بعض المستشرقين أن كلمة فسطاط قد اشتقت من أصل يوناني هو «فسطا طوم» اسم المدينة أو الحصن أو الخندق الذي كان عند بابليون، حرّفه العرب إلى فساط أي فسطاط.

غير أن هذا الزعم لا يسنده أي دليل من التاريخ، ولا يتفق مع منطق الأحداث. وهناك رأى آخر يقول ان الفسطاط معناها المخيم قد أخذت من المخيم الذي كان قد نصبه جيش عمرو عند محاصرته حصن بابليون وقد صار على المدينة التي شيدت مكانه، علي أنه مما تجدر ملاحظته أن «فسطاط» كلمة عربية كانت تطلق

أيضاً على المدينة ومجتمعها.

ومما له دلالته أيضاً أن البصرة كان يقال لها الفسطاط (لسان العرب) .

وفي ضوء روايات المؤلفين العرب الأقدمين وبحوث العلماء المحدثين صار من المتيسر تحديد موقع الفسطاط كما صار من الممكن إلى حد ما تصور تخطيطها ومدى عمارها.



- زخارف نجمية خشبية في جدار المنبر.

تخطيط الفسطاط:

كما فعل العرب عند تخطيط الكوفة والبصرة بدأ عمرو ببناء مسجده وشيد إلى جواره داراً له واسند عملية توزيع الخطط بين جماعات القبائل إلى أربعة نفر من العرب، هم معاوية بن جريح التجيبي، وحويل بن ناشرة المعافري، وشريك بن سعد الغطيفي، وعمرو بن تخرم الخولانى، فوزعوا الأراضي حول الجامع على جماعات القبائل: فاختط هؤلاء الخطط وبنوا الدور والمساجد وسميت هذه الخطط بأسماء القبائل أو الجماعات التى اختطتها: مثل خطة تجيب وخطة مهرة وخطة لخم وغيرها.

ويتضح من أسماء بعض الخطط اشتراك جند من غير العرب في فتح مصر. من ذلك مثلا خطة الفارسيين، وكانوا من بقايا جند باذان: عامل كسرى ملك الفرس على اليمن، وخطط الحمراوات وقد سميت بذلك لاشتراك بعض الروم فيها وكانوا حمر الألوان وكان منهم بنو نبه وبنو الأزرق وقد حضر الفتح من بنى الأزرق أربعمائة رجل وكان ينزل معهم بنو يشكر، وقد نسب إليهم جبل يشكر الذى شيد عليه جامع ابن طولون فيما بعد.

وكانت من أعظم الخطط وأوسعها خطة أهل الراية وهم جماعة من قريش والأنصار وقبائل أخرى لم يكن لكل منهم من العدد لينفرد بخطه فجعل لهم عمرو راية لم ينسبها لأحد فعرفوا بأهل الراية. وأخذ أهل الخطط يشيدون المنازل والمساجد وامتدت حول الجامع نحو الشرق والشمال والجنوب.

وكان بين هذه الخطط دور جماعة من الصحابة اشتركوا في فتح مصر مثل دار الزبير بن العوام ودار يعقوب القبطي ودار جبر القبطي وكانا قد صحبا السيدة مارية القبطية إلى المدينة حين أهداها المقوقس للنبي {صلى الله عليه وسلم}.

وكانت خطط الفسطاط يحدها من الغرب مجرى نهر النيل الذي كان يسير في ذلك الوقت بجوار الجانب الغربي لحصن بابليون إلى جامع عمرو حيث يمر في غربيه مباشره ثم يتجه إلى موقع مشهد السيدة زينب الحالي، وكان يحدها من المشرق عين الصيرة ومن الشمال الشرقي المطل على بركة الحبش عند دير السلام حالياً ومن الجنوب جبل يشكر الذي شيد عليه فيما بعد جامع أحمد بن طولون أي إن الفسطاط كانت تشغل مساحة طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي خمسة الاف متر وعرضها من الشرق إلى الغرب نحو ألف متر.

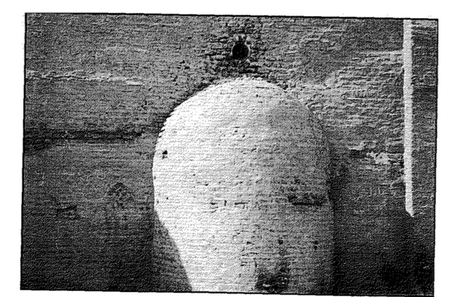
ونظراً إلى أن هذه المساحة كانت أوسع كثيراً من ان تقتصر على جند عمرو الذي كان عددهم حسب بعض الروايات اثنى عشر ألف جندي فقط فإن بعض

العلماء يحاول أن يستنتج من ذلك دور هذه الخطط التى كانت على درجة كبيره من الإتساع وإنها كانت منعزله بعضها عن بعض ولا تتلاصق إلا بالقرب من الجامع فقط، وإنها كانت تزيد من انعزالها كلما بعدت عن الجامع.

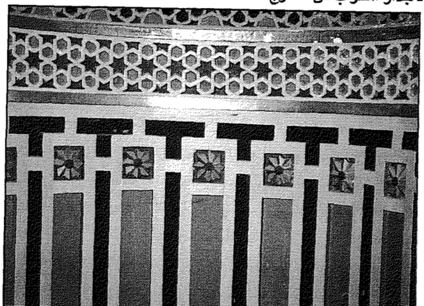
غير انه من المرجح أن الخطط قد شملت هذه المساحة الكبيرة حتى تتسع أيضاً للسكان الأصليين من القبط الذين كان بعضهم من غير شك يعيشون في ذلك المكان والذي قدم بعضهم الآخر ليقوم بأعمال الصناعة والتجارة مع المستوطنين الجدد. ولقد ذكر المؤرخون العرب انه كان بموقع الفسطاط عدة كنائس وأديرة للنصارى، ومن المستبعد إقامة كنائس عدة في مناطق خالية من السكان.

جامع عمرو:

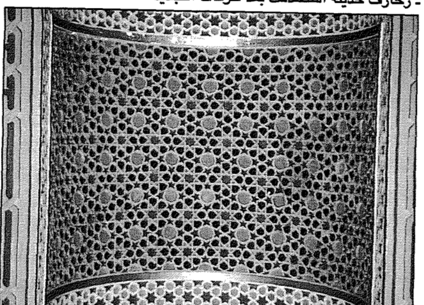
لقد كان جامع عمرو حين أسس يقع علي شاطيء النيل الشرقى في منطقة بها أشجار وكروم وكان يشغل مساحة طولها خمسة وعشرون متراً وعرضها خمسة عشر ويقال أنه اشترك في تحرير قبلته ثمانون رجلا من الصحابة وقيل ثمانية فقط ومع ذلك قيل إن هذه القبلة انحرفت نحو الشرق أكثر مما يجب وكان يحدد قبلته عمد قائمة بصدر الجدران وكان له بابان في كل من جوانبه فيما عدا جدار القبلة، وكان منها بابان يقابلان دار عمرو في شرقى الجامع وكان طولها يساوي طول المسجد من قبليه إلى بحريه وكان بين المسجد وبين دار عمرو طريق عرضه نحو ثلاثة أمتار ونصف. وقد استوحى عمرو في



- جدار المحراب من الخارج.



- زخارف حديثة استخدمت بعد حركات التجديد.



- زخارف نجمية داخل المحراب حديثة بعد حركة الترميمات والاضافات.

تخطيط المسجد والدار والعلاقة بينهما من مسجد النبي {صلى الله عليه وسلم} وداره في المدينة.

ولقد توالت على جامع عمرو كثير من العمائر حتى إنه لم يبق من الجامع الأصلي الذي بناه عمرو غير البقعة من الأرض التي شيد عليها، وتوجد هذه البقعة في رواق القبلة في النصف الشمالي من المسجد أي على يسار الواقف أمام المحراب الأوسط ومتجهاً إلى القبلة.

وصف وتحليل الصور:

- المنبر -

لقد تم ترميم العديد من العناصر الخشبية مثل المنبر والضريح والطباي أعلى تيجان الأعمدة الرخامية ودكة المبلِّغ

- يشتمل المنبر على عناصر عدة مثل. (خرط ميموني، حشوات بلدية، جوسقة «طنبوشة»، أعلى المنبر).

- زخارف عربية واسلامية تُكَوِّن أشرطة زخرفية.

محمور العمل	التحليل للوحدة	ملاحظات
- طبيعة الحركة:	حركة الزخارف النباتية على المنبر تأخذ شكلا دائرياً اتجاهه للداخل.	
- طبيعة التكوين:	يحدث الإنتقال من نوع زخرفة إلى نوع آخر مثلا من الأطباق النجميه إلى الشريط النباتي عن طريق وجود فاصل وهو شريط غير مزخرف.	
- المحاور:	المحاور في الأطباق النجمية مائلة على المركز بمسافات متساوية مكونة أشكالا هندسية تكون الطبعة النجمي.	
- التكرار وطبيعته:	الوحدات النباتية المحوره المجردة المائلة بزاوية قدرها ٤٥ْ الصاعدة من اسفل المنبر إلى أعلاه تُكَوِّن شريطاً فاصلا بين الأطباق النجمية ووحدات الخرط الميموني من أجل الانتقال من نوع من الزخرفة إلى نوع آخر وتكرار هذه الوحدات النباتية في اتجاه واحد.	
- العلاقة بين المستويات الأفقية والرأسية للوحدات:	نجد أن الوحدات الأفقية والمائلة مكملة لبعضها البعض بحيث تكون شكل مثلث قائم الزاوية.	
- فلسفة الأشكال:	نجد ان الفنان الذي قام بوضع هذه الأشكال وحفرها على الخشب لم يترك مساحة خالية بين كل وحدة زخرفية والوحدة الأخرى وذلك بأن جعل جميع الوحدات متصلة وذلك من أجل اعتقاده بأن الشياطين من الجان سوف تسكن ذلك الجزء الخالي من الزخارف.	
- علاقة الوحدة بالفن الاسلامي:	نجد ان جميع الأشكال سواء أكانت هندسية أو نباتية جميعها وحدات من الفن الإسلامي.	
- العلاقة بين السالب والموجب:	بالنسبة للزخارف المنقوشة على المنبر فهي عبارة عن رليف بارز غائر أي أن الشكل السالب مكمل للشكل الموجب في هذه الزخرفة.	
- المنظور :	استخدام المنظور الهندسي في الزخارف سواء أكانت هندسية أم نباتية.	

بمادة البالوريد وإعادة اللون القديم له.

- يحتوي المنبر على بعض الحليات من النحاس في جانبيه بين الزخرفة والخرط الميموني.

- ترجع النجوم المنقوشة على المنبر في فكرتها إلى فكرة الأطباق النجمية التي ترجع إلى العصر المملوكي كما على باب المنبر وجانبيه.



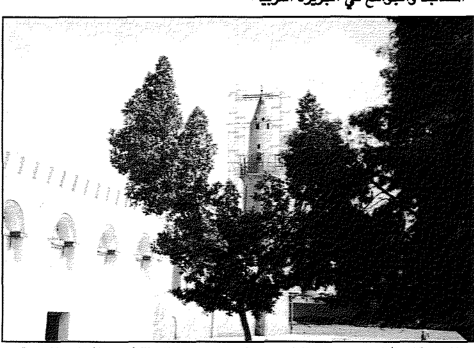
- فناء جامع عمرو بن العاص. وهو مكشوف، على غرار الاماكن المكشوفة في المساجد والجوامع في الجزيرة العربية.

المحراب:

يوجد في الحائط الشرقي لمسجد عمرو بن العاص، وهو مصنوع من الطوب، وهو عبارة عن تجويف في الحائط من داخل المسجد بينما يظهر من الخارج على شكل نصف قبه بارزه في حائط المسجد الخارجي.

- المحراب يشتمل على العديد من العناصر الزخرفية الهندسية والنباتية.

- لقد بلغت درجة الرطوبة في بعض الاجزاء بنسبة ١٠٠٪ ونتيجة لذلك تحللت بعض عناصره الرئيسية ذات القيمة الفنية والتاريخية.



- المنارة (المئذنة) لجامع عمرو بن العاص تم نقل نمط تشييدها الى الكثير من المساجد المصرية.

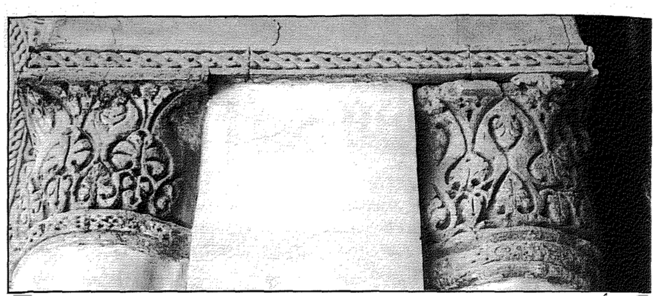
- لقد تم ترميم الأجزاء التالفة من زخارفه طبقاً للأصول الفنية والأثرية مع ترميم وتجديد الأجزاء الناقصة، وكذلك حقن وعزل الأجزاء السليمة منه مع تقوية البلاطات المتبقية. ولقد بلغت نسبة الرطوبة في باقي أجزاء المحراب بنسبة ٧٠٪ من حجمه.

- وقد استنسخت ثمانية شبابيك من الجص بجدار القبلة وهي ذات زخارف هندسية

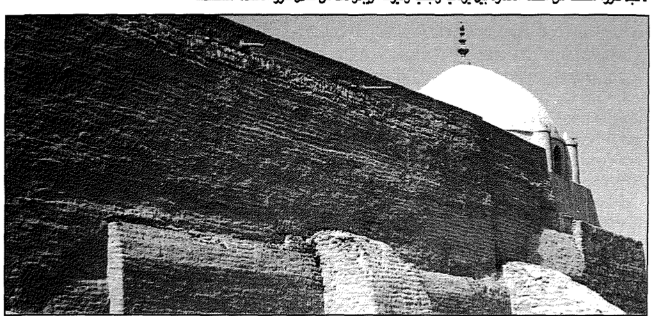
- وقد نزعت جميع الأخشاب التالفة لربط الأجزاء القديمة مع الأجزاء الجديدة ربطاً فنياً.

- لقد تم اختيار بعض العناصر الزخرفية من نفس الجامع وأضيفت إلى المنبر مثل الشرافات التى تعلو الواجهة الرئيسية «الصحن المكشوف».

- لقد تم نزع البويات والمعجون من المنبر الخشب والتأكد من لونه القديم وتعقيمه من الفطريات والبكتريا بواسطة الكاوردين مع الغاز الطبيعى النقي وتقويته



- نجد طرزاً مختلفة من انظمة العمارة بين يونانية وقبطية وغيرها، ويبدو ذلك من خلال طرز الاعمدة المستخدمة.



- دعامات خلفية من الاحجار جهة جدار القبلة.

محور العمل	التحليل للوحدة	ملاحظات
- طبيعة الحركة:	الزخارف على جانبي المحراب جصية بارزة تأخذ اتجاهاً رأسياً والزخارف النباتية والهندسية فيه متقابلة عكسياً وهي عبارة عن شريطين من الزخارف النباتية البسيطة المتعاكسة على جانبي المحراب وايضاً يليهما من الداخل شريطان من الزخارف الهندسية المحورة الملونة بمجموعة من الألوان المتناسقة جمالياً.	
- طبيعة التكوين:	يبدأ المحراب من أسفل بمجموعة من المستطيلات المتوازية العمودية على خط الأرض وهي مصنوعة من الجص البارز الذي يبلغ بروزه نحو ٢سم وفي نهاية كل مستطيل نجمة ثمانية ويتم الانتقال من وحدة زخرفية إلى وحدة زخرفية أخرى بواسطة وضع شريط فاصل بعد نهاية كل مجموعة وحدات زخرفية متشابهة ويظهر لنا في الصورة في هيئة شريط ذهبي. والأطباق النجمية السداسية والثمانية في المحراب نجد أن كلاً منها مصنوع أيضاً من الجص الملون.	
- المحاور:	محاور الأطباق النجمية عمودية على المركز لتكون أطباق نجمية سداسية وثمانية.	
- فلسفة الأشكال:	نجد أن جميع الزخارف الموجودة على المحراب مستمدة من الطراز العربي الإسلامي الهندسي.	

المصيبة .. بين الصبر والجزع

التطواف في ربوع القرآن المجيد ينقلك من عالم المادة المشدود الى التراب الى عالم السمو والنقاء والتجرد.. عالم تحلق في سمائه أرواح مزقت بفضل زهدها المعتدل ثياب البهرجة الدنيوية الزائلة، فطلقها المؤمن ثلاثاً لا رجعة اليها مع تقديره لدنياه وكأنه يعيش أبدا ورغم الامل والرجاء والخوف فمطيته الايام والليالي طالما تعثرت بفتنة وضعته امام اختبار عسير يستلهم من مواجهته صبرا أو جزعا، فإن كان قويا مكتمل الشخصية الاسلامية فقد أصاب واجتاز المحنة، وحصل على الثواب، وإن كان ضعيفا فقد خسر، وتلك سنة الحياة.. صحة ومرض، غنى وفقر، علم وجهل، معرفة ونكره، حاكم ومحكوم.. وهكذا الافتنان والبلوى، فطوبى للصابرين.

إن مقالتى هذه محاولة دلالية لبعض الآيات الكريمة التى عالجت مشاكل النفس البشرية المبتلاه، ووضعت الحلول الناجعة من خلال اللطف الالهي بعباده المؤمنين، وتحذيره سبحانه لهم من الوقوع في شرك القنوط الذي ارتضاه الكافرون والمشركون والحاقدون منهجا لهم في مواجهة المصائب!!

المصيبة: لها شقان، الأول: مصدره الله تعالى وهو من باب الابتلاء، والاختبار لتمحيص عباده المؤمنين ومعرفة مدى تحملهم لمثل هذا اللون من المعاناة، صبرا أو جزعا.. وتقربه الى الساحة العلوية المقدسة والمناجاة دنيا وأخرى قال تعالى {فاعبده واصطبر لعبادته} (مريم/ ٦٥) إن الديمومة على طريق الهداية والإخلاص في العبادة يعكسان إيجابية التصبر وبشرى للمؤمنين قال سبحانه {ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله} (التوبة/ ١٢٠) ذلك في الاولى وفي الاخرى يكون العطاء أوفى، قال سبحانه وتعالى {وبشّر المؤمنين} (الصف/ ١٣) والمؤمنون يدركون هذا المعنى بالتزامهم بالصلاة وتقواهم فهي المنظم لسلوكهم ومحك أعمالهم إن قبلت قُبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها.

قال تعالى: {يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة} (البقرة/ ١٥٣) وفي موطن آخر من الذكر المجيد {والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة} (الرعد/٢٢).

الصابرون والوعد الالهي:

كما أسلفنا فمفهوم الصبر الإيجابي من صفات المؤمنين ذوي النفوس المشرقة الرافضة للاستسلام المبررة لظلامية الصورة التى لفها الرين والصمم والعمى والبكم، إن تلك الشخوص المجاهدة روّضت سلوكها فصح مسارها الإيماني وثبتت أقدامها ولسان حالها يقول {ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا} (البقرة/ ٢٥٠) وفي موطن آخر من ذكره الحكيم {ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين} (الاعراف/ ١٢٦) والصابرون على البلاء الفائزون يقينهم لا يتزعزع بالقوة والضعف بالحرب والسلم. قال سبحانه {ولمّا يعلم اللهُ الذين جاهدوا منكم ويَعْلَمَ الصَّابرين} (آل عمران/ ١٤٢) فالجهاد معاناة يؤدي الى الفوز، والاستكانه ضعف وانهزامية تطمع الاعداء والحاقدين على الاسلام والمسلمين قال تعالى في صفة المجاهدين الصابرين {وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين} (آل عمران/ ١٤٦) وقال جل من قائل في باب التمحيص {وَلَنَبْلُوَنَّكُم حتى نَعْلَمَ المجاهدين منكم والصابرين} (محمد/٣١) فإذا ما اجتاز المؤمنون كانت لهم الريادة والقيادة ويصفهم الخالق سبحانه {فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا} (آل عمران/ ١٤٦) ونتيجة ذلك الانتصار على البغاة قال عز من قال {والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون} (الشورى/ ٣٩).

إن النصر الذى بشر به البارى عطاؤه لا ينضب ولا ينتقص قال تعالى {عطاء غير مجذوذ} (هود/ ١٠٨) في حياتهم ومماتهم قال سبحانه {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب} (الزمر/١٠) وقوله عز وجل {ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله} (التوبة/ ١٢٠) وهذا اللطف

بقلم : د. جاسب الربيعي
جامعة عمر المختار ـ ليبيا

الالهي يجعلهم متزنين وغير متشائمين في تصرفاتهم كي يحافظوا على لحمتهم أمام الاعداء الشامتين قال جل وعلا: {لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا على ما أصابكم} (آل عمران/١٥٣) وقوله تعالى {إن تَمْسَسْكُم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها} (آل عمران/١٢٠) فالحسنة تمس المؤمن إذا كانت ذات عطاء متواضع فشبهها سبحانه بالمس لشفافيتها ولطفها، بينما السيئة تكون ذات ثقل على النفس البشرية فوصفها ـ تعالى بالاصابة وفي موطن آخر من الذكر المجيد تكون الحسنة نصرا مؤزرا في السلم والحرب وذات شأن عظيم تفرح المؤمن وتحزن الكافر فشبهها بالاصابة قال تعالى: {إن تصبك حسنة تسؤهم} (التوبة/٥٠) ولنا في واقعة بدر الكبرى خير شاهد على عظمة اللطف الالهي للصابرين حين حمى الوطيس وبلغت القلوب الحناجر قال عز وجل: {والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس} (البقرة/١٧٧) فالمحارب من أجل العقيدة يمدده الله سبحانه بالقوة الجسدية والنفسية بحيث يعدل في المعركة لعشرة من المشركين أو الكافرين قال جل وعلا {إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين} (الانفال ٦٥) وحينما يتجلى الموقف ويقترب النصر يعدل المحارب المؤمن الصابر اثنين قال تعالى {فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين} (الانفال/٦٦) وتلك رحمة من البارى وآية من آياته العظام قال سبحانه: {ليريكم من آياته إن في ذلك لآية لكل صبار شكور} (لقمان/٣١) وفي مكان آخر من قوله تعالى: {ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور} (سبأ/١٩) إن الذى ذكرناه عطاء معظمه في الدنياه وبشرى للمؤمنين .. والذى يتطلع الى آياته التى تعني الخير في الاخرى يلمس مدى الرحمة الربانية للصابر الشاكر والملائكة تستقبله بالحفاوة القدسية بقوله تعالى على لسانهم {سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار} (الرعد/٢٤) ووعد الحق الاخروي لا ينفد بقوله سبحانه {إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون} (المؤمنون/١١١) {أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويُلقَّون فيها تحية وسلاما} (الفرقان/٧٥) وهؤلاء ينالون أجرهم مرتين بقوله عز وجل {أولئك يجزون أجرهم مرتين بما صبروا} (القصص/٥٤) يقرب سبحانه ـ لهم ما كانوا محرومين منه في الدنيا سيعوضهم به في الآخرة بقوله سبحانه: {يطاف عليهم صحاف من ذهب وأكواب} (الزخرف/٧١) وكل ذلك لفضل جزاء صبرهم وجهادهم ـ قال تعالى: {وما يُلقَّاها إلا الذين صبروا وما يلقَّاها إلا ذو حظ عظيم} (فصلت/٣٥).

وفي نهاية المطاف ننتقل الى المعنى الثاني للمصيبة والتى يكون مصدرها الانسان ذاته بعلمه تعالى ومن خلال الاستقراء للنص القرآني نجد للمصيبة دلالات عديدة يسلطها الله سبحانه فتكون لونا من العذاب الدنيوي جزاء ما عملت أيديهم فمن معانيها:

- (الريح فيها صر) قال عز وجل {كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم} (آل عمران/١١٧).
- (**الاعصار**) قوله تعالى: {فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت} (البقرة/٢٦٦).
- (**الطوفان**) قوله تعالى: {لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثلُ ما أصابَ قومَ نوح} (هود/٨٩).
- (**الموت**) قوله تعالى: {ان أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت} (المائدة/١٠٦).
- (**الكبر**) قوله تعالى: {له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء} (البقرة/٢٦٦).
- (**الخير فتنة**) قوله تعالى: {ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمئن به} (الحج/١١).
- (**العذاب**) قوله تعالى: {قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء} (الاعراف/ ١٥٦) وقوله تعالى: {سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم} (التوبة/ ٩٠).
- (**اقتراف السيئة**) قوله تعالى: {وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون} (الروم/٣٦) وقوله تعالى: {وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور} (الشورى/ ٩٨).

إن الذى مر ذكره من دلالات المصيبة ينطوي تحت عنوان (الفتنة) وهي اختبار وفرز للفئة المؤمنة والكافرة والقاسم المشترك بين الفئتين قوة الايمان والصبر والانتصار على النفس والفتنة الحقيقة لا تخص فئة دون اخرى ونزولها يعم الاخيار لغرض ابتلائهم، والاشرار بغرض الانتقام منهم، فطوبى لمن وعى واتعظ.. قال سبحانه: {واتقوا فتنة لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة} (الانفال/٢٥) ومع ذلك فمن رحمته جل وعلا تحذيره الذين يخالفون امره أن يقعوا فيها قال سبحانه {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة} (النور/٦٣).

وأخيرا وبعد الاستطراد في معنى المصيبة والصبر نتلمس المعنى المشرق في مواجهة البلاء للثلة المؤمنة والمعنى المظلم القائم للثلة المنهزمة تحت تأثير المادة والمصلحة، والنصر دائما ـ للدعاة الصابرين المجاهدين والذل والخسران للقانطين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الجماع والولد

بقلم : أ. د. عبدالباسط
احمد على حمودة
- مصر -

اجتمع لنساء الجنة من الآدميات ومن الحور العين كل صفات الحسن والملاحة التى لا تجتمع للنساء في الدنيا، فهن زوجات مطهرات، فلا حيض ولا نفاس، ولا بول ولا غائط، ولا مخاط ولا بصاق ولا قذر ولا أذى. وهن شابات جميلات، اجتمع لهن شدة البياض وشدة سواد العين مع شدة بياضها، مما يجعل العقول تحار في تقويم جمالهن، وفيهن من رقة الجلد وصفاء اللون ما يجعل مخ سوقهن تبدو من وراء ثيابهن.

وعدد العلماء[١] من السلف الصالح صفات نساء الجنة: اتساع عينها في طول، على حين اجتمع لهن ضيق الفم، وخرق الأذن والأنف وما هنالك، وفي سعة وجوههن وصدورهن وكاهلهن وجبهتهن، واجتمع لهن البياض في أربعة مواضع: في لونهن، وفرقهن وثغرهن وبياض أعينهن، واجتمع السواد في أربعة مواضع منهن: أعينهن، وحواجبهن وأهدابهن وشعورهن، ومن صفاتهن المعنوية والخلقية: فبعدن عن السوء وطهر لسانهن من الفحش والبذاء، وطهر طرفهن أن تطمع به إلى غير زوجها، ومع الصفات الحسية والمعنوية ما أضفى عليهن في حسن اللباس من أثواب وحلي وغير ذلك.

وقد جاء القصص النبوي بما يكشف عن تمتع الرجل بالنساء في الجنة وبخاصة بقوة الجماع واللذة الجنسية التي تليق بساكني الجنة. جاء في الترمذي[٢] عن أنس بن مالك عن النبى {صلى الله عليه وسلم} قال: (يُعْطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع، قيل يارسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: يُعْطَى قوة مائة).

وفي مسند الدارمى قصة عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن الرجل من أهل الجنة ليُعْطَى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة فقال رجل من اليهود: إن الذى يأكل ويشرب يكون منه الحاجة، قال: ثم يفيض من جلده عرق، فإذا بطنه قد ضمر).

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قلنا يارسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: (أي والذي نفسي بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء).

ورويت هذه القصة عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قيل يارسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة؟ قال: (أي والذى نفسى بيده إن الرجل ليفضى في اليوم الواحد إلى مائة عذراء).

وعن أبى سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارا).

وروى أبو محمد الدارمي عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (ما من أحد يدخله الله الجنة إلا زَوَّجه اثنتين وسبعين زوجة، اثنتين من الحور العين، وسبعين من ميراثه من أهل النار) ، قال هشام بن خالد: من ميراثه من أهل النار، يعني رجالا دخلوا النار، فورث أهل الجنة نساءهم ، كما ورثت امرأة فرعون.

وروي عن قتادة عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة، قلنا يارسول الله أوله قوة على ذلك؟ قال: إنه ليعطى قوة مائة رجل).

قال ابن قيم الجوزية[٣]: ولا ريب أن للمؤمن أكثر من اثنتين لما في الصحيحين من حديث أبي عمران الجونى عن أبى بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة، طولها ستون



ميلا للعبد فيها أهلون فيطوف عليهم، لا يرى بعضهم بعضا).

وروى الطبراني[٤] وعبد الله بن أحمد وغيرها من حديث لقيط بن عامر أنه قال: (يارسول الله على ما يطلع من الجنة؟ قال: على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة - لعمر إلهك - مما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة، قلت: يارسول الله أولنا أزواج مصلحات؟ قال: الصالحات للصالحين، تلذذوا بهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذذن بكم، غير أن لا توالد).

وفي قصة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (يارسول الله أنطأ في الجنة؟ قال: نعم - والذي نفسي بيده دحما دحما[٥] فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا) وجاء في قوله تعالى: (عُرُباً) العروب الحسنة التبعل وملاطفتها لزوجها عند الجماع وانهن عواشق متحببات غناجات شكلات.

وقد أورد ابن كثير قصة الصور[٦] المروية عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: حدثنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو في طائفة من أصحابه.. ومنها قوله: (.. والذى بعثنى بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل كل رجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة ينشئهن الله، وثنتين آدميتين، لهما فضل على من شاء الله بعبادتهما في الدنيا، فيدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوته، على سرير من ذهب، مكلل باللؤلؤ، له سبعون درجة من سندس واستبرق، ويضع يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها ولحمها وجلدها، وإنه لينظر الى مخ ساقها، كما ينظر أحدكم إلى السلك من الفضة في الياقوت فبينما هو كذلك إذ نودي: إنا قد عرفناك أنك لا تمل ولا تمل، إلا أن لك أزواجا غيرها، فيأتيهن واحدة واحدة، كلما جاء واحدة قالت: والله ما فى الجنة أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إليَّ منك) والقصة طويلة.

وجاء في قصة رواها الإمام أحمد من حديث شعيب الضرير، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة، سوى أزواجه من الدنيا، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض).

ونقل ابن كثير[٧] قصة رواها مسلم في صحيحه حدثنا ابن عليّه، أخبرنا أيوب بن محمد قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا: الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أو لم يقل أبو القاسم {صلى الله عليه وسلم}: (إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتى يليها على أضوأ كوكب دري في السماء، لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقها من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب).

وتحدث القصص النبوي عن الحمل والوضع عندما يشتهى أهل الجنة الولد، حيث إن الجنة فيها ما تشتهى الأنفس، فنقل القرطبي[٨] في التذكرة ما يثبت ذلك إذا اشتهاه المؤمن كان حمله ووضعه فى ساعة، وجاء في بعض الروايات أنه لا يشتهى ذلك أبدا.

جاء في الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة، كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي).

قال الترمذي وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد، وهكذا يروى عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي. وقال محمد: قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي {صلى الله عليه وسلم}: (إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة، كان في ساعة كما يشتهي، ولكن لا يشتهى أبدا) وقد روي عن أبى رزين العقيلى عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد).

وأورد ابن قيم الجوزية القصص السابقة، وذكر حديث أبى رزين الذي أشار إليه البخارى بطوله وتمامه وفيه[٩] (تلذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذذن بكم، غير أن لا توالد).

ثم قال: قلت النافون للولادة في الجنة لم ينفوها لزيغ قلوبهم، ولكن لحديث أبى رزين (غير أن لا توالد) وقد حكينا من قول عطاء وغيره أنهن مطهرات من الحيض والولد.

وقد حكى الترمذي عن أهل العلم من السلف والخلف في ذلك قولين. ثم قال: وهذه الألفاظ لا تنافى بينها ولا تناقض، وحديث أبى رزين (غير أن لا توالد) إذ ذاك نفي للتوالد المعهود في الدنيا، ولا ينفى ولادة

حمل الولد فيها، ووضعه وسنه وشبابه في ساعة واحدة.

ومن القصص التى أوردها ابن القيم (قيل يارسول الله أيولد لأهل الجنة فإن الولد من تمام السرور؟ فقال: نعم، والذى نفسى بيده وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه) وعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهي، فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة).

وتكلم في ذلك ابن كثير[١٠] وذكر هذه الأحاديث وقال: (إن الجنة لا يولد فيها) وهذا صحيح، وذلك أن جماعهم لا يقتضى ولدا كما هو الواقع في الدنيا، فإن الدنيا دار يراد منها بقاء النسل لتعمر، وأما الجنة فالمراد بقاء الملك، ولهذا لا يكون في جماعهم مَنِيّ يقطع لذة الجماع، ولكن إذا أحب أحد الولد يقع كما يريد. قال تعالى: {لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين}.

الغناء والطرب في الجنة:

الجنة دار جزاء وثواب بفضل الله على عباده الذين تفرغوا لعبادته وأقبلوا على طاعته وامتثلوا لأمره، وانتهوا عما نهى عنه، وتركوا الشهوات رجاء العوض عنها في الآخرة وتورعوا عن الشبهات خوفا من أن تقودهم إلى المحرمات.

لذلك يَتَنعمون في الجنة بنعيم دائم أبدي ، وينالون ما حرموا منه أنفسهم في الدنيا بصورة مختلفة عما عرفه الناس من المتاع القليل.

جاء في القصص النبوي ما رواه الترمذي عن علي - رضي الله عنه - قال[١١]: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن في الجنة لمجتمعا للحور العين، يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له).

وفي قصة عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن الحور في الجنّة يغنين، يقلن: نحن الحور الحسان، هدينا لأزواج كرام). وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (ما من عبد يدخل الجنة إلا عند رأسه ، وعند رجليه ثنتان من الحور العين، تغنيان بأحسن صوت سمعه الإنس والجن، وليس بمزامير الشيطان، ولكن بتحميد الله وتقديسه).

وجاء في القصص النبوي أن أزواج أهل الجنة يغنين لأزواجهن، ففى قصة عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن، بأحسن أصوات سمعها أحد قط، إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرون بقرة أعيان. وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا نمتنه، نحن الآمنات فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نظعنه).

قال ابن وهب[١٢] وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد: أن الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن: نحن الخيرات الحسان، أزواج شباب كرام، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، في صدر إحداهن مكتوب: أنت حبى وأنا حبك، انتهت نفسى عندك، لم تر عيناي مثلك.

وقال ابن المبارك: حدثنا الأوزاعى حدثنا يحيى بن أبى كثير: إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة، فيقلن: طالما انتظرناكم ، فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن، والخالدات فلا نموت، بأحسن أصوات سمعت، وتقول أنت حبى وأنا حبك، ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل.

وفي القصص النبوي تهب الريح على بعض الشجر فيصفق بصوت يطرب له السامعون فعن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ريح فيصفقن، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه).

وقال رجل من قريش[١٣] لابن شهاب: هل في الجنة سماع، فإنه حبب إليّ السماع؟ فقال: أى والذى نفس ابن شهاب بيده، إن في الجنة لشجرا حمله اللؤلؤ والزبرجد، تحته جوار ناهدات، يتغنين بألوان، يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضا فأجبن الجواري فلا ندرى أصوات الجوارى أحسن أم أصوات الشجر؟.

وقال ابن أبى الدنيا حدثنا مسلم بن إبراهيم الحرانى، حدثنا مسكين بن بكير عن الأوزاعى عن عبيدة بن أبى لبابة قال: إن في الجنة شجرة، ثمرها زبرجد ولؤلؤ، فيبعث الله ريحا فتصفق، فتسمع لها أصوات لم يسمع ألذ منها.

وعن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما -

قال (في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام، فيتحدثون في ظلها، فيشتهى بعضهم، فيذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحا من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا .

وحدث سعيد بن سعيد: إن في الجنة آجاما[١٤] من قصب من ذهب، حملها اللؤلؤ فإذا اشتهى أهل الجنة أن يسمعوا صوتا حسنا بعث الله على تلك الآجام ريحا فتأتيهم بكل صوت يشتهونه).

ونقل ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: {فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يُحْبَرُون} قال مجاهد وقتادة: ينعمون. وقال يحيى بن أبى كثير: يعنى سماع الغناء. وفي قول عن يحيى نقله ابن قيم الجوزية في حادي الأرواح قال: الحبرة اللذة والسماع. ولا يخالف هذا قول ابن عباس: يكرمون.

وتحدث القصص النبوي عن الغناء في الجنة فوق أطول أنهار الجنة. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه {إن في الجنة نهرا طول الجنة، حافتاه العذارى، قيام متقابلات، يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق، حتى ما يرون أن في الجنة لذة مثلها . قلنا يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله، التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب[١٥] - عز وجل -.

وفي القصص النبوي أن إسرافيل والملائكة يغنون في الجنة. قال ابن أبى الدنيا حدثني دهثم بن الفضل القرشي، حدثنا رواد بن الجراح عن الأوزاعي قال: (بلغنى أنه ليس من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل، فيأمره الله - تبارك وتعالى - فيأخذ في السماع، فما يبقى ملك في السموات إلا قطع عليه صلاته، فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، فيقول الله - عز وجل - {وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري}.

وحدث عبد الله بن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر قال: (إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان؟ أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة اسمعوهم تمجيدي وتحميدي)
.

وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البناني، وحجاج بن الأسود، عن شهر بن حوشب قال: (إن الله - عز وجل - يقول لملائكته: (إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا، ويدعونه من أجلي، فأسمعوا عبادي، فيأخذون بأصوات، من تهليل، وتسبيح، وتكبير، لم يسمعوا بمثلها قط).

وعن غناء داود - عليه السلام - في الجنة، نقل ابن قيم الجوزية وابن كثير، عن ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسن، حدثني عبد الله بن أبي بكر، حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار في قوله تعالى: (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال: (إذا كان يوم القيامة، أمر بمنبر رفيع، فوضع في الجنة، ثم نودي: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم، الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا، قال: فيرتفع صوت داود يعم أهل الجنة، فذلك قوله تعالى: {وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب}.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد، في كتاب الزهد، لأبيه: حدثنى مسلم الطوسى حدثنى سيار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار، في قوله - عز وجل - {وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب} قال: يُقِم الله - سبحانه - داود عند ساق العرش فيقول: ياداود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم، فيقول: إلهي كيف أمجدك وقد سلبتنيه في دار الدنيا؟ قال: فيقول الله - عز وجل - فإني أرده عليك، قال: فيرده عليك، فيزداد صوته، قال: فسيتفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة).

وفي الجنة يتلى القرآن ويرتل بصوت حسن فيطرب له أهل الجنة، قال ابن وهب[١٦] حدثني سعيد بن أبي أيوب، قال: (قال رجل من قريش لابن شهاب: هل في الجنة سماع؟ فإنه حُبِّب إليَّ السماع، فقال: إي والذي نفس ابن شهاب بيده: إن في الجنة لشجرا حمله اللؤلؤ والزبرجد، تحته حور ناهدات يتغنين بالقرآن ويقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت ، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضا، فأعجبت بصوت صفقه الجواري، فلا يدرى: أأصوات الجوارى أحسن، أم أصوات الشجر؟).

ومن أجل السماع وأحسنه وأعلاه سماع أهل الجنة لكلام الله تعالى حين يقول (سلام قولا من رب رحيم) ويخاطب كل واحد، ويذكره بأعماله التى سلفت منه في الدنيا وكذلك إذا تجلى لهم جهرة وحياهم بتحية أهل الجنة. فعن عبد الله بن بريدة قال: (إن أهل الجنة يدخلون كل يوم على الجبار - جل جلاله - فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل امريء منهم مجلسه الذى هو مجلسه، على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد، فلم تقر أعينهم بشيء، ولم يسمعوا شيئا قط أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم بأعين قريرة، وأعينهم إلى مثلها من الغد).

وعن أبي برزة الأسلمي مرفوعا: (إن أهل الجنة

ليغدون في حلة، ويروحون في أخرى، كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا، كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم - عز وجل - وذلك لهم بمقادير ومعالم، يعلمون تلك الساعة التي يأتون فيها ربهم - عز وجل -)

قال ابن القيم عن هذا المقام: سماع أعلى من هذا، سماع يضمحل دونه كل سماع، وذلك حين يسمعون كلام الرب - جل جلاله - وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه، فكأنهم لم يسمعوه من قبل ذلك، إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب - تعالى - وسماع كلامه منه، ولا يعطى أهل الجنة شيئا أحب إليهم من ذلك.

ونقل القرطبي[١٧] عن الترمذي الحكيم: إن الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه، رفرف وأهوى كالمرجاح يمينا وشمالا، ورفعا وخفضا، يتلذذ به مع أنيسته، فإذا ركبوا الرفارف، أخذ إسرافيل في السماع، فيروى في الخبر، أنه ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع، قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحاتهم، فإذا ركبوا الرفارف أخذ اسرافيل في السماع بأنواع الأغاني تسبيحا وتقديسا للملك القدوس، فلم تبق شجرة في الجنة إلا وردت، ولم يبق ستر ولا باب إلا ارتج وانفتح، ولم تبق حلقة على باب إلا طنت بأنواع طنينها، ولم يبق أجمة من آجام الذهب إلا وقع أهبوب الصوت في مقاصبها، فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر، ولم تبق جارية من جوار الحور العين إلا غنت بأغانيها، والطير بألحانها، ويوحي الله - تبارك وتعالى - إلى الملائكة أن جاوبوهم، وأسمعوا عبادي الذين نزهوا أسماعهم عن مزامير الشيطان، فيجاوبوهم بألحان وأصوات روحانية، فتختلط هذه الأصوات فتصير رجَّة واحدة، ثم يقول الله - عز وجل ذكره - يا داود قم عند ساق العرش تجدني، فيندفع داود بتمجيد ربه بصوت يعم الأصوات ويجليها وتتضاعف اللذة، وأهل الخيام من تلك الرفارف تهوي بهم، وقد حفت بهم أفانين اللذات والأغاني، فذلك قوله تعالى: {فهم في روضة يحبرون}.

الأطفال والجنة:

نستعرض هنا ما جاء في القصص النبوي عن موقف الأطفال، الذين لم يبلغوا الحُلُمَ ولم تجر عليهم الأحكام الشرعية قبل موتهم، فهل يدخلون الجنة أم النار أم يكونون في الأعراف؟.

أما بالنسبة لأطفال المسلمين وذراريهم الذين ماتوا - قبل وجوب أحكام الشرع عليهم - فهم في الجنة مع آبائهم، واذا أدركتهم التكاليف الشرعية وعملوا بها فيلحقون بآبائهم لتقر بهم أعينهم، حتى ولو كانوا أقل درجة من آبائهم، أما إذا كانوا أعلى درجة في الجنة فإن آباءهم يلحقون بهم.

وأما أطفال المشركين الذين ماتوا قبل الحلم، فقيل يلحقون بآبائهم في النار، وقيل يدخلون الجنة، وبعض العلماء توقفوا في مصير أطفال المشركين اعتمادا على النصوص التي جاءت في القصص النبوي.

نقل ابن كثير[١٨] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، أظنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فقال إنهم لم يبلغوا درجتك فيقول: يارب قد عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به) وقرأ ابن عباس: {والذين آمنوا واتَّبَعَتْهُم ذُرِّيَّتُهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين} (الطور/ ٢١).

وعن عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا عثمان بن أبى شيبة، حدثنا محمد بن فضيل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي قال: سألتْ خديجة النبي {صلى الله عليه وسلم} عن ولدين ماتا لها في الجاهلية؟ فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (هما في النار) فلما رأى الكراهة في وجهها قال: (لو رأيت مكانهما لأبغضتهما) قالت يارسول الله فولدى منك قال: (في الجنة) قال ثم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار) ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان} الآية.

هذا فضله - تعالى - على الأبناء ببركة عمل الآباء وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، فقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يارب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك) اسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).

ونقل الحافظ اسماعيل بن كثير[١٩] عن عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد بن نمير: حدثنا

اسحاق بن سليمان: حدثنا جرير بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة قال: لقيني عتبه بن عبد الله السلمي فقال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: «ما من مسلم يتوفى له ثلاثه من الولد - لم يبلغوا الحنث - إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء) فهذا صريح في أن أطفال المسلمين في الجنة.

وفي قصة في صحيح البخاري[٢٠] عن أبي هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (من مات له ثلاثة من الولد - لم يبلغوا الحنث - كانوا له حجابا من النار وأدخل الجنة) وفي مسلم عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة - رضي الله عنه - أنه مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: (نعم صغارهم دعاميص[٢١] الجنة، يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فأخذ بثوبه أو قال بيده كما آخذ أنا بصنيفة ثوبك هذا، فلا يتناهى أو قال فلا ينتهي حتى يدخله الله وأبويه الجنة).

ومن القصص ما خرجه أبو داود الطيالسي عن معاوية بن قرة عن أبيه أن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان يختلف إليه رجل من الأنصار، معه ابن له ، فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذات يوم (أتحبه يا فلان)؟ فقال: نعم، قال: (أحبك الله كما أحبه) ففقده النبي {صلى الله عليه وسلم} فسأله عنه، فقالوا: يارسول الله مات ابنه، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أما ترضى أو لا ترضى أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا جاء يسعى حتى يفتحه لك) فقالوا يارسول الله: أله وحده أم لنا كلنا؟ فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (بل لكلكم). وفي مسند أبي داود عن عبادة بن الصامت أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}. قال: (والنفساء يجرها ولدها يوم القيامة بسرره إلى الجنة).

ومن هذا القصص حكم الجمهور بأن أطفال المسلمين في الجنة، وكما جاء عن ابن أبى طالب في تفسير قوله تعالى: {كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين} قال هم أطفال المسلمين زاد الترمذي: لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم.

وذهب طائفة من العلماء إلى التوقف في أطفال المسلمين وأولاد المشركين أن يكونوا في جنة أو في نار. وفي القصص النبوي ما يشير إلى ذلك. ففي قصة عن أبي هريرة[٢٢] - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن الأطفال فقال: (الله أعلم بما كانوا عاملين) وجاء أيضا أن صبيا صغيرا مات لرجل من المسلمين، فقالت إحدى نساء النبي {صلى الله عليه وسلم}: طوبى له عصفور من عصافير الجنة. فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} (وما يدريك إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا، وخلق النار وخلق لها أهلا).

وفي قصة عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي {صلى الله عليه وسلم} أتى بصبي من الأنصار ليصلى عليه، فقلت: يارسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءا قط ولم يدره، فقال: (يا عائشة أولا تدرين أن الله - تبارك وتعالى - خلق الجنة وخلق لها أهلا، وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم).

وترى طائفة أخرى أن أولاد المسلمين في الجنة وأولاد المشركين في النار، واحتجوا بحديث سلمة بن يزيد الجعفي قال: أتيت النبي {صلى الله عليه وسلم} أنا وأخي، فقلنا يارسول الله إن أمنا ماتت في الجاهلية، وكانت تقري الضيف، وتصل الرحم، وتصوم وتفعل وتفعل، فهل ينفعها من عملها ذلك شيء؟ قال: (لا) قال: فقلنا إن أمنا وأدت أختا لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث، فهل ذلك نافع أختنا؟ فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أرأيتم الوائدة والموؤدة فإنهما في النار، إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيغفر لها).

وفي قصة عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن ذراري المسلمين فقال: (هم مع آبائهم) قلت بلا عمل؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين) وسألته عن ذرارى المشركين فقال (مع آبائهم) فقالوا: بلا عمل؟ قال: (الله أعلم بما كانوا عاملين).

قال القرطبي: إن كان من رواة الحديث بقية بن الوليد ضعيف. ولكن هذا الحديث قد روي مرفوعا عن عائشة - من غير هذا الوجه - قالت عائشة - رضي الله عنها - سألت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن ولدان المسلمين أين هم يوم القيامة؟ قال: (في الجنة) قالت: وسألته عن ولدان المشركين أين هم يوم القيامة؟ قال: (في النار) فقلت مجيبة له: يارسول الله لم يدركوا الأعمال ولم تجر عليهم الأقلام قال: (ربك أعلم بما كانوا عاملين، والذى نفسي بيده لئن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار).

ومن القصص الذي يدل على أن أطفال المسلمين في الجنة ما نقله القرطبي في التذكرة قول النبي

{صلى الله عليه وسلم}: (سألت ربي أن يريني أهل الجنة وأهل النار، فجاءني جبريل وميكائيل - عليهما السلام - في النوم فقالا: انطلق أبا القاسم .. إلى أن قال: وأنا أسمع لغط الصبيان، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هم ذرية أهل الإسلام، الذين يموتون، قبل آبائهم يكفل بهم إبراهيم - عليه السلام - حتى يلحق آباؤهم).

ويرى آخرون أن الأطفال - قبل الحنث - على الفطرة، وأنهم يدخلون الجنة، وأوردوا[٢٣] في هذا المقام حديث البخاري عن أبي رجاء العطاردي، عن سمرة بن جندب عن النبي {صلى الله عليه وسلم} الحديث الطويل، حديث الدويا، وفيه قوله {صلى الله عليه وسلم}: (وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإبراهيم - عليه السلام - وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة) فقيل: يارسول الله وأولاد المشركين، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (وأولاد المشركين).

وخرج البخاري أيضا في رواية أخرى عن أبي رجاء العطاردي: والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم - عليه السلام - والصبيان حوله أولاد الناس. وهذا يقتضي عمومه جميع الناس.

قال القرطبي: قلت ذهب إلى هذا جماعة من العلماء، وهو أصح شيء في هذا الباب، قالوا أولاد المشركين إذا ماتوا صغارا في الجنة، واحتجوا بحديث عائشة. ذكره أبو عمر في التمهيد قالت: سألت خديجة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن أولاد المشركين فقال: (هم مع آبائهم) ثم سألته بعد ذلك فقال: (الله أعلم بما كانوا عاملين) ثم سألته بعدما استحكم الإسلام فنزلت (ولا تزر وازرة وزر أخرى) قال: (هم على القنطرة أو قال هم في الجنة).

وقد جاء في منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال فصل عن[٢٤] (أطفال المؤمنين) وفصل عن (أولاد المشركين) تدور حول هذا الرأى الأخير، وسنعرض بعض النصوص التي جاءت في هذا القصص جاء عن أبي بكر في الغيلانيات وابن عساكر عن أبي أمامة: (ذراري المسلمين يوم القيامة تحت العرش شافع ومشفع من لم يبلغ اثنتي عشرة سنة، ومن بلغ ثلاث عشرة سنة فعليه وله) و(ذراري المسلمين عصافير خضر في شجر الجنة يكفلهم أبوهم إبراهيم - عليه السلام) عن مكحول مرسلا. (أطفال المؤمنين في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة - عليه السلام -) عن سلمان موقوفا.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - (أولاد المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة). وعن ابان عن أنس قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (يؤتى يوم القيامة بالمتقاعسين والمتبذلين. قالوا يارسول الله ومن هم؟ قال: أما المتبذلون فهم الذين بذلوا مهج دمائهم فهراقوها شاهري سيوفهم، يتمنون على الله يوم القيامة، لا تردهم حاجة، وأما المتقاعسون: فهم أطفال المؤمنين، اشتد عليهم الموقف، فيتصايحون فيقول الله يا جبريل ما هذا الصوت؟ - وهو أعلم بذلك - فيقول جبريل: أى رب صوت أطفال المؤمنين اشتد عليهم الموقف، فيقول: أظلهم تحت ظل عرشي، ثم يقول: يا جبريل أدخلهم الجنة، فيرتعون فيها فيسوقهم جبريل، فيتصايحون كما تصيح الخرفان إذا عزلت عن أمهاتها، فيقول: ياجبريل - وهو أعلم بذلك منه - ما حالهم؟ قال: أي رب يريدون الآباء والأمهات، فيقول - عز وجل - أدخل الآباء والأمهات مع أطفالهم).

وجا في القصص النبوي عن أولاد المشركين قصة عن سمرة عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (أولاد المشركين خدم أهل الجنة)[٢٥] وعن أنس أيضا قال: سألت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن ذراري المشركين، لم يكن لهم ذنوب يعاقبون عليها فيدخلون النار، ولم يكن لهم حسنات يجازون بها فيكونوا من ملوك الجنة، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}: (من خدم أهل الجنة) وعن أنس أيضا عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إني سألت ربي أولاد المشركين فأعطانيهم خدما لأهل الجنة، لأنهم لم يدركوا ما أدرك آباهم من الشرك، ولأنهم في الميثاق الأول) وعنه أيضا (سألت ربي أن يتجاوز لي عن أطفال المشركين فتجاوز عنهم وأدخلهم الجنة) وروى أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (يا عائشة لو شئت لأسمعتك تضاغيهم في النار - يعنى أطفال المشركين).

وعن عبد الله بن شداد أن رجلا سأل النبي {صلى الله عليه وسلم} عن ذراري المشركين الذين هلكوا صغارا فقال: (إن الله تبارك وتعالى، إذا قضى بين أهل الجنة والنار، ثم ميزهم عجوا فقالوا: اللهم ربنا لم يأتنا رسولك، ولم نعلم شيئا، فأرسل إليهم ملكا - والله أعلم بما كانوا عاملين - فقال: إني رسول ربكم إليكم، فانطلقوا فاتبعوا حتى أتوا النار، قال إن الله

يأمركم أن تقتحموا فيها، فاقتحمت طائفة منهم، ثم أخرجوا من حيث لا يشعر أصحابهم، فجعلوا في السابقين المقربين، ثم جاءهم الرسول فقال: إن الله يأمركم أن تقتحموا في النار، فقالوا: ربنا لا طاقة لنا بعذابك، فأمر بهم فجمعت نواصيهم وأقدامهم ثم ألقوا في النار).

ويميل القرطبي إلى أن أولاد المشركين في الجنة، ويورد بعض القصص النبوي، ومنها ما روى عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم فإنما يولدون على الفطرة على الإسلام كلهم، ولكن الشياطين أتتهم فاختالتهم عن دينهم فهودتهم ونصرتهم ومجستهم، وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا).

وخرج من حديث عياض بن حماد المجاشعي عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه قال في خطبته: (إن الله أمرني أن أعلمكم، وقال: إني خلقت عبادي كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاختالتهم عن دينهم، وأمرتهم أن يشركوا بي، وحرمت عليهم ما أحللت لهم).

ثم قال القرطبي: ذكر جماعة من العلماء بالتأويل أن الله - تعالى - لما أخرج ذرية آدم من صلبه في صور الذر، أقروا له بالربوبية . وهو قوله تعالى: {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم! قالوا بلى شهدنا} ثم أعادهم في صلب آدم بعد أن أقروا له بأنه لا إله إلا هو، ثم يكتب العبد في بطن أمه شقيا أو سعيدا على الكتاب الأول، فمن كان في الكتاب الأول شقيا عمر حتى يجرى عليه القلم فينقضى الميثاق الذى أخذ عليه في صلب آدم بالشرك ، ومن كان في الكتاب الأول سعيدا عمر حتى يجرى عليه القلم فيؤمن فيصير سعيدا، ومن مات صغيرا من أولاد المسلمين قبل أن يجرى عليه القلم فهم مع آبائهم في الجنة، ومن كان من أولاد المشركين فمات قبل أن يجرى عليه القلم فليس يكونون مع آبائهم في النار، لأنهم ماتوا على الميثاق الأول الذى أخذ عليهم في صلب آدم {صلى الله عليه وسلم} ولم ينقضوا الميثاق.

قال القرطبي: وهذا أيضا حسن، فإنه جمع بين الأحاديث، ويكون معنى قوله - عليه الصلاة والسلام - لما سئل عن أولاد المشركين فقال: (الله أعلم بما كانوا عاملين) يعني لو بلغوا بدليل حديث البخاري وغيره مما ذكرناه. وهذا أيضا يقوى ما أخذناه من أن أطفال المشركين في الجنة، وحديث عياض بن حماد خرجه مسلم في صحيحه وحسبك حسبك.

= للبحث بقية =

الهوامش:

(١) حادي الأرواح ص ٢٥٩.

(٢) التذكرة ص ٥٦١ وحادي الأرواح ص ٢٧١ وما بعدها والفتن جـ٢ ص ٣٤٠.

(٣) حادي الأرواح ص ٢٧٢.

(٤) المرجع السابق ص ٢٧٩.

(٥) الدحم: الدفع الشديد.

(٦) النهاية في الفتن والملاحم جـ١ ص ٢٧٠ وتروى القصة بطريقة أخرى في جـ٢ ص ٣٣٣.

(٧) المرجع السابق جـ٢ ص ٣٣٥.

(٨) ص ٥٦٢.

(٩) حادي الأرواح ص ٢٨٦.

(١٠) الفتن والملاحم جـ٢ ص ٣٤٤.

(١١) الترغيب والترهيب جـ٤ ص ٥٣٧ وحادي الأرواح ص ٢٩١.

(١٢) حادي الأرواح ص ٢٩٣.

(١٣) حادي الأرواح ص ٢٩٢ - ٢٩٥.

(١٤) الأجمة من القصب وتجمع على أجمات وآجام.

(١٥) الترغيب والترهيب جـ٤ ص ٥٣٨ وحادي الأرواح ص ٢٩٢ والفتن جـ٢ ص ٣٧٥.

(١٦) الفتن لابن كثير جـ٢ ص ٣٧٧.

(١٧) التذكرة ص ٥٨٩.

(١٨) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص٤٢ والنهاية في الفتن جـ٢ ص ٣٩١.

(١٩) النهاية في الفتن جـ٢ ص٢٦٣.

(٢٠) التذكرة ص ٦٠٠ قبلها وبعدها.

(٢١) جمع دعموص وهو دويبة تغوص في الماء وصحيح مسلم شرح الأبي جـ٧ ص ٦٩.

(٢٢) المرجع السابق ص ٥٩١.

(٢٣) التذكرة ص ٥٩٥.

(٢٤) هامش مسند الإمام أحمد جـ٦ ص ١١٨ - ١١٩.

(٢٥) انظر التذكرة ص ٥٩٧.



موت شاعر

شعر : محمد الحلوي ـ المغرب ـ

إلى كل شاعر مات وفي قلبه بقية من شعر:

أشدوُ النّاي؟ أمْ صوتُ النعي ... تردد هولهُ في كل حي؟

أفاق الكونُ منه على نشاز ... وغطى الحزن فيه كل شيء

ومن لم يعرف الاحزانَ يوماً ... بكت عيناه بالدمع السخي!

وعهدي بالبلابل صادحات ... تُغرد بالغُدُو وبالعشي

على نهر وريف الظل ساج ... وبين الزهر في روض ندي

خَرُسْنَ من الأسى وشَدَوْنَ لحنا ... جنائزي المقاطع والروي

دعا للحب فيها من تعالوا ... وضلّوا السير في النهج السوي

وغنّى لليتامى والأيامى ... وللشيخ المعمر والصبي

وشنف مسمع الدنيا بشعر ... أرق من الرحيق البابلي

تحدى بالعزيمة كل خطب ... وقاوم كل إعصار قوي

وعاش كصخرة لم تشك ضعفا ... ولا وهنا من السيل الأتيّ

ولم يك شعلة يخبو ضياها ... ولكن كان كالصبح البهي

تغلغل لحنه في كل قلب ... وأنس كلَّ محروم شقي

ونبعا كان ثراً في انسياب ... يروي كل منتجع قصي

كـهـامـي الـغـيـث يُمطر كل مـحـل
ويـغـمـره بـامـداد ثـري

* * *

رأى مـن حـولـه أشـبـاه نـاس
بـلا مـثـل ولا خـلـق رضـي
حـرابـى فـي مـظـاهـر زائـفـات
تـعـيـش عـلـى الـنـفـاق بـألـف زي
رآهـا وهـي تـخـبـط فـي سـراهـا
وتمشي مـشـيـة الـثـمـل الـغـوي
فـأحـرق نـفـسـه ليـضـيء دنـيـا
لـعـمـيـان تـسـيـر بلا عـصـي
وأعـرض عـن لـذائـذ مـغـريـات
عـزوف الـحـر ذي الخـلـق الأبـي
بمـن يـشـكـو؟ ومـن يـشـكـو إلـيـه
وويـل لـلـشـجـي مـن الخـلـي

* * *

مـضـى كـالطيف في غـمـضـات عين
يـراودهـا لـيـسـرع فـي المـضـي
وأغـمـض عـيـنـه والـنـفـس حـسـرى
وأبـحـر نـحـو عـالمـه الخـفـي
وخـلّف بـعـده رفـقـاء درب
سـتـركـب اثـره نـفـس المـطـي
ودنـيـا لا مـكـان بـهـا لحـر
بمـا يـغـنـيـه مـن قـيـم غـنـي
مـضـى ويـقـلـبـه الـدامي جـراح
عـمـيـقـات طـواهـا شَرُّ طـي
وغـاب قُمـيـر نـاد كـان يـجـلـو
بـسـاطـع نـوره غـسـق الـنـدي
ومـا مـوت المـواهـب غـيـر مـوت
لمـوطـنـهـا ومـأتم كـل حـي
نـوادي الـشـعـر بـعـدك فـي وجـوم
ويـلـبـلـهـا اعـتـراه شـرّ عـيّ
مـلأت بـه الحـيـاة هـوى وعـشـقـا
نـسـيـت بـه هـوى لـيـلـى ومـي
سـتُنسى مـثـلـمـا نـسـيـت رمـوز
وتـبـلـى ذكـريـات الـعـبـقـري
كـمـا تـبـلـى زهـور فـي ريـاض
وتـنـفـى نـفـحـة الـعـطـر الـزكـي
سُقـيـت ـ وقـد ظمـيـت هـنـا ـ بـويـل
مـن الـرحـمـات يـنـسـي كـل ري

في الانتماء الثقافي (٣ ـ ٦)

مقومات الانتماء الثقافي والنهضة الحضارية

في فكر عبد الله النديم (١٢٦١ ـ ١٣١٣هـ/ ١٨٤٥ ـ ١٨٩٦م) عن الانتماء الثقافي ومقومات النهضة الحضارية، يعترف الرجل بدور «الغرب الأوربي» في إيقاظ «الشرق».. لكن ليس بالمعنى الذى يتحدث عنه من كان يسميهم النديم بـ «الأجراء»! أولئك الذين كانوا يقولون إن الغرب راغب في إيقاظ الشرق.. وأيضا ليس بمعنى سعي بعض الشرقيين إلى تبنى النموذج الغربي وتقليده ـ منذ الاحتكاك بين الحضارتين .. **وإنما المعنى الذي أراد النديم الحديث عنه ـ في دور الغرب في إيقاظ الشرق ـ هو إيقاظ النقيض لنقيضه، ودور العدو في التنبيه على الثغرات ومكامن الخطر، و«فضل» اللص في إيقاظ صاحب البيت من ثباته العميق؟!.**

فالغرب ـ بعد الهجمة الاستعمارية على الشرق ـ قد نهض بدور «المستفز» الذى استنفر الشرقيين للاستيقاظ!.. «فلقد أثرت حركات أوربا في معظم شيوخ هذا العصر وشبابه، فتحركت فيهم همم وغيرة وهمية لم تكن تُظن فيهم لو لم تقبح أوربا سيرهم الديني والدنيوي، فقابلوا بين نهيها عن التظاهر بالشعائر الدينية وبذلها النفس والنفيس في حياة الدين والدعوة إليه ببث المرسلين وتكثير المعابد، فتولدت فيهم روح المماثلة، فأصبحوا يقولون وغدوا يفعلون»[١].

لقد استفز الغرب الشرق، عندما قبح سيرنا الديني والدنيوي، وعندما دعانا إلى التخلى عن ديننا ـ في الوقت الذى كان يهجم علينا بإرساليات التنصير وبناء الكنائس والمدارس التى تسعى لتحويل أبنائنا عن دينهم.. فكان أن تحركت الهمم والغيرة والحمية، بسبب هذا الاستفزاز الغربي، و«تولدت روح المماثلة» ـ لا التبعية لما أراد الغرب ـ وتبلور لليقظة الشرقية تيار من الشيوخ والشباب «أصبحوا يقولون وغدوا يفعلون»!

والنديم يُحدّث تيار اليقظة الشرقية عن مقومات الانتماء، وعن ثوابت النهوض، التى لا يجوز التفريط فيها ولا التنازل عنها تقليدا للأوربيين.. وهي ست مقومات:

١ ـ حفظ المظهر والوجاهة..

٢ ـ وحفظ الثروة، من صناعة وتجارة.

٣ ـ وحفظ الوطنية، وحقوقها وواجبات أهلها.

٤ ـ وحفظ الجنسية، بعدم التقليد والاتباع لمحسنات الغير

بقلم المفكر الاسلامي : أ .د. محمد عمارة
ـ مصر ـ

ومجاراته في أقواله وأفعاله.

٥ ـ وحفظ اللغة، التي هي أداة الحفاظ على الأخلاق وتحسين العادات والمألوفات.

٦ ـ وحفظ الدين، الذي يمثل حفظه الجامعة الحافظة لكل مقومات الانتماء، من الوجاهة والثروة والوطنية والجنسية واللغة.

وينبه النديم، في حديثه عن هذه المقومات، على الثوابت منها، والتي لا يجوز تغييرها حتى ولو اقتضى التغيير تحقيق منافع مادية ودنيوية.. وهذه الثوابت هي الدين، والجنسية ـ القومية ـ والوطنية.. وفي ذلك يقول: «ينبغى لمن يغير عادته بعادة الغير أن ينظر في أصل عادته وفوائدها ومضارها، ثم في عادة الغير كذلك، فإن رأى حسن عادته، وأنها من لوازم حفظ المظهر، أو الثروة، أو الوطنية، أو الجنسية، أو اللغة أو الدين لزمه البقاء عليها وإن لم تحسن في عين الخليط، وإن رآها مضرة بذاته أو وطنه أو الهيئة الاجتماعية غيّر منها مالا يفقده الاعتقاد الديني والشعور الجنسي والغيرة الوطنية.

فإن انتقل من عادته بلا روية ولا نظر للعواقب فقد سلَّم ذاته لمن انتقل لعادته بلا حرب، ويعز عليه الرجوع لجنسيته ووطنيته وخصائص أمته بعد نسيانه ما هي عليه من العادات ومالها من الأخلاق».

فالتخلى عن مقومات الشخصية الحضارية، بتقليد الغير، هو «تسليم للذات بلا حرب» كما يقول النديم.

وإذا كان النديم قد نبه على إمكان تغيير العادات « المضرة بالذات والوطن والهيئة الاجتماعية» فإنه قد اشترط أن لا يمس هذا التغيير ثوابت الهوية الحضارية «الاعتقاد الديني، والشعور الجنسي (القومي)، والغيرة الوطنية».. **كما نبه على محورية الدين في ثوابت هذه الهوية الحضارية**، لأن الانسان «إذا تهاون في أحوال دينه وفروعه هان عليه التقاعد عن نصرة أهله، الجامعة لما تشتت من الوجاهة والثروة والوطنية والجنسية واللغة».. **فكأنما الحفاظ على الدين هو الجامع الحافظ لكل مقومات الانتماء..** وذلك ـ بعبارة النديم ـ «لسرى الجاذبية الدينية في الجسم سرى الماء في العود.. حتى لنرى مقيما في الشرق يتألم بمصاب أحد أهل دينه في الغرب، وليس بينه وبينه جامعة وطن أو جنس أو لغة».. وإذا فقد الانسان جامعة الدين «بتقليد الغير، فقد استخدم نفسه لأفكار الغير، حتى لو اضطره لمقاتلة أبيه وأخيه معه لفعل، لاستقباحه ما هم عليه واستحسانه ما عليه الغير»[٢].

حدد النديم هذه المقومات للهوية الحضارية في أول عدد من أعداد مجلة (الأستاذ)، وظل يلح عليها في كل الأعداد.

فالدين الاسلامي «هو مرجع المجد وأصل الشرف»[٣].. و«هو أقوى دعائم العمران[٤].. والسبب الوحيد في المدنية وتوسيع العمران، أيام كان الناس عاملين بأحكامه»[٥].. وليس هناك حبل متين تقاد به الأمم غير الدين[٦].

ولذلك يتصد النديم لمزاعم غلاة الأوربيين الذين يزعمون أن الاسلام هو سبب تخلف المسلمين، كاشفا عن دوافع التعصب الديني الذي يدفعهم إلى هذه المزاعم.. وفاضحا «الأجراء» و«العملاء» ـ من «الطائرين حول دهاة أوروبا ـ الذين يبشرون بيننا بهذه المفتريات.. فيقول: «ومنهم القائلون إن الدين الاسلامي مانع من التقدم.. وأصحاب هذا القول

كالببغا.. فقد قلدوا في هذا الوهم أوروباويا في قوله الذي طارت به الصحف[٧].. وفاتهم أن الشرق ممتلىء بأديان تغاير الاسلام، والآخذون بها أضعاف الآخذين بالاسلام، ومع ذلك فإن تقهقرهم أكثر من المسلمين، وحالهم أحط من المسلمين بدرجات».

كما يفند النديم دعوى هذا الزعيم الأوربي المتعصب، بأن الاسلام هو سبب تعصب المسلمين دينيا ضد الغربيين.. «فدعوى هذا الأوربي أن الاسلام سبب لحركات الشرق ضد الغرب، وأنه لا سُكُون للأفكار إلا بإعدام القرآن والآخذين به - [؟!] - مدحوضة بالحروب المتواصلة بين دول أوربا المسيحية من عهد الرومانيين إلى الآن، وكلما كثرت مدنية دولة أوربية كثر تفننها في آلات القتال والتدمير، مع سكون الشرق هذه القرون الطويلة، لا يتحرك إلا دفاعا عن وطنه الموطوء بأقدام أوربا الملوثة بالدماء الشرقية، ولا يحركه إلا فتنة أوربية، ولا داعي لأوربا في تحريك الممالك الشرقية إلا الطمع الملكي والتعصب الديني.

وإنما لشدة تمسك هذا الأوربي بدينه، كره أن يرى دينا غيره، وأحب أن يسمع صدى صوته في بلاده، لتميل النفوس إلى رجل غيور على الدين.

وقد كان للإسلام اليد القوية أيام صولته، فلم يبطش بها بمواطنيه، ولا مدها إلى معاهديه، بل ولا حرك بها عصاة نحو المتوحشين عند نزولهم على حكمه تحت سطوة سلطانه. ولم يكن عند رجاله من التعصب ما يحملهم على قهر الناس بالتضييق على ترك أديانهم، بل خيّر من نازلهم بين الأخذ به أو الاستيطان على حكمه، وهذه خصوصية له من بين الأديان».

فلم يكن الاسلام، ولا الأديان الشرقية السبب في التأخر، كما يزعم كثير من الطائرين حول دهاة أوربا، بل إن الدين الاسلامي كان السبب الوحيد في المدنية وتوسيع العمران أيام كان الناس عاملين بأحكامه»[٨].

وكما انتقد النديم دهاة أوربا، المتعصبين لدينهم ضد الإسلام، انتقد كذلك الماديين الأوربيين الذين يرون «أن الأديان هي سبب التخاذل الحاصل في العالم، ولا سبيل لمنعه إلا تركها جملة وإعدامها من الوجود»!.. ووجه حديثه إلى «الأجراء» «المقلدين» من أبناء أمتنا، الذين كانوا ينقلون هذه النظريات الأوربية وينشرونها في بلادنا.. «فهذا الفريق مقلد لدهاة أوربا، الذين أفسدوا كثيرا من الأخلاق الشرقية بهذه التُّرهات والأوهام. مع أننا لو فرضنا عدم صحة الأديان، وأنها وضعت نظامات في أيام الخشونة والجهالة ولا لزوم لها الآن مع وجود القوانين الوضعية، لكان من الواجب احترامها واعتبارها، فإن تأثير وعدها ووعيدها في النفوس لا يبلغه قانون، فإن الشخص يمكنه أن يفر من عقوبة القانون، ولكنه لا يمكنه أن يفر من عقوبة الله سبحانه وتعالى. وما ساعد الملوك على النظام وبث الأمن إلا القانون الديني.. والدين هو الذي يحمل العسكري على بيع حياته.. ولو علم أن لا بعث ولا أجر على عمله لفر من ساحة القتال، فإن أرغم قاتل مكرها. ولا يقال إن الشرف الوطني يلزمه باقتحام غمرات الموت، فإنه إذا علم أنه يقدم للموت ليفوز الملك أو الأمير بمراده، ولا ثواب ولا نعيم، فإنه لا يبيع حياته بلذة غيره»[٩].

وهكذا، يقف النديم مدافعا عن الاسلام، وعن مطلق الدين والتدين، أمام الفكر الأوربي، الذي تنشره في بلادنا صحافة «الأجراء» و«المقلدين لدهاة أوربا» و«الطائرين حول هؤلاء الدهاة»، سواء أكان

هذا الفكر الأوربي تعصبا نصرانيا ضد الاسلام، أم مادية رافضة لمطلق الدين.

والنديم الذي عاش في عصر «المسألة الشرقية» والصراع الأوربي مع الدولة العثمانية، قد أبصر مكانة الاسلام في هذا الصراع.. فعداء أوربا لهذه الدولة العثمانية كان منطلقه العداء للإسلام، الذي يحول بين الغرب وبين تنصير المسلمين، والذى يحمي الشرق من الاستسلام لهيمنة الغرب ونهبه واستغلاله.. «ولو كانت الدولة العثمانية مسيحية الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة والصغيرة.. ولكن المغايرة الدينية وسعي أوربا في تلاشي الدين الاسلامي أوجب هذا التحامل».

ويوجه النديم قوارص الكلمات إلى تيار التقليد لأوربا، الذى احترفت صحافته ذم الدولة العثمانية، فيقول: «وإننا نرى كثيرا من المغفلين الذين حنكتهم قوابلهم باسم أوربا يذمون الدولة العلية، ويرمونها بالعجز وعدم التبصر وسوء الإدارة وقسوة الحكام، ولو أنصفوها لقالوا إنها أعظم الدول ثباتا وأحسنها تبصرا وأقواها عزيمة، فإنها في نقطة ينصب إليها تيار أوربا العدواني، لأنها دولة واحدة إسلامية بين ثماني عشرة دولة مسيحية غير دول أمريكا وتحت رعايتها جميع الطوائف والأجناس والأديان، وكثير من اللغات، والفتن متواصلة من رجال أوربا إلى من يماثلهم مذهبا أو يقرب منهم جنسا»[١٠].

فالنديم، الذي سبق وأوردنا له الشواهد على دعوته لإصلاح الدولة العثمانية، وتجديد شباب دارتها، هو الذى يسفه هنا دعاوى «المغفلين» الذين حنكتهم قوابلهم باسم أوربا»؟! ضد الدولة العثمانية، لأنها دعاوى معادية لهذه الدولة لحساب الرصيد لاستعماري الأوربي، وليست دعوات للإصلاح تستهدف تقوية السياج العثماني حماية للشرق وحضارته في الصراع مع الأوربيين ـ كما كان حال وموقف النديم وتيار الجامعة الاسلامية إزاء العثمانية والعثمانيين.

هذا عن الدين ـ والدين الاسلامي على وجه الخصوص ـ كثابت من ثوابت الهوية الحضارية الشرقية.. فهو «أقوى دعائم العمران.. والسبب الوحيد في المدنية.. ومرجع المجد وأصل الشرف.. الذى تسري جانبيته في الجسم سرْي الماء في العود».

الهوامش:

(١) الأستاذ العدد الثامن عشر، ص ٤١٩، ٤٢٠.

(٢) المصدر السابق. العدد الاول ص ١٢ ـ ١٤.

(٣) المصدر السابق. العدد الثاني والعشرون. ص٥١٩.

(٤) المصدر السابق. العدد الخامس والعشرون، ص ٥٩٣.

(٥) المصدر السابق. العدد الخامس عشر، ص ٣٥٢.

(٦) المصدر السابق. العدد السابع عشر، ص ٣٩٤.

(٧) الإشارة إلى السياسي الاستعماري الانجليزي. وليم غلادستون (١٨٠٩ ـ ١٨٩٨م).

(٨) الأستاذ. العدد الخامس عشر، ص ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٥٢.

(٩) المصدر السابق. العدد الخامس عشر. ص ٣٣٩، ٣٤٠.

(١٠) المصدر السابق. العدد الثامن، ص ١٦٩.

أعلام في التاريخ

فن الكتابة التاريخية

نتحدث اليوم عن أحد أعلام فن الكتابة التاريخية وهو رجل معروف بين قراء الأدب بكتابه «المقتبس من تاريخ الأندلس» وأعني به مؤرخ الأندلس ابن حيان. ويقيني أنني لست الرجل الأمثل للحديث عن ابن حيان ذلك لأنني لا اسرف في حبه واعظامه كما يفعل كثير من أصحاب الدراسات الأندلسية. وقد مكثت فترة من العمر ابتعد عن كتابات ابن حيان لا لعدم نفاستها فانني اعترف انها أهم مصدر من مصادر تاريخ الأندلس ولكن لأن للرجل صفتين لا أحبهما:

أولاهما: أن الرجل لا يمتلك أسلوبا أدبيا رصينا في الكتابة.

وثانيتهما: أنه رجل مفرط النزعة في حبه لبني مروان الأندلسيين وذلك لأنه يعد من مواليهم فتجد أحكامه التاريخية التي يصفها الكثير بالنزاهة هي في الحقيقة أميل إلى التعصب الأعمى والبعد عن الصواب. وقد عمر ابن حيان كثيرا، فقد عاش بين ٣٧٧هـ - ٤٦٩هـ. وينسبه المؤرخون إلى جد هو حيان وقد كان حيان هذا مولى للأمير عبد الرحمن بن معاوية الشهير بعبد الرحمن الداخل. ونقرأ سلسلة نسبه فلا نجد أحدا من أجداده كان من النباهة ورفعة الذكر ونستثني من ذلك والده خلف بن حيان. وتكاد النقول تشير إلى أن الرجل لم يكن من العرب بل كان من الأسبان الأصليين الذين أسلموا.

ومؤرخ الأندلس قد حفظ لنا تاريخ الأندلس ولكنه لم يحفظ لنا تاريخ نفسه وحياته وليته كتب شيئا عن نفسه لأتى بالعجب العجاب لا سيما ان ابن حيان على الرغم مما أخذناه عليه دقيق الملاحظة مفرط التقصي للمعلومات صغيرها وكبيرها. وهذا يتضح في وصفه للفتنة التي عايشها، فقد كان يذهب إلى معاينة الأحداث فيصف القتيل فلان ومكان الطعنة في جسمه، كما حصل عندما أورد مقتل ابن القطاع على يد المظفر بن المنصور بن أبي عامر، فقد أورد أن الطعنة كانت في خده الأيمن وقد رآها بنفسه.

فليته حفظ لنا تاريخ حياته بتلك الدقة التي حفظ بها تاريخ الأندلس. انها نفس المشكلة التي عانيناها - في ترجمة أديب الأندلس الكبير على بن بسام الشنتريني الذي أرخ للناس وجمع تراثهم ونشره ولكنه أغفل الترجمة لنفسه. وأذكر مثلا آخر لمن أهمل الترجمة لنفسه ألا وهو بلوتارك المؤرخ العظيم الشهير الذي كتب مقارناته بين عظماء الرومان واليونان فانك تقرأ بين ثنايا الكتب فلا تجد له ترجمة وافية شاملة.

أما والد المؤرخ خلف بن حيان فهو رجل مميز يستحق الترجمة والحديث. لم يؤلف كتابا ولكنه يكاد أن يكون الأستاذ الاكبر لمؤرخنا حيان بن خلف بن حيان. أحب والده العلم فأخذ طريقه إلى حلقة أبي الحسن الأنطاكي وهو أديب قادم من المشرق كان يدرس العربية والأدب على عهد الأمير الحكم المستنصر الأموى فاستفاد منه وألمّ بكثير من علمه وأقبل بعد ذلك على كتب العلم ينهل منها وعلى كتاب التاريخ بالذات. ونستطيع أن نقول أننا اكتشفنا مؤرخا جديدا في شخص خلف بن حيان ذلك لأن بعض مرويات ابن حيان المؤرخ كانت نقلا عن مشاهدات والده.

وقد كان خلف بن حيان رجلا ذكيا ألمعيا حسن السياسة. فقد التحق بخدمة المنصور بن أبى عامر ومازال محببا اليه إلى أن توفي المنصور. ومع أن بعض الذين صحبوا المنصور الحاجب قد نكبوا على يد المنصور ولكن خلف بن حيان مازال على الدوام يزداد رفعة في بلاط المنصور. وعندما كان خلف بن حيان في السادسة والثلاثين من عمره رزق بابنه حيان بن خلف بن حيان فاهتم به ولا نستطيع بين ثنايا الكتب الأندلسية أن نتبين اي ذكر لإخوة له، ويذهب ظنى إلى أنه الولد الوحيد لذلك الرجل العصامي. وقد اهتم والده به وأحب ان يثقفه ويعلمه فذهب به إلى خيرة الأدباء والعلماء في ذلك الزمان، وقد كان منهم صاعد البغدادي وهو أديب بغدادى وفد إلى الأندلس وأقام في بلاط المنصور بن أبي عامر وقد عاش في بلاطه وكتب كثيرا في الثناء عليه وألف كتابه الفصوص بين يديه. ومنهم ابن أبى الحباب وهو أعظم تلاميذ أبي على القالي الذي وفد على الحكم المستنصر ، ولا ننسى أستاذاً آخر لأبن حيان انتهى نهاية فاجعة وهو ابن الفرضى صاحب كتاب «تاريخ علماء الأندلس».



وقد تنوعت مصادر ثقافة ابن حيان فمن اللغة والأدب إلى الشريعة والنحو والحديث. وقد عاش فترة قبل انفجار الفتنة اثر مقتل شنجول بن المنصور بين

بقلم : د. طاهر تونسي
- جامعة الملك عبدالعزيز بجدة -

٣٩٩هـ و٤٢٢هـ أي حوالي ثلاثة وعشرين سنة توالى على السلطة خلق ولكنها انتهت بزوال بنى مروان الذى كان يواليهم ويحبهم. وقد ألف ابن حيان كتابه الخالد «المتين» وهو من الأعلاق النفيسة النادرة وقد ضاع المتين في جمله ما ضاع من تراث المسلمين. وقد تناول في كتابه المتين هذه الفترة المذكورة بين سنتي ٣٩٩ - ٤٢٢هـ. ولم يبق من كتاب المتين إلا ما أورده ابن بسام في الذخيره وما أورده المقرى في نفح الطيب.

واستمرت الفتنة في قرطبه حتى اتفقت جميع الأطراف على الغاء الدولة المروانية ثم قر الرأى على أن يقوم بأمر قرطبه الرجل التقى الورع ابو الحزم جهور فقام بحكم قرطبه بالعدل والقسطاس واتخذ من الشورى الإسلامية نبراسا له فحكم قرطبة ١٣ سنة بين ٤٢٢ - ٤٣٥هـ وقد عاصر ابن حيان هذه الفترة ثم مات أبو الحزم جهور فانتخب الناس ابنه أبا الوليد محمد بن جهور. وهنا بدأت أطماع ملوك الطوائف في أملاك بعضها البعض فهذا حاكم طليطلة المأمون بن ذى النون يتلمظ إلى حكم قرطبه فيهجم عليها. فيستجير عبد الملك بن جهور بالمعتمد بن عباد فينجده ثم ما يلبث أن يغدر به وينفيه من قرطبه ويحتل قرطبة.

وقد عاصر ابن حيان كل هذه الأحداث المؤلمة واستمر ملازما بيته وهو يدلف إلى الثمانينيات حتى مات وهو في الخامسة والثمانين من عمره.

أما ما أخذه البعض على ابن حيان فإنه يتمثل في حادثتين:

الأولى: ان ابن حيان أهدى كتابه إلى المأمون يحى بن ذي النون ثم ما لبث أن أثنى على المعتمد بن عباد الذى قتل المأمون بن ذى النون وأسرف في شتم المأمون بعد مقتله.

والثانية: حادثة ابن السقاء وزير ابي الوليد محمد بن جهور أكثر ابن حيان في الثناء على ابن السقاء ثم ما لبث أن انقلب عليه بعد مقتله على يد أبي الوليد وشتم ابن حيان ابن السقاء وتملص مما بدر منه من الثناء عليه.

وقد قضى ابن حيان ايامه الأخيرة شبه معزول عن الناس إلا أهل العلم منهم وكان أقربهم إلى نفسه شاعر الأندلس ابن زيدون. وثقافة ابن حيان متعددة موسوعية وقد أثنى عليها تلاميذه المتعددون الذين أخذوا العلم عنه.

ومن أولئك أديب الأندلس الشهير ابو عبيد البكرى صاحب المؤلفات القيمة في علم الجغرافيا ومنها المسالك والممالك» و«معجم ما استعجم». ومن أولئك ابنه عمر بن حيان بن خلف وقد كان مهتما كأبيه بالأدب والتاريخ والثقافة وقد أخذ كثيرا من مرويات التاريخ على أبيه. وبعد وفاة والده ابن حيان بأعوام قتل عمر بن حيان على يد أحد أبناء المعتمد بن عباد. ومن تلامذته أيضا ابن الفيلسوف الباجي.

ويطيب لي أن أعرج على مؤلفات ابن حيان. وعلى عكس المتوقع فإنني أبدأ الحديث عن كتابه المتين قبل كتابه الأشهر «المقتبس من تاريخ الأندلس»، وذلك لأسباب عديدة منها أنه مفقود وأن الحزن ينتاب الباحثين لفقده. ومنها اختلاف الآراء حوله ومنها انه في رأيى أهم من المقتبس للأسباب التي سأوردها. وقد بالغ الكثيرون في وصف «المتين» وأذكر أن الأستاذ على أدهم في كتابه «بعض مؤرخي الإسلام» زعم أن المتين أعظم حجما من المقتبس وأنه أرخ فيه لتاريخ الإسلام من بدايته وقد وهم كثير من المؤرخين والأدباء نفس الوهم. والحقيقة التى لا ريب فيها أن المتين أصغر حجما من المقتبس أما قول بعض المؤرخين انه في ستين مجلدا فليس بالضرورى أن يكون المجلد ما يتبادر إلى ذهننا من المجلدات الكبيرة. وليس المتين تاريخا للمسلمين منذ بداية الإسلام ولا هو بالتاريخ المفصل للأندلس ولكنه عبارة عن فصول كتبها وقيدها مسجلا أحداث الأندلس منذ ظهور الفتنة الكبرى وذلك بعد هجوم أحد أمراء بني أمية على شنجول بن أبي عامر أي سنة ٣٩٩هـ حتى وفاته. وقد وهم قوم آخرون أنه دون في المتين أخبار الدولة العامرية وذلك لأن لابن حيان كتاباً آخر اسمه أخبار الدولة العامرية فحسبوا أن ذلك اسما آخر للمتين. وذلك وهم خاطىء ايضا فإن كتاب أخبار الدولة العامرية كتاب آخر وهو الجدير بلقب المفقود. وكتاب «المتين» من الأعلاق المفقودة ويقيني أنه سيظهر في هذه الخزانة أو تلك عند أحد المهتمين بهذه المخطوطات النفيسة. ورغم أن مخطوطته مفقودة إلا أن أجزاء كبيرة من الكتاب حفظها شيخ أدباء الأندلس على بن بسام الشنتريني في رائعته الخالدة «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» فقد نقل نقولا كثيره عن ابن حيان. والنصوص التى نقلها ليست موجودة في المقتبس وهى لا تخص الدولة العامرية فنستنتج أنها من كتاب المتين. وقد نقل لنا أيضا ابن عذارى المراكشى كثيرا من كتاب المتين.

وقد نقل لنا ابن الأبار القضاعي كثيرا من كتاب المتين في كتابه «الحلة السيراء» وخلاصة القول أن أجزاء كبيرة من الكتاب قد حفظت لنا بين ثنايا تلك الكتب السابقة الذكر.

أما أهمية الكتاب وكونه يفوق كتاب «المقتبس من تاريخ الأندلس» فيعود في نظرى إلى أن كتاب المقتبس هو عبارة عن رجوع المؤلف إلى المراجع السابقة التى كتبت في تاريخ الأندلس والمقارنة بين مرويات كل منها ودراستها ثم سردها مرة أخرى بعد تنقيحها ونقدها. أما الأمر بالنسبة لكتاب المتين فمختلف تماما. فابن حيان هنا هو المؤرخ الأصلى فهو يعيش الأحداث ويسأل عنها ويدونها أولا بأول وإن فاته أمر ذهب إلى أماكن تحري الأخبار ليسأل عنها ويدون بعد ذلك مروياته عن الموضوع ولذلك فإننى أميل إلى أن كتاب «المتين» أعظم وأهم من الوجهة التاريخية من كتاب «المقتبس من تاريخ الأندلس».

صداء الغربة الروحية والضياع عند المفكر المعاصر

أخي أبا علاء

ألف تحية عطرة الشذى سابغة العبير وبعد..

فأشكرك أجمل الشكر وأعظمه على رسالتك اللطيفة فقد سعدت بها وقرأتها مرات لأعيش معك معاناتك ولأستشف ما يخالج روحك من عمق الاحاسيس ورقيق العواطف ولأعرف ما وراء العبارات الجياشة بالألم من ثناياها حرفا وحرفا إنها تنبض بالحيرة والقلق، تصور فيها عالمنا المعاصر ودنيانا المتقلبة التي اخذت ترهق مشاعرنا وتهز عواطفنا، وتؤذينا النسمة لانها تحمل في ثناياها مختلف التيارات ومتناقضات ايامنا التي ما كنا براضين عنها، ولست يا اخي اول شاك من جيلنا فكل رسالة تصلني من الإخوان تمور بالثورة النفسية وتعج بالالم والحسرة.. وقد كان والدي يرحمه الله يردد:

كل من تلقاه يشكو دهره
ليت شعرى هذه الدنيا لمن؟

الحياة تمر وهي اقوى من البشر ولكن على الانسان أن يتجلد ويقاوم ما امكنته المقاومة وما وسعه الصبر فقد قال الشاعر:

وتجلدي للشامتين أريهم
اني لريب الدهر لا اتضعضع

طرفة والاحزان:

وأنا إن نابني أمر أو أهمني حدث أردد قول طرفة بن العبد:

فعدّ عما ترى اذ لا ارتجاع له
وانم القتود على عيرانة أجد
مقنوفة بنخيس النحض بازلُها
له صريف صريف القعو بالمسد

فقد كان هذا الشاعر يسلي نفسه بركوب ناقته القوية الصلبة العود السريعة السير ويهيم على وجهه في الصحراء السافية الرمال، فهل يمكن أن نركب نحن السيارة ونسلي انفسنا واينما نسير تقابلنا المنغصات وفي كل خطوة ما يكدر النفس ويؤذي الشاعر.. ويؤكد طرفة هذا الرأى بقوله بصراحة:

وإني لأقضي الهمَّ عند احتضاره
بعوجاء مرقال تروحُ وتغتدي

وأين مني المرقالة والعوجاء لتذهب عني الهموم الكثيرة في دنيانا العربية؟

هل شباب طرفة هو الذى املى عليه هذه البساطة في العيش.

أم أن حياته في الصحراء عكست فيه هذه البساطة؟ وقد ضرب لنا الحكمة وما أقل الحكمة في عصره فقال:

أرى قبر نحام بخيل بماله
كقبر غويٍ في البطالة مفسد

أجل غداً يتساوى اصحاب الملايين والانسان الذى افسدته البطالة والجوع والفقر.. فإذا كان طرفة يركب مرقالته فإني أركب ظهر القلم واكتب لأنفس الهموم عن نفسي ولأنسى حاضرى الذي يأتي كل ساعة بخبر مؤلم أو حدث مفجع فإذا خرجت هذه الآلام الحبيسة أحس بالسعادة والراحة ولا عجب فكل إنسان له طموح وإباء لابد أن يتألم كما تتألم أنت وأنا.

المتنبى والحزن:

وقد سبقنا المتنبي فقال:

لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكب
فكل بعيد الهم فيها معذبُ
ألا ليت شعري هل أقول قصيدة
فلا اشتكي منها ولا أتعتب

يلومون المتنبي وهو يرى سفلة القوم في الصدر وأصحاب الفضل والذكاء في اسفل درجات المجتمع لهذا قال:

وما الجمع بين النار والماء في يدى
بأسهل من أن أجمع الجد والفهما

لما عجز ترك الامر الى (الجد) فالحظ هو الذى يقدم وليس الفهم في هذه الحياة وعلل ذلك بقوله:



بقلم : أ. د. يوسف عز الدين
- الطائف -

أريد من زمني ذا أن يبلغني
ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

وأعجبني قوله وقد ملأت روح التفاؤل أبياته بقوله:

لا تلق دهرك الا غير مكترث
ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرور ما سررت به
ولا يرد عليك الفائت الحزن

إنها نظرية جميلة أطبقها في حياتي وأحمد الله على أننا مازلنا فوق التراب بعد أن أرى الاحباب والاصدقاء يمرون من أمامي ويختفي واحد بعد واحد وما دمت صائرا الى ما صار إليه غيرى، فعلى اقل تقدير اغنم حاضرى بما فيه وأردد قول قس بن ساعدة الايادي، ولابد أن قرأت هذا القول:

لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

عرار والنخيل:

فما زلنا نشم الهواء ونمشي على الارض نمتع النفس كما قلت من شميم العرار واعرف أن العراق ليس فيه العرار النجدى وانما تغنى الشاعر بالنخيل والصفصاف فقد قلت:

ما مثل صفصاف العراق ونخله
كلا فما باريس منه ولندن

ومنها:

قلب على سعف النخيل مرفرف
ويهزني نحو النخيل الموطن

ومازال التاريخ الادبي يتغنى بشعر ابي العلاء المعرى الذى ذكر النخيل في العراق قائلا:

وردنا ماء دجلة خير ماء
وزرنا اكرم الشجر النخيلا

الصبا والشباب والقلق:

وطبيعة الانسان أن يحن إلى عهد الصبا والشباب وإن كان عصرا مضى، وخلف ما خلف، ولو كانت العادات تغيرت بتغير الحضارة وولوج التقنيات الغربية وآراء الاجانب لهان الامر فقد كانت لنا قابلية لاحتواء هذا التغير ولكن للاسف الشديد أن العادات الانسانية وفضائل البشر تحولت من حسن الظن الى الشك، ومن الثقة بالناس الى الحذر من تصرفات حتى اقرب الناس ليك، انه الخطر الجاثم على امتنا العربية من انقطاع لاواشج الاسرية والوطنية والقومية، فضاع سمو لاهداف وحل محله المصلحة الفردية، ومات الحق وحكمته وحل النفاق والزلفى والكذب محله، فكان من جراء ذلك أن القلق سيطر على الجيل والحيرة رانت على نفوس الناس والقلق لفّ ببرده العرب والمسلمين. فقد زيفت الفضائل وغيرت الحقائق وبدلت السجايا العالية وقد صدق شوقي عندما قال:

انما الأمم الاخلاق ما بقيت
فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والغريب أن هذه القصيدة التي مطلعها:

صحوت واستدركتني شيمتي الادب
وبت ننكر في اللذات والطرب

نشرت في الطبعة الاولى من ديوانه ولكنها حذفت في الطبعات الاخرى ومن جميل أبياتها:

والصدق ارفع ما اهتز الرجال له
وخير ما عوّد الأبنا في الحياة أب

* ونحن عشاق الفضائل والمثل العالية والاهداف السامية مثل العاشق الذى يذرف دمعه في اثر حبيبته كما قال المتنبي يائسا:

مما أضر بأهل العشق أنهم
هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهم دمعا وانفسهم
في اثر كل قبيح وجهه حسن
فلا يديم سرور ما سررت به
ولا يرد عليك الفائت الحزن

ألسنا في عصر يشابه عصر المتنبي أولسنا نعيش مثل حياته؟ أهْلٌ متفرقون وأصدقاء مبعدون وسكن ناء، يا أبا علاء، رحم الله المتنبي بماذا نعلل حالنا؟

بم التعلل لا أهل ولا وطن
ولا نديم ولا كأس ولا سكن

ومع كل ما يعانيه الانسان من بعد وغربة فقد وجدنا المتفائل الفيلسوف برغم ما أحاطت به الدنيا من أرزاء ولعل أبرز هؤلاء الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي بقوله:

أيهذا الشاكي وما بك داء
كيف تشكو إذا غدوت عليلا
إن شر الجناة في الأرض نفس
تتوخى قبل الرحيل الرحيلا

* ومن جميل هذه القصيدة التي لا اريد أن اردد‌ها عليك إنما أستشهد بالابيات التالية لأظهر لك

مدى هذا التفاؤل:

أدركت كنهـه طيـور الروابي
فـمن العـار أن تظل جـهـولا
مـا تراها والصـقـر قـد مـلأ الجـ
ـو عليهـا والصـائدون السـبـيـلا
تتـغنى وعـمـرهـا بعض عـام
أوتشكو وقـد تـعـيش طـويلا؟

اليأس والامل:

فعلام تتمنى الرحيل وأنت في عز الانتاج وقمة التجارب وشرخ النضوج الفكرى، يقول جل وعلا (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا).

إضافة إلى ما تتمتع به من أسلوب جميل وتحليل صحافي ممتاز وفكر واسع جوال والدليل الواضح زيارات طلاب الدراسات العليا وما حباك به الرواد من ثقة ومن اعتماد على ما سوف تكتب وتؤرخ فيه جانبا من جوانبنا الفكرية المفعمة بالخبرة الطويلة والممارسة الصادقة فأنت جزء من التاريخ العربي المتحرك، ورواده وصاحب المشورة والرأى.. فحفاوة اهل العلم بك تنسيك مرارة الصد والهجران وتفرغ منك الشحنات الداخلية الى علم يفيد وخبر ينفع.. وليس تكريم طلاب الدراسات العليا لك إنما لهم لانهم عرفوا النبع والمصدر الاصيل. فشهادة اساتذة الجامعة وزياراتهم دليل على سمو علمك وتفردك به.

وهل هناك شهادة أعلى من شهادة الأساتذة؟ وحث شيخ المؤرخين ورائد البحث العلمي الدكتور عبد العزيز الدورى على أن تكتب، إنه خير دليل على ما تملك من علم وما تختزن من معلومات انها ثقة غالية من العلم والعلماء ولن ينكرها الا حاسد وحقود وما اكثرهم - للاسف - هذه الايام ومن الطريف أن قال لي أحد الاخوان يوما: انك محسود فقلت له: احمد الله على انني محسود لأن الرسول [صلى الله عليه وسلم] قال «كل ذى نعمة محسود» ولابد أن عندى من العلم والفهم ما يحسدني عليه الناس ثم اردفت ضاحكا.

إن العـرانين مـازالت مـحـسدة
ولا أرى لصـغـار الطيـر حـسادا

* ولم أعاتب انسانا على اساءة لي أو أذم فردا لأنه نال من شخصي إنما أغفر لهم زلاتهم واردد قول الشاعر:

لا يحـمل الحـقـد من تعلو به الرتب
ولا ينال العـلا من طبـعـه الغـضب

لا تلم الناس بعد الانهيار الواضح في افساد الاخلاق والضمائر لأن الضغوط الحاضرة أخرجت المرء عن طبعه.

وللمـرء أخـلاق تدل على الفـتى
أكـان سـخـاء مـا أتى أم تسـاخـيـا؟

الحياد في القول:

وقد صدق الاخ ناجي طالب[١] في قوله عنك سوف تكتب بحياد وتجرد لأن المصلحة الخاصة بعدت عنك في مثل هذه الظروف وهو امر ندر في زماننا الذى عمته ما عمته من زلفى وتمرغ بالاعتاب وعليها.. لذلك أتمنى أن أرى جميع كتبك مطبوعة، وسيكون لها شأن كبير في عالم الصحافة في العراق.. لذلك انعكس الوضع العام في رسالتك فبدأت الشكوى تخرج حارة مريرة من سطورك وظهر التشاؤم واضح الجلباب ولست أول من شكا أو تبرم وآذته الاحداث فأصحاب الاحساس المرهف لا يريدون الا الخير العميم لكل البشر وإن اذتك فقد آذتني مرارا وتراودني بين آونة وأخرى وقد مثل هذا الالم حافظ ابراهيم في قوله:

لم يبق شيء من الدنيـا بأيدينا
إلا بقـيـة دمع من مـآقـينا
كنا قـلادة جـيـد الدهر فـانفـرطت
وفي يمين العـلا كنا رياحـينا
فلم نزل وصـروف الدهر ترمـقنا
شـزرا وتخـدعنا الدنيـا وتلهـينا
حـتى غـدونا ولا جـاه ولا نشب
ولا صـديق ولا خل يـواسـينا

الاغتراب:

أليس هذا المثل صادق الواقع على كل مغترب عن بلاده وعن كل نازح عن وطنه وعن كل إنسان لم ينل من وطنه حقه بعد أن خدمه وضحى بشبابه وصحته ووقته في سبيله؟ وقد نال مثل هذا الاديب الكبير محمود سامي البارودي فقد بذل كل طاقته للوقوف امام الانجليز والخديوي في سبيل رفع كلمة مصر وشعبها ولكنه جوزي بالنفي خارج وطنه الى سرنديب.. فقال يذكر أيامه وشبابه.

أين أيام لذتي وشـبـابي
أتراهـا تعـود بعـد الغـيـاب؟
ذاك عـهـد مـضى وأكـرم شيء
أن يرد الزمـان عـهـد الشـبـاب
فـأسيرا علي ذكـراه اني
منذ فـارقـتـه كـثـيـر المصـاب

وهو إن فقد الشباب فلم يفقد الذكريات الحلوة وخير منه أبو فراس الحمداني فقد ناجى الحمامة التي تبكي في جواره لأنه سخر منها سخرية لاذعة فقد رآها تبكي وهي حرة طليقة تجري من فنن الى فنن ومن قمة شجرة الى قمة اخرى وهو أسير، فقد السطوة

والبلد والوطن وتطحن الغربة والذل نفسه ولكنه قال بكل تفاؤل:

أقول وقد ناحت بقربي حمامة
ايا جارتي هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى مانقت طارقة النوى
ولا خطرت منك الهموم ببالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة
ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة
ولكن دمعي في الحوادث غالي

وقد أهاجت هذه الحمامة الهديلة شجوني فقد ألقيت قصيدة في مجمع اللغة العربية في القاهرة وكان مطلعها:

يا قلب تثقلك الهموم وتصبر
وتئن من جزع الحليم وتكثر
إن الجراح عميقة في خافقي
ونزيفها هم يزيد وينفر

ذكرت حمائم الطائف التي شاركتني اللوعة فقلت:

حتى حمائمها تنوح للوعتي
ويصوتها اللحن الحزين يزمجر
أضحت تناجيني بحلو هديلها
ونياط قلبي بالأسى تتفطر
تبكين في بلد الجمال معطراً
وأنوح من شدوى الحزين وأزفر؟
أحمامة الوادي تنوح من الأسى
وانا على بعد الأحبة أصبر؟
تشقى بأحوال المراكب غربتي
فمتى على الشطآن يرسو المبحر؟

أطلت عليك فقد هيجت كامنا واغتنم فرصة بين امتحانين للفصل الأول فاكتب بسرعة وترى أثر السرعة في الخط والالفاظ فمعذرة من هذا الطول في الرسالة فلم اكتب رسالة بمثل هذا الطول فقد بلغ الالم مبلغه في رسالتك وانا أحاول أن اخفف من هذا الألم جهدى واختصر ما وسعني الوقت في الشواهد فقد مررت مرات بمثل هذا الاسى، وحز في النفس حز المبرد في الرصاص، وأذكر أنني كنت يوما حزينا ورأيت وجهي في المرآة والألم المربد عليه فقلت:

ابتسم فما هذي الصعاب سوى غيوم تنجلي
وغداً سيأتيك الزمان بوجهه المتهلل
إن الحياة قصيرة وتلذ عيشا للخلي

وتذكرت نهاية كل حي لأبعد عن نفسي تباريح الأسى وأوجاع الهموم:

وعلام تشكو أو تنوح وتستزيد من العطاء
والعمر حلم أن يمر فدربنا نحو الفناء
أرأيت حيا اجلت صرخاته أيدي القضاء؟

عمرها قرن وتدرس:

فقد شملني التشاؤم وركبني الحزن وأرهقني الهم وفقدت الثقة بالناس مع أن الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} يحث على التفاؤل بالخير لنجده.. والطريف وأنا اكتب اليك أن قرأت أن سيدة عمرها ١٠٦ سنة وهي «آني باركر» دخلت معهد مارنبره للتكنولوجيا لتأخذ دورة دراسية عن التاريخ المعاصر لتطور ثقافتها واللحاق بركب العلم، والطريف أن مديرة المعهد السيدة «جين اسبز» قالت انها طالبة مجدة وتعرف تاريخا عن أجيال متعددة.

مع أبي رقيبة:

ومن غريب ما حدث لي أنني كنت أزور الحبيب بورقيبه عندما كان رئيسا للجمهورية التونسية وأخذت أحدثه عن أول لقاء بيني وبينه وكان في الاسكندرية وكان يزور الامير عبد الاله.. فضحك وقال أنا عندي إحدى وثمانون سنة هل تظن أتذكر هذا الأمر وأنا في سني ومرضي وثقل السنين عليّ؟، فقلت يا سيادة الرئيس يقول الشاعر:

لي احدى وثمانون سنة
فلقد مرت كما مرت سنة
إن عمر المرء ما قد سره
ليس عمر المرء عدّ الازمنه

وقد حقق الله أمالك ووصلت الى ما تريد .. ولما خرجنا كان معي محمد المزالي رئيس الوزراء فاستحسن الأمر وكان مسرورا. فقد ابتسم بورقيبه رضا.

لأريح أبا علاء.

اقول: اقرأ في الصلاة (ألم نشرح لك صدرك) واحمد الله على لطفه واقرأ والضحى وفيها (ولسوف يعطيك ربك فترضى)..

تحيات أخيك وحفظك الله .. واسلم لأخيك

«يوسف عز الدين»

الهوامش:

(*) هذه الرسالة بعثها الكاتب لصديقه الاستاذ فيصل حسون نقيب الصحافيين السابق تصور ما يعانيه المفكر العربي المعاصر من قلق وحيرة.
(١) ناجي طالب أحد رؤساء الوزراء.

شخصية البطل في الرواية العربية

الرواية .. أصبحت اليوم ديوان العرب..!!

حقيقة أدبية تملأ ساحة الثقافة العربية المعاصرة، ويعترف بها بشكل صريح ـ أو ضمني ـ معظم النقاد والمتخصصين والكتّاب الروائيين وعلماء اجتماع الأدب والقراء المتنوقين. فقد صارت الرواية ـ وليس الشعر ـ هي الأقدر على التعبير عن طبيعة المرحلة وقضايا المجتمع العربي المعاصر، وهي تقوم بهذا الدور ـ لا عن طريق الكتابة والنشر فحسب، وإنما من خلال وسائل الإعلام المختلفة أيضاً هذه الوظيفة الأدبية الاجتماعية التي تقوم بها فنون القص قديماً وحديثاً، سوف نحاول ـ بإذن الله وتوفيقه ـ أن نُلقي الضوء عليها ـ بقدر من التفصيل من خلال الحديث عن أهم عنصر من عناصر بنائها الفني.. ألا وهو: شخصية البطل ـ التي تمثل العمود الفقري للرواية.

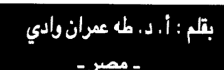
العرب .. أمة قص وحَكْي:

الحديث عن الرواية في الأدب العربي يؤدى إلى قدر من الغموض والالتباس، حتى عند بعض أهل الأدب والاختصاص، لعدة أسباب نوجزها فيما يلي:

أولا: إن مصطلح رواية حديثة.. قد يوهم بعض المثقفين بأن الرواية نوع أدبي جديد بالنسبة لأدبنا العربي العريق، وهذا ظن فيه قدر من الصواب، ولكن .. ليس بالنسبة للأدب العربي فحسب، وإنما بالنسبة لكل الآداب العالمية تقريبا.

ثانيا: ترتب على جدة الفن القصصي في أدبنا العربي الحديث أن ذهب بعض المستشرقين والنقاد إلى أن هذا النوع الأدبى منقول عن الآداب الأوربية. وقد ساعدهم على تبنى هذه (المغالطة) أن بعض رواد الرواية العربية كانوا مثقفين ثقافة أوربية رفيعة المستوى مثل جبران وهيكل والمازنى والحكيم وطه حسين. وتناسى أولئك وهؤلاء أن مصطفى المنفلوطي (١٨٨٦ ـ١٩٢٤) وهو الشيخ الصعيدى الأزهرى قد أدّى أخطر دور في تثبيت معالم فن الرواية، وجعلها نوعاً أدبياً معترفاً به، يحظى بنفس القدر من الاحترام والتقدير، اللذين يحظى بهما فن الشعر[١].

ثالثا: إن التراث العربي القديم قد عرف أشكالا متعددة من فنون القص: الشفاهي والمكتوب. نجد ذلك على سبيل المثال في مجال التاريخ السياسي والدينى والأدبي.. فما ألف حول «أيام العرب» وحروبهم وفرسانهم وعشاقهم أمثال سيف بن ذى يزن وعنترة بن شداد والمهلهل وأبى زيد الهلالي. ثم ما كتب عن سير عظماء الإسلام. وما قاموا به من تضحيات وبطولات من أجل



بقلم : أ. د. طه عمران وادي
ـ مصر ـ

{نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين}

(سورة يوسف / ٣)

نشر الدين الإسلامي الحنيف منذ الغزوات التى تمت في أثناء حياة رسولنا الكريم {صلى الله عليه وسلم} أو تلك التى حدثت في أثناء الفتوحات الإسلامية كذلك ظهرت في العصر الأموي كثير من قصص الحب العذرى التى سجل بعضاً منها ابن السرّاج وأبو الفرج الأصفهاني مثل: جميل بثينة، وقيس ليلى، وقيس لبنى، وعروة عفراء، وكثير عزة.

ثمة جذور وتجليّات لنماذج القص العربي القديم - أيضا - في كتب الرحلة والنوادر والقصص الفلسفي مثل: قصة حي بن يقظان لابن طفيل، وحكايات الفرج بعد الشدة لأبى القاسم البغدادي، وقصص المكافأة وحُسْن العقبى لابن الداية، ونوادر البخلاء، وقصص الحيوان التى كتب عنها الجاحظ[٢] وابن المقفع والدميرى، ورسالة الغفران لأبى العلاء المعري، والتوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، وسير الشعراء التى رواها أبو الفرج الأصفهاني. أخيراً - وليس آخرا - المقامات التى أبدعها ابن دريد، وبديع الزمان الهمذاني والحريري.. بالإضافة إلى ما يقال في هذا المجال عن أشكال القصة في الأدب الأندلسي.

هناك - أيضاً - الحكايات والسير الشعبية مثل ألف ليلة وليلة، وسيرة الإمام علي بن أبي طالب، وذات الهمة، والهلالية، والظاهر بيبرس.. وغيرها.

كل ذلك - على سبيل المثال - يؤكد أن مجالات القصّ في الأدب العربي القديم خصبة ومتنوعة وعظيمة.

وهذا يدل على أن الأمة العربية كانت - ولا تزال - أمة قص وحكي، مثلما كانت أمة شعر وغناء. إن المجال القصصي في التراث العربي يعد مفخرة أدبية، وله تأثير واضح على كثير من الآداب العالمية. إن الأدب العربي القديم - الذى كتب في ظل الثقافة الإسلامية المشرقة - حافل بالأشكال القصصية المختلفة. ليس ذنب الأدب العربي - عند بعض من يتجنون عليه، ويدعون أنه كان فقيراً في مجالات القص - ألا يقرأه الناس، وألا يعرفوه.. وإنما الذنب ذنب من يفتون بغير علم ولا هدى[٣] - كما يرى طه حسين.

رابعا: العرب أمة قص وحكي.. والوجدان العربي يميل فطرة إلى الحكي: إبداعاً وتذوقا، وليس أدل على ذلك من أن إحدى سور القرآن الكريم تسمى «سورة القصص»[٤] كما أن ربنا - ربَّ العزة سبحانه وتعالى - قد أورد في الذكر الحكيم كثيراً من قصص الأنبياء والمرسلين، وذكر سير بعض العصاة والصالحين، وغيرهم من الراشدين والضالين. وتلك القصص تمثل إحدى معجزات القرآن الكريم، وتوصف بأنها (أحسن القصص)[٥]، كما أنها كانت - ولا تزال - ذات وظيفة نبيلة سامية: {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفْتَرى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون}[٦].

لله المثل الأعلى.. وهو - سبحانه وتعالى - أعلم بشئون خلقه، لذلك أنزل تلك القصص في القرآن الكريم، لتأثيرها العميق في أفئدة البشر. وتلك إحدى الوظائف النبيلة لفنون القص حيث فتح الله بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا.. لذلك أمر الله رسوله بقوله: {فاقصص القصص لعلهم يتفكرون}[٧].

ننتهي من كل ما سبق إلى تأكيد فكرة أن القصة ذات جذور متينة في التراث الإسلامي والعربي، وأنها كانت ذات وظائف إصلاحية وتثقيفية وأدبية متنوعة. وهذا يوضح أن الأمة العربية أمة قص وحكٍ، مثلما

كانت أمة شعر وغناء..!!

معايير فارقة:

ثمة نوعان من القص عرفهما التراث العربي.

أحدهما شفاهي: يتصل بالحكايات والنوادر والسير الشعبية. وهذا المجال ثري وخصب وواسع - رغم أنه يعتمد على تصوير عوالم وهمية أو خرافية أو رمزية أو متخيلة.. وهو يحتاج إلى وقفة خاصة، ليس هنا مجالها في إطار هذه الدراسة.

الآخر: القصّ المدون أو المكتوب.. ويتمثل - معظمه - في كثير من القصص الدينى والسير الدينية والأدبية والتاريخية وكتب الأخبار والرحلات وقصص الزهاد والعشاق.

فهذه الأشكال القصصية المتنوعة تحكى حياة شخصيات حقيقية، قامت بدور معلوم في التاريخ الدينى أو السياسى أو الأدبى.. ولها حضور يقظ في ذاكرة الأمة ووجدان الجماعة. والكاتب - وهو راو خارجي - يسجل مسيرة الحياة متحريا الصدق والأمانة، لأن الشخصية التي يقص سيرتها، تمثل - بشكل أو بآخر - قدوة ومثلا أعلى: من هنا فإن الراوى - وليس المؤلف - ليس صاحب خيال ابتكاري ابتدائي، وإنما صاحب خيال استرجاعى ثانوي.. يجمع الأخبار ويمحصها ويرتبها، ويقوم بدور محدود جداً في وصل بعض الحلقات غير المترابطة وتفسير بعض المواقف الغريبة[٨].

ويمكن أن نتلمس نماذج متنوعة لهذه الأشكال من القص في كثير من كتب السير والتراجم، والرحلة، ونوادر البخلاء والظرفاء وقصص العشاق والزهاد والفرسان، والقص بهذه الطريقة يتواءم - إلى حد ما - مع الدلالة اللغوية والدينية للفعل (قصّ) فقد جاء في «لسان العرب» وغيره من المعاجم أن كلمة «قص» لغويا تعني: تتبع الأثر، ثم حدث تحول دلالى، لتعبر عن معنى الإخبار بما حدث. فقد جاء في الذكر الحكيم: {قال يا بني لا تَقْصُصْ رُؤيَاكَ على إخوتك}[٩]، أي: لا تخبر إخوتك برؤياك.

كما جاء في «لسان العرب» أن الفعل قص: يعنى أخبر، والقاص: الذى يأتي بالقصة على وجهها، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها (وأحداثها).. والقاص هو الذى يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر، وسوقه الكلام سوقا[١٠].

خلاصة القول: إن القصص العربي القديم - في مجمله - يسرد سيرة بطل حقيقي وله دور معلوم في حياة الأمة، والقصة تهتم بوصف العناصر العامة في حياته، والمعارك الكبرى التى خاضها والمواقف الجليلة التى حدثت له - دونما كبير عناية بالتفاصيل والجزئيات ووصف الملامح الجسدية والنفسية والمزاجية والعاطفية، التى تتصل بعالمه الداخلي كما أن القصة القديمة تروى حياة البطل من المهد إلى اللحد، ولا تكاد تهتم بوصف المكان - الجغرافي والبشرى - والزمان، اللذين يشكلان وعاء للأحداث التى تكون مادة القص.. فلا ندري أي الأحداث وقع هنا.. أو هناك.. في الداخل.. أو في الخارج وهل حدث صيفاً.. أو شتاء.. أو نهاراً.. أو ليلا. ومن حيث الأسلوب اللغوي: فإن أسلوب السرد هو النسق المهيمن، ونادراً ما يوظف أسلوب الحوار مع الآخر (ديالوج)، أو مع النفس (مونولوج).

أما بالنسبة للرواية الحديثة:

فقد اختلفت اختلافاً كبيراً عن جذورها القديمة - سواء بالنسبة للأدب العربي أو غيره من الآداب العالمية: ذلك أن الرواية الحديثة (Modern Novel) تجربة أدبية تصور بـ (النثر) حياة (متخيلة) لمجموعة من الشخصيات العادية المألوفة، تتفاعل فيما بينها، لتشكل إطاراً لعالم متخيل. وهذا الإطار القصصي المتخيل - الذي تتحرك فيه شخصيات الرواية

- ينبغي أن يقدم عالماً ممكن الحدوث، وموازياً لطبيعة الحياة الاجتماعية التي يعاصرها الكاتب في مجتمعه الوطني.

نرتبُ على هذا التعريف عدة حقائق أدبية:

١ - الرواية الحديثة تعتمد على النثر - وحده - أسلوباً للتصوير والتعبير.

٢ - الرواية تقدم مجموعة من الشخصيات البسيطة العادية المألوفة، التى قد تصادف النجاح والفشل، وتنتصر وتهزم، وتقوى وتضعف .. وقد تكون خيّرة أو شرّيرة .. إيجابية أو سلبية .. رجالية أو نسائية.

٣ - الرواية - رغم طولها النسبي - تصور مرحلة أو فترة محددة من حياة الشخصيات التى تشكل عالم الرواية.

٤ - الرواية الحديثة تدور في إطار واقع اجتماعي قريب من الواقع الحقيقي الذي يعيش فيه الكاتب، ومن ثم ترتبط فنون القص بعالمها المحلي ارتباطاً وثيقاً.

٥ - الرواية - خاصة في المرحلة المعاصرة - تهتم كثيراً بتصوير الخلفية الزمانية والمكانية للأحداث.

٦ - راوي الرواية .. حتى لو كان غائباً، فإنه ليس منعزلا كلية عما يروي، وإنما يدور في إطار هامش فنّي، يسمح له بقدر كبير من التأثير في تشكيل المبنى الروائي.

٧ - الرواية تتشكل من نوعين من الشخصيات:

أ) الرئيسة .. النامية: التى تقوم بدور البطولة، وتُشكل المحور الأساسي في حبكة الرواية.

ب) الهامشية .. المسطحة: التى تقوم بدور ثانوى في تطوير مسيرة الحدث الروائي.

والرواية - أية رواية - تتكون من كلا النوعين من الشخصيات، لكن الشخصيات الرئيسة هي التى تحمل (رؤية) المؤلف، وتعبّر عن موقفه الفني، وتشكل عماد الرواية لذلك تسمى - أحياناً - شخصيات الأبطال.

البطل: المصطلح والتشكيل:

ماذا نعني بكلمة: بطل - اصطلاحاً - حين نطلقها على الشخصيات الرئيسة، التى تقوم بالدور الأكبر في تشكيل المتن القصصي؟!

النقد الروائي - باعتباره مجالا معرفياً حديث النشأة نسبياً - استعار هذا المصطلح من النقد المسرحي، الذي تعود جذوره إلى كتاب «فن الشعر» لأرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد. والبطولة - في مجال النقد الأدبي الخاص بالمسرح والرواية - لا تعنى فحولة جسدية «وإنما المقصود بها - في المقام الأول - قوة معنوية أخلاقية فالبطل هو الذى يناضل من أجل تحقيق الأهداف السامية والمعاني النبيلة، وينشد البراءة والصدق والعدل بعيداً عن إطار الغش والزيف والظلم. فالبطولة هنا (بطولة أخلاقية) تذكرك بمعنى الفتوة والفتى في التراث العربي.

هناك مفهوم ثانوي لمعنى البطل. هو أنه يشغل (مساحة) واسعة في بنية النص، ويقوم بأداء دور كبير في تحريك الحدث الروائى، وتنمية الحبكة، وتشكيل الصراع[١١].

تأسيساً على بعض مفاهيم النقد المسرحي - أيضاً - يمكن القول بأن هناك نموذجين لشخصية البطل الروائى:

النموذج الأول: البطل الخيّر.

النموذج الآخر: البطل الشرير.

البطل الخيّر يعكس البطولة الأخلاقية، وتحركه - داخل عالم الرواية المتخيل - مجموعة من القيم النبيلة والمبادىء السامية، حتى وهو يسعى نحو تحقيق أهداف خاصة ومشاعر ذاتية، إنه نموذج يبحث عن الحق والخير والجمال لنفسه.. وربما للآخرين أيضاً - بحسب المذهب الأدبي للكاتب.. والرؤية الفكرية التي يكتب بهدي منها.

ونموذج البطل الخير ينقسم إلى نوعين:

أ) بطل إيجابي:

يحاول أن يتصدى لما يواجه من صعوبات ومظالم، من أجل تحقيق عاطفة سامية وهدف نبيل، وقد ينجح في مسعاه أو يفشل - المهم أن يعمل ويتحرك ويتفاعل، ويمضي قدماً إلى الأمام[١٢].

ب) بطل سلبي:

عاجز مغترب، يملك كثيراً من الوعي والفهم، ويدرك سر آلامه ومصدر متاعبه، لكنه يعجز عن اتخاذ خطوات إيجابية لدفع الظلم ورفع الشر. فهو إنسان يملك الرؤية، لكنه يفقد القدرة، لذلك يتحول إلى بطل (مغترب) يشعر بالعزلة والوحدة ومعظم أبطال الروايات العربية قريبون - بدرجة أو بأخرى - من هذا النموذج المغترب.. المأزوم.. المهمش.

أما البطل الشرير: الذي يسمى أيضاً - البطل الضد: (Anti - Protagonist أوNon Hero) فهو شخص فاسد أو مخادع، يقف ضد تحقيق الحق والخير.

وهذه الشخصية قد لا تكون شريرة بمعنى مطلق، لكنها تعمل - في الرواية - على أساس أنها ندٌّ أو خصم مضاد، يقاوم الشخصية الخيرة النبيلة، وعلى هذا فإنه يمثل شخصية أقرب إلى شخصية الوغد والمحتال.

ثمة ملاحظة مهمة توصلتُ إليها من خلال قراءاتي لكثير من الروايات المعاصرة، وهي أن معظم الروائيين العرب لا يجيدون تصوير نموذج (البطل الشرير)، الذى يخدع.. ويغش.. ويظلم، بل إنّ أغلبهم يكادون لا يتوقفون عنده..

تشكيل النموذج:

الروائي العظيم هو الذي يستطيع أن يصور شخصيات إنسانية، مقنعة بطبيعة الدور الفني الذي تؤديه، بحيث تتعدى إطار الشخص إلى الشخصية، ونمط الفرد المرقم إلى نموذج الإنسان المتميز.

في الرواية الحديثة يمثل الحدث (الفعل القصصي) وتمثل الشخصية دور (الفاعل)، الذى يقوم بالحركة: سلوكاً، وفعلا، وبالقول: جهراً، ومناجاة. الشخصية إذن هي «العمود الفقري» الذي تعلق عليه معظم عناصر البناء الأخرى، لذلك يقال: إن الرواية فن الشخصية. ولكي يتحول الشخص العادي من نكرة في الحياة، لكي يصبح (شخصية) ذات ملامح متفردة في رواية، لابد أن يكون له اسم، أي: يصير علماً والعلم - كما يقول النحاة - أعرف أنواع المعارف.

كذلك ينبغي أن يحدد الكاتب العمر الزمني بالدقة أو على وجه التقريب مثل: صبي - شاب - فتاة - رجل - امرأة - عجوز .. إلخ، لأن السن يوضح للقارىء إلى أيّ حد يكون العمر الزمني للشخصية مناسباً لطبيعة الدور الفني الذي تقوم به.

كذلك ينبغي أن يحدد الروائي الملامح الجسدية والنفسية، ويدخل في إطار ذلك وصف الملابس وبعض اللوازم المصاحبة في السلوك أو الكلام. كما ينبغي على الكاتب أن يجعل الشخصيات الرئيسة التي تقوم بدور البطولة تتعرض لمواقف متباينة، حتى يتبين القارىء ردود أفعالها المتنوعة إزاء المواقف المختلفة التي تتعرض لها داخل إطار العالم الروائي.

أخيراً .. عليه ألا يقدم جميع صفات الشخصية دفعة واحدة، وإنما ينبغي أن (تنمو) الشخصية بنمو الحدث، حتى يحس القارىء أنه يكتشف مع كل فصل من فصول الرواية أمرا جديدا.. يثير الدهشة ويلفت الانتباه، لأن عنصر (التشويق) من أهم عناصر فنون القص، من هنا تصبح الشخصية جديرة بأن تستحق الوصف بـ «البطولة» حين تتحرك حركة إيجابية من البدء حتى الختام، وتكون متعددة الملامح، مركبة الأبعاد[١٣].

في الحقيقة ليست هناك قاعدة ثابتة لتشكيل

شخصية البطل «إن بيت الفن القصصي لا يملك نافذة واحدة، بل ملايين طريقة لسرد قصة ما، ولكل واحدة من هذه الطرق ما يبررها، إذا كانت تزود القارئ «بجوهر» هذه القصة.. لكن المطلب الوحيد (للناقد أو القارئ) هو أن تكون الرواية ممتعة[١٤] والشخصية مقنعة ـ فنياً بالدور الذي تقوم به.

بين الواقع والخيال:

من أهم المعايير الفنية التى ينبغي على الروائي أن يلتزم بها، هو أن تكون الشخصية الروائية عنده (وفية) ـ إلى حد ما ـ لطبيعة النموذج (Pattern) الإنساني، الذي تستلهم صورته من الحياة، لذلك ينبغي أن يكون الكاتب أميناً في تشكيل الصورة، إن شخصية رجل المدينة غير رجل القرية وغير رجل البادية.. وشخصية الجاد غير المستهتر.. وشخصية السويّ غير المنحرف .. وشخصية الطيّب غير الشرير .. وشخصية الرجل غير المرأة. وشخصية الصبي غير الرجل وغير العجوز.

هذه الشخصيات وغيرها ينبغي أن يقدمها الكاتب في صورة قريبة من الصورة الفعلية الحقيقية لها في الحياة الاجتماعية التي يعاصرها؛ لأن فنون القص من أقرب الأنواع الأدبية (محاكاة) للواقع وتصوير عالم موازٍ له.

ملاحظة أخيرة:

إن تشكيل شخصية البطل تختلف اختلافاً واضحاً ـ إلى حد كبير ـ بحسب الرؤية الفنية للروائي، ومن ثم تختلف الشخصية في الرواية الرومانسية، عنها في الرواية الواقعية، أو الرواية النفسية ـ رواية «تيار الشعور» (Stream of Conciosness) أو الرواية المنتشرة الآن في كثير من الآداب العالمية.. وفي بعض الأقطار العربية وهي رواية الواقعية السحرية أو البدائية وهذا ما نعدُ أن نقدمه في دراسة قادمة إن شاء الله.

الهوامش:

(١) يراجع طه وادي: دراسات في نقد الرواية، ط دار المعارف ـ القاهرة ١٩٩٤م. ص ٤٩ وما بعدها.

(٢) انظر: عبد الله باقازي: القصة في أدب الجاحظ، دار تهامة ـ جدة ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص ٧٤.

(٣) راجع طه حسين: من حديث الشعر والنثر ـ دار المعارف ـ القاهرة ص ٣٤. طه وادي: مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية ـ دار النشر للجامعات ـ القاهرة ١٩٩٦، ص ٢٨.

(٤) سورة القصص .. مكية، وعدد آياتها ثمان وثمانون آية.

(٥) سورة يوسف ـ الآية /٣.

(٦) سورة يوسف ـ الآية/ ١١١.

(٧) سورة الأعراف ـ الآية/ ١٧٦.

(٨) راجع: طه وادي: دراسات في نقد الرواية، ص ١٠ ـ ١٤.

(٩) سورة يوسف ـ الآية/ ٥.

(١٠) ابن منظور: لسان العرب ـ مادة قصص، ط دار المعارف ـ القاهرة ٢/٣٦٥.

(١١) طه وادي: الرواية السياسية ، ط دار النشر للجامعات ـ القاهرة ١٩٩٦م، ص ٢٠.

(١٢) المرجع السابق، ص ٢١.

(١٣) راجع: دراسات في نقد الرواية ص ٢٥ ـ ٢٨.

(١٤) وين بوث: بلاغة الفن القصصي، ترجمة: أحمد خليل عردات ـ على أحمد الغامدي، ط كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض ١٤١٥هـ، ص ٢٦.

عوجا على الطلل المحيل

شعر : د. عبدالله المغامري الفيفي
- جامعة الملك سعود بالرياض -

قف بي على طلل الأطلال مأهولا
وعم صباحا أمير الشعر مصقولا
واستنبت الفجر من أهداب غافية
وعلق الشمس في جفنيك قنديلا
وابدأ وقوفا على ذكرى ومنزلها
لا تعتريك رسوم الدار تبديلا

* * *

يا حامل الشعر كم للشعر ألوية
ألوَتْ بحاملها فارتد محمولا
كانت قوافيك أطلالا تؤنثها
أنثى القوافي فلم أمسيت مطلولا
مازلت تغزل ماء العشق في يدها
حتى تكسّر شمل كنت مشمولا
أهرقت فوق لواء الشعر من دمنا
ما أهرق الليل في عينيك مسلولا
ماذا تركت وبنتا ودعتك ضحى
أودعت درعك ملقى المجد متلولا
ورحت تركض من حلم إلى حلُم
شرِّقت في الأرض غربا رف سجيلا

* * *

أشهدتك الله هل ضاقت مرابعنا
عن المقيل بها هل بت مخذولا
أم من بلاك بتغريب على مقة
إن كنت تجهل لا أبغيك تعليلا

* * *

قل لي بربك حاجات تسرّ بها
غزالة الحيِّ ذات الثغر معسولا
ما أمُّ جندب بعد البُعد م امرأة
أم قد شفيت لبانات وتتبيلا

أمُّ الحُويرث طـالت فــــيك وحــــشــــتــــهــــا
لم يســــتـــــرح صـــــدرها بثّاً وتعـــــويلا
أمُّ الـربـاب تـنـاجـي طـيف طـارقـــــهــــــا
مـــــا زال فـي القلب قلبٌ منك مـــشــــغـــولا
أمـــــــومــــــــة ذهـبـت ثـكـلـى بـلا وطـن
ولا حـنـين بـلا حـب وإن قـــــــيـــــــلا
هـذي أمـــــومـــــة أم أتـلـمـت أمـمـا
علـى الشّفـــاه حـــروفـــاً يُتَّمـــاً حُولا

* * *

يـا أيهـــا الرجـل الضلّيل خـــذ بـفـــتـى
لا أرجـع الله عـــهـــداً كـــان ضليـــلا
إذ يـشــــتـــــري بضـنـى الأيـام تـطـريـة
وإذ يـروم هـوىً فـي الـروم تـطـفـــيـــلا
قل جـئت تسـأل عن عربي ومـســغـبـتي
فـــاســــأل هـنـتك رمـــالُ الـوقـت مـســؤولا
مـــاذا وُعـــــدت بـأرض الـروم مـن حُلل
ألـبـــســتـنـا داعـهـا ذلا وتـنـيـيـــلا
وعـــدت لا مطراً عـــادت بشـــاشــتــهُ
ومـــا بوجـــهـك من مـــاء الحـــيـــا نيـــلا

* * *

عُد من ضـــلالك يكفي مـــا تســـاقط من
نفس تســاقطُ ترحـــالا وتـأمـــيـــلا
إنْ لم تجـــد في ثرى كـــفّيك منتـــجـــعـــاً
فـــمن يبـــيـــعك في بيـــد الظمـــا مـــيـــلا

* * *

بـع لـي زمـــانـا أشـيـــــثـــاً لا أراك بـه
وَغْلَ الحـــروف خـــصـيّ الرأي إجـــفـــيـــلا
أبـعْ لـك الـشـــــرف المرخـي نـؤابـتـــــه
وأســـتـــبي لك من بنت العلى جـــيـــلا
وأســـتـــردّ لحـــجـــر صـــولجـــان سنـا
لا يســتـــبـــاح غـــداة القـــتل إنجـــيـــلا
وامـــلأ نـواك مـن الأطـلال تـرســـمـــهـــا
إطـلالـة فـــوق نـهـــد الأفـق إكـلـيـــلا
تجلو دجـــاك كـــمـــوج البـــحـــر في لغـــتي
وتغـــتـــدي شـــمـــسـنـاً خـــيل المنى الطولى

* * *

قـف بي علـى جـــهـــة الأشـــجـــان تـؤويـلا
وانعم صـــبـــاحـــاً أســيـــر الأمس مـــعـــزولا



رُبَّ عَجَلة تَهَبُ رَيْثاً

سبق لمجلة المنهل أن نشرت مقالا للأستاذ محمد التوزاني بعنوان (السرقة الشعرية في عيون الشعراء) .. ونشرت المجلة في عقبه رداً من (الدكتور احمد زكي منصور) يذهب فيه إلى أن هذا المقال مسروق من كتاب (مشكلة السرقات في النقد العربي) للأستاذ الدكتور مصطفى هدارة - عليه رحمة الله -

وفي هذا العدد وتاليه تسعد المنهل بنشر دراسة علمية متكاملة وردتنا من الأستاذ محمد التوزاني يرد بها ما ذهب إليه (الدكتور أحمد زكي).. والكتابات العلمية الموثقة - لا شك - تضيف للقاريء علماً جديداً وفكراً جديداً.

وإذا كانت المنهل تفتح صفحاتها لكل الآراء فإنما تقصد الوصول الى الحقيقة من خلال النقاش العلمي المتزن، بعيداً عن الإثارة والمغالطات..

وهذه الدراسة لطولها، سوف ننشر جزءها الثاني في العدد القادم باذن الله تعالي.

« المنهل »

١ - ٢



بقلم : محمد التوزاني
- المغرب -

طالعتنا مجلة «المنهل» وسيراً على عادتها في إثراء الفكر ونشدان الحقيقة العلمية - في عددها ٥٣١، (المجلد ٥٦، رمضان - شوال ١٤١٥هـ) بمقال طريف للأستاذ أحمد زكي منصور (كلية الآداب - جامعة طنطا) يدعي فيه أن مقالنا الذي نشرناه في «المنهل» (العدد ٥١٧، صفر ١٤١٥هـ) تحت عنوان: «السرقة الشعرية في عيون الشعراء» يعد حسب تعبير الأستاذ «سرقة مباشرة فاضحة» من كتاب «مشكلة السرقات في النقد العربي» لهذا الرجل الذي ترك رحيله عنا ثلمة عميقة في ثقافتنا العربية الإسلامية، أقصد به الأستاذ الجليل الدكتور محمد مصطفى هدارة يرحمه الله رحمة واسعة.

وقد يتساءل القاريء عن سبب هذا التأخير الحاصل في نشر مقالي هذا على صفحات «المنهل»، فقد كنت وافيت المجلة بهذا الرد بتاريخ ١٤١٥/١٠/١١هـ، واعتقدت لمدة طويلة أن المقال مدرج ضمن المواد المعدة للنشر.. ولما تأخر ظهور المقال على صفحات «المنهل» بادرت إلى مكاتبة المجلة بتاريخ ١٤١٧/١١/١هـ، مستفسراً عن مصير المرسل والأسباب التي دعت إلى عدم نشره، فتلقيت خطاباً من سيادة رئيس التحرير يخبرني فيه بأن المجلة لم تتوصل بمقالي وأنه ربما يكون فُقد في البريد، لذلك بادرتُ إلى إعادة كتابة المقال وإرساله من جديد إلى المجلة.

وأياً كانت أسباب هذا التأخير الخارجة عن إرادتي وعن إرادة المجلة، فلسنا على عجلة من أمرنا، والأهم هو أن يطّلع القاريء على هذا الردّ بعد أن اطلع في العدد ٥٣١ من المنهل على مقال الأستاذ أحمد زكي منصور، والقاريء قمين بأن يكون الحكم الصادق البصير.

وقبل أن نأخذ في عرض ردنا يجمل بنا، بدءاً، أن نرفع إلى علم الأستاذ أحمد زكي أن استفادتنا من

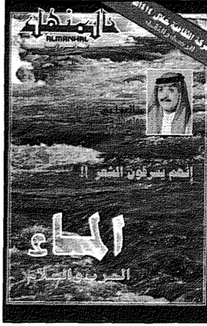
الدكتور هدارة لا تقتصر على ما دبجته يراعته الفذة من كتب قيمة، فإن الرجل كان - يرحمه الله - يزور المغرب وكنا نستفيد من علمه الغزير بالسماع أيضاً. ومن ثم فإننا نعتز بالأستاذ الراحل ونغار على فكره، فكيف نستبيحه بالسطو؟!.

وإذا كنا لم نشر في مقالنا المنشور بالمنهل إلى كتاب «مشكلة السرقات» فذلك لأننا لم نأخذ منه شيئاً على الإطلاق، ولو كنا نقلنا منه قليلا أو كثيراً لوجدنا الشرف كل الشرف في إثباته ضمن مراجعنا، وليس في إثباته ما يضيرنا. ثم إننا تناولنا قضية السرقة الشعرية من زاوية غير الزاوية التي تناول منها الأستاذ الراحل قضية السرقات.. وبيان ذلك يأتي في مكانه بعد حين.

إن أول ما يثير دهشتنا في مقال الأستاذ أحمد زكي هو أن الرجل استند في اتهامنا إلى النصوص الشعرية والنثرية القديمة التي تُعدُّ إرثاً أدبياً مشتركاً غير مدافع. وكان أحرى به أن يرصد «سرقاتنا» المزعومة من فكر الأستاذ هدارة الذي يعد ملكاً خالصا له وحده؛ ولعل الرجل أعياه ذلك، فلم يجد غير النصوص التراثية وسيلة لمراده. فمن حقنا ومن حق كل باحث أن يأخذ النصوص التراثية من مظانها وأصولها من أجل دراستها وفهمها، على أن يصدر في معالجتها عن تصوراته الفكرية وطرائقه المنهجية الخاصة.. ولعل هذا من الأمور المسلَّم بها في البحث العلمي.

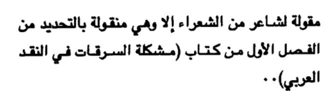
وليت شعري هل كان الرجل موضوعياً وصادقا مع نفسه حتى في رصد هذه النصوص التراثية التي يزعم أنها منقولة من كتاب «مشكلة السرقات»؟!..

ولنستمع إلى الأستاذ أحمد زكي حين يقرر سرقتنا المزعومة ويقول: «إذ لا يوجد في مقاله بيت واحد أو



غلاف صفر ١٤١٥ هـ

غلاف رمضان شوال ١٤١٥ هـ



مقولة لشاعر من الشعراء إلا وهي منقولة بالتحديد من الفصل الأول من كتاب (مشكلة السرقات في النقد العربي)..

إنه حكم قاطع ومطلق يزيد في قطعه وإطلاقه هذا الأسلوب الإحصائي الدقيق الذي صيغ به. وإذا ذكرنا أننا إزاء قضية خطيرة جداً تتعلق بكرامة الناس وأعراضهم، فضلا عن شرف القلم وقداسة الكلمة، فمن المفروض أن يكون الأستاذ أحمد زكي منصور قد صدر في صياغة حكمه هذا عن روح الموضوعية بما تقتضيه من مسؤولية وتأن وحيطة في الرصد والدراسة والإحصاء. فهل وَفَى الأستاذ لهذه الخصال العلمية؟

ولن ندعي على الأستاذ بهتاناً كما ادعاه علينا، لأننا سنتخذ من نصوص مقالنا ومن حكم الأستاذ سالف الذكر حكماً بيننا وحسبنا أن نسوق هذه النصوص التي وردت في مقالنا، ولعلها تكون فيصلا ونبراساً للحقيقة:

(١) ألم تعلم مسرحي القوافي
فلا عياً بهن ولا اجتلاباً[١]

* * *

(٢) وليس لله بمستنكر
أن يجمع العالم في واحد[٢]

(٣) هل لي محنة تخبر مَنْ فا
ضَلْنَا في القريض والمفضول[٣]

* * *

(٤) محنة تفضح اللصوص وتقضي
بالذي فيهم قضى التنزيلُ

* * *

(٥) سارق المال تُقْطَعُ الكف منه
واللسانُ السروق منها بديلُ

* * *

(٦) ليسود الذي يحق له السو
دد منا ويرذل المرذولُ

* * *

(٧) ولم أدر من هم غير ما شهدت لهم
بشرقيّ ساباط الديار البسابس[٤]

* * *

(٨) ولم أدر من ألقى عليه رداءه
سوى أنه قد سل من ماجد محض[٥]

هذا عن النصوص الشعرية، أما فيما يخص النصوص النثرية، فإننا نسوق هذين النصين:

النص الذي يعترف فيه أبو تمام بالأخذ من بيت أبي نواس سالف الذكر (البيت رقم٢) «روى علي بن سليمان الأخفش عن أبي تمام أنه قال لابن أبي دؤاد لما غضب عليه: أنت الناس كلهم، ولا طاقة لي بغضب جميع الناس. فقال ابن أبي دؤاد: ما أحسن هذا! من أين أخذته؟. قال: من قول أبي نواس (البيت)».

النص الذي حاور فيه علي بن العباس الرومي أو علي بن العباس النوبختي - حسب الروايات - البحتري حول بيت أبي نواس وبيت أبي خراش الهذلي سالفي الذكر (البيت رقم ٧، والبيت رقم ٨): «روى علي بن العباس الرومي أو علي بن العباس النوبختي، قال: قال لي البحتري: قول أبي نواس (البيت) مأخوذ من قول أبي خراش الهذلي (البيت). قال: فقلت قد اختلف المعنى. فقال: أما ترى حذو الكلام حذواً واحداً؟».

وبعد، فإننا نلتمس من الأستاذ أحمد زكي أن يدلنا على مواضع هذه النصوص في كتاب «مشكلة السرقات» إذا كان قد عثر بها في الطبعة التي ذكر أنه عوّل عليها في مقاله، وليكن ذلك على صفحات «المنهل» تعميما للفائدة وإثباتاً للحقيقة، وسنكون له من الشاكرين.

وإلا فسيكون من حقنا أن نتساءل: لماذا لم يأخذ الأستاذ هذه النصوص بعين الاعتبار حين عزم على تشييد حكمه الإحصائي الجازم، خاصة وقد ادعى الرجل الإحاطة والتفصيل في تحديد «سرقاتنا» المزعومة بدليل قوله بهذه النبرة الواثقة: «وهذا هو بيان الأخذ بالتفصيل»؟.

فهل هي نزوة من نزوات النفس الإنسانية الأمارة بالسوء .. أم هي غفلة اقتضتها العجلة؟. وقديماً قالت العرب: ربَّ عجلة تهبُ ريثا!.

نعم، سيكون من حقنا أن نتساءل بإلحاح: لماذا اختار الرجل أن يستهل مقاله بحكم اعتباطي يزوِّر الحقيقة ويضلل القراء؟. وكان الأحرى تأخير حكم خطير كهذا ليكون - على الأقل - استنتاجاً نهائيا لمشروع الرجل، على غرار ما اعتدنا في المناهج العلمية الموضوعية وفي أساليب الاستقراء والاستنباط الهادفة.. ولكن من وجد الرشاء استقى متى شاء!.

إن النصوص الأدبية القديمة تعد - كما أشرنا سابقا - إرثاً ثقافيا مشتركاً يحق لكل الناس دراسته والاستفادة منه.. ولكن لنقبل - تجاوزاً مع الأستاذ أحمد زكي بجواز قيام السرقة في تراث أدبي مشترك، لنناقش هذه النصوص الأدبية التي يزعم الرجل أننا نقلناها من كتاب الأستاذ هدارة.

يقول الأستاذ أحمد زكي: «بيت طرفة بن العبد في أول المقال:

ولا أغير على الأشعار أسرقها
عنها غنيت وشر الناس من سرقا

موضعه ص ١٠ في الفصل الأول من مشكلة السرقات، وبعده في المقال وفي الكتاب أيضاً بيت الأعشى:

فكيف أنا وانتحالي القوافي

بعد المشيب كفى ذاك عارا».

فواضح أن الأستاذ يقصد أنني لم أكتف بنقل البيتين من كتاب «مشكلة السرقات» بل اعتمدت كذلك ترتيب البيتين كما هو في كتاب الأستاذ هدارة.

ولو كلف الأستاذ أحمد زكي نفسه الرجوع إلى «شرح مقامات الحريري» لأبي العباس أحمد الشريشي - وهو المصدر الذي اعتمدته في ذكر البيتين وأشرت إليه في الهوامش - لتجنب حكماً متعسفا كهذا. ونحن نثبت هنا البيتين كما وردا في «شرح مقامات الحريري» يقول الشريشي: «.. وقد أكثر الشعراء ذم السرقة والسارق وأول من ذم ذلك طرفة حين قال: ولا أغير على الأشعار.. (البيت).

وقال الأعشى: فكيف أنا وانتحالي.. (البيت)[٦].

وقد يسأل سائل: لماذا أوردنا البيتين في مقالنا بالترتيب الذي ورد عند الشريشي؟.

إن تعليل ذلك لا يحتاج إلى أكثر من بداهة الحس، فمصادر الأدب القديمة تذكر أن طرفة كان أول من ذمَّ السرقة الشعرية وأن الأعشى اتبعه في ذلك، ومن ثم، وتبعاً لريادة الأول واتباع الثاني ارتأينا تقديم طرفة على الأعشى احتراماً لمنطق التاريخ.. ونحن وإن كنا قد استأنسنا في مقالنا بهذا المنطق كما ارتضاه بعض نقادنا القدامى، لم نسلم به تسليما مطلقاً، لأننا قبلنا ريادة طرفة في هذا الباب مع بعض التحفظ بدليل قولنا في المقال: «.. ولن نذهب بعيداً مع بعض نقادنا فنقول: إن طرفة هو أول من ذم السرقة والسارق، ولكن حسبنا أن نقول: إنه من الشعراء الأوائل الذين عبروا بوضوح عن ذمهم للسرقة.. لأنه لا يمكن القطع في أول من ذمها، فالشعر الجاهلي لم يصلنا كاملا، والذي وصلنا منه لم يصل مؤرخاً تأريخاً دقيقا، ثم إننا قد نعثر على أبيات شعرية في الموضوع لا نستطيع تحديد تاريخها بدقة».

ولابد أن نثير انتباه الأستاذ أحمد زكي في هذا الباب إلي أن ريادة طرفة في ذم السرقة الشعرية أشار إليها الدكتور بدوي طبانة في كتابه «السرقات الأدبية» قبل أن يشير إليها الدكتور هدارة في كتابه «مشكلة السرقات» لأن كتاب الأول سابق في الصدور على كتاب الثاني.

يقول الأستاذ بدوي طبانة مقدما لبيت طرفة في ذم السرقة الشعرية: «وأول من ذم السرقة من الشعراء طرفة بن العبد في قوله: (البيت)[٧].

ويقول الأستاذ أحمد زكي في مقاله: «وقول الكاتب: إن شعراء غطفان كانت تغير على شعر قراد بن حنش فتدعيه ومنهم زهير بن أبي سلمى، منقول بنصه من الكتاب الذي أورد الخبر والأبيات الأربعة».

فالأستاذ يلح على أننا نقلنا هذا النص وبالحرف - «بنصه» - من كتاب «مشكلة السرقات» ولو أن الرجل أمعن النظر وتدبر لما سطر بهذا الأسلوب الجازم حكما غريبا كهذا!.

إنه لمن دواعي الدهشة حقاً ألا يلاحظ الأستاذ أحمد زكي أن الدكتور هدارة - يرحمه الله - لم يفعل أكثر من نقل النص الذي ورد في طبقات ابن سلام الجمحي، واضعاً إياه بين قوسين، مع الإشارة إلى مصدر أخذه في الهامش حسب ما تقتضيه الأمانة العلمية. ولا بأس من توضيح السياق الذي أورد فيه الأستاذ هدارة هذا النص، يقول في كتابه «مشكلة السرقات» (طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، وهي الطبعة المعتمدة لدينا في هذا المقال): «وقد جاءتنا فكرة السرقات مع الشعر العربي القديم الذي وصل إلينا من العصر الجاهلي. فـ «ابن سلام» يقول: (كان قراد بن حنش من شعراء غطفان، وكان جيد الشعر قليله، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدعيه، منهم زهير بن أبي سلمى ادعى هذه الأبيات:

إن الرزية لا رزية مثلها

ما تبتغي غطفان يوم أضلت

إن الركاب لتبتغي ذا مرة

بجنوب نخل إذا الشهور أحلت

ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا

نهلت من العلق الرماح وعلت

يبغون خير الناس عند كريهة
عظمت مصيبتهم هناك وجلّت[٨]

ولابد أن نستطرد ، هنا لننبه ـ من باب الدقة العلمية ـ على أن صيغة القول التي ورد بها هذا النص في كتاب الأستاذ هدارة، وهي: «فابن سلام يقول:» يمكن أن تبعث على الاعتقاد بأن القول لابن سلام الجمحي، وإنما هو في الحقيقة لأبي عبيدة (معمر بن المثنى) نقله عنه ابن سلام. وقد جاء النص في طبقات ابن سلام مصدراً بعبارة: «قال محمد بن سلام: فحدثني أبو عبيدة قال:[٩] وجاء في موشح المرزباني مصدراً بهذا السند «حدثني إبراهيم بن شهاب قال: حدثنا الفضل بن الحباب، عن محمد بن سلام، قال: حدثني أبو عبيدة قال:[١٠] ويتضح لنا الأمر بشكل أكثر دقة حين نرى المرزباني يتجاوز سنده سالف الذكر، فينسب النص مباشرة إلى أبي عبيدة، وذلك في كتابه «معجم الشعراء» يقول: «قال أبو عبيدة: كانت شعراء غطفان تغير على شعره[١١] فتأخذه وتدعيه... الخ[١٢].

وهذا ليس من قبيل الصدف، والشيء إذا تكرر تقرر!..

ونعود إلى موضوعنا لنتساءل: ماذا يقصد الأستاذ أحمد زكي بعبارته «منقول بنصه»؟!

فإذا كان يقصد أننا نقلنا النص بأسلوب الأستاذ هدارة، بطل الادعاء وحق لنا أن نستغرب، بدليل ما أوضحناه سابقا من إثبات الأستاذ هدارة للنص بأسلوب صاحبه دون أن يتصرف فيه. وإذا كان الرجل يقصد أننا نقلنا النص بأسلوب صاحبه (أبي عبيدة) وجدنا أنفسنا إزاء حكم لا يقل غرابة عن الأول.. فنحن عندما أخذنا النص من طبقات ابن سلام وأشرنا إلى ذلك في الهوامش (هامش رقم٣)، حرصنا على عدم التصرف كثيراً في نص أبي عبيدة، واحتفظنا بالعبارات الرئيسة فيه، وذلك للضرورة.

فلعله قد غاب عن الأستاذ أحمد زكي ـ إذا صح الإفتراض الثاني ـ أن نص أبي عبيدة هذا يحمل في طياته مصطلحات نقدية دقيقة جداً لا يصح التصرف فيها بالاستبدال والتغيير، وبخاصة في قوله: «وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدعيه، منهم زهير بن أبي سلمى ادعى هذه الأبيات»..

فغير خاف أن هذا النص يتضمن مصطلحات نقدية خطيرة، وهي: «الإغارة» و«الأخذ» و«الادعاء»، ولكل مصطلح من هذه المصطلحات معناه وحده الدقيقين عند العلماء.

ونستأنس في هذا الباب بقول علي بن عبد العزيز الجرجاني: «ولست تعدُّ من جهابذة الكلام، ونقاد الشعر، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علما برتبه، ومنازله فتفصل بين السرق والغصب، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرق فيه، والمبتذل الذي ليس أحد أولى به، وبين المختص الذي حازه المبتديء فملكه.. وتعرف اللفظ الذي يجوز أن يقال فيه: أخذ ونقل، والكلمة التي يصح أن يقال فيها: هي لفلان دون فلان»[١٣].

وعلي بن عبد العزيز الجرجاني هذا هو الذي شهد له صاحب العمدة بأنه أصح مذهباً وأكثر تحقيقا في مجال السرقات، يقول ابن رشيق القيرواني: «.. وهو أصح مذهبا، وأكثر تحقيقا من كثير ممن نظر في هذا الشأن»[١٤].

ولو أن الأستاذ أحمد زكي تعامل مع هوامشنا تعاملا علمياً، ورجع إلى كتاب «الموشح» الذي أشرنا إليه في الهامش رقم (٣)، لاتضح له أن المرزباني على سعة علمه وطول باعه في النقد والأدب لم يجرؤ على التصرف في نص أبي عبيدة سالف الذكر، إذ لم يزد على نقله بأسلوب صاحبه[١٥]. ويتأكد لنا وعي المرزباني العميق بخطورة نص أبي عبيدة بما يحويه من مصطلحات نقدية دقيقة حين نراه ينقلُ هذا النص محتفظاً له بمصطلحاته الرئيسة سالفة الذكر، وذلك في كتابه «معجم الشعراء»[١٦].. وهذا الحرص المتكرر الذي نلمسه في تعامل المرزباني مع نص أبي عبيدة لا يمكن أن يكون ـ في تقديرنا ـ وليداً للصدفة.

ويقول الأستاذ أحمد زكي: «وبدءاً من قول الكاتب في مقاله (ومع مجيء الإسلام أصبح ... إلخ) منقول

بنصوصه كلها من الكتاب تحت عنوان (السرقات في عصر صدر الإسلام)».

ولسنا ندري لماذا يستكثر الأستاذ أحمد زكي نصوص الفقرة التي خصصناها بدراسة السرقة الشعرية في صدر الإسلام؟!

وذلك حين راح يلح على تعددها (بصيغة الجمع) «منقول بنصوصه كلها». مع أن هذه الفقرة من مقالنا لا تضم في الحقيقة أكثر من نصين اثنين: الأول هو نص الرواية التي تحكي الحوار الذي جرى بين الحسن بن علي - رضي الله عنهما - والنابغة الجعدي، وقد أثبتنا نص هذه الرواية نقلا عن طبقات ابن سلام الجمحي وأشرنا إلى ذلك في الهامش رقم (٥) من مقالنا.

أما النص الثاني والأخير في هذه الفقرة فهو قول أبي زيد القرشي: «وذلك أنه لما لم يوجد أحد من الشعراء بعدهم إلا مضطراً إلى الاختلاس من محاسن ألفاظهم وهم إذ ذاك مكتفون عن سواهم بمعرفتهم»[١٧]. وهذا النص غير موجود في كتاب الأستاذ هدارة، ومع ذلك لم يأخذه الأستاذ أحمد زكي بعين الاعتبار حين أطلق حكمه بهذه النبرة الحاسمة: «منقول بنصوصه كلها» والأغرب أن ينقض الأستاذ حكمه بنفسه حين يتابع كلامه قائلا: «وقد اختار الكاتب من مادة هذا الجزء ما ذكره الرواة أن النابغة الجعدي دخل على الحسن بن علي فقال له الحسن: أنشدنا من بعض شعرك، فأنشده:

الحمدُ لله لا شريك له

من لم يقلها فنفسه ظلما

إلى آخر الرواية، وهي مثبتة في كتاب (مشكلة السرقات) ص١٣.

فهذا، إذن، نص واحد يزعم الأستاذ أنا نقلناه من كتاب «مشكلة السرقات»، فأين هي النصوص الأخرى التي أصر الرجل على أننا نقلناها «كلها» من الكتاب المذكور؟!.

اللهم إلا إذا كان الأستاذ يرى في نص الرواية السابقة نصوصاً كثيرة لا رابط بينها ولا نسق يجمعها؟!. ويمكن للقارىء أن يتأمل نص هذه الرواية كاملا حتى يتضح له: هل هو نص واحد متسق الأعضاء، أم مجموعة نصوص متفرقة؟ وسنثبت نص الرواية كما ورد في مقالنا بعد حين.

ثم إننا تناولنا السرقة الشعرية في عصر صدر الإسلام وفق نظرة خاصة، فقد كان تحليلنا قائماً على تصور إسلامي مرتبط بتأثير الإسلام العميق في مختلف جوانب وأشكال الحياة، ومن ضمنها الحياة الأدبية للعرب، وحتى يتضح ذلك نسوق هذا المقطع من مقالنا: «ومع مجيء الإسلام أصبح الشاعر - والمسلم بخاصة - أكثر تشدداً في ذم السرقة ونفيها عن شعره، لأن الإسلام حث على مكارم الأخلاق ونهى عن كل أصناف الرذيلة، ومن السرقات ما يقوم على التلفيق والكذب، ومن ثم أصبح الشاعر المسلم يقابل تهمة السرقة بكثير من التأثر والانفعال، ويعتبرها هنة أخلاقية قبل أن تكون هنة شعرية».

ونحن إنما اخترنا نص الرواية سالفة الذكر - الذي زعم الأستاذ أنه منقول من كتاب «مشكلة السرقات» لأنه ينسجم مع هذا التصور الإسلامي، ولعل ذلك يتضح أكثر من خلال توظيفنا لهذا النص.

وننقل هنا نص الرواية كاملا بالسياق الذي أوردناه فيه تتميماً للمقطع الذي سقناه آنفاً: «ومما يروى في هذا الباب أن النابغة الجعدي عزم على الخروج إلى البادية فدخل على الحسن بن علي رضي الله عنهما ليودعه، فطلب إليه الحسن أن ينشده من بعض شعره، فلما أنشده النابغة قصيدته التي يقول فيها:

الحمد لله لا شريك له

من لم يقلها فنفسه ظلما

قال له الحسن: (يا أبا ليلى ما كنا نروي هذه الأبيات إلا لأمية بن الصلت)، فأقسم النابغة على أنه أول من قالها، وقال: (يا ابن رسول الله، والله إني لأول الناس قالها وإن السروق من سرق أمية شعره). وليس أعظم من القسم دلالة على انفعال الشاعر المسلم وتأثره في هذا الموقف».

ونحن نطمئن - إذا صحت هذه الرواية - إلى

صدق النابغة الجعدي في هذا القسم العظيم الذي يدفع به عن نفسه تهمة السرقة، فقد كان الرجل نموذجاً رائعاً للأخلاق الإسلامية الفاضلة، والناظر في كتب الأدب يلمس أن أكثر الرواة والنقاد ينسبون القصيدة إلى النابغة الجعدي، ونستأنس هنا بشهادة المرزباني، يقول: «وهو القائل:

الحمد لله لا شريك له

من لم يقلها فنفسه ظلما

وتروى لأمية بن أبي الصلت والصحيح أنها للنابغة»[١٨]٠

ويقول الأستاذ أحمد زكي متهما إيانا بنقل عناوين الدكتور هدارة: «ويمضي الكاتب السارق في نقله من كتاب الدكتور هدارة، ولا يتحرج حتى في نقل العناوين، فقوله: السرقة في العصر الأموي إنما هو (السرقات في العصر الأموي) في كتاب الدكتور هدارة». ثم يقول الأستاذ في نفس السياق في موضع آخر من مقاله: «٠٠ لينتقل مع أستاذنا الدكتور هدارة إلى عنوان آخر (السرقة في العصر العباسي)٠٠»٠

ونحن لا نظن السارق - كائناً من كان - من البلادة بحيث يسرق العناوين أيضا وينقلها جاهزة لتكون بعد ذلك الدليل عليه!٠٠ ولكن لا بأس من تحديد عناوين بحثنا وتوضيحها وإن كانت غنية عن كل ذلك٠ فقد جعلنا العنوان الفرعي الأول: «السرق داء قديم»، وتناولنا فيه السرقة الشعرية - من وجهة نظر الشعراء - في العصر الجاهلي، ثم في صدر الاسلام، وقد أستأنسنا في اختيار هذا العنوان بقول علي بن عبد العزيز الجرجاني الذي صدرنا به مقالنا، وهو: «والسرق - أيدك الله - داء قديم وعيب عتيق»[١٩]٠ وقد يلاحظ القاريء غياب هذا العنوان في مقالنا المنشور بالمنهل، فقد تم حذفه عند الطبع ولعل ذلك راجع إلى غاية فنية، ولم نر في ذلك بأساً وقد حرصت المجلة على عدم التصرف في المتن٠

ثم جعلنا العنوان الفرعي الثاني: «السرقة في العصر الأموي»٠ أما العنوان الفرعي الثالث والأخير فهو: «السرقة في العصر العباسي»٠

ونحن لا نظن السارق - كائناً من كان - من البلادة بحيث يسرق العناوين أيضا، وينقلها جاهزة لتكون بعد ذلك الدليل عليه!٠٠ ولكن لا بأس من تحديد عناوين بعثنا وتوضيحها وإن كانت غنية عن كل ذلك٠ فقد جعلنا العنوان الفرعي الأول: «السرق داء قديم» وتناولنا فيه السرقة الشعرية - من وجهة نظر الشعراء - في العصر الجاهلي، ثم في صدر الإسلام، وقد استأنسنا في اختيار هذا العنوان بقول علي بن عبد العزيز الجرجاني الذي صدرنا به مقالنا، وهو: «والسرق - أيدك الله - داء قديم وعيب عتيق»[١٩]٠ وقد يلاحظ القاريء غياب هذا العنوان في مقالنا المنشور بالمنهل، فقد تم حذفه عند الطبع، ولعل ذلك راجع إلى غاية فنية، ولم نر في ذلك بأساً وقد حرصت المجلة على عدم التصرف في المتن٠

ثم جعلنا العنوان الفرعي الثاني: «السرقة في العصر الأموي»٠ أما العنوان الفرعي الثالث والأخيرة فهو: «السرقة في العصر العباسي»٠

وَبَدَهِيٌّ أن الذي يقرأ عنوان مقالنا: «السرقة الشعرية في عيون الشعراء» يفهم تلقائيا أن المقصود بالعنوان الفرعي الثاني: «السرقة في العصر الأموي» إنما هو: «السرقة الشعرية في عيون الشعراء في العصر الأموي» وأن قولنا كذلك في العنوان الفرعي الأخير: «السرقة في العصر العباسي»، إنما يعني بالبداهة: «السرقة الشعرية في عيون الشعراء في العصر العباسي»٠

وليس يخفى أننا اخترنا هذه العناوين الفرعية المقتضبة تتبعاً لما تقتضيه صياغة مثل هذه العناوين الفرعية من اختزال وإيجاز، وثقة منا بفطنة القاريء، وإلا فسنكلف نفسنا والقاريء تفاهة تفصيلات زائدة، وبالتالي نكلف المجلة عنت طبعها أو التصرف فيها بالحذف أو الاختزال، ولنا في عنوان المقال وفي مضمون المتن ما يغنينا والقاريء عن كل ذلك، واللبيب بالإشارة يفهم!٠

وفضلا عن ذلك فقد حرصنا منذ البداية علي توضيح الغاية التي ننشدها في دراستنا وتحديد الإطار الذي يحكمها، وذلك من خلال مقدمة البحث٠

ولا بأس من إثباتها هنا، تقريبا للحقيقة ودفعاً

نبس: «تُعدُّ قضية السرقات الشعرية من أخطر القضايا الأدبية وأكثرها إثارة للجدل في أدبنا العربي على اختلاف أعصره، والناظر في الخزانة العربية تبهره هذه الكثرة الكثيرة من المصنفات التي خصها أصحابها بهذه القضية، فضلا عما نجده في كتب الأدب العامة من فصول وإشارات حولها، حتى لا نكاد نعثر على كتاب لم يشر إليها. فإذا كان هذا شأنها مع نقادنا، فقد يكون من المجدي أن نحاول تتبع موضوع السرقة الشعرية عند الشعراء أنفسهم، لأن الإبداع يسبق النقد والتنظير، ومتى عرفنا موقف المبدع من قضية أدبية ما سهل علينا فهمها عند الناقد والمُنَظر، بل إن ذلك لهو السبيل الأمثل لتأسيس وعي شامل وفهم صحيح للظواهر الأدبية عموماً، ولظاهرة السرقات الشعرية بخاصة».

وبعد أن أوضحنا - من خلال هذه المقدمة - الهدف من بحثنا والحدود التي سطرناها له، **نرى لزاماً علينا من باب الموضوعية والإنصاف أن نسوق الأهداف التي رسمها الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة لبحثه «مشكلة السرقات في النقد العربي»**. وبعيداً عن كل تأويل أو تحريف نترك الأستاذ هدارة يعبر بنفسه عن الأهداف التي حددها لكتابه، يقول يرحمه الله: «.. ومن هذه العجالة التي رأينا أن نسجل بها جهود الباحثين المحدثين في ميدان النقد بالنسبة لدراسة مشكلة السرقات، يتضح لنا افتقار نقدنا العربي إلى دراسة شاملة لهذه المشكلة تتناول جوانبها المختلفة، وتضع لها مفهومات جديدة تنأى بها عن الأفق الضيق الذي عاشت فيه. فهدفي - إذن - من هذا البحث هو:

أولا: عرض المشكلة عرضاً تاريخيا علميا منظماً ودراسة مختلف الطرق التي عولجت بها، ومقارنة تلك الطرق بعضها ببعض.

ثانيا: تحليل مشكلة السرقات في ضوء موضوعات الأدب والنقد عند العرب الأقدمين للصلة القوية التي تربط - فيما نرى - بين هذه المشكلة وتلك الموضوعات.

ثالثا: سد النقص الذي تبينته في دراستنا القديمة والحديثة لمشكلة السرقات، وذلك عن طريق ربطها - ما أمكن - بالمشكلة ذاتها في الآداب الأخرى على أنها ظاهرة إنسانية عامة في الآداب المختلفة.

رابعا: محاولة إيجاد مفهومات جديدة لهذه المشكلة النقدية المهمة في ضوء الدراسات الإنسانية الحديثة، وخاصة الدراسات النفسية[٢٠].

فواضح من خلال هذه الأهداف التي سطرها الأستاذ هدارة لنفسه، ومن خلال مضمون كتابه كذلك، أن الأستاذ الراحل أخذ نفسه - يرحمه الله - بدراسة مشكلة السرقات في إطارها النقدي الأدبي الواسع الذي لا يقتصر على نقدنا العربي، بل يتعداه إلى الآداب الأجنبية. على حين حصرنا - نحن - مجهودنا المتواضع في دراسة السرقة الشعرية - كما أوضحنا سابقا - من منظار الشعراء أنفسهم، محاولين تحديد طبيعة مواقفهم من هذه القضية، وهي مواقف لابدَّ أن تختلف كلياً أو جزئياً عن مواقف النقاد والمنظرين، وقد استنتجنا من خلال مقالنا أن نظرة الشعراء إلى السرقة الشعرية تكاد تكون - على اختلاف العصور - موحدة، وقد عبرنا عن هذه الوحدة في أكثر من موضع، فمن ذلك قولنا: «.. ومثل هذه الأخبار على كثرتها لا تنفي القاعدة المطردة عند الشعراء في رفضهم للسرقة الشعرية ونفيها عن أشعارهم..».

وقولنا: «أما إذا تجاوزنا هذه الروايات فإن موقف الشعراء من قضيتنا ظل ثابتا في العصر الأموي». وقولنا كذلك في موضع آخر من المقال: «وقد جرى أبو تمام على عادة الشعراء فدفع عن نفسه هنة السرقة دالا بذلك على أصالة شعره».

وأكثر من ذلك فقد جعلنا من هذه الوحدة في المواقف والرؤى لدى الشعراء العرب إزاء قضيتنا استنتاجاً جوهرياً ختمنا به بحثنا، وذلك في قولنا: «وصفوة القول: إن الشعراء قد فطنوا في وقت مبكر جداً للسرقة الشعرية وعبروا عن مواقفهم منها، ومواقفهم لا تخرج عن الذم والاستقباح عموماً، ثم إنهم حرصوا كل الحرص علي تبرئة أنفسهم منها ولم يعترفوا بها إلا في حدود ضيقة، كما لم يدخروا جهداً في الذود عن أشعارهم ومهاجمة كل من يتعرض لها بالسرقة.

وانطلاقاً من هذا الاستنتاج الجوهري وتوخيا

للانسجام حرصنا في صياغة سائر عناوين مقالنا على استعمال مصطلح «السرقة» بصيغة المفرد (السرقة الشعرية في عيون الشعراء) وهو عنوان المقال «السرق داء قديم» وهو العنوان المحذوف عند الطبع «السرقة في العصر الأموي»، و«السرقة في العصر العباسي»). فصيغة الإفراد - هذه - تنسجم في تقديرنا مع هذه الوحدة في مواقف الشعراء تجاه «السرقة الشعرية»، بعيدا عن هذا التضارب الكبير الذي نجده عند النقاد حول قضية السرقات الشعرية، ويتجلى ذلك في تعدد المفاهيم والحدود، وكثرة الأقسام والأصول والفروع والأصناف، وما يرافق ذلك من تعدد وتضارب في الأسماء والمصطلحات.. ونظن هذه الصيغة كافية لكي تجعل عناوين مقالنا مخالفة لعناوين «مشكلة السرقات»، وما يصاحب ذلك من اختلاف جوهري في مضمون العناوين في مقالي عنه في الكتاب المذكور، فعناوين «مشكلة السرقات» يظهر فيها لفظ «السرقات» بصيغة الجمع، وهذه الصيغة تنسجم - في رأيي - مع الشمول والاستقصاء الذي حرص المرحوم الأستاذ هدارة على تحقيقه في دراسته لمشكلة السرقات في النقد العربي، والناظر في كتاب الرجل يلاحظ وقوف الباحث على تطور مفهوم السرقات عبر مختلف العصور، وحرصه على دراسة هذا الاختلاف الذي نجده عند النقاد - في تناولهم لهذه القضية - دراسة مقارنة، حتى إن الأستاذ الفقيد جعل هدفه الأول من بحثه: «عرض المشكلة عرضاً تاريخيا علمياً منظما، ودراسة مختلف الطرق التي عُولجت بها، ومقارنة تلك الطرق بعضها ببعض»[٢١].

وهذه أمثلة لعناوين كتاب (مشكلة السرقات) «السرقات في الجاهلية»، «السرقات في عصر صدر الإسلام»، «السرقات في العصر الأموي»، «السرقات في العصر العباسي»، «السرقات في نطاق الحركات النقدية حول الشعراء»».

فها نحن قد تجشمنا تفاهة شرح وتفصيل عناوين مقالنا الفرعية التي يفترض فيها الإقتضاب والإختزال، ونحن نعلم أن «شرح الواضحات من المفضحات»!.

ويتهمنا الأستاذ أحمد زكي بوجه آخر من وجوه السرقة والنقل، فيقول في حقنا: «وهو يسير على نهجه (أي نهج الأستاذ هدارة) في البدء بالجاهلية ثم صدر الإسلام ثم العصر الأموي ثم العباسي في عرضه لتاريخ السرقات».

والمثير للدهشة أن يبيح الأستاذ لنفسه إصدار حكم غريب كهذا، مع العلم بأن هذا المنهج التاريخي معروف ومتداول في سائر الدراسات الأدبية منذ أن تبلورت معالمه مع رواده الأوائل!. وقد تناوله بالدرس بعض نقادنا المعاصرين، فهذا الأستاذ المرحوم شكري فيصل يحدد أوليات هذا المنهج، فيقول: «حسن توفيق العدل: وقد رأينا أنه أول الذين عنوا بالتاريخ الأدبي في صورته الجديدة، وأنه هو الذي صاغ نظرية تقسيم العصور في شكلها الأول الذي لم تكد تحيد عنه، فاستن هذه السنة في دراسة الأدب العربي»[٢٢].

فإذا كان حسن توفيق العدل - حسب تقدير الدكتور شكري فيصل - هو الذي استن هذه السنة في دراسة الأدب العربي، فكيف يصح أنني أخذتُ هذا المنهج من كتاب «مشكلة السرقات»؟ فلست وسائر الباحثين العرب المعاصرين إلا متبعين في هذا الباب. وهل غاب عن الأستاذ أحمد زكي أن هذا المنهج هو أكثر المناهج رواجاً في الدراسات الأدبية العربية المعاصرة؟!.. حتى إن الأستاذ شكري فيصل ليرى أن كثرة رواج هذا المنهج قد جنت كثيراً على الدراسات الأدبية، يقول يرحمه الله: «كان من حظ هذه النظرية المدرسية في قسمة العصور أن تعم كتب التاريخ الأدبي فإذا هذه الكتب، كلها أو أكثرها، تنقاد لها، وإذا هي مع الزمن الدائر تقوى وتشتد، وإذا هي مع التسليم بها والتطبيق لها تتصلب وتتحجر، وإذا نحن في دراستنا الأدبية نلتزمها في كثير من الإخلاص لها والثقة بها، لا نكاد نحيد عنها، حتى غدت رسماً لا يتحرك وطريقاً لا يعدل عنه»[٢٣].

ونحن نتساءل: هل كان علينا أن نجافي منطق التطور والتسلسل التاريخي ونتدرج في دراسة السرقة الشعرية من العصر العباسي إلى العصر الأموي، ومن العصر الأموي إلى صدر الإسلام، ومن صدر الإسلام

ي العصر الجاهلي، حتى نبرأ من سرقة مناهج الباحثين؟!.

وصدق من قال:

على أنها الأيام قد صرن كلها

عجائب حتى ليس فيها عجائب

ويقول الأستاذ أحمد زكي منصور: «فقول الأخطل (نحن معاشر [نقلها معشر] الشعراء أسرق من الصاغة) منقول من ص ٢٤ من الكتاب».

وقول الأستاذ أحمد زكي في حقي: «نقلها معشر» هو بيت القصيد عندنا، فقد وهم الأستاذ بأنني نقلتُ قول الأخطل من كتاب «مشكلة السرقات» واستبدلت لفظة «معاشر» بلفظة «معشر». وليت شعري لماذا لم توح لفظة «معشر» إلى الأستاذ بشيء آخر غير النقل والسرقة والتمويه، علما بأن الباحث الجاد لا يعجل إذا أراد أن يسجل؟!. ولعله قد غاب عن الأستاذ أن النص ورد في موشح المرزباني مرتين، فجاء مرة بلفظ «معاشر»[٢٤]، وورد في موضع آخر من الكتاب بلفظ «معشر» وذلك في قوله: «قال الأخطل: نحن معشر الشعراء أسرق من الصاغة»[٢٥]. وهو النص الذي أثبتناه في مقالنا وأحلنا عليه في الهامش، وكان يكفي الأستاذ أن يستثمر هوامش مقالنا (الهامش رقم ٨) ليكتشف ذلك.

ثم إن الأستاذ المرحوم محمد مصطفي هدارة لم يشر في كتابه حين أثبت قولة الأخطل وأحال عليها في الهامش (رقم ٢ - ص٣٦) إلى وجود النص بلفظ «معشر» في موضع آخر من «الموشح»؛ فكيف اهتدينا - إذن - إلى وجود هذه القولة (بلفظ معشر) إذا كنا قد نقلناها من كتاب «مشكلة السرقات»؟!.

«للدراسة صلة»

الهوامش:

(١) البيت لأبي تمام.

(٢) البيت لأبي نواس.

(٣) الأبيات الأربعة لابن الحاجب.

(٤) البيت لأبي نواس.

(٥) البيت لأبي خراش الهذلي.

(٦) شرح مقامات الحريري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ج٢/ ص ٥٥٩.

(٧) السرقات الأدبية، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص ٣٩.

(٨) مشكلة السرقات، ص ١٤ - ١٥

(٩) انظر «طبقات فحول الشعراء» تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ج٢/ص٧٣٣ - ٧٣٤.

(١٠) «الموشح»، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٥٩ - ٦٠.

(١١) يقصد قراد بن حنش المري.

(١٢) «معجم الشعراء»، بتصحيح وتعليق الدكتور ف.كرنكو، دار الجيل، بيروت: الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ١٨٥.

(١٣) «الوساطة بين المتنبي وخصومه»، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت، ص ١٨٣.

(١٤) «العمدة» تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ج٢/ ص ٢٨٠.

(١٥) انظر «الموشح» ، ص ٥٩ - ٦٠.

(١٦) انظر «معجم الشعراء» ص ١٨٥.

(١٧) «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي، دار المسيرة، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ٣.

(١٨) معجم الشعراء، ص ١٧٧، وانظر القصيدة في كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة.

(١٩) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ٣١٤.

(٢٠) مشكلة السرقات، ص ٨ - ٩، مقدمة المؤلف.

(٢١) مشكلة السرقات، ص ٨، مقدمة المؤلف.

(٢٢) مناهج الدراسة الأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٢٠.

(٢٣) مناهج الدراسة الأدبية، ص ٢٠.

رحلة في الذاكرة (٤٣)

الأستاذ على أدهم

يهتم الأستاذ على أدهم بما يبدع من آثار فكرية، فمقالته الواحدة تعطي من الثمار الشهية، ما يشبع ويمتع، أما كتابه ذو الفصول فعمل منسق متكامل، يشبه البناء الهندسي القائم على أسس وطيدة، وكل لبنة من لبناته ذات قوة متماسكة فيشدّ البنيان بعضه بعضا ليبقى ناهضا شامخا، وكنت ألحظ بعده عن الأضواء، وعكوفه الزاهد في صومعة الفكر، فأعدّه ناسكا يؤثر الانزواء، ولكن الذين صادقوه يذكرون مراسه القوي في المجادلة، وخبرته الدقيقة بالنفس البشرية، وقد أوحت له مزيدا من الترفع حتى ليعتبره الناس كبرياء لا ترفعا، والكبرياء حبيبة أثيرة حين تعلو على الأدعياء والمتشامخين، أما الأصلاء فزملاء في مستوى خلقى متقارب، فلا ترفع ولا استعلاء.

وقد رأيت من واجبى أن أشيد ببحّاثة ضليع مثله، فكتبت مقالا بمجلة الثقافة، قلت في مطلعه:

منذ أخذت أقرأ للأستاذ الكبير على أدهم مقالاته الرصينة، وأنا أتذكر به العقاد في كل فصل أقرأه، وأعقد موازنة صامتة في نفسي بين ما قاله أدهم، وما يمكن أن يقوله العقاد، لو اتجه الى معالجة ما عالجه أدهم من أفكار، إذ وقر في ذهني أن أدهم أقرب الكاتبين في العربية إلى منحى العقاد العظيم، وليس معنى ذلك أنه يحتذيه، فللأستاذ أدهم شخصيته الخصبة في كل ما يكتب بل إنك لتجد فيه واقعية واضحة، وتسامحاً متواضعا، واغضاء صافحا، فيستأثر بشعورك استئثارا لا تحيد عنه، ولا أدري لماذا لا تُعَدّ الدراسات العلمية لانتاجه الحافل الخصيب؟ ولماذا يتعداه الباحثون إلى أناس لا يبلغون مبلغ تلاميذه؟ يخيل اليّ أن شخصية أدهم قد ساعدت على هذا التجاوز المعيب، فالرجل هادئ قانع، لا يحاول أن يعقد مودات ذات نفع مزدوج، بين الكتاب فيشيد بهم، ويشيدوا به على نحو ما نرى».

وامتد المقال إلى صفحات صادقة تحلل آراء الكاتب الكبير في نفر من شعراء العربية، وكان أخشى ما أتوقعه ألا يجد به الأستاذ ما ينبئ عن الحقيقة العلمية التي أحاول تسجيلها، ولكن الرجل العاطف المشجع قد كتب إليّ خطابا حارا نشره الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدسوقي بعدد سبتمبر سنة ١٩٧٩م من مجلة الثقافة، قال فيه:

«لقد أسعدنى الحظ بالاطلاع على مقالك القيم في الثقافة، وكنت أشعر في خلال قراءته أني أطالع فصلا من فصول أمثال سانت بيف، وماثيو أرنولد، واسينجارن وغيرهم من أساتذة الأدب والنقد، الذين طالما استمتعت بالاطلاع على آثارهم الأدبية، ودراساتهم في النقد، وأرجو الله أن يمتعك بالصحة والعافية، لمتابعة السير في هذا الطريق، الذي لا شك في أنه سيعود بالنفع الجزيل على حياتنا الأدبية، ويسمو بالنقد إلى المستوى الرفيع، ويرقى بالثقافة المصرية العربية!».

هذا ما قاله الأستاذ في فاتحة خطابه، وهو تشجيع هادف



بقلم : أ. د. محمد رجب البيومي
- المنصورة -

..تب كل ما يملكه هو الصدق المخلص فيما يكتب ويقرر، وكنت قد أشرت إلى دراسة نقدية كتبها الأستاذ أدهم عن الشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى فقلت «إنى أحس إحساسا قويا أن أدهم المتحفظ قد كتب المقال، وفي ذهنه أن صديقه الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد سيقرأ ما يكتب، وليت شعرى أيصدق أحد أن العقاد الدقيق يضع اسمه على كتاب (الديوان) دون أن يعرف سلفا كل ما سيكتب فيه؟».

قلت ذلك في خاتمة المقال، ولم يشأ الأستاذ أدهم أن يسكت عما كتبت، فقال في خطابه «أنه عاصر فترة الخلاف وأنه يعرف من خفاياها ما يجهله الكثيرون، وقد كان الأستاذ العقاد يقدر شكرى تقديراً عاليا، ولم أسمع منه كلمة سوء في أدب شكرى أو شخصيته».

ثم مضت أيام، ووصلنى خطاب من الأستاذ أدهم، يعلن أنه يعانى بعض عقابيل المرض، ويسعده أن أزوره حين أمر بالقاهرة، وكنت أعرف احتجاز أدهم وعكوفه فلم أشأ أن أبدأ بالزيارة التى أحرص عليها كيلا أتطفل على خلوته، فلما جاء في خطابه الكريم، بادرت لأطفيء ظمأ أحس به، وليس من السهل أن يظفر الإنسان بحديث مع أستاذ في مستوى أدهم، والغناء كثير.

(لقاء فريد):

وأقول إنه لقاء فريد، لأنه لم يتكرر مرّة ثانية فهو فريد من هذه الناحية، كما أنه فريد من ناحية أخرى أهم وأعظم، إذ أتاح لي من الفوائد الجزيلة ما أضاء بعض الظلمات في أمور كانت تشكل عليّ ، وقد بدأ الأستاذ بثناء تشجيعى يحاول أن يدفعني به إلى الأمام، ثم قال إنه يغتنم هذا اللقاء ليحدث عن علاقة شكرى بالعقاد! فقلت ما أحب اليّ أن أسمع ما اعتز به من ناقد خبير!

قال الأستاذ: قبل أن أتحدث عن شكرى والعقاد أعلن أن نفراً من الكاتبين، كان من همهم أن يوقدوا اللهب بين شكري والعقاد، والعقاد غضوب لا يصبر على مهاترة، وهو يعرف تماما أن شكري بعيد كل البعد عن محاولات من يرون إذكاء الوقيعة بينه وبين شريكه في البناء التجديدي للشعر، كما يعلم أن هؤلاء لا يقصدون تمجيد شكرى قدر ما يقصدون انتقاص العقاد! كما يحاول فريق آخر أن يرتفعوا بمطران الى حيث يجعلونه كل شيء في التجديد الشعري ليضيع نصيب شكري والعقاد والمازني من التجديد هباء! يعرف ذلك العقاد جيداً، فيأسف للظروف التى أدّت إلى مخاصمة المازني لشكري، فجعلت مدرسة التجديد الشعري التي نهضت على أكتاف هؤلاء الثلاثة مثار القال والقيل!



العقاد

شكري

المازني

قال الأستاذ أدهم، وهذا ما أحب أن أؤكده قبل أن أشرح حقيقة العلائق بين الأصدقاء الثلاثة فالعقاد

معجب بشكري كل الإعجاب، وشكري لا يقل عن صاحبه إعجابا به، ولكن كيف بدأ الثلم الصادع في هذه الأخوة الأدبية الحميمة؟.

لقد كان المازني أسبق الكتاب في الاعتراف بمنزلة شكري، وقد كتب نقداً عن حافظ ابراهيم جمعه في كتاب خاص، وقد انخفض بشعر حافظ ليرتفع بشعر شكري، في مجال موازنة نقدية حافلة بالشواهد الشعرية مما قاله حافظ وشكري معا! وقد قال المازني فيما قال: إن حافظا لا يقول الشعر إلا فيما يُسأل فيه من الأغراض، بيد أنه على ما به من ضيق في المضطرب، وتخلف في الخيال، كان أفصح لسان تنطق به الصحف، أما شكرى فشاعر لا يصعد طرفه إلى أرفع من آمال النفس البشرية، ولا يصوبه إلى أعمق من قلبها، وهو لا يبالغ كحافظ في تحبير شعره وتدبيجه، بل حسبه أن يسمعك تدفق الدماء من جراح الفؤاد، وأن يفضي إليك بنجوى القلوب، وأن يُريك عيون الندى على خدود الزهر، وافترار ضوء القمر على مكفهر القبور، ووميض الابتسامات في ظلام الصدور، وأن يغوص بك في لجج الفكر، ليكشف لك عن معان لا يدركها التعبير، ويتناول أبسط معاني الطبيعة والعقل وأشدها ارتباطا بالحياة، واتصالا بالنفس، ثم يصوغ لك منها شعرا نقي المستشف، كثير الماء جم المحاسن.

هذا ما قاله أدهم بمعناه، وقد رجعت إلى ما كتب المازني لأنقل اللفظ الحقيقي، وقد جاء المغزى مطابقا كل المطابقة لما قال الكاتب الكبير.

ثم قال أدهم، كان المنتظر من شكري بعد هذا الثناء الصادق، أن يكون هيّن النبرة مع المازني، وإذا آخذه على شيء فمؤاخذة الحبيب الودود، ولكنه حين أصدر ديوانه الخامس صدَّره بمقدمة هاجمه فيها هجوما عنيفا، فقال إنه لا يراعي حرمة ، ولا يردعه ضميره عن السرقات الفظيعة، وضرب الأمثلة بما سرقه المازني عن هيني الشاعر الألماني، ولويل الشاعر الأمريكي، وأديسون الكاتب الانجليزي.

وطبيعي أن المازني قد تأثر بأسلوب صاحبه النقدي؛ إذ كان في مكنته أن يجعل النصيحة في محادثة شخصية أو في رسالة خاصة بين الصديقين، وإذا لم يجد شكري بدا من الإفصاح للقراء، فبالتي هي أحسن، لا بالتي هي أقبح، فنفَّس المازني عن غضبه بمقالات نارية تناولت شعر شكري، فقلبته من وضع الى وضع، وبذل العقاد جهده في لم الشمل، فوُفّق إلى وقت قريب، ثم عاود شكري النقد عاصفا على صفحات جريدة عكاظ التي كان يصدرها الشيخ فهيم قنديل، ولم يقصر هجومه على المازني، بل امتد إلى شعر العقاد، وبالغ في القسوة الى حدّ مستغرب، وكان المظنون بالعقاد أن يمتشق القلم ليأخذ بحقه، ولكنه طوى صدره على أسف لما كان، وترك للمازني أن يقول ما يشاء!.

وبمراجعة هذه الحقائق، نجد أن المازنى قد أخطأ أولا حين سطا على أدب غيره، ونجد شكرى كان محقا حين لم يسكت عن هذه السرقات! ولكنه كان مخطئاً في اندفاعه القاسي، وتورطه إلى الإقذاع فيما كتب بعكاظ، ثم في انتقاله إلى العقاد، وهو لم يسلف إليه جريرة! وحين ظهر (الديوان) أسف أنصار التجديد حين قرءوا كلام المازني عن صاحبه، لأن ذلك يوحي بانهيار ما دعا إليه المازني ورفيقاه من خطوات تجديدية إذ لو صار شعر شكري كشعر حافظ مثلا، ففيم كانت عواصف النقد العنيف؟.

(انصاف شكري)

قلت: وهل كانت صلة الأستاذ بشكرى تقرب من صلته بالعقاد؟

قال أدهم: ذكرت في مقالي عن الأستاذ شكرى

ـلة المجلة أنه كـان أسـتـاذي بمدرسـة رأس التين الثانوية، وكان متميزا بين الأساتذة، بقوة علمه، وجدّة أفكاره، وقـوة شـخـصيـتـه، وكنا نـعـرف مكانتـه الأدبية، ونقرأ مـا أصـدر من دواوين الشـعـر، ونلمس تقـدير المجتمع المدرسي لفضله! وقد امـتـدت صلتي به ولم تنقطع بالنسـبـة اليّ ، وأنا أعـجـب للذين يقـولون إن الرجل كان سوداوي المزاج وحيداً معتزلا، فأنا أعرفه قطبا لدائرة الأدباء بالاسكندرية، يجلس معهم ليفيض في شئون الأدب والثقافة، وهم يسمعون لآرائه، كما يستمعون لأستاذ جامعي، وفيهم المهندس والمحامي والطبيب والاقتصادي وكلهم من رجال الفكر، وكانت صحف القاهرة ومجلاتها الأدبية تسارع إلى نشر أدبه شعرا ونثرا، فما يقال عن اعتزاله لم يكن دائما، ولم يكن من طبيعته، ولكنه اضطر الى اعتزال الأدب فترة محدودة، لظروف تطرأ على أكثر الناس، وفي حيوات كبار الشعراء في الشرق والغرب سنوات غير خصيبة، ولكنها فترة تنقضى، ويعود الموج إلى تدفقه، وسنوات شكرى فى الثلاثينيات كانت حافلة بالنتاج الزاخر في المقتطف والهلال والرسالة والثقافة، وأذكر أنها وإلى نشر مقالات نقدية بالرسالة كانت مصدر إعجاب المثقفين، وقد قرأها العقاد وأثنى عليها كثيراً كعهده بإزاء ما يكتب شكري، ولو جمعت آثاره النثرية في هذه الفترة لملأت عدة كتب ولن يكون هذا الفيض الممتد إلا من فكر يقظ مقبل على الحياة والأحياء.

فقلت: أعرف هذا جيدا، وقد قرأت أكثر ما أشرتم إليه، ولكنى أسـأل عـمن تعنون، حين ذكـرتم من يمدح شكرى لإغاظة العقاد؟.

فـقـال الأسـتـاذ أدهـم: أنت مـثـقف مـسـتنير، ولا يدك قليلا أو كثيرا، حين أذكر أن الدكتور زكى أبو شادى قد أصدر عدة مجلات تهاجم العقاد، لأن العقاد لم ينظر إلى أدبه شعراً ونثراً نظرة صاحبه إليه، وأبو شـادى مكثـر أتـى عليـه وقت لا ينقطع فـيـه عن النظم وأقول النظم عن قصد لأنه لا يفرق بين خطرات النفس التي توحي الشعر، ووثبات العقل التى تكسبه سعة وعمقا، وبين الموضوعات العامة التى لم تتغلغل في النفس الشاعرة لتكشف عن مكنون مستتر، وقد جمع حوله فريقا يثنون على كل ما نظم، وقد يوازنون بينه وبين العقاد، والعقاد لا يرضى بالزيف، فجابه هؤلاء وجابهوه، وبعضهم رأى في مديح شكري ما يهمل ذكر العقاد مع أن لكل نجم مداره وضوؤه وائتلافه، ولا تكتفى السماء بفرقد واحد، ولكن هكذا كانوا يتصورون!

قلت: إننا أفرطنا كثيرا في الحديث عن شكرى والعقاد، وربما كان تنوع الحديث أجدى، فقال أدهم سيتنوع إذا تكرمت بالحضور، غير أنى أردت أن أزيل شبهة أحسست بها في آخر مقالك عنى بالثقافة وأنا اهتم جدا بآراء أديب منصف مثلك!

على أني أزيدك شـيـئـا أتم به حديث العقاد وشكرى، فقد سارعت إلى تعزية العقاد بالتليفون حين فوجئت بنعي شكري، فرد عليّ بصوت كله دموع وحرقة، فلم أكتف بالتليفون وسارعت إلى لقائه بمنزله فوجدته ينظم قصيدة حارة في رثائه، ويقول: حان الرحيل يا أخى، لقد رحل شكرى كما رحل المازني ولابد أن يرحل العقاد! إذ لا يحلو العيش بعدهما، وفي اليوم التالي ظهرت جريدة الأخبار، وبها صورتان صورة شكرى وصورة العقاد باكيا، ثم قصيدة العقاد في رثاء شكري ومطلعها:

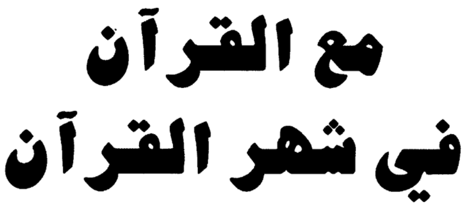
بعد إبراهيم شكري اليوم أودى

قرب الرحل، لقد قارب جدا

وقراءة هذه القصيدة تكشف عن معان كثيرة، يعرف بعضها قوم، ويعرف جميعها أصدقاء الفرسان الثلاثة فهي وحدها تاريخ حافل، لعهد مجيد.

ولاحظت أن الأستاذ قد تعب كثيرا، فودعته شاكرا، وقد زاد في عيني مهابة وإجلالا.





مع القرآن في شهر القرآن

{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}

يغفل كثير من المسلمين في عصرنا هذا الذي طغت فيه المادة عن قيمة عظمى من قيم ديننا الإسلامي الحنيف وهي تعليم القرآن لأبنائهم، ويكتفون بما يتعلمه أبناؤهم في المدارس العصرية التي لا تعطي القرآن الكريم ما ينبغي له من وقت وجهد. وبتتابع هذا الإهمال، أصبح لدينا الآن أجيال من المسلمين، ومنهم معلمون في المدارس، لا تحسن قراءة القرآن قراءة سليمة من الخطأ، فكيف هم إذا عهد إليهم بتدريسه؟؟!

روى البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي عن عثمان رضي الله عنهم عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وفي رواية البيهقي: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»، وأخرج الطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (خيركم من قرأ القرآن أو أقرأه) يعني قرأه بنفسه، أو أقرأه بغرض تعليم غيره كيف يقرأ، ولا ينبغي للمسلم أن يشك في ذلك، فخير الكلام كلام الله، وخير الناس بعد الأنبياء العلماء لقوله {صلى الله عليه وسلم} (العلماء ورثة الأنبياء) وخير العلماء من يشتغلون بخير الكلام: كتاب الله جل جلاله.

وقد يسأل سائل: إن الله أمرنا بذكره فقال سبحانه وتعالى {فاذكروني أذكُرْكُمْ واشكروا لي ولا تكفرون} (البقرة. ١٥٢)، فأيهما أفضل: قراءة القرآن أم ذكر الله؟ وقد يسأل سائل: إن الله تعالى أمرنا بالدعاء فقال سبحانه وتعالى {وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين} (غافر/ ٦٠) فأيهما أفضل الدعاء أم قراءة القرآن؟

وقد أوضحت سنة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} جواب هذه الأسئلة فيما رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (يقول الله عز وجل: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)، قال الإمام الترمذي هذا حديث حسن غريب



بقلم: أ. د. مصطفى رجب
- عميد كلية التربية بسوهاج - مصر -

وقد جمع الحافظ ابن العلاء الهمداني طرق هذا الحديث وفي بعضها (من شغله القرآن - أن يتعلمه أو يعلمه - عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين).

ولا عجب في ذلك فإن قراءة القرآن الكريم لا تخلو من الدعاء ففي القرآن كثير من الأدعية ومن السنة أن يدعو المسلم بها إذا صادفها خلال قراءته كما أن القراءة نفسها ذكر لله تعالى، ومن هنا فقد جمع الله سبحانه وتعالى للقارىء أو المعلم للقرآن ثواب الداعين وأجر الذاكرين وتكفل بتحقيق مراد القارىء وإن لم يجهر به.

بل إن في السنة المشرفة ما يدل على أفضلية القرآن على الصلاة غير المكتوبة، فقد أخرج ابن ماجة عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة) ويجوز في الفعل «تعلم» عدة حالات من الضبط وكلها يؤدي معنى مختلفاً فيمكن قراءاته على أنه بفتح التاء وسكون العين وفتح اللام - أو بفتح التاء والعين واللام - مع تشديد اللام ويصبح حينئذ مخففاً من الفعل «تتعلم» أو بضم التاء وفتح العين مع تشديد اللام، هذه الحالات الثلاث تؤدي معنى: أن تخرج فتتعلم آية من غيرك، وفيه حالة رابعة بكسر اللام وتشديدها فيكون المعنى حينئذ أن تخرج لتعليم غيرك آية.

أهل القرآن:

وقد أشار القرآن الكريم في غير موضع إلى المكانة السامية التي يتمتع بها الذين يتلون كتاب الله، كما بينت السنة النبوية العطرة هذه المكانة فمن ذلك ما أخرجه ابن ماجة عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: إن لله تعالى أهلين من الناس، قيل من هم يارسول الله، قال: أهل القرآن أهل الله وخاصته) ويروى في معظم مصادر التراث الإسلامي أن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان من أكثر الصحابة تلاوة للقرآن الكريم حتى لقد قُتِلَ وهو يقرأ في المصحف، ويروى عن التابعي الجليل أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يشير إلى حديث (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ويقول هذا - أي هذا الحديث - الذي أقعدني مقعدي هذا - ويشير إلى لزومه المسجد الجامع بالكوفة يعلم الناس القرآن مع جلالة قدره وحاجة الناس إلى علمه وظل على هذا الوضع أربعين سنة وقرأ عليه القرآن في هذا المسجد الإمامان الحسن والحسين عليهما رضوان الله.

وروي عن أنس رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (من عَلّم ولده القرآن قلّده الله تعالى قلادة من نور يتعجب منه الأولون والآخرون)، وروي عن ابن سمرة رضي الله عنه قال: إن رجلا أتى إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله ما أجر من علم ولده القرآن؟ قال {صلى الله عليه وسلم}: كلام الله لا غاية له، يعني أن أجر ذلك لا يمكن تقديره فلما جاء جبريل عليه السلام سأله النبي {صلى الله عليه وسلم}: يا جبريل ما أجر من علم ولده القرآن؟ فقال جبريل: يا محمد كلام الله لا غاية له ، ثم صعد جبريل فسأل إسرافيل عليه السلام نفس السؤال فأجاب بنفس الإجابة قال الراوي: ثم نزل جبريل بعد ذلك إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول: (من علم ولده القرآن فكأنما حج عشرة آلاف حجة، واعتمر عشرة آلاف عمرة،

وأعتق عشرة آلاف رقبة، وغزا عشرة آلاف غزوة، وأطعم عشرة آلاف مسلم جائع، وكسا عشرة آلاف مسلم عار، ويكون - أي القرآن - معه في القبر حتى يبعث ويثقل ميزانه، وجاز على الصراط كالبرق الخاطف، ولم يفارقه القرآن حتى ينزله من الكرامة أفضل ما يتمناه).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: الماهر بالقرآن - أي الذي يقرأه بطلاقة - مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق - أي يقرأ بصعوبة - له أجران.

قال الإمام ابن قيم الجوزية:

«إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألف سمعك وأحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله {صلى الله عليه وسلم} قال تعالى: {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد} (سبأ/٦) وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحل قابل وشرط لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد.

فضل حفظ القرآن:

وقد حثت الشريعة الإسلامية السمحاء على حفظ القرآن الكريم، ووردت النصوص الثابتة في إكرام الله تعالى لمن يحفظ القرآن الكريم، لأن في ذلك تحقيقاً لقوله تعالى {إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون} (الحجر/٩)، ومما يؤسف له أن الأجيال المعاصرة من الشباب المسلم لم تعد تهتم بهذه الفضيلة الثمينة التي اهتم بها سلفنا الصالح رضي الله عنه حتى لقد أصبح الشاب يصل إلى الجامعة وحفظه من القرآن لا يتجاوز بضع آيات يُصلي بهن إن كان ممن يقيمون الصلاة، ومن هنا فإن من واجب إعلامنا أن يثير بين الحين والحين قضية حفظ القرآن وضرورة أن ينهض بهذه المسؤولية أولو الأمر والمؤسسات التربوية والإعلامية على اختلاف أنشطتها ولعل في إيراد بعض النصوص من السنة المطهرة تذكيراً للمسلمين بهذا الواجب، وتنبيهاً لهم لفضل حفظ القرآن الكريم.

فقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة والنسائي عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر.

وأخرج الطبراني عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «من قرأ القرآن يقوم به آثناء الليل والنهار، يحل حلاله ويحرم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار وجعله رفيق السفرة الكرام البررة حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له».

وأخرج أبو عبيد عن أنس - رضي الله عنه - مرفوعاً عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «القرآن شافع مشفع ما حل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»، وأخرج البيهقي عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثلاثة لا يكترثون لحساب - أي لا يخافون منه - ولا تفزعهم الصيحة ولا يحزنهم الفزع الأكبر: حامل القرآن يؤديه

ى الله تعالى يقدم على ربه سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين، ومن أذن سبع سنين لا يأخذ على أذانه طعماً - أي أجراً - وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه.

وبالسند المتصل إلى ابن عباس والضحاك - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال «أشرف أمتي حملة القرآن».

وأخرج الديلمي عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه».

وأخرج الديلمي في الفردوس عن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «حامل القرآن حامل راية الإسلام فمن أكرمه فقد أكرم الله ومن أهانه فعليه لعنة الله».

وأخرج البخاري والديلمي عن ابن عمر - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «حملة القرآن أولياء الله تعالى فمن عاداهم فقد عادى الله ومن والاهم فقد والى الله».

هذه الآثار المتصلة والروايات المتعددة تؤكد في جلاء أن الله أعد مكانة متميزة لأولئك المؤمنين الصادقين الذين نذروا أنفسهم لخدمة كتاب الله تعلماً وحفظاً وتعليماً ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل استخدام تعبير «حملة القرآن» أو «حامل القرآن» يقتصر على حافظ القرآن عن ظهر قلب أو يمكن أن يتسع ليشمل الذين يتلون القرآن من المصحف؟

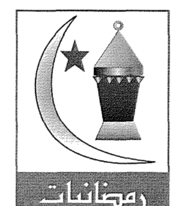
والذي أرجحه أنه مقصور على حافظي القرآن عن ظهر قلب بدليل ما ورد في البخاري ومسلم من أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال وهو يصف يوم القيامة وما يلاقيه فيه حامل القرآن من جزاء عظيم قال {صلى الله عليه وسلم} «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها». ويمكن أن يُفْهَمَ هذا الحديث الذي اتفق عليه الشيخان في ضوء حديث آخر رواه الديلمي معناه أن درج الجنة على قدر آي القرآن بكل آية درجة، والمفهوم أن المؤمن حين يطلب منه أن يقرأ كما كان يقرأ في الدنيا، يكون في حالة كحالة من يستظهر ما حفظه.

قال الإمام ابن حجر: ويؤخذ من الحديث أنه لا ينال هذا الثواب الأعظم إلا من حفظ القرآن وأتقن أداءه وقراءته كما ينبغي له. وإن قلت ما الدليل على أن تعبير الصاحب في قول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «صاحب القرآن» هو الحافظ وليس الملازم للقراءة من المصحف؟ قلت: الأصل أن ما في الجنة يحكي ما في الدنيا وقوله «اقرأ كما كنت تقرأ في الدنيا» صريح الدلالة على أن المقصود هو الحافظ لأننا في الدنيا لا نقول لمن يقرأ في المصحف: صاحب القرآن أو حامل القرآن.

وفي رواية أحمد يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى لا يبقى شيء معه، فهذه الجملة الأخيرة ذات دلالة واضحة على أنه استنفد ما عنده من رصيد محفوظ.

ومن البشائر التي يطمئن لها قلب كل مسلم يسعى إلى حفظ كتاب الله ما رواه البخاري وغيره أن من قرأ القرآن ثم مات قبل أن يستظهره أتاه ملك يعلمه في قبره ويلقى الله تعالى وقد استظهره.

وفي حديث الطبراني والبيهقي من قرأ القرآن وهو ينفلت منه ولا يدعه فله أجره مرتين، ومن كان حريصاً عليه ولا يستطيعه ولا يدعه بعثه الله يوم القيامة مع أشراف أهله».





هلال رمضان المبارك

وهكذا يدور الفلك دورته ويلوح في الأفق هلال شهر رمضان المعظم، وأقبلت معه بشائر الخير وطلائع النور تغمر قلوب الصائمين وتسعد المؤمنين فتطمئن النفوس وتصفو الأرواح باشراقة الإيمان تغمرها التقوى أشهى ثمرات الصوم وأسمى أوسمة الصائمين {يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة/ ١٨٣).

أقبل شهر رمضان المبارك في مواكب الخير والبركة، يحمل للصائمين جزيل العطاء وأجمل الثناء وأعظم أوصاف البر والتقوى، يفجرها بين أعماق الإنسان فتنعكس على حياته نوراً وخيرا وسلاما، ويتجرد من المساوىء والمعاصي مستحقا لأعظم جزاء تكفل به المولى سبحانه لعبده الصائم القائم.

أقبل شهر رمضان يسوق ذكريات الجهاد والفتوحات الإسلامية ونزول القرآن الكريم وليلة القدر المباركة وما بها من سلام ومحبة، ويملأ النفوس بالتعاطف والتكافل والترابط، وينتهي بصدقة الفطر في أسمى هدف، تشيع البهجة في أعياد المسلمين، وهو في مواكب خيراته وجحافل بركاته يشد الناس جميعا الى استطلاع هلاله واستجلاء نوره وترقب مولده في فرحة تغمر القلوب وتعلو الوجوه، فإذا ما ثبتت رؤيته عمت الفرحة قلوب المؤمنين في شتى الأقطار، وفاض نوره يملأ الأفئدة ويدفع النفوس الصافية لانتجاع الخير من منبعه وانتهال الصفاء والطهر من محيطه الواسع في روحانية تكبح جماح النفس من شهواتها فتصفو وترتقى في مدارج الخير حتى تصل الى منازل المتقين ودرجات المقربين.

من أجل ذلك يقول رب العزة والجلال في الحديث القدسي «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به» كان ذلك كذلك لأن الصائم أمين على صومه أمين على دينه لا يتعدى حدوده ولو كان بعيدا عن أعين الرقباء.

تعبدنا الله جل شأنه بالصوم ومن ثمراته التقوى، وهي في سمو مدلولها وشمول مفهومها تحتوى على كل خير، وهي المحور الذي تدور الفضائل حوله فتجذبه اليه، فهي تقارن الإحسان والبذل والسخاء والكرم، وهي صفات تتوج صوم الصائمين وتقضي على شح النفوس «إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»، كما يقول جل شأنه: {فأما من أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى فسنيسره لليسرى}.

ها هو شهر رمضان قد أقبل، ورمضان خمسة أحرف الراء، والميم والضاد والألف والنون، فالراء من رمضان رحمة، والميم مغفرة. والضاد ضمان للجنة، والألف أمان من النار، والنون نور من الله العزيز الغفار. وهكذا يمر موكب الأيام، وكأنه لم يكن بين الرمضانين إلا



فيصل صالح أسعد
- جدة -

عشية أو ضحاها غدي سيصبح أمسي لا يعارضني في ذاك حي، وأمسي لن يصبح غدي. ابن آدم كل يوم يمضي عليك قرب لقدمك من باب القبر:

دنيــاك ســاعــات ســراع الزوال
وإنما العـــقـــبى بلوغ المآل
فـــهل تبـــيع الخلد يا عـــاقـــلا
وتشـــتـــري دنيـــا المنى والضـــلال
أتســـمع الطيــر أطال الصـــيـــاح
وقـــد بدا في الأفق نور الصـــبـــاح
مــــا صـــــاح إلا باكـــيـــا ليلة
ولّت من العـــمـــر الســـريع الرواح

البقاء لمن؟ والخلود لمن؟ والعظمة لمن؟ والكبرياء لمن؟ والسلطان لمن؟ فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة رمضان على الأبواب فبأي شيء استقبلناه.

لقد ذكر الصيام في القرآن ثلاث عشرة مرة!! ست مرات في سورة البقرة وحدها (الآيات/ ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٦) ومرة واحدة في سورة النساء (الآية ٩٢) ومرتين في سورة المائدة (الآيتين ٨٩، ٩٥) ومرة في سورة مريم (الآية ٢٦) ومرتين في سورة الأحزاب (الآية ٣٥) ومرة في سورة المجادلة (الآية/ ٤).

لماذا وضع الله الصيام بين الإيمان والتقوى في قوله جلّ جلاله: {يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات} (البقرة/ ١٨٣).

لم يقل يا أيها الناس أو يا عبادي كتب عليكم الصيام وإنما خاطب المؤمنين وخاطب المؤمنين بالذات لأن الذي يستجيب لأمر الله هو المؤمن عندما يسمع الله ينادي عليه، يقول له لبيك ربي هأنذا واقف بين يديك {يأأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون}، الإيمان أولا والصيام ثانيا والتقوى ثالثا. فلماذا جاء الصيام بين الإيمان وتقوى الله؟ ولكي نجيب على هذا السؤال لابد لنا أن نسأل سؤالين: ما هو الإيمان؟ وما هي التقوى؟

ثم بعد ذلك نسأل سؤالا ثالثا: ما محل الإيمان وما محل التقوى؟ أما الإيمان فهو كما قال علماء العقيدة: أن تؤمن بكل ما جاء به نبينا محمد [صلى الله عليه وسلم] هذا هو الإيمان الذي نزل به أمين الوحي جبريل على الأمين محمد [صلى الله عليه وسلم] في القرآن الكريم. وكلمة الإيمان هنا معناها التصديق.

التصديق بماذا؟ بكل ما جاء به سيد الرسل أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، وهذا هو إيماننا.

{آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون، كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} (البقرة/ ٢٨٥).

هذا هو الإيمان تصديق يعقبه التزام، تصديق في قوله تعالى «آمن الرسول» التزام في قوله تعالى {وقالوا سمعنا وأطعنا} هذا هو الالتزام بعد التصديق، وقد يكون هناك تصديق بدون التزام، كما قال بنو إسرائيل سمعنا وعصينا. أما أمة الحبيب محمد فقد التزموا بما صدقوا به، وقالوا سمعنا وأطعنا.

فما هى التقوى؟ التقوى يفسرها لنا الإمام على بن أبى طالب ابن عم رسول الله، بأربع كلمات بينات معجزات ، فيقول: التقوى هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، هكذا التقوى خوف وعمل ورضا واستعداد؛ ولذلك لما ذهب الإمام علي ذات يوم إلى المقابر ليزور الذين ينامون تحت أطباق الثرى، نادى عليّ على الأموات وقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين، إن أموالكم قد قسمّت على ورثتكم، وإن دوركم قد سكنها غيركم، وإن نساءكم قد تزوجن بعدكم، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ابن آدم اسمع إلى ما قاله الإمام عليّ للأموات وكلنا إلى هذا المصير سائرون اليه فهذا حال الدنيا:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت
أن السلامة فيها ترك ما فيها

لا دار للمـــرء بعــد الموت يسكنهـــا
إلا التى كـــان قـــبل الموت يبنيـــهـــا
فـــإن بناها بخــيـــر طاب مـــسكنهـــا
وإن بناها بشـــر خـــاب بانيـــهـــا
أمـــوالنا لذوى الميـــراث نجـــمـــعـــهـــا
ودیارنا لخـــراب الدهر نبنيـــهـــا
كم من مـــدائن في الآفـــاق قـــد بنيت
أمـــست خـــرابا وأفنى الموت أهليـــهـــا
لا تركنن إلى الدنيـــا ومـــا فـــيـــهـــا
فـــالموت لا شك يفنينا ويفنيـــهـــا
واعـمل لدارٍ غـداً رضـوان خـازنـهـا
والجـــار أحـمـد والرحـمن ناشـيـهـا
قـــصـــورها ذهب والمسك طينتـــهـــا
والزعـفـران حـشـيش ثابت فـيـهـا

أموالكم قد قسمت ودياركم قد سكنت، ونساؤكم قد تزوجت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ثم أنصت الإمام عليّ قليلا، ونظر إلى أصحابه، وقال لهم، والله لو شاء الله لهم أن يتكلموا لقالوا إن خير الزاد التقوى.

الإيمان تصديق بالقلب، والتقوى محلها القلب فقد أشار سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى صدره الشريف وقال التقوى هاهنا. الإيمان محله القلب. ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل. التقوى محلها القلب، التقوى في القلب والإيمان في القلب والصيام كذلك سرّ بينك وبين ربك لا يعلمه إلا هو، فإذا كان الإيمان أمراً سريا، وكانت التقوى أمراً سريا، وكان الصيام أمراً سريا، فلا بأس أن يأتى الصيام بين الإيمان والتقوى، لأن الثلاثة أمور سريّة لا يطلع عليها إلا علام الغيوب جل في علاه، إيمان لا يعلمه إلا الله، تقوى لا يعلمها إلا الله، صيام لا يعلمه إلا الله، ولذلك اسمع معي قول مولانا تبارك وتعالى في الحديث القدسي الجليل يؤكد سرية الصيام فيقول: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» لماذا؟ لأن الصلاة عبادة تؤدى أمام الناس، والصدقة عبادة تؤدى أمام الناس، والحج عبادة تؤدى أمام الناس، أما الصيام، فإنك قد تستطيع أن تأكل وتشرب في خفاء عن عيون الناس وعن عيون الرقباء وإذا ما رأيت الناس يشكون من شدة الحر والظمأ، فمن الذى يعلم حقيقة أمرك إن كنت صائما أو مفطرا؟ الله ولا أحد إلا الله، ولذلك ربّاهم الصيام على مراقبة الله أولا وقبل كل شيء رباهم على أن يعاملوا الله قبل أن يعاملوا العباد، وقال سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} «من أرضى الله بإسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن أسخط الله بارضاء الناس، وكله الله الى الناس. ومن أصلح سـريرته أصلح الله علانيته».

السؤال الثالث لماذا وضعت آية الدعاء «وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون» لماذا وضع الله هذه الآية بين آيات الصيام، فالآية التي قبلها تقول {شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان} (البقرة/ ١٨٥) والآية التي بعدها تقول: {أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم} فلماذا جاءت بين الآيتين آية الدعاء، {وإذا سألك عبادي عنى فإني قريب} ولهذه الآية قصة لا بأس من ذكرها، عندما جاء أعرابي الى النبي {صلى الله عليه وسلم} يسأله ويقول له: يا محمد أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ سؤال معناه: أيسمعنا ربنا إذا ناجيناه وتحدثنا اليه سراً أم هو بعيد لابد أن نرفع الصوت حتى يسمع؟ وقبل أن يجيب مبعوث العناية الإلهية كان سفير الأنبياء، وأمين وحي السماء يجوب السبع الطباق وينزل على الحبيب المصطفى بقول الله تعالى: {وإذا سألك عبادى عنى فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان}، ولنا في هذه الآية الكريمة نظرتان. النظرة الأولى: لماذا اختلفت هذه الآية بالذات عن آيات السؤال الموجه إلى رسول الله في القرآن كله، أي سؤال وجه الى النبي في القرآن جاءت الإجابة «قل».

{يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير

فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل} (البقرة/ ٢١٥) {يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس} (البقرة/ ٢١٩)، {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله} (البقرة/ ٢١٧)، {ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير} (البقرة/ ٢٢٠)، {يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً} (طه/ ١٠٥).

أما آية الدعاء و{إذا سألك عبادى عنى} لم يقل له فقل لهم إني قريب وإنما تولى الله الإجابة بنفسه، وقال فإني قريب حتى لا يكون بين العبد وبين الله أي وساطة في الدعاء. الله... «وإذا سألك عبادى»، عبادي والعباد تشمل الخلق جميعاً، ولذا قال {صلى الله عليه وسلم} «اتق دعوة المظلوم ولو كان المظلوم كافرا» الله لا يرضى الظلم أبدا.

ولقد سمعت حديثا قدسيا انخلع له القلب، وسالت له النفس مرارة والكبد حسرة، اسمعوه «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي» أرأيت خالق الأشياء يحرم على نفسه شيئا، وهو الذى يشرع لنا الحلال والحرام يحرم على نفسه شيئا، وما هو ذلك الشيء؟ الظلم «لقد حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا» الظلم مرير؛ ولذلك قال الإمام ابن تيمية رضوان الله عليه إن الله ينصر الدولة العادلة، ولو كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة ثم تلا قوله تعالى {وما كان ربك ليهلك القرى بظلم، وأهلها مصلحون} (هود/ ١١٧) {وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا} (الكهف/ ٥٩)، {فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة} (الحج/ ٤٥)، {ونَجِّني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين} (التحريم/ ٥٩).

وقد تعجب لقوم قبل أذان المغرب يمسك أحدهم بيمناه سيجارة، وباليسرى علبة الثقاب وأول ما يفطر يفطر على مزمار الشيطان. اسمع كيف كان النبي {صلى الله عليه وسلم} يفطر، وماذا كان يقول عند الإفطار؟ كان يقول اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، الحمد لله ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى، ادع الله بما شئت في هذه اللحظة، فالله سيمنحك الإجابة جزاء لك على صومك. ومن هنا جاءت آية الصيام قبل آية الدعاء، وبعد آية الدعاء، لأن الدعاء للصائم مجاب.

لقد اشرق على العالم الإسلامى شهر من أعظم الشهور يُمْناً وبركة، وأعمها منفعة وفائدة، وأرفعها منزلة ومكانة، شهر أجلّهُ الله وعظّمه الرسول. وقدسه المسلمون ذلك هو سيد الشهور رمضان الذى خصه الله دون سائر الشهور بخلال الخير وخصال المعروف. شهر الصيام والقيام. شهر الجود والكرم. فيه أنزل القرآن. وفيه ليلة خير من ألف شهر. وفيه أعطى الله نبيه الرسالة.. وفيه كانت غزوة بدر التى وضع بفضلها أول حجر للإسلام. وفيه فتح مكة، آخر شوط بين الرسول وقريش.. أوله عيد، وآخره عيد، أغلقت فيه أبواب الجحيم، وصفدت فيه الشياطين، إلى غير ذلك من الخصائص والمزايا.

فياليت المسلمين يقدرونه قدره، وليتهم ينزلونه منزلته، وليتهم يحققون كل ما فيه من فضائل وآداب. فليس قدوم رمضان هذا بأول رمضان جاء، ولا بآخر رمضان سيجيء، فكم جاء رمضان ورمضان، وكم مضى رمضان ورمضان، والمسلمون ، الله وحده يعلم ما هم فيه.

حقا .. لقد دار الفلك دورته، وقطع العالم شوطا من أشواطه، وأتمت الدنيا فصلا من رواية الحياة، وطوى الإنسان صحيفة من كتاب أجله المحتوم، وبين أول ذلك وآخره حدث كثير من التطورات والتقلبات التي إن دلت على شيء فإنما تدل على عبودية الإنسان، وقدرة الله تعالى. فكم ولد إنسان لم يكن مولودا. وكم مات إنسان كان موجوداً، وكم اغتنى فقير ما كان يطمع في الغنى، وكم افتقر غني ما كان يخطر له الفقر على بال. {يقلّب الله الليل والنهار إنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار} (النور/٤٤).

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن رمضان فرصة طيبة فاغتنموها ولحظة هنيئة فابتدروها. واعملوا ما استطعتم على أن تظفروا من رمضان بالغفران والرضوان.



مدرسة الصيام

محمد بوراس - المغرب

لا ريب أن الاسلام بجميع تعاليمه وتشريعاته، جاء ليرسخ منهجاً تربوياً متكاملا، تمثل فيه الأخلاق والقيم والمثل العليا عناصر بناء في تشكيل الشخصية المسلمة وتكوين الفرد الصالح والفاعل.. وكل مبدأ أعلنه الإسلام وكل تشريع أقامه فإنما يسعى إلى تحقيق هذا الهدف، وغايته في النهاية الوصول بالمجتمع إلى درجة من الرقي والتسامي الروحي والمادي. وإذا أخذنا فريضة الصيام كمثال داخل تركيبة المنهج التربوي الإسلامي، وجدنا أنه يشكل مدرسة قائمة بذاتها تحقق جميع الأهداف التي يتوخاها هذا المنهج ولأن الصيام ركن أساسي ضمن الأركان التعبدية للإسلام، فإن المضمون الروحي يبدو طاغياً عليه، ولكن ذلك لا ينفي وجود طابع مادي مواز لكل ما هو روحي في إطار من التوازن الفريد بين كلا المكونين، وتلك خاصية عامة تميز المنهج الإسلامي.

وما دام الصيام مدرسة كما قلنا، فإن ذلك يعني بالطبع أن ثمة كثيراً مما يمكن تعلمه في رحابها الفسيحة، ولابد لدروسها في عمومها أن تكون منسجمة مع المنهج التربوي الذي رسخه الإسلام، وتحقق الأهداف التي رسمها.

الصيام طاقة روحية:

فرض الله سبحانه وتعالى على المسلمين صيام شهر رمضان، وهو شهر له مكانته الروحية، ففيه نزل القرآن الكريم وبدأ الوحي وتنزلت بركات السماء وانبلج نور الهدى وضياء الحق، يقول سبحانه وتعالى {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان} (البقرة/ ١٨٥).

ويكفي أن نذكر هذا لنتبين أهمية هذه الفريضة ومالها من طاقة روحية تسمو بالنفس وتزكيها، فمنذ اليوم الأول لهذا الشهر المبارك، يدخل المسلم في أجواء روحانية كلها عبق وطهارة، يتحول معها إلى كائن شفاف يتعالى بكل طاقته على كل ما يربطه بطبيعته الطينية.. وهذا يعايشه كل من كان ارتباطه بدينه ارتباطاً متيناً لا يتعلق بزمن معين أو لحظة عابرة، فكل مسلم تمثل الإسلام في حياته، يتحول حسب درجة تشبعه به أثناء هذا الشهر وطيلة أيامه إلى قوة روحية مندفعة لا تلتفت إلى شيء. أما أولئك الذين أمضوا أيامهم في غفلة عن دينهم، مقصرين في أداء ما أوجبه عليهم، فإن الصيام الذي يؤدونه إما أن يجعلهم يستيقظون من غفلتهم ويرجعون إلى ربهم، إن فقهوا حكمته واستبصروا حقيقته، وإما أن يمضوا في غفلتهم سادرين وعلى ضلالهم قائمين، لأنهم رأوا فيه مجرد عادة اجتماعية تتكرر كغيرها كل عام، وهم يحيونها في احتفالية لا أقل ولا أكثر.

إن البعد الروحي للصيام يأتي في المقدمة، حيث

ون الفرد المسلم مسكونا بشعور أنه في حالة عبادة طيلة يومه منذ طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهو لذلك يجتهد في التعبد ويحرص كل الحرص على أن يكون منضبطاً لهذه الحالة، بما يحقق معنى التقوى التي جعلها الله الغاية العظمى للصيام كما في قوله سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة/ ١٨٣).. ومن هنا فإن مؤشر الرقابة الذاتية يكون أكثر حساسية في شهر الصيام، ويكون الضمير أكثر يقظة، ومن ثم فإن المسلم يميل إلى الأعمال التي تقربه من ربه، وتطهره من الرجس وتسمو به إلى أعلى الدرجات. وبهذا يكون هذا الشهر فرصة عظيمة للتوبة ينتهزها أصحاب القلوب المؤمنة من أجل التخفف مما اقترفوه، كما أنه يمثل لحظة يتوقف فيها المرء مع نفسه للمحاسبة والتزود للأيام القادمة بما يجعله قادراً على المضي في طريق الحق.

وإذا كانت جميع العبادات التي شرعها الله لعباده كلها تهدف إلى تزكية الأنفس والسمو بها، فإن ما يميز الصيام عنها، كونه يخلو من عنصر الرياء، يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» (متفق عليه)، وهذا يجعله يربي في المسلم خصلة الإخلاص، مما يمتن صلته بربه ويقوي لديه جهاز الحصانة الذاتية.

ومما يزيد من روحانية هذه الشعيرة، كونها تتزامن مع حدث عظيم تميز به شهر رمضان عن غيره، ألا وهو ليلة القدر المباركة التي شرفها الله بنزول القرآن العظيم، يقول سبحانه وتعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تَنَزَّلُ الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هي حتى مطلع الفجر} (القدر/ ١ ـ ٥) ويقول عز وجل: {حم، والكتاب المبين، إنا انزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم، أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين، رحمة من ربك إنه هو السميع العليم} (الدخان/ ١ـ ٦)، ولا يخفى على أي مسلم ما لهذه الليلة من مكانة روحية عظيمة جعلت الرسول {صلى الله عليه وسلم} يحث على تحريها في العشر الأواخر من رمضان واحيائها بالذكر والعبادة.

ومجمل القول إن الصيام ـ سواء أكان في رمضان فرضاً أم في غيره تطوعاً ـ تتجسد فيه الروحانية الإسلامية بأكمل معانيها وهي المبدأ الأساس الذي تقوم عليه مدرسة الصيام في فلسفتها التربوية.

الصيام والهدف التربوي:

إن الهدف الأساسي للمنهج الإسلامي هدف تربوي، روحه إعداد الفرد المسلم الصالح لذاته وأسرته ومجتمعه وأمته. والصيام كجزء داخل بنية هذا المنهج يحقق هذا الهدف انطلاقاً من كونه يربي في الانسان مجموعة من السجايا والخلال.

أ ـ الصبر وقوة الإرادة: فالصيام يدرب المرء على احتمال المشاق ويقوي إرادته في مواجهتها، وكما يقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «الصوم نصف الصبر» (رواه الترمذي).. وخلق الصبر الذي يجسده الصوم، لا من خلال الامساك عن الأكل والشرب وشهوة الفرج فحسب، وإنما من خلال كبح جموح النفس عن جميع الشهوات، يعتبر من أهم العناصر المكونة للشخصية القوية الثابتة المؤمنة التي لا تتزعزع أمام حوادث الأيام مهما كانت قاسية، الحياة كلها محن وبلايا.. والانسان المسلم ذو الإرادة القوية والنفس الوثابة هو الأقدر على أداء رسالته على الوجه الكامل.

ب ـ جهاد النفس والتغلب على أهوائها: والمسلم دائماً في صراع لا ينتهي مع نفسه الأمارة بالسوء،

وهو في حالة الصيام يكون في أعلى درجات القوة للتصدي لها. وكما يقول الرسول [صلى الله عليه وسلم]: «الصوم جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم» (رواه البخاري وأبو داود)، وإذا كان معنى الصوم الحقيقي لا يكتمل بمجرد الجوع والعطش، وإنما باجتناب كل صغيرة وكبيرة، إذ المراد أن نصون جميع الجوارح، يقول الرسول [صلى الله عليه وسلم]: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخاري وأبو داود والترمذي)، فإن الصائم يكون في امتحان عسير مع نفسه يخرج منه منتصراً إذا استطاع أن يخضعها لإرادته.

ج ـ **الإحساس بقيمة الوقت:** إن صيام شهر كامل بأيامه وساعاته ودقائقه يخرج منه المسلم الواعي بدرس عظيم عن قيمة الوقت في حياته القصيرة المحدودة، فيتعلم كيف يستثمر هذا الوقت في الصالح من الأعمال وهذا الإحساس يتأتى من كونه يتابع تصرم أيامه وكل لحظاته على غير العادة، وهذا يبصره بحقيقة عمره، فيندم على ما فات من أيامه الضائعة، ويدفعه إلى مسابقة الآتي منها ليفوز ويغنم. فالوقت أثمن من أن يضيع ويعمل فيه بالقتل العمد كما يفعل كثير من مسلمي اليوم، واللبيب من ندم على ما فات وعمل لما هو آت، وشهر رمضان مناسبة يجدر بكل مسلم أن يجعل منها محطة لمحاسبة الذات أمام مرآة العمر الذي يمر مر السحاب، وكما يقول عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ «إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما».

د ـ **الإحساس بآلام الآخرين**، فكما يربي الصيام في الإنسان قوة الإرادة والاحتمال فإنه يغرس فيه بذرة الرحمة والعطف والاحساس بالآخرين من تعساء هذا العالم الذين لا يجدون لقمة يقيمون بها أودهم.. والتراحم من صفات المؤمنين الأخيار، تتفجر ينابيعه عن كل قلب عايش آلام المتألمين، وقد كان نبي الله يوسف عليه السلام يكثر من الصيام، وعندما سئل: لماذا تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال: «أخاف أن أشبع فأنسى الجائع» ولما كان ما يعانيه الصائم من حرمان حافزاً له على الاحساس بالفقراء والمحتاجين، كان رمضان شهر الكرم والجود، ولنا في رسول الله [صلى الله عليه وسلم] أسوة حسنة، فقد «كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله [صلى الله عليه وسلم] حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة] (متفق عليه).

هـ ـ **التخلص من العادات السيئة** حيث من الممكن خلال أداء هذه الفريضة الإقلاع عن بعض العادات اليومية الضارة مثل التدخين ولعب الورق، وريادة المقاهي وغيرها مما يربي في الإنسان الكسل والخمول. وذلك يأتي من خلال التزام الصائم ببرنامج محدد لا يعطيه فرصة لممارسة ما اعتاده من قبل.

خاتمة:

إن دروس الصيام لا تنتهي، وقد ذكرنا بعضها اجمالا، وغايتنا أن نزيل ذلك الفهم المبسط للصوم باعتباره إمساكاً عن الطعام والشرب لا غير، وهو فهم حوّله إلى مجرد حدث سنوي عابر ومناسبة احتفالية تأتي ثم تنتهي، أو مجرد فرصة لتغيير النظام الغذائي!! أما الصيام في حقيقته فهو كما يوضح ذلك الامام الغزالي: «زكاة النفس ورياضة الجسم، وداع للبر، فهو للإنسان وقاية، وللجماعة صيانة، في جوع الجسم صفاء القلب، واتقاد القريحة، وانفاذ البصيرة، لأن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب».. إنه مدرسة المثابر فيها يجني النجاح والفوز، والمتهاون يحصد الفشل والخسارة.





يا خفقة الروح إذ تصفو من الكدر
ولذة النفس بالترتيل في السحر
حييت، يا خير شهر فيه أنزلت الـ
آيات، من محكم القرآن والسور
لم تغمر الظلمة الدكناء ليلك في
مسارح النور بين الشهب والقمر
وكيف والأفق الممتد متصل
بعالم الغيب، في ورد وفي صدر
إشراقه لم تشبه كدرة، وبدت
نجومه في الاطار الرائع الصور
تصف اقدام انضاء العبادة في
أعلى المحاريب، لا تجثو من السهر
ترتل الآي، تستجلي خوافيها
كي تظفر النفس بالأجلى من العبر
تستعذب النغم الحلو الموقع في الـ
ـفواصل الغر، من آياته الكبر

* * *

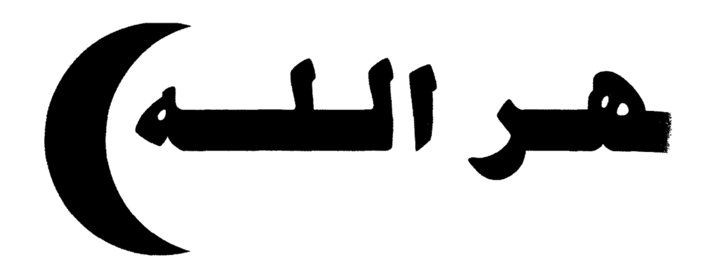
يا نفحة من رحاب العرش روحت ال
أرواح، فانتعشت من عرفها العطر
تنزلت، فتلقى الصائمون على
موائد القرب أعلاقا من الدرر
كانت حلاهم يحلون الصدور بها
ويلبسون ثياب السندس النضر
طوبى لمن كان أهلا للعناية واخـ
ـتصته عين بفيض الفضل بالنظر
ما أعذب القرب بالنجوى، وأقرب من
يحيي الظلام بما يحلو من السمر
وإن تباعد عهد الوحي، وانقطعت
مواكب الملأ الاعلى على الاثر
ففي مناجاة تالي الذكر: من جعل الـ
ـقرآن أبقى صلات الغيب بالبشر





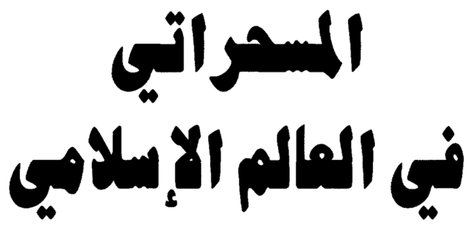
شعر : أكرم جميل قنبس - سوريا

بكَ البُشرى فأنت لنا الهناء
وأنت الخصب يخصبُ والنَّماء
أيا رمضان يا شهر العطايا
ونبعاً كم يطيب به ارتواء
قدمت فبوركت خُطوات ضيف
عزيز، جاء يحدوه البهاء
يُوزع في حنايانا مُناه
فيثمر من عطاياه الرَّجاء
ويشرق في الوجوه نثير خير
على الدُّنيا، ويبتسمُ الهناء
وتغتسل النفوس برُوح شهر
هي التقوى التي منها الوقاء
أيا شهراً تبارك عن سواه
تباركنا ، وزاد بك العطاء
بك التنزيل نُزل من عليٍّ
ليهدينا، فكان الاهتداء
أبرُّ النَّاس كان به رسولا
و«جبريل» المودَّة والنداء
وفيه ليلة في ألف شهر
مباركة يكللها النماء
فقوموها تفوزوا في رضاء
من الغفَّار، إن حان الجزاء



وزيدوا بالدُّعاء فإنَّ فيه
بأمر الله تنفتح السماء
وعيشوا في رحاب الله روحاً
من الدُّنيا يخلصها النقاء
ففي رمضان مغفرة وحبٌّ
وتمتين إذا وهن الإخاء
وفي رمضان رَفْعٌ للخطايا
فلا يدنو من القلب الرياء
وفيه - إن رغبت - علوم دين
يطيب لها ولله الولاء
أخي الإنسان إن دنت الرَّزايا
وهدهد في مفاصلك العناء
فليس إليك إلا الله درب
وليس إليك إلاه انتماء
وإن عصفت بعمرك أي ريح
فقل: لله في ذاك القضاء
وإن سمنت حياتك في رخاء
فحاذر أن يكون به ابتلاء
فَوَجِّه دفة الأيام درباً
يكون الخير فيه هو الدَّواء
فما هذي الحياة سوى شرور
فحاذر، إنها للمرء داء
ومزرعة الحياة لها حصاد
يكون السعد فيه أو البلاء





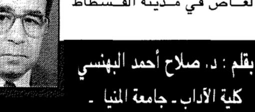
المسحراتي في العالم الإسلامي

في جوف الليل تدق الطبول، ويشق ظلام الليل صوت المسحراتي منشداً وواعظا «إصحى يا نايم، وحد الدايم» فينبه من كان قائماً، ويستيقظ من كان نائماً استعداداً لتناول طعام السحور، ويرتبط السحور ارتباطاً وثيقاً بشهر رمضان، وقد عرف المسلمون السحور منذ صدر الإسلام، وكان ذلك يتم عن طريق الأذان، فلقد قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «إن بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم»، كما قال {صلى الله عليه وسلم} «لا يمنعن أحدكم أذان بلال من سحوره فإنه يؤذن، أو قال: ينادي ليرجع قائمكم وينبه نائمكم».

مر التسحير بمراحل كان لكل منها طابعها المميز، فلقد ذكر الرحالة المقدسى الذى عاش في القرن ٤هـ/ ١٠م في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم أن السحور في مكة المكرمة يتم عن طريق منادين يصعدون أعلى جبل أبي قبيس وينادون بالسحور ويستمرون في قراءة القرآن بقراءة ابن كثير حتى ينقضى وقت السحور. كما ذكر الرحال ابن جبير الذى الذي زار مكة سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، وكذلك الرحالة «ابن بطوطة» الذى عاش في القرن ٨هـ/ ١٤م، أن التسحير في مكة المكرمة يتم بطريقتين، إما عن طريق المؤذنين حيث كان مؤذن الحرم المكي يتولى التسحير من أعلى المئذنة التى في الركن الشرقى من الحرم لقربها من دار أمير مكة، ومعه أخوان صغيران يجاوبانه ويقاولانه ويرد عليهم المؤذنون على سائر المآذن داعين ومذكرين ومحرضين على السحور، أما الطريقة الثانية فإنه كان ينصب في أعلى المئذنة سفود خشبي في رأسه عمود كالذراع وفي طرفيه بكرتان يرفع عليهما قنديلان من الزجاج، ولا يزالان ينيران مدة التسحير. فإذا قرب تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، حط المؤذن القنديلين وبدأ في الأذان، فمن لم يسمع الأذان ممن يبعد مسكنه عن المسجد يبصر القنديلين ينيران أعلى المئذنة، فإذا لم يبصرهما علم بأن وقت السحور قد انقضى.

وفي مصر استخدمت الطريقتان منذ العصور الإسلامية المبكرة، ولكن أضيفت إلى ذلك طريقة المناداة على الناس في بيوتهم أو دق الطبول، فكان عنيسة بن إسحاق والي مصر سنة ٢٨٨هـ/ ٨٥٢م يذهب إلى جامع عمرو بن العاص في مدينة الفسطاط




بقلم : د. صلاح أحمد البهنسي
كلية الآداب - جامعة المنيا -

ـاشياً من مدينة العسكر، وينادي وهو في طريقه على الناس للاستيقاظ لتناول السحور. كما ذكر العالم ابن الحاج (توفي بمصر سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) أنه قد جرت العادة في القاهره أن يطوف المسحرون بطبولهم على البيوت وهم يدقون عليها، أما في الإسكندرية فإنهم يدقون على الأبواب وينادون الناس بأسمائهم.

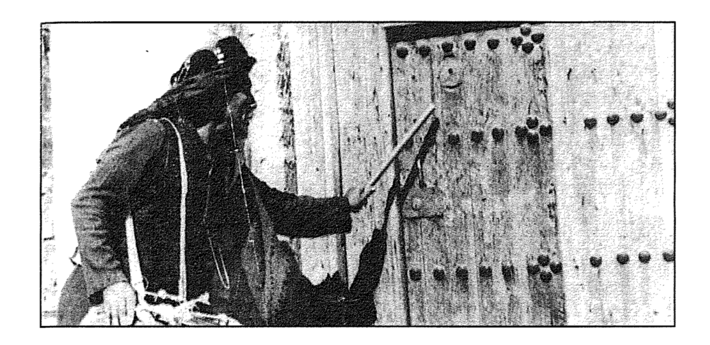
وفي فترة متأخرة أصبح المسحراتى يستعمل طبلة صغيره تسمى «بازا» فلقد وصف المستشرق «أدواردلين» طريقة التسحير في مصر في النصف الأول من القرن ١٩م فقال «إن المسحراتى يحمل طبلة صغيرة ويصطحب معه غلاما يحمل قنديلين في إطار من الجريد ويقف أمام كل منزل فيضرب بطبلته ثلاث مرات ويقول «عز من يقول لا إله إلا الله محمد الهادي رسول الله أسعد لياليك يا «يذكر اسم صاحب المنزل ثم يذكر أسماء أولاده من البنين ثم البنات قائلا «أسعد الليالي إلى ست العرائس (يذكر الاسم) وبين كل اسم وآخر يضرب بطبلته، لكنه لا يذكر اسم النساء.

قد جرت العادة أن يقدم له أحد افراد الأسر الميسورة بعض المال (قرشا أو اثنين) كما كانت عض النساء من الطبقة المتوسطة يعطينه بعض النقود (قرشا أو نصف قرش)، وكن يضعنه في ورقة صغيرة ويشعلنها ويقذفن بها إلى المسحراتي حتى يتمكن من رؤيتها فى ظلام الليل.

وفي مقابل ذلك كان المسحراتى يروي لهن بعض القصص الطريفة مثل قصة:

الشجار بين الضُرَّتين بما فيها من طرافة وفكاهة.

وقد ارتبطت بالسحور في مصر بعض العبارات التى أضفى عليها المسحراتى بعضاً من فكاهته



وظرفه بما يتناسب وطبيعة الشعب المصرى، فهذا مسحراتي بعد أن دعا الناس إلى توحيد الله سبحانه والإيمان به، والصلاة والسلام على رسوله {صلى الله عليه وسلم}، والإشادة بشهر رمضان المبارك، أخذ يدعو الله سبحانه بأسلوب لطيف قائلا:

يارب قدرنا على الصوم
واحفظ إيماننا بين القوم
وارزقنا يارب باللحم المفروم
أحسن يارب ماليش أسنان

وكانت مثل هذه العبارات يرددها المسحرون في سوريا أيضاً ولكن مع اختلاف بسيط في بعض الكلمات، ونجد مسحراتى آخر يقوم بدور الراوى، ويحكي قصة طريفة فيقول:

أنا المسحر جيت معي طبلتي
وأحكي حكاية الفار وأقول قصته
وأحكي حكاية الفار وأقول ما جرى
بينه وبين القط يوم وقعته

الفار جعل بيت الفقر مسكنه
وكل يوم يسطى على مشنته
وحرمه رغيف يخبزه ابن الحرام
وأكل الحرام خلاه ملظلظ سمين

ويستمر يحكي قصته حتى يصل إلى التنبيه إلى الإقلال من الطعام، فيقول:

قلل من الفول يا مخلول والطرشي
لحسن تغشلق وتبقى من العشا
تعشي

وفي الأيام الأخيره من شهر رمضان يردد المسحراتي في صوت ملؤه الأسى والحزن عبارات التوحيش لمرور أفضل الشهور وأعظمها، قائلا: لا أوحش الله منك يا شهر الصيام، لا أوحش الله منك يا شهر القيام، لا أوحش الله منك يا شهر الولائم، لا أوحش الله منك يا شهر العزائم، لا أوحش الله منك يا شهر الكرم والجود.

ويوجد السحور في مختلف البلاد الإسلامية، عملا بقول الله تعالى {وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم

.خيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل} سورة البقرة/ ١٨٧) ولقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تسحروا فإن فى لسحور بركة، وقوله {صلى الله عليه وسلم} «لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطور وأخروا السحور»، ولكن نلاحظ أن لكل بلد إسلامى طريقته الخاصه، فكانت العادة في مدينة طرابلس في ليبيا في العصر القرمانلى (١٧١١ - ١٨٣٥م) أن تتجول فرقة من الحرس الخاص في كل أنحاء المدينة قبل أذان الفجر لإيقاظ الناس ويطرقون على علب وصحون معدنية بقطع من الحديد بالإضافة إلى استخدام الطبول ذات الصوت المرتفع.

أما في تونس والجزائر والمغرب فيتم ذلك عن طريق الأذان ثلاث مرات: مرة لإيقاظ الناس، وأخرى للتنبيه، وثالثة إيذاناً بالإمساك عن الطعام والشراب، ولا يوجد مسحراتى بالمعنى المتعارف عليه، كما يوجد في بعض مدن المغرب طريقة أخرى تتمثل فى أن بعض الأشخاص يمرون في الشوارع ويدقون الأبواب داعين الناس للسحور.

كما يتم التسخير بالنفخ في بوق أو نفير سبع مرات لإيقاظ الناس، فإذا ما قرب السحور من الإبتهاء يضرب البوق خمس مرات، وهو تقليد اتبع في تونس منذ العصر الحفصي وقد أباحها الإمام ابن عرفة باعتبارها لا تشبه الآلات الموسيقيه المعده للاهي، ويوجد مثل ذلك أيضاً في نيجيريا ولكن بأسلوب مختلف إذ يمر المسحراتى في أحياء المدينة يضرب البوق مصحوباً بدق الطبول الكبيرة التى تحدث دوياً، كما تطلق المدافع. أما في الصومال فإن عملية التسحير تعتبر إحدى الوظائف الحكومية، حيث يعين موظف خاص للقيام بهذا العمل مستخدماً طبلة كبيرة يضرب عليها ثلاث مرات متتابعات وينادي على الناس بالسحور.

فإذا ما انتقلنا إلى الجانب الآخر من العالم الإسلامى نجد أن الإقليم السورى قد اختص بميزة

تميزه عن غيره من بلدان العالم الإسلامي في التسحير إذ كان ذلك يتم على شكل حفل إذ تتجمع مجموعة من الشباب يمرون في أحياء المدينة وهم يعزفون الآلات الموسيقيه ويغنون الأغاني التى تشيد بشهر الصيام. أما في العراق فإن المسحراتي يستخدم طبلة صغيرة «باز» كتلك التى يستعملها المسحراتى في مصر ويردد عليها عبارات الإشادة بالشهر الكريم والدعاء أن تدوم بركته وكرمه، وكان يوجد في القرن ٦هـ/ ١٢م مسحر بالعراق نال شهرة واسعة لما كان يتمتع به من جمال الصوت ورصانة العبارات، وهو المسحر أبو نقطة الذى توفي سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، والذي كان يوقظ الخليفة العباسي الناصر، ولما توفي هذا المسحراتي وجاء رمضان ذهب ابنه الذى ورث عن والده جمال الصوت وبراعة الإنشاد، إلى قصر الخليفة، وراح ينشد: يا سيد السادات، لك في الكرم عادات، أنا ابن أبي نقطة، تعيش أبويا مات، فأعجب الخليفة به إعجاباً شديداً وأمر أن يحل محل أبيه في التسحير.

وفي تركيا وبصفة خاصة في إقليم قونية الذى لا يوجد به أقليات من غير المسلمين فانهم يعرفون المسحراتى وهو يستعمل طبلة، كما تطلق المدافع للإعلان عن موعد السحور.

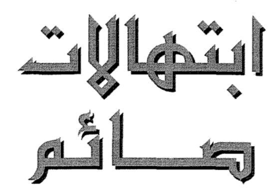
أما في أندونسيا فإن هناك طريقتان: فى المدن الكبيرة تطلق المدافع مرة لإيقاظ الناس لتناول السحور، ومرة للإعلان عن موعد الإمساك عن الطعام والشراب. أما فى المدن الصغيره فإن التسحير مهمة يتولاها كل أهل المدينة حيث ينقسمون إلى مجموعات تتولى كل مجموعة منهم القيام بالتسحير لعدة أيام.

وفي الفلبين فإن الأمر يختلف إذ توكل مهمة التسحير للأطفال والذين يستمرون في اللعب والغناء من بعد الإفطار وحتى ساعة متأخرة من الليل، وقبل أن يعودوا إلى منازلهم فإنهم يمرون على البيوت ويدقون الأبواب لإيقاظ الناس للسحور.

هذه جولة سريعة في بعض بلدان العالم الإسلامى، تعرفنا خلالها على تقاليد السحور في كل منها، وتعد ملمحاً مميزاً من ملامح هذا الشهر الكريم، وقبل أن ننهي جولتنا، فقد نتوقف لحظة أمام قول الشاعر زين الدين بن الوردي الذي قال:

عجبت في رمضان من مسحرة
قالت ولكنها في قولها ابتدعت
تسحروا يا عباد الله قلت لها
كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت

ولعل في هذا ما يدل على أن النساء قد شاركن الرجال في بعض الأوقات في القيام بعملية التسحير، وأيا كان الهدف من ذلك سواءاً أكان نوعاً من العمل أم الهواية أم كعمل من أعمال الخير، إلا أنه في النهاية قد وجد، وليس في ذلك غرابة فلقد شاركت المرأة المسلمة الرجل في العديد من الأعمال، وكان منهن الآسيات أو الممرضات ترعين المرضى ويأسين جراحهم ويجبرن كسورهم، وقد روي أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان يغزو ومعه أم سليم ومعها نسوة من الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى، وفي إحدى الغزوات جعل النبى {صلى الله عليه وسلم} سعد بن معاذ في خيمة لامرأة تسمى «رفيدة» كانت تداوي الجرحى.





بحق الصيام .. دعوتك ربي
وأنت الذي يستجيب الدعاء
هناك على الأرض تحيا شعوب
يؤرقها كل يوم بلاء
هناك على كل شبر جياع
يرون الخلاص بكف السماء
هناك مآذنك الطاهرات
لذاتك منها يطوف النداء
نداء الجياع، نداء الحيارى
نداء الشيوخ، نداء الإماء

* * *

إلهي .. لك الأمر فيما تشاء
وليس لغيرك فيما يشاء
إليك اشرأبت رقاب العباد
وقد أرهقتها سهام الغباء
فخذهم لبرك ، واحفظ عليهم
عيونا تحجر فيها البكاء
بحق الصيام، وحق القيام
وحق الدعاء بليل الرجاء
أعنَّا على نكبات الزمان
وأنعم علينا بفيض العطاء



الإيقـــاع الرمضا

بقلم : د. فوزى عبدالقادر الفيشاوي
جامعة أسيوط - مصـر -

من آن لآخر يتوصل الباحثون في كنه العلاقة الحميمة بين الصيام وفسيولوجيا الأجسام، إلى كشوف مذهلة.. فقد أظهرت أحدث المؤشرات العلمية، أن الايقاع الرمضاني يحسن - على نحو مبهر - ايقاع الميلاتونين، لدى الصائمين. وكما نرى، فهذا دليل اضافي فوق ما سبق وأثبته العلماء للصيام من فوائد صحية ومكرمات، مما أصبح لديهم من قبيل المسلمات!.

الميلاتونين والحيوانات الصائمة:

الحياة صحة قبل كل شيء. وهذا هو المجال الذى تسهم فيه أبحاث العلماء على أنواع من حيوانات التجارب الصائمة.. فبعد تجارب طويلة في المعامل، أعلن باحثو الكيمياء الحيوية وفسيولوجيا الحيوان خبراً مدهشاً، هو أن تصويم الحيوانات لا يحفظ عليها الصحة والحيوية والنشاط فحسب، بل أنه كذلك ليساهم في تأخير شيخوختها وإطالة أعمارها. على أن الأهم هو أنهم عرفوا أن سر هذه المعجزة يكمن - بالدرجة الأولى - فيما يطرأ على افراز هرمون الميلاتونين (Melatonin) من تحسن بفعل عمليات الصوم المتكرر.

وكما يعلم الكثيرون، فان الميلاتونين هو حجر الزاوية الرئيسي في انتظام الايقاع الأساسي للحياة، لكل عضو، وكل نسيج، وكل خلية في الجسم. وها هي ذي بعض التجارب العملية التى توثق الحقيقة في النفوس وتزيل منها أقل الشكوك:

(١) فى تجربة للعلامة «شايلد» على أحد أنواع الديدان.. عمد إلى تقسيمها إلى مجموعتين: أعطى احداهما غذاء وافراً بشكل دائم، بينما حرم ديدان المجموعة الثانية من الطعام أياماً حتى تقلص حجمها الى حجم صغير جداً، وعندئذ قام بإعطائها طعاماً حتى استردت حجمها الطبيعى ووظائفها الحيوية، ثم منع الطعام عنها أياماً متتالية حتى تقلصت أجسامها وانكمشت، ولكن ما إن غذيت حتى استردت حجمها الأصلى ووظائفها كما لو أن شيئاً لم يكن، ثم صُومت مرة ثالثة ورابعة.. وعاشرة.. وفي كل مرة، كانت تفيض بالشباب والحيوية. هذا بينما كانت ديدان المجموعة الأولى المرفهة قد ماتت - منذ زمن - وتحللت أجسامها.

(٢) على ديدان شبيهة، قام العالم «ليل» فى جامعة شيكاغو الأمريكية، بسلسلة تجارب ناجحة، أكدت صحة النتائج السابقة.

(٣) فى تجارب أجريت على أسماك الأرجنتين التى تعيش سنة واحدة، أمكن زيادة أعمارها إلى ثلاث سنوات، بفضل تحديد كمية طعامها واخضاعها لنظام تصويمى خاص، مع خفض درجة حرارة الماء تسع درجات مئوية.

(٤) أجرى العلامة البريطاني دكتور «ماككارسون» مدير معهد التغذية بالهند، تجارب عديدة على فئران معملية، أخضعت لنظام حياتى يتضمن التغذية على وجبات قليلة السعرات الحرارية، مع تصويمها من وقت لآخر، على مدى سنتين وربع. وطوال هذه الفترة، لم يسجل أية حالة مرضية بين

ي .. وإيقاع الميلاتونين

الفئران الصائمة، بل ظلت تتمتع بحيوية ونشاط وافر.

(٥) أثبتت التجارب التى أجريت على الفئران، امكان اطالة العمر النشيط بنسبة ٢٠٪ في حالة الصيام عن تناول الغذاء مرتين أسبوعياً.

(٦) في تجارب أخرى، تبين أن اتباع نظام صارم لتصويم الفئران، يساهم في زيادة متوسط أعمارها بنسبة تتراوح ما بين ٢٥ ـ ١٠٠٪ موازنة بأعمار الفئران العادية غير الصائمة.

(٧) أكدت دراسة للباحثة «سوزان سبجلر»، أن فئران المعمل التى يجرى اطعامها على وجبات محدودة السعرات، ثم يتم تصويمها في اليوم التالى تعيش بصحة جيدة أطول ٥٠٪ موازنة بأقرانها من ذوات التغذية الوافرة.

(٨) طبقاً لسلسلة التجارب التى أجراها العالم البيولوجي «ولفرد» على الفئران، فإن انقاص السعرات الحرارية في الغذاء المقدم للحيوانات بنسبة ٣٠ ـ ٤٠٪ يؤدى إلى تأخير واضح لمظاهر الشيخوخة، كما يزيد متوسط أعمارها بنسبة تصل إلى ٤٠٪.

(٩) في جامعة تكساس الأمريكية، وبالتحديد في المركز الصحى التابع للجامعة في سانت أنطونيو، أجرى البروفيسور «إدوارد ماسورو» تجارب مماثلة، أشارت بوضوح إلى أن اقلال الطعام مع انقاص السعرات الحرارية، يؤخر شيخوخة فئران التجارب ويطيل في أعمارها.

(١٠) قام العالم البيولوجي «كليف ماكاى» فى جامعة كورنيل الأمريكية، بتجربة رائدة على الفئران المولودة حديثاً، حيث قسمها إلى مجموعتين، أعطى احداهما من الطعام الدسم الشهى أطيبه وأوفره، وتركها تأكل دون قيد، فكبرت وسمنت وترهلت وصار الكسل والخمول ديدنها. هذا بينما أخضع فئران المجموعة الثانية لبرنامج غذائى محدد يعتمد الصوم لساعات طويلة أسلوباً أساسياً في الحياة. والمدهش انها كانت تبدو متدفقة الحيوية والنشاط يطل من عيونها وذيولها بريق الصحة والنشاط، كما لوحظ أنها ظلت محتفظة بشبابها مدة تجاوزت ١٤٦٠ يوماً، بينما ماتت الفئران غير الصائمة، بعد مدة لم تتجاوز ٩٦٠ يوماً. وكأنما الصوم يساهم في اطالة أعمار الحيوانات بنسبة تصل إلى ٤٠٪.

وتتوالى تجارب العلماء على الحيوانات الصائمة.. ومع كل تجربة تزيد قناعة الباحثين بإمكانية المحافظة على شبابها وحيويتها لآماد أطول، بفضل اتباعها لنظام تصويمى حكيم، مع الحد مما تأكله من أطعمة منخفضة السعرات الحرارية. ومع كل تجربة، يبدو هرمون الميلاتونين الطبيعى من وراء الأحداث كلها، مما قد يثير دهشة الكثيرين، وقد يرى البعض أن المسألة ربما تكون من خصائص عالم الحيوان وحده، ولا علاقة لها بحياة الانسان. ولكن ها هى دراسات الباحثين على المعمرين من البشر، والصائمين منهم على وجه الخصوص، تقدم الدليل من وراء الدليل.

الميلاتونين
رفيق المعمرين الصائمين:

لو أننا ترجمنا التجارب التى أجريت على الحيوان، في حالة الانسان، لتبين لنا أن الصيام قد يطيل الأعمار ما بين مائة الى مائة وخمسين عاماً. وعلى الرغم من أن التجارب التى تجرى على الحيوان لا تعدو أن تكون مجرد نماذج بيولوجية، تقتضى التريث في اتخاذها أمثلة تحتذى في التجارب الاكلينيكية على البشر، غير أن الدراسات

التى أجريت على المعمرين فى أنحاء مختلفة من العالم، تدعم نتائج تجارب الحيوان وتوثقها على نحو مثير. فالحق أن المعمرين يمكن أن يصلوا إلى هذا العمر الطويل، لو أنهم كانوا معتدلين في طعامهم وشرابهم، وكانوا يتبعون نظاماً مناسباً للصوم.

وفي هذا السياق، يحسن أن نشير الى نتائج أشهر الدراسات العالمية المتعلقة بالمعمرين، والتى أجريت على معمرى قرية (فيلكا بامبا) في دولة اكوادور، بأمريكا الجنوبية (بها ٣٪ من السكان ممن تعدوا سن المائة - حسب احصاء عام ١٩٧١)، ومعمري منطقة القوقاز الاسلامية (بها ٠٫٦٪ من السكان ممن تعدو سن المائة - حسب احصاء عام ١٩٧٠)، ومعمري منطقة الهونزا بكشمير الواقعة تحت حكم الباكستان. لقد لاحظ الباحثون، أن المعمرين في هذه المناطق يلتزمون في حياتهم - الى جانب نظام الصوم المتكرر، نظاماً غذائياً بسيطاً يعتمد على خفض السعرات الحرارية، اذ لا يتجاوز متوسط السعرات اليومي ١٢٠٠ سعراً، مقابل ٢٤٠٠ سعر لدى الفرد العادي.

وقد استلفت نظر اخصائي القلب العالمي دكتور «ميجيل سالفادور» الطبيب الإكوادوري الشهير - الذى اضطلع في عام ١٩٦٩ بمهمة تكوين فريق طبى من علماء القلب لدراسة حياة ١٥٩ معمراً، و١٨٠ معمرة من سكان فيلكابامبا، أن أهل هذه المنطقة يعمدون - فى مواجهة أي علة من العلل - إلى الصوم كاستراتيجية أساسية، مع تناول بعض الأعشاب.

وعندما نسترجع في أذهاننا حياة عظماء المعمرين في العالم، لا نجد غير الصوم وقلة الطعام أسلوباً أمثل للحياة.. فهذا شيخ المعمرين «ميشيل انجلو» يقول - حين سئل ذات مرة عن السر في صحته الجيدة وتمتعه بنشاط غير عادي بعد أن تجاوز سن التسعين: «إننى أعزو احتفاظي بالصحة والقوة والنشاط في سنوات كهولتي إلى أني أمارس الصوم بين حين وآخر، ففي كل عام أصوم شهراً .. وفى كل شهر أصوم أسبوعاً .. وفى كل أسبوع أصوم يوماً .. وفى كل يوم آكل وجبتين بدلا من ثلاث».

وهذا المعمر المجرى «بنج» الذى كان يتمتع بصحة جيدة بعد بلوغه سن المائة، يقول: «إن تقشفي في المعيشة وتمسكى بأبسط المأكولات، كان من أهم ما تتميز به حياتي عن حياة الآخرين.. فعلى الرغم من ثرائى الوفير وتوافر أسباب الحياة المنعمة لى،إلا أنى قد حييت حياة خالية من الاسراف معظم أيامى، وكان غذائى المحبوب التمر واللبن، كما أتناول الخبز الجاف والجزر.. وكنت أصوم فترات متعددة في كل عام فجنبت نفسي ويلات المرض ومتاعب الشيخوخة».

واضح اذن، اننا بفضل الصوم، نصبح أكثر شباباً وحيوية، وأطول عمراً، لان الحقيقة التى لا مراء فيها، أن تحسناً شاملا يعم الجسم بكامله. ولا ريب أن العلماء في رحلة بحثهم عن تفسير علمى سليم لهذه الظاهرة، وضعوا نظريات كثيرة. ولكن يبدو أنهم اكتشفوا مؤخراً أن هرمون الميلاتونين قد يكون هو أساس الظاهرة. فقد أظهر البحث المستفيض أن الصيام وخفض السعرات الحرارية بالغذاء، ينشط انتاج الميلاتونين في الأجسام، مما يضفى عليها الحيوية والنشاط.. بل لوحظ أيضا أن الصيام يبقى على معدلات افراز الميلاتونين - على مدى سنوات العمر الطويلة - كما كانت في سن الشباب، مما قد يفسر جزئياً علاقة الصوم بتأخير الشيخوخة، وهي العلاقة التي تشير اليها مئات التجارب التى أجريت على الحيوانات المعملية، وعشرات الدراسات التى شملت المعمرين.

ولابد اننا نتساءل الآن عن الآلية التى توفر ذلك، وكيف يحفز الصيام افراز الميلاتونين في الأجسام؟.

ايقاع الميلاتونين بين الظلام والصيام:

الميلاتونين هو بحق الهرمون «السيد» الذى يساعد في الابقاء على الضبط الدقيق لأجهزة

جسم، حتى تظل متوافقة وعاملة معاً، ككيان واحد ي تناغم، ولا تكاد خلية واحدة في جسم الانسان أو جهاز كامل من أجهزته، لا يتعامل مع هذا الهرمون ويتأثر به.

إن ثمة مصدراً أساسياً للميلاتونين - يعرفه الكثيرون - يتمثل في «الغدة الصنوبرية» التى تقع في منتصف المخ تماماً، وتكون على صلة وثيقة بالعين من خلال ممر عصبى. وهكذا، فحينما يقع الضوء على شبكية العين، تتولد نبضة عصبية، لا تلبث أن تصل سريعاً الى الغدة الصنوبرية التى تستجيب لها وتقوم بتحويل الحامض الأمينى تربتوفان الى مادة السيروتونين. وما إن يحل الظلام، حتى تبدأ في تحويل السيروتونين الى ميلاتونين لا تختزنه بداخلها، بل تضخه مباشرة الى مجرى الدم. وعلى هذا فإن مستويات عالية نسبياً من الميلاتونين تسرى بمجرى الدم في الليل إلى كل أجزاء الجسم. ولكن مستوياته تنخفض كلما اقترب الصباح، حيث يتسبب الضوء الوارد من العين في توقف انتاج الميلاتونين. ومعنى ذلك أن الغدة الصنوبرية، تفرز الهرمون وفق نظام دورى محدد يتبع الليل والنهار.

هذا اذن هو المصدر الأساسي للميلاتونين، ولكن الباحثين عثروا - منذ بضع سنوات - على مصدر آخر للهرمون، يتمثل في القناة الهضمية. فقد أظهرت كثير من الدراسات أن الجهاز الهضمي يحول التربتوفان الى الميلاتونين، كما بينت أن هذا النوع المعوى خلافاً للميلاتونين الصنوبري ينتج بشكل ثابت نسبياً، وانه يشكل قاعدة أساسية لمستوى الهرمون في الدم على مدار اليوم.. وأكثر من ذلك، فان انتاجه في الأمعاء لا يتأثر بالنور والظلام. وباختصار، فإن الجهاز الهضمي يبدو كأنه مصدر مستقل تماماً لإنتاج الميلاتونين.

هذا شيء رائع وعظيم.. ولكن الأروع والأعظم، أن الباحثين توصلوا إلى نتيجة هامة، هي أن انتاج هذا النوع يتحسن كثيراً مع الصيام، ومع الحد من السعرات الحرارية في الغذاء. وعند الباحثين، انه يبدو أن وظيفة هذا الميلاتونين هى بالدرجة الأولى: منع التأكسد كوسيلة للوقاية من الشوارد الحرة (Free Radicals)

وهذا حق.. فلطالما أكدت البحوث العلمية أن وفرة الطعام الدسم، يعطل هذه الوظيفة الحيوية، ولذا يصحبها دوماً انطلاق كميات كبيرة من تلك الشوارد المشاغبة، التى تجر الدمار على الخلايا، مما يعجل بشيخوختها وموتها. هذا بينما يقوم الصيام بالدور العكسي، حينما يحفز على افراز الميلاتونين.. مضاد الشوارد الحرة الأعظم، ومن ثم يساهم بدور وافر في حيوية الخلايا ويزيد متوسط أعمارها أيضاً.

وطبقاً لهذه النظرية، فإن حساسية الميلاتونين للصيام تكون بمثابة عنصر حاسم يساعد على بقاء خلايا الجسم على قيد الحياة، في مقابل ندرة الموارد الغذائية المتاحة للجسم. وها هنا نتذكر كلمات بليغة لحائز جائزة نوبل في الطب والجراحة، الدكتور «الكسيس كاريل» في كتابه الأشهر (الانسان ذلك المجهول): «إن كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها تعطل وظيفة أدت دوماً دوراً عظيماً في بقاء الأجناس البشرية، وهى وظيفة التكيف على قلة الطعام، ولذلك كان الناس يلتزمون الصيام في بعض الأوقات».

ونعود فنقول.. مثلما تقيس العين النور والظلام لتنظم انتاج الغدة الصنوبرية من الميلاتونين، فإن الجهاز الهضمى يقيس الامدادات الغذائية وينظم مستويات الميلاتونين طبقاً لها.. واذن، فلعل كثيراً من المنافع الصحية المنسوبة إلى الصوم، تكون راجعة - بدرجة ما - إلى تأثير الميلاتونين الذى تتحسن كميته لدى الصائمين.

الصيام.. الميلاتونين .. وتجديد الشباب:

ذكرنا أن الوظيفة الأساسية للميلاتونين المعوي .. رفيق الصائمين، هي منع التأكسد الخلوي بفعل الشوارد الحرة المشاغبة. وهذه الشوارد هي كل جُزَيء أو ذرة فقدت اليكتروناً واحداً من اليكتروناتها، بحيث تصبح من ذوات العدد الفردى من الاليكترونات، مما يجعلها غير ثابتة إلى درجة

هائلة، وقابلة للاتحاد بمركبات أخرى وتمزيق تكوينها.

وفي الخلايا الحية، تبعث هذه المركبات الشريرة الاضطراب في التركيب المعقد والمرهف للحياة نفسها، واذا تواجدت بأعداد كبيرة، فانه بإمكانها تحطيم مكونات الخلية ومن ثم القضاء عليها مباشرة. ويعتقد كثير من العلماء، انه حتى لو لم تقم هذه الشوارد بتحطيم الخلية بالكامل، فإنها تلحق بها ضرراً بالغاً ومستديماً. والواقع، أن عمليات التأكسد والتلف الذى يحدث في الخلية، وتراكم نواتج هذه العمليات، هو الذى ينتج عنه التدهور الذى نراه في الشيخوخة.. فتغضن الجلد - مثلا - إنما هو تعبير عن حدوث تكسير في بنية كولاجين الجلد بفعل الشوارد الحرة. وكذا يعبر ابيضاض الشعر عن عدوانها على بصيلات الشعر، فتفقد قدرتها على انتاج الصبغة الملونة. وهكذا على امتداد الجسم كله، فإن نظرية الشوارد والشيخوخة تؤكد وجودها.. فضروب التكسير التى ذكرناها وأمثالها تسهم في الأعراض والعلامات الخاصة بالشيخوخة.

ونعود فنذكر، انه لم يعد ثمة شك لدى الباحثين على أن الميلاتونين يعد أكفأ وسيلة لكبح جماح الشوارد الحرة ووقف أضرارها. فالميلاتونين هو أقوى مضادات الاكسدة قاطبة، وأقدرها على كسح الشوارد المشاغبة، وبخاصة الشوارد الهيدروكسيلية (oH radicals-) وهى التى تحتوى على تركيبة من الاكسجين والهيدروجين تجعلها فعالة للغاية. وعلى قدر نجاح الميلاتونين في اقتفاء أثر الشوارد وتدميرها، على قدر ما تبقى حيوية خلايا الجسم وأعضائه، لا سيما الجزئيات الحيوية الكبيرة، وفي مقدمتها الحامض النووى الأساسي (DNA) فالحقيقة الثابتة: بقدر المحافظة على (DNA) من الأكسدة، بقدر ما يبقى الشباب قائماً وتظل حيوية الجسم حاجزاً منيعاً ضد الأمراض.

ولا ريب، أن هذه الزيادة الحادثة في مستوى الميلاتونين - بفعل الصوم - تساهم في اقتناص المزيد من الشوارد السامة، ومن ثم تؤدى إلى تأخير مظاهر الشيخوخة، خاصة حينما يصبح الصيام نظام حياة، يلتزم به الانسان على فترات طوال العام. وهذه هي خلاصة التجارب التى أجراها عالما الفسيولوجيا بجامعة شيكاغو: «كارلسون» و«كوند» حيث تبين لهما، أن الصوم لمدة أسبوعين يكفى لتجديد أنسجة الجسم لشخص في عمر الأربعين، بحيث تبدو مماثلة لأنسجة شاب لم يتجاوز العشرين. غير أنهما لاحظا أن هذا الأثر لا يدوم طويلا، مما يتطلب معاودة الصوم على فترات للحصول على الشباب من جديد.

ويرى الدكتور «آلان كوت» انك بالصوم تبطىء عمليات الشيخوخة لديك، وتعطي لأجهزة جسمك شهادة صحية بالشباب والحيوية. ويتبنى الدكتور «هربرت شلتون» نظرية هامة تقوم على أساس امكانية المحافظة على الشباب عن طريق الصوم. وعنده أن البشرة تصبح بالصوم أكثر نضارة، والعيون أشد صفاء وأكثر بريقاً، حتى أن الفرد ليبدو - بشكل عام - أكثر شباباً، وما ذلك إلا آثار تدل على التجديد الذى طرأ على الجسم بكامله. ويعتقد الدكتور «آلان كوت» أن عمليات صوم متتابعة، وبشكل منظم تفيد في ارجاع الانسان إلى حيوية الشباب ونشاطه أكثر بكثير من زرع الغدد التناسلية، وأفضل بكثير أيضاً من حقن الهرمونات أو عمليات شد الوجه التجميلية، أو تناول الفيتامينات بكميات كبيرة، أو أى من الاجراءات الأخرى الباهظة التكاليف.

وعلى وجه الاجمال، اننا إذا بحثنا عن وسيلة للمحافظة على الفتوة والنشاط، ووقف عمليات التخريب التى تقوم بها يد الشيخوخة - عبر الشقوق الحرة المشاغبة - فلن نجد أفضل من الصيام.. مولد الميلاتونين في الأجسام.

الميلاتونين والصيام .. وقاية من الأورام:

لأن الميلاتونين (المفرز بفعل الصوم) يوفر - في داخل الخلية - حماية خاصة للنواة - وهى البنية المركزية التى تحتوى على DNA فإنه يحافظ بذلك

ى البنية الخلوية الأساسية. فلعل من أعاجيب خلق خلية، قدرتها على اصلاح أى تلف يلحق ببنيتها، طالما لم يصب حامضها النووي بأذى. ولكن إذا أصاب التلف - مهما كان بسيطا - رصيدها من هذا الحامض، فان الخلية لن تتمكن من اصلاح أى خلل يصيبها. وذلك هو مكمن الخطر في الشوارد الحرة، التى يؤدى تراكمها إلى التواء جُزَيْء DNA وتشويهه، وبذلك يقوم بدور أنموذج فاسد لعدة أجيال من البروتينات، حيث تنتج هذه الناسخات الهوجاء نسخاً طبق الأصل من ملامحها المشوهة.

فالخلية التالفة - إذن - لا تنمو فحسب، بل انها تولد أيضاً أجيالا خلوية مشوهة، تكون عاجزة منذ لحظة ميلادها.. فأسوأ ما فى «السيناريو» البغيض كله، أن لدى الخلايا العليلة المتكونة، قدرة هائلة على التكاثر بغير ضابط ولا رابط. وأسوأ ما فيه أيضاً، اللحظة التى تسيطر فيها النزعة القتالية على الشقوق الحرة، فتهاجم منظمات العمليات الخلوية التى تتحكم في عمل DNA، وهى مجموعة المواد التى تعرف باسم الكوابح الطبيعية (Natural in-hibitors).

وهكذا .. ما إن تتخرب هذه المواد الكابحة، حتى تغدو الخلية بغير دفة أو شراع، فيبدأ النسيج المصاب الذى لا يمكن كبح جماحه، في التكاثر بمعدل خيالى مكوناً ورماً خبيثاً يفزع الناس من ذكر اسمه. على أننا لا يجب أن ننسى أن فصول السيناريو الكئيب، لا تكتمل بالمرة في حضرة الميلاتونين، الذى يعد - برأى الباحثين - أحد أهم عوامل الوقاية من التلف الكروموزوي المسؤول عن تولد السرطان.

وها هي أحدث الدراسات العلمية تشير بجلاء الى وجود علاقة عكسية بين زيادة مستوى الميلاتونين، واحتمال الإصابة بالأورام.. فقد وجد أن الأفراد الذين يزيد لديهم مستوى الميلاتونين، تكون نسبة العامل الحافز للأورام (ألفا) منخفضاً، عمن يكون المستوى لديهم متدنياً أو عادياً.

ولا يقتصر دور الميلاتونين على الوقاية فحسب، بل إنه بحد ذاته يمثل أحد الاستراتيجيات التى يتخذها الجسم في مواجهة السرطان.. فحينما يصاب الجسم بالمرض، يبدأ على الفور - لا سيما في المراحل الأولى للإصابة - في افراز المزيد من الميلاتونين لصد الغزو السرطاني.

وإذن .. فالميلاتونين بالنسبة للسرطان، يحتل موقعاً مركزياً .. سواء في المكافحة أو في التوقى من شروره. وفي الحقيقة، فإن هذا الدور الحيوى يتحقق بأساليب متعددة.. أولها يقوم على أساس قدرة الميلاتونين كمضاد للتأكسد، بوسعه ابطال مفعول الشوارد الحرة ومنعها من تخريب DNA .

ويتعلق ثاني هذه الأساليب، بقدرته على تنظيم افراز هرمونات معينة بالجسم، يمكنها ابطاء أو كبح نمو أورام معينة. أما ثالث الأساليب، فيتلخص في قدرة الميلاتونين على تنشيط الجهاز المناعى، ومن ثم تزيد قوى الجسم الطبيعية في محاصرة الخلايا السرطانية وقتلها في المراحل الأولى قبل أن يستفحل ضررها.

تلكم هي بعض جوانب العلاقة الحميمة بين الميلاتونين (المفرز عبر الصيام) والوقاية من أخطار السرطان اللعين.. فمما يستطاب ذكره، أن دراسات أجراها الباحثون أظهرت ما للصيام من أثر طيب في الوقاية من أخطار السرطان، لا سيما لدى هؤلاء الذين لديهم الاستعداد الوراثي للإصابة. ففى حالات من القرح أو الأورام الحميدة التى يخشى في ظروف خاصة تحولها إلى أورام سرطانية خبيثة، وجد الباحثون بالفعل أن الصوم يحول دون هذا التحول.

مناعة الصائمين وسحر الميلاتونين:

أيفيد الصوم حقاً في تقوية الجهاز المناعى؟ نعم، انه يقوى مناعة الصائمين، دون شك. ألسنا نعلم أن الصوم يحفز على زيادة افراز الميلاتونين في الأجسام! هذا هو بيت القصيد.

ففى دراسات أجريت على مجموعة من الأشخاص تعدوا المائة من العمر، وعرف عنهم الالتزام بنظام تصويمى دورى مع الحد من السعرات

الحرارية في وجباتهم، وجد أن جهاز المناعة لديهم يحتوى على نسبة عالية من الخلايا القاتلة التى تهاجم أى ميكروب أو خلية سرطانية وتقتلها في الحال. وتشير الدراسة إلى أن وصول الانسان إلى هذا العمر، يكون في العادة نتيجة تمتعه بهذه النسبة العالية من الخلايا القاتلة في جهازه المناعي.

وتبعاً لدراسات أجريت مؤخراً، فإن هرمون الميلاتونين يعد هو المنشط الأساسي لهذا النوع من الخلايا الذى ينتج بواسطة الجهاز المناعي. ولو اننا استرجعنا تجارب العلماء على الحيوانات المعملية الصائمة، لعرفنا أن الصيام أو التجويع لا يطيل العمر فحسب، بل انه يبقي أيضاً على معدلات افراز الميلاتونين كما كانت في سن الشباب.

والواقع أن التأثير المفيد للميلاتونين في الجهاز المناعى يعد - برأى الباحثين - واحداً من آلياته فى مكافحة الشيخوخة.. فعندما تقوى المناعة تقوى كذلك مقاومة الجسم ضد الأمراض، وبالتالى يبطؤ زحف الشيخوخة ويتأخر ظهور أعراضها.

وهكذا استطاع البيولوجيون التوصل إلى جملة حقائق مهمة، نذكر منها:

١ - يُقَوِّى الميلاتونين نوعي المناعة بالجسم: الطبيعية، والمكتسبة.

٢ - يساعد الميلاتونين في الإبقاء على الضبط الدقيق للجهاز المناعي، سواء على المستوى الخلطي (نظراً لقدرته على زيادة حفز كرات الدم البيضاء على انتاج الأجسام المضادة)، أو على المستوى الخلوى (نظراً لقدرته على تنشيط الخلايا الليمفية وحفزها لمواجهة الغزاة).

٣ - يضفي الميلاتونين مستوى آخر من الحماية من داخل الخلية نفسها، نظراً لإستمراره في أداء دوره الأساسي في كنس الشوارد الحرة بالخلية. ومع تسليمنا بأن هذا الدور لا يعد جزءاً من جهاز المناعة، غير أنه يتجه رأساً إلى الأغراض المناعية نفسها، حيث يوقف عمليات التخريب بالخلية ويحفظها سالمة من كل سوء.

ويوصلنا هذا، بعد طول انتظار، إلى عتبة الصوم من جديد .. الصوم الذى تؤكد دراسات الباحثين، على دوره في تجديد الاستحكامات المناعية ضد الغزاة المحتملين من بكتيريا وفيروسات. وهى الحقيقة التى توصل اليها الدكتور «يورى نيكولاييف» مدير وحدة الصوم بمعهد علم الطب النفسي بموسكو.. حيث يذكر انه خلال تعامله - في غضون ثلاثين عاماً - مع أكثر من عشرة آلاف حالة صوم أو امتناع عن الطعام لفترات محددة، لاحظ أن أجهزة المناعة أو الدفاع الكائنة في الجسم كانت تنشط وتتحرك أثناء الصوم، وتقضي على كثير من الأمراض.

الكوليسترول بين الصيام والميلاتونين:

من المعروف أن هناك نوعين من الكوليسترول: عالي الكثافة (MDL) وهو النوع المفيد، ومنخفض الكثافة (LDL) الضار سيىء السمعة. فالكوليسترول - كما يعرف الدارسون - يفيد بعضه فى بناء الأغشية المخاطية التى تغطى الخلايا، كما يساهم في تكوين العديد من الهرمونات الحيوية مثل الهرمونات الذكرية والأنثوية وهرمونات الغدة الكظرية، وفي تكوين الأحماض الصفرواية اللازمة لهضم الطعام، كما يفيد في تكوين فيتامين (د) الضروري لعملية التكلس وقوة العظام.

هذا صحيح، ولكن هناك وجهاً قبيحاً آخر يعرفه الناس، إذ يؤدى ارتفاع مستوى نوع الكوليسترول منخفض الكثافة إلي حدوث ترسبات على بطانة الأوعية الدموية فيقل مرور الدماء فيها وقد تسدها كلياً، مما يتسبب عنه مشاكل صحية مثل الذبحة الصدرية وجلطات القلب وسكتة الدماغ وانسداد الأوعية الدموية وغيرها.

والآن .. ماذا عن أثر الصوم في نوعي الكوليسترول، وما علاقة ذلك بالميلاتونين؟

إن هناك دراسة طبية، نشرت في عام ١٩٩٣، في مجلة (American Journal of Clinical Nutrition) لتتعرف العلاقة بين الصوم

الكوليستـرول، أظهـرت حـدوث زيادة في نوع الكوليسترول المفيد بنسبة ٣٠٪ في نهاية شـهر رمضـان، كـمـا لوحظ حـدوث انخـفـاض في مـعـدل (الكوليسـتـرول الكلى بالنسـبـة إلى النوع المفـيـد)، وانخـفـاض آخـر في مـعـدل (الكوليـسـتـرول المؤذى بالنسبة إلى النوع المفيد).

ومـثل هذا الانخـفـاض الحـادث في المعـدلين المذكورين، يعد برأى العلماء، مفيداً لصحة الانسان، اذ يتولى الكوليسترول عالى الكثافة عملية تنظيف الأوعيـة الدمـوية من النوع الضـار سيء السـمـعـة، بصورة مدهشة.

هذا وان فترات صوم متتابعة تساعد الجسم - في الوقت ذاته - في المحافظة على المستوى الطبيعي المقبـول لنوعي الكوليسـتـرول. وهـو مـا يؤكـد عليـه الدكتـور «آلان كـوت» بقـولـه: «إن فـتـرة وجـيـزة من الصيام يمكنها أن تنزل بنسبة الكوليسترول بصورة دراماتيكية مثيرة، تعود بها الى المستوى الطبيعي المقبول». وحول علاقة الميـلاتونين بهـذه الأحـداث، أجـرى البـاحث الطبى سـاندك Sandyk، تجـارب على الحـيـوانات، أظهـرت وجـود عـلاقـة عكسـيـة بين نسبة الكوليسترول فى الدم، وبين كمية الميلاتونين المتوافرة. ومضى سـاندك قدماً في تجاربه، لتشمل مجموعة من المرضى الذين يعانون ارتفاعاً كبيراً في كوليسترول الدم، فتبين له أن هذه الحالات جميعها ارتبطت بإنخـفـاض فـاحش فى مـسـتـوى الميـلاتونين بالدم.

باحث طبي آخر هو الدكتور مولر ، تبين له أن من شأن الميلاتونين خفض كمية الدهون منخفضة الكثافة، ومن ثم تقليل مستوى الكوليسترول. ويرى الباحثون أن أمثال هذه النتائج تعد منطقية إلى حد كـبـيـر، بالنظر الى دور الميـلاتونين كـمـضـاد قـوي للأكسدة، لديه قدرة انتقائية فائقة على نزع سمية المؤكسـدات مـحـبـة الالكترونات Electrophilic ، بمنحها اليكتروناً. وهو ما يمثل حماية للأجسام من خطر نـوع الكوليـسـتـرول سـيء السـمـعـة وأضـراره المحتملة.

الصيام والميلاتونين والضغط المرتفع:

إن أي تغيـر في ضـغط الدم لا يعـتبـر خللا في أجهزة الجسم، بقدر ما هو خلل في طريقة الحياة، أو في ممارسة الوظيفة. إن ضـغط الدم ضـروري لكي يدفع الدم للدوران خلال أميال الشرايين والشعيرات الدمـوية حـتى يمد بلايين الخـلايا بعناصـر الحـيـاة، وتقوم العضلات بدفع الدم من الأنسجة الى القلب مرة أخرى خلال انقباضاتها.

والواقع أن ضغط الدم يرتفع عادة نتيجة تحمل الدم بكثير من المواد السامة والفضلات والنفايات الناتجة من عمليات الأكسدة، ومن ثم التصاقـها بالسطح الداخلي لجدران الأوعية الدموية التى تعوق مـرور الدم خـلالهـا، ممـا يـجـعـل القلب يقـوم ببـذل مـجـهود أكبر لمحاولة التغلب على هذه المقاومة ودفع الدم خلال الشرايين المسدودة. أفضل طريقة - اذن - لتـلافي هذا الوضـع، هـى مـحـاولة ايقـاف عـمليـات الأكـسـدة، والتـخلص من النواتج السـامـة المؤذية الناتجة عنها. هذه هى الاستراتيجية المثالية، التى يتسنى لكل منا جني ثمارها، حينما يصوم.

فالصوم - كما يشير الباحثون - يعد من أنجح طرق الوقاية والعلاج لحالات الضغط المرتفع.. واننا لنقرأ أن العـالم الغربي بدأ ينتبـه اليوم إلى هذه الحقيقة التى أخذت فى الانتشار كنظام علاجى في كثير من المستشفيات. فبالصوم ينخفض ضغط الدم المرتفع تدريجياً ويزول الصداع والدوخة التى ترافقه، كـمـا تزول اضطرابات الرؤية التى توجـد أحـيـانـاً كـمضـاعـفـات له. هذا وإن فـتـرات صـوم مـتـتـابعـة تساعد المرء على المحافظة على المستويات الطبيعية لضغط دمه. وقد لا يبدو هذا أمراً غريباً، اذا أعدنا النظر في علاقـة الصـيـام بميـلاتونين الأجـسـام.. فالميلاتونين - كما يؤكد العلامة براو - بجامعة بريمن الألمانيـة - يبـدو مـسـؤولا بشكل جـوهرى عن ضـغط الدم، اذ تكون نسـبـتـه منخـفـضـة دومـاً في دمـاء المصـابين بضـغط الدم المرتفع. وقـد بينت أبحـاث البـيـولوجي «برزمـار» وزمـيله «هايلاندر» بجـامـعـة السويد، أن المصابين بضغط الدم المرتفع تكون نسبة

الميلاتونين في دمائهم أقل بمقدار النصف موازنة بالأصحاء. وبالتالي فقد أمكن خفض هذا المستوى، بتوفير المزيد من الميلاتونين.

وتلك ظاهرة يعرفها الباحثون، ويفسرونها على أساس قدرة الميلاتونين كمضاد للأكسدة، يمكنه خفض الضغط المرتفع، ولا يؤثر على ضغط الدم الطبيعي.

نبض الصائمين وفعل الميلاتونين:

يبدو واضحاً الآن أكثر من أى وقت مضى، أن الصيام والميلاتونين يؤديان إلى انخفاض عدد ضربات القلب، ومن ثم اراحته من عناء المجهود الزائد الى حد كبير. هكذا تدل دراسات أجريت على الكثيرين، ممن يزيد في دمائهم معدل الميلاتونين، اذ يصحب ذلك دوماً انخفاض في عدد مرات ضربات القلب.

وهي نفس الظاهرة التى يعرفها باحثو فسيولوجيا الصوم منذ سنوات .. فالصوم يؤدى الى انخفاض معدل النبض من ٨٠ نبضة في الدقيقة، أى ما يعادل ١١٥٢٠٠ مرة في الأربع والعشرين ساعة، الى ٦٠ نبضة في الدقيقة، أى ٨٦٤٠٠ نبضة في اليوم. وذلك بنقصان ٢٨٨٠٠ نبضة، وهذا يعنى أن القلب يأخذ راحة من ربع العمل الذى كان منوطاً به.

وماذا يحدث لسكر الدماء؟

تدل أحدث الدراسات على وجود علاقة جوهرية بين انخفاض مستوى الميلاتونين في الدماء، والاصابة بمرض البول السكرى. لقد أوضحت الباحثة «جوزفين أرندت» أن نسبة الميلاتونين تكون دوماً متدنية لدى مرضى السكر موازنة بمستواه لدى الأصحاء. ونقرأ في المراجع الطبية عن مرضى تمكن المعالجون من خفض مستوى السكر في دمائهم عن طريق تزويدهم بالميلاتونين.

وإذا كان الأمر كذلك، فماذا عن فعل الصيام.. منشط الميلاتونين بالأجسام؟

إذا استثنينا الحالات المتقدمة من مرضى السكر، التى تحتاج إلى كميات كبيرة من الانسيولين، فإن الصيام يعد مفيداً في الحالات البسيطة والمتوسطة التى ليست لها مضاعفات، والتى تكون في العادة مصحوبة بزيادة الوزن عن المعدل الطبيعي، أو تكون في الحدود العادية أيضاً.

فالمريض المصاب بالسكرى الكلى الذى يعالج بالحمية الغذائية فحسب، يمكنه الصيام.. بل إن الصيام يفيد في علاج مرضه. ونوع السكر الذى يبدأ بعد سن الأربعين لا سيما لدى البدناء، والذى يعالج عادة بتنظيم الأكل مع تعاطى الأقراص المنشطة للبنكرياس، يعتبر الصيام لهذا النوع علاجاً ممتازاً للغاية. وقد شرحت الدكتورة «فيلبس أولمان» هذه الحقيقة عندما قالت: «ثبت أن النظام الغذائى الحرماني لفترات متقطعة، قادر على علاج السكر الهرموني الناتج عن الاجهاد الذي تسببه البدانة».

الميلاتونين والصيام والتخلص من الملوثات:

بعد سنوات طويلة في مجال العلاج بالصوم، كتب الدكتور «يورى نيكولاييف» «بما أن البيئة تتلوث باستمرار، فإن الصوم يعد أمراً جوهرياً وضرورياً لأبناء العصر الحاضر، وخصوصاً لسكان المدن المعرضين باستمرار لدخان السيارات وأبخرة المصانع وغيرها من ملوثات الجو السامة.. فالصوم عندى من أفضل الوسائل لإيقاف آثار ذلك التلوث.. تلك الآثار التى ينجم عنها اضطرابات مزمنة ومتعددة الأشكال..».

وحول الموضوع نفسه يقول العالم الأمريكي «بول بريج» فى كتابه «معجزة الصوم»: «إن الصوم فى رأيى هو الطريقة الوحيدة لتخليص الجسم من السموم التى تنتجها المصانع..».

والحق أن فعالية الصوم، في مواجهة ملوثات البيئة وازالة الأضرار الجسمية الناتجة عنها، يجب أن تكون مدعاة للدهشة والعجب.. ولكن متى عرف السبب بطل العجب ـ كما يقولون .. ذلك أن تأثير هذه الملوثات يكون بسبب انتاجها لفيض من

شوارد الحرة المشاغبة في الأجسام.

فالاشعاعات المختلفة التى نتعرض لها، بما فيها الأشعة فوق البنفسجية والأشعة الطبية مثل أشعة الأسنان وأشعة اكس، تنشط تكوين الشوارد الحرة، وكذلك تعتبر ملوثات الهواء بأنواعها كافة، أحد المصادر الأساسية لهذه الشوارد. وتطلق الكيماويات السامة كالمبيدات الحشرية بما فيها الأنواع المنزلية، أو كيميائيات التبييض (الكلور) التى يكثر استعمالها منزلياً، المزيد من الشوارد الحرة أيضاً. ونضيف، بأن التعرض لمستويات عالية من المجالات الكهرومغناطيسية الناتجة عن أسلوب حياتنا الحديثة المعتمدة على الكهرباء، مثل تلك المجالات الناتجة عن الأدوات المنزلية الكهربية وآلات المكاتب وأضواء الفلورسنت وخطوط القوى وغيرها، ثبت بالفعل أن لها دوراً في ازدياد الشقوق الحرة المتولدة في الأجسام. وحتى دخان السجائر يعد كذلك من أهم مصادر تولد الشوارد المشاغبة خاصة في رئات المدخنين.

ولأن الصيام ينشط افراز الميلاتونين المعوى، ولأن الميلاتونين هو أفضل مضاد للتأكسد يكفل حماية الأجسام من خطر الشوارد الحرة، فإن حاجتنا الى الصيام تزيد أكثر وأكثر، كلما زادت عوامل التلوث من حولنا.

بين الصيام والميلاتونين .. والنفس المطمئنة:

يشير علم النفس الحديث على الأشخاص الذين يتعرضون للضغوط والكروب على اختلاف أنواعها وتباين مصادرها، بأن يتصدوا لها وهم صائمون! فالصيام الحق - كما نعلم - هو نوع من الاسترخاء النفسى والعقلي.. والصائم الحق، يتصف دوماً بالسماحة الخلقية وبكظم الغيظ وبالعفو عن الناس، كما جاء في الحديث الشريف الذى رواه البخاري: الصيام جُنَّة، فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا جهل، وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم.. نى صائم».

وهكذا يزيد الصيام من قدرة المرء على التحكم في غرائزه وأعصابه.. وبحسب تعبير الدكتور «آلان كوت»: «فإن ممارسة الصوم مريحة، وتبدد القلق والتوتر، كما انها تساعد على استرخاء العضلات المتشنجة وتهدئة الأعصاب المضطربة».

ولئن كان التأثير النفسي للصوم، مثار اعجاب ودهشة الباحثين، فإن آلية هذا التأثير هي الأعجب والأغرب، ذلك أنها تمت بصلة الى آلية عمل الميلاتونين. ويكمن تفسير هذه العلاقة في كلمة واحدة: التوازن. فكلما توغل الباحثون اكثر فأكثر في أسرار الجسم البشرى، زادت قناعتهم بأن الصحة الجيدة للجسم وللنفس أيضاً، تتعلق بالتوازن والتناغم والاتساق، وكما يظهر من أحدث البحوث، فإنه يبدو أن الميلاتونين هو المسئول الأول عن تحقيق حالة التوازن والتناغم تلك.

ويكفي أن نتأمل في بعض هذه النتائج العلمية، لنزداد اقتناعاً:

(١) يصاحب التعرض للصدمات النفسية والكروب، حدوث انخفاض في مستوى الميلاتونين بالجسم.

(٢) يُعاني مرضى الفصام من نقص كمية الميلاتونين في دمائهم.

(٣) تقل نسبة الميلاتونين لدى المرضى الذين يعانون من الاكتئاب النفسي، موازنة بالأفراد الأصحاء.

(٤) يؤدي تنشيط افراز الميلاتونين الى تحسين الحالة النفسية والمزاج العام للمرضى النفسيين.

والواقع أن تعرض المرء للصدمات النفسية ولشتى أنواع الضغوط والكروب، يشجع على تكوين المزيد من الشوارد الحرة، مما يستوجب تزويد الجسم بمدد إضافي من الميلاتونين، لحمايته من شرورها، ووقايته من آثار الكورتيكوستيرويدات التى تطلقها الغدة الكظرية في لحظات الكرب، وفي مواقف الغضب والتوتر.

ونعود فنردد ما يقوله علم النفس الحديث: اذا كنت معرضاً لكروب متزايدة في البيت أو في العمل، فسوف يساعدك الصوم - بمشيئة الله - على اجتياز الأزمة وتخطي المحنة بنفس راضية مطمئنة.

غيلان بن سلمه

بقلم : أ . د . عبده بدوي
ـ الكويت ـ

من الشعراء المقلين ينتمي إلى ثقيف، وقد بدأ حياته بالإشتراك في عدد من الحروب مع قومه، وقد تزوج من عشر نساء في الجاهلية، فلما حضرته الوفاة جمع أبناءه وقال لهم «يا بني٠٠ قد أحسنت خدمة أموالكم، وأمجدت أمهاتكم، فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم وغذا منكم، فعليكم، بيوتات العرب، فإنها معارج الكرم، وعليكم بكل رمكاء[١] مكينة ركينة، أو بيضاء رزينة، في خدر بيت يتَّبع، أو جَد يُرتجى، وإياكم والقصيرة الرطلة[٢]، فإن أبغض الرجال إليّ أن يقاتل عن إبلي أو يناضل عن حسبي القصير الرّطل!

وقد بدأ حياته يحب السفر، فخرج مع ثلاثة منهم أبو سفيان الذي قال: إنا من مسيرنا هذا لعلى خطر، ما قدومنا على ملك جبار لم يأذن لنا في القدوم عليه؟ وليستْ بلاده لنا بمتجر، ولكن أيكم يذهب بالعير، فإن أصيب فنحن براءة من دمه، وإن غنم فله نصف الربح، فقال غيلان أنا لها، ودخل الوادي، ثم خرج في العير، وكان أبيض طويلا جعداً ضخماً ـ فلما دخل بلاد كسرى تطيب، ولبس ثوبين أصفرين، وجلس ببابه حتى أذن له فدخل عليه وبينهما شباك من ذهب، فقال له الترجمان: يقول لك الملك: من أدخلك بلادي بغير إذني؟ فقال له: قل له: لست من أهل عداوة لك، ولا أتيتك جاسوساً لضد من أضدادك، وإنما جئت بتجارة تستمتع بها، فإن أردتها فهي لك، وإن لم تردها وأذنت في بيعها لرعيتك بعتها، وإن لم تأذن في ذلك رددتها، وبينما هو يتكلم سمع صوت كسرى فسجد فقال الترجمان: يقول لك الملك: لم سجدت؟ فقال: سمعت صوتاً عالياً حيث لا ينبغي لأحد أن يعلو صوته إجلالا للملك، فعلمت أنه لم يُقْدمْ على رفع الصوت غير الملك، فسجدت إعظاماً له، فاستحسن كسرى ما فعل، وأمر له بمتكأ يوضع تحته، فلما رأى عليه صورة الملك، وضعه على رأسه فاستجهله كسرى واستحمقه، وقال للترجمان: قل له إنما بعثنا إليك بهذه لتجلس عليها، فرد: قد علمتُ ولكني لما أتيت بها رأيت عليها صورة الملك، فلم يكن حق صورته على مثلي أن يجلس عليها، ولكن كان حقها التعظيم، فوضعتها على رأسي، لأنه أشرف أعضائي وأكرمها عليّ فاستحسن فعله جدا، وقال له: ألك ولد؟ قال: نعم قال: فأيهم أحبّ إليك؟ قال:" الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يؤوب، فقال كسرى: زه، ما أدخلك عليّ ودلك على هذا القول والفعل إلا حظك، فهذا فعل الحكماء وكلامهم، وأنت من قوم جفاة لا حكمة فيهم، فما غذاؤك؟ قال: خبز البُر، قال: هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر، ثم اشترى منه التجارة بأضعافها، وكساه، وبعث معه من الفُرس من بني له قصرا، بالطائف٠

وقد أخذ موقفا في أول الأمر من الرسول عليه الصلاة والسلام، ويقال إنه كان من الذين قالوا كما ذكر القرآن {لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين} ثم كان دخوله الإسلام بعد ذلك٠

ويقال: إن أولاده كانوا: عمارا، وعامرا، وبادية، وحين هاجر عمّار إلى الرسول {صلى الله عليه وسلم} عمد خازن لغيلان إلى مال له فسرقه، ودفنه، وشاع أن ابنه هو الذي سرق فأحزن هذا قلب والده، وصمت عمار عن تبرئة نفسه، فكان أن ذهبت أمَةٌ له إلى غيلان، وأطلعته على حقيقة السرقة، وبراءة ابنه، وطلبت حين يجد المال أن تبتاع وتعتق، فلما وجد ماله أعتقها، وحين وصل هذا الخبر إلى ابنه قال: والله لا يراني

أبدا، ولا ينظر في وجهي.

ثم كانت وفاة ابنه عامر الذي كان مع أخيه عمار في جيش خالد بن الوليد، وقد رثاه بقصيدة طويلة منها:

عيني تجود بدمعها الهتان
سحا وتبكي فارس الفرسان
لو أستطيع جعلتُ مني عامرا
بين الضلوع، فكل حي فان

ويقال: أن ابنته بادية كانت فائقة الجمال، وقد وصفها «هَيْتُ المخنث» لعمر بن أم سلمة أم المؤمنين بقوله «.. إن فتح الله عليكم الطائف فسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يهب لك بادية بنت غيلان، فإنها كحلاء شموع[٣] نجلاء، خمصانة هيفاء، إن مشت تثنت وإن تكلمت تغنت، تقبل بأربع وتُدْبرُ بثمان، وبين فخذيها كالأناء المكفأ».

وقد كسر الحزن قلبه حين قُتِلَ أخوه نافع مع خالد بن الوليد في دومة الجندل، وقال يرثيه:

ما بال عيني لا تُغَمِّضُ ساعة
إلا اعترتني عبرة تغشاني
فلو استطعت جعلت مني نافعاً
بين اللهاة وبين عَكد لساني[٤]

وحين كثر بكاؤه عليه، عوتب في ذلك فقال: والله لا تسمح عيني بمائها، فاضن به على نافع، فلما تطاول العهد انقطع بكاؤه، فقيل له في هذا فقال:

بلي نافعٌ، وبلى الجزع، وفنى وفنيت الدُّموع، واللحاقُ به قريب!

وقد كانت له مواقف تتصل بالحلم على نحو ما نعرف من موقفه من أبي عقيل بن مسعود، فمع أن أبا عقيل ضرب راعي غيلان واستخف به إلا أننا نرى في غيلان حلما أمام هذا الموقف، فقد قال فيما قال:

ألا من يرى رأي امريء ذي قرابة
أبي صدره بالضغن إلا تطلّعا
فسلمك أرجو لا العداوة إنما
أبوك أبي وإنما صَفْقنا[٥] معا

وإن ابن عم المرء مثل سلاحه
يقيه إذا لاقى الكمي المقنعا

وهناك مواقف كثيرة منَّ فيها على أعدائه، ولما أسنَّ، وكثرت أسفاره وملته زوجته، وتجنت عليه، وأنكر أخلاقها، لم يملك إلا أن قال فيها:

يارُبَّ مثلك في النساء غريرة
بيضاء قد صبحتها بطلاق
لم تدر ما تحت الضلوع وغرَّها
مني تحمُّل عشرتي وخلاقي

وتروى له أبيات في العتاب تقول:

ألا بلِّغ معاتبتي وقولي
بني عمي فقد حسن العتاب
وسل هل كان لي ذنب إليهم
هم منه فأعتبهم غضاب
كتبت إليهم كتباً مراراً
فلم يرجع إليَّ لها جواب
فما أدري أغيَّرهم تناء
وطول العهد أم مالٌ أصابوا
فعهدي دائم لهم وودِّي
على حال إذا شهدوا وغابوا[٦]

الهوامش:

(١) الرمكاء: ما كان في لونها حمرة مختلطة بسواد.

(٢) الرطلة بفتح الراء وكسرها: المرأة الحمقاء الضعيفة.

(٣) الشموع: المزاحة اللّعوب، النجلاء: الواسعة العينين. الخمصانة: الضامرة، البطن، الهيفاء: الدقيقة الخصر.

(٤) اللهاة: قطعة من اللحم مشرفة على الحلق، والعكد: وسط الشيء.

(٥) الصفق: الضرب، وهو أيضا ضرب الأيدي عند المبايعة.

(٦) الحماسة البصرية ٦٦/٢.

آثار اكتشاف نصب زوجة النبي لوط عليه السلام

بتاريخ ٧ أيار ١٩٩٠ أعلنت عمّان رسمياً أن نصب زوجة النبي لوط عليه السلام قد اكتشف أخيراً (عن صحيفة البيان ١٩٩٠/٥/٧).

وبهذا فقد اسدل الستار عن قضية حار فيها الكثير من علماء الآثار الذين يهتمون بالجانب التاريخي الذي كانت الكتب السماوية ولا سيما القرآن الكريم مصدراً أساسياً له خاصة في السور الكريمة (الأعراف وهود والحجر والشعراء والنمل).

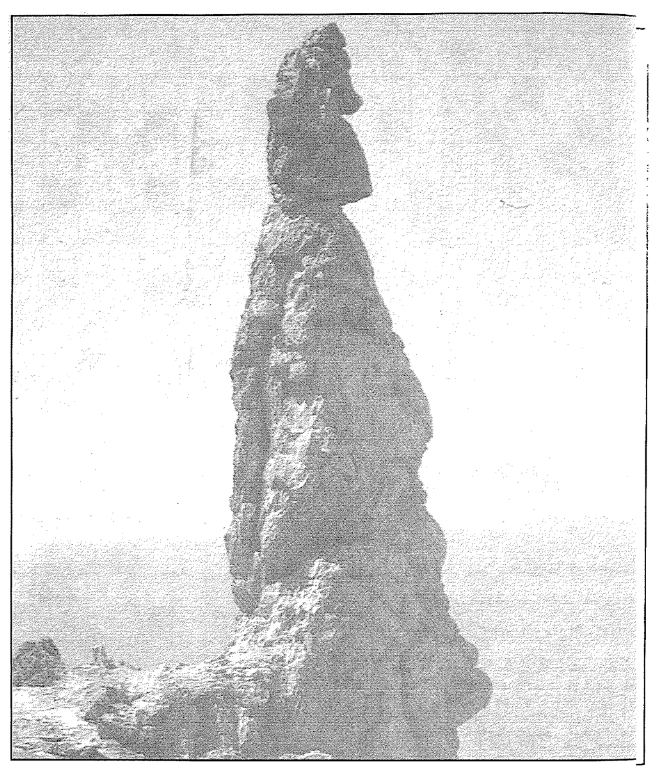
وفي المراجع أن لوطاً جاء من العراق مهاجراً وارسله الله سبحانه وتعالى الى أهل سدوم في دائرة الاردن، وليس له في قومه الذين ارسل إليهم نسب. وحين اراد الله عز وجل اهلاك قوم لوط الخبثاء الاشرار الذين كانوا ارذل واخبث أمة في ذلك الحين، ارسل اليهم الملائكة لتدمير قراهم وقلب عاليها سافلها، وكانت لهم خمس قرى ويزيد عددهم على اربعة مئة ألف. وقد هلكت زوجة لوط عليه السلام مع الهالكين لانها لم تكن مؤمنة. وحل بها من السخط والعذاب ما حلَّ بهم. وقد جاء في كتاب قصص الانبياء لمؤلفه المرحوم عبد الوهاب النجار (ص ١١٦) انه يذكر ان زوجة لوط وهي سائرة للابتعاد عن المدينة التفتت فصارت عمود ملح عقاباً لها.

وان اعلان المملكة الاردنية رسمياً قد جاء بعد رحلة قام بها الباحثة ارسلان رمضان لمشاهدة هذا النصب.

في هذا الصدد يقول ارسلان رمضان: «منذ ان وقع بين يديَّ كتاب قديم باللغة الانكليزية ويعود تاريخه الى ١٩٣٧ ونشرت فيه صورة فوتوغرافية للنصب ظلت تراودني فكرة البحث عن هذا النصب الذي قيل انه موجود الى الجهة الغربية من البحر الميت أي في اراضي فلسطين المحتلة، في حين أن بعض المعلومات التي حصلت عليها تؤكد أن النصب موجود في الجهة الشرقية وفي الطرف الجنوبي للبحر الميت أي في الاراضي الاردنية» وهذا ما ثبت فعلا للباحث حيث وجد ان النصب يقع على الشاطىء الشرقي للبحر الميت وعلى بحيرة لوط في منطقة غور الاردن ويبلغ ارتفاع هذا النصب الصخري حوالي ٤٠ متراً ويبعد حوالي ١٠ كيلومترات الى الجنوب من مصب نهر الموجب على الشاطىء الشرقي للبحر الميت.

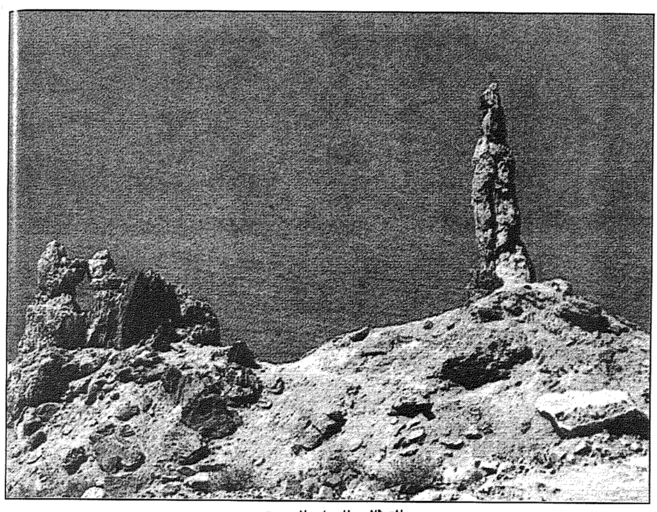
ونص الكتاب يشير الى ان النصب يقع في

سعيد فضلو حداد
- سوريا -



ألتمثال عن قرب

الجانب الغربي لكن مرجعاً غربياً آخر هو كتاب البحث عن سدوم وعمورة الصادر عام ١٩٦٢ في كناس ـ سوري الامريكية لمؤلفه (Ralph.E. Baney) ف باني يقول الباحث بأنه عثر على النصب التذكاري في المنطقة الواقعة جنوبي البحر الميت في الجهة الشرقية والمنشورة صورته هنا. ويقول ايضاً: «لقد وجدت تمثالا من الملح يقع فوق حافة من الصخر على جانب البحر الميت تمثل القصة الشهيرة عن زوجة



التمثال يطل على البحيرة

لوط التي تحولت الى تمثال من الملح عندما التفتت خلفها».

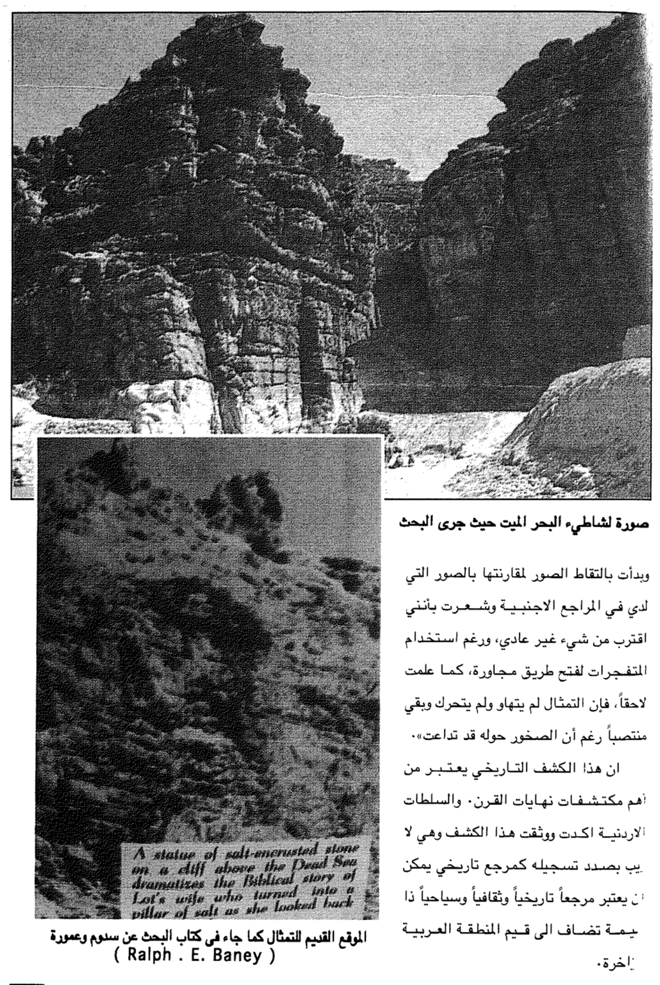
وقد تابع ارسلان رمضان قائلا:

منذ فترة طويلة راودني أن ابحث عن هذا النصب ونشره كحقيقة واقعة فلم يحالفني الحظ. لقد اجتزت شاطئ البحر الميت من شماله حتى مصب نهر الموجب في البحر ومن جنوبه الى نفس المصب، بواسطة قوارب آلية، مرتين. ثم بحثت في الجبال المطلة على البحر الميت بواسطة الدواب وسيراً على الاقدام. كما حلقت بطائرة (هيليوكوبتر) فوق شواطئه الا انني لم اوفق في العثور عليه لانني لم أكن اعرف الموقع بدقة.

ومنذ فترة قريبة بدأت برحلة استطلاعية في البحث عن النصب وبعد ساعتين من السير بمحاذاة الشاطئ توقفت عند مصب نهر الموجب ونزلت لاستعادة ذكرياتي في البحث منذ ربع قرن من الزمن. هنا حيث يشبه الوادي مدخل سيف البتراء وتتدفق منه مياه غزيرة تعيش فيها الاسماك بكثرة ويتكاثر الحمام البري وهو يعيش في أمان بين تخاريب المرتفعات الشاهقة ويبلغ طول الوادي ٨٠ كم حتى مصبّه في البحر الميت.

ويتابع ارسلان رمضان:

«بعد ان اجتزت وادي الموجب ببضعة كيلومترات كانت المفاجأة: لقد شاهدت النصب من بعيد بواسطة المنظار فاقتربت منه ثم ترجلت من السيارة وسرت قليلا على الاقدام حتى اصبحت في مواجهة التمثال



صورة لشاطيء البحر الميت حيث جرى البحث

الموقع القديم للتمثال كما جاء في كتاب البحث عن سدوم وعمورة
(Ralph . E. Baney)

وبدأت بالتقاط الصور لمقارنتها بالصور التي لدي في المراجع الاجنبية وشعرت بأنني اقترب من شيء غير عادي، ورغم استخدام المتفجرات لفتح طريق مجاورة، كما علمت لاحقاً، فإن التمثال لم يتهاو ولم يتحرك وبقي منتصباً رغم أن الصخور حوله قد تداعت».

ان هذا الكشف التاريخي يعتبر من أهم مكتشفات نهايات القرن. والسلطات الاردنية اكدت ووثقت هذا الكشف وهي لا يب بصدد تسجيله كمرجع تاريخي يمكن ان يعتبر مرجعاً تاريخياً وثقافياً وسياحياً ذا يمة تضاف الى قيم المنطقة العربية ناخرة.

أحكام فقهية

تبديد الأوهام المتعلقة ببعض الأحكام

الضَّبُّ:

كثيراً ما يتحدث الناس عن الضب (الحيوان) فيخوضون ويتجادلون فيه، فمن مُحرم ومن مُحَلل ومن مبيح ومن قائل إن الرسول {صلى الله عليه وسلم} أكله ومن قائل أنه لم يأكله، ومن جاهل به فضلا عن أن يقول فيه شيئاً، لذلك عزمت على إخراج هذه الأخبار والأدلة حتى يتبين الحق في حكم الضب، فلنتعرف أولا على الضب ثم نذكر الأدلة، لأن (ذكر الشيء بدليله أوقع في أذن السامع) يقول كمال الدين الدميري:

الضبُّ: حيوان بري، معروف، يشبه الورل، قال أهل اللغة: وهو من الأسماء المشتركة، فيطلق على ورم في خف البعير وعلى ضبة الحديد، والضبة اسم للجبل الذي بمسجد الخيف في أصله، وضبة الكوفة وضبة البصرة.

كنيته:

أبو حسل، والجمع ضباب وأضب، مثل كف وأكف، وقيل في الأمثال: أضل من ضب، والضلال ضد الهداية، وقيل أعق من ضب، وقال الشاعر:

وأخدع من ضب إذا جاء حارس
أعد له عند النباية عقربا

قال ابن خالويه في أوائل كتاب ليس: الضب لا يشرب الماء، ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا، ويقال انه يبول في كل أربعين يوماً قطرة، لا تسقط له سن، ويقال إن أسنانه قطعة واحدة ليست مفرقة، وقيل: للضب ذكران وللأنثى فرجان كالورل، وهو يتلون ألوانا بِحَرِّ الشمس كما تتلون الحرباء.

وسئل أبو حنيفة عن ذكر الضب قال: انه كلسان الحية أصل واحد له فرعان، وإذا أرادت الضبة أن تخرج بيضتها حفرت في الأرض حفرة ورمت فيها البيض وطمتها بالتراب وتتعاهدها كل يوم حتى يخرج، وذلك في أربعين يوماً، وهي تبيض سبعين بيضة وأكثر وبيضها يشبه بيض الحمام، والضب يخرج من جحره كليل البصر فيجلوه بالتحدق للشمس ويتغذى بالنسيم ويعيش ببرد الهواء وذلك عند الهرم وفناء الرطوبة ونقص الحرارات، وبينه وبين العقارب مودة فلذلك يؤويها في جحره لتلسع المتحرش به إذا أدخل يده لأخذه، وفي طبعه النسيان وعدم الهداية وبه يضرب المثل في الحيرة ولذلك لا يحفر جحره إلا عند أكمة أو صخرة لئلا يضل عنه إذا خرج لطلب المطعم، ويوصف بالعقوق لأنه يأكل حسوله فلا ينجو منها إلا ما هرب، وأشار إلى ذلك الشاعر بقوله:

أكلت بنيك أكل الضب حتى
تركت بنيك ليس لهم عديد

وهو طويل العمر ومن هذه الجهات يناسب الحيات والأفاعي، ومن طبعه أنه يرجع في قيئه كالكلب ويأكل رجيعه، وهو طويل الدم بعد الذبح وهشم الرأس، يقال إنه يمكث بعد الذبح ليلة، ويلقى في النار فيتحرك، ومن شأنه في الشتاء أن لا يخرج من جحره، وقد أشار إلى ذلك أمية بن الصلت لما جاء إلى عبد بن جدعان يطلب نائله يقول:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حباؤك إن شيمتك الوفاء
إذا أثنى عليك المرء يوماً
كفاه من تعرضه الثناء
كريم لا يغيره صباح
عن الخلق الجميل ولا مساء

بقلم : عبدالله محمد أبكر
- جدة -

يبـــاري الريح تكرمـــة ومـــجـــداً
إذا مـــا الضب أجـــحـــره الشـــتـــاء

وفي حكْم أكله قال:

يَحِلّ أكل الضب بالإجماع، قال في الوسيط: ولا يؤكل من الحشرات إلا الضب، قال ابن الصلاح في مشكله هذا غير مرض فإن الحشرات اليربوع والقنفذ ذكرها الأزهري وغيره، انتهى كلام الدميري[١].

وينبغي علينا أيضاً: معرفة هدي الرسول [صلى الله عليه وسلم] في الأطعمة حتى تتم صورة البحث، لذلك يقول شمس الدين ابن قيم الجوزية: كان هديه [صلى الله عليه وسلم] وسيرته في الطعام، لا يرد موجوداً، ولا يتكلف مفقوداً، فما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه، فيتركه من غير تحريم، وما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه كما ترك أكل (الضب) لما لم يعتده ولم يحرمه على الأمة، بل أُكِلَ على مائدته وهو ينظر، وأكل الحلو العسل، وكان يحبهما، وأكل لحم الجزور والضأن والدجاج ولحم الحبارى ولحم حمار الوحش، والأرنب وطعام البحر، وأكل الشواء، وأكل الثريد وهو الخبز باللحم، وأكل الخبز بالإهالة وهي الودك، وهو الشحم المذاب، وأكل من الكبد المشوية، وأكل القديد، وأكل الدباء المطبوخة، وكان يحبها، وأكل المسلوقة وأكل الثريد بالسمن، وأكل الجبن وأكل الخبز بالزيت - ولم يكن يرد طيباً ولا يتكلفه بل كان هديه أكل ما تيسر فإن أعوزه صبر حتى إنه ليربط على بطنه الحجر من الجوع، ويرى الهلال والهلال والهلال[٢] ولا يوقد في بيته نار، وكان معظم مطعمه يوضع على الأرض في السفرة وهي كانت مائدته، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقها إذا فرغ، وكان لا يأكل متكئاً، وكان يسمي الله تعالى على أول طعامه ويحمده في آخره، انتهى كلام ابن القيم[٣].

وبعد ما تعرفنا على الضب وما قيل فيه، وهدي نبينا [صلى الله عليه وسلم] في الطعام، نستعرض الأحاديث الواردة في حكم أكله، من كلام سيدنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وأقوال العلماء من المذاهب الأربعة وبيان الراجح منها، قال الحنفية انه حرام، وقال جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة إنه حلال[٤] استدل الحنفية على تحريمه بما يأتي: ما روت عائشة رضي الله عنها ان النبي [صلى الله عليه وسلم] أُهْدِيَ له ضب فلم يأكله فقام عليهم سائل فأرادت عائشة، رضي الله عنها أن تعطيه فقال لها النبي [صلى الله عليه وسلم] «أتعطينه ما لا تأكلين»[٥].

وجه الدلالة من الحديث: أنه [صلى الله عليه وسلم] كره لنفسه ولغيره أكل الضب فدل ذلك على تحريمه ولا يحتمل أن يكون امتناعه [صلى الله عليه وسلم] بسبب أن نفسه الشريفة عافته لأنه لو كان كذلك لما منع من التصدق به.

ونوقش هذا الاستدلال: بأنه لا يدل على التحريم لأنه لا يجوز أن يكون كره لها أن تعطيه السائل لأنها إنما فعلت ذلك من أجل أنها عافته ولولا أنها عافته لما أعطته إياه وكان ما تعطيه السائل إنما هو لله تعالى فأراد النبي [صلى الله عليه وسلم] ألا يكون ما يتقرب به الى الله تعالى إلا من خير الطعام كما نهى أن يتصدق بالبسر الرديء والتمر الرديء مع أن في الحديث نفسه ما يدل على إباحة الضب وهو كونه أُهْدِيَ لرسول الله [صلى الله عليه وسلم] ولو كان محرماً لم يُهْدَ له [صلى الله عليه وسلم][٦].

واستدل من قال بحل الضب بما يأتي:

أ) ما روي ابن عباس، رضي الله عنهما قال: «دخلت أنا وخالد بن الوليد مع رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بيت ميمونة فأتي بضب محنوذ فأهوى إليه رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بيده فقال بعض النسوة اللاتي في بيت ميمونة أخبروا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بما يريد أن يأكل فرفع رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يده فقلت: أحرام هو يارسول الله؟ قال لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه. قال خالد فاجتررته فأكلته ورسول الله [صلى الله عليه وسلم] ينظر. رواه البخاري ومسلم.

وجه الدلالة من الحديث: أن اقرار النبي [صلى الله عليه وسلم] الشيء وسكوته عليه إذا فُعل بحضرته يكون دليلا على إباحته ويكون بمعنى أذنت فيه وأبحته فإنه [صلى الله عليه وسلم] لا يسكت على باطل ولا يقر منكرا[٧].

(ب) وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي قال: «الضب لست آكله ولا أحرمه» وفي رواية عند مسلم عن ابن عمر أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: كلوا فإنه حلال ولكنه ليس من طعامي.

وفي هذا نص صريح على عدم الحرمة الشرعية وإشارة إلى الكراهة الطبيعية.

(ج) قول كثير من الصحابة بحله فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ترك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الضب تقذراً وأُكِلَ على مائدته ولو كان حراماً ما أُكِلَ على مائدة رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن النبي {صلى الله عليه وسلم} لم يحرمه، إن الله عز وجل ينفع به غير واحد فإنما طعام عامة الرعاء منه ولو كان عندي طعمته.

وقال أبو سعيد: «كنا معشر أصحاب محمد {صلى الله عليه وسلم} لأن يُهْدَى إلى أحد ضب أحب إليه من دجاجة»[٨].

فإن قيل إذا كان أكل الضب حلالا فما سبب عدم أكله {صلى الله عليه وسلم} لحم الضب. قيل أن سبب تركه {صلى الله عليه وسلم} أكل الضب أنه ما اعتاده لقوله {صلى الله عليه وسلم} «ولكنه ليس من طعامي» وقد ورد لذلك سبب آخر أخرجه مالك من مرسل سليمان بن يسار فذكر فيه قوله {صلى الله عليه وسلم}: كُلا - يعني لخالد وابن عباس - فإنني يحضرني من الله حاضر - قال المازري: يعني الملائكة. وكان للحم الضب ريحاً فترك أكله لأجل ريحه كما ترك أكل الثوم مع كونه حلالا.

قال الطحاوي: فثبت بتصحيح هذه الآثار أنه لا بأس بأكل الضب وهو القول عندنا والله أعلم بالصواب.

وقال النووي: أجمع المسلمون على أن الضب حلال وليس بمكروه الا ما حُكي عن أصحاب أبي حنيفة من كراهته والا ما حكاه القاضي عياض عن قوم قالوا انه حرام وما أظنه يصح عن أحد وان صح عن أحد فمحجوج بالنصوص وإجماع من قبله.

الترجيح:

هذا ومما تقدم يظهر لنا أن الراجح إباحة أكل الضب لقوة الأدلة التي استدل بها من قال بالإباحة ولم يثبت فيه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} نهي ولا تحريم [٩].

الجراد:

والجراد أيضاً: مما يجهل البعض أمره، فمنهم من يقول انه سامّ ويقتل، أو أنه مضر بالصحة، ومنهم من يستقذره ويحرمه إذا قيل له أنه يؤكل، وهو بلا شك حلال ويؤكل كما سيتبين من الأحاديث والأقوال الواردة في ذلك بعد معرفة الجراد وعجائب خلقته، وكما يقال: (اسأل مجرب ولا تسأل طبيب) فقد أكلنا من الجراد مالا يعد ولا يحصى ولم يصبنا شيء بفضل الله، أيام كانت أسراب الجراد بكثرة في مدن الحجاز، وناهيك عن لذيذ طعمه، والحمد لله أولا وآخر.

الجراد: معروف، الواحد جرادة الذكر والأنثى فيه سواء، يقال: هذا جرادة ذكر، وهذا جرادة أنثى، كنملة وحمامة، قال أهل اللغة: وهو مشتق من الجرد لذا يقال ثوب جرد - أي أملس، وثوب جرد إذا ذهب زبيره، قالوا: والاشتقاق في أسماء الأجناس قليل جدا، وهو بري، والكلام الآن في البري، قال تعالى (يوم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر)[١٠] أي في كل مكان.

والجرادة تكني بأم عوف، والجراد أصناف مختلفة فبعضه كبير الجثة وبعضه صغيرها، وبعضه أحمر وبعضه أصفر وبعضه أبيض، وفي الجراد خَلْقُ عشرة من جبابرة الحيوان مع ضعفه، وجه فرس وعينا فيل، وعنق ثور، وقرنا آيل، وصدر أسد، وبطن عقرب، وجناحا نسر، وفخذ جمل، ورجل نعامة، وذنب حية، وليس في الحيوان أكثر إفساداً لما يقتاته الإنسان من الجراد. قال الأصمعي: أتيت البادية فإذا أعرابي زرع براً له فلما قام على سوقه وجاد أتاه رجْلُ جراد فجعل الرَّجُلُ ينظر إليه ولا يدري كيف الحيلة فأنشأ يقول:

مر الجراد على زرعي فقلت له
لا تأكلن ولا تشغل بإفساد
فقال منهم خطيب فوق سنبلة
إنا على سفر لابد من زاد

قالت الأئمة الأربعة: يحل أكله سواء مات حتف أنفه أو بذكاة أو باصطياد مجوسي أو مسلم قطع منه

شيء أم لا[١١] أما الأدلة في ذلك منها: ما روى البخاري ومسلم عن عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سبع غزوات نأكل الجراد. متفق عليه[١٢] قال الإمام النووي: وهو إجماع، وأخرج ابن ماجه عن أنس قال: (كان أزواج النبي {صلى الله عليه وسلم} يتهادين الجراد في الأطباق) وقال ابن العربي في شرح الترمذي: إن جراد الأندلس لا يؤكل لأنه ضرر محض، فإذا ثبت ما قال فتحريمها لأجل الضرر كما تحرم السموم ونحوها، واختلفوا هل أكل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الجراد أم لا، وحديث الكتاب يحتمل أنه كان يأكل معهم إلا أن في رواية البخاري زيادة لفظ (نأكل الجراد معه) قيل وهي محتملة أن المراد غزونا معه فيكون تأكيداً لقوله مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويحتمل أن المراد نأكل معه، قال الصنعاني: وهذا الأخير هو الذي يحسن حمل الحديث عليه إذ التأسيس أبلغ من التأكيد[١٣]، ومنها: ما روي أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سئل عن الجراد فقال: (أكثر جنود الله لا آكله ولا أحرمه)[١٤] وجه الاستدلال منه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صرح فيه بأنه لا يأكل الجراد ولا يحرمه. وإذا كان صلى الله عليه وسلم لا يحرمه فهو يحله فيكون حلالا. أما كونه لا يأكله فقد يكون قذره كما قذر الضب[١٥]. ومن الأدلة ما روى ابن عمر قال: «أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال» الحديث روي مرفوعاً وموقوفاً على ابن عمر والموقوف أصح كما قال البيهقي[١٦] وفيه تصريح بأن الجراد حلال بل فيه زيادة على ذلك وهو أن ميتته حلال. وبهذا استدل جمهور العلماء على حل ميتتي السمك والجراد بدون تفصيل.

والراجح: لحديث ابن عمر ولأنه إذا كانت تباح ميتته لا يعتبر له سبب كالسمك، ولأنه لو افتقر إلى سبب لافتقر إلى ذبح وذابح وآلة كبهيمة الأنعام.

وأن قوله تعالى {إنما حَرَّم عليكم الميتة}[١٧] عام في ميتة غير الجراد والحديث مخصص لها[١٨].

الهوامش:

(١) كمال الدين الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج٢ الصفحات ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ ط دار الفكر.

(٢) الهلال والهلال والهلال: أي - ثلاثة أشهر.

(٣) شمس الدين ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خبر العباد ج١، ص ١٤٧ - ١٤٨. ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) الدكتور عبد الله الطريقي: أحكام الاطعمة في الشريعة الاسلامية: نقلا عن حاشية الدسوقي والمنهاج والمغني والشرح الكبير والمحلى. قال في المحلى: «أما الضب فإنه مباح في قول أكثر أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وابن عباس وأبو سعيد وأصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

(٥) المرجع السابق: والحديث رواه الطحاوي في شرح معاني الاثار، قال الزيلعي في نصب الراية غريب.

(٦) المرجع السابق: ص ٢١٦.

(٧) المرجع السابق: ص ٢٢٠ نقلا عن شرح النووي على مسلم.

(٨) المرجع السابق: ص ٢٢١.

(٩) أنظر المرجع السابق: ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(١٠) الآية ٤٣ سورة المعارج.

(١١) كمال الدين الدميري: حياة الحيوان الكبرى ص ١٦٨ - ١٨٨ - ١٨٩.

(١٢) انظر البخاري: الباب ١٣ من الذبائح، ومسلم حديث ٥٢ من الصيد.

(١٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام: ج٤ ص ١٤١ دار الكتب العلمية بيروت.

(١٤) رواه أبو داود في كتاب الأطعمة ج٧، وانظر تمام تخريج الحديث في أحكام الأطعمة. للدكتور عبد الله الطريقي.

(١٥) د. عبد الله محمد الطريقي: المرجع السابق ص ٢٥٢.

(١٦) قال الحافظ في التلخيص والتحبير: رواه الشافعي وأحمد وابن ماجة والدارقطني والبيهقي. وتمام التخريج في المرجع السابق ص ٢٥١.

(١٧) سورة البقرة: آية ١٧٣.

(١٨) د. الطريقي: أحكام الاطعمة ص ٢٥٣ نقلا عن المغني والشرح الكبير ج ١١ ص٤١.

الإسلام وحقوق المرأة

ظلت المرأة مصدر الهام لمواضيع الفنون والآداب والحقوق والفلسفة والديانات عبر التاريخ دون شك. فقد تحدث الشعراء والفلاسفة والعلماء كثيرا عن المرأة وأوضاعها وما لها من حقوق وما عليها من واجبات. لقد اكتسب موضوع المرأة بشكل عام اهمية كبيرة بعد الثورة الصناعية والحركات الاصلاحية في الغرب بعد الثورة الفرنسية بشكل خاص. ظهرت حركة أنصار المساواة بين المرأة والرجل في البلاد الغربية بعد تلك الحركات الاصلاحية التي استهدفت رفع شأن المرأة وإعلاء مكانتها في المجتمع وتوسيع مجالات اعمال المرأة لتقوم بدور أكثر تأثيرا واوسع شمولا في ميادين الحياة المختلفة. خطا بعد ذلك الفلاسفة ورجال الادب خطوات وصلت في الغرب إلى حد التعبد للمرأة[١] من امثال هؤلاء اتوكس كونت الذي يرى بأن المرأة يجب أن تحتل المرتبة الأولى بين بني البشر، ويجوز للرجال أن يسيروا وراءها في جميع مجالات الحياة دون اي تردد.

نحاول في هذا المقال ان نحدد مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي كما صورها الاسلام وليس أمامنا مجال لأن نمدح الشرق أو أن نثني على الغرب من خلال معاملة المرأة في التاريخ، سوف نسعى للبحث عن حقوق المرأة في الإسلام من الناحية النظرية بشكل عام ملتزمين بالموضوعية والنزاهة العلمية تاركين معاملة الشرق والغرب للمرأة بين صفحات التاريخ.

مصدر نظرة الإسلام لحقوق الإنسان وغير الإنسان هو القرآن الكريم ورب العالمين، بخلاف الحقوق البشرية الموضوعة، فإن مصدرها هو البشر نفسه[٢] ففقهاء الإسلام يرون أن اهلية الإنسان للحقوق في الإسلام منبعها هو العقد بين رب العزة والإنسان وهذا العقد هو نواة الذمة للإنسان في الحياة الدنيا[٣]، وقد ظهرت الحقوق بشكل عام وشرعت بعد ذلك العقد المعقود الفطري بين الله وعباده في عالم الأرواح وقد اشار القرآن الى ذلك: «وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذُرِّيَّتهُم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى..»[٤] وبعد هذه المعاهدة المقدسة أخذ الإنسان على نفسه القيام بجميع الحقوق التى ألقاها رب العالمين على عاتقه. وذلك لامتناع سائر المخلوقات عن تحمل تلك المسؤولية واشفاقهم منها. يقول الله عز وجل في هذا الموضوع: {إنَّا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا}[٥] ويفسر الألوسيّ هذه الأمانة بأن المقصود منها هي الحقوق التي ينبغي على الانسان حفظها وصيانتها[٦].

تحمل الإنسان اذن المسئولية الحقوقية وأخذ على ذمته حماية حقوق الآخرين ايضا، وهو يمتاز بهذه الصفة عن سائر المخلوقات فأساس تحمل الإنسان هذه الذمة هو امتلاكه العقل الذي لا يمتلكه

بقلم: د. عثمان أسكجى اوغلى
- تركيا -

غيره. وقد انعم الله عزّ وجلّ على الإنسان بنعمة العقل فبذلك لم يعترض على تحمل المسئولية والأمانة[٧] فالعقل اذن هو أساس ذمة الإنسان وقاعدة تحمله المسئولية، فالإنسان مسئول عن حماية حقوق بني جنسه وحقوق المخلوقات الأخرى الحية منها وغير الحية مما يحيط في بيئته الطبيعية.

وهكذا يعبر عن سبب كون الإنسان ذي حقوق بهذه الكلمة الإصطلاحية «الذمة» وهذه الكلمة تفيد تحمل الإنسان الأمانة العظيمة التي تتضمن حماية حقوق الناس والحيوانات والنباتات وغيرها من الجمادات ولا شك أن العقل شرط للإيفاء بهذه الوظيفة[٨].

أما في الحقوق الرومانية فإن العقل يعتبر سببا للحقوق وليس شرطا لها[٩] على أنّ هناك فروقا كبيرة بين الشرط والسبب. ولو ذهبنا بكون العقل سببا للحقوق لواجهنا محظور كبير، حيث يقتضي ذلك عدم ثبوت الحقوق لمن لا عقل له. وذلك لان وجود المسبب متوقف على وجود السبب، وانتفاء السبب يؤدي الى انتفاء المسبب.

لقد ادى اختلاف الفقه الإسلامي عن الحقوق الرومانية في موضوع سبب الحقوق إلى اختلافهما في موضوع بداية الشخصية. فالشخصية في الحقوق الرومانية تبدأ بالولادة، أما في الفقه الإسلامي فإن الشخصية والحقوق المرتبة عليها تبدأ بتشكل الجنين في رحم أمه، فالجنين في بطن أمه يستحق الميراث والنسب والوصية وما شابهها من الحقوق[١٠].

وعندما اعلن سبحانه وتعالى بخلق خليفة في الأرض فانه لم يميز في ذلك بين الرجل والمرأة[١١] فليس ههنا ايّ فرق بينهما من ناحية كونها خليفة في الأرض. فالمرأة مثل الرجل أهل لثبوت حقوقها. وقد اعترف الاسلام للمرأة بجميع الحقوق الدينية والعلمية والإدارية والسياسية والإقتصادية والأسرية. فالمرأة مثل الرجل تمتلك حق الإنتخاب والنيابة. فلها أن تَنْتَخب وتُنْتَخَبَ. وهذا حق سياسي مقرر لها.

وليس في القرآن الكريم والسنة النبوية أمر يُحْرِمُ المرأة ويجردها عن الحياة السياسية. وقد جاء فقط في حديث رواه البخاري: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»[١٢] فقد ذهب كثير من علماء الإسلام آخذين بهذا الحديث إلى عدم جواز ولاية المرأة خليفة أي رئيسا للدولة[١٣] على أن الآية الكريمة: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض}[١٤] تفيد صراحة بأن المرأة ايضا ذات ولاية في الإسلام. فلذلك لا يصح القول بأن الولاية خاصة بالذكر فقط في كل حال وكل مكان. فليس ههنا نص يفيد ذلك. فلو قيل فيما مضى ما يفيد ذلك فنستطيع أن نقول إن ذلك ناجم عن الاجتهاد. فقد قال النبي {صلى الله عليه وسلم} هذا الحديث لما مات شيرويه كسرى ايران ولم يكن له ولد أو أخ يقوم مقامه فسمع النبي {صلى الله عليه وسلم} تنصيب بوران بنت كسرى ملكة على إيران. فحينما قال النبي {صلى الله عليه وسلم} هذا الحديث في هذا الصدد[١٥] كان الغرض من «القوم» الذين ذكروا في الحديث هم الإيرانيون الذين ولّوا عليهم بوران بنت كسرى[١٦] فلو فسرنا الحديث بمعنى أن المرأة لا يجوز أن تكون رئيسة للدولة وأنها لا تملك حق الولاية العامة. فحينئذ يكون في ذلك مخالفة للآية المذكورة، حيث ذكرنا قبل قليل أن الآية الكريمة تصرح بولاية الرجال والنساء بعضهم لبعض.

ومن ناحية أخرى نرى أن القرآن الكريم يقص علينا ما جرى بين النبي سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ. فبلقيس كانت تحكم على بلادها وتدير شؤون مملكتها بنظام الشورى، ولا تتخذ أي اجراء الا بعد عرضه على البرلمان، فكانت بلادها تعيش تحت هذا النظام في رغد وسعادة وكرامة[١٧].

ولا شك أن احد الموضوعات التي تجري حولها المناقشات الهامة في البيئات الاسلامية هو موضوع استخدام المرأة. فقد نجد في القرآن الكريم آية في

هذا الموضوع تعبّر أن عمل المرأة واكتسابها من ذلك عائل لها: {ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما}[١٨].

وقد نقل الينا التاريخ أن الخليفة عمر بن الخطاب كلف الشفاء بنت عبد الله بالتفتيش في العاصمة المدينة المنورة[١٩].

والمرأة لها حقوق وحريات هامة في الحياة العائلية أيضا. فلها حرية تامة في موضوع الزواج. تتزوج بمن تشاء وتقرر ذلك بنفسها. لأن الآية الكريمة تقول: {فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره}[٢٠] تحكم بأن زواج المرأة أمر يخصها وعائد إليها.

والمرأة تستوي مع الرجل في الحقوق التي تخص شئون البيت والأسرة والأولاد وتمتلك الحقوق نفسها التي يمتلكها الرجل. فكل منهما يعبر عن رأيه ويتفق مع صاحبه بكمال الحرية حسب ما تقتضيه الحياة الأسرية. فالقرآن الكريم قد ساوى بين الأب والأم في هذا الموضوع حيث يقول: {فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما}[٢١].

المصادر:

(١) Paul Janet-Gabriel Seailles مطالب ومذاهب (ترجمة: الماليلي محمد حمدي يازير) مطبعة خزندار اوفست ١٩٧٨ استانبول ص ٣٨٥.

(٢) حلمي ضيا اولكن، اسلام دوشونجسي، مطبعة رضا جوشكون، استانبول ١٩٤٦، ص ٧٠ - ٨٢.

(٣) ملا خسرو، مرآة الأصول، مطبعة عامرة، استانبول، ١٨٩٠ (٣٠٧)، ص ٣٢١.

(٤) الأعراف/١٧٢.

(٥) الاحزاب/ ٧٢.

(٦) الألوسي، روح المعاني، الطباعة المنيرية، بيروت بدون تاريخ، ج ٢٢، ص ٩٦.

(٧) ملا خسرو، مرآة الاصول، ص ٣٢١.

(٨) راجع : عمر نصوحي بيلمن، حقوق اسلامية واصطلاحات فقهية قاموسي، مطبعة بيلمن، استانبول ١٩٦٧، ج:١، ص: ٢٢٨.

(٩) راجع: ملا خسرو، مرآت، ص ٤٠ - ٤٥؛ محمد أبو زهرة، اسلام حقوقي متودولوجيسي، (الترجمة: عبد القادر شن آر)، مطبعة فون، انقرة ١٩٨١، ص ٥٣ - ٥٦.

(١٠) راجع: جاهت اوغوزاوغلي، روما حقوقي، مطبعة يني دسن، انقره ١٩٥٩، ص ٥١؛ ملا خسرو، المرجع السابق، ص ٣٢١؛ محمد ابو زهرة، المرجع السابق، ص ٢٨٤.

(١١) راجع: البقرة/٣٠.

(١٢) البخاري، المغازي، ٨٢.

(١٣) راجع: الماليلي محمد حمدي يازير، حق ديني قرآن ديلي، مطبعة أبو الضيا، استانبول ١٩٣٨، ج٢، ص ١٣٤٩.

(١٤) التوبة ٩/ ٧١.

(١٥) راجع: محمد صوفي أوغلي ، صحيح بخاري ترجمسي، اوتوكن نشريات، استانبول ١٩٨٧، ج٩، ص ٤١٢٤.

(١٦) راجع: خير الدين قارامان، قادينك شاهدلغي، اورتنمسي وقامو كوروي، جريدة اسلامي آرشترملر، ج ٥، عدد ٤ ص ٢٩٠.

(١٧) أنظر الآيات من سورة النمل رقم (٢٢ - ٢٤).

(١٨) النساء/٣٢.

(١٩) محمد حميد الله، اسلاما كيريش، عرفان يايينلري، (ترجمة كمال قوشجي)، استانبول ١٩٧٣ ص ٢١٣.

(٢٠) البقرة/ ٢٣٠.

(٢١) البقرة/ ٢٣٣.

التدخين .. الخط

التدخين الموت البطيء

كَثُر الحديث عن التدخين ومضاره الصحية التي باتت مؤكدة من جانب مختلف مراكز البحث العلمي.. وعلى الرغم من كل التحذيرات والنداءات التي تطالعنا كل يوم عن مخاطر التدخين فإن نسبة غير المدخنين من حولنا لا تزال عند المستوى غير المتوقع أن تكون عليه، وعلى الرغم أيضاً من أن كثيراً من المدخنين يبدون عدم ارتياح لعادة التدخين إلا أنهم يجدون أنفسهم غير قادرين على الإقلاع عن هذه العادة بل إننا نخشى القول أن نسبة المدخنين السابقين في إزدياد.!

ولم يعد هناك أدنى شك في أن التدخين يكون له مضاره الجسيمة على صحة الإنسان، بصورة يمكننا معها القول بأن التدخين عمل من أعمال تدمير الذات وضرب من خروب الإنتحار.. ولا يقتصرخطر التدخين على الفرد المدخن وحسب بل يتخطاه إلى المحيط الأسرى والاجتماعي الذي يعيش فيه المدخن، فما هي قصة الإنسان مع التدخين؟ لماذا يدخن الناس؟ وكيف يمكن مساعدتهم على الإقلاع عن التدخين؟ وما هي الآثار الاجتماعية التي تترتب على التدخين؟.

التدخين عادة قديمة:

تعود قصة الإنسان مع التدخين إلى فترة بعيدة.. تبدأ عندما جيء بالتبغ Tobacco لأول مرة إلى أوربا عند عودة كلومبس من الأرض الجديدة - أمريكا - ومنذ ذلك الوقت انتشرت عادة التدخين في أوربا.. لتنتقل بعدها إلى آسيا وأفريقيا وبقية بلدان المعمورة. وقاوم الناس هذه العادة في البداية وخاصة سكان المناطق الريفية الذين يتميزون بالمحافظة والتمسك بالتقاليد والمعايير. ولم يفلح الملك جيمس الأول ملك إنجلترا سنة ١٦٠٤م في منع انتشار التبغ، بعد أن أصبح التبغ يشكل عنصراً حيوياً بالنسبة لميزانية الحكومة الفيدرالية لأمريكا ذاتها واقتصادها القومي[١].

- وينظر العلماء الاجتماعيون إلى التدخين على أنه مجرد عادة كغيرها من العادات التي يكتسبها الإنسان في حياته مثل تناول نوع معين من المأكولات أو الذهاب إلى المسرح.. ولكنها عادة ضارة بالفرد والمجتمع على السواء.

- ورغم أن علماء الاجتماع لم يولوا اهتمامهم بهذه الظاهرة إلا مؤخراً.. إلا أن هناك بعض النتائج التي انتهت إليها المسوح الاجتماعية في هذا الشأن حول عادة التدخين والمدخن؟ حيث تشير الى عدد من العوامل الاجتماعية المرتبطة بالتدخين أهمها:

- أن سكان المناطق الريفية، عموماً ، من كلا الجنسين وفي مختلف الأعمار تقل نسبة المدخنين بينهم مقارنة بسكان المناطق الحضرية كما تقل نسبة المدخنين في المناطق الريفية التي تعمل بالزراعة عن المناطق الريفية التي لا تعمل بالزراعة.

- لم تكشف المسوح الاجتماعية عن وجود علاقة بين السلالة والتدخين ولكنها كشفت عن وجود اختلاف بالنسبة للديانة حيث تقل نسبة المدخنين مثلا بين البروتستانت عنها بين اليهود وتتضاءل نسبة المدخنين بين المسلمين نسبيا[٢].

لماذا يدخن الناس؟ وكيف يبدأ الفرد عادة التدخين؟..

تتعدد العوامل وتتداخل بحيث يصعب علينا تحديد

خلاف خلف خلاف
- مصر -





قوة تأثير أحد تلك العوامل لمعرفة تأثيره النسبي.. فضلا عن أن هذه العوامل لا تزال بحاجة إلى دراسة وبحث .. غير أن ما تؤكده المسوح الاجتماعية في هذا الشأن هو أن العوامل المرتبطة باستمرار عادة التدخين تختلف إلى حد كبير عن تلك التي أدت إلى الدخول إلى هذه العادة.

ويمكن القول بأن هناك عوامل سوسيو شخصية Socio - Personal ترتبط بعادة التدخين وهي:[٣]

- **حب الاستطلاع أو الفضول.**
- **البحث عن مكانه داخل جماعة الكبار.**
- **تحقيق المكانة بين جماعة الأقران.**
- **الحاجة إلى تأكيد الثقة بالنفس.**
- **الرغبة في احتلال مكانة الكبار.**
- **القلق الموقفي الذي يمر به الفرد.**

ولم يقتصر الاهتمام على مجرد فهم لماذا يدخن الناس؟ ولكنه امتد ليشمل كيفية مساعدة المدخنين على التخلي عن هذه العادة؟ وفكر العلماء في مداخل وطرق لمواجهة هذه العادة الضارة بالفرد والمجتمع. فكان أن استخدموا الأساليب التعليمية للتوعية بمخاطر التدخين.. كما إستخدموا أسلوب الاتصال الشخصي



والعلاج الطبيعي داخل جماعات. ولم تكن النتائج التي تم التوصل إليها باتباع تلك الأساليب مرضية كثيراً حيث تراوحت معدلات النجاح بين ١٠٪ الى ٢٠٪ فقط[٤].

الآثار الضارة للتدخين:

مرت خمس قرون تقريباً على وصول التبغ إلى أوربا.. لم يبد خلالها العلماء سوى اهتمام ضئيل لآثار التدخين على صحة الفرد والمجتمع، ومع بداية هذا القرن وبالتحديد ١٩٠٠م خرج أول تقرير علمي يشير الى مخاطر التدخين على الإنسان وخاصة فيما يتصل بعلاقته بمرض السرطان Cancer. ومع بداية الثلاثينيات من هذا القرن أخذ علماء من مختلف بلدان العالم يعرضون إحصاءات حيوية تؤكد علاقة التدخين بسرطان الرئة وأمراض القلب وأمراض أخرى[٥].

- ومع منتصف الخمسينيات أصبحت تلك النتائج مؤكدة من قبل مختلف مراكز البحث والهيئات العلمية وعلى رأسها الجمعية الأمريكية لمرضى السرطان ورابطة أمراض القلب الأمريكية ومجلس البحث الطبي البريطاني وغيرها من هيئات ومراكز البحث العلمي في السويد والدنمارك والنرويج وفلندا.

- ويكشف تحليل الدخان المتخلف عند احتراق التبغ عن مئات المواد الكيماوية التي من بينها الكثير من المواد السامة، حيث يحتوى التبغ على نسبة من النيكوتين تبلغ ٢٠٪ والنيكوتين مخدر سام، وهو أيضاً واحد من أقوى المبيدات الحشرية، بالإضافة إلى أن دخان السيجارة يحتوى على نسبة ٥٪ من أول أكسيد الكربون[٦]. وقد يكون ما تحتويه السيجارة من نيكوتين وأول أكسيد الكربون لا يكفى لقتل المدخن.. لكنها تفعل فعل السم البطيء!.

الآثار الاجتماعية للتدخين:

تناول الباحثون الآثار الصحية للتدخين.. وأغفلوا الآثار الاجتماعية.. فهل يدرك المدخن أن خطر التدخين يتخطى مستوى الفرد المدخن فيؤثر على مجال الأسرة والمجتمع.

ـ هل يعلم المدخن أنه يجني على الأبناء ٠٠ الذين هم زينة الحياة الدنيا ويقدم بالتالي للمجتمع أفراداً ضعافاً، فقد اكتشفت دراستان حديثتان، نشرنا مؤخراً في المجلة الامريكية لطب الأمراض السارية، وجود علاقة بين تدخين الوالد وإصابة الأطفال بالسرطان وأمراض أخرى معدية مثل التهاب جهاز الهضم وأمراض الجهاز التنفسي.

فقد أظهرت الدراسة الاولى أن الأطفال الذين يدخن آباؤهم يكونون أكثر تعرضاً للإصابة بالأمراض المعدية بثلاث أو أربع مرات من أطفال الآباء الذين لا يدخنون، بينما أظهرت الدراسة الثانية أن الرجال الذين يدخنون أكثر قابلية لإنجاب أطفال يصابون بسرطان الدماغ وسرطان الدم، كما أظهرت تلك الدراسة أيضاً إن دخان السجائر يضعف الحصانة الطبيعية للطفل[٧].

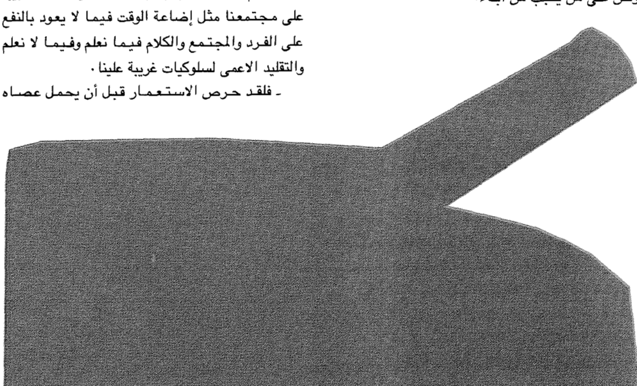
ـ وفي دراسة أجريت، في جامعة نورث كارولينا بأمريكا، على عينة مكونة من ٢٢٣ طفلا مصابين بالسرطان، و١٩٦ طفلا غير مصابين٠٠ أظهرت الدراسة أن خطر الإصابة بسرطان الدم والأنسجة يكون أكبر ٣٠٪ عند الاطفال الذين تدخن أمهاتهم أثناء فترة الحمل من الأطفال لامهات لا يدخن في فترة الحمل[٨]. وهكذا يجني المدخن لا على نفسه فقط ولكن على من ينجب من أبناء.

ـ يتأثر الأطفال في المحيط الأسرى بهذه العادة السيئة، حيث يجدون أنفسهم يقعون في دائرة الخطر المباشر٠٠ عندما يكون المثل المباشر الذى يحيط بهم متمثلا في آبائهم أو إخوانهم الكبار من المدخنين٠٠ وقد كشفت البحوث أن قابلية الفرد للتدخين تكون في الأسرة التى يكون فيها الوالدان أو أحدهما مدخناً مقارنة بالأبناء الذين لا يدخن آباؤهم.

ـ إن عادة التدخين قد تنمى عادات أخرى ضارة بالفرد والمجتمع، كأن تدفع الأبناء إلى الكذب على الآباء من أجل توفير المال اللازم للحصول على السيجارة، كما أن التدخين قد يكون بداية الطريق إلى الانحراف والاتصال برفاق السوء٠٠ إذ من الطبيعي أن يكون للفرد رفاق في مختلف مجالات الحياة ولكن المسألة هي نوعية هؤلاء الرفاق٠٠ فإذا كان هؤلاء الرفاق، رفاق سوء تكون النتائج خطيرة. وقد أبانت كثير من الدراسات أن نسبة كبيرة من المنحرفين عموماً كان انحرافهم نتيجة الاختلاط برفاق السوء٠٠ وغالباً ما يكون الانضمام الى هذه الجماعات بدافع المجاراة والتجريب لكل ما هو غريب وشاذ.

وهناك الكثير من الآثار السلبية الضارة لعادة التدخين، المنظورة وغير المنظورة٠٠ التي ابتلينا بها هذه الأيام ضمن ما ابتلينا به من سلوكيات تعد غريبة على مجتمعنا مثل إضاعة الوقت فيما لا يعود بالنفع على الفرد والمجتمع والكلام فيما نعلم وفيما لا نعلم والتقليد الاعمى لسلوكيات غريبة علينا.

ـ فلقد حرص الاستعمار قبل أن يحمل عصاه



ويرحل، بعد أن جثم على صدر الأمة فترة طويلة، أن يربي أجيالا على طريقته الخاصة٠٠ يفرغ قلبها من العقائد ويملأ الجو حولها بالمثيرات٠٠ ليضمن استمرار تبعية هذه المجتمعات له ودورانها في فلكه٠٠ وما انتشار عادة التدخين بين بعض الشباب إلا ضرباً من التخريب والهدم لرأس المال البشري اللازم لقيام عمليات التنمية والإصلاح، والتي تصدرها لنا قوى الشر التي تتربص بنا في كل وقت وكل حين ٠٠ والحل يكمن في الارتباط بقيمنا الأصيلة وديننا الحنيف.

- ونقول لمن لا يدخن: إن عدم البدء في التدخين أيسر من الإقلاع عنه٠٠ وليعلم أن التدخين إنما هو ضرب من ضروب الانتحار وقتل النفس، والمسلم لا يملك ناصية نفسه، بل هي ملك للخالق سبحانه وتعالى وليس للمسلم أن يتصرف في ذاته وفق هواه، إذا كان ليس له أن يقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، فما بالنا وقتل النفس!!

- وليعلم المسلم، غير المدخن، أيضا أن فترة الشباب لها عند الله حساب خاص ٠٠ وفي الحديث «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به[٩]٠

ويُسأل المسلم عن فترة الشباب خاصة لأنها فترة قوة بين مرحلتي ضعف تسبق احداهما وتعقب الأخرى٠٠ قال تعالى «الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير} (الروم/ ٥٤) وهل نصر الأوائل هذا الدين إلا في إبان شبابهم.

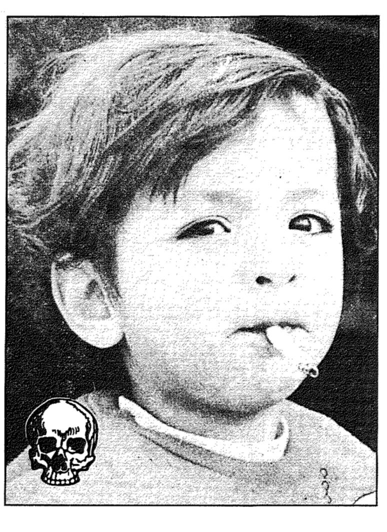
- ونقول لمن يدخن: إن الإقلاع عن التدخين لا يحتاج إلى مجرد الرغبة فقط، ولكن يحتاج إلى إرادة قوية حازمه٠٠ والفرد المسلم هو الذى يربى نفسه ويهذبها ويضبط شهواتها٠٠ قال تعالى ٠٠ {ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها٠ قد أفلح من زَكَّاها٠ وقد خاب من دساها} (الشمس/٧ـ ١٠) ومعنى زَكَّاها: أي ربَّاها[١٠]، وجعل أهواءها مضبوطة وجعلها تسير وفق ما أراد الله لها٠ فإن الإنسان إذا ترك نفسه على هواها واسترسلت وفق رغباتها فإنها ما تقوده إلا إلى كل سيء وخبيث٠٠ وما استطاع هذا الإنسان أن يصنع خيراً لنفسه أو لغيره٠٠ وهناك قاعدة تربوية أشار إليها الإمام الشافعي قائلا: نفسك إذا لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

وكما قال البوصيري؛ والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم.

ويقول الشاعر؛ والنفس راغبة إذا رغبتها ٠٠ وإذا ترد إلى قليل تقنع.

- وتقع على التربية مسئولية كبيرة في هذا المجال[١١]٠ في التمسك بتعاليم ديننا الحنيف٠٠ الذى هو سبب نجاتنا في الدنيا والآخرة وفيه عزنا٠٠ فلا نكون مقلدين للآخرين تقليداً أعمى، محافظين على الشارات المميزة لنا كمجتمع إسلامى يعرفنا بها الآخرون دائماً، وأمة ميزها الله سبحانه وتعالى بالسلوك القويم ليصدق فينا قول الله تعالى {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر} (آل عمران/١١٠).





- إن مواجهة هذه العادة الضارة أصبح ضرورة حيوية .. تحتاج إلي تضافر الجهود بين مختلف المؤسسات المعنية بتنشئة الفرد وإعداد المواطن الصالح في المجتمع، ابتداء من الأسرة والمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام الجماهيرى بوجه عام. ولقد أنشأت بلدان كثيرة لجانا رسمية لمواجهة خطر التدخين.. ومن ثم فإن الأمر يحتاج إلى ضرورة تكوين لجنة عليا للإشراف على حملة قوية تواجه بحسم وبإدراك لمدى الخطورة التى يتعرض لها الفرد والمجتمع من جراء انتشار عادة التدخين.. وبما يضاعف الانتباه إلى أخطار التدخين.. والقضاء على مصدر من مصادر الخطر المباشر وأحد كوارث العصر!

الهوامش:

(١) David L. Sills, International Encyclopedia of Social Sciences editor, the Macmillan Company and the free press, N.y.voal.13. 1968, PP. 335 - 336.

(٢) Ibidi P. 337.

(٣) Hochliaum, G. Psycho Social Aspcts of Smoring in M.S. Surgeon general,s Advisory Committe, Public Health Service Publication, No: 1103, Washington, 1964, PP 359 -364

وأنظر أيضا:

Kissen, David M., Psych - Social Aspects of Cigarette Smoking, Gournal of Health and Human behoviour, 1960, P.163 - 170.

(٤) .David L.Sills, op. cit., p. 338

(٥) Ibid, p, 337

(٦) محمد رفعت: الآفات الاجتماعية والأمراض لنفسية، الطبعة الثانية، مؤسسة عز الدين للطباعة النشر، بيروت، ١٩٨٨م ص٥٩.

(٧) حيث أظهر التقرير الذي نشره المركز القومي لإحصائيات الصحبة في الولايات المتحدة الأمريكية، في دراسة شملت حوالي ٣٧٫٠٠٠ أسرة، أظهر نتائجها أن الأطفال الذين يعيشون مع آباء وأمهات يدخنون السجائر. يتعرضون للإصابه بأمراض الجهاز التنفسي بنسبة ٣٠٪ أكثر من الأطفال الذين يعيشون مع آباء وأمهات لا يدخنون.

- انظر محمد رفعت - مرجع سابق ، ص ص ٨٥ - ٨٧.

(٨) عن مجلة (إقرأ): أسبوعية سياسية اجتماعية ، العدد ٨٢٤ - ١٩٩١/٧/٢٥ ص ٤٨.

(٩) رواه الترمذي في صفحة القيامة، وقال هذا حديث غريب، تحفة الاحوذي ٧/١٠٠، وحسن الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٢٩٩ - ٢٥٣٠).

(١٠) محمد الغزالي، محاضرات في اصلاح الفرد والمجتمع، البشير للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٩م ص ص ١١٣ - ١١٥.

(١١) أنظر في ذلك، محمد عبد العليم مرسي، التربية ومشكلات المجتمع في دول الخليج العربية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض ١٩٨٩م.

٣١ ـ التحقيق والتأليف:

خرجت في بداية هذا القرن نفائس التراث الإسلامي والعربي على يد جماعة من العلماء المحققين، فدبّ النشاط العلمي في العروق الذابلة، وتنبهت العقول النائمة.

ثم دارت عجلة الزمن وانهمر سيل المخطوطات المحققة على يد نخبة من العلماء كأحمد زكي وسيد أحمد صقر وأحمد شاكر ومحمود شاكر وعبد السلام هارون وحمد الجاسر وأحمد عبد الغفور عطار، فلم يبق اليوم شيء يذكر من النفائس مما عرفت نسخه الخطية في خزائن الكتب، فأصبح ما يظهر محققاً في هذه الأيام شيء من المخطوطات لكتب متأخرة في زمانها ضعيفة في قيمتها العلمية من المكررات والمختصرات والحواشي والتعليقات مما غرق في التقليد والتكرار والحشو الممل والاستطراد المخل الذي لا قيمة له.

ولهذا أرى أن ينتقل علماؤنا وأبناؤنا في الدراسات العليا من مرحلة خدمة التراث إلى مرحلة المشاركة في صناعته، أعنى التأليف وكتابة الموضوعات لتستمر عجلة العلم في دورانها.

ونحن عشاق العربية من اللغويين نسرّ لظهور موضوع جديد أكثر من سرورنا لخروج مخطوط متأخر لم يحقق من قبل؛ لأن في الموضوع إضافة وزيادة، ولا يتحقق ذلك في مخطوط متأخر مكرر المادة في الغالب.

والتأليف ـ أيضاً ـ أنفع للمؤلفين؛ فهو يشحذ الأذهان، ويصقل المعارف، ويخرج العلماء القادرين على استنباط النتائج من المقدمات، واستيلاد





الحقائق من بطون المجازات.

والتأليف إبداع ونمو، أما التحقيق فهو صنعة، هو حرفة من الحرف، هو ممارسة وخبرة، لا تحتاج إلى إعمال فكر وكدّ ذهن، أما أنه قتل للإبداع فذاك حق.

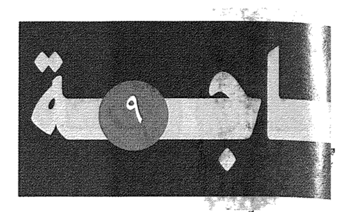
٣٢ ـ رثاء ضرس:

فارقت ضرسي هذا الصباح المشؤوم، وألقيت عليه نظرة وداع أخيرة وهو في يد طبيب جبار ساقتني قدماي إلى عيادته دون تفكير!

ألقيت على ضرسي نظرة أخيرة وكماشة الطبيب الجبار تعض عليه بعنف من الخارج، والسوس ينخره من الداخل.

ألقيت على ضرسي نظرة أخيرة وأنا أحس معركة حامية بين الألم والبنج ميدانها جسدي النحيل ونتيجتها معروفة.

أحسست بغصة خانقة في حلقي لمفارقة ذلك



الضرس الذي عرفته وفياً مخلصاً منذ زمن بعيد يزيد على ربع قرن، فقد لازمني كاسمي، ولم يتخلف عني قط، فشاركني في السراء والضراء، وشاهد معي الأحداث الجسام في طفولتي وشبابي ورجولتي، وحضر معي كل الولائم والموائد الخفيف منها والثقيل، فذقنا سوياً حلو الطعام ومرَّه، ولينه وشظفه، وخضمنا وقضمنا.

وأشهد أنه أظهر عند النزال والمقارعة ثباتاً عجيباً وشجاعة نادرة فتمكن حبه من قلبي فآثرته على سائر أضراسي.

ألقيت عليه نظرة أخيرة، واستحضرت أشهر المراثي في الشعر العربي وأقواها لرثائه، فأنشدت فيه بصوت شجي استوقف عابري السبيل في ذلك اليوم المشهود، وكنت أقول مع الشاعر العربي القديم:

أي طود من الرواسي العظام
فجعتنا به يد الأيام
هدمته نوازل الدهر، والدهـ
ـر ولوع بهدم عز الكرام
فهوى شاطياً من الذروة الـ
قعساء قسراً وأنفه في الرغام
صاحب كان لي وفياً وبي
براً حفياً يعولني بالتزام
وخليلي في كل مخمصة
كان عتيد الإطعام والإنعام
كاسر طاحن إذا اصطدم الصنْـ
ـفان ماضي الشبا ألدّ الخصام
ضعضعت ركنه الخطوب وثلْـ
ـلت عرش سلطانه المنيع السامي
أين مني وأين، هيهات أني
أتهنى من بعده بطعام

حمى الله أضراسنا جميعاً من كل سوس، ووقاها من كماشات الأطباء الجبارين وكلاباتهم، ورحم الله الشاعر العربي القديم.

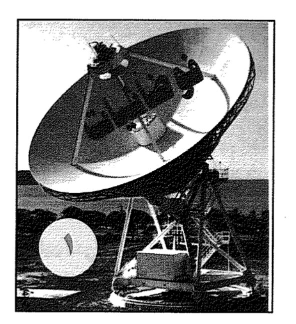
٣٢ - الحاجيات المنزلية:

قال الدكتور إبراهيم السامرائي: «وقد يجمعون حاجة على حاجيات فيقولون: الحاجيات المنزلية، ولا ندري كيف جيء بهذه الياء» (التطور اللغوي التاريخي ١٢٦).

والجواب عندي أن أصل حاجة (حَوَجَة) ووزنها (فَعَلَة) فقالوا في اسم الفاعل: حاوجه ثم قلبت الواو همزة فيكون التقدير: حائجة مثل قائلة، ثم أحدثوا في الكلمة قلباً مكانياً فقالوا: حاجِوة على وزن (فالعة)، فعادت الهمزة إلى أصلها وهو الواو لزوال علة القلب (الإبدال) ثم قلبت ياء بسبب الكسرة، فقالوا: حاجية مثل ناجية ووزن حاجية (فالعة) فقالوا في الجمع حاجيات كما قالوا: ناجيات.

وإن صح هذا التوجيه فلا شذوذ في قول العامة: الحاجيات المنزلية، لأن القلب شائع في كلام العرب.

البروفي



عندما تشاهد على شاشة «التلفزيون» أحد العلماء أو المفكرين ضيفا على برنامج ما ٠٠ تجده يتلعثم ٠٠ وأفكاره مشتته، مما يجعلك تشك في أن هذا الذى أمامك هو صاحب الأفكار النيّرة، والكتابات التى بهرتك وتبهرك، وجعلتك تنتظر البرنامج الذى أعلن أنه سيستضيفه للانتفاع بعلمه وأفكاره.

وتسائل نفسك ٠٠ أيمكن أن يكون هذا الضيف من نقرأ له؟

أيمكن أن يكون هو صاحب الأفكار المرتبة ٠٠ والصيت الذائع؟!

وقد تعزي هذا (اللاتوازن)، وهذا الارتباك الى ما يسمى بـ «هيبة الكاميرا» ٠٠ وفي هذا شيء من الحقيقة٠٠ ولو أن بعض «الضيوف» الذين اعتادوا الجلوس أمام الكاميرا، في عدد من البرامج تحصنوا من هذه الهيبة.

وحتى الذين تحصنوا بمناعة ضد «هيبة الكاميرا» يرتبكون عندما يطرح عليهم مقدم البرنامج أسئلته٠٠ ولكن لماذا هذا الارتباك؟؟!

المعروف أنه قبل نقل البرنامج على الهواء (البث المباشر) في مثل هذه البرامج يجلس مقدم البرنامج مع «الضيف» ويطرح عليه الأسئلة التى حددها له معدّ البرنامج٠٠ ويجيب عليها الضيف - قبل الظهور على الشاشة - لطمأنة مقدم البرنامج على أن الإجابة ستكون في حدود الوقت المحدد للبرنامج.

وما أن يبدأ البث المباشر حتى يفاجأ الضيف بأن سؤال مقدم البرنامج جاءه على النحو التالى:

سيدي ٠٠ من المعروف أن كوكب المشترى هو أكبر الكواكب في المجموعة الشمسية - إذ يبلغ قطره ١٣٨٧٦٠كم، ومعروف - أيضا - أن كتلته تساوي ٣١٦ مرة - تقريبا - قدر كتلة الأرض، وأن دورته حول الشمس تتم في ١١ سنة و٣١٤٫٨ يوما» لأنه يبعد عن الأرض ٧٧٣٢٩٠٠٠٠ كم.

سور .. مظلوم

ومعروف أيضا أنه بالنسبة لموقعه في المجموعة الشمسية يقع بين كوكبي المريخ وزحل - وأن دورته حول محوره تتم في ٩ ساعات و٥٥ دقيقة..

فهل يحدثنا العالم الفلكي البروفيسور (مظلوم المظلوم) عن هذا الكوكب؟

ويلملم العالم الضيف أفكاره ليجيب على (اجابته) التى طرحها مقدم البرنامج على أنها سؤال.. فيقول..

في الحقيقة أنه - مثلما تفضلت حضرتك - إن كوكب المشتري هو أكبر الكواكب - فعلا - وأن قطره - مثلما تفضلت - ١٣٨٧٦٠كم - فعلا - وأن كتلته - مثلما تفضلت - تساوي ٣١٦ مرة قدر كتلة الأرض - فعلا - وأن دورته حول الشمس - مثلما تفضلت - تستغرق ١١ سنة و٨ر٣١٤ يوما - فعلا - وأنه يبعد عن الشمس - مثلما تفضلت - ٧٧٣٢٩٠٠٠٠ - فعلا - وأن موقعه بالنسبة للمجموعة الشمسية - مثلما تفضلت - بين كوكبي المريخ وزحل - فعلا - وكما تفضلت فان دورته حول محوره تستغرق ٩ ساعات و٥٥ دقيقة - بالفعل.

ثم يعتدل مقدم البرنامج ليواجه الكاميرا التى تنقل للمشاهدين - طلعته البهية - في أجمل صورة قائلا:

وفي ختام برنامجنا نشكر ضيفنا الكبير العالم الفلكي البروفيسور (مظلوم المظلوم) - على تفضله بالحضور لهذا البرنامج وإلى اللقاء مع عالم أو مفكر آخر.. والسلام عليكم ورحمة الله.

ثم ينزل «التتر» في نهاية البرنامج يحمل اسم مقدم البرنامج ومهندس الصوت ومهندس الديكور، ومصفف الشعر، والمكوجي.. والمخرج.

ولي «كمشاهد» مأخذ على البروفيسور (مظلوم المظلوم) لإسرافه الشديد في وقت البرنامج - الثمين - وأسأله.. طالما أن مقدم البرنامج تفضل - مشكورا - بسرد كل المعلومات التى أعطيتها إياه - قبل البث المباشر - فلماذا تعيدها مرة أخرى؟؟

ألم يكن أولى بك أن تقول له.. نعم.. نعم.. كل ما تفضلت به صحيح وينتهى الأمر؟؟!

« شواف الدش »

في ميدان الكلمة

المعلمي .. والواقع الأدبي

الأستاذ الكبير، الفريق يحي عبد الله المعلمي، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، له وجوده المتميز الفاعل على ساحة الحركة الأدبية والثقافية والإجتماعية في المملكة العربية السعودية وله خصوصيته في الدراسات القرآنية، والإسلامية واللغوية، كما له جهده الواضح في حركة الطباعة والنشر في المملكة العربية السعودية.

من هنا ندرك أن الأستاذ المعلمي متعدد جوانب وأنحاء العطاء الفكري، مما يجعل الحديث إليه والتحاور معه اكثر امتاعاً .. وهذه الصفحات مجرد رؤوس أقلام لحديث نتمني استكماله.

«المنهل»

المنهل:

الأدب نشاط إنساني سام، وإبداع رفيع، له كلمته وصوغه، هذا الابداع على أيدى بعض الحداثيين تحول إلى طلاسم لا يقدر أحد على فك رموزها؟!

** لا شك أن للأدب لغة ثقافية خاصة يحملها بعض القادرين على التعبير عن افكارهم ومشاعرهم ولكي يعطي المثقف أو المبدع أثره لابد أن تكون لغته مفهومة عند المتلقي ولا يعنى ذلك أن ينزل المثقف إلى المستوى العامي في تعبيراته وإنما يعبر عن فكره وثقافته فيه بلغة عربية فصيحة صحيحة خالية من اللحن والخطأ على أن يبتعد عن الكلمات العربية غير المفهومة وأن يتجنب تعقيد الفكرة التى تستغلق على المتلقي كما يفعل بعض دعاة الحداثة والبنيوية الذين يكتبون وكأنهم يناجون أرواحاً خفية شريرة فلا يفهم القاريء منهم شيئا وإن كانت مفردات الكلام معروفة فإن تركيبها معقد.

المنهل:

لحضارتنا الاسلامية الكثير من الكنوز في مختلف مجالات الحياة العلمية والثقافية والأدبية والفنية والفكرية.. ويوجد لدينا مالا يعد حصراً من الكتب والرسائل والتصنيفات في كل تلك المجالات.

ورغم هذا التراث الخالد نجد الكثير من المثقفين والكتاب والأدباء معرضين عن هذه الثروة الهائلة ويبنون عقولهم على أسس من النظريات الغربية المستقاة من (أيديوليجيات) مادية لا تمت إلى الفكر الاسلامي بأي صلة؟.

** هذا مركب للنقص لدى بعض المثقفين الذين يرون أن وصفهم بمثقفين لا يتحقق ما لم يستشهدوا في كلامهم أو أقوالهم ببعض كُتَّاب الغرب وأدبائه، بل قد يذهبون إلى اكثر من ذلك، ويستشهدون ببعض أدباء من الشرق الاقصى أو الدول الشيوعية ليقولوا للناس إن ثقافتهم واسعة متعددة المشارب، وقد يتجاسر أحدهم فيردد اسم أحد الاعلام من الغرب أو الشرق وهو لم يقرأ له كتابا ولا طالع مقالا ولكنه واثق أن قارئه لن يحاول استقصاء مصدر هذه المعلومة.

الاطلاع على الثقافة الغربية ليس مكروهاً في حد ذاته ولكن المكروه الاعجاب بها إلى درجة تفضيلها على التراث والفكر العربي الاسلامي المعاصر.

المنهل:

الأصالة في أدبنا الحديث غدت عملة نادرة؟.

** الأصالة في الإبداع الأدبي تظهر فيما ينشرُ المبدع من انتاج وذلك بسبب تأثره ذهنياً وعاطفياً بالتراث العلمي والأدبي والعربي الاسلامي ولذلك فأنا أدعو ناشئة الأدب إلى العب من التراث لتتفتح أذهانهم وتتسع ثقافتهم.

المنهل:

الأدب في المملكة العربية السعودية له

حوار : عقيل ناجي المسكين

- جدة -

ي المعاصر


الفريق يحيى عبد الله المعلمي:

معيزاته وسماته الخاصة..؟

** الأدب في المملكة العربية السعودية في مجمله، متأثر بالتراث العربي الاسلامي وقلما تجد كاتباً أو شاعراً لا يورد في انتاجه شيئاً من التراث الأدبي أو الشعري أو التاريخي أو الفقهي العربي الاسلامي أو يستشهد بآية قرآنية أو حديث شريف أو مثل عربي أو حكمة عربية مأثورة أو بيت شعري موروث وهو بهذا يتميز عن أدب الأقطار العربية الأخرى الذي تقرأه فلا تعرف جنسية الكاتب أو ملته.

المنهل:

الاستاذ المعلمي أحد اعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة .. هل يحدثنا عن بعض همومه..؟

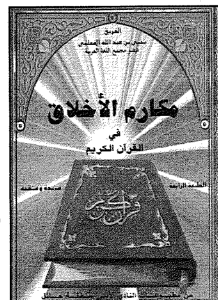
** مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي أشرف بعضويته هو أقدم المجامع وأوسعها نطاقاً واكثرها أعضاء وهو يضم في عضويته اعضاء من مختلف أقطار العروبة مع بعض المستشرقين الذين لهم اهتمام باللغة العربية وآدابها. وهو يبذل جهوداً كبيرة مستمرة في الحفاظ على اللغة العربية وفي كل مؤتمر سنوي يناقش ما انجزته لجنة الخبراء المختصين من أجزاء المعجم العربي الكبير. ولكن مؤتمراً واحدا في السنة لا يكفي كما أن المجمع يفتقر إلى جهاز إعلامي نشط ينشر جهوده ويعلنها للعرب في كل مكان ويذيع اخباره ليعرف الناس ما يبذله من جهد وهذا يحتاج إلى رصد اعتمادات مالية أرجو أن تسهم فيها الدول العربية والأفراد ذوو

في سطور

الفريق يحيى عبد الله المعلمي:
- نال وسام الملك عبد العزيز تقديراً لخدماته.
- مثل المملكة في مجموعة من المؤتمرات الدولية.
- عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة.
- عضو رابطة الادب الاسلامي.
- عضو رابطة الأدب الحديث.

له جمهرة من المؤلفات منها:
- مكارم الأخلاق في القرآن الكريم (نفد).
- الأمن في القرآن (نفد).
- الأمثال والشواهد في القرآن الكريم.
- الأمثال والشواهد في الحديث الشريف.
- الاعلام في القرآن.
- صور من التاريخ.
- جولات في رياض الأدب (نفد).
- الأمن والمجتمع (طبعة ثانية - نفد).
- الأمن في المملكة العربية السعودية (طبعة ثانية - نفد).
- الشرطة في الإسلام (نفد).
- الأمن والتخطيط (نفد).
- المرأة في القرآن.
- أخطاء مشهورة.
- خصائص القيادة الناجحة.
- الوجيز في النحو.
- رحلة علمية (ورحلات أخرى).
- الأدعية القرآنية.
- الإسلام باختصار.
- عقود الجمان - شعر وشعراء.
- بيني .. وبين ابن عقيل.
- كلمات قرآنية.
- النفحة القدسية والتحفة الأنسية.
- سيف وقلم (تحت الطبع).
- آداب السلوك الاجتماعي في سورة الحجرات (تحت الطبع).
- رسالة من الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود «١١٣٣ - ١٢١٨هـ»، تحت الطبع.
- الموسوعة القرآنية (قيد التحرير).

الثراء ليكون المجمع مسموعاً وأثره مشهوداً.



المنهل:

من واقع متابعتك للإصدارات في واقعنا الثقافي والأدبي والفكري ترى ما (هو) النقص الذي تشعر بوجوده في هذه النتاجات سواء من حيث الإبداع الفني، أو من حيث الالتزام بصحة اللغة وسلامتها. وما (هي) أسباب ذلك؟.

** إذا استثنينا ما هو رائج في السوق من كتب الأزجال العامية أو كتب الطبخ فإن ما ينشر من انتاج فيه كمية كبيرة من العلم والثقافة والجمال ولكن الإخراج الطباعي ما يزال متخلفاً كما أن نفقات الطباعة باهظة تحول دون نشر الانتاج وتحسين مظهره ويزيد من ذلك عدم اقبال المثقفين بخاصة والجمهور بعامة على شراء الكتب فتظل حركة النشر جامدة وتجارة الكتب كاسدة.

المنهل:

الشباب، هذا العمر النضر المتفتح للحياة، كيف تراه؟.

** لا شك أن الشباب هم عدة المستقبل وأنا أرى السبل ممهدة أمامهم، فَدُور العلم على مختلف مستوياته مفتوحة لاستقبالهم، ومجالات العمل في انتظارهم، ولكني أرى بعض الشباب يميلون إلى الدعة والخمول وينغمسون في تيارات اللهو، واللعب، والناشطون منهم تسحرهم كرة القدم وليتهم يمارسونها ولكنهم يتجمعون في مدرجات الملاعب وينتشرون في الشوارع والميادين والمجالس مؤيدين هذا النادى أو ذاك، ويحفظون أسماء اللاعبين الوطنيين والأجانب ولكنهم لا يعرفون أسماء ابطال العروبة والاسلام أو زعماء المسلمين المعاصرين كما يعرفون اللاعبين والكثير من اخبارهم واخبار الفنانين والفنانات وهذا إضاعة للجهد والطاقة الذهنية ولو قرأ أي منهم كل اسبوع كتاباً لتجمعت له حصيلة من المعلومات المفيدة ولكنهم لا يقرأون في الصحف إلا اخبار الكرة ولا يتتبعون إلا أخبار الفنانين والفنانات، وقليل من يتابع الأنشطة الثقافية أو يشارك في الندوات أو يقرأ الصحف والمجلات بغرض العلم والثقافة، وهم بذلك يتركون الفرص تفلت من أيديهم وأيام العمر تنقضي دون أن يحقق احدهم طموحاً مشرفاً أو هدفاً نبيلا.

المنهل:

النقد والشعر في زماننا هذا كيف تراهما؟.

** كان الشعر يحتل مكاناً مرموقاً لدى المثقفين حفظاً ورواية وانشاداً وفهما وتذوقاً ونقداً. أما الآن فقد تقلص الاهتمام بالشعر بل اقحم على الشعر ما ليس منه كالأزجال العامية أو ذلك الذى اسموه شعراً، مما يشبه الكلمات المتقطعة، حتى النقاد ركبوا هذه الموجة فنراهم يتسابقون للحديث عن هذه الانواع التي يحسبونها شعراً ويعالجونها بالنقد والتقريظ وبذلك يوهمون كاتبيها بأنهم شعراء بل زادوا فتبجحوا بالقول أن ما يقولونه هو الشعر، لا شعر غيره وتنكروا للشعر العربي الفصيح سليم اللغة،، المتقيد بالوزن والقافية وقالوا إنه شعر خطابي أو شعر مناسبات وكأنهم بذلك يخرجون من الشعر قصائد المتنبي وابي تمام وبشار وشوقي وحافظ وابي ريشة ولا يبقون في الشعر إلا التفاهات.

وهكذا انقلبت الموازين واختلفت المعايير.

يُقْضَى على المرء في أيام محنته
حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

المنهل:

المعارك الأدبية، يتهمك البعض بافتعالها تحريكا للساحة الأدبية في المملكة ما (هو) رأيك؟ ونحن نلمس منكم اهتماماً بهذه المعارك خصوصاً وأنكم طبعتم كتاباً بعنوان «بيني وبين ابن عقيل» بخصوص قصيدة شعرية غرد بها أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (سلمت براجمة من الأوخاز).

** هذه دعوى عريضة لا حقيقة لها فأنا لا أفتعل المعارك.

ولا أتمنى الشر والشر تاركي،... ولكن متى أحمل على الشر أركب.

أنا لا أفتعل المعارك ولكن عندما أسأل عن رأيي في شيء أعبر عنه بصراحة وصدق فيرضى من يرضى ويغضب من يغضب ويتجاوز الغاضبون حدود الأدب فيقحمون المهاترات الشخصية فاضطر احيانا إلى الدفاع عن رأيي وعن نفسي ولكني لا أفحش ولا أشتم وإنما أعبر عما أريده بلفظ عف رقيق يؤدي ما أقصده ولكن ليس في ألفاظه ما يجرح أو يخدش ولعل من يرجع إلى مقالاتي ومناظراتي سيرى الفرق الكبير بين ما أقول وما يرد به من يناظرني واقرأوا إن شئتم كتاب (الشعر الشعبي) للأستاذ توفيق على وهبه أو كتابي (بيني وبين ابن عقيل) وكتاب (شذا العبير) تظهر لكم الفوارق بين أسلوبي وأسلوب من يناظرني.

المنهل:

لا زال التشكك في الشعر الجاهلي يستهوي بعض الأدباء لاستثارته، ولعل آخرها ما صرح به أحد الشعراء عندما قال: لا أعترف بالشعر الجاهلي وأنا أتحدى، فما رأيك؟ وهل تستحق كل هذا الاهتمام؟.

** الشعر الجاهلي حقيقة سجلها التاريخ وتناقلتها الرواة ودونتها الكتب والدواوين والمجموعات الشعرية منذ العصر الجاهلي إلى الآن ومن ينكر وجود الشعر الجاهلي باغ على نفسه.

ولمن يغالط في الحقائق نفسه

باغ على النفس العزيزة عاد

ومن يتحدى في ذلك فإنما يناطح الجبل أو هو:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

المنهل:

«رابطة الأدب الإسلامي» - وأنت أحد أعضائها - ما قولك فيمن يرفض هذا المصطلح، بحجة مفادها أن الاسلاميين يلصقون كل نشاط إنساني بالإسلام والإسلام بريء من ذلك؟.

** ليس الأدب تهمة أو عيباً أو مثلبة حتى نبرىء الاسلام منه بل إن الأدب الإسلامي أدب متميز بنبل الهدف وعفة اللفظ وشيوع روح التدين والإيمان فيه، وخلوه من مداعبة الغرائز والاغراء بالملذات المحرمة والإشادة بها، ولذلك فالأدب الاسلامي أدب رفيع شريف لا ينزه عنه الاسلام وانما يشرُف بالاسلام.

المنهل:

بِمَ تفسر حالة (الشللية) من بعض المثقفين الذين يحابون، ويجاملون في الأدب من أجل مصالحهم الشخصية؟.

** ما يسمى بالشللية (مع التجاوز عن صحة الكلمة لغوياً) لها جانبان فإذا كانت تدعو إلى التآلف

** الأدب بغير خلق ضياع وفوضى

** الشعر الحر وقصيدة النثر، دعوى باطلة وادعاء عريض

** الشُّلَلِيَّة .. عصبية القرن العشرين

** التميز في الطرح، ونبل الهدف، وعفة اللفظ، مقومات الأدب الاسلامي

** متىِ أحمل على الشَّر أركب

** شعر الحداثيين كلمات متقاطعة

** شباب اليوم تكسرت فيه النصال على النصال

** الكتاب يندب حظه العاثر

** مجمع اللغة العربية في حاجة لجهاز إعلامي نشط

** الحداثيون في كتاباتهم كأنما يناجون ارواحا شريرة خفية

** الاندية تحولت الى مستعمرات للقائمين عليها

** بكل الحب أقول: رئاسة الأندية الأدبية تكون بالانتخاب الحر، ولمدة محدودة

والتعاون على البر والتقوى والمصلحة العامة فهي خير، أما إن دعت إلى التعصب الأعمى وتمجيد أعضائها بدون حق ومناوأة من ليس منها بدون حق أيضاً فهي عصبية بغيضة كدعوى الجاهلية، وأنا أرى أن أكثر من يتعامل بالعصبية هم الحداثيون فما يكاد أحدهم ينشر ما يزعم أنه قصيدة أو يكتب قصة في الغرب حتى ينبري حداثي في الشرق ليكتب عنها ممجداً محبذاً حتى إنه ليختلق الأسباب التي يرجع إليها هذا التمجيد ولعل الكثير يعرفون حكاية تلك القصة التي نشرت لحداثي في إحدى الصحف ووضعت المطبعة تحتها كلمة (انتهت) فانبرى حداثي آخر ليطنب في وصف هذه القصة ويتحدث عن كلمة (انتهت) وكيف أنها ذات مدلول منطقي وذات أهمية كبيرة، مع أنها ليست من القصة، ولكن التعصب الأعمى والاطراء المفرط جعله يرى فيها ما ليس فيها.

المنهل:

الشعر الحر مصطلح مضى عليه نصف قرن.. ما رأيك فيه؟.

** اذا كان ما يسمى بالشعر الحر شعراً حراً..!! فعلى النقيض من ذلك يكون ما عداه شعراً (عبداً).. كالمعلقات وشعر جرير والفرزدق والأخطل وبشار وابي نواس ومسلم بن الوليد والبهاء زهير وصفي الدين الحلي والبارودي والمتنبي والبحتري وابي تمام وأبي فراس ومحمود حسن اسماعيل والقصيبي والعواد وحافظ وأحمد محرم والغزاوي وابي ريشه والعشماوي ويحيى توفيق حسن وعبد الرحمن العبد الكريم وابن خميس وكل ما خطه الشعراء من قديم الزمان وحديثه شعراً عبداً يباع بثمن الملح كما يقال، وهذا إسراف في القول ودعوى باطلة يكذبها الواقع والحس والشعور.

المنهل:

وقصيدة النثر؟.

** القصيدة لا تكون نثراً، فالنثر نثر والشعر، شعر ومن يزعم أن ما يكتب نثراً يمكن أن يسمى قصيدة فهو إما جاهل بالشعر أو عاجز عن نظمه ويريد أن يلصق به ما ليس منه.

المنهل:

باعتبارك عضواً في بعض الأندية الأدبية في المملكة هناك الكثير من الانتقادات الموجهة للأندية الأدبية ولعلها تصب في رافد واحد وهو رفض الكلمة المبدعة لقيود الرسميات ما رأي أديبنا الكبير المعلمي؟.

** الأندية الأدبية في المملكة تتفاوت حركة ونشاطاً وخمولا، وأنا أعيد ذلك إلى أن الأندية لا تمثل الأدباء تمثيلا صحيحاً فهم متجافون عنها ويعدونها مستعمرة ثقافية خاصة برؤسائها والأعضاء العاملين بها لم يكن للأدباء رأي في اختيارهم أو سلطة في مراقبة أعمالهم ومراجعتها.

وفي رأيي أنه لابد أن يعاد تنظيم الأندية بحيث يكون الانتساب إليها بالإضافة إلى المؤهلات العلمية والأدبية دفع اشتراك مالي مهما كان متواضعاً فإنه

يشعر الأديب بحقه في الإشراف على النادي والمشاركة في إدارته ومراجعة حساباته، إنه يسهم في ميزانيته، أما أن يكون مبرة خيرية للرئيس والأعضاء فهذا يشل حركة النادي ويقلل من اهتمام الأدباء به.

وأمر آخر، أرى أن يكون اختيار رئيس النادي وأعضائه العاملين بالانتخاب من الجمعية العمومية للنادي وأن تكون مدة الرئاسة والعضوية محدودة لا تزيد على ثلاث سنوات يمكن تجديدها مرة واحدة ثم يفسح المجال لكفاءات تحل محل هيأته السابقة وبذلك تضخ دماء جديدة في أوردة النادي وتدب فيه الحيوية والنشاط.

المنهل:

ماذا تقول عن هؤلاء...؟:

** أ - الذي يشتري النصوص الأدبية ليسجلها باسمه كلابس الثوب المستعار ولابد أن يكتشف أمره ولو ظن انه مستور.

ب - الذي لا يلتزم بالاخلاق والآداب الاسلامية لا يستحق أن يسمى أديباً ولو كانت له فصاحة سحبان أو بلاغة ابن المقفع.

ج - الذين يكثرون من إيراد المصطلحات الأجنبية في كتاباتهم ويستشهدون بأدباء اوروبا وأمريكا ينسلخون من جلدهم العربي الاسلامي ولو تظاهروا بالعروبة والاسلام.

د - الشاعر الذي لا يحترم مقدساتنا الاسلامية ويتجرأ في نصوصه على الخالق سبحانه وتعالى ينبغي أن ينبذ من المجتمع الاسلامي نبذ النواة.

هـ - الذين يستهويهم التعقيد واللت والعجن في كتاباتهم النقدية ودراسة النصوص الأدبية هؤلاء معقدون شفاهم الله من عقدهم وكفانا شر تعقيداتهم.

و - الأديب الذي يبتعد عن الواقع الاجتماعي ويحصر نفسه في برج عاجي لا يضر المجتمع وانما يضر نفسه.

ومن هاب الرجال تهيبوه

ومن حقر الرجال فلن يهابا

المنهل:

خارطة الأدب الاسلامي كيف تراها..؟

** الأدب العربي والاسلامي يواجه بعض التيارات المضادة وقدره أن يواجهها ويتصدى لها بالكلمة الطيبة والاقناع، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها وللباطل جولة ثم ينمحي.



المنهل:

كلمة أخيرة تحب أن توجهها لقراء مجلة «المنهل»؟

** أحيي مجلة المنهل الغراء وأترحم على منشئها الشيخ عبد القدوس الانصاري، وأمنياتي بالتوفيق لابنه الأستاذ نبيه الذي تطورت المنهل على يديه شكلا ومضموناً.

وأود أن أشير هنا إلى أن مجلة المنهل أثيرة عندي فقد كنت اقرؤها منذ عام ١٣٥٥هـ أي منذ ستين سنة وهي أول ما فتحت عليه عيني من المطبوعات الأدبية وأول مطبوعة ذكر فيها اسمي عندما وقفت خطيباً في أحد أعياد الفطر.

فتحية مضاعفة مني للمنهل وشكراً لك ايها الأخ العزيز على هذا الاستجواب اللطيف الذي أرهق أصابعي في الكتابة ولم يرهق ذهني والحمد لله.

(من آثار ابن جني في اللغة)

الآثار المفقودة [١]

هذه الدراسات في المكتبة التراثية لها أهميتها العلمية، لأنها توضح للقارئين بعامة والباحثين بخاصة الجهد العلمي والفكري الذي بذله علماؤنا الافاضل في القرون السالفة في تدوين العلم وتسجيله.

- المنهل -

[الحلقة الثانية]

بقلم:
د. غنيم غانم الينبعاوي
كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى

أجوبة المسائل الدمشقية:

لابن جني كتابان في (المسائل الدمشقيات)، أحدهما: (أجوبة المسائل الدمشقية)؛ ذكره ابن جني نفسه في كتابه «الخاطريات»[٢]، ولم أره في مؤلفاته الأخرى، التي وقفت عليها، ولم يذكره أحد ممن ترجم له من القدماء. والكتاب الثاني: (الدمشقيات) لم أقف عليه في آثار ابن جني التي بين أيدينا، وقد أشار إليه ابن النحاس الحلبي (ت ٦٩٨هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) وياسين العليمي (ت ١٠٦١هـ) ونقلوا منه.

ففي كتاب (التعليقة على المقرّب)[٣] لابن النحاس الحلبي يقول: «حكى ابن جني في كتاب له يسمى: (الدمشقيات)، غير الدمشقيات المشهورة له بين الناس قولا عن الأخفش: «أن فعل الشرط، وفعل الجواب يتجازمان، كما قيل عن مذهب الكوفيين في المبتدأ والخبر[٤]».

وقد نقل السيوطي[٥] ما أورده ابن النحاس عن الدمشقيات لابن جني، ويبدو أن السيوطي لم يطلع على كتاب ابن جني، وإنما نقل ما أورده ابن النحاس.

وقد علّق الدكتور محمد أسعد طلس بعد أن نقل ما ذكره السيوطي عن دمشقيات ابن جني: «وهذا الكلام يفيد أن لابن جني كتابين بهذا الاسم[٦]».

وقاد ياسين العليمي (ت ١٠٦١هـ) في حاشيته: قال ابن جني في الدمشقيات: يدل على نصب (كان) وأخواتها الأحوال[٧]، ويبدو من نقل العليمي أن أحد هذين الكتابين المسميين بالدمشقيات موجود، وقد اطلع عليه العليمي.

ومن النصوص التي أشرت اليها يتبين لنا أن موضوع كتابي الدمشقيات نحوي، كما يبدو من العنوان، أن الكتابين وضعهما ابن جني أثناء اقامته بدمشق ولكن لا نؤكد ذلك، لأنه ليست عندنا أدلة قاطعة. وهو من كتبه المفقودة التي لم تصلنا.

أجوبة المسائل الواسطية:

هكذا ورد اسمه في كتاب (الخاطريات)[٨] لابن جني، وذكره القفطي في كتابه (انباه الرواة): حكى أبو غالب بن بُشر أن النحوى الواسطي محمد بن احمد بن سهل، قال: ورد أبو الفتح ابن جني الى واسط ونزل في دار الشريف أبي علي الجَوَّاني، نقيب العلويين وكنّا نتردد اليه، ونسائله، ويملي علينا مسائل، سماها الواسطية[٩].

أسماء الذهب والفضة:

أورد ذكره الدكتور عبد القادر المهيري في كتابه (نظريات ابن جني النحوية)[١٠] نقلا عن كتاب (التمام في تفسير أشعار هذيل) لابن جني.

وبالعودة الى الكتاب المذكور وجدت ابن جني يشير إلى بعض كتبه، ولم يكن كتاب: (أسماء الذهب والفضة) من بينها.

والمصادر التي وقفنا عليها لم تذكر كتابا لابن جني بهذا الاسم ولعل خلطا حصل فيما أورده الدكتور المهيري.

أما التأليف اللغوي في موضوع الذهب والفضة، فقد ذكرت بعض المصادر أن أبا عبد الله الحسين بن علي النمرى[١١] المتوفي سنة ٣٨٥هـ قد صنف كتابا في أسماء الفضة والذهب ونرجو أن نوفق في المستقبل الى معرفة شيء عن كتاب ابن جني المذكور.

وقد تناول ابن جني في كتابه (الخصائص)[١٢] معنى الفضة والذهب وسبب تسميتهما بهذين الاسمين اشتقاقهما.

البُشْرى والظَّفَر

ذكره ياقوت الحموي[١٣] بقوله: «كتاب البُشْرى والظفر صنعه لعضد الدولة البويهي، ومقداره خمسون ورقة في تفسير بيت واحد من شعر عضد الدولة، وهو:

أهلا وسهلا بذي البُشْرَى ونوبتها
وباشتمال سرايانا على الظَّفَر

كما ذكره الذهبي، وأورد البيت المذكور ثم قال: «أوسع الكلام في شرحه، واشتقاق ألفاظه»[١٤].

التذكرة الأصبهانية:

من آثار ابن جني التي ألفها أثناء اقامته في مدينة (أصبهان)، لم يشر ابن جني الى هذا الكتاب في اجازته، ولا في آثاره التى وصلت الينا. وقد أشار اليها القفطي في (انباه الرواة)[١٥]، وقال حاجي خليفة: «التذكرة الأصبهانية لأبي الفتح عثمان بن جني المتوفي سنة ٣٩٢هـ»[١٦].

كذلك أشار الى هذا الكتاب ابن العماد الحنبلي[١٧]، وبطرس البستاني[١٨].

وفي (مغني اللبيب) لابن هشام (ت ٧٦١هـ) وفي (تذكرة أبي الفتح) أن تقديم (كل) في قوله تعالى (كُلا هدينا)[١٩]، أحسن من تأخيرها، لأن التقدير: كلهم، فلو أخرت لباشرت العامل مع أنها في المعنى منزلة منزلة مالا يباشره، فلما قُدّمت اشبهت المرتفعة، بالابتداء في أن كُلا منهما لم يسبقها عامل في اللفظ[٢٠].

قال الدكتور مازن المبارك ورفيقه تعليقا على ما نقله ابن هشام عن كتاب ابن جني: من كتب ابن جني «التذكرة الأصبهانية» و«مختار تذكرة الفارسي وتهذيبها» ويظن أولهما هو المقصود[٢١].

وأورد أحمد بن يوسف اللبلي (ت ٦٩١هـ) عن ابن جني في تذكرته بقوله: «قال غير واحد من اللغويين: ليس في كلام العرب، اسم أوله مكسور الا قولهم: (اليسار) لليد (بكسر الياء)، ورأيت أبا الفتح بن جني قد حكى في تذكرته عن أبي الحسن عن ابن الأعرابي (يَعْر) وجمعه: يِعْرة، وهو من صوت الجدي، يقال يَعَرَ الجَدْي اذا صاح[٢٢].

ولعله يعني بتذكرة أبي الفتح: «التذكرة الأصبهانية»٠

التبصرة:

لم يذكره ابن جني في اجازته، ولا في كتبه التي وصلت الينا، وقد ذكره ابن خلكان[٢٣]، وابن شاكر الكتبي[٢٤]، واليافعي[٢٥] وعبد القادر البغدادي[٢٦]٠

وفي كشف الظنون لحاجي خليفة: «التبصرة في أصول الفقه٠٠ لأبي اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة ست وسبعين وأربعمائة، وعليه شرح لأبي الفتح عثمان ابن جني[٢٧]٠

وما ذكره حاجي خليفة غير صحيح، فمن الناحية التاريخية تؤكد المصادر أن الشيرازى المذكور ولد سنة ٣٩٣هـ[٢٨]، أي بعد وفاة ابن جني، كذلك أشار ابن خلكان في ترجمته لابن جني أن الشيرازي أخذ من ابن جني بعض أسماء كتبه قال: بعد أن عدد بعض كتب ابن جني ويقال: ان الشيخ أبا اسحاق الشيرازي أخذ منه - يعني ابن جني - أسماء كتبه، فإن له «المهذب» و«التنبيه» في الفقه، و«اللمع» و«التبصرة» في أصول الفقه[٢٩]٠

التعاقب في العربية:

أشار اليه في اجازته العلمية فقال: «كتابي في تعاقب العربية»[٣٠]، وأشار اليه ابن جني نفسه باختلاف يسير في كتابه: (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة)[٣١]، ونقل منه في شرح قول الشاعر:

ولولا نبل عوض في
خطاي وأوصالي

فقال: «انما سموا الدهر عوضا لأنه من التعويض، وذلك أنه كلما مضى جزء من الدهر، خلفه آخر من بعده، فكان الثاني عوضا من الأول، وقد ذكرت هذا المعنى في كتابي: التعاقب في العربية»[٣٢]٠

وقد أشار اليه ابن جني أيضا في كتابه (الخصائص) ونقل منه٠ من ذلك مثلا قوله في شرح لام (الآن) قال: «مما تعرف بلام ظهرت فيه لام أخرى غيرها زائدة قولك: الآن٠ فهو معرف بلام مقدرة، وهذه الظاهرة فيه زائدة٠ وقد ذكر أبو علي هذا قبلنا، وأوضحه، وذكرناه نحن أيضا في غير هذا الموضع من كتبنا - وقد ذكرت في كتاب (التعاقب في العربية) من هذا الضرب نحوا كثيرا، فلندعه هنا[٣٣]٠

وأشار اليه (السيوطي) ونقل عنه، فقال: «ألف ابن جني كتاب (التعاقب) في أقسام البدل والمبدل منه، والعوض والمعوض، وقال في أوله: اعلم أن كل واحد من ضربي التعاقب، وهما: البدل والعوض قد يقع في الاستعمال موضع صاحبيه، وربما امتاز أحدهما بالموضع دون وسيلة إلا أن البدل أعم استعمالا من العوض، وذلك أنا نقول: أن ألف (قام) بدل من الواو في (قوم)، ولا نقول: إنها عوض منها٠ ونقول: ان الميم في آخر (اللهم) بدل من ياء في أوله، كما نقول: انها عوض منها، وان ياء (أينق) بدل من عينها، كما نقول: انها عوض منها[٣٤]٠

وهناك اقتباسات أخرى من كتاب (التعاقب) أشار اليها السيوطي سنوردها في دراستنا للمباحث الصرفية وممن ذكر كتاب (التعاقب) ونقل منه (البغدادي) في (خزانة الأدب)[٣٥]، وكذلك نقل منه٠

تفسير العلويات:

لم يذكره ابن جني في اجازته ولا في آثاره التى وصلت الينا، ذكره ياقوت الحموي فقال: «تفسير العلويات[٣٦] وهي أربع قصائد للشريف الرضي، كل واحدة في مجلد، وهي قصيدة رثى بها أبا طاهر ابراهيم بن نصر الدولة أولها:

ألق الرماح ربيعة بن نزار
أودى الردى بقريعك المغوار

ومنها قصيدته التى رثا بها الصاحب بن عباد وأولها:

أكذا المنون تقطر الأبطالا
أكذا الزمان يضعضع الأجيالا

وقصيدته التي رثى بها الصابيء أولها:

أعلمت من حملوا على الأعواد
أرأيت كيف خبا زناد النادي

قال الدكتور محمد أسعد طلس بعد أن أورد ما ذكره ياقوت الحموي «ولم يذكر - يعني ياقوت - القصيدة الرابعة»[٣٧] وذكر النديم هذا الكتاب باسم «تفسير المراثي الثلاث»[٣٨]. و«تفسير العلويات» من آثار ابن جني المفقودة، ولم نقف على نصوص منه في الكتب التي اطلعنا عليها.

التلقين:

ذكره البغدادي[٣٩]، وقال القفطي[٤٠]: «كتاب التلقين في النحو وذكره ابن الجوزى[٤١] بـ: «التلقين» وكذلك النديم[٤٢].

وقال بطرس البستاني[٤٣]: «والتلقين في النحو».

وفي تاريخ الاسلام للذهبي[٤٤]: «وكتاب التلقين في النحو».

وكذلك في هدية العارفين[٤٥].

وقال ابن خير الاشبيلي[٤٦]: «كتاب اللمع في النحو ويسمى التلقين أيضا».

الخطيب في شرح المذكر والمؤنث:

ألف أبو يوسف يعقوب بن اسحاق، المعروف بابن السكيت[٤٧] (ت ٢٤٤هـ) كتاب (المذكر والمؤنث)، وقد حفل به الدارسون، يقول الدكتور محمد أسعد طلس: «وقد اهتم به العلماء، منذ عهد بعيد فشرحوه، وعكفوا عليه، ومنهم ابن جني[٤٨]».

وشرح ابن جني هذا اقتنى منه عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) نسخة، واعتمد عليه في كتبه[٤٩]، ولكنه فقد مع ما فقد من آثار ابن جني، فلم يصل إلينا.

أشار إليه ابن جني في اجازته بقوله: «وما بدأت عمله من كتاب (تفسير المذكر والمؤنث) ليعقوب... أعان الله على اتمامه[٥٠]».

وابن جني كتب هذه الاجازة في آخر جمادى الآخرة من سنة ٣٨٤هـ وهذا يعني أن ابن جني بدأ شرحه لكتاب ابن السكيت في هذه السنة، ولا نعرف بعد ذلك، متى أتمه؟ ويعني أيضا أن هذا الشرح هو من كتبه التي وضعها قبل وفاته بثماني سنوات، فقد توفي ابن جني كما أشرنا من قبل سنة ٣٩٢هـ (اثنين وتسعين وثلاثمائة) وابن جني لم يسمّ هذا الشرح في اجازته، وقد ورد ذكره في كتابه (الخاطريات)[٥١] باسم: (الخطيب: شرح المذكر والمؤنث)، وكذلك في كتابه (المحتسب)، ونقل منه مرتين، ففي الأولى أشار إلى اسم هذا الكتاب، دون أن يحدد أنه شرح لكتاب المذكر والمؤنث فقال: وهو يشرح ما أنشده أبو علي الفارسي، عن أبي زيد الأنصاري:

إذا ملا بطنه ألبانُها حلباً
باتتْ تُغنّيه وَضْرَى[٥٢] ذاتُ أجْراس[٥٣]

أراد: (ملأ) فأبدله البتة، فصارت ياء، فأبدلها للفتحة قبلها (ألفا)، فصارت (ملا) كما ترى، بوزن: قضى، وسعى. وقد شرحنا هذا في كتابنا (سر الصناعة)، وبأخرة في كتابنا (الخصائص). ويعده في كتاب (الخطيب)، لما دعا الى تكرير ذكره لقوة الحاجة اليه، وتقاضى الوضع له[٥٤].

وفي الثاني أشار الى الكتاب، وحدد أنه شرح لكتاب ابن السكيت فقال - وهو يشرح قراءة (عائشة) و(أبي بن كعب): "ركوبتهم[٥٥] وأما ركوبتهم فهي المركوبة: كالقتوبة، والجزوزة، والحلوبة أى ما يقتب، ويجز، ويحلب. وقد أشبعنا هذا الموضع في كتابنا المعروف بالخطيب، وهو شرح لكتاب المذكر والمؤنث ليعقوب بن السكيت[٥٦].

وهو يخالف ما ذكره الأستاذ محمد علي النجار حين قال: وهو يعدد كتب ابن جني: «كتاب الخطيب: ويبدو أنه جعله للخطب المنبريّة وغيرها[٥٧]»، وقد أشار اليه، ونقل منه أحمد بن الحسين، المعروف بابن الخباز[٥٨] (ت ٦٣٩هـ) كما ذكره ياقوت الحموي[٥٩]، واسماعيل باشا البغدادي[٦٠] والدكتور

فاضل السامرائي في بحثه عن (ابن جني النحوي)[٦١] نقلا عن (هدية العارفين)، والدكتور حسين شرف[٦٢]، نقلا عن (شرح اللمع) لابن الخبّاز.

رسالة في شواذ القراءات:

قال الدكتور محمد أسعد طلس عن هذا الكتاب: «هو رسالة بحث فيها - يعني ابن جني - عن بعض مشكلات استشكلها بعض علماء عصره في اعراب القرآن ورسمه ونقطه، ومنه نسخة في برلين رقمها ٦٧٤»[٦٣].

وهذا الكتاب لم يذكره ابن جني في اجازته ولا في آثاره التي وصلت الينا. وقد ذكر هذا الكتاب أيضا الدكتور فاضل السامرائي[٦٤] نقلا عما أورده الدكتور طلس.

كما ذكره الدكتور طارق نجم عبد الله في مقدمة تحقيقه لكتاب (المذكر والمؤنث لابن جني) ثم قال: «تبين لي أثناء الطبع أنه ليس لابن جني»[٦٥] ولم يذكر لنا أسباب ذلك ونرجو أن نوفق في معرفة شيء عن مخطوطة هذا الكتاب في المستقبل ان شاء الله.

سرّ السّرور:

ذكره الدكتور طلس بقوله: «ذكره ياقوت، ولم يذكره الحاج خليفة ولا بروكلمان، ولم أعثر على ذكر له فيما عندي من المظان»[٦٦].

وذكره الدكتور السامرائي[٦٧] قائلا: «سر السرور ونقل عنه ياقوت»، وحينما عدت الى معجم الأدباء لياقوت الحموي لم أجد لهذا الكتاب ذكرا في كتب ابن جني التي أوردها ياقوت نقلا عن اجازة ابن جني أو في الكتب التي ذكرها ياقوت لابن جني والتي لم ترد في الاجازة.

ولعل الأستاذين الفاضلين الدكتور طلس والدكتور السامرائي وقفا على نسخة من (معجم الأدباء) ورد فيها ذكر كتاب ابن جني المذكور لأن طبعة (معجم الأدباء) التي بين يدي تخلو من ذكر كتاب ابن جني.

الهوامش والتعليقات:

(١) نعني هنا بآثار ابن جني المفقودة: التى لم تصل إلينا والتى أشارت اليها كتب التراجم والطبقات أو نكرها ابن جني نفسه في إجازته العلمية لأحد الآخذين عنه أو في مؤلفاته التى وصلت إلينا، ونرجو أن نوّفق مستقبلا في العثور عليها، أو على شيء منها.

(٢) الخاطريات (القسم المطبوع) صفحة ٦٥.

(٣) التعليقة على كتاب المقرّب لابن عصفور: منه نسخة مصورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة عن مخطوطة المكتبة الأزهرية بالقاهرة برقم (٤٩٤٧) وقد أطلعنى عليها أخى الدكتور عبد الرحمن ابن سليمان العثيمين، فله الشكر الجزيل.

(٤) التعليقة على المقرب ورقة ٩٥.

(٥) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطى تحقيق د. عبد العال سالم مكرّم جـ ٢٥٩/٢.

(٦) أبو الفتح ابن جنى للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ جزء ٣٤٦/٢ - ٣٤٧.

(٧) حاشية ياسين العليمى على التصريح شرح التوضيح لخالد الأزهري جـ ٣٦٦/١.

(٨) الخاطريات (القسم المطبوع) ص ٦٥.

(٩) إنباه الرواة جـ ٣٤٠/٢.

(١٠) الكتاب طُبع في تونس سنة ١٩٧٣م بالفرنسية وعنوانه: Les Theories Grammaticales D'Ibnjinni ***وهو من مطبوعات الجامعة التونسية، وقد زودني به أخي د. عياد بن عيد الثبيتى فله الشكر. وقد قدّم لكتاب د. المهيرى وعرّف به د. رشاد الحمزاوى في مجلة حوليات الجامعة التونسية العدد (١٣) ص ٢٢٧ - ٢٤٠.***

(١١) بغية الوعاة للسيوطي جـ ٥٣٧/١، وكشف الظنون لحاجي خليفة جـ ٨٩/١.

(١٢) الخصائص جـ ١٢٣/٢ - ١٢٤ (باب في تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمباني).

(١٣) معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ١١٣/١٢.

(١٤) تاريخ الاسلام للذهبي: الجزء العاشر (حوادث سنة ٣٩٢هـ).

(١٥) إنباه الرواة للقفطي جـ ٢/٣٣٧.

(١٦) كشف الظنون لحاجي خليفة جـ ١/٣٨٥.

(١٧) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي جـ ٣/١٤٠.

(١٨) دائرة المعارف لبطرس البستاني جـ ١/٤٣٦.

(١٩) سورة الأنعام آية ٨٤.

(٢٠) مغني اللبيب لابن هشام تحقيق د. مازن المبارك وزميله ص ٢٥٨.

(٢١) مغني اللبيب ص ٢٥٨ (في الهامش).

(٢٢) بغية الآمال في معرفة مستقبل الأفعال لأحمد بن يوسف اللبلي، تحقيق جعفر ماجد ص ١٠٣.

(٢٣) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٣/٢٤٧.

(٢٤) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي جـ ١٢/١٥٠.

(٢٥) مرآة الجنان لليافعي جـ ٢/٤٤٥.

(٢٦) حاشية على شرح (بانت سعاد) لابن هشام لعبد القادر البغدادي جـ ١/٢٠١

(٢٧) كشف الظنون جـ ١/٣٣٩.

(٢٨) وفيات الأعيان جـ ١/٣٠.

(٢٩) المرجع نفسه جـ ٣/٢٤٧.

(٣٠) معجم الأدباء لياقوت الحموي جـ ٢١/ ١٠٩ - ١١٠.

(٣١) مخطوطة دار الكتب المصرية برقم (٤٤ أدب)، وعندي منها مصورة اعتمدت عليها في الدراسة.

(٣٢) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ورقة ٨١.

(٣٣) الخصائص لابن جني جـ ٣/٥٨ وينظر مما أورده ابن جنى من نصوص أخرى من هذا الكتاب في الخصائص جـ ١/٢٦٤.

(٣٤) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، تحقيق د. عبد العال سالم مكرّم جـ ١/٣٠١ - ٣٠٢.

(٣٥) خزانة الأدب جـ ٣/١١٨ والبغدادى لم يطلع على هذا الكتاب في نقله هذا وإنما وقف على كتاب (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة) لابن جني، وأورد ما ذكره في كتاب (التعاقب).

(٣٦) معجم الأدباء جـ ١٢/١١٢.

(٣٧) أبو الفتح ابن جنى للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٣٢ ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

(٣٨) الفهرست للنديم ص ١٢٨.

(٣٩) تاريخ بغداد جـ ١١/٣١١.

(٤٠) إنباه الرواة جـ ٢/٦٣٦.

(٤١) المنتظم جـ ٧/٢٢٠.

(٤٢) الفهرست ١٢٨.

(٤٣) دائرة المعارف جـ ١/٤٣٦.

(٤٤) تاريخ الإسلام، الجزء العاشر (حوادث سنة ٣٩٢هـ).

(٤٥) هدية العارفين جـ ١/٦٥٢.

(٤٦) فهرسة ما رواه عن شيوخه ص ٣١٧.

(٤٧) نزهة الألباء للأنبارى ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٤٨) أبو الفتح ابن جنى للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ ص ٦٦١.

(٤٩) انظر مثلا: حاشيته على شرح (بانت سعاد) لابن هشام جـ ١/٢٤٧.

(٥٠) معجم الأدباء لياقوت الحموي جـ ١٢/١١٠.

(٥١) الخاطريات (القسم المطبوع) ص ٦٤.

(٥٢) الوضرى: الاست.

(٥٣) أجراس : أصوات.

(٥٤) المحتسب جـ ٢/١٦٢.

(٥٥) سورة (يس) آية ٧٢ وهي قوله تعالى :{وذللناها لهم فمنها ركوبهم، ومنها يأكلون}.

(٥٦) المحتسب جـ ٢/٢١٧.

(٥٧) مقدمة تحقيق الخصائص جـ ١/٦٦.

(٥٨) توجيه اللمع لابن الخباز (مخطوط) ورقة ١٨٥.

(٥٩) معجم الأدباء جـ ١٢/١١٣.

(٦٠) هدية العارفين جـ ١/٦٥٢.

(٦١) ابن جني النحوى (ط بغداد) ص٨٧.

(٦٢) مقدمة تحقيق مع ابن جني للدكتور حسين شرف (ط القاهرة) ص ٣٤.

(٦٣) أبو الفتح ابن جنى للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ ص ٣٥٢.

(٦٤) ابن جنى النحوى ص ٨٨.

(٦٥) مقدمة تحقيق المذكر والمؤنث ص ١٨.

(٦٦) أبو الفتح ابن جنى للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ ص ٣٤٨.

(٦٧) ابن جنى النحوى ص ٨٧.



يا أمة ضحكت من شعرها الامم:

تشابه الشعر علينا واصبح لزاماً على كل شاعر أن يضع على شعره بصمته الخاصة أو طابعاً يميزه، فالاشعار أصبحت من الغموض حتى ان مبدعيها أو مبتدعيها أنفسهم لا يفهمونها وقد طلب مني شاعر صديق أن اشرح له قصيدته التى سيلقيها في المهرجان حتى ازا طلب منه النظاره الذين لا يسمعون شرحاً لها كان على أهبة الاستعداد إضافة الى المجن والدرع والترس والحربة وباقى المفردات التي تسمح له أن يلقي الشعر ولا يبالي بالضرورة الشعرية أحكام وأحكام، فالتقعر والحذلقة والتقعر والتنطع من الضرورات الشعرية التى تبيح المحظورات، والمحظورات الشعرية هي الوزن والقافية واللغة السليمة.

إن كتابة الشعر هي أسهل شيء في الوجود فالقلم هو الذي يكتب الشعر الذي يوزن على صريره وحبذا لو كنت تملك عدة أقلام لكل قلم صرير وحبذا لو كنت تملك انواعاً من الورق حين يمر عليها القلم يعطي صريرا مختلفاً عن الصرير الآخر في كل مره.

والشعر هو الوقود اللازم للتدفئة المشاعر فتارة يكون نفطا وتارة اخرى خشباً ومرات يكون غازاً طبيعياً أو اشعة شمس لكن اغرب شعر شاهدته في حياتي كان ضوء قمر ولذا اصابني الزكام حين جلست تحته مدة طويلة ولا شك أن احسن شعر للتدفئه هو شعر الشطرين فبإمكانك ان تجلس بينهما لتستدفئ أو تدخل بيت القصيد وتغلق عليك النوافذ.

وكان شيخنا يقسم الشعراء ثلاثة أقسام فيقول «هذا شاعر لا يُشَقُّ له غبار وهذا شاعر لا غبار عليه وهذا شاعر يعلوه الغبار».

العقل الوسيط ـ حكاية من العيادة النفسية:

الطبيب النفسي الناجح هو الذي عندما يتحدث ينصت اليه الآخرون حتى لو لم يفهموا ما يقول يكفي أسلوبه ونبرات صوته وتعقيدة حاجبيه وتشويح يديه والزبد يخرج من بين شدقيه حتى يقتنع الناس ويعقلوا.

كانت تلوح عليه دلائل التخلف العقلى والتبلد الذهني، اختار مكانه بجوارى أنا ومريضتي المثقفة جداً حيث كنا نجلس في حديقة المستشفى العام في جلسة علاج نفسي. كنت اتحدث مع مريضتي بحماس شديد محاولا اقناعها بخطأ وساوسها وهى تجادلنى جدلا شديداً نابعاً من ثقافة عريضة في شتى الفلسفات المعاصره التى كنت احاول دحضها بكل ما اوتيت من بلاغة وصوت جهوري وغليون مزخرف ولحية غير مشذبه. الذى خفف عني اننى وجدت تجاوباً شديداً يلوح على الرجل الجاهل المتخلف عقلياً الذى أبدى كل مظاهر الدهشة والاعجاب من اول رفع الحواجب وتعقيد الجبين واطلاق صفير خافت ومصمصة لسانه وشفتيه واسرافه في التدخين لكي يركز في كلامي ـ الذي لم افهمه انا شخصياً ـ مع طلبه من حين لآخر لزجاجة مياه غازية لكي يهضم كلامي المحكم المرح، يشربها دفعة واحدة دون أن يأخذ نفسه.

لم أيأس عندما لم تقتنع مريضتي بكلامي ... يكفي هذا الرجل الرائع.

حكايات من مارستان مصر:
ـ الادب والجنون ـ

عندما اقرأ قصة مقتل العالم اللغوي المعروف «الجوهري» ابتئس اولاً ثم ابتسامة باهتة يعقبها تساؤل حذر تتبعه ابتسامة على ذلك التساؤل استشف منها نتيجة يائسة في نفسي الكثير.

تصور «الجوهري» أنه قادر على أن يطير فصنع جناحين من خشب ربطهما بحبل وصعد سطح مسجد ونادى الناس قائلا «لقد صنعت ما لم اسبق اليه

بقلم: د. عبدالغني عبدالحميد رجب
ـ مصر ـ

بسأطير الساعة» فازدحم اهل نيسابور ينظرون اليه تتأبط الجناحين ونهض بهما فخانه اختراعه وسقط على الارض فكان ذلك سبب وفاته.

بداية احزن لمقتل رجل عظيم له انجازاته العظيمة، قيل أن الخبل قد اصابه في نهاية حياته فصنع ما صنع، اما الابتسامة فليست شماته في الرجل لكنها تعبير عن احساس انه ربما كان هذا هو الحل الوحيد لما كان يعانيه هذا المفكر الكبير من مرض عقلي. اما التساؤل فالرجل قد اعلن بملء فيه عن مصرعه عندما صعد سطح المسجد وجمع الناس لكي يشهدوه فلماذا لم يتقدم احد لكي يمنعه وربما كان منهم من يعلم اختلاط عقله. اتصورهم وقد تحلقوا حول المسجد وهم يعلمون النتيجة مقدماً وقد ملأهم السرور وفاض من اعطافهم وقد اذهب أبعد من هذا فأقول ربما هم الذين شجعوه على المضي فيما فعله وربما وسوس له احدهم بالامر وزرعه في نفسه من البداية ولم يكن في خاطره، فالناس يحيطون ضحيتهم بكل مظاهر الزعامة الفارغة حتى اذا وقع كثرت الضحكات، فلنرفض أن نصبح افكوهة لمن لا يعنيهم الانسان في قليل أو كثير.

مدخل للتساؤل:

اثناء ممارستي للعمل كطبيب نفساني في مستشفى الامراض العقلية وسؤال احد المرضى عن مهنته اجابني انه يعمل اديباً وعندما سألته عن نوع الكتابة الادبية التي يمارسها اجابني «قفشات».

وليس هذا المريض هو الاول من نوعه فهناك الكثير من المرضى الفنانين ومنهم الشاعر والمسرحي والرسام وكاتب القصة القصيرة والروائي لكن الشيء الذي يجمعهم انهم يتبعون المدارس الأدبية الحديثة في الغرب ـ الحداثة وما بعد الحداثة ـ فلا تفهم منهم شيئاً واذا أضفنا الى ذلك ما عرف عن شذوذ بعض الفنانين والادباء وغرابة أطوارهم لاعتبرنا هذا للتساؤل عن علاقة الاضطرابات العقلية بالفن والفلسفة.

ويحدثنا التاريخ ان الشاعر ابا العتاهية كان يعاني من مرض السوداء وديك الجن الحمصي من الفصام وكذلك اوجست ستري ذبرج الكاتب المسرحي وفان جوخ الرسام اما ديستوفسكي فكان صرعياً، اما على صعيد الفلسفة وعلم الاجتماع فكان كير كجارد فيلسوف الوجودية يعاني ذهان الهوس والاكتئاب، اما عالم الاجتماع اوجست كونت فكان يعاني من مرض عقلي لم يحدد، وقد عملت لمدة طويلة في مصحات الامراض العقلية في مصر والخارج فأنا اشهد أن شيكسبير وفرويد وداروين وماركس ونيتشه كانوا من مرضاي الذين اتعبوني كثيراً فتركت الجنون الى الابد والى الادب.

ليلة الحناء أكلوني البراغيث:
قصة قصيرة من العيادة النفسية..

طفل في الرابعة ـ يحمل على كاهله الغض مسئولية إضفاء الشرعية على الرباط المقدس ـ يرفض الزواج وهو يمتلك مقوماته ولا يدري احد لماذا، حتى هو نفسه أخضعه أهله «الذين يريدون وأياً الشهد يحمل اسم الاسرة وسمات العشيرة وميراثها الروحي والمادي» للاطباء والمشعوذين وقراء الاثر والطالع وأوراق اللعب أي الكوتشينه والقدح أي الفنجان كانت المرحلة الاخيرة هي اللجوء على مضض للمحلل النفساني.

عندما اتاني أخضعته لجلسات تحليل نفسي مكثفة لمدة عشرين سنة ـ كان خلالها مريضي الوحيد الذي أكل خبزي من آلامه ـ حتى توصلت للعقدة الحقيقية التي تمنعه من الزواج بعد أن قص كل ذكرياته منذ بواكير الطفوله حتى اللحظه الحاضره تذكر في الجلسه المائه الف انه وهو في الرابعة من عمره حضر حفل زفاف ريفي في قريته ومن طقوس الحفل ما يسمى ـ ليلة الحناء ـ يضعون الحناء في يد وقدم العروس وبعض الحضور وكان منهم وطلبوا منه أن يُبقي يديه مغلقه طوال الليل حتى تلون الحناء جيداً في يديه.- كطفل صغير اعتقد أن هذا الطقس من الطقوس الهامة التى لا يصلح الزواج بدونها وبإحساس عظيم بالمسئولية تجاه شرعية هذا الزواج وايمانه بأن شرعيته تكتسب من التصاق الحناء بيديه ابقى يديه طوال الليل مقبوضه وفي المقابل كانت الحشرات التى لا يخلو منها الريف تسرح في جسده وتأكل لحمه وتشرب دمه ولا يملك أن يحك جلده ليحصل على بعض الراحة التى تجعله ينام قليلا قضى ليلة مرهقة لم يذق فيها للنوم طعماً وفي أرشيف دماغه اللاشعوري ارتبط مفهوم الزواج لديه بتلك الليلة الرهيبة والتى اعتقد أن العريس والعروس ايضاً قد كابداها.

شُفي المريض تماما لكنه بعد عشرين سنة من التحليل النفسي هاجمته أمراض الشيخوخة بكل ضراوة كما أن جلسات التحليل النفسي قد استنفذت كل ثروة العشيرة وأصبح يتسول الكعكة من يد اللئيم.



ابن الجوزي وأدب الفكاهة

كثيرون هم الذين عرفوا الامام أبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧هـ) فقيهاً ومفسراً وواعظاً، ولكني أكاد اجزم بأن قلة فقط هم الذين عرفوه مصنفاً شغوفاً بأدب الفكاهة، متتبعاً للنوادر والملح، جامعاً أخبار الظرفاء والحمقى والطفيليين، بل احسب أنَّ هذا الجانب من آثار ابن الجوزي قد طواه النسيان والاهمال عمداً، إذ لم يحظ ولو بدراسة موجزة تلقي بعض الضوء على مساهمات ابن الجوزي في أدب الفكاهة، اللهم إلا بعض الاشارات اليسيرة التي تتصدر الطبعات المحققة من كتبه، ولعل البعض قد استغرب أن يكون لعالم جليل القدر شأن ابن الجوزي اهتمام بأدب الفكاهة.

ربما كانت هذه الغرابة في محلها بالنسبة لاي فقيه أو عالم، لكنها ستزول بالتأكيد عندما ندخل عالم ابن الجوزي.

فمن المعروف أن ابن الجوزي مصنف موسوعي، وعلامة متعدد الاهتمامات، إذ لم تقتصر كتبه على فن واحد من فنون العلم، بل لقد صنَّف كتباً في شتى ألوان المعرفة من الفقه والعقائد والوعظ والأخلاق والقرآن وعلومه والحديث وأصوله والشعر واللغة والتاريخ والتراجم العامة والخاصة والحكايات والأخبار[١] فلا عجب إذن أن يكون لابن الجوزي اهتمام بالملح والنوادر وأخبار أعلامها، وقد صنَّف ابن الجوزي عدة كتب في أدب الفكاهة لم يصلنا منها سوى ثلاثة وهي: الأذكياء، وأخبار الظرَّاف والمتماجنين وأخبار الحمقى والمغفلين، وقد سلك في تصنيفها مسلكاً معروفاً درج عليه بعض مصنفي كتب أدب الفكاهة قبله، وذلك بأن يختار المصنف فئة اجتماعية شاذة كالبخلاء أو الطفيليين أو الحمقى، فيتتبع أخبارهم ونوادرهم ثم يجمعها في كتاب واحد كما صنع الجاحظ مع البخلاء، والحافظ البغدادي مع الطفيليين، وهو ذات الاسلوب الذي اتبعه ابن الجوزي في كتبه الفكهة آنفة الذكر، وفي هذه الكتب يدافع ابن الجوزي عن الضحك والفكاهة ضد من يرى انها هزل لا يناسب مقام العلماء الأتقياء وعبث يشغل المسلم عن فرائض دينه وصحبة العلماء، فنراه يصدر كتبه بالدفاع عن الفكاهة والتأكيد على مشروعية المزاح بل واستحبابه أيضاً مدللا على ذلك بما رُوي عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في هذا الشأن وما قاله العلماء بهذا الخصوص.

والضحك في رأي ابن الجوزي حاجة اساسية لا تستقيم الحياة بدونها، إذ يرى أن الافراط في الجد يورث السأم والملل، ومن هنا تبرز الحاجة إلى مزاح لطيف بريء يركن الانسان إليه ولو للحظات يروح به عن نفسه ويدفع ما طرأ عليه من هم وسأم، وينجو به من الجد المضني الممل، فيغدو المزاح مجرد فاصل منشط يتوقف الانسان عنده يلتقط انفاسه ويستعيد نشاطه وقوّته لمواصلة الجد، فكأن المزاح والحالة هذه ضرباً من ضروب الجد.

ولنستمع إلى ابن الجوزي يشرح مفهومه للمزاح بعبارته وكلماته:

«إنَّ النفس قد تمل من الدؤوب في الجد وترتاح إلى بعض المباح من اللهو ولذلك فإنَّ العلماء والأفاضل تعجبهم الملح ويهشون لها لانها تجمُّ النفس وتريح القلب من كد الفكر.. وتكسبها نشاطاً للجد، فكأنها من الجد لم تزل، ولمَّا كانت النفوس تملُّ من الجد لم يكن بأس باطلاقها في مزح ترتاح به.. فالارتياح إلى مثل هذه الاشياء (أي الملح والنوادر) في بعض الاوقات كالملح في القدر[٢].

وقد طبعت كتب ابن الجوزي الثلاثة (الأذكياء، أخبار الظرَّاف، أخبار الحمقى) عدة طبعات بعضها محققة، وسنحاول في هذه العجالة أن نقدم عرضاً موجزاً لمضمونها وأهم خصائصها.

أخبار الظرَّاف والمتماجنين:

شغف العرب قديماً باخبار الظرفاء ونوادرهم، وسماع حيلهم وملحهم، وقد اشبع العرب هذا الشغف

بقلم: إياد فرعون
- سوريا -

بوسائل عدة، فالأغنياء منهم قرّبوا إليهم الظرفاء وافردوا لهم صدر المجالس، والعامة منهم تندروا بنوادر الظرفاء وتناقلوا اخبارهم ونكاتهم في منتدياتهم العامة والخاصة، أما الأدباء فقد تتبعوا تلك النوادر والنكت وجمعوا شتاتها في كتبهم ومصنفاتهم الادبية، لذلك لم يخلُ كتاب من الكتب الأدبية من أبواب مخصصة لنوادر ظرفاء العرب المعروفين، ويكفي أن نذكر في هذا المقام كتاب الأغاني لابي الفرج الاصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه، ونثر الدر للآبي وغيرها كثير.

أما ابن الجوزي فقد كان له شأن آخر مع الظرفاء، إذ رأى أن يجمع أظرف نوادرهم وألطف حيلهم وأقوالهم في كتاب واحد هو «أخبار الظرّاف والمتماجنين» وقد مهد له بذكر الغاية من تأليفه، وتعريف الظرف والمجون، ثم قسّم الكتاب إلى ثلاثة ابواب: باب فيما ذكر عن الرجال، وباب فيما ذكر عن النساء، وباب فيما ذكر عن الصبيان، أما الباب الأول - وهو أطول الأبواب - فقد قسّمه بدوره إلى خمسة أقسام: أولها ما يروى من ذلك عن الأنبياء عليهم السلام، والثاني ما يروى عن الصحابة، والثالث ما يروى عن العلماء والحكماء، والرابع ما يروى عن الأعراب، والخامس ما يروى عن العوام.

وأطرف هذه الأقسام هو القسم المخصص لنوادر العلماء والحكماء، وإن كان عنوانه لا ينبىء عن مضمونه بدقة، إذ داخلته نوادر بعض الظرفاء الذين لا يمتُّون بصلة إلى العلم والحكمة من أمثال أشعب ومزبِّد، وأبي العيناء وبهلول والجمَّاز.

ومن الفقهاء الذين نقف على نوادرهم: القاضي شريح، والأعمش، والشعبي، وأبو حنيفة، وأبو حازم القاضي، وابن عقيل.

أخبار الحمقى والمغفلين:

يُعتبر كتاب «أخبار الحمقى والمغفلين» من أوسع الكتب التي عالجت موضوع الحمْق والحماقة بأسلوب فكه ساخر لا يغفل الجانب العلمي والأدبي لهذه الظاهرة، إذ يضم هذا الكتاب مجموعة كبيرة من النوادر الطريفة والأخبار الممتعة، جمع ابن الجوزي شتاتها من بطون الكتب وافواه معاصريه، وتدور هذه النوادر حول موضوع واحد هو الحماقة والتغفيل وما يصدر عن الحمقى من أقوال غريبة وافعال بليدة، وقد اعتنى ابن الجوزي - كعادته في سائر مصنفاته - بدقة التصنيف وحسن التبويب، إذ قسّم كتابه هذا إلى أربعة وعشرين باباً، جعل الأبواب السبعة الاولى تمهيداً لغوياً وعلمياً للكتاب، إذ بيَّن فيها معنى الحماقة والتغفيل، وذكر مجموعة من الأسماء التي يطلقها فقهاء اللغة على الاحمق ثم بسط الحديث عن ظاهرة الحمق، فرأى أن الحمق غريزة متأصلة في نفس صاحبها لا سبيل إلى علاجها أو الخلاص منها، ثم بيَّن أن الحمق درجات ومراتب متصاعدة من حيث شدة الحمق، إذ الناس يتفاوتون في الحمق كما يتفاوتون في الفطنة والذكاء، ويتفق ابن الجوزي مع بعض العلماء والفلاسفة الذين رأوا أن للحمق علامات مادية ظاهرة، وصفات عضوية واضحة تفضح الأحمق وتكشف عنه، فراح ابن الجوزي يعدد صفات الاحمق الخُلُقيَّة والخِلْقيَّة من قبيل صغر الرأس وقصر الرقبة، وغلظة الأنفَ، وكثافة اللحية، وبطء الفهم، وبلادة الاستجابة، ثم عقد باباً في التحذير من صحبة الاحمق، عرض فيه بعض ما قاله العلماء والحكماء في ذلك، أما خاتمة الأبواب التمهيدية تلك فقد جعلها في «ضرب العرب المثل بمن عُرف حمقه» وهو باب ذو طابع أدبي، جمع فيه أمثال العرب في الحمق، وأسماء الذين اشتهروا بالغباء والغفلة حتى صاروا مضرب المثل في ذلك، كما ذكر أمثال العرب في حمق الدواب والطيور والنبات، وقدّم تفسيراً لبعضها.

وتبدأ الفكاهة والنوادر مع الباب الثامن الذي جمع فيه أخبار من ضُرب المثل بحمقه وتغفيله، فعرض فيه نوادر هبنَّقة، وابي غبشان، وشيخ مهو، وعجل بن لجيم، وحمزة بن بيض، وابي اسيد، وجحا، ومزبد، وأزهر وابي محمد جامع الصيدلاني، وابي عبد الله الجصاص، كما لم يفته تعقب أخبار النساء اللواتي عرفن بالغباء من امثال: ريطة، ودغة، والممهورة.

ثم تتابع الابواب الفكهة التي خصَّ كل واحد منها بنوادر طائفة من طوائف الحمقى، إذ نقف فيها على نوادر القُرَّاء، ورواة الحديث، والقضاة والامراء، والولاة، والكتَّاب، والحجَّاب، والمؤذنين، والأئمة، والأعراب والمتزهدين، والمعلمين، والحاكة، ثم يعرض أخبار «من قصد الفصاحة والاعراب في كلامه من المغفلين» ويورد في هذا الباب طرفاً من أخبار اللغويين المتقعرين الذين يصرون على استخدام غريب الالفاظ ومهجور الكلمات في حديثهم اليومي العادي إذ يرى ابن الجوزي أن التقعر والتفاصح مع العامة ضرباً من ضروب الحمق



والتغفيل، ثم يتبع هذا الباب بباب آخر يعرض فيه نماذج من شعر المغفلين، وينهي الكتاب بباب في «ذكر المغفلين على الاطلاق» وهو أطول أبواب الكتاب، إذ جمع فيه مجموعة كبيرة من نوادر المغفلين التي لم يجد لها مكاناً مناسباً في الأبواب السابقة، فرأى أن يعرضها مع مثيلاتها في باب واحد.

ومن الأبواب التي تعكس شخصية ابن الجوزي الفكهة باب في «ذكر أخبار جماعة من العقلاء صدرت عنهم أفعال الحمقى وأصروا عليها متصوبين لها، فصاروا بذلك الاصرار حمقى ومغفلين» وهو باب ذو صبغة دينية واضحة، إذ تحدث فيه عن إبليس الذي كان «متعبداً مؤذناً للملائكة» فحوّله كفره وتمرده على أمر الله بالسجود لآدم إلى احمق مغفل، واتبعه بذكر ابن الراوندي الذي اظهر إلحاده وزندقته في كتبه التي كرسها للطعن في الاسلام، فرأى ابن الجوزي أن إلحاد ابن الراوندي وإصراره على مهاجمة الدين الاسلامي إن هو إلا حمق عجيب.

وبهذا المنهج في تقييم الافكار والتصرفات عرض ابن الجوزي أشكالا أخرى للحمق مثل حمق قابيل، وفرعون، وعبدة الاصنام، ونمرود، وإخوة يوسف، وهاروت وماروت، وبني إسرائيل، والنصارى، والمشبهة، والرافضة.

الأذكياء:

وهو كتاب طريف يضم مجموعة كبيرة من القصص والأخبار والنوادر التي تدور حول الذكاء والفطنة ودقة الملاحظة وسرعة البديهة، والحق أن كثيراً من أخبار هذا الكتاب لا تخلو من ظرف وطرافة خصوصاً تلك التي وردت في الأبواب المخصصة للاعراب والطفيليين واللصوص، وهذا ما دعانا إلى ادراج هذا الكتاب ضمن كتب أدب الفكاهة.

وقد استهل ابن الجوزي الكتاب ـ كعادته ـ بذكر الغاية من تأليفه وهي «معرفة قدر الأذكياء، وتلقيح ألباب السامعين إذا كان فيهم نوع استعداد لنيل تلك المرتبة، وتأديب المعجب برأيه إذا سمع أخبار من تعسّر عليه لحاقه».

وقد قسّم كتابه هذا إلى ثلاثة وثلاثين باباً جعل الأبواب الاربعة الاولى تمهيداً للكتاب تماماً كما وجدنا في كتاب أخبار الحمقى، وقد بيّن في هذه الأبواب التمهيدية فضل العقل وماهيته ومعنى الذهن والفهم والذكاء والعلامات التي يستدل بها على ذكاء الذكي معتمداً في ايضاح هذه الأمور على أقوال العلماء والفقهاء وائمة اللغة، ثم عرض بعد ذلك أخبار الأذكياء ونوادرهم وفق تقسيم جيد للأبواب، ويمكننا بدورنا أن نقسم أبواب الكتاب إلى قسمين:

١ ـ قسم بنى تبويبه على أساس الفئة التي ينتمي إليها صاحب الخبر، إذ جعل لكل فئة أو طبقة اجتماعية باباً مستقلا جمع فيه أخبار هذه الفئة، ونقرأ في هذه الأبواب ما نقل عن الصحابة، والخلفاء، والوزراء والسلاطين، والاجراء، والحجّاب، والشرطة، والقضاة، والعلماء، والفقهاء والعبّاد، والزهّاد، والاعراب، والشعراء، والمحاربين، والمتطيبين، والمتطفلين، والمتلصصين، والصبيان، والنساء، وعقلاء المجانين.

٢ ـ أما القسم الثاني من أبواب الكتاب فقد بنى تبويبه بالنظر إلى موضوع الخبر ونوعه، ومعظم هذه الأبواب طريف مستملح يحفل بنوادر الأذكياء وحيلهم، ومن هذه الابواب باب في «ذكر من احتال بذكائه لبلوغ غرض» وباب في «ذكر من احتال فانعكس عليه مقصوده» وباب في «ذكر من وقع في آفة فتخلص بالحيلة منها» وباب في «ذكر من استعمل بذكائه المعاريض» وباب في «ذكر من فلج خصمه بالجواب المسكت» وباب في «ذكر من غلب من العوام بذكائه كبار الرؤساء» ثم ختم ابن الجوزي كتابه ببابين طريفين اولهما «فيما ذكر عن الحيوان البهيم مما يشبه ذكاء الآدميين» وقد ساق فيه بعض ما سمعه أو قرأه من حكايات وحوادث تدل على ذكاء الحيوان، كما ذكر في هذا الباب بعض الحقائق العلمية المتعلقة بسلوك الحيوان.

أما الباب الثاني فهو في «ذكر ما ضربته العرب والحكماء مثلا على ألسنة الحيوان» ويضم هذا الباب قصصاً تجري على ألسنة الحيوانات على غرار ما نجده في كتاب كليلة ودمنة.

ويحفل الكتاب بأخبار أذكياء العرب المعروفين من امثال دهاة العرب الاربعة: معاوية بن ابي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه، وعمرو بن العاص.

ومن الفقهاء: الأعمش وابو حنيفة.

ومن القضاة: شريح وإياس بن معاوية.

ومن الخلفاء: ابو جعفر المنصور، والمعتضد بالله.

وإذا اردنا ان نصف هذا الكتاب باختصار لقلنا بأنه موسوعة متكاملة في اخبار الاذكياء ونوادرهم وحيلهم، تضم مواضيع ادبية وفقهية ولغوية وعلمية، فتضع بين يدي القارىء مادة مفيدة وممتعة تغنيه عن الرجوع إلى عدد كبير من الكتب.

ملاحظات عامة:

من خلال العرض السابق لهذه الكتب الثلاثة يتبين لنا أنها قد عالجت جميع المواضيع المألوفة في كتب أدب الفكاهة من الظرف والتطفل والحيلة والذكاء وأخبار الحمقى ونوادر اللغويين والاعراب، وبالتالي فإن قراءة هذه الكتب تكفي لاعطاء صورة متكاملة عن طبيعة ادب الفكاهة ونوعية المواضيع التى يعالجها، لكن هذه الكتب اغفلت باباً هاماً من أبواب الفكاهة ألا وهو نوادر البخلاء الذي بحث فيه بكثير من التوسع والتفصيل أديب العربية الكبير الجاحظ وبشكل عام يمكننا أن نسجل الملاحظات التالية على كتب ابن الجوزي الفكهة.

١ - اعتنى ابن الجوزي - كعادته في سائر مؤلفاته - بدقة التصنيف وحسن التبويب، وهي ميزة تفتقر إليها معظم الكتب التي صُنفت في ادب الفكاهة ككتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري والمراح في المزاح لمحمد الغزي.

٢ - حرص ابن الجوزي على الابتعاد عن كل ما ينهى عنه الدين وتأباه الأخلاق، ولذلك خلت كتبه من نوادر المجون والخلاعة التي نقع على بعضها في كتب المنتخبات الادبية كالاغاني لابي الفرج الاصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه، ونثر الدر للآبي، ومحاضرات الادباء للراغب الاصفهاني، ونلمس هذه العناية بشكل خاص في كتاب «أخبار الظرّاف والمتماجنين» إذ يُعتبر موضوع الظرف والظرفاء مجالا خصباً لأمثال هذه النوادر التي لا تخلو من الفاظ فاحشة وعبارات فاضحة ومعان هابطة لا تليق بأديب أو متأدب.

٣ - يمكننا أن نقسم نوادر الكتب السابقة إلى نوعين:

- نوادر يذكرها ابن الجوزي دون أن ينسبها إلى شخص بعينه، وأغلب الظن أنها أخبار ملفقة من قبيل النكات التي كان الناس في ذلك العصر يتداولونها في مجالسهم ومنتدياتهم، ولهذه النوادر أهمية خاصة في ميدان الدراسات الاجتماعية وذلك لغناها بالدلالات الاجتماعية والنفسية والحضارية.

- نوادر مسندة إلى أشخاص معروفين: وقد حرص ابن الجوزي على ذكر الراوي الذي يأخذ عنه أمثال هذه النوادر.

٤ - لا تغيب عن الكتب الثلاثة السابقة شخصية ابن الجوزي الفقيه المحدث، وقد تجلى أثر شخصيته العلمية في عدة مواضع، فهو يعتمد النص المستمد من القرآن والسنة دليلا لاثبات ما يعرضه من آراء وأفكار، ولا يملُّ من الاستشهاد باقوال العلماء والفقهاء كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وعندما عرض مفهومه للمزاح والدعابة بناه على قاعدة شرعية قوامها الاحاديث الثابتة عن الرسول {صلى الله عليه وسلم} في هذا الشأن وكأنه يجتهد للافتاء في حكم المزاح، وعندما ذكر في كتاب أخبار الظراف قصة منسوبة إلى سليمان (عليه السلام) اعقبها بالتنبيه إلى أنها من قبيل الاسرائيليات المدسوسة على الثقافة الاسلامية، هذا فضلا عن الابواب ذات الطابع الديني والتي وقفنا عليها في كتاب الاذكياء.

وبعد لا جرم أنَّ ابن الجوزي لم يكن أول من صنف كتاباً في أدب الفكاهة بل سبقه آخرون في هذا الميدان كالجاحظ والحافظ البغدادي، لكنه بالرغم من ذلك كان متميزاً في عمله، متفرداً في اختياراته، إذ لا نعلم كاتباً قبله سبقه إلى جمع نوادر الظرفاء والحمقى في كتاب واحد.

ومن جهة اخرى فإن كتب ابن الجوزي تكاد تكون المراجع الوحيدة لعدد كبير من النوادر التي لم نعثر عليها في المصنفات الأدبية الأخرى، مما يضفي على هذه الكتب أهمية خاصة للباحث في أدب الفكاهة ويدفعنا إلى بذل المزيد من العناية بها تحقيقاً ودراسة أو قراءة على أقل تقدير.

الهوامش:

(١) راجع كتاب مؤلفات ابن الجوزي لعبد الحميد العلوجي، بغداد: شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، ١٩٦٥م، إذ قام فيه الاستاذ العلوجي بعمل ببليوغرافيا شاملة لمؤلفات ابن الجوزي احصى فيها حوالي ٥١٩ كتاباً مما اوردته المصادر منسوباً لابن الجوزي.

(٢) اقتباسات متفرقة من كتابي «أخبار الحمقى» و«أخبار الظراف».

وقفة على حائط نخل مهمل



شعر : عبدالله بن سليم الرشيد - الرياض -

دروب الأمس تفتحُ دفتريها
فماذا قد تضمّن دفتراها؟
لها وله تسرّب في الليالي
وهزّ شغافها حتى براها
فألقته على شفة نمُوم
تحس بها النفوس ولا تراها
تحدّث - وهي للفلاح تومي
وتجهش، والحنين قد اعتراها
تعال إليّ، فالبستان يشكو
بأحرف لوعة، ملّتْ سُراها
وللنخلات همهمة، ووجد
بأكسية المريضة دثّراها
تعاور حسنهن ابنا سمير
وأي الأرض لم يتعاوراها؟[!]

* * *

تحنّ إلى ترنمك السواقي
ويحلمُ بالمساحي أخضراها
وتحت الترب - كامنة - عروق
تطلّ عليك شوقاً من ثراها

* * *

ألم تحنن إلى سجع القماري
على السعفات، تُدهش من يراها؟
ألم تحنن إلى سكن وماء
إلى رُطب جنيّ في ذراها؟
نديمي أنت، أيام التعزّي
وحين الأرضُ يبدو كاشراها
فكم شمْتَ البروق وقمت تدعو
تكاد من الهوى تجري وراها

وكم ســـاقـــيـــتني فـــرحـــاً ويشـــراً
إذا مـــا غـــيـــمـــة أرخـتْ عُراهـا

* * *

أرقـت لُبـــاب قـلبـك فـي حـــيـــاة
أرى هـمـاً وغـــمـاً ســــاوراهـا
همـــا أخـــوا التـمـــدُّن والتـبـــاهي
إذا وردا الـصـــفـــيّة كـــدَّراهـا
غـــلامـــا فـــتـنـة سَعَرا ضـــرامـــاً
فـــهـل أمـن الـضَّريمـة مُسْعـــرَاهـا؟:
عـــهـــدتُ أخـــا الحـــجـــا ينزاح عنهـــا
فـــمـن ذا غـــره حـــتـى اكـــتـــراهـا؟
فـــلا تـســـمـع لأفّاك لجـــوج
تـأنق فـي الـدعـــايـة وافـــتـــراهـا

* * *

زوى عـن روعـــة المـاضـي فـــؤادا
وعـــينـاً لـيس تـصـــحـــو مـن كـــراهـا
ولا تـغـــررك أشـــبـــاه غـــلاظ
تـراعُ بـهـــا، وتجـــهـل مـــا وراهـا
وذرنـي مـن أخـي تـرفٍ جـــهـــول
تـنـدّر بـالحـــقـــيـــقـــة وازدراهـا
طـوى أيـامـــه سفـــهـــاً تـخـــيـنـاً
تحـــايل لـلـمـــبـــاهـج وادّراهـا[٢]
ويـزعـمُ نفـــســـه فـــهـــمـــاً فطينـا
ومـــا فَقِهَ الحـــيـــاة ومـــا دراهـا

* * *

هـلمَّ ، فـــقـــد ســـرى نَسَمًا صـــفـــاء
ألمّا بـالبـــقـــاعِ، فـــعـطـراهـا
«وعْدْ إن الـكـريم لـه مـــعـــاد»
تُعـــدْ ألق الطبـــيـــعـــة فـي قُراهـا
ولا تجـــزعْ لـصـــيـــد لـم تحُزْه
فكلُّ الصـــيـــد يكمنُ فـي فـــراهـا
بك احـــتـــفلت، ونـادمـــهـــا ضـــحـــاهـا
وصـــفّق لـلنســـائـم نـاضـــراهـا
وكـم فـي الأرض مـن غـــبـــار، ولـكـن
ســـمـــا بسُمُوّ صـــاحـــبـــه حـــراهـا

لهوامش:

١) ابنا سمير: الليل والنهار.
٢) ادّرى الصيد: ختله ليصيده.



٣٣٣ - أول مقالة:

ما أجمل أحلام الصبا، كان الفتى المراهق في هذا العهد الناضر، يحلم بغد مشرق ساطع، ويخيل إليه أنه أصبح قاب قوسين من تحقيق حلمه متى ظهرت لعينه أول بادرة.

أذكر أن أوّل مقالة كتبتها كانت بمجلة الرسالة، وأنا طالب في السنة الثالثة بالمعهد الابتدائي، كنت قرأت نقدا نحويا للأستاذ عبد المتعال الصعيدي، ففهمت منه أنه هو الذى يتحدث عن رأيه لا أنه ينقل كلام سواه، وبدا لي وجه آخر فيما نقله فسارعت بالرد عليه، وكان الأولى أن يوجه الرأى إلى من نقل عنه، وقرأ صاحب الرسالة نقدي فرآه صوابا، وبادر بنشره في العدد (٣٤٢) الصادر بتاريخ ٢٢/١/١٩٤٠م.

وظهرت مجلة الرسالة تحمل فهرسها اسماء كبار الكتاب من أمثال أحمد حسن الزيات وزكى مبارك ومحمود محمد شاكر وابراهيم ناجى وصلاح الدين المنجد، ثم اسمى المتواضع، ولم أصدق عيني، لأن نشوة ملكتني جعلتني أسير في الشارع إلى غير قصد، بل جعلتني أطرق منازل زملائى الطلبة، لأقول لهم إنى قد نشرت نقدا بالرسالة، وقد تعجبت من هذا الشعور الطاغي الذي تملكني، وهذه الفرحة التى جعلت تقيمني وتقعدني، وخلتني إنسانا شاذا أو مجنونا، ولكني قرأت لكثير من الكتّاب ما يشبه مشاعري، بل وما يفوقها سطوة وفيضانا، فاطمأننت إلى أني لم أكن مجنونا ثم رأيت أن أتحف القاريء هنا ببعض ما قرأت.

٣٣٤ - عبد الرحمن شكري:

الأستاذ عبد الرحمن شكرى أحد أساطين الأدب الحديث، وأوّل ثلاثة من ذوي التجديد الشعري المعاصر، حيث كان وزميلاه الأستاذان عباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازني من حملة لواء التجديد شعرا ونقدا، وقد عُرف اتجاههم باصطلاح نقدي هو (مدرسة الديوان) هذا الشاعر الكبير والناقد القدير تحدث عن شعوره لدى نشر أوّل أثر أدبي له فقال في كتاب الاعترافات:

«إني لأذكر يوم نُشرت لي أول قصيدة، وقد اشتريتُ الجريدة التى نشرت فيها، وصرت أقرأ القصيدة مرات عديدة، وكان يخيّل إليّ أن الحروف ترقص على الجريدة، وصرت أخبط خبط الضال في الأزقة، والطرق، وكلما نظر إليّ أحد حسبته قد قرأ القصيدة وأعجب بها وكان يخيّل إليّ أنها أحدثت أثراً بالغا في نفوس الناس، وأنها أصلحت من عواطفهم، وقوّتها، وزادت في عظم نفوسهم، وأنها ستحدث تغييرا في سنن الوجود وأنظمته، وخيل اليّ أن الهواء الذي كنت أنشقه في هذا الكون هذا اليوم غير الهواء الذي أنشقه كل يوم، ولا يعدل مقدار هذا السرور شيء غير الحزن الذى نالنى حين قرأت نقداً لها في إحدى الجرائد، فخيل إليّ عند قراءته أن هناك مؤامرة تدبر في هذا الوجود يراد بها ضُرّي والإساءة إليّ».

هذا الحزن الذى غمر الأستاذ شكرى، قد غمرني أيضا حين قرأت في العدد التالي من الرسالة ردّ الأستاذ عبد المتعال الصعيدى عليّ، إذ أعلن أني

خطأتُ حين وجهت النقد إليه، وكنت قسوتُ في الرد عليه فذكرت عبارة لا موجب لها، فكان من الحتم أن يقسو، وقد شمت بي بعض الزملاء فكنت أحاول أن أعتزلهم، وكأني ارتكتب جرما.

٢٣٥ - الأستاذ حافظ محمود:

يعتبر الأستاذ حافظ محمود أحد شيوخ الصحافة الكبار في مصر، وقد كان نقيبا للصحافيين أمدا غير قصير، ورئيسا لتحرير مجلة السياسة الأسبوعية الأدبية زمنا طويلا، حيث تنازل له الدكتور محمد حسين هيكل عن رئاسة التحرير تقديرا لمكانته الأدبية، وقد تحدث كثيرا عن ذكرياته الصحفية في كتب مختلفة، ثم أفرد في مجلة الثقافة فصولا أخرى تدور هذا المدار، ومما كتبه في الثقافة حديث شائق عن أول مقال نشره بالصحف قال فيه:

«كانت البلاد مشغولة بالمحاكمات السياسية فقلت في نفسي لأكتب موضوعا عن نفسية القاضي ونفسية المتهم، ولأجرب نشره في أعظم الصحف الثقافية آنذاك وهي جريدة السياسة الأسبوعية، ولأبعث بالمقال عن طريق البريد، ووضعت المظروف الذى يضم المقال في غسق الليل في صندوق البريد الكبير الذى كانت الجريدة تضعه على بابها، وبينما كنت أصلى الجمعة في مسجد البهلول بالقرب من دارنا في حي السيدة زينب، قابلني زميل كريم بكلية الحقوق، وقال لي مبروك، فاتجه ذهني الى الامتحانات، وقلت له: ومن أين عرفت؟ فقال من جريدة السياسة اليومية لأنها نشرت إعلاناً عن مجلة السياسة الاسبوعية وفيه موضوع نفسية القاضي ونفسية المتهم بقلم الأديب حافظ محمود، ولو كان ما رأتم عن نتيجة الامتحان وتفوقي فيه لما أحسست كل هذه النشوة التى أحسست بها في هذه اللحظة، لكنها كانت نشوة أرّقتني فصحوت قبل الفجر، ثم توضأت وقصدت مسجد السيدة زينب فصليت، وخرجت إلى باعة الصحف فاستوقفت أحدهم، وابتعت منه نسخة من السياسة الأسبوعية ووقفت تحت عامود النور في الشارع لأقرأ مقالي».

لم يتماد الأستاذ حافظ في تحليل مشاعر النشوة كما فعل الشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى ولكن أرقه طول الليل، وقيامه قبيل الفجر وقطع الوقت في الصلاة حتى تحين ساعة الشراء كل ذلك يؤكد انفعالات لذيذة أحسّ بها الكاتب الكبير.

٢٣٦ - الأستاذ علي الطنطاوي:

من منا لا يعرف أديب العربية المتين الأستاذ علي الطنطاوي، وقد تحدث عن كل خلجة أحسّ بها في حياته المباركة حديثا ينفح بالعطر، ومما كتبه حديثه عن أول مقال نشره في جريدة، لقد كتب مقالا أدبيا وهو غلام يافع وعرضه على رفيق صباه الشاعر المطبوع الأستاذ أنور العطار فأعجب به، وأشار بنشره في مجلة (المقتبس) التي كان يصدرها الأستاذ أحمد كرد على في دمشق، فاتجه الفتى من فوره لرئيس التحرير.

يقول الأستاذ الطنطاوي: ولم يكن من إخواننا من يعرف طريق صحيفة أو يجرؤ على النشر فيها، وكنا يومئذ متلبسين كريمة الحياء التى أقلع عنها شباب اليوم، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، فأخذ الأستاذ أحمد كرد على المقال وقرأه، فرأى كلاما مكتهلا ناضجا، ونظر في وجهى فرآنى فتى فطيرا، فعجب أن يكون ذاك من هذا، وكأنه لم يصدقه، فاحتال عليَّ حتى امتحننى بشيء أكتبه له زعم أن المطبعة تحتاج إليه، فليس يصح تأخيره، فأنشأته له إنشاء من يسابق قلمه فكره، فازداد

عجبه، ووعدني بنشر المقال غداة الغد، فخرجت من حضرته، وأنا أتلمس جانبي أنظر هل نبتت لي أجنحة أطير بها، لفرط ما استخفَّنى من السرور، ولو أني بويعت بإمارة المؤمنين ما فرحت أكثر من فرحي بهذا الوعد، وسرت بين الناس وكأني أمشي فوق رؤوسهم تعاليا وزهوا، وما أحسبني نمت تلك الليلة ساعة، بل لبثت أتقلب على الفراش أتصور أيّ جنة عدن سوف أدخل في غداة الغد، أيّ كنز سأجد، وجعلت أترقب الصباح ولا ترقب عاشق متيم ينتظر وصلا بعد هجران، حتى إذا انبثق الفجر وأضحى النهار، أخذت الجريدة فإذا فيها المقال، وبين يديه كلمة لو قيلت للجاحظ لكانت كبيرة عليه.

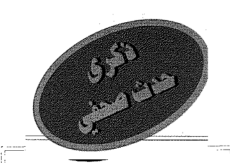
والطريف أن للإستاذ الطنطاوي مقالات يذم فيها حرفة الأدب، ويبدى ندمه الشديد أن صار أديبا مرموقا، ويتساءل ماذا كسب من عشرات الآلاف من الصحف التى دوّنها، وهو كلام يقال في ساعات الضيق فحسب، ولكن سرعان ما يحل الصفاء.

٣٣٧ - أول قصيدة:

قال صاحبي، نشأت أحب الشعر، وأقوله بيني وبين نفسي ولا أجرؤ أن أذيعه بين زملائى خشية أن تسقط منزلتي إذا رأوني أجري في ميدان لست من أربابه، ثم مات صاحب جريدة الأهرام جبرائيل تقلا باشا وشاهدت قصائد المراثى تنثال على الجريدة فتسارع بنشرها، وتوالت القصائد تحمل أسماء المشهورين والمغمورين معا، فخطر ببالي أن الجريدة فتحت مجالها لكل قائل، وأنى إذا قلت شعرا في رثاء صاحب الأهرام فسيجد مجاله للنشر في أكبر صحيفة في العالم العربي، وهي فرصة يجب الا تفوتني، ومن ثم فقد خلوت إلى نفسي ونظمت عدة أبيات نشرتها الأهرام بالعدد الصادر بتاريخ ١٩٤٣/٧/١١، وكان منها هذه الأبيات:

أنفذ الموت في العرين سهامه
فعزاء إن أسكتت ضرغامه
كيف يجدى العزاء في خطب شعب
أوقد الهمّ في حشاه ضرامه
قام يستقبل الضياء صباحا
فرأى الكون لم يفارق ظلامه
فاجأته الأهرام سوداء ولهى
نكس الحزن فوقها أعلامه
وبكاء الأهرام أول شيء
يقف الشعب في ارتباك أمامه
أين تقلا؟ قم اسأل اليوم تقلا
كيف ألقى إلى المنايا زمامه

ولما كنت طالباً بمعهد الزقازيق الديني فقد كتبت تحت اسمى (طالب بمعهد الزقازيق) ولكن الجريدة جعلت عنوان القصيدة (دمعة معهد الزقازيق) وهو عنوان لم يخطر ببالي أن أكتبه، وقد سررت كثيرا بنشر الأبيات وأخذت أباهي بها ولكن لم أكد أذهب بعد يوم إلى المعهد، حتى استدعاني شيخ المعهد، وسألنى محتجا: من خوّل لك أن تتحدث باسم المعهد في رثاء لم أستشر في أمره، وربما وجدت لدي ما يمنع نسبته إلى المعهد؟ قلت إني لم أختر العنوان، ولكن الجريدة هي التى كتبته، قال هذا غير معقول، وقد ورطت المعهد في أمر ليس من شأنه، وسكت غاضبا، ثم خرجت الأهرام في اليوم التالى بمقال رنان في رثاء صاحبها بقلم فضيلة الشيخ محمود أبو العيون شيخ معهد الإسكندرية، وظهرت مجلة الأزهر ناعية الرجل بمقال كبير ملأ صفحة واسعة من صفحاتها، فأخذت المقالين، وذهبت بهما إلى شيخ المعهد، فقال لست وحدك إذن فقد زال الخطر .. مع أنه لم يوجد خطر ما أصلا!



هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبدا.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.

AL-JAZEERAH

الجزيرة

مجلة ثقافية شهرية

تصدر كل شهرين مرة مؤقتا

صاحبا الامتياز

مبارك سلطان السهلي

سلطان عبد الهادي السهلي

السنة الاولى. العدد الأول

رمضان. شوال ١٤١٧ هـ/ يناير. فبراير ١٩٩٧م

في مثل هذا الشهر «رمضان المبارك» من عام ١٤١٧هـ - يناير ١٩٩٧م صدر العدد الأول من الزميلة «الجزيرة» التى تصدر بدولة الكويت - وهي مجلة ثقافية اجتماعية علمية شهرية - تصدر في الوقت الحالي - وبصفة مؤقتة - كل شهرين، وقد صدر العدد الأول منها عن شهري رمضان وشوال ١٤١٧هـ الموافقين لشهري يناير وفبراير ١٩٩٧م.

والذي استرعى انتباهنا - بتتبعنا لأعداد مجلة (الجزيرة) التى صدرت حتى الآن أنها حوت مواضيع ثقافية وأدبية واجتماعية ذات مستوى راق مما يؤكد بأن جهودا كبيرة قد بُذلت - من قبل القائمين عليها - في الإعداد لصدور هذه المجلة - حيث لوحظ حُسن انتقاء الموضوعات وتنوعها بين ثقافية وأدبية وعلمية واجتماعية. فضلا عن جودة الورق والطباعة وتناسق إخراج المواد.

وأسرة مجلة « المنهل » - إذ تحيي هذه المجهودات - لتُرحب بالشقيقة (الجزيرة) في دنيا الصحافة وتتمنى لها وللقائمين عليها دوام التقدم والازدهار.. والله ولي التوفيق.



في مثل هذا الشهر (رمضان المبارك) من عام ١٤٠٧هـ (مايو ١٩٨٧م) انتقلت الزميلة «المسلمون» إلى مقرها الجديد بمدينة جدة - بالمملكة العربية السعودية - بحجمها وشكلها «المميز» الحالي - حيث كانت قد بدأت - كجريدة - في الصدور في التاسع من شهر فبراير عام ١٩٨٥م في حجم (التابلويد) - نصف حجم الجريدة العادى - في لندن، واستمرت في الصدور هناك حتى انتقلت إلى مقرها الجديد بجدة.

وأسرة « المنهل » بكامل منسوبيها، إذ يهنئون منسوبي الزميلة «المسلمون» كافة بهذه الذكرى العزيزة.. ليذكرون بكل اعتزاز الجهود المخلصة التى وقفت وراء التطور البناء الذى برز جليا في:

* تخصيص صفحة لـ «المسلمات» تعنى بشئون المرأة المسلمة في كل مكان.

* تتبع مواقع البؤر الساخنة في شتى بقاع الأرض، ورصد أحوال المسلمين فيها.

* انتهاج منهج تأصيل القضايا الفكرية، والثقافية، والسياسية تأصيلا شرعيا مرتبطا بمنهج السلف الصالح من الأمة الاسلامية.

* العمل على نشر الاسلام الصحيح ومنهجه المتميز بالاعتدال والوسطية باعتماد آراء وفتاوى العلماء الكبار الثقات - في المملكة العربية السعودية وفي العالم الإسلامي.

* التصدى لخصوم الاسلام بكشف مكائدهم ونواياهم.

نتمنى للزميلة «المسلمون» المزيد من التقدم والرقي، والله ولي التوفيق.



الناشر/ هشام على حافظ



الناشر/ محمد على حافظ



د. عبدالله الرفاعي
رئيس التحرير



محمد معروف الشيباني
العضو المنتدب



هشام مصطفى زاهد
المدير العام بالمملكة العربية السعودية

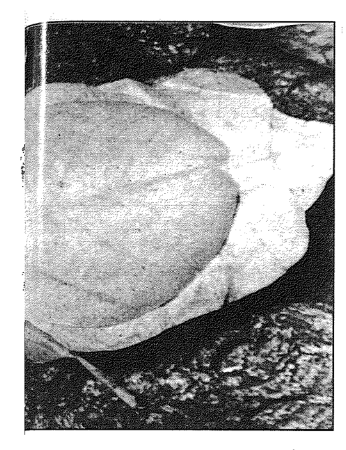
التمويه عند الكائنات الحية

تعيش الأحياء (الحيوانات والنباتات) في مستويات مختلفة في نطاقات القشرة الأرضية من أعماق البحار والمحيطات إلى أعالي الجبال، والطبقات الغازية الدنيا من الغلاف الجوي.

ومن ملاحظاتنا المباشرة، نجد في بعض الأماكن أحياء تختلف في نوعها وشكلها عن أحياء الأماكن الأخرى، ويعود هذا الاختلاف إلى ظروف البيئة الطبيعية.

فالبيئة البحرية غير بيئة البر، وفي المدى الجغرافي الواحد كالبحر مثلا، نجد بيئة الشاطيء تختلف عن بيئة المنحدر القاري وعن بيئة الأعماق، وفي البر بيئة الغابة تختلف عن بيئة الصحراء وبيئة الجبل.. و.. و... الخ.

بقلم : محمد فيض الله الحامدي
- سوريا -



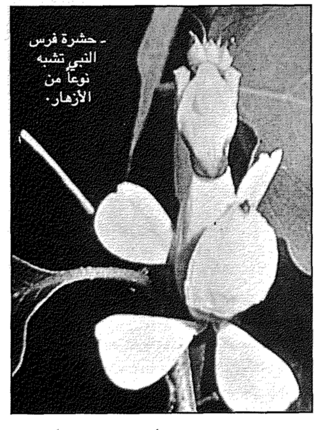
والأحياء في كل بيئة متكيفة مع عناصر البيئة، وهذا التكيف حاصل خلال ملايين السنين، فإذا حدث تغير في عناصر البيئة، فإن الأحياء تتعرض لمضايقات، فإما تنقرض أو تهاجر إلى أماكن أخرى وتتكيف مع الظروف الجديدة أو تتطور بظهور صفات عضوية وسلوكية جديدة بقدرة الخالق لتستمر في الحياة.

والتمويه الحيوي بكل صوره وسيلة أو مجموعة وسائل هدفها الحفاظ على النوع والبقاء في هذه الطبيعة التي لا تعرف الاستقرار والثبات.

التمويه الحيوي:

هو ما يقوم به الكائن الحي من تغيير في الشكل واللون والوضع (الهيئة) بقصد إخفاء معالمه في الوسط الذي يعيش فيه، لحماية نفسه من الأعداء أو من أجل القنص والافتراس، والتمويه الحيوي شائع في العالم الحيواني، من أدنى الكائنات إلى أرقاها بدرجات مختلفة، ويلاحظ التمويه في بعض النباتات أيضاً فبعض النباتات تتشابه مع نباتات أخرى لها وسائل دفاعية تحميها من الحيوانات العاشبة، ولا تقترب الحيوانات العاشبة من تلك النباتات رغم أنها صالحة للأكل، وسيقتصر الحديث في هذا البحث عن التمويه الحيوي في عالم الحيوان.





أغراض التمويه الحيوي: بشكل مبدئي يمكن تحديد هدف التمويه الحيوي الرئيسي «البقاء على قيد الحياة»، فالحياة قائمة بالصراع، والكائن الحي آكل أو مأكول، ولهذا يتعدد هدف التمويه الحيوي الرئيسي في غرضين:

الأول: الدفاع عن النفس بالحماية والتخفي.

الثاني: الاستخفاء للقنص من أجل الحصول على الغذاء.

ويتأمن هذان الغرضان بسبل وطرق عديدة، بعضها سلوكي وبعضها لوني وبعضها شكلي ويمكن تحديدها بالتكيف الطبيعي والتلوين الوقائي والتلوين التحذيري، والمشاكهة، كما سيتضح في العرض لاحقاً والأمثلة التي سنعرضها هي نماذج قليلة من ظواهر كثيرة، تدل على عظمة المبدع الحكيم الذي قدَّر فهدى، وأحسن كلّ شيء خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين.

التكيف الطبيعي:

معظم الحيوانات تكيفت في بيئاتها من خلال التطور الطبيعي خلال ملايين السنين وتلك سنة الله في خلقه، فاتخذت أشكالا وألواناً تعطيها حرية الحركة في بيئاتها، والتمويه الحيوي جزء من هذا التكيف العام. كما يظهر في الأشكال النباتية لبعض الحشرات، فبعض الحشرات تشبه أوراق النباتات، وأشهرها «الحشرة الورقة» التي تشبه ورقة نباتية تماماً، لونها أخضر وعلى ظهرها عروق ذات لون بني فاتح تحاكي عروق الورقة النباتية وإذا وقفت الحشرة على النبتة التي تشبه أوراقها يستحيل تمييزها.

وتوجد فراشات تشبه الأوراق النباتية الميتة، فإذا وقفت فراشة من هذا النوع على غصن شجرة وأطبقت جناحيها، تظهر كورقة صفراء بنية ميتة، وبذلك لا يميزها اعداؤها عن أوراق الشجرة.

ويظهر التكيف أحياناً بشكل أزهار، فهناك نوع من حشرات فرس النبي له شكل يماثل الأزهار، حيث تعطي الأقسام المنبسطة من الجسم والأرجل ما يشبه بتلات الزهرة ولونها يماثل ألوان الأزهار الوردية الفاتحة.

ولا يقتصر التكيف على الحشرات الكاملة، فيرقات بعض الأنواع تشبه الأزهار أو فروع النباتات التي تعيش عليها الحشرات، ولذلك تتوفر لها الحماية وفرص البقاء، ولا يقتصر التكيف على الشكل، بل يشمل الألوان التي تتوافق مع ألوان البيئة وقد لعب التطور دوراً أساسياً في تحقيق هذا التكيف.

يقول أرمسترونغ سبيري في كتابه «المنطقتان المتجمدتان» (طائر الطرمشان نوع من الحجل، وواحد من أهم الطيور البرية في الشمال، ولقد حبته الطبيعة

تتحرك الأفراخ إذا شعرت بوجود حركة غريبة قربها، فلا يمكن ملاحظتها بسهولة، إن هذا التكيف حصل خلال ملايين السنين كما يقدر العلماء، بطرق وآليات لا مجال لشرحها، تتجلى فيها عظمة الخالق وقدرته، والأشكال التالية نماذج من التكيف الطبيعي.



- يرقات حشرة - تشبه الأزهار.

بكساء من الريش المرقش، بخليط من الأسمر والأبيض والأشهب وهي تعمية تامة للطائر تتلاءم وبيئة المنطقة المتجمدة التي تحيط به، ويبدو لكل من يراه كقطعة من طفو الثلج المستقرة بين عشب أسمر اللون وصخر أشهب. ومن السهل أن يخطيء الإنسان في التفرقة بين عرفه الأحمر الصغير، وعنقود التوت، ويكسو الريش ساقيه وقدميه حتى منبت مخالبه، وهو بهذا الوصف يغطى برداء سحري للتخفي دون أي طائر آخر، في المنطقة المتجمدة الشمالية).

وفي بعض الأنواع يمتد التكيف إلى البيوض والصغار أيضاً، فبيوض طائر الزقزاق المطوق تشبه الحصى التى يضع الطائر بيوضه بينها، وعندما تفقس البيوض تخرج أفراخ تشبه الأرضية العامة للبيئة، ولا



- الحسون.

التلوين الوقائي:

يحدث في بعض الحيوانات تغير لوني، يتناسق مع ألوان البيئة فتحدث «مماثلة محجبة» توفر الحماية للكائن الحي، كما تعطيه فرصة اكبر لأخذ فريسته على حين غرة.

وللتلوين الوقائي نماذج مختلفة نذكر منها:

(١) في الحشرات: (عصا عجيبة):

يقول فرديناندلين مؤلف كتاب «دنيا الحشرات» تحت عنوان (عصا عجيبة تمشي): «إن هذه الحشرة عندما تستقر في مكان تدفع أرجلها الأمامية إلى الأمام، وتضم أرجلها الأربعة الأخرى إلى جسمها، وحيلتها المفضلة هي لعبة الموت أو التظاهر بالموت، وتستطيع البقاء بدون أية حركة لمدة ساعات طويلة، وحينئذ تشبه العصا تماماً، وتقدم هذه الأنواع أمثلة رائعة في كيفية وقاية الطبيعة لأبنائها، وهي تشبه النباتات التي تتغذى عليها، لدرجة يصعب على أعدائها أن تميزها، وكثير منها يغير لونه تبعاً لفصول السنة، ففي الربيع تأخذ اللون الأخضر، مثل الأوراق الصغيرة الخضراء. وعندما تتحول الأوراق إلى اللون البني في الخريف يتحول لون «العصا الرحالة» كذلك.

وهي بذلك تعد مثلا عجيباً في التنكر والتخفي، وفي الأقطار الإستوائية قد يزداد هذا النوع في تنكره، فهناك كثيراً ما تبدو العصا الرحالة وكأنها يغطيها شيء من قلف الشجر وقد يكون منها ماله عقد غريبة على جسمه تشبه البراعم».

(٢) في الطيور:

يقول (روبرت لن) في كتابه (الطيور) «وثمة مثل في التلوين الوقائي في الطيور، يتجلى في عصفور الحسون، فإنه يمضي الشتاء والصيف في الشمال

في الربيع والخريف يبدو الذكر في ألوان صفراء سوداء زاهية وبحلول شهر سبتمبر (ايلول) وقبل أن تسقط أوراق الأشجار يصير لونه أخضر داكناً، وعندما تصير فروع الأشجار جرداء يصبح شبيهاً بالعصافير العادية، وهو إنما يفعل ذلك كما يفعل أبناء جنسه منذ آلاف السنين».



(٣) في الثدييات:

يقول آرمسترونغ سبيري في كتابه «المنطقتان المتجمدتان» (الثعلب القطبي الحقيقي يتحول لون فروته الأصفر المبرقش المشوب بسمرة في الصيف إلى أبيض ناصع كالثلج إذا جاء الشتاء).

ـ نوع من حشرة فرس النبي يشبه ورقة نباتية جافة ـ تمويه متقن.

والتلوين الوقائي يحدث في فترات زمنية قصيرة نسبياً، أي لا يستغرق فترات طويلة تقدر بآلاف السنين، لكن آلية هذا التلون استقرت في مورثات الكائن الحي من خلال تطور مورثاته خلال ملايين السنين.

ومهما كانت آلية التلون الوقائي وأساليبه الطبيعة، فإنه يشير إلى حكمة المبدع الذي أحسن كل شيء خلقه.

التلوين التحذيري:

بعض الحيوانات لها وسائل دفاعية تعمل بكفاءة عالية، فتهابها الأعداء، ولها ألوان صارخة.. ففي الحشرات من غشائيات الأجنحة كالدبور والنحل وزنبار الوحل، لها في مؤخرتها إبرة سامة، وألوانها سوداء وصفراء أو سوداء وحمراء، واقترنت هذه الألوان في نظر أعدائها بالخطر، فأصبحت ألواناً تحذيرية، واللون التحذيري هو اللون الذي تأخذه بعض الحشرات غير السامة، والتي لا تمتلك وسائل دفاعية، فهي في المظهر تشبه الحشرات السامة، وبذلك تتأمن لها الوقاية.

ولا يقتصر التلون التحذيري على الحشرات فقط، ففي أجناس كثيرة في عالم الحيوان نجد هذه الظاهرة، وحتى في الفقاريات نجدها كما في بعض أنواع الثعابين: تقول: «بسي.م. هخت»: في كتابها «الثعابين»: «وقد تشبه بعض الثعابين غير الضارة الثعابين الخطرة غالباً في ألوانها ونقوشها وهذا تركيب للحماية، تم تكوينه على مدى ملايين السنين، فالثعبان غير السام من غير أن تعرفه، يماثل لون الثعبان السام فتخافه الأعداء، وتترك هذا وذاك. وهكذا ينجو ثعبان اللبن من الموت لأنه يشبه ثعبان المرجان السام».

وبمقارنة ترتيب الألوان في ثعبان اللبن وثعبان المرجان السام يتضح مدى التشابه بين النوعين، فالمرجان ألوانه مرتبة على النحو التالي:

أصفر ـ أحمر ـ أصفر ـ أسود ـ أصفر ـ أحمر ـ أصفر ـ أسود.

■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■

ـ ترتيب الألوان في ثعبان المرجان السام.

وثعبان اللبن ألوانه مرتبة على النحو التالي:

أصفر ـ أسود ـ أحمر ـ أسود ـ أصفر ـ أسود ـ أحمر.

■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■

ـ ترتيب الألوان في ثعبان اللبن غير السام.

وبتكرار تتابع الألوان يتشابه الإثنان عن بعد، ومن الصعوبة التمييز بينهما.

المشاكهة:

بعض الحشرات لها أشكال نباتية، ويصل التمويه إلى درجة كبيرة مثل (الحشرة الورقة) فهي تشبه ورقة

نوع من النباتات تماماً، وبعض الحشرات تشبه الأزهار، فهل في عالم الحيوان تشابه في الشكل واللون بين نوعين مختلفين من أجناس متباعدة؟

لم تبخل الطبيعة بتقديم أمثلة، فالعنكبوت من نوع (أفتوكيلس رجرجي) يشبه في الشكل واللون نملة (كريتوسيرس أتراس) وهي تعيش في جنوب أمريكا، والعنكبوت له ثمانية أرجل ويقسم جسمه إلى قسمين، رأس صدري وبطن، بينما النملة لها ستة أرجل ويقسم جسمها إلى ثلاثة أقسام، رأس وصدر وبطن، فتحور شكل العنكبوت ليحاكي شكل النملة إلى درجة كبيرة من التشابه، ونقول في هذه الحالة أن العنكبوت (يشاكه) النملة.

وقد وجد العلماء الذين يهتمون بهذه الظواهر أن المشاكهة لها شروط وهي:

١ ـ أن يعيش الفرد المشاكه مع الأفراد النموذج في نفس المكان ليتحقق له التمويه.

٢ـ أن يكون عدد أفراد النموذج كبيراً، وفي المثال السابق بضعة عناكب تعيش مع مئات وآلاف النملات.

٣ ـ أن يكون النموذج آمناً من هجمات الأعداء، أو له وسائل دفاعية فعالة.

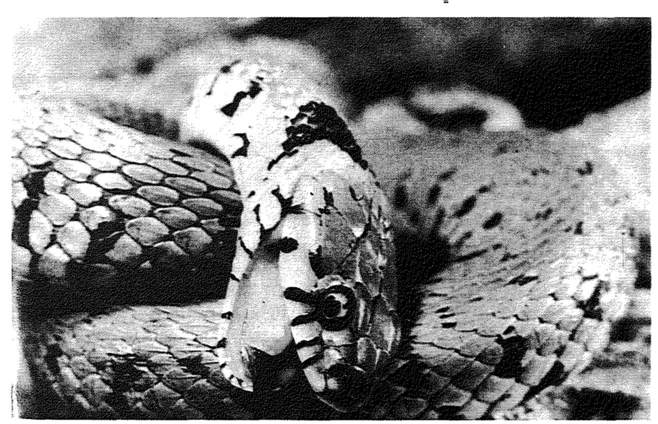
وظاهرة المشاكهة موجودة في المناطق الحارة، الإستوائية وشبه الإستوائية، وهناك أمثلة أخرى من المشاكهة نذكر منها:

ـ الخنفساء الزنبورية: Clytus تشبه في شكلها ولونها الزنبور العادي Vespa جسمها مخصر، أي لها خصر، وتهز جسمها كالزنبور تماماً، وتعيش في أماكن تواجد الزنبور على الأسوار الخشبية والبوابات حيث تعشعش الزنابير.

ـ والفراشة الصقرية: شفت أجنحتها بزوال الحراشف، فأخذت لوناً وشكلا يشبه النحل الطنان، وهي تنشط نهاراً كالنحل الطنان في نفس المكان في الغابات.

ـ والثعبان (ذو أنف الخنزير) Hognosed snake عندما يشعر بالخطر يملأ رئته بالهواء فيمتد جلد رقبته ويصبح بهيئة الكوبرا، وهو غير سام بينما ثعبان الكوبرا سام جداً، ولا يجرؤ أحد الاقتراب من الكوبرا. لذلك يحمي (ثعبان ذو أنف الخنزير) نفسه بهذه المشاكهة.

ـ وفي كتاب (المجتمعات الحشرية) يقول المؤلف: هارولد باستن: «تنتقل اليرقات لبعض الحشرات بشكل جماعي، إذ تمسك الواحدة بالأخرى، وترتص بجانب بعضها فتشكل شريطاً طويلا ثعبانياً يرهب الأعداء».



ـ تتظاهر الثعابين غير السامة بهيئة الثعابين السامة لإرهاب الأعداء.

على سبيل المثال يرقات نوع من البعوض من جنس سياريا.

آلية التمويه:

كيف يحدث التمويه الحيوي؟ وكيف يحدث التلوين الوقائي أو التحذيري؟ وما سر التغيرات اللونية السريعة في بعض الحيوانات كالحرباء مثلا؟.

هذه الأسئلة وغيرها سنجيب عليها من خلال عرض بعض الحقائق التي توصلت إليها أبحاث العلماء والمهتمين بسلوك الحيوان والتطور والبيئة.

الانتخاب الطبيعي:

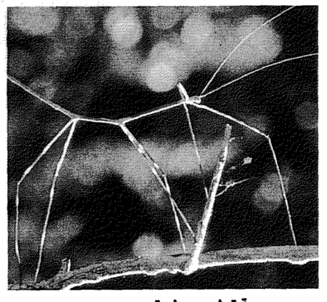
تعيش على الكرة الأرضية حالياً آلاف الأنواع من الأحياء وهي لم تظهر دفعة واحدة كما تدل على ذلك شواهد كثيرة، بل ظهرت بالتدرج، من التركيب الأدنى إلى التركيب الأرقى «ارتقاء» كما تدل الشواهد أن بعضها تطور للتكيف مع البيئة. وقد بحث العلماء في سر التطور، فوجدوا أن سره كامن في عوامل داخلية وبالتحديد في مورثات الكائن الحي، وفي عوامل خارجية (البيئة بكل عناصرها) ولا مجال للحديث عن فرضيات التطور، لكن لابد من التنويه أن التطور حقيقة ويتم بتقدير الخالق المبدع الحكيم، فالصدف لا يمكن أن تعطي نتائج هادفة بتوافق تام كما هو قائم في الحياة، هل يمكن أن نقبل أن عين البقرة مثلا تركبت بهذا الشكل عن طريق صدف عمياء؟.

لا شك أن تطور الكائنات الحية خاضع لمشيئة الله ولكن بأسباب طبيعية كأي عملية خلق في عالم النبات والحيوان، وأحد أسباب التطور ما يطلق عليه الانتخاب الطبيعي أو الإصطفاء الطبيعي. كما سيتضح من الأمثلة التالية:

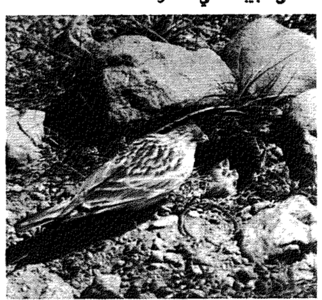
١ ـ في المكسيك الجديدة (نيومكسيكو) مساحات من الأرض متجاورة، سوداء وبيضاء، وتعيش في الأرض السوداء فئران سوداء، وفي الأرض البيضاء فئران بيضاء فكيف حدث هذا التكيف اللوني؟

الفئران غذاء شهي للطيور الجارحة، والتباين في الألوان يكشف الحيوان بسهولة، لذلك لعب الانتخاب الطبيعي دوره في الإبقاء على الفئران السوداء البيضاء في كل بيئة متسقة في لونها مع لون الفئران.

ويفترض علماء التطور أن الفئران في البدء كانت بألوان بيضاء وسوداء ورمادية في كل أرض، وفي



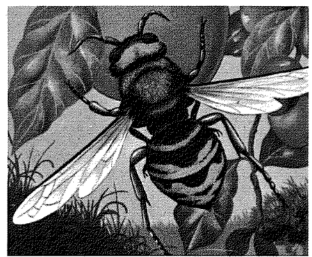
ـ عصى عجيبة تمشي ـ حشرة.



ـ طائر وضع عشه بين الأحجار لحمايته، ولون الطائر يشبه لون الأحجار.



ـ بيوض طائر الزقزاق تشبه الحصى والوان فراخه من ألوان البيئة.



- حشرات غير سامة ولكن الوانها تحذيرية فهي تشبه الحشرات السامة لذلك لا يقترب منها العدو.

الأرض البيضاء تعرضت الفئران السوداء والرمادية لهجمات الطيور لأنها مميزة لونياً بينما بقيت الفئران البيضاء لأن لونها الأبيض وفّر لها حماية، فكانت فرص التناسل لها اكبر من فرص التناسل للفئران السوداء والرمادية وبمرور الزمن انقرضت سلالات الفئران السوداء والرمادية وبقيت الفئران البيضاء وهذا ينطبق على الفئران السوداء في الأرض السوداء، فالإنتخاب الطبيعي ساهم في بقاء الفئران البيضاء في الأرض البيضاء والسوداء في الأرض السوداء، وهو آلية للتمويه على مدى طويل من الزمن وتأكدت حقيقته بالتجارب.

٢ - أجرى العالم (إسلي) تجربة تثبت صحة مبدأ الإنتخاب الطبيعي إذ أحضر أربعين جندباً من لون معين وأحضر أربعين جندباً من لون آخر، وخدرها كي لا تحاول الفرار، نشر المجموعة الأولى في أرض لونها يشابه لون الجنادب ونشر المجموعة الثانية في أرض لونها مغاير للون الجنادب، ثم أطلق ثلاث دجاجات من نوع (البنتم) بالترتيب، في الأرض الأولى ثم الثانية، وكانت النتيجة خلال دقيقة واحدة، استهلكت الدجاجات كامل الجنادب المنثورة في الأرض التي يختلف لونها عن لون الجنادب، بينما لم تستهلك سوى ستة جنادب من الأرض التي يتشابه لونها مع لون الجنادب.

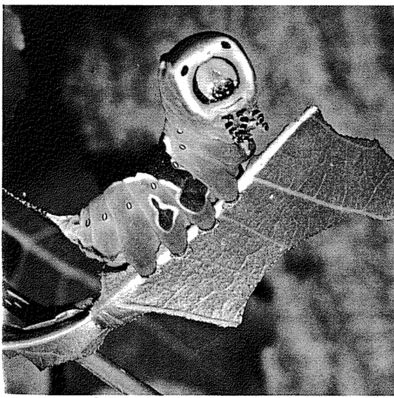
ولو كانت الجنادب غير مخدرة ربما لم تستطع استهلاك جندب واحد فالإنتخاب الطبيعي حقيقة مؤكدة، ويساهم الإنسان في انتخاب سلالات حيوانية ونباتية لأغراض مختلفة كما هو معروف في كل العالم.

٣ - أجرى العالم (ن.ب.سمنر) تجربة على طيور البطريق وسمك الناموس فالبطريق يغطس في الماء متتبعاً سمك الناموس، وقد وضع (سمنر) مجموعة من سمك الناموس في حوض أبيض ومجموعة أخرى في حوض أسود، فأصبحت ألوان المجموعة الأولى صفراء باهتة وألوان المجموعة الثانية داكنة، ثم وضع المجموعتين في حوض أسود الجدران، وسلط عليها طيور البطريق، فأكلت طيور البطريق ٧٣٪ من الأسماك الباهتة و٢٧٪ من الأسماك الداكنة.

وأعاد التجربة بوضع الأسماك في حوض لون جدرانه رمادية، فاستهلكت طيور البطريق من الاسماك الداكنة ٦١٪ ومن الباهتة ٣٩٪ والتعليل واضح وهو أن التباين اللوني يكشف الكائن الحي بسهولة، فيمكن اقتناصه، ولذلك تكون فرص البقاء للكائنات التي لها ألوان مشابهة لألوان بيئتها اكبر من فرص البقاء عندما تتباين الألوان.

ومن تجربة سمنر نستدل على حقيقتين:

الأولى: أن بعض الكائنات الحية يحدث تغير في



- «يرقة حشرة» لاحظ الهيئة المخيفة لها. والنقطتان في مقدمة الرأس عيون كاذبة.

الوانها عندما تنقل من بيئة إلى أخرى، وهذا ما يعرفه الصيادون، إذ يضعون (اسماك الطعم) في أوعية بيضاء ليصبح لون الاسماك فاتحاً، وعند تعليقها بآلة الصيد تكشفها الاسماك المفترسة بسهولة فتقع في المصيدة.

الثانية: أن الانتخاب الطبيعي سنة أودعها الخالق في الطبيعة والحياة.

وما ذكرناه أمثلة عن التلون الوقائي، أي أن الوان الكائن في تماثلها مع لون البيئة توفر له الحماية، فهل للتلون دور في الإغتذاء؟ وبعبارة أخرى التلون الوقائي يحمي الحيوان المأكول فهل يساعد الآكل على الإغتذاء؟

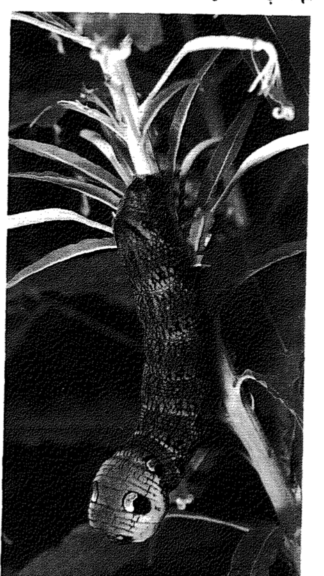
٤ ـ تجربة (و.س.برستو) ستجيب على السؤال السابق.

وضع برستو (١٦) زهرة على هيئة مربع كبير، وكل زهرة تبعد عن الأخرى مسافة قدم واحد، ووضع في ثمانية أزهار حصى سوداء صغيرة (حصاة في كل زهرة) وفي الثمانية الأخرى، في كل زهرة حصاة صفراء، وراقب زيارة الحشرات لهذه الأزهار وكانت من النحل البري ونحل الشهد والذباب العادي والذباب الحوام، وقد وجد في نهاية التجربة أن (٥٦) حشرة زارت الأزهار التي وضع فيها الحصى الصفراء و(٧) حشرات زارت الأزهار التي وضعت فيها حصى سوداء، فالحشرات بحاسة البصر كانت تميز لون الحصى السوداء من لون الزهرة الصفراء، وكانت تخشى بعامل الغريزة من الإقتراب من الحصى السوداء إذ يمكن أن تكون كائناً مفترساً كالعنكبوت مثلا.

وقد وجد برستو أن نوعاً من العناكب ذات لون أصفر تعيش على هذه الأزهار فتجثم في وسط الزهرة بانتظار زيارة حشرة، وعندما تقف الحشرة على الزهرة لترشف الرحيق أو تتناول حبات الطلع، يقتنصها العنكبوت، ولو كان لون العنكبوت متبايناً عن لون الزهرة لما اقتربت الحشرات من الزهرة وبالتالي لا يحصل على غذاء كاف فيهاجر أو يهلك. وهذا شكل من الانتخاب الطبيعي، فالتماثل اللوني بين الحيوان والبيئة التي يعيش فيها لم يحدث صدفة، بل يتحقق بالانتخاب الطبيعي في فترة تقدر بآلاف وملايين السنين. وتلك سنة الله في خلقه.

٥ ـ في عالم النبات لعب الإنتخاب الطبيعي دوراً كبيراً في أشكال من التكيف أبقت على بعض الأنواع

ـ لا يشك كل من ينظر إلى هذه الصورة أنها لنوع من النمل والحقيقة أنها عناكب تشاكه النمل.



ـ يرقة مخيفة لنوع من الفراشات، لها مؤخرة تشبه الرأس، وترفعه عند الإحساس بالخطر ويكون الرأس في أمان. تمويه في الشكل والسلوك!.

النباتية وحالت دون انقراضها، يقول: سبنسر باريت. فى بحث له نشر في مجلة العلوم الأمريكية بعنوان «المحاكاة في النباتات»: «هناك أزهار تبدو كالحشرات، وهناك أعشاب ضارة تتنكر فتتشبه بنباتات المحاصيل، والمحاكاة (التنكر) في النباتات تنشأ عن الانتخاب الطبيعي إنها تجذب المؤبرات (الملقحات) أو تردع المفترسات».

ويقول: «وقد يكون تكيف النبات على درجة واضحة من التعقيد، فبعض أنواع السحلبيات (الأوركيدات) مثلا تقلد إناث النحل، وتبدو نباتات أخرى كأنها حيوانات نافقة، وتكون لها رائحتها، وبل وهناك نباتات تأخذ مظهر الحجارة ولا تمثل هذه التكيفات الغريبة في الحياة إلا عدداً قليلا من الوسائل المعقدة التي تعزز بها النباتات فرص بقائها».

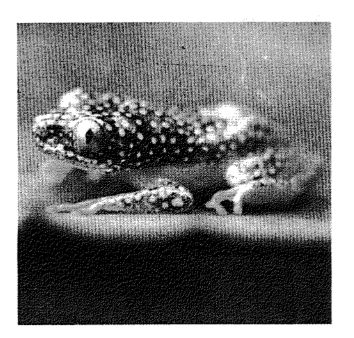
ولا مجال للخوض في أشكال المحاكاة في النباتات، وضروب التمويه، نشير هنا إلى مثال واحد، هو المحاكاة الحجرية لنبة غريبة من جنس الليثوبس الذي ينمو في أفريقيا الجنوبية، بين الحصى ويأخذ لوناً مقارباً لألوان الحصى، وشكلا مستديراً يذكرنا بالحصى النهرية، وعندما تذوي النبتة يزداد التمويه، وقد حصلت هذا التكيف بالإنتخاب الطبيعي، فالحيوانات العاشبة لا تميز الليتوبس عن الحصى لذلك تستمر في تكاثرها.

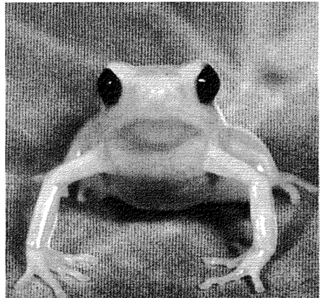
التمويه بالتحكم اللوني:

بعض الحيوانات تتحكم في ألوانها بسرعة مدهشة كالقشريات (الجمبري) والضفادع والحرابي فتعطيها هذه الآلية فرصة كبيرة للبقاء.

وبينت الدراسات الدقيقة أن وراء هذا التحكم اللوني عاملين أساسيين هما: الهرمونات والجملة العصبية، فكيف يحدث هذا التلون السريع؟.

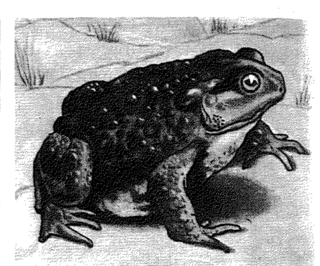
في بعض أنواع الاسماك كالترس والشفنين وكلب البحر، وفي بعض البرمائيات تفرز الغدة النخامية هرمونات مختلفة تسيطر على اللون، فالفص المتوسط العصبي يفرز هرموناً للتلاؤم مع السطح الداكن، بينما يفرز الفص الأمامي هرموناً للتلاؤم مع السطح الأبيض، وهذا يفيد أن حاسة البصر تنقل الإحساسات البصرية إلى المخ، ومنه تنتقل المعلومات إلى الغدة النخامية لإفراز هذا الهرمون أو ذاك، ليتناسق لون الحيوان مع لون الوسط.

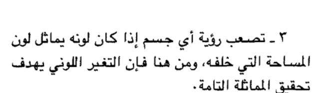






- أيهما يستحق التقدير على التكيف اللوني الضفدع أم الحرباء؟





ـ الضفادع لها قدرة على التكيف اللوني ببطء.

هذا التغير اللوني بالسيطرة الهرمونية يتم في عدة ساعات، فهل تخضع التغيرات اللونية السريعة خلال دقائق في الحرباء للسيطرة الهرمونية؟.

لقد ثبت أن الجملة العصبية تتحكم في آلية التغير اللوني في الحرباء، وبعض الحيوانات الأخرى، بآلية معقدة.

وفي بعض الأنواع يخضع التحكم اللوني للهرمونات والجملة العصبية معاً، كما في سمك سليمان، والسمك الزئبقي، فضبط اللون يكون سريعاً بفعل عصبي، فقد ثبت أنَّ حاملات اللون الأحمر والأصفر تتأثر بالهرمونات التي تفرزها الغدة النخامية، بينما حاملات الميلانين تتأثر بالتوجيه العصبي، وتصل في بعض الأنواع درجات التماثل اللوني إلى وضع مدهش، فإذا وضعت سمكة في حوض أرضيته كرقعة الشطرنج، اتخذ لونها وضعاً مماثلا، فيصبح جسمها مرقعاً وذلك بفضل التحكم العصبي والهرموني.

ميزان التحكم اللوني:

١ ـ في الضوء الباهر (الشديد) تبدو الأجسام الداكنة أفتح لوناً، وفي الضوء الضعيف تبدو الأجسام الفاتحة أدكن لوناً، وعلى هذه الحقيقة يتوقف التغير اللوني في الأحياء عند تعرضها للضوء القوي أو الخفيف.

٢ ـ تقل ملاحظة الكائنات الحية للمساحات الواسعة إذا تخللتها ألوان مختلفة وهذا يفيد أن التبرقش والألوان المختلفة للحيوان تقلل من فرص رؤيته من قبل الأعداء، وفي التغير اللوني والتكيف اللوني حالات تحقق هذا الغرض.

٣ ـ تصعب رؤية أي جسم إذا كان لونه يماثل لون المساحة التي خلفه، ومن هنا فإن التغير اللوني يهدف تحقيق المماثلة التامة.

٤ ـ الجو الجاف وارتفاع درجة الحرارة تجعل اللون في الأحياء باهتاً، والجو الرطب وانخفاض درجة الحرارة تجعل اللون داكناً.

إن ما تقدم يعطينا فكرة عن مدى تعقد التحكم اللوني في الأحياء، فحاسة البصر تعطي معلومات عن لون الوسط المحيط بالكائن الحي، لمخ الكائن (مراكزه العصبية) والنهايات العصبية في الجلد تنقل الإحساسات المتولدة عن درجة الحرارة والرطوبة، فإذا تضافرت تأثيرات هذه العوامل باتجاه واحد، فإن التغير اللوني يكون بكفاءة عالية.

حاملات اللون:

حاملات اللون خلايا لها امتدادات دقيقة كثيرة، فهي تشبه النجم المشع، وتحمل أصبغة مختلفة صفراء أو حمراء أو برتقالية، وأشهرها صبغ الميلانين الأسمر أو الأسود. ويتم التحكم في اللون بانكماش الأصبغة داخل الحاملات أو انتشارها، ففي حالة الإنكماش يختفي اللون، وفي حالة الإنتشار يظهر اللون ويخضع ذلك للتوجيه العصبي والهرموني.

وقد وضع هجبن فهرساً من خمس درجات، لتحديد الدرجة اللونية ففي حالة الإنكماش التام للأصبغة تكون الدرجة اللونية(١) وفي حالة الانتشار التام للأصبغة تكون الدرجة اللونية (٥) وما بين الدرجتين الأولى والخامسة درجات لونية مختلفة باعداد صحيحة أو كسرية.

وقد ثبت أن الأصبغة في الحاملات هي التي تنكمش وتترك مكانها استطالات شفافة وتتأثر الأصبغة بعدة عوامل كالتوجيه العصبي والهرمونات ودرجة الحرارة والرطوبة.

ولا شك أنَّ حاملات اللون متماثلة بشكل عام في الأحياء التي تتكيف لونياً مع الوسط الخارجي، ولكن لكل كائن حي خصوصية تتعلق ببنية جلده.

الضفدع أم الحرباء؟:

عندما نصف إنساناً بأنه كالحرباء، فإننا نقصد ما يبديه من الوان الخداع والنفاق والانتهاز للفرص، ولم يعرف أولئك الذين وضعوا هذا المثل أن الحرباء تستحق التقدير على كفاءة جهازها اللوني.

ومع ذلك فإن الضفدع الوادع (حيوان التجارب المخبرية) لا يلفت انتباهنا كالحرباء رغم أنه يعمل بكفاءة جيدة على تغيير لونه الوقائي.

فتعدد الألوان في الضفدع هو حصيلة اشتراك ثلاثة أصبغة هي: الميلانين (صبغ أسمر)، وصبغ برتقالي أو أصفر، وصبغ أبيض غير شفاف، وهذه الأصبغة موجودة في الخلايا حاملات اللون في الجلد، كل صبغ له حاملات خاصة، وموزعة بشكل متناسق. وتخضع آلية التحكم في اللون عند الضفدع للجملة العصبية والهرمونات.

فالعين تستقبل الضوء الملون من الوسط المحيط بالضفدع، والجلد يستقبل المؤثرات الأخرى كالحرارة والرطوبة، وتنقل هذه الأحاسيس إلى المخ، والمخ يوعز للغدة النخامية لإفراز هرمون أو اكثر للتحكم في اللون، وهناك هرمونات قابضة للأصبغة، وأخرى ناشرة لها.

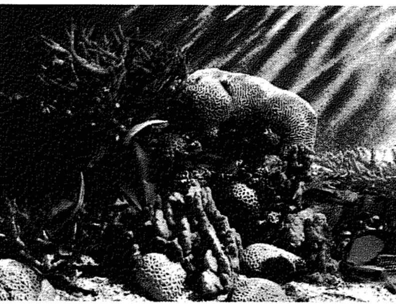
ويحتاج هذا التكيف اللوني إلى فترة من الوقت، لأن الضبط هرموني بشكل أساسي، وهو حصيلة عوامل متداخلة ومتعارضة أحياناً، إذ يمكن أن تكون الإحساسات الجلدية غير متوافقة مع الإحساس البصري، ولهذا لا يتغير لون الضفدع إذا نقل إلى وسط جديد بسرعة كما يحدث في الحرباء.

كيف يحدث التغير اللوني في الحرباء؟:

الحرباء من العظايا (الزواحف) ولها أنواع كثيرة، كلها تمتلك القدرة على التلون الوقائي، ولكن أشهرها كما تقول: أ.م.ستفنسن في كتابها (استخفاء الحيوان) - هي حرباء لوفوسورا بيوميلا:

«وقد تؤخذ الحرباء القزم - لوفوسورا بيوميلا، في الكاب كمثل لمسلك اللون الحربائي عموماً، وهي تصير سوداء على الجسم كله في أدكن أطوارها، وبلون أخضر إلى الصفرة وزاه وعلامات سمراء إلى الصفرة الباهتة أو رمادية في أبهت أطوارها.

وتخص هذه العلامات نموذجاً معيناً على جوانب الجسم، يتكون بواسطة بقع وخطوط ملونة. وعلى ذلك فتغيرات اللون تغطي جزئياً الجسم العام، وجزئياً المناطق النموذجية على الجانبين. وفي حالة العتمة يحجب صبغ الميلانين الأسود إلى السمرة كل ما عداه من ألوان الجسم والجانبين، ويتدرج لون الجسم خلال الظلام، من الأسود والأخضر المتوسط والباهت إلى الأصفر، وتكون المنطقة النموذجية شديدة التلوين، وفي الحالة المتوسطة يكون لون المحيط أزرق لامعاً، ويتدرج لون الجزء الأوسط من البرتقالي إلى الأسمر وبه بقع مدخلية بلون أزرق داكن أو رمادي، وفي الحالة الباهتة تكون المنطقة النموذجية محاطة بلون رمادي باهت أو أزرق ووسطها أصفر أسمر باهت، والبقع المدخلية رمادية باهتة، وكلها تظهر على لون الجسم



- اسماك وقشريات بين الشعاب المرجانية هل تستطيع تمييزها؟

خضر الأصفر، وتكون مثل هذه التغيرات كافية نية لتبعث الحيرة والإعجاب في نفس أي شخص».

جهاز اللوني في الحرباء:

يتكون الجهاز اللوني في الحرباء من أربع طبقات ي الجلد، وهي من الأدنى إلى الأعلى.

١ ـ طبقة تحتوي على حاملات صبغ الميلانين الأسمر الضارب إلى السواد وتمتد استطالات حاملات الميلانين إلى الطبقات العليا.

٢ ـ طبقة بيضاء لاحتوائها على بلورات الجونين وهي تظهر بيضاء نتيجة انعكاس الضوء عليها، وتشكل سطحاً تعرض عليه ألوان الطبقات العليا.

٣ ـ طبقة تظهر بواسطة الضوء المنعكس زرقاء، وهو تأثير بصري ضوئي، أي لا تحتوي الطبقة على صبغ أزرق.

٤ ـ طبقة عليا تحتوي على صبغ أصفر.

فما هو سر تعدد الألوان في الحرباء؟ وكيف يحدث التغير اللوني؟.

تتأثر النهايات العصبية في الجلد، وفي شبكية العين بالضوء المباشر، والمنعكس من السطوح المحيطة بالحرباء، وتنتقل هذه التأثيرات إلى المخ، ومن المخ تنتقل التوجيهات إلى الجهاز العصبي السمبتاوي (اللا إرادي) حيث ينقل التنبيهات إلى حاملات اللون، فنكمش الأصبغة أو تنتشر حسب المنبه، ولذلك تشترك حاسة البصر والإحساسات الأخرى الجلدية في تحديد الدرجة اللونية للجلد، واللون العام للجسم.

فاللون الأصفر: للحرباء ينشأ من انكماش صبغ الميلانين في الطبقة السفلى وانتشار الصبغ الأصفر بكثافة في الطبقة العليا، فيحجب الضوء عن الطبقة العاكسة الزرقاء لذلك تظهر الحرباء بلون أصفر.

واللون الأخضر: للحرباء ينشأ من انكماش جزئي للصبغ الأصفر فينفذ الضوء إلى الطبقة العاكسة الزرقاء، وينعكس مع الأصفر معطياً إحساساً باللون الأخضر فيبدو لون الجلد أخضر.

واللون الأسود: للحرباء ينشأ من انكماش الصبغ الأصفر، وانتشار الميلانين بكثافة حتى يصل إلى السطح، حيث امتدادات حاملات الميلانين، وهناك عشرات الألوان التداخلية في الحرباء، بدرجات مختلفة، وفي بعض الأنواع من الحرابي، حاملات الاصباغ تحتوي على أصبغة برتقالية أو حمراء منتشرة في بعض مناطق الجلد، وللحرباء تلك القدرة على تحريك كل عين بشكل مستقل عن الأخرى، وهذا يعطيها مجالا اكبر لتحقيق التكيف اللوني، ولا نستغرب إذا كان هناك تفاوت لوني بين جانبي الحرباء، أي إذا كان يسارها باتجاه أرضية سوداء داكنة ويمينها باتجاه أرضية خضراء، فإن يمين جسمها سيأخذ لوناً أسود رمادي، ويسارها يأخذ لوناً أخضر وإذا انتقلت من ذلك المكان يتغير لونها فوراً فسبحان من خلق فصوّر وأبدع فأحسن.

وهدف التكيف اللوني في الحرباء واضح لمن يراقب سلوكها، فهي تعيش متعلقة بفروع الأشجار، وتمشي ببطء على الأرض، تصطاد الحشرات بلسانها الطويل اللزج وهي تمشي ببطء شديد نحو فريستها، لذلك يلعب التلون الوقائي دوراً كبيراً في حجبها عن أعين فرائسها، أي لونها يحقق لها فرص القنص بشكل أوفر. والحرابي تشكل غذاء شهياً لكثير من الطيور الجارحة التي تقصد الأشجار، لذلك يساعد التغير اللوني على حجب الحرباء عن أعين أعدائها. فالتغير اللوني في الحرباء وقائي من أجل الغذاء ومن أجل الاستخفاء عن نظر الأعداء.

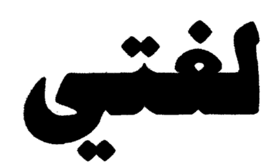
التمويه الحيوي وسلوك الحيوان:

لا يقتصر التمويه الحيوي على التغير اللوني والتكيف الشكلي، فسلوك الحيوان يحقق له أغراض التمويه اكثر الأحيان، وغالباً ما يقف الحيوان بدون حركة كي لا يلفت نظر عدوه، ويقلل ما أمكن مساحة الظل فيلتصق بالأرض أو الجدار، وفي النماذج التي تشاكه غيرها تسلك سلوكاً في المشي أو الطيران يماثل النموذج المحاكي كي لا يكشف أمر الشبيه فيفترس.

إن ما أوردناه عن التمويه الحيوي هو بعض من أسرار الحياة العجيبة ولم نذكر إلا النذر اليسير من عجائب المخلوقات، ولم نذكر التكيف اللوني في اكثر الأحياء كألوان الفراشات والطيور والحشرات ولا شك أنَّ لألوانها دوراً في بقائها على قيد الحياة كأنواع منذ ملايين السنين.

ظواهر حيوية مدهشة تدل على عظمة الخالق المبدع الحكيم الذي أحسن الخلق ثم هدى، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم.

مسك الختام



بقلم : د. محمد رشاد حمدالله الريّان
جامعة اليرموك ـ الاردن ـ

جاءت من أقصى المدينة تسعى ميممة وجهها شطر وادي كديش، لغتي وحاميتي ومنقذتي، ترتدي قميص يوسف وتنورة امرأة العزيز وعاليهما أنهار تجري من نبع دم كذب.

نظرتْ لغتي إلى التراب الرَّميم فوجدته صاحبي. شعرتُ بالخشية العظيمه تملأني وتمنعني أن أقول مالا يستطيع احتواءه سجني. ليست الخشية هذه المرة ممًا حولنا في مثل قديم عالمي، بل هي مني إذ أرى إلى التراب الرَّميم صاحبي وبذمة وشهادة لغتي. إنه مثلُ تلك الخشية ما يمنعني أن اتحدث باللغة التي لا تنطق بلاغتها إلا نقصي أو غروري وتهافت نفسي. ولا أستطيع أن أثور على لغتي وقد شبت وشابت وصارت بطول رفقتها للربع مثل جدَّتي، ولا إخالني أن أجد غيرها حرّة لديها من ثراء العقل والحكمة مثل ما أبتغي تناسب لفظي أو تجمل منطقي.

في معرض اللغات ودور الكتب وسوق عكاظ وبطن مكة ولغات العرب وركن ابن جني، ضيعتها اكثر من مرّة تلكم لغتي وضيعتني، واقتداء بكل ثعبان وأفعى وددت أن لو بدَّلت جلدي. لكنها مخلصة واثقة من نفسها ظلت تبحث عنها وعني، حتى وجدتْني انهلت ضربا على رأسها بيدي، وريبي ومطارق شكوك سادتي، ورأيتني أصفق مع الحشود من خصومي وأعدائي كل مرة أطلقوا عليها السهام والطلقات العناقيد وضربوا على إذن مني بسيفي وصمصامي وهي مكتومة الصوت مكبلة الاقدام والأيدي. لكنها لغتي ظلّت تحبني وترضى بالنزر اليسير الخفي، ولم تيأس مني حتى عندما رأتني يشغلني عنها تقديم المواساة والتذكير بوجوب التأسي عن إن لم يكن كل ما تمنوا وظنوا وهي جريحة تدمي.

وكانت كريمة، أحضرت لها مرة من سوق العصر أو ما بعده ـ نسيت ولست بالضبط في غيمة ذلكم السوق أذكر أو الآن أدري ـ ثوبا ذا لُكْنة وعجمة فطارت به فرحا، وراحت تشكرني وتمنيني بالتمني، وينبلي وحسن النوق مني تطري. وكم مرّة ضمتني وعانقتني وأشعرتني كل ذاك الحب يكظم ويخرق الأسى ويطوي وأسمعتني وصكتني قصيدة وجلست معي وأجلستني وسامرتني على حافة بستاني ونبعي، وبالدمع أروتني على وجنتيها ووجنتي، وأوصتني ما أقول وعلمتني، وخلتها أسْمَعَتْها العالمين أنغاماً ونسق أنشودة وشعري.

يا ويحي ويا عجبي كيف في ماضيَّ قبل حاضري ويومي نسبت إليك نقصي وضعفي وقلة حيلتي. يجب

ن تنسي وتغفري لي أنني قددت رجليك واليدين منك، وأني أعلمت لغير زينة قوم شفتيك. وما بال هذه الخشية التي لم أعرف من مثلها من قبل هي الآن تملأني؟ أتراني ما عدت أحبُ أن اكون مستعبدا لغتي؟ لكن ما تراهما يقولان لغتي وقومي، وهو ما كان حتى بالأمس دأبي؟ أأقدم على إطلاق سراحها وأكسب صوتي وحسّي ونبضي؟ لكن كيف تراني الآن أقدر في كل هذا الخوف وعبوديتي لكل غير ذي إنس على مثل ما لم أنجزه حتى في شبابي وعزّ قوتي؟ وتراك إن أنا أطلقتك تتنفسين حرّة تبقين وفيّة معي؟ أتوسل إليك أن ترى وتذكري! إنهم ليسوا أفضل مني ! وما كنت هكذا وحدي! أحدهم تبجح في السوق أنّ لطمته لها تركتها ساعات وساعات كل فترة من الأمن والرسل ذليلة تهمي، وأنه حتى إذا عاد وأقدمت على ركبتيها نحو قدميه تجثو وتتوسل، تهذي ألا يشمت بها الجارات ظنّ أهل الحي وشاع في المدينة من أسواطه أنها أزيز الريح تهوي بهم في كل مكان سحيق وتدوي. وأحدهم تبجح بعدُ أنه يوم عرسه أنجز في ضوء القمر وشهادة التاريخ والصمت والسلّم والطير والشجر على فعله اثنتين وعدّة ما قصّ يوسف على أبيه أن رأى ساجدة له من الكواكب قبل أن يعود السيف ويستقر في غمده، إيه يالغتي! أرجوك أن تبقي وأن بسمعك إليّ ألقي، فلعلك بعدما معا نقطع صقيع ذاتي وجحيم جرمي، تكونين أنت حاميتي منهما ومنقذتي .

عندما أهملتك ظننتُ دون أن أدري أو اعود إلى رشدي أنني أحببت نفسي. إيه، كانت غواية مني. وعندما انهلتُ عليك في السوق ضربا إنها كانت تباريح ركلات الطغاة في صدري ومن حولي تدفعني وتكاد تخنقني. ومن غيرك كنت تريني أجرؤ أن انظر اليه أو أرنو، وعندما كتموا اصواتك كانوا حرّموا الكلمات، ولساني كانوا بكل رغبة ورهبة عرفها صدري قد شلُّوا . يجب أن تعرفي أني ما تعلمت غيرك قبل أن وهن العظم وخار العزم مني. إني في وحشتي وصمتي باهيت بك، ورويت عنك الجميل ونبل الصفات وكل ما يشدني اليك وأنك في خلوتي ووحشتي وهجران غربتي وفقدي حريتي كنت أنت أنيسي وسلواني والأمل عندي وزندي ومقدحي وبلسمي. لابد أن تعرفي أن حبي لك هو الآن مثل خوفي الذي يقطنني في أضلعي ومثل غضبي وألمي ومحقدي.

أرجوك أن تنطقي ولو أن تكذبي. قولي أنك صدّقْتني أو أكدي، وأنك أحببتني، وغفرت لي لو تملكين أو أن تقدري ومحوت زلتي، وكرري القول في مسمعي وتحدثي بالمزيد معي فلعلني على آني ومسمعي ألفيتني يا بهيتي أنطق لغتي، أردد ألفاظي وأكتب اسمي على واحد من السبع حروفك وأحسب حاجاتي وأنتصر بمد اسمه للغة الخوارزمي وجبره وأقلب رموزا نحو اليمين وأخرى باتجاه الشمال.

أنا يا لغتي يا حبي الأخير اللانهائي لو قَعدتُك تسرمد أسري وأسرُ فقدك في سرمد صدر إيماني ووجدي ووجداني، فظللت أحياك حبي وشعري في دفتري وقرطاسي. معي أنت يا بهيتي نفسي وذاتي وخروجي ومدخلي، أنت فيَّ بهيتي حبي وهالتي. معي أنت من أهوى، وتلتقي الكلمات بكل لغة اخرى. أنت سلطاني ينفذني من أقطار نفسي والعوالم الكبرى. انت مليكة بالفعل، في يديك تنهض، تعلو، تسبح ملكات وقوى. تبدأ عند عينيك الكلمات ولا تكاد تغادرها على بعد الشقة الرحلة إلى قيصر والذّرى منه وكسرى.

أربط حزام السلامة.. وابدأ القيادة بأمان





أربط حزام السلامة
فحياتك وحياة أسرتك غالية..
تستحق منك أن تحافظ عليها





عودوا أطفالكم على ربط
حزام السلامة في كل مراحل أعمارهم

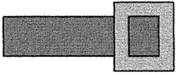




الأعذار لا تنقذ الأرواح..
حزام السلامة يجنبك أضرار الحوادث
- بإذن الله -



(PRS-13-97)





أربط حزام السلامة

مجلدات المنهل

المجموعة الكاملة ١٣٥٥ - ١٤١٦ هجرية

(٧٢) مجلدا فاخرا متوفرة في الألوان " الأزرق - البني - والأسود "
للاستفسار الإتصال بإدارة العلاقات العامة بالمجلة ت : ٦٤٣٢١٢٤



يمتد حتى نهاية هذا العام

السادة دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

بعد اطلاعي على شروط الاشتراك السنوي في مجلتكم (المنهل) والعرض الخاص
ارغب في الآتي

- ☐ اشتراك سنوي (١٥٠) ريالا .
- ☐ (٣) سنوات (٤٠٠) ريالا مع الإصدارات .
- ☐ (٥) سنوات (٥٥٠) ريالا وكتاب شذرات الذهب.

وأرفق لكم طيه قيمة الاشتراك حسب ما هو موضح بالقسيمة.

☐ (أ) شيك ☐ (ب) حوالة بنكية

مبلغ ______ رقم ______ بتاريخ ______

الاسم: ______ العنوان: ______

القطر: ______ المدينة: ______ المنطقة: ______ شارع: ______

بناية رقم: ______ شقة رقم: ______ ص.ب: ______ رمز بريدي ______

تليفون : ______ فاكس : ______ تلكس: ______

فضلا
تعنون الشيكات أو التحويلات
باسم (مجلة المنهل)



مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣



يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية التاسعة عشرة لرسوم الأطفال ، التي ستكون مخصصة هذا العام لموضوع

ترشيد استهلاك المياه

ك إسهاماً من الشركة في توعية البنين والبنات في المملكة العربية السعودية بأهمية الثروة المائية والحفاظ عليها ، من خلال إبراز مواهبهم وإبداعاتهم الفنية .

ـ من جميع الأطفال الراغبين في الإشتراك في المسابقة ومن أولياء أمورهم ـبيهم أن يقرأوا نظام وشروط المسابقة بعناية ،وأن يتبعوها بدقة ، حتى تـعد الرسوم المخالفة لشروط المسابقة .

يحق لكل طفل لا يقل عمره عن خمس سنوات ولا يزيد على اربع عشرة سنة ـم في المملكة أن يشارك في المسابقة .

يجب على الطفل الإلتزام بموضوع المسابقة وهو أهمية الثروة المائية ـة ترشيد استهلاكها .

يتقدم كل طفل للمسابقة برسم واحد فقط . على أن يكون الرسم من عمله ـون أي تدخل أو مساعدة من الوالدين أو المدرسين أو غيرهم .

يجب أن يكون الرسم عملاً أصليا غير منسوخ أو مشارك به في مسابقة ى

يجب أن يكون العمل المقدم رسما أو ما يشبه الرسم ، كأن ينفذ من أوراق ـ أو اللصق الملونة ، أو قطع القماش ، أو ما شابه ذلك ، وستستبعد الأعمال ـنعة من مواد بارزة كقطع الخشب ، أو قطع البلاستيك ، أو الفخار ، أو ما ـبه . ويمكن للطفل أن يستخدم أي نوع من الألوان أو الأحبار ـ يراه مناسبا لرسمه .

يجب أن يكون الرسم نفسه خاليا تماما من أي دلالة على اسم الطفل ـرسته .

يجب أن يكون مقاس الرسم ٣٥ سم x ٥٠ سم .وللطفل الحق في الاستفادة ـذه المسـ ـة أفقيا أو عموديا .

يجب تنفـ الرسم على الورق المقوى ، أو تثبيته على لوح من الورق العادي القماش .

يجب أ يكون الرسم مرتبا ونظيفاً .

ـ يجب ـيت القسيمة المرفقة بهذا الأعلان أو صورة منها ، على ظهر الرسم ،

ـ يجب ـ جميع البيانات المطلوبة فيها بدقة ووضوح .

ـ عند أ ـل الرسومات يجب علي مرسليها وضعها في ظروف أو مغلفات ـية تحميـ من التلف أثناء نقلها بالبريد .

١٢ – تصبح جميع الرسومات المشاركة في المسابقة ملكا لأرامكو السعودية ، سواء فازت أم لم تفز وتبقى هذه الرسومات في حيازة إدارةالعلاقات العامة التي تحتفظ بحق استخدام أي منها حسبما تراه مناسبا

١٣ – تشكل إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية لجنة تحكيم من ذوي الخبرة والمعرفة في الفنون لاختيار الفائزين في المسابقة . ويعد قرار هذه اللجنة نهائيا

١٤– آخر موعد لاستلام الرسمات هو يوم الأحد ١٧ ذو القعدة ١٤١٨هـ (١٥ مارس ١٩٩٨) . ولن يدخل المسابقة أي رسم يصل بعد هذا التاريخ ما لم يتم التأكد من أن سبب التأخير هو البريد . وذلك عن طريق ختم البريد على الظرف .

١٥ – ترسل جميع الرسمات إلى العنوان التالي:

مسابقة رسوم الأطفال التاسعة عشرة
إدارة العلاقات العامة – الغرفة رقم ٢٢٣٨ –
مبنى الإدارة الشرقي ، أرامكو السعودية ، الظهران ٣١٣١١

الجوائز :

خصصت الشركة للفائزين في هذه المسابقة مائة وخمسين جائزة قسمت إلى الفئات التالية :

خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٥ و ٨ سنوات

خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١١ سنة

خمسون جائزة للذين تتراواح أعمارهم بين ١٢و ١٤ سنة

يمكن توجيه الاستفسارات عن المسابقة إلى قسم الخدمات المساندة بإدارة العلاقات العامة على الهاتف رقم ٨٧٣٩٣٠٢ و٨٧٣٤٢٠٣ مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق .

يجب ملء هاتين القسيمتين أو صورتيهما وتثبيت إحداهما على ظهر الرسم المشارك به وإرفاق الأخرى منفصلة مع الرسم .

مسابقة أرامكو السعودية التاسعة عشرة لرسوم الأطفال
إسم الطفل كاملا : ....
تاريخ الميلاد : ....
الصف الدراسي : ....
اسم المدرسة : ....
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملا
ص ب : ....
المدينة : .... الرمز البريدي : ....
الموقع : ....
الشارع : ....
الهاتف : .... الفاكس : ....
نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ :
موضوع أو عنوان الرسم المشارك به :
التاريخ :

مسابقة أرامكو السعودية التاسعة عشرة لرسوم الأطفال
إسم الطفل كاملا : ....
تاريخ الميلاد : ....
الصف الدراسي : ....
اسم المدرسة : ....
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملا
ص ب : ....
المدينة : .... الرمز البريدي : ....
الموقع : ....
الشارع : ....
الهاتف : .... الفاكس : ....
نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ :
موضوع أو عنوان الرسم المشارك به :
التاريخ :

(PRS) - 11 - 97





AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٤٧) المجلد (٥٩) العام [٦٣] شوال / ذو القعدة ـ ١٤١٨ هـ ـ فبراير / مارس ١٩٩٨م

ـنية الأدبية ..

والعولمة ؟

ـرات

ـي مسرح الحكيم

ـشناقطة

الدراسات النحوية

ـفتي ..

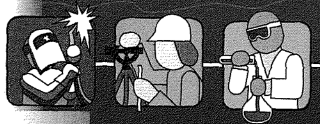
ـبالونات الاختبار

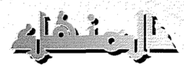
ـقوق الإنسان المسيَّـة

المدينة المنورة في الدوريات العربية

مشاريع عملاقة تغير مجرى الحياة







مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

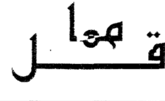
سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال





بين الواهمين والفاهمين

هما فريقان:

فريق نجح في حياته الخاصة، وظل سادرا في الوهم. ذلك انه يرى نفسه الخبير بمطالب الحياة وبمقوماتها.. وقد سار في حياته الخاصة والعامة، بما توحيه اليه مصالحه ومصالحها، وبما تكيفهما به أطماعهما ونوازعهما، فهو لا يتورع عن امتطاء النفاق والغش والملق والزور وزائف الاخلاق ما كان ذلك وسيلة الى نيل مبتغاه. انه يرى الواسطة مبررة للغاية.. ويرى هذا من حسن السياسة ومن براعة الكياسة والفطنة، ومن المهارة المحمودة العواقب.

وقد يخزه ضميره وخزات خفيفة هينة في بعض الاحيان ولكن سرعان ما يصمتها ضوضاء الهوى الغلاب، والمصلحة الأسرة، والغاية المنشودة القاهرة..

وفريق دون ذلك قعدت به خلائقه القويمة دون اللحاق بقافلة الحياة الحثيثة الخطوات، في طرق متعرجة ملتوية هوجاء، وهو - لما في فطرته ومبدئه - لا يريد أن يساير هذا الركب المأفون السارب في اغوار الظلام الى غاياته الدنيئة الملفقة، وانما يريد أن يختط سبيلا جديدة قيمة وأن يعبر هذه السبيل وأن تعبرها معه القوافل الماضية لطيتها، ليصلا معاً الى الغايات السعيدة الحميدة من الطريق السديد الحميد.

وقد مزجت ظروف الحياة، بين الفريقين وكانت ميول كل منهما، حيال النظر الى الحياة الناجحة، تختفى احيانا في ضوضاء الحياة المدلهمة حتى ما يكاد يبين لها ركز، وكانت في بعض الاحيان تبرز للعيان حتى ما يكاد يختفى لها صوت مجلجل.

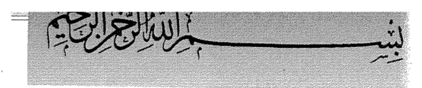
واذا قدر للفريق الأول أن ينجح، وأن يبلغ بوساطة سبله الخاصة التى سلكها الى الغايات التى كان ينشدها.. فقد اعتبر نجاحه نجاحا وتوفيقا لخططه ما بعدهما من نجاح أو توفيق.

واذا كان الفريق الثاني قد ناله من خيبة الآمال. واخفاق الرغبات ما ناله فقد عد الفريق الاول، ذلك خيبة ممضة لسبيل ذلك الفريق الثاني، في انشاء الحياة ومزاولتها.

والناس في حياتهم تبع للناجح، لا يسألون متى نجح؟ وانما يتساءلون كيف نجح؟ فاذا عرفوا طريقه الى هذا النجاح، هفوا اليها غير ناظرين الى استقامتها أو التوائها.. بحسبهم الوسيلة الى هذه الغاية.

«عبدالقدوس الأنصاري»

جمادي الثانية ورجب ١٣٧١هـ/ مارس وابريل١٩٥٢م



لقطة الشهر



الطفولة بكل ما تحمل من براءة (آية)
في خلق الله سبحانه ..
وإن كانت قد شاخت منّا الذاكرة .. فانها تسترجع ما قد مضى.

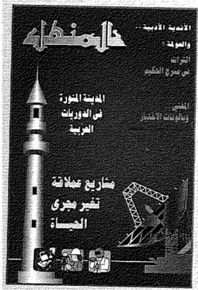
اشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.


طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس : ٦٦٠٤٦٧٦

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

الدهشة المتثاقلة

عالمنا العربي والإسلامي، تضخمت قضاياه ومشاكله حتى عصت عن الاستئصال.. العالم من حولنا يقفز قفزاً نحو الغد، ويفاجئنا كل يوم بجديد .. جديد في كل شيء..

في العلوم والمكتشفات والمخترعات، في الاقتصاد، بل حتى في السياسة وتدبير شئون الحياة.. حتى غدت مصطلحات جديدة فوق طاقة استيعابنا.. فرضينا بالدهشة والانبهار.. المسافة بيننا وبين ذلك العالم غدت حلماً تخالطه الدهشة المتثاقلة.

عالمنا هذا غريب الاطوار حقيقة.

منذ نهاية القرن الماضي وحتى منتصف القرن الحالي كان العالم العربي والاسلامي - في اكثريته - تحت مخالب الاستعمار الأوروبي، يأتمر بأمره، ويقف عند نهيه، وفي نهاية هذا القرن نجد أنفسنا في عباءة الآخر.. وإن اختلف الأسلوب والمنهج.

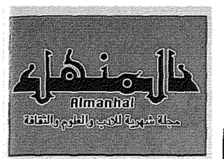
(الإعلام) هو الأسلوب المستحدث والمنهجية المتبعة كأداة تأثير لا تقاوم في عالم اليوم .. من خلاله يمكن صياغة مجتمعات باكملها، صياغة فكرية ووجدانية وثقافية جديدة.

ويبقى عالمنا الإسلامي والعربي في دائرة الضوء مرة ثانية.. يبقى مركز الاستقطاب، ومحور التنافس..

وإذا كان الآخر يصب في أعيننا واذاننا ووجداننا ما يشاء بمنهجية دقيقة متبعة، فإنا الآن نتلقى الوافد والوارد بدهشة مزدوجة.

إنَّا الآن بحاجة ماسة لصنع منهجية جديدة في التفكير تخرجنا مما نحن فيه.

رئيس التحرير



العدد: (٥٤٧)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)

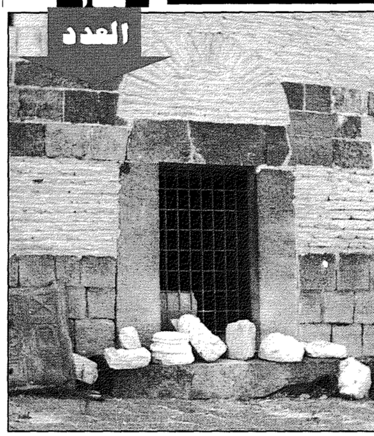




فهرس العدد ٥٤٧ - المجلد: ٥٩ - العام: ٦٣

في هذا العدد

الفهرس



أقلام

د. يوسف الكتاني
مفرج السيد
محمد التوزاني
د. زهراء محمد سعيد
د. غنيم غانم الينبعاوي
د. امين ساعاتي



سعدنا بمعافاتكم ...

وسعدنا بمقدم سموكم

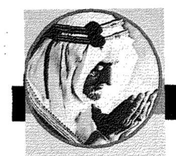
تعطر المكان والزمان ...

سائلين الله جلت قدرته

لكم موفور الصحة ودوام العافية...

إنه سميع مجيب.

- دارة مجلة المنهل -



جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٩٩٨م



الرئيس عبده ضيوف الفائز بجائزة خدمة الاسلام



د. يحيى بن جنيد الفائز بجائزة الدراسات الاسلامية (بالاشتراك)



د. عبد الستار الحلوجي الفائز بجائزة الدراسات الاسلامية (بالاشتراك)



د. جون لويس جيرن الفائز بجائزة الطب (بالاشتراك)



د. هاري بيرسل الفائز بجائزة الطب (بالاشتراك)



د. أندروجون وايلز الفائز بجائزة العلوم

في (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) بدأت اعمال هذه الجائزة العالمية، وهي واحدة من أعمال وعطاءات (مؤسسة الملك فيصل الخيرية).

ومنذ انشائها وحتى الآن فقد حصل عليها (١١٨) عالماً من (٢٢) دولة.. ويتم الترشيح للجائزة من قبل الهيئات العلمية والجامعات، والهيئات الأكاديمية.. وتخضع الأعمال المرشحة لنيل الجائزة لعملية فرز وتدقيق ومراجعة علمية دقيقة من لجنة الجائزة أصحاب الاختصاص في مجالات الجائزة المعلنة.

وللجائزة خمسة فروع أساسية هي:

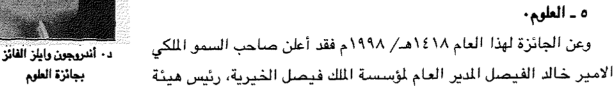
١ ـ خدمة الاسلام.

٢ ـ الدراسات الإسلامية.

٣ ـ الأدب العربي.

٤ ـ الطب.

٥ ـ العلوم.



وعن الجائزة لهذا العام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م فقد أعلن صاحب السمو الملكي الامير خالد الفيصل المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، رئيس هيئة

الجائزة اسماء الفائزين بالجائزة على النحو التالي:

*** جائزة خدمة الإسلام:**

فاز بها فخامة الرئيس عبده ضيوف رئيس جمهورية السنغال وذلك لجهوده الواسعة في الارتقاء بالشعب السنغالي المسلم وتحقيق طموحاته وما بذله فخامته من اسهامات كبيرة في مؤتمرات القمة الاسلامية وتشجيعه للتعليم العربي والاسلامي في بلاده.

*** جائزة الدراسات الاسلامية:**

وموضوعها الدراسات التى تناولت المكتبات وصناعة الكتاب عند المسلمين .. فقد منحت مناصفة لكل من الاستاذ الدكتور يحيى محمود بن جنيد السعودي الجنسية تقديرا لجهوده العلمية والمهنية في مجال المكتبات وعلومها، وتجلى ذلك في مؤلفاته العديدة المتسمة بالابداع والابتكار ومن أبرزها كتابة الوقف وبنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافي والاستاذ الدكتور عبد الستار الحلوجي المصري الجنسية تقديرا لجهوده في مجال المكتبات، حيث يعد كتابه «المخطوط العربي» عملا مميزا في مجال صناعة الكتاب عند المسلمين.

*** جائزة الطب:**

أما جائزة الملك فيصل للطب وموضوعها «التحكم في الأمراض المعدية»، فقد فاز بها مناصفة كل من الاستاذ الدكتور جون لويس جيرن الامريكي الجنسية الاستاذ في قسم الميكروبات والمناعة بكلية الطب بجامعة جورج واشنطن والاستاذ الدكتور روبرت هاري بيرسل رئيس قسم التهابات الكبد الفيروسي بمختبر الأمراض المعدية في المعهد الوطني للحساسية والأمراض المعدية التابع للمؤسسة الصحية الوطنية في ميرلاند.

*** جائزة العلوم:**

وقد فاز الاستاذ الدكتور اندرو جون وايلز استاذ الرياضايات في جامعة برنستون الامريكية بجائزة الملك فيصل للعلوم وموضوعها «الرياضيات» وذلك لانجازه المتميز في ميدان نظرية الاعداد والهندسة الجبرية والصيغ الطرازيه وخاصة برهانه الشهير لنظرية فيرما.

* أما جائزة الأدب فقد حجبت لهذا العام:

وحددت الهيئة موضوعات الجائزة للسنة القادمة ١٤١٩هـ على النحو التالي:

- في الدراسات الاسلامية.. الجهود العلمية التي عنيت بالحديث النبوي تحقيقا وتخريجا أو دراسة.
- وفي الطب .. أمراض الحساسية.
- وفي الأدب العربي.. دراسات الأدب المقارن التي تناولت الصلات بين الأدب العربي والآداب الاخرى، الاتجاهات النظرية وامتدادتها التطبيقية.
- وفي العلوم .. الكيمياء.

معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته العشرين (٥ - ٢٠) فبراير ١٩٩٨م

هذا المعرض أصبح اكثر من تظاهرة ثقافية أو معرفية فحسب، بل غدا ملتقى للرأي الآخر في وعي ناضج، وطرح مسئول، ومعرض هذا العام يسير في توجهه الفكري في عدة اتجاهات منها:

ـ الاتجاه الداخلي لمصر: وهو تحت محورية (مصر ٠٠ نهاية قرن، وبداية قرن)٠

ـ الاتجاه العربي العام: تحت محورية (الثقافة العربية في مواجهة الثقافات) هذا اضافة إلى ثوابت محوريات المعرض وهي:

الندوات والمحاضرات، واللقاءات والمؤتمرات، القراءات الشعرية والنثرية، شهادات المبدعين، كاتب وكتاب ـ المقهى الثقافي، ومخيم الابداع٠

وميزة هذا المعرض أنه ملتقى لكثير من المبدعين والمفكرين والمثقفين العرب٠٠ وبعض المدعوين من العالم الاسلامي واوروبا٠

وبقي أن نذكر ان معرض هذا العام شاركت فيه ٧٩ دولة، وضم ٧ر٣ مليون عنوان، لـ ٢٥٤٠ ناشرا٠٠ وهذا الكم ضمه ٢٧ سراياً٠٠ وفي هذا العام خصص سراي للكتب التى نشرت في العالم العربي مع كشاف ببليوغرافي لها٠

مكتب التربية لدول الخليج: الاتجاهات المستقبلية للعمل التربوي

مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية، منذ انشائه تظل الحركة التعليمية والتربوية تشكل الهاجس الاول عنده، ذلك لأن التربية والتعليم هما المكون الأوَّلي والاساسي في التنمية البشرية، ويأتي كل تقدم وتطور في اتجاه حضارة الغد مرتبطاً بمدى جدية التربية والتعليم، وبمدى الفاعلية المتنامية لدى الافراد والجماعات في اطار التربية والتعليم٠٠ وتحقيقاً لبلورة الاتجاهات المستقبلية للعمل التربوي لدول الخليج العربي.

فقد انعقدت في الشهر الفائت ندوة كبرى برعاية مكتب التربية لدول الخليج العربي٠٠ شارك في اعمالها جمهرة من المختصين، من دول الخليج العربي، والمختصين والاستشاريين على مستوى العالم العربي، وبعض الخبرات الاجنبية في مجال التربية٠

الندوة الفقهية الطبية التاسعة

انعقدت اعمال هذه الندوة في مدينة الدار البيضاء في المملكة المغربية، برعاية مؤسسة الحسن الثاني للأبحاث العلمية، والمنظمة الاسلامية للعلوم الطبية، ومنظمة الايسيسكو، ومجمع الفقه الاسلامي٠

هذه الندوة جاءت متابعة علمية وفقهية لبعض مستجدات نهايات هذا القرن الحافل بالكثير من عجائب المخترعات والمكتشفات، التى تتطلب من علماء المسلمين واصحاب التخصص المتابعة الجادة والدقيقة علميا وفقهيا للخروج بالحكم الشرعي المناسب للحدث المستجد٠

موضوعات هذه الندوة تناولت مجموعة قضايا منها: (الاستنساخ ٠٠ الاستحالة والمواد الاضافية في الدواء والغذاء والمفطرات)٠

وبعد مداولة علمية مستفيضة خرجت الندوة بهذه التوصيات:

أولا: الاستحالة والمواد الإضافية في الغذاء والدواء: تؤكد الندوة على جميع التوصيات التى وردت، المتعلقة بالمواد المحرمة والنجسة في الغذاء والدواء. واستكمالا لما سبق دراسته فإن هذه الندوة ناقشت الجوانب الطبية الفقهية المتعلقة بهذا الموضوع وخلصت إلى أن المواد الإضافية في الغذاء والدواء التى لها أصل نجس أو محرم تتقلب إلى مواد مباحة شرعا بإحدى طريقتين:

أ ـ الاستحالة: ويقصد بالاستحالة في الاصطلاح الفقهي «تغير حقيقة المادة النجسة أو المحرم تناولها وانقلابها إلى مادة اخرى مباينة لها في الاسم والخصائص والصفات». ويعبر عنها في المصطلح العلمى الشائع بأنها كل تفاعل كيميائى يحول المادة الى مركب كتحويل الزيوت والشحوم على اختلاف مصادرها إلى صابون، وتحلل المادة إلى مكوناتها المختلفة.

ـ المركبات الاضافية ذات المنشأ الحيواني المحرم أو النجس التى تتحقق فيها الاستحالة كما سبق الإشارة إليها تعتبر طاهرة حلال التناول في الغذاء والدواء.

ـ المركبات الكيميائية المستخرجة من أصول نجسة أو محرمة كالدم المسفوح أو مياه المجارى والتى لم تحقق فيها الاستحالة بالمصطلح المشار إليه، لا يجوز استخدامها في الغذاء والدواء.

ـ أما بلازما الدم ـ تعتبر بديلا رخيصا لزلال البيض ـ وتستخدم في الفطائر أو الحساء والرقائق والهامبرجر وصنوف المعجنات.

فقد رأت الندوة انها مادة مباينة للدم في الاسم والخصائص والصفات فليس لها حكم الدم وإن رأى بعض الحاضرين خلاف ذلك.

ب ـ الاستهلاك: ويكون ذلك بامتزاج مادة محرمة أو نجسة بمادة اخرى طاهرة حلال غالبة، مما يذهب عنها صفة النجاسة والحرمة شرعا، إذا زالت صفات ذلك المخالط المغلوب من الطعم واللون والرائحة، حيث يصير المغلوب مستهلكا بالغالب ويكون الحكم للغالب.

وترى الندوة أن المذيبات الصناعية، والمواد الحاملة والدافعة للمادة الفعالة في العبوات المضغوطة إذا استخدمت وسيلة لغرض أو منفعة مشروعة جائزة شرعا، أما استعمالها من أجل الحصول على تأثيرها المهلوس باستنشاقها فهو حرام شرعا، اعتبارا للمقاصد ومآلات الأفعال.

ولا حرج شرعا في استخدام الذهب في مجال الأشياء التعويضية السنية (مثل تلبيس الأضراس والأسنان بعضها ببعض ونحو ذلك) لغرض المعالجة الطبية للرجال.

الأصل الشرعي حرمة لبس الحرير الطبيعى على الرجال، ويستثنى من ذلك لبسه لغرض المعالجة الطبية كأمراض الحساسية والجرب والحكة وما يشبه ذلك، فإنه سائغ شرعا.

استعمال الصمامات القلبية المأخوذة من الخنزير جائز شرعا للحاجة.

** مصادر المعلومات في العالم الاسلامي:

مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية ستقيم ندوة

ن «مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي» وذلك ي شهر سبتمبر من العام المقبل ١٩٩٩م.

الندوة تسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف ذات العلاقة بالمعلومات عن العالم الإسلامي، من حيث دقتها، جدتها، مراكزها، مصداقيتها وانماطها وذلك بغية الوصول إلى خطة علمية مستقبلية لتنظيم المعلومات عن العالم الإسلامي وتوفيرها للباحثين .. ابحاث الندوة سوف تركز على دراسة مصادر المعلومات ذات العلاقة بالعالم الإسلامي المعاصر من خلال دراسات هذه المصادر المنشورة في كتب مستقلة والدراسات التي تكون فصولا أو اجزاء من كتب تحتوي عليها في إطار معلومات اخرى، أو المنشورة في المعاجم والقواميس ودوائر المعارف والأدلة، والتقارير الرسمية والكتب الإحصائية، واعمال المؤتمرات والندوات، والوثائق غير المنشورة، أو دراسات على المراكز المنتجة للمعلومات عن قضايا العالم الإسلامي المعاصر من خلال صلة المركز بقضايا العالم الإسلامي المعاصر، وطرق حصوله على المعلومات، وكيفية معالجة المعلومات، وسبل الاستفادة من هذه المعلومات ونشر المعلومات، كما تهدف الندوة إلى دراسة سبل التعاون المتوافرة حالياً بين مراكز المعلومات في العالم الإسلامي وذلك على المستوى المحلي، وعلى المستوى الإسلامي، أو العالمي، ومدى توافرها للباحثين من خلال الاستخدام الآلي تقنية المعلومات، كما تهدف الندوة إلى التخطيط لإنشاء شبكة معلومات إسلامية ودراسة موقعها وسبل تحويلها والتجهيزات الآلية والبرامج والقوى العاملة في المشروع، ومدى إمكانية التغلب على التقصير القائم في الحصول على المعلومات عن قضايا العالم الإسلامي من خلال هذه الشبكة.

وتم تحديد العشرين من شهر اكتوبر (تشرين الأول) المقبل آخر موعد لتلقي الأبحاث المقدمة للندوة التي تتناول موضوعات مختلفة تشمل مدى حيادية المعلومات عن الإسلام في دوائر المعارف المنشورة بالانجليزية، مصادر المعلومات عن الأقليات المسلمة في العالم، كتابات المستشرقين كمصدر من مصادر المعلومات عن قضايا المسلمين المعاصرة، مصادر المعلومات العربية عن المسلمين في أوروبا واميركا، مصادر المعلومات الإنجليزية والفرنسية عن المسلمين في أوروبا وأميركا، ودائرة المعارف الإسلامية التركية مصدراً للمعلومات عن الإسلام والمسلمين، مصادر المعلومات عن المسلمين في بورما، تركيا الحديثة في المصادر العربية، رحلات الأوروبيين إلى وسط آسيا مصدراً للمعلومات عن شعوبها في القرن التاسع عشر، رحلات الأوروبيين في شمال افريقيا مصدرا للمعلومات عن وضعها في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، الأقلية التركية في أوروبا في المصادر الأوروبية، الوثائق الإنجليزية وعنايتها بأوضاع المسلمين في شرق افريقيا، العلاقة بين السلطة والأقلية المسلمة في جنوب افريقيا من خلال المصادر المنشورة فيها، الدراسات المنشورة بالإنجليزية عن شعوب وسط آسيا.

** أبو العلاء المعري .. العبقرية والشاعرية:

في معرة النعمان التي تبعد حوالي (٣٠٠) كيلا شمال مدينة دمشق حيث مرقد المعري، أقام

المجلس الأعلى لرعـاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في سورية ندوة ثقافية حول أدب وفكر المعرى ٠٠ وذلك في شهر ديسمبر الماضي٠

في هذه الندوة شارك عدد كبير من المختصين على مستوى العالم العربي، وقدم المنتدون ثلاثين محاضرة وبحثا ودراسة عن فكر وشعر وفلسفة أبي العلاء المعرى، وكانت دراسات جادة ودقيقة٠

وجاء ضمن عناوين تلك الدراسات: جمالية الشعر في ديوان سـقط الزند، والجـبـرية والمأسـاة في لزومـيـات المعـري، والتـفـاوت الاجـتـمـاعي في اللزوميات، والخطاب النقدي في رسالة الغفران، والمسـائل اللغـوية في رسـالة الغـفـران، وتوظيف الامثولة الحيوانية في نثر المعري٠

** رسائل جامعية:



د٠ شرف يشكر لجنة المناقشة بعد إعلان النتيجة

الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف، صـحـفي وأديب وأكـاديمي مـتـعـدد جوانب العطاء٠٠ له مـا يقـرب من الخـمـسين مؤلفاً٠ في مـجـالات الـدراسـات الإسـلامـيـة والاعـلام الاسـلامي، والأدب، ونقـد الشـعـر، والدراسـات الاعـلامـيـة والصـحـفـيـة، والدراسـات الأدبيـة والنقـدية واللغـوية٠٠ وله في الشعـر سـتـة دواوين مطبـوعـة٠٠ هـذا الى جـانب المقـالات والدراسـات والبـحـوث التى فـاضت بهـا وسـائل الاعـلام٠٠ اضـافـة ايضـا الى مـشـاركـاته الثرة في الندوات واللقاءات والمحاضرات العامة في الاندية والمؤتمرات والمنتـديات العلمـيـة والثـقـافـيـة والفكرية٠

(المقالة الأدبية والنقدية) عند الدكتور عبد العزيز شرف هي عنوان رسالة الماجستير التى تقدمت بها الدارسة وجيـهـة مـحـمد المكاوي لنيل درجة الماجستير من كلية الدراسات الإسلامية والعـربيـة للبنات بالاسكندرية٠٠ وقـد تكونت لجنة المناقشة من الاساتذة: الدكتور/ محمد السعدي فرهود، الدكتور/ عبد الله حسين، الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي٠

الرسالة تكونت من ثلاثة أبواب ومجموعة من الفصول٠٠ ناقشت فيها الدراسة مجالات العطاء (الأدبي والنقدي) للدكتـور شرف في المقالة في اطار (الشكل والمضـمـون)٠ ولا شك ان هذه الرسالة جـهـد مـقـدر ومـوفق في تقديم واحـد من أعلام فن المقالة المعاصرين، ومن النماذج التي كان لها دورها الفاعل في تعميق مفهوم المقالة٠

وفيات الأعيان:

بعد حياة حافلة بالثقافة والعلم والمعرفة (انتقل الى رحمة الله الأستاذ الكبير الشيخ هاشم محمد سعيد دفتر دار) وذلك يوم الخميس الموافق ١٤١٨/٩/٢٤هـ٠٠

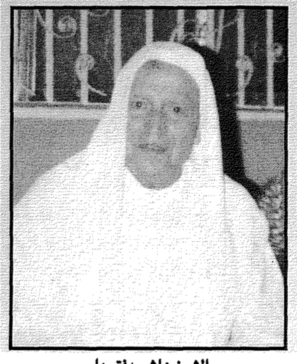
ولد الشيخ هاشم دفتر دار في طيبة الطيبة ونشأ في بيت علم وأدب ولذا فقد شغف بالعلم والأدب منذ نعومة أظفاره ونهل ما شاء الله أن ينهل من ينابيعها٠

وكان اعتماد بداية الدراسة لصبْية ذلك العصر، على الكتاتيب وحضور بعض الدروس التي تلقى في المسجد النبوي الشريف ـ وهذا شأنه فقد أُدخل لأول مرّة في كُتّاب الشيخ الجليل ابراهيم فقيه، فحفظ جانبا من القرآن الكريم، وتدرب على خط الحروف فيه كالعادة الجارية في كتاتيب ذلك الزمان٠

وسار في دروب العلم، فكان يجلس في حلقات الدروس في المسجد النبوي الشريف، فدرس التفسير والحديث واللغة العربية٠ ولما أحس أن حبّ العلم يخالط وجدانه طلب من جدّه الشيخ يحيى دفتر دار أن يرسله إلى الخارج ليواصل طلب العلم هناك إما إلى دمشق أو إلى بيروت حيث كانت البعثات العلمية ترسل للدراسة في الأزهر الشريف بمصر٠ وبالفعل أرسل الى بيروت ومنها الى الأزهر الشريف بمصر٠

وكان قد تلقى بعض الدروس على يد رئيس الجمعية العلمية مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد توفيق خالد، وبعض دروس التوحيد والسيرة النبوية العطرة على يد الشيخ مصباح شبقلو وهو من كبار علماء الاسلام في بيروت، والشيخ عبد الرحمن سلام في الأدب٠

ثم أتمّ دراسته في القاهرة في الأزهر الشريف وحصل على العالميّة وعاد الى بيروت ناظراً للكلية الشرعية في عام ١٣٥٣هـ ثم عيّن



الشيخ هاشم دفتر دار

مديرا لها بعد ذلك الى جانب دروسه فيها وفي سواها وفي المساجد، ولما أحس أن الوظيفة الادارية توشك أن تحول ما بينه وبين الصعود العلمي اعتذر عن الاستمرار في مديرية الكلية الشرعية واقتصر على إلقاء محاضراته فيها وتفرغ للاطلاع والكتابة والتأليف والبحث في علوم القرآن الكريم وأصول الدين ومسائل الفقه إلى جانب علوم اللغة العربية٠

ومن أهم كتبه المطبوعة: كتاب أطياف، وكتاب اصلاح الاسلام الاقتصادي، ونوابغ الكلم، ومعجزات قلب القرآن، وتأويل سورة الفاتحة، ورواية إلى غرناطة، ورواية الحرب والسلم وكذلك ذكريات طيبة، وكتاب هواتف وبلابل تغرد وهناك كتب أخرى تحت الطبع٠

وأما مؤلفاته المخطوطة فهي: رسائل الشعراء، وزهرة الايمان والمقتطفات وهي مختارات عجيبة من البيان٠

رحم الله الشيخ هاشم دفتر دار المدني وأسكنه فسيح جناته نظير ما قدّم للاسلام والعلم والعلماء٠٠ وإنا لله وانا إليه راجعون٠



صناعة الشاشية في تونس

غطاء الرأس المفضل عند المغاربة

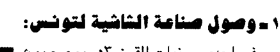
تحتل صناعة الشاشية في البلاد التونسية مكانة هامة في ميدان الصناعة التقليدية، فهي بذلك مظهر قومي من مظاهر الذاتية التونسية التى حافظت على مرّ العصور، على سمتها المميزة مما جعلها عنوانا خاصا عن اللباس التونسي الأصيل، وإن كانت بعض الشعوب لها مثلها - ولا تزال لليوم تحتل هاته المكانة، لما توفره من شغل لعائلات عديدة حافظت على ريادتها وتلقين أصولها للمتعلقين بالصناعة اليدوية، بالرغم من كسادها أيام الاحتلال الفرنسي لتونس، ومزاحمة الاجنبي لها، مما جعلها تتناقص فتصاب بالكساد. ولكن زادت قيمتها عند استرجاع البلاد التونسية ذاتيتها، فاهتمت الحكومة بهذا القطاع فتغير وجه التونسي لصناعة الشاشية، وأقبل عليها أحباؤها، وارتفعت منزلتها مما جلب اليها الاحترام والروّاج سواء عند التونسي أو السائح، بفضل مجهودات الحكومة والديوان القومي للصناعات التقليدية واتحاد الصناعة والتجارة والحرفيين، كلهم عملوا - كل في ميدانه - على تغيير النظرة لهذا القطاع وتطويره حتى يحافظ على اصالته، فيروج أكثر، ولكن كيف دخلت هذه الصناعة وهذا الرمز ، وما هي مشاكلها وآفاقها.

١ - وصول صناعة الشاشية لتونس:

فى احدى سنوات القرن ٣هـ ومع جموع الجيش الخرساني الذى اقتحم البلاد التونسية جاءت (الشاشية) من مدينة (شاش في ايران) الى مدينة القيروان عاصمة (آل المهلب) جاءت حمراء كما هي اليوم، وفي جوار جامع القيروان الاعظم قامت الاسواق المميزة لمدينة القيروان، العاصمة الاسلامية الاولى في شمال افريقيا. ومن القرن ٣ هـ انتصبت اسواق هذه الصناعة طويلة على النمط المتواجد حاليا بالعاصمة تونس (سوق الشواشية) وفي أسواق القيروان هاته تصنع (الشاشية العزفورية) على (دوّي القردشة) وتناثر الصوف وعطر القرمز.

٢ - إلى الاندلس:

في أيام الدولة الاغلبية استبد بعض ملوكها بالحكم، فأخضعوا السكان وضيقوا على الحريات العامة، فشعر بعض المواطنين الاحرار بالضيق والحرج والمراقبة فهاجر جماعة من (القرويين - سكان القيروان) الى الأندلس وهم يحملون مهارتهم اليدوية كالزليج وصناعة التطريز، فاستقر البعض بفاس في المغرب الاقصى، وأحدثوا مراكز لصناعة الشاشية، وفي الاندلس تلاقت (كالوته الباشقنس) بشاشية القيروان، وانتصبت أسواقها وصارت تمثل رمزا مثاليا للصناعة الفنية العربية في ديار الأندلس، لكن في شتاء ١٠١٧هـ/ ١٧١٣م



اعداد : محمد الصادق عبداللطيف
- تونس -

ـدر ملك اسبانيا فليب
ثالث امره باجلاء جميع
مسلمين عن الاندلس منهم
ال طاقة) من نهر تاج وآل
(سيضه من مالقه) وآل
(وشيكه من بلدة وشقه) وآل
(طرول من مدينة طرول) وآل
(كرباكيه من بلدة كرباكه)
وآل (العروسي من جبل
العروس) قرب قرطبة وآل
(القسطلي من بلدة قسطلة)
وقد حمل الشيخ (الطيب
قرند) لفافة قد ملأها
(بزريعة الكرخون) واكترى
الخال (ويشكه) سفينة ملأها
بالصناديق التى تحمل (آلات
الشواشية) من (الضبنينه
والكرديته واللميته والمقصة
والتكليش).

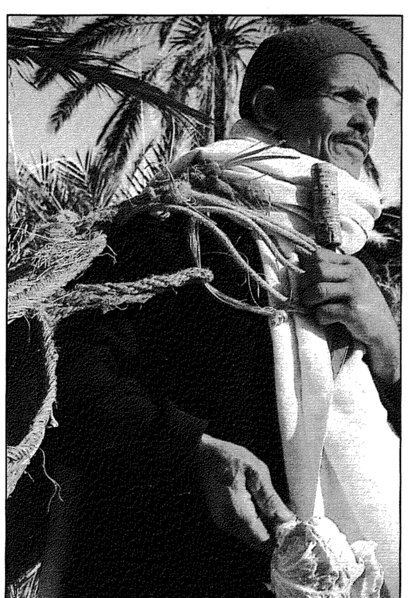
٣ ـ العودة لتونس:

أيام حكم عثمان داي ١٠١٧هـ/ ١٦٠٨م ابتكر برنامجا اصلاحيا بعد الانهيار الاقتصادي الذى شهدته البلاد التونسية، ـ قصد الاصلاح ـ لمّا طلعت هذه السفن بالمهاجرين، فأنزلهم منزلة الأنبياء، اذ سيتم بهم عمران البلاد فأسكنهم زقاق الأندلس ورياض الاندلس في الحلفاوين بالعاصمة تونس وطونجه والبيقة في باب سويقه، والبعض سكن رادس وأريانه وقمرّت، وبنيت الأسواق للشواشين والفنادق (للحريريين) والدكاكين (للقلالين) وهكذا وزّع الخال (ريشكه) صناديقه ووزع الآلات على الحدّادين ليصنعوا أمثالها، لتوزع على الشواشين وذهب العم (البشير طاقة) ومعه امثله من (البانكوات) ليصنعوا منها أمثله أخرى والعم (الطيب قرندل) ذهب ومعه وصيفه الزنجي يبحثان عن ارض أرضها تلائم زراعة الكرخون حتى وصلا جبل (العالية من ولاية نزرشالات) وهناك تلقاهما السيد (على هريرة) وقال لهما انا اعتقد أن هذا هو تراب الكرخون، وهناك نجح نجاحا باهرا.

٤ ـ أسواق جديدة:

تكاثرت أسواق الشاشية في تونس حتى وصلت الى (٤٠٠ دكانا) وأتقنت الصناعة وعمت النساء والرجال، وتضاعفت الطاقات وديار الصناعة التى تحركها القوة المائية من نهر مجردة في تستور.

قريش الوادي. طبرية الجديدة أو تحركها المياه المنحدرة بعنف من أعالي الجبال.



٥ـ عهد جديد:

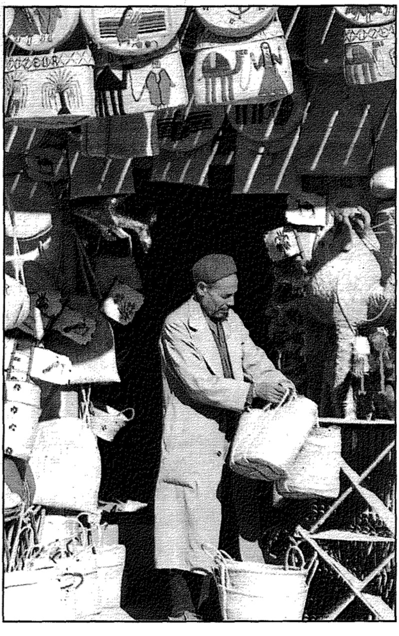
عند اكتساح الفتوحات التركية افريقيا وأوروبا، كانت تلك الفتوحات تحمل معها (الشاشية) على رؤوس الفاتحين في تونس، الجزائر، المغرب، السودان ، طرابلس، مصر، زنجبار، الحجاز، اليمن، العراق، تركيا، رومانيا، بلغاريا، صربيا، اليونان، الشام، البوسنة والهرسك، وهكذا شاهدنا (الكرارط) محملة بالشواشي الى الجزائر واخرى من قابس وإلى طرابلس نحو السودان وتخرج مراكب بحرية من حلق الوادي محملة بالشواشي إلى الاسكندرية وأزمير واستطنبول وغيرهما الى جزيرة (ساقس) لتنقل الشاشية الساقسلى) الى سلاطين آل عثمان (الحراث في قلب الاناضول والستانى في بلغاريا والفقيه في سراي بوسنه، وأمراء وكبراء وقوّاد وجيوش آل عثمان في مقر الخلافة بتركيا.

٦ـ الشاشية التونسية:

اختصت تونس بهذه الصناعة دون بقية العالم، فانتعش الاقتصاد وتضاعفت ثروتها العامة، وكلما خرج قطر من حوزة العثمانيين، خرجت الشاشية منه حتى انحصرت في شمال أفريقيا والسودان.

أسواق الشاشية فريدة في نوعها في العالم الاسلامي وهي البقية الباقية من حضارة العرب (دهليز طويل مملوء بأسرار المجهول وخفايا المغيبات، تغمره نصف ظلمة، العتمة تنبعث من كوّاه ومضاربه العلوية، ارسالات من نور كعمود من مرمر

ذيل من نجم مذنب، باعثات النور في عفاء ليل، تنتصب الدكاكين على ضفتي السوق تتصاعد منها حشرجة القردشة وقرقعة (الضمنينه) وطبطة (الباتيزروج) وأزيز الكرخون الذى يفزع باللمينة وصراخ الصناع، ومن خلال ذلك ينفرز بياض الشاشية (الكردخو) وذهبية الكرخون وأرجوان الشاشية المصبوغة، فكأن السوق وشاح قوس قزح، قد تخللت فيه الالوان الشمسية، وقد تضوّعت في الجوّ رائحة القرمز المدغدغة للانف وعطر الزهور الموضوعة في الاواني.



٧ـ منزلة صناعة الشاشية:

صناعة الشاشية لا يتعاطاها الا (الأعيان) من اكابر أهل البلد، وسوق الشراشية (أو سوق الحفصي) من بناء ابو زكريا الحفصي توفي ٦١٤هـ/١٢١٦م، هذه الصناعة أو الحرفة كان لها رواج عظيم وتقدم واشتهار، وبها اكتسب أعيان تونس (ثروة عظيمة) فكان (المتعلم) من الشواشية له اعتبار عظيم وجاه وكسب متسع وشهرة في الامصار، وشركات تخوله الارباح الباهظة، وكل (متعلم) له (ختم خاص مختص به يجعله داخل شاشيته) يسمى (النيشان) والشهره والارتفاع يحصل عليها (المتعلم) عن طريق الجودة والاتقان (مثلا نجد المصريين يطلبون نيشان السنوسي) وأهل الشام يطلبون (نيشان الخلصي) وأهل المغرب والجزائر يطلبان (نيشان الزاوية) ويصعب رغم هذا تقليد (النيشان الجيّد المشهور).

أما موادها فتجلب من اوروبا (الصوف والحرير) صوفها من نوع خاص ليست من تلك المتداولة عندنا و(القرمز الجيد الصبغ والثبت والطرطر) وهاته المواد يختص بجلبها وتجارتها اليهود.

إن هاته الصناعة من أعزّ صنائع تونس رغم منافسة الشاشية التركية وظهور الشاشية الافرنجية المصنوعة بالالات، واقتنائها بأبخس الأثمان، فانحطت أسعار الشاشية التونسية وتأخرت هاته الصناعة، ولكن كثر الطلب عليها حاليا وصار يرتديها جلّ اصناف السكان، خاصة وقد اتخذت الدولة يوما وطنيا للزي التقليدى (١٦ مارس) فأقبل الشباب والفتيات والنسوة والرجال على التزين بها وارتدائها، تعبيرا عن الاصالة وحفاظا على جزء من تراثنا المجيد.

ولقد كرمنا بني آدم ..

الاسلام دين حقوق الانسان

يعتبر الاسلام أكثر الأديان كلها رعاية للانسان، وأعظمها عناية به وتقديرا له، باعتباره خليفة الله في الأرض، وأعظم مخلوقاته في هذا الكون، وهو الذي أعطاه قيمته الحقيقية، واعترف بإنسانيته، وجعله مناط تطور الكون وتقدمه، وتحقيق إرادة الله فيه، ولذلك حمله أمانة الحياة ومسؤوليتها، وأحاطه بكل معاني التكريم، حتى اعتبر الصحابي الجليل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة المشرفة نفسها.

لذلك يعتبر الإسلام في حقيقته وهدفه وتوجيهه للناس، إعلاما واعلانا إلهياً لحقوق الناس وواجباتهم، وما ينبغي أن يكونوا عليه منذ خمسة عشر قرنا، من قبل أن تعرف الانسانية كلها هذه المواثيق البشرية والمعاهدات الدولية، التى تدعو إلى رعاية هذه الحقوق، والتى لم تلق حتى الآن حظها من التطبيق السليم، والرعاية الواجبة، برغم التطور الذي عرفته البشرية، والحضارةالتي بلغها الانسان في عصرنا الحالي، ولا شك أن هذا الاعلان الالهي يعلو ويسمو على كل المواثيق الوضعية والعهود البشرية، لكونه يقوم على الايمان بالله وابتغاء مرضاته، ورغبة في ثوابه، وخوفا من عقابه.

كما يقوم على الضمير الديني الموجه لتصرفات الناس في السر والعلن، وفي كل أحوالهم وعلى مختلف مستوياتهم، وعلى أن ما يفوت ويمضي في الدنيا، لن يفوت في الآخرة، وعند من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وأمر آخر يمتاز به الاعلام الالهي عن سائر المواثيق الوضعية، هو أنه يرتفع بحقوق الانسان، فيجعل رعايتها واجبا على المجتمع كله، على قادته وحكامه وقضاته كما هي واجب على صاحبها، يدافع عنها ولا يتهاون في الحصول عليها، ومن أجل ذلك اعتبرت الشريعة الاسلامية أداء الواجب قبل تقرير منح الحق والحرية، اعتبارا على أن النهوض بالواجبات ضمان لصاحب الحقوق والحريات، لأن ضمانها منشؤه التشريع بما فرض من تكاليف وواجبات، ومن ثم كان الانطلاق في الحقوق والحريات العامة لا يستقيم مع التكليف، لأن التكليف لا ينفصل معناه عن مفهوم الحريات العامة في الاسلام، إذ أن ثمة تلازما بينهما، فالواجب يقابله حق، ولذلك قيل لا واجب بلا حق، لأن التكاليف حقوق للغير.

لذلك كان تقرير حقوق الانسان وحرياته العامة، منشؤها التكليف، وهذه مصدرها الأحكام التى هي مصادر الحريات، لا ذات الإنسان كما هي عند الآخرين[١].

وقد نظم الإسلام الحريات العامة، على اعتبار أن الحرية منشؤها التكليف والمسؤولية، لا حرية الانطلاق والفوضى والأنانية والهوى، والخضوع لهيمنة الأعراف السائدة والتقاليد الموروثة، وكانت العقيدة الاسلامية أكبر ضمان للحريات العامة لتقييد سلطة الحكم، لكون ذلك مقيدا بالعدل، إذ نظمت الشريعة كيفية ممارستها على نحو معروف، امتثالا لله وطاعة في التكليف، ووفاء بالأمانة التي حملها الإنسان، ولذلك قامت الحقوق على حقائق عقائدية، قبل أن تكون تصرفا سياسيا أو مجرد نظام دستوري.

بقلم : د. يوسف الكتاني
- جامعة القرويين - فاس -

كل حرية عامة في الاسلام مظهر للعقيدة والتقوى قبل ن تكون أمرا آخر، ومن ثم كانت ممارستها عبادة خلقا، أداء للتكليف المبني على المسؤولية، وذلك ما يزها وخصصها في الإسلام عن غيرها، وهذا ما جعل الحرية في الإسلام حقا وواجبا معا، يؤكد ذلك أن حق الحياة مصون للإنسان شرعا، غير أنه في نفس الوقت واجب وتكليف تنهض المسؤولية عن أدائه والتصرف فيه، فإذا كان من حق الإنسان أن يحيا، فإن من واجبه ايضا أن يحيا، أداء لأمانة التكليف وعمارة الدنيا في ظل العبودية لله وتنفيذ شرعه، فليست حياته حقا خالصا له يتصرف فيه كيف يشاء، وإنما خلق ليؤدي واجبا لنفسه ولغيره، ولا يتأتى هذا إلا إذا كان واجبا عليه أن يحيا لأنه لم يخلق عبثا ولا سدى {أيحسب الإنسان أن يُتْرَكَ سُدى}[٢].

هذا ولا نعلم تشريعا غير الإسلام، يؤصل من الأحكام العملية والضمانات الحقيقية، ما يجعل اندماج حياة الفرد في حياة الأمة أمراً واقعا، بحيث تصبح قواما موحدا كما تندمج الارادات الفردية حتى تصبح إرادة معنوية عامة للمجتمع، يتقرر على ضوئها مصيرهم جميعا في حياتهم الدنيوية[٣].

ومن أجل ذلك أبادر الى القول، بأن ما ادعته وتدعيه الدول المعاصرة، من كونها السباقة إلى الدعوة إلى حقوق الإنسان وتقريرها، وأن لها فضل الريادة في تطبيقها ورعايتها غير صحيح، وها هو التاريخ الحضاري والإنساني خير دليل وشاهد، فليس صحيحا أن الإنجليز والفرنسيين كان لهم فضل الريادة والسبق في المطالبة بها، والدعوة إليها في ثوراتهم ومواثيقهم.

فقد تصور الناس نتيجة تأخر المسلمين، وتخلفهم عن السير بمقتضى أوامر دينهم، أن حقوق الإنسان مرتبطة بالعهد الأعظم الإنكليزي «ماجنا كارتا» الصادر سنة ١٢١٥م أو ميثاق توم سنة ١٧٣٧م، أو إعلان الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٠م، أو الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة ١٩٤٨م.

ولكن الذي علمته الانسانية منذ خمسة عشر قرنا، والذي ينبغي أن يعلمه الناس اليوم، أن الإسلام أعلن هذه المبادىء وقررها منذ ظهوره، وكان السباق الى الدعوة إليها وتقريرها ورعايتها، في أوسع نطاق وأكمل صورة، وأن الدولة الإسلامية على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والخلفاء الراشدين من بعده، وقادة المسلمين وعلمائهم، كانوا أسبق إلى تقريرها، وتطبيقها على نحو رائع، وبشكل ما تزال الأمم المعاصرة لم تبلغه، وإن مجرد مقارنة بسيطة بين التشريعات السابقة على الاسلام، وكذا المذاهب اللاحقة بما في ذلك المعاصرة، تظهر ريادة الإسلام وأسبقيته في هذا الباب.

**** حقوق الإنسان تعبدية قبل أن تكون دستورية**
**** حقوق الانسان في الاسلام منظومة حضارية تشمل الناس اجمعين**

إن الاسلام دين حقوق الإنسان التي قررها القرآن الكريم، دستور المسلمين وكتابهم العظيم، كما أكدتها السنة الكريمة وعمل الخلفاء، والعلماء، وتاريخ المسلمين، ولقد امتلأ مسمع الدنيا كلها بصوت الرسول عليه السلام، بالوحي المنزل عليه، يعلم البشرية كلها، ويعلن لها كلها هذه الحقوق في هذا البيان الرائع المعجز: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير}[٤].

إن القرآن والسنة ظلا دوما المنبع والمصدر، لكل حقوق الإنسان وحرياته، وقد حفلت نصوصها بالمبادىء الانسانية السامية لتلك الحقوق والحريات، وكان كل منهما مكملا للآخر في تفصيل وتدقيق معجز رائع، وعلى هديهما سارت دولة الاسلام ومجتمعات المسلمين

** الناس في التوجه الاسلامي سواسية كأسنان المشط

** الأفضلية للتقوى ونفع الناس

** الانسان خلق الله وخليفته في أرضه

في مختلف العهود.

وإن أروع مثل للدعوة الى حقوق الإنسان وحرياته، ومدى ما بلغته من تقدير ورعاية في دين الإسلام، ولدى رسول الاسلام، هي خطبته في حجة الوداع التي أبى عليه السلام إلا أن يضمنها في آخر وصيته للمسلمين، يضمنها دعوته للحفاظ على تلك الحقوق، وصيانتها والدفاع عنها.

أنواع الحقوق:

١ ـ حق الحياة:

وهو حفظ النفس، ويعنى عصمة الشخصية الانسانية في عناصرها المادية، وهي سلامة الجسم بجميع أعضائه من الاتلاف، وعناصرها المعنوية: أي الكرامة، والأفكار الذهنية، والمعتقدات وغيرها.

وقد اعتبر الاسلام حياة الانسان المقصد الأول الذي ترجع إليه سائر المقاصد الأساسية، بعد المحافظة على الدين، لتوقفها جميعا على الانسان نفسه.

ومن أجل ذلك دعا الاسلام وتشدد، في المحافظة على حياة الانسان، وحفظ نفسه من كل إتلاف أو اعتداء، وجعل ذلك في أعلى مراتب التكليف، سواء بالنسبة للشخص نفسه أم في مواجهة غيره.

ولذلك اعتبر إزهاق النفس عمدا وعدوانا، أعظم جريمة في الكون، لا بالنسبة للمعتدى عليه، أو ذويه فحسب، بل بالنسبة للانسانية كلها، وقرر القرآن أن جريمة القتل دون حق، هي بمثابة قتل الناس جميعا، وإحياءها في حكم إحياء الناس جميعا.

{من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا}.

ومن هنا كان حق الحياة (حقا وواجبا) في آن واحد، لارتباطه بالتكليف والأمانة التي حملها الإنسان، لعمارة الدنيا، واستخلاف الله في الأرض، وتطبيقها لسننه في الكون.

لذلك حرم الاسلام على الإنسان الاعتداء على نفسه وإزهاقها، أو اتلاف عضو من أعضائه، دون مقصد شرعي، أو السماح لغيره بشيء من ذلك، اللهم إلا إذا كان ذلك لتحقيق مقصد شرعي، كجهاد العدو، أو المحافظة على الحياة، كبتر عضو مريض تتوقع منه السراية لبقية الجسم، وتعرضه للخطر المحقق.

وفي ذلك يقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما}[٦]، {ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق}[٧].

وتأسيسا على ذلك يقول الشاطبي في «الموافقات»: {ونفس المكلف داخلة في هذا الحق ـ أي حق الله تعالى ـ إذ ليس له التسلط على نفسه، ولا على عضو من اعضائه بالاتلاف}[٨].

واعتبرت السنة قتل النفس انتحارا، من أكبر الكبائر التي تستوجب الخلود في النار، فقد روى أبو هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ ـ أي يطعن بها نفسه ـ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه، فهو متردٍ في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا).

عذا ونلاحظ في هذا المقام، أهمية الشريعة الإسلامية وموقفها بالنسبة لحقوق الانسان، وخاصة حق الحياة فخلافا للاسلام لم تعتبر أغلب التشريعات الوضعية الانتحار جريمة، ولم تتضمن نصوصها عقابا عليه، لأنها تعتبره دون جدوى بعد وقوع الجريمة، ولكن الشريعة الاسلامية وسمو مقاصدها، جعلت من شدة العقوبة وخطورتها عنصرا وقائيا، يمنع من ارتكاب الجريمة والوقوع فيها، إضافة الى ثنائية العقاب بجعله دنيويا وأخرويا، تأسيسا على العقيدة التي تجعل الله مصدر كل شيء ومرجع كل شيء.

{تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وهو العزيز الغفور}[٩].

ولهذا نرى انعدام جريمة الانتحار في بلاد المسلمين بسبب هذا المقصد الاسلامي الأسمى، خلافا لما عليه الحال في الدول الأخرى، حيث لم يزدها تقدمها وتطورها إلا إغراقا في هذه الجريمة، وها هي الدول الاسكندنافية التى تمثل أرقى الدول الأوربية حضارة، وتقدما، تعتبر جريمة الانتحار فيها أعلى نسبة في العالم كله، بسبب بعدها عن الدين، وقيام نظمها وقوانينها على المادية فحسب.

٢ ـ حق الحرية:

لقد اعتبر الاسلام الحرية دعامة لكل ما شرعه للناس من عقائد ونظم وتشريعات، ولم يقيدها إلا في حدود الصالح العام، واحتراما لحرية الآخرين، وألغى كل نظام يتعارض مع مبدأ الحرية.

ولذا ينبغى قبل أن نتحدث عن أقسام الحرية وأنواعها في الإسلام، أن نحدد معناها فيه، إذ الاسلام يتميز في هذا الباب عن المذاهب والنظريات والمبادىء الأخرى كلها.

إن الفرق بين إرادة الله وإرادة الانسان، هو الذي يرتب الفرق بين حرية الله التي هي الحرية المطلقة الكاملة، والدرجة العليا في الحرية، لأنه الإله الذي يستطيع أن يفعل ما يشاء، ويحكم بما يريد، لا معقب لحكمه، ولا راد لارادته. وهي الحرية الخلاقة المبدعة، التي أنشأت العالم، والتي قالت لهذا الكون كن فكان، هذه الحرية هي التي تخلّق بها الانسان، وسعى في مجهوده البشري والروحي لأن يتخلق بها أي يكون حرا.

إن حرية الانسان هي حرية الاختيار، وهي في الاسلام ليست حرية عقلية فقط كما يقول المثاليون، ولا حسية فقط كما يدعى التجريبيون، بل هي حرية تجمع بين الفكر والحس، وبين الارادة والعمل، عن طريق الحياة، داخل الكون لا خارجه، كما يزعم بعض فلاسفة الشيوعيين.

«إنها حرية النفس أي الحرية الباطنية التي تنشأ معها الفكرة داخل الفكر الانساني، سواء عن طريق التجربة، أو نشوءا استقلاليا، وهي التي يشعر الانسان معها بحاجته وبضرورته، لأن يفعل الشيء أو لا يفعله أو ينطلق، أي حرية الاختيار، ولكنها ليست ملتزمة كما يدعى سارتر، ولا غير ملتزمة كما يقول «ديكارت»، ولكنها الحرية التي تختار بالاختيار الذي أعطاه الله للانسان، وإن هذه الحرية ليست خارج الحركة، وليست خارج العالم، ولا داخل الطبيعة، ولكنها في الحركة نفسها، إنها الحركة التي يفكر بها الانسان، والحركة

**** العقوبة الاخروية عنصر وقائى في التشريع الاسلامي**

**** الحرية مرتبطة بكيفية استخدامها وليس بمجرد وجودها**

التي يقبل بها الانسان كما ذكر المفكر الاسلامي العظيم الدكتور إقبال[١٠]، وهنا يكمن الفرق بين الحرية في الاسلام، وعند الفلاسفة والمفكرين غير المسلمين، ذلك أن الانسان حر في أن يفعل ما يشاء، ويترك ما يريد، ولكن هذه الحرية ممكنة فقط، أما في الواقع فإن الانسان مقيد بألا يفعل الأشياء التي تضر بالآخرين، أو تمس بالمصلحة العامة أو (بالصالح العام)، وهذا القيد هو الذي يضمن تعميم الحرية للآخرين ولا يحد الحرية نفسها.

إذن فالحرية في الاسلام هي حرية شرعية فطرية باعتبار الواقع، وطبيعة فعلية، وهي تستمد سندها من قوله تعالى في عالم الأزل، للعالم أجمع، وللبشرية كلها {ألست بربكم قالوا بلى}[١١].

وهنا نجد تصور الاسلام للحرية، ينطلق من الغاية من نزول القرآن، والتي كانت المقصد الأسمى له، وهي أنه نزع عن رقبة الانسان نير العبودية لغير الله، ومنحه الحرية التامة في التفكير والتعبير عما في الضمير، وحارب عبودية الانسان، وحرم عليه أن يحل لغيره أو يحرم ما يشاء، أو يجعله يأمره وينهاه حسب هواه، واعتبر ذلك نوعا من الشرك والضلال، ولذلك كانت الحرية في الاسلام من نتائج التوحيد اللازمة له[١٢].

وقد اعتبر الشيخ محمد الكتاني في بداية هذا القرن الميلادي « أن ما أدركته أوربا من مدنية وعلم وتقدم، إنما مرجعه إلى الحرية التي عبر عنها الشرع الكريم، بالقسط، والعدل، والنصح، وعدم المحاباة، والقيام في كل موطن وما يقتضيه، ومعرفة كل منصب وما يطلبه، وعدم إهمال بعضهم بعضا، ومعرفتهم بحق من ظهر فيه أدنى نبوغ وتيقظ، وعدم إهماله حقه، وعدم رفضه»[١٣].

ويمكننا أن نتحدث هنا عن أربعة أنواع من الحرية:

أولا: الحرية الدينية:

لقد وحد الاسلام مفهوم الدين برسالة سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم}، التي كانت آخر الرسالات إلى الأرض، حيث قرر القرآن {إن الدين عند الله الاسلام}. {ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}[١٤].

وترتب على ذلك أن «الاسلام يجبُّ ما قبله». لأنه دين الوحدة والبعث والعدل، والسماحة واليسر، ولأنه قضى على كل وثنية وظلم، ودكتاتورية وتمييز.

ولكن الاسلام تميز في هذا الميدان، ميدان الحرية الدينية، بموقف كله سماح وحكمة، ولذلك قامت الحرية في الاسلام على مبادىء أساسية أهمها:

١ ـ قيام الايمان الصحيح على اليقين والاقتناع.
٢ ـ الاقناع بالمنطق والحكمة.
٣ ـ لا إكراه في الدين.

ثانيا: الحرية المدنية:

وهي أهلية الانسان لتحمل الالتزامات والتمتع بالحقوق، كإجراء العقود، والتملك، والتصرف وغيرها، وقد كفل الاسلام الحرية المدنية للجميع، ولم يميز بين أفراد المجتمع الاسلامي، سواء أكانوا مسلمين أم ذميين، وجعلهم سواسية في التمتع بالحقوق، والقيام بالواجبات وممارستها.

كما سوى بين الرجل والمرأة سواء كانت متزوجة أم غير متزوجة، وضمن لها كامل شخصيتها المدنية، مستقلة عن زوجها، وفي سائر التصرفات.

وقد كان الاسلام متميزا في هذا الباب، إذ لم يبلغ مداه ومقاصده، لا دين قبله، ولا مذهب أو مبدأ بعده، ولذلك نحب أن نلفت الانتباه إلى تقليد فاسد، أخذ ينمو وينتشر في مجتمعاتنا، وهو تسمية المرأة باسم زوجها، مخالفة للاسلام الذى حفظ للمرأة كامل شخصيتها، وبكل مقوماتها، فلا معنى لتسمية المرأة المتزوجة بالسيدة فلان نسبة إلى زوجها، وهذا هو تاريخنا الاسلامي خير دليل وشاهد على بطلان وفساد هذا التقليد، فقد كانت أمهات المؤمنين أنفسهن ينسبن إلى آبائهن، وكانت السيدة عائشة تسمى بالصديقية، أو عائشة بنت أبى بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وكذا سائر أمهات المؤمنين، وما أروع أن نتأسى بنبينا {صلى الله عليه وسلم} وسيرته وسلوكه في كل أمر ونترك هذه البدع الضالة التي أفسدت مجتمعنا

غيرت مفاهيم الاسلام فيه.

ثالثا: حرية الرأي والتعبير:

وقد ضمن الاسلام لمعتنقيه، التفكير المستقل في جميع شؤون حياتهم، وما يقع تحت إدراكهم من ظواهر، والتعبير عن ذلك بما يهديهم إليه فهمهم بمختلف وسائل التعبير. ولذلك أقر الاسلام هذا الحق في أوسع نطاق، وأعطى كل فرد حقه في إبداء رأيه، والتعبير عن إرادته بما يراه، والجهر بذلك دون خوف أو عقاب، وهو ما جعل هذه الحرية مكفولة طوال تاريخ الاسلام وفي أوسع حدود، وقد كانت مجالا خصبا أنتج تراثا إسلاميا ضخما رائعا، مما يفتخر به تاريخ الفكر الاسلامي وتاريخ المسلمين، وظل هذا الحق مقدسا، محترما، مصونا، حتى كان الناس يتناقشون مع الخليفة نفسه، وينصحونه إن ظهر في قوله أو فعله ما يخالف الدين، وهذه قصة المرأة مع عمر - رضي الله عنه - عندما نهى عن التغالي في المهور، مثل حي على قدسية هذا الحق، ورجوع عمر إلى الصواب عندما ردته قائلا: «أصابت امرأة وأخطأ عمر» وكما كان الشأن دائما على عهد عمر بن عبد العزيز، حينما يتناقش الناس في مجلسه عن أمور الدين والدنيا، ويبدون آراءهم بكل حرية وصراحة وصدق.

وفي هذا الباب يفتخر الاسلام، بإباحة مبدأ الاجتهاد الذي كان مظهرا حيا للأمة الاسلامية، وباعثا على تجددها وتطورها، وهو حق كل قادر أن يجتهد ويستنبط الأحكام من أصولها وأدلتها، ويعمل بما يراه، ويجهر بما انتهى إليه، حيث أقر الاسلام احترام رأي المجتهد ولو كان مخطئا، وضمن له الأجر على اجتهاده، «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[١٥].

ومن هنا نجد الاسلام أقر الحرية العلمية في أوسع نطاق، ولم يعرض أية نظرية علمية معينة بصدد أية ظاهرة من ظواهر الكون، وأتاح للعقول والأفكار حرية التفكير والتعبير، وحثهم على استعمال عقولهم وأبصارهم، ومداومة النظر والفكر، فيما يحيط بهم من مخلوقات الله وعوالمه.

وفي هذا المجال أيضا يتميز الاسلام بأنه لم يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حقا فحسب، بل فرضا وواجبا على كل مسلم، وهو ما لم يعرفه دين آخر غير الاسلام.

وقد رسم الرسول الكريم حدود هذه الحرية، وأحاطها بسياج من الحيطة والاحترام حتى لا يخرج الناس بها عن مقاصدها وأغراضها، التي توخي الاسلام من إقرارها لتكون خيرا على الناس، وليست نقمة وشرا، فلننظر إلى القول النبوي الكريم في هذا الباب: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو يصمت»[١٦].

**** الاسلام جاء بحقوق الانسان كاملة غير منقوصه**

وكأن هذا القول بالذات موجهاً إلى الشعراء المبالغين وإلى الصحافيين المتحاملين، أن يتقوا الله في أعراض الناس وشؤونهم، وفيما يكتبون وما يروجون.

ذلك أن المهم في الحرية ليس وجودها، بل استخدامها فهي لا توجد إلا عند ممارستها وتطبيقها، وهو ما ينبغي لنا أن نفعله بجعل الحياة الانسانية، تزدهر بالتأييد الصادق للصواب، والدحض الشجاع للخطأ.

لذلك كانت حرية الفكر في الاسلام ليست مطلقة، بل في حدود أصوله وأحكامه، فقد أوجب على المسلمين أن يأمروا الناس بالخير ويساعدوهم عليه، وينهوهم عن المنكر ويمنعوهم عنه، ولم يبح لهم فقط الاعتراض على الشر بل منعه وإزالته.

«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»[١٧].

وقال الرسول [صلى الله عليه وسلم] من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان»[١٨].

وقد اعتبر الاسلام التزام الصمت، والموقف

السلبي من الشر والمنكر، واعتبر محاولة كفه ومنعه ذنبا عظيما في حق المجتمع الاسلامي، الذى أوجب الله على كل المسلمين تطهيره وحمايته.

لذلك ذكر القرآن أن سبب انحطاط بني إسرائيل وتأخرهم، هو عدم تناهيهم عن المنكر، {كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه}[١٩].

رابعا: الحرية السياسية:

ويقوم هذا الحق على مبدأين أساسيين هما:

- الأمة تختار من يحكمها.
- حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته على أعماله وتصرفاته.

أما بالنسبة للمبدأ الأول، فلا جدال أن المسلمين هم أول أمة قالت بهذا المبدأ، وطبقته وأحسنت تطبيقه في تاريخها، وهو ما سار عليه الاجماع منذ عهد الخلفاء الراشدين، إذ قامت الأمة باختيارهم عن طريق أهل الحل والعقد أو كما سماهم ابن تيمية «أهل الشوكة» وهم أئمة المسلمين وعلماؤهم، وأمراء الجيش، ورؤساء العشائر، وذوو الرأي والمكانة، فهؤلاء هم المعبرون عن أهداف الأمة ورغباتها، الممثلون الحقيقيون لها، وما يتفقون عليه من رأي أو رغبة هو رأي الأمة كلها، وهم الذين يختارون الخليفة أو الامام، وهو أعلى حاكم للمسلمين عن طريق البيعة الشرعية، أو «العهد على الطاعة» كما سماها ابن خلدون[٢٠].

التشريعات الحديثة لحقوق الانسان يشوبها الكثير من الخطأ

وعن طريق البيعة الشرعية، وبواسطة أهل الحل والعقد، ولي الخلافة أبو بكر فمن بعده، وعلى ذلك سارت الأمة الاسلامية في اختيار خلفائها وحكامها.

أما عن المبدأ الثاني، وهو حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته على أعماله وتصرفاته، فقد تقرر منذ قيام الدولة الاسلامية، وعلى عهد الخلفاء الراشدين، وأجمعت عليه الأمة وتمسكت به، وتصرف بمقتضاه الخلفاء الراشدون أنفسهم، حتى نجد أبا بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته الأولى بعد مبايعته أول خليفة للمسلمين بعد الرسول {صلى الله عليه وسلم}، يوصي الأمة أن تعينه إن أحسن في تصرفه، وتقومه إن أساء، قال:

«أما بعد، فقد وُليتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم»[٢١]، وكذلك فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده، وسائر خلفاء المسلمين.

٣- حق المساواة:

كان من بين الحقوق الأساسية التي شرعها الاسلام، وقررها للناس، وأوجب تطبيقها والعمل بها، حق المساواة الذي يعتبر في شريعة الاسلام أساسا لعلاقة الناس فيما بينهم ومظهرا من مظاهر العدالة الاجتماعية وركيزة لكرامة الشخص واعتبار قيمته الانسانية.

ولذلك أوجب الاسلام تطبيق حق المساواة والتمسك به في جميع نواحي الحياة، ونادى بالعمل به في الحقوق المدنية، والمسؤولية، والعقاب، وفي جميع الحقوق العامة.

ومن أجل هذا يعتبر الاسلام بني البشر جميعا، متساوين في طبيعتهم البشرية، وألا تفاضل بينهم، بحسب الخلق أو العنصر، أو السلالة، أو اللون، وإنما هم يتفاضلون بكفايتهم وأخلاقهم وأعمالهم، وذلك مصداقا لقوله تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير}[٢٢]، {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا}[٢٣].

وقد عمل الرسول {صلى الله عليه وسلم} بقوله وفعله طوال حياته، على تطبيق هذا المبدأ الاسلامي العظيم، باعتباره أصلا من أصول الاسلام، وأساسا من الأسس التي يقوم عليها مجتمع المسلمين. وقد أبى

ي خطبة الوداع إلا أن يؤكد ذلك، ويدعو الأمة إلى لتمسك بهذا الحق واعتباره، فقال: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدام، وآدم من تراب».

وقد غضب غضبا لم ير مثله على وجهه، عندما سمع أبا ذر الغفاري يحتد على بلال ويعيره بلونه قائلا: «يا ابن السوداء»، فزجره الرسول ورده بقوله: «يا أبا ذر أعيرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[٢٤].

فاستجاب أبو ذر لأمر الرسول {صلى الله عليه وسلم} ووضع خده على الأرض، وأقسم أن يطأه بلال برجله توبة وتكفيرا، عما صدر عنه.

إن أفضلية الاسلام وريادته في هذا المجال، تظهر في أنه لا يقر المبادىء الضالة التي عرفتها الانسانية قبله، وهذه الجاهلية التي عادت إليها الانسانية حتى في عصر التمدن الحالي.

لقد شجب الاسلام تلك الامتيازات التي قامت في مجتمع الهنود والرومان واليونان، من تمييز الناس بعضهم على بعض، بحسب العنصر، أو الجنس، أو التكوين ولذلك حرم التفاضل الذي ميز الشعوب عن بعضها، والأوصاف التي أطلقتها على نفسها «كالشعب المختار»، و«شعب الله»، ومن «شعوب ناقصة»، وأخرى «كاملة الانسانية» بحسب نشأتها وطبيعتها الأولى وبالتالي ذلك التمييز الذي قام بين الناس تبعا لتلك الأوصاف، فهذا كله حرمه الاسلام، وألغاه، واعتبره جاهلية وانحطاطا للانسانية عن مكانتها الرفيعة، التي وضعها الله فيها بقوله:

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء}[٢٥]، وتلك الاخلاق الفاضلة التي نادى بها الرسول وطبقها في قوله: «الناس سواسية كأسنان المشط ولا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح كلكم لآدم وآدم من تراب».

وتطبيقا لهذا المبدأ وعملا به، لا يقر الاسلام هذه الدعاوى الجاهلية التى عادت إلى الظهور، وانتشرت اليوم من التمييز بين الشعوب حسب ألوانها، واعتبار الرجل الأبيض سيد العالم، وتمييزه في المعاملة وسائر الحقوق عن الرجل الأسود، في التعليم، والوظائف كما يحصل الآن في جنوب إفريقيا وبعض مدن أمريكا مثلا، إن الاسلام جعل من بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، دعاة وقادة وحكاما، حتى قال الرسول عن سلمان «سلمان منَّا آل البيت»، وهذا هو منتهى التكريم والتقدير للانسان، باعتباره إنسانا فحسب. إننا نلاحظ تطبيقات الاسلام لمبدأ المساواة، وتأصيله في جميع المجالات وفي كل النواحي فيما يلي:

التسوية بين الناس في الحقوق المدنية والمسؤولية والجزاء كحق التملك والتعاقد وغيرها، وفي أن كل شخص مسؤول عن عمله يثاب إن أحسن، ويعاقب إن أساء، على أساس العدالة الاسلامية التي تشمل الناس جميعا بميزان واحد {يا أيها الناس كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا}، {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل}[٢٦].

وقول الرسول:

«إنما أهلك من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذى نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها»[٢٧].

وما يزال قول عمر في رسالته إلى أبي موسى الأشعري التي تعتبر دستور القضاء ونبراسا مضيئا بين المسلمين يعطي للانسانية المثل الحي، في المساواة والتشبث بها، قال يوصيه: «آس بين الناس في وجهك وعدلك، ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك».

كذلك سوى الاسلام بين الناس في حق التعليم، وجعله فريضة قال الرسول {صلى الله عليه وسلم}

«تعلم العلم فريضة على كل مسلم» وكما سوى بينهم في حق التعليم وجعله فريضة، سوى كذلك بين الناس في حق العمل وجعله عبادة، وأعلى من شأنه، حتى شارك النبي أصحابه في بناء المسجد النبوي وقال: «ما أكل أحد طعاما خيرا من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من كد يده».

كذلك سوى الاسلام بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق، وفي شؤون المسؤولية والجزاء يقول الحق سبحانه {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون}[٢٨].

{للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون، مما قَلَّ منه أو كثر نصيبا مفروضا}[٢٩]. وسوى بينهما في الحقوق المدنية على اختلاف أنواعها، لا فرق بين المرأة المتزوجة وغيرها، والزواج لا يفقد المرأة شخصيتها المدنية، وممارسة كامل حقوقها، والمحافظة على اسمها وشخصيتها، ولم يفرق بين الجنسين في الحقوق، إلا من حيث تدعو إلى ذلك مراعاة طبيعة كل من الجنسين في الحياة، وما يصلح له، وكفالة الصالح العام، وصالح الأسرة، وصالح المرأة نفسها.

كذلك سوى الاسلام بين المسلمين وغيرهم، فأعطى للذميين في المجتمع الاسلامي نفس الحقوق التي للمسلمين «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

٤ ـ الحقوق الاقتصادية في الاسلام:

ونحب أن نلفت النظر إلى أن حقوق الانسان الاقتصادية، لم يعرفها العالم إلا حديثا، إذ أن المطالبة والاعتراف بها لم يبدأ إلا مع الحركات الاشتراكية الحديثة في أوربا، منذ القرن التاسع عشر، حيث ارتبطت دائما حقوق الانسان في أوربا وغيرها بالحقوق السياسية والحريات العامة، ولم تتعداها، ولم تظهر هذه الحقوق بصورة قانونية، ولم تعترف بها الحكومات إلا منذ ثلث قرن فقط، أي سنة ١٩٤٨ عند صدور الاعلان العالمي الذي تضمن بعض المواد الخاصة بها.

أما الاعتراف بهذه الحقوق فلم يتم إلا سنة ١٩٦٦ عند صدور الميثاق الدولي لحقوق الانسان الاقتصادية والاجتماعية، وأما قبل هذا، فلم تكن هذه الحقوق معترفا بها إطلاقا حتى في البيان الذي أصدرته الوثيقة الفرنسية سنة ١٧٨٩، فإنه لم يتضمن مادة واحدة تتعلق بالحقوق الاقتصادية.

أما عندنا في الاسلام، فقد تقررت هذه الحقوق منذ البداية ومنذ جاء الاسلام، ودعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الانسانية كلها، الى دين صالح لكل زمان ومكان، فيه سعادة الدارين جميعا. ومن هنا كانت الحقوق الاقتصادية في الاسلام، منبثقة عن النظام الاسلامي، الذي يعتبر نسيج وحده، منقطع النظير بين النظم السابقة واللاحقة، لا يدانيه نظام في سموه ومبلغ تحقيق الخير لصالح الأفراد والجماعات، وذلك لكونه:

- يقرر الملكية الفردية ويحيطها بسياج من الحماية.
- ويذلل أمام الفرد سبل التملك والحصول على المال.
- ويشجع على العمل ويعطي لكل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة.
- ويفسح المجال أمام المنافسة والعمل على التفوق والابداع والابتكار.
- ويحقق تكافؤ الفرص بين الناس.
- وينظم وظيفة رأس المال ويحيطه بكل ما يمنعه من السيطرة والاستغلال.
- ويحول دون تضخم الثروات وتجميعها في يد واحدة، بما قرره من إرث، ووصية، وزكاة، وصدقات، وكفارات.
- ويجعل ملكية الأشياء الضرورية لجميع الناس ملكية جماعية.
- ويبيح نزع الملكية الفردية للصالح العام.

وبذلك قام النظام الاقتصادي الاسلامي على أساس:

١ ـ إن الانسان غاية لا وسيلة.

٢ ـ قيام العلاقات الاقتصادية بين الناس على

ساس اخلاقي تحقيقا للتكافل والتعادل والتضامن الاجتماعي.

٣ ـ تحريم طرق الكسب غير المشروع، وهي التي تقوم على استغلال النفوذ، والربا، والرشوة، والغش، والابتزاز، والتحكم في ضروريات الحياة.

٤ ـ الترغيب في الانفاق، والتصدق بكل ما زاد عن الحاجة من أجل الصالح العام.

٥ ـ جعل اكتناز المال وعدم إنفاقه في سبيل الله من أكبر المعاصي.

٦ ـ حق المسلم في الغذاء والكساء والعمل بغض النظر عن أي اعتبار، وكفالة الدولة لهذه الحقوق.

إن من شأن هذه المباديء أن تحقق استقرار التوازن الاقتصادي بين الطبقات والأفراد.

وتضيق المسافات بين الناس بتقريبهم بعضهم من بعض، وتكفل للجميع حياة إنسانية كريمة، يأمن فيها كل فرد على حياته وأمنه واستقراره[٣٠].

لذلك كله نجد النظام الاقتصادي الاسلامي يختلف عن الشيوعية، ذلك لأن النظام الاسلامي يعترف بالملكية الفردية ويحميها.

وعن الرأسمالية، لأنه يقيد رأس المال ويجرده من وسائل السيطرة والنفوذ.

وعن النظم اليمينية المتطرفة، لأنه يفرض رقابة على الملكية الفردية، وعلى رأس المال الفردي.

وعن الأنظمة اليسارية المتطرفة، لأنه لا يسمح بإضعاف رأس المال الفردي، بل يفسح له المجال للقيام بوظيفته في حدود الصالح العام بوصفه عاملا من عوامل الانتاج.

الهوامش:

(١) حقوق الانسان في التشريع الاسلامي ـ للدكتور فتحي الدريني ـ مجلة نهج الاسلام ص ٣٢ ع٦ ذو الحجة ١٤٠١ ـ أكتوبر ١٩٨١.

(٢) سورة القيامة الآية ٣٦.

(٣) حقوق الإنسان في التشريع الاسلامي ص ٣٩.

(٤) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٥) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٦) سورة النساء الآية ٢٩.

(٧) سورة الاسراء الآية ٣٣.

(٨) الموافقات للشاطبي.

(٩) سورة الملك الآية ١ و ٢.

(١٠) انظر المقدمة الرائعة التى كتبها المرحوم علال الفاسي في محاضرته عن الحرية ٢ ـ ٤ المطبعة الاقتصادية ، الرباط سنة ١٩٥٩.

(١١) سورة الأعراف الآية ١٧٢.

(١٢) التصور الاسلامي للحرية لأبي الأعلى المودودي ـ مجلة المسلمون ع ٦ ص ٢٧، المجلد السادس ص ٥٤٢ رمضان ١٣٧٨/ ١٩٧٩.

(١٣) رسالة المؤاخاة للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ـ مخطوط خزانة الزاوية الكتانية بسلا ص ٠٣.

(١٤) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(١٥) أخرجه البخاري: فتح الباري ١٣/ ٣١٨ ط دار المعرفة.. لبنان.

(١٦) أخرجه البخاري ـ فتح الباري ١١/٣٠٨.

(١٧) سورة التوبة الآية ٧١.

(١٨) حديث صحيح ـ مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي ٢/ ٢٩٥ و ٢٩٦، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٣/١٩٥٤.

(١٩) سورة المائدة الآية ٧٩.

(٢٠) المنتقى لابن تيمية ص ٥٨، مقدمة ابن خلدون ٧١٩/٢ طبع لجنة البيان العربي ، حقوق الانسان في الاسلام ص ٢٤٠.

(٢١) الصديق أبو بكر للدكتور محمد حسين هيكل ص ٦٢.

(٢٢) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٢٣) سورة الاسراء الآية ٧٠.

(٢٤) صحيح البخاري ١/١٣ ط دار الفكر.

(٢٥) سورة النساء الآية ١.

(٢٦) سورة النساء الآية ٥٨.

(٢٧) صحيح البخاري ٥/٩٧ دار الفكر.

(٢٨) سورة النحل الآية ٩٧.

(٢٩) سورة النساء الآية ٧.

(٣٠) المصدر السابق ص ٥٦ و ٥٧.







بقلم : أ. د. عبدالباسط
احمد على حمودة
- مصر -

سبق أن عرضنا من القصص النبوي عن مواقف يوم القيامة من حشر وحساب وميزان وصراط وغير ذلك ، وعن الحديث عن الصراط وبعد عبوره، وأيضا بعد أن يخلص المؤمنون الناجون من النار والخارجين منها. يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص من بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه: سلام عليكم، بمعنى التحية - طبتم فادخلوها خالدين.

نقل القرطبي وغيره[١] عن البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان له في الدنيا).

وصح عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (أصحاب الجنة محبوسون على قنطرة بين الجنة والنار، يسألون عن فضول أموال كانت بأيديهم) وفي لفظ منتخب كنز العمال عن أبي سعيد أيضا عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (يحبس أهل الجنة بعدما يجاوزون الصراط على قنطرة، فيؤخذ لبعضهم من بعض مظالمهم التى تظالموها في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فلأحدهم أعرف بمنزله في الآخرة منه بمنزله كان في الدنيا).

قال القرطبي: لا تعارض بين قوله - عليه السلام: (لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة) وبين قول عبد الله بن سلام: (إن الملائكة تدلهم على طريق الجنة يمينا وشمالا) فإن هذا يكون فيمن لم يحبس على قنطرة، ولم يدخل النار فيخرج منها فيطرح على باب الجنة، وقد يحتمل أن يكون ذلك في الجميع، فإذا وصلت بهم الملائكة إلى باب الجنة كان كل أحد منهم أعرف بمنزله في الجنة، وموضعه فيها منه بمنزله كان في الدنيا والله أعلم.

وعن سالم مولى أبي حذيفة: (يؤتى بأقوام من ولد آدم يوم القيامة معهم حسنات كالجبال، حتى إذا دنوا وأشرفوا على الجنة، نودوا ألا نصيب لكم فيها).

وجاء في القصص النبوي. عن علي[٢] رضي الله تعالى عنه - أنه سأل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن هذه الآية: {يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا} إلى آخرها قال: قلت يارسول الله ما الوفد إلا ركب، قال النبي {صلى الله عليه وسلم}: (والذى نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق..) ثم قال: (..وينتهون الى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوته حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة، ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من أحدهما جرت في وجوههم بنضرة النعيم، وإذا توضئوا من الأخرى لم تشعث أبشارهم أبدا..) القصة.

ول الجنة

وعن عليّ[٣] - رضي الله عنه - في قوله تعالى: (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا، حتى إذا جاءوها) الآية، وجدوا عند باب الجنة شجرة تخرج من أصلها عينان، فعمدوا إلى إحداهما، فكأنما أمروا بها فاغتسلوا، وفي رواية فتوضأوا بها، فلا تشعث رءوسهم بعد ذلك أبدا، ولا تغير جلودهم أبدا، كأنما ادهنوا بالدهان وجرت عليهم نضرة النعيم، ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوا منها، فطهرت أجوافهم، فلا يبقى في بطونهم قذى ولا أذى ولا سوء إلا خرج، وتتلقاهم الملائكة على باب الجنة، سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، وتتلقاهم الولدان كاللؤلؤ المكنون، وكاللؤلؤ المنثور، يخبرونهم بما أعد الله لهم، يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم، يقولون أبشروا أعد الله كذا وكذا، وأعد لك كذا..) القصة.

قال ابن حجر العسقلاني[٤] ما ملخصه في شرح رواية البخاري إن المؤمنين إذا خلصوا من الآثام بمقاصة بعضها ببعض ويشهد لهذا الحديث قوله في حديث جابر في التوحيد: (لا يحل لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد قبَلَهُ مظلمة) وما أخرجه أحمد والحاكم من حديث جابر عن عبد الله بن أنيس رفعه: (لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده مظلمة حتى أقصه منه، حتى اللطمة. قلنا يارسول الله كيف وانما نحشر حفاة عراة؟ قال: بالسيئات والحسنات).

كيفية دخول أهل الجنة وخلْقهم وخُلُقهم ولغتهم:

جاء في صفة أبواب الجنة على لسان قتادة: أن أبوابها يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، تتكلم وتكلم وتفهم ما يقال لها، انفتحى، انغلقي[٥].

وجاء في قصة عن أنس - رضي الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن للأبواب حلقا: (فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها) وعنه أيضا: (أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر) وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي) ويذكر عن علي رضي الله عنه: (من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين في كل يوم مائة مرة، كان له أمان من الفقر، ومن وحشة القبر، واستجلب به الغنى، واستقرع به باب الجنة).

وعن كيفية دخول الجنة جاءت عدة روايات عرضنا أكثرها في روايات مطولة ونوجز بعضا منها هنا: منها القصة المروية عن علي رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم}[٦] قال: (وينتهون إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من أحدهما جرت في وجوههم بنضرة النعيم، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبدا، فيضربون الحلقة بالصفيحة، فلو سمعت طنين الحلقة، يا علي، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل، فتستخفها العجلة، فتبعث قيمها، فيفتح له الباب..) القصة، وفي رواية أخرى[٧]: (فيشربون من أحد العينين، فإذا بلغ الشراب الصدر، أخرج الله ما في صدورهم، من غل أو حسد أو بغي، وذلك قول الله تعالى: {ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين} فلما انتهى الشراب إلى البطن، طهرهم من دنس الدنيا وقذرها، وذلك قوله تعالى: {وسقاهم ربهم شرابا طهورا} ثم اغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلا تشعث أبدانهم، ولا تغير ألوانهم أبدا، فيضربون بالحلقة على الصفائح، فيسمع

لذلك طنين، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قدم فتبعث بقيمها)٠

ومن المستحسن أن نذكر الصفات الخَلْقية والخُلُقية التى أوصلتهم إلى أبواب الجنة، والحالة التى يكونون عليها عند دخولهم الجنة وأثناء إقامتهم فيها٠

قال ابن قيم الجوزية في كتاب الفوائد[٨]، في تحديد صفات أهل الجنة: (إن أهلها هم الذين اتصفوا بهذه الصفات الأربعة:

الأولى: أن يكون أوابا، أي رجّاعا إلى الله من معصيته إلى طاعته، ومن الغفلة عنه إلى ذكره٠ قال عبيد بن عمير: الأواب الذي يتذكر ذنوبه ثم يستغفر منها٠ وقال مجاهد: هو الذي إذا ذكر ذنبه في الخلاء استغفر منه٠ وقال سعيد بن المسيب: هو الذى يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب٠

الثانية: أن يكون حفيظا قال ابن عباس: لما ائتمنه الله عليه وافترضه٠ وقال قتادة: حافظ لما استودعه الله من حقه ونعمته٠ ولما كانت النفس لها قوتان: قوة الطلب، وقوة الإمساك كان الأواب مستعملا لقوة الطلب في رجوعه الى الله ومرضاته وطاعته، والحفيظ مستعملا لقوة الحفظ في الإمساك عن معاصيه ونواهيه، فالحفيظ الممسك نفسه عما حرم عليه، والأواب المقبل على الله بطاعته٠

الثالثة: قوله: (من خشي الرحمن بالغيب) يتضمن الإقرار بوجوده وربوبيته وقدرته وعلمه واطلاعه على تفاصيل أحوال العبد، ويتضمن الإقرار بكتبه ورسله وأمره ونهيه، ويتضمن الإقرار بوعده ووعيده ولقائه، فلا تصح خشية الرحمن بالغيب إلا بعد هذا كله٠

الرابعة: قوله: (وجاء بقلب منيب) قال ابن عباس: راجع عن معاصى الله، مقبل على طاعة الله، وحقيقة الإنابة عكوف القلب على طاعة الله ومحبته والإقبال عليه، ثم ذكر سبحانه جزاء من قامت به هذه الأوصاف بقوله: (ادخلوها بسلام، ذلك يوم الخلود، لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد)٠

ويقول ابن قيم الجوزية[٩] في توحد طريق الجنة وسبيلها: هي إجابة داعى الله بتصديق خبره، وطاعة أمره، وقد روى البخارى في صحيحه عن جابر قال (جاءت ملائكة إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا، فاضربوا له مثلا، فقالوا: مثله مثل رجل بنى دارا، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعيا، فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، والدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله، ومن عصى محمدا فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس)٠

ورواه الترمذي عنه ولفظه: (خرج علينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوما فقال: إنى رأيت في المنام، كأن جبريل عند رأسي، وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارا، ثم بنى فيها بيتا، ثم جعل مائدة ، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها)٠

وفي قصة صححها الترمذى عن عبد الله بن مسعود قال: (صلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} العشاء، ثم انصرف فأخذ بيدى حتى خرج بي الى بطحاء مكة، فأجلسنى ثم خطَّ عليَّ خطا، ثم قال: لا تبرحن خطك، فإنه سينتهى إليك رجال فلا تكلمهم فإنه لا يكلمونك، ثم مضى رسول الله {صلى الله عليه

وسلم} حيث أراد، فبينا أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزط[١٠] أشعارهم وأجسامهم، لا أرى عورة، ولا أرى بشرا، وينتهون إليّ لا يجاوزون الخط، ثم يصدرون إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى إذا كان آخر الليل، لكن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد جاءني وأنا جالس فقال: لقد رآني منذ الليلة، ثم دخل عليّ في خطي، فتوسد فخذي فرقد، وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا رقد نفخ، فبينا أنا قاعد ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} متوسد فخذي، إذا برجال عليهم ثياب بيض - الله أعلم - ما بهم من الجمال، فانتهوا إليّ، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وطائفة منهم عند رجليه، ثم قالوا: ما رأينا عبدا قد أوتي مثل ما أوتي هذا النبي، إن عينيه تنامان، وقلبه يقظان، اضربوا له مثلا: مثل سيد بنى قصرا، ثم جعل مأدبة، فدعا الناس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه، ومن لم يجبه عاقبه، أو قال: عذبه، ثم ارتفعوا واستيقظ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عند ذلك، فقال: سمعت ما قال هؤلاء؟ وهل تدرى من هم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هم الملائكة، فتدرى ما المثل الذى ضربوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: الرحمن بنى الجنة ودعا اليها عباده، فمن أجابه دخل الجنة ومن لم يجبه عذبه).

ومن صفات أهل الجنة يسألون الله الجنة ويستجيرون من النار، لما جاء في القصة المروية عن الترمذي والنسائي وابن ماجة[١١] عن هناد، عن أبي الأحوص، عن أبى اسحاق، عن يزيد بن أبى مريم عن أنس قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استعاذ بالله من النار ثلاثا، قالت النار: اللهم أجره من النار).

قال ابن وهب[١٢] سمعت ابن زيد يقول: وصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن، والبكاء والشفقة في الدنيا، فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة، وقرأ قول الله - عز وجل: (إنا كنا من قبل في أهلنا مشفقين). قال: ووصف أهل النار بالسرور في الدنيا، والضحك فيها والتفكه فقال: (إنه كان في أهله مسرورا. إنه ظن أن لن يحور. بلى).

أما عن صفات أهل الجنة الخلقية وأشكالهم وصورهم وسنهم وغير ذلك من حالات هم عليها في الجنة، ففى القصص النبوى البيان الشافي، والخاصية التي تفرد بها دون غيره.

تكلم ابن قيم الجوزية[١٣] عن صفة أهل الجنة في خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم فأورد من القصص النبوى عن الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (خلق الله - عز وجل - آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال له: اذهب فسلم على أولئك النفر - وهم نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، طوله ستون ذراعا، فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن) متفق على صحته.

وفي قصة أخرى عن الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (يدخل أهل الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع) قيل تفرد به حماد. وفي جامع الترمذي عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن النبي {صلى الله عليه وسلم}. قال: (يدخل أهل الجنة جردا مردا مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين) قال هذا حديث حسن غريب.

وفي قصة عن أبى داود، عن أنس بن مالك -

رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (من مات من أهل الجنة، من صغير أو كبير، يردون بنى ثلاثين سنة في الجنة، لا يزيدون عليها أبدا، وكذلك أهل النار).

وفي قصة عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (يدخل أهل الجنة على طول آدم، ستين ذراعا بذراع الملك، على حُسْن يوسف، وعلي ميلاد عيسى، ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد {صلى الله عليه وسلم} جرد مكحلون) وعن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم، ستون ذراعا، وعلى ذلك قُطعَت سررهم).

وجاء في الترغيب والترهيب[١٤] قصة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دُري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتمخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوَّة[١٥]، أزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء) وفي رواية أخرى[١٦]. قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يتمخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألُوَّة، ورشحهم المسك، لكل واحد منهم زوجتان يُرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا).

وروى البيهقي باسناد حسن قصة عن المقداد - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (ما من أحد يموت سقطا ولا هرما، وإنما الناس فيما بين ذلك إلا بعث ابن ثلاث وثلاثين سنة، فإن كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم، وصورة يوسف وقلب أيوب. ومن كان من أهل النار عَظُمُوا وفَخُمُوا كالجبال).

ومن القصص النبوي الذى أورده القرطبي في التذكرة[١٧] في صفة أهل الجنة ومراتبهم وسنهم وطولهم وعرقهم وشبابهم وثيابهم وأمشاطهم ومجامرهم وأزواجهم، وفي لسانهم وليس في الجنة عزب، جاء في الترمذي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها. وذلك بأن الله سبحانه وتعالى يقول: {كأنهن الياقوت والمرجان} فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته).

وروى موقوفا عن البخارى، عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها).

ومن قصة عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (أهل الجنة مرد إلا موسى بن عمران، فإن له لحية إلى سرته).

وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (لو أن ما يقله ظفر مما في الجنة بدا إلى الدنيا، لتزخرف له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدت أساوره، لطمس ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم).

قال ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم: وثبت[١٨] (أن أهل الجنة يأكلون، ويشربون، ولا يبولون ولا يتغوطون، وإنما ينصرف طعامهم بأنهم يعرقون

عرقا، له رائحة كرائحة المسك الأذفر، وأنفاسهم تحميد تكبير وتسبيح.. وأنهم لا يموتون ولا ينامون، لكمال حياتهم بكثرة لذاتهم، وتوالي طعامهم وشرابهم، وكلما ازدادوا خلودا ازدادوا حسنا وجمالا وشبابا وقوة وكمالا، وازدادت لهم الجنة حسنا وبهاء وطيبا وضياء، وكانوا أرغب فيها، وأحرص عليها، فكانت لهم أعز وأغلى وألذ وأحلى ، قال الله - تعالى: {خالدين فيها لا يبغون عنها حولا}.

ومن صفات أهل الجنة عربية لسانهم، وكمال فصاحتهم، وحسن بلاغتهم، نقل القرطبي عن ابن المبارك قال[١٩]: لسان أهل الجنة عربي، وإذا خرجوا من قبورهم سرياني. وقال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة - قبل أن يدخلوا الجنة - بالسريانية، فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية.

وروى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما[٢٠] قال: (لسان أهل الجنة عربي) وفي القصة المتقدمة عن أنس بن مالك عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك، وعلى حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة، وعلى لسان محمد {صلى الله عليه وسلم} جرد مرد مكحلون) وقال عقيل قال الزهري: (لسان أهل الجنة عربي).

وفي منتخب كنز العمال[٢١] عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (أحبوا العرب لثلاث لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي).

لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز وكتاب موقع عليه:

وأرشد القصص النبوي إلى ما يدخل الجنة ويفتح أبوابها ويرفع درجاتها ويوصل إلى النعيم المقيم وما لا يخطر بالبال أو يدور في الخيال، ويتجلى المنعم المتفضل على من رضى عنهم برؤية ربهم - تبارك وتعالى - بأبصارهم جهرة، كما يرى القمر ليلة البدر، ويتجلى عليهم ضاحكا إليهم ومخاطبا ومحاضرا ومسلما عليهم.

فالقصص النبوي يخبر أن للجنة مفتاحا يتكون من أسنان وبه تفتح أبواب الجنة وأهم هذه الأسنان هي الأعمال الصالحة التي تبرهن بالفعل على شهادة أن لا إله إلا الله، مثل: الجهاد في سبيل الله ، والصلاة والطهور وغير ذلك من سائر مفاتيح الخير.

جاء في القصص النبوي عن معاذ بن جبل[٢١] - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله) هذه رواية أحمد، ويقويها ما ذكره البخارى في صحيحه عن وهب بن منبه: (أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح).

وروى أبو نعيم من حديث إبان عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال أعرابى: (يارسول الله ما مفتاح الجنة؟ قال: لا إله إلا الله) وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سخيرة قال: (إن السيوف مفاتيح الجنة) وفي المسند من حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت: بلى، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله).

قال ابن قيم الجوزية: وقد جعل الله - سبحانه - لكل مطلوب مفتاحا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور، كما قال {صلى الله عليه وسلم}: (مفتاح الصلاة الطهور)، ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة

والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكير فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عباده، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل.

وعن الجواز المكتوب أو المنشور المعطى للداخلين في الجنة، ذكر المفسرون كابن كثير في قوله تعالى: (كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين، وما أدراك ما عليون؟ كتاب مرقوم يشهده المقربون) إن كتابا يكتب - عند خروج الروح - للكافر وللمؤمن - كما جاء في القصص النبوى الذى سنعرضه بعد قليل.

وقال ابن قيم الجوزية في تفسير هذه الآيات: فأخبر - تعالى - إن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقا لكونه مكتوبا كتابة حقيقية، وخص - تعالى - كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين.

وجاء في القصص النبوي في مسند الإمام أحمد[٢٣]: حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الأعمش عن منهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال: (خرجنا مع النبي {صلى الله عليه وسلم} في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وجلسنا حوله - وكأن على رءوسنا الطير - وفي يده عود ينكت في الأرض ، فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر - مرتين أو ثلاثا - ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون - يعنى بها - علي ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله - عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى في عليين، وأعيدوه الى الأرض، فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادى مناد في السماء أن صدق عبدى، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد البصر، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم

ساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة..) الحديث[٢٤].

وسبق أن ذكرنا من القصص النبوي ما جاء في منتخب كنز العمال وفي التذكرة: أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية).

وجاء في القصص النبوي رواية في مسند الإمام أحمد[٢٥] عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ـ قال: (خرج علينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفي يده كتابان، فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ قلنا: لا إلا أن تخبرنا يارسول الله، قال للذى في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين ـ تبارك وتعالى ـ بأسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا، ثم قال للذى في يساره: هذا كتاب أهل النار، بأسمائهم، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا، فقال أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلأى شيء إذا نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه؟ قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سددوا وقاربوا: فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة، وإن عمل أى عمل، وإن صاحب النار ليختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل، ثم قال بيده فقبضها، ثم قال: فرغ ربكم ـ عز وجل ـ من العباد، ثم قال باليمنى فنبذها، فقال: فريق في الجنة، ونبذ باليسرى فقال: فريق في السعير).

قال ابن قيم الجوزية: وقع المؤمن في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة.

الهوامش:

(١) التذكرة ص ٣٩٢ ومنتخب كنز العمال ج ٦ ص ١١٣ ـ ١١٤.

(٢) خطب الرسول ص ٣٠١.

(٣) منتخب كنز العمال ج ٦ ص ١١٤.

(٤) فتح الباري ج ٥ ص ٩٦ وج ١١ ص ٣٩٧.

(٥) حادى الأرواح ص ٩٢.

(٦) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٩٤.

(٧) منتخب كنز العمال ص ١١٥.

(٨) ص ١٩.

(٩) حادي الأرواح ص ١٠٥ فتح الباري ج ١٣ ص ٢٤٩.

(١٠) الزط: جيل من الناس الواحد زطي.

(١١) النهاية في الفتن ج ٢ ص ٣٧٢.

(١٢) التذكرة ص ٥١٥.

(١٣) حادي الأرواح ص ١٨٩.

(١٤) المنذري ج ٤ ص ٤٩٩.

(١٥) الألوّة: بفتح الهمزة وضمها وبضم اللام وتشديد الواو وفتحها: من أسماء العود الذى يتبخر به.

(١٦) رواها البخارى ومسلم واللفظ لهما، والترمذي وابن ماجة.

(١٧) ص ٥٥٢ ـ ٥٥٤.

(١٨) في صحيح مسلم ج ٧ ص ٢١٢ وغيره.

(١٩) التذكرة ص ٥٥٤.

(٢٠) النهاية في الفتن والملاحم ج ٢ والملاحم ج ٢ ص ٣٩٦ و ٤١٢ وحادي الأرواح ص٤٢٩.

(٢١) ج ٥ ص٣٠٨.

(٢٢) حادي الأرواح ص٩٩. والفتن ج ٢ ص ٢٦٦ وفتح الباري ج ٣ ص ١٠٩.

(٢٣) ج ٤ ص ٢٨٧ و ص ٢٩٥.

(٢٤) تقدم ذكره عند قصص سكرات الموت ومفتاح الجنة.

(٢٥) ج ٢ ص ١٦٧.

كل عام وأنتم بخير:

العيد في الإسلام

بهجة العيد:

في صحيح البخاري عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل عليّ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، فأقبل عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: دعهما، ولما غفل غمزتهما فخرجتا.

نحن هنا أمام موقف من مواقف بيت النبوة: لقد دخل الرسول {صلى الله عليه وسلم} بيته يوم العيد فوجد زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تستمع لغناء جاريتين تغنيان بإنشاد شعر قيل يوم بعاث، وهو اسم حصن للأوس وقعت الحرب عنده بينهم وبين الخزرج، واستمرت المعركة مائة وعشرين سنة حتى جاء الإسلام فألَّف الله بينهم ببركة النبي {صلى الله عليه وسلم}.

وفي بعض الروايات للحديث أنه كان مع الجاريتين دُفّ كما في مسلم أو دُفان كما جاء في رواية النسائي.

فلما رأى النبي {صلى الله عليه وسلم} ذلك لم ينكره على عائشة، بل اضطجع وحوّل وجهه الشريف، لأن مقامه يجلُّ عن الإصغاء لذلك.. وبعد فترة دخل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فانتهر ابنته لتقريرها الغناء في حضرة الرسول الكريم، وظن أنه {صلى الله عليه وسلم} نائم فقال: أمزمارة الشيطان عند رسول الله؟!

والمزمارة والمزمار مشتق من الزمير وهو الصوت الذى له صفير، ويطلق على الصوت الحسن وعلى الغناء، وأضافها للشيطان لأنها تلهي القلب عن ذكر الله تعالى، هنا أقبل عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال له: دعهما، أي الجاريتين. وفي رواية «دعها» أي عائشة، ثم بين له الحكمة فقال: يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا، أي أنه يوم سرور شرعي فلا ينكر فيه مثل هذا القدر من اللهو المباح.

وقريب من هذا المعنى ما جاء في الصحيح أيضا أن عائشة رضي الله عنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا عائشة، ما كان معكم من لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو؟ وفي رواية: فهلا بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟ قالت عائشة: ماذا تقول؟ قال عليه الصلاة والسلام: تقول:

أتيناكم أتيناكم
فحيانا وحياكم
ولولا الحنطة السمرا
ما سمنت فتاياكم

بقلم: فيصل صالح أسعد
- جدة -

* وفي رواية أخرى:

لولا الذهب الأحـــــمـــــر

مـــــا حلت بواديكم

ولولا الحنطة الســـمـــرا

مـــا ســمنت عـــذاريكم

ومن الأمـثلة التي يسـوقـهـا المحـدثون على رفق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وحسن عشرته ما جاء في الصحيح أنه كان للرسول الكريم حاد حسن الصوت يقال له (أنجشة) وكان يسوق إبلا عليها نسوة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو يحدو وينشد شيئا من القريض والرجز وما فيه تشبيب، فقال عليه الصلاة والسلام: يا أنجشة، رويدك سوقا بالقوارير، فسمى النساء (قوارير) لضعف عزائمهن، تشبيها بقارورة الزجاج لضعفها وسرعة انكسارها. والمعنى: أنه عليه الصلاة والسلام لم يأمن أن يفتنهن ويقع في قلوبهن حداؤه، فأمر بالكف عن ذلك.

وقد اختلف العلماء في حكم الغناء ما بين محل ومحرم. وخلاصة القول في هذا المجال أن الغناء بمعنى الصوت الحسن لرجل أو امرأة من المباحات في الأصل، ومن اللهو البريء، وبحيث يظل في حدود القدر المعقول، ولكن الحرمة تكمن في فحش القول أو إثارة الغرائز أو إظهار المفاتن أو مصاحبة خمر ومجون.. أو إسراف بحيث يتخذه ديدنه ويقصر عليه أكثر أوقاته.

ويسـوق لنا الإمـام الغـزالي (رحـمـه الله) في إحيائه تشبيها على إباحة القليل من الغناء دون الكثير، فيقول: (واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد (الخال: هو النقطة السوداء على صفحة الخد)، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته، فما أقبح ذلك، فيعود الحسن قبحاً بسبب الكثرة، فما كل حسن يحسن كثيره، ولا كل مباح يباح كثيره).

هذا، وليكن معلوما أن واقع الغناء المعاصر قائم على الدنس والابتذال، وهو معول هدم للقيم، وتفتيت بناء المجتمع بوسائل الرقص الفاضح، والغناء الماجن، والصور العارية، والتمثيل المحموم.. وهذا مالا يمكن أن يقره العقل الراشد، فضلا عن الدين الخالد.

وقد ارتبطت الأعياد في الإسلام بمواقف مشهودة وعبادات جليلة، فهناك عيدان سنويان هما: عيد الفطر ويرتبط بشهر رمضان المعظم، وعيد الأضحى ويرتبط بمناسك الحج المقدسة.. وهناك يوم أسبوعي يشبه العيد يلتقي فيه المسلمون على صلاة جامعة وتوجيه راشد هو يوم الجمعة.. وأخرج أبو داود والنسائي باسناد صحيح عن أنس قال: قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: (قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما: يوم الفطر ويوم الأضحى).

وهكذا يتسامى المسلمون بالأعياد، ويربطونها بأمجاد، ويتحقق فيها البعد الروحي العميق، ويكون لها من العموم والشمول ما يجعل الناس جميعا يشاركون في تحقيقها، ويستشعرون آثارها المباركة، ويعيشون أحداثها كلما دار الفلك دورته وتجدد العيد. فليست الأعياد في الإسلام ذكريات مضت أو مواقف خاصة لكبراء وزعماء، بل كل مسلم له بالعيد صلة وواقع متجدد على مدى الحياة.

وإظهار السرور في العيدين مندوب، وذلك من الشريعة التي شرعها الله لعباده، وترويح البدن وبسط النفس بما ليس محظوراً ولا شاغلا عن الطاعة من أدب العيد. وتحكي عائشة رضي الله عنها - كما جاء في صحيح مسلم - قالت: جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد، فدعاني النبي {صلى الله عليه وسلم} فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر الى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف

عن النظر إليهم. أي أن الرسول الكريم دعا زوجه السيدة عائشة لمشاهدة لعب الحبشة بحرابهم في المسجد على قريب من هيئة الرقص. فمعنى «يزفنون» يرقصون.. وكانت عائشة حريصة على هذه المشاهدة حتى قالت في رواية أخرى: رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون وأنا جارية، فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن. والمعنى أنها لحداثة سنها تحب اللعب والنظر إلى اللاعبين حبا بليغاً، وتحرص عليه ما أمكنها، ولا تمل منه إلا بعذر من تطويل.

ومما يؤكد هذا التقرير من رسول الله ما ورد في رواية مسلم قال: بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بحرابهم إذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها.. فقال له عليه الصلاة والسلام: دعهم يا عمر.

تكبيرات العيد:

يختص العيد في الإسلام بالتكبير من كل المسلمين رجالا ونساء وأطفالا من ليلة العيد إلى أن يدخل الإمام في صلاة العيد، وسواء في ذلك المساجد والمنازل والأسواق وغيرها. وإليه الإشارة بقوله تعالى في آيات الصيام: {ولتُكْملوا العدّة ولتُكبروا الله على ما هداكم} (البقرة/ ١٨٥). وقال سبحانه في آيات الحج {كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم} (الحج/ ٣٧)، لأن العبادة العامة يستحب الإعلان عنها وشكر الله عقب أدائها.. حتى الصلاة اليومية قال الله تعالى عنها: {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون} (الجمعة/ ١٠)، وقال جل شأنه: {ومن الليل فسبحه وإدبار السجود} (ق/ ٤٠)، ولهذا جاءت السُّنة باستحباب التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلوات المكتوبات.

وقال ابن عباس - كما جاء في صحيح البخاري - كنت أعرف انقضاء صلاة النبي {صلى الله عليه وسلم} بالتكبير. وفي رواية: أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي {صلى الله عليه وسلم}. وذهب بعض الفقهاء إلى أن تكبيرات عيد الأضحى تستمر عقب الصلوات الفرائض إلى عصر اليوم الثالث من أيام التشريق.

ولأهمية هذا التكبير كان من هدي رسول الله أن يذهب لصلاة العيد من طريق ويرجع من طريق آخر حتى تتردد بين جنبات الكون تكبيرات المسلمين، والأفضل أن يتناول المسلم شيئا قبل خروجه لعيد الفطر ليقطع أثر الصوم، وفي الحديث المتفق عليه: كان {صلى الله عليه وسلم} لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات.. والأمر يختلف في عيد الأضحى، فلا يأكل شيئا قبل الصلاة حتى يعود منها ويأكل من أضحيته التي يذبحها بعد عودته، احتفالا بهذا اليوم المشهود وتوسعه على المسلمين.

صلاة العيد:

من هدي رسول الله أن يشارك المسلمون جميعاً في حضور صلاة العيد حتى ولو لم يؤد البعض الصلاة لعذر شرعي وتحدثنا أم عطية كما في الصحيح قالت: أمرنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن نخرجهن في الفطر والأضحى العواتق والحيّض وذوات الخدور، فأما الحيّض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين. والعواتق: جمع عاتق وهي الفتاة التي لم تتزوج بعد.

وذوات الخدور: هن السيدات المتزوجات..

ويصف لنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه صلاة العيد مع الرسول الكريم فيقول - كما في

سلم ـ شهدت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لصلاة يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله وحث على طاعـتـه، ووعظ الناس وذكـرهـم، ثم مضى حـتى أتى النسـاء فـوعظهن وذكـرهـن فـقـال: تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم. فقامت امرأة من واسطة النساء سعفاء الخدين (أي فيها تغير وسواد) فـقالت: لم يارسول الله؟ قال: لأنكنّ تكثـرن الشكاة وتكفرن العشير. فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن.

وصلاة العيد ركعتان، يكبر في الركعة الأولى سبعاً سوى تكبيرة الإحرام، وفي الثانيـة خمساً سوى تكبيرة القيام. وتجوز جماعة، وعلى انفراد، ووقتها ما بين طلوع الشمس وزوالها. ويخطب الإمام بعدهما خطبتين، يكبر ندبا في افتتاح الخطبة الأولى تسعاً، ويكبر في افـتـتـاح الثانية سبـعـاً.. وليس لصلاة العيد أذان ولا اقامة.

ينبغي على كل منا أن يكون احتفاله بعيد الفطر موصولا بمعاني الآخرة، غير مقتصر على مظاهر التسلية المؤقتة، وليس معنى هذا أن نمنع أولادنا من ممارسة بعض صنوف اللهو البرىء، وبخاصة ما يتصل بتربية ميول الخير والشجاعة في أنفسهم، بل إن لهم أن يعيشوا أوقاتا في الغناء العف، والمرح النقي، لأن ذلك يريح أنفسـهم، ويرطب جـو الحـياة حولهم ويعينهم على تمثل أوامر الدين في كل حال.

غير أن من الضروري أن نواجه تصور مجتمعنا الحديث لمعنى العيد، على أنه انطلاق للغرائز المكبوتة، وممارسة للفوضى السلوكية. في غير تحرج أو حياء، وتجاوز للمألوف عن العادات والتقاليد الموروثة، التى تعد بحق أهم سمات مجتمعنا الاسلامي، وقد أعان الشباب على هذا التصور المريض لمعنى العيد ما تنقله الصحافة ووسائل الإعلام المختلفة من ألوان الاحتفال بالعيد في بعض بلاد أوربا، فالعيد هنالك غير العيد هنا، المناسبة مختلفة والتقاليد مختلفة، والمثل مختلفة كذلك، فإذا ما عرفنا أن بعض البلدان يحتفل بعيد من أعياده، بأن تجتمع الفتيات والفتيان في ميدان عام للرقص واللهو والاختلاط غير المقيد، فإن لمجتمع كهذا تقاليده وشعاراته التى تنتمى إلى مبادئه وعاداته المتوارثة، أما نحن هنا، في شرقنا الإسلامى، فإن عيدنا ليس مناسبة تاريخية أو وثنية، بل هو أمر دينى، ومن ثم وجب أن يكون احتفالنا به على شرط الدين، الذى لم يتزمت في تكليفنا، ولم يفـرط في توجيـهنا: {وكذلك جـعلناكم أمـة وسطاً، لتكونوا شـهداء على الناس، ويكون الرسـول عليكم شهيداً} (البقرة/ ١٤٣).

كل منا رقيب على أولاده، راع ومسـئـول عن رعيتـه، وإنك لتستطيع منذ البداية أن تغرس في أولادك بعض العادات السلوكية التى تترسب في تصرفاتهم، ليشبوا على احترام دينهم، والحرص على سلامة مجتمعهم، ومن ذلك أن نأخذ أولادنا إلى المسجد ليشهدوا تكبير المسلمين عقب الصلوات، وأن نصحبهم أيضا في جولة خلال الأحياء الشعبية ليبحثوا بأنفسهم عن الأطفال الصغار المحرومين، ممن هم في مثل سنهم، فيشهدوا بعينيهم حاجتهم ويداووا بأنفسهم فقرهم، ويمنحوهم ما يستغنون به في ذلك اليوم المبارك، ويمسحوا العبوس والكآبة من ملامحهم، لتعود البسمة إلى شفاههم الذابلة. إن رحلة كهذه ضرورية لكل طفل من أطفالنا، ولو مرة في السنة أو مرتين، وهي ـ في الواقع ـ أشد تأثيرا في نفسه مما قد تقوم به المدرسة في عام كامل، إنها تغرس في قلبه محبة بنى وطنه ممن هم دونه قدرة واستعداداً، فالوطن وطن الجميع، وخيره لابد أن

يكون شركة بين الجميع، وقد جعل الله القادرين من الأغنياء خلفاء عنه في تصريف ما بأيديهم من نعمة على أصحاب الحقوق فيها: {وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم} (الذاريات/ ١٩ ، ٢٠).

هذا هو أول معنى يخطر للمرء حين يفكر في العيد ومفهومه الإسلامي. والمعنى الثاني الذى نلحظه فيما سن الإسلام من أعياد لهذه الأمة، إنه ربط العيد بمناسبة عامة، هي الفراغ من أداء عبادة شاقة، وهذا الربط ذو مغزى عميق، يتصل بنظرة الإسلام العامة إلى العيد، فليس العيد في نظر الدين تمجيدا لشخص مهم عظيم، ولا هو مرتبط بمناسبة دنيوية مهما كانت، ولو كان من مبادىء الإسلام تمجيد الأشخاص لكان ميلاد محمد خير البرية {صلى الله عليه وسلم} عيدا للانسانية يدعو إليه الإسلام. ولكان يوم مبعثه عيداً، ولكان يوم انتصاره على أعداء الدعوة في بدر، أو في فتح مكة عيداً كذلك. وإن كانت هذه كلها مناسبات تاريخية عظيمة، لا يقصد في تمجيدها تقديس شخص الرسول، بقدر ما يقصد إلى إحياء معانى الكفاح، والإحتفاء بقيم الإيمان والتاريخ، لأبرز مناسبة في عمر هذه الدعوة الخالدة، فإن الإسلام - برغم روعة معانيه - لم يرد لهذه الأمة أن تدور أعيادها حولها، فالأعياد التى تدور حول أشخاص المصلحين قد تدوم في حياتهم، أو في حياة أنصارهم ولكنها لا يكتب لها الخلود، فقد يأتى الخلف لينقض ما سنّه السلف. وليس من شأن الدين أن يصرف عواطف المؤمنين إلى تقديس فرد، بل هو يدعوهم إلى توحيد الله، والله وحده هو الحقيق بالتعظيم والتمجيد، والتقديس، وينبغى أن تدور أفكار المؤمن وعواطفه، وحياته وعبادته في هذا الفلك العظيم: {قل إن صلاتى ونسكي، ومحياي ومماتي، لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين} (الأنعام/ ١٦٢، ١٦٣).

فالمؤمن - في الواقع - في شغل شاغل عن معانى الدنيا، بمعانى الآخرة، بكل ما يقربه من الله سبحانه، فهو إذا صام صام لله وإذا عيّد عيّد لله، وإذا حج حجّ لله، وإذا زكّى زكى لله، وإذا صلى صلّى لله، لا شريك له، والله يرصد حسناته جميعا حتى الخطوة التى يخطوها في سبيله، والكلمة التى يقولها، أمراً بمعروف ، أو نهيا عن منكر، وصدق الله العظيم: {ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ، ولا نصب، ولا مخمصة في سبيل الله، ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار، ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح، إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا، إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون} (التوبة/ ١٢٠، ١٢١) والمؤمن في فكر دائم فيما يقربه من رضوان الله، فإذا صادفه التوفيق في عبادته كان له أن يفرح بما آتاه الله من فضله، شاكرا لأنعمه، إذ ليس في حياته ما يفرح له سوى أن يحس بأنه أدى واجبه، وامتثل أمر ربه، ومن هنا كان العيد للمؤمن إجازة ربانية ليستريح خلالها من مشقة الرحلة التعبدية، من صيام، أو حج إلى بيت الله الحرام. فهنيئا لكم ما صمتم وما أفطرتم، وما فرحتم اليوم بصومكم وفطركم، وهنيئا لكم اقبالكم في صباح العيد على تكبير الله وشكره.

فاتق الله أيها المسلم. وأشعر نفسك بعظمة هذا اليوم السعيد، وافرح به.. وأشعر من حولك بالفرحة: ليفرحوا معك.. وتأكد بأن ذلك لا يتنافى مع شرع الله. ولكن حذار من المعصية أو ظلم الناس.. فليس العيد لمن لبس الجديد. إنما العيد لمن خاف يوم الوعيد!!.



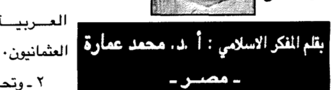
سهرة على ضفاف الليل

شعر : مفرج السيد ـ السعودية ـ

بسم الحظ المعاند
أيها الليل السعيد
أنت يا ليل فساند
بالمنى فاليوم عيد
ها هو البدر يغازل
بالسنى بيض المزون
وهو في أبهى المنازل
قد تجلى للعيون
ونسيم الليل يحنو
عند تقبيل الخدود
حين هب النجم يرنو
يتلألأ في الوقود
عندما مرت سحابة
واختفى وجه القمر
ورمى عنا الكآبة
بلبل فوق الشجر
راح يشدو كالربابة
أو كأنغام الوتر
عاشق يشكو صبابه
عند هتان المطر
وأريج الروض يسرى
بالشذا الحلو الجميل
وخرير الماء يجري
وهو عذب سلسبيل
وحبيبي قد صفا لي
حينما غاب الرقيب
وانطوت سود الليالى
عندما زار الحبيب
فابق يا ليل طويلا
لست أهفو للصباح
لست أرجو المستحيلا
غير أن تطوى الجناح

في الانتماء الثقافي (٤-٦)

مكانة اللغة في مقومات النهضة الحضارية



في الانتماء الثقافي، ومقومات النهضة - عند عبد الله النديم (١٢٦١ - ١٣١٣هـ/ ١٨٤٥ - ١٨٩٦م) نجد اللغة العربية تحتل ذات المرتبة التى يحتلها «الدين».. وذلك لما بينهما من علاقات.. «فاللسان العربي - عنده - هو لسان الدين، وترجمان الوطن.. واللغة العربية مرتبطة بالدين ارتباط الروح بالجسد، وإذا فقدت الأمة لغتها فقد فقدت الدين والتاريخ الوطنى»[١].

وإذا كان النديم قد رأى في «الدين» و«الجنسية» و«الوطنية» ثوابت الهوية الحضارية التى لا يجوز المساس بها - حتى ولو اقتضت «المنافع» هذا المساس - فلقد رأى اللغة العربية ثابتا من هذه الثوابت، لأنها «لسان الدين» و«ترجمان الوطن» و«عنوان الجامع للجنسية الحافظ له، فالمحافظة علي اللغة محافظة على الجنسية، بل وعلى الملك وما يشتمل عليه، ولهذا لا تميل اى دولة لنقل التعاليم من لغتها إلى لغة أخرى مهما مست الحاجة إليها، ولا تعطى شهادة لتلميذ أدى الامتحان في جميع العلوم بغير لغة مهما كان تمكنه من اللغة الأجنبية عن لغته. وبهذه الوسيلة حفظت مقاصد الدول، وامتازت كل أمة بخصائصها التى حفظتها لها لغتها»[٢].. فاللغة هى الوعاء الحافظ للخصائص التى تمتاز بها الأمة عن الأمم الأخرى.. وهى في حال لغتنا العربية، تزيد، لأنها هى لسان الاسلام، الجامع الأكبر لكل مقومات الانتماء الحضاري.

ولأن هذه هى مكانة العربية من ثوابت الهوية الحضارية، فلقد تكالبت عليها التحديات.. وكان النديم واحدا من الذين تصدوا لهذه التحديات.. «فلغتنا الشريفة، التى يتكلم بها الآن - (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م) - أكثر من مائة مليون من الناس، يسعى كثير من الناس - المحبين للغاتهم أو لذاتهم - في إماتة هذه اللغة، وتحويل هذه الألسنة عن التكلم بها إلى التكلم بغيرها، لنفقد بفقدها المجد والشرف معا»[٣].

وفي مقدمة التحديات اللغوية للعربية، التى تصدى لها قلم النديم:

١ - تحدى اللغة التركية، في الولايات العربية التى حكمها العثمانيون.

٢ - وتحدى اللغات الأوربية

الزاحفة على الشرق العربي، في ركاب الاستعمار ومدارس التنصير.

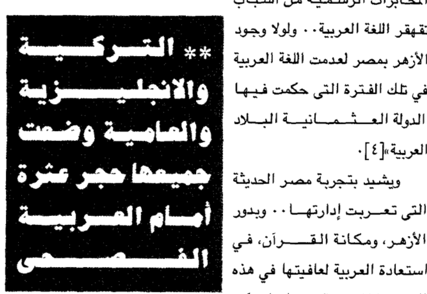
٣ - وتحدى اللغة العامية، التى يتوسل بها الاستعمار وعملاؤه من الأجراء سبيلا لإزاحة العربية من ثوابت الهوية الحضارية، تمهيدا لإزاحة الإسلام والقرآن والتراث، لتفقد الأمة عوامل استعصائها على التبعية والذوبان في حضارة الغزاة.

ينبه النديم على دور تتريك أجهزة الإدارة، بالولايات العربية العثمانية، في تقهقر اللغة العربية.. فلقد «كان استعمال اللغة التركية في المخابرات الرسمية من أسباب تقهقر اللغة العربية.. ولولا وجود الأزهر بمصر لعدمت اللغة العربية في تلك الفترة التى حكمت فيها الدولة العثمانية البلاد العربية»[٤].

ويشيد بتجربة مصر الحديثة التى تعربت إدارتها.. وبدور الأزهر، ومكانة القرآن، في استعادة العربية لعافيتها في هذه التجربة المصرية.. «فلما تركت الأقلام التركية، وصارت المحررات الرسمية كلها عربية، تقدمت اللغة تقدما غريبا، ونبغ ألوف من المتعلمين في الأزهر والمدارس.. وكان لتقدم أهل الأزهر على أهل المدارس في الإنشاء سبب واحد هو حفظ الأزهريين للقرآن الكريم في الصغر، فذهن الواحد منهم محشو بمادة البلاغة وقاموس الفصاحة وأبدع أسلوب إنشائي»[٥].

ولذلك، فهو يدعو إلى تعريب إدارات الدولة العثمانية في الولايات العربية، وذلك «بتعليم أفراد من أبناء الترك والكرد والجركس باللغة العربية، ليكونوا مؤهلين لولاية الأقضية والولايات العربية في الشام والعراق واليمن والحجاز.. فحياة اللغة العربية في بنى الترك خصوصا وفي بنى العرب عموما حياة للدولة من طريق معنوى»[٦].

أما تحدى اللغات الأوربية للغتنا العربية، فلقد نبه النديم على مسالكه المتعددة، ومنها تهجين العربية بالكلمات الأجنبية.. وجعل هذه اللغات الأجنبية هى لغة التعليم في بلادنا.. والدونية التي تجعلنا نتعلم لغات الأجانب لنتخاطب وإياهم بها في بلادنا، بدلا من أن نجعلهم يتعلمون لغتنا كضرورة من ضرورات تعاملهم معنا فى أوطاننا، مع جعل تعلمنا للغات الأجنبية سبيلا لترجمة ما لدى الآخرين من علوم نحتاج إليها.



يعرض النديم لهذه التحديات اللغوية ، فيقول : « .. ولا يرجع باللغة القهقري إلا أمران :

الأول : كثرة استراق الكلمات الأجنبية واستعمالها في مخاطباتنا الكتابية والخطابية ..

والثاني :نقل التدريس من اللغة العربية إلى أية لغة أجنبية، فمتى حصل هذا فى أية أمة فقد فقدت لغتها وتبعها الدين والتاريخ الوطني، فإن اللغة مرتبطة بالدين ارتباط الروح بالجسد.. فيجب توحيد التعليم، لئلا يطلع الأبناء لا هم مصريون ولا أجانب، ويكوّنون من هذا الامتزاج العجيب لغة جديدة لا قاعدة لها ولا ضابط، ويعز على الآتى بعدنا أن يعرف دينه أو كتابه لاحتياجه إلى مترجم يترجم له العربية إذ ذاك»[٧].

أما تصدى النديم لتحدى العامية للفصحى - والتى يسميها اللغة الصحيحة - فلقد يبدو غريبا على

** اللغة العربية تمثل الهوية الدينية والقومية للمسلمين.
** المستعمر وأعوانه سعوا بكل قواهم لإبعاد العربية وتحطيمها

الذين اشتهر لديهم النديم «كأدباتي»، ناظم بالعامية، تفوّق في هذا الفن على أساطينه ومحترفيه.. ذلك أن الرجل كان يتوسل - في الصحف التى يصدرها - بفصول مكتوبة بالعامية - اللغة الدارجة - إلى الذين لا يقدرون على مطالعة الفصحى أو فهمها ولا يرغبون في القراءة بها، وذلك ارتقاء بهم - بواسطة السماع - نحو القراءة بالفصحى وفهمها، وبلوغا إلى حيث نستغنى عن العامية كل الاستغناء.. وهو يفصح عن منهجه هذا، وعن مقصده، وهو يتحدث عن موقف مجلته [الأستاذ] من هذا الأمر، فيقول: «إنها تشتمل على فصل قصير باللغة الدارجة، لنحول به العامي الجاهل من كراهة سماع الكتب إلى محبتها، فينجرُّ به الأمر إلى سماع الكلام الصحيح، وهناك لا يلزم كتابة غير الصحيح.. فاللغة الصحيحة هي الحية، لاستعمالها بين الخاص والعام من عقلاء الأمة، واللغة الدارجة هى الميتة، لعدم استعمالها في غير الضرورات التى يقتضيها الحيوان بلا لغة»[٨].

ولأن هذا هو موقف النديم، مع الفصحى - الصحيحة.. الحية - لا مع العامية - الدارجة .. الميتة - ، كان صراعه ضد دعاة إحلال العامية محل الفصحى موقفا ثابتا على مر حياته الفكرية والصحفية.

ففي يونيو سنة ١٨٨١م كتب في جريدته [التنكيت والتبكيت] مقالا اتخذ له عنوانا ذا دلالة عميقة في الدفاع عن العربية، والتنبيه على مكانتها في ثوابت الهوية الحضارية - وهو عنوان: «إضاعة اللغة تسليم للذات»! .. ويومئذ دارت معركة فكرية بين حراس العربية - النديم، ومعه أحمد أفندى سمير وابراهيم أفندى الهلباوى وبين واحد من خريجي مدارس التنصير والتغريب هو أمين شميل [١٢٤٣ - ١٣١٥هـ/ ١٨٢٨ - ١٨٩٧م] الذى استوطن مصر مع شقيقه شبلى شميل [١٢٧٦ - ١٣٣٥هـ/ ١٨٦٠ - ١٩١٧م] منخرطين في تيار التبشير بالحضارة الغربية بديلا للحضارة الاسلامية، من خلال المنابر الثقافية والإعلامية - كالمقتطف .. والمقطم .. وجريدة الحقوق - التى أصدرها أمين شميل.

وفي تسعينيات القرن التاسع عشر الميلادي - ومرحلة إصدار النديم لمجلة (الأستاذ) - تجدد جهاده دفاعا عن الفصحى الصحيحة الحية، ضد دعاة العامية، الدارجة الميتة، بمناسبة تزعم المهندس الانجليزى المستر «وليم ويلكوكس» [١٣٥٢هـ/ ١٩٣٢م] الدعوة إلى استبدال المصريين العامية بالفصحى.. وعن هذه المعارك اللغوية، يحدثنا النديم فيقول: «لقد سبق وكتبنا في العدد الثانى من جريدة [التنكيت والتبكيت] فصلا تحت عنوان: «إضاعة اللغة تسليم للذات»، فعارضنا فيه الفاضل الكاتب أمين أفندى شميل برسالة تبادل الجدال معه بسببها أحمد أفندى سمير وإبراهيم أفندى الهلباوي.

الآن رأينا دعوى المستر وليم ويلكوكس التى مؤداها أن المصريين لا توجد فيهم قوة الاختراع، ولا مانع لهم إلا اللغة الصحيحة، وأنه إذا تحولت الأفكار وحتمت استعمال اللغة الدارجة في المخاطبات والتآليف العلمية والتدريس أمكن المصريين أن يخترعوا.. فرجعنا إلى رسالة أمين أفندى شميل، وقلنا: ما أشبه الليلة بالبارحة!».

ثم كشف النديم عن المقاصد الحقيقية من وراء الدعوة إلى احلال العامية محل الفصحى - لغة القرآن الكريم - إنها قطع صلة الأمة بالقرآن - مصدر عقيدتها وشريعتها، وصبغة حضارتها - «فالعربية بها نزل القرآن الشريف، الذى هو الآية الكبرى والحجة العظمى لنا معاشر المسلمين، فهو الداعي لحياة اللغة العربية الصحيحة، وهو المقصود لكل محارب للغة، ساع في إماتتها.. وماذا نصنع بكتبنا، التى تجل عن الحصر، إذا تكلمنا باللغة الميتة العامية؟ أنحرقها؟ أم نترجمها بالكلام الفارغ؟. ولماذا لم تكتب الانكليز كتبهم العلمية وجرائدهم باللغة الدارجة عندهم، تعميما للفائدة التى تريد أن تعممها في مصر؟! وهل ترى أن المصريين إذا قرؤا القرآن باللغة العامية عند استعمالها ونسيان غيرها، أيرضى عنهم المسلمون؟ أم يعدونهم منهم؟! وهم يعتقدون أن تغيير حرف منه أو تقديمه على ما قبله كفر مخرج للفاعل من الدين؟!»[٩].

فالدعوة إلى العامية: معاداة للقرآن، وسلخ للأمة عن دينها، وقطيعة معرفية مع تراثها وتاريخها وهويتها الحضارية، وعزل لمصر عن الجسد الاسلامي الكبير!..

ومقصد آخر من مقاصد الداعين إلى العامية - من الانجليز والأجراء الساعين إلى إحلال الحضارة الغربية محل الحضارة الاسلامية - هو تأييد التبعية للاستعمار في بلادنا.. ذلك أن تميزنا اللغوى هو دافع من دوافع حركتنا للتحرر من الاستعمار.. «وكم من أمم خضعت لأمم أعظم منها قوة وأشد منها بطشا، وبقيت محافظة على لغتها، فبعثتها إلى الاستقلال وعزة الملك، كالترك والفرس واليونان وأسبانيا ورومانيا والبرتغال والبلغار، ولو تركوا لغتهم، واستعملوا اللغة الحاكمة، لماتت وتجنسوا بالجنسية المتغلبة»[١٠].

وإذا كانت هذه الأمم قد اعتصمت بلغتها، كجامع جنسى (قومى)، فإن العربية بالنسبة لأمتنا هى أكبر وأعظم من الجامع الجنسى والقومى.. فالتهاون فيها «ينسينا القرآن، الذى لو ترجم بأفصح لغة أجنبية لجاء عبارة عن حكاية يقتدر على إنشائها أي كاتب، ولضاعت بلاغته العربية.. فبقاء العربية الفصحى هو بقاء الدين والجنس معا.. وحاجتنا الدينية إلى لغتنا أشد من حاجة الأمم غير المسلمة إلى لغاتها، فإن الإنجيل لما ترجم تناولوه كما تناولوا الأصل، والقرآن لو ترجم بلغة أخرى لعجزت الترجمة عن أداء مفهومه ومنطوقه»[١١].

** مجمع اللغة العربية أنشيء ليكون الحارس الأمين على اللغة

وفي التصدى لمزاعم عجز العربية عن أن تكون لغة العلم الحديث، لم يقف النديم، في دحض هذه المزاعم، عند الاستشهاد بالتاريخ، الذى نهضت فيه بلغة العلم القديم، وإنما استشهد أيضا بتجربة مصر الحديثة، على عهد محمد على باشا (١١٨٤ - ١٢٦٥هـ/ ١٧٧٠ - ١٨٤٩م) والحقبة السابقة على فرض اللغات الأجنبية على مدارس مصر (١٨٩٢م) بقوة الاحتلال.. «فهذه المدارس المصرية، قرئت فيها العلوم القديمة والحديثة، الأصلية والمترجمة، ولم يفتها شيء مما كتب في أوربا، ولم تتغير كيفية التدريس من اللغة العربية الى اللغة الفرنساوية أو الانكليزية في بعض العلوم إلا في هذه السنة (١٨٩٢م).. وما هو الموجب لتعليم مثل التاريخ والطب والهندسة والجغرافية باللغات الأجنبية، والمتعلم سيستخدم بين من لا يعرفون كلمة أجنبية، وهم فلاحو مصر وعوامها، والكتب العربية في هذه الفنون توجد أحمالا في المخازن، فأي ضرورة تلجئنا لتركها وشراء غيرها بلغة أخرى؟!.. إن نقل التعليم من لغة البلاد إلى لغة أجنبية هو نقل للتلميذ من الجنسية والدين معا».

ثم تنبأ النديم باندحار كل هذه الدعوات، التى تمثل تحديات دينية وقومية للعربية، فقال: «إننا نعلم علم اليقين أنه لو ظهر ألف داع، بل مئات ألوف من دعاة أوربا لاستعمال لغة تميت لغة القرآن ما وجدوا آذانا سامعة»[١٢].

ولم يكن النديم داعية للجهل باللغات الأجنبية.. وإنما كان داعية لإتقان العربية كي نستطيع أن ننتفع بما نتعلم من لغات أجنبية في الترجمة التى تطلعنا على ما نحتاج مما لدى الآخرين «فالغرض إنما هو تعريب اللغة الأجنبية بعبارة عربية، وعكسه [أى الترجمة من العربية إلى غيرها] - حتى نجتلب المنافع ونتبادل الفكر، ولا ريب أن الحاجز عن اللغة العربية لا يقدر على ذلك، اللهم إلا بعبارة منسوخة المعنى خالية من الثمرة»[١٣]، «ولو فرضنا وتعلمنا اللغات الأجنبية، وتكلمنا بها عند الحاجة إليها، لوجب علينا أن نحافظ على لغتنا العربية ونستعملها في معاملاتنا الخاصة بنا وبين أبنائنا وأهلينا وفي كتب ديننا وعلومنا الأصلية والفرعية لبقاء الدين والجنس ببقائها»[١٤].

**** العربية تمثل هوية الأمة في كل أبعادها**

ولم يقف جهاد النديم في سبيل العربية عند التصدى للتحديات المهددة لوجودها - التركية.. والعامية .. واللغات الأجنبية الغربية - وإنما مد آفاق هذا الجهاد ليشمل الدعوة إلى النهوض بلغة القرآن الكريم، وذلك لتفي باحتياجات النهضة الحديثة، وتكون قادرة على منازلة التحديات اللغوية والانتصار عليها.

فهو يحتفي بتأسيس «مجتمع اللغة العربية بمصر» (١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م) برئاسة السيد توفيق البكرى [١٢٨٧ - ١٣٥١هـ/ ١٨٧٠ - ١٩٣٢م] الذى سبق ودعا إلى إنشائه المرحوم عبد الله باشا فكرى [١٢٥٠ - ١٣٠٦هـ/ ١٨٣٤ - ١٨٨٩م] ويشير إلى سابق دعوته هو إلى إنشائه [١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م] بمقاله الذى نشره في (التنكيت والتبكيت) تحت عنوان «إضاعة اللغة تسليم للذات»[١٥].

ويسهم النديم - إسهام العالم الخبير - بتقديم المقترحات الفنية والتنظيمية إلى «مجتمع اللغة

العربية» الوليد .. فهو يقترح له تنظيما شاملا لمختلف التخصصات، بحيث يكون «المجتمع [المجمع] عاما في كل ما يتعلق بالفنون العربية.. قسم مختص بالمواد اللغوية.. وقسم لعلوم الآليات.. وقسم للتاريخ وتقويم البلدان.. وقسم للترجمة.. وقسم للرياضيات» كما يقترح النديم على «مجلس النظار» [مجلس الوزراء] اعتماد «مجتمع اللغة العربية» كجمعية لغوية «وإلزام مدرسي اللغة العربية في المدارس وغيرها بالنقل عنها.. ثم تتناقل الجرائد المحلية كلماتها وتكررها بالمناسبات لتكون [وسائل الإعلام] في مقام مدرسين يعلمون القراء من فوائدها، وبهذه الطريقة تتداول الكلمات المقابلة للكلمات الأجنبية، فتزاحمها العربية مزاحمة تضيق نطاقها».

كما يقترح النديم على الحكومة اعتماد هذا «المجتمع اللغوى» مرجعية فكرية للدولة «تحيل عليه النظر في المؤلفات الجديدة ليقرر منها الموافق لنشره ويمنع ما يضر بالأخلاق والدين والسياسة».

ويتوجه إلى «المجتمع اللغوى» برجاء وطنى «وهو أن يبعد عن الدخول في السياسات. وأن يحفظ الوصلة بينه وبين الأزهر المنير، بعدم تعرضه لشيء مما هو من خصائص الجامع وسماحة شيخه، وبهذا يمكنه أن يستعين بأشياخه في كثير من مواضيعه العلمية، فإن أساسه مبني على العلوم الأزهرية، وأعضاؤه يكون معظمهم من الأزهريين الذين يقدرون على التصرف في العبارات بالاستنباط أو القياس»[١٦].

هكذا دافع النديم عن العربية، لغة القرآن، وجامعة الجنس، وثابت هوية الأمة الحضارية، وامتد دفاعه عنها عبر مسيرته الفكرية.. منذ أن رفع - فى صحيفته الأولى - شعار: «إضاعة اللغة تسليم للذات».. وحتى المقالات الضافية التى دافع بها عنها في مجلة [الأستاذ].

الهوامش:

(١) الأستاذ. العدد الخامس والعشرون، ص ٥٩٣، والعدد الثامن ص ١٧٩.
(٢) المصدر السابق، العدد التاسع ص ٢٠٤.
(٣) المصدر السابق، العدد الثامن ص ١٦٩.
(٤) المصدر السابق، العدد الثامن ص ١٧٦.
(٥) المصدر السابق، العدد الثامن ص ١٧٧ ، ١٧٨.
(٦) المصدر السابق، العدد الثامن ص ١٨٣.
(٧) المصدر السابق، العدد الثامن ص ١٧٨، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣.
(٨) المصدر السابق، العدد العشرون ص ٤٦٨، ٤٧١.
(٩) المصدر السابق، العدد العشرون ص ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٦.
(١٠) المصدر السابق، العدد العشرون ص ٤٦٩.
(١١) المصدر السابق، العدد العشرون ص ٤٧٠، ٤٧١.
(١٢) المصدر السابق، العدد العشرون ص ٤٧٣ - ٤٧٥.
(١٣) المصدر السابق، العدد الخامس والعشرون ص ٥٩٤.
(١٤) المصدر السابق، العدد العشرون ص ٤٧١.
(١٥) المصدر السابق، العدد التاسع والعشرون ص ٦٧٣.
(١٦) المصدر السابق، العدد التاسع والعشرون ص ٦٨١، ٦٧٥، ٦٨٥.

حضور التراث في مسرح توفيق الحكيم

بقلم : د. مصطفي رمضاني
- المغرب -

يتوزع التراث في مسرح توفيق الحكيم بين مصادر متنوعة، منها ما هو شعبي، وما هو إسلامي، وما هو فرعوني، وما هو إغريقي.

ويتجلى التراث الشعبي في مجموعة من مسرحياته نحو «علي بابا»، و«الزمار» و«سليمان الحكيم»، «شهرزاد»، و«الصفقة» وغيرها. أما التراث الإسلامي فيتوزع على مجموعة من المسرحيات «كأهل الكهف»، و«السلطان الحائر» و«محمد صلى الله عليه وسلم» وغيرها. في حين يحضر التراث الفرعوني في مسرحيتي «أهل الكهف»، و«إيزيس» بشكل خاص. ويبقى التراث الإفريقي واضحا في مسرحيتي «بجماليون»، و«الملك أوديب».

إن الطابع التجريدي هو الذي يوحد هذه المصادر رغم تعددها وتنوعها، وإن كان الطابع الاجتماعي المباشر واضحا في مسرحيته «الصفقة». وباستثناء هذه المسرحية، يظل التراث عند توفيق الحكيم وسيلة للبرهنة على نزعة التعادلية التي نادى بها، حتى لكأن أغلب كتاباته جاءت لتؤكد هذه النزعة.

وهذا الأمر يدفعنا إلى القول إن التراث في مسرحه غير مبرر إلا في إطار التعادلية. فهو لا يلجأ إليه لاستلهام أحداثه وأشكاله لأغراض فنية خالصة، ولكنه يستعين به للبرهنة على صحة آرائه تارة، وللقيام بعملية إسقاط ذاتية عليه تارة أخرى، وذلك لأن أغلب مسرحياته تعكس في كثير من جوانبها همومه ونوازعه الذاتية.

فمن المعروف أن توفيق الحكيم راهب الفكر كما يسميه النقاد، وهب نفسه للفن والفكر وابتعد عن شؤون الحياة. لهذا ظل في مسرحياته التراثية يؤكد التقابل بين شؤون الفن والفكر، وبين شؤون الحياة. وكأنه بذلك يبرر مواقفه وسلوكاته الشخصية. ولأجل هذا جاء التراث في مسرحه موسوما بالتوفيقية وتتمثل هذه التوفيقية

ي الجمع بين مصادر التراث الشرقي والغربي معا. فهو يحاول أحيانا أن يوفق بين موضوع تراثي شرقي، وبين شكل جمالي غربي كما هو الحال في مسرحية أهل الكهف، أو يقوم بالعكس إذ يضع إنتاجا غربيا في قالب شرقي على نحو ما فعل في كتابه «قالبنا المسرحي» غير أنه لم يستقر عند شكل نهائي أو مصدر ثابت، إذ ظلت هذه النزعة التوفيقية تطبع أغلب أعماله.

إلا أن ما يميز التراث في مسرحه كونه لا يحمل بعدا تاريخيا، لأن توفيق الحكيم لا يعتمد على الحدث التراثي من منطلق تأريخي، ولكنما يعتمده بصفته رمزا أو علامة محددة ضمن سياق خاص. إلا أنه مع ذلك يملك قابلية التعدد والتأويل، لأن المؤلف نفسه يتحرر في تعامله مع المصدر التراثي، مما يدفعه إلى تحرير القاريء من سلطة القراءة الأحادية، وهو ما يفسر تعدد القراءات لمسرح الحكيم التراثي. وقد يصل هذا التعدد إلى حد التعارض والتناقض أحيانا، غير أنه في كل الحالات نحس بأن توفيق الحكيم هو الذي يملك التراث ويحوره ويحدد أبعاده وليس العكس.

فالتراث عنده لغة ككل اللغات التي يستعملها المبدع المسرحي في التعبير، وهو أيضا أسلوب يعكس شخصية الكاتب ما دام الأسلوب هو الرجل



توفيق الحكيم

نفسه كما قال الناقد الفرنسي بوفون، لأن توفيق الحكيم استلهم بعض المصادر التراثية التي كان قد استلهمها قبله كتاب آخرون عرب وغير عرب. إلا أن تعامله مع تلك المصادر جاء مختلفا تماما عما قام به أولئك الكتاب. وهذا طبيعي على كل حال، لأن توفيق الحكيم سعى إلى تأكيد موقفه التعادلي عبر تلك المصادر، حتى لكأنها جزء من ذلك التراث. وهذا يعود بالأساس إلى الصنعة المسرحية الدقيقة التي يمتاز بها، ناهيك عن الموهبة التي حباه الله بها. لذا يصبح التراث في كل مسرحياته جزءا من ذاته وتكوينه ومواقفه بعد أن ينفلت من أسر التاريخ والماضي، أي بعد أن يفقد زمنيته السانكرونية،

** التراث عند الحكيم وسيلة للتعادلية

** ادبيات التراث قراءات للذاتية عند الحكيم

** التراث لا يحمل بعده التاريخي بقدر ما يعني رمزاً في السياق

** التعادلية والتراث ظلا هاجس الحكيم

ويصبح موضوعا أو شكلا يتميز بتاريخيته المتغيرة؛ لأن المؤلف يسعى إلى قراءة الحاضر بعيون الماضي، وإن كانت هذه القراءة لم تفلت من ذاتية الكاتب وتصوره الخاص للحياة والكون؛ وهو ما يسميه الحكيم بالتعادلية. فالحاضر كما يقول لوكاش «هو الذي يجعلنا نفهم الماضي ونهتم به»[١].

لقد قام توفيق الحكيم برحلة جنونية عبر مختلف مصادر التراث. ويستمد ولعه بالتراث مشروعيته من الجو الشعبي والطابع الريفي المخزون في ذاكرته منذ الطفولة ومن المؤكد أن ميله إلى سماع الأحاجي والحكايات كان من أهم الأسباب التي دفعته إلى كتابة مسرحيات تراثية ذات طابع شعبي في سن مبكرة.

فمن المعروف أنه استوحى من ذلك الجو المطبوع بعجائبيته وسحريته الشعبية حكاية «علي بابا والأربعين حرامي» وهي حكاية معروفة في التراث الشعبي. وقد استلهمها كثير من المبدعين قبله وبعده. إلا أنه ظل وفيا لأحداثها وأبعادها الخلقية، مما يفيد أن موقفه من التراث لم يكن قد نضج بعد. لذلك جاءت المسرحية خالية من الإبداع والتميز بل يرى أحد الباحثين أن الكاتب أخذ فكرة المسرحية وأسلوبها من المسرح الفرنسي[٢]. ولكن مع ذلك، ظلت فكرة التعادلية واضحة في هذا العمل المسرحي من خلال الصراع الذي أقامه بين الخير والشر. وكانت هذه المسرحية باكورة أعمال الحكيم المسرحية ذات الطابع التراثي، ومع ذلك فقد استقبلها النقاد بكثير من الحماس[٣].

وبعدها كتب مسرحية تراثية شعبية بعنوان «الزمار» متأثرا بحياته في الريف المصري وتقاليده الشعبية حين كان يشتغل نائبا للقضاء. ثم انتقل بعد ذلك إلى المسرحيات التراثية ذات الطابع الذهني وكانت مسرحية «أهل الكهف» فتحا مهما في تاريخ المسرح العربي، لتتوالى بعد ذلك مسرحيات أخرى من هذا النوع وغيره.

ومما لا شك فيه أن تمرس توفيق الحكيم بكتابة

لسرحيات الذهنية، جعله أول من بذر بذور المسرح الذهني التراثي من منطلق جمالي يحترم شروط الكتابة المسرحية. وبذلك كان بحق أول من مهد للخطاب التأصيلي في المسرح العربي الحديث.

فمن المعلوم أن إشكالية التأصيل من أهم القضايا التي تفرعت عن عملية الاشتغال على التراث. ولقد ارتبطت هذه الإشكالية أول الأمر بالتحديات المختلفة التى فرضها المستعمر. من هنا رأى بعض المبدعين العرب أن التراث كفيل بإمدادنا بأسباب التقدم، ما دام الأسلاف حققوا تطورا حضاريا كبيرا حين تمسكوا به في حين رأى فيه آخرون وسيلة تقيهم شر المستعمر. أما البعض الآخر، فوجد فيه سبيلا للهروب من الواقع، فجعله مشجبا يعلق عليه كل قضايا العصر بشكل إسقاطي. ولكن تبين بعد ذلك أن التراث لا يحمل قيمته بذاته، لأن قيمته الحقيقية تكمن في مدى قدرة المبدع على تطويعه وتطويره وتحويله إلى دلالات ورموز وطاقات متحولة. أي إلغاء عمليات الإسقاط: إسقاط الواقع ومشاكله المعاصرة على التراث، ولا يتم ذلك إلا بالنظر إليه نظرة مبدعة نقدية غير انفعالية، فالتراث ليس معطى نهائيا ثابتا، إنما يأخذ موقعه من البعد أو الموقف الذي نريد تحقيقه. ومن ثم نستطيع أن نقدم قراءات لا نهائية لحدث تراثي واحد، مما يجعلنا نتحدث عن تراثات داخل التراث الواحد.

وتوفيق الحكيم يعد من أهم المسرحيين العرب الذين وعوا هذا الأمر، فتعاملوا مع التراث، لا من منطلق إسقاطي كما فعل بعض الرواد الأوائل، ولكن من منطلق نقدي يتجاوز الفعل التراثي الجامد إلى الفعل الرمزي الذي يأخذ بعدا وظيفيا مغايرا ضمن سياقه الجديد، وهكذا دواليك.

وعلى هذا الأساس كانت انطلاقة توفيق الحكيم الصحيحة مع التراث من مسرحية «أهل الكهف» لتتعمق هذه القراءة النقدية مع مسرحية «شهرزاد» وتتأصل أكثر مع مسرحياته الموالية. وفي كل هذه الأعمال ظل وفيا لموقفه التعادلي من جهة، ولاعتباره التراث منطلقا لتقديم آرائه وفرضياته بعد أن تصبح الأحداث والشخصيات التراثية مجرد رموز وأقنعة لقضايا لها مساس بالواقع الحي من جهة ثانية.

**** ولع الحكيم بالتراث يستمد مشروعيته من الجو الشعبي لنشأته**

الهوامش:

(١) Georges Lukacs Le Roman historique ed petite bibliotheque Payot, 1965 - P - 4

(٢) أنظر فؤاد دوارة - مسرح توفيق الحكيم، ج ١. المسرحيات المجهولة، ص ١٣٩.

(٣) أنظر بعض تعليقاتهم في المرجع أعلاه. ص ١٤٤ - ١٥٠.



بيان العليل في الادب العربي

تنوعت وتعددت اغراض الشعر العربي، من النسيب والتشبيب، والحب والغرام، وذكر الديار والآثار، والمديح والهجاء.

وقد لا ينسى الشاعر الغزل في أشد المحن، كما يقول عنترة العبسي:

ولقد ذكرتك والرماحُ نواهل
مني وبيضُ الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وذلك أن رقة شعوره ودقة احساسه وصافي طبعه وسليم ذوقه، وذكاء قلبه، قد هيأ له الحالتين، فهو يعزف موسيقى الغرام، ثم يرتلُ نشيد القوة والبطولة وينتفض اسدا.

وقد اجاد الشعراء العرب، في وصف صورة العليل وشرح معاناته في الامراض والعلل، من حسن البيان وقوة التأثير، ما ملكوا معه أعنَّة القلوب فلا عجب، لأن وصفهم نابع من نفوس مكلومة وشعور صادق، فالشاعر الاصيل، هو صورة مجتمعه، ومرآة احواله، يتفاعل ويتأثر مع كل ما يراه ويشاهده، ويعبر بعواطفه عما يجيش في صدره.

وفيما يلي نقدم وصفا لبعض الامراض والعلل كما وردت في كتب الادب.

مرض الجدري: Small Pox

هو مرض جلدي معروف، يتميز بظهور بثور حمراء بيض الرؤوس، تنتشر في البدن، وتتقيح سريعا، ويبدو وجه المجدور قد امتلأ بنقط حمراء بارزة، ويقول احدهم في وصفه:

وجهه للحسن معدن
فتأمل وتبين
نقطٌ من جدري
كبواقي معين

داء النقرس: Gout

مرض مؤلم، يحدث في مفاصل القدم وفي ابهامها اكثر، ويتظاهر بصعوبة المشي والتنقل، ويشكو بعضهم اصابته بهذا الداء المزعج:

اشكو الى الله ما أصبْتُ به
من ألم في أنامل القدم

بقلم : د. محمد فؤاد الذاكري
- سوريا -

كـــأنني لم أطأ بهـــا كـــبـــداً

مـن حـــاســـد ســـرٌ قلبـــهُ ألمي

والجدير بالذكر، أن مرض النقرس يعرض كثيرا لذوي النعمة والترف ولذلك يسمى (داء الملوك)، ولكن فقير الحال يتعجب من اصابته بهذه العلة، وهو لا يملك شروى نقير، فيقول مستنكرا:

أقام بارض الشام فاختل جانبي

ومطلبـه بالشـــام غـيـرُ قـــريب

ولا سيما من مفلس حلفُ نقرس

امـا نقـرس في مـفلس بعـجـيب؟

ولكن عزاء الشاعر بعد اصابته بهذا الداء، يتمثل في الحكمة التالية:

مــا من صـحـيـح الا ســتنقله الـ

أيام مـن صـــحـــة الى ســـقـم

مرض الحمّى: Fever

هذه العلة التي يستحرُ بها الجسم، تكوّن بانواع متعددة، تبعا للظواهر المرضية التي ترافقها وقد عرف العرب انواع الحمّى وصنفوها تبعا لاعراضها السريرية ومنها:

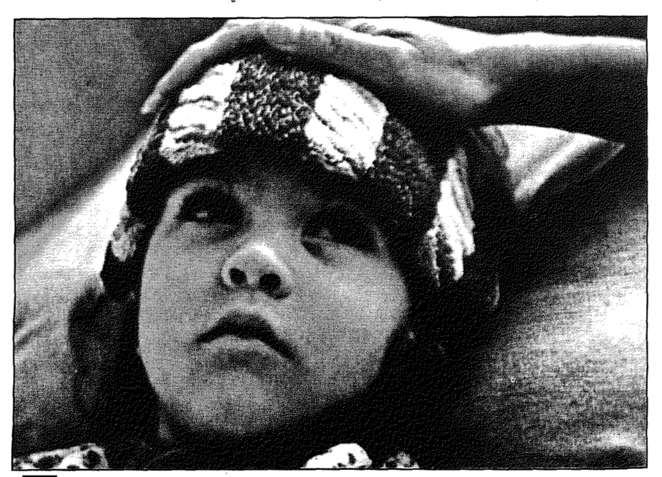
حمى الرُبُع:

وهي التي تصيب ربعا، تصيب المريض يوما وتتركه يومين ثم تعود اليه في اليوم الرابع.

حُمّى الغب: Tertian Fever

وهي الحمى التى تصيب المريض يوماً وتتركه يوما.

ولكن ماليء الدنيا وشاغل الناس (ابو الطيب



المتنبي) شكا صنفا من الحمى، انتابته وقت النوم، فمنعته الرقاد ولذيذ المنام، فهي زائرة ليلية تخشى أن يراها احد أو تلمحها عينُ رقيب فتداهم ضحيتها ملتحفة برداء الليل الاسود، فانشد شاكيا:

وزائرتي كــأن بهــا حــيــاء
فـلـيـس تـزور إلا فـي الـظـلام
جـعلت لهـا المطارف والحشـايا
فـعـافـتـهـا وباتت في عظامي

ولا يخـفـى، أن مع هجـمـة الحـمى، يتـبـدل لون العليل، فـيـميل الى الشحوب والاصـفرار. واذا ما انتهت نوبة الحمى، اعقبها صداع مزعج في الرأس، فـتزيد الطين بلة، كما شرح (ابو هـلال العسكري) المتوفى بحدود (٣٩٥هـ) بقوله:

واخبر اني رحت في حلّة الضنى
ليالي عشرا ضامها الله من عشر
تنفضني الحمى ضحى وعشية
كما انتفضت في الدجن قادمتا نسر
تَذُرُّ عليَّ الوَرْسَ في وضح الضحى
وتبدله بالزعفران لدى العصر
اذا انصرفت جاء الصداع مشمرا
فـأربى عليـهـا في الاذية والشر

آلام الاسنان: Toothache

لا يخفى انها تتوافق مع اعراض فموية مؤلمة، تجعل المصاب لا يذوق طعم الكرى، وصفها أحدهم:

يا من يبـــات الليل في تألمه
سهران من نار تشرب في فمه
مـــا ذاك إلا ورم في اللثـــة
ربما غـــيَّر طعم الفكهـــة
تـورم فـي اســـفل الاسنان
كـأن فـيـه لهـيب النيـران
وربما صـيَّر سـقف الحلق
كـــــأنه احْرقَ أيَّ حُرق

امراض الشيخوخة والهرم:

حدث عنها ولا حرج فهي تتظاهر بوهن عام في الجسم وضعف في اعضائه، وعدم القدرة على الحركة، وعبّر عن ذلك (الربيع بن صبغ الفزارى) حين سأله احدهم: كيف اصبحت؟ فاجابه بقوله:

اصـبـحت لا احـملُ السـلاح ولا
املك رأس البـعـيـران نفـرا
والذئب اخـشـاه إن مـررت به
وحـدى واخـشى الرياح والمطرا

وصـدق الاعرابي العجـوز، في رده على ذات السؤال، فاوضح بقوله:

اصبحت اعثر بالبعرة وأقيدُ بالشعرة، وافزع من النعرة..

وقيل (للنمر بن تولب): كيف اصبحت يا ابا ربيعة؟

فانشد ارتجالا على البديهة:

اصبحتُ لا يحملُ بعضي بعضا
اشكو العروق النابيـات نبـضـا
كما تشكى الارحبي الغرضا
كـأنما كـان شـبـابي قـرضـا

براعة (الجاحظ) في الوصف:

اما (ابو عثمان الجاحظ) الذي اشتهر بصدق العبارة وبراعتها وايجازها، فقد تراكمت على جسده امراض الشيخوخة في أواخر ايامه، وختمتها بالفالج (الشلل) الذي لحق نصف بدنه، فافقده الاحساس والحركة، وتصادف أن الخليفة العباسي (المتوكل على الله) تفقده فانفذ اليه رسولا الى مكان اقامته في مدينة (سُرّ من رأى - السامراء) يدعوه لزيارة الخليفة، فوصف (الجاحظ) صاحب الملاحظة الدقيقة والروح المرحة الفكهة والقلم الرشيق، حال المريض الواهن المتداعي الذي يوشك أن يفارق الحياة، بأسلوب يمتزج فيه الجد بالدعابة فيقول: «وما يصنع امير المؤمنين بشق مائل ولعاب سائل، ولون حائل؟؟».

ثم أقبل (الجاحظ) على عواده وفيهم الطبيب والصديق والمريد، فاظهر حال جسمه وما يعانيه: (ما تقولون في رجل له شقان: احدهما لوغُرزَ بالمسال[١] ما احسَّ، والشق الآخر يمر به الذباب فَيُغوث[٢] واكثر ما اشكوه الثمانون).

ولا يفوت (الجاحظ) ان ينشد ابياتا من قصيدة (عوف بن محلم الخزاعي)، وكان سبب هذه القصيدة أن عوفا دخل على عبد الله بن طاهر - وهو من اكبر قادة بني العباس - فسلم عليه (عبد الله) فلم يسمع، فأعلم بذلك، فقيل انه ارتجل هذه القصيدة ارتجالا:

يا ابن الذي دان له المشرقان
طرًا وقد دان له المغربان
ان الثمانين وبلّغتُها
قد أحوَجَت سمعي الى ترجمان
وبدّلتني بالشطاط[٣] انحنا
وكنت كالصعدة[٤] تحت السنان
وقاربت مني خطا لم تكن
مقاربات وثنت من عنان[٥]
وانشأت بيني وبين الورى
عنانة من نسج العنان

ونختم بقول احدهم، يشرح حاله في هرمه وشيخوخته:

كفى حزنا اني أدبُّ على العصا
فيأمن أعدائي ويبغضني اهلي
ويُوْصَى بي الوغدُ الضعيفُ مخافة
عليّ وما قام الحواضنُ عن مثلي
اقيم العصا بالرجل والرجل بالعصا
فما عدلتْ ميلي عصاي ولا رجلي

الهوامش:

(١) المسال: جمع مسلّة (بكسر الميم) ابرة خياطة ضخمة.

(٢) التغويث: شدة العدو.

(٣) الشطاط: حسن القوام والاعتدال.

(٤) الصَّعدة: القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج الى تثقيف.

(٥) العنان: (بفتح العين) السحاب، واحدته عنانة، يشير بهذا الى ضعف بصره، وانه لا يرى الورى الا من وراء سحابة.

معجزات إلهية

وبثَّ فيها من...

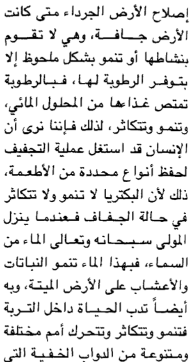
جعل المولى سبحانه وتعالى الماء سببا في إحياء الأرض الميتة، وسبباً في تكاثر وانتشار كل الدواب، الخفي منها كالبكتريا والفطريات والكائنات الأخرى المجهرية وحيدة الخلية، والمرئي منها كديدان الأرض والحشرات، والكبير كحيوانات الرعي.

ما من شك أن كل واحد منا يدرك أن إحياء الأرض الميتة يعود - بإذن الله تعالى - إلى توفر الماء وحصول النباتات على هذا الماء، ونعلم أن النباتات تحتاج إلى كثير من العناصر والمواد الضرورية لنموها وتكاثرها وإنتاجها، وقد تتوفر هذه المواد في البيئة التى تنمو عليها بكميات هائلة، غير أن هذه الوفرة الكبيرة قد لا تمثل للنباتات شيئا ما لم تكن هذه المواد في صورة متاحة للنباتات كي تمتصها وتدخل أنسجتها وتختلط بها، وتستفيد منها ولذلك فإن النباتات تفتقر إلى هذه المواد الضرورية إذا كانت غير متاحة لها[١]. مثلها في ذلك كمثل الإنسان الذي يظل في حجرة ممتلئة بالمال ولكنه لا يملكه، فهو لا يستفيد منه بشيء إلا إذا أتيح له قدر منه، وتزداد الاستفادة من الماء بزيادة القدر المتاح له. وهذا المثل ينطبق على النباتات، فجذورها تنمو في الأرض، وتمتد فروعها وأوراقها في الهواء، وفي الأرض والهواء تتوفر معظم العناصر والمواد التي يحتاج إليها النبات، ولكن هذه العناصر والمواد رغم وجودها ووفرتها في البيئة فقد تكون غير متاحة للنبات كي يمتصها. ونجد أن المولى سبحانه وتعالى قد سخر للنباتات تلك الدواب الصغيرة جدا والتي لا ترى بالعين المجردة وتسمى بالبكتريا. هذه الدواب الصغيرة قد خصها المولى سبحانه وتعالى بقدرة عجيبة على تحويل العناصر والمواد غير المتاحة للامتصاص إلى عناصر ومواد في صورة ذائبة متاحة للامتصاص أو تكوين مواد مفيدة لنمو النباتات.

إن التربة تحتوي على أعداد ضخمة من البكتريا والكائنات الحية الدقيقة الأخرى، ولو أخذنا حفنة من تراب مزروعة في أحد الحقول، ووضعناها في كفنا، وتأملناها، فإننا لا ندرك بأعيننا المجردة سوى حبيبات ساكنة لا تتحرك، غير أننا لو أخذنا جزءاً يسيراً جداً من هذه التربة وفحصناها بواسطة المجهر (الميكروسكوب) فسوف نشاهد عالما آخر يزخر بالحركة والنشاط، هذا العالم يشتمل على كائنات حية دقيقة تدب في باطن الأرض وتتحرك فيها ولصغر حجمها فنحن لا ندركها بأعيننا ولا نحسها بحواسنا الأخرى. هذه الكائنات الحية الدقيقة ما هي إلا أمم مختلفة ومتنوعة تشمل البكتريا والفطريات وكائنات أخرى متناهية في الصغر لا ندركها ولا نشاهدها حتى بالمجاهر العادية وتسمى هذه الكائنات بالفيروسات. وسبحان القائل في محكم التنزيل {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، ما فرّطنا في الكتاب من شيء، ثم إلى ربهم يحشرون} (الأنعام/ ٣٨). فمن منا كان يدرك - قبل اختراع المجاهر - أن في الأرض وفي داخل التربة أمما من كائنات حية تتحرك وتنتقل من مكان لآخر، والإنسان لا يدرك بعينه المجردة هذه الأمم المتنوعة، غير أنه في العصر الحديث، وبعد اختراع المجاهر أدرك ذلك. وبالتدبر والتفكر في هذه الآية القرآنية نجد فيها ما يشير إلى هذا العالم الخفي، ونجد في آيات قرآنية أخرى ما يؤكد وجود هذا العالم، والعوامل التى تزيد من نشاطه، يقول الحق سبحانه: {وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون} (البقرة/ ١٦٤)، وتدل هذه الآية على أن الماء النازل من السماء يحيي الأرض بعد موتها، ويعمل على بث ونشر الدواب المختلفة والمتنوعة في الأرض، وبخاصة الدواب الصغيرة الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة مثل البكتريا.. وهذه الدواب تعمل على تخصيب التربة وإمداد النبات بحاجته من المواد الغذائية، وهذه الدواب على الرغم من وجودها بكثرة في التربة إلا أنها تظل ساكنة لا تؤدي دوراً فعالا أو نشاطاً محسوساً في

بقلم : د. عبدالبديع حمزة زللى
جامعة الملك عبدالعزيز - المدينة المنورة

ـن كــل دابَّــة



إصلاح الأرض الجرداء متى كانت الأرض جافة، وهي لا تقوم بنشاطها أو تنمو بشكل ملحوظ إلا بتوفر الرطوبة لها، فبالرطوبة تمتص غذاءها من المحلول المائي، وتنمو وتتكاثر، لذلك فإننا نرى أن الإنسان قد استغل عملية التجفيف لحفظ أنواع محددة من الأطعمة، ذلك لأن البكتريا لا تنمو ولا تتكاثر في حالة الجفاف فعندما ينزل المولى سبحانه وتعالى الماء من السماء، فبهذا الماء تنمو النباتات والأعشاب على الأرض الميتة، وبه أيضاً تدب الحياة داخل التربة فتنمو وتتكاثر وتتحرك أمم مختلفة ومتنوعة من الدواب الخفية التي



تمثل جميع الكائنات الحية الدقيقة، وتنتشر داخل التربة، وتفقس بويضات الديدان، وتنشط الديدان الأرضية في شق الأنفاق وتهوية التربة وابتلاع كميات كبيرة من التربة المتلاصقة وتحويلها إلى تربة مفككة، فسبحان العالم القدير الذي علّمنا هذا الأمر بقوله سبحانه وتعالى: {فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة}. نعم.. فكل الدواب الظاهر منها والخفي تنتشر وتبثُّ في الأرض بفعل الماء النازل من السماء، فيعمل على استمرار اخضرار الأرض. وقد يسأل سائل: ما علاقة هذه الدواب الخفية والمرئية باخضرار الأرض وتنشيط نمو النباتات عليها؟.

ونجيب عن ذلك بأن النباتات مثل أي كائن حي مخلوق يحتاج إلى غذاء ومواد وعناصر منشطة للنمو، وكل هذه المواد متوفرة في البيئة التي تنمو فيها النباتات بقدر عظيم جدا، ولكنها قد تكون غير متاحة للامتصاص فلا تستفيد منها النباتات، لذلك فقد سخر المولى جلّت قدرته لهذه النباتات الكائنات الحية الدقيقة التي خصّها بقدرة عجيبة على تحويل المواد غير المتاحة للامتصاص إلى عناصر ومواد ذائبة متاحة للنباتات كي تمتصها، وفي نفس الوقت تعمل على تكوين مواد يستفيد منها النبات.

إنَّ من أهم العناصر والمواد التي يحتاجها النبات[٢]: النتروجين أو ما يُسمَّى بالآزوت، والكربون، والفوسفور، والكبريت، والبوتاسيوم، والكالسيوم، والحديد، والماغنسيوم، كما يحتاج النبات أيضاً إلى كميات ضئيلة من مواد أخرى تنتجها له بعض الكائنات الحية الدقيقة.

من العناصر الضرورية واللازمة لحياة النبات النتروجين، وهذا العنصر يوجد في الهواء - على هيئة غاز - بوفرة لا مثيل لها، ويمثل النتروجين أكثر من ٧٨ بالمائة من حجم الهواء، في حين أن الأكسجين وهو متطلب أساسي لعمليات التنفس يمثل حوالي ٢١ بالمائة من حجم الهواء، وجميع النباتات تحتاج الى النتروجين، إذ يدخل في تركيب الخلية النباتية وتركيب المواد الأساسية كالبروتينات والأحماض الأمينية.. ويستمد النبات - عادة - ما يحتاجه من هذا العنصر من التربة في صورة أملاح ذائبة، ولعل نقص النتروجين يؤدي إلى ظهور بعض الأعراض على النبات منها ضعف اللون الأخضر في الأوراق، واصفرارها، مما يؤدي إلى



سقوطها مبكراً وبخاصة عندما يشتد نقص هذا العنصر. والنباتات التي تنمو في بيئة غنية جدا بعنصر النتروجين تصبح أوراقها خضراء داكنة، وتصبح النباتات كثيرة الأوراق والفروع.

وقد يقول قائل: ما دام النتروجين يتوفر في الهواء بهذه الكثرة التي لا مثيل لها فلا خوف على النباتات من نقص النتروجين. لكننا نجيب عن ذلك بأن هذه الوفرة العظيمة لعنصر النتروجين في بيئة النباتات لا تمثل أي دور فعال. ومثل النباتات هنا كمثل ذلك الذي يجلس في المسكن المليء بالمال ولكنه غير متاح له. فالنباتات عامة لا تستطيع أن تستغل النتروجين الجوي ولا يتاح لها إلا عندما يتحد مع غاز الأكسجين، أو الهيدروجين، ويُسمَّى في هذه الحالة بالنتروجين المتحد، والنباتات عموماً لا تستطيع أن تقوم بعملية تحويل النتروجين الجوي إلى نتروجين متحد، غير أن المولى - جلت قدرته - قد سخر لهذه النباتات أنواعا من الدواب الصغيرة كالبكتريا التي تعيش على جذور النباتات القرنية متكافلة معها، فتقوم هذه الكائنات بعملية تحويل النتروجين الجوي غير المتاح للنباتات إلى نتروجين متحد يستفيد منه النبات في عملية تسمى بعملية تثبيت النتروجين الجوي، وتستطيع هذه البكتريا بناء البروتينات وغيرها من المركبات النتروجينية وتزويد النباتات القرنية بها كذلك. وهناك أنواع أخرى من البكتريا لا تتكافل مع النباتات إضافة إلى الطحالب الخضراء المزرقة، فهذه الكائنات تعيش في التربة حرَّة مستقلة، وتستطيع استغلال النتروجين الجوي كمصدر نتروجيني لغذائها وتحوله إلى مركبات نتروجينية متاحة للنبات كي يمتصها، وتتراكم هذه المركبات النتروجينية في التربة بموت هذه الكائنات، فتزيد من خصوبتها.

وعليه فكلما زادت أعداد الكائنات الحية المثبتة للنتروجين الجوي وانتشرت في التربة، فإن ذلك يعمل على زيادة حقن هذه التربة بالنتروجين المنقول من الهواء، وبالتالي يعمل ذلك على تنشيط نمو جميع النباتات بمختلف أشكالها وأنواعها. وسبق أن ذكرنا أنَّ تكاثر وانتشار البكتريا وغيرها من الكائنات الحية الدقيقة وغير الدقيقة في التربة لا يتحقق بشكل ملحوظ إلا عندما تصبح التربة رطبة من أثر الماء. ولقد كشفت لنا الآية القرآنية الكريمة هذه الحقيقة قبل أن نقف عليها بعد اكتشاف البكتريا والكائنات الحية الدقيقة الأخرى، حيث أشارت الآية إلى أن المولى سبحانه وتعالى قد جعل نزول الماء من السماء سبباً في إحياء الأرض الميتة، وسبباً لانتشار كل الدواب فيها. ولقد ألقينا - من قبل - بعض الضوء على دور الدواب الصغيرة الخفية، فما دور الماء في انتشار الدواب الأخرى المرئية في الأرض الميتة بعد إحيائها، وما علاقة هذه الدواب بالدواب الخفية، وعلاقة كل ذلك باستمرارية اخضرار الأرض بنمو النباتات عليها؟

إنَّ نمو النباتات على الأرض الميتة يعمل على إيجاد أعداد ضخمة من الدواب المرئية المختلفة والمتنوعة، منها ما يعيش في التربة كالديدان، ومنها ما يأتي ليتغذى على النباتات كحيوانات الرعي، وكل هذه الأنواع من الدواب المختلفة إما أن تترك مخلفاتها في البيئة، أو تبقى أجسادها وأجسامها كمخلفات أخرى في التربة وذلك بعد موتها، وجميع هذه المخلفات التي تتركها الدواب في التربة تحتوي علي كل العناصر والمواد الأساسية لحياة النباتات، ولكنها تكون في صورة غير متاحة للامتصاص، وهنا تلعب البكتريا وغيرها من الكائنات الحية الدقيقة دوراً على أكبر جانب من الأهمية في تحرير العناصر والمواد الأساسية للنمو وإتاحتها للنباتات كي تمتصها، وفي نفس الوقت تعمل على زيادة خصوبة التربة، وذلك بتكوين ما يسمى بالدبال، وهو المادة المتكونة من البقايا النباتية والحيوانية بعد أن تتعرض للنشاط الخمائري (الإنزيمي) لمختلف أنواع بكتريا التربة والفطريات.. فيعمل هذا الدبال على تحسين الصفات الطبيعية والتركيبية للتربة، فيجعلها لينة، ويزيد من قدرتها على الاحتفاظ بالماء، وتعمل

الخمائر (الإنزيمات) البكترية على تحويل المواد العضوية المعقدة التى تتركب منها المخلفات النباتية والحيوانية إلى مواد بسيطة ذائبة سهلة الامتصاص، وإضافة أنواع من المواد المنشطة للنمو والمحفزة لها مثل الفيتامينات.. وبذلك تتحرر من هذه المخلفات المركبات النتروجينية والكبريتية والفوسفاتية ومركبات الحديد والماغنسيوم.

ومن هنا فإن الدواب الخفية (البكتريا وغيرها من الكائنات الدقيقة) هي مصدر أوجده المولى - جلّت قدرته - ليعمل على إمداد التربة بالنتروجين المتحد عن طريق نقله من الهواء مباشرة وحقنه في التربة، أو عن طريق تحليل البقايا العضوية للمخلفات النباتية والحيوانية، حيث تعمل بعض أنواع بكتريا التربة على تحليل المواد البروتينية الموجودة في المخلفات النباتية والحيوانية، وتستخلص منها النتروجين وتحوله إلى مادة تسمّى النيترات، وتعمل الأمم الخفية من الكائنات الحية الدقيقة بالتكافل مع بعضها على إنجاز هذه المهمة، فهناك أنواع من البكتريا تسمّى بكتريا الكلوستريديم والبكتريا العضوية (الباسيلس) تتعاون مع غيرها من الفطريات لتحويل البروتينات النباتية والحيوانية إلى مواد تسمّى أحماض أمينية، وتستطيع كثير من البكتريا وغيرها من الكائنات الدقيقة أكسدة الأحماض الأمينية الناتجة عن تحلل البروتين وتكوين مادة النشادر، وتُعرف هذه العملية بالنشدرة، ويتراكم بعض النشادر في التربة كي تستغله النباتات والكائنات الحية الدقيقة كمصدر غذائي نتروجيني، ويتأكسد البعض الآخر بفعل بكتريا تسمّى بكتريا النيترة أو التأزت، وهي تعمل على تحويل النشادر إلى نيترات، وتعدُّ العمليات المذكورة من أهم العمليات الحيوية التى تقوم بها البكتريا النافعة لزيادة خصوبة التربة بفعل زيادة محتواها من المواد النتروجينية المتاحة للجذور النباتية للامتصاص. وهناك أنواع أخرى من البكتريا تستطيع أن تمد التربة بالعناصر الغذائية الأخرى نتيجة قدرتها على تحليل المواد الكربونية المعقدة الموجودة في التربة الناتجة عن البقايا النباتية والحيوانية، وتستطيع هذه البكتريا أن تحلل المركبات الكربونية، وينتج عن ذلك التحلل غاز ثاني أكسيد الكربون الذي تكون منه النباتات السكريات. ونجد أن المولى سبحانه وتعالى قد جعل النباتات تفرز أنواعاً من المواد والمركبات، من شأنها أن تحفز نمو وتكاثر أنواع مختلفة من الكائنات الحية الدقيقة في منطقة من التربة وهي المحيطة بالجذور، حتى تستفيد النباتات من نتائج النشاطات المختلفة التي تقوم بها هذه الكائنات الدقيقة، وتسمى هذه المنطقة علميا بالمحيط الجذري Rhizosphere وبالدراسة والفحص المجهري وجد أن أعداد الكائنات الحية الدقيقة في المحيط الجذري تفوق كثيراً تلك الأعداد التي توجد في المناطق الأخرى من التربة، والبعيدة عن جذور النباتات. وكل هذه الكائنات الحية الدقيقة منها والمرئية، لم تكن لتتكاثر وتنتشر في الأرض، وتزيد من خصوبة التربة، وتعمل بذلك على استمرارية اخضرار الأرض بنمو النباتات عليها لو لم يُسَخر المولى سبحانه وتعالى الماء لهذه النباتات وهذه الكائنات الحية، وسبحانه القائل {فأحيا به الأرض بعد موتها وبثَّ فيها من كُل دابة}.

الهوامش:

(١) انظر الإتاحة والإمساك في مقال معجزات إلهية، لعبد البديع حمزة زللي، المنهل ٥٦ (٥٢٢): ٤٤ - ٤٧، ذو القعدة/ ذو الحجة ١٤١٥هـ

(٢) انظر كتاب النبات العام، لمصطفى عبد العزيز وزملائه.

حوار مع مفتي مصر

مفتي جمهورية مصر العربية فضيلة الشيخ الدكتور نصر فريد واصف، بحكم منصبه وبحكم ما يحمل من اجتهادات، تظل آراؤه الفقهية مثار جدل بين العلماء.. والمختصين، ولا يخفى أن تجدد الحياة يتبعه النظر الدقيق في فقه بعض القضايا التى تهم وتشغل واقع المسلمين.

والاجتهاد في حد ذاته فضيلة ما دام قائماً على الحق، بعيداً عن الهوى والغرض.

ولا غرابة أن تتعدد آراء المجتهدين بل الغرابة كلها أن يسفه أحدهم رأى الآخر.. وكما يقولون فإن الاختلاف لا يفسد للود قضية.

وهذا الحوار مع فضيلة الشيخ المفتي مجرد نقاط في الطريق، نطرحه لقراء المنهل.. والمنهل كعادته يرحب بالرأي والرأي الآخر.. الرأي الناضج الواعي البعيد عن الهوى والغرض.

«المنهـل»

«المنهـل»

السـلام هو القـضـيـة الكبـرى الشـاغلة للسـاحــة في الشــرق الأوسط .. مـا تصوركم..؟

** إن من أهم الواجبات الشرعية تجاه اسرائيل واعداء الاسلام والمسلمين المعاملة بالمثل خاصة في الأمور الاقتصادية وأنه لا مخرج من الازمة الحالية الا بتكوين تكتل اقـتـصـادى اسـلامى والعـمل على تنفـيـذ قـرارات جـامـعـة الدول العـربيـة في هذا الخصوص لتعليق التعاون الاقتصادي مع اسرائيل بمدى التقدم في عملية السلام. أما وأن اسرائيل لم تلتزم بأى اتفـاقـيـات وتتنصـل من العـهـود فـلابد من المقاطعة الاقتصادية معها. وأن من يتعامل مع أعداء الإســـلام والمسلمين الذين يتنصلون من المواثيق والعهود يكون خائناً ومخالفاً لاحكام الله ومقصراً في حق عقـيدته ووطنه، فالحرب القائمة حالياً هي الحرب الاقتصادية. فيجب أن يكون للمسلمين فيها حـضـور قـوي ومـؤثر ولا يتـحـقق ذلك الا بالتكتل الاقتصادي وإنشاء السوق الاسلامية المشتركة بين العـرب والمسلمين وتحـقـيق ذلك على أرض الواقع سيكون أفضل وسيلة لنزع فتيل الحرب في المنطقة.

«المنهـل»

يعـيش العـالـم الاسـلامي في السنوات الأخـيـرة مـرحلة من الوفـاق الاسـلامي بين الشخصيات الاسلامية. ومرحلة من التعاون بين المؤسـسـات الاسـلامـيـة الا أن البـعض يحـاول إحـداث الوقـيـعـة بين القـيـادات الاسلامية وتتحدث بعض الجرائد والمجلات

حوار : محمود عبدالرحمن اسماعيل
- مصـر -



الدكتور نصر فريد يتحدث الى مندوب المجلة

المنتشرة في العالم الاسلامي عن وجود خلاف جوهري بين شيخ الأزهر والشيخ الشعراوي وبين المفتي والشيخ الشعراوي فما حقيقة هذا الخلاف؟!

** من المعلوم جيداً أن قوة المسلمين في وحدتهم ومما يؤكد ذلك قوله تعالى **{واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}** .. وقوله تعالى **{ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم}**، وقوله **{وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون}**. ومن الأمور الثابتة أن سبب ضعف المسلمين وتخاذلهم وتخلفهم هو الفرقة سواء أكانت الفرقة في الجانب السياسي أم الاقتصادي أم الاجتماعي أم الديني. وهذه الفرقة زادت هوتها وخطورتها في السنوات الأخيرة. ولقد أحسَّ المسلمون بأن الوحدة والتعاون فيما بينهم هي السبيل الوحيد للخروج مما هم فيه الآن من التخلف الرهيب في جميع المجالات. وبدأوا يتجهون الى الإتجاه الاسلامي الصحيح بتحقيق الوحدة فيما بينهم حتى أصبح للوحدة الاسلامية تأثيرها القوي والمباشر .

وهذا التوجه نحو الوحدة لم يرض أصحاب المصالح الخاصة في العالم الاسلامي مما جعلهم يتجهون الى إشاعة الخلاف والفرقة بين القيادات الاسلامية بنشر الأكاذيب والأباطيل في وسائل الاعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة ويعدون اختلاف وجهات النظر والاجتهادات في الأمور المستحدثة ما هي إلا خلافات وصراعات كبيرة بين القيادات الاسلامية.. وهؤلاء لا يفرقون بين الخلاف في العقائد والأصول والخلاف في الفروع، والخلاف بين علماء المسلمين هو خلاف في الفروع الفقهية. والفروع الفقهية تتضمن أموراً مستحدثة تقبل الاجتهاد واختلاف العلماء فيها لا يؤثر على الاسلام. بل هذا يؤكد ثراء الشريعة الاسلامية، وتأكيد أنها صالحة لكل زمان ومكان.

أما عن الخلاف الذى أشيع بينى وبين الشيخ

الشعراوي، البعض منه غير حقيقي والبعض الآخر له وجهه من الصحة والحقيقة، بل يجب التأكيد على أن علماء المسلمين على قلب رجل واحد.

والخلاف الحادث بين فتاوى المفتي وشيخ الأزهر وبين شيخنا الشيخ الشعراوي كالخلاف في وجهات النظر بين الأئمة أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة الإمام الشافعى والإمام أحمد بن حنبل، والإمام مالك، والإمام أبي حنيفة. وخلافهم اثراء للفقه الاسلامي.. فمازال علماء المسلمين بخير وعلى كلمة واحدة يقفون صفاً واحداً خدمة للدين.

المنهل

قضايا الاجتهادات الفقهية.. ما المرجعية المؤكدة لصحتها والأخذ بها..؟

** الخلاف في المسائل الاجتهادية لا يحتاج الى مناظرة. ولم يصل الخلاف بين القيادات الاسلامية الى حد أن يقف العلماء وجهاً لوجه، والذي يحسم القضايا الخلافية في المسائل الفقهية يمكن أن يتم من خلال المؤسسات الاسلامية الكبيرة في العالم الاسلامي مثل مجمع البحوث الاسلامية أو مجمع الفقه الاسلامى في المملكة العربية السعودية، فلا يتم صدور الفتوى فيهما الا بعد بحث ودراسة وتمحيص دقيق. وتصدر الفتوى فيهما بشكل جماعى وليست بشكل فردي. وليست هناك جهات معينة تفرض علينا كعلماء أن نفتي بشيء لا يتفق مع احكام الشريعة الاسلامية أو أن نحلل شيئا حرمه الله ورسوله.

المنهل

في الأونة الاخيرة كثر الحديث عن الارهاب والعنف، فهل يدخل في هذا من يدافع عن ارضه ووطنه وعرضه كما يفعل الفلسطينيون الآن..؟

** إذا كان الانسان يدافع عن دينه وعرضه وأرضه فهذا العمل من الدين. وما يقوم به الفدائيون في فلسطين من الدفاع عن وطنهم وعن عقيدتهم وعرضهم. أمر حثت عليه الشريعة الاسلامية ولو تراخوا عن ذلك كانوا خائنين لوطنهم.. لكن يجب أن يكون الفدائيون يداً واحدة حتى لا تكون الأعمال الفدائية اعمالا فردية بل يجب أن تكون منظمة وتحت رأى القيادات حتى يتم النصر للمسلمين على أعدائهم باذن الله تعالى وتوفيقه. نكرر أن الدفاع عن الدين والوطن والعرض أمر مشروع، ولا يدخل في مسمى الارهاب المصطلح عليه في زماننا هذا.

واكرر أيضاً ضرورة ان يكون هذا الدفاع عن الدين والوطن والعرض في إطار المنهجية الشرعية، حتى لا يفلت القياد ويتحول الأمر إلى أسلوب من الهمجية والفوضى، لا تقره الشريعة الاسلامية.

المنهل

هل تعيد دار الافتاء المصرية طرح فوائد

**** المنهل: مرجع أدبي وفكري وابداعي**
.. توصل الوعى الاسلامي الى النضج
**** التطاول على الانبياء والعلماء**
.. ليس فكراً أو ابداعاً

البنوك للمناقشة وإعادة النظر فيها مرة أخرى؟!

** أنا لا أعيد طرح هذه القضية مرة أخرى للمناقشة لان هذه القضية أصبحت محسومة، ومن لم يفهمها يرجع الى الفتاوى والدراسات والأبحاث التى كتبتها والتى وصلت الى أكثر من ٢٥ دراسة نظرية وعملية في هذا المجال. ولم يقل أحد من العلماء بأن الربا حلال.

المنهل

فضيلة المفتي انتشرت في معظم بلاد العالم الاسلامى ظاهرة السحر والدجل والشعوذة ودخول الجن جسد الإنسان. وأخذت هذه القضية من تفكير المسلمين وقتاً طويلا وللآن لم يفيقوا منها. فما هي الرؤية الشرعية في ذلك؟!.

** لا ننكر أن الجن موجود ومنه المسلم ومنه غير المسلم ومنه العاصى ومنه المؤمن لكنه مخلوق من غير المادة التى خلق منها الانسان والحقيقة أن كل هذه الظواهر التى يؤكدها أصحابها من أن فلاناً عليه جن أو فلاناً عليه عفريت أو غير ذلك كل هذا تهريج ودجل. لان الذى بيده الضر والنفع وبيده المنع والعطاء وبيده الشفاء والمرض هو الله تعالى. ولا يمكن أن يتدخل المخلوق في مشيئة الخالق وارادته. ولا يجب أن نترك الدجالين والمشعوذين والسحرة دون عقاب رادع. وأن الحكم الشرعى في هؤلاء هي تطبيق العقوبات التعذيرية، فكل صاحب بدعة وفتنة تطبق عليه هذه العقوبات، يجددها ولي الأمر أو من يوكله فى ذلك وقد أفتى بعض الفقهاء والعلماء بأن الساحر يقام عليه الحد ويقتل، حتى يتفرغ المجتمع وافراده الى ما هو نافع ومفيد وصالح للامة.

المنهل

قضية الاستنساخ التي أثيرت في الفترة الأخيرة.. جميع علماء المسلمين في العالم الاسلامى رفضوه في الانسان واباحوه في غيره.. فهل توافقهم على هذه الفتوى .. ولماذا؟!



** الحكم الشرعى في هذه القضية واضح ومعلوم. فالاسلام لا يمنع الاستنساخ في أي شيء غير الانسان. لأن ذلك إذا تحقق فسيكون تدخلا في قدرة الله تعالى. وقال تعالى: **{وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة}**، وهذا الاستخلاف جعل الله له طريقاً معيناً لا يتم الا به وهو طريق التزاوج الشرعى بين الذكر والانثى وبهذا تحفظ الانساب.. وحفظ النسل من الكليات الرئيسية التى كفلها الشرع للانسان في أى مجتمع، وكل النصوص التى تعرضت لها أثناء بحثى في هذه القضية وجدت أن الله تعالى لم يجعل طريقا لتناسل البشر الا هذا الاسلوب الطبيعي.

وصدق الله العظيم حيث يقول: {وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة إذا تُمْنَى} وهذا هو الاسلوب الوحيد الذى يضمن عدم اختلاط

الانساب.. وإذا تحققت عملية الاستنساخ في الانسان فستؤدى الى خلخلة في النظام الاجتماعى في المجتمع.. ومن ذلك يتضح لنا أن الاستنساخ في البشر حرام ويكون مباحاً في المزروعات والحيوانات وغير ذلك.

«المنهل»

ما هو البعد الفقهي الذي بنيت عليه فضيلة المفتى هذا الحكم؟!.

** إذا طبقت تجارب الاستنساخ على الانسان سيحدث خلل في الوظائف الإجتماعية. ولا توجد علاقة زوجية فلا يعرف الانسان أباه أو أمه أو اخته أو خالته أو خاله أو عمه أو عمته. وهنا لا توجد علاقة سكن أو مودة أو رحمة. ولا نجد مجتمعاً مترابطاً. بل نجد بشرا يتكاثر مثل النبات وقطيع الاغنام. ويصبح الفصل في قضايا الطلاق والزواج والميراث وغيرها من الامور الفقهية صعبا بل مستحيلا ، فضلا عن أن الإستنساخ البشري سيؤدى الى إحداث مشاكل كثيرة في معدلات النمو البشري، فقد يلجأ الاغنياء الى استنساخ مئات النسخ من أنفسهم لتقسيم ثرواتهم عليهم، وقد يتزايد جنس على حساب جنس آخر فتحدث أزمات في الزواج.

كل هذا لاننا تجاوزنا حدودنا وتدخلنا فيما خص الله به نفسه.. لكنى أؤيد الاستنساخ في النبات والحيوان.

«المنهل»

جميع الدول الاسلامية تتحدث ع التضامن الاسلامي كلاماً فقط فما هي الأسباب التي تراها فضيلتكم في عدم تحقيقه على أرض الواقع؟!

** في الحقيقة اننى أتأسف أسفاً شديداً على ما آل إليه العالم الاسلامي من تخلف وتشرذم وتباعد بين الاهداف والمبادىء والاسس الاسلامية. واصبحت السمة الغالبة على ابناء الوطن الاسلامي هي التمزق والتناحر والتخاصم.. وأرى أن عدم تحقيق التضامن الاسلامي يرجع الى عدة أسباب بعضها يرجع الى غلبة حب الدنيا والنظر الى المصالح الخاصة، والأمية والفقر والجهل، والبعد عن منهج الله وشرعة.. وصدق الله العظيم حيث قال: {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم} وبعدنا عن هذا المنهج لأننا ضعفنا واصبحنا هدفاً سهلا لاعدائنا ـ فالمنهج الاسلامى السليم هو الإصلاح والنظر الى الامور على اعتبار أننا اخوة واننا جسد واحد ودم واحد ومصلحة واحدة وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

واعتقد أن الأمة الاسلامية تدفع الآن الثمن نتيجة التفرق والتمزق والخلاف الذى تعيشه..فواجب علينا أن نعمل جاهدين جميعاً على عودة الصف العربي الى الوحدة والتضامن كما كان وما ذلك على الله بعزيز.

**** لا افكر في إعادة قضية فوائد البنوك للمناقشة مرة أخرى**

**** دخول الجن جسد الانسان.. دجل وتهريج**

** الخلاف بين شيخ الازهر والمفتى وبين الشيخ الشعراوى كالخلاف بين الائمة الاربعة

** المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل .. جهاد في سبيل الله

«المنهل»

ما هي الرسالة التي يريد أن يوجهها فضيلة مفتى الديار المصرية للمسلمين في الداخل والخارج؟!

** اخاطب المسلمين جميعا رجالا ونساء في الداخل والخارج أن السعادة والنجاح والفلاح والهداية في اتباع منهج الله والالتزام باحكامه وشريعته في جميع أمورهم العامة والخاصة. وأنه لا انتصار لنا على اعداء الامة الا بالوحدة والاعتصام بحبل الله تعالى.

«المنهل»

ما تقييم فضيلتكم لمجلة المنهل؟ وما هو انطباعكم عن الموضوعات التى تتناولها؟!

** لقد تصفحت مجلة المنهل وجذبتني المادة العلمية والادبية والفكرية التي تحتويها .. فهي بحق قادرة على تشكيل الوعي الإنساني والاسلامي الى النضج في مختلف المجالات التى تهتم بها المجلة. فهى تعتبر مرجعاً أدبياً وفكرياً عربياً .. لما تتميز به من تنوع في الافكار والموضوعات واللقاءات وتمتاز باختيار عدد من الكتاب والمفكرين والدعاة الاسلاميين البارزين الذين لهم مكانة كبيرة في قلوب الامة الاسلامية.. فضلا عن تميزها في الطباعة والاخراج الجيد لموضوعاتها التى تساعد القاريء على تصفحها وقراءتها قراءة متأنية متفحصة.. فهي بحق المنهل للمثقف والمفكر والمبدع والكاتب والمؤلف في شتى المجالات ذات التطور الاسلامي.

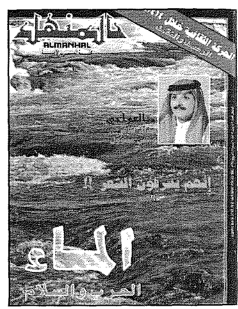
«المنهل»

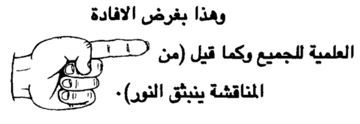
التفكير والابداع: ترى ما التصور المنهجي لهما في رأي فضيلتكم ؟!

** حث الاسلام على التفكير والابداع حيث جعل التفكير فريضة إسلامية والكتابة ونظم الشعر من الأمور المحمودة التى كان يشجع عليها الاسلام وكل ذلك مكفول للمسلم والمسلمة على حد سواء بشرط أن يكون في حدود الضوابط الشرعية بحيث لا يكون التفكير في معصية الله أو فيما يخالف تعاليم واحكام الشريعة الاسلامية. والا يكون الابداع وكتابة القصة والرواية خارجا عن القيم والاخلاق والمبادىء الاسلامية الرفيعة. فكل تفكير وابداع وكتابة للقصة والشعر يتفق مع التطور والاتجاه الاسلامي نرحب به ونشجعه أما إذا كان التفكير والابداع تطاولا على الذات الألهية أو كان تطاولا على الأنبياء والصالحين والعلماء فهذا تفكير مرفوض ولا نوافق عليه. فكمال الفكر ونضجه إذا وافق قيم الاسلام وتعاليمه.


الفيصل




غلاف عدد صفر ١٤١٥ هـ



في العدد السابق

(رمضان ١٤١٨هـ) وفي الصفحات

(٥٠ ـ ٥٩) نشرنا الجزء الأول من هذا

التعقيب للأستاذ التوزاني٠٠ وفي هذا العدد ننشر

الجزء الثاني ـ الأخير ـ من هذه الدراسة القيمة٠٠

وكما أشرنا في العدد السابق فإن المنهل تفتح

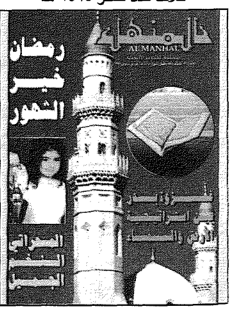
صفحاتها دائماً للنقاش الحرّ الذكي، العلمي، بعيداً

عن المغالطات والاغراض الشخصية٠٠

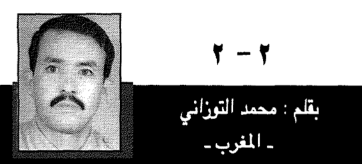
وهذا بغرض الافادة

العلمية للجميع وكما قيل (من

المناقشة ينبثق النور)٠


غلاف عدد رمضان ١٤١٥ هـ

٢ - ٢



بقلم : محمد التوزاني

ـ المغرب ـ



يقول الأستاذ **أحمد زكي منصور** في موضع آخر من مقاله: «وأما ما دار من كلام حول بيت الفرزدق:

كم دون ميّة من مستعمل قذف

ومن فلاة بها مستودع العيسِ

فمنقول من الكتاب ص ١٨. وكذلك قول الفرزدق (فلضوال الشعر أحبّ إلي من ضوال الإبل) فمنقول من الصفحة نفسها (١٨) من الكتاب.».

والذي يجب التنبيه عليه بدءاً هو أن هذه النصوص ترد في رواية واحدة. وقد عبر الأستاذ بنفسه صراحة عن وعيه بهذه الوحدة بدليل قوله: «وأما ما دار من كلام حول بيت الفرزدق.. فمنقول من الكتاب ص١٨». والغريب أن الأستاذ يتهمنا من خلال هذا القول بأن الرواية منقولة كاملة من الكتاب، ثم يعمد إلى التكرار فيقول: «وكذلك قول الفرزدق.. فمنقول من الصفحة نفسها من الكتاب». فما الجدوى من هذا التكرار، ونحن نعلم، بل والأستاذ نفسه يقر أن قول الفرزدق هذا ما هو إلا جزء من الرواية المذكورة.. اللهم إلا إذا كان الرجل يرمي بذلك إلى استكثار سرقاتنا المزعومة.

وأسوق هنا هذه الرواية كاملة كما وردت في مقالي حتى تتضح هذه الوحدة التي لا تقبل - في رأينا - التجزيء والتمزيق: «روى أحمد بن أبي طاهر عن أبي العباس ثعلب، عن ابن الأعرابي، عن أحمد بن محمد الجوهري، عن الحسن بن عليل العنزي، عن المازني، عن الأصمعي أن أبا عمرو بن العلاء لقي الفرزدق في المربد، فاستنشده من شعره، فأنشده الفرزدق:

كم دون ميّة من مستعمل قذف

ومن فلاة بها تستودع العيس

فقال أبو عمرو بن العلاء: سبحان الله هذا المتلمس!. فقال الفرزدق: اكتمها فلضوال الشعر أحب إليَّ من ضوال الإبل». فما قول الفرزدق، إذن، إلا جزء من هذا الحديث الطريف الذي دار بين الشاعر وبين أبي عمرو بن العلاء. ثم لماذا تغاضى الأستاذ أحمد زكي عن هذا السند الطويل الذي صدَّرت به الرواية في مقالي، مع أن نص الرواية ورد في كتاب «مشكلة السرقات» مجرداً عن هذا السند؟.

يقول المؤلف - يرحمه الله - مقدماً لهذه الرواية «ويذكر أبو عمرو بن العلاء أنه لقي الفرزدق في المربد...الخ»[١].

فلو كنت نقلت هذه الرواية من كتاب «مشكلة السرقات» لما احتجت إلى هذا السند الطويل الذي قدمت به الرواية، بل لما اهتديت إليه أصلا !.

ويقول الأستاذ **أحمد زكي**: «وأما ما جاء في المقال من تعريض الفرزدق بسرقة كُثَيْر من جميل، إلى آخر الرواية التي جاءت في المقال فهو منقول من الكتاب ص٢١».

ونرى من اللازم علينا - بدءاً - أن نبسط بين يدي القارىء الرواية التي اعتمدناها في مقالنا، وهذا نصها: «أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال حدثني الزبير قال حدثني أبي عن جدي أن الفرزدق لقي كُثيراً فقال له: ما أشعرك يا كُثير في قولك:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما

تمثل لي ليلى بكل سبيل

فعرض له بسرقته إياه من جميل:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما

تمثل لي ليلى على كل مرقب

فقال له كثير: أنت يا فرزدق أشعر مني في قولك:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا

وإن نحنُ أومأنا إلى الناس وقّفوا

قال: وهذا البيت لجميل سرقه الفرزدق...الخ»[٢]. وحتى يتضح وجه الحقيقة نسوق الرواية المعتمدة في كتاب «مشكلة السرقات». «أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن

ـد العزيز عن ابن شهاب عن طلحة بن عبد الله بن
ـف قال: لقي الفرزدق كثيراً بقارعة البلاط وأنا وهو
ـشي، فقال له الفرزدق: يا أبا صخر! أنت أنسب
ـعرب حيث تقول:

أريد لأنس ذكرها .. (البيت)

قال: وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

ترى الناس ما سرنا يسرون... (البيت)

... الخ».

وندعو القارىء بعد ذلك أن يتأمل معنا سند الرواية التي اعتمدناها في مقالنا وهو: «أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني أبي عن جدي أن الفرزدق لقي كثيراً فقال له..» ثم لنتأمل سند الرواية الواردة في كتاب «مشكلة السرقات» ، وهو: «أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبيد قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: لقي الفرزدق كثيراً».

ونظن أن الاختلاف بين السندين واضح ولا يحتاج إلى تفصيل.. ثم لنتأمل متني الروايتين.. فإن قول الفرزدق في الرواية الأولى المعتمدة في مقالنا: «ما أشعرك يا كثير في قولك...»، مخالف لقوله الذي ورد بصيغة مغايرة في الرواية الثانية المعتمدة في كتاب «مشكلة السرقات» وهو: «يا أبا صخر! أنت أنسب العرب حيث تقول...». ويكفي أن نشير إلى أن قول الفرزدق في الرواية الأولى جاء عاما، بينما نراه في الرواية الثانية مخصصاً بتحديده وحصره الغرض الشعري ألا وهو النسيب. ثم إن قول الفرزدق في الرواية الثانية يتضمن هذه المفاضلة الشعرية الساخرة وذات الحكم المطلق: «أنسب العرب» وهي غير موجودة في الرواية الأولى..

ثم لنتأمل قول كثير في الرواية الأولى: «أنت يا فرزدق أشعر مني في قولك..»، وقوله بصيغة مخالفة في الرواية الثانية «وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول..». فإذا كانت صيغة القول قد جاءت عامة في الرواية الأولى من حيث عدم تخصيصها لفن شعري بعينه، فإن صيغة القول في الرواية الثانية تخصص فنا شعريا هو (الفخر). ثم إذا كان قول كثير في الرواية الأولى قائما على مفاضلة شعرية ثنائية ساخرة بين كثير والفرزدق، فإن قول كثير في الرواية الثانية يتعدى في المفاضلة هذه الثنائية إلى سائر شعراء العرب بإطلاقه للحكم: «أفخر العرب» والغرض من هذه المفاضلة هو التعريض والسخرية بالطبع.

ولن نخوض هنا في صحة الروايتين وفي أيهما أوثق، ولكن حسبنا أن الرواية التي أثبتناها في مقالنا مخالفة للرواية الواردة في كتاب «مشكلة السرقات» متناً وسنداً.. فكيف يصح - إذن - أننا نقلنا الرواية من «مشكلة السرقات»؟!.. **ولو أن الأستاذ الكريم رجع إلى الأصول ومحّص بإمعان وتؤدة هذه الرواية لكفى نفسه وكفانا مثل هذا الحكم المتسرع:** «فهو منقول من الكتاب ص ٢١»، ولتنبّه - في المقابل - على أن الأمر إنما يتعلق بإضافة نوعية تستحق التنويه لا التشويه!.. وإذا كنت لم أشر في الهوامش إلى المصدر الذي اعتمدته في هذه الرواية - اطمئنانا إلى أنها معروفة ومتداولة في المصادر والمراجع، وتجنبا لشحن الهوامش التي تعدّت في مقالي ثلاثين هامشا - **فقد كان يكفي الأستاذ أحمد زكي استثمار هوامش المرحوم الدكتور هدارة نفسه ليقف على اختلاف الروايتين.**

ثم يقول الأستاذ أحمد زكي: «وأما تبادل التهم بين جرير والفرزدق بالسرقة الذي أثبته صاحب المقال فهو منقول من الكتاب ص ٢٠».

ويقصد الأستاذ بحكمه هذا أن ما أوردناه في مقالنا بقولنا: «فهذا جرير يسفه الفرزدق وشعره فيقول:

ســتــعلم من يكون أبوه قــيناً

ومن عُرفت قــصــائده اجــتــلابا

ويقابل الفرزدق التهمة بالمثل، فيقول في حق جرير:

إنَّ استراقك يا جرير قصائدي

مــثل ادعــاك ســوى أبيك تنقل

منقول من كتاب «مشكلة السرقات». ولعل الأستاذ لم يلتفت إلى اختلاف بيت جرير في مقالي عنه في كتاب «مشكلة السرقات» من حيث الرواية، ذلك أن البيت يرد في الكتاب كالتالي:

ســتــعلم من يكون أبوه قــينا

ومن كـانتْ قـصـائده اجـتـلابا

فلفظ (عُرفت) مخالف للفظ (كانت) وهذا يكفي لنفي النقل المزعوم. اللهم إلا إذا كان اختلاف الروايات لا يدخل في الاعتبار عند الأستاذ أحمد زكي.

ومهما يكن من أمر فإن الذي أغفله الرجل حقاً هو أن الدكتور بدوي طبانة سبق إلى إثبات بيتي الفرزدق وجرير سالفي الذكر وفي نفس الغرض، أي تبادل تهمة السرقة بين الشاعرين. ودونك السياق الذي ورد فيه البيتان عند الدكتور طبانة، يقول: «وقديما ادعى جرير على الفرزدق السرق فقال: ستعلم من يكون أبوه قيناً.. (البيت)

وادعى الفرزدق مثل ذلك على جرير فقال:

إن استراقك يا جرير قصائدي.. (البيت)[٣]

وبعد ، فإذا كان الأستاذ مازال مصراً على فكرة النقل، فعليه أن يختار من أي الكتابين كان النقل: من كتاب الأستاذ طبانة، أم من كتاب المرحوم هدارة، أم منهما معاً، أم كان النقل بـ «التواتر» عن كتاب «السرقات الأدبية» للأستاذ طبانة؟!.. ولكن لا بأس أن أهمس في أذن الأستاذ: إن البيتين المذكورين في مقالي لا يختلفان عنهما في كتاب الأستاذ طبانة من حيث الرواية!.

وبعد أن ينهي الأستاذ أحمد زكي حديثه عن «سرقاتنا المزعومة» الخاصة بالعصر الأموي، ينتقل إلى العصر العباسي، فيقول: «ويكتفي الناقل الهمام بنقل هذه المواضع من سرقات العصر الأموي لينتقل مع استاذه الدكتور هدارة إلى عنوان آخر (السرقة في العصر العباسي) الذي يبدأ في (مشكلة السرقات) ص ٢٩. فيأخذ بشيء من التحوير الفاضح لأمره ما قاله الدكتور هدارة عن الحركات النقدية النشطة التي دارت حول الشعراء في هذا العصر، وكان أساسها موضوع السرقات، وينقل كذلك ما ذكره الدكتور هدارة من نقل سلم الخاسر لأفكار أستاذه بشار (انظر ص ٣٠ من الكتاب)».

أما أخذنا «بشيء من التحوير الفاضح لأمرنا» - حسب تعبير الأستاذ - ما جاء في «مشكلة السرقات» عن الحركات النقدية النشطة المرتبطة بموضوع السرقات.. فلن نعقب عليه لأن الأستاذ الكريم لم يوضح لنا ولا فصَّل لنا - وعلى غير عادته - وجوه هذا «التحوير الفاضح»، وهلا تفضل الأستاذ وحدد بوضوح هذه الوجوه تنويراً للقارئ، لنرى بعد ذلك هل ما ذكرناه حول السرقة الشعرية في العصر العباسي هو نفس ما جاء في كتاب «مشكلة السرقات» دون غيره من كتب النقد والسرقات..؟.

وأما قول الأستاذ أحمد زكي في حقنا «وينقل كذلك ما ذكره الدكتور هدارة من نقل سلم الخاسر لأفكار أستاذه بشار (انظر ص ٣٠ من الكتاب). فيقصد به أن قولنا في المقال: «وقد كانت لبشار نفسه مواقف وخصومات مع سارقي شعره، ولعل من أطرفها تلك التي كانت له مع سلم الخاسر»: منقول من قول الدكتور هدارة - يرحمه الله - في «مشكلة السرقات»: «يحدثنا الرواة أن بشاراً حين كتب بيته:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

وفــاز بالطيــبــات الفــاتك اللهج

أخذه تلميذه سلم الخاسر فقال:

من راقب الناس مـات غـمـا

وفـاز باللذة الجـسـور

ويذكر الرواة أن بشاراً حين سمع بهذه السرقة قال: يعمد إلى معاني التي سهرت فيها ليلي، وأتعبت فيها فكري فيكسوها لفظاً أخف من لفظي فيروى شعره ويترك شعري!»[٤].

ولو أنصف الأستاذ أحمد زكي وأمعن النظر لما احتاج إلى هذا الحكم. فكيف يصح النقل هنا وقد كان كلامي حول سرقات الشعراء من بشار وسرقات سلم منه ـ بخاصة ـ عاما لم يحدد سرقة بعينها أو قولا بعينه؟.. بينما نرى كلام المرحوم هدارة مخصصاً يحدد سرقة بعينها ويثبت فيها البيت المسروق والبيت المسروق منه، ثم يذكر قول بشار بعد ذلك وقد بلغه خبر هذه السرقة.. ولكن لا بأس، فلنقبل مع الأستاذ أحمد زكي ـ تجاوزاً ـ بجواز قيام النقل في أمور كهذه، لنرى القضية من زاوية أخرى، فلعله قد غاب عن الأستاذ أن هذه السرقة المشهورة التي وردت في كتاب «مشكلة السرقات» مذكورة من قبل في كتاب «أصول النقد الأدبي» للأستاذ أحمد الشايب وبالضبط في باب «السرقات الأدبية»[٥].

ونرى هذه السرقة بعينها عند الدكتور بدوي طبانة في كتابه «السرقات الأدبية» مع اختلاف في تحديد اسم السارق (دعبل الخزاعي عوض سلم الخاسر)[٦]. ولا يقتصر الأمر في ذكر هذه السرقة على كتاب الأستاذ أحمد الشايب وكتاب الأستاذ بدوي طبانة، بل نجدها في الكثير من كتب الأدب والنقد المعاصرة، فهذا الدكتور نايف محمود معروف يورد هذه السرقة ـ نفسها ـ في كتابه «سلم الخاسر شاعر الخلفاء والأمراء في العصر العباسي»[٧]. وهذا السيد أحمد الهاشمي يتعرض في كتابه «جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع» للسرقات الشعرية فيعرض هذه السرقة ذاتها في معرض حديثه عن «المسخ» أو «الإغارة»[٨].. وما هذا إلا غيض من فيض.. فهلا تفضل الأستاذ ليقرر لنا ممن كان النقل؟!.. وإلا فسنسْقُطُ في ورطة «خراش»:

تكاثرت الظبـاء على خـراش

فـمـا يدري خـراش مـا يصيد

ويقول الأستاذ أحمد زكي: «ثم يمضي إلى ما ذكره الكتاب (أي كتاب «مشكلة السرقات») ص ٤٣ عن سرقة الشعراء من أبي نواس، وقصيدته التي توجه بها إلى محمد بن زهير صاحب الشرطة».

والأستاذ يقصد بكلامه هذا أن قولنا: «والظاهر أن أبا نواس لم يكن يتساهل مع المتسلطين على شعره، يؤكد ذلك ما حدث له مع جبار بن محمد الكاتب حين طلب محمد بن زهير إلى جبار أن ينشده شعراً، فانشده أبياتاً لأبي نواس ادعى أنها له ، وهي:

صـاح مـالي وللرسوم القـفـار

ولـنـعـت المطي والأكـوار

شـغلتني المدام والقـصف عنهـا

وسـمـاع الغناء والمزمـار

وما إن سمع أبو نواس هذا الشعر ـ وكان حاضراً ـ حتى وثب وتعلق بجبار وجعل يصيح مخاطباً محمد بن زهير: (الأبيات): منقول من كتاب «مشكلة السرقات» للأستاذ هدارة يرحمه الله تعالى.

ولو أنعم الأستاذ النظر وحقق النصوص وتدبر أسماء الأعلام بروية لما فاته أن يلاحظ أن اسم السارق ورد في كتاب «مشكلة السرقات» بشكل مغاير لما جاء في مقالي، فقد جعله المرحوم هدارة ـ تبعاً للمصدر الذي اعتمده في نقل الخبر وهو كتاب «المنصف» لابن وكيع ـ «خيار بن محمد الكاتب» بدليل قوله ـ يرحمه الله ـ «يذكر الرواة أن محمد بن زهير صاحب الشرطة استنشد يوماً خيار بن محمد الكاتب فأنشده أبياتاً لأبي نواس ادعى أنه قائلها»[٩] بينما جاء اسم هذا

العلم في مقالي هكذا «جبّار بن محمد الكاتب» طبقاً للمصدر الذي اعتمدته في نقل هذه القصة، وهو شرح الشريشي على مقامات الحريري[١٠]، ومن ثم وتبعاً لهذا الإختلاف الواضح في رسم اسم هذا العلم (جبّار - خيار)، فإن بيت أبي نواس في كتاب «مشكلة السرقات»:

صار شعري قطيعة لخيار (البيت)

يختلف عنه في مقالي:

صار شعري قطيعة لجبّار (البيت)

وبعد، فلن نخوض في تحقيق هذا الاسم - أصبنا في إثباته أم أخطأنا - لأن بيت القصيد عندنا، هو إن هذا الاختلاف يكفي وحده لنفي النقل المزعوم.

ويقول الأستاذ أحمد زكي في موضع آخر من مقاله: «وينقل الكاتب بعد ذلك أبياتاً للبحتري يهاجم فيها عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لسرقته من أشعاره، والقصة بأكملها منقولة من كتاب (مشكلة السرقات) ص ٥١».

ويقصد الأستاذ بكلامه هذا أن قولنا: «ولم يكن البحتري أقل غيرة على أشعاره من أبي تمام، ولا جرم وقد كان يستعدي الأمراء على سارقي شعره، ومن ذلك ما وقع له مع عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الذي كان عارض قصيدة للبحتري وأخذ من ألفاظها ومعانيها، فساء ذلك أبا عبادة وقال يتظلم منه إلى أحد الأمراء: (الأبيات)...»، منقول من كتاب «مشكلة السرقات»، ولو أن الأستاذ أحمد زكي توخى التحقيق وتحرى التدقيق لما فاته أن الدكتور بدوي طبانة سبق إلى إثبات قصة هذه الأبيات في كتابه «السرقات الأدبية»، وذلك في قوله: «وكان البحترى قال قصيدة في أبي العباس بن بسطام أولها:

من قائل للزمان ما أربه (البيت)..

فعارضه فيها أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بقصيدة يمدح بها الموفق أولها:

أجد هذا المقام أم لعبه؟ (البيت)

فاستعار من معانيها وألفاظها ما أوجب أن يقول البحتري: (الأبيات)[١١].

ونرى من الواجب علينا أن ننقل، هنا، كلام المرحوم هدارة - موضوع نقلنا المزعوم - تحرياً للموضوعية والأمانة العلمية، يقول يرحمه الله: «ويروي النقاد مثالا يصدق قول البحتري، فهم يذكرون أنه حين كتب قصيدته في أبي العباس بن بسطام والتي أولها:

من قائل للزمان ما أربه.. (البيت)

عارضه فيها أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بقصيدة يمدح بها الموفق أولها:

أجد هذا المقام أم لعبه .. (البيت)

فاستعار من ألفاظها ومعانيها ما أوجب أن قال البحتري فيه: (الأبيات)[١٢].

فلو صح - إذن - أنني نقلت قصة أبيات البحتري هذه لوجب أن يكون النقل - من باب أولى - من كتاب «السرقات الأدبية» للدكتور بدوي طبانة، ثم إن القبول بمقياس الأستاذ أحمد زكي في السرقات سيقودنا - حتماً - إلى نتيجة سخيفة، وهي أن المرحوم هدارة نقل قصة البحتري هذه وأبياته من كتاب الأستاذ طبانة دون أن يشير إلى ذلك في هوامشه!.. ونحن نربأ بالأستاذ الفقيد عن نتيجة كهذه؛ وإنما نسوق هذا الافتراض حتى يكون ميزاناً صادقاً لمعايير الأستاذ أحمد زكي في الاستقراء والتقويم والحكم..

وقد يسأل سائل: لماذا اختار الأستاذ هدارة - في إيراد هذه القصة - نفس العبارات التي نجدها في كتاب الأستاذ طبانة: (قصيدته في أبي العباس بن بسطام التي أولها)، (عارضه فيها .. بقصيدة يمدح بها الموفق أولها)، (فاستعار من ألفاظها ومعانيها ما أوجب أن قال البحتري)؟.

إن هذه العبارات التي يلاحظ القارىء أنها ترد بنفس الصيغة عند الرجلين إنما هي العبارات الأصلية الثابتة في المصادر التي اعتمدها الأستاذ طبانة، ثم

ستاذ هدارة، ثم عبد ربه الضعيف، وبخاصة كتاب نصف» لابن وكيع[١٣] و«شرح مقامات الحريري» شريشي[١٤]، وبذلك فلا مجال للنقل هنا.

ويقول الأستاذ أحمد زكي في موضع آخر من مقاله: «وبعد أن فرغ كاتب المقال من هذا السطو نظم ذيل مقاله بنقول متفرقة من كتاب (مشكلة السرقات)، فشعر أحمد بن أبي طاهر في محاجة لبحتري منقول من ص ١٢٢ من (مشكلة السرقات)، وشعر الصاحب بن عباد منقول من ص ٦٧ من الكتاب، وحتى ما نقله عن الحريري في المقامات منقول من الكتاب من الصفحة نفسها ص ٦٧».

ولعل الأستاذ الكريم نسي أن هذه النصوص معروفة ومتداولة في كتب الأدب والنقد المعاصرة فضلا عن القديمة؛ بل من هذه النصوص ما هو مخالف من حيث الرواية للنصوص المذكورة في «مشكلة السرقات»؛ ومنها ما هو وارد في كتب سابقة في الصدور على كتاب «مشكلة السرقات».

وليتأمل معنا الأستاذ أبيات الصاحب بن عباد كما وردت في مقالنا وبخاصة البيت الثاني، وهو:

فسوف أجزيك ضعفاً

بكلُّ رأساً وأخدع

ثم ليتدبر الأستاذ بروية هذا البيت كما ورد في «مشكلة السرقات»، وذلك كما يلي:

فسوف أجزيك صفعاً

يفلُّ رأساً وأخدع[١٥]

وبعد، فلعل الرجل لا يجادل في أن لفظي (ضعفاً) و(يكلُّ) في مقالي، يختلفان عن لفظي (صفعاً) و(يفُلُّ) في كتاب «مشكلة السرقات»، وذلك من حيث مصدر الاشتقاق والدلالة اللغوية.. وقد رجعت إلي كتاب «مشكلة السرقات» للتحقق من مصدر هذه الأبيات، فاتضح لي من خلال الهوامش (هامش رقم٢، ص ٨١) أن المرحوم هدارة اعتمد في إثبات أبيات الصاحب بن عباد على كتاب «شرح مقامات الحريري» للشريشي بطبعة (بولاق، القاهرة ١٣٥٠هـ) طبقاً للائحة المصادر والمراجع المثبتة في آخر الكتاب (انظر ص ٣٣٧).

أما (عبد ربه) فقد اعتمد في إيراد أبيات الصاحب على نفس المصدر، لكن بطبعة (دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، وقد أشرنا إلى هذه الطبعة في هوامش مقالنا (هامش رقم٢)؛ ولعل الاختلاف - المذكور سابقا - في ألفاظ البيت الثاني يرجع إلى اختلاف طبعات الكتاب، وأياً كان سبب هذا الاختلاف **فحسبنا به دليلا على نفي هذا النقل الذي يقول به الأستاذ أحمد زكي.**

ثم إن الأستاذ ما إن قرأ قولي في المقال: «ولا عجب و(استراق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء، وغيرتهم على بنات الأفكار كغيرتهم على البنات الأبكار) كما يقول الحريري»؛ حتى استعاض عن التحقيق بالتوكيد زاعماً أن قولة الحريري هذه منقولة من «مشكلة السرقات». ولو أنعم الرجل النظر وتصفح كتاب «السرقات الأدبية» للدكتور بدوي طبانة لوقف فيه على مقولة الحريري.

يقول الأستاذ طبانة: «وقد أشار الحريري إلى عظم فعل السرقة في المسروق إذا كان حياً بقوله في إحدى مقاماته: (واستراق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء... الخ)[١٦]. فالأحرى، إذن، إذا صحَّ هذا النقل المزعوم أن يكون من كتاب «السرقات الأدبية» للأستاذ طبانة!.

ونحن نخلص إلى أن هذه النصوص الأدبية التراثية المشتركة التي يقول الأستاذ بأنَّا نقلناها من كتاب «مشكلة السرقات» متداولة ومعروفة في سائر كتب الأدب والنقد المعاصرة - فضلا عن المصادر القديمة - سواء ما تعلق منها بالسرقات الشعرية بخاصة، أم بغيرها من قضايا النقد الأدبي بعامة، ومن هذه المراجع الأدبية ما هو سابق في الصدور على

كتاب «مشكلة السرقات»٠٠ ثم لابد أن ننبه، هنا، على أن هذه النصوص التراثية معروفة ومذكورة كذلك في المراجع التي تُعنى بجمع وتصنيف النصوص النقدية القديمة، وأذكر منها - على سبيل المثال لا الحصر - كتاب «نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين» للدكتور الشاهد البوشيخي، وكتاب «نصوص النظرية النقدية عند العرب من العصر الجاهلي إلى أوائل القرن الثالث» للدكتور وليد قصاب، وقد عرض المؤلف النصوص المتعلقة بالسرقات الشعرية في هذا الكتاب من (ص ٢٠٠ إلى ص ٢٠٥)[١٧]٠

فلماذا يكون مقالي منقولا - كما يزعم الأستاذ - من كتاب «مشكلة السرقات» بالذات، ولا يكون تبعاً لمنطق النقل هذا منقولا من سائر هذه الكتب؟!٠

ولو أن الأستاذ أحمد زكي طبق مقياسه هذا - الذي استخدمه في تقويم مقالي - على كتاب «مشكلة السرقات» ذاته، لانتهى به ذلك إلى معادلة طريفة إن لم نقل «سخيفة»٠٠ فماذا سيقول الأستاذ في هذه النصوص التراثية التي نجدها في كتاب «مشكلة السرقات» ونجدها كذلك في كتاب «السرقات الأدبية» للدكتور طبانة، أو في كتاب «أصول النقد الأدبي» للأستاذ أحمد الشايب، وغير خاف أن الكتابين سابقين في الصدور٠٠ مع أننا لا نعثر في كتاب «مشكلة السرقات» على ما يشير الى أن هذه النصوص التراثية موجودة بشكل مسبق في الكتابين المذكورين٠

هذا إذا استثنينا ورود كتاب الأستاذ طبانة وكتاب الأستاذ أحمد الشايب ضمن لائحة المراجع والمصادر المعتمدة في كتاب «مشكلة السرقات»٠٠ ولعل الأستاذ أحمد زكي يزداد دهشة إذا قرأ معنا قول الأستاذ هدارة - يرحمه الله - في مقدمة كتابه «مشكلة السرقات» (طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م): «أما الزميل الدكتور أحمد مطلوب فهو لم ينس الإشادة بكتابي ولا إثباته ضمن مراجعه، ولكن نسي كثيرا أن يثبت نقله عنه في أكثر من موضع[١٨]٠ فمن ذلك مثلا ادعاؤه بأنه استنطق المصادر القديمة ونقل عنها في ص ٤٦٣، ولكنه في الحقيقة نقل عن كتابي مباشرة وقال للتعمية: (ينظر فهرست ابن النديم ص ١١٤، ١٦٧، ٢١٥ ومعجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٢، ج ١١، ص ١٦٤، ومشكلة السرقات ص ٧٦ - ٧٧)»[١٩]٠

وقصارى القول: إن التراث الأدبي ملك للجميع، فمن حق الأستاذ هدارة ومن حق كل باحث جاد أن يأخذ النصوص التراثية من مظانها على أن يصدر في دراستها عن مفاهيمه واجتهاداته الخاصة٠٠ مع مراعاة شروط الأمانة العلمية٠٠ ونحن لم نحد عن هذه القاعدة في مقالنا٠٠ وإلا فقد كان من اللازم علينا - تبعاً لمنطق الأستاذ أحمد زكي - أن نتنبه إلى ورود هذه النصوص التراثية - بغض النظر عن رواياتها - في كتاب «مشكلة السرقات»، ثم نشير إلى ذلك، ونفس المنطق يقتضي من باب أولى استقصاء ورصد هذه النصوص في كل الكتب الأدبية التي سبقت في الصدور كتاب «مشكلة السرقات» والتي تلته٠ ولابد أن يقودنا هذا المشروع الإحصائي الضخم إلى إنتاج دليل ببليوغرافي خاف لعله يستثير غيرة الأستاذ أحمد زكي وقريحته في كشف سرقات أخرى ما خطرت له ولا خطرت لنا على بال!٠٠

ولستُ أدري كيف اختار الأستاذ أحمد زكي الكتابة في موضوع خطير جداً كهذا دون أن يتحلى بأدنى قدر من اللباقة الأدبية فضلا عن الدليل العلمي؟!٠ فإذا كانت العادة في البحث العلمي الجاد هي التحلي بآداب الحوار، فإن أسلوب الرجل في مقاله لا يمكن أن يرضاه الطبع السليم٠ وحسبي أن أذكر هذه العبارات شاهداً على ذلك: («سارق السرقات» وهو عنوان مقاله٠٠ كرمته المجلة بالإشارة إليه على

خلاف الخارجي بوضع عبارة (إنهم يسرقون الشعر)، كان أولى بالمجلة أن تضع بدلا منها (إنهم يسرقون الباحثين)٠٠ ويكتفي الناقل الهمام بنقل هذه المواضع٠٠ وقد ظن الكاتب السارق أن إغفاله ذكر الكتاب٠٠ ويمضي الكاتب السارق في نقله من كتاب الدكتور هدارة٠٠ ونرى الكاتب السارق يأخذ النصوص الشعرية والنثرية أخذاً مباشراً ٠٠ وقد أساء السارق نقل الأبيات٠٠ ولكن الكاتب السارق - إمعاناً في التضليل - أشار - إلى طبعات جديدة للمصادر٠٠ ومن المؤسف أن يبعث الكاتب السارق بهذه المقالة إلى المنهل.

وكان أحرى بالأستاذ أحمد زكي - وقد وضع نصب عينيه كتاب «مشكلة السرقات» - أن يستلهم من الأستاذ الراحل الدكتور محمد مصطفى هدارة آداب الحوار الجاد والمناقشة العلمية المجردة.

ونحن نسوق، هنا، هذا النموذج المقتضب من كتاب «مشكلة السرقات» ذاته، يقول الأستاذ الفقيد في مقدمة كتابه (طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨١م):

«٠٠٠ إلا أن الذين سجلوا إعجابهم ومدى إفادتهم من هذا البحث أقل بكثير ممن صمتوا ونطقت كتبهم بما أصمتهم، ولأضرب لذلك مثالا أو أكثر. لقد أعدت رسالة علمية في كلية دار العلوم بعنوان (المتنبي بين ناقديه) استلهمها صاحبها من كتابي دون أن يشير إليه إشارة واحدة.

كذلك كتب صديقي الدكتور إحسان عباس كتابه (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) وظهرت استفادته واضحة بكتابي، ولكنه أغفل وضعه ضمن المراجع أو الإشارة إليه في صفحات كتابه٠٠»[٢٠].

وبعد، وبغض النظر عن مضمون هذا الكلام، فليس في أسلوب الرجل ما يخدش الكرامة أو يمس بالأعراض. وهذه سمة المناقشة العلمية الجادة.

وليت الأستاذ أحمد زكي استعمل أسلوبه هذا - على ما فيه من تجريح - في مناظرة موضوعية تعتمد الدليل العلمي وما يرافقه من حسن الاستقراء ودقة التحليل ونزاهة الأحكام، إذن لكان الخطب أهون. أما أن تتحول المناظرة إلى مناكرة تجمع الأسوءين رداءة الأسلوب وتهافت الحجة، فهذا مالا يقبله الطبع السليم، وكما قالت العرب قديما: «أحشفاً وسوء كيلة»!.

ولنترك الأستاذ أحمد زكي يعبر بنفسه عن صدق هذه الحقيقة، يقول في حقنا: «ويمضي كاتب المقال في النقل الفاضح من الكتاب عند عرضه لمواقف أبي تمام من السرقات ثم دفاعه عن نفسه بقصيدته:

من بنو بحدل من ابن الحباب

من بنو تغلب غداة الكلاب

وكل ذلك مثبت في كتاب (مشكلة السرقات) ص ٤٦ - ٤٧. وقد أساء السارق نقل الأبيات فكلمة (بحدل) انقلبت إلى (مجدل) و(فيس) آلت إلى (جيش)، و(للجبن) صارت (للحين)».

وإذا كان هذا القول في حد ذاته لا يحتاج منا إلى مناقشة أو تفصيل، تجنبا للتكرار واكتفاءاً بما قلناه في مناقشتنا للشواهد السابقة، فلابد من الوقوف عند هذا «النقل الفاضح» - كما يسميه الأستاذ - وبالتحديد عند هذا الحكم العنيف الطريف: «وقد أساء السارق نقل الأبيات فكلمة (بحدل) انقلبت إلى (مجدل) و(فيس) آلت إلى (جيش)، و(للجبن) صارت (للحين)».

إن الأستاذ لم يكتف بهذا الأسلوب غير اللائق في اتهامنا بالسرقة، بل قرنه بما هو أخطر حين قدَّم لنا هذا الحكم الذي يدعو حقا إلى الرثاء، وهو قوله: «وقد أساء السارق نقل الأبيات». فإذا كنتُ قد أثبت كلمات: (مجدل) ،(جيش) و(للحين) في مقالي، فليس لأنني أسأت نقل الأبيات من كتاب «مشكلة السرقات» كما اعتقد الأستاذ أحمد زكي، بل لأنني التزمت الأمانة العلمية، فهذه الكلمات نقلتها كما وردت في الأصل الذي اعتمدته، وهو «شرح الشريشي على مقامات الحريري».

وأشكر لمجلة «المنهل» صنيعها فقد كانت دقيقة وأمينة في ضبط هذه الألفاظ عند الطبع بالرواية التي اعتمدتها. في حين اعتمد الأستاذ هدارة في إثبات أبيات أبي تمام على منصف ابن وكيع و«معاهد التنصيص» للعباسي، حسب ما هو مذكور في الهامش رقم ٣، ص ٦٠ من كتاب «مشكلة السرقات». فإن الأمر يتعلق ـ إذن ـ باختلاف الروايات تبعاً لاختلاف المصادر المعتمدة، وليس بـ «إساءة نقل السارق» كما وهم الأستاذ. والطريف أن الرجل أرادها حجة عليَّ فكانت حجة لي!!.

وأنقل هنا أبيات أبي تمام التي ظن الأستاذ بها الظنون كما وردت في مقالي طبقاً لرواية الشريشي:[٢١]

من بنو مُجْدل منْ ابن الحباب

مَنْ بنو تغلب غداة الكلاب

إنما الضيغم الهصور أبو الأشـ

ـبال جبار كل جَيْش وغاب

من عدت خيله على سرح شعري

وهو للجبن راتع في كتابي

وهذه نفس الأبيات كما وردت في كتاب «مشكلة السرقات»[٢٢]:

من بنو بحدل من ابن الحباب

من بنو تغلب غداة الكلاب

إنما الضيغم الهصور أبو الأشـ

ـبال جبار كل خيس وغاب

من عدت خيله على سرح شعري

وهو للجبن راتع في كتابي

ولا بأس كذلك من إثارة انتباه الأستاذ إلى أن أبيات أبي تمام هذه وما يرافقها من أبيات أخرى موجودة في كتاب «السرقات الأدبية»[٢٣] للدكتور طبانة قبل أن تكون موجودة في كتاب «مشكلة السرقات».

وقد يقول الأستاذ أحمد زكي: إن الذي أوقعه في هذا «الخلط» هو عدم ذكرنا للمصدر الذي اعتمدناه في ذكر أبيات أبي تمام سالفة الذكر. ونحن نقول: إن عدم ذكرنا للمصدر ـ تجنبا للتكرار وتفادياً لشحن الهوامش كما أشرنا سابقا ـ لا يسوغ الوقوع في مزلق كهذا وصدق الذي قال: «عثرة القدم أسلم من عثرة اللسان!». فإن عدم ذكرنا للمصدر يجب أن يكون من باب أولى داعيا الى الحيطة والتريث في البحث والاستقصاء قبل إصدار الأحكام.

ثم ماذا استفاد الأستاذ أحمد زكي من هذه الهوامش الكثيرة التي ذيَّلنا بها مقالنا وكلَّفنا المجلة مشقة طبعها، وكان الرجوع إليها واستثمارها استثماراً علمياً مجرداً كفيلا بأن يكفيه ويكفينا شرَّ كل هذه الأحكام؟.

وأكثر من ذلك فإن إثباتنا للهوامش أو عدم إثباتها سيان عند الأستاذ أحمد زكي، لأن هذه الهوامش الكثيرة التي تحرَّينا فيها الدقة والأمانة العلمية لا تعدو أن تكون عنده نقلا من كتاب «مشكلة السرقات» يقول في حقنا: «وأن يحاول التعالم بإثبات هوامش منقولة من كتاب (مشكلة السرقات)، ولكن الكاتب إمعاناً في التضليل أشار إلى طبعات جديدة للمصادر المثبتة في الكتاب». وكأني بهذه الهوامش تقول مع الشاعر:

فكأننا واو بعمرو ألحقت

أو أصبع بين الأصابع زائدة

وعلى كل حال، فقد حرصنا على مدّ مجلة «المنهل» بسائر الأصول التي اعتمدناها في مقالنا، وإذا رغب الأستاذ في الاطلاع عليها مُيسَّرة فليطلبها من المجلة.

وما بالك في باحث ـ هذا منهجه في الاستقراء ومحاكمة الناس ـ يختم مشروعه بالحديث عن الأمانة العلمية والتأسف على فقدانها، فيقول: «ويبدو أن الأمانة العلمية في هذا الزمن الرديء قد صارت أثراً من الآثار»!.

نعم، هكذا أصبحنا نهمل تراثنا ونستثقل استنطاق عموله استغناء عنها بالمراجع الحديثة الميسرة. إنها - في رأينا - أزمة الثقافة العربية الراهنة. ولعل هذه الأزمة الثقافية الخطيرة من الأمور الملحة التي كانت تحظى باهتمام خاص لدى الأستاذ الراحل الدكتور محمد مصطفى هدارة،، فإذا رجعنا مع مجلة «الفيصل» ١٤ سنة إلى الوراء وتملينا ذلك اللقاء الجاد الذي كانت أجرته المجلة مع الأستاذ الفقيد في عددها (جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ)، فلابد أن تستوقفنا هذه الكلمات التي تعبر بصدق عن حرص الأستاذ على تراثنا العربي:

«سؤال الفيصل: تراثنا العربي كيف السبيل إلى جعله يحتل مساحة عريضة من اهتمامنا في الوقت الحاضر؟.

جواب الأستاذ هدارة: هذا السؤال على جانب كبير من الأهمية، وخاصة في ظروفنا الحاضرة التي تحاصرنا فيها الدعوة إلى الانقطاع عن التراث.. والأمة التي تنقطع عن تراثها تفقد معنى حاضرها ومستقبلها .. فلماذا نهمل تراثنا أو ننقطع عنه بدعوى التقدمية والتحضر»[٢٤].

نعم، هكذا كان الأستاذ هدارة - يرحمه الله - حريصاً على مصير الأمة، غيوراً على تراثها، ولا غرو وقد ساهم بأوفر نصيب في صيانة هذا التراث وإحيائه وترسيخه في نفوس شبابنا، وأياديه في هذا المجال أكبر من أن تُعدَّ أو تحصى. والله يجازيه في دار الخلود بمثل ما بذل للعلم والعلماء.

وبعد، لم يبق لنا إلا أن نسأل الله صادقين أن يلهمنا والأستاذ أحمد زكي وسائر الباحثين الصواب والسداد ويقينا شرور أنفسنا.

الهوامش:

(١) مشكلة السرقات ، ص ٣٠.

(٢) «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، جـ ٩/ ص ٣٤١.

(٣) «السرقات الأدبية» ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٤) «مشكلة السرقات» ص ٤٢.

(٥) «أصول النقد الأدبي»، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة ١٩٧٣م، ص ٢٦٤.

(٦) «السرقات الأدبية» ص ٤٢.

(٧) «سلم الخاسر» دار الفكر اللبناني، دون تاريخ، ص ١٧٥.

(٨) «جواهر البلاغة»، الطبعة السادسة، ص ٣٣٥.

(٩) «مشكلة السرقات» ص ٥٦.

(١٠) «شرح مقامات الحريري»، جـ ٣/ ٥٦٠.

(١١) «السرقات الأدبية»، ص ٣٩ ـ ٤٠.

(١٢) «مشكلة السرقات» ص ٦٥.

(١٣) «المنصف» لأبي محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي، تح: الدكتور محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص ٤٤ ـ ٤٥.

(١٤) «شرح مقامات الحريري»، ج ٢/ ٥٦١.

(١٥) «مشكلة السرقات»، ص ٨١.

(١٦) «السرقات الأدبية» ص ٣٩.

(١٧) انظر: «نصوص النظرية النقدية عند العرب» المكتبة الحديثة، الإمارات ـ العين.

(١٨) يقصد المرحوم هدارة بقوله هذا كتاب الأستاذ أحمد مطلوب: «القزويني وشروح التلخيص»، انظر «مشكلة السرقات» ص١١ (هامش رقم١).

(١٩) «مشكلة السرقات»، ص ١٠ ـ ١١، (مقدمة المؤلف).

(٢٠) «مشكلة السرقات»، ص١٠.

(٢١) «شرح مقامات الحريري»، ج٢/ ص ٥٦٠ ـ ٥٦١.

(٢٢) «مشكلة السرقات» ص٦٠.

(٢٣) انظر كتاب «السرقات الأدبية»، ص ٤٠.

(٢٤) مجلة «الفيصل»، العدد ٧٢ ـ جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ ـ مارس/ أبريل ١٩٨٣م، ص ٥٥.

بسمة منك



شعر : محمد الأمين محمد الهادي
- كينيا -

بسمة منك ستحيي أملي
يا منى نفسي وتمحو خجلي
أسعفيني بروءاها .. انها
اليوم أحلى من حوار المقل
بل وأغلى من بشارات المنى
واحتدام الوجد في القلب الخلي
هي أشهى في الهوى العذري من
رشفات من لذيذ القبل
إن تجودي بسناها مرة
تملأ الأفق بضوء هطل
فيراني الناس في أنواره
هائما أمشي كمثل الثمل
بسمة منك بما أملكه
وبكل الكون ان لم تبخلي

يا لثغر ضاء من داخله
كوكب الحس فأحيا أملي

عندما شع بدريي نورها
خفتت فيه جميع الشعل

وبدت لي بسمة الثغر جنى
من ربيع للهوى مكتمل

صورة أبدعها رب الورى
في إطار من دوالي الخصل

وجمال الوجه في رونقها
رائع الومض نديّ الخضل

هي روض الحسن في دنيا الهوى
ونداء للحبيب الوجل

تُسحر اللب فما أروعها
في فؤاد بالجوى مشتمل

فاسحريني أنا أرضى سحر من
بسواها القلب لم ينشغل

لك قلبي كله .. مشتملا
كل معنى الحب ان أبدعت لي

بسمة منك خذي من بعدها
ما تشائين فما من عذّل

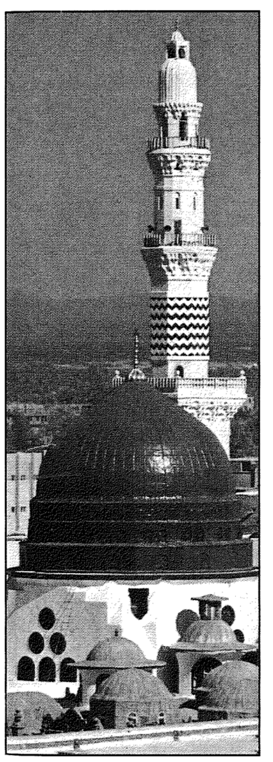
واقبسي لي ما يزيد الحب في
عمري الماضي وعمري المقبل





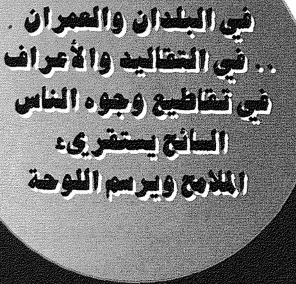
طيبة الطيبة

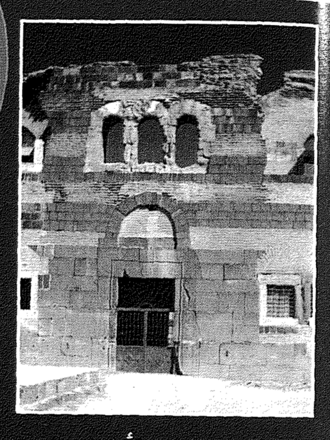
شعر : عبدالله حمد الحقيل - الرياض -



يا طيبة البلد الكريم تحية
من زائر يهوى ثراك ويعشق
هدي النبوة في سماها ماثل
يعلو وفوق جبالها يتألق
مهوى الأحبة والمآثر كلها
تشدو وأصوات المفاخر تصدق
شاقتني أمجاد المعالم تزدهي
بجلالها والنور فيها ينطق
فلك المحبة والمهابة والبها
ولك الهدى دوماً بأفقك يخفق
يا مشرق النور الذي ضاءت له
كل البلاد مغرّب أو مشرقُ
كم عالم أسدى المعارف رافعاً
صوتاً كأصداء الأذان يحلق
أبلى فأحسن في البلاء جهاده
وهج مشع نوره ما يخلق
تالله ما أنقى ثراك وقد غدا
كضياء وجهك إذ يلوح ويشرق
في كل ركن شاهد بمآثر
غرر تناهي بالروائع مؤنق
ما زرتها إلا سعدت بقربها
ومتى رحلت فإنني أتشوق

مجلة السائح العدد (١٠٣)





القصور الأثرية في بادية الشام



سريلانكا بلاد الشاي .. والماس

السائح

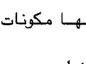
باليرمو ٠٠ والعشق العربي

على مدى ثلاثة قرون تقريباً كان المسلمون والعرب جوهرة تلك البلاد النائية عن بلادهم٠٠ (صقلية) وحاضرتها (باليرمو)٠٠

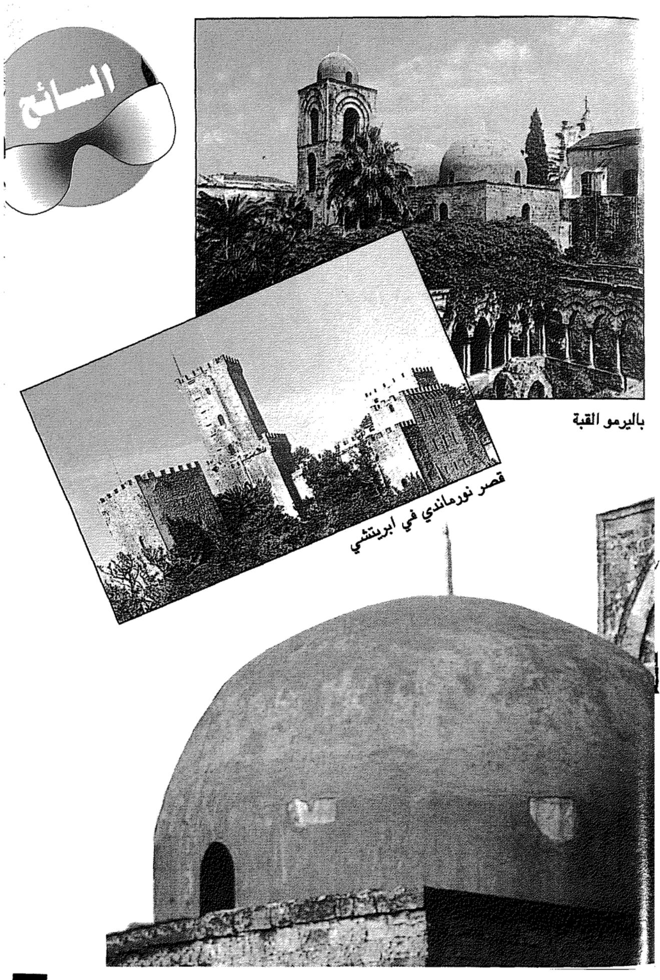
في (٨٣٠)م ذهب المسلمون فاتحون لتلك البلاد بقيادة (أسد بن الفرات)٠٠ وفي (١٠٩٥م) احتل النورمانيون مدينة (باليرمو) حاضرة صقلية

الوجود الإسلامى والعربي في (باليرمو) ظلت آثاره العلمية والفكرية والثقافية والعمرانية ممتدة في تلك البلاد٠

حتى المعمار الذي أقامه الفرنجة بعد خروج المسلمين من صقلية بعامة ومدينة (باليرمو) بخاصة، كان على الطراز الاسلامي، والنقوش الاسلامية، بل حتى في (قصر القبة) نجد النحت والكتابة العربية على جدرانه ٠٠ رغم أن هذا القصر قد أمر ببنائه الملك النورماندى (غليم الثاني) في ١١٨٠م، بل الكنيسة التى انشأها الملك رجار في عام ١١٤٢م تغلب عليها مكونات المعمار الاسلامي٠



الحكام النورماند لم يستطيعوا الفكاك من عشق الفن العربي وظلوا اوفياء له ٠٠ فقد فتحوا قصورهم للشعراء والعلماء العرب٠



باليرمو القبة

قصر نورماندي في ابريتشي

القصور الأثرية في ب

كان الوقت صباحاً، ونسمات ربيعية عليلة، تدخل علينا من نوافذ سيارتنا فتداعب وجوهنا، وتنعش الصدور، وتذكي الارواح، وتدلنا على أننا أصبحنا في قلب بادية الشام.

قال مرافقي ألا تلاحظ معي أمراً هاماً، قلت: وما هو؟.. قال: انظر في الخارطة الأثرية لبلاد الشام والتي بحوزتنا، ستشاهد أن القلاع والحصون الأثرية الكثيرة توجد في مدن الشام المأهولة. بينما القصور الأثرية توجد في باديتها الواسعة الرائعة!..

قلت لمرافقي: هذه ملاحظة صحيحة ودقيقة. وتفسيرهاواضح، فمن المعروف أن بادية الشام حباها الخالق سبحانه وتعالى هواءاً عليلا. وسماءاً صافية، وطبيعة خلابة، وخاصة في فصل الربيع، حيث أزاهير البادية الجميلة. والنسائم العليلة - وهذا ما نعيشه الآن ونحن في قلب البادية - لذلك كان الملوك والامراء يبنون القصور والمنتزهات في بادية الشام، ليهربوا إليها بين الفينة والأخرى، وخاصة في الربيع، وذلك من هموم الحكم ومسؤولياته الكبيرة حيث كانوا يديرون أمور الدولة من تلك القلاع والحصون في المدن. بينما عندما ينوون الراحة يذهبون إلى قصور البادية التي أشادوها، وجعلوها أمكنة رائعة من حيث التصميم والشكل والموقع وغير ذلك. بما يضفي على هذه القصور جمالا أخاذا وهندسة متميزة.

هشام عدرة
- سوريا -

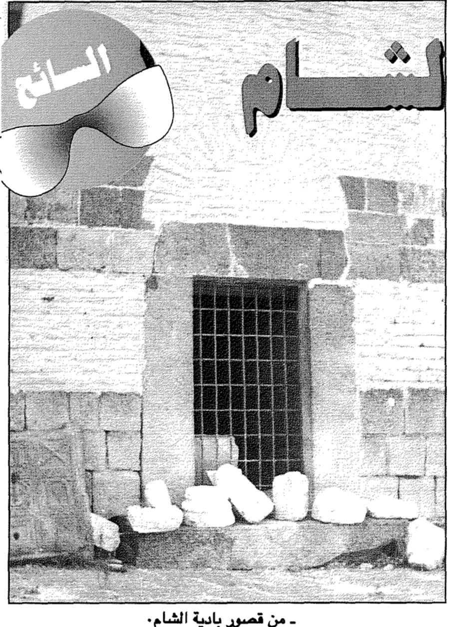
قصور الرصافة (رصافة هشام):

أردنا أن تكون الرصافة أولى محطاتنا في بادية الشام، فهي المدينة الرائعة التي تضم عدداً من القصور الجميلة. وقد اقترن اسمها باسم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك حتى إنها أصبحت تعرف برصافة هشام. وذكرها «ابن خاقان» في ترجمة يحيى بن خالد بقوله: «كانت مدينة بقرب الرقة، وماء أهلها من الصهاريج، وفيها آبار سحيقة رشاؤها مائة وعشرون ذراعاً، وماؤها ملح، وبينها وبين الفرات أربعة فراسخ، وكان هشام يفزع إليها من السبق في شاطئ الفرات».

كما ذكرها الأصمعي بقوله: «الزوراء، رصافة هشام، فيها وبر عجيب، وعليها سور وليس عندهم نهر ولا عين جارية، إنما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور».

كان للرصافة شأنها الكبير في ظل العهد الأموي وما تلاه، وخاصة بعد تولي الخليفة هشام بن عبد الملك الخلافة الاسلامية حيث اقترنت باسمه - كما أسلفنا - وتذكر المراجع التاريخية: «إن

ـدية الشام



- من قصور بادية الشام.

لخلافة أتت هشاما سنة ٧٢٣م في الزيتـــونة بمنزل في دويرة هناك، فجاءه البريد بالعصا والخاتم وسلم عليه بالخلافة، فركب هشام من الرصافة حتى أتى دمشق، وكانت وفاته في الرصافة يوم الأربعاء من ربيع الأول ســنــة ١٢٥هـــ ـ ٧٤٢م، وبها قبره».

وشيد هشام بن عبد الملك فيها قصرين كان يقصدهما صيفاً وأمر بحفر قناتين تبعدان ستة كيلو مترات عن الفرات وهمـا «المري والهني» وكـانتـا ترويان بســاتين المنطقـــة، وتعودان لتصبا في الفرات، ويمكن التعرف على بقاياهما حتى اليوم.

كما كانت الرصافة مسرحاً لمظاهر الدعة والترف والعز، حيث تقام فيها سباقات الخيول، حتى يذكر أن أحد السباقات التي أقامها الخليفة اجتمع فيه من جياده وجياد غيره أربعة آلاف رأس من الخيول الأصيلة فلم يُر مثلها لأحد قبله ولا رؤى لأحد بعده.

لقد أعطى «ابن بطلان» وصفاً دقيقاً لجمال قصور الرصافة حيث قال: «إن قصر الرصافة حصن دون دوار الخلافة ببغداد وفيه بيعة عظمى ظاهرة بالفص والذهب، أنشأها قسطنطين ابن هيلانه، وتحت البيعة صهريج معقود على أساطين الرخام المبلط بالمرمر مملوء من ماء المطر».

كما تغنى بالرصافة وقصورها العديد من الشعراء، فالفرزدق يصف جمالها وسحر طبيعتها الخلابة. فيقول في إحدى قصائده:

إلام تلتـــفـــتين وأنت تحــتي

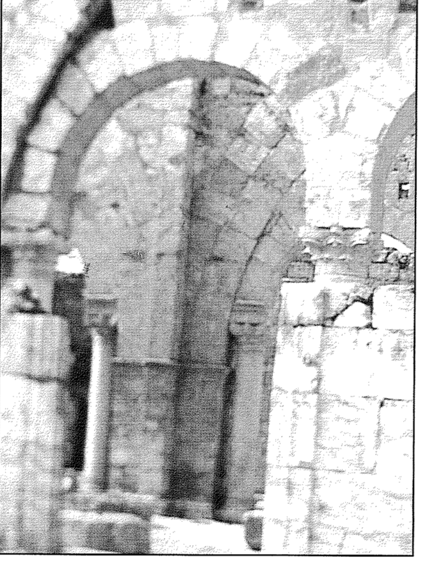
وخـيــر الناس كلهم أمــامي

متى تردي الرصافة تستريحي
من الانساع والجلم الدوامي

ويصف «جرير» القناتين اللتين شقهما الخليفة هشام من نهر الفرات، فيقول:

شققت من الفرات مباركات
جواري قد بلغن كما تريد
وسخرت الجبال وكنَّ خرساً
يقطع في مناكبها الحديد
بها الزيتون في غلل ومالت
عناقيد الكروم فهن سود

وللحقيقة، فإن الرصافة بما استحوذت من أهمية كبيرة وخاصة في ظل العهد الأموي، فإنها أعطت لبادية الشام نمطا جديداً من الحياة، حيث تم كسر الجمود الذي يلفها وصارت مسرحاً للنشاطات والأحداث المختلفة. من خلال القصور والاستراحات الرائعة التي أشيدت في رباها.



- قصور الرصافة.

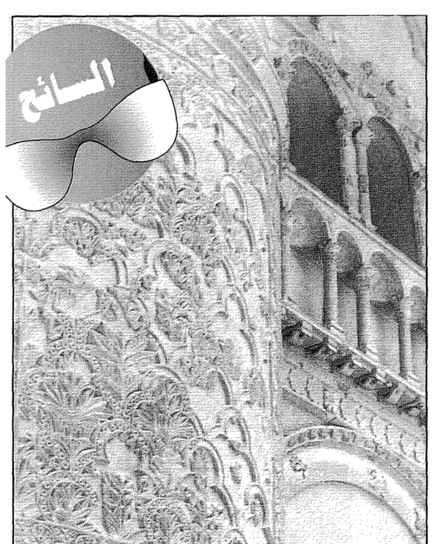
إن أبنية قصور الرصافة التي بقي بعضها حتى اليوم

- قصر الحير الشرقي.

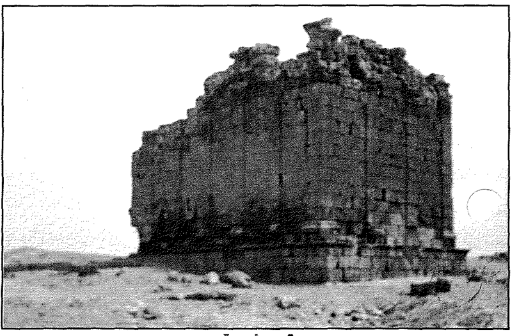
ـع سورها وأبوابها تجذب الزائرين
ليها باستمرار وخاصة لقربها من
ـهر الفرات الرائع. وروعة أبنيتها
جمال طبيعتها، ونسائمها
العليلة.

قصر الحير الغربي:

يبدو أن الخليفة هشام بن عبد الملك كان مولعاً بتشييد القصور والاستراحات في بادية الشام، فها نحن في قلب البادية، وعلى بعد حوالي خمسين كيلومتراً عن مدينة تدمر الشهيرة، وهنا في هذا المكان كان قصر الحير الغربي الذي بناه الخليفة هشام في القرن الثامن الميلادي، وهو مربع الشكل ويحيط به سور ضخم في كل زاوية منه برج مستدير. وعلى جانبي الباب برجان نصف مستديرين، وله ساحة محاطة بأروقة محمولة على أعمدة ذات تيجان كورانثية وقد أعادت مديرية الآثار السورية إنشاء القسم الأوسط من الجهة الشرقية

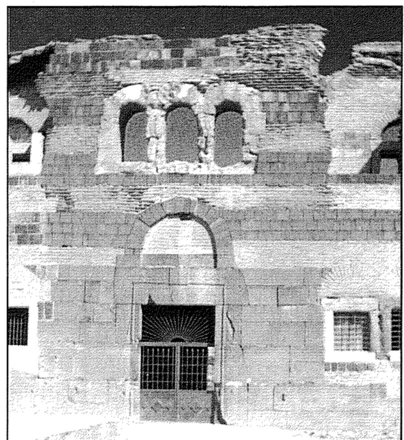


ـ قصر الحير الغربي.



ـ قصر أسرية.

للقصر.. وعرضتها في متحف دمشق الوطني.



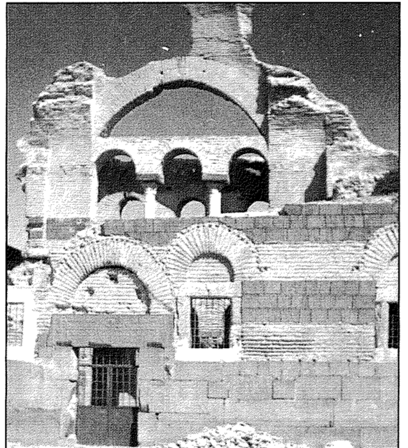
قصر الحير الشرقي:

كـذلك قـام بإنشـاء هذا القـصـر الخليفة هشام بن عبد الملك عام ٧٢٨م في موقع يبعد عن مدينة تدمر ١١٠كم في قلب بادية الشـام، شـمـال شـرق تدمر، وهو يضم قصراً لإقامة الخليفة ومجمعاً للحاشية. والشيء المميز في هذا القصر هو قيام الخليفة ببناء جامع فيه يشبه تماماً الجامع الأموي بدمشق ويعـتـبـر صـورة مصـغـرة عنه. وبين القصر والمجمع اكتشف حمام يتألف من ثلاثة أقـسـام: الحـار والدافىء والبارد، ويعتبر أقدم حمام أموي، وقد أحيط القصر ببستان واسع يحوي كل أنواع الاشجار من نخيل وغيره.



قصر ابن وردان:

في بادية الشام العربية، وعلى بعد حوالي ستين كيلومترا عن مدينة حماة السورية يقع قصـر ابن وردان الفريد في بنائه وعمارته. حيث يذكر المؤرخ الأثري كامل شحادة، أن بناء القصر فريد لا يماثله فيه أي بناء في سوريا مما يجعل له مكانة خاصة من حيث القيمة الأثرية والمعمارية، فهو يتميز



- قصر ابن وردان.

ختلاط الأحجار وألواح الآجر، وطرازه بهذا شكل يختلف عن الطراز المعروف في فن البناء سوري في العصر البيزنطي والروماني، حيث تدل لكتابة اليونانية الموجودة على ساكف مدخل لقصر أنه بني بين عامي ٥٦١ و ٥٦٤م.

يتألف قصر ابن وردان من طابقين بنيت بالأحجار السوداء وألواح الآجر الكبيرة مدعومة بالملاط القوي جعل كل نوع منها على صفوف متناوبة أضفت على البناء شكلا مهيباً وروعة أخاذة.

الطابق الأول من القصر يحتوي على صفين من الغرف، ممتدة من الغرب إلى الشرق وأروقة عرضية بالجانبين، ينفذ بعضها إلى بعض، ويتصل بالأروقة صفان آخران من الغرف يلتقيان بصف آخر من الشمال فيحدث بالتقاء هذه وتلك فناء كبير أما سقوف الغرف فهي على شكل أنصاف قباب مفلطحة.

الطابق الثاني ينطبق بوصفه على الطابق الأول ولا يختلف عنه بشيء وعلى ساكف مدخل القصر المتجه للجنوب الكتابة اليونانية التي تشير لتاريخ بنائه ٥٦١م.

قصر اسريه:

ويقع أيضا في بادية الشام الغربية، ويبعد عن مدينة حماة ١٠٠ كم إلى الشرق منها. وهو يتوسط مدينة خربة عفى أثرها وكانت محطة للقوافل التجارية عبر بادية الشام بين الجنوب والشمال، وقد عرفت باسم (سرياني).

يتألف هذا القصر من ثلاثة طوابق، سقف الطابق الأول منها بالحجارة الكلسية تحملها قوسان بالوسط، وإن تراكم الأتربة المنهالة عليها جعل هذا الطابق بمستوى الأرض من حوله.

والطابق الثاني، كان سقفه بالأخشاب التي كانت تستند على بروز للجسور خشبية من تحتها، وكوى محدثة في الجدر على المحيط. وفي هذا الطابق على طرفي المدخل من داخله يوجد برجان للحراسة، في أحدهما الشمالي يوجد درج لولبي يؤدي إلى أعلى البناء، يتألف من أربعين درجة.

أما الطابق الثالث فقد كان سقفه سنامياً، وبالأخشاب مغطاة بالقرميد.

إن أبرز ما في القصر واجهته الشرقية، وفيها مدخله الكبير يتقدمه رواق قائم على أعمدة قد تهدمت وبقيت فقط العضادتان في الجانبين. ولقد ازدان المدخل حتى أعلاه بنقوش نافرة وزخارف متنوعة غنية وبديعة جداً تتوزع في مساحات كبيرة وعلى شكل أشرطة، تمثل ورق الخرشوف (أرض شوكة) وسلاسل من حبيبات صغيرة وعروق نباتية منحنية، ودوائر ومسننات دقيقة.

أما ظاهر البناء في وجهاته الثلاث فقد انتصبت فيها العضادات المربعة من أصل البناء، كما علتها تيجانها الكوراثية الغنية جداً بزخارفها وفي كل من الوجهتين الجنوبية والشمالية شرفتا دفاع رشيقتان، وفي الوجهة الغربية شرفة واحدة.

سريلانكا بلاد الشاي.. والماس



ـ مجموعة من السريلانكيات يقطفن أوراق الشاي.

سريلانكا .. أرض الشاي، الماس، التوابل والأفيال، منفى الزعماء والثوريين.. خليط من أجناس متعددة وديانات عدة وهبتها الطبيعة كل أسباب الجمال والثراء .. فيها يتم زراعة أفخم أنواع الشاي امبراطور الموائد الملكية البريطانية ورمز كرم الضيافة العربية.. بها اكبر حديقة للغابات الاستوائية النادرة وحدائق الفواكه والتوابل على مختلف أنواعها .. هناك كان منفى أحمد عرابي زعيم الثورة العرابية المصرية ورفاقه.

كلمة «سريلانكا» تعني الأرض المقدسة التي وهبتها الطبيعة من أسباب الجمال، تقع دولة سريلانكا جنوب الهند وكانت تعرف فيما سبق باسم جزيرة سيلان عندما كانت مستعمرة واقعة تحت احتلال التاج الملكي البريطاني .. وهي عبارة عن جمهورية استوائية يبلغ عدد سكانها حوالي ١٧ مليون نسمة يمثلون خليطاً من أجناس متعددة يمثل الدين الإسلامي ٧٪ والبوذية ٦٨٪ والهندوكية ١٥٪ بينما تمثل المسيحية ٦٪ ، تقع العاصمة في الجنوب الغربي من الجزيرة وتعرف باسم «كولومير» وتنطق «كالامبر» أو «كولامبور».

شهرة عالمية:

تعد سريلانكا من أشهر دول العالم في زراعة وصناعة الشاي الذي يتمتع بشهرة عالمية ونكهة مميزة، فهو في مقدمة المحاصيل التى تزرعها حيث تجد شجيرات الشاي التى لا يزيد طولها عن

عزيزة يوسف محمد
ـ مصر ـ



٧٠ سم منتشرة بصورة كبيرة فوق الهضاب وسفوح الجبال ويساعد الجو الاستوائي هناك على نموها بشكل جيد، ومن أروع المناظر التي تظل عالقة في الأذهان والوجدان صورة الفلاحات السريلانكيات بملابسهن التقليدية وهن يقمن بقطف أوراق الشاي الأخضر من البساتين ويقذفن بها في السلة المصنوعة من البوص ومعدة لهذا الغرض بالذات المربوطة وراء ظهورهن، أما الخطوات التالية في صناعة الشاي فتتم بنقله إلى المصانع حيث يتم تجفيفه على مراحل مختلفة ثم تدخل الأوراق المجففة في عدة عمليات أخرى من السحق والغربلة حتى يتم انتاج أنواع الشاي المختلفة التي تختلف في درجة جودتها ويعد من أقلها جودة «تراب الشاي».

منفى عرابي:

«كاندى» بقعة صغيرة من جزيرة سيلان تعتبر جنة خضراء هادئة ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ومناخها المعتدل طوال العام جعل عرابي زعيم الثورة العرابية ورفاقه يختارونها منفى لهم عندما أجبرتهم قوات الاحتلال البريطاني في مصر على مغادرة البلاد.

وتمر الأعوام ويتحول بيت المناضل والثائر المصرى إلى متحف خاص ومركز ثقافي وحضارى ومزار سياحى هام يحرص كل من يفد إلى سريلانكا على زيارته.

كما يعد المنزل مركزاً لتعليم اللغة العربية لأهالى البلدة الذين ترتفع بينهم نسبة المسلمين، كما يتم تعليمهم المشغولات اليدوية.

أجمل تلال القارة:

تمتلك سريلانكا مجموعة من المقومات السياحية القادرة على وضعها في مكانة مميزة على خريطة السياحة العالمية حيث تمتلك مجموعة من الشواطئ الرملية ليس لها مثيل في العالم أجمع ومناظر طبيعية فريدة ونادرة وتعد منطقة «توراليا» من أجمل التلال في قارة آسيا على الاطلاق حيث يسودها طقس ربيعى طوال العام، كما يعتبر نهر «كواى» من أهم المزارات السياحية الشهيرة في جزيرة سيلان.

تحتضن جزيرة سيلان في بطون ووديانها اكبر حديقة للنباتات الاستوائية النادرة، حيث تنتشر حدائق الفاكهة النادرة والاستوائية والأعشاب الطبية والبهارات والتوابل بجميع أنواعها على ضفاف أنهارها وشلالاتها لذلك تجد جميع أنواع الأعشاب والتوابل والفواكه الاستوائية من مانجو وجوز هند وأناناس وغيرها معروضة في الأسواق بأسعار زهيدة للغاية.. بالإضافة إلى ذلك فهى تخفي





ـ جانب من رقصات التراث الشعبي والاقنعة في سريلانكا.



- شجيرات الشاي منتشرة فوق سفوح الجبال.

أيضاً بين تلالها مناجم الماس بكافة أنواعها حيث يستخرج منها الأحجار الكريمة ويعد الماس من أهم صادرات سيلان بالإضافة إلى التوابل والشاي بطبيعة الحال.

حديقة الأيتام:

عن طريق الهجرات الجماعية من الهند عرفت جزيرة سيلان الأفيال، والفيل حيوان مقدس لدى الغالبية العظمى من أبناء الجزيرة، وقد بلغت درجة اهتمام سكان الجزيرة بالأفيال بأن أقاموا لها حديقة خاصة تسمى «حديقة الأيتام» وهي عبارة عن حديقة رائعة الجمال والخضرة وجداول المياه الصغيرة يتم فيها تربية الأفيال الصغيرة حيث يقوم العمال بتقديم الألبان إليها في زجاجات صغيرة شبيهة بتلك التى تستخدم لإرضاع الأطفال الصغار.

يعد الشعب السيلاني قريب الشبه بالشعوب الشرقية من حيث عاداتهم وتقاليدهم فى كرم الضيافة وحتى في أكلاتهم شديدة القرب بالأكلات الشرقية المعروفة وإن كانت تحتوى على كميات كبيرة من التوابل والبهارات.

ستظل سريلانكا أو جزيرة سيلان دائماً بلد الأفيال والماس والشاي والتوابل والجبال رائعة الجمال والطرق الممهدة التى تتلوى أمام الصاعد لحضن الجبل، وتظل الفتيات السريلانكيات يحملن وراء ظهورهن سلات الشاي طالما يظل العالم أجمع في اشتياق دائم لمذاق ونكهة الشاي السيلاني.

بيليز:
قلب امبراطورية المايا

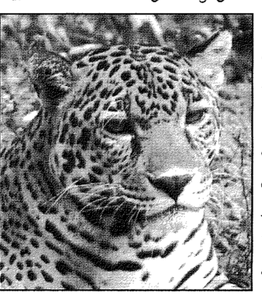
الحسان الرزاقي
- المغرب -

الموقع والسكان:

تقع بيليز التي كانت تعرف بهندوراس البريطانية قبل أن يغير اسم الدولة في سنة ١٩٧٣، في شرق الساحل الكاريبي لامريكا الوسطى، تحدها من الشمال وجزء من الغرب المكسيك، وفي الجنوب وبقية الغرب غواتيمالا، والمياه الساحلية الداخلية مياه ضحلة محمية بسلسلة من الشعاب المرجانية تتخللها جزر صغيرة تسمى «كاييس» تمتد على طول البلاد تقريبا.

وهناك سهل ساحلي منخفض تغطي معظمه مستنقعات التين الهندي، غير أن الارض ترتفع تدريجيا الى الداخل، وتشكل جبال المايا وسلسلة كوكس كومب العمود الفقري للنصف الجنوبي من البلاد، واعلى نقطة فيها هي قمة فيكتوريا (٣٦٩٩ قدما) من سلسلة كوكس كومب، وتضم مقاطعة كايرو في الغرب سلسلة جبال الصنوبر التي تتدرج من ٣٠٥ الى ٩١٤ مترا فوق مستوى سطح البحر، كما توجد مناطق كبيرة من الهضاب في المقاطعات الشمالية، أما الانهار فهي عديدة ويصلح بعضها للملاحة القصيرة المدى بواسطة القوارب الصغيرة، وتغطي الغابة جزءا كبيرا من البلاد، تبلغ مساحة اليابسة و«الكاييس» ٨٨٦٧ ميلا مربعا، وتبلغ اطول مسافة بين الشمال والجنوب ٢٨٠ كيلومترا بينما يبلغ الطول الاقصى لعرض البلاد ١٠٩ كيلومترات.

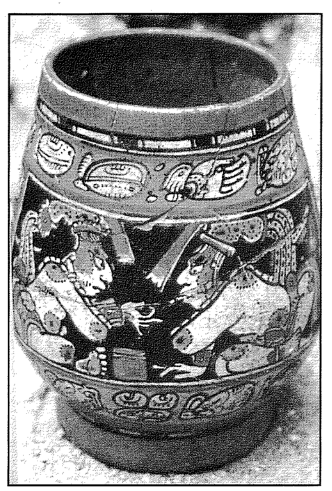
والمناخ شبه استوائي تلطفه الرياح التجارية، وتتراوح درجة الحرارة في المقاطعات الساحلية من ١٠ درجات مئوية الى حوالي ٣٥٠٦، اما التساقطات المطرية فتبلغ معدل ١٢٩٥ مليمترا في الشمال بينما تبلغ ٤٤٤٥ في اقصى الجنوب، ويمتد الفصل الجاف عادة من فبراير الى مايو، وهناك في بعض الاحيان نوبات جفاف في اغسطس.



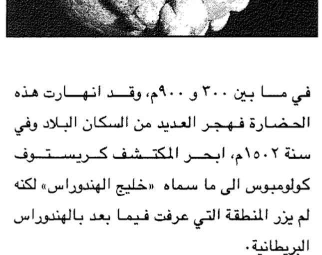
المجموعات العرقية الرئيسية في بيليز هي: الكريول (المنحدرون من



- جمال الطبيعة في بيليز.



- جانب من الآثار الفنية لهنود المايا في بيليز.

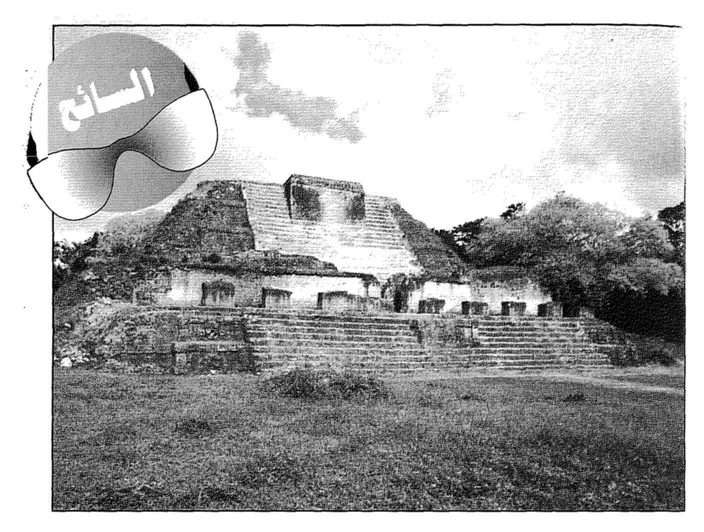


أفريقيا) والمولدون (اسبان - مايا) والغاريفونا (الافارقة الاصل)، وهناك ايضا عدد من المنحدرين من اصول اسبانية وهندية شرقية وهذه المجموعات العرقية، مع ذلك، شديدة الامتزاج، كما تتضمن التركيبة المتعددة الاعراق ايضا الصينيين والعرب والعديد من الاعراق الاخرى، ويعتبر حوالى ٥٨٪ من السكان من الروم الكاثوليك، اما ٣٤٪ المتبقين فهم بروتستانت كما أن هناك نسبة اقل من البهائيين والمسلمين.

نبذة تاريخية:

تدل الآثار العديدة على استيطان هنود المايا لبيليز لمئات السنين والتي وصلت حضارتهم اوجها في ما بين ٣٠٠ و ٩٠٠م، وقد انهارت هذه الحضارة فهجر العديد من السكان البلاد وفي سنة ١٥٠٢م، ابحر المكتشف كريستوف كولومبوس الى ما سماه «خليج الهندوراس» لكنه لم يزر المنطقة التي عرفت فيما بعد بالهندوراس البريطانية.

والمستعمرة الاوروبية الاولى المسجلة اسست في عام ١٦٣٨ من طرف البحارة البريطانيين الذين غرقت بهم سفنهم فتوسعت في وقت لاحق بقدوم الجنود والبحارة البريطانيين المسرّحين بعد الاستيلاء على جامايكا من الاسبان سنة ١٦٥٥، وشهدت هذه المستعمرة التى كان يمارس فيها اساسا قطع أشجار البقم التي تستخدم لصنع الاصباغ، تاريخا مضطربا طوال المائة والخمسين



سنة اللاحقة فقد تعرضت لهجمات عديدة من المستعمرات الاسبانية المجاورة.

وفي سنة ١٧٦٣ فقط اجيز للمستوطنين البريطانيين بموجب معاهدة باريس العمل في تصنيع اشجار البقم وتم التأكيد على ذلك مرة اخرى، في معاهدة فيرساي سنة ١٧٨٣، ثم وسعت منطقة الامتياز في اتفاقية لندن سنة ١٧٨٦م، غير أن الهجمات الاسبانية استمرت حتى حقق المستوطنون نصرا حاسما بمساندة البحرية البريطانية في معركة كاي سانت جورج سنة ١٧٩٨، بعد ذلك ازدادت السيطرة البريطانية تدريجيا على المستوطنة، وفي سنة ١٨٧١ اعلنت هندوراس البريطانية رسميا مستعمرة بريطانية الى أن نالت استقلالها في فاتح يونيو ١٩٧٣م تحت اسم بيليز.

قلب امبراطورية المايا:

ما زال الجمال الطاغي لامبراطورية المايا القوية يتخلل ادغال بيليز التي احتفظت بكامل العناية بكنوز المايا لعدة قرون. وتعتبر بيليز بحق اهم مركز لاثار حضارة المايا في امريكا الوسطى نظرا لاحتوائها على ٦٠٠ موقع تاريخى معروف، وقد اكدت عمليات التنقيب الحديثة أن كاراكول هي مركز مملكة المايا خلال العهد الكلاسيكي ما بين ٢٥٠ و ٩٠٠ ميلادية، ويبرز مركز الحفلات فيها بجلاء اطول مبنى بناه الانسان في بيليز.

وتفتح كاراكول الطريق لمزيد من المواقع الاثرية، فقمة هرم كسونا نتونيتش ذات المائة والثلاثين قدما توفر مشهدا رائعا لكل غواتيمالا وكذا لسفوح تلال غرب بيليز الخضراء.

المكتبة التراثية:

(من آثار ابن جني في اللغة)

الآثار المفقودة [٢]

هذه الدراسات في المكتبة التراثية لها أهميتها العلمية، لأنها توضح للقارئين بعامة والباحثين بخاصة الجهد العلمي والفكري الذي بذله علماؤنا الافاضل في القرون السالفة في تدوين العلم وتسجيله.
- المنهل -

[الحلقة الثالثة]

بقلم:
د. غنيم غانم الينبعاوي
كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى

شرح اصلاح المنطق:

لابن السكيت من التصانيف كتاب (اصلاح المنطق)، وقد وصل إلينا وهو من الكتب القيمة، قال عنه ابن خلكان: «انه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة، ولا نعرف في حجمه مثله في بابه، وقد عنى به جماعة»[٦٨].

وشرح ابن جني هذا لم يذكره ابن جني في اجازته، ولا في كتبه التي اطلعنا عليها، ولم تشر اليه كتب الطبقات المعروفة.

وقد ذكره محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ) في كتابه (المقاصد النحوية)، ونقل منه، يقول: وهو يشرح قول القناني[٦٩] الراجز:

الله أسماك سُما مباركا

آثرك الله به إيثاركا

.. قال ابن جني في شرح اصلاح المنطق: قوله: (آثرك الله ايثاركا): أي آثرك بالتسمية الفاضلة، كما آثرك بالفضل، وقيل: ايثارك للمعالي، وللذكر الحسن[٧٠].

والعيني لم يذكر أن (اصلاح المنطق) هذا لابن السكيت، ولعل مرد ذلك الى شهرة ابن السكيت بهذا الكتاب، الذى قيل عنه «ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة، مثل: اصلاح المنطق[٧١].

ومما يرجّح صحة ما نذهب إليه من أنّ هذا الكتاب الذى شرحه ابن جني هو لابن السكيت، أن قول الراجز الذى أورده (العيني) مذكور في نسخة (اصلاح المنطق) المطبوعة[٧٢].

شرح الايضاح:

الايضاح، من كتب أبي علي الفارسي النحوية. عرف هذا الكتاب باسم (الايضاح العضدي)، لأن أبا علي ألفه للخليفة البويهي (عضد الدولة)[٧٣].

اهتم العلماء بشرح الايضاح، ودراسته. وتبين لنا المصادر أسماء العلماء الذين شرحوه،[٧٤]، أو نقدوه. ومن هؤلاء ابن جني، تلميذ الفارسي، فقد شرح الايضاح، وشرحه هذا مفقود، لم نعثر عليه، حتى اعداد هذا البحث، ولم يشر اليه ابن جني في كتبه التي بين أيدينا.

أما المخطوطة التي أشار اليها بروكلمان[٧٥]، في مكتبة (قلبج على باشا) باستانبول وبرقم (٩٣٠هـ)، وذكر أنها شرح الايضاح لابن جنى «فقد أخطأ بروكلمان في ذلك، وبعد وقوفنا على المخطوطة المذكورة ودراستها تبين لنا أنها نسخة من شرح كتاب (اللمع لابن جني) لسعيد بن المبارك، المعروف بابن الدهان[٧٦] (المتوفى سنة ٥٦٩هـ) ويسمى هذا الشرح (الغرة).

ولعل الذى دعا بروكلمان، الى نسبة هذه المخطوطة، الى ابن جنى ما وجده مكتوبا في الورقة الأولى بخط مغاير (شرح الايضاح لابن جني).

وقد تبعه في ذلك كثير من الباحثين[٧٧]، والمخطوطة فيها نقص في أولها، وقد خلت من المقدمة، وتبدأ بقول أبي الفتح في (باب النكرة والمعرفة):

«النكرة: ما لم تخص الواحد من جنسه، نحو: رجُل ، وغلام، وتعتبر النكرة باللام، وبربّ ، نحو الرجل، والغلام، ورُبّ رجل، ورب غلام. قال سعيد: اعلم أن الحدّ الذى حدّ به النكرة صحيح، والمبرد[٧٨] حدّه بقوله: كل شيء لزم كل واحد من جنسه، مثل اسمه اذا كان في معناه».

وجاء في الورقة ٣١٥ قوله: «تم شرح كتاب اللمع».

وفي هذه المخطوطة اشارة الى شرح الايضاح لابن جني، ونقل منه. يقول ابن الدهان ـ وهو يشرح دخول النون في النفي ـ «وأما قوله ـ يعني ابن جني ـ وبعد النفي، فاني لم أر أحدا ذكر دخول النون في النفي، وانما قال سيبويه: وبعد «لم» لأنها لما كانت جازمة، أشبهت «لا» الناهية، وهذا لا يجوز الا في اضطرار، وذكر عثمان في شرح الايضاح، مثل هذا، وقال: يدخل النون في النفي، ومثل عليه، بقوله تعالى {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}[٧٩]، وهذا عند غيره، على غير هذا[٨٠].

شرح الجمل:

لم يشر اليه ابن جني في اجازته، ولا في كتبه التي بين أيدينا. وقد انفرد ياسين العليمي (ت ١٠٦١هـ) بذكره، ونقل منه نصين، أحدهما صرفي، والثاني لغوى.

ففي قول خالد الأزهرى «أن عين (شاة) معتلة، وأن أصلها (شوهة)، بسكون الواو، كصفحة، ثم لما لقيت الواو الهاء، لزم انفتاحها، فانقلبت ألفا، وحذفت لامها، وهي الهاء، وعوض منها التاء[٨١].

قال ياسين العليمي تعليقا على قول الأزهرى (لزم انفتاحها) «لم يبين وجهه، ولا رأيته في كلام أحد، وهو كلام مشكل، والذى في (شرح الجمل) لابن جني، فأما (شاة) فوزنها: (فعلة) ساكنة العين، وكلمت بعض الشيوخ من أصحابنا بمدينة (السلام في العين منها، هل هي ساكنة، أو متحركة؟ فادعى أنها متحركة، فسألته عن الدلالة على ذلك فقال: انقلابها ألفا، لأنها لو كانت ساكنة لوجب اثباتها كما ثبتت في (حوض) و(ثوب)، فقلبت»[٨٢].

ومما يؤكد أن هذا النقل عن ابن جني، أسلوبه الذى اتصف به، واشارته الى مذهبه النحوى، وهو مذهب البصريين بقوله «أصحابنا».

أما النص الثاني المنقول عن (شرح الجمل) لابن جني، فهو لغوى تعرض لمعنى كلمة (جردحل) فبعد أن أورد (العليمي) بعض الأقوال فيها، قال: «وفي شرح الجمل لابن جني أنه الجمل الغليظ»[٨٣].

وكتاب «الجمل» هذا الذى شرحه ابن جني لم يذكر مؤلفه. فقد عرفت الدراسات النحوية في القرن الرابع الهجري - وهو عصر ابن جني - أسماء كتب عنوانها (الجمل في النحو) لعلماء معروفين، مثل: ابن السراج[٨٤] محمد بن السرى (ت ٣١٦هـ) والزجاجي[٨٥] عبد الرحمن بن اسحاق (توفي في حدود سنة ٣٣٩هـ)، وابن خالويه[٨٦] الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)[٨٧].

وأنا أرى أن الذى قام ابن جني بشرحه هو كتاب ابن السراج. فقد اهتم ابن جني بكتب ابن السراج وقد شجعه على هذا أبو علي الفارسي الذي تتلمذ على ابن السراج وأخذ عنه، وفي مؤلفات ابن جني نقول عن ابن السراج ذكرها ابن جني عن طريق شيخه أبي علي.

شرح فصيح ثعلب:

والفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى، المعروف بثعلب[٨٨] (المتوفي سنة ٢٩١هـ)، قال عنه حاجي خليفة: «كتاب صغير الحجم، كثير الفائدة، اعتنى به الأئمة»[٨٩].

وشرح ابن جنى هذا لم يذكره ابن جني نفسه، في اجازته، ولا في كتبه التي بين أيدينا، ولم أقف على نقول منه في الكتب التي اطلعت عليها.

وقد ذكره ياقوت الحموى، في (معجم الأدباء)[٩٠]، وابن شاكر الكتبي في (عيون التواريخ)[٩١]، والسيوطي، في (بغية الوعاة)[٩٢]، وحاجي خليفة، في (كشف الظنون)[٩٣]، وغيرهم[٩٤].

١٧ - شرح كتاب الألفاظ:

من معاجم المعاني التي وصلت الينا، كتاب الألفاظ لابن السكيت، وله نسخ مخطوطة في مكتبة جامعة القرويين بفاس بالمغرب (برقم ٨٠/ ٣٦٥)[٩٥].

وقد اهتم العلماء بشرحه، وتهذيبه. وممن شرح كتاب «الألفاظ» ابن جني. وشرحه هذا لم يشر اليه ابن جني نفسه، في اجازته، ولا في كتبه التي وصلتنا.

وقد ذكره (ابن المستوفي الأربلى) ونقل منه نصا صرفيا. ففي شرح «مصلصله» من قول الشاعر:

* كأن صوت الصنج في مصلصله *

قال أبو الفتح عثمان بن جني: يجوز أن يكون مصدرا، أي: في صلصلته، ويجوز أن يكون موضعا للصلصلة.. والبيت لأبي النجم، ذكره أبو جعفر، محمد بن أحمد النحاس. قال أبو الفتح عثمان بن جني في كتاب شرح ألفاظ ابن السكيت، ان شاء الله في «باب فعلة»: ويقال: في ذلك مسلاة لك، وقال حريش بن قدامة التميمي:

ذوو الإقدام مذراة العوالي
وهل الكلم والأسل النهالي

مذراة: من ذريته: اذا ألقيته عن فرسه، قال الفراء: فالهاء في هذا لا تزول، وإن كنت لا تثنيه، ولا تجمعه، وقال أبو الفتح: لو أراد اسم المفعول، لقال: مذراة العوالي، بل كان يجب مذرية، لأنها فاعلة، لا مفعولة، فدل ذلك على أن. مثعلبة المراد بها مثعلب، كقوله:

* كأن صوت الصنج في مصلصله *

أي في صلصله، ثم لحقت الهاء، لما أرادوه من تشديد، فقيل: مثعلبة، معنى المبالغة[٩٦].

شرح المقصور والممدود للفارسي:

ألف أبو علي الفارسي كتاب (المقصور والممدود) وقد ذكره أبو البركات الأنبارى في (نزهة الألباء)[٩٧] وياقوت الحموى في (معجم الأدباء)[٩٨]، والقفطي في (إنباه الرواة)[٩٩] وهو من كتب أبى على المفقودة.

أما شرح ابن جني لكتاب الفارسي فلم يشر اليه ابن جني نفسه في اجازته العلمية، ولا في كتبه التي وصلت الينا، وقد ذكره حاجي خليفة بقوله: «كتاب المقصور والممدود... لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي... شرحه ابن جني»[١٠٠].

وتبعه اسماعيل باشا البغدادي في (هدية العارفين)[١٠١] أما تسمية شرح ابن جني لكتاب

المقصور والممدود للفارسي فلم أقف على شيء من ذلك في الكتب المتوفرة. وذكر ياقوت الحموى أن لابن جني كتابا يدعى (الفائق)[١٠٢].

ونقل ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) عن كتاب (الفائق) هذا ولعله يعني شرح ابن جني لكتاب المقصور والممدود للفارسي، قال ابن مالك: «قال أبو الفتح في (الفائق). علامة الصرف التنوين وحده لا الجر المصاحب له ألا ترى أن المقصور لا يدخله جر، ولا غيره وانما امتنع الجر مما لا ينصرف، لأنه مصاحب للتنوين الذى هو علم الصرف، ألا ترى الى قول سيبويه: فالتنوين علامة الأمكن - عندهم - والأخف عليهم وتركه علامة لما يستثقلون.

قال أبو الفتح: فهذا تصريح بأن التنوين هو علم الصرف لا الجر، وأن تركه علم ثقل الاسم. كما أن لحاقه علم خفته. ويؤكد ذلك الاجماع على المقصور. بعضه منصرف وبعضه غير منصرف، ولا يعنون بالصرف الالحاق التنوين لأنه لا جر فيه ولا رفع ولا نصب[١٠٣].

وهذا الكتاب الذى سماه ابن مالك (الفائق) ونسبه لابن جني لم أقف على ذكر له في الكتب التي اطلعنا عليها ولم أقف على نصوص أخرى له سوى هذا النص الذى انفرد ابن مالك بذكره.

١٩ - الكافي في شرح القوافي:

هكذا أورده الاشبيلي[١٠٤]، وقال ابن خلكان[١٠٥]: «الكافي شرح القوافي للأخفش. وقال القفطي[١٠٦]: الكافي في شرح قوافي الأخفش.

وقال صاحب معجم المؤلفين[١٠٧]: «الكافي في شرح كتاب القوافي للأخفش».. ولم يذكره ابن جني في اجازته وانما أورده ياقوت فقال:

وكتاب شرح الكافي في القوافي وجد على ظهر نسخة ذكر ناسخها أنه وجده بخط أبي الفتح عثمان بن جني (رحمه الله) على ظهر نسخة كتاب المحتسب في علل شواذ القراءات»[١٠٨].

وقال ابن العماد[١٠٩]: والكافي في شرح القوافي وقال بطرس البستاني[١١٠]: والكافي في شرح القوافي للأخفش.

وقال ابن تغري بردي[١١١]: «الكافي في شرح القوافي».

وقال ابن شاكر[١١٢]: «كتاب الكافي في القوافي».

وفي طبقات النحاة واللغويين[١١٣] لابن قاضي شهبة: «الكافي في القوافي».

وقال حاجي خليفة[١١٤]: «الكافي في شرح كتاب القوافي للأخفش لابن جني».

كتاب الأراجيز:

هكذا ذكره ياقوت الحموى في (معجمه)[١١٥] وتبعه الدكتور حسين شرف وقال عنه: «لم أقف على اسمه فيما قرأت من كتب لابن جني[١١٦]».

وقال عنه الدكتور طلس[١١٧]: «لم أعثر عليه، ولا رأيت من أشار اليه من المتأخرين».

كتاب الفَرْق:

من آثار ابن جني اللغوية المفقودة، لم يذكره ابن جني في اجازته العلمية، ولا في كتبه التي اطلعنا عليها، وقد ذكره ياقوت الحموى في (معجم الأدباء)[١١٨]، كما أشار اليه الدكتور محمد أسعد طلس نقلا عما أورده ياقوت الحموي، وقال عنه «لم أعثر عليه ولا عرفت شيئا عنه[١١٩].

وقد ألف كثير من علماء العربية في موضوع (الفَرْق) قبل ابن جني، ومن هؤلاء: قطرب، وأبو حاتم السجستاني، وثابت بن أبي ثابت. وغيرهم[١٢٠].

أما موضوع الفرق فيوضحه ثابت في فاتحة كتابه بقوله: «هنا كتاب ما خالف فيه تسمية جوارح الانسان تسمية جوارح ذوات الأربع من البهائم والسباع، وغير ذلك».

ومن أبواب كتابه هذا، (باب الرجل) وفيه: «يقال:

رجل الانسان، وقدم الانسان، وحافر الفرس، يقال ذلك لكل ذى حافر، ويقال: خُفّ البعير والجمع: أخفاف[١٢١]٠

وفي كتاب (المخصص) لابن سيده الأندلسي نقول عن ابن جني، ففي تعليل تسمية الذئب بأوس، أورد ابن سيده في (باب الذئاب) ما نصه: قال ابن جني: سُمي أوسا، اما تفاؤلا، وإما اخباراً عنه، وذلك أن الأوس: العطية، فكأنه يعطي الرزق لكسبه واحترافه أو يعطيه هو عياله وأولاده[١٢٢]٠

وفي (أسماء البقر وصفاتها) أورد ابن سيده قول ابن جني في جمعها: «بقر وأبقار وآباقر، جمع الجمع، ورجل بقار صاحب بقر»[١٢٣]٠

وفي شرح كلمة (الساجور) وهي الخشبة التي توضع في عنق الكلب، أورد ابن سيده قول ابن جني: «كلب مسوجر. في عنقه الساجور نادر وشاذ[١٢٤]»٠

وهناك نقول واقتباسات أخرى أوردها ابن سيده نقلا عن ابن جني وقد اعتقد الدكتور خليل ابراهيم العطية أن هذه النقول أوردها ابن سيده نقلا عن كتاب الفرق لابن جني، فقال - وهو يعدد أسماء العلماء الذين ألفوا في الفرق «أبو الفتح عثمان بن جني ٠٠ ومنه نقول واقتباسات في المخصص[١٢٥]»٠

ثم حدّد الدكتور العطية مواطن النقل التي اعتقد أن ابن سيده نقلها من كتاب ابن جني ، فذكر الجزء الثامن من المخصص، أما الصفحات فهي كالتالي: ٣٥ و ٣٦ و ٤٥ و ٦٦و ٧٧و ٨٣و ١٨٦٠

واذا كانت هذه الاقتباسات والنقول التي أوردها ابن سيده عن ابن جني من الموضوعات التى أوردتها المؤلفات التي تناولت موضوع الفرق فلا نجزم بأن هذه النصوص المنقولة من كتاب الفرق لابن جني، لأن ابن سيده لم يشر الى ذلك في نقله عن ابن جني، وابن سيده أورد في مقدمة (المخصص) المصادر التي اعتمد عليها في تأليفه ومن بينها بعض مؤلفات ابن جني ولم يرد ذكر لكتاب الفرق فقال: «وكتب أبي الفتح عثمان بن جني، ما سقط الى منها وهي (التمام) و(المعرب) و(الخصائص) و(سر الصناعة) و(التعاقب) و(شرح شعر المتنبي) و(تفسير شعر الحماسة)[١٢٦]٠

ولعل هذه النصوص التي وردت في المخصص عن ابن جني جمعها ابن سيده من كتب ابن جنى التي أشار اليها في مقدمة كتابه٠

كتاب الفرق بين الكلام الخاص والعام:

هكذا أورده النديم [١٢٧]، ولم يشر اليه ابن جني في اجازته وذكره ياقوت باسم: «كتاب الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام[١٢٨]، وكذلك في عيون التواريخ[١٢٩] وفي طبقات النحاة واللغويين «كتاب الفصل بين الكلام العام والخاص[١٣٠]٠ وهو من آثار ابن جنى المفقودة٠

كتاب اللُّصوص:

هكذا أورده ابن جني في كتابه «التنبيه في شرح مشكل أبيات الحماسة»٠

ففي قول الشاعر أبي النشناش[١٣١] النهشلي اللص في نفسه:

ونائية الأرجاء طامسة الصُّوى

خدت بأبي النشناش فيها ركائبُهْ

قال ابن جني: «روينا هذا البيت في كتاب اللصوص هذا (النشناش)، ورويناه هناك أيضا عن الأصمعي (النشناش)[١٣٢]٠

وقد عرض ابن جني لمعنى اسم هذا الشاعر واشتقاقه اللغوى في (المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة) فقال: «النشناش: فعلال من قولهم: نشنش الطائر ريشه اذا نتفه، وألقاه٠ وأما النشاش: ففعال من نشَّ المقلى، ونش المكان بالماء اذا صبَّ فيه فسمعت له نشيشاً»[١٣٣]٠

ولم أقف على نصوص أخرى لكتاب ابن جني هذ في مؤلفات ابن جني نفسه التي وصلتنا، أو في الكتب الأخرى التي بين يدينا٠

كتاب في الحقيقة والمجاز:

ذكره ابن جني في كتابه (التمام) فقال: «٠٠ ولا ترك الحقيقة الى المجاز الا لضرب من المبالغة، ولولا ذلك لكانت الحقيقة أولى من المجاز، ولقد هممت غير دفعة بتصنيف كتاب في هذا المعنى، وترتيبه، وكشف معانيه، وطرقاته، واظهار وجه الحكمة المعجزة الدالة على قوة الصنعة فيه، ولكن الوقت لضيقه مانع منه، ومن الله المعونة[١٣٤]»٠

ولا نعرف ما اذا كان ابن جني قد أسعفه الوقت وأنهى تأليفه في (الحقيقة والمجاز) أم أن ما ذكره كان فكرة لم تتحقق وبما أن الكثير من آثاره فقدت ولم تصل الينا الا أسماؤها فلا نعرف شيئا عن هذا الكتاب حتى الآن٠

وقد عقد ابن جني في كتابه (الخصائص) بابين في الحقيقة والمجاز والفرق بينهما[١٣٥]٠

٢٥ ـ كتاب القدّ

لم يذكره ابن جني، ولم يشر اليه في مؤلفاته التي بين أيدينا ذكره ياقوت الحموى وبين موضوعه فقال: «كتاب ذى القد في النحو»[١٣٦]٠

وذكر آخرون[١٣٧] أن ابن جني جمع هذا الكتاب من كلام شيخه أبي علي الفارسي، أما سبب تسميته (القد) فلم تشر المصادر التي بين أيدينا الى ذلك٠

لقد وقفنا على بعض النصوص الصرفية والنحوية التي نقلت عن كتاب (القد)[١٣٨] في المراجع التي تيسر لنا الاطلاع عليها، وهي نصوص قليلة لا تعطينا فكرة عن الكتاب، وعن قيمته العلمية وعن منهج ابن جني فيه٠ أما النصوص الصرفية التي وقفنا عليها فهما نصان في الموضوعين التاليين:

١ ـ ألف التأنيث المقصورة: «حُلْكَى (بالحاء المهملة) لدويبة، قال أبو علي الدرسي: هي مقصورة، حكاه عنه ابن جني في (القد)[١٣٩]٠

٢ ـ اسم المفعول من الفعل الثلاثي المعتل العين: جاء في (الممتع في التصريف) لابن عصفور: «قال أبو الفتح في (القد) له: سألني أبو علي عن تخفيف (مسوء) فقلت: أما على قول أبي الحسن ـ يعنى الأخفش ـ فأقول: (رأيت مسُوا لأنها عنده واو «مفعول»، وأما على مذهب سيبويه فأقول (رأيت مسُواً) بتحريك الواو لأنها عنده العين٠ فقال لي أبو علي: كذلك هو»[١٤٠]٠

كتاب النّقض على ابن وكيع:

لم يذكره ابن جني في اجازته، ولا في كتبه التي وصلت الينا، وقد ذكره ياقوت الحموى فقال ـ وهو يعدد كتب ابن جني التي لم ترد في اجازته: «كتاب النَّقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته»[١٤١]، وقد ذكر هذا الكتاب ابن شاكر الكتبي[١٤٢]، واسماعيل باشا البغدادي[١٤٣]، والدكتور محمد أسعد طلس[١٤٤]، والدكتور محمد مصطفى هدارة[١٤٥]، والدكتور محمد رضوان الداية[١٤٦]٠

وكتاب ابن جني هذا من آثاره المفقودة، لم أقف على نصوص منه في الكتب التي بين يدى٠

أما ابن وكيع الذى تعرض ابن جني لنقد كتابه فهو أبو محمد الحسن بن علي، المعروف بابن وكيع التنيسي ـ نسبة الى «تنيس» وهي مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط مات فيها ابن وكيع[١٤٧] سنة ٣٩٣هـ٠

كتاب المنتصف:

هكذا ذكره ياقوت الحموى في (معجمه)[١٤٨]، وقال حاجي خليفة: «المنتصف في النحو لابن جني»[١٤٩]٠

وقال الأستاذ محمد علي النجار ـ وهو يعدد كتب ابن جني ـ «كتاب المنتصف: ويبدو أن هذا تحريف عن (المنصف) وهو شرح تصريف المازني ٠٠ وقد وقع في هذا الخطأ ـ فيما أحسب ـ صاحب كشف الظنون وهو عند ابن خلكان: المنصف»[١٥٠]٠

مجموع لابن جني:

أورده القفطي في كلامه عن الشريف الرضي[١٥١] بقوله: «كان الرضي من أهل الفضل، والأدب والعلم، والذكاء، وحدة الخاطر من صغره، ذكره أبو الفتح ابن جني، في مجموع له جمعه، وقد ذكر في بعض مجاميعه، أن هذا المجموع سُرِقَ منه في طريق فارس، وتأوه عليه كثيراً، ومات، وهو عادم له. ثم أن هذا المجموع حصل في بعض وقوف مدينة (أصبهان) ولما توجه اليها سعيد بن الدهان[١٥٢] البغدادي وجد المجموع المذكور، فنقل منه مجلداً واحداً، ولم أر سواه بخط سعيد المذكور، ذكر فيه أبو الفتح ابن جني، أن الرَّضي أحضر الى ابن السيرافي[١٥٣]، وهو طفل صغير جدا لم يبلغ عمره عشر سنين، فلقنه النحو، وقعد معه يوماً في الحلقة، فذاكره بشيء من الاعراب على عادة التعليم»[١٥٤].

وقد أورد ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان) ما ذكره القفطي عن تلقي الشريف الرضي النحو على ابن السيرافي، نقلا عن ابن جني، في بعض مجاميعه[١٥٥].

محاسن العربية:

ذكره ابن جني في اجازته لأحد الآخذين عنه بقوله: «كتابي في المحاسن في العربية»[١٥٦].

وهو من كتب ابن جني التي فقدها ابن جني نفسه في حياته، وقد أشار الى هذا بقوله: «وان كان ما جرى أزال يدى عنه حتى شذ عنها»[١٥٧].

كذلك أشار ابن جني الى كتاب (محاسن العربية) في كتابه (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة) بقوله «وقال أبو وجرة: ماء العناقيد ممزوجا باثلاج. ذلك لآن اللام أخت النون، وقد أجريت مجراها ألا تراهم قالوا: لعلى، فحذفوا نون (لعلني) لمقارنتها النون، كما حذفوها من (أننى)، وقالوا: أهل وأهال، وذلك لمضارعة الهاء لحروف العلة وقد تقصيت هذا النحو في (كتاب المحاسن) وقد كنا أصبنا به، ونرجو أن يعيده الا سبحانه الينا»[١٥٨].

وقد ذكره أيضا ابن شاكر الكتبي[١٥٩]، وابن قاضي شهبة[١٦٠]، والسيوطي[١٦١]، وحاجي خليفة[١٦٢].

مختار تذكرة أبي علي وتهذيبها:

قال عنه ابن جني: «وكتاب ما خرج عني من تأييد التذكرة عن الشيخ أبي يعلي»[١٦٣].

وقال الدكتور محمد أسعد طلس: «ولم أر من أشار الى هذا الكتاب سوى ابن خلكان ذكر له كتابا باسمه: (مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها) فلعله هو هذا»[١٦٤].

ونستدرك على الدكتور طلس فنقول: ذكر هذا الكتاب القفطي في (انباه الرواة)[١٦٥]، وابن شاكر الكتبي في (عيون التواريخ)[١٦٦]، وابن قاضي شهبة في (طبقات النحاة واللغويين)[١٦٧].

وهذا الكتاب وقف عليه عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) وعنده نسخة منه. يقول عنه وهو يسرد كتب ابن جني «وله أيضا: (مختار تذكرة أبي على الفارسي وتهذيبها)»[١٦٨].

وقال عن هذا الكتاب وعن كتب أخرى لابن جني. «وهذه الكتب جميعها عندي ولله الحمد والمنة»[١٦٩].

واذا كان هذا الكتاب سلم من عوادي الزمان حتى عهد البغدادى فلعله في احدى المكتبات التي لا يزال مجهولا، أو لا يعرف ما في باطنها ونأمل الوقوف عليه قريبا (إن شاء الله).

ولابن جني اهتمامات أخرى بتذكره أبي علي فقد قام بنسخها والنقل منها، واعتمد عليها في تأليف كتبه يقول ابن جني: «وكنت وأنا أنسخ (التذكرة) لأبي على اذا مرّ بي شيء، قد كنت رأيت طرفاً منه أو ألمت به فيما قبل، أقول له: قد كنت شارفت هذا الموضع، وتلوّح لي بعضه، ولم أنته الى آخره، وأراك أنت قد جئت به

ستوفيته وتمكنت فيه، فتبسم (رحمه الله) له وينطلق يه، سروراً باستماعه، ومعرفته بقدر نعمة الله عنده، عي أمثاله»[١٧٠].

ولعل نسخه للتذكرة وتدارسها مع شيخه الفارسي ـو الذي حداه الى تهذيبها [فلربما عنّت له أشياء ـكررة فأراد حذفها وهذا حصل في حياة أبي علي. كذلك وصلتنا نقول عن (التذكرة) في بعض كتب ابن جني[١٧١].

الهوامش والتعليقات:

(٦٨) وفيات الاعيان جـ ٦/ ٤٠٠ في ترجمة ابن السكيت.

(٦٩) هو أبو خالد، وقيل: أبو الجنناء: شاعر اسلامي أنظر: معجم الشعراء في لسان العرب للدكتور ياسين الأيوبي ص ٣٣٥ حيث ذكر أنه اشتهر بالقناني (بالقاف والنون).

(٧٠) المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعيني (بهامش خزانة الأدب) للبغدادي، ط بولاق جـ ١/ ١٥٤ ـ ١٥٥.

(٧١) وفيات الأعيان جـ ٦ / ٤٠٠.

(٩٧٢ اصلاح المنطق لابن السكيت، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، طبعة دار المعارف بمصر (ط ٣) سنة ١٩٧٠م ص ١٣٤.

(٧٣) راجع: نزهة الألباء للأنباري ص ٣١٦ ومقدمة تحقيق (الايضاح) للدكتور حسن شاذلي فرهود صفحة (ط).

(٧٤) انظر في شروح الايضاح: كشف الظنون جـ ١/ ٢١١ ـ ٢١٣.

(٧٥) تاريخ الأدب العربي (الطبعة العربية) جـ ٢/ ١٩١ (في ترجمة أبي علي الفارسي).

(٧٦) بغية الوعاة جـ ١ / ٥٨٧.

(٧٧) أنظر مثلا: أبو الفتح ابن جني للدكتور طلس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ سنة ١٩٥٧م ص ٣٤٩، وابن جني النحوي للدكتور فاضل السامرائي ص ٨٨، ومقدمة تحقيق (اللمع لابن جني) للدكتور حسين شرف ص ٣٥، ومقدمة تحقيق (اللمع لابن جني) أيضا للدكتور فائز فارس (ط ١ الكويت) صفحة (ير) ومقدمة تحقيق (التكملة) لأبي علي الفارسي للدكتور كاظم بحر المرجان ص ٥٢.

(٧٨) هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ.

(٧٩) الأنفال آية ٢٥ وتمامها (واعلموا أن الله شديد العقاب).

(٨٠) شرح اللمع (مخطوط) ورقة ٢١٧.

(٨١) شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري جـ/ ٣٣٢.

(٨٢) حاشية ياسين العليمي على شرح التصريح جـ ٢/ ٣٣٣ وفي معرفة حياة العليمي وآثاره، انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة جـ١٣/ ١٧٧.

(٨٣) حاشية ياسين العليمي على شرح التصريح جـ٢/ ٣٦١.

(٨٤) كشف الظنون لحاجي خليفة جـ ١/ ٦٠١ وإيضاح المكنون في النيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي جـ ٢/ ٢٨٦.

(٨٥) كشف الظنون جـ١ / ٦٠٣.

(٨٦) المرجع نفسه جـ١/٦٠٢.

(٨٧) انظر: مقدمة تحقيق كتاب (الجمل في النحو) المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي للدكتور فخر الدين قباوة (طبع مؤسسة الرسالة، ببيروت سنة ١٩٨٥م ص ١٣ (بتصرف).

(٨٨) يُنظر في ترجمة ثعلب: نزهة الألباء لأبي البركات الأنباري ص ٢٢٨ ـ ٢٣٢ وكتابه (الفصيح) نُشر في طبعة مُحَقَّقَة نشرته دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٤م بتحقيق د. عاطف مذكور.

(٨٩) كشف الظنون جـ١/ ١٢٧٢.

(٩٠) معجم الأدباء جـ١٢/ ١١٣ .

(٩١) عيون التواريخ جـ ٢/ ١٥٠ .

(٩٢) بغية الوعاة جـ٢/ ١٣٢ .

(٩٣) كشف الظنون جـ١/ ١٢٧٢ .

(٩٤) أنظر مفتاح السعادة لطاش كبري زاده جـ١/ ١٣٥ ومقدمة تحقيق (الخصائص) للأستاذ محمد على النجار (يرحمه الله) جـ١/ ٦٧ .

(٩٥) من هذه المخطوطة نسخة مصورة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة برقم ٢٨٣ كما توجد في المركز المذكور نسخ مصورة أخرى لهذا الكتاب. انظر: فهرس اللغة العربية بمركز البحث العلمي جـ١/ ٣٢ ـ ٣٣.

(٩٦) اثبات المحصل من نسبة أبيات المفصّل للمبارك بن أحمد، المعروف بابن المستوفى الأربلي لوحة ١١٣ ـ ١١٤ مخطوطة بحوزة الدكتور عياد عيد الثبيتي وقد أطلعني عليها الزميل المذكور فله الشكر.

(٩٧) نزهة الألباء ص ٣١٦.

(٩٨) معجم الأدباء جـ ٧/٣٤١.

(٩٩) إنباه الرواة جـ ١ /٢٧٤.

(١٠٠) كشف الظنون جـ ٢ /١٤٦٢ (بتصرف).

(١٠١) هدية العارفين جـ ١ /٦٥٢ .

(١٠٢) معجم الأدباء جـ ١٢ ,١١٣ وانظر: ابن جنى النحوى للدكتور فاضل السامرائى ص ٨٩.

(١٠٣) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك تحقيق عدنان الدورى (ط العراق) ص ٨٢ ـ ٨٣.

(١٠٤) فهرست ما رواه عن شيوخه (ط بيروت) ص ٣١٧.

(١٠٥) وفيات الأعيان جـ ٣/٢٤٧ والأخفش هو سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط.

(١٠٦) إنباه الرواة جـ ٢/٦٣٦ .

(١٠٧) معجم المؤلفين جـ ٦/٢٥١ .

(١٠٨) معجم الأدباء جـ ١١٣/١٢ .

(١٠٩) شذرات الذهب جـ ٣٠/١٤٠ .

(١١٠) دائرة المعارف للبستانى جـ ١/٤٣٦ .

(١١١) النجوم الزاهرة جـ ٤/٢٠٥ .

(١١٢) عيون التواريخ جـ ١٢/١٥٠ .

(١١٣) صفحة ٣٩٨.

(١١٤) كشف الظنون جـ ٢/١٣٧٧ .

(١١٥) معجم الأدباء جـ ١٢/١١٣ .

(١١٦) مقدمة تحقيق كتاب اللمع صفحة ٣٨.

(١١٧) أبو الفتح ابن جنى للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ صفحة ٦٦٤ .

(١١٨) معجم الأدباء جـ ١٢/١١٣ .

(١١٩) أبو الفتح ابن جنى للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ ص ٦٥٨ .

(١٢٠) راجع مقدمة تحقيق كتاب الفرق لقطرب (محمد بن المستنير ت ٢٠٦هـ) للدكتور خليل ابراهيم العطية صفحة ٢٧ .

(١٢١) كتاب الفرق لثابت بن أبى ثابت تحقيق الدكتور حاتم الضامن صفحة ٢٨ .

(١٢٢) المخصص لابن سيدة (ط بيروت) جـ ٨/٦٦ .

(١٢٣) المرجع نفسه جـ ٨/٣٥ ، ٣٦ .

(١٢٤) المرجع نفسه جـ ٨/٨٣.

(١٢٥) مقدمة تحقيق كتاب الفرق لقطرب ص ٢٧ .

(١٢٦) المخصص جـ ١/١٣ .

(١٢٧) الفهرست ص ١٢٨ .

(١٢٨) معجم الأدباء جـ ١٢/١١٣ .

(١٢٩)عيون التواريخ جـ ١٢/١٥٠ .

(١٣٠) طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة ص ٣٩٨ .

(١٣١) من لصوص العرب، كان يعترض القوافل بين الحجاز والشام لم يذكر ابن جنى اسمه، عُرف بكنيته.

(١٣٢) التمام في تفسير أشعار هذيل ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .

(١٣٣) الخصائص جـ ٢/٤٤٢ ـ ٤٥٧ .

(١٣٤) معجم الأدباء جـ ١٢/١٣ .

(١٣٥) أنظر: انباه الرواة للقفطى جـ٢/ ٣٢٧، وبغية الوعاة للسيوطي جـ ٢/١٣٢، وشرح أبيات مغنى

للبيب للبغدادي جـ ١١٩/٢ وروضات الجنات للخوانساري ص ٤٤٦.

(١٣٦) في معرفة نصوص كتاب (القدّ) الأخرى انظر: منهج السالك لأبي حيان ص ٢٧٠، والبرهان في علوم القرآن للزركشي جـ ٢٨٦/٢ و ٣٧٤ والبسيط في شرح الجمل لابن أبي الربيع تحقيق د. عياد الثبيتي (ط بيروت) جـ ١٠٠٩/٢.

(١٣٧) شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري جـ ٢٨٩/٢، وفي لسان العرب لابن منظور (حلك): الحُلكى على (فُعْلى): دويبة شبيهة بالعظاءة.

(١٣٨) الممتع في التصريف جـ ٤٦٠/٢ وانظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان (نسخة مصورة بحوزة الدكتور عبد الله بن علي الحسيني البركاتي عن مخطوطة مكتبة الاسكوريال بأسبانيا، الجزء العاشر ورقة ١٢٣ وقد تكرم الدكتور الحسيني باطلاعي عليها فله الشكر.

(١٣٩) معجم الأدباء جـ ١٣/١٢.

(١٤٠) عيون التواريخ جـ ١٥٠/١٢.

(١٤١) هدية العارفين جـ ٦٥٢/١.

(١٤٢) أبو الفتح ابن جني للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ ص ٦٦٣.

(١٤٣) مقدمة تحقيق سرقات أبي نواس لمهلهل بن يموت بن المزرّع للدكتور هدارة ص ٩.

(١٤٤) مقدمة تحقيق المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره لابن وكيع للدكتور محمد رضوان. الداية ص ١٣ (طبعة دار قتيبة للطباعة والنشر بدمشق سنة ١٩٨١م.

(١٤٥) وفيات الأعيان جـ ١٤٠/٢، ١٠٦ ـ ١٠٧.

(١٤٦) معجم الأدباء جـ ١٢, ١١٣.

(١٤٧) كشف الظنون جـ ٢/ ١٨٥٠ وانظر هدية العارفين جـ ١ /٦٥٢.

(١٤٨) مقدمة تحقيق الخصائص لابن جني للأستاذ محمد علي النجار (يرحمه الله) جـ ٦٥/١.

(١٤٩) اسمه: محمد بن الحسين: شاعر وأديب، توفي سنة ٤٠٦هـ راجع: إنباه الرواة للقفطي جـ ١٤٤/٣ ـ ١١٥.

(١٥٠) نحوي معروف توفي سنة ٥٦٩هـ انظر: إنباه الرواة جـ ٤٧/٢.

(١٥١) هو يوسف بن الحسن بن عبد الله السيرافي: عالم بالعربية، توفي سنة ٣٨٥هـ، راجع: معجم الأدباء جـ ٢٠, ٦٠.

(١٥٢) إنباه الرواة جـ ١١٤/٣.

(١٥٣) وفيات الأعيان جـ ٤١٦/٤ في ترجمة (الشريف الرضي).

(١٥٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي جـ ١١٠/١٢

(١٥٥) المرجع نفسه جـ ١١٠/١٢.

(١٥٦) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ورقة ٩٠.

(١٥٧) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي جـ ١٥٠/١٢.

(١٥٨) طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة صفحة ٣٩٨.

(١٥٩) بغية الوعاة للسيوطي جـ ١٣٢/٢.

(١٦٠) كشف الظنون جـ ١٦٠٨/٢.

(١٦١) معجم الأدباء جـ ١١٠/١٢

(١٦٢) أبو الفتح ابن جني للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ ص ٦٥٩، ووفيات الأعيان جـ ٢٤٧/٣ ـ ٢٤٨.

(١٦٣) انباه الرواة جـ ٣٣٦/٢ ـ ٣٣٧.

(١٦٤) عيون التواريخ جـ ١٥٠/١٢.

(١٦٥) طبقات النحاة واللغويين ص ٣٩٨.

(١٦٦) حاشية على شرح (بانت سعاد) لابن هشام جـ ٢٠٠/١.

(١٦٧) المرجع نفسه جـ ٢٠٠/١.

(١٦٨) الخصائص جـ ١ / ٢٠٧ .

(١٦٩) انظر : التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ورقة ١٣٥ ـ ١٣٦ ، والتمام في تفسير أشعار هذيل ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(١٧٠) معجم الأدباء جـ ١٢ / ١١٣ .

(١٧١) عيون التواريخ جـ ١٢ / ١٥٠ .

رحلة فى المكتبة (٦)

كنوز الأجداد

تأليف الأستاذ : محمد كرد على

قرأ الأستاذ محمد كرد علي ما استطاع الحصول عليه من كتب التراث في المكتبة العربية ما بين مخطوطة ومطبوعة فوقف على كثير من الصفحات المضيئة في دنيا الأدب والعلم والدين والفن مما أبدعه السالفون على مر العصور، وقد كتب عن قراءاته المتعددة مقالات ضافية، كما يتضح من آثاره الكثيرة سعة اطلاعه الشامل على هذا التراث، وقد أراد أن يكشف للقارىء العربي عن مؤلفات خمسين باحثاً من كبار المؤلفين في المكتبة العربية، فاختار أن يتحدث عن هؤلاء في كتابه (كنوز الأجداد) وقد يظنّ المتصفح للكتاب لأول وهلة حين يقرأ الفهرس الحافل بأسماء هؤلاء أن الكتاب كتابُ تراجم! ولكنه ليس تراجم فحسب لأن مهمة المؤلف كما قدّرها في نفسه يوم بدأ بنشر كتابه متفرقا في المجلات العلمية ثم مجموعاً في كتاب مستقل، أن يكشف عن الحقيقة العلمية لكل باحث تعرّض له، فهو لا يهتم بتتبع حياته طفلا وشابا وشيخا حتى يدركه الموت، فذلك النوع من التأليف ميسور لمن يقرأ كتب التراجم والطبقات ثم يصوغ منها مائة ترجمة أو ألف ترجمة كما يتسع له وقته، وهو حينئذ لا يضيف جديداً يذكر، أما الأستاذ كرد علي فقد عكف على قراءة آثار هؤلاء المختارين، وفيهم الأديب والجغرافي والمفسر والطبيب والمؤرخ والناقد والنديم والمحدث والفقيه والمتكلم والنظار، عكف على قراءة آثار هؤلاء، ليتحدث عن الاتجاه العلمي لكل واحد من هؤلاء، وليرصد مواضع نبوغه في التأليف ومواضع ضعفه حينا، وأقول حيناً، لأنه لم يختر أحدا من الضعفاء، بل إن ناحية الضعف قد توجد في أثر واحد من آثاره فوجب أن يلفت إليه، ولو أن قارئا فاحصا عكف على دراسة (كنوز الأجداد) دراسة متأنية لهدته إلى أنفس كتب العربية وأرقاها تفكيراً وأغلاها معدنا، فتشوق إلى أن يقرأ هذه الكتب بنفسه. فيكون (كنوز الأجداد) أكبر دافع على البحث الجاد. لا سيما أن المؤلف الكبير قد كان ناقدا حصيفاً لبعض ما لم يره صحيحاً من المسائل العلمية، فكشف عن رأيه في أدب وإكبار، وتلك طبيعة النظراء من رجال الفكر الذين يقدرون معاناة السابقين في ما كتبوه، فالتمسوا لهم جانب العذر فيما فرط منهم من الهنات، وهو بذلك يرسم المثل لمن يجوفون النقد في مسألة قد لا تكون جديرة بالاهتمام، ويطيلون الطبل، وكأنهم عثروا على خطأ شنيع! وهذا ما نلحظه كثيرا لدى الأدعياء.

وقد افتتح الباحث الكبير كتابه بترجمة ضافية لأستاذه الكبير الشيخ طاهر الجزائرى، فكشف عن تاريخه العلمي بما لا يدع موضعاً للنقص، والصلة بين الشيخ الجزائرى وكتاب كنوز الأجداد واضحة، لأن العلامة الكبير قد اهتم بجمع المخطوطات العربية من مكاتب الشرق والغرب، وأفاد منها، فكانت نواة للمكتبة الظاهرية بدمشق، ولولا جهد الشيخ الجزائرى لضاعت مؤلفات ثمينة حرص على تجديدها بالنسخ والتصحيح! وهو الموجه الأول للأستاذ كرد علي في هذا المضمار إذ حبب إليه في عهد اليفاعة الاستزادة من قراءة التراث، ووجوب اقتنائه، وصادف ذلك هوى بالغا في نفس التلميذ، فجد



بقلم : أ. د. محمد رجب البيومي
ـ المنصورة ـ

ـده قـارئا وناسـخـا وناشراً ومـؤلفا حـتى نفع العقل العربي - بل الاسـلامي - بما كـتب وألف جـمع ونقـد ، وبذلك صـار علمـاً من أعـلام النهضة العلمية في هذا العصر الحديث!

وقـد لاحظت أن المؤلف الكبـيـر قـد ترجم لبعض الأعلام أكثر من مرة بالنظر الى كُتـبـه الأخرى، فـابن المقـفـع والجـاحظ وأبو حـيـان التوحيدى وغيرهم قد ترجم لهم المؤلف الكبير في كتابه أمراء البيان وغيره تراجم مبسوطة وافية، وهو في كنوز الأجداد يميل الى الإيجاز الدقـيق وأنصح القـارىء بمعاودة الرجـوع إلى هذه التراجم في مؤلفات الأستاذ لأن بعضـهـا يكمّل بعضا، ولكل مقام مقال.

لقـد تجنى المغـرضـون على ابن المقـفـع ورموه بالزندقة وارتياد أماكن اللهو مع طائفة من الخلعـاء والمجـان، وهذا باطل ينقـضـه مـا تعـورف من مـسـيـرته وآثار قلمـه، ولكنه قـتل مظلومـا . ونافق الوصـوليـون أرباب الحكم ليـهـونوا من خطبـه الكارث، فـاخـتلقـوا هذه الافتراءات، وقد أنصفه الأستاذ كرد على حين ذكر عن فضله الكثير، وفنّد تهمة من يرميه بالشعوبية حين أكد «ولوعـه بالإسـلام وحكمـتـه وشـغـفـه بالعرب وعظمـتـهم، ونقل من أقواله مـا يدل على ذلك ثم خـتم الحديث عنه بقوله[١]:

«إنّ ابن المقفع في كل حالاته مجموعة من الكمال المطلق، إذا أنعـمت النظر في حـيـاته لا تدرى من أي شيء تعجب منه! أمن علمه أم من أدبه أم من أخلاقه، ولولا أنه الغـاية فـيـهـا، مـا كتب لكتـبـه هذا الموقع من القلوب على الأيام.. وهو في علمه وعمله سواء وغاية، لا يخـدع ولا يكذب، ولا يُمـوّه ولا يبـخل، ويعـمل عـمل الصالحات من دون غرض يتوقعه، ويدعو إلى الإصلاح ولا شأن له إلا رفع شأن الإسلام».

وحديثه عن الجاحظ على إيجازه سديد موفق، إذ شرح أسمى ميزة للجاحظ وهى تفرده باستعمال العقل في الرأى المعـروض، وفي كل مـا يقع عليـه الحس، وتنظره العين وتتـشـوفـه النفس، وهو ينظر النظرة الفلسفية التى صححتها التجربة، وأبرزها الامتحان وكشف عن قناعها البرهان، كما خلص إلى شمـائله النفسية فذكر أنه كان كريماً لا يمسك مالا فيعسر أحيانا، قـال ذلك، مع أنى قرأت لبعض ناقديه أنه مـا ألّف كتاب البخـلاء وأبدع في أوصـافهم ، وحـامى عن بعضها إلا لإعجابه بصفاتهم! ولم يترك المؤلف حديث الجاحظ فيما كتبه بعدُ عن ابن قتيبة لأن هذا العالم السنّي الورع قد هاجم الجاحظ فـقـال عنه «إنه أكذب الأمة وأوضـعـهم للحديث، وأنصـرهم للباطل، فـقـال الأستاذ محمد كرد على تعقيبا على ذلك[٢].

«هل من العدل أن يرمى بوضع الحديث، وتشدده وتشدد أهل مذهبه في الأحاديث لا يحتـاج الى دليل، ولولا أن وقف هؤلاء المعتزلة وطبقتهم وقفتهم المحمودة



محمد كرد علي

في الحملة على أعداء الاسلام، ولولا المتكلمون عامة لاستضر الدين وما نجا بجمود الفقهاء ورواة الحديث» وهو مع حبه للجاحظ يحتفظ بتقدير صائب لابن قتيبة إذ قال عنه إنه كان عارفاً بزمانه، وتقلُّده للقضاء فتح له باباً ولج منه إلى معرفة حال الراعي والرعية، وكان من جهابذة العلماء الذين هضموا علمهم، وقد وفق الى اختيار أطايب أخبار القدماء ورزق حظا من التنسيق والترتيب وكان يجيد استخدام عقله، ويجيد التخلص من المآزق!

وحديث المؤلف عن ابن عبد ربه حسن في بابه إذ أجمل فضائل العقد الفريد في فقرات تحدد موضعه الطبيعي في كتب التراث، وقد قال عنه بصدد ما اختاره ابن عبد ربه من الكتب السابقة أنه دلَّ على ذوق عال، ومادة واسعة في الشعر والأدب واختيار الكلام (كما قال المؤلف) أصعب من تأليفه، واختيار الرجل وافد عقله! وقد أقف وقفة قصيره عند قول ابن عبد ربه إنّ اختيار الكلام أصعب من تأليفه، وموافقه الأستاذ كرد على لهذا الرأى، لأن الاختيار اذا احتاج الى ذوق ودربة وموازنة فإن التأليف يحتاج الى هذه جميعاً مع قدرة على الصياغة، ونشاط في البسط والتحليل والمناقضة فكيف يكون الاختيار أصعب من التأليف!! إن الأديب يختار كتاباً في شهر، ولكنه لا يكتبه على وجهه الصحيح في أقل من عام! فأين هذا من ذاك؟

ولم ينس الجانب الخلقي في تحديد شخصية من يتحدث عنه، فهو يعرض إلى ما أثر من فضائل ابن جرير الطبرى الخلقية وغيره، فيجلوها أحسن جلاء، والكتاب بهذا كتاب تربية وسلوك قبل أن يكون كتاب أدب وعلم، وقد يذكر من النوادر الطريفة ما يغني عن تسطير أحكام تقريرية تحتاج إلى استدلال، فهو مثلا يضرب المثل على سعة عقل ابن جرير الطبري وبُعد نظره، وعرفانه بزمانه بهذه الطرفة الدقيقة[٣].

لما خلع المقتدر، وبويع ابن المعتز، دخلوا على ابن جرير الطبري، فقال: ما الخبر؟ قيل: بويع ابن المعتز، قال: ومن رشح لوزارته؟ قيل: ابن الجراح، قال: فمن ذكر للقضاء؟ قيل: أبو المثنى، فأطرق ابن جرير ثم قال: هذا أمر لا يتم ، قيل: وكيف؟ قال كلُّ واحد من هؤلا متقدم في معناه. والزمان مُدْبر، والدنيا مُولّية. فم أرى هذا إلا إلى الاضمحلال! وكان كما قال، فقد جرى الحربُ بين غلمان المريدين للمقتدر، وبين المريدين لابن المعتز، فانهزم ابن المعتز، وتفرق أصحابه، ثم أمسك وحُبس ليلتين، وقُتل خنقا، فكانت خلافته يوما واحدا».

وقد اهتم المؤلف بكاتبين كبيرين من كتاب الدولة الطولونية بمصر ما أظن أحداً من قبله قد خصّهما بهذا التحليل الكاشف الدقيق، وهما أحمد بن يوسف الملقب بابن الداية، وأبو عبد الله البلوى، فقد كتب الأول كتابه المسمى بالمكافأة وحسن العقبي، على نمط قصصي رائع إذ ذكر عدة حكايات تدل على أن المعروف لن يضيع ثوابه في الحياة الدنيا، وحكايات أخرى تدل على أن البغي في هذه الحياة يترقبه سوء المصير، والكتاب بهذا الاتجاه كتاب أخلاق نادر الاتجاه، إذ ليست قصصه متخيلة وإنما هى وقائع مشهوده راها المؤلف فدونها أو رآها ثقات غيره فدونوها وتبعهم فيما قالوه، وقد جعل المؤلف همه في ذلك «أن يكون كتابه عوناً للاستكثار من مواصلة الخير، وتطلب المعارفة في الحسن، وزجر النفس عن متابعة الشر، وإبعادها عن سورة الانتقام في القبيح، وأسلوب المؤلف موجز يميل الى السهولة في اختيار الألفاظ المألوفة ويقول الأستاذ كرد على بصدد ذلك[٤].

ولعل أحمد بن يوسف لم يكن دون ابن المقفع ببلاغته، وقد سُلك معه في سلك واحد، وربما زاد على ابن المقفع أنه كان أقرب إلى الحياة لامتزاجه بالسوقة من فلاحين وتجار ورجال الدولة وعلمائها ومهندسيها وقوادها وكان يعين وأبوه من قبله من الزراعة فعرف طرق الكسب الحلال، وطرق تثمير المال، وعرف طبقات الناس بكل ما انطووا عليه من خير وشر.

فأما أنه قد امتزج بالعامة والخاصة أكثر من امتزاج ابن المقفع برجال عصره فهذا مالا ينكره من عرف تاريخ الرجلين، وأما أن ابن يوسف لم يكن دون ابن المقفع ببلاغته فهذا ما ينكره مذهب الرجلين في

الكتابة، فأوج ابن المقفع الأسلوبي أرفع، وبيانه أجزل أوفى، واذا كان الإيجاز مذهب الرجلين، ففرق بعيد بين إيجاز كاتب بليغ متمرس، وإيجاز كاتب لم يعرف عنه الوقوف على أسرار التراكيب، بل في كتاب المكافأة بعض الأساليب العامية التي يترفع عن أمثالها ابن المقفع، ولا أعيبه بذلك، ولكني أصف واقعا مشهودا للقارىء الدارس، وقد قرأت آثار ابن المقفع مقارنة بآثار ابن يوسف فاتضح لي الفرق الهائل البعيد.

واللافت للذهن أن الأستاذ محمد كرد على قد اهتم بكتب القصص الأخلاقية ذات المدلول الاجتماعي حين خص كتب ابن الداية والبلّوي والتنّوخي بتحليل مقرظ لاتجاهها النفسي ومرماها الخلقي، وقال بصدد ذلك فيما حكاه عن أبى محمد البلوى، وقد نشر الأستاذ كتابه نشرا علميا وقدّم له تقديماً مفيدا، قال الأستاذ بصدد كتاب البلوي[٥].

إنه وضع تاريخا لم يسبق أحد إلى وضع مثله، وما صنف بعده على طريقته، ألا وهو تعليم التاريخ بالقصص فأورد لأحمد بن طولون المتغلب على مصر في القرن الثالث قصصاً وقعت له، عرف بها نشأته وأدبه وحكمه، وإدارته وعدله وظلمه وشجاعته وأريحيته ورحمته وقسوته وشرهه في جمع المال، وغرامه بالنظام.. ولولا تقدم ابن الداية عليه بتأليفه لما أتى كتابه آخذاً بحظ جزيل من الإمتاع وسعة المادة، وإذا كان الأمر كذلك فابن الداية رائد القصص التاريخى وكم يسرنا أن يلتفت أساتذة الأخلاق إلى مثل كتابي ابن الداية والبلوى وكتب القاضى التنوخى التى تحدث عنها الأستاذ في كتابه لأن هذه الكتب تضمنت من القصص ذات المغزى الخلقى فوق مغزاها الاجتماعى ما تصلح به أن تكون موضعا للقدوة الصالحة، ومثالا للسلوك المعتدل الذى يلقى جزاء الإحسان، وللسلوك المنحرف الذى يلقى عاقبة الانحراف، هذا الى كونها الفنّي في التعبير الأدبي، وموقعها من التاريخ السياسى والاجتماعي حين تسد مسداً لا تقوم به كتب المؤرخين على وجهها الصحيح.

وقد كنت أعجب وأنا أطالع كتاب أمراء البيان بجزءيه الكبيرين كيف اختار الأستاذ محمد كرد على ابن العميد ممثلا لعصره، وأغفل بديع الزمان الهمذاني، وهو أولى منه بالتقديم، لإجادته الفنية التي لا يبلغها ابن العميد، فكنت أقول: أكان الهمذانى من الضآلة بحيث يسكت عن تقديره باحث واسع الاطلاع كالمؤلف الكبير، ولكننى استرحت حين وجدته في كتاب (كنوز الأجداد) يخص البديع بترجمة حافلة ويقول في خلالها[٦]:

«ولو ادَّعى مدع أن الكتابة ما ختمت بابن العميد، كما قالوا بل بالهمذاني لكان حقا ومذهبا، فالهمذانى لا يستغنى عنه شاد في الأدب عن الأخذ عنه، ومثل ابن العميد كثار غير قلائل، وبعضهم أكتب وأشعر أخملهم تخلف الدنيا عنهم، وللشهرة أسباب قد تخطىء أعظم مستحق لها».

وكرد على من أصحاب الترسل في التعبير، لذلك لم يكن هواه مع مقامات البديع حين جزم بأنها نوع من القصة المخنوقة تبتدىء وتنتهى على نسق واحد، والحق أن بعض المقامات الهمذانية فاتر ضعيف ولكن الكثير جيد، وفيه ما بلغ حد الروعة مثل مقامة (المضيرة) التى أحسنت الوصف بما لا يأتى به مترسل إلا فى الندرة النادرة، ولعلى أكون بهذه العجالة قد دفعت القارىء إلى مراجعة كنوز الأجداد في حجمها الضيق المحدود بصفحات هذا الكتاب وفي حجمها الواسع الممتد في مكاتب الشرق والغرب، مخطوطة ومطبوعة! فلا أثمن من هذه الكنوز لدى العارفين وكتاب الأستاذ كاشف بصير ببعض هذه الكنوز.

الهوامش:

(١) كنوز الأجداد ص ٦٦.
(٢) كنوز الأجداد ص ٩٠.
(٣) كنوز الأجداد ص ١٢٠.
(٤) كنوز الأجداد ص ١٣٢.
(٥) كنوز الأجداد ص ١٧١.
(٦) كنوز الأجداد ص ١٨١.

الأغلب بن جعشم العجلي

بقلم : أ . د . عبده بدوي
- الكويت -

واحد من المعمرين الذين طال عمرهم في الجاهلية وفي الإسلام، والذي يحفظ له أنه أول من قصد الأراجيز، ثم تبعه الناس، وبخاصة أن الرجز على وجه الخصوص قد وجد ازدهارا في عهد بني أمية.

ذلك لأن الرجاز في هذه الفترة اعتنقوا ما يعتنقه بنو أمية، ووجدوا التشجيع منهم إلى حد أن بعض الخلفاء كان يقدم الرجاز على أصحاب القصائد، ثم إن الرجز بعد أن كان مقصوراً على الأبيات القصيرة التي تقال في الحرب والحداء والمفاخرة وما يجرى هذا المجرى نرى أن الأغلب قد أطاله، وأدخل عليه الأساليب التي عرفت في القصيد.

والأغلب أول ما يقابلنا نراه يلزم شجرة لا شوك فيها، ويقول من فوقها الرجز، ومما يحفظ له في هذا المجال.

قد عرفتني سرحتي فأطَّتِ
وقد شَمطتُ بعدها واشْمطَّتِ

ونحن لم نسمع صوته عاليا إلا في عهد أبي بكر، وفي فترة «الردة» فقد كان من مضاعفاتها ادعاء سجاح، ومسيلمة الكذاب النبوة، ولقد كان مما أهمه عملية الزواج التي تمت بينهما، وقد صور اللقاء الذي تم بينهما، وعبر تعبيرا مباشرا عما تم بينهما في هذا اللقاء، فقد ادعت أنه أنزل عليها هذا الكلام: يا أيها المؤمنون المتقون، لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها، ولكن قريشا قوم يبغون، ولقد التفت حولها وحول ما تقول بنو تميم، وحين أرادت أن تتوسع رأت أن يكون هذا في اليمامة حيث مسيلمة وقالت: يا معشر تميم، اقصدوا اليمامة، فاضربوا فيها كل هامة، وأضرموا فيها نارا منهامة، حتى تتركوها سوداء كالحمامة، وقد بلغ مسيلمة خبرها، فضاق بها ذرعا، وتحصن في حجر حصن اليمامة، وحين حضر جيشها حاصر هذه المنطقة، وحين استشار وجوه قومه في أمر الحصار قالوا: نرى أن نسلم هذا الأمر إليها وتدعنا، فإذا لم نفعل فهو البوار، وكان أن فكر مسيلمة بدهائه في هذا الأمر، فقد بعث إليها من يقول: إن الله تبارك وتعالى أنزل عليك وحيا، وأنزل عليّ وحياً، فهلمي نجتمع، فنتدارس ما أنزل الله علينا، فمن عرف الحق تبعه، واجتمعنا فأكلنا العرب أكلا بقومي وقومك، وحين

فقت أمر بقبة فضربت، وقال: أكثروا من الطيب
؛وعية الجمر، فإن المرأة إذا شمت رائحة الطيب
،نت وسلست، وتم اللقاء بالفعل، وتذاكرا ما زعما
ـه أنزل عليهما، وأخيرا قالت له: فبأي شيء
؛مرك؟ فقال لها أربعة أبيات تدعو إلى المواقعة، فلما تم الأمر بينهما قالت: إني مسلمة النبوة إليك، فاخطبني إلى أوليائي يزوجوك، ثم أقود تميماً معك، ثم خرجا، واجتمع الحيان من تميم وحنيفة، وتمت الموافقة على الزواج، وحين طلبت تميم المهر قال مسيلمة: وضعت عنكم صلاة العصر، وقد شغل هذا الأمر الشاعر الأغلب فصور قصة اللقاء بين سجاح ومسيلمة في رجز طويل على غير العادة المعروفة في الرجز، وبمفردات جنسية متتابعة في الرجز إلى أن يصل إلى قوله:

والخلق السفساف يردي في الردى

قال: ألا تريته؟ قالت: أرى

قال: ألا أدخله؟ قالت: بلى

فشام فيها مثل محراث الغضى

يقول لما غاب فيها واستوى

لمثلها كنتُ أحسيك الحُسَى

وعلى كل فقد انتهى أمرها بمقتل مسيلمة، وعودة سجاح إلى الإسلام، ومن ثم أسدل الأغلب الستار على هذه القصة.

فإذا جاء عهد عمر بن الخطاب نراه يكتب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة: أن استنشد من قبلك من شعراء قومك ما قالوه في الإسلام، وكان أن أرسل المغيرة إلى الأغلب، وذكر له مطلب عمر، فقال الأغلب:

لقد سألت هينا موجودا

أرجزا تريد أم قصيدا؟

ثم أرسل إلى لبيد فقال له: إن شئت مما عفا الله عنه، يعني الجاهلية. فعلت، قال: لا أنشدني ما قلت في الإسلام فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة، وقال: أبدلني الله عز وجل بهذه مكان الشعر، فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فما كان من عمر إلا أن نقص من عطاء الأغلب خمسمائة، وجعلها في عطاء لبيد، فكتب الأغلب إلى عمر: يا أمير المؤمنين، أتنقص عطائي أن أطعتك، فرد عليه خمسمائة، وأقر عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة.

ثم إن العمر امتد بالأغلب، وقد عبر عن عملية الإمتداد هذه باقتدار ورهافة فقال:

إن الليالي أسرعت في نقضي

أخذت بعضي وتركن بعضي

حنين طولي، وطوين عرضي

أقعدنني من بعد طول نهض

ويقال إنه كان ممن حسن إسلامهم، وهاجروا، ثم بعد ذلك نراه يتوجه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص، ويرغب في نصرة الإسلام بالسيف، ومن هنا نراه يشترك في وقعة بنهاوند، ويلقي بنفسه في أتون الحرب، فيسقط شهيداً، ومضرجا بالدم وبالشعر، فقبره هناك فيما يسمى بلاد الجبل جنوبي همدان حيث قبور الشهداء، والصديقين.

سيمطر الحُبّ

جاءتْ بسكْر الليالي
ملفوفة بالظلال
وتشتكي من وجود
وتحتمي بالخيال
قالت: حبيبي أغثني
فأنت خيْر الرجال
وقلتُ: للشمس هاتي
شهامتي وتعالي
وما أتى الشعُّ حبًّا
ولا الظلام هلالي
ولا النهار ضياء
والصبْح للغيم تال
ما الحُبّ حُبي رفيقٌ
ما العيش عيش المحال
أأفتح الصبْر صبري
أأحتمي بالدُّلال؟!

قالت: أغثني بظل
أغثْتُها بظلال
هاك الهوى يا فؤادي
كم من رفات ببالي
فهل نسيت أسيراً
كنت الذي في الحبال؟
وكم أتيت عبيراً
عبر المساء الموالي
وكم أدرت بدوراً
وكنت خير منال
قف! واقطف الورد حبًّا
واغرس بنور الجمال
ما أن مُنيتُ بوعد
حتى توالى حيالي
ضباب عُمر وغاب
وما ترى من جدال

أما عشقت سناء
أنار وجه الأعالي
يا من نفيتُ بحُب
تاريخها بالتعالي
مهما أتيت بغيم
إنَّ الغيوم مآلي
رحماك إن جاء حُبي
باك بقطر زلال
ما بارق الحُب أرضي
ما الغيم في الجو سال
حبيبة الحر إني
ناشدتُ برد ظلالي
ما صادف القلب غيثاً
ولا زمان الخيال
سيُمطر الحُبّ عهدي
إذا رفقْت بحالي

عبدالرحيم كنوان - المغرب -

هموم وتشكى

يارفيقي ضاقت الأرض
وقد ضاق الفضا
واعترت وجهي دموع
الهم في هذا القضا
وعيون المجد قد غالت
فعيشي أسفا ..

أخليلي هل ترى في الـ
ـمجْد فكرٌ إن بقا؟
أو ترى في الفكر جهلٌ
أو ترى فيه الشقا؟
خبروني يا أخلائي
فدمي قد عطى
وجروحي ودموعي
وفمٌ فيه مكا ..
يا صديقي أنا لا أسألُ
إلا من علا ..
ففمٌ فيه المكا[١]
وفمٌ فيه العلا

أخرجوني فأنا المسْـ
ـكين في دار البلا
وأنا الراحل في قبـ
ـر مليء بالغثا[٢]

الهوامش:

(١) المكاء : الصفير.

(٢) الغثاء: أي أخلاط الناس.

منير علي آل نمر - القطيف -

الأم .. أجمل زهرة ربيع

إن أعذب وأرق كلمة تنطقها شفاه البشرية هي كلمة (الأم) ٠٠الصغيرة في شكلها، الكبيرة في مدلولها٠٠ كلمة تحمل في ثناياها كل معاني الدفء والحب والحنان٠٠ كلمة ينشدها الإنسان ويطمئن إليها٠٠ وأنى للمرء أن يلقى كقلب الأم التي كرمها القرآن الكريم مع الوالد (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحسانا) وكرمها الحديث الشريف: «الجنة عند أقدام الأمهات» وكرمها الشعراء (الأم مدرسة٠٠ إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق٠٠) الأم نسغ الحياة٠٠ فيها الصفاء والعطاء٠٠ فيها الأمل والتجدد٠٠ صلواتها الصامتة لا يمكن أن تضل الطريق إلى نبع الخير؛ إذ ليس هناك في هذا العالم كذاك الينبوع في داخل قلب الأم ٠٠

الأم: أجمل زهرة ربيع. الشعراء على مر الزمن ما أعظم حنينهم لأمهاتهم. هذا محمود درويش يقول:

أحن إلى خبز أمي
وقهوة أمي
ولمسة أمي
وأعشق عمري
لأني إذا متُّ
أخجل من دمع أمي٠٠

الأم شمعة الحياة ٠٠ شجرة الحياة ٠٠ جذعها الإيمان، وأغصانها النقاء٠٠ الأم مظلة الأمان٠٠ لقد بكى أحمد شوقي أمَّه بحسرة ومثله فعل معروف الرصافي وخليل مطران. كما برع في تصوير الأم أبو القاسم الشابي وفدوى طوقان والسيّاب٠٠ ولعل العطاء الصادق لدى أدباء المهجر أمثال جبران ونعيمة وشفيق معلوف وزكي قنصل والقروي يبقى مخلداً لمعطاء الأم وقدرها٠٠ ويبقى الحنين إلى الأم أنصع صفحة في لوحة الشعر؛ وأنقى لحن في قيثارته.

علاء الدين حسن - سوريا -

أفصح رعاك الله مَنْ رجُل

رجلٌ .. كان جبينه ذهبُ
وبوجهه .. يتشرف الذهبُ
الصمت حلو فوق مبسمه
فإذا تكلّم .. أورق الحطبُ
أصل كريم النبت معدنه
قد أنجبته سادة نُجُبُ
العزّ يفخر لو يصاهره
فبعزه .. تتفاخر العربُ
بدر تحجب .. لو يطالعنا
قد غيبته دوننا الحجبُ
النخل والرمان يعرفه
والتين والزيتون والعنبُ
عيناه مسبلتان في خفر
فإذا رنا .. تتراقص الهدبُ
وإذا مضى . فالعطر يتبعه
والفل والريحان والطربُ
وإذا تضاحك خلت ضحكته
قمراً تغنى حوله السحبُ
وإذا مضى فينا يحدثنا
تتميّع الأحجار والخشب
لا تشتكي بحديثه مللا
ويطير من أجفانك التعبُ
فكأنه من شهده عسل
لا ينقضي من شأنه العجبُ
متلألىء الأضواء مبتسم
والنور مقترب ومنجذب
وإذا أتينا كيْ نصافحه
تتشابك الأحجار والرطبُ
أفصح .. رعاك الله من رجل
إنَّا عيينا .. كيف تنسحبُ
ما أنت إلا .. فكرة خطرت
فاستودعتْها بطنها الكتبُ..!

محمد أبو المجد سليم ـ مصر ـ

دقائق مع البؤس

رأيت كأن البؤس شخص وأنني
أحدثه عن كل ما جاش في صدري
فقلت له ما سرّ نابك؟ قال لي
وهل عيشة من غير ناب ولا ظفر؟!
فقلتُ إذاً والعيش؟! قال شقاؤكم
فقلت له تبًّا لسرك من سر
إذا كان بين الناس أنس وفرحة
تجيء لهم بالليل متّشح الغدر
وإن كان بين الناس مال وثروة
أتيت لهم صبحاً لتنذر بالفقر
وهل عيشة تحلو بغير محبة
وصفو يزيل العسر في العيش باليسر
إذا كان سعدي أن أعيش منكداً
فخير إذاً سُكناي باللحد في القبر
فقال وقد أبدى إليّ عُبُوسه
وكشر بالأنياب تكشيرة النَّمر
وأين إذاً دورُ المخالب يا فتى
وقد خُلقتْ للفتك إن كنت لا تدري
فقلتُ له بل أنت تزعم كاذباً
فما خُلقت للشر بل دفع للشر

سعود حامد الصاعدي ـ مكة المكرمة ـ

قصة قصيرة

عش لعصفورين

النادل يرش أرضية المقهى، وبين الفينة والفينة يلبي حاجيات الرواد الذين يتقاطرون تباعا..

جلس شاب بدين يضع نظارة طبية على عينيه الكليلتين، منكب على قراءة الصحف التي شكلت هرما ورقيا أمامه، على مبعدة منه بطاولتين كهل نقر الشيب فوديه وحاجبيه وحتى زغبة نافرة من تجاويف أنفه، وبين ركبتيه رص سلة بيض، يكتسي معطفا ثقيلا جلي الثقوب زري المظهر..

وبين يديه كأس شاي ساخن يعيد الدفء الى صدره المقرور..

تنتابه نوبات العطاس وكحة مريرة يتوتر عندها، حتى يكاد يتجشأ أحشاءه..

وبين الرجل الأول والثاني: شاب أسمر، أكرت الشعر، يدخن بشراهة..

نظراته الزائفة تمسح الطريق العام .. ذاك أنا .. أنتظر أمينة وأشرب قهوتي الصباحية..

بائعون متجولون، ماسحو أحذية، يعرضون خدماتهم بالتناوب، متسولون بذل ورجاء يشحذون رزق يومهم..

مذياع المقهى بصوت عال، يصدح بأناشيد تمجد عيدا وطنيا.. يقتلني الانتظار..

وتبدو لي الحياة رحلة سفر مؤرقة، تتخللها محطات انتظار مسترسلة على حافتي الزمان والمكان..

توافق طلبي الماء من النادل مع وقوف سيارة الأجرة، التي ترجلت منها أمينة..

شعرت بارتياح غامر يتوزعني..

بجرعات عجلى أتيت على بقية الكأس .. نقدت النادل كُلْفَتَهُ .. وتغافلت عن تناول كأس الماء من يده.. طوح برأسه مطلقا صفير الاستغراب..

- أمينة !

- علي !

- صباح الخير .

- صباح النور .

خميرة النوم أشتمها من تفوهات أمينة المتتالية، تسربلت بجلباب من جوخ داكن، غطى ملابس النوم التي لم يسعفها ضغط الزمن باستبدالها..

قصدنا وكالة سمسار السعادة، الذي وعدنا صاحبها بالسكن المنشود ووصفه لنا بالجمال والرحابة والموقع الملائم، وأضفى عليه من النعوت ما أثر على أحلام يقظتنا..

أصرت أمينة على طلاء غرفة النوم باللون الأزرق السماوي، وقاعة الاستقبال تفرش بكيت وكيت..

ووصلنا الى حد الاختلاف على لون الستائر.. كما نختلف دوما على اسم أول وليد سيطرب

حياتنا بضحكاته الجذلى .. والبيت .. يا حرقتي على البيت..

الذي لم نستقر تحت سقفه بعد..

ضقت برأسي وضاقت أمينة برأسها، وفي لحظة مكاشفة ذابت نفسي فيها وذابت فيَّ..

قررنا أن نصبح ونمسي: اثنين، ككل مخلوقات الله الوادعة .. فالحكمة سنت العشرة البشرية مثنى .. مثنى .. رجل لامرأة وامرأة لرجل..

المرأة فرحة الرجل وهو فرحتها الكبرى..

ألحَّ علينا صاحب الوكالة في البكور، قبل وصول باقي الباحثين عن الكراء.. لأنه قد أبرم موعده مع الجميع .. والظافر من استبق..

جبنا المدينة طولا وعرضا بحثا عن بيت ، سمسار يقذفنا الى سمسار دون نتيجة..

أمينة البنت الكبرى لوالديها مدرسة في شط الثلاثين، وبدأ الشعور بالعنوسة يملأ حياتها بأفكار رمادية..

أخواتها البنات يطير بهن العرسان واحدة اثر أخرى..

علقت أمها بتأثر وأمومة: ـ الزواج سترة للبنت .. أمينة أزمعت الاستقلال بنفسها فذاك حقها، الى متى تبقى بقرة حلوبا .. تلبي حاجياتنا .. وتنسى نفسها .. والعمر يجري .. ويجري.. عليها أن تصنع مستقبلها..

وأردفت ملُوحة بمنديل في يدها: ـ كل شيء يفقد معناه اذا فات أوانه..

لم يكن بيني وبين أمينة ـ في أول العهد ـ كبير تواصل ، كنت أنظر اليها وأعاملها بإحساس مجرد من أية عاطفة خاصة، ولم أحتسب مطلقا بأن علاقة ما ستتطور الى وضع خاتم في أصبعي، وخاتم في أصبعها .. وتتحكم حلقة الارتباط..

أمينة تعرف عني الكثير، عن طريق احتكاكها بأختي وبنات الحي اللواتي كنت أنتقل بينهن عاشقا خائبا .. كقدر لابد من حدوثه، تعاقدنا على الزواج، وأعلنا الخطبة أمام الأشهاد.

السمسرة مازالت أبوابها مقفلة..

عرجنا على (مقشدة)، طلبت أمينة كأس حليب وحلوى واكتفيت بعصير برتقال..

أقبل صبي السمسار وشرع الأبواب..

لحقنا به فورا: سألناه: فين المعلم؟!

أجاب : هو جاي؟!

هش الينا بابتسامة، حتى برز نابه الذهبي اللامع ودفع بمفتاح الى الصبي، استله من مسمار مدقوق على لوحة حوت تشكيلة من المفاتيح مختلفة الأشكال والأحجام..

مشينا خلف الصبي في دروب واطئة، أفعوية المسالك، انتشرت فيها حبال الغسيل.. وأطفال يلهثون خلف كوم خرق في شكل كروي ويتنابذون بألفاظ نابية ونساء يقمن نسيجا ازاء منازلهن وأخريات ينشرن القمح بعد عملية غسله ليتشمس على حصير..

توغلنا في مسارب لدور كالحة، سكنتها الكآبة، وقف الصبي فوقفنا خلفه، وبدأ صراعا مريرا مع باب استعصى على الفتح .. عيل صبرنا .. حاولت أنا وحاولت أمينة..

وأعاد الصبي الكرة تلو الكرة، وكلما زاد الباب تعنتا زادت أعصابنا التهابا واعتكارا..

وعلى حين غرة، سمعت للباب صرصرة وقرقرة بالغ النشوز..

أعشانا ظلام داهم ما خلا بصيص ضوء خافت ينفذ من زجاج فاصل بين المنزل الفوقي والسفلي..

صرخت أمينة بذعر والتحمت بي، لما داعب قدميها فأر ضال أربكته المفاجأة..

وهب من جحره للترحيب بمقدمنا .. أشعلت عود ثقاب لنعاين البيت الخراب جيدا .. فتشت عن زر ضوء.. لا كهرباء ..

غرفتان باردتان كقبرين عتيقين .. وباحة صغيرة، كسيت بزليج مرقط بالأسود والأبيض، حف به الشق والهرس من جميع الأطراف .. والصراصير تمرح بحرية مطلقة..

عافت أنفسنا المكان، وتحاشيت النظر في وجه أمينة، خببنا السير مطرقين وأعصابي فاترة، خرجت أمينة من صمتها، وبدأت تهدئ من روعي وتطيب خاطري.

.. السمسار اللعين يشيع رجلين وسيدة متبرجة الى سيارة فارهة، شدت انتباه السابلة.. جذبته من سترته الفضفاضة..

ـ هذا هو البيت الموعود .. يا محتال!..

حدجني بنظرة عدوانية: ـ ومالو ..

وبشماته واستصغار واصل ..

أنتم الموظفون الدراويش .. عينكم كبيرة ويدكم قصيرة .. الله يكون في عونكم ..

أتتني قوة جامحة لا أعهدها في نفسي .. مسكته من رباط عنقه بعنف حتى جحظت عيناه الشائهتان، فرق بيننا رجال استوقفهم المشهد المحتد بيني وبين صاحب سمسرة السعادة .. الذي لم يقبل الاهانة ونشأ يرغي ويزبد بأنكى توعد ..

وأنحت عليَّ أمينة باللوم على تهوري..

ودلفنا الى متجر لنشتري جوربين ..

المصطفى كليش ـ القنيطرة ـ المغرب ـ

(سوف نعود) مشهد من مسرحية

لاح في الليل غريب من بعيد
مزقت أناته القلب الحديد
وقفت يمناه في حد الطريق
ضلت الخطوات للدرب السديد
مر عريان به في دربه
فعراهم حاله البالي الشريد
عادت الروح التي كادت تزول
واستفاق الحلم فيها من جديد
كانت الأوصال منه ترتجف
شبه عار يتهاوى في الجليد
راح بعض القوم يغشاه بثوب
فسرى دفء بمكروب كديد

* وذهل القوم، لمرأى الرجل الغريب، وقد بدا عليه الشحوب، فراحوا يعدون له وليمة، وراح بعضهم يسأله عن حاله، وهو نائم لا يجيب..

ثم صحا الضيف، في صباح الغد.. والرجال حوله بلا عدد، وقدموا له كل قرى.. ولما هدأت نفسه.. وتحسنت صحته وهيئته.. راح يحكي قصته، فقال:

أنا ضيف من فلسطين أتيت
كان لي زرع وأولاد وبيت
في أمان عشت خمسين سنة
في نعيم قد زرعت وجنيت
هاجمونا ذات صبح بالمدافع
يطلبون الدار والأهل.. أبيت
والعناد المحض في طبع اليهود
أحرقوا الزرع لإرهابي.. أبيت
قتلوا نسلي، وإني صامد
ما تراخيت بجهدي.. ما بكيت
هتكوا عرضي.. وعاقتني القيود
غصبوا أرضي.. وظنوني انتهيت

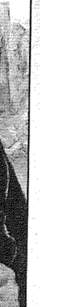
ثم راح الرجل في إغماءة.. لهول ما تذكر من فظاعة العدوان.. وبشاعة الاحتلال.. وأخذ القوم يسعفونه بماء الورد، حتى أفاق..

وتطلعت إليه الأنظار، وراح يترصدهم بنظرات كلها يأس وأسى، وبدأ يناجي أشباحاً غير مرئية قائلا:

أين أمجاد العروبة؟
وحقوق المسلمين؟
كيف يسلوني أخي المسـ
ـلم وحدي من سنين؟
وأنا بلا سيف ولا رمـ
ـح أصد المعتدين

نظر القوم بعضهم إلى بعض في حسرة.. ثم قال أحدهم:

صدق الضيف، ولكن
ما ذنوب الشاربين؟



وحقوق المرء صارت
كشعار لا يدين؟
صار حق المرء في جنب
القوي المستهين!
كهباء لا يراعى
وسراب لا يبين!

وعلا القوم صمت رهيب، ثم سمعوا صوت الرجل الضيف.. يزداد قوة، وكأنما عادت إليه صبوته وحيويته، يقول:

سوف يأتي اليوم يغدو الـ
ـعرب صفا لا يلين
سوف يفنون العدا
كي يعيدوا النازحين
سوف يحيون الجهاد
شرعة الحر الأمين
وتعود القدس يوماً
سوف نحيا آمنين

وصاح القوم جميعاً في صوت واحد:

ومن الآن سنمضي
كي نبيد الآثمين
لن يسوموا هواناً
لن نكون البائسين
سوف نحيا من جديد
أسداً تحمي العرين
سوف نحيا من جديد
أسداً تحمي العرين

إعداد / مادح رمضان عبدالحميد - مصر -

لسان حال الشعر

أنا سكبت الحب في قنواتي
فـلجـاش في روض الربا خلجـاتي
فـاهيم تلميحـاً بسحـر جمـاله
بتضـوع .. لواحـة .. نغمـاتي
والنفس تطرب والشدى رنينهـا
والكون نشـوان بـه لذاتـى
فـأصـوم عن رغبـات وهم عـاجل
لأرى بعمق العمق نور حيـاتى
فـأموج في نسمـات روح زاكيـاً
سبحـاتها بشـفيـفـة الصلوات

* * *

ومتى أقـام الحب خيمـة عـاشق
فـالعـازفـات بصدحـهـا جلواتي
وتعـذرت رؤياك كـشف طويتي
فـيبـوح فـيَّاح بنكـر سـماتى
وإذا الخيول تراقصت من عجبها
تجـذتُهـا التـعـبيـر عن خطراتي
وإذا الصـهيل الصحو أطرب فارساً
أصـغى الصـهـيل لأنه آهاتي
وأنا بأركـان المعـارض شـادياً
في يتمـهـا .. متـأملا لوحـاتي
وإذا الفـتـون يبين عن غـر بدا
بـارزته بضـراوة الكلمـات
وترى بلثّى للجـراح .. مضـمـد
والسـاقيـات رحيـقـهـا كـاسـاتي

* * *

وأنا بريق التـبـر ذرّه الثـرى
وأنا صليل الحق في الغـزوات
وأنا النضـار إذا الفنون تنضـدت
في عـقـدها كـقـلائد لرفـاتي
وأنا الجنون وأيلٌ في مـيـعـاتهـا
أبدى لمجنون بهـا .. هنَّاتي
وأنا الربيع النضـرُ في أزهاره
وأنا رحـيق العـشق والعـبـقـات
وأنا نجـوم الليل إن غـاب الضـيا
وأنا بشـيـر الصبح في الظلمـات
وأنا ينـابيع بـدت لقـوافـل
ضـلت طـريق المـاء في الفـلوات
أأنا أمـوت إن أتانى قـارىء
يتلو بنور النكـر في سكراتي
والقـبـر شـوقـاً سـاجـد بدلاله
والرمـز صلى للجـمـال الذاتي
إن حـاول الالحـاد طمس هويتي
جـاءت لتخـفق في السمـا راياتي
لا تعجبن لقـصـيـدة إن صـفـتـها
بلسـان حـال والنهى صبـواتي

أيمن ابراهيم تعيلب - مصر -

قصة قصيرة خرج النذير .. ولم يعد

أُعدَّتْ (البروش) من وقت مبكر، في صحن الجامع، ورُشَّت الأرض الرملية بالماء، استعداداً للصلاة فاليوم جمعة.

جاء من فتح باب الجامع، اطمأن على استعدادات اليوم المبارك، دلف بهدوء، نظر الى ساعة معصمه الذهبية، اكثر من مرة. هبت ريح جافة، إثر فتحه إحدى النوافذ، شغّل المايكرفون، إختبره بنفخات متتالية، ذات نفس متقطع لوهلة ساوره شك في حفظه للأذان، اختبر حفظه، ثم شرع في الأذان.

الصبية داخل سور الجامع، كانوا متحفزين جداً، يراقبونه من خلف النوافذ المفتوحة، يتمنون لو أعطاهم فرصة إمساك المايك مرة واحدة، تذكروا المؤذن السابق، بحسرة، الذى كان يمنحهم مثل هذه الفرص كثيراً حتى عاتبه كبار المصلين ، لم يكن ذلك الرجل الطيب يرفض لهم

ـباً، كثيراً ما شاركهم افطارهم.

الصبية يتسللون خفية من بيوتهم، في المساء، يبحثون ـنه، حتى يجدونه عند زريبة الحطب، جواره تستقر نارجيلة ـشتعلة، ينفخ فيها كل مرة، ويجذب نفسا من الدخان، حيث يكركر الماء في الزجاجة، أسفل النارجيلة، يقفون في وجهه يراهم متنافرى السحنات، بين أسمرهم وأسودهم وأحمرهم، نوى شعور متنافرة، تنافر سحناتهم ذاته: شعر ناعم أسود كثيف، شعر أحمر خفيف، شعر (قرقدى) قصير.

يطلبون منه حكايات عن الجنوب الذي عاش فيه طويلا، يضع خرطوم النارجيلة جانبا، مباعداً ما بين ساقيه، استعدادا للوقوف، يصحبهم الى الميدان الكبير، وهناك يحكي لهم الليل كله، حكايات عن الحيوانات المفترسة والمستأنسة، كان يعرف كثيراً عن الحيوانات يشبههم بالحيوانات: حيث إن التوأمين يشبهان الثعالب، وأحمد له شبه أكيد بالقرد، أما منصور المفتول العضلات، ما هو إلا أسد ضل طريقه عن الغابة، ومحمود أرنب صغير يرسل أذنيه للوراء عند الفرار، ولم يكن طارق سوى ثعبان يلتف على فرع شجرة من أشجار الاستوائية.

لم تكن حكاياته عن الحيوانات تنتهي ما أن ينتهي من حكاية، حتى يشرع في أخرى، كأن له (جراب)، لا قرار له، مليء بالحكايات، مرة سألوه عن الاطفال في الجنوب، مدارسهم، أماكن لهوهم، ألعابهم، لكنه لم يستجب، لهذا الطلب. تعجبوا كثيراً، وهو الذى ما رفض لهم طلباً أبداً. كان فجأة يقوم من مكانه عجلا، معلناً تعبه، وأن عليهم الذهاب الى بيوتهم، لأن الوقت تأخر.

توافد المصلون الى الجامع، الصبية ما زالوا خارج السور يراقبون توافد المصلين فى لهفة وتطلع كأنما يبحثون عن شخص ما، أشار لهم بعض كبار المصلين، بالذهاب وترك المكان الذى يقفون فيه.

لا يذكرون جيداً متى جاء النذير وعمل مؤذناً بالجامع، لكن الثابت في الحى أن النذير استقر بالحى من وقت بعيد، غير محدد بدقة. فجأة كان بينهم واحداً منهم، يجدونه أينما احتاجوا له. كان خبيراً في أشياء كثيرة بدءاً من ذبح البهائم وسلخها، مروراً بصناعة (العناقريب) وتجليدها وحتى صناعة لعب الاطفال. سكن في أول مجيئه للحى، بالجامع. بعد فترة انتقل للسكن بغرفة واطئة، طرف الحي، بعد أن عمل مكسراً للحطب بالزريبة. تنقل بين الجامع وغرفته الواطئة، لفترة طويلة، حتى تمكن من بناء غرفة أخرى وسور، بمعاونة عدد من شباب الحى، حياته هادئة رتيبة، لم تتخللها أي أحداث مثيرة أو مغامرات الى أن تلاحقت الاحداث، وصار من الصعب عليه الاستقرار بالحى أكثر من هذا، إذ فى إحدى الليالى الصيفية حمل حقيبته وخرج خفية متوجهاً صوب محطة القطار.

تحلق الصبية حول سور الجامع، يراقبون بلهفة حارقة الداخلين لفناء الجامع. أياديهم الصغيرة تستقر وجلة على سطح الحائط الساخن. بعض المصلين، يشيرون إليهم إشارات بكماء بالتحرك .. مازالوا يحدقون في أوجه المصلين لعلهم يلمحون وجه النذير بينهم. لكن لا أثر له تماماً، كأنما لم يكن يوماً ما هنا.. كأنما لم يحك لهم عن الحيوانات والغابات الكثيفة فى أدغال الجنوب.

ما زال صدى آخر حكاياته يطنُّ في آذانهم بالصخب، كأنما حكيت في التو واللحظة - ساورهم شك للحظة حول اختفاء النذير ذلك عندما سألوه عن اطفال الجنوب. لكن ما بال النذير يرفض الحديث حول الموضوع. هل هناك سر في الأمر. طافت بأذهانهم شتى الاحتمالات حول اختفاء النذير المفاجيء، لكن النذير أصبح ذكرى فقط، تأكدوا من ذلك، حينما قام الجماعة لصلاة الجمعة ولم يكن النذير بينهم.

في البيوت سألوا آباءهم عن النذير الذى ما عاد يؤذن في الجامع، ولا عاد يدخن النارجيلة في زريبة الحطب، وما عاد يحكى لهم حكايات تحت ضوء القمر في الميدان الكبير. زجرهم الآباء عن السؤال عن النذير أو ذكر اسمه، حتى أصابتهم دهشة موحشة، ماذا فعل النذير حتى يغضب منه الناس كل هذا الغضب.

كانت تراقب انفتال عضلاته من وراء جلبابه المهترىء، بشوق لا ينتهى ، رفع رأسه، حين سقط ظلها على كتلة الحطب، متأملا، تبيَّن ملامحها.. قال في سره «خيراً» طلبت منه الحضور للبيت لتكسير الحطب.. قالت الكثير.. قال في سره «استغفر الله العظيم» فجأة قام من مكانه معلناً عودته في وقت آخر، هددت، توعدت، والنذير لا يسمع، كان النذير قد قطع شوطا بعيداً في رحلة لا يعرف متى تنتهى وإلى أين تنتهي..

الصبية خارج سور الجامع، مازالوا يراقبون دخول المصلين الى الجامع لعل النذير يكون بينهم.

عثمان شنقر - السودان -

دمعة وفاء [*]

حبيبة قلبي ألا تذكرين
عهود الصبا وخوالي السنين
ألا تذكرين فكم قصة
رويت وكنت لها تسمعين
ألا تذكرين فكم لعبة
ظفرت بها في سرور مبين
ألا تذكرين صدى ضحكتي
وظهري حصان له تركبين
ألا تذكرين لك إخوة
شقيقات أنت بهن تسعدين
شقيقات كن كورد اللمى
وكنت بعطرك كالياسمين
شقيقات كن كأجمل عقد
وللعقد كنت كتاج ثمين
ألا تذكرين أمان بها
أسر وأنت لها ترسمين
أمان نخطط من أجلها
ونسعى لتحقيقها جاهدين
ألا تذكرين دياراً لها
نيمم نحو العلا طالبين
ألا تذكرين ونحن معا
ومكة نرنو لها محرمين
ألا تذكرين وجو الشفا
يُحيي ضيوفا أتوا حالمين
وفوق روابي الشفا فجأة
تمد لخطفك أيدي المنون
خطفت وأنت على جانبي
فرباه إنا من الصابرين
ورباه إنا بما تقضه
لراضون حقاً بصدق اليقين
إلهي حسبي رضاء بما
قضيت بأني من المسلمين
وفيك أخيتي حسبي عزاء
بأنك في زمرة القانتين
عزائي أنك لم تتركي
صياماً، قياماً، صلاة ودين
عزائي أنك لم تجهلي
قراءة آي به ترتلين
عزائي حسن ختام به
دفنت بطهر أرض وطين
دفنت بمكة في أرضها
وكنت بذلك كم تحلمين
إلهي سألتك يا راحما
وأنت الكريم الجواد المعين
لترحم أختي في قبرها
وتحشر في زمرة المكرمين

---

[*] هذه القصيدة رثى بها الشاعر شقيقته التي فقدها إثر حادث مروع وقع يوم الخميس ١٤١٥/٢/٢٠هـ في مدينة الطائف على طريق الشفا.

سعيد سعيد الرفاعي - ينبع -

نداء الوطن

تعب الهوى وتعبت من أسفاري
وضجرت حتى من صدى أشعاري

وكسرت كأسي والظنون متاهتي
ومشيت وحدي في خطى الأقدار

وخلعت أثواب الشباب مودعاً
فيها نعيم شذى الأعمار

وأنخت راحلتي بفيء قصيدتي
فإذا بفيء قصيدتي الأعصار

تجتاح روحي ثورة جبارة
هي في الحقيقة ثورة المنهار

هي آه من ضربوا على أفواههم
فرضوا السكوت وأدمنوا الإيثار

هي آه شعب مثخن بجراحه
لا زال يشكو من أسى الفجار

لا زال يحيا في السجون شبابه
والأم تصرع في لظى التنكار

ياسادتي هذا نزيف جراحنا
فيه الحقيقة تفضح الأسرار

فيه الحقيقة تستبين بأننا
شعب يغوص بلجة الأخطار

فالقائد المغرور أمسى دمية
يحيى على ذل من الأقطار

في كل يوم يستجيب لأمرهم
ويعود يوصف نفسه المغوار

لازال يقرع للحروب طبولها
لكن إذا حمي الوغى فالعار

يا سادتي إن العراق مكبل
بقيود أطماع من الأشرار

فإلى متى يبقى العراق رهينة
وبماؤنا تروي ظمى الأزهار

أنَّا وهبنا للعراق دماءنا
لما صرخنا صرخة الثوار

فتبسم الفجر الحزين وأشرقت
شمس الكرامة توقظ الأخيار

يا شعب أرض الرافدين تفجروا
غضباً وزيلوا سلطة الأشرار

حتى يعود الفجر مبتسماً على
تلك الروابي مصنع الثوار

مجيد الغزي - العراق -

المدينة وما يتصل بها
في بعض الدوريات العربية

حظيت المدينة المنورة بكثرة تناول موضوعاتها في الدوريات العربية. فالمدينة سيدة البلدان ومهاجر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومهبط رسالته وطيبة الطيبة والحبيبة والبارة ومدينة الرسول والمطيبة والجابرة والمجبورة والمحببة والمباركة والعذراء ودار السلام التي ناصر اهلها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وشهد أهلها معه الغزوات الاسلامية والتي علي ارضها تكونت النواة الاولى للدولة الاسلامية التي اسسها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وصارت عاصمة الاسلام وحتى عهد خلفائه الراشدين من بعده وبها مثواه {صلى الله عليه وسلم} ومسجده ثاني الحرمين الشريفين وكثير من الآثار المدنية والتاريخية وهي قبلة المسلمين ومهوى الافئدة لذلك تناولها الكتاب والادباء والعلماء في الدوريات العربية والاجنبية وتناثرت الاشارات اليها في الدوريات ولم يتطرق أحد من الباحثين - حسب علمي - لرصد جميع ما كتب عن المدينة المنورة بشكل موسع فاردت أن ارصد جميع ما كتب عن المدينة وما يتعلق بها في الدوريات العربية لما للدوريات من مكانه بين مصادر المعلومات فهي تشكل العمود الفقري لمجموعات معظم المكتبات ومراكز المعلومات في الدوريات هي من اهم وسائل الاتصال العلمي وتبادل المعلومات لما تحتويه من دراسات مختلفة وحديثة ومحكمة في موضوعاتها ولقد كثرت هذه الدوريات في عصر انفجار المعلومات واصبحت مهملة وفي بعض الاحيان نسي الباحث الرجوع اليها لعدم تذكره اسم الدورية وفي أية سنة ولكثرة الاعداد الصادرة منها لذلك جاء مثل هذا العمل ليقوم بتمهيد الطريق للباحثين والدارسين وارشادهم لما يحتاجونه وكذلك برزت الحاجة الي تكشيف الدوريات لاهميتها كمصدر من مصادر المعلومات ووجود الالاف من الدوريات في معظم المجالات ولصدور اعداد كثيرة من الدورية نفسها فتقوم مثل هذه الكشافات بتسهيل عمليات البحث والارشاد الى اماكن وجودها في هذه الدوريات كأداة تقييمية للانتاج الموضوعي في هذه الدوريات ولقد رتبتها ترتيبا هجانيا باسم العنوان الذي جاءت به المقالة في الدورية ثم اسم كاتبها ثم اسم الدورية ثم رقم المجلد ثم عددها ثم رقم صفحاتها وارفق نبذة بسيطة عن بعض الذي جمعته من هذه المقالات للباحثين والقراء للاستفادة منها والرجوع اليها.

اباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية من المصادر القديمة والحديثة/ حمد محمد العريان - آداب الرياض مج ٥ ص ٧٩ - ١٠٠.

اثارة من السمهودي/ محمد الشاذلي/ المنهل مج ٢٦ ج ٥ ص ٣٦٣.

اصول المذهب المالكي - الاجماع - عمل اهل المدينة/ عبد الله الداوي/ مجلة الفقه المالكي والتراث القضائي بالمغرب ع ٥ - ٦ ص ١١ - ١١٨ عام ١٩٨٧.

الاستراتيجية الاسلامية في غزوة الخندق والكتابة التي وجدت على جبل سلع/ عبد الباقي علي قصة/ الدارة ٣ ع ١ ص ٦٦ - ٨١.

التاريخ العربي وجغرافيته/ حمد الجاسر/ العرب س ١٧ ع ١١ ص ٩١٩ - ٩٢٨.

التعليم في المدينة المنورة/ د. ناجي محمد حسن/ المنهل مج ٥٤ ع ٤٩٩ ص ١٢٨ - ١٤٩.

إعداد : حسن بن حمزة آل حسين الشريف
- المدينة المنورة -
الجامعة الإسلامية - رئيس قسم الدوريات

التعليم في مكة والمدينة/ محمد علي الشامخ/ المنهل مج ٣٥ ع١ ص ٨٣ ـ ٨٧.

التنمية الاقتصادية في عهد النبوة/ د. انور ماجد عشقي مجلة اقرأ ع ١١٠٢ ص ١٦، ١٧ التكملة في ص ٥٦.

الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة/ عبد القدوس الانصاري/ المنهل مج ٢١ ج٥ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥.

الحجاز قبل الحرب العالمية الاولى/ مراجعة علي سعود عطية/ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية س٦ ع ٢٤ ص ١٤١ ـ ١٤٨.

الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب لعبد الله الوهيبي مجلة كلية الاداب بالرياض مج ١ ص ٥٣ ـ ٧٠.

الحجيج المصري في العصور الوسطى/ د. جابر سلامة المصري/ مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية مج ٣٣ عام ١٩٨٤ ص ١١٥ ـ ١٨٠.

الخندق/ ابراهيم العياش/ المنهل مج ٢٣ ج٦ ص ٢٦٦ ـ ٢٧١.

الخواتم الاسلامية في القرنين الاول والثاني الهجري/ محمد الجميل/ مجلة جامعة الملك عبد العزيز سلسلة الآداب والعلوم الانسانية مج٢ ص ٤٧ ـ ٦٩.

الدور الطليعي لشبه الجزيرة العربية عبر التاريخ جغرافيا واجتماعيا/ مجلة اللغة العربية الرياض/ ابراهيم لبيب ع١ ص ١٥٦ ـ ١٦٢.

الدولة العثمانية والولايات العربية/ احمد الصفصافي/ الدارة س ٨ ع ٤ ص ٦٨ ـ ٩٨.

الرحلات الحجازية وصلة بين شقي العروبة/ عبد العزيز بن عبد الله/ اللسان العربي مج ١٥ ج١ ص ٢١١ ـ ٢١٧.

الرواشين والمشربيات في المدينة المنورة/ حاتم طه/ مجلة المدينة ع ٨٩ ص ٣٩ ـ ٤١.

السكك الحديدية بالمملكة في عهد الملك عبد العزيز. د. محمد السليمان/ اهلا وسهلا ص ٣٨ ـ ٤١.

السمات العامة لمراكز الاستيطان الريفي في ادارة المدينة المنورة/ عائشة حمد الحاج احمد عبد القادر/ العقيق مج٣ ع ٥ ـ ٦ ص ٢١٦ ـ ٢٤٠.

الشاعر العالم ابراهيم اسكوبي/ عبد القدوس الانصاري/ المنهل مج ١٠ ج٩ ص ٣٩٧ ـ ٤٠٥.

الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني امية/ عبد الجبار السامرائى/ الخليج العربي س ١٣ ع١ ص ٢٩٣ ـ ٣٠٠.

الشكوى في شعر صدر الاسلام/ قحطان التميمي/ مجلة وادي بغداد عدد ١٤ مج ٢ ص ٧١٦ ـ ٧٢٨.

الصناعة الوطنية في المدينة/ مجلة المدينة ع ٥١.

الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية الى الحجاز خلال القرون الاسلامية المبكرة/ غيثان بن جريس/ العرب س ٢٦ ع ٧ ـ ٨ ص ٤٤٧ ـ ٤٦١.

العلاقات السياسية بين الحجاز واليمن في عهد الايوبيين/ محمد عسيري/ العلوم الاجتماعية بالرياض ع٥ ص ١١٣ ـ ١٢٤.

المدينة المنورة/ محمود السيد دغيم/ مجلة الفكر العربي س ٤ ع ٣٠ ص ١٩٩ ـ ٢٠١.

المدينة المنورة: تحليل جغرافي للمدينة المنورة واقليمها بالمملكة العربية السعودية/ احمد عبد القادر المهندس/ الفيصل ١١٤ ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

المدينة المنورة امراؤها وحكامها/ المنهل مج ٥٤ ع ٤٩٩ ص ١٥٠ ـ ١٥٧.

المدينة المنورة حيث يرقد رسول الله [صلى الله عليه وسلم]/ محمد طنطاوي/ العربي ع ١٦٧ ص ١٠٠.

المدينة المنورة في القرن ١٣ الهجري/ عبد الرحمن عثمان/ المنهل مج ٧ ج ٢ ص ٦٩ ـ ٧١/ المنهل مج ٧ ج ٥ ص ٢١٠ ـ ٢١٢.

المدينة المنورة في القرن الثالث عشر الهجري/ عبد الرحمن عثمان/ المنهل مج٧ ج ٨ ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

المدينة المنورة في رحاب الهجرة/ مجلة المدينة ع ٦٥ ص ٢٤ ـ ٤٥.

المدينة قاعدة الاسلام/ عبد العزيز كامل/ الرسالة س ٢٢ ع ١١٢١ ص ١٥ ـ ١٩.

المرجاني مؤرخ المدينة النبوية/ عبد القدوس الانصاري/ المنهل مج ٣١ ج٣ ص ٣٤٨ ـ ٣٥٩.

المسجد المعهد الاول للتعليم عند المسلمين/ د. حسن امين مجلة الآداب بجامعة الاسكندرية مج ١٩٦٨ م ١٥ ـ ٢٦ مج ٢٢.

المسجد النبوي يشهد اكبر توسعة عبر التاريخ/ مجلة المدينة ع ٩٧ ص ٣ ـ ٦.

الهجرة النبوية واليهود في الجزيرة العربية/ ابراهيم القطان/ مجمع اللغة الأردني ع١٣ ـ ١٤ ص ٥ ـ ٣٨.

امر ملكي بانشاء مجمع قضائي بالمدينة المنورة/ مجلة المدينة ع ٥٦ ص ١٣.

امين الحاواني ومخطوطات مكتبة بربل/ د. عاصم حمدان/ عالم الكتب مج ١٠ ع ٣ ص ٣٩٨ ـ ٤٠٧.

اول مدون للسيرة النبوية/ ابان بن عفان/ حمد الجاسر/ العرب س١٦ ع٢ ص ١٤٠ ـ ١٥٠.

بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية/ عبد الكريم كريم/ العرب س ١٢ ع ٣ ـ ٤ ص ١٨٦ ـ ٢٠٩.

بواكير الطباعة والمطبوعات في بلاد الحرمين الشريفين/ احمد محمد الضبيب/ عالم الكتب مج ١ ع ٣ ص ٢٩٢ ـ ٣٠٧.

تاريخ المدينة لابن شبه/ حمد الجاسر/ العرب س ١٨ ع ٥ ـ ٦ ص ٢٨٩ ـ ٣٥٦.

تاريخ في صور المدينة المنورة/ مصطفى امين جاهين/ الدارة س ١٢: ٣ ص ٢١٤ ـ ٢١٥، ٢٠٧.

تاريخ مساجد المدينة المنورة/ احمد الخياري/ المنهل مج ٢١ ح١ ـ ٢ ص ٦٩ ـ ٧١.

تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة/ لابي بكر بن الحسين المراغي/ مجلة مجمع اللغة السوري مج١٢ ص ٣١٩.

تحليل بعض العوامل الانفعالية في تعليم اللغة الانجليزية كلغة اجنبية لطالبات المدارس الثانوية بالمدينة المنورة/ ايمان حسين هب الريح/ العقيق مج٣ ع٥ ـ ٦ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦

تصاوير الحرمين المكي والنبوي في الفن الاسلامي/ ربيع حامد خليفة/ الازهر س٥٥ ح ٤ ص ٤٩٧ ـ ٥٠٣.

توزيع الحدائق العامة في المدينة المنورة/ محمد شوقي مكي/ الدارة س١٤ ع ١ ص ١٩٢ ـ ٢٠٧.

جبال الحجاز/ ملحس الصالح/ المنهل مج٧ ح٩ ص ٣٩٧ ـ ٤٠١، مج ٧ ج١١ ـ ١٢ ص ٤٩٩ ـ ٥٠٢.

حديث عن مكاتب المدينة المنورة وما فيها من نفائس/ عبد المجيد الحريري/ المنهل مج ١١ ج ٩ ص ٣٧٠ ـ ٣٧٩.

حرم المدينة وتجديده/ علي حافظ/ المنهل مج٢٤ ح٦ ص ٣٣٠.

حوض وادي العقيق بالمدينة المنورة/ د. حسين محمد القلاوي/ العقيق مج ١، ع١ ـ ٢ ص ٣٥ ـ ٧٠.

حول مكاتب المدينة المنورة/ محسن احمد بارو/ المنهل مج ١٢ ح ٢ ص ١١١ ـ ١١٢.

خادم الحرمين الشريفين يضع حجر الاساس لتطوير المساحات والخدمات حول المسجد النبوي/ مجلة المدينة ع ٨٩ ص ٣ ـ ٦.

خادم الحرمين الشريفين يفتتح مجمع المحاكم الشرعية بالمدينة/ مجلة المدينة ع ٩٧ ص ٩ ـ ١٤.

خطط المدينة المنورة/ صالح احمد العلي/ العرب س ١ ج١٢ ص ١٠٥٧ ـ ١١٢١.

دليل المجتاز بأرض الحجاز/ الحسن بن عمر الحبيب/ العرب س ١٢ ج ٥ ـ ٦ ص ٤٠٦ ـ ٤١٤.

دوافع الانتاج الاقتصادي الاسلامي في عهد النبوة/ د. انور عشقي/ اقرأ ١١٠٥ ص ١٤ ـ ١٦.

ذكريات من الحصوة/ د. عاصم حمدان علي اقرأ ١١٢٦ ص ٢٤ ـ ٢٥، ١١٢٨ ص ٢٢ ـ ٢٣، ١١٢٩ ص ١٨ ـ ١٩، ١١٣١ ص ٢٢ ـ ٢٣.

رسم المصحف بين التحرز والتحرير/ زيد بن عمر بن مصطفى/ الدارة س ٢٠ ع ٣ ص ٧١ ـ ١٢٦.

سكة الحجاز/ ام القرى/ ٦ محرم ١٣٤٥هـ.

سكة الحديد الحجازية، مجلة الفتح القاهرية/ ٨١٨ محرم ١٣٦٤هـ ص ١٥، عدد ٨٣٥ ص ٩ نفس المجلة.

سيرة الشيخ محمد الطيب الانصاري/ عبد القدوس الانصاري/ المنهل مج ٢١ ح ٤: ٢٤٥ ـ ٢٥٣.

شعر الدعوة الاسلامية في عهد الرسول {صلى الله عليه وسلم}/ حاتم غنيم/ مجمع اللغة الاردني مج ٥ ع ١٥ ـ ١٦ ص ٥ ـ ٦١.

صلة اندونيسيا بالحجاز قديما وحديثا/ عبد الوهاب اشي/ المنهل مج ١٠ ح ١١ ـ ١٢ ص ٣٦٠ ـ ٣٦١.

طريق الهجرة النبوية/ هاشم دفتر دار/ المنهل س ٣٩ ج ١٢ ص ٩١٠ ـ ٩١٢.

طيبة للاستثمار والتنمية العقارية تبدأ اول اعمالها/ مجلة المدينة ع ٩٧ ص ١٥ ـ ٢١.

عشور التجارة في الجاهلية وصدر الاسلام حتى نهاية القرن الاول الهجري/ محمد عبد القادر فريسات: مجلة دراسات اردنية. دراسات العلوم الانسانية والتاريخ مج ١٥ ع ٧ ص ١٨ ـ ٢٩.

عمارة مكة والمدينة وما نصيب عبد الرحمن منها/

ـمد عطيـة/ المنهل مج ٣٨ ج ٧ ـ ٨ ص ١١٦٦ ـ ١١٠.

عين الازرق/ عبد القدوس الانصاري/ المنهل مج ح ٨ ص ٣٥٢ ـ ٣٧٥.

في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات الى الحج/ اسماعيل الحامدي/ العرب س ١٣ ح ٥ ـ ٦ ص ٣٥٢ ـ ٣٦٨.

في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات الى الحج/ لابن كيران/ العرب س ١٢ ح ٧ ـ ٨ ص ٥٠٤ ـ ٥١٥.

في رحاب الحرمين من كتب الرحلات الى الحج مع ابن السلام الدرعي في رحلته/ العرب مج٢ ج ٦ ص ٤٨٣ ـ ٤٨٥/ العرب مج ١٠ ح ٣ ـ ٤ ص ١٧٣ ـ ١٩٥.

قافلة الحج الشامي واهميتها في الدولة العثمانية/ عبد الكريم رافق/ دراسات تاريخية ع ٦.

لماذا لا يجوز لغير المسلمين دخول مكة والمدينة والاقامة فيها/ عبد الوارث كبير ـ المغربي ع ٨٤ ص ١٤٤.

لمحة تاريخية عن المدينة المنورة/ علي حافظ/ المنهل مج ٢٧ في ١٠٢ ص ١٤١٧ مج ٢٧ ح ١٠ ص ١٢٩٢ ج ١٢

مؤلفات في تاريخ المدينة مج ٤ ح ٢ ص ١٠٠، مجلة العرب.

مأساة المدينة المنورة/ عبد الحق النقيدي/ المنهل مج ٢٣ ح٥ ص ٢٧٩ ـ ٢٨٢.

متحف اسلامي في المدينة المنورة/ الفيصل ع٩٧ ص ١٧.

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف/ مجلة المدينة/ ع٩٧ ص ٣٢ ـ ٣٣.

مدخل الرحلة الحضيكي الحجازية/ عباس الجراري/ مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج٢ ص ٣٧٣ ـ ٣٨٤.

مسيرة حيث سار رسول الله عليه الصلاة والسلام بين مكة المكرمة والمدينة المنورة/ محمد لنطاوي/ العربي ع ١٥٨ ص ٥١.

مشروع تعبيد طرق المدينة ومشروعات اخرى/ عبد الله السليماني/ المنهل مج ١١ ج ٤ ص ١٧٤ ـ ١٧٦.

مشعر الجزيرة العربية في قرنين ١١٥٠هـ ـ ١٣٥٠هـ، نجد والحجاز والاحساء والقطيف، د. عبد الله الحامد ، العرب س١٥ ص ٥٨٢ ـ ٥٩٩ الدارة مج ٦ ع ٣ ص ٥٧ ـ ٧٢.

مع ابن السلام في رحلته/ في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات الى الحج/ العرب س١٠ ج١ ص ٢٤ ـ ٧٠.

مكتبات الاربطة بالمدينة المنورة مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية مج ٢ ع ١ ص ٧١ ـ ٧٣.

مكتبة شيخ الاسلام/ محمد دفتر دار (المنهل مج ٢٠ ح ٣ ص ١٤١ ـ ١٤٤).

ملامح فن العمارة في المدينة المنورة/ م حاتم طه، ع ٤٩٩/ المنهل ص ص ١٥١ ـ ١٥٧.

ملامح مسيرة النور والانجاز في المدينة المنورة/ اهلا وسهلا س ٢٠ ع ٣ ص ٣٨ ـ وما بعدها.

ملف خاص عن الجمعيات الخيرية بالمدينة المنورة/ مجلة المدينة/ ع ١١٩ ص ٢٢ ـ ٣١.

المهاجرون من اهل المدينة الى دمشق/ المنهل ج ٨ شعبان ١٣٨٢هـ ص ٤٦٦ ـ ٤٦٨.

من اعلام العلم في المدينة المنورة/ محمد سعيد دفتر دار/ المنهل مج ٣٢ ح ٢ ص ١٣٩ ـ ١٤١.

من امجاد المدينة في التاريخ/ ضياء الدين رجب، المنهل مج ٢٣ ح ١ ص ١٧ ـ ١٨.

مواسم الحجاز وتسهيلها سبل اللهو في العصر الاموي/ جبرائيل جبور/ المشرق مج ٣٣ ص ٤٥ ـ ٦٧.

موافقة خادم الحرمين على تأسيس شركة طيبة للإستثمار ، مجلة المدينة ع ٨٣ ص ٣ ـ ٧.

موجز اغوات الحرم النبوي/ سنبل أغا/ المنهل مج ١٧ ج ٣ ص ٣٣٠.

نشأة الخلافة / عبد الله عنقاوي/ الدارة س ١٠ ع ٣ ص ٢٥ ـ ٤١.

نشاط الحركة الدينية في الحجاز/ عبد الله خياط المنهل مج ١٤ ج ٦ ص ٣٩٠ ـ ٣٩٦.

وسائل النقل في الجزيرة العربية قبل تأسيس السعودية/ مجلة اهلا وسهلا س ١٩ ع ٥ ص ٨ ـ ١٥.

وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣، سنة ١٨٨٥هـ/ علي موسى افندي/ محمد الجابر/ العرب ٦ ملحق ع ٤ ص ١٠ ـ ٢٦.



حكايات يكتبها المجانين

بيت القصيد:

ذهبت إلى البيت فلم أجد القصيد والشعر المرسل قد عاد دون أن يستدل على العنوان، لكن هل كف الشعر عن أن يكون شعرا؟ اعتقد أن هذا يحدث عندما يضع شاعر نفسه تحت امر الآمرين ويضع شاعر آخر نفسه تحت امر شيخ المحاشي - الباذنجان - اما إذا وضع شاعر نفسه تحت القمر فإن الأمر سيكون مختلفاً حيث سيصاب بالزكام.

مجازيه:

ما الذى كان يستطيع قيس بن الملوح ان يفعله سوى أن يجن ويسير في الصحراء اشعث أغبر يرى في الغزلان صورة ليلى فيزداد جنونه وما الذى كان يستطيع امرؤ القيس أن يفعله سوى أن يصيح «اليوم خمر وغدا امر» ثم يستنجد بقيصر الروم فيعطيه الدرع المسموم الذى يجعل عظمه يتفطر ولحمه يتناثر، هل كان عنترة بن شداد يستطيع أن يتخلص من لونه الاسود ويكتسب اللون الابيض ويخرج من ذل الرق الى فضاء الحرية؟ هل كان ديك الجن الحمصى يستطيع أن يخرج من ظلام الشك في حبيبته الى ظلال اليقين بحبها دون أن يريق دمها؟..

إن قيس بن الملوح ما كان يريد ليلى لكن ليلى كانت بالنسبة له طريق الفن والشعر الذى هو غايته، وامرؤ القيس لم يكن يعنيه في قليل أو كثير أن يثأر لأبيه الذى على حد قوله ضيعه صغيراً وحمَّله دمه كبيرا لكن طريق الثأر لأبيه كان طريق المجد الذي يتوهمه اما عنتره بن شداد فالدافع لبطولته الفذه هو لونه الاسود فلو كان ابيض لما شعر بعقدة الضعه التى جعلته يبرز في مجال الفروسية والشعر هذا البروز الذى جعله مرادفاً لكثير من المعانى النبيلة.

اما ديك الجن فتبرير ما فعله انه ديك الجن وكفى.

هوس الحريق -
روما تحترق .. دعها تحترق:

هل احرق نيرون روما إلا لأنها كانت تستحق الحريق وما الذى كان يستطيع أن يفعله المسكين سوى أن يغنى على اطلالها وهى تحترق، هل يبكى كالنساء فيضحك عليه الحمقى والبلهاء؟ اننى على ثقة أنه حاول استدعاء قوات الاطفاء لكى تنقذ ما يمكن انقاذه لكن الروتين الحكومى حال دون ذلك ووصل الاطفائيون بعد خراب مالطه أو روما إن شئنا الدقة الجغرافية، إن عدم وصول قوات الاطفاء في الوقت المناسب لاطفاء حريق روما الهائل يدل على مدى التفسخ الذى وصلت اليه روما وجعلها تستحق الحرق ولم يحاول احد من اهالى روما ان يطفيء الحريق بالجهود الذاتية فهم يريدون أن تتكفل حكومتهم بكل شيء ولم يكن هناك من حل لهذا الفساد إلا أن تحترق روما عن بكرة ابيها والذى لا يعلمه اولئك المهاجمون نيرون أن غناءه على الاطلال كان مرثيه حزينة تقطع نياط القلب واوتار الفؤاد وتمس شغاف الروح - إن كان للروح شغاف - واغوار النفس وقشرة المخ ونخاع العظام. إن نيرون رجل نبيل اراد لفقراء روما الا يقتلهم زمهرير الشتاء فأوقد روما لكى يصطلى الفقراء بالدفء وينعموا بالحرارة، إن نيرون رجل التطوير اراد أن يحرق روما القديمة لكى يبنى على اطلالها روما الحديثة اعجوبة الدنيا واحدوثة الزمان، إن نيرون رجل فنان لم يمنعه الحريق الهائل من أن يؤدى انشودته الخالدة الاخيرة على نغمات.

بقلم: د. عبدالغني عبدالحميد رجب
- مصر -

ـشارته الجنون. إن الذين يتـهـمـون نيـرون بجنون حريق لا يعلمـون أن الجنون لم يكن قـد اختـرع في يد نيرون فالجنون تم اختراعه بعد وفاة نيرون بمئات سنين على يد المدعو فرويد.

ـي الشعر ـ تطور الشعر ـ

إذا كان المهلهل ـ شـاعر الجاهلية ـ اول من هلهل شعر وانضجه فلا شك إنه في عصرنا الحالي ـ عصر الحداثة ـ هناك المخلخل أول من خلخل الشعر والمقلقل أول من قلقل الشـــعـــر والمسلسل اول من سلسله والمجلجل أول من جلجله والمبلبل أول من بلبله والمفلفل أول من فلفله.

أقوال في الشعر:

ـ رصيد الشعر في بنك الجنون.

ـ أدركت بعد عشر سنوات من قرض الشعر انني لا اصلح شاعراً لكنني كنت قد اصبحت مشهوراً جداً فلم اجد مجالا للتراجع.

ـ إن معرفتك ببحور الشعر قد لا تجعل منك شاعراً قدر ما تجعل منك بحاراً.

ـ حتى لا يكون منطق الشعراء من عطايا الامراء.

ـ إن اكتشاف قصيدة مجهولة لشيكسبير لا يقل اهمية عن عدم اكتشاف قصيدة للمذكور.

ـ ان اولئك الشعراء المثرثرين في اروقة المقاهي ـ مع احترامي للمقاهي ـ لا اعتقد أن عندهم شيئاً يقولونه.

ـ ان الشاعر الحداثي حلف ان يطبخ شر الطيور ـ (المضمـون) ـ بشر الحطب ـ (الشكل) ـ ويطعمه شر الناس ـ (المتلقي) ـ

ـ لا اقرأ قصيدة من الشعر الحديث الا واتنفس الصعداء عند نهايتها.

ـ الشـــعـــر الآن يدور بين غطيط النائمين وهذيان المحمومين.

ـ إن غموض الشعر الحديث شيء وهمي كل ما في الامر انك لا تعرف كيف تقرأه فهو يقرأ من اسفل الى أعلى ومن اليسار الى اليمين.

ـ الشعر نوع من المرض العقلي لم يصنف بعد في معاجم الجنون.

ـ انني افهم ما يكتبه هذا الشاعر جيداً فأنا لا اعرف القراءه وهو لا يعرف الكتابة.

ـ هذا الشاعر يتحدى الشمس بعوينات سوداء ومظله.

ـ انني احب الشعر لكنني احب الحق اكثر.

ـ هذا الشاعر لا يخاطب قلب المتلقي لكنه يخاطب احشاءه.

ـ كان شاعراً غريب الابجدية يغترف شعره من قيعان البحر الميت.

ـ للشعر قوم وللنثر اقوام.

الشنفراني:

بشار بن برد هو رائد الشعر الجديد ـ الحداثة وما بعد الحداثة ـ بلا منازع فبالرغم من أنه شاعر قديم ضرير فله من شعره ما يدعم ريادته للشعر الحداثي فقد أتى بلفظ «الشنفراني» في احدى قصائده وعندما سئل عن معناه اجاب أنه من غريب لغة الحمير وإذا قابلت حماراً مثقفاً فاسأله وتتبع الشعراء في عصرنا تلك اللغة واسرفوا في استخدامها واتوا بكل ما في معاجم البغال والحمير والبقر والجاموس الوحشي من تعبيرات بائدة بل ومن اوابد القردة والخنازير والتي لا يعلمها عامة تلك الحيوانات بل انهم استعانوا بلغة الحشرات من البق والقمل والصراصير والجنادب ويا ليتهم استعانوا باللهجات العامية الشائعة لتلك الحشرات بل استخدموا الالفاظ المتقعره والوحشية والمتحذلقه التي لا يعلمها الا علماء اللغة من تلك الحشرات.

طلب مني شاعر صديق أن اهديه معجماً في لغة الاسماك حتى يمكنه أن يجدد في الشعر العربي تجديداً لم يسبقه احد اليه حيث أنه كاد يغرق عندما حاول التنصت على الاسماك في قاع النهر لكي يأخذ عنها مباشرة كما كان يفعل شاعر الحضر عندما يذهب للبادية فيأخذ اللغة الصافية من افواه البدو مباشرة لولا أن انقذه احد الصيادين الذي اخبره أن لغة الاسماك من الصعوبة بمكان وان ابجديتها مكونة من مليون حرف وان هناك آلاف الانواع من الاسماك لكل نوع لغته الخاصة التي تختلف عن لغة النوع الآخر والاسماك في كل بحر أو نهر تتكلم لغة تختلف عن لغة الاسماك الموجودة في اي بحر أو نهر آخر لكن من السهل عليه أن يتكلم لغة الضفادع بعد اربع وعشرين ساعة من تعلمها والضفادع هي الضفادع في كل مكان لغتها واحدة وابجديتها معروفة.

لأن صديقي الشاعر يريد أن يجدد في الشعر فهو مازال متمسكاً بلغة الاسماك حيث أن نقيق الضفادع انتشر في الشعر الحديث كله ولم يعد بالشيء الجديد أو المثير.

النحو الشنقيطي بين دروس التعمق ومباحث التخصص

بقلم : محمذن ولد احمد ولد المحبوب
- موريتانيا -

يجدر التنبيه في فاتحة هذا القول إلى توضيح دلالات هذا العنوان وتبيان المقصود منه لتتفكك وحداته المعجمية، وتتجلى قسماته ومعالمه. فمقصودنا من هذا العنوان الوقوف على اضافات القوم وأنظامهم ليطلع القارىء على جانب من ذلك التوجه النحوي البارز والبحث المعمق الذى يتجاوز المنظومات التعليمية والمباديء الأساسية الى جملة من القواعد والضوابط العامة التي تؤسس عماد النحو وتشكل اركانه ومنطلقاته. فمن المعروف أن جميع العلوم تنطلق من القواعد العامة البسيطة لتنتهي إلى دقيق الدرس وعميق البحث، فالنزعة التعقيدية الأصولية لاحقة على المراحل التعليمية الأولى لكل نشاط أو توجه معرفي فعندما تتبين ملامح نزعة ما وتترسخ مبادئها تأخذ في شق طريقها نحو التقعيد والتأصيل «فالحيرة الابستمولوجية لاحقة على تكامل العلم لذلك ما ان تتحدد اركان علم وتتضح رؤاه المنهجية حتى يخلق علما آخر يحمل اسمه بعد استباقه بلفظ أصول»[١].

فمن المفترض أن يكون بحث القوم وتعمقهم في مادة النحو أدى بهم الى التأليف في ميدان متميز يسمى «أصول النحو» فهل كان ذلك؟ وهل وجدت حقا بهذه الربوع مباحث في اصول النحو؟ وكيف كان اسهام القوم واضافتهم؟ ثم ما علاقة ذلك بالمدونة النحوية القديمة؟ هل كان اعادة لها وتكرارا أم أنه تجاوز لها واستكمال؟ وأخيرا هل جاءت هذه الإضافات دفعة واحدة أم إنها تلاحقت واكتملت عبر سلسلة الاهتمام اللغوي والحضور النحوي التي طفقت تغطى البلاد ابتداء من أواخر القرن الثاني عشر الهجري؟

لا شك أن القوم عرفوا مباحث لغوية متخصصة قامت على تدقيق الظواهر النحوية وإخضاعها للتأويل والتفسير سعيا إلى صياغة قانون شامل يجمع النظائر والأشباه ويضم الشواهد إلى الأنظام والشروح ويعرب المشكل من الأبيات والآثار، ويبين الشاذ المبهم ويميز المستعمل من المهمل ويتدارك ما غفل عنه الأقدمون، كل ذلك بشرح المؤلفات وتقييد المطلق وتخريج الشواهد وتوضيح أوجه الاعراب الممكنة في البيت الواحد، وربما بنظم القضايا الملتبسة في كل باب حرصا على تفسير الظواهر ومعرفة الأسباب.

كل هذه الأمور كانت أكثر مشاغل القوم واعظم مباحثهم فقد سعوا في مؤلفاتهم وانظامهم إلى تعميق الدرس النحوي وتأصيله مقدمين نماذج متميزة تنم عن جانب من الترف النحوي كبير جعلهم يتجاوزون المدونات النحوية القديمة منشئين لأنفسهم مقررات مدرسية خاصة تكشف عن علو كعبهم في النحو وتمكنهم من ناصيته فتجاوزوا الأخذ الى العطاء وتركوا الاقتباس الى مباحث النضج والاكتمال.

ذلك ما تروم هذه الوريقات استجلاءه، وقبل الولوج من

ا ضوع في الصميم نشير الى أن سعينا يقتصر على د ،اولة تقديم تصور - ولو ناقص - عن درس أصول ا حو مباحث التخصص بهذا البلد منبهين البحثة الى هـ ا الميدان الغفل الذى لما يأخذ بعد خلاقه من الدرس و تأليف، مفتحين أمامهم الأبواب عسى أن يوجد من بينهم من هو منا أعظم زادا وبضاعة وأحسن للموضوع تناولا وعلاجا إن لم يكن اوضح رؤية وأكمل منهاجا.

فنقول: إن النحو بالصعيد الشنقيطي لم يكن بدعا بين العلوم فلما اكتمل واستوى أخذ يشق طريقه نحو الأصولية متجاوزا القواعد التعليمية الى جو من التأويل والتعليم والتفسير للظواهر النحوية يوصف بأنه غير سقيم ويلوح من منطوق مؤلفات القوم تناقص التفكير في «أصول النحو» ذلك أننا لم نعثر على مؤلف عنون بهذا الاسم ولم نقف على نحوي استعمل هاتين الكلمتين في تركيب إضافي «أصول النحو» كما هو الشأن بالنسبة للفقه الذى تداولوا اصوله والفوا فيها مؤلفات خاصة غير أن هذا التناقص غير مانعنا من التماس جذور لهذا التوجه النحوي في ثقافة القوم اللغوية فالمتصفح لمؤلفاتهم النحوية يصادف إيماءات تنطق علينا بمعرفة لبعض الأصول النحوية غير ساذجة تتجسد في التنبيه الى القواعد الكلية العامة التى تؤسس الأحكام وتأول الشاذ وتقدر المضمر وتقيس الغائب على الحاضر وتحمل الشيء على نظيره وتغلب الأسهل من الكلمتين، لكن هذه النشاطات اللغوية لم تتجاوز الذكر العابر الى الممارسة والتطبيق مما حال دون صياغة القواعد الكلية وتسطير مؤلفات توسم باصول النحو وتصدر عنه وتعتمده تصريحا أو تلويحا فبقيت معرفة القوم بالاصول النحوية كامنة في المؤلفات كمون النار في الزند ولم تخرج من طور القوة الى الفعل.

بوادر التفكير النحوي بأرض شنقيط:

لا نقصد بالتفكير النحوي هنا نشأة النحو ولا تاريخه ولا مجرد التأليف فيه فهذه امور متداولة متناولة فمختصرات المبتدئين في النحو كثيرة والمنظومات التعليمية اكثر، فهذه النشاطات التأليفية تكاد في نظرنا تخلو من الجهد العقلي وإمعان النظر لذلك اقصيناها من مشاغلنا مقتصرين في هذا المقام على تلك الاستنتاجات والاستنباطات التي قد تدعو إلى ايقاظ الفكر واعمال العقل إذ يحاول المؤلف ضمنها الاتيان بالجديد ساعيا إلى تجاوز سلفه النحوي، مبديا في مسطوراته جانبا من التفكير اللغوي ناضجا ينظر الى مسائل الأبواب نظرة تركيبية مؤلفا بين الأشباه والنظائر مبرزا أوجه الخلاف مفصلا القول في الأبيات المشكلة.

ولعل الشيخ محمد بن المختار بن محم سعيد اليدالي[٢] معدود في فاتحة الشناقطة الذين طفقوا يفكرون في الظاهرة النحوية تفكيرا جادا، فقد ترك مؤلفات يفهم منها علو كعبه في اللغة وتمكنه من ناصية النحو حيث جمع ورقات في «الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلم الجنس» تعتبر فريدة في بابها بل قمة مباحث الجموع وصفوة لبابها فهي تنطق علينا بأول مؤلف حسب علمنا ظهر بهذا البلد يتناول مباحث الجموع عبر منهج طريف ينطلق من التعريف والتمثيل ليشفعهما بالأدلة والبراهين، ذاكرا المذاهب الشاذة متتبعا آراء النحاة، معللا الأحكام، فجمع في مسطوره ما تفرق من كلام العرب الوارد بصيغة الجمع أو اسم الجمع أو اسم الجنس أو علمه يقول: «هذا تعليق على الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلم الجنس فإنه عسر على كثير من أهل العصر حتى قال القرافي: الفرق بينهما عسير من نفائس المباحث ومشكلات المطالب»[٣].

ثم يأخذ في التفريق بين هذه الأنواع بادئا بتعريف الجمع واسم الجمع يقول: «فالجمع ما وضع للآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرير الواحد بالعطف كرجال فإنك تقول رجل ورجل ورجل فيوافق رجالا في دلالته على المعنى ولجمع التكسير اوزان معروفة في كتب النحو وفي قاعدته غلبة التأنيث عليه وانه لا ينسب إليه بل إلى مفرده، أما اسم الجمع فهو الموضوع لمجموع الآحاد لا عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسماه»[٤].

وأكثر من ذلك يعرف اسم الجنس مفرقا بين أنواعه يقول: «أما اسم الجنس فهو الموضوع للحقيقة الذهنية بلا اعتبار قيد ولا فردية وهو نوعان إفرادي وهو الذي يطلق على الكثير والقليل كماء وعسل، وجمعي ولا يطلق الا على اكثر من اثنين ولذا لا ينفى القليل بنفيه كتمر، فلا تنتفى التمرة والتمرتان بنفي التمر لأن التاء في التمرة للتنصيص على الواحدة[٥]٠

وقد أودع الرجل مؤلفه مباحث جليلة ومناقشات جادة مستطردا شواهد اللغة مستأنسا بآراء النحاة وأهل الأصول، فهذا المؤلف يكشف عن جانب من الترف النحوي كبير إذ يتجاوز السهل المتداول ليبسط القول في مسائل من عمق النحو والصرف ومن صميم المنطق والبيان ففي هذه الورقات تتواشج علوم البلاغة والنحو وتتعانق آراء المناطقة بمواقف أهل الاصول مما جعل الكتاب حكرا على النخبة العالمة والثلة المستنيرة فهو بحث أكاديمي متخصص ودرس جامع متمنع يعز المبتديء غير المتمكن٠ وأكثر من ذلك فإن اليدالي نظم لغزا في كلمتي «جنب وفلك» مخاطبا في بداية ابياته علماء النحو وسادة اللغى يقول:[٦] الطويل٠

ايا علماء النحو يا سادة اللغى
هديتم أجيبونا جوابا محررا
عن اسم لأضداد غدا جامعا مؤنـ
ثا مفردا جمعا مثنى منكرا
وآخر يلفى في الصناعة جامعا
لذا كله لكن مثناه قد يرى
وكل من الاسمين ليس موازنا
فعيلا وكلا منهما ليس مصدرا
ويشكل شكل الفعل غن كان مفردا
ويشبه جمعا شكل جمع لأحمرا
قد اتفقا في اللفظ جمعا ومفردا
ومختلفا شكلاهما حيث قدرا

وأجاب نفسه في بيت واحد بديع جمع فيه الكلمتين تلميحا لا تصريحا فقوله «على لجة» يقصد الفلك، وقوله «بمحدث اكبرا» يقصد الجنب يقول:[٧] الطويل٠

فإن تسألوني عنهما فسفينة
على لجة تجري بمحدث أكبرا

وبعد الشيخ اليدالي يدفع القاريء ظمأه النحو بآراء المختار بن الأمين الملقب انجبنان الحبيبلاوي[ ] فقد ألف كتابا سماه «شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل» جمع فيه آراء النحاة واستدرك على ا مالك وتجاوزه في امور عديدة ولو كان هذا الكتاب منظوما لكتبت له الشهرة والسيرورة ولذاع بين الناس غير أن نثريته ابقته بعيدا عن الناس حكرا على خاصة العلماء فلم تمتد إليه انامل الطلبة إلا لماما٠ وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه جمع في مجلد واحد مضمون امهات كتب مدرسة ابن مالك فلخص في شرحه الخلاصة وتوضيح ابن هشام وتصريح الأزهري ونصوص الاشموني وآراء الدماميني وتحريرات ابن عقيل فجاءت تلخيصاته متكاملة ونقوله محكمة ومنهاجه جاء قويماً يتتبع عرض المسائل في فواتح الأبواب ليفصل في شأنها القول بعد ذلك وذلك ما عبر عنه أحدهم بقوله:[٩] البسيط:

كل الذي تبتغي مما تؤمل من
مسائل النحو ذا المجموع يحويه
فهاكه جامعا لما تفرق من
كتب النحاة فلا شرح يساويه
شرح بديع غريب لا نظير له
مهذب فاز بالمطلوب حاويه

غير أن هذا الكتاب لم ينتشر بشكل واسع بين صفوف ابناء المحظرة كما ذكرنا والغريب أن المختار بن بونه[١٠] ناظم قواعد النحو بأرض شنقيط وجامع أبوابه لم يشر ضمن توشيحه لألفية ابن مالك وطرته عليها إلى هذا الكتاب رغم أنه سابق عليه، ومن الممكن جدا أن يكون قد اطلع عليه أو سمع به خاصة أن اللغوي الكبير محمد محمود بن التلاميد[١١] أكد أن المختار انجبنان مؤلف «شافي الغليل» كان من شيوخ المختار بن بونه يقول:[١٢] الطويل:

ولم يشعر المختار منشى احمراره
لسقي عباد الله من بحره الطم
ولا شيخه انجبنان من كان عنده
له فتح الرحمن في النحو الطم

محاور التفكير النحوي وأطره:

بعد أن حددنا بوادر التفكير النحوي في منتوج القوم نسعى الآن إلى ادراج إضافاتهم اللغوية ضمن أطر محددة محاولين تلمس ملامح توجهين نحويين ظلا يتبعان الحياة النحوية بالبلاد ويسيطران عليها أحدهما يلوذ بمؤلفات ابن مالك وينطلق منها درسا وتكميلا واستيعابا ومحاذاة وتهميشا. والآخر يركن إلى مصنفات ابن هشام ويستأنس بها شرحا وتداركا وتعليقا ونظما.

١ ـ التوجه البنمالكي وتأثيره[١٣]:

لا شك أن مؤلفات محمد بن مالك أثرت في الصعيد الشنقيطي تأثيرا بالغا خاصة اللامية والمقصور والممدود والمثلث والألفية، فهذه الأخيرة مثلت شريان النحو بالبلد وكانت العمود الفقري لمقررات اللغة فتدوولت بين العلماء تداولا كبيرا حتى ارتبطت بخطاباتهم اللغوية ملامسة الأفئدة والقلوب لتردد الفاظها على ألسنة الناس وتنطبع عباراتها في العقول والأفهام فتسلك بذلك إلى انسجتهم التعبيرية لتتخذ لنفسها مكانا ضمن اللغة اليومية فمن عبارات الالفية الدائرة على الالسن والمسايرة للتعبير قولهم «وحذف ما يعلم جائز»، وهذا كما هو واضح جزء من بيت من الخلاصة.

وبالجملة فقد سارت الالفية بين اظهر القوم سيرورة كبيرة جعلتهم يربطون ابياتها بحوادث ايامهم ومناسبات دروسهم فكان الطلبة يطلقون على بيت ابن مالك الآتى «بيت الفرس»:

وأظهر أن يكن ضمير خبرا
لغير ما يطابق المفسرا
نحو أظن ويظنان أخا
زيدا وعمرا أخوين في الرخا

لأن أحد الطلاب امتطى يوما فرسه وخرج مستفسرا عن معنى هذ البيت مقدما فرسه هدية لكل من يبين له غوامض هذا البيت ويطلعه على دلالته النحوية فمنذ ذلك الوقت اشتهر هذا البيت بين صفوف الطلبة بهذا الاسم.

وأكثر من ذلك استخدموا مصطلح «الاكتحال» ومعناه عندهم التمكن من باب أفعل التفضيل لأن في هذا الباب بيتا يسمونه «بيت الكحل» وهو قول ابن مالك:

ورفعه الظاهر نزر ومتى
عاقب فعلا فكثيرا ثبتا

وذلك لأن شرح هذا البيت يعتمد تقديم شاهد من كلام العرب وردت فيه كلمة الكحل وهي قولهم «ما رأيت رجلا أحسن في عينيه الكحل منه في عين زيد» وقد ضمن أحد الأدباء هذا البيت تضمينا طريفا في لغز أرسل به إلى امرأة شنقيطية يلتمس منها كحلا يقول:[١٤] بسيط.

لا يرفع المريد للأشياخ من
حاجاته إلا الذي منها بطن
ورفعه الظاهر نزر ومتى
عاقب فعلا فكثيرا ثبتا

وفي الخلاصة بيت آخر يسمونه «بيت الهراوة» وهو قول ابن مالك: الرجز:

وافتح ورد الهمز فيما اعل
لاما وفي مثل هراوة جعل
واوا وهمزا اول الواوين رد
في بدء غير شبه ووفي الأشد

ولعل هذه التسمية راجعة الى صعوبة معرفة وزن هراوة وما طرأ على جمعه من ابدال واعلال حيث انتقل من هرائي على وزن قلائد الى هراوا مرورا بهرائي ثم هراءى وأخيرا هراوا وفي هذا المعنى يخاطب أحد الأدباء طلبته الذين هددوه بالضرب عندما تزوج من احدى نساء الحي يقول:[١٥] البسيط:

خوف الهراوا وانفاذ الوعيد بها
من آل ليلى حماني أن الم بها
قد حماني مرأى حواجبها
مرأى الدبابيس في أيدي حواجبها
كي لا تعمل في من كان يعملها
اعمال تصريفها للموعدين بها
فالضرب منهم لمثلي لا يليق بهم
بل لا يليق بنا بل لا يليق بها

واعتمادا على هذه الثقافة النحوية والمفاهيم الصرفية أسس الطلبة جهازا مفهوميا خاصا وأساليب تعبيرية محلية لا يدرك كنهها إلا من ثقف النحو وألف الدرس فكانوا يقولون: «ان الطالب إذا ركب الفرس واكتحل واخذ الهراوة فقد صحا له الاعراب صحوا واتقن الكلام قولا ونحوا»[١٦].

وزيادة على ذلك استأنس القوم باسلوب الألفية واستمتعوا به كثيرا فنسجوا على منواله الفيات عديدة معتمدين اسلوب التشطير إذ يبدعون الشطر الأول من أذهانهم ويعولون في الشطر الثاني على محفوظهم النحوي وربما تصرفوا في مدلول هذا المحفوظ لينقلوه من دلالته النحوية الى دلالات اخرى مدحية أو رثائية أو اخلاقية وذلك ما فعله النابغة الغلاوي[١٧] في رثائه لشيخه أحمد بن العاقل[١٨] يقول:[١٩] الرجز:

يا أسف الدين وكل عاقل
على وفاة شيخنا ابن العاقل
يا أسف المنطق والكلام
كم بهما أصبح من كلام
لموته قد ريعت الف روع
على أصول النحو والفروع
من ذا الذي يعرف سر الحرف
«فذاك ذو تصرف في العرف»
من ذا الذي من بعده يقول من
«يصل إلينا يستعن بنا يعن»
لما نعوه ونكرت فضله
«كلى بكا بكاء ذات عضله»
وبت ساهرا بليل أليل
«مروع القلب قليل الحيل»
وقلت لما قال لى أين المفر
«أيا ابن امي يابن عم لا مفر»
حياته عارضة وصفية
«فالغين عارض الوصفية»
لو كان غير الله حي قد بقى
لكان أولى من سواه بالبقا
أو كان يفدى بكذا ما ذهبا
«لو كان مثل ملء الارض ذهبا»

لكن مثل الشيخ عند من غبر
«ملتزم فيه تقدم الخبر»

تلك تأثيرات عامة ولنتحدث الآن عن تأثيرات محددة تمت ضمن محاضر معينة، ويجدر التنبيه هنا إلى أنه يمكن تقسيم المحاضر الشنقيطية الى قسمين، محاضر اعتمدت النظم والتأليف وان لم تهمل التدريس والتعليم، ومحاضر غلب عليها التكوين والتدريس وإن لم تترك التصنيف والأنظام بالمرة غير أن الغالب على الأولى هو النظم والمسيطر على الثانية هو التدريس وهذا التقسيم مجرد إجراء منهجي ومشغل تربوي وسنوضح أصناف هذه المحاظر فيما يلي:

أ ـ محاظر النظم والتأليف:

نقصد هنا تلك المحاظر التي عولت في برامجها ومقرراتها على الإكثار من التصنيف والأنظام ولعل ابرز من مثلها المختار بن بونه بجهوده التاليفية فقد ظهر بساحة مدرسته كتابه المشهور «الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة»، وقد كان لهذا الكتاب تأثير كبير على الخطاب النحوي في البلاد، ولا بأس أن نقيم موازنة ولو خاطفة بين الفية ابن مالك وبين جامع ابن بونه المذكور. فنقول إنهما ينتسبان الى فصيلة الأنظام والأراجيز ويتصفان بصفة التوسع والاستيعاب، فإذا كان الخطاب النحوي قد اجتمع وانتظم عبر تسهيل ابن مالك والفيته فإن النحو بأرض شنقيط قد استوى على سوقه واكتمل غب ظهور جامع ابن بونه الذي يعتبر العمود الفقري لنحو القوم فهو أساس المقررات الجامعية وعماد البرامج الدراسية، فقد استطاع مؤلفه أن يمزج منظومه بمنظوم ابن مالك فامتزجا امتزاج اللبن بالماء وارتبطا ارتباطا وثيقا جعلهما يتداخلان في أحيان كثيرة بل يكادان يستويان، فأصبحا سبيكة عجيبة مؤلفة النظد والوزن مختلفة اللون والشكل، فقد درج طلاب المحاظر على كتابة منظوم ابن مالك بالحبر الأسود في حين كانوا يسطرون منظوم ابن بونه بالحبر الأحمر تمييز له عن الأول ولذلك سموه «احمرارا».

وهذا الجامع المذكور ينقسم إلى قسمين كبيرين:

تـ ـمـا تذييل وتوشيح لألفية ابن مالك وقد جاء تـ كمالا لأبوابها واستدراكا على بعض مسالكها وهذا الـ ـييل يساير الخلاصة من الفاتحة الى الخاتمة وهو عـ ارة عن رجز يجمع الأحكام النحوية التى أورد ابن مـ لك في تسهيله وكافيته ولم يثبتها في ألفيته مكتفيا بـ ذكر في التسهيل، فهو اذا استدراك دقيق يتتبع ابواب الخلاصة وربما أضاف إليها مسائل جديدة، ففي هذا الاحمرار إضافات كثيرة تناولت جميع ابواب النحو مع زيادة بعض الفصول التى حذفها ابن مالك مثل الموصول الحرفي، والتاريخ والقسم، والهجاء، ومخارج الحروف، وبعض التصريف مثل الالحاق والقلب وقد نحا الناظم في هذه الإضافات نحو الإمام السيوطي[٢٠].

أما القسم الثاني من كتاب الجامع فهو عبارة عن مجموعة من الحواشي والأنظام الجانبية والتعليقات المحاذية وضعت باسلوب مختصر تتكرر خلالها مصطلحات تشير إلى مواضع الاطلاق والتقييد ونقاط التباين والاختلاف بل تبين احيانا الاستعمالات الشاذة دون أن تنسى الأدلة والشواهد، ودراسة الطرة تقتضى كثيرا من التيقظ والمهارة والدربة والفطنة إذ يزاوج الطالب بين نشاطين مختلفين فهو يقرأ نص ابن مالك أو احمرار المختار وفي الوقت نفسه ينتبه لبعض الاشارات المرسومة على بعض الكلمات والموضوعة على جنبات الصفحات وبمحاذاة الأبيات. فالطرة تقوم على تقنية معينة حيث توضع علامة مميزة على الكلمة وغالبا ما تكون نجما أو دائرة أو خطا متقطعا ثم تسطر هذه العلامة نفسها بمحاذاة البيت المشروح ليكتبوا تحتها تعليقا لطيفا يكون عمادا لشرح البيت المذكور وتقييدا لمطلقه ومنطلقا لفهمه وربما تذكيرا بشواهده وتعليلا لأحكامه وتنبيها كذلك على نكته وغوامضه وقد تسابق الشناقطة إلى فتح أقفال الطرة فسهلوا ألفاظها وابانوا غامضها وقد أحصى بعض الباحثين شروح «الجامع» فبلغت ثلاثين شرحا احدى عشر منها متداولة متوفرة حاضرة بالمؤلفات الشنقيطية أما الشروح الباقية فهي ما بين ضائع مفقود أو ناقص مبتور[٢١].

وخلاصة القول إن جامع ابن بونه أصبح في بلاد شنقيط النص النحوي المعتمد والمرجع الأساس في البحث والتدريس فكل الدراسات تدور حوله تفسر غوامض ألفاظه وتبين دقائق معانيه وتخصص عمومه وتشرح شواهده حتى نشأت عن هذا النشاط العلمي حركة تأليفية انطلقت من الجامع البوني مارة بـ «روض الحرون» لتبلغ نضجها واكتمالها مع حواشي رواد محظرة إمام الملة يحظيه بن عبد الودود[٢٢].

وقد صور لنا سيد عبد الله بن امبوجه[٢٣] ما وصل إليه هذا الجامع من انتشار وأهمية فذكر أن والده قد درس هذا الكتاب المعروف الآن بـ«طرة ابن بونه» وقد عكف عليه الطلبة في هذه الأزمن واشتغلت به الفكر والأفهام وصار الناس فيه ما بين شارح ومختصر ومقتصر ومبين لنكته وما بين مشتغل به حفظا وتدريسا[٢٤].

كما نوه أحمد بن الأمين الشنقيطي[٢٥] بهذا الجامع أيضا فقد وصف مؤلفه قائلا «ويكفيه - يعنى المختار بن بونه - أنه هو الذي نشر النحو بعد دفنه وكفى الناس مشقات مؤنه وكانوا لا يتجاوزون قبله ما في الالفية وشروحها مع عدم معرفة الذى يمكن للطالب أن يخزن في ذهنه وما يكون قريب التناول عند الحاجة إلى ذلك حتى نظم لهم ما تخلف عن الألفية مما تضمنه التسهيل والصق كل شذرة بما يناسبها وضم إلى ذلك طرته المفيدة وأتى على كل مسألة بالشواهد من كلام العرب[٢٦].

وأكثر من ذلك أشاد العالم حرمه بن عبد الجليل[٢٧] بسعي ابن بونه في جامعه مؤكدا أنه سهل التسهيل وقربه للناس يقول:[٢٨] الطويل:

فمن سهل التسهيل بعد صعوبة
ومن لخص التلخيص درا منظما
وأغنى عن الشيخ السنوسي منطقا
وعلم كلام من يريد تكلما
فأنت ابو عذر العويص الذى نبا
شبا كل فهم دونه وتلثما

ولم يكن العمل الذي قام به ابن بونه هينا في انجازه ولا سهلا في استيعابه فغير برامج النحو ومقرراته وأعاد في كتابه «الجامع» بناء أسس مدرسة

ابن مالك فرد إلى الخلاصة ما فصله ابن مالك في الكافية والتسهيل وضغط بعنف شديد على شراح كتب المدرسة وما لهم من تنبيه وتأويل وتفريع فجاء كتابه ناظما لكل هذه الأقوال والآراء وزبدة لها.

وهكذا فإذا كان لابن مالك الفضل الأول في انتقاء عمل تربوي بديع استهوى افئدة الطلبة والدارسين فإن الفضل الأخير يرجع إلى المعلم الثاني المختار بن بونه الذي فرض منظومة ابن مالك على جميع طبقات النحويين بأرض شنقيط.

طلبة المختار بن بونه وإسهامهم النحوي:

لقد تخرج من مدرسة هذا الرجل جمع من الطلبة كثير إلا أننا لم نصادف من آثارهم إلا القليل، ولعل أبرزهم تلميذه حرمه بن عبد الجليل العلوي الذي اثنى عليه كثيرا وقرظ كتبه بابيات ذكرنا بعضها، ومنهم كذلك الحاج احماه الله القلاوي[٢٩] الذى تضلع من علوم النحو ليبلغ درجة التأليف شارحا الكافية معلقا على الشواهد النحوية ناظما معظم احكام المغنى واكثر من ذلك قدم للمبتدئين نظما مفيدا سماه «الرباني» وقد خصص بعض فصول هذا النظم للقواعد النحوية العامة متحدثا عن مصطلحات اللبس، والحذف والاطلاق وغيرها يقول:[٣٠] رجز.

يجوز حذف كلما قد علما
والفصل بالظرفين حيث حرما
وكلما يوقع بالتباس
منع اجماعا وبانعكاس
وكل كون مطلق يستتر
حتما وما قيد حتما يظهر

ونصل الى عبد الودود بن عبد الله الحيبلاوي[٣١] الذي راد الجيل النحوي الأول بعد ابن بونه فقد تمكن من ناصية اللغة والنحو وأحاط بنماذج ابن بونه ليتجاوزها ممحصا طرته متتبعا أقواله بدقة وقد اوضح ذلك ضمن كتابه النحوي الفريد في بابه والذي سماه «روض الحرون من طرة ابن بون» وهو كاسمه فعلا فقد سعى خلاله إلى رياضة كل صعب ممتنع حرون من طرة الشيخ المختار وقد تتبع في هذا الكتاب ... الرجل بشيء من الدقة والصرامة النحوية متعقـ... عبارات «الترجيح» «والأصح» و«الأظهر» و«المطل...» و«المؤول»، فبين مقبلة كل هذه التخريجات وقد أوضـ... ذلك بقوله: «فلما كان تقييد الشيخ ابن بونه على الألـ... وعلى توشيحه إياها ظاهر الإفادة والمزية وبه اشتغـ... أهل هذه الجهة إلا أن فيه اطلاقات وتأويلا... وتخريجات لا يدرى مقابلها أبدا سألنى بعض أهل العصر تأليفا يبين لغزه ويفتح عويصه ورمزه وبعد تردد توكلت على الله وكتبت»[٣٢].

وقد عول عبد الودود في مؤلفه هذا على سلفه من النحاة كالدماميني وابن عقيل وخالد الأزهري في تصريحه على توضيح ابن هشام، ولم تقتصر جهود هذا النحوي على هذا الكتاب بل تجاوزه إلى آفاق رحبة من المباحث النحوية فقدم نظما رائعا في جر الفاعل وحذفه يقول:[٣٣] رجز.

وجر فاعل أتى في خمس
مسائل أتت بدون لبس
يجر باللام كهيهات لما[٣٤]
أو من كمثل من بشير فاعلما[٣٥]
وجاز أن يجره الباء كما
في قوله جل كفى فالتعلما[٣٦]
واجرره بالمصدر إن أضيفا
إليه واسمه فلا تحيفا
وجره جر التوهم ذكر
عن بعضهم كحين هاج الصنبر[٣٧]
وحذف فاعل أتى في اربع
مسائل على القياس فاسمع
في الحصر والنائب ثم المصدر
ونحو اسمع بهم وأبصر[٣٨]

وللرجل انظام عديدة في مسائل نحوية متخصصة شمر فيها عن ساعده وابان الخلاف بين النحاة من ذلك نظمه البديع في وزن كلمة «أشياء» يقول:[٣٩] البسيط.

في وزن أشياء خلف فاحفظن به
لا تلهينك عنه الابل والشاء

أمـا الخليل وعـمـرو فـهي عندهـمـا
في الأصل فـعـلاء وهي الآن لـفـعـاء
وقـال الأخـفـش والفـراء مـتـزن
فـقـعـلاء وهي الآن أفـلاء
بقلب همـزته ياء ومـحـتـمل
بحـذف لام فـهـو الان أفـعـاء
وعند الأخفشي مـثل البيت مفرده
ومـثل هين على مـا قـال فـراء
ومنعـه في كـلا الوجـهين مـتـجـه
إذ اتقـيـاء له وزن وشـجـراء
وعن علي كـنجـمـال وليس له
داع امـتنـاع اذا تجـر أنبـاء
وقل لمن يدعي شـيـئـا بمعـرفـة
حـفظت شيئا وغابت عنك أشياء

ونذكر مع هؤلاء محمد بن محمدن بن المختار الفاضلي وهو من الجيل الثاني بعد ابن بونه وقد نظم «روض الحرون» نظما مفيدا افتتحه قائلا:[٤٠] الرجز:

قـال مـحـمـد الذى قـد انتـمى
بـالاطراد الجـدود كـرمـا
آل مـحـمـد الكريم النجـبـا
الفـاضلي اليماني أمـا وأبا
وقـد تحـدث ببـعض النعم
شـكـرا لـربـه الـكـريم المنـعـم
لله حـمـد مـونن على الدوام
بـزيـد مـنـه عـلـى كـل الانـام
أحـمـد قطب الكون في النور الأعم
من بعـثـه انا لنا خـيـر النعم
وبعـد ان البـعض من نو الطلب
روض الحـرون نظمـه منى طلب
فـرمت الابتـداء بالذى قـصـد
مـرتجـيـا فـتـحـا من الله الصـمـد

ومن الذين تابعوا نشاط ابن بونه النحوي واثروه واستدركوا عليه نذكر العالم محمد بن سيد احمد بن محمد الامام الملقب حبت القلاوي[٤١] فقد الف موسوعة نحوية ضخمة في عدة مجلدات اعتنى ضمنها بالشواهد الشعرية ساعيا إلى تبيان رواياتها المختلفة مفسرا الفاظها الصعبة مبينا الشاهد والبيت الذي قبله أو الذى بعده أو هما معا، وقد حدد في مقدمة كتابه الدوافع التي دفعته الى تصنيف هذا المجموع يقول: «إنه لما كانت تلك الكتابات ممزوجة بالخلاصة امتزاج الماء بالراح وامتزاج الاجسام ذات النفوس بالارواح شرعت للشرح في جميع ما هنالك والايضاح ضاما الى ذلك من الفوائد ما ينشرح إليه الصدر أي انشراح ناقلا عليه من كلام الأئمة ما يتبين به المرام وينكشف عن وجوه خرائد مخدراته اللثام ويروى كل غليل نحو ذلك المشرب وظام»[٤٢] وقد سطر في مقدمة كتابه مراجعه ومصادره مؤكدا أنه اعتمد التسهيل وشروحه والدماميني والاشموني والصبان وغيرهم وقد سمى كتابه «المواهب النحوية على الخلاصة والالفاظ البونية».

والكتاب ليس موسوعة نحوية فقط بل هو دائرة معارف تشمل اللغة والأدب مستكملة جامع ابن بونه مستدركة عليه مستوعبة كل المباحث والأبواب وقد تدوول هذا الكتاب بالمحاظر الشنقيطية فاعجب به الطلبة والمدرسون وظل القوم في كؤوسه النحو يشربون ويحتسون، ولمباحثه معظم وقتهم يكرسون.

ولا ننسى هنا جهود العلامة الفقيه محمد مولود بن احمد فال اليعقوبي[٤٣] فقد جمع شواهد القرآن والحديث والآثار معولا على اعراب الابيات وتخريج الشواهد وذلك عبر مؤلفه «إنارة الأفكار والابصار بشواهد النحو من الاخبار والآثار» وهو كتاب مفيد تتبع فيه الرجل الشواهد القرآنية والأحاديث والآثار الواردة في متن جامع ابن بونه، وقد أكد في خاتمة مؤلفه انه قام بهذا السعي انتصاراً للقرآن والسنة وإحياءً لهما حيث عول المؤلفون على تخريج شواهد الشعر مهملين شواهد القرآن والحديث يقول: «.. إني رأيت اقبال الناس على شواهد الشعر ضبطا وشرحا وتركهم غيره فشق علي ترك ذلك في القرآن والحديث واعترتني لهما غيره فهممت بهما ووعدت بعض الاخوان بذلك وعدا ثم نظرت فإذا شواهد الآي كثيرة جدا وانا في شغل عنها لم اجد منه بدا ولها في اقليمنا حفاظ وحذاق والحديث شواهده يسيرة وشروحه نزيرة

ولا اعلم له حفاظا في القطر مع أنه يجب حفظه ومعرفة علومه وكذا تجب إقامته ولذا يجب تعلم اللغة والنحو على قارئه لانهما وسيلة تقويمه[٤٤].

ولعل هذا الكتاب داخل في اهتمامات الرجل الأصولية التجديدية فقد عرف هذا اليعقوبي بسعيه الحثيث إلى تجديد السنة وتأصيل الفقه والتوسع في الرؤية وقد استعرض ضمن كتابه ما يناهز المائة من الأحاديث والآثار من شواهد جامع ابن بونه مرتبة على تبويب الكتاب وقد اتبع منهاجا واضحا انطلق فيه من عزو الحديث وتخريجه وربما اعتذر عن عدم التمكن من التخريج لندرة كتب الحديث في عهده ومن عادته أن يبين موضع الاستشهاد واقوال الصحابة والطريف في هذا الكتاب أنه يبين للناس الأمثال والآثار التي ترددت في كتب الحديث وحسبوها من الحديث وما هي منه بل هي من كلام العرب وقد حقق هذا الكتاب في جامعة انواكشوط ليطبع بعد ذلك[*].

ونضيف هنا أيضا في هذا المقام مساعي العالم محمد تقي الله[*] بن الشيخ ماء العينين فقد جمع شرحا مفيدا عمل خلاله على فتح اقفال طرة ابن بونه وفك الغازها وقد سماه «تبين ما يعنون من الألفية وابن بون» وهو كتاب بديع في موضوعه كامل في استيعابه متسوع في استعراضه استبان المشكل من الشواهد واستوضح الغامض واستكمل المباحث والأقوال فجاء خلاصة لآراء النحاة وزبدة لتحريراتهم فكان بذلك كتاب نحو وادب ولغة.

«للدراسة صلة»

الهوامش:

(١) عبد السلام المسدي: قراءات مع الشابي وابن خلدون، ص ٢٥.

(٢) محمد بن المختار بن محمد السعيد المعروف بمحمد اليدالي من أكابر علماء البلد (١٠٩٦ - ١١٦٦هـ)، فقيه عالم ومفسر عارف بالقراءات ألف الذهب الابريز في تفسير كتاب الله العزيز، له ديوان شعر معظمه في المديح النبوي.

(٣) أواه بن محمد الأمين: تحقيق الفرق بين اسم الجمع واسم الجنس، لمحمد اليدالي، جامعة انواكشوط ١٩٨٧، ص ٦٥.

(٤) المرجع السابق والصفحة.

(٥) المرجع السابق ص ٧١.

(٦) المرجع السابق، ص ٧١.

(٧) المرجع السابق، ص ٧١.

(٨) هو المختار بن الأمين الملقب انجبنان الحبيبلاوي نحوي مشهور عاش في آخر القرن الثاني عشر الهجري أخذ عنه ابن بونه، له مؤلفات منها: شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل.

(٩) محمد المختار ولد اباه: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم (اسسكو)، المغرب ١٩٩٦، ص ٤٥٠.

(١٠) المختار بن بونه: عالم مدرس من أكبر علماء شنقيط له مؤلفات منها: توشيح على ألفية ابن مالك وطرة، (ت ١٢٢٠هـ) عن عمر يناهز المائة والعشرين.

(١١) محمد محمود ولد التلاميذ عالم لغوي ونحوي متميز، ارتحل الى المشرق واقام به الى أن (ت ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٤م) له مؤلفات منها: الحماسة السنية، البيان المرصص في أوهام المخصص، وتعليق على القاموس وآخر على الأغاني.

(١٢) محمدن بن أحمد بن المحبوب: أدب الرحلة في بلاد شنقيط، دبلوم الدراسات العليا بجامعة محمد الخامس، المغرب ١٩٩٥ ص ١٣١.

(١٣) لقد تجوز هنا كثيرا في النسبة إلى «ابن مالك» فنحتنا هذه النسبة الجديدة الخارقة لقواعد الصرف (بنمالكي) وذلك ابتعادا عن اللبس، وهروبا من الخلط حتى نفرق بين النسبة إلى «مالك» إمام الفقه والحديث، وبين «ابن مالك» إمام اللغة والنحو.

(١٤) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو في المشرق والمغرب، مرجع سابق ٤٤٥.

(١٥) المرجع السابق، ص ٤٤٥.

(١٦) المرجع السابق، ص ٤٤٤.

(١٧) النابغة القلاوي: عالم جليل أخذ عن خاله عبد الله بن الحاج احماه الله، وعن أحمد بن العاقل، له مؤلفات منها: نظم بوطليحية في الكتب المعتمدة، وكذلك كتاب المباشر على ابن عاشر (ت ١٢٤٥هـ. ١٨٢٨م).

١٨) أحمد بن العاقل: عالم جليل اسس محظرة تميزة في النحو والمنطق والأصول، له فتاوى في ختلف فنون الفقه (ت ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٧م).

١٩) محمد ماء العينين: تحقيق الوسيط في تراجم .بباء شنقيط، جامعة محمد الخامس، ١٩٩٢ ج ٣، ص ٧٧٨.

(٢٠) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق، ص ٤٥٧.

(٢١) شريف بن احمد محمود: تحقيق تسجيل التكرار في شرح الاحمرار لاباه ابن عبد الله العلوي، رسالة تحت الانجاز.

(٢٢) يحظيه بن عبد الودود: امام النحو في بلاد شنقيط أسس محظرة متميزة كان شاذلي الطريقة، تخرج عليه عدد من أكابر علماء البلد (ت ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٧م).

(٢٣) سيد عبد الله بن امبوجه: عالم وشاعر علوي عاش في القرن ١٣هـ.

(٢٤) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق، ص ٤٥٩.

(٢٥) أحمد بن الامين الشنقطي: لغوي متميز سافر نحو المشرق وأقام به إلى أن توفي بمصر سنة ١٣٣١هـ، له مؤلفات منها الوسيط في تراجم ابناء شنقيط وشرح للمعلقات وشرح لجمع الجوامع للسيوطي في النحو.

(٢٦) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق، ص ٤٥٣.

(٢٧) حرمه بن عبد الجليل العلوي: (١١٠٥ ـ ١٢٤٤هـ) أخذ عنه الشيخ سيدي الكبير، كان من أعظم شخصيات العلم والأدب في البلاد كان مدرسا وقاضيا وقارئا بالسبع.

(٢٨) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق، ص ٤٥٣.

(٢٩) الحاج احماه الله القلاوي: عالم من مدينة شنقيط (ت ١٢٠٩هـ/ ١٧٨٥م) وقد اثر كثيرا في اثراء الدرس اللغوي والبلاغي، له مؤلفات في النحو والبلاغة والعروض وشروح على قصائد ابن رازكه.

(٣٠) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق، ص ٤٦٨.

(٣١) عبد الودود بن عبد الله بن أحمد بن انجبنان الحبيبلاوي: نحوي شهير له مؤلفات منها «روض الحرون من طرة ابن بون» (ت ١٢٦٨هـ).

(٣٢) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق، ص ٤٦٦.

(٣٣) المرجع السابق والصفحة.

(٣٤) إشارة إلى قوله تعالى: {هيهات هيهات لما توعدون} سورة المؤمنون، الآية ٣٦.

(٣٥) إشارة الى قوله تعالى: {ما جاءنا من بشير ولا نذير} سورة المائدة، الآية ١٩.

(٣٦) إشارة الى قوله تعالى: {وكفى بالله شهيدا} سورة النساء، الآية ٧٩.

(٣٧) إشارة إلى قول طرفة:

بجفان تعترى نادينا ... من سديف حين هاج الصنبر

(٣٨) إشارة الى قوله تعالى: {أسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين} سورة مريم الآية ٣٨.

(٣٩) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق، ص ٤٧٦.

(٤٠) المرجع السابق، ص ٤٩٧.

(٤١) هو محمد بن سيد أحمد بن محمد الامام الملقب حبت القلاوي (ت ١٢٨٨هـ) عالم جليل.

(٤٢) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق، ص ٥٠٢.

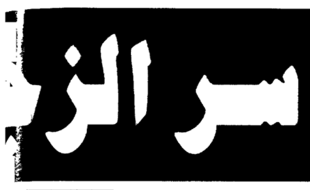
(٤٣) محمد مولود بن احمد فال الموسوي اليعقوبي: ت ١٣٢٣هـ، من رواد الحركة التاليفية في البلاد، من أبرز مؤلفاته: كفاف المبتدي، ومحارم اللسان، وتعليم الصبيان ... الخ.

(٤٤) عبد الله ولد خيار تحقيق انارة الأفكار، مقدمة الكتاب.

---

[*] عبد الله ولد خيار، تحقيق إنارة الافكار والأبصار: المملكة العربية السعودية ١٩٩٥.

[*] هو محمد تقي الله بن الشيخ ماء العينين القلقمي الملقب بمحمد بري، عالم جليل تربى في حضرة والده العلمية والصوفية، ت: ١٣٢٠هـ.





بقلم: د. عبدالرزاق فراج الصاعدي
- المدينة المنورة -

٣٤ـ علماء العربية المعاصرون:

علماء العربية في هذا الزمان رجلان، رجل استلهم التراث، وحفظ منه ما شاء الله له أن يحفظ، فانكفأ على محفوظه، وأغلق الأبواب والنوافذ، فانقطع عن عصره، وابتعد عن الناس وابتعدوا عنه، وسخر منهم وسخروا منه، ونفر مما معهم ونفروا مما معه.

ورجل ليس لديه من التراث إلا التاء والراء والثاء، وقدر وافر من ألفاظ الذم والقدح والسخرية استخرجها من القاموس ووضعها تحت لسانه ليرشق بها تراث العربية وعلماءها ويتهمهم بالجمود والتخلف، وجعل فوق لسانه ألفاظاً براقة من مصطلحات العلوم الحديثة مما هبت به الرياح الغربية، وهو يلوكها ليل نهار، ويظن أن في فمه مفاتيح العلوم فعضّ عليها بالنواجذ، فنشأ فوق رأسه مع الأيام ما يشبه عرف الديك، وبدأ صوته يقارب صوت الطبل؛ لأنه هو الطبل!

وكيف لنا برجل ثالث يمضي نصف عمره بصحبة التراث ليفهمه ويستلهمه، ثم يختزنه في رأسه ليكون قريبا من لسانه، ويكون قريباً من قلبه، ثم يفتح الأبواب والنوافذ ليلتقط ما طاب له ووافق ما في رأسه، ليضيف ويهذب ويفسر ويدافع بلغة يفهمها أبناء العصر ويقبلونها ويُقبلون عليها. أما الغثاء وهو كثير فيدعه يخرج مع النافذة المقابلة. قال عز وجل: {أما الزَّبدُ فيَذْهَبُ جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}.

٣٥ـ توافق:

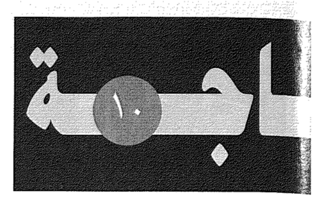
قبل عشرين عاماً بالتمام والكمال قرأت في إحدى الصحف السعودية مقابلة مع أديب شاب، سئل عن عمره فقال ١٩ عاماً وكان عمري أنا أيضاً ١٩ عاماً فقلت هذه مجرد مصادفة.

ثم أجريت معه مقابلة بعد خمس سنوات فسئل عن عمره فقال ٢٤ عاما فعجبت لأن عمري كان ٢٤ عاماً أيضاً.

ثم قال بعد سبع سنوات أن عمره ٣٥ عاماً فدهشت لأن هذا يوافق عمري أيضاً، ولعل اتفاقنا في العمر ثلاث مرات من غرائب المصادفات!!

٣٦ـ الزعم مطية الكذب:

يظنّ بعض الناس أن الزعم لا يكون إلا بمعنى الكذب، وليس هذا الظن صحيحاً، فالزعم في كلام العرب على أربعة أوجه:



بمعنى الكفالة والضمان.

وبمعنى الوعد.

وبمعنى القول والذكر.

وبمعنى الظن.

فشاهد الزعم بمعنى الكفالة والضمان قول عمر بن أبي ربيعة:

قلتُ كفي لك رهنٌ بالرضى
وازعمي يا هند، قالت: قد وجبْ

فازعمى هنا بمعنى اضمني. وقال النابغة الجعدي:

نُودي: قيل اركبنْ بأهلك
إنّ الله مُوف للناس ما زعما

فزعم هنا بمعنى: ضمن.

وقيل: هي بمعنى: قال، وبمعنى: وعد.

وشاهد الزعم بمعنى الوعد قول عمرو بن شأس:

وعاذلة تخشى الرّدى أن يصيبني
تروحُ وتغدو بالملامة والقسم
تقولُ هلكنا إن هلكت وإنما
على الله أرزاقُ العباد كما زعمْ

فزعم هنا بمعنى قال ووعد.

وشاهد الزعم بمعنى القول والذكر قول أبي زبيد الطائي:

يا لهف نفسي إنْ كان الذي زعموا
حقاً، وماذا يردُّ اليوم تلهيفي

المعنى - كما يقول البغدادي في شرح بانت سعاد - **إن كان الذي قالوه** حقا لأنه سمع من يقول: حُمل عثمان رضي الله عنه على النعش إلى قبره.

وقال المثقّب العبدي:

وكْلام سيء قد وُقرتْ
أذني عنه، وما بي من صممْ
فتصاممتُ، لكيما لا يرى
جاهلٌ أني كما كان زعمْ

وشاهد الزعم بمعنى الظنّ قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

فذق هجرها قد كنت تزعمُ أنه
رشادٌ، ألا يا ربما كذب الزّعمُ

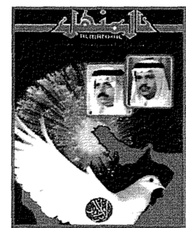
فهذا البيت لا يحتمل سوى الظن، وبيت ابن أبي ربيعة لا يحتمل سوى الضمان، وبيت أبي زبيد لا يحتمل سوى القول، أما الباقي فيحتمل عدة أوجه.

٣٧ - خاص ولكن للنشر:

أيها الصديق الفريد:

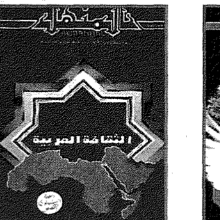
لقد أدهشتني عندما جعلت خطابي إليك خلف ظهرك.

ولقد عذرتك، لأنك لا تدري أنني كتبته في ذلك اليوم بقلم أحمر استعرت مداده من شرياني التاجي.



الأمن والأمان

شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م



الثقافة العربية

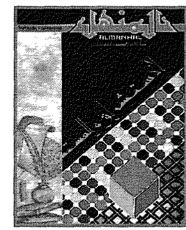
شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م

الأثر والآثار

رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م

العادات والتقاليد

رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٨ م




الاستشراق والمستشرقون

رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩ م

الابداع والبدعون

شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري

شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٢ م



اللغة العربية .. آفاق مستقبلية

شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٣ م



النقد والنقاد

شوال وذو القعدة ١٤١٦هـ/ فبراير ومارس ١٩٩٦ م

من اعدادنا السنوية المتخصصة

١٠٦

رسالة من الشريف الرضي .. إلى السيدة الجميلة

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

عجائب العصر الحديث السبعة

في هدوء الفجر



مجلة شهرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها

عجائب العصر الحديث السبعة

مشاريع عملاقة ستغير مجرى الحياة [*]

مشاريع تمثل جزءا من احلام التاريخ البشري وتجعل عجائب العالم السبعة القديمة في خبر كان.

اليابان كالكيس المتلىء الذي يتفتق من كل جانب، واميركا تختنق في زحام السيارات، واوربا تصارع تحت سماء غطتها الابخرة لعلها تحصل على الهواء فضلا عن ذلك تنفث الغيوم غازات ثاني اوكسيد الكاربون في الكون.

هذه هي احلام الرعب الآن التي تنذر بكارثة بيئية قد تحدث حوالي عام ٢١٠٠م إذا على المرء أن لا يكون متفائلا جدا حتى يحمل مثل هذه التنبؤات محمل الجد. صحيح أن هذه الخطط والاحلام تدفع الى التأمل بأن سيناريو الاحلام الخفي قد يجد طريقه الايجابي حيث أن الكثير مما قد يبدو اليوم انه من الخيال العلمي قد يصبح في الغد شيئا عاديا ومألوفا.

إن أحدث دليل على ذلك ما بدأته اليابان في «موسيقاها المستقبلية» باقامة كونسيرت على عمق ٥٠ متراً كاطار احتفالي لأول ضربة معول لأول مدينة تحت الارض في العالم.

و«كيوثروبولي» سيكون اسم «عاصمة الخلد المستقبلية»[١] والتي سيتم انجازها في عام ٢٠٢٠م.

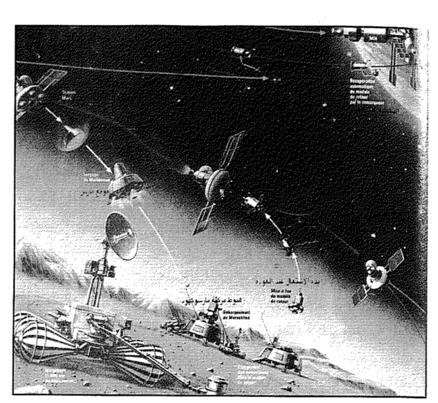
سيعيش في هذه المدينة تحت الارض حسب ما هو مخطط آلاف البشر وهي تشبه الى حد كبير، قارورة مختبرية هائلة الحجم، ولن تكون هذه المدينة الوحيدة من هذا النوع، فالمكان في اليابان لا يتسع لاحد، وتعد اغلى بقع الارض في العالم، فقد تخطى سعر المتر المربع في طوكيو الـ (٢٨٨٠٠٠) مارك ولم يبق امام اليابان سوى غزو باطن الارض والبحر والارتفاع عاليا. والبناء في باطن الارض حاليا هو الارخص بفضل التقنية الحديثة غير أن المسألة تتطلب وقتا حتى يتم انشاء مجمعات صناعية ايضا، اذ سيكون انسب مكان للبناء من ناحية الكلفة، هو البحر. وقد تم بالفعل وضع اللمسات الاولى لأول «الدورادو» في الاسفل[٢] على عمق ٦٠٠ متر امام الساحل الشرقي الياباني والاسم الرسمي لها هو «مجمع اوباياشي» وتضم (٥٠٥) انفاق طول كل نفق منها ١٥ كم بارتفاع ٣٠ متراً وعرض ٢٠ متراً لصب الاسس.

وستستعمل في هذا المشروع الخيالي اضخم المكائن المتخصصة في العالم ومنها قاطعة الصخور (فريزة) بعرض ١٤ متراً التي تقطع ١٣٠ متراً من الصخور في اليوم. وقد اعطى المسؤولون مدة ثلاثين سنة حدا أعلى لانجاز العمل في المجمع الصناعي الذي يشغل مساحة ١٥٠ كيلومتر مربع ويضم قسما للصناعات الثقيلة وقسما للصناعات الخفيفة والمختبرات والابحاث.

المشاريع الفنطازية لدى مهندسي التقنية العالية (H..T.) لا تعرف الحدود، البحر امام اعينهم والارض لا تتسع بعد لقدم! لم لا يقيموا جزرا اصطناعية عائمة في عرض البحار الواسعة تتسع لمئات الآلاف من البشر الذين ضاقت بهم الارض

ترجمة الدكتورة /
زهراء محمد سعيد محمد ـ الاردن

** سياحة وحفلات زواج على ارتفاع (٤٥٠) كيلا
** (المدينة القارورة) تحت سطح الأرض
** (ارض الابتسامة) هرم بارتفاع (٤٠٠٠) متر



اليابانية؟ الحاجة تتطلب ركائز هائلة بسعة ملاعب كرة القدم تحمل منشآت عملاقة كونكريتية وزجاجية، تقام الى جانبها بنايات صغيرة على طراز القرن الحادي والعشرين، وما يتوفر في الطبيعة من فوضى كي يحس الانسان بانسانيته.

المعماريون يقولون بأن لا شيء مرتب ومنظم في الطبيعة وكل ما فيها فوضوي ولا يمكن أن يواصل الانسان وتواصل الحضارة تطورها الا اذا اخذنا هذه الحالة في عالمنا الاصطناعي التقني الجديد بعين الاعتبار، والاحساس المستقبلي بالحياة يتطلب ايضا منشآت سكنية منفتحة بمساحات انتجاع كافية، ويجب أن توحي للسكان بحياة اجتماعية جادة.

وما يفكر به المهندس الياباني يصنعه على الورق ومن ثم يبدأ بمحاولاته التجريبية، وقد تم بالفعل لحام اولى الركائز التجريبية معا بوساطة روبوتات المصانع. وقد ايدت الفحوص بأن مدن المحيطات العائمة يمكن اقامتها من الناحية التقنية.

اما في حقل الانشاء العمودي فمشاريعهم اكثر طموحا. «ارض الابتسامة» هرم بارتفاع اربعة الاف متر - اربعة كيلومترات بالتمام والكمال - وسيضاهي هذا البناء الهائل بضخامته اعلى جبال اليابان - فوجي ياما - (٢٢٤) متراً. هذا الهرم [X- ٤٠٠ SEAD] سيعوم امام الساحل الياباني على تشكيلة حديدية تزن ٥٠٠ مليون طن وبسمك ستة كيلومترات.

هذا الهرم سيقدم لقرابة سبعمائة الف نسمة مكانا للعمل والراحة - في الاقل الى علو ٢٠٠٠ متر - وفوق ذلك سيكون توفير الطاقة والأوكسجين باهظ الثمن، وستستغرق الرحلة بالمصعد الى الطبقة الالف ٣٥ دقيقة. وستكون درجة الحرارة هناك ١١ درجة تحت الصفر، وقد اطلقوا على الهرم اسم «شبكة العنكبوت». وستوفر سطوحه العالية مساحات للتزحلق على الجليد طيلة ايام السنة.

البحار العالية لا تقدم لانسان الغد الغذاء والسكن فقط، بل والماء العذب ايضا، اذ ستسهل على الانسان في القريب العاجل نقل جبال جليدية هائلة من القطب الجنوبي الى الاماكن الصحراوية القاحلة لتحويلها الى مناطق زراعية آهلة بالسكان. وتدل الدراسات أن الجبال الجليدية في القطب الجنوبي عذبة المياه وهي تكفي لتزويد البشرية كلها بماء الشرب وري كل الحقول في العالم، ويقدر ما

** خلال نصف القرن القادم ستضاء المنازل من الفضاء الخارجي

** ستارة بطول (٢٠٠) متر لسد ثقب الاوزون

** مدن عملاقة تعوم وسط البحار..

** مدن في اعماق الارض..

** ناطحات تصل الى ارتفاع الف متر..

** مناجم على سطح القمر..

يتكسر منها سنويا بحدود خمسة الاف عملاق جليدي تذهب سدى، ولكن الصعوبات التقنية قد حالت حتى الآن دون الاستفادة منها. ويفكر العلماء الآن بتغليف الجبال الجليدية عند تكسرها بالاستيروبور الواقي ومدها بالطاقة الشمسية ودفعها بفضل مراوح تقاد من قبل الاقمار الصناعية.

ومن الأرض والبحار الى الفضاء.. الى الشمس والقمر والاوزون، فالطاقة الشمسية نبع لا ينضب في الفضاء الكوني، وإن نجح الانسان في امتصاصها بمعامل طاقة كونية وايصالها الى الارض كطاقة كهربائية سيصبح سعر الطاقة الكهربائية برخص التراب. الاقتراح المطروح قيد الدرس والتجريب يتلخص في زرع خلايا الطاقة الشمسية الحديثة وبمساحة الاف الكيلومترات المربعة (حقول الطاقة الشمسية) بحيث تحيط بالارض وتحول ضوء الشمس الى كهرباء يرسل على شكل امواج متوسطة الى الارض وتستقبله لاقطات (أريل) ضخمة تشمل مساحات شاسعة جدا. وضخامة اللاقطات ضرورية جدا لأن حزم الامواج كثيرا ما تتشعب على الطريق ما بين حقل الطاقة الكوني والارض والتي تبلغ ٣٦٠٠٠ كيلومترا.

تدل حسابات المتخصصين بأن (الآريل) الذي يلتقط نتاج حوالي ١٠ كيكاواط G W يمكن أن يغطي مساحة (١٣ × ١٥) كيلومتر. وهذه الطاقة، أي (١٠) G W، تساوي تقريبا نتاج ثمانية مفاعلات نووية ضخمة.. تصور!! ويتوقعون أن نظام الطاقة الشمسية الكوني سيمد الارض كلها في زهاء الخمسين سنة القادمة. اذن فالفرص مواتية وخلايا الطاقة الشمسية في تطور سريع ورخيص.

وغبار القمر الغني بغاز (الهيليوم -٣) وهو اسخن مادة حارقة مستقبلية والمقارنة هذه توضح مدى خاصية هذا الغاز: ٣٠ طن - هيليوم من غبار القمر هذا يعطي طاقة بمقدار ما استهلكته اميركا خلال احد عشر شهرا من العام قبل الماضي (١٩٩٦/١/١ - ١٩٩٦/١١/٣٠)، وما يتوفر على سطح القمر من طاقة كامنة في شكل غاز الهيليوم قد يزيد - بحسب التخمينات العلمية - على كل ما يتوفر من طاقة في الأرض في شكل نفط وفحم وغاز طبيعي، والعلماء يحلمون بأن القمر سيكون (الخليج العربي) للقرن الحادي والعشرين.

ستعمل على سطح القمر روبوتات خاصة كي تستخرج كنوز الطاقة القمرية من مناجمها، ويستخلص الغاز من الصخور بالتسخين ويعزل غاز الهيليوم -٣٠ بالتقطير ويطعم سوية مع نيتروجين ثقيل ليغذي مفاعل صهر - والذي ما يزال في طور التصنيع - وهذا بدوره يصنع تيار كهربائيا سيكون بحسب تقديرات الخبراء - زهيد الثمن حتى اذا بلغت تكاليف الطن الواحد من غبار القمر مليار دولار، ومن المحتمل أن يرى

* جبال جليدية هائلة تنقل عبر المحيطات والبحار الى الصحاري..
* اشرعة شمسية جبارة تمد الارض بالتيار الكهربائي الرخيص
ن الفضاء (كوزموتيلات) يحلق فيها السياح في الكون..

هذا المشروع النور ويبدأ انتاجه الفعلي في غضون السنوات الألف القادمة. ويقول العلماء: حتى إن بقيت المخططات على الرفوف أو في الادراج اعواما طويلة فإن شيئا واحدا مؤكدا وهو أن طاقة المستقبل ستكون من خارج الارض - من الكون أو الاجرام السماوية الاخرى.

اما الأوزون ومخاطره فلم يتركه العلم على هواه. إن ازدياد توسع فتحة الاوزون يعود بالدرجة الأولى الى زيادة نسبة الـ CO_2 في الهواء وبالتالي الى تلوثه. فكيف يمكن رتق الفتحة، اذن؟ اقترح الفيزيائي الكاليفورني الفريد ونك بالاستناد الى ذرات الكلور التي يمكن استحصالها من بيتروجين فحم الفلورين الذي ينتجه الانسان ليستعمله بشكل خاص غازا ضاغطا في علب الرش أو للتبريد في الثلاجات، وهذه هي التي تدمر الاوزون في الجو، اقترح الفيزيائي هذا نصب ستارة بطول ٢٠٠ متر من اسلاك ذات اقطاب سالبة على منصة طولها خمسمائة متر تحملها احدى المكوكات. فعندما تصطدم ذرات الكلور (Chlor Atom) بالستارة تكتسب الشحنة السالبة فتجمعها الاسلاك وتعيدها بوساطة مكوك آخر الى الأرض للاستفادة منها ثانية. فكرة تبدو جد ذكية، الا أن المحاولات المختبرية لم تسفر حتى الآن عن نجاح يستحق الذكر. والنقاد غير متفائلين بمكنسة الفضاء هذه، الا أن المحاولات مستمرة وإن كانت النتائج ما تزال بعيدة!!.

إن العلماء يجدون في الكون مستقبل البشرية الاقتصادي بشكل عام، وفي المستقبل غير البعيد لن يبقى الفضاء مجالا للعلم والاغراض العسكرية فقط.

ولا عجب أن يندفع اليابانيون اكثر من غيرهم الى الاستفادة من الفضاء ما دامت الأرض قد ضاقت بهم.

لقد بدأت الشركات اليابانية مشروعاتها لغزو الفضاء من اجل السياحة والمتعة، وذلك بانشاء «كوزموتيك» على ارتفاعات مختلفة وسفن فضائية تصل الى ارتفاع ٤٥٠ كيلومتر تمنح السياح متعة فريدة فنطازية وهم يستمتعون بمناظر المجرات والأرض كذلك وتقدم لهم العابا ورياضة وتسلية تخلب الالباب، وحتى الاعراس في المدارات الفلكية وضعوا برامج اسبوعية لها بكلفة ٣٦٠٠٠ مارك فقط لا غير.

اليابان تتوقع وتؤكد أن الرحلات الكونية في القرن الحادي والعشرين ستكون هي التجارة الرابحة حقا، وستنطلق أول رحلة سياحية كونية في العام ٢٠٢٠.

مخططات ومشاريع مستقبلية تبدو رائعة، وقد يميل بعض الناس الى وصفها بالجنون، ولكن الحق كل الحق للقائل: «كل ما قد يتصوره انسان ما سيأتي اناس اخرون من بعده يقومون بتحقيقه».

الهوامش:

(١) نسبة الى حيوان الخلد الذي يحفر مملكته تحت الأرض - المترجمة.

(٢) الدوراتو: هي مدينة السعادة بحسب الاساطير الهندية - المترجمة.

[*] مقال مترجم عن مجلة (PM) الألمانية عام ١٩٩٦م.

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

٩١٢- أبو عواد:

هل تعتقدين أننا عند كل منعطف بحاجة إلى نبش القبور ونشر الغسيل واستحضار - اللاشعور -!؟!!

٩١٢- أم عمرو:

الزوجان لا يذكران الماضي إلا اذا بقيت ذيوله معهما. انهاء الماضي لا يتأتى إلا بوقفة صادقة مع النفس عند كل منعطف لتنظيف الجيوب وتطهيرها والاعتراف بالأخطاء والصدق في معالجتها.

٩١٣- أبو عواد:

مطلوب من الزوجة كلما وصلت إلى مرحلة متقدمة من العطاء أن تعود لنقطة البداية بنفس الحيوية السابقة للأيام الخوالي.. فالتجديد مطلب حيوي لبعث الحياة ونشر التفاؤل مع رذاذ وبخّات - البيرفيوم - في كل مكان.

٩١٣- أم عمرو:

مثل سائر مخلوقات الله تستمر الزوجة في العطاء ويكبر عطاؤها ويتجدد اذا قابل تعزيزاً ممن يحيطون بها ويشملهم هذا العطاء وخاصة الزوج.

٩١٤- أبو عواد:

لذة التضحية أن تكون في الخفاء. وأن يكتشفها المدين بها ليعرف تنازلا الطرف الآخر.. والتضحية عمرها ما دخلت - الحراج - !!.. ولا خضعت للمزايدات..!!

٩١٤- أم عمرو:

صحيح أن التضحية الصادقة تتم في الخفاء، وحتى لا يتحول المضحي إلى ضحية علينا أن نعلن تضحيته ونشكره عليها اذا عرفناها.. ولنتذكر ان من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

٩١٥- أبو عواد:

تعتقدين أن الدموع لك وحدك .. وأن الرجل بالضرورة قلبه من صخور نارية.. إننا يا سيدتي نبكي ونذرف الدموع بغزارة.. ولكن عندما يبكي الرجال .. فإن الأمر فاق الاحتمال.

٩١٥- أم عمرو:

أتمنى أن أرى اليوم الذى نشجع فيه أولادنا على البكاء كما يحدث مع بناتنا فالبكاء تعبير طبيعى وأداة خص بها الله الإنسان ليخفف بها عن نفسه. ولا يجب أبداً ان يكون البكاء عند الرجال دليلا على انهم على حافة الهاوية هذا شكل خاطي من اشكال التطبيع الاجتماعي في تربية الذكور.

٩ـ أبو عواد:

دعي عنك هذه ـ الخزعبلات ـ !! وانفضي عنك بار الأوهام .. فأنا امرىء احترم مبادئي جيداً.

٩١ـ أم عمرو:

إذا كانت المبادىء التي يحترمها الزوج هي تلك لتي تم التفاهم حولها بين الزوجان في بداية زواجهما وليست تلك التى أوصته بها أمه أو خالته قبل الزواج فمرحبا بها.

٩١٧ـ أبو عواد:

قولي لمن ركبن رؤوسهن وأعماهنَّ الكبرياء الزائف، أن «الزوج» سهل ارضاؤه وأنه بعد تفريغ تلك «الشحنه» مستعد للتفاهم.

٩١٧ـ ام عمرو:

هذا الزوج سهل الإرضاء بعد تفريغ الشحنات، عليه ان يعود إلى مرحلة الطفولة المتأخرة ليكمل ما فاته من مراحل النمو والنضج الانفعالي. ربما يكون من الضروري ايجاد برامج لهذا الغرض أسوة ببرامج محو الأمية.

٩١٨ـ أبو عواد:

حماتي العزيزة: متى يعرف كل منا حدوده؟! .. متى نتفق على هدنة؟!

٩١٨ـ أم عمرو:

يتفق الزوج مع حماته اذا نسي اسمها واقتنع بأن اسمها الحقيقي هي أمه الثانية.

٩١٩ـ أبو عواد:

في حياة الرجل امرأتان واحدة ليعيش معها الواقع ويشاطرها السقف .. والمكان .. والزمان.. وأخرى في خياله!!!

٩١٩ـ أم عمرو:

الزوج الذى يعيش مع امرأة في الواقع وامرأة في الخيال هو رجل مصاب بانفصال في الشبكية يجعله يرى الشيء الواحد شيئان ويحتاج لنظارة لعلاج هذا الخلل.

٩٢٠ـ أبو عواد:

في هذه «الدرجة» في صوتك دفء يشعرني بالحنين والمودة.. وحين تتجاوزين هذه «الدرجة» وتغيِّرين «النَّبرة».. يلفني ـ الاشمئزاز ـ وأكتب تحت جبيني ألف علامة ـ استفهام!!

٩٢٠ـ أم عمرو:

الصوت العالي من جانب الزوجة له سببان سوء اختيار الزوج لزوجته أو قلة سعة الانتباه عنده.

٩٢١ـ أبو عواد:

ونحن نعيش هذا النعيم .. ذكِّريني بـ «الحصيرة».. والسِّراج ـ فانني لا استعذب طعماً لكل هذا إلا على ذكراها.

٩٢١ـ ام عمرو:

الماضي يجب أن يتحول إلى سراج نرى ضوءه ولا نرى المصباح. أما أن يصبح سلاسل تغللنا حتى لا نستطيع الاستمتاع بالسجاده دون البكاء على الحصيرة، فأعتقد ان هذا غير صحيح وغير مطلوب.

رسالة من الشريف الرضي إلى السيدة الجميلة

* هو الحسن محمد بن الحسين الرضي العلوى (توفي سنة ٤٠٦هـ).
* نقيب أشراف بغداد.
* أشعر بنى هاشم.

حبيبتي زوجتي بسمة:

... أبعث إليك وأنت مقيمة بين أهلك وذويك في البصرة محتمية بحسبك ونسبك ومزدهية بمجدى ورفعة شأني - أبعث إليك برسالتي هذه من بغداد حيث تسرع الأحداث كالنار في الهشيم بين أبناء بيت الخلافة.. ويالها يازوجتي الحبيبة من أحداث مروعة تشيب من هولها الولدان. لقد نزلت على الناس كالصواعق التي تدك الجبال دكا فصاروا حيارى سكارى وما هم بسكارى وكأنهم في يوم البعث والنشور.

ففي ليلة مدلهمة عاصفة نزل المتآمرون على قصر أمير المؤمنين «الطائع لله» فهجموا عليه ليفتكوا به فقبضوا عليه وجردوه من ملابسه وضربوه ثم أطاحوا برأسه.. ثم صاروا يفتشون عمن كانوا بحضرته. ولما أدركت أنني قد أصبحت في دائرة الهلاك خرجت متنكراً إلى حيث كان فرسي خارج القصر فامتطيته وأسرعت به حتى بلغت نهر دجلة. فلما أبصرت بمجموعة من جند المتآمرين يركضون خلفي حتى صاروا قاب قوسين أو أدنى مني، ألقيت بنفسي في دجلة وسبحت حتى بلغت شاطىء الأمان.

آه يا زوجتي الحبيبة من ذلك اليوم العصيب .. إنني أعجب كيف تصرفت، كيف قذفت بنفسي في النهر غير هياب ولا مفكر في الموت.. كيف؟

وآه لذلك الملك المسكين.. لم يرحموه، ولو بقطرة ماء .. ألا ما أعجب صروف الزمان بل ما أعجب تلك الليلة:

أعجب بمسكة نفس بعد ما رُميت
من النوائب بالأبكار والعون
ومن نجاتي يوم الدار حين هوى
غيرى ولم أخل من حزم ينجيني
مرقت فيها مروق النجم منكرا
وقد تلاقت مصاريع الردى دوني
وكنت أول طلاع ثنيتها
ومن ورائي شر غير مأمون
من بعد ما كان رب البيت مبتسما
إليّ أدنيه في النجوى ويدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه
لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني
يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني

محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -

هيهـات أغتـر بالسلطان ثانيـة

قـد ضل ولاج أبواب السـلاطين

حبيبتي زوجتي بسمة:

بعد أن نجوت من أعدائي لجأت، وأنا في ظلمة ليل رعيب لجأت إلى بيت قديم وفيه أسلمت جسدي المكدود إلى أريكة قديمة كانت به وبعد لحظات انثالت على خاطري ذكريات الماضي.. ذكريات حياتي.. ذكريات حبي لك حتى صار لنا أولاد وبنات يقرون عيوننا. قلت لنفسي: ليست الدنيا سوى حبيب يبعث في النفس الثقة والأمان والاستبشار فتنجلي عن الصدر أثقال الحياة وإنه لأنت الحبيب يا بسمة.. تذكرت لي معك ليلة كانت اللحن الشجي في أنشودة حبنا.. أجل، ما كان أبهجها.. ما كان أحلاها..

يا ليلة كـرم الزمـا

نُ بهـا لو أن الليل باقي

كـان اتفـاقـاً بيننا

جـار على غـير اتفـاق

فـاستـروح المشتـاق من

زفـرات هم واشتـيـاق

واقـتص للحـقب الموا

ضي بل تسلف للبـواقي

حـتى إذا نسـمت ريا

حُ الصبح تؤذن بالفـراق

برد السـوار لهـا فـأحـ

ـميت القـلادة بالعناق

وبعد ثوان مرت بذكريات حبي بدا لي كأن الزمان يسخر مني قائلا: أما زلت مصراً على أن تتحداني وتقف في سبيلي ولا تستسلم لضرباتي وأنا الحوَّلُ القلَّب لا يباريني أحد في غدري ونزغاتي؟

حقا يا بسمة كانت سخرية الزمان قاسية ومدوية فقد تذكرت صباي الذي كنت أتحدى به الزمان وأنذره بأنني سأرغمه على تحقيق إمكانات مجدي ورفعتي فأسمعته قولي وأنا صبي:

ستـطمـعون مـا يكون مني

إن مـدَّ من ضـبـعَيَّ طول سنيَّ

أأدعُ الدنيـا ولم تدعني

يلعب بي عنـاؤها المُعنِّي

وسـعتُ أيامي ولم تسعني

أفـضُلُ عنهـا وتضـيق عني

لم أنا مـثلُ العـاطن المُبنِّ

أسـحبُ بُريْ ضـرع وأفن

ولي مـضـاء قط لم يخُنِّي

ضمير قلبي وضمير جفني

راض بما يضـوى الفتى ويضني

أسَّس آبائي وسـوف أبني

قـد عـزَّ أصلي ويعـز غصني

غنيت بالمجـد ولم أستـغن

حبيبتي زوجتي بسمة:

تذكرت ليلة لك طاب الحديث فيها بيننا، وعذبت النجوى، تذكرت ليلة ناجيتك قائلا:

يا عـذبة المبسم بلي الجوى

بنهلة من ريقك البـارد

أرى غـديراً شـبـمـا مـاؤه

باد منهل للمـاء من وارد

من لي بذاك العسل الذائب الـ

ـجاري خلال البرد الجامد؟

وبعد أن سكت لحظات فاجأتني بقولك: وهل أمنت من الزمان وريبه؟ وهل أمنت من الزمان وتغريره بالناس؟ إنك حسن النية جداً يا حبيبي.. فقلت لك: ولماذا لا آمن الزمان ومكره وقد أخضعته لسيفي وإباء إرادتي وسمو أخلاقي وطهارة شيمتي؟ إنني يا حبيبتي كما تعلمين:

وقور، فلا الألحان تأسر عزمتي
ولا تمكر الصهباء بي حين أشربُ
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها
ولا أنطق العوراء والقلب مُغضب
تحلم عن كر القوارص شيمتي
كأن مُعيد الذم بالمدح مطنب
لساني حصاة يقرع الجهل بالحجا
إذا نال مني العاضهُ المتوثب
ولست براض أن تمس عزائمي
فُضالاتُ ما يعطي الزمان ويسلب
غرائب آداب حباني بحفظها
زماني وصرف الدهر نعم المؤدب

ولما أطلت عليّ تحذيرك من الزمان وخوفك من غدره، وبأن صروف الأيام قد تأتي إلينا بما لا نود أن تباغتنا به أو بما لا نتوقعه، لما أطلت عليّ تحذيرك، قلت لك: وأيامنا هذه كيف ترينها؟ ألسنا في سابغ من النعمة ورفاهة من العيش؟ فما الذي ينقصنا؟ ومن أي شيء نخاف؟

أنظر إلى الأيام كيف تعود
وإلى المعالي الغر كيف تزيد
وإلى الزمان نبا وعاود عطفه
فارتاح ظمآن وأورق عود
قد عاود الأيام ماء شبابها
فالعيش غض والليالي عيد

إقبال عز كالأسنة مقبل
يمضي وجدٌ في العلاء جديد

حبيبتي زوجتي بسمة:

أعترف لك وأنا في ظلمات الفرار والتخفي إلى أن تهدأ العاصفة، بأنك كنت أصوب مني فكراً وأعمق إحساساً، بل وأبعد مني بصيرة.. ويظهر أن تلك فطرة أصيلة في بنات حواء.. فليتني استمعت إليك، وليتني ما خالطت الحاكمين.. ليتني قنعت برزقنا الذي وهبه الله لنا. فها أنا ذا اليوم:

تجانبني يد الأيام نفسي
ويوشك أن يكون لها الغلاب
نهضت وقد قعدن بي الليالي
فلا خيل أعز ولا ركاب
وما ننبي إذا اتفقت خطوب
مغاضبة وأيام غضاب

فلا تخافي يا بسمتي ولا تحزني فسوف أعود إليك، إلى بيتي.. الى أولادي.. وثقي أن وجهك الذي يطالعني في ظلمات محنتي هو النور الذي أستضيء به وأهتدي.. هو البسمة الحلوة التي تبعث في نفسي الأمل وفي إرادتي الإصرار على الحياة.

وجه كأن البدر شا
طره الضياء أو النجوما
لو قابل الليل البهـ
ـيم لمزق الليل البهيما
يجلو الهموم ورب وجـ
ـه إن بدا جلب الهموما

في هدوء الفجر

نعمت عامر ـ مصر

بدت إشراقة الفجر
تغطي الكون بالعطر
وماج الكون مبتسما
بأفواه من ، الزهر
تطوف بها فراشات
كأطياف الهوى العذري
وماس الغصن في جذل
لزقزقة بها تسرى
وخلى البدر فضتّه
لأمواج من التبر
وعاد البحر لازوردا
وشع زبرجد النهر
تعالى الله ريشته
بلوحات هنا تغرى
بأنسام وأنغام
وآيات بلا حصر
وأضواء وأنداء
وألوان من السحر
فلم يا قلب لا تصحو
وتنسى شقوة العمر
وكنت نذرت إخلادا
إلى الأشذاء والنشر
إذا ما صرت في منأى
عن الأشجان والضر
وقد أصبحت منعزلا
فوفٌ اليوم بالنذر

٣٣٨ - عيد الشعراء :

لم يحتفل شعراء العربية بعيدي الفطر والأضحى في العصور الماضية كما احتفلوا في العصر العباسى بالأعياد الفارسية كعيد النيروز وعيد المهرجان، وكلّ ما يروى عنهم في هذا المجال هو تهنئة الخلفاء بالعيد بمعنى أن الكلام عن هذا الموسم الحافل يأتى عرضاً خلال المديح، وأظهر مثال لذلك قصيدة البحترى في تهنئة المتوكل التى يقول فيها:

فانعم بيوم الفطر عيداً إنه
يوم أغر من الزمان مشهر
أظهرت عزَّ الملك فيه بمحفل
لجب يحاط الدين فيه وينصر

ومضى الشاعر يصف الموكب الذى ظن الجبال تسير فيه، وسمع الخيل تصهل، والفوارس تتنادى، والسيوف تلمع، والرماح تعلو، والناس يتطلعون لرؤية الخليفة، ويعتقدون أن مشهده من نعم الله التي لا تعد، وهذا شيء، وشعور البهجة بيوم العيد شيء آخر.

على أن هناك شعراء آخرين، فاجأهم العيد في ظروف نفسية عسيرة، تتطلب الحزن لا الفرح، فانبعثوا يتحدثون عن مشاعرهم الشجية في يوم يفترض فيه أن يكون يوم مسرّة لا يوم حزن، ومن هؤلاء بحسب الترتيب التصاعدى في الزمن محمود سامى البارودي، والمعتمد بن عباد، وأبو فراس والمتنبي وغير هؤلاء الأربعة موجود لا محالة، ولكن المقال لا يتسع للجميع.

٣٣٩ - (البارودى الفارس)

محمود سامي البارودى اشتهر بأنه رب السيف والقلم، لأنه شجاع صنديد، خاض المعارك الحامية في أوربا مع الجيوش العثمانية، ووصف أهوالها الشداد، وقد مر عليه عيد الفطر سنة ١٢٩٤هـ، وهو يقاتل الروس في حرب مشهوده انتقلت وقائعها إلى رومانيا والصرب والجبل الأسود، وكابد من أزمات الحرب ما أحسن تصويره حين تحدث عن جيوش الأعداء، وقد قدموا من كل صوب، قباح النواصي، غُبْر الوجوه، مزعجى الأصوات.

إذا راطنوا بعضا سمعت لصوتهم
هديراً تكاد الأرض منه تميد
قباح النواصى والوجوه كأنهم
لغير أبى هذا الأنام جنود
لهم صور ليست وجوها وإنما
تناط إليها أعين وخدود
يخورون حولى كالعجول وبعضهم
يهجن لحن القول حين يحيد

وفي سواد هذه المعارك، جاء الى الشاعر من يذكره بأن هذا اليوم يوم عيد المسلمين، هنا جعل

ـارودي يقارن بين من يقضي النعيم سعيدا يلبس جديد، ويركب الفاره، ويطعم اللذيذ ويبيت جذلان ـ عمـاً ذا نشـوات، وبين من تسـوقـه الأهوال إلى ـوض الحتوف بين الأرماح والسيوف، فإذا انقضت المعركة وخلا وقتا ما لنفسه في (سرنسوف) تذكَّر غربته القاسية، واستشعر البرودة بين الثلج والأعاصير وذلك بعض ما صوره في قوله:

ألا أيهـــا اليـــوم الذى لم أكن له
نكـورا سـوى أن قـيل ذلك عـيـد
أتســألنا لبس الجـديد سـفـاهة
وأثوابنـا مـــا قـــد علمت حـــديد
ليـهن به من بات جـذلان ناعـمـا
أخـا نشـوات مـا عليـه حـقـود
ترى أهله يسـتـبـشـرون بقـربه
فـهم حـوله لا يبـرحـون شـهـود
إذا ســارعنهم ســـار وهو مكرم
وإن عـاد فـيـهم عـاد وهو سـعـيد
فـمن لغـريب (سـرنسـوف) مـقـامـه
رمت شـمله الأيام فـهـو لهـيـد
بلاد بهـــا مـــا بالجـــحـــيم وإنما
مكان اللظى ثلج بهـــا وجليـــد

وما ظنك بعيد ينقضي بين الرماح والخيل، والثلج والجليد، والعدو الدميم المنظر، والهول المرتقب عن قريب.

٣٤٠ ـ (المعتمد بن عباد)

سيرة المعتمد بن عباد ملك أشبيليه ذائعة مشتهرة، فقد كان المعتمد شاعرا جوادا جعل قصره شبيها بقصر الرشيد في دولة بنى العباس، بل كان أعطف على الأدباء من هارون الرشيد، لأن الخليفة العباسي كان يسمع ويتذوق فحسب، أما المعتمد فكان شاعراً راوية ناقدا، ينظم الشعر، ويستمع الى المدائح، فيبدى فيها رأيه النقدي، وقد أزعجته حروب كثيرة بينه وبين الفرنجة، فاضطر إلى الاستعانة بملك المغرب يوسف بن تاشفين، فأعانه في معركة الزلاقة التى انتهت بانتصار المسلمين، وأبدى فيها المعتمد من ضروب البسالة والإقدام نظير ما أبدى ملك المغرب، حتى كان الفوز مشتركا بينهما، ولكن ابن تاشفين طمع في الأندلس وأخذ يتمحَّل الأسباب لإسقاط المعتمد، ويجد من المنافقين من يساعدونه على اتساع ملكه، ويسعون بالنقيضة والمعابة في بطل سبق أن نالوا خيره، وتأزم الموقف أمداً محدودا، حتى استطاع ابن تاشفين بقوته أن يسقط المعتمد وأن يسوقه مع زوجته ومن بقى من أولاده، على ظهر الحياة أسراء سجناء في (أغمات) وسجن الملك الشاعر الجواد في منزل ضيق، بعد الجاه الممتد، والصيت المدوى، ومن نذالة بعض الشعراء أنهم قصدوه مستميحين، وهو في العسر الشديد، فجعل يجود عليهم بما يلبس من الثياب، وفي هذه الآونة مرّ عليه العيد، حزينا أسيراً. ينظر إلى أولاده في أسى ضارع، وحزن كئيب، فهاجت شاعريته الحزينة ونظم قصيدة باكية قال فيها:

فيمـا مضى كنت بالأعياد مسرورا
فسـاءك العيد في أغمـات مأسـورا
ترى بناتك في الأطمـــار عـــارية
يغـزلن للناس مـا يملكن قطمـيـرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة

أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن في الطين والأقدام حافية

كأنما لم تطأ مسكا وكافورا

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا

فردك الدهر منهياً ومأمورا

من بات بعدك في ملك يسرّ به

فإنما بات بالأحلام مغرورا

وقد قرأت أكثر ما كتب عن المعتمد من المؤلفات، فاستوقفتني عبارة موجزه هي وحدها تغنى عن ألف كتاب في تصوير نفسية هذا الملك الشاعر، حيث إنه حين عزم على الاستنجاد بملك المغرب أمام الملك الصليبي، خوّفه بعض أخصّائه من أطماع ابن تاشفين، وذكر أنه في مشاعره نحوه مثل الأذفونش الفرنجي، كلاهما متنمر متحفز، فقال المعتمد: لأن أرعى الإبل عند ابن تاشفين خير من أن أرعى الخنازير عند الأذفونش: وهى جملة تكفى في مغزاها عن مئات الصفحات.

٢٤١ (أبو فراس الحمداني)

شاعر شاب أمير، كان ابن عم سيف الدولة، ولكنه كان يحس بارتقاء سام في مشاعره، وتستدعيه همة عالية إلى مسامات الملوك، ومقارعة الأبطال، وهذا ما كان يستشعره سيف الدولة في أعماقه دون أن يصرح به، فلم يكن يطمئن كثيرا لطموحه السامق، حذراً على موقف أبى فراس من أولاده بعده، إذ هو الأولى والأجدر برئاسة بنى حمدان، لذلك كان يرميه في المهالك مع اعتزاز ببسالته لا ينكر، فكان صاحب كر وفر، وهجوم وصيال، فإ ا رجع إلى حلب، فتح قصره للضيفان وجعل يعط ويهب دون خوف من الإملاق، ثم شاء له الحظ أ يقع أسيراً في بلاد الروم، فكان أكبر ما يسوؤه في الأسر، أنه لم يستطع أن تُضرب له الخيام قافلا من الغزو، معطيا الناس بما يضمن لهم غنى اليد، ويضمن له حسن الأحدوثه، وقد عبَّر عن بعض ذلك حين قال:

تمر الليالى ليس للنفع موضع

لدىّ ولا للمعتفين جناب

ولا شد لى سرج على ظهر سابح

ولا ضُربت لي بالعراء قباب

ولا برقت لى في اللقاء قواطع

ولا لمعت لى في الحروب حراب

وقصيدة أبي فراس التى مطلعها:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر

أما للهوى نهي عليك ولا أمر

شهيرة جدا، وقد غردت بها أم كلثوم فملكت القلوب والأسماع، وهي تصور نفسية البطل طليقا وأسيرا بأحسن ما يقوله قائل وللقارىء أن يتصور بعد هذا شعور أبى فراس حين يدهمه العيد في آخر سنة أسيرا عند أعدائه وحين يتلفت فلا يجد الأم الحانية والرفقة الأحباب، بل يجد الوحشة والاغتراب فيقول باكيا:

يا عيد ما عدت بمحبوب

على مُعَنَّى القلب مكروب

يا عيد قد عدت على ناظر

عن كل حسن فيك محجوب

يا وحشة الدار التى ربها

أصـــــبح فـي أثـواب مــــريـوب
قـــد طلع العــيـــد على أهلـهــا
بـوجــــــه لا حــــــسن ولا طـيـب
مـــــالـي وللـدهـر وأحــــــداثـه
لقــــد رمـــــاني بالأعــــاجــيـب

٣٤٢ (أبو الطيب المتنبي)

الحديث عن المتنبي مكرر معاد، لأن الشاعر رزق حظا واسعاً في الذيوع والانتشار، وقد أصبحت حياته وشعره معاً موضع التحقيق المتواصل، والتحليل الدائم، ولكن ذلك كله لا يمنع أن نقول وجه الحق في هجائه لكافور، فقد دأبت بعض الأقلام على مؤاخذة كافور بل على هجره دون حق، وقد بسطت هذا الموضوع أكثر من مرة، ولكني اضطر إلى إيجازه في نقاط محددة ليعرف القارىء أن المتنبي كان ظالماً، وأن كافور كان مظلوما، لقد وفد المتنبي على مصر مادحاً كافورا، فوجد عنده أضعاف ما وجد عند سيف الدولة من العطاء والاحتفاء، أنزله القصر الفخم، وأعطاه الخدم والعبيد، ومنحه المال الوفير، ولكنه كان يطمع في أن يهبه مملكة يحكمها! وقد صرح بذلك أكثر من مرة حين قال:

وغــيــر كــثــيــر أن يزورك راجل
فــيــرجع ملكاً للعــراقين واليــا

فهل كان كافور من البله إلى حد يجعله يبعث بالمتنبى الشاعر إلى إمارة أو مملكة يديرها، ولا يبلغ ذلك إلا رجل إدارة وبصر بتصريف الأحكام، ومراعاة ما يلزم من أمور الجيش والمال والزراعة والاستثمار حتى تسير السفينة في بحر آمن من الفجاءات! لم يكن المتنبى في رأى كافور وفي رأى العقلاء جميعا مؤهلا لذلك فإذا لم ينل مبتغاه فليس الذنب ذنب كافور، ولكنه ذنب الحزم الحازم الذى يضع الرجل المناسب في المكان المناسب وقد تحدى المتنبى كافوراً بمصر في بعض المواقف فسامحه ولم يؤاخذه بشيء، كما اتصل ببعض أعدائه ومدحهم مبالغا، فلم يؤاخذه فى شيء! ثم بدا له أن يفر من مصر في يوم عيد، فلم يشأ أن يتعقبه، ولو شاء لأمر أحد أتباعه في البلاد التى يقول عنها المتنبي نفسه:

يبير الأمــر من مــصــر إلى عــدن
الى العــراق فــأرض الروم والنوب

لأمر أحد هؤلاء بتعقبه، ولكنه تركه، لتأتيه أهاجيه الكثيرة دون موجب خلقي، أو داع إنسانى فمن المؤاخذ إذن المتنبي أم كافور؟!، لقد هرب المتنبى من مصر في يوم عيد، وكان من الضيق والألم والحسرة على خيبة آمال توهمها بخياله الشاطح، وحلمه الجامح، بحيث ابتدأ قصيدته بقوله:

عــيــد بـأية حــال عــدت يا عــيــد
بما مــضـى أم لأمـر فــيك تجـديد
أمــا الأحــبــة فــالبــيــداء دونهم
فليت دونك بيــدا دونهــا بيــد
إنى نزلت بكذابين ضــيــفــهــم
عن القــرى وعن التــرحــال محـدود
ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم
إلا وفي يده من نتــنهـا عــود
من كل رخـو وكـاء البطن منفتق
لا في الرجال ولا النسوان معدود

وللقارىء أن يقرأ ما قاله من قبل في مدح كافور ليعرف أن المتنبى كان كاذبا في أحد قوليه، وليس للكاذب أن يحكم بمقتضى هواه.

مسك الختام

أين أنديتنا الأدبية .. من العولمة الثقافية؟

بقلم : د. أمين ساعاتي
خبير العلاقات الدولية بجامعة الدول العربية
- جدة -

إن من أهم وظائف الأندية الأدبية والثقافية في أي مكان في الدنيا .. هو متابعة ومواكبة الحركة الفكرية والثقافية محلياً واقليمياً وعالمياً، وبالنسبة لأنديتنا الأدبية فإن المواكبة قاصرة للأسف على «محليا»، بل حتى المواكبة للحركة الأدبية في الداخل فإنها لا ترقى الى المواكبة الفكرية التى تتناسب مع التطورات التي تحققت على جميع مستويات التنمية.

بمعنى لم يكن للأندية الأدبية السعودية دور أو بصمة واضحة في ثقافة المجتمع.

كان يمكن أن تكون الأندية الأدبية منارة علم وتنوير، تنشر المعرفة والأدب والثقافة وتسهم بشكل فعال في تشكيل ثقافة المجتمع والمحافظة على هويته.

ولكن للأسف انحصر نشاط الأندية الأدبية (كل الأندية الأدبية) في ترتيب المحاضرات وعقد الندوات واصدار الكتيبات التى لا تسمن من جوع. وكأن الدنيا قد ضاقت بهذه الأندية.. إلا من تنظيم المحاضرات وترتيب الندوات ونشر كتيبات أعضائها البارزين!!

ويشهد العالم اليوم تحولات هائلة في الفكر والثقافة والأدب، وفي التنوير بعامة بسبب ثورة الإتصالات والمعلومات والأقمار التى تجوب الأجواز، وتنقل المعارف والثقافات بين الأمم والشعوب، بل وتهدد ثقافات الشعوب التى لا دور لأنديتنا في تشكيل ثقافتها وحماية هويتها من المخاطر التي تهدد الفكر والذوق العام.

وتحتل الثقافة الغربية الريادة في تفكيك ثقافات شعوب العالم الثالث وتسعى الى عقول الأطفال وفكر الكبار وتحملهم على التشيع لنظريات وأفكار بعيدة كل البعد عن المثل العليا والمبادىء السامية التى يؤمن بها المجتمع والتى توارثها عبر القرون.

والسؤال الآن:

أين الأندية الثقافية في المملكة العربية السعودية مما يجرى الآن في العالم؟

إن التقوقع في وحل التقليدية لم يعد منهجاً مقبولا في زمن القرية الصغيرة، بل بات العالم يعطى للأندية ومراكز البحوث والدراسات دوراً كبيراً في التثقيف والتنوير.

ان الخطاب الثقافي في أي مجتمع من المجتمعات المعاصرة، انما هو صيغة مناسبة ساهمت الأندية الأدبية والثقافية بدور كبير في قولبتها وتشكيلها.

ولقد أمسى الانسان السعودي يرفض بشدة استسلام الأندية الأدبية لمنهج قديم من التقليدية والرتابة

السلبية واهمال المسئوليات وعدم الإهتمام بأهم الوظائف التى كان يجب أن تقوم بها الأندية الأدبية الثقافية.

فالأندية الأدبية ليست اندية تعنى بالكتابة الأدبية الضيقة، بل أن علوم الأدب لم تعد علوماً أدبية بحتة، بل أصبحت جزءاً لا يتجزأ من منظومة العلوم الإنسانية التي فتحت لها الآفاق لتجوب مختلف العلوم والفنون حتى تعبر عن ضمير الأمة تعبيراً قوياً وصادقاً.

إن المجتمع الذى ينعت بالمجتمع المثقف، إنما ينعت بهذا النعت الجميل تعبيراً عن الدور الإيجابي الذى لعبته الأندية الأدبية الثقافية في تثقيف هذا المجتمع.

والأدب في انديتنا الأدبية لم يعد أدباً بعيداً عن الفكر والتنظير وملاحقة الجديد الذى أحدثته ثورة المعلومات والإتصالات، وتحدثه بقوة الأقمار الصناعية التي باتت تدق أبواب الأندية الأدبية، بل أبواب البيوت السعودية وترسل اليهم إشارات التغيير والتبديل الى ثقافات علمانية Secularism أقل ما يقال عنها إنها تستهدف النيل من عقيدتنا السمحاء وتاريخنا المضيء.

إن الأندية الأدبية هي اندية تعنى بثقافة الشعب السعودى قاطبة، ولذلك حينما لجأت بعض الأندية الأدبية الى اضافة «الثقافية» الى اسمها أو لجأت بعضها الى تأصيل الثقافة كاسم يحتل الصدارة بدلا من الأدب.. تبدو هذه الأندية وكأنها قد قرأت المستقبل الذى نعيشه اليوم حيث باتت الثقافة ـ وليس الأدب فقط ـ هو الوظيفة الأساسية للأندية المسماه بالأندية الأدبية.

إنني أرجو من ادارة الأندية الأدبية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب أن تدعو الى عقد ندوة موسعة لرجال الفكر والثقافة والتنظير في المملكة، وتدعو لها كل الكوادر والمؤسسات العلمية والثقافية في المملكة لمناقشة امكانية وضع صيغة جديدة لدور الأندية الأدبية الثقافية في حياتنا، بحيث تضع الأندية الأدبية السعودية في آفاق القرن الحادى والعشرين، حتى تستطيع هذه الأندية أن تكون في مستوى الأحداث الثقافية الغربية التى تلتف حول خاصرتها وتريد أن تجهز على رسالتها وتقاليدها الخالدة.

أي نريد من هذا الاجتماع أن يناقش الوظائف التي يجب أن تقوم بها الأندية الأدبية لتحديد دورها في بناء فكر المجتمع، وكذلك تحديد موقعها إزاء المستجدات التى تحيط بنا سواء عبر الأقمار الصناعية أو عبر الإنترنت أو عبر وسائل التكنولوجيا الجديدة التي يجرى الحديث عنها الآن والتى ستصبح بمثابة الإنقلاب الكبير لوسائل القراءة والكتابة والثقافة.

انني لا البس عباءة الحماسة والوطنية، ولكن يجب أن نعى بأن الثقافة الوطنية مهددة إذا لم تبادر مؤسساتنا الثقافية والأدبية بتجديد نفسها ومحاولة التعامل مع التكنولوجيا الجديدة بما يؤدى الى تجديد ثقافتها وحمايتها، من التهديدات التي تنقر أبوابها.

وقبل هذا وبعد، نحن لا نرضى على انديتنا الأدبية والثقافية أن تتمسك بالحياد الكامل تجاه ما يجرى من تحولات هائلة تمس وجدان الأمة، بل يجب أن تبحث الأندية الأدبية والثقافية في المملكة العربية السعودية عن دور فاعل مثلها مثل كل الأندية الأدبية والثقافية في العالم اجمع التي تلعب دوراً رئيساً في تشكيل ثقافتها، بل تلعب دوراً مؤثراً في وضع أسس قيام ايدولوجيتها وتشكيل ثقافتها الإجتماعية والإقتصادية والسياسية.

فرّامة المُلوخيّـة الجديدة من مولينكس

لسنواتٍ عديدة ظلّت ربّة المنزل تعاني داخل المطبخ من فرم الملوخيّة بالطريقة التقليديّة من أجل أن تقدّم طبق العائلة المفضّل. وفي كلّ مرّة حاولت فيها فرم الملوخية بآلة جديدة لم تحصل على النتيجة أو المذاق اللذيذ الذي كانت تريده.

أمّا اليوم فقد ابتكرت مولينكس فرامة المُلوخيّة خصّيصًا لذلك. فهذه الفرامة الصّغيرة البارعة تفرم المُلوخيّة بطريقتك المفضّلة محافظة على عناصرها الطبيعيّة، خلال ثوانٍ وبمجرّد لمسة زر فقط.

والنتيجة، طبق ملوخية م.م.م مثالي لاتقدّمه لك آلة أخرى

لأن: مولينكس تسعى دائماً لراحتك سيّدتي...

Minipro

Moulinex

كُل م-م-م وراهـا...

مولينكس®

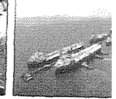
Moulinex®



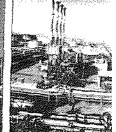
الوكلاء في المملكة العربية السعودية

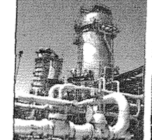
المركز الرئيسي. جدة. هاتف ٦٤٣٤٨١٢- فاكس ٦٤٢٠٨٤٨

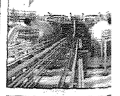
الفروع ومراكز الصيانة، الرياض ٤٧٨٨٦٠٥ - الدمام ٨٩٩٩٨٤٠ - المدينة المنورة ٨٢٢١١٢٥ - خميس مشيط ٢٢٣٢٦٤٥ - تبوك ٤٢١١١٨٣ - الطائف ٧٣٦٦٢٢٩ مكة المكرمة - بريدة







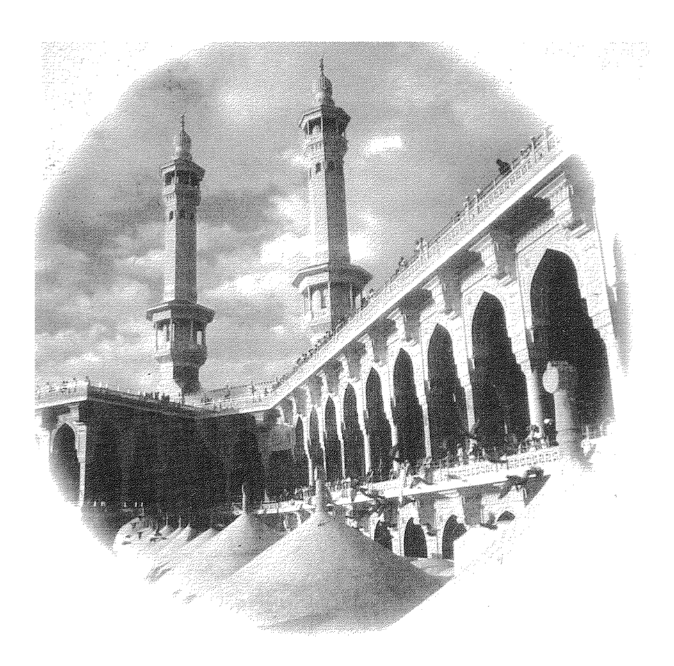












المنهل

AL MANHAL

العدد (٥٤٨) المجلد (٥٩) العام [٦٣] ذو الحجة ـ ١٤١٨هـ ـ مارس / ابريل ١٩٩٨م

ستنساخ ..
بة القرن الجديد

المسلمون فى العالم اليوم
دراسة إحصائية

الصين ..
مساجد ومآذن

الصاعدي .. والظاهري
وعقدة التصريف

الماء ..
إهدار أم ترشيد

مفهوم الموت
فى الثقافة العربية



أهلاً بعيد الفداء

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس ٦٤٢٨٨٥٣ ت. ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض ص.ب ٢٩٠ ت ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت. ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



إصلاح شؤون الحج

إن في إصلاح شؤون الحج اصلاحاً عاماً لكثير من شؤون البلاد، وذلك أن إصلاح شؤون الحج هو معنى كلي يدخل في نطاقه كثير من جزئيات الاصلاحات المطلوبة للبلاد، وذلك ما أدركته حكمة الحكومة الموفقة فانشات لأجله هذه «الإدارة العامة لشؤون الحج» وإناطتها لمن هو أهل للقيام بها.

تعبيد الطرق العامة بين المدن من الإصلاحات التي تتطلبها شؤون الحج، فالحجاج يفدون الينا من كل فج عميق.

وتعبيد الطرق في داخل المدن من تلك الاصلاحات أيضاً، إذ يؤدي الحاج مناسكه في جو صحي منظم.

وإدخال وسائل التواصل الحديثة بين المدن من تلك الاصلاحات، فيخترق الحاج المسافات الشاسعة بين أرجاء هذه البلاد المقدسة في سرعة ويسر.

وإدخال الكهرباء على الإضاءة، والمواصلة، والصناعة من اصلاحات شؤون الحج.

وقُل مِثل ذلك في تنظيم مجاري المياه وتوفيرها في المدن والقرى والطرق ليشرب الحاج - إذا ما وفد إلى بلاده المقدسة - ماءاً نقيا صالحاً، فيطمئن على نفسه وصحته ويقضي مناسكه مبتهج النفس معموراً بالقوة والنشاط.

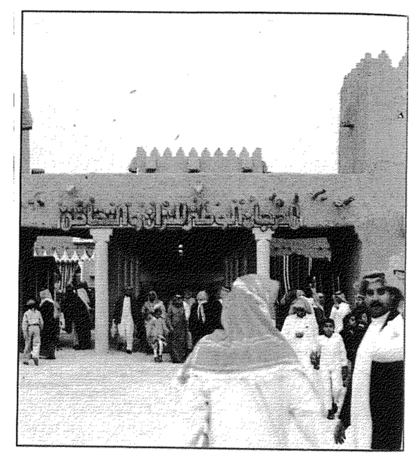
وتنظيم المجاري العامة بالبلد فيه اصلاح هام، إذ تهبط درجة البعوض والذباب إلى أدنى حد، وتصفو المنازل من اذاهما، ومن اذى الروائح التي تضر بصحة الحجاج والمواطنين.

وإصلاح المنازل، وإنشاء الفنادق العامة الجميلة، والحدائق الخاصة والعامة، وبث التعليم وتقويم الاخلاق، ونهضة الصناعة والزراعة - كل ذلك - مندمج في اصلاح شؤون الحج الذي هو مهمة هذه الإدارة.

«عبدالقدوس الأنصاري»

ربيع الأول ١٣٦٦هـ/ فبراير ١٩٤٧م



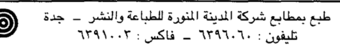


« تـــراث الأجـــداد ..

يحتضنــه الأحفـــاد .. »

إشـــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.


طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر – جدة
تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ – فاكس : ٦٣٩١٠٠٣

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس
الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

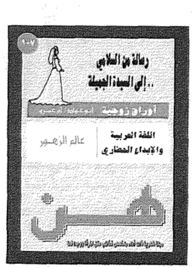


غلاف العدد



العدد: (٥٤٨)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)





م ن ه ل ي ا ت

مكيال لجارودي وآخر لرشدي

«الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية».. هذا الكتاب بسببه حكمت محكمة فرنسية على كاتبه رجاء جارودي بتغريمه (عشرين ألف دولار).

ليس هذا فحسب، بل تجمعت مجموعة من جماعات الضغط الصهيوني في قاعة المحكمة وخارجها ليهتفوا منددين بجارودي، متهمينه بالنازية، وفوق ذلك اعتدوا بالضرب على مجموعة من الصحفيين من المسلمين والعرب الذين كانوا في مهمة رسمية لتغطية هذه المحاكمة.

تلك هي حقوق الانسان في الغرب..!

كل من ينشر حقيقة عن اليهود والصهيونية لا يرضونها يحاكم ويؤدب قائلها وناشرها..!!

وبخاصة إن كان هذا الكاتب مسلماً ويُصَنَّفُ ضمن كشف المعادين للسامية!

ومن جانب آخر كل من يسيء للإسلام والمسلمين تحتضنه أوروبا، وتدافع عنه، تحت مسمى حرية الكلمة والحرية الشخصية.

سلمان رشدي، أساء للاسلام ونبي الاسلام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وأساء بكتابه (آيات شيطانية) لـ (مليار) مسلم في العالم، ورغم كل هذا تحتضنه أوروبا، وتدافع عنه.. وتتسابق وسائل النشر عليه.. وغيره كثير، لما ضاقت عليهم الأرض في بلدانهم بسبب ما صدر منهم من إساءات للاسلام والمسلمين، احتضنتهم أوروبا ودافعت عنهم، وليست قصة البنغالية تسليمة نسرين عنا ببعيد.

أما عندما يتعلق الأمر بغير المسلمين فالميزان غير هذا.. اليهود والصهيونية العالمية **سوّقوا قضية (حرق اليهود)** في افران النازية.. وكسبوا من وراء هذا التسويق التعاطف المتغالي والمال الوفير.

وهذا ما يدعونه حقيقة..

أما أن يأتي كاتب مسلم ليدحض هذه الأكذوبة أو يقلل من شأنها فانه لا شك سيلقى الويلات من عصابات اليهود.

وهكذا، جاء سيناريو محاكمة (رجاء جارودي).. وجاءت حيثيات سيناريو الحكم أن (جارودى) في كتابه (الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية) معاد للسامية، لانه شكك في عدد (محرقة اليهود).

حقيقة: إذا نُسفَتْ هذه الأسطورة الكبرى القائمة على (محرقة اليهود) فمن اين يجدون عاطفة ومالاً..

انهم لا يعدمون حيلة..

وصدق الحق سبحانه «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم».

رئيس التحرير

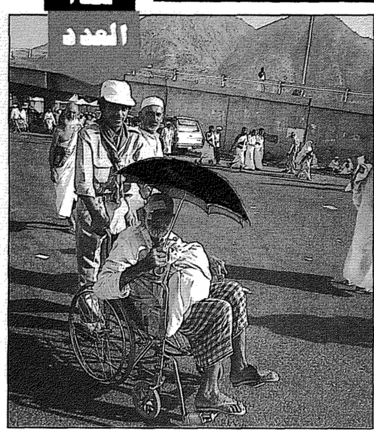
وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

فهرس العدد ٥٤٨ ـ المجلد : ٥٩ ـ العام : ٦٣

في هذا العدد



الفهرس



الشيخ صالح بن سعد اللحيدان
د. محمد السيد علي بلاسي
د. طاهر تونسي.
د. علي القاسمي
د. ادريس الخرشاف
د. عادل طه يونس
مصطفى عوض الله بشاره
د. اسماعيل الخطيب

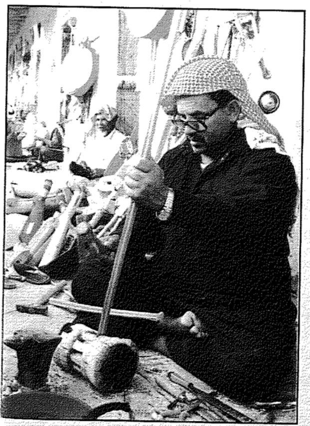
المهرجان الوطني للتراث والثقافة الجنادرية (١٣)

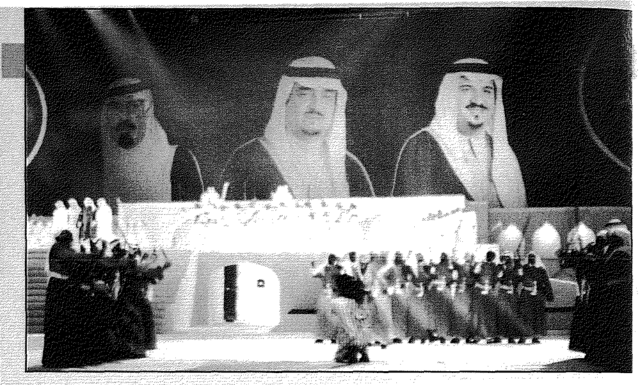
١٤٠٥هـ ٠٠ كان عام التحول الحقيقي في منهجية هذا المهرجان السنوي الضخم الذي يقيمه الحرس الوطني في المملكة العربية السعودية٠٠ إذ تحول المهرجان من (سباق الهجن) إلى الدائرة الفكرية والثقافية الأرحب، بل غدا منبراً حراً لطرح قضايا العرب والمسلمين، لا سيما، وأن قضايا العرب والمسلمين في نهايات هذا القرن أصبحت اكثر تعقيداً، مما يلزم معه عمق الطرح الجاد، وإذا نظرنا إلى الموضوع محور العام الماضي على سبيل المثال (التحديات التى تواجه العالم العربي) مقروءاً مع الموضوع محور هذا العام «الثقافة العربية ـ الواقع والمستقبل» ـ نستبين جدية التوجه، لما يحيط بعالمنا اليوم وفي غده المنظور وقائع ومستجدات تستوجب على العرب والمسلمين المراجعة الدقيقة لحاضرهم وما يحيط بهم من فعاليات لها قراءاتها الخاصة بها في صنع الأحداث، وتجديد صياغتها بما يتناسب وما يوده واضعو هذه الفعاليات، ثم تسويق هذه الصياغة الجديدة لتحقيق ما يأملون ويؤملون٠

ولما كان العالم العربي والإسلامي يقف الآن على أول درج سلم القرن الجديد، فإنه ينبغي أن تكون القدم ثابتة راسخة حتى لا تغوص في متاهات قرن، يبدو أنه يسير بسرعة الصوت٠

القراءة المتأنية لفعاليات هذا العام، تؤكد ضرورة وحتمية إعادة قراءة الواقع العربي، قراءة دقيقة جادة بغرض الوصول الى الصيغة المثلى لتقعيد نظام عربي يقوم على قواعد راسخة من المقومات الثقافية والفكرية والمعرفية، التى تبني أمة صالحة وتقيم كيانا ناجحاً٠

ومن الندوات المقامة لهذا العام نقرأ هذه العناوين: (الثقافة العربية والمستقبل) ـ (ظاهرة الغلو والتطرف) ـ (التغيرات الدولية والأمن العربي) ـ (الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة) ـ (واقع الثقافة العربية بين الايجابيات والسلبيات) ـ (الثقافة العربية والثقافات الأخرى)٠









وتمثل حركة الثقافة العربية محورية (جنادرية) هذا العام.. هذا اضافة إلى مجموعة من الفعاليات الأخرى ومنها:

(شخصية ثقافية سعودية) وشخصية هذا العام الأستاذ الرائد الشاعر المبدع (محمد حسن فقي) حيث انعقدت ندوة تحدثت عن (حياته وشعره).. وكان من شخصيات الاعوام السابقة (علامة الجزيرة الاستاذ حمد الجاسر، والأديب والمؤرخ احمد بن محمد العقيلي، والأديب الرائد الأستاذ حسين عرب).

وشارك في فعاليات وأنشطة هذا العام اكثر من أربعمئة أديب وباحث ودارس من العالم العربي واوروبا وأمريكا.

أول مؤتمر إسلامي في غرب إفريقيا

الإسلام دين العدل والسلام والتضامن والتنمية ٠٠ كان هذا شعار المؤتمر الاسلامي الذي عقد في مدينة ابيدجان عاصمة دولة ساحل العاج، بحضور وزراء الشئون الإسلامية ورؤساء المجالس والهيئات والمنظمات والمؤسسات والمراكز الاسلامية في العالم.

وكان من موضوعات هذا المؤتمر:

(الاسلام دين الوسطية) - (الاسلام والاسرة) - (الاسلام وكرامة الانسان) - (الاسلام وتكامل الحضارات) - (الاسلام والتنمية) - و(الاسلام والأمن البشري).

هذا المؤتمر يمثل حركة تنشيطية للدفع الإسلامي، كما يمثل تجديداً لروح النشاط، ومدارسة لمستجدات الدعوة الاسلامية. ومعلوم أن المملكة العربية السعودية تمثل الداعم الاكبر في حركة تنشيط الدعوة الاسلامية ونشر الاسلام، ودعم المسلمين على المستوى العالمي..

وذلك بما تقدمه دائما من دعم مادي ومعنوي، ولما قامت وتقوم به من انشاء وتأسيس المراكز الاسلامية والمساجد الكبرى على حسابها الخاص في كثير من دول الاقليات المسلمة..

الاعـــلام الاســـلامي

جائزة الرواية العربية

في ختام اعمال وفعاليات المعرض الدولي للكتاب في القاهرة انعقد مؤتمر الرواية العربية باشراف الاستاذ الدكتور جابر عصفور أمين المجلس الأعلى للثقافة.

حضر هذا المؤتمر جمع من الروائيين والمهتمين بالرواية من النقاد والأدباء، وطرح في المؤتمر مجموعة من المحاور منها:

- الرواية العربية في عمقها العربي والانساني، ورصد تحليلاتها التراثية والتحولات التقنية الحديثة والمعاصرة.
- نظريات التلقي في النقد الحديث وجماليات التلقي في الرواية.
- السيرة الذاتية ورواية السيرة الذاتية.
- المتخيل الاجتماعي والسياسي.
- الرواية والتاريخ.
- الرواية العربية قضايا النشأة والتكوين.
- الواقعية وبدائلها.

وأعلن في المؤتمر عن جائزة الرواية العربية وهي أول جائزة تمنح في هذا المجال وكانت من نصيب الروائى عبد الرحمن منيف.

المجلس الاسلامي العالمي للدعوة والاغاثة، عقد في مدينة القاهرة ندوة تحت عنوان (الاعلام الاسلامي) برعاية شيخ الجامع الازهر الدكتور محمد سيد طنطاوي.

ودارت أعمال هذه الندوة حول الدور المرجو والمبتغى من وسائل الإعلام في الدول الاسلامية.

معلوم أن زماننا هذا هو حقيقة زمن الاعلام، الذى جعل من العالم بأسره (قرية صغيرة)..

وأصبح للإعلام بهذا المستوى الدقيق اكبر الأثر في توصيل المعلومة التى يريدها والتى يركز على نشرها وتعميقها في وجدان المشاهد أو المتلقى بعامة.

وفي عالمنا هذا الذي يملك الإعلام يملك بالتالي تسويق فكره ومعارفه بأيسر السبل واقصرها.

لهذا كله فإن امتلاك العالم الإسلامي لناصية هذه الوسيلة الساحرة أصبح ضرورة لازمة، لا ليسحر بها الآخرين ولكن ليوصل صوته للآخرين بكل الصدق، في اسلوب من الطرح الأمين الواعي.

وتحقيقا لهذه الغاية النبيلة فإن المؤتمرين في هذه الندوة قد أوصوا بضرورة امتلاك إعلام إسلامي فاعل، ودعوا إلى تفعيل دور وكالة الانباء الاسلامية، والخروج بها من أزمتها الراهنة.. وأوصوا باصدار صحيفة اسلامية دولية متعددة اللغات، ذلك لتبصير المسلمين بواقعهم ودينهم، ولربطهم بعضهم ببعض.

حوار الأديان
الخدعة الكبرى

«منظمة اليونسكو» المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم، منظمة مخترقةمن قبل اليهود والنصارى والعلمانيين، وبطبيعة الحال ليس للمسلمين نصيب فيها، إلا إذا دخلوا تحت عباءة العالمية.

هذه المنظمة هي ممولة وراعية هذا المؤتمر (مؤتمر حوار الأديان الذي عقد في الرباط)، المؤتمر منعقد تحت عنوان «ثقافة السلام».. وقراءة ما خلف السطور تقول: أن هذا المؤتمر جاء ليحقق غرضين أساسيين هما:

١ ـ اختراق المسلمين من قبل دينهم.

٢ ـ تم ترويض المنهجية الإسلامية (النَّادَّة) ـ برأيهم ـ لتستجيب لاملاءاتهم.. (أعني اليهود)..

هناك في اسرائيل، حاخامات اليهود يرفعون راية الدولة التلمودية الكبرى، أي الدولة المقدسة.. انها ليست مجرد دولة ذات حدود سياسية، بل هي دولة (مقدسة) العمل من اجل اقامتها يُعدّ في حدّ ذاته عبادة وقربة.

اذن، من اجل قيام هذه الدولة فقتل (المسلم) جائز، بل ضروري، ضرورة تلمودية ما دام يقف حجر عثرة أمامهم.

رغم كل هذا يأتي رهبان اليهود وأحبارهم، ويأتى دهاقنة السياسة اليهودية ليعقدوا مؤتمراً تحت هذا الاسم المخادع (محاورة الأديان).

وإذا سألناهم ببراءة (هل تعترفون بالأديان حقيقة؟!)

حكمنا في هذا قول الحق سبحانه: {وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه} هكذا يقص القرآن الكريم عنهم.. انهم قوم لا يعترفون بالآخر.. بل فوق هذا يدعون (البنوّة).

ويرد عليهم الحق ويلقمهم حجراً فيقول سبحانه: {فلم يعذبكم بذنوبكم}؟! ويلقمهم حجراً آخر: {بل أنتم بشر ممن خلق}.. هؤلاء هم اليهود.. فلم نُخْدع فيهم ألف مرة ومرة..؟!!

رأى

الاستشراق والدراسات الاستشراقية، أصبحت قضية من قضايا التاريخ، وغالباً ما تعاد دراسة الاستشراق من هذا المنظور التاريخي، إلا أن الأمر في حقيقته غير هذا.

يمثل الاستشراق في مضمونه حركة فكرية في الاتجاه المعاكس للفكر الاسلامي في كثير من دراساته، وهذا (الاتجاه المعاكس) كسب ويكسب استمراريته كلما رأى أن حركة (الدفع) الاسلامي ورقعته تزيد اتساعاً في انحاء متعددة.

وبطبيعة الحال، فالاستشراق يجدد نفسه أسلوباً ومنهجية في الطرح والتداخل حسب مستجدات المعطيات.

ولا نبعد عن الحقيقة إن قلنا أن بعض برامج الارسال الفضائي الآن اصبحت واحدة من أدوات ترويج الفكر الاستشراقي، وتدعو إليه، سواء اقصدت إلي ذلك ـ وهذا هو الغالب الاعم ـ أم لم تقصد، وهذا في القليل النادر.. وحسبنا من المؤتمرات التى تعقد في عالمنا العربي والاسلامي عن (الاستشراق ودراساته) ـ وهي كثيرة ـ ألا تحصر نفسها في الدراسة التاريخية للاستشراق فحسب، ذلك لأن الفكر الاستشراقي في كل توجهاته ومقاصده الدفينة غدا اليوم ـ بفضل وسائل الاعلام الحديثة ـ أعمق نشاطاً، واكثر انتشارا من ذي قبل.. فإن كان قبلُ محدوداً ومحصوراً في النخبة المثقفة القارئة، فإن الفكر الاستشراقي بكل توجهاته أصبح اليوم مشاهداً لكل من يريد، كلمة وسلوكاً.

(محمد السمان) ـ السودان

أخي وصديقي الشيخ هاشم دفتر دار .. رحمه الله

عرفته قبل أكثر من خمس وثلاثين سنة فأحببني وأحببته وتعاهدنا على الأخوة في الله ولم نجتمع بعدها أكثر من عشر سنوات، ولكنني لم أنسه ولم ينسني، وقد لقيته بعد هذه المدة الطويلة عند معالي السيد حسن عباس شربتلي وكان رحمه الله يزوره مع صديقنا العلامة الكبير الشيخ عبد القدوس الأنصاري - تغمده الله برحمته - كان اللقاء مثيرا فقد سمعت فيه ما اذهلني، سمعت السيد الشربتلي يقول: (يا شيخ هاشم أنت من المدينة المنورة وقلبك يهفو لسكناها، وأنا بحاجة إلي رجل أمين فيها يشرف على توزيع ما خصصته لبلد رسول الله [صلى الله عليه وسلم] من الخيرات، وأنت الأمين الذي وقع اختياري عليه وقد خصصت لبلد رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ثلاثين ألف ريال يوميا توزعها كيف شئت على من تراه من المحتاجين، لا أريد بيانات، ولا أريد أن اعرف الذين وزعت لهم، ولا أريد أن يعرف أحد أنني أنا المنفق، لأنني أدخر ذلك في صحيفتي يوم القيامة فإذا احتجت إلى المزيد فإني مستعد).

وانتظرت أن يهش الشيخ هاشم رحمه الله ويبش وتنفرج أساريره ولكنني فوجئت باربداد وجهه وظهور خوف عليه أشفقت عليه منه وتلاه اعتذاره عن هذه المهمة، كان العرض يضمن للشيخ هاشم استئجار بيت مناسب وإذا لزم الأمر سيارة، وأن ينفق على نفسه وعياله، ولكن الشيخ هاشم بقي على اعتذاره، فالححنا عليه أنا والشيخ عبد القدوس والسيد الشربتلي، ولكنه بقي مصرا على اعتذاره، كنت أعرف حاجة الشيخ هاشم وحاجة عياله، وأذهلني العرض السخي من السيد الشربتلي والامتناع الآتي من الشيخ هاشم، وظننت تلك اللحظة التي مرت كأنها من لحظات صحابة رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، وما زلنا بالشيخ هاشم حتى قبل، ففرحنا جميعا بقبوله، وانطلق الشيخ هاشم رحمه الله الى المدينة المنورة، ولشد ما فوجئت بعودته بعد يومين فقط وقوله للسيد الشربتلي: (إنها أمانة وقد عرض الله الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا)، يا معالي السيد: لا أريد أن أكون ظالما للأمانة، ولا جاهلا عند الله بحقها وهذه أمانتك أردها إليك كافأك الله على فعلك، وإني لم آخذ منها إلا مفرشة (سجادة صلاة لا تساوي في حينها بضعة ريالات)، فإن سامحتني بها صليت عليها ودعوت لك، وإن لم تسامحني فقد أحضرتها لأردها إليك، عجيب أمر هذين

الرجلين، المنفق بسخاء عجيب والمتعفف بسخاء عجيب. بكيت من التأثر، فهذا الرجل يوضع في يده حوالي مليون ريال كل شهر، لا يسأل عنها ولا يقدم بياناتها أو توقيعا باستلامها فيردها خوفا من الله، ثم يبحث عن قوته وقوت عياله كفافا لا إسرافا، حقيقة إن الدنيا لا تخلو من أولياء الله تعالى الذين وصفهم بقوله: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقفز الى خاطري ما فعله الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مع الحسن البصري رضي الله عنه، فقد زار الحسن عمر بن عبد العزيز وشكا إليه الفاقة، فأمر عمر بن عبد العزيز مولاه مزاحما أن يُدْخل الحسن البصري بيت مال المسلمين ليأخذ منه ما شاء، عجب مزاحم لأمر أمير المؤمنين الذي يرى أن المال وديعة الله عند الناس، فإن كان المال في بيت مال المسلمين فهو أشد حرمة وقداسة، أمير المؤمنين الذي له سراجان، سراج من ماله يكتب عليه حوائجه، وسراج لبيت المال يكتب عليه في مصالح المسلمين. هذا الرجل الشديد الخشية على أموال بيت المال يأمر ببيت المال أن يفتح لهذا الرجل ليأخذ منه ما شاء!! ولكن عجبه اشتد عندما أخذ الحسنُ البصري دينارا واحدا وقال هذا يكفيني حتى أعود الى بلدي. لقد رافقت الشيخ هاشم رحمه الله، ورافقت أولاده جميعا هشام ومحي الدين ومحمد أيمن وأحمد وسعيد والولد سر أبيه، ولقد وجدت سر أبيهم فيهم وفقهم الله جميعا وجعلهم خير خلف لخير سلف رافقته هذه السنوات الطويلة، فلم أسمع منه فحشا ولا كذبا حتى ولا مزاحا، كنت أعجب من صدره الخالي من الضغينة والحقد فكأنما الله عز وجل قد سارع له في الحياة الدنيا بنزع ما



الشيخ هاشم دفتر دار

في صدره من غل، قال تعالى في وصف أهل الجنة: (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) (ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار)، كنت أراه مطمئنا لفعل الله فيه راضياً به فأذكر قوله تعالى: {رضي الله عنهم ورضوا عنه} {يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي} كان فانيا في محبة الله ورسوله متواضعا لله لم أشاهد منه كبرا ولا تعاليا، كان عالما جليلا وأديبا كبيرا ولغويا قويا، وهذه أمور قد توحي لكثير من اصحابها بالأنا، ولكن الأنا كانت مفقودة عند الشيخ هاشم وقلبه معمور بحب الله وحب الرسول وحب الخير للناس. تغمده الله برحمته، فقد كان رجلا قلما رأيت مثله.

المستشار القانوني
محمد سليم شرباتي
- جدة -



هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبدا.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر ـ فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.



الجيل الجديد
«بدأت هدية واستمرت هدية»

في مثل هذا الشهر (ذو الحجة) من عام ١٤١٢هـ ـ وفي شكل مجلة مستقلة صدرت مجلة الجيل الجديد «٤٠ صفحة ملونة» وتعنى بأدب الطفل وثقافته وكل ما يتصل بشئونه .. وبمتابعة مسيرة العزيزة مجلة الجيل الجديد نجد أنها مرت بعدة مراحل.

ـ فقد بدأت بالظهور على شكل ملحق «ملزمة» داخل أعداد مجلة الجيل ـ وسرعان ما تشكل قطاع عريض من متابعي هذا الملحق ومحبيه.

ـ حدا تزايد أعداد محبي ملحق «الجيل الجديد» بالمسئولين إلى فصل هذا الملحق عن المجلة (الأم) على أن يوزع الملحق مع المجلة كهدية.

ـ بعد صدور عدة أعداد منفصلة «كهدية» ونظرا للنجاح الذى صادفته هذه الأعداد .. رأى المسؤولون إصدار «مجلة الجيل الجديد» إصداراً مستقلا.

ستة أعوام من العطاء المتخصص المتميز.. المنهل تتمنى لمجلة «الجيل الجديد» وللقائمين عليها دوام التقدم .. والله ولي التوفيق.



محمد احمد الشدي
المدير العام



محمد عبد الله العجلان
مدير الادارة ومدير التحرير

يوسف المحيميد
سكرتير التحرير

ازدهار الصحافة دليل نهوض هذه الأمة.. سعود

انقلاب في تركيا ... اعتقال جلال بايار وعدنان مندريس

جريدة عكاظ «أربعة عقود من العطاء»

في اليوم الثالث من هذا الشهر (ذو الحجة) من عام ١٣٧٩هـ الموافق ٢٨ من مايو ١٩٦٠م تأسست «عكاظ» على يد الأستاذ/ أحمد عبد الغفور عطار - وقد بدأت بهوية إسلامية أدبية - ثم اتخذت منحى اجتماعيا في ظل رئاسة الأستاذ عبد الله خياط، وأضافت بعدا سياسيا ونحت نحوا عربيا في عهد الأستاذ/ رضا لاري .. وبعد ذلك وفي عهد الدكتور هاشم عبده هاشم - رئيس تحريرها الحالي - أصبحت ذات هوية محلية سياسية اجتماعية.

وبدأت «عكاظ» مرحلة أخرى من التطوير في ١٤١٦/٦/٤هـ حيث شهدت تطويرا في الشكل والمضمون .. إذ أصبح القارىء أمام ثلاثة إصدارات في إصدار واحد:

الأول: يتمثل في جريدة يومية إخبارية حديثة تستمر أيام السبت والأحد والأربعاء والجمعة.

الثاني: إصدار إنساني اجتماعي يتميز بالخفة والرشاقة ويتمثل في العدد الأسبوعي (يوم الاثنين).

الثالث: إصدار معمق يلتقي فيه القارىء بالباحث والمفكر والدارس - وإن كان على درجة كبيرة من العمق - إلا أنه لا يخلو من عناصر التشويق والجاذبية، ويتسم بالإشباع.

وفي خطوة تطويرية جديدة ظهرت عكاظ في الثالث من شهر جمادى الثانية من هذا العام ١٤١٨هـ باصدار رياضي يومي يقع في ١٦ صفحة بحجم التابلويد إلى جانب إصدارها اليومي (٣٢ صفحة).

وفي خطوة كانت الأولى على مستوى الصحافة السعودية دخلت عكاظ عالم الطباعة بالأقمار الصناعية داخل السعودية في مرحلة أولى - ضمن مشروع طموح يشمل منطقة الخليج.. وقد أنشأت المؤسسة أربعة مراكز للطباعة في الرياض والدمام وأبها وضمن المرحلة التجريبية صدر عدد عكاظ (طبعة الرياض) في يوم الجمعة ١٦ صفر ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٥/٧/١٤م العدد (١٠٥٦٢).. المنهل تتمنى للشقيقة عكاظ ولكل منسوبيها دوام التقدم .. والله الموفق.



احمد عبد الغفور عطار
مؤسس عكاظ



عبد الله خياط



د. هاشم عبده هاشم
رئيس تحرير عكاظ

أقليات

الاسلام في بكين

بكين عاصمة جمهورية الصين الشعبية والمركز السياسي والاقتصادي والثقافي لها، لقد مضت اكثر من ١٣٠٠ سنة على دخول الاسلام للصين وبلغ تاريخ دخول الاسلام الى بكين هذه المدينة القديمة اكثر من الف سنة.

المساجد في بكين:

يوجد في بكين اكثر من ٦٠ مسجداً ويرجع تاريخ مسجد نيوجيه الى اكثر من الف سنة. وهناك عديد من المساجد التي تجاوز تاريخ بنائها ٥٠٠ سنة حيث يحتفظ فيها بكثير من الآثار والتحف الاسلامية القيمة. إن بقاء هذه المساجد القديمة يدل على التاريخ العريق لدخول الاسلام الى بكين، وليس هذا فحسب بل تعكس بصورة حيوية الاندماج بين الثقافة الاسلامية والثقافة التقليدية الصينية ايضا.

يقع مسجد نيوجيه في شارع نيوجيه من حي شيواوو ببكين، وتبلغ المساحة الكلية لهذا المسجد اكثر من ٦٠٠٠ متر مربع. يقال إن هذا المسجد بني عام ٩٩٦م (اسرة سونغ الملكية الشمالية) ويعتبر مجمعا معمارياً نموذجيا يندمج بأساليب القصور الصينية وأساليب الزخرفة العربية وقد وجُدَ فيه كثير من النسخ القديمة من القرآن الكريم والمخطوطات والآثار الاسلامية وقد دفن في المقبرتين عدد من شيوخ الاسلام الذين قدموا من غرب آسيا.

ويبلغ تاريخ المقابر والأنصاب التذكارية اكثر من ٧٠٠ سنة.

مسجد دونغسي:

يقع مسجد دونغسي في الشارع الجنوبي بحي دونغسى من مدينة بكين وأنشيء عام ١٤٤٧م من قبل اسرة مينغ الملكية وتبلغ مساحة المسجد ٨٠٠ متر مربع وينقسم الى ٣ أجزاء وهو على نظام المعمار السائر في أسرة مينغ الملكية ونحت في مصراعي الباب آية من القرآن الكريم بخط كوفي ويحفظ في المسجد الكتب الاسلامية القيمة منها «القرآن الكريم» بالخط اليدوي (عام ١٣١٨م) في اسرة يوان الملكية وبلغ تاريخ هذا الكتاب «المصحف» بالخط اليدوي اكثر من ٧٠٠ سنة ويعتبر تحفة للآثار الاسلامية في العالم.



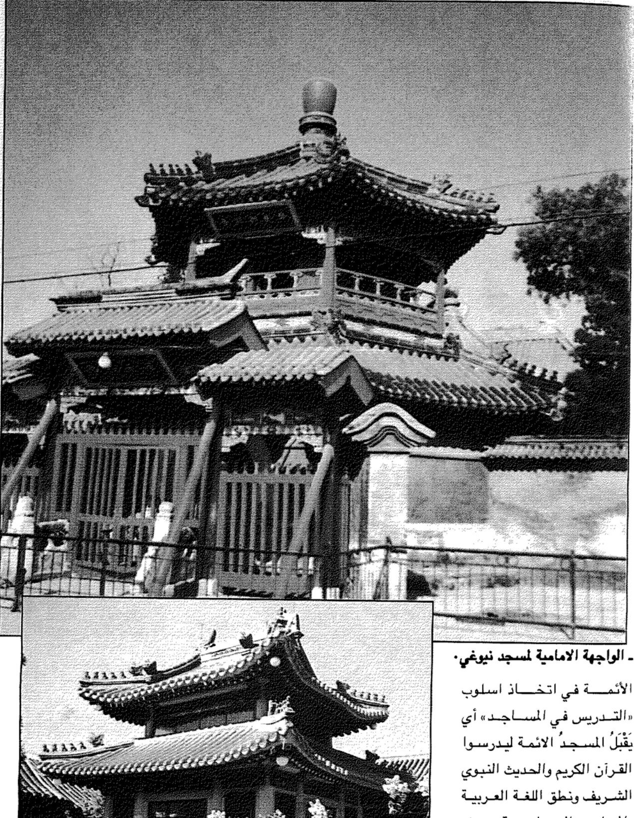
- أصغر نسخة مطبوعة من القرآن الكريم.

منذ العهد الحديث اصبح مسجد دونغسي مركزا ثقافيا للمسلمين في بكين وفيه الجمعية الاسلامية لبلدية بكين ومعهد بكين للاسلام.

اعداد وتربية الأئمة:

منذ زمن طويل وبعيد كان الاهتمام بإعداد وتربية

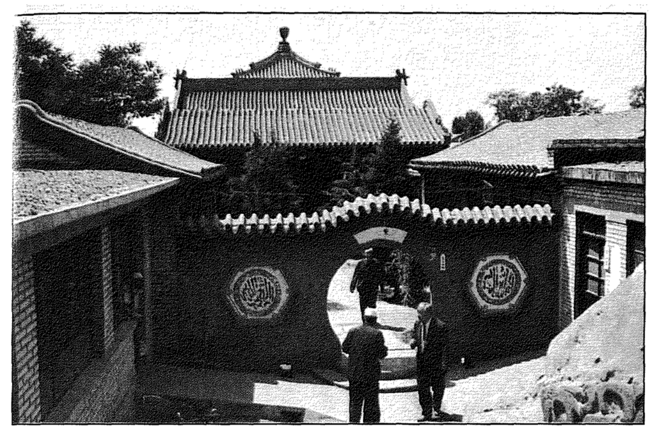
بقلم : وانغ قوي ف
المستشار الثقافي الصيني بالقاهرة



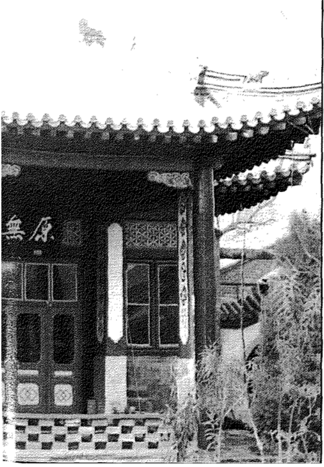
ـ الواجهة الامامية لمسجد نيوغي.

ـ مسجد هوشي.

الأئمـــة في اتخـــاذ اسلوب «التـدريس في المسـاجـد» أي يَقْبَلُ المسجدُ الائمة ليدرسوا القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ونطق اللغة العربية والمبادىء الاسلامية. وعند الالتحاق بالجامعات ينبغى للطلاب أن يدرسوا ٣٠ كتابا قبل التخرج، ولا يزال عدد كبير من المساجد يتخذ هذا الاسلوب



- مسجد كيهونغ.



- الواجهة الامامية لمسجد بوشو.

التقليدي لتربية وإعداد الأئمة.

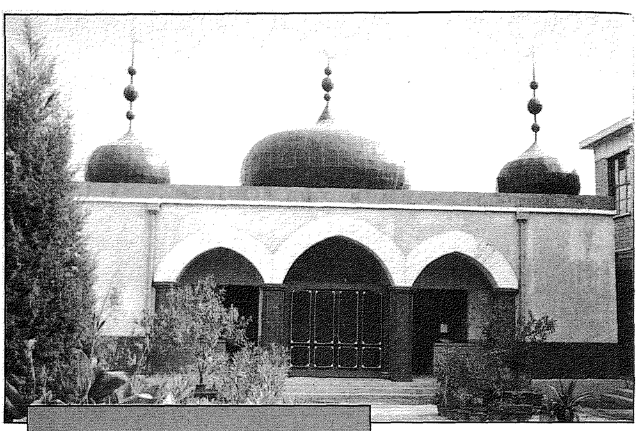
وظهرت في بكين عام ١٩٠٠ نهاية اسرة تشينغ الملكية مدارس اسلامية جديدة الطراز اي يدرس الطلبة اللغة العربية والمبادىء الاسلامية واللغة الصينية والعلوم ايضا ويهدف ذلك الى تربية الأئمة والعلماء المسلمين الذين يستوعبون اللغة العربية والمبادىء الاسلامية واللغة الصينية والمعارف العلمية.

العادات والتقاليد في حياة المسلمين:

تحظى عادات المسلمين في الحياة في مدينة بكين باحترام بالغ إذ وضعت الحكومة الشعبية في بلدية بكين قوانين تتعلق باحترام عادات المسلمين في الحياة مثل الطعام والزفاف ومناسك الدفن والاعياد.. الخ.

اكتشاف أصغر حجم من المصحف الشريف:

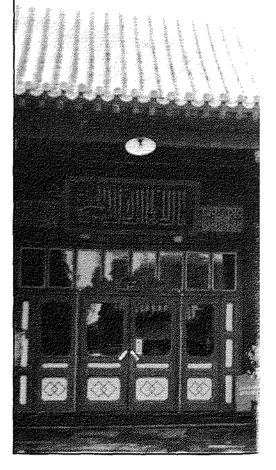
تم مؤخرا اكتشاف ما يقال انه اصغر حجم من المصحف الشريف في العالم في ناحية قناة رقم ٥ من محافظة بانتشانغ ذات الحكم الذاتي في منطقة شينغجيانغ ذات الحكم الذاتي ولا يزال هذا المصحف



ـ مسجد تونغس.



ـ من ملحقات المسجد.





ـ مكتبة المسجد.

المصغر في يدي الشيخ وانغ وان تشينغ المسلم من قومية الهوى.

ويبلغ طول المصحف النادر ٧ر٢مم وعرضه ٣ر١مم وسمكه ١مم ويزن ٩ر٤ غرام فقط وهذا المصحف هو مجلد كامل للقرآن الكريم، ويحفظ في علبة مطلية بالذهب حجمها اكبر من ابهم اليد قليلا ويوجد فيها عدسة مكبرة حجمها حوالي ١ مم للقراءة.



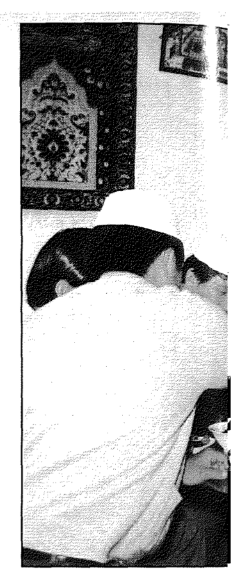
مسلسل تلفزيوني من ٦ حلقات عن المسلمين في الصين:

من اجل تعريف الحياة الدينية للمسلمين الصينيين من مختلف القوميات وأساليبهم وعاداتهم وأحوالهم الاقتصادية والثقافية والتعليمية وتبادلاتهم الودية مع المسلمين في العالم.

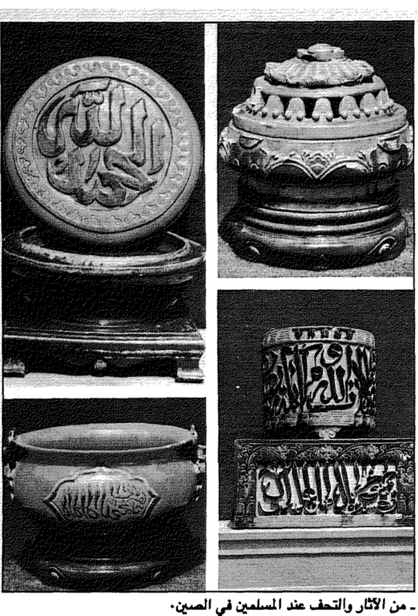
قد أنتجت شركة السمعيات والبصريات للتبادل الثقافي الدولي بالتعاون مع شركة نينغشيا الاسلامية الدولية الصينية للائتمان والاستثمار مسلسلا تلفزيونيا من ٦ حلقات عن المسلمين في الصين باللغات الثلاثة وهي اللغة الصينية والانجليزية والعربية ويوزع داخل الصين وخارجها ويستغرق بث المسلسل ١٨٠ دقيقة.



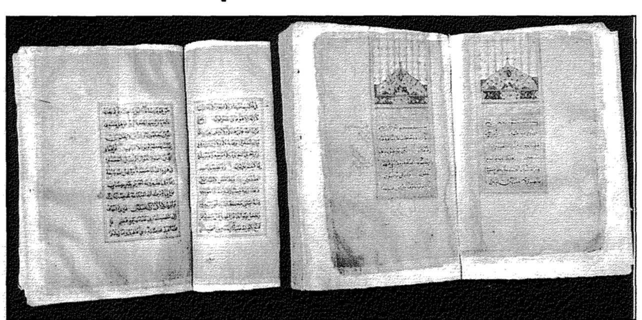
ـ التدريب على الخط العربي.



ـ من اللقاءات العائلية والأسرية لدى المسلمين الصينيين.



ـ من الآثار والتحف عند المسلمين في الصين.



ـ مصحف بخط اليد يرجع لـ (٧٠٠) عام مضت .

بعض أحكام الحج اللازمة

سوف أجمل ما جاء في المحلّى لابن حزم والمغنى لابن قدامه والمبسوط للسرخسي وفتح الباري لابن حجر وعمدة القاري والروض المربع للبهوتي والموطأ لمالك مع اجتهاد فما أورده وحاصل الاجتهاد فيما لا نص فيه أو أني أجتهد في النص لا معه.

فابدأ قائلا مستعيناً بالله سبحانه وتعالى فأقول:

- إن المراد بالحج هكذا بفتح الحاء يقصد به القصد فتقول حج فلان أي قصد لكنه استعمال قليل إذ ينصرف هذا عند سماعه إلى: حج البيت الحرام.

ويراد به في الشرع: قصد مكة المكرمة دون سواها لعمل مخصوص في زمن مخصوص وأصل الحج يرد في كتب المناسك أي التعبد تقول تنسك فلان بمعنى تعبد ولزم العبادة لكن أصل النسك هكذا من النسيكة وهي الذبيحة تقرباً إلى الله تعالى.

والحج ثبت فرضه على المسلم البالغ العاقل المميز القادر الواجد وأشهر الحج هي: شوال ذو القعدة وعشر ذي الحجة.

- ومن أراد الحج أو أراد العمرة فإنه لا يصح له تجاوز الميقات الذي في جهته فإن تجاوزه فيعود إليه ويحرم منه إلا إذا تعذر ذلك جداً فإنه يلزمه دم لفقراء مكة.

والمواقيت خمسة هي:

ذو الحليفة/ لأهل المدينة ولمن يمر عليه من غير أهل المدينة يرد حجاً أو عمرة وبينه وبين المدينة قرابة تسعة كيلومتر.

الجحفة/ لأهل الشام سوريا وفلسطين والأردن ومصر ولمن يمر عليها.

يلملم/ لأهل اليمن ومن يمر عليها.

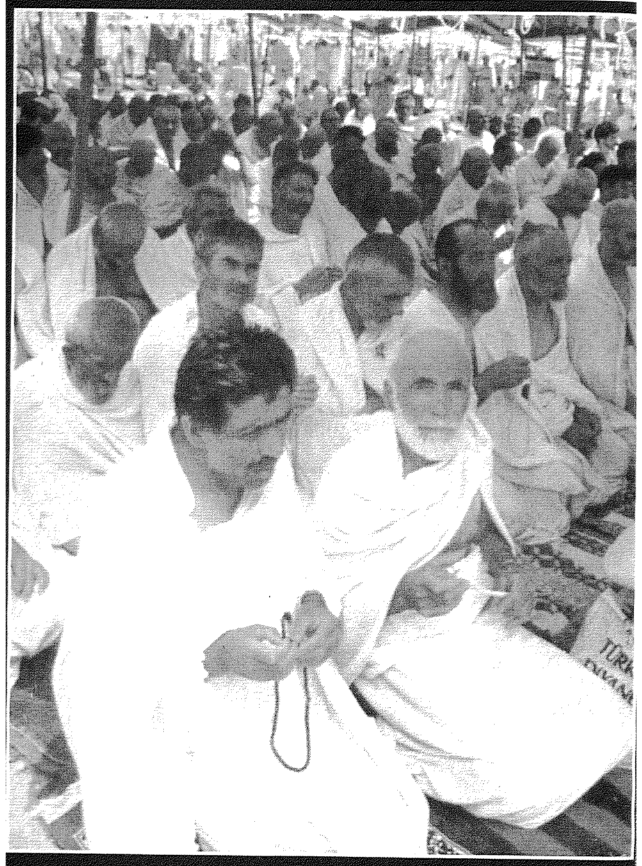
قرن المنازل/ أو كما يطلق عليه: السيل، أو قرن الثعالب/ وهذا لأهل: نجد والطائف ويكفي عنه ما يحاذيه للضرورة «كوادي محرم» في طريق الهدا المتجه الى مكة.

ذات عرق/ لروسيا وأندوسيا وأفغانستان وباكستان، الهند وإيران والعراق وكل من كان شرق شبه الجزيرة فيكون إحرامه من ذات عرق، وهو مكان معروف مسمى بذلك لأن هذا المكان فيه عرق جبل.

وقد جاء في الصحيح عن هذه المواقيت ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: (وقَّتَ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد قرن ولأهل اليمن يلملم هنَّ لهنَّ ولمن أتى عليهنَّ من غير أهلنَّ ممن يريد الحج والعمرة). ثم جاء تمام الحديث يقول ابن عباس: (ومن



بقلم الشيخ : صالح بن سعد اللحيدان
المستشار القضائى - الأمين العام للبحث العلمي - الرياض -



حجيج بيت الله الحرام

كان دون ذلك فمحله من أهله وكذلك أهل مكة يهلون منها). لكن من ليس من أهل هذه المواقيت فإنه يحرم من أي مكان يحاذي الميقات الذي يليه من طريقه لما صح فيما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أنظروا إلى حذوها من قدير).

- ومن لم يرد حجاً ولا عمرة فليس له أن يحرم، ويطوف فقط، وسمعت من بعض العامة يقولون: إن من مكث عن مكة أربعين يوما ثم سافر ولو لم يرد حجاً ولا عمرة أنه يحرم من الميقات ويطوف بالبيت، قلت لا أصل لهذا ولا أعلمه مدونا بنص صحيح.

وهذا مثل حديث: (من لم يزرني فقد جفاني) أي قبر النبي [صلى الله عليه وسلم] فهذا من كلام العوام والمبتدعة، ومثله: قصد المدينة لزيارة قبر النبي [صلى الله عليه وسلم] وهذا إنما جاء من المجوس وعبدة الأوثان وأهل البدع لكن ينوي المسلم زيارة المسجد النبوي ويسلم على النبي [صلى الله عليه وسلم] وصاحبيه وأهل البقيع، وهناك فرق بين شد الرحال للمساجد الثلاثة والقبور فلا بأس من زيارة وشد الرحال إلى المسجد الحرام والحرم النبوي والمسجد الأقصى لكن قصد ونية زيارة القبر الشريف فهذا لم يفعله الصحابة وهم أعلم وأتقى الناس.

- أما الإحرام فيقصد به: نية الدخول في التحريم فيحرم عليه بعد تلفظه بنية النسك ما كان مباحاً له قبل ذلك مما جاء النص بمنعه، والمقصود إن لبس الاحرام وهما الرداءان الأبيضان ليس النية فاللبس يختلف عن التلفظ بالنية سواء بسواء، وبعض الحجاج الذين يقصرون في السؤال فلا يسألون أهل العلم الثقات يظنون أن لبس اللباس الأبيض غير المخيط هو نفسه نية النسك فلا يتلفظون بالنية بل بعضهم يخلط بين التمتع والقران والافراد بل بعضهم يجهل ذلك فيحج كيفما اتفق خاصة بعض أهل أفريقيا وشرق آسيا، وهذا إثمه على علماء بلاد تلك الناحية والذين يقومون بعمل الطوافة.

- ومن أراد النسك قبل: النية فإنه يحسن به قص العانة والابطين وقص ما طال من الشارب وترك اللحية فلا يجوز قصها لا قبل الحج ولا بعده فهي من سنن المرسلين ومن الفطر الجليلة، ويحسن به أن يمس من الطيب لما صح عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أطَيِّب رسول الله [صلى الله عليه وسلم] لإحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت).

ثم بعد ذلك ينوي ما يريده من أنواع الحج الثلاثة: التمتع أو القران أو الافراد، وصفة الدخول في نية النسك الذي يريده أن يقول بعد لبس الاحرام والقص والتنظف والتطيب «لبيك عمرة متمتعاً بها إلى الحج» إذا أراد التمتع أو يقول: «لبيك حجاً وعمرة» إذا أراد القران، أو يقول: «لبيك حجاً» إذا أراد إفراداً.

- وليس للاحرام سنة فلم يثبت هذا لكن إن وافقت صلاة فريضة وإلا فكما ذكرت فإذا عين النسك الذي يريد فإنه يلبي: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ويدوم على هذا فإذا رأى البيت الكعبة، قطع التلبية ويطوف طواف القدوم سبعة أشواط.

ويحرم على المحرم أمور هي:

أولا: حلق الشعر أو نتفه أو قصه أو إزالته بأي مزيل إلا ما كان مضطراً إليه جداً يزيله ويفدي فإن

[ي]ستطع ذلك فعليه إطعام ستة مساكين أو صيام [ث]لاثة أيام.

ثانيا: تقليم الأظافر بمقص أو يد أو فم أو حديدة إلا ما انقلع دون قصد أو انكسر يزيله ولا شيء عليه.

والثالث: من الأمور المحظورة: تغطية الرأس والمراد تغطية رأس الذكر دون المرأة لانها لا يجوز كشف رأسها ولا وجهها عند غير المحارم.

فلا يجوز للمحرم تغطية رأسه بملاصق كالطاقية والغترة والشال والكوفية ولا بأس بظلال الخيمة والشمسية وما لا يلاصق الرأس بقصد اتقاء حرارة الشمس.

الرابع: لبس المخيط، والمقصود به كل مخيط سواء بيد أو آلة، وهذا خاص بالذكر دون المرأة فإنها تلبس المخيط لكن يجوز له لبس الهميان (الكمر) لحفظ النقود والأوراق ومالابد له منه.

الخامس: التطيب، فبعد الاحرام ونية الدخول فيه من تمتع أو قران أو إفراد فلا يجوز له مس الطيب ولا أي شيء مسه الطيب كصابون كامي ولوكس وسائر أنواع الصابون الأخرى التي يدخل في صناعتها العطور أو الروائح والمناديل المعطرة سواء كانت ورقية أو قماش.

السادس: قتل الصيد أو الاعانة عليه، فلا يجوز للحاج ولا الحاجة قتل الصيد كالضب والأرنب والحمام والعصافير وكل ما يصطاد، فان اصطاده أو اصطيد له فلا يجوز له أكله وعليه فدية بقدره.

ويجوز للمحرم أكل ما يؤكل عادة من الطير والحيوان الأنسى كالدجاج والبط والأوز البلدي والديك الرومي والغنم والمعز والبقر والابل، ولا يصح للمحرم قلع شجر الحرم النابت فيه ولا تنفير صيده ومنه: حمام الحرم وطيوره الحرة كالعصافير والقنابر وسواها.

السابع: عقد النكاح أو السعي فيه مع العلم فلا يجوز للمحرم ولا للمحرمة أن يعقد النكاح ولا أن يكونا سبباً فيه لكن يجوز للمحرم أن يراجع زوجته المطلقة طلاقاً رجعياً ولم تزل في عدتها لأن هذا بناء على الأصل فهي زوجته ما دامت في العدة.

الثامن: الجماع. ويراد به جماع صحيح في فرج أصلي بالايلاج في قبل وفي هذا تفصيل لابد منه:

١ - إن كان الجماع قبل التحلل الأول بمعنى أن الحاج لم يحلق ولم يرم ولم يهد ولم يطف طواف الافاضة فهذا يعتبر فيه الحاج حاجاً ناسكاً لم يتحلل من حجه بعد بفعل شيئين من ثلاثة مما ذكرت، فإن جامع في هذه الحالة فسد حج الرجل والمرأة مالم تكن الزوجة مكرهة جداً ولم يسعها: المنع ولكن عليهما المضي في الحج مع الفساد، ويعيدانه من العام المقبل، وإن كان بعد التحلل الأول فلا يفسد الحج لكن في هذا دم واجب.

التاسع: المباشرة للزوجة دون الفرج، فإن داعبها فأنزل فحجه صحيح سواء قبل التحلل أو بعده لكن يأثم لإتيانه ما نهي عنه.

ومن المعلوم أن الواجب على المسلم السؤال عن أمر دينه دائماً حتى يعبد الله سبحانه وتعالى على علم لا يعبده بتقليد أو جهل أو اجتهاد لا نص فيه فإن الأصل في العبادة القطع والمنع فلا يعبد الله جل وعلا إلا بما شرع أو شرعه رسوله [صلى الله عليه وسلم] بنص صحيح ثابت.

أقرب المسالك إلى أداء المناسك

الحجّ: أحد أركان الإسلام الخمسة، وفرض من الفرائض التى علمت من الدين بالضرورة.

وهو عبادة مالية وبدنية، وجهاد في سبيل الله، شرعه الله لعباده المحتاجين إليه، رحمة بهم، ومنّة عليهم.

قال الله - تعالى: {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين}.

روى النسائي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «جهاد الكبير، والضعيف، والمرأة: الحج». وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: يارسول الله ، ترى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لكُنَّ أفضل الجهاد: حجّ مبرور». (متفق عليه).

والحجّ: عبارة عن مجموعة من المناسك والشعائر، وجملة من الأفعال والأقوال، تنتظم جميعها في أطر زمانية ومكانية محددة؛ لتجسد بمجموعها معنى تعبديا، وعملا تربويا، يساهم في بناء شخصية الإنسان المسلم، والحج يعمل على إعادة تنظيمها، وتصحيح مسيرتها في الحياة، ويسدّد مهمتها ومسارها إلى الله، وليس له ثواب إلا الجنة..

روى البخارى ومسلم، عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

هذا، وتحدّد هذه الدراسة مناسك وشعائر الحجّ بخطوات متراصة بأسلوب عصري سهل ميسّر، مع وسائل الإيضاح، بعيداً عن التفريعات والاختلافات المذهبية التى تربك كثيرا من غير المتخصصين! في الوقت الذى تحسس فيه الكاتب حجّة المصطفى {صلى الله عليه وسلم} وتتبع - قدر الإمكان - الأدعية المأثورة في هذا النسك المبارك.. سائلا المولى - عز وجل - أن يجعل هذا العمل في ميزان الحسنات، وأن يتقبل منّا صالح الأعمال..

هذا، وأوّل ما يبدأ به قاصد الحج:

الإحرام من الميقات[١]:



إذا قارب الحاج الميقات استحب له أن يأخذ من شاربه،

بقلم : د. محمد السيد على بلاسي
- مصر -

ويقص شعره وأظافره، ويغتسل وهذا أفضل، أو يتوضأ، ويتطيب، ويلبس لباس الإحرام. فإذا بلغ الميقات: صلى ركعتين يقرأ في الأولى «الكافرون» وفى الثانية «الإخلاص» وأحرم، أي نوى الحج.

وبمجرد الإحرام تشرع له التلبية بصوت مرتفع، كلما علا شرفا، أو هبط واديا، أو لقي راكبا، أو أحدا، وفي الأسحار، وفي دبر كلّ صلاة.

ولفظها: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك).

رسم تخطيطي لمشاعر الحج

وكان النبي {صلى الله عليه وسلم} إذا فرغ من تلبيته سأل الله مغفرته ورضوانه، واستعاذه من النار (رواه الطبراني).

دخول مكة والبيت:

إذا دخل الحاج مكة المكرمة استحب له أن يدخلها من أعلاها، ثم يتجه إلى الكعبة فيدخل المسجد الحرام من باب «بنى شيبة» ملتزما التلبية، ويقول في خشوع وضراعة: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، بسم الله، اللهم صل على محمد وآله وسلم، اللهم اغفر لى ذنوبي، وافتح لى أبواب رحمتك».

وإذا وقع نظره على الكعبة، رفع يديه وقال: «اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة، وزد من شرّفه وكرّمه ممّن حجّه أو اعتمره، تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا».

«اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام».

طواف القدوم:

ويطوف الحاج بالبيت ويبدأ طوافه مضطبعاً محاذيا الحجر الأسود مقبلا له أو مستلما أو مشيراً إليه، كيفما أمكنه، جاعلا البيت عن يساره قائلا كلما استقبل الحجر الأسود: «اللهم إيمانا بك، وتصديقا بكتابك، ووفاء بعهدك، واتباعاً لسنة نبيك {صلى الله عليه وسلم} بسم الله، والله أكبر (روي مرفوعا إلى النبي).

فإذا أخذ في الطواف قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». (رواه ابن ماجه).

فإذا انتهى إلى «الركن اليماني» يستحب له أن يستلمه ويدعو قائلا: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» (رواه أبو داود).

ويستحب للطائف أن يرمل في الأشواط الثلاثة الأولى ويمشى مشيا عاديا في الأشواط الأربعة الباقية[٢]. كما يستحب له أن يكثر من الذكر والدعاء.

قال الشافعي: وأحب كلما حاذى الحجر الأسود أن يكبر، وأن يقول في رمله: « اللهم اجعله حجا مبرورا، وذنبا مغفورا، وسعيا مشكورا».

ويقول في الطواف عند كل شوط: «ربّ اغفر وارحم، واعف عما تعلم، وأنت الأعز الأكرم، آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار». فإذا فرغ من طوافه. توجه إلى «مقام ابراهيم» تاليا قول الله - تعالى - {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى}.

ويصلي خلف المقام ركعتين يقرأ في الأولى (الكافرون) وفي الثانية (الإخلاص)، ثم يأتى «زمزم» فيشرب من مائها ويتضلع منه. ويدعو: «اللهم إنى أسألك علماً نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء».

وبعد ذلك يأتى «الملتزم» فيدعو الله - عز وجل - بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، ويستحب أن يلزق وجهه وصدره به. ويستحب دخول «حجر إسماعيل» والصلاة فيه فإن جزءاً منه من الكعبة، وقد روى البخارى ومسلم: «أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صلى فى جوف الكعبة، بين العمودين اليمانيين».

السعي بين الصفا والمروة:

وبعد ذلك يستلم الحجر ويقبله ويخرج من باب الصفا إلى (الصفا) تاليا قول الله - تعالى -:«إن

الصفا والمروة من شعائر الله». قائلا بعدما يصعد عليه: أبدأ بما بدأ الله به. ويتجه إلى الكعبة فيوحد الله ويكبره ثلاثا، ويحمده ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كلّ شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. يقول ذلك ثلاث مرات ثم يدعو بعد ذلك. ثم ينزل فيمشى في المسعى، ذاكراً داعيا بما يشاء.

فإذا بلغ «ما بين الميلين» الخضرين، هرول - وهذا للرجال فقط - ثم يعود ماشياً على رسله حتى يبلغ «المروة» فيصعد السلم ويتجه إلى الكعبة، داعيا، ذاكراً. وهذا هو الشوط الأول.

وعليه أن يفعل ذلك حتى يستكمل سبعة أشواط[٣].

في اليوم الثامن: (يوم التروية)

من السنّة التوجه إلى «منى» فى هذا اليوم، ويستحب الإكثار من الدعاء والتلبية عند التوجه إلى «منى» وصلاة الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، والمبيت بها، وألا يخرج الحاج منها حتى تطلع شمس يوم التاسع، اقتداء بالنبي {صلى الله عليه وسلم}.

في اليوم التاسع: (الوقوف بعرفة)

يسنّ التوجه إلى «عرفات» بعد طلوع الشمس يوم التاسع، عن طريق «ضب»، مع التكبير، والتهليل، والتلبية. ويستحب النزول بنمرة والاغتسال عندها للوقوف بعرفة، مع صلاة الظهر والعصر جمع تقديم مع الإمام.

ويستحب ألا يدخل عرفة إلا وقت الوقوف بعد الزوال. فيقف بعرفة عند الصخرات، أو قريباً منها؛ فإن هذا موضع وقوف النبي {صلى الله عليه وسلم} ويستحب أن يدعو: «اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك».

ولا يسنّ ولا ينبغى صعود جبل الرحمة!

ويستقبل الحاج القبلة ويأخذ في الدعاء، والذكر، والابتهال حتى يدخل الليل.

وقد كان أكثر دعاء النبي {صلى الله عليه وسلم} يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ له الملك، وله الحمد، بيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير» (رواه أحمد والترمذي).

وروى البيهقى عن عليّ - كرّم الله وجهه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنّ أكثر دعاء من قبلى من الأنبياء ودعائى يوم عرفة، أن أقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل في بصرى نورا، وفي سمعى نورا، وفي قلبى نورا، اللهم اشرح لى صدري، ويسر لي أمري، اللهم أعوذ بك من وسواس الصدر، وشتات الأمر، وشرّ

فتنة القبر، وشر ما يلج في الليل، وشر ما يلج في النهار، وشرّ ما تهب به الرياح، وشر بوائق الدهر».

وروى الترمذي عنه قال: أكثر دعاء النبي [صلى الله عليه وسلم] يوم عرفة في الموقف: «اللهم لك الحمد كالذى نقول، وخيراً مما نقول. اللهم لك صلاتى، ونسكي، ومحياى، ومماتى، وإليك مآبى، ولك ربِّ تراثى، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، ووسوسة الصدر، وشتات الأمر، اللهم إنّى أعوذ بك من شر ما تهب به الريح».

المبيت بالمزدلفة:

فإذا دخل الليل أفاض الحاج إلى «المزدلفة»، فيصلي بها المغرب والعشاء جمع تأخير. ويبيت بها حتى يطلع الفجر فيصليه. فإذا طلع الفجر وقف بالمشعر الحرام، وذكر الله كثيراً عنده حتى يسفر الصبح فينصرف بعد أن يستحضر الجمرات من المزدلفة. والوقوف بالمشعر الحرام واجب، يلزم بتركه دم.

في اليوم العاشر: (أول أيام العيد)

فإذا كان قبل طلوع الشمس، أفاض الحاج من «مزدلفة» إلى «منى» ، فإذا أتى «وادى محسر» أسرع[٤].

وبعد طلوع الشمس يرمى جمرة العقبة بسبع حصيات. يكبر مع كلّ حصاة، ويستحب له أن يقول مع كل جمرة: «اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا».

ثم يذبح الحاج هديه - إن أمكنه - ويحلق شعره أو يقصره والحلق أولى.

روى البخارى ومسلم أن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال: «رحم الله المحلقين. قالوا: والمقصرين يارسول الله؟ قال: رحم الله المحلقين. قالوا: والمقصرين يارسول الله؟ قال: رحم الله المحلقين، قالوا: والمقصرين يارسول الله؟ قال: والمقصرين».

وبالحلق يحل للحاج كلّ ما كان محرّماً عليه ما عدا النساء.

طواف الإفاضة:

ثم يعود الحاج إلى مكة؛ فيطوف بها «طواف الإفاضة»[٥]، وبعد ذلك يحل للحاج كل شيء حتى النساء.

المبيت بمنى:

ثم يعود الحاج الى «منى» فيبيت بها. والمبيت بها واجب في الليالى الثلاثة أو الليلتين بعد العيد.

في اليوم الحادى عشر:

وإذا زالت الشمس من هذا اليوم رمى الحاج الجمرات الثلاث، مبتدئا بالجمرة التى تلى «منى»

رمي: «الجمرة الصغرى»، ثم يرمي «الجمرة الوسطى» كلا منهما بسبع حصيات. ثم يقف بعد رمي كل من الجمرتين ذات اليسار إلى بطن الوادي، مستقبلا القبلة، رافعا يديه، داعيا، مطيل الوقوف.

ثم بعد ذلك يرمي «جمرة العقبة» بسبع حصيات، ولا يقف عندها.

في اليوم الثاني عشر:

يفعل الحاج في هذا اليوم مثل ما فعل في اليوم الحادي عشر، ثم هو مخيّر بين أن ينزل إلى مكة قبل غروب اليوم الثاني عشر، وبين أن يبيت بمنى ويرمي في اليوم الثالث عشر. (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى).

طواف الوداع:

فإذا عاد الحاج إلى مكة وأراد العودة إلى بلاده طاف (طواف الوداع)، وهو واجب.

ويستحب للحاج أن يقول فيه: «اللهم لا تجعل هذا آخر العهد ببيتك الحرام». كما يستحب للمودع أن يدعو بالمأثور عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو: «اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، حملتني على ما سخرت لي من خلقك، وسترتني في بلادك حتى بلغتني بنعمتك إلى بيتك، وأعنتني على أداء نسكي، فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضا، وإلا فمن الآن فارض عني قبل أن تنأى عن بيتك داري. فهذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك، ولا راغب عنك، ولا عن بيتك. اللهم فاصحبني العافية في بدني، والصحة في جسمي، والعصمة في ديني، وأحسن منقلبي، وارزقني طاعتك ما أبقيتني، واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة، إنك على كلّ شيء قدير».

الهوامش:

(١) ولا يجوز لحاج أو معتمر أن يتجاوزها، دون أن يحرم. والمواقيت خمسة: «ذو الحليفة» لأهل المدينة، و«الجحفة» لأهل الشام، و«قرن المنازل» لأهل نجد، و«يلملم» لأهل اليمن، و«ذات عرق» لأهل العراق.

(٢) والاضطباع والرمل خاص بالرجال في كل طواف يعقبه سعي فقط.

(٣) فإذا كان المحرم متمتعا: حلق رأسه أو قصّر؛ وبهذا تتم عمرته، ويحل له ما كان محظوراً عليه من محرمات الإحرام، حتى النساء، إلى أن يجيء اليوم الثامن من ذي الحجة فيحرم من منزله. أما القارن والمفرد: فيبقيان على إحرامهما.

(٤) لأنه محل غضب الله فيه على أصحاب الفيل.

(٥) إن كان الحاج متمتعا سعى بعد هذا الطواف.

فُرِضَ الحج فحجّوا

شعر : أحمد صدوق صافي - الكويت -

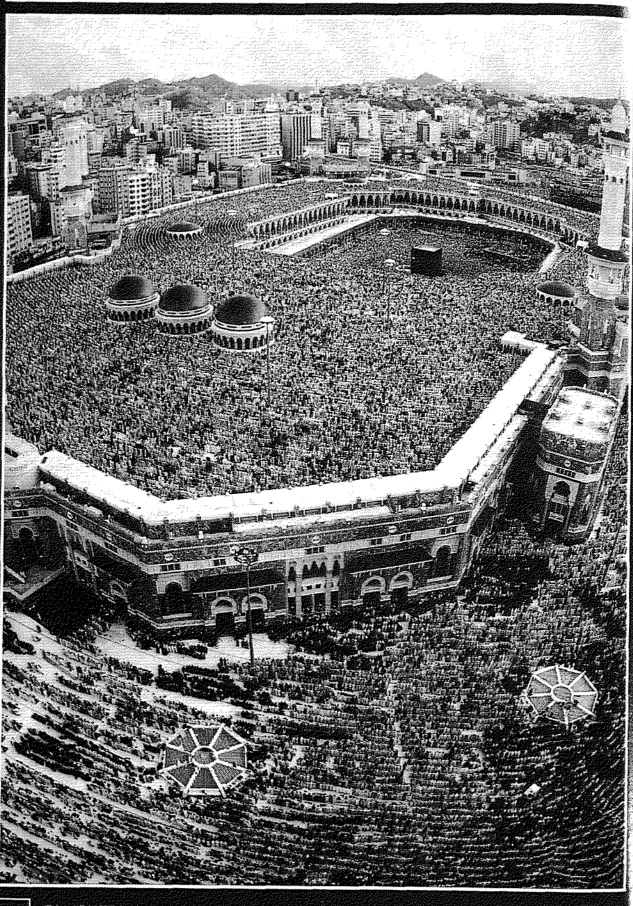
«فُرِضَ الحجُّ فحجّوا
كلَّ عام يارسول الله؟
لا ·· »
لا تزاحمْ
وإذا قبّلتَ
مجتازاً أخاك الحاج، تؤذيه
وأنت الناسك المشتاق مثله
لا تقبّلْ!!
أنت آثم!!
« ·· كلَّ عام يارسول الله؟
لا !!··»
لا تزاحم!!

* * *

أممٌ شتى ·· وربٌّ واحدٌ
أممٌ شتى ·· وأهواء كثيرة
ورحابُ (البيت) ضمّت
أمماً شتى وقلباً واحدا
أيها الحجاج عودوا
واملأوا الأرض سلاماً ومحبة
وازحموا الأرض، كما في الحج
إيماناً ·· مساواة·· وعدلا··
وازحموا الشّهبَ
سموّاً ·· وضياء ·· ونظاما
وكما طوّفتُمُ بالبيت سبعاً
طوّفوا في الشرق والغرب
هداة ·· واستقوا
من معاني الحج
إخلاصاً ·· وإحساناً ·· وجودا
وانشروا النور كتاباً هاديا
واجعلوه لكم العنوان والمرجع
فالقرآن للمسلم حُجّة
لم يكن يوماً على المسلم حُجّة
فاحفظوه
ولتكونوا للهدى
رمزاً وصورة

* * *

لا تزاحمْ!
وامش في الأرض الهوينا
وإذا مسّكَ ضُرٌّ
من مُجانفْ
وإذا فاتك بالبُعد عن الإثم
وعن شتى المحارمْ
من مغانمْ
حسْبُك اللهُ ·· فأنت الحاج
قد عُدْتَ نظيفا
وشفيفا
ورهيفا
ومُسالمْ
ومُحلّى بالفضائلْ
والمكارمْ
لا تُزاحمْ!



الأضحية .. شعيرة وحكمة وإفادة

ها هو عيد الأضحى يظل أمتنا، فيغمرها بضيائه، ويلفها بإشراقاته، إذ يقيم المسلمون نسكاً تاريخياً يحيى قيمة عظيمة، لابد أن تتجدد وتستمر، وهو «نسك النحر»، احياء لحدث تاريخى عظيم الشأن، يشد ذاكرتنا إلى قصة أعظم فداء، على امتداد تاريخ الإنسان. فقد رأى ابراهيم الخليل عليه السلام، في منامه، أنه يذبح ابنه ووحيده الغلام اسماعيل.. فأى بلاء هذا الذى يعصر وجدان النبي الشيخ، وهو يرى غلامه الذى بلغ معه السعي، وأصبح مناط الأمل ومعقد الرجال، هو القربان المطلوب بأمر الله.

لكن ابراهيم.. العبد الصالح، الطائع لمولاه، لا يتذمر ولا يتردد .. بل ينقل الأمر إلى غلامه الحليم، ليشاركه طاعة الرب العظيم، فيقول في الحوار الذى يذكره القرآن: **{يا بني إني أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى}**؟ ويدرك اسماعيل، الذى عاش قدراً من معاناة الأب النبي وابتلاءاته على درب الإيمان، أن هذه الرؤيا لا تحتمل المراجعة أو التأويل، فيقول في إيمان ويقين: {يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين}.

أى بلاء أعظم من هذا البلاء !!

واجتاز ابراهيم واسماعيل عليهما السلام اختبار الطاعة لله عز وجل .. فلما أسلما أمرهما اليه، واستجابا في رضا نفس واطمئنان قلب، إلى ما ابتلاهما به، أدركتهما رحمته، وفدى الله اسماعيل بذبح عظيم.. **{فلما أسلما وَتَلَّهُ للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدَّقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم}** (الصافات/ ١٠٢ ـ ١٠٧).

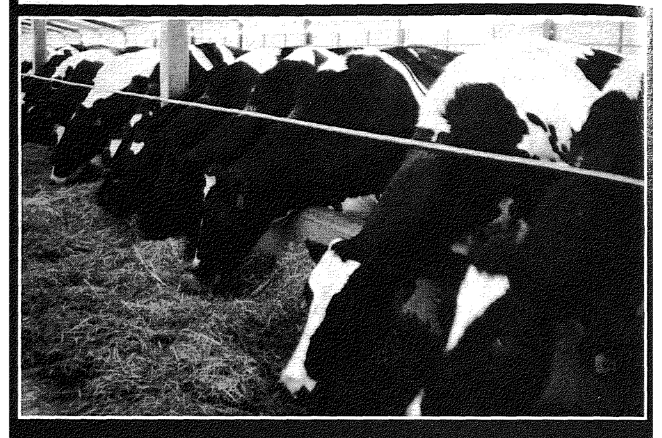
تلكم إذن هي الذكرى، وذلكم يوم الفداء، وإنه ليوم فرحة وعيد، ليس لآل بيت الخليل وحدهم، بل لكل من تبع ملة ابراهيم، إلى يوم الدين.

حج البيت وذكرى الفداء :

ثمة صلة وثيقة ـ نجدها في آيات الذكر الحكيم ـ بين الحج إلى بيت الله الحرام، وذكرى الفداء. فابراهيم الذى تلقى أمر ربه بأن يرفع القواعد من البيت: **{وإذ يرفع ابراهيمُ القواعدَ من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم}** (البقرة/ ١٢٧)، هو نفسه ابراهيم، الذى يؤمر بأن يقدم قرباناً، وان يذبح غلامه الحليم.. وهو نفسه ابراهيم الذى يؤمر بأن يؤذن في الناس بالحج، ليأتى إلى بيت الله من يذكر اسم الله على ما رزقهم من نعم، ويقدم من الأنعام «هديا»، عرفاناً بفضل الله وشكراً **{وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير}** (الحج/ ٢٧ ـ ٢٨).

وتتجدد ذكرى البذل والفداء، كلما قدم حجاج

بقلم : د. فوزى عبدالقادر الفيشاوي
ـ جامعة أسيوط ـ



البيت «هديا» من الأنعام، يقول الحق سبحانه: **{لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق. ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام}** (الحج/ ٣٣ ـ ٣٤).

قربة الحاج الى الله ـ اذن ـ أن يقدم الأنعام «هديا» وهو يقدمه في مكة أو منى، لقوله تعالى :**{هدياً بالغ الكعبة}** (المائدة/ ٩٥)، هذا بينما يقدم المسلم من غير حجاج البيت «أضحية» في سائر بقاع الأرض.

وأياً كان الفداء، فإنه لا يقدم إلا بعد طلوع شمس يوم النحر، وبعد أن يمر من الوقت ما يصلى العيد، لقوله تعالى: **{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانحر}** (الكوثر/٢). وعن البراء رضي الله عنه، عن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال: «إن أول ما نبدأ به يومنا هذا (أي يوم العيد) أن نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء». وقد روى الترمذي، عن عائشة رضى الله عنها، أن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال: «ما عمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من اهراق الدم [إسالته: أي ذبح الأضحية]، إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقع من الله بمكان [كناية عن سرعة قبولها] قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً».

ونعود فنقول، إن «شعيرة النحر» هي بالحقيقة امتداد للنهج الحنيفي في البذل، وصل الله بها بين شريعة أبى الأنبياء، وبين شريعة خاتم الأنبياء. وهذه الشعيرة، هي بالحقيقة تثبيت للمنهج التربوى الرباني الذى يربط بين (الشكل العبادي) الذى يتمثل في اراقة الدم، وبين (الحقيقة النفسية) التى تتمثل في الاستيقان بأن هذا الدم أو الجلد أو اللحم، ليس هو الذى يصل إلى الله، وإنما الذى يصل اليه هو «تقوى القلوب» التى هي الدافع الوحيد إلى تعظيم شعائر الله **[ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب]** (الحج/٣٢).

الأنعام والقربان:

إن الناظر منا في التاريخ الانساني، ليلحظ أن «القربان الحيواني» من صنوف الأنعام، كان هو أكثر أنواع القرابين شيوعاً وقدماً في التاريخ العقائدي.. ففي سفر التكوين، نجد النص التالي: «وكان هابيل راعياً للغنم، وكان قايين (أى قابيل) عاملا في الأرض. وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر» (الاصحاح الرابع).

وفي قصة الذبيح اسماعيل، نجد أن الله تبارك وتعالى قد رد ابراهيم عليه السلام عما كان سيقدم عليه من ذبح ابنه، حين «فدى» اسماعيل «بذبح عظيم» من صنف الأنعام.

وهكذا كأنما القربان المقبول من قبل الله عز وجل، هو الأنعام، ولا شيء غيرها.. يقول تعالى بشأن القربان الذى يقدمه الحجيج: **«والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم منها خير فاذكروا اسم الله عليها صوَافَّ فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون»** (الحج/٣٦).

قربة الحاج إلى الله - اذن - أن يقدم «هدياً» من الأنعام.. ولا يغنى عن الأنعام قربان آخر، كما لا يغنى عنها تقديم المال صدقة.. إنه التصميم عليها تحديداً..

ترى أي سر في «الأنعام»؟ ولم هذا التصميم عليها؟ وما علة ذلك التكريم؟ الواقع، أنك تجد في كتاب الله تكريماً للأنعام من دون سائر الحيوانات، على نحو مثير للتأمل، ففى الآية الواحدة قد تجد دمجاً واضحاً وصريحاً بين الانسان والأنعام. ولنتأمل في هذه الآية، التى وضع الله فيها الانعام في منزلة البنين: **{واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون. أمدكم بأنعام وبنين}** (الشعراء/ ١٣٢ - ١٣٣).

فهذه اشاره أراد الحق سبحانه، أن يلفت بها نظر الانسان إلى أعظم نعمة أسبغها عليه، طعاماً، وكساءً وعملا، وجمالا، وزينة.

معجزة الأنعام بين العلم والقرآن:

الأنعام - على نحو ما جاء في السورة المسماة باسمها في القرآن - تضم «ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين»، «ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين».. فهى ثمانية أزواج، أو أربع مجاميع، تضم كل مجموعة منها ذكراً وأنثى.

والأنعام - على نحو ما يذكر علماء الحيوان - هي من مجموعة المجترات (زوجية الحافر) Raminants، التى تنتمى إلى طائفة الحيوانات ذوات الثدى (Mammals)، التى تلد انثاها كما تلد أنثى البشر. وتوضع الأنعام في فصيلتين، فصيلة الجمال (الابل) Camleidae، التى منها الجمل ذو السنام الواحد، والجمل ذو السنامين.. والفصيلة البقرية (Bouidae) التى منها البقر والماعز والضأن (الخراف).

ذلكم هو مكان الأنعام في مراتب الحيوان، أما مكانها في عجائب صنع الرحمن، فنجده في آيات عديدة من القرآن، نذكر منها قول الحق سبحانه: **{وإن لكم في الأنعام لعبرة نُسْقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين}** (النحل/ ٦٦).

وقوله تعالى: **{وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها. ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون}** (المؤمنون/ ٢١ - ٢٢).

وقوله عز من قائل: **{أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون. وذللناها لهم فمنها**

يركبُوبُهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون} (يس/ ٧١ ـ ٧٣).

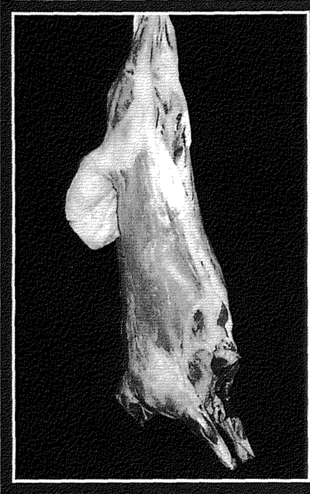
وقول الحق سبحانه: {الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون. ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تُحملون. ويريكُم آياته فأي آيات الله تنكرون} (غافر/ ٧٩ ـ ٨١). وفي آيات كريمة من سورة النحل: {والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم} (النحل/ ٥ ـ ٧). وفي السورة نفسها يقول سبحانه: {والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين} (النحل/ ٨٠).

ويقول سبحانه في (سورة الأنعام/ ١٤٢): {ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين}.

آيات مُحكمات يتأملها الباحث المؤمن، فيحس بخشوع في قلبه، وبنور يغمر كيانه كله، ويدرك من فوره، أن هذا الذكر الإلهي عن الأنعام، لا يمكن أن يكون مجرد مثال مناسب للمقام، يوفق البيئة العربية القديمة وأحوالها (كما قد يظن البعض).. كلا ففي هذا تقييد غير مقصود لأعجوبة من عجائب الخلق التى لا ينتهى أثرها عند حدود الزمان والمكان اللذين أنزلت فيهما الآيات، لأن «معجزة الأنعام» خالدة لا تنقضى عجائبها وأسرارها.. اليوم.. وغداً.. وحين يضع الانسان قدماً على آخر كوكب.

معجزة تسخير الأنعام:

اختار الله سبحانه وتعالى الأنعام ـ من دون سائر الحيوانات ـ قرباناً اليه سبحانه، لحكمة.. ولعلنا ندرك



جانباً من الحكمة ونحن نتأمل في معجزة تسخيرها لخدمة الانسان.. فالأنعام مسخرة من قبل الله تعالى، لإطاعة أوامر الانسان، ولخدمته ونفعه، ولجعل حياته تسير على أوفق حال.. فليس في حكم الأنعام أن تعصي بشراً، إذا طلب منها فعل شيء، وليس في حكمها التمرد والعصيان.

وتلك نعمة جليلة، ما كان للإنسان إليها من سبيل، لولا تدبير الله وقدرته، ولولا ما أودع في خلقها من خصائص وسمات.

أعني خصائص التسخير وسمات الطاعة، التى لم يجعلها الخالق العظيم في «الذبابة» فغدت على ضآلتها وضعفها نافرة، لا سبيل لتسخيرها، ولئن اجتمعت الإنس والجن.

هذا بينما نجد قطيعاً أو سرباً يبلغ الآلاف عداً



من الأغنام العظيمة، يقوده صبيان صغيران.. يوجهانه في الوجهة التي يريدان، وفق النظام الذى يرسمان.. وأفراد القطيع تطيع، من دون تدريب أو تمرين. وبوسع رجلين اثنين، قيادة قطيع من الإبل يبلغ المئات في سهولة وبنظام مثير للإعجاب، ويستطيع الصبي الصغير توجيه جمل قوي عظيم، بغير عناء، وبدون سابق تمرين.

فهذه معجزة من معجزات خلق الأنعام، تستوجب من الانسان الذكر، ومن بعد الذكر الشكر.. يقول سبحانه: **{أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون}** (يس/ ٧١ ـ ٧٢).

ومنافع الأنعام تستوجب القربان:

حينما ينظر المرء في خلق الأنعام.. تلك الحيوانات المسخرة الصبورة، يشعر انه مغمور بفيض من نعم الله.. فيض يتمثله في كل أحواله.. في كل مرة يعتلي فيها ظهورها، ويسير بها أياماً وليالي كثيرة، صابرة متحملة، لا شاكية ولا متبرمة. وتتجدد لديه العبرة، حينما يأكل قطعة لحم، أو يشرب جرعة حليب، أو يتناول شيئاً من سمن وجبن، أو يتخذ من أوبارها وأشعارها ما ينسج من معاطف وعباءات، أو ينعم بغير ذلك من منافع ومنتجات، لا يخلو بيت منها في ريف أو حضر أو بادية، ولا يستغني عنها واحد من الناس.

والأنعام ـ على الرغم من منافعها التى لا تعد ـ تعيش على مخلفات الزرع وعلى حشائش وأعشاب الأرض، التى تعافها الكثير من أفراد مملكة الحيوان. ذلكم أن المولى عز وجل، قد هيأ للأنعام تركيباً فريداً في قناة الهضم، يسمونه «الكرش» وهو يحوي ملايين الملايين من كائنات حية دقيقة.. صغار بكتريائيين مع جماعات البروتوزوات البنائين منهم والمحللين. وهؤلاء بوسعهم هضم وتحليل سائر المركبات المعقدة من سليولوز وهميسليولوز، ولجنين، بفعل ما تفرزه من انزيمات محللة، وينتج عنها أنواع من أحماض دهنية طيارة، لا تلبث أن تمتص في جدار الكرش، ومنه إلى تيار الدم، لتطلق منها طاقة عظيمة، لا غنى للحيوان عنها.

وبفضل هذا «السيناريو» الفذ، نقول بأن الأنعام هي أقدر المخلوقات على الإفادة من المواد الخشنة وأنواع الأتبان والأحطاب والمخلفات المزرعية، التى لا يتغذى عليها الانسان، ولا تدخل في علائق سائر الحيوان، كالدواجن وغيرها.

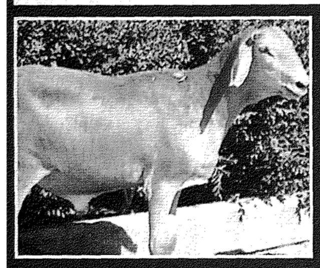
وهكذا، فعلى الرغم من ضآلة ما تأخذه الأنعام ـ موازنة بكل ما نعرف من حيوان ـ إلا أنها هى أشدها قناعة، وهى أكثرها جوداً وعطاء. فهى بحق ذروة التفنن في التصميم كجهاز هاضم متميز، يفلح حيث تخفق بقية الحيوانات، في انجاز أعقد العمليات الكيميائية التى تجعلها مخزناً مثالياً للحم الذى لا يستغنى عنه الانسان.. ففي أبقار اللحم ـ على سبيل المثال ـ قد يصل وزن سلالات كالشورتهورن، والأبردين أنجس، إلى نحو ٦٠٠ ـ ٩٠٠ كيلوجرام من اللحم الحيوانى الطيب المذاق. ولحم الأنعام ـ كما يؤكد خبراء التغذية ـ ضرورى فى غذاء الانسان، لا سيما

في أطوار نموه، لئلا تحدث أعاقة في سير عمليات الجسم الحيوية، ولضمان استمرار وظائفه الطبيعية على أوفق حال. هذا فضلا عن قيمة الأحماض الأمينية الموجودة باللحم، في انتظام عمل الغدد الصماء، وفي اكساب الأجسام مناعة ضد الأمراض.

ومن منافع الأنعام أيضاً، ألبانها، يحتلبها أقوام تدر عليهم من اللبن الكثير، ومنه يصنعون الجبن أطيب ما يكون. فمن أبقار الحليب، ما تحلب انثاه لبناً يزيد على ثلاثين كيلو جراماً في اليوم الواحد في موسم ادرار قد يطول لشهور، مثل أبقار الفريزيان، والجرسي، والشورتهورن، والايرشير وغيرها من سلالات الحليب.

وأنواع الأغنام كذلك قد تربى لإنتاج الحليب، إلى جانب ما تنتجه من لحم وصوف، مثل سلالة «اللاكون». وتدر الماعز في اليوم الواحد ما بين ٤ إلى ٦ أرطال من الحليب لمدة عشرة أشهر من السنة الواحدة. وهو حليب يتميز بكريات دهنية دقيقة، والجبن الناتج منه أنعم من جبن لبن البقر. ومن أجل هذا كان اللبن والجبن الناتج من لبن الماعز أسهل هضماً وأكثر نفعاً للأطفال. ويعرف حليب الناقة بدسامته وفوائده الصحية العالية، حتى أن البدو درجوا - من قديم - على ابعاد ولد الناقة عنها، بعد ولادته بأشهر أربعة، للإفادة من حليبها ذى الطعم المالح، حيث يغنى السائر في الصحراء عن الماء والغذاء.

وأجسام الأنعام مكسوة بطبقة من الشعر تقيها المؤثرات الخارجية من برد وحر.. ويصنع الناس من الشعر خيوطاً، تكون منها منسوجات لأقمشة فاخرة، كما تصنع الأكاسى المنسوجة من الوبر. والفرو من انتاج الخراف القيم. ويبقى عليه الصوف فيستخدم ملابس للتدفئة، لا سيما في البلاد الباردة، أو يجز من الفرو الصوف.



ومن صوف الخراف يصنع الناس الملابس اذا كان صوفاً رخياً ناعماً، أو السجاجيد إن كان خشناً. ويمثل المرينو بسلالاته، أغنام الصوف الناعم، أما الأوسيمي والرحماني والنجدى، فهى من أغنام صوف السجاد.. ولبعض الأغنام شعر، وهذه هي الأكثر شيوعاً في المناطق الحارة، مثل سلالات السودانى والصومالى.

ومن سلالات الماعز المنتجة لصوف جيد: ماعز أنقرة وماعز كشمير.. أما ماعز أنقره، ففروته ملتوية، وهى كثيرة الشعر، وهو شعر أبيض اللون، وله مس الحرير، ومنه يصنع القماش المتين المعروف بالموهير .. أما ماعز كشمير، فيصنع من شعره الشلان المعروفة بشيلان كشمير. ولا ننسى أن بالصوف نوعاً فريداً من الدهن هو «اللانولين»، المعروف بفوائده في عمل المراهم، وأدوات التجميل.

وتفى الأنعام بكم وافر من الجلود، التى تمثل مصدر دخل كبير للمنتجين، بعد دخلهم من اللحوم، حيث تقدر قيمة الجلد بالنسبة لباقى مخلفات الحيوان بنحو الثلث من قيمتها، وتصنع الأخبية من الجلود، كما تصنع منتجات شتى: فى صناعة الأحذية والأثاث، والثياب وتجليد الكتب والقفازات وغيرها.

ولا ينكر دور الأنعام في انتاج أنواع قيمة من

المخصبات العضوية، التى تساهم في تحسين خواص التربة الزراعية كما تستخدم الانعام في العمل.. في فلاحة الأرض، وفي الجر، لا سيما في البلاد النامية، ومازالت الابل - إلى يومنا هذا - وسيلة نقل عظيمة في الصحارى والقفار.. فهى تقطع في اليوم الواحد مسيرة مئة أو مئة وخمسين كيلومتراً، ويمكن لجمل يزن ٥٤٠ كيلوجرام، حمل ما يعادل نصف طن من المؤن، أى أنه يحمل ما يوازى وزنه.

ومنافع أخرى للأنعام جمة.. فقد فطرها الله على العطاء لا المنع، وعلى الطاعة لا العصيان.. وسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

نحر الأنعام.. مظهر شكر النعمة:

الواقع أنى لو استرسلت في بيان جليل خلق الله في الأنعام ومنافعها للإنسان، ما انتهيت إلى غاية، وحسبى أن أقول انه لخلق رائع عظيم، يستوجب الحمد ويتطلب الشكر.. ألسنا نقرأ قوله تعالى: **{كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون}**، وقوله سبحانه: **{ولكم فيها منافع ومشارب، أفلا تشكرون}**..!!

والشكر الصادق لا يكون إلا من جنس النعمة، وبما يماثل العطاء، ولو على مستوى «الصورة»، فليس بوسع أحد في السماوات والأرض، شكر الله على عطائه، بما يماثل العطاء.. وإذن ، فقد كانت «شعيرة النحر» وكان الفداء الواجب من الأنعام.. فبهيمة الأنعام التى نشكر الله عليها، في الحج، «رزق وعطاء» والبدن هو صورة الشكر التى جعل الله منها الهدى.. والفداء..

ولأن الهدى لله العظيم، فأولى بالمهدى أن ينظر أى أنواع الهدى أليق بمقام الرب العظيم.. ولذا كان الحيوان المهدى من أجود النعم، لأنه سبحانه أكرم الكرماء، وأحسن ما يختار له. **{إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه}** (فاطر/١٠). **{ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون}** (البقرة/ ٢٦٧).. ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم، عن التضحية بذات العيوب القادحة، حينما سئل: ماذا يتقى من الضحايا؟ فقال: «العرجاء البين عرجها، والعوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعجفاء التى لا تنقى» (رواه الترمذي).

ولا يرفع الهدى إلى الله، غير روح الاخلاص والتقوى، لقوله سبحانه: **{لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم}** (الحج/ ٣٧). فروح التقوى، هى اذن الضابط الذي يعلن للحاج، أن شريعة الله ليست تكاليف ثقيلة تلقى من على العواتق بأى صورة كانت، وإنما هى أمانات تؤدى وحرمات تصان، وأعمال تتقن، لكي تكون ذخراً يوم الحسرة وملاذاً يوم الفزع الأكبر.

شعيرة النحر ورباط الأمة:

إنه يوم النحر.. وها هم ضيوف الرحمن، وصلوا إلى منى في صبيحة هذا اليوم، وإنهم ليسوقون الهدي إلى محله متقربين به الى الله.. ويا له من مشهد عظيم.. عشرات، بل مئات الألوف من الأغنام والبقر والإبل، تسيل دماؤها.. منها ما هو «هدي واجب» والذى يكون لعمل الحج والعمرة مثل هدى التمتع والقران، ولترك واجب من واجبات الحج، ولارتكاب محظور، أو تجن على الحرم بالتعرض لصيده.. ومنها ما هو «هدى نذر» وصار وجوبه، لقوله تعالى: «وليوفوا نذورهم»، ومنها ما هو «هدى تطوع».. وأياً كان نوع الهدى، وأياً كانت الأضحية، فالآلاف منها تنحر طوال أيام التشريق، فيفيد من لحومها الفقراء والمساكين ولكن يبقى أكثرها ملقى على جوانب الطريق، ينتظر وحوش البرية وعقبان السماء.

مهلا.. مهلا.. فصحيح أن هذا المشهد ظل يتكرر في كل عام، على مدى مئات الأعوام، إلى ا

ـاء موسم حج عام ١٤٠٢هـ، فبدأ مشهد آخر يظهر، يتمثل في أضخم مشروع حضارى للإفادة من لحوم الهدى والأضاحي، ولتلافى سلبيات المشهد القديم.

وهو مشروع جليل يهدف - بالدرجة الأولى - إلى التيسير على حاج بيت الله فى أداء نسك النحر .. فقد أعفى الحاج من مشاق جسيمة كان - فيما مضى - يلاقيها، تبدأ بالبحث عن ذبيحة مناسبة، ثم التوجه بها الى المجزرة لذبحها، أو تأجير من ينوب عنه لذبحها .. وكم كان الأمر عسيراً على الكثيرين، لا سيما في مواسم الحج التى تصادف الصيف القائظ. فجاء المشروع الجديد ليعفى الناس من العنت والمشقة، فليس على الحاج اليوم غير توريد ثمن ذبيحته للجهة المختصة، والحصول منها على «صك» معين، دليلا على انه أناب «البنك الاسلامى للتنمية» في نحر هديه.

وبموجب هذا الصك، يتكفل المشروع بشراء الأنعام، بعد التأكد من مطابقة الشروط الشرعية الواجبة، كأن يكون عمر الشاة ستة أشهر فما فوق، وعمر الماعز سنة فما فوق، وأن تكون البقرة أتمت سنتين ودخلت في السنة الثالثة، وأن تتم الإبل خمس سنين وتكون دخلت في السادسة.

هذا بالإضافة، إلى التأكد من خلو الأنعام من العيوب المانعة، التى حددها الشرع الحنيف.. زد على هذا، التأكد من سلامة الحيوانات بمعرفة لجنة متخصصة من البيطريين. وثمة هدف آخر حققه المشروع، وهو ضمان نظافة منطقة منى من مخلفات الذبح، وحمايتها من التلوث البيئى.. فقد كانت الذبائح - فيما مضى - تترك بعد الذبح معرضة لعوامل التلف والتحلل والفساد، فلا ينتفع بلحومها غير القلة من الفقراء، كما كانت تنشر الروائح الكريهة في منى طوال أيام التشريق.

على أن الهدف الأعظم لهذا المشروع، يتمثل في إفادة المسلمين في سائر بقاع الأرض، من لحوم الهدى والأضاحى، على نحو يوثق الألفة والمودة، ويحقق وحدة الأمة على أوسع نطاق. فقد تكفل المشروع بتجهيز الذبائح، ثم توزيعها وفقاً لنوع الهدى، فما كان فدية عن ترك واجب أو فعل محظور، أو جزاء لصيد، فهو لفقراء الحرم دون سواهم، أما ما كان هدى تمتع أو قران أو كان تطوعاً أو ضحية، فهو يوزع بين فقراء الحرم وغيرهم من الحجاج، أو غيرهم من فقراء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، حيث تنقل اليهم بالشاحنات المبردة أو بالطائرات أو بالبواخر..

والحق، لقد أثبت هذا المشروع الحضاري، فعالية ونجاحاً عاماً من بعد عام، فلعلنا نذكر أن مجموع الذبائح في موسم حج عام ١٤٠٣هـ، لم يتجاوز ٦٣ ألفاً ولكنه بلغ في عام ١٤١٤هـ، نحو المليون.. ولعلنا نذكر أيضا، أن المشروع منذ بدأ في عام ١٤٠٣هـ إلى عام ١٤١١هـ، تكفل بنحو ٧٦٨، ٢٥٠، ٢ رأساً من الغنم، وزع منها ٦٧، ٠٧٩، ١ رأساً على الفقراء والمحتاجين في الحرم والمشاعر المقدسة، كما تم توزيع ٧٠١، ١٧١، ٢ رأساً على فقراء المسلمين في ثلاثة وعشرين بلداً.

وبهذا تسهم «شعيرة النحر» في المقصد الأسمى من مقاصد الاسلام، وهو الوحدة الحتمية لأمة التوحيد.

إن هذه الشعيرة، بما تؤكد عليه من قيم تربوية جليلة الشأن، عظيمة القدر، لتأخذ المؤمن بما ينبغى أن يكون عليه من عطاء موصول، ينسج خيوطاً وثيقة للمحبة والمودة والبر، الذى يغمر أمة التوحيد، ويقف سداً منيعاً دون أسباب الكراهية والبغضاء بين أبنائها.

إن وراء هذه الشعيرة، غايات شتى ومقاصد عدة، كفيلة بعلاج الكثير من أدواء الأمة وعللها المستحكمة.. غايات ومقاصد عظيمة، جديرة بدفع الأمة بأسرها، لكي تعيش - بحق - درس الأضحية، وما يستلزمه من تضحية!!.

الاسلام ... والاستنساخ البشري

الإنسان، خلقه رب هذا الكون - سبحانه - من العدم، تصديقاً لقوله تبارك **{هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً}** (الانسان/١).

وكان آدم عليه السلام أول إنسان خلقه المتعال، يقول ابن عباس رضي الله عنه: أمر تبارك بتُربة آدم فرفعت، فخلق الله آدم من طين لازب من حمأ مسنون.. قال: وإنما كان حمأ مسنونا بعد التراب، قال: فخلق منه آدم بيده[١].

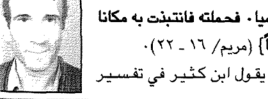
يقول ابن اسحاق[٢]: خلق الله آدم، ثم رفعه ينظر اليه اربعين يوما قبل أن ينفخ فيه الروح، حتى عاد صلصالا كالفخار، ولم تمسه نار، وقال: فلما مضى له من المدة ما مضى وهو طين صلصال كالفخار، واراد عز وجل أن ينفخ فيه الروح.. قال الله للملائكة **{إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعُوا له ساجدين}** (ص/ ٧١ و ٧٢).

هكذا خلق آدم عليه السلام من قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله، وجعله خليفته في الأرض، يقول الحق **{إني جاعل في الأرض خليفة}** (البقرة/٣٠)، ولما اراد الله تناسل الجنس البشرى خلق سبحانه حواء ليسكن اليها آدم.. فسر مجاهد رضي الله عنه قوله تبارك **{وخلق منها زوجها}** (النساء/١)، قال: حواء من قصيرى آدم، وهو نائم فاستيقظ فقال «أثا» بالنبطية، امرأة. ويقول قتادة رضي الله عنه: يعنى حواء، خلقت من آدم من ضلع من اضلاعه[٣].

تلك هي مشيئة الخالق القائل وقوله الحق **{إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون}** (يس/ ٨٢).

قدّر تبارك الجماع بينهما لتعمر الارض بالنسل والذرية.. فيخرج منهما الذكور والاناث، فيلتقي الذكر والأنثى تباعاً فيخرج من هذا النسل نسل، وذلك هو أساس إعمار الأرض .. قانون طبيعي .. من صنع الله القائل تبارك **{فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله}** (الروم/٣٠).. وهل بعد تنظيمه - جل وعلا - التناسل تنظيم آخر؟.. يقول الباري **{صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة}** (البقرة/ ١٣٨).

وهو بيده ملكوت كل شيء، ضرب استثناء يقصه سبحانه في قرآنه الكريم، يقول - بشأن عيسى عليه السلام وأمه مريم - **{واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا. فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً. قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا. قالت أنَّى يكون لى غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغيا. قال كذلك قال ربُّك هو عليّ هيّن ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا. فحملته فانتبذت به مكانا قصياً}** (مريم/ ١٦ - ٢٢).



يقول ابن كثير في تفسير

بقلم : د. رضا عبدالحكيم اسماعيل رضوان
- مصر -

الآيات[٤]: يقول تعالى مخبراً عن مريم انها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال انها استسلمت لقضاء الله تعالى فذكر غير واحد من علماء السلف ان الملك هو جبرائيل عليه السلام عند ذلك نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج فحملت بالولد بإذن الله تعالى.

هكذا كان مجيء المسيح من نفحات السماء بفعل رسول الله جبريل يجرى اللقاح على النمو المأمور به، فيقع التخصيب المراد ان يكون نواة لخلق الولد، خلافاً للنظام الفطري المسنون في لقاء الذكر بالانثى في الموضع الموصوف تصديقاً لذكره **{فاتوهن من حيث امركم الله}** (البقرة/ ٢٢٢) ذكر ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني الفرج.

التلقيح الطبيعي:

يفهم تنظيم التلقيح الطبيعي من خلال الوصف الشرعى لما يجرى داخل الرحم[٥]، حينما يستقبل ماء الرجل توطئة لبداية التفاعل المؤدى إلى النواة البشرية، يقول الحق **{فلينظر الانسان مما خُلق. خُلقَ من ماء دافق. يَخْرُجُ من بين الصُلب والتَّرائب}** (الطارق/ ٥:٧)، وقوله سبحانه **{ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين}** (السجدة/ ٨).. فبالتقاء ماء الرجل مع ماء المرأة تحدث عملية دقيقة للغاية بفعل التقاء الحيوان المنوى مع البويضة.. عبَّر المولى عز وجل عن نتيجة التفاعل بقوله **{إنا خلقنا الانسان من نُطْفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا}** (الإنسان/ ٢)، والنطفة الأمشاج هي النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، يختلطان ويمتشجان، بمعنى يذوبان في بعضهما البعض فتنتج مادة غير قابلة للفصل بين مكوناتها، وغلبة التأثير تكون هنا لماء الرجل الذى يحدد أولويات الجنس المنتظر ذكراً أو أنثى، مصداقا لقوله سبحانه **{وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. من نطفة إذا تُمْنَى}** (النجم/ ٤٥ و٤٦) والنطفة التى تُمنى هى

إضاءة

- دكتوراة في العلوم الجنائية.
- رئيس قسم الشئون القانونية بمديرية أمن الشرقية ـ مصر
من مؤلفاته:
- البث المباشر وتأثيره في تكوين السلوك الاجرامي.
- جرائم التقدم التكنولوجي في السياسة التشريعية المعاصرة.

نطفة الرجل.

ويصف الخالق أطوار النمو الجنينى عقب تحقق التخصيب **{ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين، ثم جعلناه نُطفة في قرار مكين. ثُم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مُضْغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين}** (المؤمنون/ ١٢:١٤).

إن أي ذات انسانية ما هي إلا مُضغة، وتتكون من جزئين: جزء مُخَلَّق، أي تام التصوير في ذات انسانية محددة وهي الخلايا الجسدية المكونة انسجة واعضاء واجهزه جسد الانسان، وجزء غير مخلق، اى غير تام التصوير بعد، وهى خلايا التناسل والتى تتحدد عند حدوث الاخصاب لينشأ خلقٌ جديد بإذن الله تعالى... وهذا يفسر اكتمال الدائرة التى توضح كيفية تكاثر الانسان وتتابع الخلق بعد الخلق، وصدق رب العالمين يقول **{فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مُخَلَّقَة وغَيْرَ مُخَلَّقَة لنُبين لكم ونُقرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مُسَمَّى ثم نخرجكُم طفلا}** (الحج/٥).

والمصطفى {صلى الله عليه وسلم} تحدث في تنظيم اللقاح والخصب[٦]، يقول صلوات الله وسلامه عليه حينما سئل عن الولد، فقال «ماء الرجل

ابيض وماء المرأة اصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيّ الرجل منىّ المرأة ذكر بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأة منيّ الرجل أنثى بإذن الله»[٧]. وفي حديث آخر.. قالوا: خبرنا كيف تؤنث المرأة؟ وكيف تُذَكّر؟ قال: «يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة اذكرت واذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت»[٨].

يقول سيد ولد آدم {صلى الله عليه وسلم} ان مصدر علمه هو من عند الله جل جلاله «لقد سألنا هذا عن الذى سألنى عنه ومالي علم بشيء حتى أتاني الله به» ويقول {صلى الله عليه وسلم} «ما من كل الماء يكون الولد» والمعنى الراجح محمول على كون الولد من جزء يسير منه.. كل هذه حقائق طبية مؤيدة بالدراسات العلمية المعاصرة.

وسيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} هو أول من تحدث في انتقال الخصائص الجينية من الاصل إلى الوارث، فيغتنم الاخير خصال الاول.. واثبات ذلك ما اخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن (هلال بن أمية) قذف امرأته عند النبي {صلى الله عليه وسلم} (بشريك بن سمحاء) فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}: «البينة وإلا حدّ في ظهرك» فقال يارسول الله إذا رأى احدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول: البينة وإلا حدّ في ظهرك، فقال هلال: والذى بعثك بالحق إنى لصادق، ولينزلن الله ما يبرىء ظهرى من الحد، فأنزل الله {والذين يرمون أزواجهم}.. (الآيات) حتى بلغ {إن كان من الصادقين} فانصرف النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول: «الله يعلم إن أحدكما لكاذب فهل منكما تائب؟» ثم قامت فشهدت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت: لا افضح قومى سائر اليوم فمضت .. فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} ابصروها فإن جاءت به اكحل العينين، سابغ الاليتين، خدلّج - أي ممتلىء لحما - الساقين فهو لشريك بن سمحاء، فجاءت به كذلك فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن»[٩].

التلقيح الصناعي وقضاياه الشرعية:

القائل تبارك **{وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء}** (العنكبوت/٢٢)، محيط بقدرات مخلوقه الذى خصه - سبحانه - بالعلم والمعرفة، ويعلم منذ الازل ما سيصل اليه اساطين العلم وافذاذه، فها هو جل وعلا يجزم بعدم اعجاز الانسان فيما يبتكره ويبتدعه - مستخدما اصول نظرياته العلمية - سواء علي بساط الارض، أو في رحاب السماء.. اذ لم يكن من الجائز في الزمن السابق على زمننا المصحوب بالتقدم العلمى الرهيب الذى امتطى فيه الانسان الفضاء .. ان يصدق السلف ارتياد الانسان للفضاء، وقد حدث كما ذكر الخالق عز وجل في هذه الآية الكريمة.. فصال الانسان في الفضاء وجال وادرك انه غير معجز ليس في الارض فحسب بل في الفضاء كذلك.

لكن هل توقف الانسان عن بحوثه العلمية وتجاربه؟.. لا.. لم يتوقف ولن يتوقف لأنه مخلوق مفطور على التفكير والعلم والمعرفه.. بل إن رب العالمين رفع العالم والمفكر والباحث العلمي درجات، تصديقاً لذكره الحكيم **{يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير}** (المجادلة/١١).

والمصطفي {صلى الله عليه وسلم} تحدث في قيمة بحوث العلم النافع، مؤكداً عليه الصلاة والسلام علو شأن اصحابها على طول الزمن .. فقد قال {صلى الله عليه وسلم} فيما رواه أحمد ومسلم «اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

واذا كانت بحوث الكيمياء التى اجراها علماء السلف خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر قد اذهلت البشرية بمعادلاتها وتفاعلاتها في هذا الزمن،

وإذا كانت بحوث الفضاء قد ازاغت الابصار منذ ثلاثة عقود ماضية.. فإن ما سجلته بحوث الطب والهندسة الوراثية في مجال تكنولوجيا الجينات يكاد يذهب بعقول كثيرين ممن لم يتفهم التصوير العلمي لحقيقة الاستنساخ الجينى من منظور الشرع الاسلامي.

اضف إلى نظام التلقيح الطبيعي شرعاً، بالتقاء المواد الجنسية في الوعاء الطبيعي المخصص وهو الرحم .. نجح علماء الطب والوراثة في تجارب التلقيح الصناعى وذلك بالجمع بين المادتين الجنسيتين للزوج والزوجه في وعاء خارج الوعاء الطبيعي وهو رحم الزوجه.. وفي داخل هذا ا لوعاء الصناعي تم تهيىء مناخ شبيه بذلك المناخ الجامع بين المادتين بشكل طبيعي، فتحققت نتائج الاختلاط متمثلة في حدوث اخصاب يمثل النواة البشرية.. ثم أعيد المكون المخصوب وأودع في مستودعه الطبيعي الاصلى وهو الرحم، ليحتضن النواة المخصبة ويمدها بالطاقة التكوينية العلوية المقدرة من لدن الحي القيوم، فتمر من طور إلى طور طبقاً للتسلسل الذى نصت عليه سورة المؤمنون الآيات من ١٢ : ١٤. في خلالها تُبث الروح بنفحة من نفحات السماء وذلك في وقت معلوم وقبل أن يصرخ الجنين صرخة الخروج إلى دنيا الفناء، وتصديق ذلك حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يقول: «ان احدكم ليجمع خلقه في بطن امه نطفة اربعين يوما ثم يكون في مثل ذلك علقة ثم يكون في مثل ذلك مضغة ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح»[١٠].

إن التلقيح الصناعي حدث علمي عظيم، تمكن فيه العلماء من تحقيق تجربة صناعية اسفرت عن توفير الظرف الذى من شأنه أن يغزو الحيوان المنوي للذكر البويضة الانثوية.. فالسبب أو العامل الذى من شأنه حدوث ذلك الغزو حقيقة الانسان بعلمه، ولكن الاخصاب والتلقيح تم بقدرة الله لا بقدرة العالم ولا بعلمه وصدق الرحمن يقول **{نحن خلقناكم فلولا تُصدقُون. أفرأيتم ما تُمْنُون. أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون}** (الواقعة/ ٥٧:٥٩).

هذا التلقيح الصناعي بالجمع بين المائين على النحو السابق تصويره.. ذاته هو المفهوم العلمي الدقيق لطفل الانابيب.. ويحمد للاجتهاد الاسلامي المعاصر في معظمه اقراره لشرعية اجرائه.. طالما الالتزام بضوابط الشرع قائم، وعدم اختلاط الانساب مأمون.. فلا شرعية في جمع مائين من غير زوجين شرعيين كما أن وسائل حفظ المواد الجنسية للزوجين في مستودعات للإستعمال المستقبلي، تحتاج إلى تبرير شرعي مقنع اذا رؤى اباحته؟! وذلك لانتفاء الضرورة التى تقتضى أن يخرج الرجل والمرأة موادهما الجنسية.. وذلك على اقل تقدير.

لم يقف العلم التجريبي عند مجرد التلقيح الجنسي الصناعي في اطار ما تقدم، بل اجرى العلماء المتخصصين في الطب والوراثة تجارب معملية أسفرت عن تحقيق تخصيب من خلال الجمع بين خلايا احيائية غير جنسية من انثى حيوان ثديي (الاقرب شبها للإنسان في خصائصه الجنينية) وخلايا جنسية من انثى حيوان من نفس الفصيلة .. ثم يرفع هذا المكون المخصوب الملقح من مستودعه الصناعي، واودع المستودع الطبيعي وهو رحم الانثى المأخوذ منها الخلايا الاحيائية غير الجنسية.. ليمر الجنين بالاطوار الطبيعية، وليخرج إلى النور - كما تؤكد المراجع الحديثة[١١] - مولود انثى كامل الشبه بأمه مصدر الخليه الاحيائية غير الجنسية (الضرع)، هذا المولود نسخة بدنية طبق الاصل لأمه[١٢].

لا بأس انه تقدم علمي منقطع النظير، مسبوق بطبيعة الحال بنجاح في مجالات العلوم وابرزها العلوم النباتية.. وهذا متوقع، فجميع عناصر البيئة سخرها الخالق لخدمة الانسان. وتصديق ذلك ذكره الحكيم **{والذي اخرج المرعى}** (الاعلى/٤)، وقوله **{أحلت لكم بهيمة الانعام}** (المائدة/١).. كل شيء

مسخر لخدمة بنى البشر **{سخر لكم ما في الارض}** (الحج/٦٥)، فهم خلقه المكرمين **{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا}** (الاسراء/٧٠) .. يطوع لهم تبارك المنافع في الدنيا **{ليشهدوا منافع لهم}** (الحج/٢٨).

إن (الاستنساخ) ما هو الا وليد لتجربة علمية كان الحيوان مادة اجرائها على غرار تجارب العلم في مواد النباتات وغيرها من مكونات الطبيعية الاحيائية، وليس هناك ما يتعارض مع الشرع من منظور العلم النافع، اللهم الا اذا ثبت علمياً ضرر متوقع ناشيء عن خرق نظام التناسل المقرر شرعاً.. لا شك أن الاستنساخ الحيواني تلى الاستنساخ النباتي، فكان لاحقاً عليه، اتبعت بشأنه اصول العلم الحديث فأصبح حقيقة واقعية .. يؤكد العلماء امكانية تحقيقها في عالم البشر اسوة بعالم الحيوان وعالم النبات.. اي ان استنساخ البشر واقع قادم ستظهره الايام مع الطموح العلمي البشري الذي يرفض أن يتوقف، ومن هنا تدق قيمة البحث العلمي الشرعي ودور الاجتهاد الاسلامي.

وعوداً على بدء، ان تجارب التلقيح الصناعي وابحاثه قد تطورت من نمط طفل الانابيب إلى نمط انسان الاستنساخ.. وكلاهما وليد تجارب من فعل العلماء يتحقق من خلالها التخصيب واللقاح، ففي طفل الانابيب تكون مواد التجارب مواد جنسية طبيعية مأخوذه من الزوجين، اما في الاستنساخ تكون مواد التجارب على معادلة مغايرة للمعادلة السابقة، حسب الشرح المتقدم .. والملقح الصناعي سواء أكان جامعا عناصر نواة طفل الانابيب أو عناصر نواة انسان الاستنساخ لا يأتى المنتج الانساني الا ببداية نواته التى تحققت صناعياً داخل الرحم فتغتنم القوة العلوية الالهية الدافعة للمرور بأطوار النمو التي ذكرت سابقاً، وفي زمنها تبث الروح وتلك قدرات الهية تخرج عن قدرات اهل العلم من البشر، والذين انتهت قدرتهم عند مرحلة تحقيق السبب في الاخصاب لا الإخصاب ذاته ولا ما يتلوه من اطوار التكوين الخلقي أو البث الروحي.

والاستنساخ في اللغة العربية.. (تناسخ) الشيئان: نسخ احدهما الآخر. يقال: أبلاه تناسخ الملوين: أي الليل والنهار. وتناسخت الاشياء كان بعضها مكان بعض.. (استنسخ) الشيء: طلب نسخه.. (التناسخ): انتقال الروح بعد الموت من بدن إلى آخر. وقد قال بهذا بعض مفكرى الضوء وفيثاغورس من اليونان، وعرف في العالم الاسلامي.. (النسخة): صورة المكتوب .. ويقابلها في اللغة الفرنسية كلمة Transcription.

اما في الاصطلاح العلمي الدقيق والمنقول عن الانجليزية «انزيم النسخ العكسي» Reverse Transcriptase .. وحيث المسمى العلمي المتعارف عليه عند علماء الطب والوراثة فهو من عناصر العملية العلمية التي يطلق عليها كلونه Cloning، ويعرفها اهل الاختصاص: عملية تنتج بها من خلية واحدة وبطريقة غير جنسية مجموعة من الخلايا (كلونات) كلها متطابقة وراثيا في تكنولوجيا الدنا المطعَّم يُسمى استخدام الاساليب المختلفة لإنتاج نسخ عديدة من جين واحد أو من شطية الدنا، يسمى «كلونه الدنا».

واخيراً يفرض الواقع سؤالا على قدر كبير من الاهمية.. من المنظور العقائدي الخالص.. هو .. (كيفية حدوث التلقيح المؤدى إلى هذه النسخة البشرية؟ في حين أن المعتقد الشرعى الثابت هو اجتماع المواد الجنسية بين الذكر والانثى حتى يتم التخصيب).

ان تفسير ما حدث توضحه لنا آية الذكر الحكيم فى قوله جل وعلا **{خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها}** (الزمر/٦).. صنف البارى تبارك الجنس البشرى إلى ذكر وانثى، ولأن كليهما تتفرع عن اصل واحد، فإن لكل منهما خصائص

الذكورة والانوثة في آن واحد، فليس هناك ذكر دون ان يضم تكوينه البدنى خصائص الانثى، وليست هناك انثى دون ان تضم في تكوينها البدنى خصائص الذكر.. فالاصل الذى انبثق منه الذكر والانثى اصل واحد مجموع فيه خصيصه الذكر وخصيصة الانثى .. فإذا اجتمعت - في الوعاء الصناعي - خلية احيائية غير جنسية لأنثى مع خلية جنسية لأنثى أخرى .. فلا غرابة ان يحدث اللقاح لتحقق المعادلة التي تقضى باجتماع خصائص الذكوره المنبثقة عن الانثى، فتلتقى بخصائص الانوثة (الموجب مع السالب).. والدليل على هذا قائم.. فالله سبحانه خلق آدم وفيه خصائص انثاه، وحينما اتى أمره نزعت الانثى منه من ضلع من اضلاعه، فما خلق آدم الا وفيه مخصص بدنى لأنثاه، وما وجدت حواء الا وفيها خصائص الذكر.. الم يخرج عيسى عليه السلام من انثى بلا ذكر؟!.

وصدق في قوله سبحانه: {**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**} (فصلت/ ٥٣).

الهوامش:

(١) محمد بن جرير الطبري «تاريخ الطبري» مكتبة التراث الاسلامي جـ٢ ص ١٠١..

(٢) تاريخ الطبري، المرجع السابق ص ١٠٥ فقرة ١٥٨.

(٣) تاريخ الطبري، المرجع السابق ص ١١٥ الفقرتان ١٨١ و١٨٣ في الأسانيد الصحيحة غير الضعيفة.

(٤) ابن كثير «*تفسير القرآن العظيم*» دار الحديث جـ٣ ص ١١٣.

(٥) بحث اعدته هيئة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة بإشراف د. عبد الله المصلح. منشور بالمجلة العربية بعنوان «طبيب يتقدم لهيئة الاعجاز العلمي بـ ٤ ابحاث لمحاولة فهم آيات الخلق في سورة الحج» العدد ٢٢٢ ديسمبر ١٩٩٥ رجب ١٤١٦هـ.

(٦) بحث بعنوان «ماء الرجل يحدد الذكورة والانوثة» المجلة العربية العدد ٢٢١ نوفمبر ١٩٩٥م جمادى الآخرة ١٤١٦هـ.

(٧) اخرجه مسلم في صحيحه جـ١/ ٢٥٢.

(٨) رواه ابن عباس وأشير الى روايته من احمد والطبراني ورجالهما ثقات.

(٩) فتح البيان ج ٦ ص ٣٢٦ والدر المنثور ج ٥ ص ٢٢.

(١٠) صحيح مسلم باب القدر الخبر السادس عشر بشرح النووي.

(١١) مراجع د. أحمد مستجير، ترجمة «الشفرة الوراثية للإنسان - القضايا العلمية والاجتماعية لمشروع الجينوم البشرى» عالم المعرفة، العدد ٢١٧ يناير ١٩٩٧م، مؤلفه «*الهندسة الوراثية وامراض الانسان*» مركز النشر جامعة القاهرة ١٩٩٤م «*العصر الصناعي للبيوتكنولوجيا*» القاهرة الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٠م.

... د. عبد الله الغامدي «*مدخل إلى علم الوراثة*» السعودية، دار المريخ ١٩٩٣.

... عبد الباسط الجمل «*الهندسة الوراثية ومصير الانسان*» الهيئة العامة لقصور الثقافة مكتبة الشباب العدد ٥١.

... د. وجدى عبد الفتاح سواحل «الاستنساخ الحيوي البشري حقيقة أم خيال» مجلة الفيصل مايو ١٩٩٦، العدد ٢٤٦.

... د. مصطفى محمود حلمي «آخر قنابل هندسة التناسل» مجلة العربي يونيو ١٩٩٧، العدد ٤٦٣ ص ٦٤.

(١٢) د. أحمد شوقي «مولد دوللي .. التحليل الثقافي للضجة» مجلة سطور العدد ٥ ابريل ١٩٩٧ ص ٦٨.

موضوع الاستنساخ هذا أخذ ضجة كبيرة بين العلماء (إيجاباً ونفياً) .. وزيادة في الافادة العلمية نسعد بنشر هذا التحليل العلمي نقلاً عن الزميلة الغرّاء (جريدة الشرق الأوسط)

بعد فشل المراكز العالمية في تكرار هذه التقنية :

التساؤلات المطروحة حول مصداقية الاستنساخ تجبر العلماء على إجراء فحوصات وراثية للنعجتين «دولي» و«الأصل»

انتقد عدد من العلماء القياديين تفاصيل تقنية الاستنساخ التى نشرت منذ سنة في مجلة «نيتشر» العلمية الصادرة في بريطانيا.

وعبر العلماء عن هذا الانتقاد بشكل علني لأول مرة حيث شككوا في مصداقية تقنية الاستنساخ بشكل عام، وهناك جدل في أن تكون النعجة التاريخية «دولي» التى استنسخت من خلية من ضرع نعجة اخرى عمرها ست سنوات كائناً مستنسخاً بشكل حقيقي.

وادعى النقاد أن البحث الأصلي المنشور حول تقنية الاستنساخ فشل في إثبات أن النعجة دولي وأمها لديهما تطابق كامل في البنية الوراثية. وأتت هذه الشكوك بعد فشل مراكز البحوث العالمية من تكرار تجربة دولي واستنساخ حيوانات كهلة من خلية جسدية.

وسلط هذا الفشل الأضواء على مصداقية تقنية الاستنساخ بشكل عام. وإذا ثبت انها غير صحيحة، فسوف تبدأ حلقة البحث عن هذه التصورات العلمية الخيالية التي جسدتها الأفلام والكتابات المتعددة من جديد.

ومنذ أن أعلن علماء معهد روزلن قرب ادنبره بقيادة البروفيسور ايان ويلمت عن هذه التقنية التي بدلت القوانين الأخلاقية والاجراءات القانونية التى تحكم الاستنساخ وآخرها كانت معاهدة تحريم استنساخ البشر التي وقعت في باريس، لم يستطع أحد من الباحثين تكرير هذه التجربة رغم المحاولات المتعددة على الحيوانات.

رأي آخر:

وفي محاولة لتأكيد مصداقية هذه التقنية والرد على الانتقادات قام علماء معهد روزلين وشركة (PPL) التى تمتلك حقوق تسويق ابتكارات المعهد تجاريا،

أوكسفورد من :
د. اسماعيل الخطيب

بالطلب من فريق علمي ابداء وجهة نظر محايدة لتحري بنية النعجة المستنسخة من الناحية الوراثية (الجينية).

وأوكل العلماء لاحدى الجامعات الأميركية التي لم يذكر اسمها مهمة اجراء اختبارات مقارنة الحمض النووي المنقوص الأوكسجين (DNA) للنعجة «دولي» مع مورثات نعاج أخرى استخدمت في التجارب.

وقد ازداد الضغط على فريق معهد روزلين عندما قال البروفيسور ولترجلبرت الحائز على تقدير من لجنة نوبل واللجنة الدولية في الكيمياء الجزئية في جامعة هارفارد، أن الورقة العلمية التي قدمها فريق روزلين لمجلة «نيتشر» كان يجب أن لا تنشر بالشكل الذى كانت عليه، لأنها لم تتضمن معلومات كافية عن الخلية الثديية التي اخذت من النعجة.

وما زاد الجدل حدة هو أن الخلية المأخوذة منها النواة وانتجت النعجة «دولي» على اسم المغنية المشهورة دولي بارتون ـ كان مصدرها نعجة ماتت قبل ولادة دولي بثلاث سنوات حيث حفظت خلايا اضلاعها واثدائها بعد موتها بتقنيات التجميد من اجل غايات اخرى، لذلك من المستحيل أن تتم مقارنة مباشرة بين المادة الوراثية لـ «دولي» والمادة الوراثية للنعجة الأم.

واستطاع فريق روزلين فقط مقارنة الـ (DNA) لدولي مع خلايا ثديية مصدرها من شركة (PPL) وهذه الشركة حصلت على الخلايا بدورها من مركز آخر يدعى (Hannah Research) قرب منطقة (Ayr) التي يعتقد انها مأخوذة من نعجة حامل عمرها ست سنوات.

وعلق جلبرت قائلا: «انعدام القدرة على التوصل الى النعجة التي استنسخت منها دولي يعتبر اكبر فشل لهذه التجربة ومن المستغرب ألا يكون هناك مصدر للخلايا المتبرعة من الحيوانات الموجودة في المعهد نفسه».

نقاط خلاف:

تمت تقنية استنساخ دولي بواسطة نقل نواة خلية جسدية الى بيضة نعجة اخرى غير ملقحة نزعت مادتها الوراثية. وهذا يعنى أن خلايا النعجة «دولي» يجب أن تحتوي على نواة مشابهة في بنيتها الوراثية للنعجة التى اخذت منها الخلية الجسدية، وعلى مادة وراثية خارج النواة مشابهة لبنية النعجة الأخرى التي قامت بتزويد البيضة المنزوعة النواة.

وطلب الدكتور آلان كولمان مدير شركة (PPL) من الجامعة الأميركية الحيادية أن تتحرى البنية الوراثية خارج النواة من خلال كشف مورثات جسيمات الطاقة التي تدعى (الميتوكوندريا) لكي يتم التأكد مما اذا كان مصدره من النعجة التى زودت البيضة. فاذا كانت المادة الوراثية قادمة من نفس مصدر النواة فهذا يعني أن دولي لا تعتبر نسخة حقيقية.

كما سيتم اجراء تجربة حيادية أخرى في أحد المعاهد البريطانية لمقارنة بنية الـ DNA للنعجة دولي مع الـ DNA التابع للنعجة الأم من خلال الخلايا المحفوظة في معهد «هانا» الذي يعتبر المصدر الأساسي. ودافع آلان كولمان عن تقنية الاستنساخ بقوله: «انني مقتنع تماما بأن الخطوات التي أجريناها في التجارب علمية، وكذلك كانت النتائج علمية لكن كانت هناك أمور أخرى كان بامكاننا اجراؤها لجعل هذه التقنية العلمية اكثر اقناعا مما هي عليه الآن».

وقال البروفيسور ريتشارد جاردنر اختصاصي علم الأجنة في جامعة اوكسفورد، أن الدراسة الأصلية التي نشرت في مجلة «نيتشر» مهمة جدا لمعرفة ما اذا كان علماء معهد روزلين قد توصلوا الى نتائج غير مقصودة ربما تكون في مصلحة البحث العلمي.

وكان قد أكد هذا الموضوع العالم هاري جريفن الذي التقاه فريق «الشرق الأوسط» اثناء زيارته لمعهد روزلين في السنة الماضية حيث قال: «ان استنساخ دولي أتى بالصدفة ولم يكن المقصود بالأبحاث هو انتاج حيوان متطابق في الصفات الوراثية انما كان الهدف تحسين النسل وانتاج بروتينات ومواد علاجية».

تحليل:

وقال نورتن زيندر استاذ المورثات الجزئية في جامعة روكفلر في نيويورك، أن هناك تفسيراً منطقياً قد يحل الجدل القائم حول منشأ دولي، وهو أن النعجة المأخوذة منها الخلية الجسدية كانت حاملا وطالما أن الخلايا الجينية يمكنها أن تعبر المشيمة وتنتقل الى الجريان الدموى للأم فقد يكون مصدر دولي هو خلية جينية وليس خلية جسدية، وقد يعود فشل محاولات الاستنساخ الى هذا التفسير. وفي البحث الأصلى اجرى علماء روزلين اكثر من ٢٧٧ محاولة حتى تمت ولادة دولي وخلال هذا العدد الكبير من التجارب فمن المحتمل انه حدث خطأ متوقع أو غير متوقع.

ويوافق لويس ويلبرت الأستاذ في جامعة «يونفيرستي كوليدج» في لندن على الطرح السابق بقوله: «إن التجربة التي لا يمكن تكرارها لا تعتبر حقيقة علمية، ويجب وضع اشارات استفهام حولها».

السنة النبوية والبحث العلمي

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعتبر البحث العلمي من المسلمات الأساسية للمؤمن، الذى يتخذ العلم وسيلة من وسائل الحوار العقلاني داخل فضائه الانتروكوني، سواء داخل مجتمعه أو في المحافل الدولية، أو في علاقته مع العالم الكوني الذى يؤدى إلى الحوار المباشر مع آيات الله الكونية.

وقد يجد الانسان نفسه مشدودا للدين الاسلامي، خاصة عندما يشعر بأن هذا الدين هو الذي قاد الأمة الاسلامية نحو الرقي في زمن لم يشهد التاريخ مثله من الانحطاط المعرفي والاجتماعي والاخلاقي، وبمجيء الاسلام تحولت كل المعارف المتداولة في معجم الانسان، حيث قام ببناء حضارة على أرضية راسخة ومتناسقة البنيان، بعيدا عن أسلوب المماطلة المصيرية والتصنع الهيكلى والزخرفة الاستاتيكية.

فلنجعل ديننا الحنيف وجهة قبلتنا ونور طريقنا لمعرفة القضايا التى يطرحها رب العزة في كتابه الكريم حتى نصل إلى غايتنا السامية.

السؤال المطروح في هذا البحث هو:

كيف يمكن لإنسان أمي التحدث عن مستقبل أرض العرب التى ستتحول مستقبلا - إن شاء الله - مروجا وأنهارا؟ ومن الذى أخبره بذلك خاصة وهو يتواجد في منطقة صحراوية لا تعرف سوى كثبان من الرمال؟

والسؤال الموازي لما سبق هو:

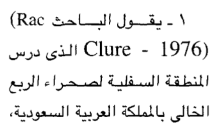
هل كانت الصحراء متميزة بوديان وبحياة مخضرة؟. ذلك ما سنحاول - إن شاء المولى تعالى - تبيانه في هذا المضمار.

يقول بعض الباحثين في مجال الدراسات الجيولوجية، وفي علم الآثار القديمة، إن المياه السائلة العذبة في العالم تتوزع بين ١٥٪ وهى موجودة في جميع الأنهار والبحيرات الظاهرة، والـ ٨٥٪ الأخرى تكون موجودة في باطن الأرض كمياه جوفية.

وعلى سبيل المثال والتوضيح:



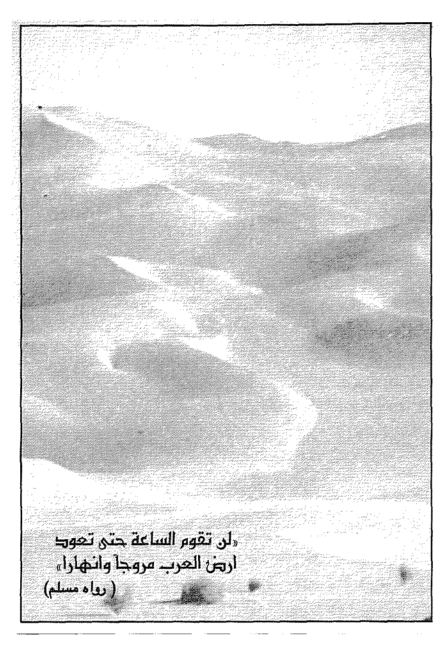
١ - يقول الباحث (Rac Clure - 1976) الذى درس المنطقة السفلية لصحراء الربع الخالى بالمملكة العربية السعودية،



بقلم : د. ادريس محمد الخرشاف
- كلية العلوم - الرباط - المغرب -

إن هناك بحيرات موجودة تحت الصحراء، كما وجد فيها منسوب المياه قد ارتفع إلى ضعفين، مرة في فترة المطيرة، ومرة في فترة الهولوسين (ما بين ٣٦ ألف سنة و١٧ ألف سنة قبل عصرنا الحاضر).

ثم يستطرد قائلا: «وفي خلال هذا الوقت، كان الربع الخالي غنيا بالنباتات والأعشاب والحشائش الطويلة، كما وجدت غابات قزمية وأحراش، وفي هذه الأجواء عاشت مختلف أنواع الحيوانات المختلفة، حيث وجدت آثار للجاموس وفرس النهر، والبقر الوحشي (ابحاث ١٩٨٤م).



٢ - وفي سنة ١٩٨٣، قام الباحث Wi Thney بأبحاث تبين من خلالها أن عصر ما بعد الجليد قد أدى إلى درجة حرارة مرتفعة مما زاد في معدل التبخر من المحيطات وخاصة في المناطق الاستوائية والمدارية.

ثم يضيف إلى أبحاثه فكرة الأودية، التى عثر عليها من خلال المسح الجيولوجي بواسطة الاقمار الاصطناعية، يوضح أنه خلال الفترة الممتدة ما بين ٨٥٠٠ و ٥٢٠٠ سنة، عادت أودية شبه الجزيرة العربية الى الجريان بعد الفترة الجافة التى شهدتها المنطقة (حيث عرفت مناخا صحراويا شديد الجفاف).

وقد بدأت فترة الجفاف الحالية في شمال المنطقة في النفوذ قبل ٥٢٠٠ سنة تقريبا، أما في صحراء الربع الخالي فإن مؤشرات الجفاف لم تبدأ إلا قبل ٦٠٠٠ سنة (Rac chure 1976) وهذه الأبحاث وجدت صدى لها عند الباحثين أمثال: . Flohr Nicp 1980. Raley 1979 .Kutgbad 1981

٣ - كما عثر الباحث Arthon من دائرة المسح الرادارى بأميركا سنة ١٩٨٤ في الجزيرة العربية على تربة قديمة - تحت رمال الهناء، شمال شرق المدينة المنورة وفي مناطق أخرى - من الحصى سُمكها ما بين ٣٠ الى ٤٠ سم.

ـ النهر الذي يخترق شبه الجزيرة العربية

٤ ـ أما الباحث المسلم د. فاروق الباز ـ رئيس قسم الاستشعار عن بعد في جامعة Buston (usa) ، فقد بين بصور وحجج مادية وجود وديان كثيرة تتخلل الشعاب الشرقية لجبال الحجاز غرب السعودية وتصب هذه الوديان كلها في وادي رماح، حيث أوضحت الصور المرسلة عن طريق الاقمار الاصطناعية عن وجود هذا النهر الذى يلتقى بحفر الباطن شمال شرق المملكة.. (جنوب غرب الكويت) ويكون دلتا لهذا النهر عند غرب الكويت وشمال غربها.

كما بين من خلال الدراسات والأبحاث في هذا المجال، عن وجود كمية كبيرة من الحصى على سطح صحراء الكويت، وهذا الحصى يتكون من صخور نارية وبركانية لا توجد في الكويت، ولكنها موجودة بكثرة في الجبال الغربية للمملكة العربية السعودية (شمال المدينة المنورة)، مما يعنى أن هذا الحصى قد نقل من الجبال الموجودة بالجزيرة العربية إلى الكويت عبر مسافة تزيد عن ٨٠٠ كم (انظر الشكل)، وأضاف فكرة تجديد المياه الجوفية في مسار هذا النهر الذى يمر ببريدة وعنيزة والدهناء، بواسطة الأمطار التى تهطل على جبال الحجاز كل شتاء.

والأهمية الثانية لوجود هذا النهر هو وجود آثار للانسان القديم، الذى لابد أنه عاش على جانب النهر في العصور السالفة، وذلك قبل ٥٠٠٠ سنة.

فضلا عن كل هذا، فإن الأمر لم يقف عند صحراء الجزيرة العربية، بل يشمل كذلك مناطق أخرى عربية، نذكر منها على سبيل المثال: شمال افريقيا حيث تبين الدراسات والأبحاث أن المياه والقنوات كانت موجودة في فترة تتراوح بين مليونين و٤٠٠٠ سنة في منطقة الصحراء الغربية (الصحراء المتدة من الحدود المصرية السودانية إلى منطقة هضبة الجلف الكبير بليبيا).

ولقد قام علماء في مكتب المسح الجيولوجي الأميركى للصور الرادارية للأرض بعملية مسح هذه المنطقة الصحراوية أثناء مرور رادار المكوك الفضائي الاميركى Colurbia (حيث اخترق الرادار مساحات شاسعة من الصحراء لا تزيد سماكة طبقة الرمال عن بضعة أقدام، والذي أعطى له اسم ممر Sir - A - PATH وممر SIR -B- PATH.

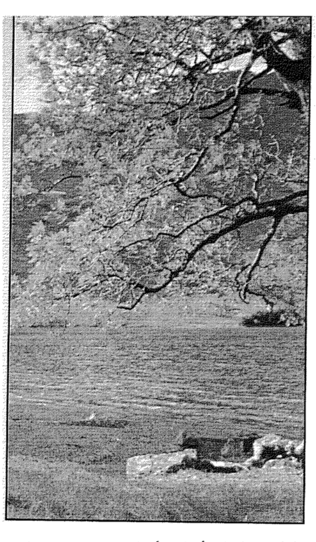
وفي سنة ١٩٨٤ أعيد رسم خرائط معالجة ومأخودة من Landsat حيث اكتشفت حفريات وفؤوس يدوية حجرية يرجع تاريخها إلى ٢١٢ ألف سنة نقب عنها فيما بعد.

٥ ـ كما أن الحفريات التى أجريت في العام ١٩٨٧ قرب الاماكن المائية ـ ما قبل التاريخ ـ التى اكتشفها الرادار في الصحراء الغربية كشفت عن بقايا آلاف عدة من الاسماك والأحياء البرمائية والثدييات الصغيرة، مما دفع الباحثRAC Colly وزملاءه في مكتب المسح الجيولوجي لطرح أطروحة اتصال الاشياء المكتشفة بالرادار بمصادر المياه في وادى النيل قبل ١٠٠ ألف سنة ، وعلى بعد ٣٠٠ كم شرقا.

وهكذا يتضح لنا من خلال هذه الاطلالة البسيطة على الحديث النبوي الشريف، أن ما ذكره الرسول {صلى الله عليه وسلم} منذ ١٥ قرنا تقريبا، لم يتعرف عليه الانسان إلا بعدما صنع الأقمار الصناعية والرادارات الفائقة التكنولوجيا، في حين أن النبي {صلى الله عليه وسلم} لم يعش في العصور السالفة والممتدة على آلاف السنين ـ قبل ٥٠٠٠ سنة ـ فضلا عن أميته {صلى الله عليه وسلم} مصداقا لقول رب العالمين: {فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله} (الاعراف/١٥٨) كما يقول رب العزة: {هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة} (الجمعة/٢).

وهناك أبحاث أخرى موازية على مستوى المغرب العربي، كل ذلك يجرى بديار الغرب فقط.

نتيجة: من الدراسات السابقة، يتبين لنا أنه من الواجب علينا تعميق دراسة ديننا الاسلامي الحنيف، وآياته الخالدة والعقلانية التى يجب أن



نتعامل معها على أساس أنها جاءت من عند خالق هذا الكون، ويتطلب ذلك منا دراسة كل الأمور التى وردت في قرآننا وسنة نبينا بكل بصيرة وتعقل، ونجعلها وسيلة من وسائل خطابنا العلمي، حتى نخرج من القوقعة المضروبة علينا، ومن التصدع الذى أصاب أمتنا الاسلامية أمام التيارات الجارفة.

فنحن مطالبون إذن، بالتعريف بديننا الحنيف وفق المعادلة الربانية: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن} (النحل/ ١٢٥).

لأن فى ذلك ضمانا لاستمرارية وجودنا، وفي ذلك المنزلة الرفيعة لحياتنا، وفي ذلك أيضا الحياة الزاهرة الدنيوية والأخروية إن شاء الله تعالى.

إحصاء :

المسلمون في العالم

(دراسة إحصائية)

ينتشر الاسلام اليوم في سائر بقاع الأرض بحيث يمكن القول أن المسلمين يتواجدون في كل دول العالم تقريبا. ويختلف عدد المسلمين في دول العالم اختلافا بينا، فهناك دول يصل تعداد المسلمين فيها إلى نحو ١٧٥ مليون مسلم، بينما هناك دول يصل تعداد المسلمين فيها إلى أقل من ألف مسلم. وقد قام كاتب هذا المقال بعمل إحصاء شامل لعدد المسلمين في سائر دول العالم طبقا للاحصاءات والتقديرات السكانية المنشورة لعام ١٩٩٦م (١٤١٧هـ)، واتضح من هذا الاحصاء أن عدد المسلمين فى العالم كله في العام المذكور يبلغ نحو ١٣٨٥ مليون (أى مليار وثلاثمائة وخمس وثمانون مليون) نسمة من مجموع عدد سكان العالم في تلك السنة والبالغ نحو ٥٧٥٢ مليون نسمة بنسبة مئوية تبلغ ٢٤٪ أى نحو ربع سكان العالم. وتختلف المصادر الاسلامية التى تدرس سكان العالم الاسلامى عن المصادر الغربية (المسيحية) اختلافا كبيرا عند ذكرها لأعداد ونسب المسلمين في الكثير من دول العالم، وخاصة الدول الأفريقية، وذلك بسبب غياب الاحصاءات الرسمية للعديد من تلك الدول، وبسبب الأنظمة العلمانية فى تلك الدول والتى تحظر إحصاء السكان على أسس عقائدية فلا تظهر في تقديراتها وبياناتها الرسمية أعداد أصحاب الديانات، وخاصة الدين الاسلامي.

وتميل المصادر الغربية إلى التقليل من أعداد المسلمين في دول العالم للتهوين من شأنهم، بينما تميل بعض المصادر الاسلامية إلى تضخيم أعداد المسلمين في بعض دول العالم، وفي هذا الصدد اعتمدنا على أكثر المصادر الاسلامية اعتدالا عند ذكرنا لأعداد المسلمين في الدول التي ليس لديها إحصاءات رسمية بأعداد المسلمين، وكلها دول أفريقية (أنظر المراجع المستخدمة في نهاية المقال).

توزيع المسلمين على القارات المختلفة:

يشتمل العالم جغرافيا على خمس مناطق كبرى أو قارات هي:

قارة آسيا: وعدد سكانها عام ١٩٩٦م يبلغ نحو ٣٤٧٠ مليون نسمة.

قارة أفريقية: وعدد سكانها عام ١٩٩٦م يبلغ نحو ٧٣٨ مليون نسمة.

قارة أوربا: وعدد سكانها عام ١٩٩٦م يبلغ نحو ٧٣٥ مليون نسمة.

القارة الأمريكية: وعدد سكانها عام ١٩٩٦م يبلغ نحو ٧٨٠ مليون نسمة.

قارة أستراليا والأوقيانوسيا: وعدد سكانها عام ١٩٩٦م يبلغ نحو ٢٩ مليون نسمة.

ويتواجد المسلمون في تلك القارات بنسب متفاوتة، وقد قمنا باحصاء أعداد المسلمين في كل قارة على حدة، ونسبة هذه الأعداد إلى مجموع السكان الكلي فحصلنا على النتائج المبينة بالجدول رقم (١):

ومن هذا الجدول يتضح أن عدد المسلمين في قارة آسيا (أكبر قارات العالم في عدد سكانها) يبلغ حوالى ٩٣٠ مليون نسمة من مجموع سكان القارة البالغ نحو ٣٤٧٠ مليون نسمة بنسبة تبلغ نحو



بقلم : أ.د. عادل طه يونس
كلية التربية للبنات - جدة -

م اليوم

٢٧٪ من مجموع السكان أى أكثر من ربع سكان القارة. وفي أفريقية يبلغ عدد المسلمين نحو ٤١٠ مليوناً من مجموع السكان البالغ نحو ٧٣٨ مليون نسمة بنسبة تبلغ حوالي ٥٦٪ من مجموع سكان القارة مما يعنى أن أكثر من نصف سكان القارة هم من المسلمين ، وبذلك يمكن اعتبار القارة الأفريقية قارة مسلمة إذا اعتبرنا أن تواجد المسلمين بنسبة تزيد عن نصف عدد السكان في أى منطقة يسمح لنا بوصف تلك المنطقة بأنها مسلمة.

وبذلك نرى أن عدد المسلمين فى قارتي آسيا وأفريقية يبلغ نحو ١٣٤٠ مليون نسمة وهو ما يشكل حوالى ٩٧٪ من مجموع المسلمين في العالم كله والبالغ نحو ١٣٨٥ مليون نسمة، ويتواجد باقى المسلمين وعددهم نحو ٤٥ مليون نسمه (ويشكلون ٣٪ من مجموع مسلمي العالم) في باقى قارات العالم، حيث

إضاءة

** أ.د. عادل طه محمد يونس:

- حصل على الدكتوراه في العلوم الرياضية والفيزيائية عام ١٩٧٦م.
- يعمل أستاذا للرياضيات التطبيقية بجامعة الأزهر منذ عام ١٩٨٩م.
- يعمل حاليا أستاذا للرياضيات بكلية التربية للبنات بجدة (الأقسام العلمية).
- له العديد من المقالات المنشورة بمجلات منار الاسلام والوعي الاسلامي، ومجلة العلم والمجتمع التى تصدرها منظمة اليونسكو.
- له العديد من المؤلفات المنشورة منها:

المسلمون في العالم، الكويت١٩٨٠م.
العالم الاسلامي اليوم، القاهرة ١٩٩٠م.
رواد العلم في القرن العشرين: ثلاثة أجزاء ١٩٩٤، ١٩٩٥، ١٩٩٦، دار الفكر العربي - القاهرة.

جدول رقم (١)

القارة	عدد السكان بالمليون	عدد المسلمين بالمليون	النسبة المئوية
آسيا	٣٤٧٠,٣٥٠	٩٣٠,٣١٠	٪٢٦,٨٠
أفريقية	٧٣٨,١١٠	٤١٠,١٦٠	٪٥٥,٥٧
أوربا	٧٣٤,٦٨٠	٣٦,١٢٥	٪٤,٩٢
أمريكا	٧٧٩,٨٦٠	٧,٥١٥	٪٠,٩٦
أستراليا والأوقيانوسيا	٢٨,٤٩٠	٠,٦٩٠	٪٢,٤
المجموع للعالم كله	٥٧٥١,٤٩٠	١٣٨٤,٨٠٠	٪٢٤

يعيش منهم حوالى ٣٦ مليوناً فى قارة أوربا بنسبة تبلغ حوالى ٥٪ من مجموع سكان القارة، كما يعيش حوالى ٧ر٥ مليون مسلم في القارة الأمريكية بأقسامها الأربعة (أمريكا الشمالية والجنوبية والوسطى وجزر الكاريبى) وذلك بنسبة تبلغ حوالى ١٪ من مجموع سكان تلك القارة والبالغ نحو ٧٨٠ مليون نسمة.

وأخيرا يعيش حوالي ٧٠٠ ألف مسلم في القارة الاسترالية ومجموعة جزر المحيط الهادى المعروفة بالأوقيانوسيا، وذلك بنسبة تزيد عن ٢٪ من مجموع سكان تلك المناطق والتى تبلغ ٥ر٢٨ مليون نسمة.

المسلمون بين أصحاب الديانات والعقائد المختلفة في العالم:

تحدد المصادر الغربية، وعلى رأسها دائرة المعارف البريطانية والكتاب البريطاني السنوي، بدقة كبيرة أعداد أصحاب الديانات والعقائد المنتشرة في العالم، وتقلل في المقابل من أعداد المسلمين كما ذكرنا، وقد قمنا بالاستعانة ببعض تلك المصادر لبيان وضع المسلمين في العالم بين أصحاب الديانات والعقائد المختلفة، واتضح لنا أن المسلمين هم أصحاب ثانى أكبر ديانة في العالم من حيث العدد، بعد المسيحية، حيث يشكل المسيحيون بمختلف طوائفهم (الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت وغيرها) نسبة ٣٤٪ من مجموع سكان العالم، بينما يشكل المسلمون نسبة ٢٤٪ من مجموع سكان العالم، ويشكل أصحاب الديانات والعقائد المختلفة باقى النسبة وهي ٤٢٪ من سكان العالم.

وفي الجدول رقم (٢) نذكر أعداد أصحاب الديانات والعقائد المختلفة في العالم طبقا لتقديرات عام ١٩٩٦م (١٤١٧هـ).

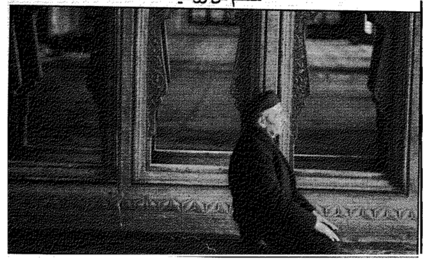
جدول رقم (٢)

الدين أو المعتقد	عدد أتباعه بالمليون	النسبة المئوية
المسيحية	١٩٥٥.٥٠٠	٪٣٤
الاسلام	١٣٨٤.٨٠٠	٪٢٤
الهندوسية	٧٧٦.٤٠٠	٪١٣.٥
البوذية	٣٤٥.٠٠٠	٪٦
السيخية	٢٠.١٠٠	٪٠.٣٥
اليهودية	١٣.٢٠٠	٪٠.٢٣
الكونفوشيوسيه	٦.٩٠٠	٪٠.١٢
البهائية	٥.٧٥٠	٪٠.١٠
الوثنية (المعتقدات البدائية)	٨٠٥.٠٠٠	٪١٤
اللادينية (الالحاد)	٢٤٠.٠٠٠	٪٤.٢
معتقدات أخرى	١٩٨.٨٤٠	٪٣.٥
المجمـــوع	٥٧٥١.٤٩٠	٪ ١٠٠

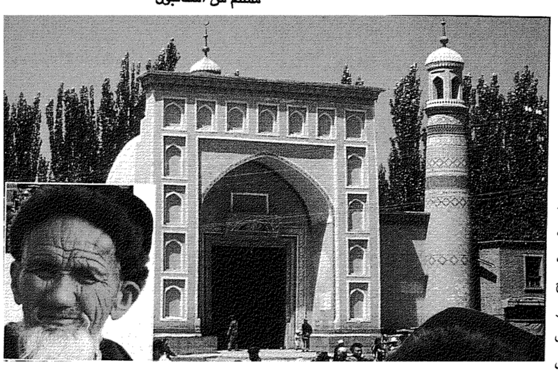
ومن هذا الجـــدول نرى أن هناك نحو ١٩٥٥ مليون مسيحى في العالم يقابلهم نحو ١٣٨٥ مليون مسلم، وأن هناك نـحـو ٧٧٦ مليوناً من الـهندوس، ٣٤٥ مليوناً من البـوذيين، ٢٠ مليـوناً من السـيخ، ١٣ مليـون يـهـودى، ٧ مليون من الكونفوشيوسيون، ٦ مليون بهـائى، كـمـا أن هـناك حـوالى ٨٠٥ مليـون نسـمـه يطلق عليـهم اسم أصحاب المعتقدات البدائية أو عُبَّاد الطبيعة أو الوثنيون، ويشكلون نحو ١٤٪ من سكان العـالم، وهى نسـبـة كبيرة بلا شك، ويلاحظ أن أكثر من نصفهم يعيش في القارة الأفريقية، حـيث يشكلون فى بعض دول القـارة أكـثـر من ٧٠٪ من عـدد السكان، ويشكل هؤلاء الوثنيـون أو أصـحـاب المعتقدات البدائية مجـالا خصبـا للدعوة، ويقوم المنصرون المسيحيون بجهود جبارة لتحويل هذه الجماعات إلـــى الـــديـــن المسـيـحى، وفي المقـابل يبـذل بعض الدعـــاة المسـلمـين جـــهـــودا مـشكورة فى أوسـاط هذه الجـمـاعـات حيث كـانت النتـــائج باهرة وتشير إلى تقـــبل هؤلاء الناس للـدعـــوة



مسلم من روسيا



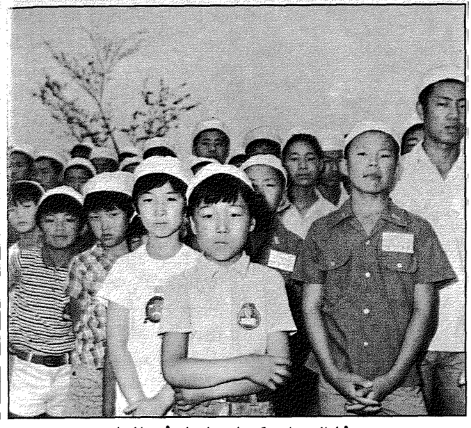
مسلم من استانبول



مسجد ووجه من طاشقند

الاسلامية، وانضمام العديد منهم إلى دين الاسلام. ولو ركز الدعاة على أصحاب المعتقدات البدائية وخاصة في أفريقية لا نضم الكثير منهم إلى الاسلام طواعية وفي سهولة ويسر.

وهناك أيضا نحو ٢٤٠ مليون نسمة في العالم (بنسبة تبلغ نحو ٤٪ من مجموع سكان العالم) ذكروا أنهم لا دينيون أو أنهم ملحدون، وقد تناقص عددهم كثيرا بعد انهيار الشيوعية في العديد من دول العالم، واتجاه الكثيرين من معتنقيها إلى دياناتهم الأصلية كالاسلام والمسيحية وغيرها.



من أطفال مسلمي كوريا في افتتاح أحد المساجد

الدول الاسلامية ودول الاقليات المسلمة في العالم:

اختلف الباحثون كثيرا في تحديد ماهية الدولة الاسلامية، وهناك معايير عدة اتخذها الباحثون في هذا الخصوص، نذكر منها:

١ ـ المعيار العددي:

بحيث إن الدولة التى يصل عدد المسلمين فيها إلى نصف عدد السكان أو يزيد فهى دولة إسلامية بصرف النظر عن النص الدستورى بأنها دولة إسلامية أو دولة علمانية. وطبقا لهذا المعيار فقد وجدنا أن عدد الدول التى ينطبق عليها هذا الشرط هو ٥٦ دولة، منها ٢٧ دولة في قارة آسيا، و٢٨ دولة في قارة افريقية، دولة واحدة في أوربا (هى ألبانيا).

وفي الجدول رقم (٣) نذكر بيانا بأعداد السكان وأعداد المسلمين في الدول الاسلامية التي ينطبق عليها المعيار العددي.

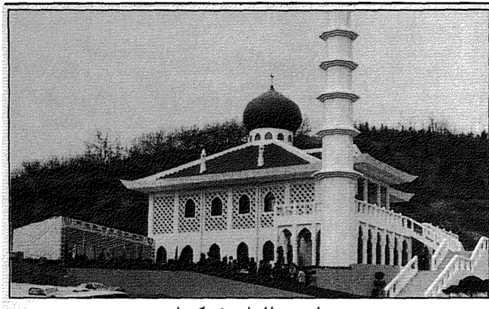
جدول رقم (٣)

القارة	عدد الدول	عدد سكانها بالمليون تقريبا	عدد المسلمين بالمليون تقريبا	نسبتهم المئوية بالتقريب
آسيا	٢٧	٧٧٥	٦٩٦	٩٠ ٪
أفريقية	٢٨	٤٩٦	٣٦٨	٧٤ ٪
أوربا	١	٣	٢	٦٧ ٪
المجموع	٥٦	١٢٧٤	١٠٦٦	٨٤ ٪

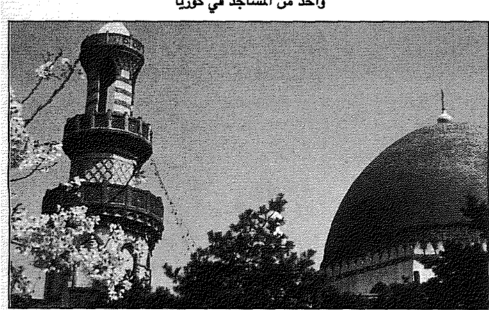
ومن هذا الجدول يتضح أن عدد المسلمين في الدول الاسلامية الـ ٥٦ هو حوالى ١٠٦٦ مليون نسمة من مجموع سكان تلك الدول البالغ حوالى ١٢٧٤ مليون نسمة بنسبة تبلغ نحو ٨٤٪.

وإذا كان عدد المسلمين في العالم هو ١٣٨٥ مليون نسمه، وعددهم في الدول الاسلامية (ذات الأغلبية المسلمة) هو ١٠٦٦ مليون نسمه، فإن هذا العدد الأخير يشكل ٧٧٪ من مجموع مسلمى العالم، أى أكثر من ثلاثة أرباع المسلمين في العالم، ويشكل باقى المسلمين وعددهم نحو ٣١٩ مليوناً (ونسبتهم حوالى ٢٣٪ من مسلمى العالم أى أقل بقليل من ربع المسلمين في العالم)، ما يعرف بالاقليات المسلمة التى تعيش في الدول غير الاسلامية.

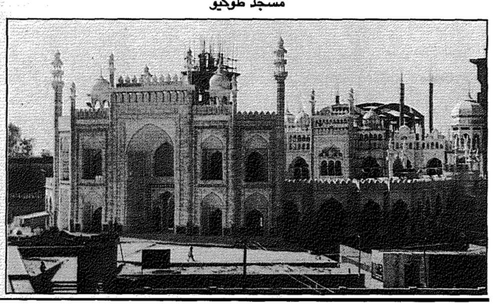
ونذكر هنا إتماما للفائدة أسماء الدول الاسلامية المذكورة في الجدول رقم (٣) وعددها ٥٦ دولة.



واحد من المساجد في كوريا



مسجد طوكيو



مسجد في الهند

الدولـــــة	نسبة المسلمين	
	في المصادر الإسلامية	في المصادر الغربية
سيراليون	٪٦٥	٪٤٠
بوركينافاسو	٪٥٦	٪٣٠
موزمبيق	٪٥٠	٪٢٥
توجو	٪٥٠	٪٢٠
بنين	٪٥٠	٪١٧

الدول الآسيوية: المملكة العربية السعودية ـ اليمن ـ عمان ـ الامارات العربية ـ قطر ـ البحرين ـ الكويت ـ العراق ـ الأردن ـ فلسطين ـ سوريا ـ لبنان ـ تركيا ـ إيران ـ أفغانستان ـ باكستان ـ بنجلاديش ـ مالديف ـ أندونسيا ـ ماليزيا ـ بروناى ـ أذربيجان ـ أوزبكستان ـ كازاخستان ـ تركمانستان ـ طاجكستان ـ قيرغيزستان.

الدول الأفريقية: مصر ـ السودان ـ ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب ـ موريتانيا ـ الصومال ـ جيبوتي ـ جزر القمر ـ تشاد ـ النيجر ـ مالي ـ السنغال ـ جامبيا ـ غينيا ـ غينيا بيساو ـ سيراليون ـ بوركينا فاسو ـ بنين ـ نيجريا ـ الكميرون ـ توجو ـ كوت دي فوار ـ تنزانيا ـ اثيوبيا ـ اريتريا ـ موزمبيق.

الدول الأوربية: ألبانيا.

٢ ـ المعيار التنظيمي:

وهو أن أي دولة تنضم إلى عضوية منظمة المؤتمر الاسلامي، وهي منظمة عالمية تجمع في عضويتها الدول التى ارتضت أن يطلق عليها اسم دول إسلامية، هي دولة إسلامية.

وطبقا لهذا المعيار، واعتمادا على عدد الدول الأعضاء في تلك المنظمة والتى حضرت مؤتمر القمة الاسلامي أو مؤتمر القمة لدول منظمة المؤتمر الاسلامي الثامن الذي عقد مؤخرا (ديسمبر ١٩٩٧) في طهران، فإن عدد الدول الاسلامية هو ٥٥ دولة، منها ٢٧ دولة في قارة آسيا، ٢٦ دولة في قارة

أفريقية، دولة واحدة في قارة أوربا (هى ألبانيا)، دولة واحدة في أمريكا الجنوبية (هي سورينام).

ونلاحظ أن بعض الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي لا تصل نسبة المسلمين فيها إلى ٥٠٪ من مجموع عدد سكانها، فهى لا تخضع للمعيار العددي في وصف الدول الاسلامية، وهذه الدول هي (طبقا للمصادر الاسلامية): الجابون (٤٠٪)، أوغندا (٣٦٪)، سورينام (٣٤٪)، ويضاف إليها الدول الآتية التى تقلل المصادر الغربية من نسب المسلمين فيها بصورة واضحة بالرغم من عضويتها الكاملة في منظمة المؤتمر الاسلامي:

المراجع:

١ - د. عادل طه يونس: المسلمون في العالم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٨٠م.

٢ - د. عادل طه يونس: العالم الاسلامي اليوم، مكتبة ابن سينا، القاهرة ١٩٩٠.

٣ - د. محمد محمود السرياني: الوجيز في جغرافية العالم الاسلامي، دار عالم الكتب، الرياض ١٩٩٧.

٤ - د. سيد خالد المطري: دراسات في سكان العالم الاسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة ١٩٨٤.

٥ - أ. محمود شاكر: سكان العالم الاسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١.

٦ - د. محمد غلاب، د. حسن صالح، أ. محمود شاكر: البلدان الاسلامية والاقليات المسلمة في العالم المعاصر، المؤتمر الاسلامي الأول، الرياض ١٩٧٩.

٧ - د. جمال مسعود، أ. على لبن: المجتمع الاسلامي المعاصر (أفريقية)، دار الوفاء، المنصورة، مصر ١٩٩٥م.

٨ - دار الآفاق المتحدة: كتاب المعلومات (١٩٩٨/٩٧)، الرياض ١٩٩٧.



إشارات في القرآن والحد[يث]

لفظ «دابة» يعني كل كائن حي قادر على الحركة والانتقال، ويشمل هذا المعنى الكائنات الحية الضخمة والصغيرة، والمميزة وغير المميزة، وعرفنا أنَّ الكائنات الحية الدقيقة كالبكتريا وغيرها من الكائنات المجهرية وحيدة الخلية المتحركة يشملها معنى الدابة. وسنعرض في هذا المقال آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة تدلنا على ذلك.

بتدبر بسيط نلاحظ أن الإنسان قبل هذا العصر الحديث لم يعرف ولم يدرك وجود الدواب الصغيرة الدقيقة، إذ أن هذه الدواب توجد مخفية في التربة والماء والهواء، ولا يراها الإنسان إلا بواسطة المجاهر المكبرة، وكان كل ما يدركه الإنسان فقط هي تلك الدواب التي تدب على الأرض ويستغلها في حياته اليومية، لكننا نجد في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ما يشير إلى هذه الدواب المخفية، وأنها توجد في التربة وفي الماء وفي الهواء، وهذا نوع من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. فلو تأملنا في الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر «الدابة» أو «الدواب» وعلاقتها بالأرض للاحظنا وجود لفظ «في» أو «فيها» أو لفظ «على» أو «عليها».

ففيها أو في الأرض لها مدلول، وعليها أو على الأرض لها مدلول آخر، ولكي نوضح هذا الأمر نضرب لذلك مثلا، فلو قلنا لشخص ما: توجد على هذه الأرض قطع من نقود ذهبية، اذهب فخذها، لفهم مباشرة من هذا القول أن القطع الذهبية موجودة على سطح الأرض لأن لفظ «على» يدل على هذا المضمون، في حين لو قلنا له: إن النقود موجودة في هذه الأرض لفهم من هذا القول عدة احتمالات، فهي إمَّا أن تكون على سطح الأرض، أو في باطن التربة أو في شيء على هذه الأرض.. فلفظ «في» يأتي بمعنى وسط، وبمعنى في الداخل، وبمعنى على كقوله تعالى {**ولأصلّبنّكم في جذوع النخل**}[١]، إذاً عندما نتأمل في الآيات القرآنية المتعلقة بالدابة والأرض نلمس وجود اللفظة التي تحدد نوع الدابة المراد الإشارة إليها في الآية، فالدواب المرئية التى تعيش على سطح الأرض والتي تمثل أهمية بالغة لحياة الإنسان كالأغنام والأبقار والإبل والخيول.. نجد الإشارة إليها في آيتين من كتاب الله، ففي سورة النحل (آية ٦١) يقول المولى سبحانه وتعالى: {**ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة**}، وفي سورة فاطر (آية ٤٥) يقول المولى سبحانه وتعالى: {**ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة**}.

يقول ابن كثير[٢] رحمه الله تعالى: «إن المولى سبحانه وتعالى يُخبر عن حلمه بخلقه مع ظلمهم، وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك على ظهر الأرض من دابة، ولما سقاهم المطر فماتت جميع الدواب». ولو تأملنا في الآية قليلا نجدها تشير إلى الدواب التي تعيش على سطح الأرض، وهي تلك الدواب التي يمكن للإنسان أن يراها بعينه، كي يرى ما أدى إليه ظلمه وبطشه.

ونجد أن المولى القدير قد خلق من بين مخلوقاته التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى مخلوقات أخرى صغيرة خفية، لا يراها الإنسان، تعيش في التربة، أي في الأرض، وتتحمل ظروف الجفاف، وتبقى

بقلم: د. عبدالبديع حمزة زللي
- المدينة المنورة -

ث إلى الكائنات الحية الدقيقة

فترات طويلة ساكنة هامدة لا تتحرك ما لم تتح لها الظروف المناسبة للنمو، ولذا نجدها مشمولة في آيات القرآن الكريم، يقول المولى سبحانه وتعالى في الآيات القرآنية الآتية:

{فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة} (البقرة/١٦٤).

{وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة} (هود/١٠).

{وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها} (هود/٦).

{ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة} (النحل/١٨).

{وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم} (الأنعام/٣٨).

{ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض} (الحج/١٨).

ولو تأملنا في الآيات القرآنية السابقة لوجدنا أن لفظ {فيها} أو {في الأرض} يشمل جميع الدواب سواء الظاهرة للعين المجردة والمخفية التي لا يراها الإنسان إلا بوسائل التكبير، والتي عرفنا بعضها وبقي البعض الآخر في علم الغيب لا نعرف عنه شيئاً إلا عندما يشاء المولى سبحانه وتعالى، فيسخر لنا من الوسائل ما يكشفه لنا.

ولننظر إلى قوله تعالى **{ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة}**. إذاً ما في الأرض من دابة يشمل الدواب الظاهرة والمخفية التي تعيش على الأرض أو في باطن التربة، والتي تعيش في الماء وفي الهواء، فالسجود لا يقتصر على الدواب المرئية التي تدب على الأرض وإنما كل ما في الأرض من دواب يسجد للعلي القدير.

وبمزيد من التدبر والتفكر في الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر الدابة والدواب نستشف منها ما يؤكد الإشارة الى وجود الدواب الصغيرة الدقيقة غير المرئية بالعين المجردة. فلو تدبرنا في الآية السادسة من سورة هود لوجدنا ما يشير الى وجود عالم من الدواب يعيش في عالم الغيب لا نعلم مستقره ومستودعه إلا بمشيئته سبحانه وبما يهيء لنا المولى سبحانه من وسائل تكشف وتساعد في التعرف على شيء من حياته، فيقول سبحانه في محكم التنزيل **{وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين}**.

وسبق أن أشرنا إلى أن الدواب التي خلقها سبحانه وتعالى نجد منها ما يعيش على الأرض، ومنها ما يعيش في التربة، أو في الماء، أو في الهواء، بل منها ما يعيش في أجسامنا، وجميع هذه الدواب يرزقها الله - جلَّت قدرته - بما تحتاج إليه من عناصر ومواد غذائية، فتأخذ منها ما تحتاج إليه في حياتها اليومية وتدخر الباقي في مستودعات خاصة تختلف باختلاف جنس ونوع الدابة، ونرى في هذه الآية الكريمة ما يظهر لنا بوضوح الإشارة إلى الدواب الدقيقة غير المرئية. فرغم أن الآية القرآنية الكريمة قد شملت كل الدواب إلا أننا نلمس أن الإعجاز يتجلى بوضوح في مستقر ومستودع الدواب الخفية، فسبحانه القائل **{ويعلمُ مستقرَّها ومستودعها}**، فالدواب الكبيرة والأنعام يستطيع الإنسان بما خصه الله تعالى من حواس أن يدرك بسهولة الأماكن التي تعيش فيها، وأن يعرف المستودعات التي تدخر فيها الفائض عن حاجتها من الطعام والغذاء، ولكن

يظل في علم الغيب شيء لا يعرفه الإنسان مهما بلغت حدَّة النظر وقوة السمع وشدة الملاحظة عن الكائنات الحية الدقيقة كالبكتريا وغيرها من الدواب الصغيرة، فلا يعرف عنها وعن مستقرها إلا بالوسائل التي سخرها الله له كي يستدل بها على وجوده سبحانه وتعالى، ولولا هذه الوسائل لما عرفنا شيئا عن هذه المخلوقات العجيبة، ولظلت في علم الغيب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
أمَّا كيف عرفنا شيئا يسيراً عن هذا العالم الخفي، فنعود ونقول أن هذا بأمر الله ومشيئته، فبعض الغيب يظل غيباً ما لم يسخر لنا المولى الوسيلة التي تكشف لنا عنه، ونسوق مثلا يوضح لنا ذلك.
فلو وجدنا علبة ثقيلة مقفلة، ونحس أن بداخلها شيئاً ما، فنحن بالطبع لا ندرك بحواسنا التي خلقها الله فينا، ونعرف ما هو الشيء الذي بداخل هذه العلبة، ويظل هذا الشيء الموجود في العلبة في علم الغيب بالنسبة لنا ما لم نأت بوسيلة نفتح بها هذه العلبة ونرى ما بداخلها، أو نستخدم وسيلة أخرى كالأشعة مثلا، أو الأجهزة الأخرى فتظهر لنا ما بداخل هذه العلبة. إذاً إذا أراد المولى سبحانه وتعالى أن يكشف لنا عن غيب لا نعرفه فإنه يسخر لنا وسيلة من الوسائل تكشف لنا عنه، وبدون هذه الوسيلة يظل الغيب غيباً، وهذا المثل ينطبق على الأجنة التي في الأرحام، فلا يعرف الإنسان عما هو بداخل الرحم ما لم يستخدم وسيلة سخرها الله له، فلو شققنا بطن المرأة - مثلا - بعملية جراحية، وفتحنا الرحم، لظهر لنا هذا الشيء المجهول، وعرفنا حال وشكل الجنين الذي في الرحم، ولو استخدمنا وسيلة من وسائل الأشعة لعرفنا كذلك شيئاً عن حالة وشكل هذا الجنين، والأشعة هنا تقابل فتح البطن لرؤية الجنين. ولولا هذه الوسيلة التي سخرها لنا المولى سبحانه وتعالى لما عرف الإنسان شيئاً عن حال وشكل الجنين، وظل الجنين في علم الغيب لا نعرف عنه شيئاً. ولقد سخر لنا المولى سبحانه وتعالى هذه الوسائل حتى نرى ونتابع تطبيقيا ودراسيا خطوات تكوين الجنين، ونرى أن هذه الخطوات التي لم يتوصل إليها العلم إلا حديثا بعد أبحاث مكثفة ودراسات عديدة قد ذكرها القرآن الكريم جملة وتفصيلا[٣]، منذ أكثر من أربعة عشر قرناً. فيقول سبحانه وتعالى في محكم التنزيل **{سَأُرِيكُمْ آياتي فلا تستعجلون}** (الأنبياء/٣٧).

ونعود إلى الآية التي يخبرنا فيها المولى سبحانه وتعالى عن الدواب التي لم نكن نعرف شيئاً عن مستقرها ومستودعها، فهل كان أحد من بني البشر يعرف أن في هواء الأرض، وفي ماء الأرض، وفي داخل تربة الأرض أمما من دواب دقيقة خفية تستقر في هذه البيئات؟ وأنه سبحانه وتعالى قد أوجد لها مستودعات تدخر فيها الغذاء الفائض عن حاجتها؟ هذه المستودعات إما أن تكون داخل أجسامها أو خارجها، ونجد الإشارة في آية أخرى إلى ما يدلنا على أن أجسامنا تحوي أيضا في داخلها أو عليها أعداداً هائلة وضخمة من هذه الدواب الدقيقة.

فهناك أنواع من البكتريا تعيش في أمعاء الإنسان، وتساعد على تكوين فيتامين «ب» المركب، كما تساعد على هضم الألياف التي يعجز الجهاز الهضمي عن هضمها، ويتعايش كثير من هذه الكائنات في أجسامنا فيفيدها، ويستفيد منها، وتعيش كذلك أعداد ضخمة على سطح الجلد، فتأكل القشور - وهي الطبقات الدقيقة من الخلايا الميتة - كي تهيىء الجو لنمو خلايا حية جديدة تحل محل الخلايا الميتة، وجميع هذه الكائنات تعيش عادة في الجسم ليستفيد منها دون أن تحدث له أي ضرر، فسبحان القائل في محكم التنزيل **{وفي خَلْقِكُم وما يَبُثُّ من دابة آيات لقوم يوقنون}** (سورة الجاثية/٤).

ورغم هذا النفع العظيم الذي سخره الله لنا عن طريق هذه الدواب إلا أن الله سبحانه وتعالى جعل من هذه الدواب ما يضر بصحتنا وصحة

الكائنات الحية الأخرى، وبخاصة عندما نعرض أنفسنا للإصابة بها، غير أن الهدي الإسلامي الحنيف لم يدع شيئاً يصيبنا بأذى إلا وحذرنا منه ودلنا على الطرق والسبل التي تقينا منه، لذا نجد في الأحاديث النبوية الشريفة ما يشير إلى هذه الدواب الخفية الضارة، كما نجد الإشارة إلى الوسائل والسبل التي تقينا منها ولم يعرف الإنسان بدقة سبل الوقاية من هذه الدواب إلا بعد التعرف على وجود المخلوقات الحيوية الدقيقة، وبعد أن بدأ الطب يهتم بدراسة وبحث الأمور المتعلقة بهذه الدواب للكشف عن الحقائق التي تدل على كيفية نموها أو تكاثرها وانتشارها، فتمخضت عن هذه الدراسات والأبحاث فروع علمية جديدة كعلم الجراثيم وعلم الأوبئة والأمراض، وتوصل الإنسان إلى معرفة أوصاف وخصائص عالم الدواب الدقيقة (الميكروبات) وكيفية انتقالها وإصابتها للإنسان عن طريق الطعام أو الشراب، وعرف أن البكتريا والكائنات الحية الدقيقة الموجودة في الهواء تترسب في الآنية المفتوحة، كذا فإن ترك الآنية معرضة للهواء يسمح بسقوط هذه الدواب فتسبب الأمراض وتضر بصحة الإنسان.

وسبق أن ذكرنا أن جميع البشر لم يدركوا ولم يعرفوا أن كثيراً من الأوبئة والأمراض تتسبب فيها هذه الدواب الخفية إلا في العصر الحديث بعد اختراع المجاهر، لكننا نرى في هدي المصطفى المختار ما يدلنا على هذه الدواب وكيف نجنب أنفسنا مما تسببه من أوبئة وأمراض.

فلقد وردت أحاديث كثيرة في صحيح الإمام مسلم[٤] رحمه الله ما يدلنا على وجود الكائنات الخفية، وأنها تنزل وتسقط في الآنية المفتوحة أو في السقاء المكشوف، إذ يخبرنا الهادي البشير والسراج المنير صلوات ربي وسلامه عليه عن بعض إيجابيات تغطية الآنية، ففي صحيح الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: «غطوا الإناء وأوكوا السقاء، فإن في السَّنَة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء[٥].

ولو تأملنا ما كشف عنه العلم الحديث لرأينا أن البكتريا كما سبق أن ذكرنا تترسب من الهواء فينزل منها على كل سطح مكشوف، والحقيقة أن الأعداد الضخمة من البكتريا لا تترسب كلها بل يترسب وينزل بعضها على السطوح المكشوفة، ومن هذه البكتريا ما قد يسبب الأوبئة والأمراض، لذا فهي تسقط مباشرة في الإناء أو في السقاء إن كان مكشوفاً، أو تنتقل بواسطة الحشرات والفئران.. عليه فإن تغطية الآنية والأسقية يعتبر من وسائل حفظ الصحة، وندرك شيئا من الإعجاز في هذا الحديث من إشارة المصطفى {صلى الله عليه وسلم} إلى أن الأوبئة قد تنتقل إلى الإنسان عن طريق ترك الإناء أو السقاء مكشوفاً، ويتأكد لنا هذا الإعجاز من قوله {صلى الله عليه وسلم} «إلا ينزل فيه من ذلك الوباء»، وهذا يعني أن البكتريا المسببة للأوبئة لا تنزل كلها على الآنية المكشوفة بل ينزل شيئ منها.

الهوامش:

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة فيا.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مج٢، ص ٥٩٤؛ مج٣ ص٥٧٠.

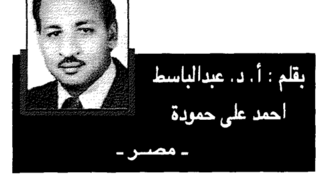
(٣) انظر كتاب الوجيز في علم الأجنة القرآني، للدكتور محمد على البار، وكتاب روعة الخلق - أسرار كينونة الجنين، ترجمة ماجد طيفور، الدار العربية للعلوم.

(٤) انظر صحيح مسلم، باب استحباب تغطية الإناء وايكاء السقاء وإغلاق الأبواب عند النوم.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٣، ص ١٨٦.

القصص النبوي ٤٥

دخول الجنة بفضل الله



بقلم : أ. د. عبدالباسط
احمد على حمودة
- مصـر -

يوم القيامة يوم مجموع له الناس ، وهو يوم الفصل والقضاء، يحكم الله بين العباد، ويصير الناس إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير، ويضرب بين المؤمنين وغير المؤمنين بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، يحجر بينهم فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق عليهم، وبقى المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة[١].

ولزيادة الحسرة والندامة على الكافرين والمنافقين ينادى ويؤذن على أسماع الخلائق، كما جاء في القصص النبوي فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة - رضي الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال[٢]: «ينادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدا، وذلك قوله - عز وجل -: **{ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون}**.

وفي الصحيحين عن نافع عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه». قال ابن القيم: وهذا الأذان وإن كان بين الجنة والنار، فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار، ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم - تبارك وتعالى - يرسل إليهم، وذلك في مقدار يوم الجمعة كما سيأتى إن شاء الله.

وجاء في القصص النبوي فيما نقله ابن كثير[٣] عن النسائى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «كل أهل الجنة يرى مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هدانى فيكون له شكرا، وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة، فيقول: لو أن الله هدانى فيكون له حسرة». ولهذا نودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون. أي بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة وتبوأتم منازلكم بحسب أعمالكم. وإنما وجب الحمل على هذا، لما ثبت في الصحيحين عنه {صلى الله عليه وسلم} أنه قال[٤]: (واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة - قالوا ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل).

ه ورحمتــــه

قال ابن القيم[٥]: وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله - تعالى - وليس عمل العبد مستقلا بدخولها، وإن كان سببا، ولهذا أثبت الله - تعالى - دخولها بالأعمال في قوله: (بما كنتم تعملون) ونفى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} دخولها بالأعمال بقوله: (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله) ولا تنافى بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال.

والثاني: إن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة، التى يكون فيها أحد العوضين مقابلا للآخر، والباء التى أثبتت الدخول هي باء السببية التى تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلا بحصوله. وقد جمع النبي {صلى الله عليه وسلم} بين الأمرين بقوله: (سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحدا منكم لن ينجو بعمله، قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته) ومن عرف الله تعالى، وشهد مشهد حقه عليه، ومشهد تقصيره وذنوبه وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به.

وفي القصص النبوي عن جابر[٦] - رضي الله عنه - قال: خرج علينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: (خرج من عندى خليلي جبريل - عليه السلام - آنفا فقال: يا محمد {صلى الله عليه وسلم} والذي بعثك بالحق، إن لله عبدا من عباده، عبد الله خمسمائة سنة، على رأس جبل، في البحر، عرضه وطوله ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعا، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأخرج له عينا عذبة بعرض الإصبع تفيض بماء عذب فيستنقع في أسفل الجبل، وشجرة رمان تخرج له في كل ليلة رمانة. يتعبد يومه، فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها، ثم قام لصلاته، فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجدا وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلا، حتى يبعثه الله وهو ساجد، قال: ففعل، فنحن نمر عليه إذا هبطنا، وإذا عرجنا، فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة، فيوقف بين يدي الله، فيقول له الرب: أدخلوا عبدى الجنة برحمتي، فيقول: ربي بل بعملي، فيقول الله: قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله، فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه، فيقول: أدخلوا عبدي النار، فيجر إلى النار، فينادى: ربّ برحمتك أدخلني الجنة، فيقول: ردوه، فيوقف بين يدى الله، فيقول: يا عبدى من خلقك ولم تك شيئا؟ فيقول: أنت يارب، فيقول: من قواك للعبادة خمسمائة سنة؟ فيقول: أنت يارب، فيقول: من أنزلك في جبل وسط اللجة، وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل ليلة رمانة، وإنما تخرج مرة في السنة، وسألته أن يقبضك ساجدا، ففعل؟ فيقول: أنت يارب، قال: فذلك برحمتي، وبرحمتى أدخلك الجنة، أدخلوا عبدى الجنة، فنعم العبد كنت يا عبدي، فأدخله الله الجنة، قال جبريل: إنما الأشياء برحمة الله يا محمد {صلى الله عليه وسلم}.

أول من يقرع أبواب الجنة:

تحدث القصص النبوي عن الأوائل والسابقين إلى دخول الجنة، فجاء في بعض الروايات أن خزنة الجنة مأمورون بأن لا يفتحوا الجنة لأحد قبل محمد {صلى الله عليه وسلم} وهذا عام على الخلق جميعا بما فيهم الأنبياء والمرسلين، فإذا ما دخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} دخل الأنبياء من بعده، وفي بعض الروايات أول أمة تدخل الجنة هي أمة محمد {صلى الله عليه وسلم} ثم تكون الأمم تبعا لها٠ وجاء في القصص النبوي أول من يدخل الجنة من هذه الأمة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وأن بلالا يسبق إلى الجنة، ومن أوائل من يدعى إلى الجنة الحامدون ومن السابقين إلى الجنة فقراء المهاجرين، وكذا يسبق إلى الجنة الفقراء قبل الأغنياء، ومن أصناف العاملين ثلاثة يسبقون إلى دخول الجنة: الشهيد، ورجل عفيف متعفف ذو عيال، وعبد أحسن عبادة ربه وأدى حق مواليه٠ وتحدثت بعض القصص عن صفة أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُرِيّ في السماء إضاءة٠

وجاء في القصص النبوي ما رواه مسلم[٧] في صحيحه عن أنس - رضي الله عنه - قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (آتى باب الجنة يوم القيامة، فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بلى، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك) وفي رواية بلفظ: (وأنا أول من يقرع باب الجنة) وزاد الطبراني فيه قال: (فيقوم الخازن فيقول: لا أفتح لأحد قبلك، ولا أقوم لأحد بعدك)٠

وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (أنا أول من يفتح باب الجنة، إلا أن امرأة تبادرني، فأقول لها: مالك ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى)[٨]٠

وجاء في قصة عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر، يطوف عليّ ألف خادم، كأنهم اللؤلؤ المكنون) وعنه أيضا: (أنا أكثر الناس تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة)٠

وروى الترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (جلس ناس من أصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم} ينتظرونه، قال: فخرج حتى دنا منهم، سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجبا أن لله من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا، وقال آخر: ما ذلك بأعجب من كليمه موسى كلمه تكليما، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم وقال: (سمعت كلامكم وعجبكم، إن ابراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلقة الجنة، فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر)٠

قال ابن كثير[٩]: وقد ذكر في حديث الصور:

(إنهم يأتون آدم، ثم نوحا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، فكل يحيد عن ذلك ـ كما تقدم في الصحاح ـ ثم يأتون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيذهب فيقعقع حلقة باب الجنة، فيقول الخازن: من؟ فيقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك، فيدخل فيشفع عند الله في دخول المؤمنين دار الكرامة، فيشفعه، فيكون هو أول من يدخل الجنة من الأنبياء، وأمته أول من يدخلها من الأمم).

ومن القصص الذى جاء في أسبقية أمة محمد {صلى الله عليه وسلم} إلى الجنة في الصحيحين[١٠] عن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (نحن السابقون الأولون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم) ولفظ البخارى أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ سمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول[١١]: نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم[١٢] الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع: اليهود غدا، والنصارى بعد غد) وفي لفظ لمسلم[١٣] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال، قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه، هدانا الله له، قال يوم الجمعة، فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى).

وفي قصة رواها الدارقطني عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى) قال الدارقطنى غريب.

وجاء في القصص النبوي ما يفيد بأسبقية أبي بكر ـ رضى الله عنه ـ إلى الجنة، فعن أبي هريرة[١٤] رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أتانى جبريل، فأخذ بيدي، فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى، فقال أبو بكر: يارسول الله، وددت أنى كنت معك، حتى أنظر إليه، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى).

وجاء في القصص النبوى في فضل بلال وأسبقيته إلى الجنة ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن بريدة بن الخصيب قال: (أصبح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فدعا بلالا، فقال: يا بلال بم سبقتنى إلى الجنة فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامى، ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مُربَّع مُشرَّف من ذهب، فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فقال بلال: يارسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابنى حدث قط إلا توضأت عندها، ورأيت أن لله علي ركعتين، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فبذلك).

قال ابن قيم الجوزية: ولابد على أن أحدا يسبق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى الجنة، وأما تقدم بلال بين يدي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الجنة، فلأن بلالا كان يدعو إلى الله أولا بالأذان، فيتقدم أذانه بين يدي النبي {صلى الله عليه وسلم}

فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم، وقد روى في حديث: (أن النبي {صلى الله عليه وسلم} يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادى بالأذان) فتقدمه بين يديه {صلى الله عليه وسلم} كرامة لرسوله واظهاراً لشرفه وفضله، لا سبقا من بلال له، بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ودخول المسجد ونحوه.

وجاء في القصص النبوى عن وصف أول زمرة تدخل الجنة ما رواه مسلم[١٥] بطرق متعددة منها رواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دُريّ في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتمخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة[١٦]، وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعا في السماء) وقد فصلنا القول فى صفاتهم فيما تقدم.

ويحدثنا القصص النبوي عن مكانة الحامدين يوم القيامة وأنهم من أوائل من يدعى إلى دخول الجنة، ففي قصة رواها شعبة بن قيس، عن حبيب، عن أبى ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس[١٧] ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أول من يدعى إلى الجنة، يوم القيامة، الحامدون الذين يحمدون في السراء والضراء).

ومن السابقين إلى دخول الجنة فقراء المهاجرين، روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[١٨]: (فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام) وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا).

وروى الإمام أحمد في مسنده، والطبراني في معجمه واللفظ له من حديث أبى عشابه المعافري أنه سمع عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يقول: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (هل تدرون أول من يدخل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فقراء المهاجرين، الذين تتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاء تقول الملائكة: ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا، فيقول: عبادى لا يشركون بي شيئا، تتقى بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته في صدره، لم يستطع لها قضاء، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبي الدار).

وجاء في القصص النبوي عن سبق فقراء المسلمين إلى الجنة عدة روايات نختار بعضا منها:

قال ابن المبارك: أخبرنا عبد الوهاب بن الورد قال: قال سعيد بن المسيب: جاء رجل إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: أخبرني يارسول الله بجلساء الله يوم القيامة؟ قال: (هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا) قال: يارسول الله، أفهم أول الناس يدخلون الجنة؟ قال: (لا) قال: فمن أول الناس يدخل الجنة؟ قال: (الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة، فيخرج إليهم منها ملائكة، فيقولون: ارجعوا إلى الحساب، فيقولون: على ما

نحاسب؟ والله ما أفيض علينا من الأموال في الدنيا شيء فنقبض فيها ونبسط، وما كنا أمراء نعدل ونجور، ولكنا جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين، فيقال: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين).

وروي عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (اتقوا الله في الفقراء، فإنه يقول يوم القيامة: أين صفوتي من خلقي؟ فتقول الملائكة: من هم ياربنا؟ فيقول: الفقراء الصابرون، الراضون بقدري، أدخلوهم الجنة، قال: فيدخلون الجنة، يأكلون ويشربون، والأغنياء في الحساب يترددون).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، نصف يوم) قال حديث حسن صحيح. وفي طريقة أخرى (يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمائة عام).

ونقل القرطبي عن عيون الأخبار رواية عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: حدثني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم). قيل له: يارسول الله وما نصف يوم؟ قال: (خمسمائة سنة) قيل له: فكم السنة من شهر؟ قال: (خمسمائة شهر) قيل له: فكم الشهر من يوم؟ قال: (خمسمائة يوم) قيل له: فكم اليوم؟ قال: (خمسمائة مما تعدون).

وفي قصة عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفا).

وقد أفرد البخاري[١٩] بابا في فضل الفقر، وأورد قصة عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (اطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء).

ونقل ابن قيم الجوزية عن الإمام أحمد، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (التقى مؤمنان على باب الجنة، مؤمن غنى، ومؤمن فقير، كانا في الدنيا، فأدخل الفقير الجنة، وحبس الغنى ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة، فلقيه الفقير فقال: أى أخي ماذا حبسك؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك، فيقول: أي أخي إنى حبست بعدك محبسا فظيعا كريها، ما وصلت إليك حتى سال منى العرق، مالو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض لصدرت عنه).

وفي قصة في منتخب كنز العمال[٢٠] عن ابن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (ألا أنبئك بأهل الجنة؟ الضعفاء المغلوبون).

وجاء في البخاري[٢١] قصة عن أسامة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد[٢٢] محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء).

ويحدثنا القصص النبوي عن أول ثلاثة يدخلون الجنة، فينقل القرطبي[٢٣] وابن كثير عن الإمام أحمد فيما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، قال: فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فشهيد،

وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال، وأما أول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله من ماله، وفقير فخور)[٢٤].

ولزيادة الفائدة حول سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة، ننقل بعض ما قاله العلماء في هذه القضية التي تناولها العلماء بالأخذ والرد وتغليب جانب على جانب، قال ابن قيم الجوزية في حادي الأرواح: وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين.. ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفا، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغنى إذا حوسب على غناه، فوجد قد شكر الله - تعالى - فيه، وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف، كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه في الدخول، ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغنى في أعماله، وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، فالمزية مزيتان مزية سبق، ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان، فيحصل لواحد السبق والرفعة، ويعدمها آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه، وبالله التوفيق.

معرفتهم لمنازلهم:

ويتحدث القصص النبوي عن أهل الجنة بعد اجتيازهم الصراط وحبسهم على القنطرة لتقاضي ما بينهم من مظالم كانت بينهم، ثم دخل الجنة الأسبق فالأسبق على الحال الذى تقدم ذكره، ينطلقون في الجنة متجهين إلى مساكنهم التي أعدها الله لهم، وعرفها إياهم كما جاء في القرآن الكريم: **{والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم. سيهديهم ويصلح بالهم. ويدخلهم الجنة عرفها لهم}.** أى أنه - سبحانه - أعلمها وبيَّنها بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتعداه إلى غيره.

نقل ابن قيم الجوزية[٢٥] عن مجاهد قوله: يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، لا يستدلون عليها أحدا. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في رواية أبي صالح: (هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم) وقال محمد بن كعب: يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة. وقال مقاتل بن حيان: بلغنا أن الملك الموكل بحفظ بنى آدم، يمشي في الجنة، ويتبعه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هو له، فيعرفه كل شيء أعطاه الله في الجنة، فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه. وقال الحسن: وصف الله الجنة في الدنيا لهم، فإذا دخلوها عرفوها بصفتها.. وعلى هذا القول فالتعريف وقع في الدنيا، ويكون المعنى يدخلهم الجنة التى عرفها لهم، وفيها قول آخر: أنه من العرف، وهو الرائحة الطيبة، أي طيبها، ومنه طعام معرف أي مطيب وقيل: هو العرف، وهو التتابع، أي تابع لهم طيباتها وملاذها.

وجاء في القصص النبوي فيما رواه البخاري في كتابي المظالم والرقاق[٢٦] من أبي سعيد الخدري -

رضي الله عنه ـ عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصّون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذّبوا أذن لهم بدخول الجنة، فو الذى نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا) وعنه أيضا قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانت في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا).

قال ابن حجر: قال الطيبي (أهدى) لا يتعدى بالباء، بل باللام أو إلى، فكأنه ضمن معنى اللصوق بمنزله هاديا إليه، ونحوه قوله ـ تعالى ـ **{يهديهم ربهم بإيمانهم}** (الآية) فإن المعنى يهديهم ربهم بإيمانهم إلي طريق الجنة.. وقال القرطبي: وقع في حديث عبد الله بن سلام: أن الملائكة تدلهم على طريق الجنة يمينا وشمالا وهو محمول على من لم يحبس بالقنطرة أو على الجميع. والمراد أن الملائكة تقول ذلك لهم قبل دخول الجنة، فمن دخل كانت معرفته بمنزله فيها كمعرفته بمنزله في الدنيا.

وابن قيم الجوزية يعرض حديث صحيح البخارى المروى عن أبي سعيد الخدري ثم يزيد: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (والذى بعثنى بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة) ولم أقف على هذه الزيادة في البخاري.

الهوامش:

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٣٩٥.
(٢) حادي الأرواح ص ٢٠١.
(٣) تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص ٢٨٩.
(٤) فتح الباري جـ١١ ص ٢٩٤.
(٥) حادي الأرواح ص ١٢١.
(٦) خطب الرسول {صلى الله عليه وسلم} ص ٣٠٠.
(٧) حادي الأرواح ص ١٤٣ وتفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٨٤.
(٨) صحيح حادى الأرواح ص ٩٧.
(٩) النهاية في الفتن جـ٢ ص ٢٦١.
(١٠) حادي الأرواح ص ١٤٧.
(١١) فتح الباري جـ٢ ص ٣٥٤.
(١٢) أي يوم الجمعة.
(١٣) جـ ٣ ص ١٣.
(١٤) حادي الأرواح ص ١٤٨ وصحيح حادي الارواح ص ١٠٢.
(١٥) جـ ٧ ص ٢١٢.
(١٦) العود الهندي.
(١٧) حادي الأرواح ص ١٤٩ والنهاية في الفتن جـ٢ ص ٤٠١.
(١٨) التنكرة ص ٥٤٨ وحادي الأرواح ص ١٥٠، ١٥٢ ونهاية الفتن ص ٤١٢.
(١٩) فتح الباري جـ ١١ ص ٢٧٣.
(٢٠) جـ ٦ ص ١١٠.
(٢١) فتح البارى جـ ١١ ص ٤١٥.
(٢٢) الجد: الغنى.
(٢٣) التنكرة ص ٤٣٢ النهاية في الفتن جـ ٢ ص ٣٩٩.
(٢٤) للمزيد انظر منتخب كنز العمال جـ٣ ص ٧ في فضل الفقر والفقراء.
(٢٥) حادي الأرواح ص ١٨٣ وتفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٢٢١.
(٢٦) فتح الباري جـ٥ ص ٩٦ وجـ١١ ص ٣٩٥.

في الانتماء الثقافي (٥-٦)

دور الوطنية والحرية والتراث فى البعث الحضاري

في المشروع النهضوى لمدرسة «الجامعة الاسلامية» ـ كما صاغه واحد من أبرز أعلامها: عبد الله النديم (١٢٦١ ـ ١٣١٣هـ/ ١٨٤٥ ـ ١٨٩٦م) ـ قبل قرن من الزمان.. تبرز بعد «الدين» .. و«اللغة» أهمية مقومات: «الوطنية» .. و«الحرية».. و«العادات».. و«التراث».

فالوطنية: جامع من جوامع الانتماء الثقافي والحضاري، ومقوم من مقومات الانبعاث النهضوي.. الذي يحفظ استقلال الأمة واستقلال الوطن عن الانقياد للغير والتبعية للآخرين، ذلك «أن جهل الوطنية وحقوقها وواجبات أهلها يسهل على الجاهل الانقياد للغير وتسليمه الوطن، غرورا بالظاهر، وجهلا بالعواقب، إذ لا يعلم من الوطنية إلا أنه ساكن بهذه الأرض، ينتفع بالسكنى فيها انتفاع الوحش بالأودية والمغارات، فلا يعرف تاريخ الحياة الوطنية ولا الأمم المؤسسة لها ولا شرف استقلال الاستيطان ولا مجد وقاية المأوى، وبهذا يكون بين يدى الغير بمنزلة أجنبي يستعمله في مهنته، وليس له إلا أجر أجير ومنزلة نزيل».

فالوطنية ليست سكنى في بقعة جغرافية، وإنما هي جامعة لشرف استقلال الوطن، ومجد الأمة، حتى لا تكون هذه الأمة ـ إذا فقدت هذا الجامع ـ في أرضها ـ بمنزلة الغريب والأجير والنزيل!.

وكذلك الحال ـ في عوامل وجوامع الانتماء عند النديم ـ مع جامع «الجنسية» لأن التفريط في الجنسية، والتجنس بالجنسيات الأجنبية، يجعل المنسلخ من جنسيته متخذا جنسيته عدوا؟! «فإذا تجنس المرء بغير جنسيته، بالتقليد واتباع محسنات الغير ومجاراته في أقواله وأفعاله، وقعت جنسيته عنده موقع العدو، وعدم فوائدها التى يأتى بها اجتماع أفراد الجنس»[١].

فالجنسية جامع من جوامع استقلال الذات الوطنية والحضارية، تعصم الذات من «التقليد للغير واتباع محسناته، ومجاراته في أقواله وأفعاله».

وإذا كنا نتحدث اليوم عن «الاقتصاد المستقل» و«التنمية المستقلة» كشرط من شروط «المشروع الحضاري المتميز» فلقد كان النديم علما من أعلام تيار الجامعة الاسلامية والرابطة الشرقية، الذى ارتاد الدعوة إلى

بقلم المفكر الاسلامي : أ .د. محمد عمارة
ـ مصر ـ

هذا الاستقلال الاقتصادي، في مواجهة الهيمنة الاقتصادية الغربية منذ بدايات المواجهة مع النهب الاقتصادي الغربي لثروات عالم الإسلام٠٠ والكاتب الأمريكي «لوثروب ستودارد» في كتابه (حاضر العالم الاسلامي) يقول عن تيار الجامعة الاسلامية ـ الذي بلوره وقاده جمال الدين الأفغاني ـ إن «غاية الجامعة الاسلامية الاقتصادية هي: ثروة المسلمين للمسلمين، وثمرات التجارة والصناعة في جميع المعمور الاسلامي هي لهم يتنعمون بها، وليست لنصارى الغرب يستنزفونها٠ وهي نفض اليد من رؤوس المال الغربية، والاستعاضة عنها برؤوس مال إسلامية، وفوق جميع هذا، هي تحطيم نواجذ أوربة، تلك النواجذ العاضة على موارد الثروة الطبيعية في بلاد المسلمين، وذلك بعدم تجديد الامتيازات في الأرضين والمعادن والغابات وقطر الحديد والجمارك، وسائر العقود التى ما دامت خارجة من أيدى العالم الاسلامي فهو يظل عالة على الغرب»[٢]٠

فنحن أمام برنامج للاستقلال الاقتصادي، يمثل قسمة من قسمات استقلال الهوية الحضارية للأمة، وسمة من سمات مشروع نهضتها المستقلة٠٠ وفي إطاره نقرأ ما كتبه النديم عن جناية التقليد للغرب والاستهلاك لمصنوعاته على اقتصاد الأمة وثروتها٠٠ «فلما حصل الاختلاط، وامتدت التجارة، واتسع نطاق الزراعة، وساكن الأجنبي الوطني، وتبادل الفريقان الزيارة، قبّح الغربي اقتصاد الشرقي، وعدّه بقاء على الهمجية والتوحش، وحسّن له التوسع في المآكل والمشارب وآنيتها٠٠ وما قصد بذلك إلا تحويل ما بيده من النقود الى بلاده، واتخاذه أجيرا[٣] ٠٠ فبعد عقد المعاهدات التجارية مع دول أوربا، جيء بمصنوعاتها إلى مصر، فهجم عليها الأهالي، وأقبلوا على البضائع الأجنبية وتركوا صنائعهم وصناعهم٠٠ ولازال الأهالى يميتون الصنائع شيئا فشيئا حتى صارت الملابس والفرش والأواني، وكل ما يلزم الإنسان من ضروريات الأثاث من صناعة الأجانب، وبهذا ماتت الصناعة موتاً»[٤] مع أنه «يوجد بالمحلة الكبرى صناع يصنعون الأقمشة اللطيفة المحتاج إليها لباسا وأثاثا، مع إتقان الصنع وجودة القماش وحسن المنظر، لكن الناس مغرمون بمصنوع الأجنبي الذي لا يساوي شيئا في جانب مصنوع البلاد[٥]٠٠ لقد أماتوا بهذا الاسراف الاقتصاد الشرقي٠٠ ولما لم تكفهم وارداتهم لاستحضار الآلات والمطاعم والمشارب الجديدة اقترضوا ورهنوا الأملاك والأطيان؟!»[٦]٠

إنها التبعية الاقتصادية، التى جلبتها نزعة التقليد والمحاكاة للغرب٠٠ وعلاجها ـ في رأى النديم ـ هو استقلال الهوية، الذي يجعلنا نميز في ما لدى الغرب بين «النافع ـ الضروري» وبين ما لا يوافق «أخلاقنا وعاداتنا»٠٠ «فلو أخذنا من محسنات الغرب مالابد منه، واقتصرنا على ما يوافق أخلاقنا وعاداتنا لحفظنا لأنفسنا حق الانتفاع بثمرة الاقتصاد الشرقي»[٧]٠

هكذا تكلم النديم عن الاستقلال الاقتصادي، سبيلا للحفاظ على الثروة، وطريقا لتنمية مكونات الاستقلال الحضاري أمام مخاطر وإغراءات التقليد والمحاكاة٠٠ وكأنه ـ رحمه الله ـ يتكلم عن مشكلاتنا، ساعة كتابة هذه السطور؟!٠

والنديم، الذى كانت حياته «صيحة في سبيل الحرية» للفرد٠٠ والوطن٠٠ والأمة ـ والذى صارع قوى الاستبداد٠٠ وهرب بحريته من حبل المشنقة٠٠ وعانى من النفى والتغريب عن وطنه ـ لم يخلط ـ هذا

العاشق للحرية - بين مفهومها الاسلامي، الذى ينتمى إليـه، ويزكيـه ويدعـو لإشـاعـتـه، وإقـامـة نظمـه ومـؤسسـاته، وبين مـفـهـومـهـا الغـربي، القـائم على «الإباحة.. وعدم التعرض لأحد في أموره الخاصة»، الذى رفضـه، معتبرا إياه «بهيمية» إن ساغت في أوربا، فـهي غـيـر سـائغـة في عـالم الاسـلام، الذى ضبطت شريعته حقوق الناس بحقوق الله، وحريات الناس بالأخلاق والعادات والقواعد الدينية.

وعن هذا الملمح من مـلامح منظومـة الانتـمـاء الثـقـافي للنديم، كتب الرجل فـقـال: «ولئن قـيل: إن الحرية تقضي بعدم تعرض احـد لأحـد في أمـوره الخاصة، قلنا: إن الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق والوقـوف عند الحـدود، وهـذا الذى نسـمـع بـه ونراه رجوع إلى البهيمية وخروج عن حد الإنسانية، ولئن كان ذلك سائغا في أوربا فإن لكل أمة عادات وروابط دينـيـة أو بيـتـيـة، وهـذه الإباحـة لا تناسب أخـلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينية ولا عاداتهم. والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الأمة من غير أن يجني أو يغري بالجناية عليها بما يبيحه من الأحوال المحظورة عندها»[٨].

وعندما يعرض النديم لتطبيقات المفهوم الغربي للحرية - مفـهـوم الإباحـة وعـدم التـعـرض لأحـد في أمـوره الخـاصـة - على «حـريـة المرأة» ومـا أثمـرته تطبيقـات هذا المفـهـوم من إباحـة الزنى بالتـراضى والاختيار، دون مراعاة للضـوابط الشرعيـة.. يرى النديم في ذلك «حرية مدنية ينفر منها البهيم.. وهي لا توافق عـوائد أهل الشـرق ولا أديانهم، فـقـد اتفق المسلمـون والنصارى واليـهـود والمجوس على الغيـرة على النسـاء وصيـانتـهن، وأجـمـعوا على تحـريم الزنا وقبحه، فإطلاق الحرية في هذا الباب مذمومة.. وما سمعنا بمثل هذا في الجاهلية الأولى[٩]».

ولا يحسبن أحد أن موقف النديم هذا كان نابعا من عداء للمرأة.. فنساء مصر - قبل سنوات طويلة من حـديث قـاسم أمـين (١٢٨٠ - ١٣٢٦هـ/ ١٨٦٣ - ١٩٠٨م) عن تحريرهـن - عندمـا تطلعن إلى إصـدار مـجلة نسـائيـة، قـد وقع اخـتـيـارهن على عـبـد الله النديم.. وعن هذا المشـروع - لإصـدار جـريدة (المربى) الأسبوعية - للمرأة والطفولة - كتب النديم يقـول: «تقـدمت لنا كـتـابة من ثلاث وعـشرين سـيدة يطلبن إنشـاء جـريدة تخـتـص بهن.. وهـذا الذي حملني على إجابة طلبهن في نشر جريدة أسبوعية تسـمـى (المربي).. وسنشـرك مـعنا بعض الأفـاضل الأطبـاء لتحرير مـا يختص بالأمـراض والحوامل.. وإنا نشكر السيدات اللاتى اقـترحن هذا الاقـتـراح البديع، كما نثنى عليهن في اختيار هذا الضعيف - (النديم) - لهذه الخدمة، وقد عللن ذلك بقولهن: «إنه لا يقدر على تحرير جريدة بلساننا ولسـان الأطفال إلا مثلك، فلذلك رجوناك هذا الرجاء»».

ثم يستطرد النديم، فيدعو النساء إلى الإسـهـام في تحـرير هـذه المجلة بالأفكار والمقالات .. فـيـقـول: «وإني، كـذلك، أرجـوهـن أن يبـعـثن لي أفكارهـن في المواضيع التى تطرأ عليهن.. نشرا لفضائل سيدات العصر، كما نشر المتقدمون فضـائل من عاصروهن. ولهن أن لا نـصـرح باسم واحدة منهم إلا من شـاءت ذلك.. والله تعالى يوفقنا لما فيـه رضـاه ونفـع الأمة ذكرانا وإناثا»[١٠].

وفي هذا الذي كتبه النديم بيان على أن النموذج الذى كان في فكره، لهذه النـهـضـة النسـائيـة، لم يكن النمـوذج الغـربى - الذى رأى في حـريتـه وتحـريره «حـرية مـدنية ينفر منها البـهيم»! وإنمـا كان نموذج الحرية والتحرير للمرأة الشرقية هو النموذج الشرقي

الاسلامي في عصور ازدهار حضارتنا الاسلامية.. فلقد كان النديم يريد - وفق عبارته - «نشرا لفضائل سيدات العصر كما نشر المتقدمون فضائل من عاصروهن».

ونقد النديم للمفاهيم والمضامين والتطبيقات الغربية في «الحرية الشخصية» وفي «حرية المرأة» لم يمنعه من طلب الاستفادة من الجوانب الايجابية لمفاهيم الغرب وتطبيقاته للحرية في ميادين أخرى.. فلقد دعا إلى النظر في تجارب الغرب في «التعددية الحزبية»، مع ضرورة قصر عضوية هذه الأحزاب على «الوطنيين»، وتطهيرها من دعاة التقليد والمحاكاة للأفكار الغربية «الطائرين خلف المحسنات الأوربية»؟!.. فهذه «الأحزاب لا يمكن تكوينها إلا من الوطنيين، الذين يخافون أن تطأ خيل الغرباء قبور أجدادهم الحافظة لعظام المجد الوطني والشرف الملكى.. فعلينا أن نبحث في طرق أحزاب أوربا وروابطهم، وكيفية سيرهم، وموجب استمرارهم على ما هم فيه.. ولتكن لكل حزب جرائد تنشر أعماله وتؤيد أقواله.. بحيث تلزم مشربا لا تتحول عنه، ولا تتلون بتلون المطامع. ولا يلزم من اختصاصها أن تكون مضادة لغيرها من الجرائد في كل ما يكتب فيها، فإن الجرائد مدارس الأفكار.. تحافظ على مبادىء حزبها، وتجاري الجرائد في المقالات العامة والأفكار النافعة. وإلا إذا تركت الأحزاب والجرائد، وأخذت كل ما يقال بالقبول، من غير بحث في مصدره وما تحته من الدسائس، تَحَوَّل مجرى سيلها الوطني إلى الأودية الأجنبية، ووقعت في أشراك أوربا وهي لا تشعر. ولتكن مطهرة من ذوى الأفكار الفاسدة، محفوظة من الطائرين خلف المحسنات الأوربية[١١]».

فهو في الحريات الفردية والشخصية، يريد مفهوما متميزا عن المفهوم الغربي، مضبوطا بحدود الله وحقوقه وأخلاقيات الأمة وعوائدها.. وهو في تكوين الأحزاب، وفي صحافتها، يريد ضبط آفاقها بالمصالح الوطنية، وبمميزات الانتماء الثقافي والخصوصية الحضارية، وذلك حتى لا توقعنا هذه الحريات «في شراك أوربا.. والأفكار الفاسدة للطائرين خلف المحسنات الأوربية»؟!.

ومن موقع العاشق للحرية، انتقد النديم نظم التغلب والاستبداد الشرقية، تلك التى حرمت الأمة من ثمرات نظام الشورى، بل واضطهدت العقلاء والنبهاء خوفا على استبدادها، حتى جعلتهم عبرة أخافت بها الجمهور؟!.. «فلقد أخطأ الشرقيون طريق الشورى بسبب الجهالة التى عمت الأمم الشرقية، فلم يكن عند ملوكهم ثقة بأعيانهم ووجهائهم، ولا يحبون كثرة العقلاء خوفا من التغلب الذي يحلم به كل ملك شرقى، وهو وَهْمٌ لا حقيقة له، ولذا نراهم نبغ في ممالكهم أناس وضعوهم تحت سوط التضييق حتى يبغض الغير طريق العقلاء والنبهاء فرارا من الوقوع فيما وقعوا فيه من البلاء والعناء[١٢]».

وفي النظم التى سمحت بألوان من الشورى، ينتقد النديم «التعويل على استشارة أرباب الأموال وأهل الوجاهة، من غير تخير العقلاء منهم ولا تمييز الأغبياء من الأذكياء» في الوقت الذى أنفت فيه هذه النظم «من استشارة الفقراء ومفاوضة الضعفاء وإن كانوا قد امتلأوا علما وكسوا نباهة»!.

ويرد على الذين يزعمون ملاءمة الشورى للغرب دون الشرق، داعيا إلى الاقتداء بالغرب في مسيرته الشوروية، التى صحح فيها أخطاء التجربة الشوروية

بالمزيد من الاصرار على السير على دربها.. «.. فلئن قيل: إن الشورى لا تنجح في الشرق ـ كما يزعم محبو الأثرة والانفراد بالتسلط ـ قلنا: إن اتحاد الشرقي مع الغربي في الخَلْق يرد هذه الدعوى الباطلة. وإنما ثابر الغربيون على العمل بالشورى، وأخذوا يصححون الأغاليط ويراجعون الخطأ.. حتى تربت الملكات.. وما أوصلهم لهذه الغاية إلا اعتمادهم على الفضلاء الأذكياء منهم، حتى اضطر الأغنياء والوجهاء لدراسة العلوم والفنون السياسية التى بها ترشحوا للدخول في أندية الشورى[١٣]».

كذلك دعا النديم إلى إحياء عاداتنا في التجمعات.. وفي الأعياد.. وانتقد تقليد الغربيين.. فلقد تميزت مناسبات اجتماعاتنا، تاريخيا، «بالخطب الحاوية لدراسة الأحوال وجمع الآراء وتنبيه الأمة على ما يجب لها من الضرورات.. أما جعل الزيارة ـ في الأعياد ـ قاصرة على كل عام وأنتم بخير.. أو الاقتصار على إرسال ورق الزيارة (بطاقات التهنئة) بالبوسطة، تقليدا للأوربيين، فهو جهالة، وإعدام لثمرة العيد بالمرة[١٤]».

ولم يكن النديم متزمتا في الموقف من الفنون ـ ومنها فن الغناء ـ السماع ـ لكنه كان داعية لمراعاة الخصوصية الشرقية التى ربطت الفنون «بالفضيلة والمزايا الجميلة» فدعا إلي إقامة أندية وطنية للغناء المصرى، تكون «مجالس للسماع، خالية من الغوغاء وأم الخبائث (الخمر) فإن التغني بالشعر اللطيف، الحاوي للمعاني الرقيقة، المنبه لأفكار العامة للسعى خلف الفضيلة والمزايا الجميلة، مما يحرك الطباع للعمل، ويبعث في النفوس رغبة فيما تضمنه الشعر من مقاصد الشعراء الجميلة. وحبذا لو كان لنا مَغْنى مصرى، خال من الخمور والمومسات والغوغاء، لا يدخله إلا أناس مشتركون فيه شهريا أو سنويا بتذاكر مخصوصة، برئاسة أشهر المغنين، كالمجيد المتفنن أمير الأغاني عبده أفندى الحمولى وأصحابه الشيخ يوسف خفاجه ومحمد أفندى عثمان وأحمد أفندى الليثى وأمثالهم، ويشترط أن يكون لهذا المغنى مجلس ينظر فيما يُغَنّى به من الأشعار والأدوار، بحيث يحجر على الأدوار السخيفة والضروب الخارجة عن حد الآداب، فلا يرخص للمغنين إلا بما في سماعه تنشيط وفي كلماته معان تعجب العقلاء ويرضاها الفضلاء. كما يشترط أن يكون المغنى المصرى تحت إدارة مصريين، لا يشاركهم في إدارته أجنبي، ليكون وصفه بالمصرى جاريا على حقيقته[١٥]».

هكذا نظر النديم إلى الغناء، باعتباره فنا وطنيا جميلا، يسهم في تميز هوية الأمة وخصوصية حضارتها، بل ودعا إلى جعله مؤسسة وطنية تنهض بدورها في مواجهة التحديات التى تواجه الانتماء والتحرر والنهوض!.

وإن الإعجاب ليزداد بالنديم عندما نرى اتساع آفاقه التى التمس فيها مقومات الانتماء الثقافي ومنطلقات النهوض الحضارى.. حتى لقد نبه على دور «الآثار.. والعاديات» بل وحتى عظام الأسلاف ومقابرهم، في الانتماء الثقافي المتميز لتاريخنا الحضارى المتميز.. وحذر من محاولات الغرب أن ينبش ويسرق، مع تاريخنا، عظام العظماء من الأسلاف والأجداد؟!.. فتحدث النديم إلى أبناء أمته قائلا ومحذرا: «عما قريب تنبش قبور آبائكم وأضرحة عُبّادكم وسادتكم، لتؤخذ تلك العظام النخرة إلى أوربا، حتى لا يكون هناك أثر لذى مجد

من الشرقيين، فإن خفتم من ذلك فاتخذوا أعظم الوسائل لبقاء موتاكم متوسدى تراب قبورهم، فإننا نرى الأوربيين ينقلون عظام موتاهم من بلاد حاربوا فيها ليحفظوها في أوطانهم حتى يزورها الآتى ويقرأ تاريخها العجيب»[١٦].

فالآثار والعاديات ومقابر العظماء، شواهد على المجد التاريخى، وسلاح من أسلحة الانتماء الثقافي في مواجهة التحديات الغربية التى بلغت في الشراسة حد نبش القبور، وسرقة العظام النخرة، تجريدا لأمتنا من أمجادها!.

كذلك وقف النديم - في كتاباته عن تراث الأمة، الحامل لخصوصية انتمائها الثقافي - أمام مؤسستين من مؤسساتها العتيقة العريقة الموروثة.. الأزهر.. والطرق الصوفية.. ولقد تميزت وقفاته بنظرة تجديدية، تحافظ على العراقة وخصوصية الانتماء، مع التطلع للمستقبل الذى يستدعى تطورا من داخل النسق الفكري، يحافظ على ثوابت الهوية ويستجيب لدواعي المستجدات.

فهو يعلن أن «منكر فضل الأزهر كمنكر نور الشمس في اليوم الصائف»[١٧].. وعلماء الأزهر «هم أئمة الناس في السير إلى المدنية.. وهم والملوك فى رتبة الأبوة بالنسبة إلى الأمم، بل هم الآباء الذين يؤهلون الملوك للقيام بوظائفهم، فالرتبة العلمية هى الرتبة العليا في العالم الانساني[١٨]».

وهو يلح على الحفاظ على استقلال الأزهر عن الحكومة والدولة، وخاصة بعد أن غدت الحكومة والدولة خاضعة لسلطان الاحتلال، ويدعو «ديوان الأوقاف» إلى عدم المساس باستقلال الأزهر، فيقول: «وأملنا من ديوان الأوقاف معرفة استقلال الجامع الأزهر واحترام شيخه وعدم إدخاله في الملحقات التى تصيره فرعا وهو أصل لا يصح أن يلحق بغيره استتباعا، فإن تقلبات الأحوال حذرتنا من التهاون في مثل هذا الاستتباع ولا ينجى الأزهر من تلاعب الأفكار به إلا استقلاله تحت إدارة شيخ شيوخه.. وإن ثقتنا بالقائمين بالأعمال الآن لا تمنع من تخوفنا من المستقبل إذا استمر الاحتلال لأجل طويل، معاذ الله[١٩]».

وهذا الأزهر المستقل - الذى هو أصل لا يصح أن يلحق بغيره - كان النديم واحدا من دعاة إصلاح مناهجه، وتجديد علومه، وتأهيل علمائه بالمعارف والعلوم التى تجعلهم مالكين لمعارف العصر مع معارف التراث.. بل وكان النديم داعيا إلى تربية علماء الأزهر تربية سياسية تجعل لهم دورا في شئون الدولة إلى جانب أدوارهم التقليدية في شئون الدين.. فأنت «ترى كل مشتغل بالأزهر منصرفا عن الدنيا وما فيها، فلا يقرأ الجرائد العلمية ولا السياسية، ولا يعرف شيئا عن أحوال الممالك، ولا يقرأ تقويم البلدان (الجغرافيا)، ولا علم له بشيء من الجارى بين الملوك والطوائف، ولا وقوف له على حوادث الحروب واختلاف الأمم، ولا إلمام عنده بصنعة أو زراعة أو أصول تجارة، ولا يبحث في مخترع يسمع به ومقترح يرد عليه، كأنه في جب لا ساكن فيه إلا من ماثله في هذا التجرد الشنيع، مع انه يعلم أنه يطلب العلم ليكون مؤهلا للإفتاء والقضاء، وهاتان الوظيفتان أرقى وظائف السياسة القضائية المتصلة بكثير من الفروع الإدارية.. لقد أبعدت جموع العلماء عن مجالس الأمراء لعدم اقتدارهم على مشاركتهم في تبادل الأفكار، إذ لا يعلمون من لوازم الدولة شيئا[٢٠]».

ولهذا الموقف التجديدي، الذى اتخذه النديم، من

مؤسسات العلوم التراثية - والأزهر في طليعتها - كان تقدير النديم لمنهاج «دار العلوم» الجامع بين الموروث وبين الجديد «فدار العلوم خرَّجت للمعارف أفاضل حازوا فضيلتي الأزهر المنير والمعارف البهية»[٢١] جميعا!.

وفي تحديد النديم لدوائر انتمائه الفرعية، بإطار جامع الاسلام، قال: إنه عبد الله النديم، الادريسى، الحسني، الأشعري، الشافعي، الخلوتي، الاسكندري[٢٢]».. فذكر الطريقة الصوفية التي ينتمى إليها «الخلوتية» واحدة من دوائره في الانتماء.

لكن ثقافة النديم الاسلامية كانت ثقافة العالم الذى يرى التصوف الحق هو طريق الأئمة الذين التزموا، في أخذ الدين والفكر الاسلامى، عن مصادرهما الحقة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس.. والذين رأوا التصوف سبيلا لتهذيب النفس والارتقاء بها على سلم الرياضات الروحية، ملتزمين في كل مراحل الطريق بأحكام الدين وفق قواعد أهل السنة في استنباط الأحكام.. فطريق التصوف الحق، عند النديم، هو «الطريق المسلوك للقوم، المبنى على الإخلاص في العمل وحب الخلوة والبعد عن الناس والصمت عن اللغو وملازمة الذكر ومداومة السهر فيه والتهجد والزهد فيما في أيدى الناس والتمسك بالسنة والإرشاد الى الطريق المستقيم[٢٣]».

ومن هذا الموقع للتصوف الملتزم بالشريعة كان نقد النديم للبدع الفكرية - بل والكفرية - وللممارسات الخرافية التى التصقت بكثير من طرق الصوفية، والتى حسبت على التصوف زورا وبهتانا.. فبعد أن حدد طريق التصوف الحق، استطرد فقارن بينه وبين ركام الانحرافات والخرافات السائدة لدى كثير من المنتسبين للتصوف، فقال: «وأين هذه الأصول الشريفة مما نراه الآن من الخروج عن الحدود، واستبدال السنة بالبدعة، وترك الشرع بهوى النفس. والطامة الكبرى دعوى بعض الأشياخ وانتحاله ما يضر بالعقيدة، وإضلاله العامة بما ينقله إليهم عن بعض الصوفية، مدعيا وصوله إليه عن طريق الفتح أو الإلهام، فقد كثرت النحل والبدع، وسمعنا من أقوالهم ما ليس من ديننا ولا يقول به أهل دين آخر، اللهم إلا عند البوذية من المجوس فإن لهم أقوالا تشبه أقوال القائلين بوحدة الوجود، وهم لا يدرون معنى القول بالوحدة.. ولله در العلامة الشيخ جمال الدين الأفغانى ، حيث أخبر السيد البكرى (شيخ مشايخ الطرق الصوفية) أن القول بوحدة الوجود أصله دين قدماء اليونان، ودخل في العرب عند ترجمتهم كتبهم، فهو دين متداخل في دين، من غير شعور الآخذين به[٢٤]».

وغير هذه «البدعة - الفكرية - الكفرية» - القول بوحدة الوجود - والتى جعلت هؤلاء المبتدعين يتغنون بعبارات من مثل: «وما الكلب والخنزير إلا إلهنا»؟!.. و«أنا من أهوى ومن أهوى[٢٥]»؟!.. هناك الممارسات البدعية في الموالد، حتى لقد قال «الإفرنج: لنا كرنفال في السنة، ولكم في كل مولد كرنفال[٢٦]».

يهاجم النديم كل ذلك، قائلا: «فهلا اتخذ الناس طريقة للموالد والمجالس غير هذه الطريقة الشنيعة، وهلا رجع هؤلاء الجهلة عن بدعهم والتزموا طرق أشياخهم الذين يدعون أنهم على آثارهم؟، وما هم إلا في أيدى الشياطين يلعبون بهم كيف يشاؤون.. إنهم إن تمادوا في بهتانهم وافترائهم على الله ورسوله، اضطررنا لكتابة رسالة في عقيدتهم وفسادها، وأوردنا أقوال أهل السنة فيها، وتكفيرهم القائلين بوحدة الوجود»[٢٧].

لقد كان انتماء النديم، في الثقافة الدينية: إلى

الأشعرية في الأصول - وهي تيار الوسطية الاسلامية، الذى استقطب جمهور الأمة في تصورات الاعتقادات.

وإلى المذهب الشافعي - في فقه الفروع - وهو الذي استقطب جماهير واسعة في مصر، بعد أن استوطنها الشافعي، محمد بن إدريس (١٥٠ - ٢٠٤هـ/ ٧٦٧ - ٨٢٠م) وأبدع فيها مذهبه الجديد.. وإلى التصوف السني - في طريق تهذيب النفس بالمجاهدات الروحية.

وكان في جميع دوائر هذا الانتماء الثقافي عقلا ناقدا، وفكرا مجددا، كواحد من علماء وأعلام مدرسة التجديد الديني والإحياء الاسلامى - مدرسة الجامعة الاسلامية.. والرابطة الشرقية - التى تبلورت من حول موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام جمال الدين الأفغاني.

الهوامش:

(١) الأستاذ. العدد الأول، ص ١٣.

(٢) [حاضر العالم الاسلامي] مجلد ١ ص ٣٢٦، ترجمة عجاج نويهض - تعليق: شكيب أرسلان، طبعة بيروت ١٩٧١م.

(٣) الأستاذ، العدد الثالث ص ٥٣.

(٤) المصدر السابق العدد الثامن، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٥) المصدر السابق العدد السابع والثلاثون ص ٨٩٤.

(٦) المصدر السابق العدد الثالث ص ٥٥.

(٧) المصدر السابق العدد الثالث ص ٥٦.

(٨) المصدر السابق العدد التاسع عشر ص ٤٠٣٩.

(٩) المصدر السابق العدد الثامن والعشرون ص ٩١٢.

(١٠) المصدر السابق العدد الرابع والثلاثون ص ٨٠٤، ٨٠٥.

(١١) المصدر السابق العدد العشرون ص ٤٦٣ - ٤٦٥.

(١٢) المصدر السابق العدد الخامس عشر ص ٣٥١.

(١٣) المصدر السابق العدد الثالث والثلاثون ص ٧٦٤ - ٧٦٥.

(١٤) المصدر السابق العدد الرابع والثلاثون ص ٨٠٢، ٨٠٣.

(١٥) المصدر السابق العدد الثالث عشر ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(١٦) المصدر السابق العدد الثاني والعشرون ص ٥٣٠.

(١٧) المصدر السابق العدد السادس والعشرون ص ٦١٤.

(١٨) المصدر السابق العدد السادس والعشرون ص ٦٠٣.

(١٩) المصدر السابق العدد الثامن والثلاثون ص ٩١٩، ٩٢٠.

(٢٠) المصدر السابق العدد السادس والعشرون ص ٦١١، ٦١٢.

(٢١) المصدر السابق العدد الثاني ص ٣٦.

(٢٢) المصدر السابق العدد الحادي والأربعون ص ٩٩٩.

(٢٣) المصدر السابق العدد الرابع والثلاثون ص ٧٨٧.

(٢٤) المصدر السابق العدد الرابع والثلاثون ص ٧٨٧، والعدد الخامس والثلاثون ص ٨٤١.

(٢٥) المصدر السابق العدد الرابع والثلاثون ص ٧٨٨.

(٢٦) المصدر السابق العدد الرابع والثلاثون ص ٧٨٩.

(٢٧) المصدر السابق العدد الرابع والثلاثون ص ٧٨٦، ٧٨٨.

وجعلنا من الماء كل شيءٍ حيّ

يوم الماء العالمي*

لا شك أن لكتاب الله عز وجل السبق على كل البحوث العلمية الحديثة في تعليم الإنسان قيمة وأهمية المياه وذلك قبل ظهور علوم الأرض وعلوم البحار أيضا. فقد نوه القرآن الكريم عن عظم قيمة الماء في الحياة الإنسانية فقال تعالى: {وجعلنا من الماء كل شيء حي}.

ونحن نعلم الآن من الطب الحديث الارتباط بين الحياة والماء ونعلم أيضا أن الجفاف الذى يصيب الأطفال مثلا، إن بلغ حد الخمس عشرة بالمائة من وزن الطفل.. فإن ذلك ينذر الطفل بدخوله في خطر حقيقي ما لم يتم معالجته سريعا. وقد تطرق القرآن الكريم إلى دورة المياه في الطبيعة وتوزيع المياه فذكر مياه الانهار وخصائصها ووظائفها وذكر ماء المطر وطرائق صنعه في الأرض وغلافها الجوى وذكر البحار والمحيطات ولخص فوائد الماء المالح بثلاث فوائد أساسية وهي: النقل البحري، والثروة السمكية، والثروة المعدنية والجواهر. قال تعالى: {وما يستوي البحران هذا عَذْبٌ فُرات سائغ شرابه وهذا مِلْحٌ أجاج}.

وعن النقل البحري الذي يوفر للدول نقل ملايين الأطنان من البضائع. قال تعالى: {الله الذى سَخَّر لكم البحر لتجري الفُلك فيه بأمره} كما تحدث القرآن الكريم عن صلة المياه بالزراعة.

ومن أهم ما ذكر في القرآن الكريم عملية تقسيم المياه إلى حصص وضرورة توزيع المياه توزيعا عادلا وقد تناول الطريقة التي وزع بها موسى عليه السلام الماء على أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر. ونص على أن الماء مادة مقسومة حصصا فقال تعالى: {ونبئهم أنّ الماء قسمة بينهم كل شرْب مُحتضر}.

ويحتفل العالم اليوم بيوم المياه العالمى. وموقفنا هو تأييد الاحتفال الإعلامي بهذه المناسبات وذلك لنشر التثقيف المكثف للمواطن عن طريق وسائل الإعلام المختلفة. ونرى ألا يمر احتفاؤنا بيوم الماء هذا العام إلا وقد اغتنمناه لتوضيح بعض ما يعن لنا من مشاكل.

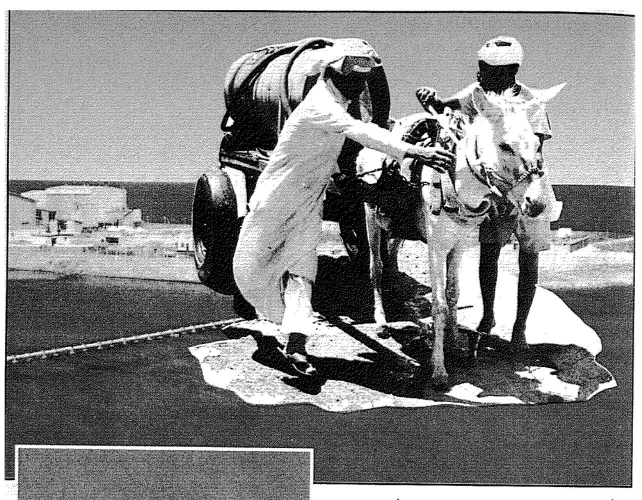
فعلى مستوى الدول نرى هذا الصراع على المياه المالحة والعذبة، وقد سمعنا في الماضي القريب عن الخلاف الذي نشب بين الجانب الأسباني والجانب الكندي في حدود صيد السمك على الشواطىء الكندية كما تنامى الى اسماعنا ولا يزال الصراع على ماء نهر الفرات العظيم بين الدول المستفيدة منه وقضية بناء سد أتاتورك وما صاحبه من خلاف في الرأي ليس مجالنا هاهنا الحكم عليه. كما تتواتر على القاريء أخبار أطماع إسرائيل في مياه بلاد الشام قاطبة سواء في هضبة الجولان والجنوب اللبناني أو في الضفة الغربية.

وعلى المستوى الوطني نرى حكومتنا الرشيدة قد قامت في سبيل توفير المياه للمواطن السعودي بجهود جبارة عظيمة بدأت من العين العزيزية.. مرورا بالسدود.. الى قيام الدولة بانشاء أول محطة لتحلية المياه في العالم العربي - وشح المياه في بلادنا وأقصد الطبيعية منها أمر لا يحتاج إلى تنويه فبلادنا ليس بها أنهار وهي أيضا قليلة المياه الجوفية - تلاه انشاء محطات أخرى. والدولة تتكبد في سبيل توفير الماء للمواطن المبالغ الباهظة.

أما دور المواطن - وهو في رأيي حجر الزاوية - فهو أن يعي قيمة هذه المادة الحيوية، وأن



بقلم : د. طاهر تونسي
جامعة الملك عبدالعزيز - جدة -



يعي أيضا ما تقوم به الدولة من جهود وأن يحافظ كل المحافظة على كل قطرة من هذه الثروة النفيسة. ولنكن صرحاء - فبيننا مواطنون وهم قلة - لا يعون قيمة هذه الموارد ولا قيمة الترشيد. وينبغي على هؤلاء أن يعوا دورهم ويقوموا بواجبهم. وعلى المواطن أن يكون الرقيب الأول على نفسه في هذا المضمار. يعقب ذلك رقابة الدولة على ترشيد المياه وذلك بطريقة التسعير طبقا للشريحة المائية - وأعني بمصطلح الشريحه المائية الطبقة من المجتمع التى تستهلك حصة مائية معينة.

ويأتى أيضا دور معاهد ومراكز البحث العلمي وكليات علوم الأرض والزراعة في المملكة العربية السعودية لترسم خطوطا جديدة وآفاقا متقدمة للحصول على وفرة أكثر في ميدان الأمن المائي.

(*) يوم ٢٢ أبريل من كل عــام يوافق اليــوم العالمي للمياه.

واحدة من محطات تحلية المياه في المملكة

مفهوم الموت في الثقافة العربية

قراءة في رواية «وعاد الزورق الى النبع»

الأدب للناس وللحياة:

من رحم المعاناة تولد روايات عبد الكريم غلاب، ومن نيران الإحساس بحرمان الانسان العربي يشعل أحداثها، وبألوان الواقع المر يرسم شخوصها، وبمداد الأمل في مستقبل أفضل يسطر حروفها ويصوغ عباراتها، فعبد الكريم غلاب كاتب ملتزم بقضايا أمته، مخلص لطموحات شعبه، لا يفصل بين نضاله في الحركة الوطنية وكفاحه على صفحات جريدته، ولا يفرق بين جهاده في مجلس النواب ومنافحاته عن مطالب الشعب في مقالاته، وعندما يكتب رواية جديدة يجد فيها أداة أخرى لهذا النضال، ووسيلة إضافية لذلك الكفاح. فكيانه كله حتى أطراف أنامله منذور لقضية الوطن، ولا وقت فائض لديه ليبذره في ما يُسمى بالفن للفن، فأفضل الأدب ما يخدم الوطن، كما أن خير الناس أنفعهم للناس.

أوضاع القرية العربية:

وإذا كانت رواية عبد الكريم غلاب الشهيرة [المعلم علي] تعالج أوضاع الطبقة العاملة في المدن المغربية إبان الحماية الفرنسية ونضالها من أجل التحرر وترقية مستوى معيشتها، فإن روايته [وعاد الزورق الى النبع] منذورة للفت الانتباه الى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في القرى والأرياف في عهد الاستقلال، تلك الاوضاع التي لا يقتصر وجودها على المغرب فقط بل يشمل الوطن العربي كله: فقر مدقع، وأمراض متفشية، وجهل مطبق. طيبة القرويين يشوبها البؤس والفاقة، وبشاشتهم تغتالها الأدواء والأوبئة، وأفكارهم تشينها الخرافات والتقاليد البالية، وجمال الطبيعة تفسده أقذار قريتهم المهملة.

إن قرية (ابن عبو) التي اختارها الكاتب لتكون مسرحا لأحداث روايته تمثل القرية العربية في كل مكان، والدكتور فوزي ابن المدينة الذي تم تعيينه بعد تخرجه من كلية الطب في مستوصف ابن عبو يرمز الى المثقف العربي ذي الحساسية المفرطة الذي يشاهد الأوضاع المزرية فيتألم: المستوصف عار من أية أجهزة أو أدوية تذكر ولا يوجد به ممرض، والمدرسة أغلقها القائد (المسؤول الاداري)، فظل أحمد الصغير يتحسر على أيامها محروما من فرص التعلم رغم ذكائه، أما جمعة، الراعية، فعالمها محدود بالشياه التي ترعاها، ولا تملك الا أن تذرف الدمع كلما مرض أحد خرافها ويسلم الروح وهو يتلوى



بقلم: د. علي القاسمي
مدير الثقافة بمنظمة الايسيسكو

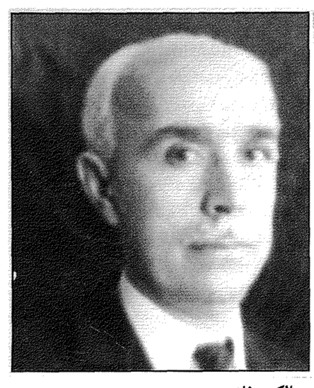
أمام ناظريها، ولا يخطر ببالها أن هناك ما يسمى بالطب البيطري.

يتأمل الدكتور فوزي أوضاع القرية وأحوال إنسانها البائس، ويعمل فكره في مشكلاتها، ويمعن نظره في أدوائها، فيتبين له أنه لا يكفي أن يعالج الامعاء المتألمة من الجوع بحقنة مورفين، ولا تنفع مداواة الرأس الذي يكاد ينفجر من الهموم بحبة أسبرين، فجوانب الحياة الفكرية والاقتصادية والصحية متشابكة يتصل بعضها ببعض ويؤثر بعضها في بعض كتشابك جذور الشجرة وأغصانها. فلكي نعتني بصحة إنسان القرية ينبغي قبل كل شيء أن نعلمه ونطور إمكاناته الاقتصادية والاجتماعية بحيث يتحسن مستوى معيشته مأكلا ومسكنا وملبسا. ولكي يبقى ابن القرية فيها يحرث الأرض وينتج الغذاء لابن المدينة لابد أن نوفر له جميع الظروف المناسبة، وبعبارة أخرى يجب أن ننقل المدينة الى القرية قبل أن تزحف القرية على المدينة.

إن مثل هذه الأحاسيس التي تخالج أبطال رواية (وعاد الزورق الى النبع) والأفكار التي تراودهم وتطفو على أحاديثهم وحواراتهم، هي عين المشاعر والآراء التي يعبّر عنها مؤلف الرواية في مقالاته الصحفية ومداخلاته البرلمانية، ولكنه صاغها هذه المرة في شكل روائي وبأسلوب مشوق يشد القارىء إلى شخوص الرواية ويجعله يتعاطف معهم، يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ويقلق على مصيرهم.

قضية الموت في الرواية:

غير أن رواية (وعاد الزورق الى النبع) لا تتناول أوضاع القرية في الوطن العربي فحسب، وإنما تتطرق كذلك الى بعض القضايا الكبرى التي تشغل بال الإنسان منذ أن وجد على هذه الأرض والتي كانت ومازالت موضوعا أساسيا لأعماله الأدبية نثرا وشعرا، وأعني بها قضايا الحياة والحب والموت. وفي الصفحات التالية سأقتصر على قضية الموت في



عبدالكريم غلاب

الرواية التي أزعم أن معالجة المؤلف لها جاءت في إطار مفهوم الموت في الثقافة العربية.

مفهوم الموت في الثقافة العربية:

ولرب قائل يقول: وهل يختلف الموت في الثقافة العربية عنه في الثقافات الأخرى؟ ووجاهة السؤال بادية للعيان، غير أن علم المصطلح الحديث يدلنا على أن المصطلحات ذات الخصائص اللسانية إنما تعبر عن مفاهيم ذات خصائص وجودية (انتولوجية) ومنطقية. وكل مجموعة بشرية تشترك في ثقافة واحدة تعمل على تقطيع الوجود أو الواقع الى مكونات مفهومية يتصل بعضها ببعض في منظومات مترابطة تؤلف النظام المفهومي الكامل. وطريقة تقطيع الوجود والنظام المفهومي الناتج عنها هما اللذان يميزان ثقافة من أخرى. وإذا كانت الثقافات تتفق في كثير من مفاهيمها المتعلقة بالوجود المادي أو العالم المحسوس كالعناصر الفيزيائية والكيميائية والمنتوجات الصناعية، فإنها غالبا ما تتباين من حيث المفاهيم المتعلقة بالعالم اللامحسوس كالقيم والعلائق. وهكذا تختلف مفاهيم الصداقة والجوار

والكرم والموت مثلا من ثقافة لأخرى وتبعا للزمان والمكان كذلك فللموت، على سبيل المثال، مفاهيم مختلفة في البوذية والهندوسية والشنتوية والاسلام. ويرتبط مفهوم الموت بمجموعة من المفاهيم الاخرى لتتكون منظومة مفهومية تدخل في علاقات مباشرة وغير مباشرة فتؤلف نظاما شاملا للمفاهيم. فمفهوم الموت في الثقافة العربية الاسلامية مثلا يتصل بمفاهيم أخرى كغسل الميت وتكفينه ولحده ودفنه، الخ. وهي مفاهيم لا وجود لها في الهندوسية التي يحرق اتباعها الميت ويذرون رماده في أحد الأنهار المقدسة عندهم. ولهذا فحتى إذا اتفق مصطلح الموت في عدد من اللغات فانه قد يعني شيئا مختلفا للناطقين بتلك اللغات.

سنلجأ الى فحص أبعاد قضية الموت في رواية (وعاد الزورق الى النبع) لمعرفة ما اذا كان طرح الكاتب لها يختلف عن المفهوم السائد للموت في الثقافة العربية أم صدى وتجسيدا له، لعل ذلك يعيننا على إدراك الكيفية التي يفكر فيها الروائي العربي وهو يمارس فعل الكتابة، والوقوف على المؤثرات الثقافية في العمل الأدبي الذي يصبح هو الآخر مؤثرا في تلك الثقافة. كما يمكننا في مرحلة لاحقة الاضطلاع بفحص القضية ذاتها في رواية أجنبية لوضع دراسة في الأدب المقارن تخدم مسألة التفاهم والحوار والتعاون بين الثقافات العالمية.

الثقافة مصدر المفاهيم:

وللوقوف على خصائص مفهوم الموت في العقل العربي لابد من استخلاصها من مصادر الثقافة العربية الإسلامية التي تكون ذلك العقل وتشكل مفاهيمه. وفي مقدمة تلك المصادر العقيدة الاسلامية والتراث العربي ممثلا بما تعيه الذاكرة ويعتمل به اللاوعي من شعر وحكم وأمثال واقوال مأثورة وسائرة.

لا ضرورة للإطالة في الحديث عن مفهوم الموت في العقيدة الاسلامية لأنه مشهور معروف لكثرة ما ذكر في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. فقد وردت مشتقات الجذر [م و ت] في حوالي ١٧٠ آية في القرآن الكريم. وإذا كان العلم الطبيعي يعرف الموت بأنه مجرد توقف أعضاء الجسم الرئيسية كالرئتين والقلب والمخ عن العمل، فإن المسلم يرى في ذلك مجرد تعريف لموت الجسد، أما من حيث موت الإنسان بوصفه روحا وجسدا، فإنه ينظر اليه على أنه نهاية وبداية، انفصال واتصال: فهو نهاية الحياة الدنيا وبداية الحياة الآخرة، انفصال عن العالم السفلي واتصال بالعالم العلوي. ويجازى الانسان بعد موته على ما قدمت يداه في حياته، وهكذا تكتسي الحياة معنى، وتنتفي وصمة العبثية عنها، ويتغلب الأمل على الألم.

ماهية الموت:

وعلى الرغم من الحدود الواضحة المعالم التي ترسمها عقيدة التوحيد لقضية الموت منذ عصر سيدنا ابراهيم الخليل الذي ولد وترعرع في مدينة أور جنوبي العراق في الألف الثاني قبل الميلاد، فإن الفكر العربي ظل يثير السؤال تلو السؤال عن الموت، من باب «ليطمئن قلبي» أحيانا، وبدافع من حب الاستطلاع والرغبة في استكناه المجهول في أحايين كثيرة. وبعض هذه الاسئلة طرحها الإنسان ومازال يطرحها في كل زمان ومكان وبعضها أكثر التصاقا بالإنسان العربي ومقتصر عليه. وأول هذه الاسئلة يتعلق بماهية الموت وطبيعته: «ما هو الموت؟» إن أقرب شبيه للموت يألفه الانسان هو النوم، ففي كليهما يفقد الانسان وعيه ويهمد نشاطه وتندثر حركته. وفي هذا يقول أبو العلاء المعري:

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسـ
ـم فيها والعيش مثل السهاد

ولكنك أنت وأنا نعلم يقينا أن التشبيه مجرد تشبيه مع الفارق، وليست هنالك مطابقة تامة بين الحمام والمنام. ويبقى السؤال المطروح قائما

وصعوبة الإجابة عليه بالغة. ولهذا نجد أحمد شوقي يخاطب الإمام محمد عبده وهو يرثيه قائلا:

مُفَسِّر آي اللـه في الأمس بيننا
قم اليوم فسِّر للورى آية الموت

والاستحالة في هذا الطلب لا تكمن في لا معقولية قيام الإمام من لحده وإنما في عسر شرح طبيعة الموت.

لماذا نرحل؟

والسؤال الثاني الذي يتبادر الى أذهاننا ويتعثر على ألسنتنا مع حسرة وزفرة هو:

لماذا نرحل إن كنا قد جئنا؟

ولماذا قبل قطاف الورد نموت؟ كما يتساءل عبد الوهاب البياتي.

ونكتفي عادة بإجابة بسيطة على السؤال الصعب، وهي إجابة لا تشفي غليلا، فنقول إنها سنة الحياة ولنفسح لغيرنا المكان، وينظمها المتنبي شعرا عذبا:

لقد فارق الناس الأحبة قبلنا
وأعيا دواء الموت كل طبيب
سبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها
منعنا بها من جيئة وذهاب

وهذا من باب «لو دامت لغيرك ما آلت اليك».

اسطورة الخلود:

ولكن ألا يمكن لنا جميعا أو لبعضنا على الأقل أن يحظى بالخلود ويفلت من أخطبوط الموت؟ وهل ينفع السحر أو الطب أو كلاهما في تحقيق المعجزة؟ يحدثنا أقدم نص في الآداب العالمية عثر عليه حتى الآن والموسوم بـ «ملحمة جلجامش»، وهي من روائع الأدب السومري القديم، أن جلجامش ملك مدينة أور الجبار بذل المستحيل من أجل أن ينال الخلود أسوة بالآلهة فاصطحب صديقه، أنكيدو، الذي يضارعه في القوة والبأس وانطلقا في أخطر رحلة عرفها تاريخ البشرية، اخترقا فيها الغابة المسحورة وصارعا الثور السماوي الذي صرع أنكيدو، وواصل جلجامش مغامرته وحيدا حزينا، وغاص في أعماق البحر للوصول الى نبتة الخلود.. واقتطفها، ولكنه فقدها في طريق عودته الى مدينة أور فانتحب بيأس وهو ينشد كلماته الرائعة:

ابك يا جلجامش، واذرف العبرات
لأن الآلهة التي آثرت نفسها بحق الحياة
هي التي قضت على الانسان بالممات

وإذا كان رجال الفكر قد اختلفوا حول الأسئلة السابقة فانهم يتفقون جميعا على حتمية الموت بغض النظر عن الطريقة التي يتم بها أو الصورة التي يتخذها كما يقول ابن نباتة:

من لم يمت بالسيف مات بغيره
تعددت الاسباب والموت واحد

فـ «لا محيد عن الموت، فالناس يموتون بسب أو بآخر وبلا سبب على الإطلاق»، كما يقول نجيب محفوظ متهكما ومآل الناس واحد كما يذكرنا الشاعر الجاهلي كعب بن زهير:

كل ابن انثى وإن طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول

كراهية الموت:

ويتفق العرب ـ باستثناء جماعة مخصوصة سنأتي على ذكرها ـ أن الموت ليس بالأمر الحسن على الإطلاق، بل هو مصير محتوم مرهوب مجهول يرافقه الألم والحسرة. وفي هذا يقول ضابيء بن الحارث:

لكل جديد لذة غير أنني
رأيت جديد الموت غير لذيذ

ورهبة الموت تثير الرعب والهلع في نفس كل إنسان حتى اننا نعد من يموت بغير وعي منه ـ أثناء النوم مثلا ـ سعيد الحظ لأنه ينجو من تلك التجربة المريرة ولا يعاني سكرات الموت ولا يتجرع آلامه، ويصوغ أحمد الصافي النجفي هذا المعنى شعرا

ويضيف إليه معنى طريفا بقوله:

أحـــاول أن أمـــوت بغـــيـــر وعي

مـــخـــافـــة رؤية الموت الخطيـــر

ولكني أخـــاف عليّ نقـــصـــا

بحـــرمـــاني من الدرس الأخـــيـــر

ولهذا فإن العربي قد يُحسَد على أي خير يناله ولكنه لا يحسد على الموت بتاتا. ويستثمر المتنبي هذه المعلومة للمبالغة في ما يصيبه من الحسد:

ويحـــســـدوني على مـــوتي فـــويلهم

حـــتى على الموت لا أخلو من الحـــســـد

مَنْ يخاف مِنَ الموت؟

وما دام لا مفر من الموت، وما دامت كل نفس ذائقة الموت، فإن العربي يواجهه بشجاعة وبكل ما عرف عنه من إباء وشمم، كما ينصحه المتنبي:

وإذا لـــم يـــكـــن مـــن المـــوت بـــدٌّ

فـــمن العـــجـــز أن تموت جـــبـــانا

ولهذا نجد أن التراث العربي زاخر بأخبار الرجال الذين يعلنون على الملأ أنهم لا يهابون الموت ولا يعبأون به. فهذا ابن سناء الملك يقول:

ســـواي يهـــاب الموت أو يرهب الردى

وغـــيـــري يهـــوى أن يعـــيش مـــخلدا

ولـــكـــنـــي لا أرهـــب الـــدهـــر إن سـطـا

ولا أحـــــذر الموت الزؤام إذا عـــــدا

ولذلك فعندما يواجه العربي الموت حقيقة وينتابه الهلع ويدب الخوف الى أعماقه دبيب العقرب المتأهب للدغ، وتبدو إمارات هذا الخوف وذلك الهلع على قسمات وجهه، فإنه يحاول تبرير ذلك والتماس عذر له كأن يزعم بأنه لا يخشى الموت من أجل نفسه وإنما إيثارا لغيره، فهناك أطفال صغار يعولهم ويتوقف مستقبلهم ومصيرهم عليه، وما الى ذلك، ويحفظ لنا التاريخ العربي عددا من الأمثلة على ما نذهب اليه، فعندما أسر الثائر تميم بن جميل التغلبي واقتيد مكبلا بالأصفاد الى مجلس الخليفة العباسي المعتصم، وشاهد الجلاد وهو يعد السيف والنطع لقطع رأسه، ارتعدت فرائصه على الرغم مما عرف عنه من الجرأة والإقدام، فأنشد مستعطفا الخليفة:

أرى الموت بين الســـيـف والنطع كـــامنا

يلاحظني من حـــيـــثـــمـــا أتلفت

وأكـــبـــر ظني أنك اليـــوم قـــاتلي

وأي امـــرىء مما قـــضـى الله يفلتُ

ومـــا جـــزعي من أن أمـــوت وإنني

لأعـلـم أن المـوت شيء مـــــــوقّتُ

ولكن خلفي صـــبـــيـــة قـــد تركـــتـــهم

وأكـــبـــادهم من حـــســـرة تتـــفـــتتُ

وقد يعلل العربي خوفه من الموت بتعلقه بالأحباب وكرهه لمفارقة الأصحاب، أو أنه لما ينجز بعد أمورا ذات شأن، فهذا جميل بثينه يخاطبها قائلا:

لقـد خـفـت أن يغـتـالني الموت فـجـأة

وفي النفس حـاجـات اليك كـمـا هيـا

وقد يكون استصغار الموت وعدم الرهبة منه ناتجين لا عن التظاهر بالشجاعة والجلد، وإنما عن إيمان عميق بالآخرة وشوق صادق لملاقاة الخالق عز وجل، وهذا ما تدل عليه مقولة الإمام علي بن أبي طالب:

«أبالموت تخوفونني؟ فوالله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط علي».

الحنين الى الموت:

ويتحول هذا الشوق للقاء الخالق سبحانه وتعالى لدى الصوفية ـ وهم الجماعة المخصوصة التي أشرنا اليها آنفا الى نوع من الشغف بالموت ذاته بوصفه القنطرة التي يحقق اجتيازها المراد، ونيل مكافأة المحبوب. ويصور لنا ذلك الجنيد، كبير متصوفة بغداد في زمانه، بأبيات من أرق الشعر الوجداني:

باح مـــجنون عـــامـــر بهـــواه

وكـــتـــمت الهـــوى فـــمتُ بوجـــدي

فـــإذا في القـــيـــامـــة نودي

من شـــهـــيـــد الهـــوى؟ تقـــدمت وحـــدي

وعندما سجن الخليفة العباسي المقتدر القطب الصوفي الحسين بن منصور الحلاج في بغداد بتهمة

الزندقة أو الإلحاد، لمدة ثماني سنوات، كانوا يعذبونه ويضربونه خلالها فكان يردد:

اقـــــتلوني يا ثـقـــــاتي

إن في قـــــتلي حــــيـــــاتي

وكان يعبّر بذلك عن شوقه الحارق للقاء الحق سبحانه، باعتبار الموت أسرع الطرق للقاء المحبوب الأعظم.

وباستثناء حالة المتصوفة المتعلقة في حبهم للموت، يدلنا تراث العرب الأدبي على حالتين أخريين، إحداهما معلنة ظاهرة والأخرى مبهمة خفية. تبرز الحالة الاولى عندما تفوق قسوة الحياة وبؤسها ورتابتها ألم الموت ورهبته، حينذاك يلفي الإنسان في غياهب الموت ملجأ، وفي فراق الحياة مهربا، فيصرخ مع نجيب محفوظ مستغيثا: «أين محطة الموت لأغادر مركبة الحياة المملة؟» أو يردد مع أبي القاسم الشابي نائحا:

إلى الموت يا بن الحـــيـــاة التــعــيس

فـفـي الموت صـــوت الحـــيـــاة الرخـيـم

الـى المـوت إن عـــــذّبتـك الـدهــور

فـــفي الموت قلب الـدهـور الرحــــيـم

وإذا بلغ بؤس الحياة مبلغه يبحث المرء عن الموت بحثا وكأنه سلعة نفيسة نادرة يحسد على اقتنائها سكان القبور. ويروى عن الوزير العباسي الحسن بن محمد المهلبي أنه كان في شبابه فقيرا مدقع الفقر بائسا شديد البؤس لدرجة أنه قال ذات يوم:

ألا مـــوت يُبـــاع فـــأشــتـــريه

فــهـذا الـعـيش مـــالا خــيــر فـيــه

إذا أبصـــرتُ قـــبــرا من بعــيــد

وددت لو أنني فـــيـــمـــا يليـــه

ويرى كثير منهم أن الأموات خير ممن يكابدون هموم الحياة وشظف العيش، أو كما يقول عدي بن الرعلاء الغساني:

ليس من مـــات، فـاســتـــراح، بميت

إنمـا الميت مـــيت الأحــيــــاء

إنما الميت من يعـــيش كـئــيــبـا

كـــاســـفـــا باله قليل الرجـــاء

وهناك حالة نقيضة للحالة التي أسلفنا. فقد يحب الإنسان الحياة ولذاتها ومتعها حتى الموت. يقول محمد مهدي الجواهري (١٨٩٨ ـ ١٩٩٧) في ذكرياته: إنني أحب الحياة حتى الموت «ويستشهد ببيت ورد في إحدى قصائده:

وأركب الهـــول في ريعـــان مـــأمنة

حب الحـــيـــاة بحب الموت يغـــريني

والحالة الثانية التي وصفناها بالمبهمة هي ما يطلق عليها «رغبة الموت» دون سبب ظاهر. ترى هل الرغبة في الموت الكائنة في اللاوعي تعبير عن الشوق الى اللامتناهي والمطلق؟ وهل هذا الحنين الى الموت في أعماق النفس البشرية صدى للحنين الى موطنها الأول، إذ يعد الموت بمثابة بداية رحلة العودة الى ذلك الموطن؟ إن أبا تمام ينفي ذلك حين يقول:

حنّ إلى الموت حــتى قـــال جـــاهله

بـأنه حن مـــشـــتـــاقـــا الى وطن

هذه الرغبة في الموت قد تغدو شوقا عارماً اليه، كما يقول مسلم بن الوليد:

مـــا مـــات من حـــتف ولكنه

مـــات مـن الشـــــوق الى المـوت

وغالبا ما يجهل المرء سر هذه الرغبة في الموت حتى إذا حاول تبريرها بأن في موته حياة له أو حياة للآخرين. والشاعر بدر شاكر السياب الذي يمكن أن تسميه بـ «شاعر الموت» لكثرة ما كتب عنه وهو على فراش الموت خلال رحلة مرضه الطويلة، كتب ذات يوم من أيام فتوته حين لم يكن عليلا يقول:

فـــيــــدلهـم في دمي حـنين

الى رصـاصــة يشق ثلجـهـا الزؤام

أعماق صدري، كالجحيم يشمل العظام

أود لو عـــدوت أعــضـــد المكافـــحين

لأحـــمــل العبء مع البـــشـــر

وأبعث الحـــيـــاة إن مـــوتي انتـــصـــار

وثمة حالة ثالثة خاصة يطلب العربي فيها الموت ويقبل عليه مطمئن النفس مرتاح الضمير، وتتمثل هذه الحالة في الشهادة في سبيل الله، أي في سبيل

العقيدة والوطن، لأن في موته حياته مصداقا لقوله تعالى {ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون}. وهذا ما قصده الخليفة أبو بكر الصديق حين خاطب قائد الجيش خالد بن الوليد قائلا: «اطلب الموت توهب لك الحياة». وإذا كان الحزن يستبد بأهل الشهيد لفقده وفراقه فإنهم يشعرون بالفخر ويعدون استشهاد ابنهم شرفا لهم. ويذكر لنا التاريخ أن الشاعرة الخنساء التي دوخت الدنيا برثاء أخيها صخر والبكاء عليه في الجاهلية، قد استشهد أبناؤها الأربعة في معركة القادسية، فما كان منها إلا أن قالت بإباء: «الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وأسأله تعالى أن يجمعني يوم القيامة بهم».

لماذا الحزن والبكاء؟

وبعد الموت، كيف يا ترى يتصرف الآخرون تجاه الميت؟ ينبغي أن يكف الناس عن ذكره بسوء ويحرم حتى على أعدائه النيل من سمعته، فقد ورد في الحديث الشريف «لا تسبوا الأموات فقد أفضوا الى ما قدموا»، وهذا حق من حقوق الإنسان في الإسلام لا يعرفه الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي اقتصر على حقوق الأحياء دون الأموات. أما أهل الميت فمن واجبهم أن يحسنوا تكفينه ودفنه تكريما له، ويظهروا الحزن والأسى وفاء له. وكلما عظمت مكانة الميت وعلا قدره، زاد أسى الأهل وحزنهم لفقده، وأقاموا المأتم على روحه، وطال حدادهم ونوحهم عليه. وإذا كان الحداد على الميت يدوم أربعين يوما، وهي سنة استنها سكان وادي الرافدين القدماء، فإن العرب المعروفين بوفائهم أطالوا الحداد شهورا حتى بلغ العام، فيبقى الأهل في ملابس الحداد السوداء (أو البيضاء كما في المغرب والأندلس) ويمتنعون عن إظهار الزينة ومباهجها، ويكفون عن مزاولة اللهو والمرح. وإذا كان الرجال العرب يجدون في البكاء على الميت ضعفا يتنافى ورجولتهم، فإن النساء يذرفن الدموع سخينة عليه، بل يعمدن الى خمش الخدود، وشق الجيوب، ويكثرن من النحيب والنواح، وتعداد مآثر الميت الطيبة وخصاله الحميدة. ويخاطب الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة ابنتيه بقوله:

إذا حان يوما أن يموت أبوكما
فلا تخمشا خدا ولا تحلقا شعر
وقولا: هو المرء الذي ليس جاره
مضاعا ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول، ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وكانت الخنساء قد اشتهرت في البكاء على أخيها صخر، كما أسلفنا وعندما تنضب دموعها كانت تنحى باللائمة على عينيها:

أعيني جودا ولا تجمدا
ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجواد
ألا تبكيان الفتى السيدا

واذا كان البكاء وسيلة المرأة العربية في التعبير عن حزنها على الميت والتخفيف من لوعتها وحرقتها، فإنه لا يتناسب والجلد الذي ينبغي أن يتصف به الرجل العربي، إذ يعد بكاؤه ضعفا ونواحه نوعا من التشبه بالنساء يجب أن يستحي منه. ويقول جرير في قصيدة بعد وفاة قرينته:

لولا الحياء لعادني استعبار
ولزرت قبرك والحبيب يزار

ويعود حزن العربي على الميت لسببين:

الأول: يتمثل في صعوبة فراق الأحباب الذين ألفنا قربهم وسعدنا بمودتهم، والخوف من الوحدة بعدهم، ولهذا يقول الشاعر الجاهلي عمرو بن معد يكرب:

ذهب الذين أحبهم
وبقيت مثل السيف فردا

أما عبد الوهاب البياتي فيكرر المعنى ذاته بأسلوبه الخاص في ديوان (كلمات لا تموت):

حبيبتي: جميع/ رفاقنا ماتوا/ ولم يبق سوى الزمان/ وحسرة الأغاني/ حتى صديقي/ أحمد

الصغير/ مات عليه رحمة الله، صديقي/ أحمد الصغير/ ماذا تقولين إذا عدنا الى الوطن/ ولم نجد هناك من يعرفنا/ ماذا تقولين؟/ أيا عصفورة الشجن.

والسبب الثاني - وغالبا ما تشعر به النساء والأولاد الصغار - يكمن في أن الميت كان يعولهم وسيكون مصيرهم عسيرا بعده، وكثيرا ما تسمع نائحة تضرب وجهها مخاطبة الميت بقولها: «لمن تركتني بعدك؟» وعندما يقترب الموت من بدر شاكر السياب أو يقترب هو من الموت وهو مسجى مشلولا على فراش الموت في مستشفى بلندن، يسمع قرعا على الباب فيتوهم أن شبح أمه الميتة قدم من المقبرة ليصطحبه معه حيث توسده أمه في اللحد بجانبها، فيقول في قصيدة (الباب تقرعه الرياح) مخاطبا أمه:

كيف انطلقت بلا وداع فالصغار يولولون،
يتراكضون على الطريق ويفزعون فيرجعون،
ويسائلون الليل عنك وهم لعودك في انتظار..

انهم - بلا ريب - بحاجة الى عطفها وحنانها ورعايتها. فالاعتماد على الفقيد يزيد اللوعة والحزن عليه، وقد تمثلت السيدة أم المؤمنين عائشة عليها رضوان الله تعالى بعد وفاة سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأبيها أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - بالبيت التالي:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وبقيت في خَلْف كجلد الأجرب

ويعرف المرء مسبقا أن نوح الباكيات لن يحول بينه وبين الموت ولن يعيده الى الحياة وأنه سرعان ما ينساه الأهل والأحباب، كما يقول أبو العتاهية:

إذا ما انقضت عني من الدهر مدتي
فإن عزاء الباكيات قليل
ستعرض عن ذكري وتنسى مودتي
ويحدث بعدي للخليل خليل

ويعلل نجيب محفوظ نسياننا للميت برغبتنا في نسيان الموت ذاته لعزوفنا عنه وكرهنا له، إذ يقول بطريقته التهكمية: «ما جزاء الميت عندنا - معشر الأحياء - إذا واراه التراب - ؟ أن نَفِرَّ من ذكراه كما نفرّ من الموت نفسه». ومع معرفة المرء المسبقة هذه، فإن ما يخفف عنه في حياته أن تذرف العبرات عليه وتذكر حسناته بعد مماته، ولربما طلب ذلك بنفسه كما فعل الأمير أبو فراس الحمداني حين خاطب ابنته منشدا:

أبنيتي لا تجزعي
كل الأنام إلى ذهاب
نوحي عليَّ بحسرة
من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلمتني
فعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا
س لم يُمتَّع بالشباب

ويأمل العربي أن يبقى الأحباب مخلصين لهواه، ويظل الأصحاب أوفياء لذكراه، فالأمير العباسي عبد الله بن المعتز الذي تولى الخلافة ليوم وليلة عزل بعدها في عصر رديء لم يكن يحبذ تبوؤ المثقفين السلطة يقول:

يا حياتي بحياتي
اشربي الكأس وهاتي
قبل أن يفجعنا الدهـ
ـر بموت وشتات
لا تخونيني إذا مت
وقد مات نعاتي
إنما الوافي لعهدي
من وَفَى بعد مماتي

قضية الموت في رواية (وعاد الزورق الى النبع):

والآن آن لنا أن نتساءل كيف تناول عبد الكريم غلاب قضية الموت في روايته (وعاد الزورق الى النبع)؟ وهل كان طرحه للموضوع في إطار خصائص مفهوم الموت في ثقافتنا العربية؟

قبل كل شيء، ينبغي التأكيد على أن قضية

الموت لم ترد عرضا أو بما اقتضاه سير الأحداث في الرواية، وإنما كان ذلك عن سابق تخطيط وإرادة واعية من لدن المؤلف، لأنه روائي متمرس يقود قلمه إلى ما يريد. وينم على هذا التخطيط وتلك الإرادة جملة مؤشرات، أولها أن الكاتب صور بطل الرواية طبيبا شابا تخرج لتوه حديث العهد بالمهنة مما يجعل وقع مشاهد الموت عليه شديدا يبعث على التأمل. وكان بإمكان الكاتب - لو كان غرضه الوحيد معالجة أوضاع القرية الاجتماعية المتخلفة - أن يختار بطل الرواية من بين معلمي القرية التي أغلقها القائد (رئيس السلطة الإدارية في القرية)، فالمعلمون أكثر ميلا الى التفلسف من الأطباء، وأكثر شغفا منهم بصناعة الكلام ومناقشة أوضاع البلاد الاجتماعية والاقتصادية، يضاف الى ذلك مؤشر آخر هام هو أن بطل الرواية كان قد فقد أمه صغيرا وقد شاهدها تفارق الحياة أمام ناظريه. أما المؤشر الثالث فهو أن المؤلف خص قضية الموت بالفصلين الأول والثاني من الرواية وألم بها في فصول لاحقة، فالقارىء يلفي نفسه في مواجهة مباشرة مع الموت منذ الجملة الأولى في الرواية ثم يبقى محاطا بالموت من كل جانب أنى التفت وحيثما قرأ، فهو يرى الموت متربصا وراء كل كلمة، متوثبا بعد كل فاصلة، منسابا مع كل عبارة في هذين الفصلين من الرواية.

يفتتح الكاتب روايته بالعبارة التالية:

«داوني يا وليدي .. الله .. الله يخلي .. لك أميمتك..»

تلفظها امرأة أحالها المرض الى عجوز. وتنظر الى الطبيب الشاب الواقف أمامها فيطالعها وجه آخر اختطفه الموت منها الى الأبد، وهو وجه ابنها الذي لم يترك لها غير حزن ملازم. وتثير كلمة «يا وليدي» في نفس الطبيب الشاب ذكريات حزينة طواها الزمن، فقد فتح عينيه على عالم ليس فيه «أم» فلم تناغ أذنيه الكلمة الحبيبة، كان الموت هو الآخر مترصدا له وهو طفل فحرم أذنيه من كلمات العطف والحنان والأمومة.

هكذا إذن يبدأ عبد الكريم غلاب روايته: «أم» اختطف الموت وليدها شابا، وطبيب شاب كان الموت قد غيب أمه وهو مازال صغيرا. وهكذا إذن يضع المؤلفُ القارىء وجها لوجه مع الموت منذ الوهلة الأولى ثم يمطره بفقرات متتابعة متداخلة من السرد، والحوار، والحوار الداخلي، صاغها بعبارات رشيقة سريعة الإيقاع تارة وكأنها ترقص التانكو مع الموت، بطيئة متأنية تارة أخرى وكأنها ترقص العرضة (رقصة السيف البدوية) مع الحياة الشاقة المودعة.

ها هو الطبيب الشاب يقف أمام المرأة المحتضرة يجمعهما جامع مشترك: الموت هو القاسم المشترك الأعظم بين الناس جميعا، سليمهم وسقيمهم، طبيبهم ومريضهم، أو كما يقول ابو العتاهية:

هلك المداوي والمداوى والذي
جلب الدواء وباعه ومن اشترى

ها هو الطبيب الشاب إذن يتذكر موت أمه، ونواصل قراءة بعض نصوص الرواية:

«الموت

الكلمة التي سمع عنها صغيرا. لم يكن يدري ما تعنيه...

الوجه الأصفر الباهت مسجى، جميلا كعهده به، وقورا كما عرفه أول ما أدرك، يكاد ينطق، جامد يقمعه الموت..

ما تزال شهقة خالته تجرح أذنيه وهي تنشد:

- ماتت الحبيبة..

رفع عينين مذعورتين الى خالته يستنجد، لعله يفهم، لم يفهم، تساءل

- ولِمَ ماتت؟

نحيب جارح، عينان مقروحتان، اختفتا في عنقه، وهي تضمه الى صدرها. ذلك كل جوابها.

- خالتي. وأمي متى تفيق؟ أريدها أن تفيق..»

«لم تعد منذ احتفلوا بها فحملوها على رؤوسهم وهم ينشدون في ذهنه الصغير مازال يختلط الاحتفال بالعويل. أكن يعبرن عن احتفالهن بالعويل،

بينما الرجال كانوا يرددون نشيدا احتفاليا؟ هو الموت إذن. كل يحتفي به على طريقته..»

ويفتتح المؤلف الفصل الثاني من روايته على إيقاع الموت كذلك:

«وقفت سيدة تهتف بكل قوتها في التشبث بالحياة، بصوتها المتحشرج بنبراتها المتقطعة:

- أيكتب لي أن أعيش يا بني..؟

تحاملت على نفسها في إجهاد وهي تضيف:

- ما يزالون صغارا في حاجة الى أمهم .. سيتزوج .. ستطردهم..

...

- اعذرني، ماتت أمي وأنا طفلة .. طردتني .. ما أزال أذكر .. أريد أن أعيش لهم يا بني..

...

لملمت ثيابها وهي تفكر:

- الراحة.. الذين ماتوا استراحوا..

شريط حافل بأعمالها اليومية منذ صيحة الديك حتى انطفأ آخر شعاع من التنور يمر أمام عينيها عائدة من العين تحمل جرتها الكبيرة.. أمام الرحى تطحن الشعير.. في مواجهة التنور.. عائدة من الغابة حمالة حطب على ظهر مقوس.. مع البقرة.. الحمار.. أمام الساقية تغسل الثياب.

تطلعت بعينين ضارعتين الى وجه الطبيب وكأنها تعود بذاكرتها من رحلة طويلة:

- قلت الراحة يا بني .. الراحة؟ سأستريح..

أدركت أنها تعد، دون نية في وفاء. غضت بصرها تلعثم لسانها وهي تضيف:

- أريد أن أعيش لهم يا بني.. أرجوك..

- ستعيشين..

انتفض (الطبيب) وكأنه هو أيضا يقطع على نفسه وعدا لا يستطيع أن يفي به.. أمسك لسانه. ظل فكره يتحرك.

- يريدون أن يعيشوا للآخرين.. الموت ليست مشكلة الذين يموتون. البقاء من أجل الآخرين. ما يزال الإيثار يطبع نفسيات الكثيرين.. الأمهات والآباء..

- لمن تركتني..؟

شابة تندب والدها بصوت نواح، وقف مع المعزين في انتظار خروج جثمان الميت.

- لم يهمها أن يموت، همها الأكبر، لمن يتركها.

فكر والصوت الباكي يجرح إحساسه. استمر:

- ما يزال العالم مليئا بالأنانية. أمام الموت يختفي الميت بكل ماضيه، بكل ما قدم للآخرين لتطفح الأنانية فوق الآلام.

- لمن تركتني..

- أنانية أم واقعية..؟

- الواقعية تطفو في خضم الواقع الأليم.

- لن يعود أحد من موت، لمن يترك أحبابه وأعزاءه؟

وتتردد في إحساسه كلمة الأم، وقد أنهكها المرض:

- أريد أن أعيش لهم يا بني

ينتصر الإيثار ما دام الأمل يراود بحياة. وتطفح الأنانية بعد الموت فلا يفكر الذين خلَّفهم الموتى إلا في أنفسهم».

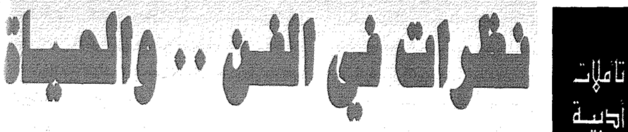
خاتمة:

لا شك أن النصوص القليلة التي اقتبسناها هنا من رواية (وعاد الزورق الى النبع) قد أقنعت القارىء النبيه بفرضيتين صغناهما في أول هذه الدراسة:

الأولى: أن هذه الرواية لا تقتصر على معالجة أوضاع القرية الاجتماعية والاقتصادية، وإنما تتناول كذلك - عن سابق تخطيط وتصميم - قضية الموت.

والفرضية الثانية: أن الآراء التي يعبر عنها المؤلف ويطرحها بشكل روائي نابعة من صميم مفهوم الثقافة العربية. وتكاد هذه النصوص تشكل تكملة أو شواهد إضافية لما سقناه سابقا من نصوص وشاهد توضح الخصائص الرئيسية لمفهوم الموت في ثقافتنا العربية.

تأملات أدبية



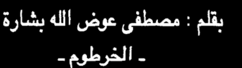
نظرات في الفن .. والحياة

يقول هيجل: إن الأشياء تكون أقدر على منحنا الإحساس بالجمال كلما ارتفعنا إلى مستوى العقل والحياة.. فالفن الإنسانى أقدر على منحنا هذا الإحساس من الطبيعة.. وقد نجد أصدق اللمحات عن طبيعة الكون في الفنون التعبيرية والإبداعية التى استمدت عناصر نجاحها وروعتها من عمق التجربة والصدق الفني، كما يمكننا القول بأن الفن هو نتاج الانفعال الصادق بالتجربة التي تظهر مشاعر الانسان وعواطفه، وتبلغ به أقصى درجات الإحساس بالجمال كلما ارتفع هذا الانسان الفنان بغرائزه الفطرية الى مستوى الحياة الإنسانية الرفيعة.

وكما قال الكاتب الغربي (ثورمر): (نحن جميعا مثالون ورسامون، ومادتنا هي لحمنا ودمنا، وعواطفنا النبيلة تكسب هذا التمثال (الرمزي) الذى نصنعه من أنفسنا جمالا وروعة كما أن عواطفنا غير النبيلة تكسبه حيوانية وشهوانية!).

ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا إن الفن هنا بمثابة نتاج التجربة الذاتية، والحياة الانسانية هى المجال الخصب الذي يصقل هذه التجربة، وتبعاً لهذا، فإن نظرية الفن للفن تعتبر نظرية تجريدية لا تعتمد في مفهومها العام على أسس موضوعية يمكن استخلاصها من عبارة الفن لأجل الفن، إذ أن الفن يرتبط أصلا بالحياة ارتباطاً وثيقاً، فهو لا يعدو أن يكون مرآة صادقة تعكس بجلاء ووضوح حصيلة الانفعالات والتجارب والعواطف النابعة من صميم الحياة، فلا يضيرها بالتالى أن تكون هذه الانفعالات واقعية أم خيالية أم تجريدية.

إن الفن كالشعر، والأدب، والرسم، وباقي أنواع الفنون، إن هو إلا تعبير عاطفي، وتفسير وجداني، وتصوير إبداعي لعادات وتقاليد الشعوب، وقيمها، ومعتقداتها.. وهو تفسير - أيا كان نوعه - عاطفياً أو فكرياً تكيفه وتخلقه التطورات



بقلم : مصطفى عوض الله بشارة
- الخرطوم -

الاقتصادية، والظروف السياسية والاجتماعية المختلفة التي تحيط بمجتمع ذلك الانسان الفنان، فينقلها الينا باحساسه المرهف، وانفعالاته المبدعة، فيغدو بمثابة الواسطة الشعورية بنقله ذلك الإحساس الى انفعال داخلي، عندما تتبلور تلك الإحساسات والتجارب الواقعية في ذاتية الفنان ليعكسها لنا في أعمال فنية رائعة.

كما ينبغي على المبدع أن يتخلص من ربقة (الاستصناع) المجرد من البداهة والتلقائية، والذى تكاد تنعدم فيه شخصية الفنان، وتتلاشى خصائصه الابداعية المميزة، فيخرج انتاجه بالتالى عن دائرة العمل الفنى الى نطاق العمل المهنى، حيث يتجرد ذلك الانتاج من عناصر الصدق الفنى عندما تتعثر التجربة الفنية أو (الشعورية) التى تلازم عمليتي الخلق، والابداع الفني.

إن الفنان الحقيقي - بلا شك - هو الذى تتفاعل لديه جميع العناصر الإبداعية في تعبيره الفني عن وجدانه، وضميره، وفكره، وموقفه تجاه الحياة الإنسانية وقضاياها المتعددة، وهو الذى يهب عمله الفني من ذات نفسه ومشاعره الكثير مما يمكن إدراجه وحصره في مضمار (الإبداع) الذى تتضافر في تكوينه كل العناصر، والخصائص المؤدية الى نجاح التجربة الفنية الصادقة، والتى تخلو من مظاهر الزيف والتمويه، وتكتمل مقوماتها الفنية من جراء التفاعل الشعوري والوجداني.

ولعمري كيف يتجرأ (صناع الفن)، وهم ينتجون فناً زائفاً لم يعتمد في مضمونه على الصدق الفني، والتجربة الوجدانية، فيتوقعون له نجاحاً وتفوقاً ولم يدر بخلدهم أن القارىء أو المشاهد، والرائي، والمتلقي، والذين يقدرون قيمة العمل الفني، هم جزء لا يتجزأ من العمل الفني في عمليتي التقويم والتذوق؟

فإذا لم يتجاوب هؤلاء (المتلقون) مع ذلك الانتاج تجاوباً صادقاً، تعذر عليهم بالتالى تذوقه واستيعابه، فلا ينال اعجابهم أو تقديرهم، وهذا على نقيض ذلك الفنان الملهم الذي يهب فنه كل ذرة من احساسه وانفعالاته الصادقة، فيلقى نصيبه العادل من النجاح والتفوق.. لأن ما ينبع من ذات الفنان واعماقه لابد أن يصل كذلك الى وجدان الآخرين وأعماقهم، ومن ثم يحظى بالتجاوب والتقدير!

وتراثنا الأدبي والفني الذى خلَّفه لنا السالفون، يحفل بالكثير من الروائع الإبداعية الخالدة التى نبعت عن شعور صادق أصيل، وموهبة زاخرة وحافلة بالمقدرة الإبداعية، مما جعلها تحظى بتقديرنا وإعجابنا لروعة خصائصها الفكرية والفنية المتفردة.

مهرجان الفوانيس في تايوان

في كل شتاء بتايوان تأخذ المعابد والمدارس والمحلات التجارية عبر الجزيرة وقتا للاستعداد لمهرجان الفوانيس في اليوم الأول من التقويم القمري الصيني. بالسلك والورق والطلاء والمصابيح تصنع فوانيس فريدة تعلق في المعابد والحدائق. وبينما يركز الكثيرون من صانعي الفوانيس على المواضيع التقليدية كالطيور يعمد آخرون الى الصور الحديثة باختلافها من سلاحف النينجا. ومازال آخرون يوسعون مفهوم «الفانوس» إلى مداه بالمعارض الفاتنة المضاءة بالليزر والنور الحالك وفن الفيديو.

تجذب هذه الطقوس السنوية جموعا غفيرة من الناس شبابا وشيوخا الى العرض الرئيسي في الجزيرة، وتساعد على الإبقاء على تقليد صناعة الفوانيس حيا رغم أن القلة فقط من الحرفيين يتخذون الصناعة حرفة لهم. وتستمر الفوانيس أيضا في الحفاظ على هويتهم الثقافية خارج أنشطة المهرجان وعلى مدار العام تملأ مداخل المعابد أو تزين المطاعم وقاعات الشاي وحتى طاولات الوجبات الخفيفة على جوانب الطرق.

يمكن تتبع استعمال الفوانيس في الثقافة الصينية عبر نحو اربعة آلاف سنة الى سلالة هسيا حينما كان الناس يحملونها لإنارة سبلهم في الظلام. ولم يعثر على أي سجلات تصف الفوانيس الأولى، غير أنه من المعروف عنها أنها كانت تسمى «كو» وهو حرف يتضمن رمزا تصويريا للخيزران، ولذلك يعتقد مؤرخو الثقافة بأنها تصنع من شقاق الخيزران تماما كفوانيس اليوم، وبما أن الورق لم يخترع بعد. فإنها ربما كانت تغطى بالقماش.

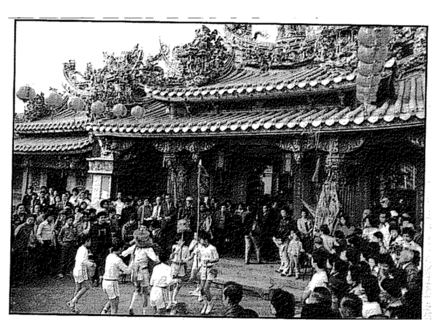
ورغم أن لمهرجان الفوانيس اليوم جوا علمانيا رحبا، فلا يزال للفوانيس وظيفة دينية، فهي معدَّة للزينة النموذجية في العديد من المعابد البوذية والطاوية وكذا الخاصة بالديانات المحلية، وغالبا ما تزين هذه الفوانيس برموز للسلام أو برموز لبعض النعم الاخرى، ويقول البعض بأن نور الفوانيس مرتبط بالخلاص والتنوير البوذيين، وبأنه كلما ازداد عدد الفوانيس التي ينيرها المرء ازداد المرء نشرا لتعاليم بوذا.

والفوانيس أيضا تاريخ كرمز للتعلم. ففي الأزمنة الغابرة، يعتبر مهرجان الفوانيس كذلك علامة لأول يوم دراسي في السنة ففي ذلك اليوم يأخذ كل تلميذ معه فانوسا إلى المدرسة لينيره المعلم كي يضيء سبيل الحكمة وتمثل الكرة البراقة المستقبل المشرق للطفل، وحتى اليوم.

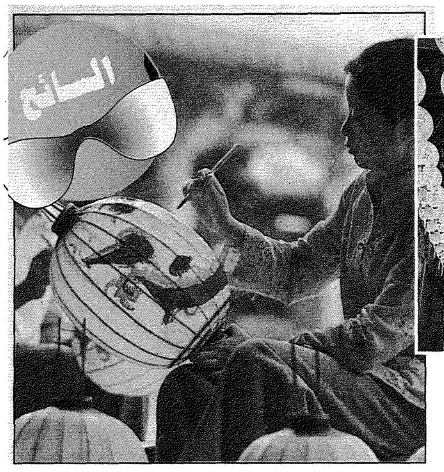
من المألوف بالنسبة للآباء شراء الفوانيس لأطفالهم والتلاميذ تصنع الفوانيس لحملها خلال المهرجان. وفي عصرنا هذا يثمن الاطفال النشاط - مع ذلك - لطرافته أكثر من مغزاه الأصلي ويفضل أغلبهم شخصيات أفلام الكرتون المعاصرة على رسوم الفوانيس التقليدية.

وبسبب كون كلمة «فانوس» في العديد من اللهجات الصينية ومنها التايوانية لها لفظ مماثل للفظ كلمة «رجل» توظف الفوانيس أيضا كرمز للوارثين من الذكور. ولهذا السبب تعلق تبعا للتقاليد فوق سرير الزفاف لضمان إنجاب الزوجين العروسين لكثير من الأولاد والنساء اللواتي ينجبن أطفالا ذكورا يفترض فيهن تعليق فانوس في المعبد أو في مقام أسلاف العائلة وبـ «إضافة فانوس» يظهرن تقديرهن وسرورهن بـ «إضافة ولد» إلى العائلة.

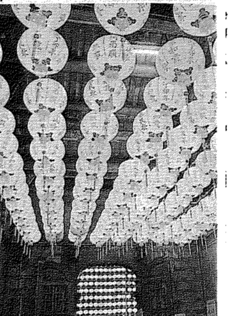
هناك طرازان شعبيان من الفوانيس في تايوان يرجع أصل احدهما الى قوانتشو وهي مدينة في جنوب الصين، وله إطار مثبت من شقاق الخيزران الرفيعة المنسوجة مع بعضها البعض. أما طراز فوتشو - وهو أيضا من جنوب الصين - فهو قابل للطي ويبدو شبيهها بمظلة عند طيه وكلا النوعين مغطى بالورق أو القماش. وتشيع فوانيس قوانتشو في المعابد، بينما



- معبد صيني مزين بالفوانيس.



- صناعة وتلوين الفانوس التقليدي.



- قاعة مزينة بالفوانيس.



- جانب من توظيف الفوانيس في المهرجانات الشعبية.

يفضل المقتنون طراز المظلة الأمتن والأسهل للخزن.

تستعمل عادة عشرة ألوان في خلفية غطاء الفانوس، لكن الابيض والأصفر والأحمر هي الألوان الأكثر شيوعا. في زمن ما كانت هنالك قواعد صارمة لاستعمال هذه الألوان: فالفوانيس البيضاء على سبيل المثال تستعمل في مراسيم الحداد، واللون الأصفر. كلون للأسر الملكية. مخصص للفوانيس المعلقة في القصور والمعابد، أما الأحمر، لون السرور، فهو فقط للأعراس وأعياد الميلاد بينما يستعمل الأسود لدرء الأرواح الشريرة، وفي الوقت الذي مازالت فيه هذه القواعد مطبقة على العموم، فإنها غالبا ما تتجاهل من طرف الرسامين الداخليين والمقتنين.

«ترجمة الحسان الرزاقي» - المغرب

المرجع:

-Cheng Virginia free chine Review Vol 45. no3 March 1995. P56-57.

الصور مأخوذة عن:

A Glance At Taiwan
Taiwan Visitors Bureow, Taipei. Taiwan 1991.

استطلاع مصور

بصرى الشام بين القياصرة والفتح

إلى الجنوب من مدينة دمشق ـ العاصمة ـ وعلى بعد حوالي ١٤٥كم تقع مدينة «بصرى الشام» التي تعتبر من أهم وأجمل المدن الأثرية في بلاد الشام، ومن أهم المواقع التاريخية وأجملها في سورية، حيث اشتهرت بتاريخها العريق، وحضاراتها العديدة التي مرّت على هذه المدينة الخالدة التي كانت المدينة الأولى في بلاد الشام التي تفتح أبوابها للنور الجديد، للدين الاسلامي والفتوحات العربية الاسلامية، وهي منطلقة نحو مدن الشام، كما احتضنت أول مسجد بني في بلاد الشام بعد الفتح الاسلامي.

وبصرى التى تقع في سهل حوران مدينة قديمة جداً أتت على ذكرها ألواح تحوتمس الثالث وأخناتون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وكانت أولى مدن الأنباط في القرن الثاني قبل الميلاد وكان اسمها (بوحورا) أما في العهد الهلنستي فأصبحت تحمل اسم (بوسترا). وقد اهتم بها الرومان فيما بعد وجعلوها أيام (تراجان) عاصمة ولاية الجزيرة العربية عام ١٠٦ قبل الميلاد وأطلقوا عليها اسم (نياتراجانا بوسترا). ولقد عرفت المدينة آنذاك ازدهاراً عمرانياً كبيراً إذ كانت مركز التقاء طرق القوافل ومحل إقامة الحاكم الإمبراطوري. وبعد انتهاء الحكم الروماني ظلت بصرى تلعب دوراً هاماً في العهد الأول للمسيحية، كما ارتبطت أيضاً بتاريخ فجر الاسلام إذ كان يعيش فيها (بحيرا) الراهب الذي التقى به سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} قبل الرسالة أثناء توقفه مع قافلته في المدينة فتنبأ الراهب بنبوته ودعوته.

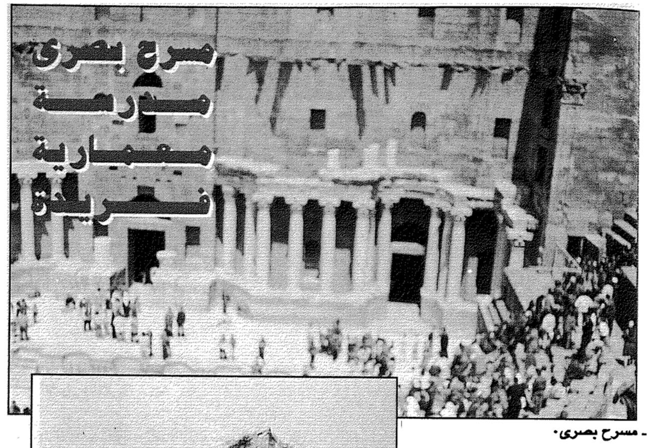
وفي بصرى توجد أقدم المآذن الإسلامية ذات الشكل المربع، وقد ظلت محطة هامة للحجاج المسلمين وهم في طريقهم إلى مكة المكرمة وبقيت مزدهرة حتى القرن السابع عشر الميلادي. واشتهرت بصرى أيضا بمسرحها الروماني الضخم والنادر وبالعديد من المواقع الأثرية الهامة، التى سنتعرف عليها في سياق التحقيق الصحفي التالي حول مدينة «بصرى الشام» الرائعة.

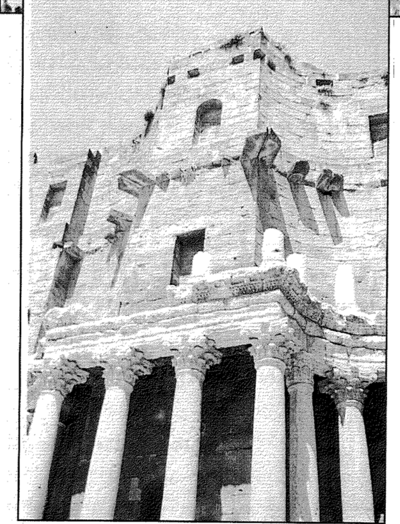
تاريخ بصرى والفتح الاسلامي لها

تميزت بصرى الشام بتاريخ عريق، حيث مرت عليها الكثير من الحضارات، وازدهرت في الكثير من العهود والأحقاب، حيث كانت مدينة هامة في عهد الأنباط، وأصبحت بصرى أكبر قاعدة هامة للقوافل بين دمشق والبتراء ومن المرجح أن بناء أسوار المدينة وبعض القصور النبطية وأحواض الماء تم في ذلك العهد.

وفي عام ١٠٥م هاجم الرومان المنطقة واحتلوها وقاموا بتعبيد الطريق الذي يمتد من دمشق إلى

إعداد وتصوير : هشام عدرة
ـ سورية ـ





ـ مسرح بصرى.

بصرى ماراً بالمسمية وقنوات والسويداء. كما بنى الرومان المسرح والمدرج الكبير، وفي العهد البيزنطي كانت بصرى تحت حكم ملوك الغساسنة الذين حاربوا الفرس واللخميين العرب الذين كانوا موالين للفرس، وبعد أن سقطت دمشق في أيدى الفرس عام ٦١٣م تعرضت بصرى لأقسى أنواع التدمير بعد أن احتلها الفرس في ذلك الحين. وبعد حروب هرقل مع الفرس وهزيمتهم من القطر منذ عام ٦٢٢ ـ ٦٢٩م أخذ العثمانيون يستعيدون نفوذهم وعلاقاتهم مع البيزنطيين. إلى أن تم الفتح الإسلامي لمدينة بصرى والذي جاء بعد معركة أجنادين بقيادة

ـ الزخرفة المعمارية في المسرح.



ـ أحد الشوارع الأثرية.

شرحبيل بن حسنة ويبدو أنها استعصت على جيوش العرب المسلمين التي أحاطت بها في عام ٦٣٥م حتى قدم خالد بن الوليد من العراق واستلم إمرة الجيش فضيَّق الحصار على حاميتها حتى أجبرها على الدخول في معركة مع جيوش المسلمين. وكانت المعركة الفاصلة، معركة اليرموك في العشرين من شهر آب أغسطس عام ٦٣٦م حيث أحاطت الهزيمة بجيوش البيزنطيين وتراجعت جيوشهم، وتحرر بصرى وكان الفتح الاسلامي لها والنصر المظفر.

وقد احتلت بصرى مكاناً مرموقاً في نفوس سكان الجزيرة العربية، ويبدو أنها أدهشت كل من زارها من هؤلاء العرب بقصورها الشامخة وأسواقها الغنية وبساتينها الخضراء.

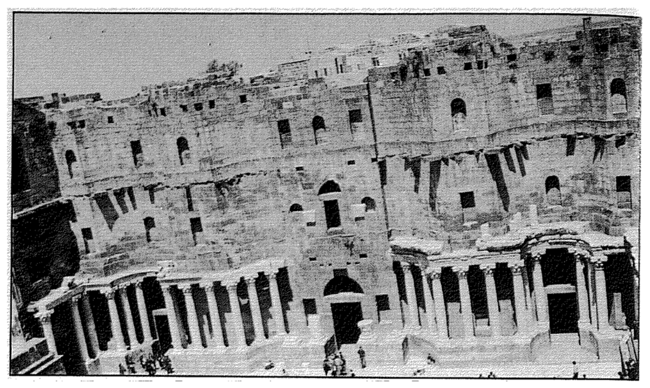
آثار مدينة بصرى الهامة:

ترتفع بصرى ٨٥٠ مترا عن سطح البحر وأفقها مُشْرق وخلاب في معظم أيام السنة ويبدو جبل الشيخ للواقف فوق أرض بصرى كخط مرتفع أبيض يلمع تحت أشعة الشمس التي ينعكس شعاعها أيضا فوق التربة والأحجار البازلتية فتبدو بلون غير لونها الطبيعي.

يصل الزائر إلى مدينة بصرى من دمشق عن طريق مدينة درعا أو مدينة السويداء والقادم عن طريق درعا أول ما يثير انتباهه بقايا أسوار المدينة الممتدة على جانبي البوابة العربية للمدينة والمسماة (باب الهوى) الذي يستقبل الزائر القادم من جهة الغرب.

مسرحها ومدرجها العظيم الأثري:

وهو من أهم معالم بصرى وأشهرها ويعد أضخم مسرح ومدرج أثرى باق حتى الآن في العالم، يعود تاريخ بنائه للقرن الثاني الميلادي ويعتبر من أكمل وأجمل المسارح الرومانية المعروفة، حيث تتسع مدرجاته لخمسة عشر ألف متفرج ويقامْ عليه كل عامين مهرجان بصرى الفني العالمي حيث تقدد الفرق المحلية والعربية والعالمية عروضها المسرحية



مسرح بصري وتظهر اعمدته الضخمة

والموسيقية والغنائية والتراثية والفولكلورية في إطار مهيب من الأعمدة والأقواس الضخمة.

يبلغ طول المسرح ٤٥ متراً وعمقه ٨ أمتار وسطياً، ويبلغ قطر البناء مائة متر و١٨٠سم، ويبلغ عدد الدرجات سبعاً وثلاثين درجة تشكل ثلاثة أقسام، أما عدد الأبواب التي تفتح على المدرج فيبلغ ٧ أبواب في المشى العلوي و١٨ باباً في المشى الأوسط تتصل مع الأبواب الخارجية التي يبلغ عددها ١٥ باباً بواسطة ممرات وسلالم حجرية بلغت الذروة في سهولة اتصال بعضها مع بعض. ولا تزال ساحة العازفين محتفظة بمعظم البلاط القديم الذي يغطي هذه الساحة بشكل نصف دائرة تحيط بمربعات وأشكال هندسية مختلفة ويفتح على جوانب ساحة العازفين مدخلين واسعين أعدّا لمرور مواكب المحتفلين في أيام المواسم والأعياد، ودخول العازفين خلال أوقات التمثيل والعزف. وفوق عتبات كل مدخل أعدت منصة لجلوس لجنة التحكيم التي تقرر مدى نجاح الممثلين وتمنحهم الجوائز.

وقد حرص المهندسون الذين خططوا بناء المدرج على تطوير البناء بصورة تجمع بين روعة الماضي وأسلوب بناء المسارح اليونانية والرومانية وما بلغه فن المعمار في بلاد الشرق العربي من تطور واتقان يتفق مع عادات البلاد وتقاليدها في ذلك الحين. ويعد مسرح بصرى في طليعة المباني المعروفة من نوعها في العهد الكلاسيكي التي تعبر عن بساطة المظهر وقوة الإنشاء والخصائص المعمارية، وقد أشاد علماء الآثار بأهمية هذا الصرح من النواحي الفنية والتاريخية كثيراً.

قلعة المدينة:

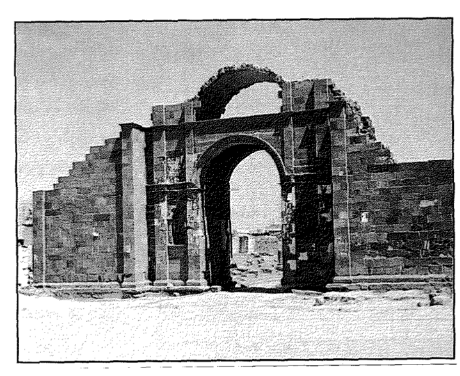
وتشتهر بصرى أيضا بقلعتها الضخمة التي تجاور مدرجها ومسرحها العظيم بل تكاد تشكل جزءاً من هذا المسرح. وتضم القلعة تحصينات تبلغ مساحتها حوالي ١٧ ألف متر مربع، وقد كشفت حفريات مديرية الآثار العامة على كتابات أثبتت أن

بناء القلعة تم على مراحل متعددة يعود أولها لعصر العرب الزاهر في عهد الأنباط أي للقرن الأول قبل الميلاد. وبعد الفتح الاسلامي لبصرى قام الأمويون واتخذوا من المدرج نواة لبناء القلعة التي صمدت أمام هجمات كثيرين من الغزاة.

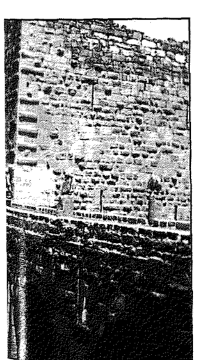
وفي العهد الفاطمي تم بناء ثلاثة أبراج ملاصقة لجدار المسرح الخارجي وكل هذه الأبراج متصلة بأبواب تفتح على سطح الرواق العلوي ونوافذ المسرح التي تطل على الخارج من القسم الثالث، ثم تتصل بصورة مباشرة مع الممشى الأرضي بأبواب محصنة عثر عليها سليمة خلال أعمال الحفريات لمديرية الآثار. وفي العهد الأيوبي تم إضافة الكثير من التحصينات لقلعة بصرى، حتى أن بعض المؤرخين ينسب القلعة للعهد الأيوبي. حيث أصبحت القلعة دار ملك لبني أيوب، فبوشر ببناء البرج الأول في زمن الملك العادل في عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م وتمت أشغال آخر برج من أبراجها زمن الملك الناصر خلال عام ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م وعدد هذه الأبراج تسعة بنيت كلها خارج المدرج والأبراج الفاطمية الثلاثة، وأحاطوا القلعة بخندق عميق يمر فوقه جسر مؤلف من خمسة أقواس ثابتة يتقدمها جسر متحرك من الخشب، كما أقاموا فوق المدرج ثلاثة طوابق كبرى أعدت للتموين، وكل من هذه الطوابق ارتفعت أساساتها على درجات المسرح يعطينا فكرة صحيحة عن مدى تقدم فن البناء العسكري في القرون الوسطى إذ وزعوا ثقل المواد التي يتألف منها على مختلف أنحاء المدرج والمسرح بحيث حولوها لقواعد متينة تصمد أمام أشد الزلازل وعوامل الطبيعة القاسية.

الأبواب الأثرية:

لم يعرف حتى الآن في مدينة بصرى سوى ثلاثة أبواب، أهمها الباب الغربي والمسمى (باب الهوى)، ويعود تاريخ إنشائه إلى القرن الثامن بعد الميلاد ويتألف من مدخل شاهق يبلغ عرضه عند الممر خمسة أمتار وعرض الواجهة حوالي ١١ متراً

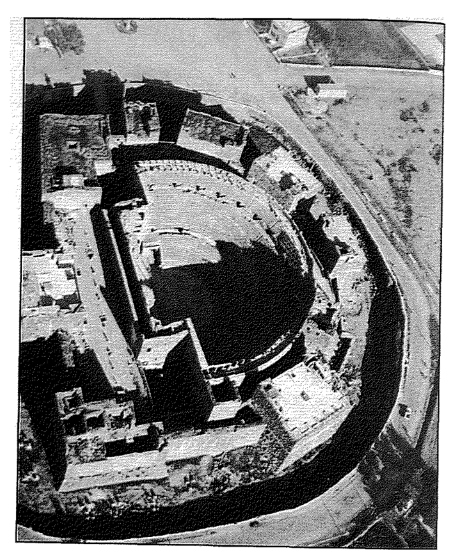


- باب الهوى من الجهة الخلفية.

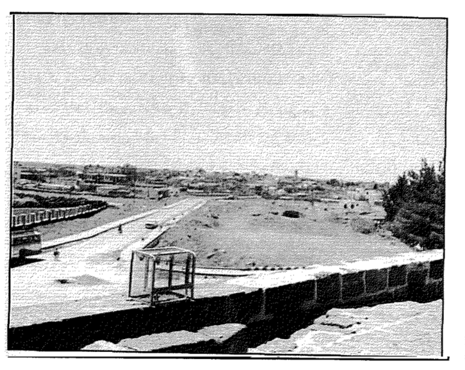


- قلعة بصرى.

بصرى الشام أول بقعة في الشام خلص إليها نور النبوة وأول مدينة تفتح أمام جيوش الفتح الاسلامي



ـ صورة من الجو لمسرح بصرى.



ـ جانب من السور الاثري لمدينة بصرى.

ويغطي المدخل سقف من الحجر المبني على شكل عقد يزينه من الواجهتين الأمامية والخلفية قوسان يعلو أحدهما الآخر وحجارة هذين القوسين منحوتة على شكل طنف بسيطة الزخارف تمتد على جوانب الواجهتين الداخلية والخارجية، وتتألف زخارف الواجهة الخارجية من عضادتين بارزتين يتوسطهما محراب تعلوه جبهة هرمية الشكل مزينة بزخارف من الطراز اليوناني المتأثر باسلوب الزخارف الشرقية المماثلة لتزيينات أبنية البتراء وتبدو هذه التزيينات من جهة الداخل والخارج من الجهتين الشرقية والغربية.

وهناك أيضا الباب الشمالي للمدينة حيث تظهر بقاياه في نهاية الشارع الكبير الممتد من الشمال الى الجنوب وكان يقوم عند مدخل المعسكر الرئيسي من جهة المدينة. أما البوابة الثالثة وهي في الأصل الباب الرئيسي للمعسكر فتقع في أقصى الشمال بين كروم العنب، وتتألف من مدخل على جوانبه برجين للدفاع.

أسوار المدينة:

يعود تاريخ أسوار بصرى إلى العهد الكنعاني، وقد تم تجديدها باستمرار في العهود اللاحقة كلما تهدمت بفعل الحروب والعوامل الطبيعية، ولم يبق من هذه الاسوار سوى الشرقية، وبشكل عام فإن أسوار بصرى تتألف من صخور ضخمة تتراوح مقاييسها بين متر ومترين ونصف طولا ومتر ونصف ارتفاعاً بعمق مترين إلى مترين ونصف، وقد بنيت هذه الكتل من الصخور بصورة متراصة فوق بعضها البعض وشكلت سوراً يرتفع الى ما يقارب العشرة أمتار بعرض أربعة أمتار تقريباً وتتكون المونة من التراب المخلوط بالتبن وتظهر معظم أجزاء هذا القسم في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، كما في العهد الروماني، تدلنا البقايا الأثرية بوضوح في أن جدران المعسكر الذي بني كما يبدو في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد كانت تشكل سوراً يحمي المدينة من الجهة الشمالية، وهذه الجدران تلتصق بالتحصينات الكنعانية من جهة الغرب وبقايا الأسوار التي تشاهد عند جامع مبرك الناقة من جهة الشرق.

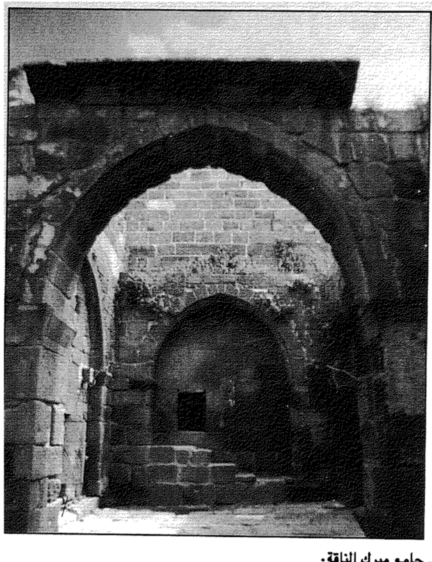
جوامع بصرى الأثرية:

مازالت بصرى تحتضن العديد من الجوامع والمساجد الأثرية، خاصة وأن بصرى شهدت بناء أول جامع في بلاد الشام بعد دخول الدين الاسلامي العظيم.

ومن أهم هذه الجوامع: (الجامع العمري) وهو من أروع الآثار الاسلامية القديمة المحتفظة بتفاصيلها المعمارية وهيكلها الأصلي العظيم وهو أول مسجد بناه المسلمون في سورية عند الفتح أيام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ويعرف بالجامع العمري نسبة إليه ويسميه سكان بصري (جامع العروس) وكان من قبل هيكلا وثنياً، وهو المسجد الوحيد الذي بني في عهد الاسلام الأول وحافظ على طراز واجهته القديمة الى وقتنا الحاضر، وجميع أعمدته لا تزال في مكانها الاساسي مع العلم أن ترميمات كثيرة حصلت فيه.

ومن الجوامع العظيمة أيضاً هناك (جامع مبرك الناقة) حيث يقترن اسم هذا المسجد بذكريات تاريخية عظيمة متعاقبة. ففيه بركت الناقة التي حملت أول نسخة من القرآن الكريم الى سوريا حيث حفظت فيه. ويروي البعض أن المسجد بني فوق الأرض التي بركت فيها ناقة رسول الله محمد [صلى الله عليه وسلم] عندما جاء إلى بصرى. وقد بقي الجامع مدة طويلة مركزاً ثقافياً تعاقب على التدريس فيه أئمة المذهب الحنفي. ومنه تخرج كثير من كبار

العلماء. ويقع جامع مبرك الناقة في الزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة ويتكون من ثلاثة أقسام رئيسية لكل منها محرابه. وأقدم قسم فيه وأكثره احتراماً هو القسم الغربي لأن أمام محرابه وضعت البلاطة التي بركت عليها الناقة التاريخية. وقد بني هذا الجامع في عهد نور الدين زنكي. وهناك (جامع كمشتكين) ويسمى اليوم جامع الخفد وهو مسجد قديم جدا ويبدو أنه تهدم قبل أوائل القرن السادس للهجرة فأمر بتجديده في عام ٥٢٨هـ أمين الدولة كمشتكين الأتابكي والي بصرى في ذلك الحين. وهناك (جامع فاطمة) ويعود للعهد الفاطمي.



- جامع مبرك الناقة.

مواقع أثرية هامة أخرى في بصرى:

وتضم بصرى التي تتميز بغناها بالمواقع الأثرية، حتى تبدو وكأنها متحفاً طبيعياً، وتضم العديد من الأوابد الهامة منها: الحمام المملوكي والحمامات العامة ومدرسة أبي الفداء التي تعود للعهد الأيوبي. وخزانات المياه الأثرية والسوق المسمى حالياً فان الدبس والسوق الأرضية ونبع الجهير ودير الراهب بحيرا والعمود النبطي والقصر الرائع الذي حجبته الأبنية الحديثة والهيكل النبطي والكاتدرائية والمعسكر والميدان وقوس النصر والسقاية والكليبة المسماة سرير بنت الملك.

مراجع ومصادر:

١ - كتاب (الآثار في محافظة درعا) سليمان المقداد - دمشق ١٩٦٩م.

٢ - (العمارة العربية الاسلامية في سوريا - د. عبد القادر ريحاوي - وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧٩م.

٣ - هنا بدأت الحضارة ، سورية تاريخ وصور، د. قتيبة الشهابي - دمشق ١٩٨٧م.

٤ - السياحة والآثار في سورية، د. سليم عبد الحق، مديرية الآثار العامة - دمشق ١٩٩٠م.

النحو الشنقيطي بين دروس التعمق ومباحث التخصص

بقلم : محمذن ولد احمد ولد المحبوب
- موريتانيا -

مدرسة محمد عالى (مع) ابن سيد بن سعيد الحيبلاوي[٤٥].

يعتبر محمد عال هذا من ابرز نحاة عصره بل هو أهم محطات النحو البوني بأرض القبلة، وقد جمع بين الدرس والتأليف وتخرج من محظرته لفيف من العلماء وقد كان تلميذا نابها لشيخه وابن عمه عبد الودود بن عبد الله، وكان هذا التلميذ معجبا باستاذه أشد الاعجاب وذلك ما أشار اليه في كتابه «التنبيه» إذ أكد أن عبد الودود «هو الحبر الذى ليس في منقوله غمز والبحر الذي ليس في منقوده همز» وفي الجانب المقابل كان الشيخ عبد الودود يلحظ في التلميذ امارات الفطنة والنبوغ فيتوجه اليه بالاسئلة والتمارين الصرفية والألغاز المتمنعة فمما خاطبه به قوله: البسيط.

قل للذى كان بالتصريف مشتغلا
لم يخل من درسه يوما وتكرار
ما وزن نكتل[٤٦] وأرام[٤٧] وأثفية[٤٨]
وأينق وعريب وديار[٤٩]

وقد واصل «مع» مد انابيب محظرة بني الفقيه حبيب الله النحوية التى انطلقت في وقت مبكر مع المختار انجبنان وحفيده عبد الودود كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وقد نوه طلبة هذا الرجل بعلمه وأشادوا بمحفوظه يقول أحدهم:[٥٠] الكامل:

لـ «مع» الهمام اللوذعي الألمعى
سر واجمعن علومه في مجمع
ولا تطمحن عيناك عنه لغيره
وانس بكل حديثه وتسمع
وكن الوعاء لما يفوه «مع» به
لا تفلتنك كلمة من في «مع»

«مع» وكتابه التنبيه:

لقد وضع محمد عال «مع» كتابا هاما على جامع المختار بن بونه سماه «تنبيه الصغار الى شرح الاحمرار» وتحدث في مقدمته عن ظروف كتابته لهذا المؤلف الذى انتشله من أيدي الخطوب واقتطفه من أساود الهموم وأسود الأهوال والمشاغل.

وقد لقي هذا الكتاب عناية كبيرة وقبولا عظيما فتسابق إليه الطلبة والشيوخ وتلقفته الأيدى وذلك لما اشتمل عليه من استعراض مفصل لمقولات النحو وظواهر اللغة فقد استوعب مختلف نقول ابن مالك وشروحه ولكن دون تدخل كبير للاختيار أو الترجيح أو الانتقاد. ورغم ذلك يبقى كتاب التنبيه دراسة هامة لمسائل الاحمرار وحلا لاشكالته

وتمحيصا لألفاظه فهو أشهر التتميمات والتنبيهات النحوية التي سطرتها أنامل أبناء القرن الثالث عشر الهجري في هذا المنكب البرزخي، بل انه المرجع الأساس الذي يجمع المتفرق من الأقوال ويلم شتات الآراء فهو من امهات الكتب ودواوين النحو وقد عمل الرجل ضمنه على شرح المبهم وتوضيح الغامض مستطردا التطبيقات المختلفة لكل قاعدة منطلقا غالبا من الطرة وإن تجاوزها أحيانا كثيرة مضيفا إليها شواهد القرآن والشعر والحديث والأمثال. وكان يخاطب في مؤلفه النخبة المستنيرة والطبقة العالمة من الطلاب لذلك غالبا ما يكتفي بشطر البيت وجزء الآية وبعض المثل والحديث معولا على ذاكرة القارىء ومحفوظه، والمتصفح لهذا الكتاب يدرك أنه ذخيرة نحوية هامة لا غنى عنها للمتخصص ولا عزاء غيرها لدارس النحو وقد حققت أجزاء من هذا الكتاب[٥١].

ومن النحاة المعاصرين لمحمد عال «مع» ابن عبدم الديماني الفاضلي[٥٢] الذي سمع النحو في منازل أخواله أبناء الفقيه حبيب الله وقد ترك مجموعة من الانظام النحوية تناولت مسائل الخلاف ومست أصول النحو منها قوله:[٥٣] الرجز.

ما شاع في جنس كعبد نكره
وغيره معرفة كعنتره
فمضمر اعرفها ثم العلم
واسم الاشارة وموصول متم
وذو أداة ومنادى عينا
وذو اضافة بها تبينا
وما يضاف للضمير كالعلم
والله اعرف الأسامي وأتم
جعلت الكوفة قبل العلم
مرتبة لاسم الاشارة اعلم

ونجل كيسان الهمام جعلا
مصحوب أل قبل الذى قد وصلا

مدرسة الحسن بن زين القناني:[٥٤]:

لقد عمل هذا الرجل على تقديم منهاج نحوي واضح المعالم عماده تبسيط القواعد ونظمها في أبواب تبين احكامها وشروطها، كما اهتم بتدقيق بعض المصطلحات مبينا بعض الحدود النحوية مبرزا الفوارق بينها وله نظم مستقل في محفوظات الجموع وتوشيح مفيد وطرة على لامية الافعال لابن مالك، ويكفيه فخرا أن من طلبته استاذ الأشياخ يحظيه بن عبد الودود الذى دفع بالنحو الشنقيطي شوطا بعيدا وتطورت المدرسة البونية على يديه تطورا كبيرا إذ عرفت زهرة حياتها وأوج ازدهارها، وللحسن نظم مفيد حدد ضمنه ابرز مصطلحات النحو في اسلوب يكشف عن علو المستوى والتخصص الأكاديمي يقول:[٥٥] الرجز:

تفسير ما شذ وما فشى وما
ندر مع ما بالضعيف وسما
فذ الشذوذ ما عن القياس قد
حاد قليلا أو كثيرا ما ورد
والنادر القليل قيس أو لم
يقس وما فشى بعكسه نم
آخرها الضعيف وهو كلما
ثبوته فيه نزاع العلما

كما شمر عن ساعده لينظم الأقوال الواردة في العامل الذى نصب «يوم» بعد سيما في قول امرىء القيس «لا سيما يوما بدارة جلجل» يقول:[٥٦] الطويل:

ونصبك يوما قبل دارة جلجل
على سيما قول على القول يعتلي

وظرف يراها بعضهم صلة لما

بتقدير فعل قبله غير منجل

ومن قال ما كفت ويوم مميز

لسي كعندي مثله سيف صيقل

يرد بان اليوم يوم مغاير

لسي فما في قوله من معول

وذا الرد في الصبان قد جاء بينا

وما قيل في همع الهوامع ينجلي

مدرسة محمد محمود بن التلاميد التركزي:

كان ابن التلاميد نحويا متميزا تخرج من مدرسة اجدود بن اكتوشني العلوي في منطقة القبلة وقد نوه الباحث أحمد علبي بمكانة الرجل العلمية معرجا على ازدهار الدرس النحوي بارض شنقيط يقول: «وقد جاء من شنقيط قلب الصحراء الموريتانية وكان على حظ باهر من الحفظ والفطنة وقد تخرج من مدرسة هنالك شابهت مدارس البصرة والكوفة وبغداد فكان درة خرجت من هذه المدرسة العلمية»[٥٧]. وقد استودع التركزي حماسته كثيرا من المباحث النحوية المتخصصة فكان همه الناصب تعليم اللغة فصحح الأخطاء مهتما بالمعضلات النحوية كصرف عمر وارتفاع الضمير المنفصل أو انتصابه في مسألة «إن لم أجد إلا هي» دون أن ينسى مناقشة امر التوكيد في قولهم «رجل ذكر» و«ابن لبون ذكر»[٥٨].

وقد خصص كتابا لمناقشة صرف عمر مفصلا القول في هذا الفرع النحوي، مبطلا ما ذهب اليه الجمهور من المنع والعدل، منتصرا للصرف عبر ميميته المشهورة، رادا على سلفه النحوي يقول: الطويل[٥٩]:

رددت على عمرو ويحى وغيرهم

بصرف وعدل لا بكذب ولا ظلم

مقالهم بالمنع والعدل مفترى

على عمر ذى الصرف رغما على رغم

مضى عمر بالصرف من عهد نابت

وعاد وكل العرب في الحل والحرم

مضى سبويه الفحل لم يشعر به

ولم يشعر النحرير اخفشه المنمي

ولم يشعر ابن الحاجب الندب حبرهم

ولم يشعر ابن مالك الرفع والجزم

ولا ابن هشام جامع النحو لبه

بمغن وتوضيح قطر ندى يهم

وقد امتد حديثه في هذا النغم النحوي الغاضب لينتهي الى نحاة عصره وأئمة بلده معددا اعلامهم بادئا بالمختار بن بونه، معرجا على انجبنان الحيبلاوي وحفيده عبد الودود بن عبد الله دون ان ينسى بلا الشقروي والمختار بن حبيب الحسني، مارا على شيخه اجدود بن اكتوشن وقد اشاد بمعارف هؤلاء القوم مبينا في الوقت نفسه قصورهم النحوي حسب رأيه إذ اتبعوا سبيل اسلافهم من النحاة ولم يتعمقوا الدرس المتعلق بصرف عمر وذلك ما جعل التركزي يصرح في عزة وافتخار أنه أبو عذرة هذا الموضوع وابن بجدته يقول:[٦٠] الطويل:

ولم يشعر المختار منشى احمراره

لنفع عباد الله من بحره الطم

ولا شيخه انجبنان من كان عنده

له فتح الرحمن في النحو والطم

ولا ابن ابنه عبد الودود الذى غدا

له نحوه ارثا مباحا بلا قسم

ولا شيخه «بلا» ولا «ابن حبيبنا»

ولا «حرمة الرحمن» ذو العلم والفهم

ولا شيخنا البحر الخضم «جدودنا»

ولا شيخه ابوه في العلم والحلم

ولا غـيـرهم من كل اروع جـهـبـذ
عليم بعلم النحـو ذى أدب صم
فكنت بحـمـد الله أول مـرشـد
إليـه أقـود الناس باللجم والخطم

وبذلك فإن التركزي قد مثل الثقافة الشنقيطية بالمشرق أحسن تمثيل مبوئا قومه منزلة عالية حملته على الفخر والاعتزاز إذ بذ أقرانه في مصر والحجاز فكان رامي الهدف، عالي الكعب في اللغة، بالغا في النحو درجة التبصر والاجتهاد، متجاوزا بذلك نحاة الأندلس والعراق وبلاد النيل وأرض الحجاز[٦١].

محاظر التدريس والتعليم:

ونقصد هنا تلك المحاظر التى صرفت معظم وقتها في القاء الدروس وبث المعارف والعلوم فانشغل اساتذتها بذلك عن التأليف إلا لماما كجمع النظائر والأشباه ونظم بعض المسائل والأبواب وربما ضبط اللغة والمفردات فلا نصادف عند هؤلاء مؤلفات في النحو شاملة ولا شروحا ضخمة مستفيضة تساير الخلاصة من البداية الى النهاية، غير انهم عوض ذلك بثوا العلم في صدور الرجال وكونوا صفوة الأجيال، ولعل أبرز محاظر التدريس محظرة إمام الأئمة الشيخ يحظيه بن عبد الودود الذى أحيا مباحث النحو فانتهى اليه التقديم في هذا الفن متصدرا أقوامه بالذكاء والفهم ليصبح أبرز أوعية النحو والعلم فكان بحق سبويه العصر وخازنة اللغة والأدب بل منتهى المأمول والطلب، وقد عرفت مدرسته قبولا وإقبالا عظيمين قلما قدرا لأحد غيره من علماء البلد ولعل السر في ذلك راجع إلى مستواه العلمي الرفيع ومنهاجه التربوي المتميز، وبذلك تصدر للتدريس وبقيت محظرته أكثر من نصف قرن محط انظار الطلبة ومعدن النحو والصرف فاستقطبت الطلاب بفعل ابتكارات الشيخ ونهجه الفذ وقدرته الفائقة على التلقين كما صرح بذلك طلبته الذين شافهوه وشاهدوا منه ذلك عين اليقين. ولا بأس أن نضرب مثلا على اسلوبه التعليمي ومنهاجه في التدريس حتى تتضح الأمور فالطريف لدى هذا الشيخ انه غالبا ما يجمع في دروسه بين الظرافة والأريحية وحسن التلقين وجودة التوصيل مستضحكا الطلبة، مستأنسا بواقع الناس ومشاغل حياتهم فكان يشبه الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) بخيمة مضروبة تعتمد على ركيزتين فإذا دخلت النواسخ هذه الخيمة أجرت عليها بعض التعديلات فالأفعال الناسخة كما يقول الشيخ تسقط الركيزة الخلفية (الخبر) لتجعله اسما منصوبا، أما الحروف النواسخ فإنها تسقط الركيزة الأمامية (المبتدأ) لتجعله اسما منصوبا ويتم اسقاط الخيمة نهائيا بإزالة الركيزتين (المبتدأ والخبر) وذلك مع دخول أفعال القلوب التي تنصب مفعولين وهكذا، وبهذه الطريقة التقريبية القائمة على ضرب الأمثلة والتشبيه تنجلى صعاب المعانى للفدم البليد وتتكشف امام ناظر الفهم السليم.

إشعاع مدرسة يحظيه ومجهودات ابنائها:

لا يمكن حصر اشعاع هذه المحظرة وتأثيرها المعرفي في مقال موجز من هذا القبيل فقد كان المتخرجون منها طبقات وأفواجا، بل أجيالا متعاقبة، فهمنا هنا اذاً ينحصر في مجرد التنبيه الى جانب ولو قليل من اسهامات هذه المحظرة وإضافاتها النحوية محيلين الباحث على نظم احمد محمود الملقب مم لمناقب شيخ هذه المحظرة يحظيه، فقد سطر ضمن هذا النظم اهم دفعات هذه المدرسة التى ظل اشعاعها العلمي متناميا مع ابناء الشيخ وحفدته وخاصة خليفته التاه رحمه الله وسنقتصر فيما يلى على بعض الوجوه

العلمية مكتفين بضرب الأمثلة آملين أن نجد فرصة أخرى للتوسع والاستقصاء.

١ ـ سيد احمد بن الأمين صاحب الوسيط:

من المعلوم أن سيد احمد بن الامين الشنقيطي قد اخذ النحو عن يحظيه بن عبد الودود غير اننا لا نعلم مدة اقامته معه ولا النصوص التى سمع بساحته ومع ذلك فمن المفترض ان تكون هذه المحظرة ساهمت بشكل فاعل في تأسيس خلفيته النحوية واللغوية فهو لم يخرج في رحلته الى المشرق الا بعد أن ثقف العلوم وأخذ من اللغة بنصيب وافر هيأه لتمثيل قومه بالمشرق حيث جادل ابن التلاميد التركزي وناقشه في حكم صرف عمر ومنعه فمال ابن التلاميد الى صرفه مؤكدا انه جمع عمرة مخطئا سلفه النحوي من الخليل الى ايامه وذهب ابن الامين الى منعه رادا على مواطنه التركزي محررا في ذلك رسالة سماها «الدرر في منع عمر» وقد كان ابن الامين من كبار النحاة واللغويين فشرح المقصور والممدود والمثلث لابن مالك و«ليس في كلام العرب» لابن خلويه ليتوج ذلك بالتعليق على «همع الهوامع» للسيوطي وقد حدد في فاتحة هذا التأليف الدوافع التى دعته الى كتابته يقول: «إن الحافظ السيوطي خدم لغة العرب خدمة قصر عنها معاصروه ولم يفقه فيها سابقوه ومن أجمع ما ألف وانفع ما صنف «همع الهوامع على جمع الجوامع» لولا بتر شواهده فإنه كثيرا ما يأتى بشطر بيت أو بكلمة أو كلمتين منه وإنما فعل ذلك اتكالا على الحفظ لما يعلم في أهل زمانه من سيلان الأذهان ولأنه ألف كتابه هذا للعلماء فندبنى من حركته محبته لنشر الكتب المفيدة الى تذييله بما يوضح شواهده وربما أتيت ببحث اقتصره أو تركه وسميته «الدرر اللوامع على جمع الجوامع»[٦٢].

٢ ـ أحمد بن كداه[٦٣]:

وهو نحوي متميز من الطبقة الأولى ضمن تلامذة يحظيه واشتهر في حياة شيخه بكتابه المعروف بـ «الكداهية» وهو عبارة عن مجموعة من الأنظام والحواشي الغنية التى حاولت أن تستقصي اسهام طلاب محظرة يحظيه وإضافاتهم النحوية، فجاء كتابه موسوعة نحوية تتجاوز الجامع البوني إذ هي مدونة منظومة غير مرتبة الأبواب والفصول همها التوسع والاستيعاب، وللرجل أنظام تعليمية مفيدة منها بيان معاني كلمة «النحو» ودلالاتها المعجمية المختلفة وهي: القصد والمثل والجهة والمقدار والقسم والبعض يقول[٦٤] الطويل:

نحونا بانحاء من الحاج نحوكم
تناهز نحو الألف أو هي أكثر
فنلنا جميع الحاج لا النحو عاجلا
ونحوكم يا شيخ بالنحو اجدر

٣ ـ مم الجكني[٦٥]:

وقد لبث بجانب الشيخ يحظيه عقدين من السنين فاستوعب مقررات المحظرة واغنى بحوثها بمنظوماته المختلفة مقيدا الشواهد وقد عول في انظامه على مسائل الخلاف بين أهل البصرة وأهل الكوفة مستكملا مباحث الخلاصة ومن أبرز انظامه نظمه في اعمال اسم الفاعل وقد فصل فيه القول مبرزا مذاهب النحاة ذاكرا الشواهد الشعرية والقرآنية يقول[٦٦] الرجز:

ويعمل الماضي لدى الكسائي
من اسم فاعل بالامتراء

ولا لـه حـــجـــة إذ يغـــالط
في قـــول ربنا تعـــالى «باسط»[*]
وكــوفــة تعـمله كـمـا عـــهـد
ذاك للأخـــفـش ولو لم يعـــتــمــد
واحـــتج في اعـــمـــاله الأخـــيـــر
بنحـــو مـــا أوله «خـــبـــيـــر»[*]

٤ ـ محمد سالم بن ألما[٦٧]:

كان من أكابر النحاة الذين تخرجوا على يحظيه ابن عبد الودود وقد بلغ منزلة عالية في العلم والمعرفة وكان له منهاج في التدريس متميز، وذلك ما أشار إليه أحد تلامذته مؤكدا براعته في اللغة وتمكنه من ناصية النحو مرغبا الطلبة في منظوماته وطروسه، ترغيبا جعلهم يتعلقون بحلقه ودروسه.

يقول[٦٨] البسيط:

في النحو والفقه شيخي لا مثيل له
وكل قـــرم إلى اقـــرانه قـــرم
فـإن أتت «طرة المختـــار» يقـرؤها
حتى يرى الحاضرون النار تضطرم
(وإن أتاه «خليل» يوم مـــســـألة
يقـــول لا غـــائب مـــالي ولا حـــرم)

وقد حرر الشيخ ابن ألما مسائل نحوية مفيدة في رسائل وأنظام قصيرة فمن ذلك ورقات سماها «كشف الحجاب عن طرة الاعراب»، و«شافي السرائر في احمرار الضمائر» كما شرح نظم محنض بابه الديماني في الجموع، ومن أنظامه ذات الصبغة النحوية الأكاديمية نظمه في «لات هنا» يقول[٦٩] الرجز:

الاصح في لات إذا تـقـــــدمت
هنا الذي في شـــأن الاهمـــال ثبت
ومن يقل هنا ســمـــا والخـــبـــر
مـــا بعـدهـا اردده بما ســيـذكـر
وهو خـــروج الظرف عـــمـــا يعلم
له من النصب وأيضـــا يلزم
عـــدم حـــذف أحـــد الجـــزئين مع
أن انحـــذافـــه اشـــتـــراط قـــد وقع
وعـــمـــل أيضـــا بما لفظ به
مـــعـــرف وهو ضـــعـــيف يانبـــه

٥ ـ محمدن بن محمد بن المحبوب[٧٠]:

كان من أبرز طلاب الشيخ يحظيه وقد جلس إليه عقدا كاملا من السنين سمع خلاله الكثير من صنوف العلم وأجاد النحو إذ قرأ الألفية مع توشيح المختار بن بونه وطرته بساحة هذه المحظرة عدة مرات، وكان نابغة في النحو متخصصا في فروعه تخصصا عاليا وأنظامه المسايرة لأبواب الألفية كاشفة عن ذلك مبينة له فقد نظم منع رجوع الضمير على متأخر لفظا.

يقول[٧١] الرجز:

أجـز على مـا صـحـحـوا ان يبنى
كـاشـتـاق وصلها حـبيب لنى
وليس أودى حـــبـــهـــا بجـــار
هند على نهج الصـــواب جـــار

كما نظم اللغات الواردة في كلمة النداء إذ تقصر وتمد يقول:[٧٢] الرجز:

واكـــســـر وضم النون في النداء
والمد فـــيـــهـــمـــا كـــقـــصـــر جـــاء
أشـــهـــرها المد مع الكســـر فـــمـع
قـــصـــر وضـــمـــهـــا لكســـرها تبع

وأكثر من ذلك يبسط القول في شأن الترخيم مستعرضا أقوال العلماء مرجحا جواز ترخيم النكرة والنكرة المقصودة، منشدا على ذلك ما أثر من شعر

العرب وكلامهم يقول [٧٣] الرجز:

ونحو يا صلعمة بن قلعمه

ابى ابن عصفور من أن ترحمه

كذا المنكر اذا ما يقصد

ترخيمه منعه المبرد

ورد ذا بقولهم في النثر

«ياش ادجن» وقولهم في الشعر

(جاري لا تستكثري عنيري

سيرى واشفاقي على بعير)

التوجه البنهشامي وتأثيره[٧٤]:

قبل تفصيل القول في شأن كتاب «مغني اللبيب» الذى اجتاح الساحة الشنقيطية نود الاشارة الى أن الدراسات النحوية قد بدأت في شرق البلاد وشمالها الشرقي خلال القرنين (١٠ و ١١هـ) مع المؤلفات البنهشامية لتمتد إلى جنوب البلاد وجنوبها الغربي مع المؤلفات البنمالكية خلال القرون (١٢ و١٣ و١٤هـ) ولذلك يمكن القول أن القوم عولوا في فاتحة دراساتهم على ابن هشام ليولوا وجوههم بعد ذلك شطر مؤلفات ابن مالك وقد اتبعوا في ذلك كله تدرجا تربويا وسلما تصاعديا ينطلق من الأسهل الى السهل فالصعب فالأصعب، فالمدرسة البنمالكية تعتمد الترتيب التصاعدي التالي (الآجرومية، نظم عبيد ربه، ألفية ابن مالك، توشيح المختار بن بونه وطرته، التسهيل لابن مالك).

أما المدرسة البنهشامية فإنها تعتمد ترتيبا آخر نوضحه كالتالي: (قطر الندى، مغني اللبيب، التوضيح). ويحسن القول أن ذكرنا مدرسة بنهشامية تضاهي المدرسة البنمالكية هو من باب التجوز والمجاز فلا جدال في أن مؤلفات ابن هشام لم تنتشر بالمحاظر الشنقيطية انتشار مؤلفات ابن مالك ولم تدرس بها تدريسا كاملا بل ظلت بمثابة التكملة والتوسعة التى يرجع إليها عند الحاجة.

ورغم ذلك فإن مغني اللبيب ظل في صدارة المراجع الشنقيطية فقد تُدُووِلَ بالمحاظر هناك وتلقفته الأيدي تلقفا كبيرا فكان شرارة لحشد من المؤلفات هائل بل مرجع اهتمام ثلة من النظامين والمؤلفين فواكب بذلك الحركة النحوية في البلاد من المنشأ الى النضج وسايرها من الإرهاص الى الاكتمال فقد شرحه ابن الأعمش العلوي (ت ١١٠٧هـ) كما شرحه محمد البرناوي شرحا سماه «فتح المرام على ابن هشام» كما نظمه محمد بن موسى الزيدي التشيتي ومحمد بن محمد الصغير بن امبوجه والفقيه محمد يحي الولاتي دون أن ننسى سيد محمد الأغظف الوسري الحوضي الذى وضع شرحا على نظم السلطان مولاي عبد الحفيظ لمغني اللبيب. كما نظم العلامة الشيخ محمد المامي منه ابوابا عديدة وكذلك فعل الحاج حماه الله القلاوي، ومحنض بابه بن اعبيد الديماني وهذا الأخير نظم من المغني بابين هما باب الجمل وباب القواعد الكلية العامة، ويعتبر نظمه للقواعد مفيدا إذ جمع فيه فأوعى واستقصى المسائل في روح من التوسع والاستيعاب بل انه كمل هذه القواعد وزادها واحدة وذلك ما أوضحه بقوله:[*]

وزدتها واحدة لها ظهور

فبلغت بذاك عدة الشهور

وبعد محنض بابه نصافح اقلام جماعة من الذين بقي الحس البنهشامي في عروقهم يسري وعلى كتاباتهم يسطع ويجرى ومن هؤلاء عبد الله بن محمد بن حبل التمكلاوي (ت ١٣٢٦) الذى نظم المغني نظما رائعا على ما ورد في كتاب «ذات ألواح ودسر»[٧٥].

ومع يحظيه بن عبد الودود يخطو النحو البنهشامي خطوات ليتسع مجال «مغني اللبيب»

ويمارس كثيرا ويتدارس في محظرة الرجل فنظمت منه احكام عديدة وجمعت من جملته ابواب، وكان نظم قواعد المغنى لمحنض بابه الذى ذكرنا قبل قليل يدرس في هذه المحظرة باعتباره توسعة وتكميلا ودرسا من النحو الاكاديمي المتخصص، وأكثر من ذلك نصادف ابن هذه المحظرة «مم» ينطلق من المغني في معظم أنظامه التى تساير الألفية من المبتدأ الى المختتم يقول في باب المبتدأ والخبر[٧٦] الرجز:

وقوله وامنعه حين يستو

هذا هو الأظهر من خلف روى

وقيل أيضا أنت بالخيار

وقيل ما يشتق نو اخبار

والحق أن ما السامعون ادرى

به والأبلغ عرفا يجرى

لكونه بالابتداء يرفع

وذا به «مغني اللبيب» ينفع

وقال أيضا[٧٧] الرجز:

وكون ام تلزم معنى بل معا

همزة الاستفهام حيث انقطعا

نقله عن بصرة ابن الشجر

وكوفة أبت كما عنهم درى

وذاك في «مغني اللبيب» يوجد

عرق أقوام به وانجد

إن هذا التفنن في العزو والحشد الهائل من الأنظام لناطق عن حضور بنهشامي مبين، فمدرسة الاستاذ يحظيه بن عبد الودود تعتبر وقود هذا الحضور ومنبع انطلاقه ونستمتع من ثمرات هذه المحظرة بنظم الشفيع بن المحبوب[٧٨]، للمغني اذ يعتبر التتويج الذي بهر العيون والازدهار الذي انتهت اليه المدرسة البنهشامية فقد نظم هذا الرجل المغني في رجز راقص يقع في ثلاثة آلاف بيت وقد استفتح نظمه بالثناء على الله سبحانه وتعالى والصلاة والسلام على رسوله {صلى الله عليه وسلم} منوها بكتاب المغني، منبها إلى ضياع اللغة واعراض الناس عن مباحثها حتى اندرست منها الرسوم وانطمست المعالم، فجاء نظم الشفيع تداركا لما فات بل جوهرا ثمينا ودررا ويواقيت تروم تجاوز المغني واستكمال مادته النحوية ببعض المباحث المستفيضة يقول[٧٩] الرجز:

حمدا لمن ابان في حروف

الاشياء ما لم يك بالمعروف

صل على نور الهدى وسلم

ومن نحى أنحاءه من مسلم

هذا وان في الاعراب علم حسن

به عن الالسن زال الوسن

على سواه فضله مبدأ

به عن الكتاب يجلى الصدأ

وحين لم يبق له من رسم

ويجديس اقتدى وطسم

ابديت منه جوهرا منمنما

صيره العفاة مغنما نمى

ويمها المأخوذ منه الصدف

«مغني اللبيب» عن سواه يصدف

فهو أجل ما نحاه الناحى

من كتب في هذه المناح

وربما زدت عليه لمعا

مما سواه كان نصا جمعا

ونراه في فاتحة نظمه يعترف للسلطان المغربي مولاي عبد الحفيظ بالسبق في هذا المجال مشيرا إلى أن هذا السلطان قد نظم مغني اللبيب نظما رائعا فلم يبق له الا أن يحذو حذوه ويتبع سبيله دون أن ينسى نفسه جاعلا من نظمه حلة سيراء تفوق غيرها من الحلل والأنظام لينتهي الى ذكر عنوان نظمه الذي

سماه «نبراس الهداة» يقول[٨٠] الرجز:

وما نحوته نحاه قبل
من ليس سيفه يفي بنبل
هو مولاي الحفيظ كافي
صاغ اللآليء من الأصداف
وإن أتت في حلل الخنساء
هذي تميس ميسة النساء
فاقت لآليء للاسماعيلي
وأقبلت في أول الرعيل
وصار «نبراس الهداة» علما
لها من ارتقى يراه علما

الهوامش:

(٤٥) محمد عال «مع» بن سيد بن سعيد الحيبلاوي ت(١٢٢٠/ ١٣١٠هـ) عالم نحوي له محظرة من آثاره: كتاب التنبيه في النحو.

(٤٦) إشارة الى قوله تعالى: {فأرسل معنا أخانا نكتل} (سورة يوسف/٦٣)، ووزن نكتل: نفتعل بكسر العين لأنه من الكيل وأصله نكتيل فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت الألف لسكونها وسكون اللام فصار نكتل، وقد سأل ابو عثمان المازني ابن السكيت عن وزن نكتل فغلط فيه.

(٤٧) آرام: وزنه أعفال لانه مقلوب وآرام جمع رئم بالكسر وهو الظبي الخالص البياض.

(٤٨) وزن اثفية: افعولة على القول أنها من ثفيت الشيء كأنحيته وقيل اثفية فعلوية من أثفيت قال الزمخشري الاثفية ذات وجهين تكون فعلوية وتكون افعولة وهي الحجر توضع عليه القدر.

(٤٩) أنيق وزنه ايفل وقيل أعفل، قال ابن جني ذهب سبويه في قولهم اينق مذهبين أحدهما أن تكون عين أينق قلبت الي ما قبل الفاء في التقدير فصارت أونق والآخر أن تكون العين حذفت ثم عوضت الياء منها قبل الفاء فمثالها على هذا القول ايفل وعلى القول الأول أعفل وأينق جمع ناقة، وعريب وزنه فعيل ولا يستعمل إلا في النفي. وبيار وزنه فيعال لأنه من در يدور واصله ديوار، قالوا إذا وقعت الياء ساكنة قبلها فتحة قلبت ياء ودغمت مثل ايام ولا تستعمل الا في النفي وشبهه.

(٥٠) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق، ص ٥٠٨.

(٥١) وقد حققت منه أجزاء عديدة، فحقق الياس بن ابراهيم جزء بالمدرسة العليا للأساتذة، ١٩٨٦ كما حققت امبيريكه بنت محمد محمود الجزء الثاني في جامعة انواكشوط.

(٥٢) هو محمد بن عبد الله بن الأمين بن محمد المعروف بابن عبدم الديماني: (١٢٣٣/ ١٢٨٦هـ) عالم أخذ عن بلا الشقراوي كان معاصرا وصديقا لمحمد عال «مع» اشتهر بالنحو نظما وتدريسا له نظم في العروض وآخر في المنازل وعلم الفلك.

(٥٣) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق، ص ١٧٥.

(٥٤) الحسن بن زين القناني: (١٢٣٥/ ١٣١٥هـ) نحوي بارز أخذ عن عبد الودود بن عبدل الحيبلاوي، له نظم مستقل في محفوظات الجموع وتوشيح للامية ابن مالك في الصرف، وله أنظام عديدة في مختلف مسائل النحو.

(٥٥) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق، ص ٥١٨.

(٥٦) المرجع السابق ص ٥١٨.

(٥٧) محمذن بن أحمد بن المحبوبي: أدب الرحلة في بلاد شنقيط، مرجع سابق ص ١١٩.

(٥٨) المرجع السابق ص ١٣١.

(٥٩) المرجع السابق ص ١٣٢.

(٦٠) المرجع السابق ص ١٣٣.

(٦١) المرجع السابق ص ١٣٦.

(٦٢) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق، ص ٥٢٦.

(٦٣) أحمد بن بابو المعروف باحمد بن كداه الكمليلي: من أبرز تلامذة يحظيه بن عبد الودود، وقد توفي في حياة شيخه وعرف بكتابه الكداهية، وهو كناش جمع فيه كثيرا من الأنظام النحوية واللغوية التى تساير الألفية من الفاتحة إلى الخاتمة (ت ١٣٣٧هـ/ ١٩٢٩م).

(٦٤) مقابلة مع الاستاذ/ ابوه بن المحبوب تاريخ ١٩٩٧/٦/١٠.

(٦٥) مم: وهو احمد محمود بن عبد الحميد، وقد اشتهر بلقب مم (١٣١٢/ ١٣٦٢هـ) أخذ عن عبد الله بن حمين الحسيني ثم التحق بمحظرة يحظيه ليقيم بها عقدين من الزمن، وقد برز في النحو والصرف، له ديوان شعري وأنظام في النحو وأخرى في اللغة.

(٦٦) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق ص ٥٣٢.

(٦٧) محمد سالم بن ألما اليدالي: عالم جليل (ت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٤م)، كان فقيها متصوفا ونظامة مجيدا ونحويا اصوليا. يعتبر من اقطاب الفكر الشاذلي بأرض القبلة له مؤلفات في الاصول والفقه والنحو وغير ذلك.

(٦٨) مقابلة مع العلامة البشير بن المختار بن جنك: بتاريخ ١٩٩٧/٦/٧م.

(٦٩) محمد المختار بن اباه: تاريخ النحو مرجع سابق ص ٥٣٥.

(٧٠) محمدن بن محمد (ميميه) بن المحبوب اليدالي الألفغي كان نحويا بارزا وعالما جليلا من تلامذة يحظيه بن عبد الودود وقد لبث بساحته ما يربو على العقد من السنين دارسا ومدرسا له انظام محاذية للطرة واخرى مسايرة لمختصر خليل، وله احمرار على نظم محمد حبيب الله ابن مايابى في المقرأ ولد سنة ١٣١٦هـ وتوفي رحمه الله سنة ١٣٩٨هـ.

(٧١) مقابلة مع البشير السابق الذكر بتاريخ ١٩٩٧/٦/٧م.

(٧٢)مقابلة مع أبيه السابق الذكر: بتاريخ ١٩٩٧/٧/١١.

(٧٣) المقابلة السابقة.

(٧٤) قد تجوزنا هنا في النسبة الى ابن هشام وذلك للبس وسعيا الى ايضاح المعنى.

(٧٥) محمدن بن احمد بن المحبوب: نظم قواعد مغنى اللبيب لمحنض بابه بن اعبيد دراسة وتحقيق، مذكرة التخرج من المدرسة العليا للاساتذة سنة ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦، ص ٢٢.

(٧٦) المرجع السابق، ص ٢٣.

(٧٧) المرجع السابق ص ٢٤.

(٧٨) الشفيع ابن محمد (ميميه) بن المحبوب، عالم جليل من طلبة يحظيه بن عبد الودود عمل مدرسا في الدولة العصرية وله عدة مؤلفات منها نظم في شمائل الرسول ونظم مغنى اللبيب ومؤلف في الاجماع ونظم في تربية الأبناء (ت ١٩٨٧م ـ ١٤٠٠هـ).

(٧٩) مخطوط بحوزة الاستاذ محمد بن زين بن المحبوب.

(٨٠) المخطوط السابق.

(*) اشارة إلى قوله تعالى {وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد} سورة الكهف.

(*) خبير: إشارة الى قول الشاعر:

خبير بنوا لهب فلا تك ملغيا

مقالة لهبي إذا الطير مرت

(*) انظر محمدن بن أحمد بن المحبوب: نظم قواعد مغني اللبيب لمحتض بابه بن إعبيد (دراسة وتحقيق) ١٩٨٦ ص ٤٧.

بسمة الدنيا أجيبي

شعر : أبو عبدالرحمن حفيظ الدوسري - الخرج

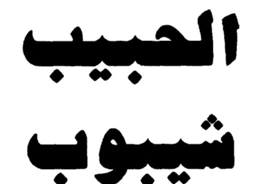
بسمة الدنيا أجيبي
أين اين مضى لساني؟!
تاه في وزن شعري
وانتهى مني بياني
ضاع صوت الحق مني
حين أطلقت عناني
وشكوت الهم وحدي
حينما ضاع أواني

* * *

بسمة الدنيا أجيبي
أين أين مضى لساني؟!
هل تراه اليوم يبكي
أم ترى ليس يعاني
ضاع مني ضاع مني
ليته الآن يراني
ليته يبكي لحزني
وإذا مت رثاني
ليته يهوى لقائي
مثلما أهوى الأماني

ليـتـه إن عـاد لا يبـقى
بـعـيـداً عـن سـنانـي
* * *
بسـمـة الدنيـا أجـيـبي
أيـن أيـن مـضى لسـانـي؟!
هـل تـراه اليـوم لا
يـسـأل عـنـي فـي حـنـانـي
أم تـراه اليـوم لا
يـسـأل عـنّي فـي جـنـان
أم تـراه اليـوم لا
يـعـلـم مـاذا قـد دهـانـي
يـا تـرى هـل غـاب عـنـي
كـي يـرى صـوت الحـسـان
* * *
بسـمـة الدنيـا أجـيـبي
أيـن أيـن مـضى لسـانـي؟!
هـل رأى صـوت نـعـيـق
يـتـمـطى بـالأغـانـي
ورأى صـوت نـبـاح
فـاق صـوت الـكـروان
ورأى شـعـراً غـثـيـثـاً
فـاق نـور الـقـمـران
فـتـأبى أن يـواتـيـنـي
بشـعـر كـالجـمـان
ويـبـكـي حـين رآنـي
اشـتـكي قـهـر زمـانـي

رحلة في الذاكرة (٤٥)



أديب تونسي مرموق، بل هو راوية تونس الأدبي، إذ لا يكاد يندّ عن ذاكرته أثر خالد من مأثور الشعر في الجاهلية والاسلام حتى العصر الحديث، ورواية الشعر المعاصر غريبة عجيبة حقا، لأن الصحف الأدبية في شتى ديار العربية بآسيا وأفريقيا تزدحم بكبار الشعراء، ولكل منهم شعر ذائع يتردد، وشعر خاص يتناقله الرواة في المجالس دون أن يُطبع لظروف خاصة تحيط به، وهذا الشعر يرحب به السامعون ويسألون عنه مُلحّين، وقد أحاط الحبيب خبرا بكثير من ذلك، حتى لقد سمعت منه أشعارا قالها بعض شعراء مصر دون أن أعلم عنها شيئا، وقد طارت إليه في تونس، ولا أدرى بأي جناح حلقت في الجو حتى اختصته بها!.

أول ما عرفت الحبيب كان ذا ظروف مؤلمة بالنسبة إليّ، فقد قرأ لي مقالات بمجلة الأديب اللبنانية عن الأديب المصرى السيد محمد توفيق البكرى من كبار أعلام الأدب في عصره، وبدا له أن يسألنى عن أشياء من شعره يريد أن يستوثق من مصدرها، فكتب اليَّ رسالة على عنوانى بدار المعلمات حينئذ بالفيوم، وكانت الظروف السياسية متوترة بين تونس ومصر، لخصام شخصي وقع بين جمال عبد الناصر والحبيب أبو رقيبة رئيسي البلدين، وقد قرأت مباحثُ الفيوم الخطاب القادم اليَّ من تونس، ورأت أن كاتبه يسمى الحبيب! وهي فرصة لابد أن تستغلها لتثبت وجودها، فجاءني من يستدعينى إلى المباحث، ومن يسألنى عن علاقتي بتونس؟ وكيف عرفت الحبيب؟ ولما كنت لم أعرف عنه شيئاً قلت الحق الصريح فاستنكرت المباحث أن يخاطبني شخص لا أعرفه، وادعت الذكاء النادر، وأصرت على أن هناك فجوات مجهولة لابد أن نعرفها! وبعد البحث الشديد من ناحيتها لم تجد شيئا، غير أنى آثرت العافية فلم أبعث أي ردّ للحبيب، وكرر الرجل المراسلة فلم أردّ، وهو لا يدرى أى حرج وقعت فيه، ثم انقطع فجأة، وقابلنى الأستاذ الأديب عبد العزيز الربيعي الكاتب السعودي المعروف بالقاهرة وهو من أعز الناس عليّ، فقال لي: يا رجل إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها، كيف لا ترد على رسائل الأديب الكبير الحبيب شيبوب؟ وقد تكررت مثنى وثلاث ورباع؟ وكان الوضع السياسي بحمد الله قد تغير، فحكيت للأستاذ عبد العزيز عما جرى بسبب رسائله! فضرب كفا بكف، وقال سأخبره كي أطيب خاطره، ثم تواصلت الرسائل، وعاد الصفو.

(رسائل الحبيب):

لا يخصنى الأستاذ الحبيب بالرسائل وحدى، وإنما يخاطب أكثر أدباء العالم العربي، ولا أعرف له شيئا في كثرة



بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي
- المنصورة -

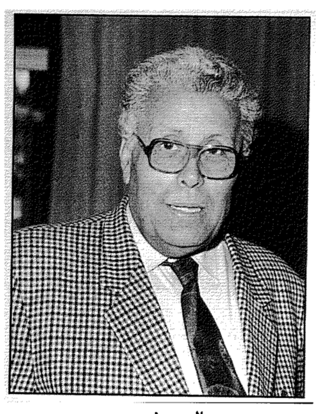
رسائل البريد عبر صديقي الأستاذ الكبير وديع فلسطين، حيث يزدحم بريدهما بما لا يطيق الرد عليه غير ذوي الحزم والعزم معا، ولوديع حديث تال، أما رسائل شيبوب فخاصة بأسئلة أدبية، ومطارحات شعرية، وأسئلة الحبيب تتطلب البحث الشاق، لأنه لا يسأل إلا عن عويصة من عويصات الفن الأدبي، وتدور أكثر أسئلة عن شعراء قالوا أبياتاً عرفت في الكتب، ولم يُعْرف قائلوها، أو عرفت عدة اسماء لقصيدة واحدة، ويطلب الأستاذ تحديد القائل من هؤلاء، مع أدلة الترجيح، وقد أدركنا من حفظة الشعر أمثال المرصفي والزين وأحمد شفيع ممن لا يكاد يغيب عن حوافظهم إلا القليل، وهؤلاء هم الذين يعرفون القائلين من المجهولين والمشتهرين، ويكلفنى الأستاذ الحبيب شططاً حين يطلب منى معرفة هذا الطراز، وقد رأيت أن أحاربه بالمثل فجعلت أسأله عن شعراء لم أهتد إليهم بعد، ولكنه اخذ للأمر عدته وجعل يجيب سديدا صائبا!.

(زيارة تونس):

في المرة الأولى لزيارتي لتونس تفضل الأستاذ الحبيب باستقبالي في المطار، ولم أخبره بموعد الطائرة ولكن الحاسة السادسة أخبرته بكل شيء، وحين تلاقينا تطارحنا الشعر، وكل أديب للأديب نسيب، تَفَسَّحَ لي مجال الرواية، ولكنى وجدت أن كل ما رويته له كان محفوظاً لديه مع أنه أصاخ السمع بالفندق إصاخة من لم يدر شيئا عما يقال فذكرني بقول أبي تمام:

وتراه يصغى للحديث بسمعه
وبقلبه ولعله أدرى به

ومن طرائفه في الزيارة الأولى أنه أوقفني على



الحبيب شيبوب

مجموعة من الشعر العربي وقعت تحت يده مجردة من الصفحات الأولى ومن بينها عنوان المجموعة، واسم جامعها المجهول، وقال لى إنه منذ عشرين عاما يبحث عن الاسم وعن الجامع فلم يهتد إلى شيء، وكان ينتهز زيارة الكبار من العلماء لتونس ليسألهم عنها، فلم يجد الجواب، ومن بين من سألهم أستاذنا الكبير محمد عبد الغنى حسن رحمه الله، فسكت دون إجابة، وقد أسعفنى الله بعد تصفح المجموعة فذكرت أنها تسمى (مسامرة الحبيب في الغزل والنسيب) وقد غاب اسم جامعها عني، فكان ذلك فتحا للأستاذ الحبيب، وقد واصل البحث حيث اهتدى إلى اسم المجموعة وقائلها، فكان فرحة بهذا فرح من وجد ماء في الصحراء على ظمأ لوّاح.

وفي أثناء إقامتى بتونس ألقى الأستاذ الحبيب بحثا شائقا في مؤتمر علمى أقامته وزارة الشئون الدينية بتونس وافتتحه معالى الدكتور على الشابى الوزير العالم الكفء، ألقى بحثا عن العلامة الشيخ

محمد الفاضل بن عاشور المفتي السابق لتونس وصاحب الآثار العلمية الرائعة، فتحدث في ذكريات شخصية عن العلامة، وعن وقائع تاريخية لم تدون بعد، فأضاف الى تاريخ الرجل ما ألقى الضوء على كثير من مواقفه. لأنه كان تلميذا له بالزيتونه والخلدونية معا، وقد طلبت نسخة من محاضرة الأستاذ الحبيب فوجدتها تحمل العناصر فقط لأنه متدفق من غَيْبِ صدره، ولعله يكتب ما ألقاه غيباً ليكون مادة دسمة للباحثين.

وكان من نصيبى أن أتحدث عن الزعيم المجاهد (عبد العزيز الثعالبي) فألقيت عنه محاضرة متواضعة وبعد الانتهاء منها، وجدت الأستاذ الحبيب شيبوب يعارض - بيني وبينه - بعض ما أثبتُّه من حديث النشأة الأولى للزعيم عبد العزيز الثعالبي، فذكرت له المرجع الذى استندت إليه وهو كتاب مطبوع متداول في تونس، وبه تعليقات كثيرة لفضيلة مفتى تونس الحالى، فقال الحبيب إنه قرأ الكتاب وأدرك ما به من الخطأ، لأن منزل آل الثعالبي قريب من منزل والده، ويعلم في ضوء هذه القرابة ما يجهله من كتب المقدمة، فقلت له يا صاحبي! كان عليك أن تصحح ذلك في مقال سائر.

وقد سألنى الأستاذ الحبيب سؤالا لازلت حائرا في الإجابة عنه، فقد قال لي إن الأستاذ أحمد حسن الزيات كان على صلة وثيقة بالثعالبي أثناء بعثته لبغداد في أوائل الثلاثينيات، وقد مات الثعالبي ولم تُشرِ الرسالة إليه بحرف واحد، فما سبب ذلك؟ وأنا أعرف أن الزيات وَفِيّ بار، ويخيل اليّ أنه انتظر أن يرسل إليه أحد من أصدقاء الثعالبي كلمة عنه، فلم يتحقق مأمله! ولو كتب إليه بعض أصدقاء الثعالبي كلمة تأبينية أو فصلا تاريخيا عنه ما تردد في نشره؟ ولا يزال السؤال وارداً.

(زيارة أخرى):

وقد أتاح لي الحظ الحميد أن أزور تونس زيارة ثانية بمناسبة الاحتفال بذكرى لمولد النبوي في القيروان عاصمة الإسلام الأولى بالمغرب، فسعدت بلقاء الأستاذ الحبيب واستقبلنى بالمطار كعهده، وكانت ليالي القيروان سعيدة بالنسبة إلي ومن عادتي إذا نمت في مكان ما لأول مرّة ألا يعاودني في النوم بسهولة فأرقت بالفندق، وطال عليّ الليل، فتذكرت أبا الحسن الحصري الشاعر القيرواني صاحب القصيدة الشهيرة جدا، والتى مطلعها:

ياليل الصب متى غده
أقيام الساعة موعده؟

فوجدت لساني يجرى بهذا البيت، وأنا أتساءل عن الفجر وأقول (أقيام الساعة موعده) ثم سبح بي خيالي، فقلت في نفسي، ومن يدري لعل الحصري منذ تسعة قرون كان نائماً في هذا المكان بالذات وقد طال عليه الليل كما طال علي؟ ألسنا في القيروان؟ وبها نُظمَت القصيدة وحين أصبح الصباح قابلت الأستاذ الحبيب وحدثته عن هذا ا لخاطر؟ فقال إنه خاطر محتمل؟ ولا أدري كيف اهتديت إليه؟ فقلت له: الأرواح جنود.

وقد ألقى الأستاذ الحبيب في مؤتمر القيروان محاضرة ممتازة عن عالم تونس وكبير مصلحيها الأستاذ العلامة سالم أبو حاجب، وهو من تلاميذ الأفغانى وأصدقاء الاستاذ الإمام محمد عبده، وله آراء جيدة في اللغة والأدب والتشريع والاصلاح السياسي إذ كان زميلا للمصلح الكبير خير الدين التونسي، وكل

ذلك تحدث عنه الحبيب في سهولة وتوفيق٠٠ وكان مؤتمرا موفقا٠

(زيارة [المرسى]):

المرسى ٠٠ ضاحية جميلة من ضواحي تونس، وقد كنت قرأت بيتين من الشعر في رحلة الشيخ محمد الخضر حين قالها متشوقا إلى المرسى بمناسبة مروره بها في الباخرة لأن بها منزل صديقه الامام محمد الطاهر بن عاشور، وهما:

قلبي يحييك إذ هبت سفينتنا
تجاه مطلعك المحروس يا علمُ
تحية أبرق الشوق الشديد بها
في سلك ود بأقصى الروح ينتظم

فقلت للأستاذ الحبيب، لابد من زيارة المرسى، فقال: سترى منزل الامام العظيم محمد الطاهر بن عاشور صاحب التفسير الشهير، فقلت ولهذا سألتك المسير، وذكرت له بيتى الإمام الخضر، فحملتنا سيارة إلى المرسى وشاهدت منزل الإمام بحديقته الفسيحة، وأشجاره الخضراء الزاهية (وتونس خضراء) وطبقاته السامقة ورأيت صورة ممثلة وهو واقف في الدور الثانى يتأمل مشاهد الروض المزهر، وصورة أخرى لولد الأديب العلامة محمد الفاضل بن عاشور، فقلت إن هذا المكان الشاعري هو الذى أوحى للامام الطاهر وهو العالم المفسر أن يترك العلم للأدب فيشرح ديوان بشار بن برد بأجزائه الأربعة، ويشرح ديواني الحماسة والنابغة الذبياني، ويكتب عن عمود الشعر في رأي المرزوقي وغير ذلك من البحوث الشعرية ذات الفن الأصيل وكذلك أوحى إلي الفاضل بن عاشور أن يرقّ أسلوبه الأدبي حتى ليضارع الأديب المفتنّ لديه منزلة العالم الضليع٠

وسرنا قليلا، فرأينا منزل شيخ الاسلام سالم أبي حاجب وقد مر حديثه من قبل، ومنزل ولده الصدر الأعظم خليل أبو حاجب، وقد كان منزل الصدر محل زوجته الأميرة المصرية (نازلي فاضل) صاحبة الصالون الأدبي الأشهر بمصر، وصاحبة الاتجاه السياسي المؤثر في شئون الدولة، ثم حظيت أو حظي زوجها بالاقتران السعيد في تونس في حفل مشهود حضرته الوفود من الأستانة والقاهرة والشام وباريس والمغرب، كل ذلك جال بذهنى وأنا أشاهد منزل الأميرة نازلي، وقد حدثنى الأستاذ الحبيب أن الأستاذ الإمام محمد عبده في زيارته الثانية لتونس قد زار منزل الصدر أبو حاجب ونزل ضيفاً على الأميرة، لأنها كانت ذات صلة علمية به بالقاهرة، وأفادت كثيرا من توصياته الأدبية والعلمية، وتفصيل ذلك مما يطول٠ وفي المساء جلست مع الأستاذ الحبيب شيبوب في ناد جميل بالمرسى، يدور أمامه جمل معلق بساقية تروى ماء الحديقة حول النادى، وقد عُصِبت عينا الجمل ليعلم أنه يسير في طريق ممتد كعهده بطرق الصحراء، وليس يدور في حلقة ضيقة فتثور نفسه ثوران الآساد على القيود، كما أذكر مجلسنا الزاهر على شاطىء البحيرة الصغيرة بتونس التى أحاطت بحديقة الحيوان، وقد رأينا من أسراب الطير والحيوان مازاد الموضع بهاء وجاذبية وحين رجعت الى القاهرة أرسلت إلى الأستاذ الحبيب قصيدة للشاعر المصرى الأستاذ فخري أبى السعود تصف حديقة الحيوان القاهرية، ليرى تشابه المنظرين، ويستمتع بما استمتعت به من براعة الشاعر، تصويراً وتعبيرا وتفكيرا٠٠ وقد يفنى المكان بمرور الزمان ولا يفنى شعر صادق تردده الأجيال وراء الأجيال٠

٣٨ـ عقدة التصريف ! :

حملتني أعناق الرياح الغربية في يوم عاصف، وألقت بي على ذُرى جبال طويق في نجد الحبيبة، فإذا بي أرى الشيخ أبا عبد الرحمن بن عقيل الظاهري يقف شامخاً وبيده التباريح، فصحت بأعلى صوتي وقلت:

أيها الشيخ الفاضل، قل: المتنحي، ولا تقل: المتنحوي، فلم يسمعني الشيخ.

وصاح بأعلى صوته، وقال:

يا صاعدي، قل: المتنحوي، ولا تقل المتنحي، فلم أسمع شيئاً

فأردت أن اقترب منه فإذا بيننا واد سحيق لا يُرى قعره، ولا يدرك منتهاه،

فصحت مرة أخرى

وصاح هو،

ولم أسمع ولم يسمع!.

ثم سمعت صوتاً هاتفاً يتردد صداه بين الجبال، فيتضاءل ويتضاءل حتى يتلاشى وهو يقول:

في أحدكما حدة ابن حزم وعنفوان أبي علي الشلوبين، مع شيء من اليبوسة.

قلت ـ وأنا أتلفّت يميناً وشمالا ـ من تعني؟

قال: أمّا القارىء فإنه ملول. دعونا من المتنحي والمتنحوي.

قلت: سأردّ على الشيخ وأبين له وجه الصواب في مسألة لغوية دقيقة.

قال: ما الفائدة من الردّ؟

قلت: ليعود الشيخ إلى الجادة، وينتفع القاريء.

قال: لن يعود الشيخ، ألا ترى هذا الوادي السحيق؟

قلت: والقاريء؟

قال: تشبع وأصيب بالتخمة، ألا يكفي مقالاتك الأربع ومقالات الشيخ الثلاث؟ لقد ذكرتمانا بجيم جدة بين الأديبين الكبيرين عبد القدوس الأنصاري وحمد الجاسر، ولو كان العطار حيا لدخل بينكما في مسألة المتنحوي، وانتصر للحق.

قلت: لقد جاء الشيخ الفاضل في مقالته الأخيرة في المجلة العربية (العدد ٢٣٩، بأغلوطات جديدة مع إصراره على خطئه القديم!

قال الصوت: أغلوطات جديدة؟





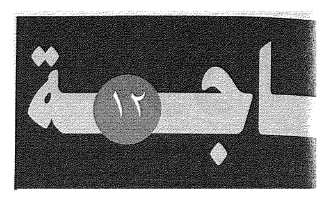
بقلم: د. عبدالرزاق فراج الصاعدي
ـ المدينة المنورة ـ

قلت: منها أنه ينكر أن يكون (تنحى) دالا على التعمق في النحو؛ لأنه ينكر أن يكون (تنحى) مشتقاً من النحو الذي هو العلم المصطلح عليه، وهو يرى أنه لا سبيل إلى تأدية المعنى الذى أراده إلا بأن يقال: تنحوى فهو المتنحوي.

وهذه من غرائب الشيخ؛ لأن (تنحى) يؤدي المعنى، وفوق ذلك هو القياس، كما يؤديه (تفقه) من الفقه و(تأدب) من الأدب، والفقه والأدب مصطلحان مستجدان كالنحو.

أما من يفهم أن تنحي بمعنى ابتعد فحسب ففهمه قاصر، لأن الصيغة الصرفية الواحدة تؤدي عدداً من المعاني المختلفة، ولا يمكن أن يصاغ من كلمة «النحو» صيغة «تنحوى» إلا عن طريق الإلحاق الذي بينته فيما سبق، فالقياس أن يقال من «النحو»: تنحى، كما يقال من الأدب: تأدب، فإن أراد صيغة الإلحاق من (الأدب) قال: تأدبب، بباعين، وكذلك يقول من «النحو» تنحوى، وأصلها: تنحوو، ثم تقلب الواو ألفاً، على النحو الذي فصلته سابقاً.

ومنها أن الشيخ الفاضل لم يزل يتشبث بخيط المعنى في بناء اسم الفاعل مع أن الأساس فيه هو البناء الصرفي للكلمة قبل المجيء باسم الفاعل على نحو ما قرره علماء التصريف، وكأنه نسي المشترك اللفظي في اللغة العربية، وهو ما اتفق لفظه واختلف



معناه، فالفعل (وجد) مثلا له معان متعددة، كأن يكون بمعنى حزن أو غضب أو علم أو أصاب شيئاً أو استغنى، ومع ذلك لا يتغير اسم الفاعل من ذلك لاختلاف المعاني، وهل فات الشيخ أن هناك كلمات من الأضداد تدل على المعنى وضده، ومع ذلك لا يتغير اسم الفاعل فيها، كالسارب بمعنى المتواري وبمعنى الظاهر، والدائم وهو الساكن أو المتحرك، ومثل ذلك كثير، واسم الفاعل لا يتغير لتغير المعنى إلى الضدية.

فهل يبقى للشيخ الفاضل سبيل للاحتجاج بالمعنى في البناء الصرفي لاسم الفاعل في مسألة المتنحوي؟ وهل يقبل منه أن يقول: أنا أقول (المتنحوي) لأن مرادي غير مرادك والمعنى غير المعنى؟ وهل اختلفنا في المعنى أيها الشيخ؟.

المتنحوي كلمة رباعية على وزن (المتفعلل) ولا يصح أخذها من كلمة ثلاثية هي «النحو» إلا بوجه الإلحاق الذي بينته مفصلا فيما مضى، والإلحاق يجوز في العربية ولكنه وجه مرجوح إن وجد القياس، فإن أردت الوجه الراجح قلت: (المتنحي) وإن أردت الوجه المرجوح قلت (المتنحوي).

قال الصوت: وماذا بعد؟

قلت: والشيخ ينكر الاشتقاق، فليست كلمات (عالم، ومعلوم، ومتعلم، ومتعالم، وتعليم) من (العلم) أو من (علم) بل ذلك تحويل من صيغة إلى صيغة، وفاته أن التحويل من شيء إلى شيء لا يقتضي العلاقة بين الشيئين، والعلاقة لازمة في الاشتقاق، ولهذا أجمع علماء العربية على القول بالاشتقاق، إلا من شذ منهم، وهم قلّة، وقد ذكرت ذلك فيما سبق.

ومنها أن الشيخ الفاضل ينكر زيادة الحروف فليست الميم من كلمة «مكتب» - مثلا - مزيدة على الأصل الثلاثي، وإنما هي ثابتة في صيغة (مفعل) ولو تأمل الشيخ رأيه هذا لوجد أنه يقوده في النهاية إلى القول بزيادة الميم، وهذا دليل عبقرية علمائنا القدامى.

قال الصوت: وماذا بعد؟

قلت: والشيخ ابن عقيل يؤثر الظاهر على العميق، فيأخذ بظاهر النصوص ويحتج بها، كإيثاره الفعل «قَيَّم» من القيمة على الفعل «قوَّم» لأنه رأى الياء ثابتة في (القيمة) مع أن القيمة واوية وليست يائية، فهذه الياء فيها منقلبة عن واو بسبب الكسرة قبلها، والأصل «قِوْمة» ولا معنى لثبات الياء إذا زال السبب.

ولهذا اختار حذاق اللغة الفعل (قوّم) ورجحوه على (قيّم) لأن الأصل في الاشتقاق في مثل هذه الكلمة أن ينظر إلى أصل الحرف المنقلب.

وقد أجاز مجمع اللغة بالقاهرة الفعل (قيَّم) مراعاة للتسهيل في هذا الزمان الذي تفشت فيه العامية وضعفت الفصحى.

واختار الفعل (قيّم) من وقف عند حد الظاهر وعطل عبقرية اللغة، التي تتجلى في النظام المحكم الفريد.

ومنها: ادعاء الشيخ الفاضل أنني رجعت إلى قوله؛ لأنني قلت: إن المتنحوي من «تنحوو» بواوين، ونسي أن هذا هو رأيي كررته في مقالاتي الأربع، وهو عين الإلحاق الذي يقول به الخليل وسيبويه وابن جني وابن هشام، وينكره صاحب التباريح، ولكن هذا الإلحاق وجه مرجوح لا راجح فيما لم يسمع من كلام العرب واتباع القياس أولى منه وأقوى.

قال الصوت: هل بقي شيء؟

قلت: دعني أقول للشيخ: إنني أربأ بك عن الولوغ في عبارات الاستخفاف والتهكم بشخصي الضعيف التي وردت في مقالك الأخير، وأظن ذلك كبوة جواد فإن كان لديك القدر الكافي من النفس العلمي الطويل للإفادة والاستفادة فستجدني حاضراً - إن شاء الله - إلى آخر الشوط، لينكشف لي على لسانك الحق فأصير إلى قولك، أو ينكشف لك على لساني الحق فتصير إلى قولي، أما المغالبة والجدل والمراء فليست من هدفي وأحسبها ليست من هدفك.



(حكايات)

حكايات من مارستان مصر - الوجه والقناع:

عندما تسلمت عملي في مصحة الامراض العقلية اخبرني رئيسي في العمل أنه - ولا فخر - تمكن من أن يحلب الثور وأن يؤذن في مالطة ويمنع خرابها ويكتشف كل الطرق المؤدية الى روما ويطفيء الحريق الذى أضرمه نيرون فيها وأن يحصل من العصفور على اللبن ومن الديك على البيض الطازج وأنه تمكن من السير على العجين دون أن يفسده وعلى قشر البيض دون أن يتكسر وعلى الحبل ولم يقع رغم أنه كان حبلا رقيقا قديما مهترئا وبنى قلعته على الرمال ولم تقع وأنه صارع الغول والعنقاء والخل الوفي وصرعهم جميعا وأنه تمكن من صيد الهولندي الطائر واليهودى التائه والمغربى الكذاب والوغد الصيني ذي الشوارب المدلاة والساحر الهندي وراعي البقر الأمريكى والدب الروسى والاسد البريطانى واستطاع أن يخلط الحابل بالنابل وأن يجمع الشامي بالمغربي وانه فعل كل تلك الاشياء - وغيرها الكثير - عن طريق التحليل النفسي وابلغني بنبرة تهديد أنه سيضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه أن يتسول منه شيئا واراني يده وكانت فعلا من حديد فقد طبق عليه قانون قطع يد السارق - بعد أن تم ضبطه - تمكن بعدها من تركيب يد صناعية من حديد صديء.

الوجه والقناع:

يجلس في العيادة النفسية الملحقة بالمصحة العقلية يأتى اليه المكتئبون والحزانى من كل حدب وصوب زرافات ووحدانا يقنعهم ما وسعه العقل وما سمح به اللسان أن الحياة جميلة وأنها تستحق أن تعاش ومن الخطأ أن نضيعها في اوهام من الوساوس والهواجس ليس لها ظل في الحقيقة وأننا يجب أن نعيش الحياة بكل قوة ونستمتع بكل دقيقة من دقائقها وثانية من ثوانيها ونحب حتى الالم ونستعذب العذاب ونتعايش والمعاناه ونتعانق والمصائب ونعشق الكوارث طبيعية كانت أو من صنع الانسان.

وعندما يحتويه المهجع وقد حل المساء يتقاطر منه الحزن والاسى ويدرك أنه لم يكن يعالج مرضاه ولكنه كان يحاول أن يعالج نفسه وللمرة العاشرة بعد المائة يفشل.

حكايات من مارستان مصر : الفنان والعنقاء :

وظيفة الفنان الحقيقي الحقيقية هي القبض على الصدفه، إقتناص اللحظة العابرة والامساك بالخاطرة

بقلم : د. عبدالغني عبدالحميد رجب
- مصر -

وصيد العنقاء وتدجين الغول وأن يقسم لك أنه شاهد الخل الوفي ذات مساء وتصدقه!!!

الفنان هو من يذهب وراء الصوت ليرى أين مستقره بعد أن يخفت الصدى.

وأن يتبع الضوء - كالفراشه المحترقه - ليعرف مستودعه بعد أن يجتاز المدى، الفنان يرى مالا يراه الآخرون ويسمع مالا يسمعونه ويعرف مالا يعرفونه، وقد يختلف مع الواقع المنظور لانه يتفق مع الواقع غير المنظور. فللحياة وجهان وجه واقعي ووجه حقيقي وليس من الضروري أن يتفقا بل هما دائماً في شقاق.

الوجه الواقعي هو ما نلمسه ونعايشه ونصطلي به يومياً من ازمات تأخذ بالمخانق.

الوجه الحقيقي هو ما يبرزه الفنان الصادق في رؤية يثبت صدقها اخيراً بعد أن نكذبه طويلا وهي التي قيل في حقها أن العبرة بالخواتيم وأن الذى يضحك اخيرا يضحك كثيرا والفنان الصادق والصوفى وجه واحد لعملة واحدة.

«إن كل شيء - بلا شك - يدعو لليأس لكن كل الاشياء - باليقين - تدعو للتفاؤل» وهذه المقولة هى جوهر الحياة فإن تقبلتها فأنت على الطريق وإن لم تدركها فأنت وشأنك.

تعريب وتغريب من يعرّبني؟

معذرة يا صديقى إن الضربات التي تلقيتها على فكى كانت من الكثرة حتى إنها جعلت فكى معوجاً وأنا لا استطيع أن ازيد اعوجاجه - للالم الشديد الذى احس به من جراء ذلك - لكى ارض بالاعجمية واتحدث عن البنيوية والماركسية والتحليل النفسي فأرجو أن تقبل كلامى البسيط فهو الذى يناسب فكي المعوجّ من كثرة الضربات.

فأنا لست كأولئك الادباء الجهابذة الذين يرطنون بالالسن السبعة ويجومون البحار السبعة - ثم يغرقون في بحر الظلمات - بحثاً عن كل مستحدث ومستغلظ من المذاهب الادبية الحديثة التي تتغير كالازياء كل يوم وإذا كان قدر امريكا هو امركة العالم كما يقول روزفلت وقدر فرنسا هو فرنسة العالم فقدرنا أن يأمركنا نصف مفكرينا ويفرنسنا النصف الآخر لكننى وبالرغم من هذا الحصار ابحث عمن يعرّبني.

مخلاة الساحر:

إذا كان ولابد للطبيب العادى من حقيبة يحمل فيها الادوات الطبية والادوية فإنه يتعين على الطبيب النفسانى أن يحمل مخلاة الساحر.

حنين:

كالماء الآسن عندما يُلقى فيه بحجر تنداح الدوائر ثم لا شيء الا الصمت الحائر. ذكرى نظرتها الاخيرة غداة البين تشعل ما تبقى لماذا لم ادرك معنى نظرتها في حينها وافسرها الآن وكأنها تقول «لقد ضاع منك كنزك الى الابد .. يا مسكين. كنزك الذى نسجته من اشواق روحك على مدى ألفي عام قبل ميلادك. لقد اضعته في الدنيا وسيأبى أن يكون من حورك العين في الآخرة».

لقد ودعت الجميع ولم تودعني الا بالنظرة الحزينة كأنها ترثى لى لم تمد لى يدها حتى لا تنال من يدها يدى لقد بخلت عليّ بما لا يضيرها وكأنها تعاقبنى ذلك العقاب الذى لم ادرك انه عقاب الا الآن. لماذا لا ادرك الامور على حقيقتها في لحظتها حتى يمكننى التصرف الذى يتناسب معها وادركها بعد فوات الأوان فأعض بنان الندم وأقرع أسنان الغيظ.. وأموت في اليوم ألف مره.

حنانيك:

كان الموعد مع الروح عندما تلقى بحجابها وتخلع اغلالها وترتدي غلالتها وتقول «أنا لك» لكن الروح لا تحتمل أي مؤثر خارجي ولو كان ضئيلا فتزيد من انكماشها وتكثف نقابها وتغلظ اغلالها وتقشعر تلك الروح الاسيرة قشعريرة من يريد انطلاقاً فيزداد احتراما. انتظرت الروح ذلك الموعد الفى عام وهي في الاسر ليس لها الا اقشعرارها ايذاناً بانعتاق وانتهاء باحتراق فإذا سجعت الورقاء الهتوف استبشرت واستعدت واستشرفت واعتقدت انها قاب قوسين فإذا بنعيب غراب البين يشق الاسماع فتعود من جولانها السماوى الى الجحيم الارضى لا لتيأس بل لتعاود الكرّة المرّة تلو المره كأنها لاتؤمن بالتجربة والخطأ وكأن حياتها اندثرت في جزر لا مد بعده الا بمقدار ما تنداح دائرة الماء القى فيها غلام صغير بذرة من تراب ودائماً يقف الغراب الاسود في مواجهة الورقاء تشدو فينعب وكأنه ارتباط شرطي وهكذا قضي الله أن اتعاطى الشعر الرخيص من حانة الشعراء الجوّف فتؤلمنى رأسى واتقيأه مداداً على ورق فيؤلمنى قلبى ثم اتوب عنه واغتسل من جنابته واكفر عن اثمى الشعرى حتى تتطهر الروح الاسيرة وتعود سيرتها الاولى بين الورقاء والغراب يا قلب احزن ذلك الحزن النبيل الذى يجعل الروح تشف، تشف حتى تتخلص من اغلالها أو تندثر.

علاج نفسي:

لم اصدق اذنى عندما قال لى المريض العقلى المزمن الذى اعالجه منذ عدة سنوات وهو يزداد تدهوراً يوماً بعد يوم واسبوعاً بعد اسبوع حتى وصل الى مرحلة تقترب من العتة أو الخرف انه قد قرأ صحيفة معارضة لم انتظر لكى اتثبت من المعلومة التى قالها فقد انطلقت في غمرة السرور ونشوة الفرح اعرض الحالة على زملائى وكيف نجح العلاج النفسى نجاحا باهراً واصبح هذا المريض العقلي يقرأ جريدة معارضة تتميز بالتعقيد الشديد والصعوبة الكبيرة.

في غمرة فرحتي نسيت أن المريض لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

قياس مع الفارق:

دخول الطبيب النفسي في النسيج الضلالى للمريض العقلي.

المريضة النفسانية مع طول العلاج من الممكن ان تحب طبيبها النفسي وتتعلق به تعلقاً شديداً وكطبيب امراض نفسية لم يقابلنى هذا الموقف قط لكن موقفاً شبيها من الناحية النظرية - اى دخول الطبيب في النسيج الضلالى للمريض - قد حدث لي فقد كان احد المرضى في المستشفى العقلى يعتقد اعتقاداً جازماً اننى الذى قتلته ولذلك فهو يسعى بكل قوته لكي يقتص مني ويثأر لنفسه.

اكتئاب ابتهاجي:

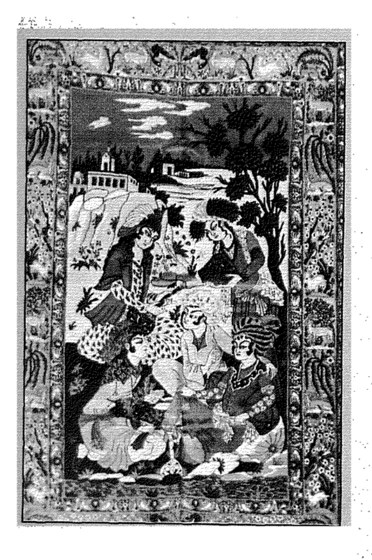
كانت رحلة جميلة على شاطئ البحر استمتع فيها اطباء المستشفى العقلى استمتاعاً شديداً وكانوا على سجيتهم الطفولية البريئة يغنون ويضحكون وبعضهم يرقص على أنغام الموسيقى وحينما وضع الطعام امامهم اخذوا يتخاطفونه وهم يضحكون حتى أتوا عليه تماماً وعند الرحيل في الغروب كان زميلنا المصاب بالاكتئاب الابتهاجى ينشد وهو يبكى:

يا نفس قد ازف الرحيل
واظلك الخطب الجليل
فتأهبي يا نفس لا
يلعب بك الامل الطويل

شهرزاد الحديثة

شعر: مفرج السيد
- السعودية -

شهرزاد العصر راحت شهرزاد
تنكر القول الذى غير مباح
ذهبت في القول تأتي كل واد
تنشد العزّة والوقت المتاح
وترى في ارتخاء شهريار
يسمع القصة مسلوب الفؤاد
أسكرته الخمر من ذات الخمار
فهو يهفو للقاء أو معاد
واعتراه النوم أو كاد ينام
عندما داعبه طيف الكرى
ثم قامت تتهادى في الظلام
حين ضمت في يديها الخنجرا
غرست في القلب مشحوذ السلاح
ومضت مسرورة للمخدع
عندما أدركها نور الصباح
هتفت في كل ناد تدعي
جعلت من دمه أحلى خضاب
وازدهت كالورد من ذاك الشفاه
وطوى التاريخ والحب الكتاب
ما رواه لبني الدنيا الرواه



عالم الزهور

قال ابيوقراط الحكيم «كل أرض تنبت زهورها» هذه العبارة التى قالها فيلسوف إغريقي قبل ثلاثة آلاف عام أثبتت مصداقية عبر الزمن، وتضاريس الجغرافيا، فثمة زهور لا تنبت الا في الجليد، وتموت إذا ظهرت الشمس في الأفق، وثمة زهور أخرى اقترن اسمها بالصبر فصارت «الصبار» وهناك زهور لا تعيش إلا فوق الجبال التى تتهددها البراكين مثل زهرة (الفنيق) و(الكناريا) التى تنمو فوق جبال الأنديز وجزر الكنارى.

عالم الزهور، عالم مثير، مليء بالأسرار، والألغاز واللغات الحية، التى لا يدرك معناها وقيمتها إلا من حصل على كلمة السر، ودخل بوابات المعرفة، ليكتشف كل جديد وغريب، وهذه رحلة في عالم الزهور.

زهرة الفنيق:

(الفنيق) ذلك الطائر الخرافي الذى حرق نفسه ليعود ويحيا من جديد أكثر شباباً وجمالا، أعطى سره لزهرة (الاوكالبتوس) ابنة الغابات الإسترالية ورفيقتها منذ الأزل، وتنتشر حالياً فوق سلسلة جبال الأنديز في أمريكا اللاتينية، ولا يعرف أبناء المنطقة متى دخلت هذه الزهرة بلادهم، لقد نمت في أحشاء الأرض ونهضت من بين الرماد لتقاوم حرائق الغابات، ولتخط على جذعها الفارع رسوماً تجريدية، صبغت بألوان الطبيعة، لتجدد علاقتها الحميمة مع مسقط رأسها.

(والاوكالبتوس) وردة من جنس مختلف، تستخدم للزينة، وتزرع عادة في المناطق الحارة، خصوصاً أفريقيا، رغم انها تستوطن أيضاً بعض المناطق المعتدلة كما في جزيرة تسمانيا في أقصى الجنوب الأسترالى، وعلى هذا تنفرد غابات أستراليا عن غيرها من غابات العالم بهذا النوع الفريد من الزهور، وتحتكر بمفردها أيضاً هذه الأشكال الهندسية لجذوعها بألوانها البديعة، وما تنفرد به من مادة صمغية حمراء، أثارت دهشة علماء الطبيعة والباحثين عن أسرارها.

زهرة الجليد:

إن هذه الدهشة سوف تتلاشى، وربما تزداد وتعمق إذا توقف الباحثون عند زهور (يوكا) التى تنبت في الجليد، عندما تحتجب الشمس ويهبط الجليد والضباب على بلاد الأسكيمو في أقصى نقطة في شمال الكرة الأرضية، فعندما يهبط الجليد مثل كرات بلورية تطل زهرة (يوكا) معلنة استمرار الحياة، وتحدى الطبيعة القاسية ملهمة الإنسان في الوقت نفسه درس الإرادة والتصميم، وزهرة (يوكا) هى نبات عصاري شجيري، يصل ارتفاعه من ٢ متر حتى ٨ متر والنبات له جذع واحد ومتفرع الأوراق التى تتميز بقمتها الحادة جداً، سيفية الشكل مسننة تسنيناً غير منتظم لونها أخضر مزرق صلبة جداً، مستديمة الخضرة طوال فترة الجليد لكنها تختفى تلقائياً بمجرد مجيء الصيف، وذوبان الجليد، وهذه الزهرة كانت النبات الوحيد الذى أنقذ سكان الاسكيمو في الزمن الماضى من خطر الموت جوعاً.

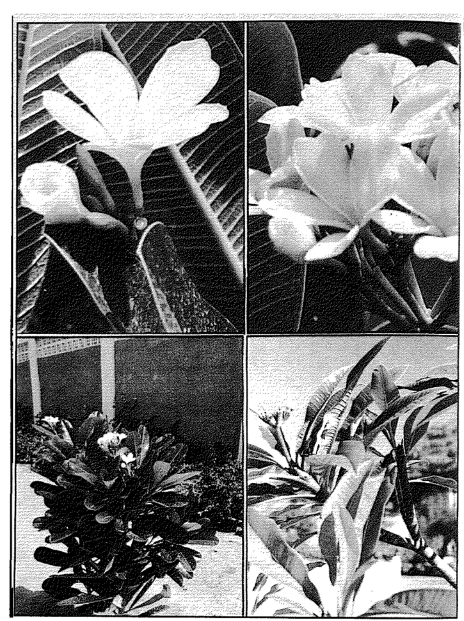
زهرة الصبار:

وسر الأسرار وضعها الله في زهرة الصبار التى تنتشر في صحارى العالم لكنها كشفت وجودها في جنوب القارة الأفريقية.

ويبدو أن الصبر قيمة مشتقة من (الصبار)، فهذه الأوراق الخضراء

هيام فتحى دربك
- مصر -

سرها في عطرها، وأوراقها تناجي الندى الزهور عندما تتحدث عن نفسها «التمرحنة» زهرة العرب البرية لا تشكو العطش

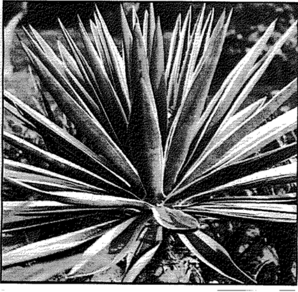


ـ الياسمين الهندي.

السميكة عاشت مع العطش آلاف السنين، لم تشك أو تطلب مزيداً من الماء.

لقد منح الله أوراقها العضارة اللحمية التي تختزن فيها الماء، وتتميز أوراق الصبار بأنها خضراء مزرقة بحافة ملونة في الغالب، وتزهر عندما يبلغ النبات حجماً كبيراً ويصبح مسننا ويخرج شمراخاً زهريا كبيرا قمعي الشكل، وتوجد الأزهار في نورات دالية ذات لون مصفر والنبات يزهر مرة واحدة وبعد التزهير يموت النبات، وتلك قيمة أخرى تشدنا نحو هذا النبات وهي «التضحية» من أجل الآخرين فمن أجل استمرار الحياة يضحى الكبير من أجل الصغير.

ونبات الصبار يستعمل بكثرة في أغراض تنسيق



الصبار

الحدائق الخاصة، وفي المناطق المعتدلة، وهو من النباتات التى تتحمل الحرارة الشديدة.

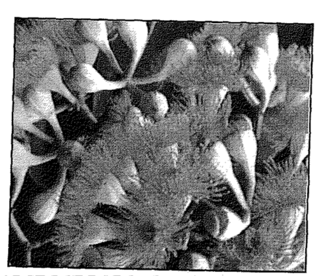
زهرة الليل:

ولكن عندما تحتجب الشمس ويهبط الظلام تطل علينا مخلوقات طبيعية ساحرة، اتخذت من الأوراق مسكناً، سرقت من الماس لمعانه وسحره ومن العروس أبهى زينتها، وأضاءت المكان بألوانها البديعة.. إنها زهور شجرة (توبوبياروزا) وتسمى شجرة البوقية، وتزدهر في فصل الشتاء وأوراقها مستديمة الخضرة، فردية أو مركبة، لامعة، وتتزين النباتات الصغيرة بالأزهار في مجاميع تعطى منظراً حسناً أنبوبة لامعة في لون بنفسجي فاتح، وتتزين الحدائق والجزر التي تزرع بالشوارع بهذه الشجرة لجمال شكلها خصوصاً في الليل لأنها تعطي موجات ضوئية، فوسفورية في الليل، تفيد المتجول - خاصة في الغابات - فهي «بوصلة» طبيعية لكل عابر سبيل، ومصباح كهربائي يحيل الليل نجوماً ساطعة.

زهور بلاد العرب:

والزهور لها عبيرها وجمالها، والصحراء لها روعتها ورهبتها، ولكن هل تجتمع الزهور والصحراء، وهل في اجتماعها عبير وجمال، وروعة ورهبة؟ أجل، ولكن الزهور ذات الجمال هي غير الزهور ذات العبير، ولو أن الصحراء هى الصحراء بروعتها ورهبتها.

فشجرة (الياسمين الهندي) تنمو في الصحراء، وتشيع فيها عبق رائحتها العطرية التى تظهر في الصيف والخريف، واستطاعت شبه الجزيرة العربية أن تستقدم هذه الشجيرة وتزرعها في حدائقها، فهي تعتبر شجيرة تصويرية أى تمثل منظراً طبيعياً داخل المدينة، يصل ارتفاعها الى حوالى ٦ أمتار وهي من الأشجار الصغيرة الحجم ذات شكل منتشر والساق مليء بالعقد شبه متساقطة الأوراق - والأوراق بيضية مستطيلة يصل طولها الى حوالى ٢٥ سم، كاملة الحافة أو مسننة، والأوراق مجمعة في شبه عناقيد. وتوجد الأزهار في نورات ذات لون أبيض مشوب بالاصفرار عطرية الرائحة، تنمو هذه الشجيرة جيداً بالمناطق الرملية الجافة، والمشمسة ولا تحتاج لكثرة الماء.



زهرة قبل التفتح

التمر حنة:

ومن الشجيرات التى أسكنتها دول الخليج أرضها شجيرة (التمر حنة) وهى شجيرة صغيرة جميلة الشكل يصل ارتفاعها إلى ٧ أمتار أحياناً، وهى مستديرة الشكل والأوراق، بسيطة كاملة الحافة، يتحول لون السطح السفلى إلى اللون الذهبي والأحمر، وخلف الشجرة أملس ونهايات الأفرع متدلية وهى شجيرة متساقطة الأوراق، وأزهارها متدلية ومتعددة الألوان إما أبيض، أو قرنفلى أو أرجوانى أو بنفسجي وتظهر في الصيف.

يدخل تحت هذا النوع سلالات وأشكال مختلفة، وهى تزرع لأزهارها الغزيرة (أما التمر حنة البلدى فهى شجيرة متساقطة الأوراق، ولكن يحدث أن يتأخر تساقط الأوراق كليا أو جزئيا بمنطقة الخليج وموطنها غرب آسيا وشمال أفريقيا واستراليا ويصل ارتفاعها إلى حوالى ٣:٤ أمتار، وتزرع في الحدائق العامة، وفوق المسطحات الخضراء.

زهور المملكة:

وأبناء المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية يعرفون الورود الصحراوية، وهناك في المنطقة الشرقية فسحة واسعة بجوار (عين الدار) تنتشر فيها الورود الصحراوية على مسافة غير بعيدة من طريق تتفرع باتجاه الهفوف على الطريق الممتد بين الظهران

زهـــــرة «الاوكالبتوس» تنمو بجوار البراكين فوق جبال الانديز تعلموا الصبر من «الصبار» والعطاء من زهرة «توبيا روزا»



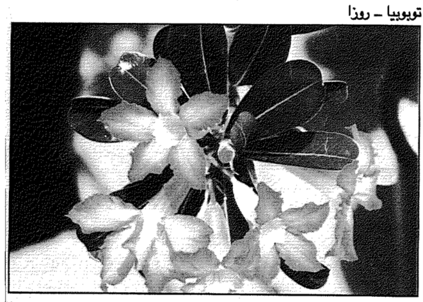
الشجيرات

والرياض، غير أن لهذه الورود لوناً رمادياً في الغالب، كما أن شكلها لدن، وهى تتشابه مع ورود أخرى في البرارى الأميركية المنتشرة في المكسيك وكاليفورنيا وفلوريدا، وهى تشبه إلى حد بعيد (فرشة الزجاج) وهى شجيرة يصل ارتفاعها إلى حوالى ٤ أمتار، وهى ذات ساق متهدل جذاب الأفرع طويلة تغطى لدرجة كبيرة بأزهار ذات لون أحمر إلى قرمزى، والأوراق شريطية مستطيلة كاملة الحافة متبادلة ذات ملمس جلدى مستديمة الخضرة والأزهار تشبه فرشة الزجاج، وتوجد في نورات سنبلية.

وهذه الشجيرة تجود زراعتها في الشوارع، وخاصة عندما تكون المياه قليلة وهى تنمو في أنواع كثيرة من الأراضى وتقاوم الحموضة والقلوية وتناسبها الأماكن الجافة وتنمو في الأراضى ذات الصرف الرديء، وتقاوم الجفاف لدرجة كبيرة، (وسبحان المبدع العظيم).



توبوبيا – روزا



أدينم

اللغة العربية والإبداع الحضاري

آمال القوتالي بن عمر
- تونس -

أحبَّ العرب لغتهم وتباروا في اتقانها منذ ما قبل الإسلام، واستعملوها في حلّهم وترحالهم، وانتقوا القصائد العصماء سُمِّيت «المعلقات» لتعليقها عند الكعبة.

ولما انطلق المسلمون لحمل رسالة الإسلام الخالدة كانوا في الوقت نفسه حملة للغة العربية، لغة الإسلام، لأن الإسلام لا يمكن تفهم شريعته إلا من وجهة لسان العرب. وبذلك كان المسلمون يدعــــون القلوب إلى الإيمان والألسنة إلى التعريب.

كما برع الخطاطون المسلمون في رسم اللغة العربية، وأبدعوا خطوطا عديدة زينتها بحلَّة قشيبة لأن الخط الجميل يزيد الحقّ وضوحا.. وزينوا المساجد والمنازل والقصور في مختلف البلاد الاسلامية وجمّلوا الأثاث والسجاد والملابس والمباني والالات والكتب وغيرها.

ولقد مثلت اللغة العربية ولا تزال إحدى اللغات العربية ذات التاريخ الحافل، وهي لغـــة ثرية بأبجديتها وتضم من الحروف مالا يوجد مثيلها في اللغات الأخرى كالثاء والخاء والذّال والظاء.. فضلا عن حرف الضاد الذي تنفرد به دون سائر اللغات العالمية.

وهي لغة تفي بالقليل عن الكثير، وتمج الغث وتعج بالسمين.. كما أنها تمثل قلب الأمة النابض وعقلها الواعي الذي يحوي تراثها ومجدها ولقد استوعبت انجازات المسلمين الحضارية كلها بوفاء وأمانة، بل لقد شرفها خالق الكون بأن اختارها ليخاطب بها بني آدم عبر كتاب معجز. وقد حوّلها هذا التشريف إلى لغة عالميّة يقول المستشرق «جوبيوم» في مقدمة كتابه تراث الاسلام: «إن اللغة العربية لغة عبقرية لا تدانيها لغة في مرونتها واشتقاقها».

هذا بالإضافة إلى انها اللغة ذات الصوت الواضح المميز، وذلك راجع إلى دقة مخارج حروفها بعكس ما هو ملحوظ في بعض اللغات الاخرى التى تكثر بكلماتها الحروف الساكتة، أو التى يتلاشى بعضها في بعض خلال النطق.

إن تميّز اللغـة العربيـة

بخصوصيات كثيرة جعلتها تتربع على عرش اللغات جميعها بما احتوت عليه من ضروب البيان والبلاغة والإعجاز وسهولة الإشتقاق منها وقدرتها العجيبة على التعبير عن كلّ خلجات النفس البشرية في أفراحها وأتراحها، في هزلها وجدّها، في علومها وآدابها.. ولقد أدرك أعداء امتنا الإرتباط الوثيق بين اللغة العربية ومجد ووحدة المسلمين، فعملوا جاهدين على ترويج دعاوي تتهم الفصحى بالعقم والبداوة وألقوا عليها مسؤولية تخلفنا، زاعمين بعدم استجابة الفصحى للحضارة الحديثة وهي عسيرة على من يتعلّمها!؟

واتفقوا جميعا على استبدال اللغة العربية بلغات المستعمرين القدامى أو باللهجات العامية للدول الناطقة بالضاد أو كتابة العربية بالحروف اللاتينية لمسخها والقضاء على صحة النطق بها، أو تغيير الأساليب البيانية والبلاغية للغة الفصحى.

وهذه الدعوات مهما لبست من أقنعة، وزخرفت من قول إنما هي دعوات مسمومة مفضوحة يريد لها أصحابها أن يخرّبوا هوية الامة حتى يسهل لهم تذويبها وتركيعها لأطروحاتهم المعادية لمصالح امتنا.

لأن اللهجة العامية مثلا التي يريدها أعداء أمتنا بديلا عن اللغة الفصحى تمثل الفاظا مهلهلة من لهجات تختلف من بلد إلى آخر كما تختلف في البلد الواحد باختلاف مناطقه وأجيال أبنائه، وهي فقيرة كل الفقر في مفرداتها، مضطربة في قواعدها وأساليبها حتى إن العربي يخاطب أخاه على لسان غير مبين فلا يكاد يفهمه!!

يقول العقاد: «اللغة العامية لغة الجهل والجهلاء وليست بلغة الشعبيين، ولا من يحبون الخير للشعوب».

لقد عبّرت اللغة قديما وحديثا بصدق عن المفاهيم والمشاعر والمعاني التي توصل إليها العرب المسلمون في مختلف ميادين الحياة ودروبها، تقوى وتينع بقوة المسلمين وعزتهم وتضعف بضعف المسلمين وتخلّفهم. فلا مجال إذن لأن نتهم اللغة الفصحى بالعجز أو القصور بل الأصح أن نتهم أنفسنا بالتخلي عن دورنا الحضاري في قيادة الشعوب وبلوغ ما وراء النهضة تطورا وازدهارا.

فاللغة لا يمكن أن تتطور وتزداد مفرداتها وتراكيبها ويترسخ جمالها وتنتشر بين الناس إلا إذا تراكمت المعارف الجديدة والمعاني الجليلة، وكثرت الاكتشافات والإختراعات، وأبدع الناس في كل المجالات الحياتية والمعرفية والتكنولوجية.. حينئذ تأتي اللغة لتعبّر عن هذا التطور والرقي والإزدهار عن طواعية، وتسلم قيادتها للمبدعين.. وكلما كثر هؤلاء المبدعون كلما تطورت لغتنا واتسع قاموسها اللغوي وكثرت المعاني الجميلة بها، وأقبل عليها الناس واستعملوها في احاديثهم وخطبهم وكتاباتهم.

ثلاث شموع

تغريد لطفي - سوريا -

١ - رؤيا

كان في البلدة مداح وقداحٍ .. وناي وربابة
كان في العتمة .. لصٌ .. وعصابه
وأنا .. بين الكوابيس المدمّاة سجينة
أمتطي الليل حصانا .. وأرى رؤيا حزينة
هرب النجمُ .. وضوء البدر غاب
وتوارت شمس قومي في الحجاب
لم أعد أحلم إلا بالبحار السبعة الهوج..
وأمطار .. وسيل كالعُباب
علها تغرقُ أسراب الذباب
في سماء «القدس» .. في أرض «الجنوب»[١]
في الهضاب الخضر[٢].. في كل الدروب
علها تغسلُ وجه الشرق من ليل الرّتابه
علها.. تمسح عن عالمه المحزون .. تاريخ الكآبه

٢ - تكوين:

جاء من أقصى المدينة
رجل يسعى .. ولا يخشى عدوا .. أو حمام
خلف الزوجة والأطفال في بيت من الطين .. قديم
جاء يبغي لقمة العيش لهم من يد محتل أثيم
كانت الشمسُ - مع الصبح - خيوطاً من ذهب
ثم لما غربت وقت المساء
لم يعد حيا إلى البيت ..
ولكن عاد محمولا على كف الفناء
عاد محمولا على لوح خشب
صاده الوحش الذي مازال يدمي «القدس»..
عاما بعد عام
وينادي بالسلام..!
فبكته الزوجة الثكلى .. بكاه الزهرُ والنهرُ..

في ليل القدس

وأسراب الحمام
وبكاه المسجد الأقصى.. بكاه الحجر الثائر..
والأطفال .. و«البيت الحرام»

٣ ـ تحية ..!

لعينيك يا «قدس» أكتبُ شعري المقاتل..
أنقشه اليوم في كل ساح
لعينيك يا «قدس» أحرق عود البخور غراما نقيا..
كوجه الصباح
أنا كنتُ عاشقة . ودرجتُ على الأرض عاشقة..
وسأبقى أحبُّ الضياء..
سأبقى البتول .. التى عن مدار الهوى .. لا تحول
إلى أن أرى في مغانيك يا «قدس» عرس الضحى..
وعروس الأصيل
وأسمع في مطلع الفجر عصفورة .. زقزقت .. للهديل
لك الحبُّ يا «قُدْسُ» .. لكنَّهُمْ .. ما عساني أقول..؟
لقد غرسوا في الضفائر سكين حقد..
وفي العين سكين حقد..
وفي القلب سكين حقد .. فأضحى السلام ـ مع الحقد ـ يا قبلتي مستحيل
سلام عليك .. على البر والبحر .. والبرتقال المدمَّى
ولوز الجبال..
وقمح السهول
سلام على العنب الكرملي .. وليمون «يافا»..
وزيتون «عكا» .. وتين «الجليل»
سلام على سعفات النخيل
على كل طفل يقاتل بالحجر الليل والغاصبين
ليُطلع فجرا مضيئا .. وصبحاً أصيل
سلام على كل مدرسة في «الخليل»
سلام على كل شاهدة في «الخليل»
سلام على كل طفل هوى فوق «أرض السلام»
فكان ـ على العشق ـ أسمى دليل



أوراق زرجاجية

أبو عواد / أم عمرو

٩٢٢ـ أبو عواد:

لا ينبغي أن ننقاد وراء الذين استمرأوا تحبيب جلد الذات إلينا.. فتاريخنا إذاً به الكثير من الكبوات كأي أمة من الأمم إلا أنه يتميز عن سواه بأنه زاخر بالأمجاد والبطولات وبالتالي علينا أن نثق في أنفسنا ونستنهض هممنا.

٩٢٢ـ أم عمرو:

امجاد وبطولات الماضي زاد يساعدنا على الاستمرار ويعطينا الواقعية وخاصة في اوقات الإحباطات الكبيرة ولكن يجب ألا يتحول إلى كهف نهرب إليه كلما عجزنا عن مواجهة واقعنا الحالي، فعندما نواجه الواقع بصراحة نصبح جزءاً من الحل بدلا من كوننا جزءا من المشكلة.

٩٢٣ـ أبو عواد:

علينا أن نتخلص تدريجياً من عقدة «الخواجه» ولا نورثها للأجيال القادمه. لأن هذا الجيل ينبغي أن يشعر بالندية الكاملة مع الأجانب لا بالدونيه التي طالما حنت ظهورنا وشلّت قدراتنا.

٩٢٣ـ أم عمرو:

لن يخرج اي جيل من عقدة النقص إلا اذا تربى رجلا وامرأة وهو واثق من نفسه. فالمرأة التى لا تثق بنفسها لا تربي رجالا يثقون بأنفسهم ونحن نخطىء كثيرا في هذا الميدان، اعنى تربية أمهات يملكن الثقة وبالتالى يعطينها ففاقد الشيء لا يعطيه

٩٢٤ـ أبو عواد:

على الذين يطلبون العلياء ويسعون لأن يتبوأوا مكانة أعلى وأرفع، أن يتذكروا أن «الجاذبية» ومعها نفر من المُعوّقين والحاسدين والانهزاميين ما انفكوا يشدونهم إلى الأسفل حتى يستقروا بهم في الحضيض أو يموتوا بغيظهم.. وعلى من يعلقون الآمال على هذه الفئة الطموحة المثابرة أن يدركوا هذه الملاحظة حتى لا يعطى الباطل فرصة لكسب الجوله.

٩٢٤ـ أم عمرو:

هذا صحيح والمثل يقول، الكل سيحاول شدك إلى أسفل وعليك وحدك ان تشد نفسك إلى أعلى.

٩٢٥ـ أبو عواد:

أصدقاء اليوم يحملون طعم ونكهة العصر، إنهم أشبه بالوجبات السريعة أو الألعاب النارية تبهر وتخدع لكنها لا يعوّل عليها في قطع نهر أو اجتياز معضله، فكلنا أصبحنا نستخدم المساحيق والاكسسوارات، كلنا أصبحنا خواجات.

٩٢٥ـ أم عمرو:

مشكلة ضياع الصداقة عندنا بمفهومها القديم ليست من فعل الخواجات ويالتينا نتوقف عن تعليق خيباتنا على هذه الشماعة فهذا في حد ذاته نوع من انواع الهروب من تحمل مسئولياتنا تجاه سلوكياتنا بشكل كامل.

الخواجات يحددون مفاهيمهم بدقة وهم يفرقون بين الصداقة الطويلة والمعرفة العابرة حتى انهم يطلقون عليهما اسماء مختلفة، اما في حالتنا فنحن لا نميز بين النوعين كثيراً ولا نحدث مفاهيمنا مع مرور الوقت.

٩٢٦ـ أبو عواد:

إن الأسره التي لا يحترم صغيرها رأي كبيرها ولا يعطف كبيرها على صغيرها ولا يكون لها عميد إذا قال استمع أفرادها إلى قوله ونفذوا أمره وإن نصح التزموا بنصيحته، أسرة متفرنجه وهي بمفهوم «غوار الطوشي» حارة كل منْ في إيدُه إلُه !! ومن منظوري بئس

هذا الكيان الأسري الذي لكل فيه رأيه وأيدولوجياته وحريته الفردية وبئست كل الديمقراطيات التي تجعل الكبير مهمشاً، وتجعل كلا يغني على ليلاه.

٩٢٦ـ أم عمرو:

الأسرة عمادها الأب ولكنه كعماد الخيمة لا يظل واقفاً إلا اذا ظلت احباله متصلة مع اوتاد الأسرة، الأم عن طريق التفاهم والتنسيق المتبادل، والأطفال يتعلمون احترام الأبوين من مشاهدتهم لمواقف الاحترام المتبادل بينهما.

٩٢٧ـ أبو عواد:

أفضل أنوع الاحترام للانسان هو أن يحفظ جانبه في غيابه عندما يوضع في جلسة ما في مكان ما على المشرحة ويبدأ كل بمشرطه تشويه جسده. عندها ينبغي أن يكون لك رأيك العلمي الذي يفرضه عليك ضمير الانسان الحي والرقيب المحايد فتقول كلمة حق ترضي بها ضميرك لا أن تكون إمعة تنافق الحاضرين وتظلم الغائبين وفي حضرتهم تكيل مديحاً فجاً يبعث في النفس على الاشمئزاز والتقزز.

٩٢٧ـ أم عمرو:

ان افضل رد على هذه العبارة ان نقتدى بمعنى حديث الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} الذي ينصحنا بأن نصمت اذا لم نستطع ان نقول شيئا طيباً عن غائب.

٩٢٨ـ أبو عواد:

النرجسية إذا كانت بالقدر الذي يحب فيه المسلم لأخيه ما يحبه لنفسه تصبح عند هذا الحد محببه ولكنها لو كانت كذلك لما سميت نرجسية. للأسف اليوم شعار السواد الأعظم من الناس: اللهم نفسي أو «أنا ومن بعدي الطوفان»!.

٩٢٨ـ أم عمرو:

ربما نحتاج ان نذكر كل من يجرى ولا ينظر حوله او خلفه على اساس «انا ومن بعدى الطوفان» انه بهذا السلوك لن يعرف ابداً إلى اي مدى يقترب الطوفان منه وأن المركبة التى يجرها حصان سليم وحصان مريض تسير بسرعة الحصان المريض كما يقولون.

٩٢٩ـ أبو عواد:

في هذا الزمن الكل يطلب جملا يمشي رويداً ويكون الأول.. الكل يريد أن يتجاوب معه الحاسوب أو الهاتف بلمسة زر واحدة يدخل على البرنامج أو يفتح مكالمة على استراليا، إننا نخطىء كثيراً حين يتملكنا احساس غريب وخيالي ذلك الذي يوحي لنا أن كل شيء بالامكان التحكم فيه عن بعد بالريموت كونترول كما يقال في مثل هذه الحال. كل منا راض بعقله لكنه غير مقتنع برزقه لهذا الكل يلهث ويكدح على تباين الامكانات واختلاف الفرص.

٩٢٩ـ أم عمرو:

نعم حقيقي انه للأسف زمن «الماراثونات» الكل يجري ويخاف من الوقوف حتى لا تدوسه فلول اللاهثين. اللاهثون سيتوقفون حتماً أو ستتوقف قلوبهم.

٩٣٠ـ أبو عواد:

للأسف الرياء والمجاملات وضعت مقصرين تحت دائرة الضوء وأبقت أوفياء ومخلصين في دائرة النسيان لا لشيء إلا لأن ألسنتهم تعفُّ عن الاطراء الأجوف ويعمدون إلى الوفاء بصمت والعمل بأمانه.

٩٣٠ـ أم عمرو:

من لا يستطيع تمييز الرياء والنفاق يستحق ان يقترب منه ويحيط به المزيفون والمنافقون. والحقائق اكثر عناداً من ان يمحوها الزمن.

٩٣١ـ أبو عواد:

الكثيرون هذه الأيام لا يقبلون النصيحة والغالبية تريد أمر المضحكات لا أمر المبكيات.. والذي يسير في طريق خطأ إذا نصحته لا يقبل نصحك، عجيب كأنه يريدك أن تبارك له اعوجاجه.

٩٣١ـ أم عمرو:

الصديق هو من يصدقك القول ويصارحك بالعيوب على ألا تكون المصارحة جارحة أو مؤلمة فاختيار الألفاظ هو ذوق وفن وعلم وهو وسيلة جيدة للنجاح وبلوغ الغايات.

رسالة من السلامي إلى السيدة الجميلة

* هو أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي
* من أشهر شعراء العراق.
* ولد في بغداد سنة ٣٣٦هـ
* اتصل بالصاحب بن عباد، وبعضد الدولة فبلغ عندهما منزلة حسنة.
* توفي سنة ٤٩٤هـ.

عفراء يا أحلى النساء:

من مدينة السلام أبعث برسالتي إليك بعد أن طوفت في الآفاق ما شاء الله لي أن أطوف. فقابلت في رحلتي أمراء ووزراء وعلماء وشعراء وكانوا جميعا كراماً معي. فأنزلوني منزلا طيبا وأغدقوا علي من آيات التكريم والإكرام ما لا أستطيع الوفاء بشكره. فانتعشت شئوني وطاب عيشي ودنت إلي أزاهير الدنيا، وإن كان طيب العيش من الأحوال التي يعز على الزمان أن يفي بها حتى ولو أخذنا عليه العهود والمواثيق.

وأول ما أحب أن أؤكده لك أنني لم أغادر بغداد بغضاً لك أو سأماً منك أو إيثاراً لحسناء أخرى عليك.. ولكنني رأيت أنني أعيش في عسر شديد، وفقر باهظ الوطأة رغم شهرتي التي تعرفها بغداد والموصل، ودار السلام، وأصبهان وشيراز بل الشام ومصر.. فوجدتني أتفكر في أحوالي وسلوك الناس نحوي وموقفهم مني، فنطقت بشكواي وقلت:

لبست العدم حتى صار نيلي
يضيق فقلبي فيه كزيق
وكادحت المطالب بعد ضر
ودارأت المعيشة بعد ضيق
فهل في الناس يا للناس حر
يبيض وجه ممتحن مضيق
أريد أخي إذا مائل عرشي
وسرت إلى المعيشة في مضيق
فأما حين يصلح بعض حالي
فإن الناس كلهم صديقي

وإلى هذا يرجع السبب في هجرتي من بغداد، ومن ثم فأيقني أنني لم أهاجر كرها لك أو عدولا عنك إلى سواك:

أفارق بغداد لا عن قلى
وأسرى إلى البين لا عن قرم

محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -



أروح وأغـــدو ولي قـــائد
إن عزّ الإبـاء وذل العـــدم
وأرجـو فـتى مكرمـا للندى
كـمـا رجت الأرض صـوب الديم

بعـد أن وصلت الموصل وقـبل أن أتصل بوجهائها وشعرائها اتخذت بيتاً على شاطىء نهر .. وليتك كنت معي لتشاهدي أى رغد كان فيه ذلك البيت: كان قريبا من روضة من أشجار الرمان تعابث أمواجه بغزل رشيق:

ونهـر تمرح الأمـواج فـيـه
مـراح الخـيل في رهـج الغـبـار
إذا اصـفـرت عليـه الشـمس خلنا
نميـر الماء يمزج بالعـقـار
كـأن الماء أرض من لجين
مـغـشـاة صـفـائح من نضـار
وأشـجـار مـحـملة كـؤوسـا
تضـاحك في احـمـرار واخضـرار
إذا أبصـرن في نهـر سـمـاء
وهـبن لـه نجـوم الجلـنـار

عفراء يا أحلى النساء:

في صباح يوم ذهبت إلى مجلس الشعراء فوجدت أبا عثمان الخالدى، وأبا الفرج الببغاء، وأبا الحسن التلعفري وغيرهم من شيوخ الشعراء. وعندما عرفتهم بشخصيتى فإنهم رحبوا بي وأجلوني ونظروا إلي في إكبار إلا التلعفري الشاعر فإنه أبى إلا أن يقف مِنّي موقف العداء.. فحسدني وحاول أن يقلل من شأني وشاعريتى، ويهزأ بي ويزرى بأفكاري.

فما كان مِنّي إلا أن فضحته أمام الحاضرين فقلت لهم وهو قابع بينهم:

سما التلعفري إلى وصالي
ونفس الكلب تكبر عن وصاله
ينافي خلقه خلقي فتأبى
فعالي أن تضاف إلى فعاله
فصنعتي النفيسة في لسانه
وصنعته الخسيسة في قذاله
فإن أشعر فما هو من رجالي
وإن يصفع فما أنا من رجاله

ولم أمكث بالموصل طويلا فتركتها إلى أصبهان.. وفيها رأيت السعادة ونعمت بالهناء. فقد قربني مولانا الصاحب بن عباد من حضرته وقدمني إلى رجاله بالكلمة الحلوة فملأني فرحاً وملأني أملا.. ولقد قضيت في رحابه ليالي ما كنت أحسبها من عمري، ففيها كان غناء القيان يشجينا وظرف الحسان يسبينا فسكرت من اللفظ وسحرت من اللحظ:

وفيهن سكرى اللحظ سكرى من الصبا
تعاتب حلو اللفظ حلو الشمائل
أدارت علينا من سلاف حديثها
كؤوسا وغنتنا بصوت الخلاخل

وعلى هذه السجية أمضيت أيامي بأصبهان.. ثم استأذنت مولانا الصاحب بن عباد في السفر إلى شيراز فسافرت.. وفي حضرة عضد الدولة صادفت حظاً أعظم من الترحيب والتكريم ونيل الحظوة عند الوجهاء والوزراء. فكانت ليالٍيَّ نعم الليالي، تنساب الألحان تشجي القلوب وتشنف الآذان، وتعذُب فيها أحاديث الأشواق بين العشاق. فأحسب أن الدنيا ما خلقت إلا للهو والهوى، وأن ليس في الدنيا تعاسة أو شقاء.. إنما هي الأنس والبهجة والسعادة الرفافة تلفني فتنسيني مصائب الحياة وأثقال الإنسان. وكنا في مجلسنا عند مولانا عضد الدولة لا نكف عن الضحك ولا نكف عن تناول أشهى الطعوم وألذ المشروبات تطوف بها علينا حسناوات يملأن الكؤوس في كرم طروب. وأعجبتني منهن حسناء طالما رمقتني ورمقتها وأشرت إليها بطرفي خلسة فكانت تعطيني شارة الرضى بإيماءة من رأسها..

.. آه لو رأيتها يا عفراء:

ولباسة حلى الشباب لعوبة
بطرق الهوى عقادة للزمائم
غزال صريم في رجوم صوارم
وبدر تمام في نجوم تمائم
وكان رقادي بين كأس وروضة
فصار سهادي بين طرف وصارم
ولولا نسيب مطرب من قصائدي
لما احتال طيف في زيارة نائم

عفراء يا أحلى النساء:

حتى إذا حان وقت الانصراف كنت أذهب إلى بيتى وأنا أسيف محزون لسرعة انقضاء ليلة الحبور والفتون. فكنت أقسم بينى وبين نفسى أننى لن أكف عن زيارة حضرة مولانا عضد الدولة حتى أننى كنت أتخيل أن لذات الحياة لن تفارقنى طالما أنه يظلني بعطفه وسابغ عطاياه؛ فكنت أقول:

يارب غانية بيضاء تصحبني
من العتاب كؤسا ليس تنساغ
أشتاق طرتها أم صدغها ومعى
من كلها طرر سود وأصداغ
كأننا لا أتاح الله فرقتنا
يا لعبة المسك باز تحته زاغ

وإننى لأرجو يا حبيبتي ألا يخامرك أدنى شك وألا تلهو بك ظنون الريب أننى ممن يؤمن بالمجون والقصف ومصاحبة القيان إنما هي ليال أنفقها أسعد فيها بما أسعد من أوطار النفس وأهوائها.. أما حسنائى في بغداد.. أما عفراء أحلى النساء فلن أرضى بها بديلا ولن أخون عهد الحب الذى قطعته على نفسي بينى وبينها.

فأنت يا حبيبتي:

ما كنت إلا جنة فارقتها
كرها فصب على سوط عذاب
وبعت دارك والسماء تجوبنى
بيد الغمام فلا أرى بك بابي

أنا لن أنسى آخر ليلة زرت فيها دارك وقد فاض حولي من نداك الكوثر.. فهل تذكرين تلك الليلة يا حبيبتي؟ هل تذكرين ما قلته لك فيها؟ إن كنت قد نسيت فأنا أذكرك.. لقد قلت:

الحب كالدهر يعطينا ويرتجع
لا اليأس يصرفنا عنه ولا الطمع
صحبته والصبا يغرى الصبابة بى
والوصل طفل غرير والهوى يفع
أيام لا النوم في أجفاننا خلس
ولا الزيارة من أحبابنا لمع
وليلة لا ينال الفكر آخرها
كأنما طرفاها الصبر والجزع
إذ الشبيبة سيفي والهوى فرسي
ورايتى اللهو واللذات لي شيع
أحييتها ونديمي في الدجا أمل
رحب الذرا وسميرى خاطر صنع
حتى تبسم إعجابا بزينته
لفظ بديع ومعنى فيك مختبر

عفراء يا أحلى النساء:

لأعودن إليك بأسرع مما تتصورين فنحقق ما اشتهيناه.. فاصفحي عن هفواتي وانسي زلاتي..

٣٤٣ - باريس الساحرة:

وقع في يدى كتاب عن باريس جمعه الأستاذ أحمد الصاوي محمد، حيث استكتب طائفة من الأدباء والمفكرين الذى زاروا باريس، وقضوا سنوات في ربوعها، إما لطلب العلم في كلياتها ومعاهدها، وإما للرحلة الخالصة للراحة تارة، والباعثة على اللهو تارة أخرى، والكتاب الذى يؤلفه عدة مفكرين أمتع للقارىء في موضوعه من كتاب يؤلفه فرد واحد، لأن كل من اشترك في التأليف يتحدث عن أفضل ما يعي من الذكريات، وأنضج ما اتضح له من الأفكار، فيأتي من مجموع ذلك ما يشبع القارىء. ويطلعه على وجهات نظر متعددة.

وقد عُرف الصاوي بأنه عاشق باريس، إذ أكثر من الكتابة المقرظة المادحة لها، فلما وجد نفسه قد قال كل شيء أراد غيره أن يقول، وأحسب أنه اختار من المقالات ما يتفق مع مشربه الخاص، لأن ناحية النقد الموضوعى جاءت قليلة جدا في مختاراته بالنسبة لناحية التقريظ، ولكنا نحمد له أن ترك بعض مظاهر النقد يحسها القارىء غالبا بين السطور دون أن تكون صريحة جهيرة تنادي على نفسها، والكتاب طرفة أدبية وتاريخية معا.

٣٤٤ (رفاعة الطهطاوي):

أحسن المؤلف حين اختار بعض ما قاله رفاعة الطهطاوي عن باريس في كتابه الشهير، وهو أول كتاب مصري في هذا العصر استقل بحديث هذه العاصمة الكبيرة، وقد كان الطهطاوي مبعوثاً مع الطلبة المصريين الذين أوفدهم محمد علي لتلقي العلم بمدينة النور كما كانوا يصفونها ولا يزالون! ولك أن تتصور مشاعر عالم أزهري شرقي ينتقل فجأة من صعيد مصر إلى باريس فيرى من مظاهر الحضارة الحديثة ما أدهشه وقذف به في طوفان من التفكير. ولكنه لم يفقد صوابه حين جعل يوازن بين الشرق والغرب، والماضي والحاضر موازنة محايدة لا سبيل للغلو بها، فالرجل واقعي يشاهد فيتعجب ويسطر.

وفي كتاب الصاوي صفحات كثيرة عن المرأة سلوكا وتعليما ومخادنة، ولكن من أطرف ما قيل عن المرأة ما تحدث عنه رفاعة الطهطاوي حين قال:

«إن النساء يسافرن وحدهن أو مع رجل يتفق معهن على السفر، وينفقن عليه مدة سفرهن معه، لأن النساء متولعات بحب المعارف والوقوف على أسرار الكائنات والبحث عنها، فهن يأتين من بلاد الفرنجة الى مصر ليرين غرائبها من الأهرام وغيرها، فهن كالرجال في جميع الأمور، نعم قد

يوجد منهن نساء غنيات مستورات الحال، يمكن من أنفسهن الأجنبي وهن غير متزوجات، فيشعرن بالحمل، ويخشين الفضيحة بين الناس، فيظهرن السفر لمجرد السياحة أو لمقصد آخر لبلد بعيد، ويضعن المولود عند مرضع بأجرة خاصة ليتربى في البلاد، ومع هذا فالأمر ليس بشائع. وما كل بارقة تجود بمائها، ففي نساء الفرنسية ذوات العرض، ومنهن من هي بضد ذلك، وهو الأغلب لاستيلاء فن العشق في فرنسا على قلوب الناس ذكورا وإناثا».

٣٤٥ (الأكل على الأرض):

أبدى الطهطاوي تعجبه من المائدة الفرنسية، حين تصف حولها المقاعد، ويجلس الآكلون عليها في نظام متداول، لأن الحال في الشرق غير ذلك، وفيما كتبه العالم الأثري الشهير سليم حسن عن ذكرياته الباريسية ما يحسن أن نقرنه بحديث الطهطاوي حيث قال عن خادمته (مير).

كان حبّ مير الشديد لي يجعلني أتغاضى عن كثير من هفواتها معي، وكانت كذلك تتغاضى عن هفواتي، غير أنها لم تغتفر لي زلة في آداب الأكل مرّة، وصارت تعيرني بها، طول مدة إقامتها عندي، وذلك أني تشوقت مرة أن آكل بيدى متربعا على الأرض، فأمرتها بأن تهيىء لي المائدة، وتغلق الباب، فظنت أن معي في الحجرة شخصا آخر لا أريد أن تراه، فأخذت تتلفت في أرجاء الحجرة، ولما لم تجد أحدا أغلقت الباب وانصرفت، غير أن حب استطلاعها جعلها تختلس النظر من كوة صغيرة بالباب، فوجدتني واضعا كل ما على المائدة في أرض الحجرة، وجالساً متربعا آكل بيدي فأدهشها جدا هذا المنظر الغريب، وفتحت الباب فجأة، وقالت بصوت مرتفع «أرى حيوانا يأكل» فأجبتها «وقد طبخ له حيوان آخر» فلما حضرت إلى مصر معي، ورأت بعض الناس يأكلون هكذا، خطرت لها هذه الذكرى السابقة، وقالت الآن فهمت.

٣٤٦ (غرائب الاستقبال):

يقول المهندس المعماري عن ذكرياته الخاصة بمدرسة (الفنون الجميلة) حين التحق بها «ولكي يشعر الطالب الجديد أنه أصبح فردا في العائلة المدرسية، ولكي يزول ما بينهم وبينه من الكلفة يشرب الجميع نخبه على حسابه الخاص يوم دخوله، ثم يطلب منه أن يقف في مكان مرتفع بينهم، ويغنيهم أنشودة أو يلقي عليهم خطبة بلغة بلاده، فإذا امتنع عن ذلك أحاطوا به وجرّدوه من ملابسه ثم دهنوا جسمه بالبوية عقابا له»».

قرأت ذلك فتعجبت أن يجرد الطالب من ملابسه تماما أمام زملائه، وكدت أشك، ولكني وجدت المثال مختار يقول في الكتاب نفسه:

كان نصيبي كطالب جديد أن يُحكم عليّ بالتجرد من جميع ملابسي، وأبقى عاريا تماما،

ولم تكن تنفع مقاومة أو شفاعة، فرضخت من فورى كما رضخ زملاء لي من قبل، فشدوا وثاقي إلى كرسي وأنا عار تماما كيوم ولدتني أمي، ووضعوا على رأسي تاجا من الورق على شكل فرعوني، وكتبوا عليه «رمسيس الثاني» وحملوني على نقالة رفعوها إلى أكتافهم وخرج موكب الطلبة في جموع غفيرة يتقدمنا من يفسح لنا، وسرنا كذلك من المدرسة إلى عرض الطريق حتى كنيسة (سان جرمان دي بريه) في آخر شارع بونابرت، وكان المطر يتساقط رذاذا فوصلنا إلى قهوة بونابرت والناس من حولنا ينظرون ويبتسمون لأنهم يعرفون عادة مدرسة الفنون وتقاليدها! وهناك وضعوني كما أنا على خوان بالمقهى وطلبوا طعاما وشرابا وجعلوا يرمونني بالفضلات وقشر المحار، وكأنهم يقدمون إليّ القرابين، وكان بينهم طالبات يشتركن في الاحتفال!

٣٤٧ (سكن البنسيون):

يتحدث أحمد الصاوي عن مسكنه بالبنسيون فيقول ملخصا:

هذا البيت العائلي الذى نزلته أول نزولي بباريس متواضع، يقدمون كل سردينة صغيرة أو قطعة من السجق بحجم نصف الريال، أو بعض الفجل والزبد حساء في العشاء، ثم قطعة من الجبن ذي الرائحة الخبيثة تنكرها أول عهدك بها، وتأباها الإباء كله، ثم يعضك الجوع بنابه فتعود أدراجك كارها، وتنتهي بأن تأكلها متفلسفا، ثم شيئا من الفاكهة الرديئة كبرتقالة في حجم ليمون مصر الصغير، أو بعض المربّى المجهولة الصنف أو البسكويت التافه.

فإذا تحدث الصاوي عن زميلاته في هذا المسكن قال:

«فتاة رومانية تدرس الفنون الجميلة، وأخرى تدرس البيانو، وايرلندية تدرس الغناء، وروسية تحضر لجائزة الآداب، وبولونية ويوجوسلافية، وتشيكوفاكية يدرسن اللغة الفرنسية ليُدَرِّسْنَها، بعد ذلك لبنات وطنهن، وثلاث صربيات إحداهن مسلمة تدرس الحقوق.

وكانت الصربية التى تدرس القانون من ألطف البنات وأذكاهن، إذا مشت تثنت كغصن البان وكان لها في البيت صاحب بلغاري وأنت تعلم أن الصرب والبلغار أولاد عم. وكان معي مصري فنان يتشبث بحب هذه الصربية وهي لا تقبل عليه، ولا تعرض عنه، فتزيده جوى وصبابة حتى سكر ليلة، فباح لها بحبه أمام الناس، وتورط.

هذا نمط من أنماط السكن الجامع في باريس، وهو مسكن يشغل عن الدراسة الخالصة لا محالة لأن الأهواء تتنازعه في كل اتجاه.

٣٤٨ (مدرسة سان كلو)

وإذا كان مجتمع مدرسة الفنون الجميلة معربدا على نحو ما أشرنا من قبل، فإن مجتمع مدرسة سان كلو العليا كان مجتمعا متزنا ينشد

الطرب ولكن في أدب رزين هادىء، وقد كان المربّي الكبير الأستاذ أحمد فهمي العمروس أحد الطلاب بهذه المدرسة، وقد أقيمت حفلة للتعريف به حين التحق بها، فلم تكن كحفلة المثال محمود مختار الآنفة، ولكنه تحدث عنها فقال:

.. يوم دخولي مدرسة سان كلو احتفل طلاب السنة الأخيرة بالمستجدين، وكان برنامج الحفلة يقضي أن يغني كل طالب من السنة الأولى أنشودة، فلما جاء دوري اعتذرت بأني لا أعرف الغناء باللغة الفرنسية، فاقترحوا أن أغنى بالعربية، على أن أترجم لهم معنى ما أقول، فارتقيت المنصة، وقلت هاتين البيتين المنسوبين لعنترة بن شداد:

حكم سيوفك في رقاب العذل
وإذا نزلت بدار ذل فارحل
وإذا بليت بظالم كن ظالماً
وإذا لقيت ذوي الجهالة فاجهل

ثم ترجمتها بالفرنسية وإذا هم يقابلون هذه المعاني بتصفيق حاد، حتى نهض أحد الأساتذة وقال: إن العرب كانوا يعشقون الحرية، وكانوا متشبعين بمباديء القرآن الذي ينص على مقابلة المثل بالمثل، حيث يقول «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» ويقول «العين بالعين والسن بالسن»..

ومن النوادر التي ذكرها الأستاذ العمروسي أنه تسلم خطابا جاءه من مصر بعنوان أحمد افندى فهمي العمروسي، واطلع عليه أحد الطلاب فلم يفهم كلمة (افندي) بالمعنى المتداول، فبحث عنها في القاموس الفرنسي فوجد أن أول معنى لها هو ابن السلطان. وما هي الا دقائق حتى ذاع الخبر في المدرسة، والتف الطلاب يسألونني: هل أنت ابن السلطان؟ واستطرد الأستاذ العمروسي فذكر طرائف أخرى من هذا القبيل.

٣٤٦ (قصيدة شوقي)

في كتاب (باريس) مقالات جديدة لشعراء من الشرق والغرب منهم الأستاذ خليل مطران وولي الدين يكن وغيرهما مع قصيدة شوقي في نابليون، وهي قصيدة رائعة حقا ختمها أمير الشعراء بقوله الصادق:

يا كثير الصيد للصيد العلا
قم تأمل كيف هانتك المنون
قم تر الدنيا كما غادرتها
منزل الغدر وماء الخادعين
وتر الحق عزيزاً في القنا
هيناً في العُزّل المستضعفين
وتر الأمر يداً فوق يد
وتر الناس ذئاباً وضئين
وتر العز لسيف نزق
في بناء الملك أو رأي رزين
سنن كانت، ونظم لم تزل
وفساد فوق باع المصلحين

ضمير المحرر الثقافي



كما يسعد الوسط الثقافي بكل إنجاز يتمثل في كتاب يعد إضافة له، فإنه يتأذى من كل هزال يأتيه عنوة لينتسب إليه - اعتباطا - على شكل كتاب لا جديد فيه سوى اسم الكاتب وسنة الطبع! فما الذي يقال في الحالة الأخيرة، وكيف يمكن حصرها في أضيق الحدود؟

(لا تتعجل النشر) هذه العبارة تُقال عادة لكل صاحب محاولات كتابية لم تكتمل فنياً بما يؤهلها لمحاكاة الواقع الثقافي الحديث، ولم تنضج بالقدر الذي يضيف للورقة البيضاء بُعداً يليق بعمق الاطلاع.

وبما أن المحاولات الأولية هكذا، فلابدّ أن صاحبها ليس لديه تجارب حياتية تساعده - فكرياً - على استيعاب الرأي الناصح - وهذا عادة ما يكون بين سني المراهقة.. وفورة الشباب - وقد يدفعه فكره (غير الناضج) إلى تسفيه آراء الآخرين، والتمسك برأيه، والاعتقاد بأن ما لديه من «تجريب» سوف يغير الدنيا إلى أجمل، والرؤيا إلى أعمق، والورقة البيضاء إلى حدائق غنّاء وينابيع متدفقة بأسرار اللقاء!!

(فتأخذه العزّة بالإثم) فيعزم على أمره، ويحزم أوراقه ليدفع بها إلى المطبعة..

تخرج الأوراق لمواجهة خاسرة: أعين ثاقبة تطالعها.. فلا تجد فيها غير تسويد البياض، ورعونة سافرة تنمّ عن عزلة فارغة!!

بعدها، يخرج صاحب الأوراق من أوهامه.. ليعضّ على أصابعه ندماً حين يكتشف أن ما بثّه للناس على شكل أوراق صقيلة فاخرة التغليف.. لم يكن.. إلا الغثاء!

فحتى لا يحدث مثل هذا للناشئين الطامحين في أن يكونوا من ذوي الشأن الثقافي، المعترف بهم في كل ساحة وملتقى.. علينا أن نمعن النظر في جذور المشكلة، فثمة مشكلة.. وثمة مسؤول عنها.. وإذا بحثنا عنه جيدا، نجده تحت مسمى (المحرر الثقافي) فكم من شخص يتولى هذه المهمة وهو ليس أهلا لها، حتى وإن كان من المثقفين البارزين.. فنحن لا نبحث - في هذا الطرح - عن إنجازه الثقافي/ الكتابي في مجاله الفكري، ولكننا نسأل - هنا - عن الضمير.. ضمير المحرر الثقافي.. هذا المحرر الذي - في أغلب الأحيان يدري وكأنه لا يدري، يدري بأن المادة التي وصلت إليه من شاب درس اللغة العربية، أو مازال يدرسها، وأمامه أستاذ يصحح له الأخطاء التي قد يقع فيها.. لهذا جاءت مادته سليمة إملائيا ولغويا ونحويا (وعروضيا إن كانت قصيدة) إلى يد المحرر الذي يسارع بنشرها وهو يعلم تماما بأنها بريئة من الفكر والإبداع براءة الذئب من دم يوسف! وتخلو تماما من كل إضافة للثقافة العربية.. ومع هذا تنشر، وينشر غيرها بتشجيع ومباركة من هذا المحرر الثقافي الذي نسي دوره وقام بدور المصحح اللغوي!

إذاً لا لوم على أي شاب يقوم بجمع كل المواد التي نشرت له في الصحف، ليطبعها في كتاب.. ولكن اللوم على ضمير المحرر الثقافي..!!

كل عام وأنتم بخير

الكشاف

الببليوجرافي

لموضوعات المنهل للعام

١٤١٨ هـ / ٩٧ ـ ١٩٩٨ م

المجلد ٥٩ العام ٦٣

الموضوع	الكاتب	١٤١٨هـ/٩٧/١٩٩٨م	ع	ص ص
أدب عام :				
الأمير كمال فرج وأغنيات إلى سيدة الحسن	د. عبد العزيز شرف	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	٩٦-٩٧
بيان الطليل في الأدب العربي	د. محمد فؤاد الذاكري	شوال وذو القعدة / فبراير ومارس	٥٤٧	٥٠-٥٢
التوقيعات .. فن أدبي نسيناه	أسماء أبو بكر محمد	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	١٢٤-١٢٥
ربّ عجلة تهب ريثًا (١)	محمد التوزاني	رمضان/ يناير	٥٤٦	٥٠-٥٩
ربّ عجلة تهب ريثًا (٢)	محمد التوزاني	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٦٥-٧٥
الرديء .. يأكل الجيد	محمود قاسم	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٧٨-٨٣
الغربة الروحية والضياع عند المفكر المعاصر	د. يوسف عز الدين	رمضان / يناير	٥٤٦	٣٨-٤١
الفيلسوف محي الدين بن عربي ونظريات الخيال المعاصر	د. شريف مفلح	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	٥٤-٥٧
مفهوم الموت في الثقافة العربية	د. علي القاسمي	ذو الحجة / ابريل	٥٤٨	٨٠-٨٩
خواطر أدبية :				
الأم .. أجمل زهرة ربيع	علاء الدين حسن	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١١٣
بين السطور	د. عبد الغني عبد الحميد رجب	رمضان/ يناير	٥٤٦	١٣٠-١٣١
بين السطور	د. عبد الغني عبد الحميد رجب	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١٢٦-١٢٧
بين السطور	د. عبد الغني عبد الحميد رجب	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١٢٢-١٢٤
ترانيم الوداع المر	شهاب أمير بدر الدين	جمادى الأولى / سبتمبر	٥٤٣	١١٣-١١٤
رسالة الى السيدة الجميلة من (أبي الرقعمق)	محمد عبد الواحد حجازي	المحرم / مايو	٥٤٠	١٥٤-١٥٥
رسالة الى السيدة الجميلة من (الهمشري)	محمد عبد الواحد حجازي	صفر/ يونية	٥٤١	١٤٤-١٤٥
رسالة الى السيدة الجميلة من (ابن عبد ربه)	محمد عبد الواحد حجازي	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٥٠-١٥٣
رسالة الى السيدة الجميلة من (ابن خفاجه الأندلسي)	محمد عبد الواحد حجازي	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	١٤٦-١٤٩
رسالة الى السيدة الجميلة من (ابن عباد)	محمد عبد الواحد حجازي	جمادى الآخرة/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٣٨-١٤١
رسالة الى السيدة الجميلة من (ابن نباتة السعدي)	محمد عبد الواحد حجازي	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	١٣٢-١٣٤
رسالة الى السيدة الجميلة من (الشريف الرضي)	محمد عبد الواحد حجازي	شوال وذو القعدة / فبراير ومارس	٥٤٧	١٥٠-١٥٢
رسالة الى السيدة الجميلة من (السلامي)	محمد عبد الواحد حجازي	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١٣٨-١٤١
سر الزجاجة (٥)	د. عبد الرزاق فراج الصاعدي	المحرم / مايو	٥٤٠	١٤٠-١٤١
سر الزجاجة (٦)	د. عبد الرزاق فراج الصاعدي	صفر/ يونية	٥٤١	١٢٨-١٣١
سر الزجاجة (٧)	د. عبد الرزاق فراج الصاعدي	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٣٠-١٣١
سر الزجاجة (٨)	د. عبد الرزاق فراج الصاعدي	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	١٢٦
سر الزجاجة (٨) صح (٩)	د. عبد الرزاق فراج الصاعدي	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	١١٨-١١٩
سر الزجاجة (٩) صح (١٠)	د. عبد الرزاق فراج الصاعدي	رمضان/ يناير	٥٤٦	١١٤-١١٥
سر الزجاجة (١٠) صح (١١)	د. عبد الرزاق فراج الصاعدي	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١٤٠-١٤١
سر الزجاجة (١٢)	د. عبد الرزاق فراج الصاعدي	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١٢٠-١٢١
شذرات الذهب (٣٤)	د. أبو حسام	المحرم / مايو	٥٤٠	١٥٦-١٥٩
شذرات الذهب (٣٥)	د. أبو حسام	صفر/ يونية	٥٤١	١٥٤-١٥٦
شذرات الذهب (٣٦)	د. أبو حسام	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٥٤-١٥٧
شذرات الذهب (٣٧)	د. أبو حسام	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	١٥٠-١٥٣
شذرات الذهب (٣٨)	د. أبو حسام	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٤٢-١٤٥
شذرات الذهب (٣٩)	د. أبو حسام	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	١٣٦-١٣٨
شذرات الذهب (٤٠)	د. أبو حسام	رمضان/ يناير	٥٤٦	١٣٨-١٤٠
شذرات الذهب (٤١)	د. أبو حسام	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١٥٤-١٥٧
شذرات الذهب (٤٢)	د. أبو حسام	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١٤٢-١٤٥
فوضائيات(١) البروفيسور .. مظلوم	شواف الدش	رمضان / يناير	٥٤٦	١١٦-١١٧

الموضوع	الكاتب	١٤١٨هـ/٩٧/١٩٩٨م	ع	ص ص
دراسات أدبية ونقدية:				
الاقليمية في النقد والدرس	د. ابراهيم السامرائي	صفر/ يونية	٥٤١	٦٦_٦٧
بين معيارية العروض وايقاعية الشعر (٢)	احمد سالم باعطب	المحرم/ مايو	٥٤٠	٧٠_٧٣
بين معيارية العروض وايقاعية الشعر (٣)	احمد سالم باعطب	صفر/ يونية	٥٤١	١٥٠_١٥٣
بين معيارية العروض وايقاعية الشعر (٤)	احمد سالم باعطب	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٢٠_١٢٥
بين معيارية العروض وايقاعية الشعر (٥) الحلقة الأخيرة	احمد سالم باعطب	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	٦٤_٦٩
حضور التراث في مسرح توفيق الحكيم	د. مصطفى رمضاني	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٤٦_٤٩
شخصية البطل في الرواية العربية	د. طه عمران وادي	رمضان/ يناير	٥٤٦	٤٢_٤٧
لذة النص بين فضاء الكتابة وسؤال النقد	محمود زعرود	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	٥٨_٥٩
ملامح النظرية النقدية عند ابن سلام	سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	٥٤_٥٧
النص ومفهوم البناء	د. محمد أحمد العزب	جمادى الأولى / سبتمبر	٥٤٣	٧٠_٧٥
وقفة مع رائد النقد التراثي ابن المعتز	د. ماجدة محمد حمود	المحرم/ مايو	٥٤٠	١٤٤_١٥١
شـــعر:				
ابتهالات صائم	يس قطب الفيل	رمضان/ يناير	٥٤٦	٩٣
أراك	نوال مهني	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٤٦
اغتراب	الأمير كمال فرج	المحرم/ مايو	٥٤٠	١٣١
أغنية حب	لطفي البشر عز الدين	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٤٠
أفصح رعاك الله من رجل	محمد أبو المجد سليم	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١١٤
إله العرش	أحمد صدوق صافي	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٠٥
الأنفس التعبة	سعد الحامدي الثقفي	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	١١٥_١١٦
أيام العمر	حسين منصور	صفر / يونية	٥٤١	٦٩
إيقاعات العقد الثالث	فيصل علي اكرم	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	١١٠_١١١
بسمة الدنيا أجيبي	ابو عبد الرحمن حفيظ الدوسري	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١١٤_١١٥
بسمة منك	محمد الأمين محمد الهادي	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٧٦_٧٧
بكائية إلى سوق عربية مشتركة	د. كمال اسماعيل	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	٥٢_٥٣
ثلاث شموع .. في ليل القدس	تغريد لطفي	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١٣٤_١٣٥
جبروت	عبد العزيز بن محي الدين خوجة	صفر / يونية	٥٤١	٨٨
دقائق مع البؤس	سعود حامد الصاعدي	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١٤٤
دمعة وفاء	سعيد سعيد الرفاعي	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١٢٠
الراعي	محمد بن أحمد العقيلي	المحرم/ مايو	٥٤٠	١٢١
رحمة للعالمين	د. محمد محسن	الربيعان/ يوليو وآغسطس	٥٤٢	٤٤_٤٥
رمضان شهر الله	أكرم جميل قنبس	رمضان/ يناير	٥٤٦	٧٦_٧٧
زفاف	وفاء جابر عبد الحليم	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	١٤٢
سلاما ملاك الموت	د. المهدي بن عبود	صفر/ يونية	٥٤١	٤٢_٤٣
سهرة على ضفاف الليل	مفرج السيد	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٣٩
سيمطر الحب	عبد الرحيم كنوان	شوال وذو القعدة / فبراير ومارس	٥٤٧	١١٢
شاطىء الحب	الأمير كمال فرج	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	١١٥
شهرزاد الحديثة	مفرج السيد	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١٢٥
طيبة الطيبة	عبد الله حمد الحقيل	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٧٨
الظــــل	عماد صبيح التميمي	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	١١٣
عوجا على الطلل المحيل	د. عبد الله المغامري الفيفي	رمضان/ يناير	٥٤٦	٤٨_٤٩
غناء على الأطلال	عماد أبو سالم	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	٦٤_٦٥

الموضوع	الكاتب	١٤١٨هـ/٩٧/١٩٩٨م	ع	ص ص
الاعجاز الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب (٢)	د. أحمد أحمد غريب	جمادى الآخرة ورجب/ أكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٤٢-٤٥
الاعجاز الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب (٣) (الحلقة الأخيرة)	د. أحمد أحمد غريب	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	٤٤-٤٧
مع القرآن في شهر القرآن	د. مصطفى رجب	رمضان/ يناير	٥٤٦	٦٤-٦٧

الحديث والسنة :

الموضوع	الكاتب	١٤١٨هـ/٩٧/١٩٩٨م	ع	ص ص
الجدل النبوي .. أدب وتربية	د. عبد الرحمن طالب	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٤٦-٥٣
السنة النبوية والبحث العلمي	د. ادريس محمد الخرشاف	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	٤٦-٤٩
في القصص النبوي (٣٧) الجنة ونعيمها (١)	د. عبد الباسط علي حمودة	المحرم/ مايو	٥٤٠	٥٢-٥٩
في القصص النبوي (٣٨) الجنة ونعيمها (٢)	د. عبد الباسط علي حمودة	صفر / يونية	٥٤١	٤٤-٥٣
في القصص النبوي (٣٩) الجنة ونعيمها (٣)	د. عبد الباسط علي حمودة	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٦٢-٦٩
في القصص النبوي (٤٠) الجنة ونعيمها (٤)	د. عبد الباسط علي حمودة	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	٤٢-٥١
في القصص النبوي (٤١) الجنة ونعيمها (٥)	د. عبد الباسط علي حمودة	جمادى الآخرة/ أكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٣٢-٤١
في القصص النبوي (٤٢) صفة أزواج اهل الجنة من النساء والحور العين	د. عبد الباسط علي حمودة	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	٣٨-٤٣
في القصص النبوي (٤٣) الجماع والولد في الجنة	د. عبد الباسط علي حمودة	رمضان/ يناير	٥٤٦	٢٢-٢٩
في القصص النبوي (٤٤) قبل دخول الجنة	د. عبد الباسط علي حمودة	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٢٦-٣٣
في القصص النبوي (٤٥) دخول الجنة بفضل الله ورحمته	د. عبد الباسط علي حمودة	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	٦٢-٦٩
كتابة الحديث وتدوين السنة (١)	د. عبد الحميد التمسماني شبكودة	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٢٢-٣١
كتابة الحديث وتدوين السنة (٢)	د. عبد الحميد التمسماني شبكودة	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	٢٨-٣٧

دراسات اسلامية :

الموضوع	الكاتب	١٤١٨هـ/٩٧/١٩٩٨م	ع	ص ص
الاستشراق وبواعثه وماله وما عليه	د. يوسف عز الدين	المحرم / مايو	٥٤٠	٦٠-٦٣
الاسلام الحل البديل	أنور الجندي	المحرم / مايو	٥٤٠	٤٠-٤٩
الاسلام والثقافة العربية في عالمنا الجديد	فضيلة الشيخ محمد الغزالي	المحرم/ مايو	٥٤٠	٣٠-٤٣
الاسلام وحقوق المرأة	د. عثمان أسكجي أوغلي	رمضان/ يناير	٥٤٦	١٠٤-١٠٦
أفكار مثيرة للجدل (٥) نماذج من الجهالة في كتابات نصر أبو زيد	د. محمد عمارة	المحرم/ مايو	٥٤٠	٢٤-٢٩
أفكار مثيرة للجدل (٦) الشافعي عند أبو زيد سوء فهم؟ أم سوء نية؟	د. محمد عمارة	صفر/ يونية	٥٤١	٢٠-٢٥
أفكار مثيرة للجدل (٧) الغزالي وافتراءات نصر أبو زيد	د. محمد عمارة	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٢٨-٣١
أفكار مثيرة للجدل (٨) الخلل المنهجي في كتابات نصر أبو زيد	د. محمد عمارة	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	٣٢-٤١
أقرب المسالك إلى أداء المناسك	د. محمد السيد علي بلاسي	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	٢٢-٢٧
بعض أحكام الحج اللازمة	الشيخ/ صالح بن سعد الحيدان	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١٨-٢١
تبديد الأوهام المتعلقة ببعض الأحكام	عبد الله محمد أبكر	رمضان/ يناير	٥٤٦	١٠٠-١٠٣
تكافل الفكر الاسلامي	أنور الجندي	صفر / يونية	٥٤١	٣٨-٤١
التوقير من معالم المجتمع الاسلامي	د. السيد رزق الطويل	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٤٢-٤٣
في دائرة القضاء (٥)	د. عماد بوضياف	المحرم/ مايو	٥٤٠	٨٤-٨٧
نحو فقه ميسر معاصر (١)	د. يوسف القرضاوي	صفر/ يونية	٥٤١	٣٦-٣٧
نحو فقه ميسر معاصر (٢)	د. يوسف القرضاوي	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٢٠-٢٧

السيرة النبوية :

الموضوع	الكاتب	١٤١٨هـ/٩٧/١٩٩٨م	ع	ص ص
الايمان وكماله في محبة النبي [صلى الله عليه وسلم]	عبد الله محمد أبكر	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٣٩-٤١
خاتم النبيين [صلى الله عليه وسلم]	د. يوسف الكتاني	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٣٢-٣٨
رثاء المصطفى [صلى الله عليه وسلم] في الشعر	محمد جمعة العودات	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٥٤-٥٧
المزاح في حياة الرسول [صلى الله عليه وسلم]	إياد فرعون	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٥٨-٦١

الموضوع	الكاتب	١٤١٨هـ/٩٧/١٩٩٨م	ع	ص ص
الأماكن والبلدان :				
الآثار الاسلامية في منطقة الجوف	د. خليل ابراهيم المعيقل	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٩٠_٩٩
أربعة سياحة	محمد الشهري	المحرم/ مايو	٥٤٠	٩٠_٩١
أربعة سياحة	التحرير	صفر/ يونية	٥٤١	٩٠_٩١
أربعة سياحة	التحرير	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٠٢_١٠٣
أربعة سياحة	التحرير	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	٩٢_٩٣
أربعة سياحة	التحرير	جمادى الأخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٨٦_٨٧
الاسلام في بكين	وانغ قوي ف	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١٢_١٧
بصرى الشام بين القياصرة والفتح	هشام عدرة	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	٩٦_١٠٣
بيلين: قلب امبراطورية المايا	الحسان الرزاقي	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٩٢_٩٥
تدمر .. تاريخ حافل بالمعالم الأثرية	علاء الدين حسن	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	٧٠_٧٣
سريلانكا بلاد الشاي والماس	عزيزة يوسف محمد	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٨٨_٩١
سنغافورة .. أعياد لا تنقطع	ترجمة: الحسان الرزاقي	صفر/ يونية	٥٤١	١٠٦_١٠٩
غرناطة آخر معاقل العرب في الأندلس	د. غازي حاتم	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	٧٤_٨٣
القصور الأثرية في بادية الشام	هشام عدرة	شوال وذو القعدة / فبراير ومارس	٥٤٧	٨٢_٨٧
لقطات	التحريـر	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	٦٨_٦٩
لقطات	التحرير	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٨٠_٨١
لقطات	التحرير	ذو الحجة / ابريل	٥٤٨	٩٤_٩٥
متحف البرادو المحطة السياحية الأولى في مدريد	د. غازي حاتم	المحرم / مايو	٥٤٠	١٠٨_١١٣
مشاهدات في فيتنام (١)	الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي	المحرم / مايو	٥٤٠	٩٢_١٠٧
مشاهدات في فيتنام (٢)	الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي	صفر / يونية	٥٤١	٩٢_١٠٥
مشاهدات في فيتنام (٣)	الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٠٤_١١٧
مشاهدات في فيتنام (٤)	الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي	جمادى الأولى / سبتمبر	٥٤٣	٩٤_١٠٧
مشاهدات في فيتنام (الحلقة الأخيرة)	الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي	جمادى الأخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٩٢_١٠٤
المعالم التاريخية والأثرية في الديار اللحيانية	عقيد/ مساعد بن منشط اللحياني	جمادى الأخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٨٨_٩١
منطقة الجوف في آثار عصور ما قبل الاسلام	د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٨٤_٨٩
التاريخ والجغرافيا :				
السدود في وادي حنيفة	محمد بن سعود الحمود	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	١٢_١٧
في ذكرى اليوم الوطني	د. امين ساعاتي	جمادى الآخرة ورجب/ أكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٨_١٣
مجلس الأمن الدولي وحق الفيتو	د. احسان هندي	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	٨٦_٨٩
الوحدة والتوحيد	سعد عبد الله المليص	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٤_١٧
يوم مشرق الصفحات وضاء المعالم	عبد الله حمد الحقيل	جمادى الآخرة ورجب/ أكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٤_٧
اليوم الوطني مزيد من التقدم والرقي	التحرير	جمادى الآخرة ورجب/ أكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٨_٢٠
التراجم والشخصيات :				
ابن جامع صوت الطرب الذكي	د. طاهر تونسي	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	٦٠_٦٣
ابن الجوزي وأدب الفكاهة	اياد فرعون	رمضان / يناير	٥٤٦	١٣٢_١٣٥
ابن عمر .. ضحية مؤامرة الصمت	د. عمر بن قينة	المحرم / مايو	٥٤٠	١٢٦_١٣٠
أبو العباس أحمد المقري من(روضة الآس) إلى (نفح الطيب)	د. عمر بن قينة	صفر / يونية	٥٤١	١٢٠_١٣٣
الأنصاري .. الأثري المؤرخ	د. عبد الرحمن الأنصاري	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٤٩
الأنصاري .. قمة في الريادة	عبد الله عمر خياط	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٥٠
الأنصاري .. المواهب المتعددة	عبد الله بن خميس	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٤٨
الأنصاري .. الموسوعي	محمد صلاح الدين	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٥١

الموضوع	الكاتب	١٤١٨هـ/٩٧/١٩٩٨م	ع	ص ص
الشيخ حماد الأنصاري ·· في ذمة الله	التحرير	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	١٣٩
الرائد لا يكذب أهله	نبيه الانصاري	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٤٦
رجال في الذاكرة	د· غازي زين عوض الله	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٥٢ ـ ١٥٣
رحلة في الذاكرة ٣١ صح (٤١) الاستاذ كمال النجمي	د· محمد رجب البيومي	المحرم / مايو	٥٤٠	١٢٢ ـ ١٢٥
رحلة في الذاكرة ٣٢ صح (٤٢) د· عبد العزيز الدسوقي	د· محمد رجب البيومي	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٢٦ ـ ١٢٩
رحلة في الذاكرة ٤٢ صح (٤٣) الامام محمد زاهد الكوثري	د· محمد رجب البيومي	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٢٤ ـ ١٢٧
رحلة في الذاكرة ٤٣ صح (٤٤) الاستاذ علي ادهم	د· محمد رجب البيومي	رمضان / يناير	٥٤٦	٦٠ ـ ٦٣
رحلة في الذاكرة (٤٥) الحبيب شبيوب	د· محمد رجب البيومي	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١١٦ ـ ١١٩
الشاعر الناقد ابن رشيق المسيلي القيرواني	د· عمر بن قينة	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	١١٨ ـ ١٢١
شعراء من التراث (١) المخبل السعدي	د· عبده بدوي	صفر / يونية	٥٤١	٥٤ ـ ٥٦
شعراء من التراث (٣) صح (٢) عبده بن الطبيب	د· عبده بدوي	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٤٢	٧٠ ـ ٧٣
شعراء من التراث (٣) عبد الرحمن بن أبي بكر	د· عبده بدوي	جمادى الأولى / سبتمبر	٥٤٣	٦٢ ـ ٦٣
شعراء من التراث (٤) غيلان بن سلمه	د· عبده بدوي	رمضان / يناير	٥٤٦	٩٤ ـ ٩٥
شعراء من التراث (٥) الأغلب بن جعشم العجلي	د· عبده بدوي	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١١٠ ـ ١١١
طه حسين مرة أخري	صلاح عبد الستار محمد الشهاوي	رمضان/ يناير	٥٤٦	٨ ـ ٩
عزيز ضياء ·· في ذمة الله	التحرير	رمضان/ يناير	٥٤٦	١١
فن الكتابة التاريخية	د· طاهر تونسي	رمضان/ يناير	٥٤٦	٣٦ ـ ٣٧
في الانتماء الثقافي (١) التقدم والانتماء في مشروعنا النهضوي	د· محمد عمارة	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٥٢ ـ ٥٧
في الانتماء الثقافي (٢) الجامعة الشرقية والمواجهة الحضارية مع الغرب	د· محمد عمارة	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	٤٨ ـ ٥٣
في الانتماء الثقافي (٣) مقومات الانتماء الثقافي والنهضة الحضارية	د· محمد عمارة	رمضان / يناير	٥٤٦	٣٢ ـ ٣٥
في الانتماء الثقافي (٤) مكانة اللغة في مقومات النهضة الحضارية	د· محمد عمارة	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٤٠ ـ ٤٥
في الانتماء الثقافي (٥) دور الوطنية والحرية والتراث في البعث الحضاري	د· محمد عمارة	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	٧٠ ـ ٧٧
قراءة جديدة ·· لنص قديم	د· طاهر تونسي	صفر / يونية	٥٤١	١٢٤ ـ ١٢٧
قصص من التاريخ السعودي	عبد الله بن ناصر الحديب	صفر / يونية	٥٤١	١١٠ ـ ١١٧
محمد الصالح رمضان ورحلته (سوانح وارتسامات)	د· عمر بن قينة	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١١٤ ـ ١١٧
الشيخ هاشم دفتر دار في ذمة الله	التحرير	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١١

تربية وتعليم :

الموضوع	الكاتب	١٤١٨هـ/٩٧/١٩٩٨م	ع	ص ص
تربية الأبناء مسؤولية الآباء	شيرين محمد شاكر على	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٣٤ ـ ١٣٥
التربية والتنمية في البلدان النامية	د· أنور طاهر رضا	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	٩٨ ـ ١٠٣
دار الجوف للعلوم	يوسف أبو عواد	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٢ ـ ١٩

ثقافة عامة :

الموضوع	الكاتب	١٤١٨هـ/٩٧/١٩٩٨م	ع	ص ص
أين أنديتنا الأدبية من العولمة الثقافية؟	د· أمين ساعاتي	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١٥٨ ـ ١٥٩
التدخين ·· الخطر المباشر	خلاف خلف خلاف	رمضان / يناير	٥٤٦	١٠٨ ـ ١١٣
الثقافة الذاتية ·· المنطلق الحضاري	ابراهيم نويري	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٥٨ ـ ١٥٩
حاجتنا إلى الترجمة	د· طاهر تونسي	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٥٨ ـ ١٥٩
حول مجامع اللغة العربية ورسالتها	عبد الله حمد الحقيل	المحرم / مايو	٥٤٠	١٦٠
ضمير المحرر الثقافي	فيصل أكرم	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١٤٦
طه حسين عميداً للتنوير العربي ·· مرة أخرى	انور الجندي	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٤٦ ـ ٥١
قراءة جديدة لنظرية صدام الحضارات	د· أمين ساعاتي	المحرم / مايو	٥٤٠	١١٤ ـ ١٢٠
كلمات للحياة	سعد البواردي	صفر / يونية	٥٤١	١٥٨ ـ ١٥٩
اللغة العربية والابداع الحضاري	آمال الفوتالي بن عمر	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١٣٢ ـ ١٣٣
اللغة العربية وحضارة العصر	عبد الله بن حمد الحقيل	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	١٥٨
لغتـــي	د· محمد رشاد حمد الله الريّان	رمضان / يناير	٥٤٦	١٥٦ ـ ١٥٧

الموضوع	الكاتب	١٤١٨هـ/٩٧/١٩٩٨م	ع	ص ص
أوراق زوجية	أم عمرو	المحرم / مايو	٥٤٠	١٥٢ ـ ١٥٣
أوراق زوجية	أم عمرو	صفر / يونية	٥٤١	١٤٢ ـ ١٤٣
أوراق زوجية	أم عمرو	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٤٨ ـ ١٤٩
أوراق زوجية	أم عمرو	جمادى الأولى/ سبتمبر	٥٤٣	١٤٤ ـ ١٤٥
أوراق زوجية	أم عمرو	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	١٣٠ ـ ١٣١
أوراق زوجية	أم عمرو	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١٤٨ ـ ١٤٩
أوراق زوجية	أم عمرو	ذو الحجة / ابريل	٥٤٨	١٣٦ ـ ١٣٧
عطاء المرأة	هند أحمد هرساني	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	١٣٦ ـ ١٣٧
للحياة وجهان	محمود درويشة	جمادى الاولى / سبتمبر	٥٤٣	١١١ ـ ١١٣
صحافة وإعلام :				
الانترنت عدو أم صديق	د٠ شذى الدركزلي	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٦٢ ـ ٧٧
بين شمولية الشعار وقوة الاستمرار	مريم جبر	جمادى الأولى / سبتمبر	٥٤٣	١٤٠
ذكرى حدث صحفي	التحرير	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	١٤٠ ـ ١٤١
ذكرى حدث صحفي	التحرير	رمضان / يناير	٥٤٦	١٤٢ ـ ١٤٣
مفهوم الاعلام في المنظومة الاسلامية	د٠ عبد السلام بنهروال	جمادى الآخرة ورجب/ أكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٥٨ ـ ٦١
موسيقى الانترنت	جيهان محمد الشناوي	شعبان/ ديسمبر	٥٤٥	١٢٨ ـ ١٢٩
الطب والعلوم والفلك :				
الاسلام ٠٠ والاستنساخ البشري	د٠ رضا عبد الحكيم اسماعيل رضوان	ذو الحجة / ابريل	٥٤٨	٣٨ ـ ٤٣
الأضحية شعيرة وحكمة وإفادة	د٠ فوزي عبد القادر الفيشاوي	ذو الحجة / ابريل	٥٤٨	٣٠ ـ ٣٧
الإيقاع الرمضاني ٠٠ وإيقاع الميلاتونين	د٠ فوزي عبد القادر الفيشاوي	رمضان / يناير	٥٤٦	٨٤ ـ ٩٣
البحث عن ذكاء أو حضارة خارج الأرض ماله وما عليه	د٠ شذى سليمان الدركزلي	جمادى الأولى / سبتمبر	٥٤٣	١٣٠ ـ ١٣٩
تاريخ علوم الفلك ودور العرب والمسلمين فيه (٢)	د٠ محمد سعيد البارودي	المحرم / مايو	٥٤٠	٧٤ ـ ٨٣
التساؤلات المطروحة حول مصداقية الاستنساخ	د٠ اسماعيل الخطيب	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	٤٤ ـ ٤٥
الجراحة بالمنظار حقيقة أم خيال	د٠ محمد محمد محسن	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	١١٠ ـ ١١٣
الشعب المرجانية هل تندثر بفعل تلوث المياه؟	مجدي محمد عيسى	المحرم / مايو	٥٤٠	١٣٢ ـ ١٣٧
صحة الشيخوخة	د٠ عماد ابراهيم الخطيب	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	١١٤ ـ ١١٧
عجائب العصر الحديث السبعة	ترجمة د٠ زهراء محمد سعيد محمد	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١٤٤ ـ ١٤٧
مضاعفات الجراحة	د٠ احمد عبد المنعم عربود	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	١٠٤ ـ ١٠٩
الموت بين الاكلنيكي والشرعي (١)	د٠ محمد علي البار	صفر / يونية	٥٤١	٧٠ ـ ٨١
الموت بين الاكلنيكي والشرعي (٢)	د٠ محمد علي البار	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٣٢ ـ ١٣٩
النخلة تمرها ٠٠ غذاء ودواء	د٠ سامية محمد مصطفى عامر	صفر / يونية	٥٤١	١٣٤ ـ ١٤٠
وبثَّ فيها من كل دابة	د٠ عبد البديع حمزة زللي	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٥٤ ـ ٥٧
كتب ومكتبات :				
رحلة في المكتبة (٢) قصص الأنبياء	د٠ محمد رجب البيومي	صفر / يونية	٥٤١	١٤٦ ـ ١٤٩
رحلة في المكتبة (٤) جبران خليل جبران قصة حياته	د٠ محمد رجب البيومي	جمادى الأولى / سبتمبر	٥٤٣	١٢٢ ـ ١٢٥
رحلة في المكتبة (٥) أضواء على السنة المحمدية	د٠ محمد رجب البيومي	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	٩٢ ـ ٩٥
رحلة في المكتبة (٦) كنوز الأجداد	د٠ محمد رجب البيومي	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١٠٦ ـ ١٠٩
العلم المعار	اسماء أبو بكر محمد	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	١٤٢ ـ ١٤٥
المدينة وما يتصل بها في بعض الدوريات العربية	حسن بن حمزة آل حسين	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١٢٢ ـ ١٢٥
المكتبات العربية ٠٠ تاريخ مجيد	يوسف بديري	صفر / يونية	٥٤١	١٢ ـ ١٩

الموضوع	الكاتب	١٤١٨هـ/٩٧/١٩٩٨م	ع	ص ص
اللغــــة :				
مسألة المصطلح بين الأمس واليوم	د. عباس أرحيلة	صفر / يونية	٥٤١	٥٨ ـ ٦٥
معضلة المصطلح العلمي العربي «المصطلح اللساني نموذجا»	محمد يحياتن	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	٧٤ ـ ٧٧
من آثار ابن جني في اللغة ـ الآثار المخطوطة (١)	د. غنيم غانم الينبعاوي	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	٨٤ ـ ٨٩
من آثار ابن جني في اللغة ـ الآثار المفقودة (٢)	د. غنيم غانم الينبعاوي	رمضان / يناير	٥٤٦	١٢٤ ـ ١٢٩
من آثار ابن جني في اللغة ـ الآثار المفقودة (٢)	د. غنيم غانم الينبعاوي	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٩٦ ـ ١٠٥
النحو الشنقيطي بين دروس التعمق ومباحث التخصص (١)	محمذن ولد احمد ولد المحبوب	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	١٣٠ ـ ١٣٩
النحو الشنقيطي بين دروس التعمق ومباحث التخصص (٢)	محمذن ولد احمد ولد المحبوب	ذو الحجة/ ابريل	٥٤٨	١٠٤ ـ ١١٣
فضلا عن .. ودليل التصحيح أولا	أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري	جمادى الآخرة ورجب/ أكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	١٠٦ ـ ١١٣
فضلا عن	أبو عبد الرحمن السالمي	الربيعان / يوليو واغسطس	٥٤٢	٤ ـ ٥
متاحف وآثار :				
اكتشاف نصب زوجة النبي لوط عليه السلام	سعيد فضلو حداد	رمضان / يناير	٥٤٦	٩٦ ـ ٩٩
فسطاط جامع عمرو بن العاص	بهاء يوسف خليفة	رمضان / يناير	٥٤٦	١٢ ـ ١٩
معارض :				
الأسبوع الثقافي السعودي في المغرب	سعيد بونوار	صفر / يونية	٥٤١	٥ ـ ٧
بينالي الشارقة الدولي للفنون	عبد الرحمن السليمان	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٤٢	٦ ـ ٧
مما قــــل :				
مما قــل	عبد القدوس الأنصاري	المحرم / مايو	٥٤٠	بدون
مما قــل	عبد القدوس الأنصاري	صفر / يونية	٥٤١	بدون
مما قــل	عبد القدوس الأنصاري	الربيعان/ يوليو وأغسطس	٥٤٢	بدون
مما قــل	عبد القدوس الأنصاري	جمادى الأولى / سبتمبر	٥٤٣	بدون
مما قــل	عبد القدوس الأنصاري	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	بدون
مما قــل	عبد القدوس الأنصاري	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	بدون
مما قــل	عبد القدوس الأنصاري	رمضان / يناير	٥٤٦	بدون
مما قــل	عبد القدوس الأنصاري	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	بدون
مما قــل	عبد القدوس الأنصاري	ذو الحجة / ابريل	٥٤٨	بدون
منهليات :				
منهليات	رئيس التحرير	المحرم / مايو	٥٤٠	٢
منهليات	رئيس التحرير	صفر / يونية	٥٤١	٢
منهليات	رئيس التحرير	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٤٢	٢
منهليات	رئيس التحرير	جمادى الأولى / سبتمبر	٥٤٣	٢
منهليات	رئيس التحرير	جمادى الآخرة ورجب/ اكتوبر ونوفمبر	٥٤٤	٢
منهليات	رئيس التحرير	شعبان / ديسمبر	٥٤٥	٢
منهليات	رئيس التحرير	رمضان / يناير	٥٤٦	٢
منهليات	رئيس التحرير	شوال وذو القعدة/ فبراير ومارس	٥٤٧	٢
منهليات	رئيس التحرير	ذو الحجة / ابريل	٥٤٨	٢

تهنئة

تتشرف دارة مجلة المنهل للصحافة والنشر المحدودة
ومنسوبوها برفع أسمى آيات التهاني وأجمل عبارات الأماني بمناسبة
عيد الأضحي المبارك إلى مقام :

خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي

الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

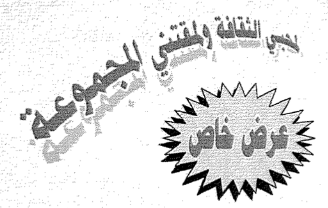
وبهذه المناسبة العزيزة نبتهل إلى الله أن يحفظ لبلادنا الغالية دينها وعزها وأمنها في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين ورعاية حكومته الرشيدة.
وأن تعود هذه الذكرى العاطرة عاما بعد عام وبلادنا في تقدم وازدهار.

وكل عام وأنتم بخير

مجلدات المنهل

المجموعة الكاملة ١٣٥٥ - ١٤١٦ هجرية

(٧٢) مجلدا فاخرا متوفرة في الألوان " الأزرق - البني - والأسود"
للاستفسار الإتصال بإدارة العلاقات العامة بالمجلة ت: ٦٤٣٢١٢٤



يمتد حتى نهاية هذا العام

السادة دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

بعد اطلاعي على شروط الاشتراك السنوي في مجلتكم (المنهل) والعرض الخاص
أرغب في الآتي

☐ اشتراك سنوي (١٥٠) ريالا .

☐ (٣) سنوات (٤٠٠) ريالا مع الإصدارات .

☐ (٥) سنوات (٥٥٠) ريالا وكتاب شذرات الذهب.

وأرفق لكم طيه قيمة الاشتراك حسب ما هو موضح بالقسيمة.

☐ (أ) شيك ☐ (ب) حوالة بنكية

مبلغ ______ رقم ______ بتاريخ ______

فضلا تعنون الشيكات أو التحويلات باسم (مجلة المنهل)

الاسم:______ العنوان:______
القطر:______ المدينة:______ المنطقة:______ شارع:______
بناية رقم:______ شقة رقم:______ ص.ب:______ رمز بريدي______
تليفون :______ فاكس :______ تلكس:______

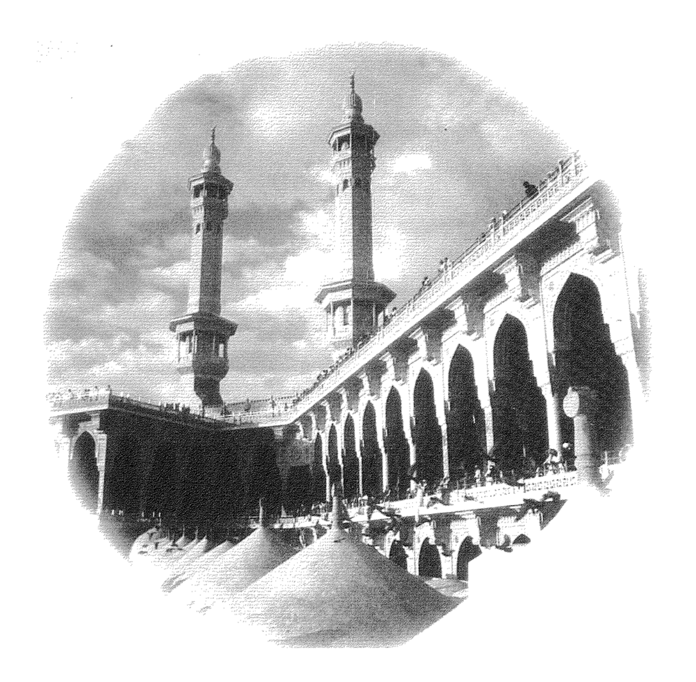


مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

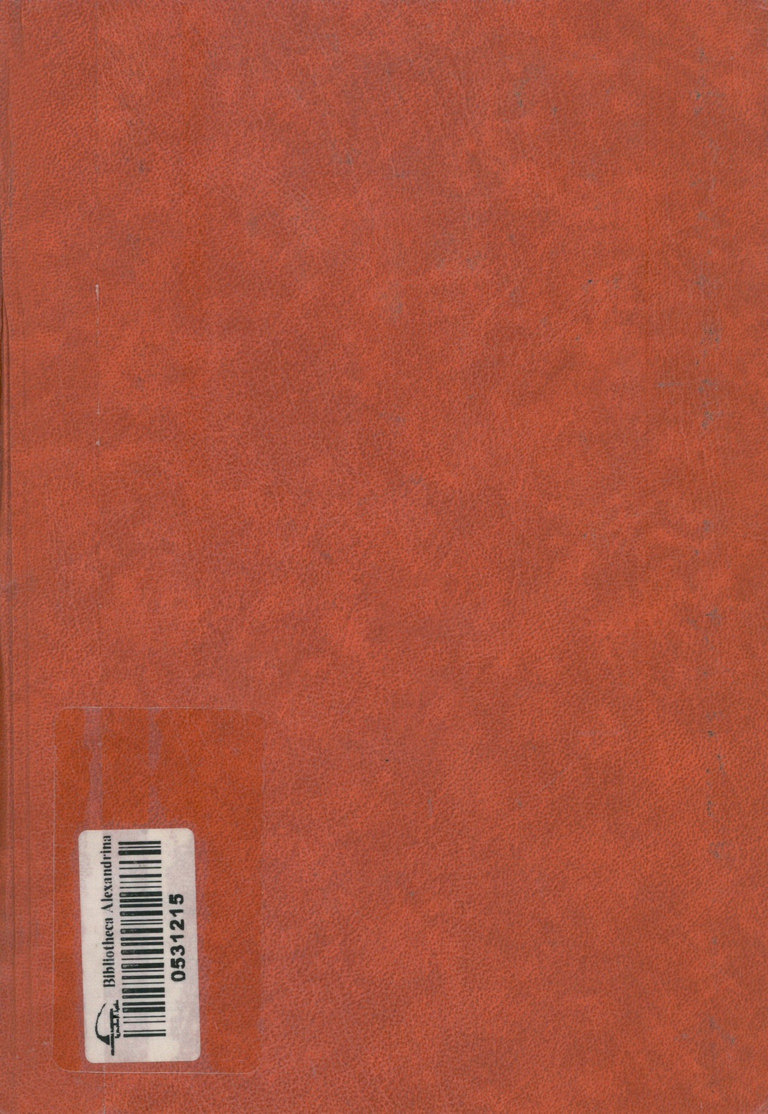
المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣










Bibliotheca Alexandrina
0531215